التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء. (٦٩٣-٧٤١هـ)

ومعه تقريرات لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك

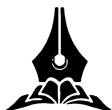
تحقيق

علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

المجلد الأول

الفاتحة - آل عمران

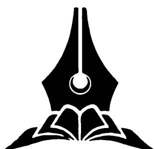


دار طيبة الخضراء

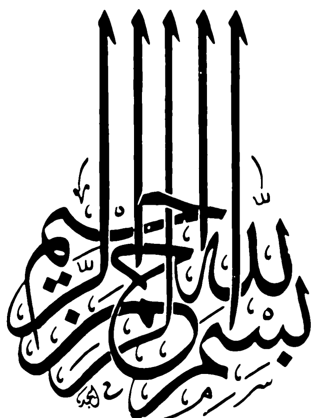
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به



الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به
0125562986 I yyy 01@hotmail com
dar taiba @ dar taibagreen123 @dar_tg dar taibaa
مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه
0503568771 I 0550428992 I yyy.01@hotmail.com I 0125562986


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مَن بعثه الله رحمةً للعالمين، محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم قدْرًا، وأجلَّها ذكرًا، وأرفعها شأنًا، وأولاها عرفانًا؛ علمُ تفسير كتاب الله تعالى، وتفهُّم معانيه، وهو أولى العلوم بالتحصيل، وخير ما صُرفت فيه الأعمار، وأُنفقت فيه الأوقات، وكُدَّتْ فيه القرائح والفهوم؛ إذ هو متعلِّقٌ بأشرفِ كلام، وهو كلام رب العالمين، فنال هذا العلمُ قصب السَّبق بهذه المزيَّة، وأعظم بها من مزيَّة، ومن رُتبةٍ عليَّة، وحريٌّ بعلمٍ هذه خَلَّته وخَصلته أن يكون سيِّدَ العلوم وكبيرها، وأن تكون سائرُ العلومِ له جندًا وتبَعًا، وقَمَنٌ به أن يكون في ذِرْوة المعارف والعلوم التي يقصِدها وُرَّادُها، ويرومها قُصَّادُها، ويطلبها شُدَاتها؛ ليرتعوا في رياضه، ويَكرعوا من حياضه، ويقتبسوا من أنواره، ويتأرَّجوا من نفحاته، وما أجملَ ما دبَّجته يراعة الإمام المطَّلبي، محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله حيث يقول مستحِثًّا طلبة العلم على العناية بكتاب الله، ومُذْكيًا هِمَمهم في الانكباب

على تحصيل علمه-: «فكلُّ ما أنزل في كتابه - جل ثناؤه - رحمةٌ وحجة، عَلِمه مَن علمه، وجهله من جهله، لا يعلم مَن جهله، ولا يجهل من علمه، والناس في العلم طبقاتٌ، موقعُهم من العلم بقَدْر درجاتهم في العلم به، فحُقَّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدِهم في الاستكثار من علمه، والصبرُ على كل عارضٍ دون طَلَبِه، وإخلاصُ النية لله في استدراك علمه: نصًّا واستنباطًا، والرغبةُ إلى الله في العون عليه؛ فإنه لا يُدرَك خيرٌ إلَّا بعونه، فإن مَن أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفَّقه الله للقول والعمل بما عَلِم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمةُ، واستوجب في الدين موضع الإمامة، فنسأل اللهَ المبتدئَ لنا بنِعَمِه قبل استحقاقها، المُدِيمَها علينا، مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلَنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولاً وعملاً يؤدِّي به عنَّا حقَّه، ويوجب لنا نافلةَ مَزيدِه»(١).

وإن من أنفع الكتب المؤلفة في علم تفسير كتاب الله تعالى: كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» للشيخ الشهيد أبي القاسم محمدِ بن أحمد ابنِ جُزَيٍّ الكلبي الغرناطي رحمه الله، فقد امتاز هذا الكتاب بعدة مميزات، تجعله من أولى كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم أن يُقبل على تحصيلها، ومن تلك المميزات:

١- سهولة أسلوب ابن جزيٍّ ووضوح عبارته وجودتها، وحسن ترتيبه

(١) الرسالة (ص: ١٩-٢٠).

وعرضه للمسائل، وهذه الميزة يجدها الطالب بجلاء عند مطالعته لسائر كتب ابن جزي، فعبارته يمكن أن توصف بأنها من السهل الممتنع، حيث يجد القارئ سلاسةً عند قراءتها، لكن يصعب على الشخص أن يحاكيَها.

٢- صِغَر حجم الكتاب نسبيًّا؛ مما يسهِّل تحصيله، ويقرِّبه إلى الراغبين، مع غزارة مادته العلمية، فابن جزيٍّ اختصر العبارة، مع غاية الدقَّة في انتقاء العبارة، فالمطالع لتفسيره يجد العبارة المختصرة المركَّزة، لكن لو فتَّش فيما تحتها من المعنى لوجده معنًى غزيرًا، وقد نبه رحمه الله على ذلك فقال: «ثم إني عزمتُ على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

٣- نقاوة هذا التفسير وخلوصه وصفاؤه من الأقوال الباطلة والساقطة، كما نبَّه على ذلك في المقدمة فقال: «وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيهًا للكتاب عنه، وربَّما ذكرته تحذيرًا منه»، إضافةً إلى تحقيقه لأقوال المفسرين والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييزه بين الراجح والمرجوح، فهو بحقٍّ عسلٌ مصفًّى، ولبنٌ خالصٌ سائغ للشاربين.

٤- أنه يُعدُّ كتابًا تطبيقيًّا لمن درس علوم الآلة -كعلوم اللغة من نحو وتصريف وبلاغة وعلم الأصول- ويروم أن ينمِّي ملكته في تطبيق هذه العلوم على فهم كتاب الله، فابن جزيٍّ يبيِّن بوضوحٍ الأوجه الإعرابية في الآية والمعنى المبنيَّ على كل وجه، وما فيها من النكات البلاغية، ويبين تصاريف الكلمات وأبنيتها.

٥- قدَّم له ابن جزيٍّ بمقدِّمتين، إحداهما في أبواب من علوم القرآن

وأصول التفسير، وهي بمثابة كتاب مستقلٍّ في علم علوم القرآن وأصول التفسير، والأخرى في اللغات التي يكثر ورودها في القرآن، وهي بمثابة كتاب مستقل في علم غريب القرآن، وهذا الصَّنيع قلَّ أن يوجد مثله في كتب التفسير.

٦- جودة المصادر التي استمدَّ منها ابن جزيٍّ تفسيره - وسيأتي الحديث عنها بإذن الله -، وأهم تلك المصادر: تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، وهذان التفسيران من أجلِّ كتب التفسير العُمَد الكبار، فالدارس لتفسير ابن جزي كأنه قرأ لُباب هذين التفسيرين وصِفوتهما.

وقد نوَّه أهل العلم بمزيَّة تفسير ابن جزي، وأشادوا بمنزلته، وأوصوا به طلاب العلم، فهذا الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسيّ (ت ١٠٥٢هـ) من عيون علماء المغاربة في القرن الحادي عشر يوصي أولاده حين قدموا فاس لطلب العلم بها ويقول في ضمن وصيَّته: «ومن أحسن التفاسير التي أحبُّ لكم مطالعتها وتفهُّمَها: تفسير ابن جزيٍّ، ولا أَقبلُ قولَ من يخالف في ذلك»[١].

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت -نفع الله به-: «فهذا كتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه، فالمؤلف يحرص فيه على الوفاء بالمعنى، يختصر جدًا مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخَّص، لكنه عميق ودقيق قلَّ أن يوجد مثله»، ويقول أيضًا: «ويصلح أن

(١) نقل نصَّ هذه الوصية د. محمد عوامة في كتابه: معالم إرشادية لصناعة طالب العلم (ص ٤٣٤).

يكون هذا الكتاب أصلًا يُعتمد عليه، بحيث يكون عند طالب العلم، يضبطه، ويضيف عليه ويُعلِّق عليه، ويرجع إليه حينًا بعد حين، ويراجعه ويكرره»(١).

ومع جلالة هذا الكتاب وقيمته العلمية ومزاياه العَلِيَّة؛ إلَّا أنه لم تخرجْ له طبعةٌ صحيحة سليمة من الأخطاء تليق بمكانته، فجميع الطبعات التي خرجتْ له بخَسته وهضمته حقَّه بكثرة ما فيها من الأخطاء الشنيعة والتحريفات والسقط الكثير الذي يصل أحيانًا إلى عدَّة أسطر!؛ مما يجعل استفادةَ الدارس من هذا الكتاب صعبةً ومحدودة، ومعاناتَه شديدةً في القراءة فيه، فحداني ذلك إلى أن أستعين اللهَ تعالى في تحقيق هذا الكتاب تحقيقًا علميًا يليق بمكانته ويخلِّصه وينقيه من التحريفات والأخطاء، ويُعيد إلى حوزته ما نقص منه وما سقط من عباراته، معتمدًا في ذلك على أصول خطيَّة لهذا الكتاب انتخبتها مما جمعته جهدَ استطاعتي.

هذا؛ وقد حلَّى جيدَ هذا الكتاب، ووشَّى حُلَله، تعليقاتٌ نفسية، وتقريراتٌ فريدة، لفضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله به-، وفيها استدراكاتٌ على مواضع من الكتاب جانَب المؤلف فيها الصوابَ في العقيدة والسلوك وغير ذلك، وقد كنتُ في أثناء عملي في التسهيل تَعرِض لي مواضع يقرِّر فيها ابن جزيٍّ تقريرًا مشكلًا على منهج أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة، فعرضتُ هذا الأمر على شيخنا

---

(١) راجع: المادة الصوتية رقم (١) من شرح فضيلته لتفسير ابن جزي، على الموقع الرسمي لفضيلته في الشبكة العنكبوتية، من الدقيقة (٢٥) وما بعدها.

الأستاذ الدكتور: عبد المحسن العسكر - نفع الله به -، فاقترح عليَّ - جزاه الله خيرًا - أن أُرسل له هذه المواضع المشكلة ويقوم هو بعرضها على شيخه الشيخ عبد الرحمن البراك، وهكذا عُهد شيخنا - جزاه الله خيرًا - باذلًا للخير مبادرًا نفَّاعًا.

وكلُّ امرىءٍ يُولي الجميلَ محبَّبٌ وكل مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيِّبُ

وعَرض شيخُنا هذا الأمر على فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك فأجاب إلى ذلك كرمًا منه وتفضُّلًا -جزاه الله خيرًا- على عادته في الجود بالعلم وبذل الخير والنصح، والشيء من معدنه لا يُستغرب، وكأنَّ زهيرًا عناه حين قال في هَرِم بن سِنان:

قد جعل المبتغُونَ الخيرَ في هرِمٍ والسائلون إلى أبوابِه طُرُقَا

وأملى هذه التعليقات على الشيخ عبد المحسن العسكر، وهي بحقٍّ -كما يقول شيخنا عبد المحسن- «تعليقاتٌ تشدُّ إليها الرحال، وتضرب بها الأمثال، وترخص في تحصيلها كرائم الأموال؛ فإنها معقد الآمال، ومتنافس كرام الرجال، وإنها لحلية في جيد (التسهيل) تستوجب الثناء الجزيل والذكر الجميل».

فأسأل الله أن يجزي الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك خير ما يجزي به العلماء الناصحين والأئمة الصادقين، وأن يبارك في مسعاه ويبلغه من الخير منتهاه.

وأسأله سبحانه أن يجزي شيخنا المبارك المفضال الذي كثرت لديَّ فضائله وفواضله الشيخ الأستاذ الدكتور : عبد المحسن العسكر خير الجزاء على جهده في عرض هذه القضايا المشكلة على فضيلة الشيخ : عبد الرحمن البراك وتقييده لها ومتابعته للعمل في ذلك، ولا يفوتني أن أشكر كل من أعان في هذا العمل بمراجعة أو نقد أو إفادة، جزاهم الله تعالى على إحسانهم خير الجزاء.

وبعد؛ فهذا كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» أقدِّمه للقارئ الكريم وقد بذلتُ الجهد في تحقيقه وتنقيحه واستفرغت الوسع، وحرصت على حسن الإخراج والتنسيق، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد والشكر، وما كان فيه من خطإ وزلل -وقلَّما ينجو امرؤٌ من الزَّلل- فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وزلفى لديه في جنات النعيم المقيم، وأن يبارك فيه وينفع به، وأسأله سبحانه أن يجزي الشيخ ابن جزيٍّ خير الجزاء على هذا السِّفْر العظيم، وأن يتغمده برحمته وأن يتقبَّله في الشهداء، إنه سميع مجيب، وأسأله سبحانه أن يجزي والديَّ ومشايخي وكلَّ من له فضلٌ عليَّ خير الجزاء، وأن يعلي درجاتهم في عليين، إنه خير من سئل وأجود من أعطى والحمد لله رب العالمين.

وكتبه
علي بن حمد الصالحي
مكة المكرمة
ali.h.s.32@gmail.com

المطلب الأول
التعريف بالمفسِّر ابن جزيٍّ(١) رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)

★ اسمه ونسبه:

هو محمدُ بنُ أحمدِ بنِ محمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير

---

(١) يقول الحضرمي -تلميذ المترجَم له- في ضبط هذا الاسم في «فهرسته»: «ابن جزيءِ بضمِّ الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة بعدها همزة» نقله التنبكتي في نيل الابتهاج (ص: ٣٩٨)، إلَّا أنه جرى على الألسنة «جزيّ» بطرح الهمزة، على مذهب أهل الحجاز من تخفيف الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها، كما ذكر ذلك الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني في تحقيقه لمقدمة الغريب في اللغات لابن جزي، والتي أخرجها في كتاب مستقل باسم «القاموس الوجيز للقرآن العزيز» وطُبع في فاس سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) انظر في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٣/ ٢٠) والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لابن الخطيب أيضا (٤٦)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٢/ ٢٧٤)، وأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر (ص: ١٦٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ٨٣)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٨٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٥)، ودرة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي (٢/ ١١٧)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ص: ٣٩٨) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين المقري التلمساني (٥/ ٥١٤)، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقري أيضًا (٣/ ١٨٤)، وفهرس الفهارس للكتاني (١/ ٣٠٦)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف (١/ ٣٦٠).

أبي بكر عبد الرحمن بن يوسف، ابنُ جُزَيٍّ الكلبيُّ الأندلسي الغرناطي، أبو القاسم، ينتسب إلى قبيلة كَلْبِ القُضاعية اليمانية، والكلبيون منهم من دخل الأندلس واليًا عليها كعنبسَة بن سحيم الكلبي الذي دخلها عام ١٠٣هـ، ومنهم من دخَلها مجاهدًا فاتحًا، ومن هؤلاء سلَف ابن جزيٍّ رحمه الله، كما قال ابن الخطيب: «أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي» وكان أبو الخطار قد دخل الأندلس سنة ١٢٥هـ.

وكانت لجدِّه السلطان الأمير أبي بكر عبد الرحمن ابن جزي بجيَّان رئاسةٌ وانفراد بالتدبير، حيث بويع له فيها سنة (٥٣٩هـ).

★ مولده ونشأته:

ولد ابن جزيٍّ يومَ الخميس تاسع ربيع الثاني عام (٦٩٣هـ).

وقد نشأ في بيت علم وفضل وجلالة وديانة ونباهة، وأسرة ابن جزيٍّ من الأسر الرفيعة في غرناطة ومنها تخرّج أعلام في الفقه والقضاء والخطابة، وكانت نشأة ابن جزيٍّ في طلب العلم منذ وقتٍ مبكر.

★ مكانته العلمية وأخلاقه:

يقول عند تلميذه ابن الخطيب: «كان رحمه الله على طريقة مُثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حُرِّ النَّشَب، والاشتغال بالنَّظر والتَّقييد والتَّدوين، فقيهًا، حافظًا، قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظًا للتفسير، مستوعبًا للأقوال، جمَّاعة للكتب، مُلوكيَّ الخِزانة، حسَن

المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغَوْر، صحيح الباطن، تقدَّم خطيبًا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنِّه، فاتُّفق على فضله، وجَرى على سنن أصالته».

ويقول عنه ابن الأحمر: «كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، وكان فقيهًا إمامًا عالمًا بجميع العلوم، محصِّلًا، قارب درجة الاجتهاد، ودوَّن وصنف في كل فن، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة».

ويقول تلميذه الحضرمي: «كان رجلًا ذا مروءة كاملة، حافظًا متفننًا، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة وطهارة، وشهرته دينًا وعلمًا أغنتْ عن التعريف به».

★ شيوخه:

أخذ العلم عن عدد من علماء عصره وفضلاء بلده، من أشهرهم:

١) الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن.

٢) الأستاذ النظّار المتفنّن أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط الأنصاري السبتي (ت٧٢٣هـ)، صاحب كتاب «أنوار البروق في تعقُّب مسائل القواعد والفروق» للقرافي.

٣) الأستاذ المقرئ الرَّاوية المكثر أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الكمّاد (ت ٧١٢هـ).

٤) الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمرٍو الفهري السبتي، المعروف بابن رُشَيد (ت ٧٢١هـ).

٥) عبد اللَّه بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي، قرأ عليه ابن جزي كثيرًا من كتب القراءات وأبعاضًا من الموطأ ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود والشمائل والشفا، وسراج ابن العربي وتلقين عبد الوهاب وكثيرًا من تآليفه وغيرها.

وأخذ أيضًا عن عدد من علماء عصره وروى عنهم، منهم: الشّيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد ابنُ المؤذن، والراوية المسنُّ أبو الوليد الحضرمي، والشيخ الرَّاوية أبو زكريا البرشاني، والرَّاوية الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبو المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبو عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع، والخطيب الولي أبو عبد الله الطَّنجالي.

★ تلاميذه:

من تلاميذه أبناؤه الثلاثة:

١) أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي، الأديب الحافظ.

٢) أبو بكر أحمد بن أبي القاسم ابن جزي، الفقيه المتفنن، تولى الكتابة السلطانية، والقضاء بغرناطة، والخطابة بجامعها (ت ٧٨٥هـ).

٣) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن جزي (ت ٧٥٧هـ)، كان بارعًا في النظم والنثر، وهو الذي جمع رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة.

ومن أبرز تلاميذه أيضًا:

٤) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي، المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ).

٥) أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي، صاحب «الفهرسة» (ت ٧٤٩هـ).

٦) أبو القاسم محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الخشاب (ت ٧٧٤هـ).

٧) أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، المعروف بالشُّدَيِّد (٧٧٦هـ).

★ مصنفاته:

خلَّف المفسِّر ابن جزيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ ثروة من الكتب في شتى الفنون، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو في عِداد المفقود، ومن أبرز تلك المؤلفات:

١) التسهيل لعلوم التنزيل، وهو هذا الذي بين يدي القارئ الكريم.

٢) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.

٣) الأنوار السَّنية في الكلمات السُّنِّية.

٤) الدَّعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار.

٥) القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية.

٦) تقريب الوصول إلى علم الأصول.

٧) النُّور المبين في قواعد عقائد الدين.

٨) المختصر البارع في قراءة نافع.

٩) أصول القُرَّاء الستة غير نافع.

١٠) الفوائد العامة في لحن العامة.

١١) فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب.

★ شعره:

لابن جزيٍّ أشعار رائقة مستحسنة، تدلُّ على ذائقة أدبية رائعة، منها قوله:

لكلِّ بني الدنيا مراد ومقصد ... وإنّ مرادي صحّة وفراغ
لأبلغ في علم الشّريعة مبلغا ... يكون به لي للجنان بلاغ
وفي مثل هذا فلينافس أولو النّهى ... وحسبي من الدنيا الغَرور بلاغ
فما الفوز إلّا في نعيم مؤبّد ... به العيش رغْد والشَّراب يساغ

وقوله في مدح النبي ﷺ:

أروم امتداح المصطفى ويردّني ... قصوريَ عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر؟ ... ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب
ولو أنّ أعضائي غدت ألسنا إذَن ... لما بلغت في المدح بعض مآربي
ولو أنّ كلّ العالمين تألّفوا ... على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبة وتأدّبا ... وخوفا وإعظاما لأرفع جانب
وربّ سكوت كان فيه بلاغة ... وربّ كلام فيه عتب لعاتب

وقوله - مشفقًا من ذنبه -:

يا ربّ إنّ ذنوبي اليوم قد كثرت ... فما أطيق لها حصرا ولا عددا
وليس لي بعذاب النّار من قِبَلٍ ... ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ... ولا تذيقنّي حرّ الجحيم غدا

وقوله:

وكم من صفحةٍ كالشمس تبدو ... فيُسلي حُسْنها قلبَ الحزين
غضضتُ الطَّرف عن نظري إليها ... محافظةً على عرضي وديني

وقوله:

وقائلةٍ لِمْ هجرتَ التصابي ... وسِنُّك في عنفوان الشبابِ
يمر زمان الصبا ضائعًا ... ولم تَلْهُ فيه ببيض الكعاب
ولم تدر لذة طيب الهوى ... ولم تَرْوَ من سلسبيل الرُّضاب
فقلت: أبى العلمُ إلا التقى ... وهجرَ المعاصي ووصلَ المتاب
ومن لم يفده طلاب العلوم ... رجاء الثواب وخوف العقاب
فخيرٌ له الجهل من علمه ... وأنجى له من أليم العذاب

وقوله:

أيا من كففتُ النفس عنه تعفُفاً وفي النفس من شوقي إليه لهيب
ألا إنما صبري كصبرٍ، وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب

★ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في معركة طَرِيف، وهي واقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، استشهد فيها عدد من علماء المسلمين، وكانت هذه الوقعة في يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة (٧٤١هـ)، وفُقِد فيها ابن جزيٍّ وهو يشحذ الناس ويحرِّضهم، ويثبِّت بصائرهم، وقد نقل صاحب نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته نصًّا تاريخيًّا يتعلَّق باللحظات الأخيرة من حياة ابن جزي فيقول: «قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم: أنشدني [يعني: ابن جزي] يوم الوقيعة من آخر شعره قولَه:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادةٌ في سبيلِ اللَّه خالصةٌ تمحو ذنوبي وتنجيني من النَّار
إن المعاصي رجسٌ لا يطهرها إلا الصوارمُ من أيمان كُفَّار

ثم قال: في اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، قال الوزير: فقلت له: وجعلتَ للكفار يمينًا؟! فلو كان غيرُ هذا اللفظ موضعَه!، فقال لي: والحُطَمة في الناس من أيدي الكفار، قال: فكان آخر عهدي به رَحِمَهُ اللَّهُ»[1].

---

(١) نيل الابتهاج: (٣٩٨-٣٩٩).

فرحم الله ابن جزي وتقبله في الشهداء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.



المطلب الثاني

التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل(١)

★ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم هذا الكتاب «**التسهيل لعلوم التنزيل**»، هكذا صرَّح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ باسمه في مقدمته، فقال: «وسمَّيتُ هذا الكتاب: كتاب التَّسهيلِ لعلومِ التَّنزيلِ».

وأما نسبته إلى مؤلفه فهي ثابتة لا شك فيها، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب تلميذ ابن جزي أنه شيخَه صنَّف في التفسير(٢)، ولم يذكر ابن الخطيب اسم كتابه الذي صنفه في التفسير، لكننا نجد محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي (ت ٨٣٤هـ) تلميذ ابني ابنِ جزي -أحمد وعبد الله- صرَّح باسم الكتاب وبنسبته إلى مؤلفه، ويعتبر هو أول من صرَّح بنسبة الكتاب إلى مؤلفه فيما وقفت عليه، حيث يقول في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار

---

(١) ينظر في ذلك: كتاب ابن جزي ومنهجه في التفسير، للباحث: على محمد الزبيري، فهذا الكتاب دراسة مسهبة عن ابن جزي وتفسيره، وهي دراسة عميقة وقوية ورصينة لهذا الكتاب، وتعد من أجود الدراسات التي تكلمت عن ابن جزي ومنهجه -وعن منهج مفسر عمومًا-، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٣٩٨هـ.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٣/ ٢٠).

في تفسير أحاديث كتاب الأنوار» -وهو شرح لكتاب ابن جزي «الأنوار السَّنية في الألفاظ السُّنية»- : «من شيوخنا جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة بحر البيان وأوحد الزمان، أبو محمد عبد الله بن الإمام المحدث الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزيٍّ الكلبي رَحِمَهُ اللَّهُ. . وشرعتُ عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل، من تأليف السيد والده المذكور»[(١)].

ويعتبر هذا النص كافيًا في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فهو نصٌّ قريب العهد من المؤلف، وإسناده عالٍ؛ إذ هو تلميذ ابنَي المؤلف.

★ منهج ابن جزي في تفسيره:

ذكر ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تفسيره شيئًا من منهجه وطريقته في كتابه، حيث يقول: «وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائرِ ما يتعلَّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكًا نافعًا، إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربعَ مقاصدَ، تتضمَّن أربعَ فوائدَ:

الفائدةُ الأولى: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلًا على الطَّالبين، وتقريبًا على الرَّاغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصِها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حَشْوها وفُضولها، ولقد أودعتُه مِن كلِّ فنٍّ من فنون علوم القرآن اللبابَ المرغوبَ فيه، دون القشرِ المرغوبِ عنه، من غير

(١) انظر منهاج العلماء الأخيار (مخطوط) (ل: ٣).

إفراطٍ ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار.

الفائدة الثانية: ذكْرُ نُكَتٍ عجيبةٍ، وفوائدَ غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فِكْري، أو مما أخذته عن شيوخي ﷺ، أو مما التقطتُه من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاحُ المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفَلات، وإما بحسنِ العبارة، ورفعُ الاحتمالات، وبيانُ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقةُ بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس على مراتبَ:

فمنها: الصحيح الذي يُعوَّلُ عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه.

ومنها: ما يَحتمل الصحةَ والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمالَ قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوتُ قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلتُ لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ كلِّ قولٍ:

فأدناها: ما أصرِّحُ بأنه «خطأٌ»، أو «باطلٌ».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيفٌ»، أو «بعيدٌ».

ثم: ما أقول: «إن غيرَه أرجحُ منه»، أو «أقوى»، أو «أظهرُ»، أو «أشهرُ».

ثم: ما أقدِّمُ غيرَه عليه؛ إشعارًا بترجيح المتقدِّم، أو ما أقولُ فيه: «قيل: كذا»؛ قصدًا للخروج عن عُهدته.

وأمَّا إذا صرَّحتُ باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:

إما للخروج عن عهدته.

وإما لنُصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَى به.

على أني لا أَنسبُ الأقوالَ إلى أصحابها إلَّا قليلًا، وذلك لقلَّةِ صحةِ إسنادها إليهم، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم.

وأمَّا إذا ذكرتُ شيئًا دون حكايةِ قوله عن أحدٍ: فذلك إشارة إلى أني أتقلَّدُه وأرتضيه، سواءٌ كان من تلقاءِ نفسي، أو مما أَختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكرْه؛ تنزيهًا للكتاب، وربما ذكرتُه تحذيرًا منه».

ومن خلال تأمل هذا النص والاطلاع على تفسيره وطريقته فيها، يمكن ذِكر أهم معالم منهج ابن جزي في النقاط التالية:

١- ابتدأ ابن جزي تفسيره بذكر مقدِّمتين في غاية النفاسة، جعل المقدمة الأولى في ذكر مسائل تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، والكلام عن المفسرين وكتب التفسير، ومواقف القرآن والقراءات وغير ذلك، وجعلها في اثني عشر بابًا، وجعل المقدمة الثانية في غريب القرآن، وذكر فيها الكلمات الغريبة التي ترد في موضعين

فأكثر من القرآن، فجمَعها في موضع واحد، ورتبها على حروف المعجم؛ ليسهل على الدارس مراجعتها وحفظها واستذكارها، وهاتان المقدمتان لا بد للدارس لهذا الكتاب أن يدمن النظر فيها وأن يراجعها مرة بعد أخرى؛ فكثيرًا ما يحيل إليها ابن جزي في تفسيره، أو يستغني بما ذكره فيها من المسائل عن تكرار ذكره في ثنايا كتابه.

٢- سلك ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره مسلك الاختصار والإيجاز مع الشمول والاستيعاب كما قال: «إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا»، وهذا المقصد جعل ابن جزيٍّ يأتي بالعبارة المفرطة في الاختصار، ولكنها عميقة في معناها إذا تأملها القارئ كما قال: «ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار».

٣- طريقته في تفسير الآية: أنه يذكر رأس الآية، أو الجملة التي تحتاج إلى بيان في الآية ثم يذكر سبب نزولها إن كان، ويشرح غريبها، وتصاريف الكلمات التي فيها إن اقتضت الحاجة ذكرها، ويبين إعرابها إن كان إعرابها مشكلاً، أو كان فيها أوجه إعرابية، ويذكر المعنى على كل وجه إعرابي، ويذكر المعنى الإجمالي للآية، ومقصدها، وهو لا يسير في ذلك على ترتيب واحد في تفسيره للآيات، فأحيانًا يبدأ بشرح الغريب، ثم ذكر الإعراب، ثم ذكر المعنى الإجمالي، ثم ذكر المقصد، وأحيانًا يذكر المعنى الإجمالي ثم الإعراب، ثم يشرح الغريب، وأحيانًا يبدأ بذكر سبب النزول وأحيانًا يؤخره، وهكذا.

٤ - عملًا بمنهج الاختصار الذي أخذه ابن جزي على نفسه؛ فإن كانت الكلمة الغريبة الواردة في الآية سبق أن شرَحها في المقدمة أو في موضع متقدم من التفسير فإنه يكتفي بذلك عن إعادة بيانها، وربما أحال إلى موضعها، بأن يقول: «قد تقدَّم اللغات»، أو «قد ذكر في سورة كذا»، أو «قد ذُكر» أو نحو ذلك؛ حرصًا منه على الاختصار وعدم التكرار، وهكذا يصنع إن كان سبق أن بيَّن تفسير الآية ومعناها في موضع متقدم، وأيضًا؛ إذا كان إعراب الآية واضحًا لم يتعرض له؛ طلبًا للاختصار، كما قال في المقدمة: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرَّضْ لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يَحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ بغير كبيرِ فائدةٍ»، ومن هنا يلحظ القارئ لتفسيره أنه قد يتجاوز الآية والآيتين دون أن يتكلم عن تفسيرها، إما لأن واضحة الإعراب والمعنى وليس فيها غريب يحتاج إلى شرح، وإما لأنه سبق أن تكلم عن الغريب الذي فيها في المقدمة، أو في موضع متقدم من التفسير، وهذا يستدعي الدارس لتفسيره إلى أن يعتني بمقدمة ابن جزي في غريب القرآن وأن يعيد مطالعتها وقراءتها بشكل مستمر؛ فابن جزي يعتمد عليها ويحيل عليها كثيرًا في ثنايا تفسيره، وبناءً على منهج الاختصار أيضًا؛ ففي كثير من الأحيان إذا كان تفسير الآية المعيَّنة له نظائر فيما يأتي من الآيات، فإنه يبين المعنى في أول موضع ويقول: «وهكذا تفسيره حيث وقع» أو نحو هذه العبارة؛ أي: هكذا تفسير هذه الكلمة أو الجملة حيث وقعت في كتاب الله.

٥ - في ذكر أقوال المفسرين والاختلاف في تفسير الآية، يُعَدُّ تفسير ابن جزيٍّ من أنقى التفاسير وأكثرها خلوًّا من الأقوال الباطلة والساقطة التي تذكر في كثير من كتب التفسير، وقد ذكر في مقدمة كتابه أن من مقاصده في هذا التفسير: تحقيق أقوال المفسرين والتميز بين الصحيح منها والسقيم، وذكَر منهجه في ذكر الأقوال في هذا الكتاب، وذكر أن القول إذا كان في غاية السقوط والبطلان؛ فإنه نزَّه الكتاب عن ذكره فيه، وقد يذكره أحيانًا؛ لأن الحاجة تدعو إلى التنبيه على بطلانه، وقد بين طريقته في ذكر مراتب الأقوال، وطرق الترجيح بينها، ومن المهم لدراس الكتاب أن يستحضر منهجيته في ذكر الأقوال؛ حتى يعرف مغزى ابن جزي في سردها وترتيبها، وفي نسبة الأقوال من عدمها، وعبارته في الترجيح بينها، وما القول الذي يختاره ويرتضيه.

٦ - آيات الأحكام يقف عندها ابن جزيٍّ؛ ليذكر الأحكام الفقهية التي لها تعلُّق بالآية، ويذكر خلاف المذاهب فيها، وفي الغالب أنه يذكر مذهب المالكية ومذهبي الحنفية والشافعية، ولم يذكر مذهب الحنابلة إلا نادرًا، وهي أربعة مواضع تقريبًا، وكذلك مذهب الظاهرية يندر أن يذكره.

٧ - بنى ابن جزي تفسيره للآيات على قراءة نافع، برواية راويه ورش تحديدًا؛ وهي الرواية المشتهرة في بلاد المغرب والأندلس، ومع ذلك فإنه لم يقتصر على هذه القراءة، بل إنه يذكر اختلاف القراءات؛ إذا كان في ذكرها فائدة في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدةٌ في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورةً في الكتب

المؤلفة فيها، وقد صنَّفْنا فيها كتبًا نفع الله بها، وأيضًا؛ فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفْنا منه ما لا تدعو إليه ضرورةٌ».

٨ - في جانب قصص القرآن، حرَص ابن جزيٍّ أن يكون تفسيره نقيًّا من القصص الباطل وغير الثابت، فاقتصر على ذكر ما صحَّ ثبوته واحتيج إليه في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القَصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكايةُ ما يجب تنزيههم عنه، وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القَصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح».

٩ - تعرَّض ابن جزي في تفسيره إلى مقامات السلوك والسير إلى الله تعالى والدار الآخرة، وله في ذلك كلام جيد حرص أن يخلِّصه من إشكالات المتصوفة كما قال: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسَن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعتَرض أو يُقدَح فيه»، وإن كان قد وقع في إشكالات المتصوفة في بعض المواضع، وعلَّق عليها الشيخ عبد الرحمن البراك -أمتع الله به-، وقد تكلم ابن جزي على اثني عشر مقامًا؛ بحسب المناسبة التي تعرض له، فإذا كانت الآية في شأن الذكر تكلم عن مقام الذكر، وإذا كانت في شأن الشكر تكلم عن مقام الشكر وهكذا.

١٠- يعتني ابن جزي في تفسيره بعلم البلاغة والبيان، وقد أفرد في المقدمة الأولى بابًا مستقلًّا في أدوات البيان التي وردت في القرآن وهي اثنان وعشرون نوعًا بحسَب تتبعه لها في القرآن، وعرَّف بها ابن جزيٍّ في المقدمة،

وفي ثنايا التفسير يشير لها، فيقول مثلًا: «وفي الآية من أدوات البيان: التجنيس»، أو «المقابلة»، أو «التقسيم»، أو «الترديد» ونحو ذلك، فيحتاج الدارس إلى أن يرجع للمقدمة؛ ليعرف معنى هذه الأداة.

١١- يلحظ الدارس لتفسير ابن جزي أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أجاد في توظيف مختلف فنون العلوم في تفسيره، من لغة ونحو وتصريف وبلاغة وأصول فقه وغيرها، فيعدُّ هذا الكتاب بمثابة كتاب تطبيقي يطبِّق فيه الدارس هذه العلوم، وهذا يستدعي من الطالب أن يكون ذا إلمام جيِّد بهذه العلوم؛ حتى يحصِّل فائدةً أكبر من هذا التفسير المبارك.

١٢- يستعمل ابن جزي في تفسيره طريقة السؤال والجواب، ويعرض الإشكالات المتعلقة بالآية في طريقة سؤال، فيقول: «فإن قيل: » ويذكر الإشكال، ثم يذكر جواب الإشكال، وهذه الطريقة تأثر فيها ابن جزيٍّ بالزمخشري في تفسيره، فكثيرًا ما يستعمل الزمخشري هذه الطريقة في عرض الإشكالات، وهي طريقة مفيدة في إيضاح الإشكال في الآية، وفي ترسيخ الجواب في ذهن الدارس، فإن المعلومة إذا عُرضت بطريقة سؤال تشوَّف المرء إلى معرفة جوابها أكثر مما لو ذكرت عرَضًا في ثنايا الكلام.

★ مصادر ابن جزي في تفسيره:

استمدَّ ابن جزيٍّ تفسيره من عدد من المصادر من كتب التفسير وغيره، وأبرز المصادر التي ظهر لي اعتماد ابن جزيٍّ عليها في تفسيره ما يلي:

١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).

٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ).

ويعدُّ هذان التفسيران أهم مرجعين لابن جزيٍّ في تفسيره، فقد استمدَّ منهما جُلَّ مادته في تفسيره، ووضع في كتابه زبدةَ ما في هذين الكتابين، وتأثر بهما تأثرًا كبيرًا في ترجيح الأقوال وتوجيه الإعراب ونحو ذلك، فكأنَّ هذين التفسيرين كانا ملازمين لابن جزيٍّ لا يفارقانه أثناء كتابته لتفسيره، ومن المهم لدارس هذا الكتاب أن يكون هذان التفسيران بجانبه؛ يراجعهما كلما أشكل عليه شيء من عبارات ابن جزي.

٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٣٧هـ)، نقل عنه ابن جزي في بعض المواضع، ويظهر لي أنه نقل عنه بواسطة المحرر الوجيز، ولم تكن لديه نسخة منه.

٥) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ).

٦) تفسير النكت والعيون، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ).

٧) عين المعاني في تفسير السبع المثاني، لأبي عبد الله أو أبي الفضل محمد بن أبي يزيد طيفور السَّجاوندي الغزنوي (ت ٥٦٠هـ).

٨) أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم الأندلسي الغرناطي، المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧هـ).

وهذا الكتاب يعتبر المصدر الأساسي لابن جزي في كلامه عن آيات الأحكام، ويعتمد عليه كثيرًا في عزو الأقوال إلى أصحابها.

٩) أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ).

١٠) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لشيخ المصنف أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ويعتمد عليه ابن جزيٍّ كثيرًا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

١١) درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، وهو كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

١٢) التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لأبي القاسم أو أبي زيد، عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، وهذا الكتاب يرجع إليه ابن جزيٍّ كثيرًا في تسمية الأعلام الواردة في القرآن.

١٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الحميري (ت ٦٣٤هـ)، يعتمد عليه ابن جزيٍّ في ذكر أخبار مغازي النبي ﷺ.

١٤) المقدمات الممهدات في الفقه، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ).

١٥) الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي.

١٦) شرح تنقيح الفصول في علم الأصول، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).

١٧) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

١٨) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب.

ويظهر لي أنه كان ينقل من هذين الكتابين بواسطة المحرر الوجيز لابن عطية.

١٩) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ)، ويظهر لي أنه كان ينقل منه بواسطة المحرر الوجيز.

ومن مصادر ابن جزي في تفسيره: كتابٌ للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)، فقد أورد ابنُ جزيٍّ آراءَ القاضي منذر في غير موضع من تفسيره، وقد ذكر في المقدمة أن منذر بن سعيد صنَّف كتابًا في غريب القرآن وتفسيره، وذكر الحميدي (ت ٤٨٨) في «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» أثناء ترجمته للقاضي منذر بن سعيد أن له كتابًا اسمه «الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله»[١]، ولا أدري إن كان هذا هو الكتاب الذي أشار إليه ابن جزي أم غيره؟ وقد بحثت عن هذا الكتاب كثيرًا في فهارس المخطوطات فلم أقف على ذكر له، فيبدو أن في عداد المفقود من تراث الأمة!.

---

(١) جذوة المقتبس (ص: ٣٤٨).

★ **طبعات الكتاب السابقة:**

- أول طبعة لكتاب التسهيل خرج بها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات: طُبِعت في مصر عام ١٣٥٥هـ في أربعة مجلدات، وكُتب على غلافها: «عُني بمقابلتها على عدَّة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية وصحَّحها نخبةٌ من العلماء».

وهذه الطبعة مشحونة جدًّا بالتحريفات والتصحيفات، وفيها من السقط الشيء الكثير والكثير، ويظهر لي أن السبب في ذلك هو المخطوطات التي اعتمدوها، فلديَّ بعض المخطوطات من دار الكتب المصرية ومن المكتبة الأزهرية كُتبَتْ بالخط المشرقي المعتاد، وقد قارنتُ بين هذه المخطوطات وبين هذه الطبعة فوجدت توافقًا كبيرًا بينهما في السقط والتحريف؛ فلعلَّ هذا هو مبدأ الخلل، فكتاب التسهيل هو من كتب الأندلسيين، ولا ريب أنه كُتب في مخطوطاته العتيقة على وفق قواعد الخط المغربي والأندلسي، وهذا الخط يصعب على المشارقة قراءته، وتلتبس حروفه كثيرًا، فمن طريقة المغاربة مثلًا أنهم يكتبون حرف الفاء بوضع نقطة في أسفل الحرف، وحرف القاف بوضع نقطة في أعلى الحرف، فيحصل من جرَّاء ذلك التباس كبير عند المشارقة، وهكذا الالتباس بين حرفي الدال والراء والهاء في آخر الكلمة، وبين السين والشين والثاء.. إلخ، فلعلَّ ناسخ المخطوطة عندما رام كتابتها بقواعد الخط المشرقي اعتمد على مخطوطات الكتاب المغربية فالتبس عليه كثيرٌ من حروفها؛ بسبب اختلاف هذه القواعد، وأيضًا حصل له سقط كبير فيها، ثم جاء المعتنون بهذه الطبعة، وعوَّلوا على هذه المخطوطات المشرقية، فحصل فيها هذا السقط والتحريف الكثير.

ثم توالت طبعات التسهيل بعد ذلك، فطُبع عدة طبعات، والحقيقة أن هذه الطبعات في غاية الرداءة، ويظهر أنها إعادة لصفِّ طبعة ١٣٥٥هـ ليس إلا، فتجد فيها عين السقط والتحريف الذي كان في هذه الطبعة، إن لم يكن أكثر، ولا أرى حاجة للوقوف عندها.

ثم طبع التسهيل في السنوات القريبة، ثلاث طبعات أتحدَّث عنها فيما يلي:

١- طبعة دار الضياء- عام ١٤٣٠هـ:

هذه الطبعة بتحقيق: أ. د: محمد بن سيدي محمد مولاي، وتقع هذه الطبعة في ثلاثة مجلدات، الأول إلى نهاية الأنفال، والثاني إلى نهاية الصافات، والثالث إلى آخر القرآن، وبالمقارنة بين هذه الطبعة والطبعات السابقة للكتاب؛ فقد تجاوزت هذه الطبعة مواضع من السقط والتحريف التي كانت في الطبعات السابقة، إلَّا أنه بقي من السقط والتحريف الشيء الكثير والكثير؛ حيث يصعب على الدارس للكتاب اعتماد هذه الطبعة؛ لما يستغلق عليه بعض مواضعها، وقد قابلت هذه الطبعة على النسخ الخطية التي لديَّ كلمة كلمة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من سقط أو تحريف!، وقد يصل السقط فيها إلى سطرين وأكثر، فمثلًا: جاء في هذه الطبعة (١/ ٢٠٠): هذا النصُّ:

«﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾: أي: أذهبه وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ جملة مستأنفة».

فهذا النص فيه شيء من الغموض، وهو غير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت النص هكذا:

«﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أي: أذهبه وهذه الجملة جواب لما، [فالضمير في (بنورهم) عائد على (الذي)، وهو على هذا بمعنى: الذين، وحذْف النون منه لغة. وقيل: جواب لما] محذوف تقديره: طفيت النار، [و] ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة». فما بين المعقوفتين ساقط من هذه الطبعة!.

وأيضًا عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾، جاء في هذه الطبعة هذا النصُّ (١/ ٣٤١): «﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: تقديره: كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون»!.

فهذا كلام غامض وغير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت العبارة هكذا:

«﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: تقديره: كمثل صاحب جنة، أو يقدر أوّلًا: مثل نفقة الذين ينفقون».

ومثل هذا كثير في هذه الطبعة.

٢- طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٤هـ:

أُعيد طبع هذا الكتاب في هذه الدار عام ١٤٣٤هـ في أربعة مجلدات، الأول إلى نهاية سورة الأنعام، والثاني إلى نهاية سورة الأنبياء، والثالث إلى نهاية سورة محمد، والرابع إلى آخر القرآن، وقد استعرضت هذه الطبعة وقارنت بينها وبين طبعة الدار عام ١٤٣٠ وبين التصويبات التي صوبتها من

المخطوطات، فأما المجلد الأول من هذه الطبعة والذي ينتهي إلى آخر سورة الأنعام، فقد أعادوا مراجعته، وتجاوزوا الكثير من السقط والتحريف الذي كان في الطبعة الأولى، ومع ذلك فقد بقي أيضًا الكثير من السقط والتحريف لم يُصلح!، فعلى سبيل المثال: نموذج السقط - وهو النموذج الأول الذي أوردته في الطبعة الأولى - تكرر في هذه الطبعة ولم يُصلح!، والنموذج الثاني للتحريف أُصلح إصلاحًا جزئيًا.

وأما المجلدات الثلاثة المتبقية من هذه الطبعة فلم يصلحوا شيئًا مما فيها من الأخطاء والسقط، بل السقط والتحريف الذي كان موجودًا في الطبعة الأولى موجودٌ كما هو في هذه الطبعة!.

وأكتفي بهذا في الكلام عن هاتين الطبعتين.

٣- طبعة المنتدى الإسلامي بالشارقة- ١٤٣٣هـ:

وهذه الطبعة بعناية: أبي بكر بن عبد الله سعداوي، وتقع في مجلد ضخم يقع في (١٠٢٣) صفحة، وقد اعتمد فيها على خمس نسخ خطية، وبعض هذه النسخ موجود لديَّ، وهذه الطبعة يظهر فيها جهد المعتني بها وأنه قابل على المخطوطات مقابلة حقيقية، وقد تجاوز الكثير من الأخطاء التي كانت في النسخ قبله، فلا تكاد تجد فيها السقط الذي كان يوجد في الطبعات السابقة، وأما التحريفات والتصحيفات فقد قلَّت في هذه الطبعة، وإن كان قد بقي فيها شيء من التصحيف فمن خلال مقارنتي بين هذه الطبعة وبين الطبعات السابقة والمخطوطات وقفت على عدد من التصحيفات لبعض الكلمات، ولكنها قليلة مقارنة بالطبعات السابقة، بل بينها وبين الطبعات

السابقة مفاوز!، وأيضًا؛ يَعيب هذه الطبعة -إضافة إلى وجود التصحيفات- بعض الأمور الفنية والشكلية، مثل عدم الاعتناء بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، من بيان غريب أو إيضاح مشكل، وعدم شَكْلَ ما يُشكل من الكلمات وضبطه بالحركات، وكذلك أهمل الإحالات، وأيضًا؛ من ناحية الإخراج فإن الكلام فيها مرصوص بطريقة تتعب القارئ؛ إضافة إلى دقة الخط.

★ وصف النسخ الخطية المعتمدة:

تيسر لي الحصول -بتوفيق الله تعالى- على خمس عشرة نسخة خطية لكتاب التسهيل، تتفاوت في الجودة، وفي النقص والتمام، انتخبت منها خمس نسخٍ خطيّة، هي أجود ما وقفت عليه من نسخ هذا الكتاب، وبعضها قريب العهد من زمن المصنف، فاعتمدتها في التحقيق، واستأنست بنسختين أُخريين، وجميع هذه النسخ السبع كُتبت بالخط المغربي الأندلسي، وهي أسلم من التحريف وأبعد من السقط؛ مقارنة بالنسخ التي كتبت بالخط المشرقي المعتاد، وفيما يلي وصف هذه النسخ السبع:

النسخة الأولى: نسخة مكتبة تشستر بيتي:

وتوجد مصورتها في قسم المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

رقمها: (٤٠٥٩)، وتقع في (٢٤٧) ورقة، وفي كل صفحة (٣١) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، سوى أنه سقط من المصورة ورقة أو ورقتان، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعلى

هوامش بعض صفحاتها تصويبات وذكر فروقات نسخ أخرى (رمز لها بالحرف «خ») واستدراك سقط، وتوجد بها تعليقات يسيرة، ولم تخلُ من سقطِ كلماتٍ في بعض المواضع، ويندر أنه يوجد فيها تصحيف.

وفُرغ من كتابة هذه النسخة في شهر ذي الحجة من عام (٩٥٦هـ) على يد كاتبها سالم بن أحمد بن منصور. .(١)، وهي أقرب النسخ -التي وقفت عليها- إلى عصر المؤلف.

وعلى الصفحة الأولى منها قيد تملك باسم عبد ربه محمد في (٢٧) رمضان ١٣٣٩هـ.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «أ».

النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (٧٥١٣)، وتقع في (٢٠٥) ورقة، وفي كل صفحة (٣٥) سطرًا.

وهذه النسخة بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، وعليها نقولات وتعليقات وحواشٍ كثيرة، لا تكاد تخلو منها ورقة من أوراقها، وأغلب هذه التعليقات مأخوذ من تفسير «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس ابن عجيبة المغربي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، ويوجد بها أيضًا مقابلات على أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض المواطن من النسخة دون بعضها، بيد أنه لم تسلم بعض الكلمات من

(١) لم يتضح لي اللقب.

التصحيف، ولم تخلُ من سقط كلمة أو كلمات أو أسطر في بعض المواضع.

وأما تاريخ النسخة: فهو سنة (٩٧٦هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «وكان الفراغ من هذه النسخة في ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر سنة ستٍّ وسبعين وتسع مئة على يد العبد المذنب الراجي عفوَ ربه ورُحماه أحمد بن عبد الله بن أحمد القبيسي..».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ب».

النسخة الثالثة: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (١١٤٨٠)، وتقع في (٢٤٣) ورقة، في كل صفحة (٣٤) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وهي تامة غير أنه سقط منها ورقات يسيرة يأتي التنبيه لها في مواضعها بإذن الله، ولست أدري هل السقط من التصوير أم من أصل النسخة؟، وهذه النسخة بها مقابلات على أصول خطية أخري واستدراك سقط في بعض مواطنها، ويوجد بها تصحيف قليل، وسقط يصل إلى عدة أسطر.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (٩٨٠هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «وكان الفراغ منه عند زوال يوم الأحد خامس المحرَّم الحرام، فاتح ثمانين وتسع مئة، على يد العبد الراجي عفو مولاه أبو محمد عبد الله بن مسعود بن عبد الرحمن بن علي الملقب بـ[...][1] غفر الله له ولوالديه ولجميع

(١) لم أتمكن من قراءته.

المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على من لا نبي بعده، وهذه النسخة التاسعة مما نسخنا بأيدينا، والحمد لله على كل حال، آمين آمين آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ج».

النسخة الرابعة: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلاميه:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٠٧٧١)، وتقع في (١٨٢) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

وهي بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وتمتاز بأنها مشكولة بالكامل، وهي نسخة تامة، ويوجد بها تصويبات كثيرة واستدراك للسقط على حواشيها، ويقلُّ السقط في هذه النسخة مقارنة بالنسخ الأخرى، إلا أنه يوجد بها تصحيف وتحريف لبعض الكلمات.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٢٤١هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «كمل بعون الله وحمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبده، والرضا عن آله وأصحابه، وأنصاره وأحزابه، على يد كاتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله من بعده، العبد الراجي عفو مولاه، المستغني به عن كل ما سواه، وهو محمد بن عمر [. .][1] لطف الله به آمين، بعد صلاة العصر يوم الأربعاء العاشر من شهر الله صفر الخير عام ١٢٤١ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه وأحبابه

---

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «د».

النسخة الخامسة: نسخة جامعة الملك سعود بالرياض:

وهي محفوظة في قسم المخطوطات برقم (٥٣٤٧)، وتقع في (١٧٩) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

كتبت بالخط المغربي، وخطها واضح، وهي نسخة تامة، وبها تصويبات واستدراك للسقط على حواشيها، وخاتمة النسخة بها طمس، ويظهر أنه من آثار الترميم، فلم تتبين سوى كلمتي: «كمل كتاب..».

وأما تاريخ النسخة واسم ناسخها، فليس مبينًا عليها، ولعله طُمس عليه أيضًا في آخر النسخة من آثار الترميم، إلا أن مفهرس المكتبة ذكر في بيانات المخطوطة أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «هـ».

وأما النسختان اللتان استأنست بهما في المقابلة وترجيح الفروق بين النسخ، فوصفهما فيما يلي:

النسخة الأولى: نسخة خزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب:

وهي محفوظة في الخزانة برقم (٢٤)، وتقع في (٤٠٦) ورقة في مجلدين، في كل صفحة (٣١) سطرًا.

وهي نسخة مكتوبة بالخط المغربي المقروء الواضح، ويقل فيها التحريف والسقط.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٩هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وبمنه وكرمه وبفضله وإحسانه على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه الضعيف الحقير الذليل المنكسر خاطره عُبيد الله تعالى وأصغر عبيد المحتاج إليه عبد القادر بن عبد المولى بن علي بن سعيد بن إبراهيم المطيري ثم التموجري، غفر الله له ولوالديه ولأجداده ولمن علّمه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والميتين.. وقد كتبه للفقيه الأجل العالم الأفضل المدرس البركة السيد أحمد بن عبد الله [...][1]، أحمد الله رأيه وأدام عزّه عليه ونفعه بهذا الكتاب.. وكان الفراغ منه يوم الأربعاء، وهو يوم عيد الفطر عام تسعة وثمانين وألف، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين».

النسخة الثانية: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٢٨٠٢)، وتقع في (٢٥٣) ورقة، في كل صفحة (٣٧) سطرًا.

وهي مكتوبة بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وعلى هامشها تصويبات في بعض الصفحات، وهي قليلة السقط والتحريف، وفي بعض

(١) لم يتضح لي الاسم.

صفحاتها حواشٍ وتعليقات ولكن ليست بالكثيرة.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٤هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصُّه: «[..][١] التفسير المبارك المسمى التسهيل لعلوم التنزيل بن جزي رحمه الله بحمد الله تعالى وحسن عونه وتأييده على يد العبد المذنب الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن أحمد بن سعيد الوسكري غفر الله له ولأسلافه، وكان الفراغ من نسخه [....][٢] في سنة أربع وثمانين ومئة وألف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

★ **عملي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:**

١) قابلت بين النسخ الخطية الخمس التي اعتمدتها كلمةً كلمة، ولم أعتمد نسخةً منها أصلًا، وإنما رجَّحت من فروقات النسخ ما رأيته أرجح، وأثبتُّ باقي الفروقات في الهامش، وقد استأنست في ترجيح الفروقات بالنسختين الخطيتين الأُخريين، إضافة إلى المصادر التي يستمد منها ابن جزيٍّ تفسيره، وبالأخص المحرر الوجيز والكشاف، وكذلك ما يقتضيه السياق وقواعد اللغة، وكان جُلُّ همِّي أن أُخرج نص التسهيل سليمًا -حسب الاستطاعة- من التصحيف والتحريف، فهذا هو غاية التحقيق الحقيقية، كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون: «مع أن العناية بأداء النصِّ أقربَ ما يكون إلى السلامة هي المهمة الأولى لمحققي الكتب وناشريها، أما التعليق والتفسير أمرٌ نافلة زائدٌ على طبيعة التحقيق وأمانة الأداء»[٣].

---

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

(٢) كلمات لم أتمكن من قراءتها؛ بسبب المداد التي جاء عليها.

(٣) مجلة معهد المخطوطات (٢/ ١٨٨).

٢) جعلت رسم الآيات التي يفسرها ابن جزيٍّ وفق قراءة ورش عن نافع.

٣) طريقة ابن جزيٍّ أنه يذكر رأس الآية أو الكلمة التي تحتاج إلى تفسير في الآية ويفسرها، ولا يذكر مقاطع الآيات التي يروم تفسيرها، ولم يكتب جميع آيات القرآن في تفسيره، فأضفتُ مقاطع الآيات بين معقوفتين هكذا [ ]، وقد اعتمدت في تقسيم مقاطع الآيات -غالبا- على وقوف الركوعات المعلَّمة بعلامة (ع) في المصحف الأوردو الذي طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والمصحف الكويتي، فهذه الركوعات تراعي المعنى في الغالب، وكل موقف منها بمثابة مقطع مناسب للركوع عنده، والغرض من إضافة هذه المقاطع التسهيل على الطالب إذا أراد قراءة الآيات كاملة قبل قراءة تفسيرها، وأيضًا؛ فإنها تفيد الدارس للكتاب الذي يريد أن يجعل له وِرْدًا معيَّنًا من الكتاب ليدرسه؛ فكل مقطع يعتبر بمثابة ورد مستقل للدراسة.

٤) أدرجت تقريرات فضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله-، على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك، وإذا تكرر الإشكال في الكتاب أحلت إلى الموضع السابق للتعليق، وصنعت لهذه التعليقات فهرسًا في آخر الكتاب؛ ليسهل على مريدها الوصول إليها.

٥) خرَّجت الأحاديث التي أوردها المؤلف في كتابه تخريجًا مختصرًا.

٦) أحلت على المصادر التي ينقل منها ابن جزي؛ فيما أمكن الرجوع إليه.

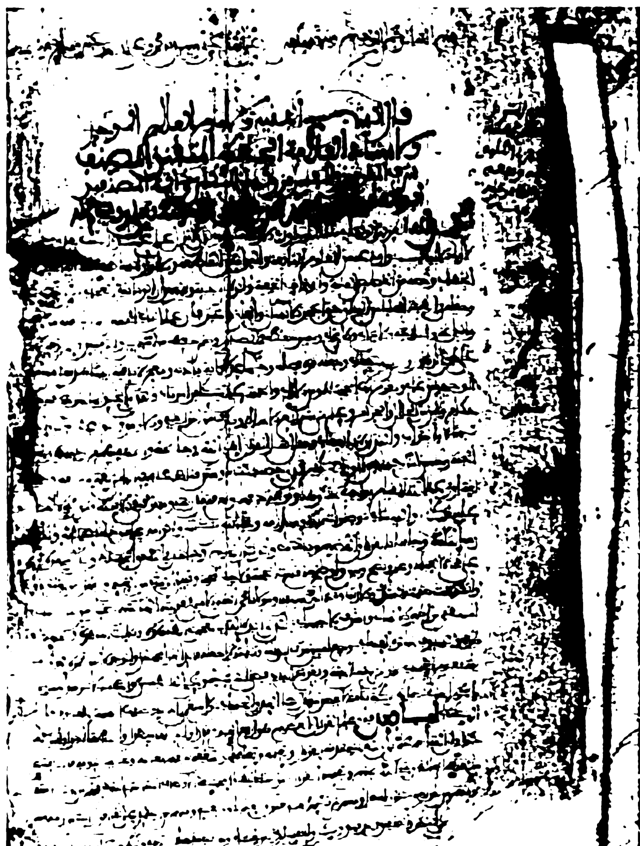
٧) علقت على ما أرى أنه يحتاج إلى تعليق، من شرح غريب، أو حلِّ مستغلق، أو إيضاح مشكل.

٨) في المقدمة الثانية التي وضعها ابن جزيٍّ رحمه الله في غريب القرآن، رقَّمت مواد الغريب التي شرحها ابن جزيٍّ ترقيمًا متسلسلًا، وقد بلغت (٦٠٢) مادة، والغرض من ذلك سهولة الإحالة عليها إذا أحال ابن جزيٍّ في أثناء تفسيره إليها، فقد يذكر ابن جزي الكلمة في أثناء تفسيره ويقول: تقدَّم بيانها في اللغات، فأُحيل إليها في الحاشية بذكر رقم المادة، وأيضًا؛ ففيها تسهيل للطالب الذي يرغب في حفظ غريب ابن جزيٍّ بحيث يجعل له وردًا من المواد كل يوم ونحو ذلك.



★ نماذج من صور النسخ الخطية المعتمدة:

صورة اللوحة الأولى من نسخة (أ)



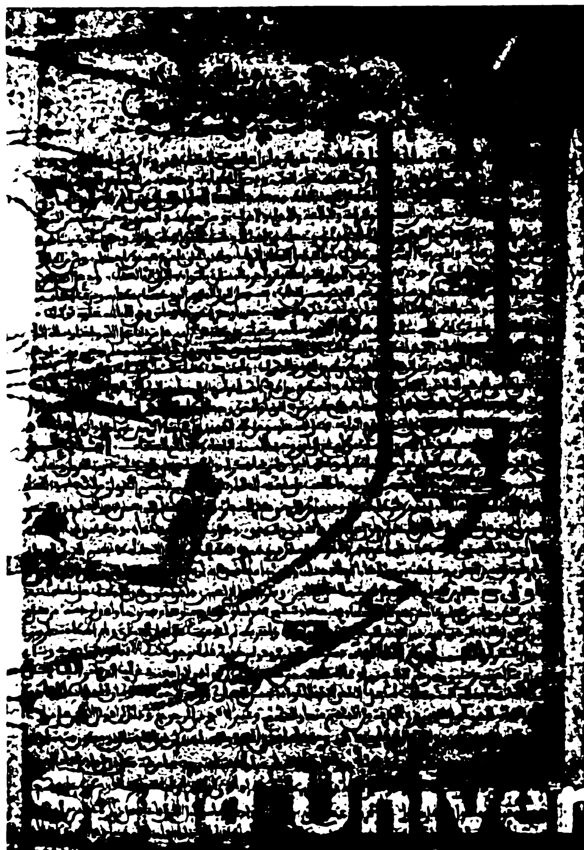
صورة اللوحة الأولى من نسخة (ب)



صورة اللوحة الأولى من نسخة (ج)

صورة اللوحة الأولى من نسخة (د)

صورة اللوحة الأولى من نسخة (هـ)



صورة اللوحة الأولى من نسخة خزانة جامع القرويين

صورة اللوحة الأولى من نسخة مركز الملك فيصل

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل محققًّا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عُبيد الله تعالى، وخَدِيمُ القرآن العظيم، محمدٌ المدعوُّ أبا القاسم بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بن جُزَيٍّ عفا الله عنه، وغفر له بمنِّه وفضله:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك وربِّ الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدًى وذكرى لأولي الألباب.

وأَودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، والأنوار الساطعة: غايةَ الحكمة وفصْلَ الخطاب.

وخصَّه(١) من الخصائص العليّة، واللطائف الخفيّة، والدلائل الجليّة، والأسرار الربانية العِجابِ: بكل عَجَبٍ عُجابٍ.

وجعله في الطّبقة العُليا من البيان، حتى أعجز الإنس(٢) والجانّ، واعترف زعماءُ أربابِ اللسان بما تضمَّنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

---

(١) في ب، هـ: «وخصصه».
(٢) في أ: «الإنسان»، وفي الهامش: «خ: الإنس».

ويسَّر حفظه في الصدور، وضَمِن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغيرْ، ولا يتغيرُ على طول الدُّهور وتوالي الأحقاب.

وجعله قولًا فصلًا، وحكَمًا عدْلًا، وآيةً باديةً، ومعجزةً باقيةً، يُشاهدها مَن شَهِد[١] الوحيَ ومن غاب، وتَقوم بها الحجةُ للمؤمن الأوَّاب، والحجةُ على الكافر المرتاب.

وهدى الخلقَ بما شَرَع فيه من الأحكام، وبيَّن مِن الحلال والحرام، وعلَّمَ من شرائع[٢] الإسلام، وصرَّف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبِشارة بالثواب، والنِّذارة بالعقاب.

وجعل أهلَ القرآن أهلَ الله وخاصَّتَه، واصطفاهم مِن عباده، وأورثهم الجنةَ وحسنَ المآب.

فسبحان المولى الكريم الذي خصَّنا بكتابه، وشرَّفنا بخطابه، فيا لها[٣] نعمةٌ[٤] سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيامَ بواجب شكرها، وتوفيةَ حقِّها، ومعرفةَ قدرِها، وما توفيقي إلا بالله، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكّلت وإليه متابِ.

وصلواتُ الله وسلامه وتحيَّاته وبركاته وإكرامه على مَن دلَّنا على الله، وبلَّغنا رسالةَ الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم،

---

(١) في ب: «يشهدها من شهد»، وفي د، هـ: «يشاهدها من شاهد».
(٢) في ب، ج، هـ: «شعائر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».
(٣) في ب، ج، هـ: «فيا له».
(٤) في أ: «من نعمة».

وجاهدَ في الله حقَّ الجهاد، وبذل جُهده في الحرص على نجاة العباد، وعلَّمَ ونصَح، وبيَّن وأوضَح، حتى قامت الحجةُ، ولاحَت المحجَّةُ، وتبيَّن الرشدُ من الغيِّ، وظهر طريقُ الحقِّ والصواب، وانقشعت ظلمات الشكِّ[١] والارتياب، ذلك سيدُنا ومولانا محمدٌ النبيُّ الأميُّ القرشيُّ الهاشميُّ المختارُ مِن لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيّده الله بالمعجزات الظاهرةِ، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العِضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائدَ الغُرِّ المحجَّلِين والوجوهِ الناضرة، فهو أوَّلُ مَن يَشفع يوم الحساب، وأول مَن يدخل الجنة ويقرع الباب.

فصلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين[٢]، خيرِ أهل وأكرم أصحاب، صلاةً زاكية ناميةً[٣] لا يَحصُرُ مقدارَها العدُّ والحساب، ولا يَبلغ إلى أدنى وصفِها ألسنةُ البلغاءِ، ولا أقلام الكُتَّاب.

أمَّا بعدُ: فإنَّ علمَ القرآن العظيم هو أرفعُ العلوم قدرًا، وأجلُّها خطَرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا، وإنَّ الله أنعمَ عليَّ بأن شغَلني بخدمة القرآن وتعلُّمه وتعلِيمه، وشغَفني بتفهُّم معانيه وتحصيل علومِه، فاطّلعتُ على ما صنفه العلماء ﷺ في تفسير القرآن من التصانيف المختلفةِ الأوصاف، المتباينةِ الأصناف:

فمنهم مَن آثر الاختصار.

---

(١) في هامش أ: «خ: الشرك».

(٢) في د: «الأكملين».

(٣) في د: «تامة».

ومنهم مَن طوَّل حتى كثّر[١] الأسفار.

ومنهم من تكلَّم في بعض فنون العلم دون بعض.

ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس.

ومنهم من عوَّل على النظر والتحقيق والتدقيق.

وكلُّ واحدٍ سلك طريقًا نحَاه، وذهب مذهبًا ارتضاه، وكلًّا وعد الله الحسنى، فرغبتُ في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائرِ ما يتعلَّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكًا نافعًا، إذ جعلتُه وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربعَ مقاصدَ، تتضمَّن أربعَ فوائدَ:

الفائدةُ الأولى: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم[٢]؛ تسهيلًا على الطَّالبين، وتقريبًا على الرَّاغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمَّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصِها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حَشْوها وفُضولها، ولقد أودعتُه مِن كلِّ فنٍّ من فنون علوم[٣] القرآن اللبابَ المرغوبَ فيه، دون القشرِ المرغوبِ عنه، من غير إفراطٍ ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتَّكرار.

الفائدة الثانية: ذكْرُ نُكَتٍ عجيبةٍ، وفوائدَ غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛

---

(١) في ج، د: «أكثر».

(٢) في ب، د: «الجِرْم».

(٣) في ب، ج، هـ: «علم».

لأنها من بنات صدري، ونتائج فِكْري، أو مما أخذته عن شيوخي ﷺ، أو مما التقطتُه من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاحُ المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفَلات، وإما بحسنِ العبارة، ورفعُ الاحتمالات، وبيانُ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقةُ بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس على مراتبَ:

فمنها: الصحيح الذي يُعوَّلُ عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه.

ومنها: ما يَحتمل الصحةَ والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمالَ قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوتُ قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلتُ لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ كلِّ قولٍ:

فأدناها: ما أصرِّحُ بأنه «خطأٌ»، أو «باطلٌ».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيفٌ»، أو «بعيدٌ».

ثم: ما أقول: «إن غيرَه أرجحُ منه»، أو «أقوى»، أو «أظهرُ»، أو «أشهرُ».

ثم: ما أقدِّمُ غيرَه عليه؛ إشعارًا بترجيح المتقدِّم، أو ما أقولُ فيه: «قيل: كذا»؛ قصدًا للخروج عن عُهدته.

وأمَّا إذا صرَّحتُ[١] **باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:**

إما للخروج عن عهدته.

وإما لنُصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَى به.

على أني لا أنسبُ[٢] الأقوالَ إلى أصحابها إلَّا قليلًا، وذلك لقلَّةِ صحةِ إسنادها إليهم، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم.

وأمَّا إذا ذكرتُ شيئًا دون حكايةِ قوله عن أحدٍ: فذلك إشارة إلى أني أتقلَّدُه وأرتضيه، سواءٌ كان من تلقاءِ نفسي، أو مما أَختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكرْه؛ تنزيهًا للكتاب، وربما ذكرتُه تحذيرًا منه.

وهذا الذي ارتكبتُه[٣] من الترجيح والتصحيح مبنيٌّ على القواعد العلمية، أو على ما تقتضيه اللغة العربية.

وسنذكر بعد هذا بابًا في موجبات التّرجيح بين الأقوال إن شاء الله تعالى.

وسمَّيتُ هذا الكتاب: «كتاب التَّسهيلِ لعلومِ التَّنزيلِ»

وقدَّمتُ في أوَّلِه مقدمتين:

إحداهما: في أبوابٍ نافعة، وقواعدَ كليةٍ جامعة.

---

(١) في د زيادة: «فيه».

(٢) في ب، د: «لست أنسب»، وفي هـ، ج: «أني نسبت»!.

(٣) في ب: «ارتكبتُ»، وفي د: «أرتكبه».

والأخرى: فيما كثر دَوره من اللغات الواقعةِ في القرآن.

وأنا أرغبُ إلى الله العظيم الكريم أن يجعلَ تصنيفَ هذا الكتابِ عملًا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، ووسيلةً توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



﴿المقدمةُ الأُولى﴾

فيها اثنا عشرَ بابًا:

﴿البابُ الأول﴾

في نزول القرآن، وجمعِه في المصحف، ونقْطِه، وتحزيبه، وتعشيره، وذكرِ أسمائه(١)

* نزل القرآن على رسول الله ﷺ مِن أوَّل ما بعثه الله بمكة وهو ابنُ أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله.

فكانت مدةُ نزولِه عليه:

عشرين سنةً.

وقيل: كانت ثلاثًا وعشرين سنةً.

على حسب الاختلاف في سنِّه ﷺ يوم تُوفِّي هل كان ابنَ ستين سنةً؟ أو(٢) ثلاثٍ وستين(٣)؟

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٣٧، ٥١).

(٢) في هـ، د زيادة: «ابن».

(٣) في أ زيادة: «سنة».

وكان ربما تنزلُ[(١)] عليه سورةٌ كاملة، وربما تنزل[(٢)] عليه آيات متفرِّقاتٌ[(٣)] فيَضمُّ ﷺ بعضَها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأولُ ما نـزل من القرآن:

صدرُ سورة العلق، ثم المدثر و[(٤)]المزمل.

وقيل: أول ما نزل: المدثر.

وقيل: فاتحة الكتاب.

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانيةَ حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ تَرجُف بَوادِرُه[(٥)]،

---

(١) في د: «نزلت»، وفي هامش أ: «خ: نزل».

(٢) في د وهامش أ: «نزل»

(٣) في أ: «مفترقة».

(٤) في د: «ثم».

(٥) كذا في أ، ب وهي الموافقة لما في رواية مسلم، وفي ج، هـ: «ترجف بها بوادره»، والبوادر جمع بادِرَةٍ، وهي لَحمةٌ بين المنكِب والعُنق، أي: ترعد وتضطرب.
انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٥٥).
وفي د: «يرجف بها فؤاده» وهي موافقة لرواية البخاري.

فقال: زمِّلوني، زملوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه ما يجد من الرَّوع»[١].

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: «فقال رسول الله ﷺ: زملوني، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]»[٢].

وأما آخِرُ ما نزل من القرآن:

فسورةُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾.

وقيل: آية الربا التي في البقرة.

وقيل: الآية التي قبلها.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مفترقًا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علمٌ كبير، ولكنه لم يوجد[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجها البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٣) أخرج أبو بكر ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص ٥٩): «عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفى النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلَّا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكَرِهْتَ إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلَّا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلَّا لجمعة، فبايَعَه ثم رجع»، ثم قال ابن أبي داود معلِّقًا على هذا الأثر: «لم يذكر المصحفَ أحدٌ إلَّا أشعث، وهو لين الحديث، وإنما رووا: «حتى أجمع القرآن» يعني: أُتِمَّ حفْظَه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن»، وأعلَّ هذا الأثر أيضًا ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص ٨٨) بأنه: «فيه انقطاع»، وقال تعليقًا على قول ابن أبي داود: «وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر -والله أعلم-، فإن عليًا لم ينقل عنه مصحف -على ما قيل- ولا غير ذلك». وانظر: الاتقان للسيوطي (٢/ ٣٨٠).

فلما قُتِل جماعةٌ من الصحابة يوم اليمامة في قتال مُسيلِمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن؛ مخافةَ أن يذهب بموت القرَّاء، فجمعه في صحف غيرَ مرتَّبِ السورِ، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصةَ أم المؤمنين.

وانتشرت في خلال ذلك صحفٌ كُتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلافٌ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنهما بجمع الناس على مصحف واحد؛ خِيفةً من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمانُ، وأمر زيدَ ابن ثابت بجمعه وجعل معه ثلاثةً من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيءٍ فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إمامًا في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهَّدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نُسَخًا، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق، أو تخرق -يروى بالحاء المهملة، والخاء المنقوطة-.

فترتيب السور على ما هو الآن عليه: هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف.

وقد قيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيفٌ، تردُّه الآثار الواردةُ في ذلك.

★ **وأما نقْطُ القرآن وشَكْلُه**: فأوَّل من فعل ذلك:

الحجاج بن يوسف، بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبَه.

وقيل: أول من نقَطه يحيى بن يَعْمَرَ.

وقيل: أبو الأسود الدُّؤليُّ.

★ **وأما وضعُ الأعشار فيه:**

فقيل: إن الحجاج فعل ذلك.

وقيل: بل أمر به المأمون العباسيُّ.

★ **وأما أسماؤه**: فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذِّكر.

وسائر ما يُسمَّى به صفاتٌ لا أسماءُ، كوصفه بالعظيم، والكريم، والمبين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك.

فأما القرآن: فأصله مصدر: قرأ، ثم أُطلق على المقروء.

وأما الفرقان: فمصدرٌ -أيضًا-، معناه: التفرقة بين الحق والباطل.

وأما الكتاب: فمصدرٌ، ثم أطلق على المكتوب.

وأما الذكر: فسُمِّي القرآن به؛ لما فيه من ذكر الله، أو[1] مِن التذكير والمواعظ.

ويجوز في «السُّورة» من القرآن: الهمزُ.

وتركُ الهمزِ لغةُ قريشٍ.

وأما الآيةُ: فأصلها: العلامة، ثم سُمِّيت الجملةُ من القرآن آيةً[2]؛ لأنها علامةٌ على صدق النبيِّ ﷺ.

---

(١) في هـ: «و».

(٢) في ب، هـ: «به».

﴿الباب الثاني﴾

في السور المكية والمدنية

★ **اعلمْ:**

أنَّ **السُّورَ المكيةَ**: هي التي نزلت بمكة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

كما أن المدنيةَ: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

★ **وتنقسم السور ثلاثةَ أقسامٍ:**

[١-] **قسمٌ مدنية باتفاقٍ،** وهي اثنتان وعشرون سورةً.

وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾.

[٢-] **وقسم فيها خلافٌ؛** هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثَ عشرةَ سورةً.

أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين[١]، والقدر، و﴿لَمْ يَكُنْ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿أَرَءَيْتَ﴾، والإخلاص، والمعوِّذتان.

[٣-] **وقسمٌ مكية باتفاق**، وهي سائرُ السور.

وقد وقعت آياتٌ مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليلٌ، مختلَفٌ في أكثره.

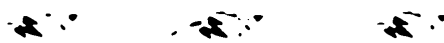
★ **واعلمْ:**

أنَّ **السور المكية نزل أكثرُها في**: إثبات العقائد، والردِّ على المشركين، وفي قَصص الأنبياء.

وأن السور المدنية نزل أكثرُها في: الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكرِ غَزَوات النبي ﷺ.

وحيثما ورد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو مدنيٌّ.

وأما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فقد وقع في المكيِّ والمدنيِّ.



(١) في ب، ج، هـ: «والمطففون».

﴿الباب الثالث﴾

في المعاني والعلوم التي تضمَّنها القرآن

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل.

★ **أما على الجملة**: فاعلم أن المقصودَ بالقرآن: دعوةُ الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصِدَ يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله:

أحدهما: بيان العبادة التي دُعِي الخلق إليها.

والآخر: ذكر بواعثَ تبعثهم على الدخول فيها، وتقودهم إليها.

فأما العبادة: فتنقسم إلى نوعين وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

وأما البواعث عليها: فأمران؛ وهما: الترغيب، والترهيب.

★ **وأما على التفصيل**: فاعلم أن معانيَ القرآن سبعةٌ؛ وهي: علمُ الربوبية، والنبوَّةُ، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقَصص.

★ **[١-] فأما علم الربوبية**:

فمنه: إثباتُ وجود الباري جل جلاله، والاستدلالُ عليه بمخلوقاته، فكلُّ ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خِلْقة

الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من الموجودات؛ فهو دليلٌ على خالقه.

ومنه: إثبات الوَحدانية، والردُّ على المشركين، والتعريفُ بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهُه عما لا يليق به.

★ [٢-] **وأما النبوّة**: فإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثباتُ الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجودِ الملائكة الذين كان منهم وسائطُ بين الله وبينهم، والردُّ على من كفر بشيءٍ من ذلك.

وينخرط في سِلْك هذا: ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته[1]، والثناءِ عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

★ [٣-] **وأما المعاد**: فإثباتُ الحشر، وإقامةُ البراهين عليه، والردُّ على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

★ [٤-] **وأما الأحكام**: فهي الأوامر والنواهي، وتنقسم خمسةَ أنواعٍ: واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح.

ومنها:

ما يتعلق بالأبدان، كالصلاة والصيام.

---

(١) في د: «وكذا أمته»!، ولعله تصحيف.

وما يتعلق بالأموال كالزكاة.

وما يتعلق بالقلوب، كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

★ **[-٥] وأما الوعد:**

فمنه وعدٌ بخير الدنيا، من النصر والظهور وغير ذلك.

ومنه بخيرِ الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف الجنة ونعيمِها.

★ **[-٦] وأما الوعيد:**

فمنه تخويفٌ بالعقاب في الدنيا.

ومنه تخويفٌ بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها.

وتأمَّل القرآن؛ تجد الوعد مقرونًا بالوعيد، قد[١] ذُكِر أحدهما على إِثْر ذكْرِ الآخر؛ ليجمعَ بين الترغيب والترهيب، وليتبيَّنَ أحدُهما بالآخر، كما قيل:

.... فبضدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ[٢]

★ **[-٧] وأما القَصص:** فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قَصص الأنبياء في القرآن؟

---

(١) في أ، ب: «وقد».

(٢) هذا عجُز بيت للمتنبي، وصدره: «ونَذِيمهم وبها عرفْنا فضلهُ»، انظر: شرح أبي البقاء العكبري على ديوان المتنبي (١/ ٢٢).

فالجواب: من ثلاثة أوجهٍ:

الأول: أنه ربما ذُكِر في سورةٍ من أخبار الأنبياء ما لم يُذكَرْ في سورة أخرى، ففي كلٍّ واحدة منهما فائدةٌ زائدة على الأخرى.

الوجه الثاني: أنه ذُكِرتْ أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الوجه الثالث: أن أخبار الأنبياء قُصِد بذكرها مقاصد كثيرةٌ[1] فتعدَّدَ ذكرُها بتعدد تلك المقاصد.

فمن المقاصد بها: إثباتُ نبوة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكرِ إهلاك من كذبهم بأنواع من الهلاك[2].

ومنها: إثبات نبوة محمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلُّم من أحد، وإلى ذلك الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩].

ومنها: إثبات الوَحدانية، ألَا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١].

ومنها: الاعتبار في قدرة الله تعالى، وشدَّةِ عقابه لمن كفر به.

ومنها: تسليةُ النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بمن تقدم من

---

(١) سقطت هذه الكلمة من ج، هـ.

(٢) في د: «المهالك».

الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومنها: تأنيسُه[1] ﷺ، ووعدُه بالنصر كما نُصِر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاجِ الأنبياء وردِّهم على الكفار، وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائدَ كثيرةً ذُكِرت في مواضع كثيرةٍ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ.



(١) في ج، هـ: «تسليته».

﴿الباب الرابع﴾

في فنون العلوم التي تتعلَّقُ بالقرآن

اعلمْ: أنَّ الكلامَ على القرآن يَستدعي الكلام في اثني عشَرَ فنًّا من العلوم، وهي: التفسيرُ، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقَصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

★ [١-] **فأما التفسير**: فهو المقصود لنفسه، وسائرُ هذه الفنون أدواتٌ تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرَّع منه.

ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلافٌ في العبارة مع اتفاقٍ في المعنى، فهذا عدَّه كثير من المؤلفين في التفسير خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه.

وجعلناه نحن قولًا واحدًا، وعبَّرنا عنه بأحد[١] عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيَها.

---

(١) في د: «بإحدى».

النوع الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنًى واحدٍ، وليس مثالٌ منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي[1] تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عدَّه أيضًا كثيرٌ من المؤلفين خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كلَّ قولٍ[2] منها مثالٌ للمراد، وليس بكل المراد.

ولم نَعُدَّه نحن خلافًا، بل عبَّرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

النوع الثالث: اختلافٌ في المعنى، فهذا هو الذي عدَدْناه خلافًا، ورجَّحنا فيه بين أقوال الناس حسَبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

فالجواب: أن في ذلك ثلاثةَ أقوال:

الأول: أنهما بمعنًى واحدٍ.

الثاني: أن التفسير: للفظ، والتأويل: للمعنى.

الثالث -وهو الصواب- : أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنًى غيرِ المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ؛ لموجب اقتضى أن يُحمَل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

---

(١) في ب، ج، هـ: «التي».
(٢) في ب، ج، هـ: «لأن كلًّا».

★ [٢-] **وأما القراءات**: فإنها في القرآن بمنزلة الرّواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبطُ الحديث بروايته.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة، وشاذّة.

فالمشهورةُ: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوبَ[(١)] وابنِ محيصِنٍ[(٢)].

والشاذة: ما سوى ذلك.

وإنما[(٣)] بنينا هذا الكتابَ على قراءة نافعٍ المدنيِّ[(٤)]؛ لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداءُ بالمدينة شرفها الله تعالى؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنةٌ.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدةٌ في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورةً في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنَّفْنا فيها كتبًا نفع الله بها، وأيضًا؛ فإنا لما

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، قارئ أهل مكة، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٥٦).

(٣) في ب، ج، هـ: «وإنا».

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولاهم، أبو رويم المقرئ المدني، توفي سنة (١٦٩هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٦٤).

عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفْنا منه ما لا تدعو إليه ضرورةٌ، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد أصول القراءات.

★ [٣-] وأما أحكام القرآن: فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسُ مئةِ آيةٍ، وقد تنتهي إلى أكثرَ من ذلك إذا استُقصيَ تتبعها في مواضعها.

وقد صنَّف الناس في أحكام القرآن تصانيفَ كثيرةٍ.

ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي[١]، وأبي الحسن كِيَاهْ[٢].

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس[٣]: تأليف القاضي الإمام أبي بكر

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهضمي الأزدي المالكي، وبه تفقه أهل العراق من المالكية، توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١/ ٢٨٢).

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهرَّاسي الشافعي، والكيا: لفظة أعجمية معناها: الكبير القدر المقدم بين الناس، توفي سنة (٥٠٤هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٢٨٦)، و«كيا» و«كياه» بمعنى واحد، و«أل» فيها للتعريف، قال العطار في حاشيته على شرح المحلي على «جمع الجوامع» في ضبطه (١/ ٣٣٩): «ضبطه الكورانيُّ بفتحها؛ لأن «كِيَا» معناه: العظيم، وأل حرف تعريف وهمزتها بالفتح؛ لأنها همزة وصلٍ».

(٣) في ب، د زيادة: «فيها».

ابن العربي[(١)]، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفَرَس[(٢)].

★ [٤-] **وأما النسخ**: فهو يتعلقُ[(٣)] بالأحكام؛ لأنها محلُّ النسخ؛ إذ لا تُنسَخُ الأخبار.

ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم؛ وهو ما لم يُنسَخ.

وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيفَ كثيرةٍ، أحسنها: تأليف القاضي أبي بكر بن العربي.

وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد النسخ، وذِكْرِ ما تكرَّر[(٤)] في القرآن من المنسوخ، وذكرْنا سائرَه في مواضعه.

★ [٥-] **وأما الحديث**: فيحتاج المفسِّرُ إلى روايته وحفظه؛ لوجهين:

الأول: أنّ كثيرًا من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسبابِ قضايا وقعت في زمان النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليُعلَم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت؛

---

(١) الإمام المالكي المعروف، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ٢٥٢).

(٢) الخزرجي المالكي، توفي سنة (٥٩٩هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ١٣٣).

(٣) في ب، ج، هـ: «ما يتعلق».

(٤) في ج، هـ: «ما تقرر».

فإن النسخ مبنيٌّ على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخٌ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله ﷺ مقدم على أقوال الناس.

★ [٦-] **وأما القَصص**: فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلَّا أن الضروريَّ منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادةٌ مستغنًى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القَصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكايةُ ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القَصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

★ [٧-] **وأما التصوُّف**: فله تعلُّقٌ بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوِّفة[١] في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغَّل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

---

(١) في د: «الصوفية».

وقد جمع أبو عبد الرحمن السُّلَمي[١] كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق»، وقال بعض العلماء: بل هو[٢] البواطل، وإذا أنصفْنا قلنا: فيه حقائقُ وبواطلُ.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسَن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعتَرض أو يُقدَح فيه، وتكلَّمنا أيضًا على اثني عشر مقامًا من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.

[١-] فتكلمنا على الشكر في «أم القرآن»؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى.

[٢-] وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في «البقرة»: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣-] وعلى الذِّكر في قوله فيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

[٤-] وعلى الصَّبر في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[٥-] وعلى التوحيد في قوله فيها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

[٦-] وعلى محبة الله[٣] في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

[٧-] وعلى التوكُّل في قوله في «آل عمران»: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزديُّ، السُّلَميُّ الأمّ، النيسابوري، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، له كتاب «حقائق التفسير»، و«طبقات الصوفية» وغيرهما، توفي سنة (٤١٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٢٤٧).

(٢) في ب، ج، هـ: «هي».

(٣) في أ: «المحبة».

[٨-] وعلى المراقبة في قوله في «النساء»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

[٩، ١٠-] وعلى الخوف والرَّجاء في قوله في «الأعراف»: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

[١١-] وعلى التوبة في قوله في «النور»: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾.

[١٢-] وعلى الإخلاص في قوله في «لم يكن»: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

★ [٩-] **وأما أصول الدين**: فتتعلق بالقرآن من طريقَين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكلُّ طائفة منهم تحتجُّ لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحقَّ والمبطلَ.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.

★ [١٠-] **وأما أصول الفقه**: فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أنَّ كثيرًا من المفسرين لم يشتغلوا بها.

وإنها لنعْمَ العونُ على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسرَ إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبيَّن، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب،

وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

★ [١١-] **وأما اللغة**: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فنٌّ من فنون التفسير.

وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيفَ كثيرةٍ، وقد ذكرنا - بعد هذه المقدمة - مقدمةً في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطولَ الكتاب بكثرة تكرارها.

★ [١٢-] **وأما النحو**: فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علمِ اللسان(١).

والنحو ينقسم قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركَّب.

والآخر: التصريف، وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرَّضْ لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يَحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ(٢) بغير كبيرِ فائدةٍ.

---

(١) في ب، ج، هـ: «إلى معرفة اللسان»، وفي د: «إلى معرفة علم اللسان».
(٢) في ب، ج، د، هـ: «يطول».

★ [١٣-] **وأما علم البيان**: فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائدَ فائقةً، ونكتًا مستحسنة رائقة، وجعلنا في المقدمات بابًا في أدوات البيان؛ ليُفهم به ما يرد منها مفرَّقًا في مواضعَ[1] من القرآن.



(١) في د: «مواضعه».

﴿الباب الخامس﴾

في أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوهِ التي نُرجِّحُ[١] بها بين أقوالهم

★ **فأمَّا أسبابُ الخلاف فهي اثنا عشرَ:**

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب؛ وإن اتفقت القراءة.

الثالث: اختلاف اللُّغَويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم أو الخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدةً أو غيرَ زائدةٍ.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب، أو على التقديم والتأخير.

---

(١) في ج، هـ: «يترجح».

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخًا أو محكمًا.

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن السلف رضي الله عنهم.

★ وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضعٍ آخرَ[1] حملناه عليه، ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيءٍ من القرآن عوَّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قولَ الجمهور وأكثرِ المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحَه.

الرابع: أن يكون القول قولَ من يُقتدَى به من الصحابة، كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس؛ لقول رسول الله ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[2].

الخامس: أن يدل على صحة القول كلامُ العرب؛ من اللغة، أو الإعراب أو التصريف، أو الاشتقاق.

السادس: أن يشهد لصحة القول سياقُ[3] الكلام، ويدلَّ عليه ما قبله أو ما بعده.

---

(١) في ب، ج، هـ: «على أن المراد بعض آخر»!.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٩٧)، (٢٨٧٩)، (٣٠٣٢)، (٣١٠٢).

(٣) في أ: «مساق»، وفي الهامش: «خ: سياق».

السابع: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادِر إلى الذهن، فإن ذلك دليلٌ على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أَولى أن يُحمَل عليها اللفظ عند الأصوليين.

وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالًا من الحقيقة، ويسمى مجازًا راجحًا، والحقيقةُ مرجوحةٌ، وقد اختلف العلماء أيهما يقدَّمُ؟

فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل.

ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح؛ لرجحانه.

وقد يكون المجاز أفصحَ وأبرعَ، فيكون أرجحَ.

التاسع: تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى؛ لأنه الأصل، إلَّا أن يدلَّ دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلَّا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلَّا أن يدل دليل على الإضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلَّا أن يدلَّ دليل على التقديم والتأخير.

﴿الباب السادس﴾

في ذكر المفسِّرين(١)

★ **اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين:**

فمنهم من فسَّر القرآن، وتكلَّم في معانيه، وهم الأكثرون.

ومنهم من توقَّف عن الكلام فيه؛ احتياطًا؛ لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة ﵂: «ما كان رسول الله ﷺ يفسِّر من القرآن إلا آياتٍ بِعَددٍ، علَّمه إياهنَّ جبريل»(٢)، وقال ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ**»(٣).

وتأوَّل المفسرون حديث عائشة ﵂ بأنه في مُغيَّبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيفٍ من الله تعالى.

وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلَّم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم بما(٤) تقتضيه أدوات العلوم، ونظرَ في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٢).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٨/ ١٢٣)، والطبري في تفسيره (١/ ٧٨) وأعلَّ إسناده، وحكم عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤) بأنه حديث منكر.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢).

(٤) في ب: «فيما».

★ **واعلمْ أنَّ المفسرين على طبقاتٍ:**

فالطبقة الأولى: الصحابة ﷺ:

وأكثرهم كلامًا في التفسير: ابن عباس، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يثني على تفسير ابن عباس ويقول: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»[(١)]، وقال ابن عباس: «ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي ابن أبي طالب ﷺ»[(٢)].

ويتلوهما: عبد الله بن مسعود، وأبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت.

ثم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرِو بن العاص.

وكلُّ ما جاء عن الصحابة من التفسير فهو حسَنٌ مقبول.

والطبقة الثانية: التابعون:

وأحسنهم كلامًا في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصريُّ، وسعيد بن جبير، ومجاهدٌ مولى ابن عباس، وعلقمةُ صاحب عبد الله بن مسعود.

ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسُّدِّيُّ، والضحاك بن مُزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية.

ثم حمل تفسيرَ القرآن عُدولُ كلِّ خلَفٍ، وألَّف الناس فيه، كالمفضَّل[(٣)]،

---

(١) أخرجه الدينوري المالكي بإسناده في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٤١٥).

(٢) لم أقف على إسناده، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٢٣) بغير إسناد.

(٣) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب النحوي اللغوي الكوفيّ، له كتاب =

وعبدِ الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم.

ثم إن محمدَ بن جريرٍ الطبريَّ جمع أقوال المفسرين[(١)]، وأحسن النظر فيها.

وممن صنف في التفسير أيضًا: أبو بكر النقاش[(٢)]، والثعلبيُّ[(٣)]، والماورديُّ[(٤)]، إلَّا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمدٍ ابنُ قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثيرٍ من علومه.

وصنف في معاني القرآن جماعةٌ من النَّحْويين؛ كأبي إسحاق الزجَّاج[(٥)]،

= «ضياء القلوب» في معاني القرآن، نيف وعشرون جزءًا، توفي بعد سنة (٢٩٠هـ). انظر: السير، للذهبي (١٤/ ٣٦٢)، وطبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٢٨).

(١) في د: «المتقدمين».

(٢) هو محمد بن الحسن محمد بن زياد بن هارون، إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صاحب تفسير «شفاء الصدور»، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ١٣٥).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النّيسابوري الثّعلبيّ، ويقال له: الثعالبي، وهو لقبٌ لا نسب، صاحب تفسير «الكشف والبيان»، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٦٦).

(٤) هو علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماورديّ البصري، صاحب تفسير «النكت والعيون»، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٤٢٧).

(٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة (٣١١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤١١).

وأبي علي الفارسي[١]، وأبي جعفر النحّاس[٢].

★ **وأمَّا أهل المغرب والأندلس:**

فصنف القاضي مُنذِرُ بن سعيد البَلُّوطيُّ[٣] كتابًا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكيُّ بن أبي طالب[٤] كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليفه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفًا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرٍو الدانيُّ[٥] فتواليفه تنيف على مئة وعشرين، إلَّا أن أكثرها في القراءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلًا.

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤٩٦).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري، توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٣٦٢).

(٣) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الأندلسي، أبو الحكم القاضي، توفي سنة (٣٥٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٣٦).

(٤) هو مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي، النحويّ المقرئ، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٣٣٧).

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، أبو عمرو الداني، توفي سنة (٤٤٤هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٣٧٩).

وأما أبو العباس المهدويُّ[١] فمُتْقِنُ التآليف، حسَنُ الترتيب، جامعٌ لفنون علوم القرآن.

ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحدٍ منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تَلِف تلافَاه بكتاب: «قانون التأويل»[٢] إلَّا أنه اخترمتْه المنيّة قبل تخليصه وتلخيصه، وألَّف في سائر علوم القرآن تواليفَ مفيدةً.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسنُ التواليف وأعدلُها، فإنه اطَّلع على تواليفِ مَن كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدَّد النظر، محافظٌ على السنة.

---

(١) هو أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، ألفه التفسير الكبير «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، ثم اختصره في «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، توفي بعد سنة (٤٣٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٥٦).

(٢) لابن العربي كتابان بهذا العنوان:
أحدهما: قانون التأويل في التفسير، وقد اختلف الباحثون في تسميته، واستظهر بعضهم أن اسمه: «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل بفوائد التنزيل»، وهذا هو الكتاب الذي عناه ابن جزي.
والآخر: قانون التأويل، وهو جامع لفوائد شتى من عدة علوم، ولا يختص بالتفسير وعلوم القرآن، وهو مطبوع في مجلد بتحقيق د. محمد السليماني. انظر: قسم الدراسة الذي قدمه د. السليماني لهذا الكتاب ص ١٢٤، ٣٩١.

ثم خُتم علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير[١]، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوةً في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

★ **ومما بأيدينا من تواليف أهل المشرق:** تفسيرُ أبي القاسم الزمخشريِّ، وأبي الفضل الغَزنويِّ[٢]، وأبي الفضل ابنِ الخطيب[٣].

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الزّبير الثقفيّ العاصمي، الجيّاني المولد، الغرناطيّ المنشأ، الأستاذ أبو جعفر، صاحب «ملاك التأويل» في المتشابه في القرآن وغيره من المصنفات، توفي سنة (٧٠٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٧).

(٢) في أ، ب: «الغزنوني»، وفي ج، هـ: «القزويني» وهو تصحيف.
وهو محمد بن أبي يزيد طيفور السَّجاوندي الغزنوي، أبو عبد الله أو أبو الفضل، اختلفت المصادر في كنيته، المقرئ المفسر النحوي، له تفسير «عين المعاني في تفسير السبع المثاني»، و«الوقف والابتداء» وغيرهما، توفي سنة (٥٦٠هـ) على ما قاله الصفدي، وقد نقَل عنه ابن جزي من تفسيره «عين المعاني» في أربعة مواطن: في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾، وفي الأنبياء عند قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾، وفي المؤمنون عند قوله: ﴿هَيۡهَاتَ﴾. . .، وفي العلق عند قوله: (﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١﴾، وهو أحد المصادر التي استمدَّ منها ابن جزي مادة تفسيره، وتفسيره هذا حُقّق في عدة رسائل علمية في جامعة الإمام. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ٢٠٦)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٣/ ١٤٧)، وإنباه الرواة، للقفطي (٣/ ١٥٣)، والروض المعطار، للحميري (٤٢٨).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، فخر الدين، صاحب تفسير «مفاتيح الغيب»، وكنيته أبو الفضل أو أبو عبد الله على اختلاف بين المصادر. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣/ ١٣٧)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/ ٢٤٨)، وأخبار العلماء، للقفطي (٢١٩).

فأما الزمخشري: فمسدَّدُ النظر، بارعٌ في الإعراب، متقنٌ في علم البيان؛ إلَّا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصَرِهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدَّر صفْوُه، وتمرَّر حُلْوُه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كَدِرَ.

وأما الغزنوي: فكتابه مختصرٌ جامع، وفيه من التصوف نكتٌ بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمَّن كتابُه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباعَ الكلام في قواعد علم الكلام، ونمَّقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجِرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص.

والله ينفع الجميعَ بخدمة كتابه، ويَجزِيهم أفضلَ ثوابه.



﴿الباب السابع﴾

في الناسخ والمنسوخ

النسخُ في اللغة: هو الإزالة، أو النَّقل.

ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرُّرِه.

★ **ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه**:

الأول: نسخ اللفظ والمعنى، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم»[١].

والثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيَا فارجموهما ألبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم»[٢].

والثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عدّه بعض العلماء[٣] مئتا موضعٍ، ثنتان وعشرةُ[٤] مواضعَ منسوخة؛ إلَّا أنهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٣٠) في ضمن حديث طويل من خطبة عمر ﷺ وفيه: «. . ثم إنَّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إنَّ كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم . . ».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٣) في ب، د: «بعضهم».

(٤) في د: «واثنان وعشرة».

عَدُّوا التخصيص والتقييد والاستثناء نسخًا!، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وسنتكلم على ذلك في مواضعه.

* ونقدِّم هنا ما جاء من نسخ مسالمةِ الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم؛ بالأمر بقتالهم؛ ليُغنيَ ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مئة آية وأربعَ عشرة آيةً، من أربع وخمسين سورة[1]:

★ (١-) ففي البقرة:

[١] ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية: ٨٣].

[٢] ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ [الآية: ١٣٩].

[٣] ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [الآية: ١٩٠]؛ أي: لا تبدؤوا بالقتال.

[٤] ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩١].

[٥] ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢١٧].

[٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٦].

★ (٢-) وفي آل عمران:

[٧] ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٢٠].

---

(١) هذه المسألة استمدّها ابن جزي ﷺ من «عين المعاني» للغزنوي، بل هناك تطابق شبه تامّ بين النصين، غير أن ابن جزيٍّ ذكر مئة وثلاث عشرة آية من ثلاث وخمسين سورة، حيث فات ابنَ جزيٍّ ذكرُ الآية المئة والرابع عشرة من السورة الرابعة والخمسين التي ذكرها الغزنوي، وهي سورة التين، آية: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾. انظر: «عين المعاني».

[٨] ﴿مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [الآية: ٢٨].

★ (٣-) وفي النساء:

[٩، ١٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ٦٣ و ٨١].

[١١] ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: ٨٠].

[١٢] ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: ٨٤].

[١٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٩٠].

★ (٤-) وفي المائدة:

[١٤] ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾ [الآية: ٢].

[١٥] ﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾[١].

[١٦] ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: ١٠٥].

★ (٥-) وفي الأنعام:

[١٧] ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦٧].

[١٨] ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٩١].

[١٩] ﴿عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الآية: ١٠٤].

[٢٠] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٠٦].

---

(١) كذا ورد في الأصول الخطية!، والواقع أنه لا توجد في سورة المائدة آية بهذا اللفظ، وإنما الذي في المائدة: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٩٢]، و﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آية: ٩٩].

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: ١٠٧].

[٢٢] ﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾ [الآية: ١٠٨].

[٢٣، ٢٤] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ١١٢ و١٣٧].

[٢٥] ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا﴾ [الآية: ١٣٥].

[٢٦] ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا﴾ [الآية: ١٥٨].

[٢٧] ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الآية: ١٥٩].

★ (٦-) وفي الأعراف:

[٢٨] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٩٩].

[٢٩] ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ [الآية: ١٨٣].

★ (٧-) وفي الأنفال:

[٣٠] ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ [الآية: ٧٢]؛ يعني: المعاهَدين.

★ (٨-) وفي التوبة:

[٣١] ﴿فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: ٧].

★ (٩-) وفي يونس:

[٣٢] ﴿فَٱنتَظِرُوٓا﴾ [الآية: ٢٠].

[٣٣] ﴿فَقُل لِّى عَمَلِى﴾ [الآية: ٤١].

[٣٤] ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية: ٤٦].

[٣٥] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية: ٦٥]؛ لما يقتضي من الإمهال.

[٣٦] ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ﴾ [الآية: ٩٩].

[٣٧] ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [الآية: ١٠٨]؛ لأن معناه الإمهال.

[٣٨] ﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

★ (١٠-) وفي هود:

[٣٩] ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢]؛ أي: تُنذِرُ ولا تُجبِرُ.

[٤٠] ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية: ١٢١].

[٤١] ﴿وَانتَظِرُوا﴾ [الآية: ١٢٢].

★ (١١-) وفي الرعد:

[٤٢] ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الآية: ٤٠].

★ (١٢-) وفي الحجر:

[٤٣] ﴿ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٣].

[٤٤] ﴿فَاصْفَحِ﴾ [الآية: ٨٥].

[٤٥] ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ [الآية: ٨٨].

[٤٦] ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩].

[٤٧] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

★ (١٣-) وفي النحل:

[٤٨] ﴿إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٣٥].

[٤٩] ﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٨٢].

[٥٠] ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ [الآية: ١٢٥].

[٥١] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ١٢٧].

★ (١٤-) وفي الإسراء:

[٥٢] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (١٥-) وفي مريم:

[٥٣] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٥٤] ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الآية: ٧٥].

[٥٥] ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [الآية: ٨٤].

★ (١٦-) وفي طه:

[٥٦] ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ [الآية: ١٣٥].

★ (١٧-) وفي الحج:

[٥٧] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ [الآية: ٦٨].

★ (١٨-) وفي المؤمنين:

[٥٨] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

[٥٩] ﴿ٱدۡفَعۡ﴾ [الآية: ٩٦].

★ (١٩-) وفي النور:

[٦٠] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية: ٥٤].

[٦١] ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٢٠-) وفي النمل:

[٦٢] ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [الآية: ٩٢].

★ (٢١-) وفي القصص:

[٦٣] ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾ [الآية: ٥٥].

★ (٢٢-) وفي العنكبوت:

[٦٤] ﴿أَنَا۠ نَذِيرٞ﴾ [الآية: ٥٠]؛ لما يقتضي مِن عدم الإجبار.

★ (٢٣-) وفي الروم:

[٦٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية: ٦٠].

★ (٢٤-) وفي لقمان:

[٦٦] ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [الآية: ١٢].

★ (٢٥-) وفي السجدة:

[٦٧] ﴿وَٱنتَظِرۡ﴾ [الآية: ٣٠].

★ (٢٦-) وفي الأحزاب:

[٦٨] ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٢٧-) وفي سبأ:

[٦٩] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية: ٢٥].

★ (٢٨-) وفي فاطر:

[٧٠] ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية: ٢٣].

★ (٢٩-) وفي يس:

[٧١] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ [الآية: ٧٦].

★ (٣٠-) وفي الصافات:

[٧٢] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٤].

[٧٣] ﴿وَتَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٨].

[٧٤، ٧٥] وما يليهما [الآيتان: ١٧٥، ١٧٩].

★ (٣١-) وفي ص:

[٧٦] ﴿اصْبِرْ﴾ [الآية: ١٧].

[٧٧] ﴿أَنَا مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٥].

★ (٣٢-) وفي الزمر:

[٧٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٣]؛ لما فيه من الإمهال.

[٧٩] ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم﴾ [الآية: ١٥].

[٨٠] ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٨١] ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [الآية: ٤١].

[٨٢] ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ﴾ [الآية: ٤٦]؛ لأن فيه تفويضًا.

★ (٣٣-) وفي المؤمن:

[٨٣، ٨٤] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ في موضعين [الآية: ٥٥ و٧٧].

★ (٣٤-) وفي السجدة:

[٨٥] ﴿ٱدۡفَعۡ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].

★ (٣٥-) وفي الشورى:

[٨٦] ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الآية: ٦].

[٨٧] ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾ [الآية: ١٥].

[٨٨] ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٣٦-) وفي الزخرف:

[٨٩] ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ [الآية: ٨٣].

[٩٠] ﴿فَٱصۡفَحۡ﴾ [الآية: ٨٩].

★ (٣٧-) وفي الدخان :

[٩١] ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ [الآية: ٥٩].

★ (٣٨-) وفي الجاثية:

[٩٢] ﴿يَغْفِرُواْ﴾ [الآية: ١٤].

★ (٣٩-) وفي الأحقاف:

[٩٣] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٥].

★ (٤٠-) وفي القتال:

[٩٤] ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ [الآية: ٤].

★ (٤١-) وفي ق:

[٩٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٩٦] ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٢-) وفي الذاريات:

[٩٧] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٤٣-) وفي الطور:

[٩٨] ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ [الآية: ٣١].

[٩٩] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٠] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٤-) وفي النجم:

[١٠١] ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٢٩].

★ (٤٥-) وفي القمر:

[١٠٢] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٦].

★ (٤٦-) وفي ن:

[١٠٣] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٤] ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [الآية: ٤٤].

★ (٤٧-) وفي المعارج:

[١٠٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٥].

[١٠٦] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٤٢].

★ (٤٨-) وفي المزمل:

[١٠٧] ﴿وَٱهْجُرْهُمْ﴾ [الآية: ١٠].

[١٠٨] ﴿وَذَرْنِي﴾ [الآية: ١١].

★ (٤٩-) وفي المدثر:

[١٠٩] ﴿ذَرْنِي﴾ [الآية: ١١].

★ (٥٠-) وفي الإنسان:

[١١٠] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٢٤].

★ (٥١-) وفي الطارق:

[١١١] ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: ١٧].

★ (٥٢-) وفي الغاشية:

[١١٢] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الآية: ٢٢][١].

★ (٥٣-) وفي الكافرين:

[١١٣] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية: ٦].

★ نسخ ذلك كلّه: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].



(١) في «عين المعاني» بعد هذه الآية: «(٥٤-) التين: [١١٤] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ معنًى».

﴿الباب الثامن﴾

في جوامع القراءات

★ وهي على نوعين: مشهورة، وشاذَّة.

- **فالمشهورةُ**: القراءات السبع؛ وهي: حرف[١] نافعٍ المدنيِّ، وابنِ كثير المكي، وأبي عمرٍو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصمٍ وحمزة والكسائي الكوفيِّين.

ويجري مجراهم في الصحة والشُّهرة: يعقوبُ الحضرمي[٢]، وابن محيصن، ويزيدُ بن القعقاع[٣].

- **والشاذَّة**: ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذةً؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحةَ اللفظ و[٤]قويّةَ المعنى.

---

(١) في د: «حروف».

(٢) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، اختلف في وفاته قيل: سنة (١٢٧هـ)، وقيل: (١٢٨هـ)، وقيل: (١٣١هـ)، وقيل: (١٣٢هـ)، وقيل: (١٣٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٤٠).

(٤) في ب، ج، هـ: «أو».

★ **ولا يجوز أن يُقرَأ بحرفٍ إلَّا بثلاثة شروط:**

١- موافقته لمصحف عثمان بن عفان ﷺ.

٢- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.

٣- ونقْله نقلًا متواترًا، أو مستفيضًا.

★ **واعلم أنّ اختلاف القُرَّاء على نوعين**: أصول، وفَرْش الحروف.

- **فأما الفرشُ**: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطَّردٍ، ولا قانونٍ كليٍّ.

وهو على وجهين: اختلافٌ في القراءة:

باختلاف المعنى.

وباتِّفاق المعنى.

- **وأما الأصول**: فالاختلاف فيها لا يغيِّر المعنى.

وهي ترجع إلى ثمانِ قواعدَ:

الأولى: المدُّ، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمز، و[1] التقاء الساكنين.

الثانية: الهمزُ، وأصله التَّحقيق، ثم قد يخفَّفُ على سبعة أوجه:

إبدالٌ: واوٌ، وياء، وألف.

وتسهيلٌ: بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف.

وإسقاطٌ.

---

(١) في أ: «أو».

الثالثة: الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو في المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان:

إدغامٌ كبير، انفرد به أبو عمرٍو؛ وهو إدغام المتحرِّك.

وإدغامٌ صغير، لجميع القراء، وهو إدغام السَّاكن.

الرابعة: الإمالة، وهي: أن تَنحوَ بالفتحة نحوَ الكسرة، وبالألف نحوَ الياء، والأصل الفتح.

ويُوجِبُ الإمالةَ: الكسر، أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم.

والحروف على ثلاثة أقسام:

[١-] مفخَّمٌ في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة.

[٢-] ومفخم تارةً ومرقَّق أخرى، وهي: الراء، واللام، والألف.

فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.

وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق.

وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.

[٣-] والمرقق على كل حال: سائرُ الحروف.

السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع:

[١-] سكونٌ، جائز في الحركات الثلاث.

[٢-] ورَومٌ في المضموم والمكسور.

[٣-] وإشمامٌ في المضموم خاصةً.

السابعة: مراعاة الخطِّ في الوقف.

الثامنة: إثباتُ الياءات وحذفُها، وتسكينُها، وفتحها.



﴿الباب التاسع﴾

في المواقف

★ **وهي أربعة أنواع**: موقفٌ تامٌّ، وحسنٌ، وكافٍ، وقبيحٌ، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

- فإن كان الكلام مفتقرًا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرٌ[١] إليه كذلك= لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح.

وذلك الفصلُ بين كلِّ معمولٍ وعامله، وبين كلِّ ذي خبرٍ وخبره، وبين كلِّ ذي جوابٍ وجوابه، وبين كلِّ ذي موصولٍ وصلته.

- وإن كان الكلام الأول مستقلًّا يُفهَم دون الثاني، إلا أنَّ الثانيَ غيرُ مستقل إلا بما قبله= فالوقف على الأول كافٍ.

وذلك في التوابع والفضَلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك.

إلا أنَّ وصْلَ الاستثناء المتصل آكدُ من المنقطع.

ووصل التوابع والحال إذا كانت اسمًا مفردًا[٢] آكدُ من وصْلِها إذا كانت جملةً.

---

(١) في ب، ج، هـ: «مفتقرًا».

(٢) في أ: «اسمًا مفردةً»، وفي ب، د: «أسماء مفردات».

- وإن كان الكلام الأول مستقلًا والثاني كذلك:

فإن كانا في قصة واحدة: فالوقف على الأول حسنٌ.

وإن كانا في قصتين مختلفتين: فالوقف تامٌّ.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب، أو المعنى، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها راجحٌ ومرجوح وباطل.

وقد يُوقَفُ لبيان المراد، وإن لم يتمَّ الكلام.

★ **تنبيه**: هذا الذي ذكرنا من رَعْي الإعراب والمعنى في المواقف استقرَّ عليه العمل، وأخذ به شيوخُ المقرئين.

وكان الأوائل يراعون رؤوسَ الآيات، فيقفون عندها؛ لأنها في القرآن كالفِقَر في النثر، والقوافي في الشعر، ويؤيد[1] ذلك: ما خرَّجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان يقطّع قراءته، يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾، ثم يقف، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم يقف»[2].

---

(١) في ج، د: «ويؤكد».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧).

﴿الباب العاشر﴾

في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

★ **أما الفصاحة**: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربيةً، لا مما أحدثه المولَّدون، ولا مما غلِطت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشيّة المستثقَلة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعةً على المعنى، مُوَفِّيةً له، لا قاصرةً عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلةً، سالمةً من التقعير[١].

الخامس: أن يكون الكلام سالمًا من الحشو الذي لا يُحتاج إليه.

★ **وأما البلاغة**: فهي سياق الكلام على حسَب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح والكناية، والإشارة، وشبه ذلك، بحيث يَهزُّ النفوس، ويؤثِّر في القلوب، ويَقود السامع إلى المراد، أو يَكاد.

★ **وأما أدوات البيان**: فهي صناعة البديع، وهي: تزين الكلامَ كما يزين العلَمُ الثوب.

---

(١) في هامش ب: «التعقيد».

وقد وجدنا في القرآن منها : اثنين وعشرين نوعًا ، ونبَّهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماءها ، ونبين معانيَها .

- **النوع الأولُ**: المجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعَلاقة بينهما .

وهو اثنا عشر نوعًا :

[١-] التشبيه .

[٢-] والاستعارة .

[٣-] والزيادة .

[٤-] والنقصان .

[٥-] وتسمية المجاور باسم مجاوره .

[٦-] والمُلابس باسم مُلابسه .

[٧-] وإطلاق اسم الكلِّ على البعض .

[٨-] وعكسه .

[٩-] وتسمية السبب باسم المسبَّب .

[١٠-] وعكسه .

[١١-] والتسمية باعتبار ما يستقبل .

[١٢-] والتسمية باعتبار ما مضى؛ وفي هذا خلافٌ، هل هو حقيقة أو مجاز؟ .

واتَّفق أكثر[1] أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فُصَحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منَعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

- **النوع الثاني:** الكناية، وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريحٍ.

- **الثالث:** الالتفات، وهو على ستة أنواع:

[١، ٢-] خروجٌ من التكلُّم إلى الخطاب، أو الغَيبةِ.

[٣، ٤-] وخروج من الخطاب إلى التكلم، أو الغَيبة.

[٥، ٦-] وخروج من الغَيبة إلى التكلم، أو الخطاب.

- **الرابع:** التَّجريد، وهو: ذِكْر شيءٍ بعد اندراجه في لفظ عام متقدمٍ.

والقصد بالتجريد: تعظيم المجرَّدِ ذكرُه، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

- **الخامس:** الاعتراض، وهو إدراج كلامٍ بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبَر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخالُه في أثناء كلامٍ متصل.

والقصد به: تأكيد الكلام الذي أُدرِج فيه.

- **السادس:** التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى،

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

ثم إن الاتفاق قد يكون:

في الحروف والصيغة.

أو في الحروف خاصةً.

أو في أكثر الحروف لا في جميعها.

أو في الخطِّ لا في اللفظ، وهو تجنيس التصحيف.

- **السابع**: المطابقة[(١)]، وهي ذكر الأشياء المتضادَّة؛ كالسواد والبياض، والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك.

- **الثامن**: المقابلة، وهي أن تَجمع بين شيئين فصاعدًا، ثم تقابلَها بأشياءَ أُخَرَ.

- **التاسع**: المشاكلة، وهي أن تَذْكر الشيء بلفظِ غيره، لوقوعِه في صحبته.

- **العاشر**: التَّرديد، وهو ردُّ أول الكلام على آخره، ويسمَّى في الشعر: رد العَجُز على الصَّدْر.

- **الحادي عشر**: لزومُ ما لا يلزم، وهو أن تلتزم قبل حرف الرويِّ حرفًا آخر، وكذلك[(٢)] عند رؤوس الآيات.

- **الثاني عشر**: القلب، وهو أن يكون الكلام يصحُّ[(٣)] ابتداءُ قراءتِه من

---

(١) في ب: «الطباق».

(٢) في ب، د: «وذلك».

(٣) في أ: «تصح»، وفي ب: «يصلح».

أوله وآخره، نحو: دعد، أو تُعكَس كلماتُه فيقدَّم المؤخر منها ويؤخَّر المقدم.

- **الثالثُ عشرَ**: التقسيم، وهو أن تقسِّم المذكورَ إلى أنواعه، أو[١] أجزائه.

- **الرابعُ عشر**: التَّتميم، وهو أن تزيد في الكلام ما يوضِّحه أو يؤكده، وإن كان مستقِلًا دون هذه الزيادة.

- **الخامسُ عشر**: التَّكرار، وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر،

فتُكرِّرُ الكلمةَ على وجه: التعظيم، أو التهويل، أو لمدْح المذكور، أو ذمِّه، أو للبيان.

- **السادسُ عشر**: التهكُّم، وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاءً بالمخاطَب، أو بالمخبَر عنه، كذِكْر البِشارة في موضع النِّذارة.

- **السابعُ عشر**: اللفُّ والنشر، وهو أن تَلُفَّ في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلِّقاتٍ بها[٢].

وفيه طريقتان:

[١-] أن تبدأ في ذكر المتعلَّقات بالأول.

[٢-] وأن تبدأ بالآخِر.

---

(١) في أ، د: «و».

(٢) في أ: «متعلقاتها»، وفي الهامش: «خ: متعلقات بها».

- **الثامنُ عشر**: الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبرٍ واحد، وفي وصفٍ واحد، وشبه ذلك.

- **التاسعُ عشر**: التَّرصيع، وهو أن تكون الألفاظ في آخِر الكلام مستويةَ الوزن، أو متقاربةً مع الألفاظ التي في أوله.

- **الموفِّي عشرين**: التَّسجيع، وهو أن تكون كلماتُ الآية على رويِّ حرفٍ واحد.

- **الحادي والعشرون**: الاستطراد، وهو أن تتطرَّقَ من كلامٍ إلى كلام آخَرَ بوجهٍ يصلُ ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النَّسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنَّما قصد المدح.

- **الثاني والعشرون**: المبالغة.

وقد تكون بصيغة الكلمة، نحو: صيغة فعَّال ومِفعال.

وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف.

فإن اشتدَّت المبالغة فهي غلوٌّ وإغراق، وذلك مستكرَهٌ عند أهل هذا الشأن.



﴿الباب الحادي عشر﴾

في إعجاز القرآن وإقامة الدليل

على أنه من عند الله ﷿

★ **ويدلُّ على ذلك عشرةُ وجوه:**

- **الأول**: فصاحتُه التي امتاز بها عن كلام[١] المخلوقين.

- **الثاني**: نظمُه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.

- **الثالث**: عجزُ الخلق في زمان نزوله وبعدَ ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.

- **الرابع**: ما أخبر فيه مِن أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلَّمَ ذلك ولا قرأه في كتاب.

- **الخامس**: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبَلة؛ فوقعت على حسَب ما قال.

- **السادس**: ما فيه من التعريف بالباري ﷻ، وذكرِ صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوةِ الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة

---

(١) في د: «عن غيره من كلام..».

البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردِّ على أصناف الكفار، وذلك كلُّه يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحيٍ من العليم الخبير، ولا يشكُّ عاقل في صدق من عرَف الله تلك المعرفة وعظَّم جلالَه ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

- **السابع**: ما شرع فيه من الأحكام، وبين(١) من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غايةُ الحكمة وثمرة العلوم.

- **الثامن**: كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

- **التاسع**: تيسيره للحفظ؛ وذلك معلومٌ بالمعايَنة.

- **العاشر**: كونه لا يملّه قارئه ولا سامعه على كثرة التَّرداد، بخلاف سائر الكلام.



(١) في أ زيادة: «فيه».

﴿الباب الثاني عشر﴾

في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

- فمن ذلك: [١]عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٢].

- وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»[٣].

- وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُترُجَّة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مرٌّ»[٤].

- وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن

---

(١) في د زيادة: «ما ورد».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧) واللفظ له.

فلهو أشدُّ تفصِّيًا من صدور الرجال من النَّعَم بعُقُلِها»[١].

- وعن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٢].

- وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»[٣].

- وعن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، قال هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملَكٌ فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتَهما لم يؤتهما نبيٌّ قبْلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيتَه»[٤].

- وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاهُ»[٥].

- وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا البقرة؛ فإنَّ أخْذَها بركةٌ، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البَطَلة»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧)

(٣) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٦) سبق تخريجه، وهو جزء من حديث أبي أمامة أول حديث أورده المؤلف في هذا الباب.

- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفِرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»(١).

- وعن أبيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر!، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر!، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري وقال: ليَهْنِكَ العلمُ يا أبا المنذر»(٢).

- وعن النواس بن سمعانَ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآنِ يومَ القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتها(٣) بعدُ، قال: «كأنَّهما غمامتان، أو ظُلَّتان سَوداوان بينَهما شَرْقٌ(٤)، أو كأنَّهما فِرْقَان من طيرٍ صَوافَّ تُحاجَّان عن صاحبهما»(٥).

- وعن أبي الدرداءِ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِم من الدَّجَّال»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠).
(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).
(٣) في ب، ج، د، هـ: «ما نسيتهما»، وفي الرواية في مسلم: «ما نسيتهنّ».
(٤) أي: ضوء، وهو الشمس. انظر: النهاية لابن الأثير (٥/٢١٣٨).
(٥) أخرجه مسلم (٨٠٥).
(٦) أخرجه مسلم (٨٠٩).

- وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «سورةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِل ثلثَ القرآن»[١].

- وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أُنزلت عليَّ لم يُرَ مثلُهنَّ قطُّ؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٢].

(١) أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤).

﴿ المقدمة الثانية ﴾

في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدِّمة الكلماتِ التي يكثر دَورُها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

★ **وإنَّما جمعناها[١] في هذا الباب لثلاثِ فوائدَ:**

- **إحداها**: تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرِّقةً، فجَمْعُها أسهل لحفظها.

- **والثانية**: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جُمعت فيها الأصولُ المطَّردة والكثيرة الدَّور.

- **والثالثة**: الاختصار، فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن؛ خوفَ التطويل بتَكرارها.

وربما نبَّهنا على بعضها؛ للحاجة إلى ذلك.

ورتَّبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسيرَ كلمة في موضعها من القرآن فلينظرْها في هذا الباب.

---

(١) في ب، ج، د: «جعلناها».

واعتبرنا في هذه الحروف الحرفَ الذي يكون فاءَ الكلمة وهو الأصليُّ، دون الحروف الزوائدِ في أول الكلمات[١].



(١) ثمة تشابهٌ، إلى حدٍّ كبير، في شرح الكلمات الغريبة وتَعداد معانيها بين مادة الغريب لابن جزيٍّ هنا وبين «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، وهما متعاصران، ومن بلدة واحدة، وكلاهما من تلاميذ أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي، ومقارنةٌ سريعة بين غريب ابن جزيٍّ وغريب أبي حيّان في باب واحدٍ توصل إلى هذه النتيجة، بَيْدَ أن ابن جزي اقتصر -في المقدمة- على شرح الكلمات الغريبة التي تكررت في القرآن مرتين فأكثر، وأما أبو حيان فشرح كلَّ كلمة غريبة ولو جاءت في القرآن في موضع واحد، فلعلَّهما استمدَّا مادَّتهما في كتابيهما من كتابٍ واحد رجعَا إليه جميعًا!.

﴿حرف الهمزة﴾(١)

١- آية: لها معنيان:

أحدهما: عِبرة وبرهان.

والثاني: آيةٌ من القرآن، وهي كلام متَّصل إلى الفاصلة، والفواصل: هي رؤوس الآيات.

٢- أَتى بقصر الهمزة: معناه: جاءَ، ومضارعه: يأتي، ومصدره: إتيانٌ، واسم الفاعل منه: آتٍ، واسم المفعول منه: مأتيٌّ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

---

(١) يَلحظ المطالع لهذه المقدمة في اللغات أن ترتيب حروف الهجاء فيها يختلف عما هو سائدٌ ومألوف عند المشارقة، وذلك لأن المؤلف رحمه الله اتبع طريقة أهل جهته المغاربة في ترتيب حروف الهجاء، فالمغاربة والمشارقة يتَّحدون في ترتيب الحروف الهجائية المفردة إلى حرف الزاي ثم بعد ذلك يحصل خلاف بينهم في ترتيب بقيَّة الحروف، يقول القلقشندي في «صبح الأعشى» (٣/ ٢٢): «واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفردٍ ومُزدوجٍ، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كلٍّ من النوعين خلافٌ في الترتيب، أما المفرد: فأهل الشَّرق يرتِّبونه على هذا الترتيب:
أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، لا، ي.
وأما أهل الغرب فإنهم يرتِّبونه على هذا الترتيب:
أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي».

٣- وآتى بمد الهمزة: معناه: أعطى، ومضارعه: يؤتي، ومصدره: إيتاءٌ، واسم الفاعل: مؤتٍ؛ ومنه: ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

٤- أبى يأبَى: أي: امتنعَ.

٥- أَثَرُ الشيءِ: بقيَّته وأمارته، وجمعه: آثارٌ.

والأثَر -أيضًا-: الحديث.

و﴿أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]: بقيّةٍ.

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩]: حرثوها.

وآثَرَ الرجلُ الشيءَ يُؤثِره: أي: فضَّله.

٦- إثمٌ: ذنبٌ؛ ومنه: ﴿ءَاثِمٌ﴾ و﴿أَثِيمٍ﴾ أي: مذنبٌ.

٧- أجْرٌ: ثوابٌ.

وبمعنى: الأُجرةِ؛ ومنه: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]، و﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ [القصص: ٢٧].

وأمَّا: ﴿ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦] ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] و﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] = فذلك كلُّه من الجِوار؛ بمعنى: التَّأمين.

٨- آمَن إيمانًا أي: صدَّق.

والإيمان في اللغة: التصديق مطلقًا.

وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والمؤمن في الشرع: المصدق بهذه الأمور.

والمؤمن اسم الله تعالى:

أي: المصدِّق لنفسه.

وقيل: إنه من الأَمْن، أي: يؤَمِّن أولياءَه مِن عذابِه(١).

٩- وأَمِن -بقصر الهمزة وكسر الميم- أَمْنًا وأَمَنَةً: ضدُّ الخوف.

وأَمِن -أيضًا-: من الأمانة.

وأمَّن غيرَه: من التأمين.

١٠- أليم: مؤلِمٌ أي: موجِعٌ؛ ومنه: ﴿تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله رحمه الله: «الإيمان في اللغة: التصديق مطلقًا»، أقول: هذا هو المشهور عند اللغويين وجمهور المفسرين، وهذا التفسير للإيمان أشهر ما احتج به المرجئة القائلون بأن الإيمان هو التصديق، يعنون به تصديق القلب، والقول بأن الإيمان هو التصديق مطلقا، يقتضي أن كلَّ تصديقٍ إيمانٌ، وخالف في ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله فقال: الإيمان في اللغة تصديق خاص، وهو التصديق فيما يؤتمن عليه المخبِر؛ كالإخبار عن الأمور الغائبة، فلا يقال لمن صدَّق مخبِرا عن طلوع الشمس: آمَن له، بل صدَّقه؛ لأن طلوع الشمس من الأمور الحسية الظاهرة.
وقوله: «والإيمان في الشرع: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»، أقول: نعم هذا هو الإيمان في الشرع بمعناه الخاص المتعلق بالاعتقاد، ويطلق الإيمان في الشرع إطلاقا عاما يشمل جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، يدل لذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبه، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وفي الحديث رد على المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان. وعلى ذلك فيكون الإيمان بمعناه العام اسمًا لكل ما شرعه الله من الاعتقادات والأعمال والأقوال، ولذا قال أهل السنة: الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

١١- إمام: له أربعة معان:

[١] القدوة.

[٢] والكتاب.

[٣] والطريق.

[٤] وجمع «آمّ» أي: تابع؛ وهو: ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

١٢- أُمَّة: لها أربعة معان:

[١] الجماعة من الناس.

[٢] والدِّين.

[٣] والحين.

[٤] والإمام؛ أي: القدوة.

١٣- أُمِّيٌّ: لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وصف العرب بالأُمِّيين.

١٤- أُمٌّ: لها معنيان:

[١] الوالدة.

[٢] والأصل.

وأم القرى: مكة.

١٥- أُخرى: مؤنثةُ: آخَر، وآخِر.

١٦- آل: له معنيان:

[١] الأهل؛ ومنه: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٦١].

[٢] والأتباع والجنود؛ ومنه: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠].

١٧- أمس: اليومُ الذي قَبل يومِك.

والزمانُ الماضي.

١٨- إِنَاهُ: وقتُه، وجمعه: آناءٌ؛ ومنه: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩].

١٩- أمْرٌ: له معنيان:

أحدهما: طلب الفعل على الوجوب، أو الندب، أو الإباحة.

وقد تأتي صيغة الأمر لغير الطَّلب، كالتهديد، والتعجيز، والتعجُّب، والخبر.

والثاني: بمعنى الشأن والصفة.

وقد يراد به العذاب؛ ومنه: ﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٥٨].

٢٠- إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وهو والد الأسباط، واليهودُ من ذريَّتهم.

٢١- إيابٌ: رجوعٌ؛ ومنه: ﴿مَـَٔابٍ﴾ أي: مرجعٍ.

و«رجلٌ أوّابٌ»: كثيرُ الرجوع إلى الله.

والتأويب: التسبيح؛ ومنه: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ [سبأ: ١٠].

٢٢- إِفْكٌ: أشدُّ الكذب، والأفّاك: الكذَّاب.

وأُفِكَ الرجلُ عن الشيء: أي: صُرِف عنه؛ ومنه ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

٢٣- أوى الرجلُ إلى الموضع -بالقصر-.

وآواه غيرُه -بالمدِّ-؛ ومنه: ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩].

٢٤- أُفٍّ: كلمة شرٍّ.

٢٥- آلاءُ اللهِ: نِعَمُه؛ ومنه: ﴿ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ [الرحمن: ١٣].

٢٦- أسِف: له معنيان:

[١] الحُزْن.

[٢] والغضب؛ ومنه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥].

٢٧- إسوة -بكسر الهمزة وضمها-: قُدوة.

٢٨- أَسِيَ الرجلُ يأسَى أسًا: أي: حَزِن؛ ومنه: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ [المائدة: ٢٦] و﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ [الأعراف: ٩٣].

٢٩- أذانٌ -بالقصر-: إعلامٌ بالشيء؛ ومنه الأذان بالصلاة.

والآذانُ -بالمد-: جمع أُذُنٍ.

٣٠- أذِنَ اللهُ: يأتي بمعنى: العلم، والأمر، والإرادة، والإباحة.

وأَذِنتُ بالشيء: عَلِمت(١) به -بكسر الذال-.

وآذنت به غيري -بالمد-.

٣١- إِصْرٌ: له معنيان:

[١] الثِّقَلُ.

---

(١) في ب، د: «أعلمتُ».

[٢] والعَهدُ.

٣٢- أَيْدٌ: قوةٌ؛ ومنه: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [البقرة: ٨٧] و﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

والأيدي: جمع يدٍ، فهمزتها زائدة.

٣٣- أُكلٌ -بضم الهمزة-: اسم المأكول، ويجوز فيه ضمُّ الكاف وإسكانُها.

والأَكْلُ -بفتح الهمزة-: المصدر.

٣٤- أيكة: غَيضَةٌ.

٣٥- أثاثٌ: متاع البيت.

٣٦- أُجاجٌ: مُرٌّ.

٣٧- أرائك: أَسِرَّةٌ، واحدها: أريكة.

٣٨- آنية: له معنيان:

[١] جمعُ إناءٍ؛ ومنه: ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

[٢] وشديدةُ الحرِّ؛ ومنه: ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥].

ووزن الأول: أفعِلةٌ، والثاني: فاعلةٌ، ومذكّرُها: آنٍ؛ ومنه: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

٣٩- أحدٌ: له معنيان:

[١] واحدٌ؛ ومنه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

[٢] واسمُ نفيٍ، بمعنى: إنسان.

٤٠- أيَّانَ: معناه: متى.

٤١- أنّى: بمعنى: كيف، ومتى، وأين.

٤٢- إنَّ المكسورة المشدَّدة: للتأكيد.

والمفتوحة المشددة: مصدرية.

٤٣- إنَّما: للحصر.

٤٤- إنْ المكسورة المخففة: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] ونافية.

[٣] وزائدة.

[٤] ومخففة من الثقيلة.

٤٥- أنْ المفتوحة المخففة: أربعة أنواع:

[١] مصدرية.

[٢] وزائدة.

[٣] ومخففة من الثقيلة.

[٤] وعبارةٌ عن القول.

٤٦- إذَا: نوعان:

[١] ظرفُ زمان مستقبلٍ، ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط.

[٢] وفُجائيةٌ.

٤٧- إذْ: لها معنيان:

[١] ظرفُ زمان ماضٍ.

[٢] وسببيةٌ للتعليل.

٤٨- أو:

[أ-] العاطفةُ: لها خمسة معان:

[١] الشكُّ.

[٢] والإبهام.

[٣] والتخيير.

[٤] والإباحة.

[٥] والتنويع[١].

[ب-] والناصبةُ للفعل: بمعنى: «إلى أنْ»، أو: «إلّا أنْ»، أو: «كي».

٤٩- أَمْ: استفهامٌ، وقد يكون فيها معنى[٢] الإنكار، أو الإضراب.

وتكون:

متصلةً؛ للمعادَلة بين ما قبلها وما بعدها.

ومنفصلةً مما قبلها.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب: «وقد يكون بمعنى».

٥٠- إمَّا المكسورة المشددة: للتنويع، والشك، والتخيير.

وقد تكون مركَّبةً مِن «إنْ» الشرطية و«ما» الزائدة.

٥١- أمَّا المفتوحة المشددة: للتقسيم، والتفصيل.

٥٢- ألَا المفتوحة المخففة: للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعَرْض، والتمني.

٥٣- إلَّا المكسورة المشددة: استثناءٌ.

وتكون للإيجاب بعد غير الواجب.

وتكون مركبةً مِن «إنْ» الشرطية و«لا» النافية.

٥٤- أيٌّ المشددة: سبعة أنواع:

[١] شرطيةٌ.

[٢] واستفهامية.

[٣] وموصولة.

[٤] ومنادًى.

[٥] وصفةٌ.

[٦] وظرفية إذا أُضيفت إلى ظرف.

[٧] ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر.

٥٥- إيْ المكسورة المخففة: معناها: التَّصديق.

٥٦- إلى: معناها: انتهاء الغاية.

وقد[١] تكون بمعنى «مع».

٥٧- الهمزة: للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ، والنِّداء، والتسوية، وللمتكلم، وأصليةٌ، وزائدةٌ؛ للبناء.



(١) في أ، ب: «وقيل».

﴿حرف الباء﴾

٥٨- بارئٌ: خالقٌ، ومنه: ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] أي: الخلق.

٥٩- بَعْثٌ: له معنيان:

[١] بعْثُ الرسل.

[٢] وبعث الموتى من القبور.

٦٠- بسَط اللهُ الرزقَ: وسَّعه، وضده: قبَض وقدَر الرزقَ أي: ضيَّقه.

ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط.

و﴿بَسْطَةً﴾: زيادةً.

٦١- بَشرَ: مِن البِشارة، وهي: الإعلام بالخير قبل وروده.

وقد تكون للشرِّ إذا ذُكِر معها.

ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه: المبشِّر والبَشير.

واستبشَر بالشيء: فرح به.

٦٢- بُعْدٌ: له معنيان:

[١] ضد القُرْب، والفعل منه: بَعُدَ -بضم العين-.

[٢] والهلاك، والفعل منه: بكسرها، ومنه: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥].

٦٣- بلاءٌ: له معنيان:

[١] العذاب.

[٢] والاختبار، ومنه: ﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ [البقرة: ١٢٤] و﴿وَنَبْلُوكُم﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٦٤- بِرٌّ: له معنيان:

[١] الكرامة، ومنه: بر الوالدين، و﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

[٢] والتَّقوى والجمع لخصال الخير، ومنه: ﴿ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩].

ورجل بارٌّ وبَرٌّ، وجمعه[١]: أبرار.

والبَرُّ: من أسماء الله تعالى.

٦٥- بات: معروفٌ، ومصدره بَياتٌ.

وبيَّت الأمرَ: دبَّره بالليل.

٦٦- بغتةً: فجْأةً.

٦٧- بُروج: جمع بُرْج، وهو الحِصن.

وبروج السماء: منازل الشمس والقمر.

---

(١) في ب، ج، هـ: «والجمع».

٦٨- بَيْنَ: ظرفٌ.

وبين يديِ الشيء: ما تقدَّم قبله.

والبَينُ: الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

٦٩- بيِّناتٌ: براهين من المعجزات وغيرها.

ومبيِّنة: مِن البيان.

٧٠- مُبِين[(١)]: مِن البيان، وله معنيان:

[١] بيِّنٌ غير متعدي.

[٢] ومبيِّنٌ لغيره.

٧١- بدا يبدو -بغير همز-: ظهَر، وأبديته: أظهرتُه.

والبادي -أيضًا-: من البادية، ومنه: ﴿بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠]

٧٢- بدأ -بالهمز-: من الابتداء، ويقال: بدأ اللهُ[(٢)] الخلقَ، وأبدأه. وقد جاء القرآنُ بالوجهين.

٧٣- بغَى: له معنيان:

[١] العدوان على الناس.

[٢] والحسد.

والبِغاء -بكسر الباء-: الزِّنا، ومنه: امرأةٌ بغيٌّ أي: زانية.

---

(١) في هـ: «بيِّن».

(٢) اسم الله لم يرد في ب، ج، د، هـ.

وابتغى الشيءَ وبغَاه: أي: طلبه.

٧٤- بثَّ الحديثَ وغيرَه: نشَره.

و﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]: المنتشر.

و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]: متفرقة.

والبثُّ: الحُزْن الشديد؛ ومنه: ﴿أَشْكُواْ بَثِّى﴾ [يوسف: ٨٦].

٧٥- بوَّأَ: أنزل الرجلَ منزلًا؛ ومنه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤] و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، و﴿مُبَوَّأَ﴾ [يونس: ٩٣].

٧٦- بوارٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] أي: هَلْكى.

٧٧- باء بالشيءِ: رجع به.

وقد يقال بمعنى: اعترف.

٧٨- بأساء: الفقر.

والبؤس: الشدة والمحنة.

و﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]: مِن البؤس.

والبَأس: القتال، والشجاعة، والمكروه.

وبأس الله: عذابُه.

وبِئسَ: كلمة ذمٍّ.

٧٩- برزخ: شيءٌ بين شيئين.

والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.

٨٠- بديع: له معنيان:

[١] جميل.

[٢] ومبدِعٌ أي: خالقُ الشيءِ ابتداءً.

٨١- بسَر: عبس، ومنه: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤].

٨٢- بصير: مِن البصر، يقال: أبصرتُه، وبَصُرتُ به[١].

والبصائر: البراهين، جمع بَصيرةٍ.

٨٣- برَز: ظهر؛ ومنه: ﴿بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، و﴿بَـٰرِزُونَ﴾ [غافر: ١٦].

٨٤- بطْش: أخذٌ بشدَّةٍ.

٨٥- بخْسٌ: نقْص.

٨٦- بعْلٌ: له معنيان:

[١] زوج المرأة، وجمعه: بُعولةٌ.

[٢] والبعل - أيضًا -: الربُّ، وقيل: اسم صنم؛ ومنه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥].

٨٧- بهجة: حُسْن، وبهيج: حسَنٌ.

٨٨- مبلسون: جمع مبلِس، وهو: اليائسُ.

---

(١) في ج، هـ: «بصرته، وأبصرت به».

وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته.

وقيل: الحزين النادم؛ ومنه: ﴿يُبْلِسُ﴾ [الروم: ١٢].

ومنه اشتقَّ: إبليس.

٨٩- بُهِت: انقطعت حجته.

٩٠- تباركَ: مِن البركة، وهي الكثرة والنماء.

وقيل: تقدَّس.

٩١- بلى: جوابٌ يقتضي إثباتَ الشيء.

٩٢- بلْ: معناها: الإضرابُ عمَّا قبلها.

٩٣- الباء: للإلصاق، ولنَقْلِ الفعل في التعدِّي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفيةٌ، وزائدةٌ.

﴿ حرف التاء ﴾

٩٤- تلَا يتلو: له معنيان:

[١] قرأ.

[٢] وتَبع.

٩٥- تقوى: مصدرٌ مشتقٌّ من الوِقاية، فالتاء بدل من واو.

ومعناه: الخوفُ، والتزامُ طاعة الله، وتركُ معاصيه؛ فهو جماع كلِّ خير.

٩٦- تاب يتوب: رجع، توبةً وتوبًا؛ فهو تائب.

وتوَّاب: كثير التوبة.

وتوَّاب: اسم الله تعالى أي: كثير التوبة على عباده.

وتاب الله على العبد:

ألهمه للتوبة(١).

أو قَبِل توبته.

٩٧- تبابٌ: خسران، وتبَّ: خسِر.

٩٨- تبارٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الأعراف: ١٣٩].

---

(١) في د: «التوبة».

٩٩- أترفوا: نُعِّموا، والمترَفون: المنَعَّمون[١] في الدنيا.



(١) في د: «المتنعمون».

﴿ حرف الثاء ﴾

١٠٠- ثمود: قبيلةٌ من العرب الأقدمين.

١٠١- ثوَى في الموضع: أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوَى﴾.

١٠٢- ثُبورٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، و﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلاكاه[1].

١٠٣- ثمر: ما يؤكل مما تُنبِت[2] الأرض.

ويقال بالفتح والضم.

١٠٤- ثُقِفوا: أخذوا، وظُفِر بهم؛ ومنه: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧].

١٠٥- ثاقب: مضيءٌ.

١٠٦- ثمَّ:

[أ-] **بالفتح**: ظرف.

[ب-] **وبالضم**: حرف عطف يقتضي الترتيبَ والمهلة.

وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيبِ الإخبار.

(١) في ب، ج، د، هـ: «هلاكا».

(٢) في ب، ج، هـ: «تنبته».

﴿ حرف الجيم ﴾

١٠٧- جعَل: لها أربعة معانٍ:

[١] صيَّر.

[٢] وألقَى.

[٣] وخلَق.

[٤] وأنشأ يفعل كذا.

١٠٨- جَناحُ الطائرِ: معروف.

وجَناح الإنسان: إبطُه، ومنه: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

و﴿لَّا جُنَاحَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]: لا إثم؛ فمعناه: إباحةٌ.

وجَنَح للشيءِ: مال إليه.

١٠٩- لا جرَمَ: لا بُدَّ.

١١٠- اجتبى: اختار.

١١١- جدال: مخالفة، ومخاصمة، واحتجاج.

١١٢- تجأرون: تَصيحون بالدعاء.

١١٣- جَواري: جمع جارية، وهي السفينة.

١١٤- أجرم فهو مُجرمٌ له معنيان:

[١] الكفر.

[٢] والعصيان.

١١٥- جِنٌّ: الجنون.

وقد جاء بمعنى الملائكة.

١١٦- جانٌّ: له معنيان:

[١] الجنون[1].

[٢] والحيَّة الصغيرة.

١١٧- جنَّةٌ: بالفتح: البستان.

وبالكسر: الجنون.

وبالضم: التُّرس وما أشبهه مما يُستَتر به؛ ومنه استعير: ﴿أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦].

(١) تفسير هذه الكلمة والكلمة التي قبلها -وهي «جنٌّ»- بالجنون مشكلٌ، ولم أقف بعد البحث على مَن فسَّرها بذلك، فلعله وهمٌ أو سبق قلم، ولعل صواب تفسير هاتين الكلمتين: أنهم الجنُّ المعروفون المخلوقون من النار، قال المؤلف في تفسير آية «الرحمن»: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾... : «الجانُّ: الجنُّ، يعني: إبليس والد الجن»، وجاء في «تحفة الأريب» لأبي حيان الأندلسي (ص: ٩٠): «جانٌّ: واحد الجن، وجنسٌ من الحيَّات»، وانظر تفسير المؤلف لآية «الكهف»: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ وآية «النمل»: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

١١٨- جاثية: أي: على رُكَبهم؛ لا يستطيعون القيام؛ مما هم فيه.

وقوله: ﴿جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]: جمع جاثٍ.

١١٩- الجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها.

١٢٠- جاثمين: باركين على ركبهم.

١٢١- جبَّار: اسم الله تعالى له معنيان:

[١] قهار.

[٢] ومتكبر.

وقد يكون من الجبْر للكَسير وشبهه.

والجبَّار -أيضًا-: الظالم.

١٢٢- أجداث: قبور.

١٢٣- جزَى: له معنيان:

[١] مِن الجزاء بالخير والشر.

[٢] وبمعنى أغنى؛ ومنه: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وأما أجزأ بالهمز فمعناه: كفَى.

١٢٤- جَرَح: له معنيان:

[١] من الجُروح.

[٢] وبمعنى: الكسْب والعمل؛ ومنه: ﴿جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، و﴿ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

ولذلك سُمِّيت كلاب الصيد: جوارحَ؛ لأنها كواسبُ لأهلِها.

١٢٥- جُنُب: له معنيان:

[١] من الجنابة.

[٢] وبمعنى: البُعْد؛ ومنه: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١].



﴿ حرف الحاء ﴾

١٢٦- حمدٌ: هو الثَّناء، سواء كان جزاءً على نعمةٍ، أو ابتداءً، والشُّكر إنما يكون جزاءً؛ فالحمد من هذا الوجه أعمُّ.

والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان؛ فالشكر من هذا الوجه أعمُّ.

وحميدٌ: اسم الله تعالى، أي: محمودٌ.

١٢٧- حكمة: عقل[1]، أو علم.

وقيل في: ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]: هي السنة.

١٢٨- حكيم: اسم الله تعالى، مِن:

الحكمة.

أو من الحُكم بين العباد.

أو من إحكام الأمور وإتقانها.

١٢٩- حليم: الحلم: العقل.

وقد يقال بمعنى: العفو.

(١) في د: «كمال».

والأحلام: العقول.

والحليم: من أسماء الله تعالى:

قيل: الذي لا يعجِّل بالعقوبة على من عصاه.

وقيل: معناه العفو عن الذنوب.

وأحلام النوم: ما يُرى في المنام.

١٣٠- حبِط: بطَل، وأحبطه الله: أبطله.

١٣١- حنيف: مسلم وموحِّد لله.

وقيل: حاجٌّ.

وقيل: مختتِنٌ.

وجمعه: حنفاء.

١٣٢- محصِنين ومحصَنات: الإحصان له أربع معان:

[١] الإسلام.

[٢] والحرية.

[٣] والعفاف.

[٤] والتزوُّج.

و﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]: يقِيَكم.

١٣٣- حُجَّة -بالضم-: دليل وبرهان.

وحاجَّ فلانٌ فلانًا: جادله، وحجَّهُ: غلبه بالحُجة.

والحجُّ - بالفتح والكسر -: القصد؛ ومنه أخذ: ﴿حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وحِجَّة -بالكسر-: سَنةٌ، وجمعها: حِجَج.

١٣٤- حِطَّة: أي: حُطَّ عنا ذنوبَنا.

وقيل: هي كلمة بالعِبرانية تفسيرها: «لا إله إلا الله».

١٣٥- حضر: بالضاد: من الحضور؛ ومنه: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦]، و﴿شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

وبالظاء: من المنع؛ ومنه: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، و﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١].

وبالذال: من الحذر وهو الخوف؛ ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

١٣٦- حِفْظُ العلمِ: وَعْيُه، وحِفظُ الشيء: حراستُه.

والحفيظ: اسم الله تعالى:

قيل: معناه العليم.

وقيل: حافظُ الخلق، أي: كالِئُهم من المهالك.

١٣٧- حاق بهم: حلَّ بهم.

١٣٨- حبلٌ من الله ومن الناس: أي: عهدٌ.

وحبل الله: القرآن.

وأصله: الحبل المعروف.

١٣٩- حسِب -بكسر السين-: ظنَّ، ومضارعه: بالفتح والكسر.

وحسَب -بالفتح-: مِن العدد، ومضارعه: يحسُب بالضم؛ ومنه: الحساب، والحُسبان.

و﴿حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠] أي: مَرام، واحدها: حُسبانةٌ.

١٤٠- حساب: مِن الظنِّ، ومِن العدد.

و﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل:

الوجهين.

وأن يكون: مِن المحاسبة، أي: لا يحاسب عليه.

ومن التقدير، أي: بغير تضييق.

و﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] أي: كافيًا.

١٤١- حسيب: اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال:

[١] كافٍ.

[٢] وعالمٌ.

[٣] وقادرٌ.

[٤] ومحاسِبٌ.

١٤٢- حَسبُك الله: أي: كافِيك.

١٤٣- حُزْنٌ: تأسُّفٌ على ماض أو حال.

والخوف: توقُّعٌ في المستقبل.

ويقال: حزِن بكسر الزاي، وحزَنه غيرُه بفتحها، وأَحزنه -أيضًا-.

١٤٤- حصيرٌ: مُحبَس؛ من الحصْر.

وأُحصِر عن الشيء: حُبس عنه.

وحسير -بالسين-: كَلِيلٌ.

١٤٥- حصيد: هو ما يحصد من الزرع وغيره.

واستعير منه: ﴿قَآبِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠] أي: باقٍ وذاهبٌ.

١٤٦- حميم: له معنيان:

[١] الصديق(١).

[٢] والماء الحار.

١٤٧- محيص: مهرَب.

١٤٨- حِجْر: له أربعة معان:

[١] الحرام.

[٢] والعقل.

[٣] ومنازل ثمود.

---

(١) في ج، د: «الصديد».

[٤] وحجر الكعبة.

١٤٩- حِمْلٌ -بكسر الحاء-: ما على ظهر الدابة وغيرها.

ويستعار للذنوب.

وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أَحمال.

١٥٠- إحسان: له ثلاثة معان:

[١] فعل الحسنات.

[٢] والإنعام على الناس.

[٣] ومراقبةُ الله تعالى المشارُ إليها في قوله ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»(١).

١٥١- حقٌّ: له أربعة معان:

[١] الصدق.

[٢] والعدل في الحكم.

[٣] والشيء الثابت.

[٤] والأمر الواجب.

والحق: اسم الله تعالى، أي: الواجبُ الوجود(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٨) في ضمن حديث جبريل الطويل.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «أي واجب الوجود»، أقول: هذا من معنى اسمه تعالى الحق، ويدخل في معنى هذا الاسم (الحق) أنه الموصوف بكل كمال، المنزه =

١٥٢- حاصبٌ: ريح شديدة، سُمِّيت بذلك؛ لأنها ترمِي بالحصباء أي: الحصى.

والحاصب -أيضًا-: الحجارة.

١٥٣- حِلْية: حَلْيٌ.

١٥٤- حرجٌ: ضِيق، أو مشقة.

١٥٥- حولٌ: له معنيان:

[١] العام.

[٢] والحِيلة.

و﴿حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] - بكسر الحاء -: انتقالًا.

١٥٦- حرْثُ الأرضِ: مصدر، ثم استعمل بمعنى: الأرض، والزرع، والجنات.

١٥٧- حسَّ -بغير ألف-: قتَل؛ ومنه: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وأحسَّ: مِن الحِسِّ.

١٥٨- حُرُم -بضمتين-: محرمون بالحج.

= عن كل نقص، وأنه الإله الحق، رب كل شيء ومليكه، فيدخل في معنى هذا الاسم جميع أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ويجوز إطلاق واجب الوجود على الله تعالى خبرا، لا اسما، فهو تعالى واجب الوجود، أي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، وليس ذلك من الأسماء الحسنى التي يدعى بها».

١٥٩- حُقُب -بضمتين- وأحقابٌ: جمع حِقْبٍ؛ وهو مدَّةٌ من الدهر، يقال: إنها ثمانون سنة.

١٦٠- حف الشيءُ بالشيءِ: أطاف[1] به من جوانبه، ومنه: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢] و﴿الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

١٦١- حلَّ بالمكان: يَحلُّ -بالضم والكسر-.

وحلَّ من إحرامه: يَحِلُّ -بالكسر[2] لا غير-.

١٦٢- حطامٌ: فُتاتٌ.

والحطام: ما تحطَّم من عِيدان الزرع اليابس.



(١) في د: «أحاط».

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

﴿ حرف الخاء ﴾

١٦٣- خلَق: له معنيان:

[١] من الخِلقة؛ ومنه: الخالق اسم الله، والخلّاق.

[٢] وخلَق الرجلُ: كذَب؛ ومنه: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] و﴿اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٧] أي: كذبٌ.

١٦٤- خلَاق: نصيب.

١٦٥- خير: ضد الشرِّ، وله أربعة معان:

[١] العمل الصالح.

[٢] والمال.

[٣] والخِيَرة.

[٤] والتفضيل بين شيئين.

١٦٦- خلَا: له معنيان:

[١] من الخَلْوة.

[٢] وبمعنى: ذهَب وتقدَّم؛ ومنه: ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

١٦٧- خطيئة: ذنبٌ، وجمعه: خطايا وخطيآت، والفعل منه: خَطِئَ، فهو خاطئٌ.

وأما الخطأ بغير عمد؛ فالفعل منه: أخطأ.

١٦٨- خاسئين: مطرودين؛ من قولك: خَسَأْتُ الكلبَ، ومنه: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

١٦٩- خلفٌ -بفتح الخاء وإسكان اللام- له معنيان:

[١] وراءَ.

[٢] ومَن خلَف سلفَه بشرٍّ.

فإذا خلَفه بخيرٍ قيل بفتح اللام.

١٧٠- خِلاف: له معنيان:

[١] من المخالفة.

[٢] وبمعنى: بَعْدَ أو دُون؛ ومنه: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

١٧١- خَوَّل: أعطى.

١٧٢- خُلَّةٌ -بضم الخاء-: مودَّةٌ؛ ومنه: الخليل، وجمعه: أَخِلَّاء.

١٧٣- خِلال: له معنيان:

[١] وِدادٌ؛ ومنه: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

[٢] وبمعنى: بَيْنَ؛ ومنه: ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] و﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

١٧٤- خرَّ يخِرُّ: سقط على وجهه.

١٧٥- خامدين: ميّتين[1] هالكين، وأصله: من خمود النار.

١٧٦- خَطْبٌ: خبرٌ.

والخطْب -أيضًا-: الأمر العظيم.

وخِطبة النساء: بالكسر.

وخُطبة الخطيب: بالضم.

١٧٧- خرَّاصون: كذَّابون؛ ومنه: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

والخَرْص -أيضًا-: التقدير؛ وقيل: إنّ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ منه؛ أي: يقولون بالظن من غير تحقيق.

١٧٨- خَبالٌ: شرٌّ.

١٧٩- خوَّان: كثير الخيانة.

١٨٠- مختال: من الخيلاء.

١٨١- ختَّار: غدَّار؛ مِن: خَتْرِ العهدِ.

١٨٢- مخمصةٌ: مِن الخَمص؛ وهو الجوع.

١٨٣- أخدان: جمع خِدْنٍ؛ وهو الخليل.

١٨٤- خراجٌ وخَرْجٌ: أي: أُجرة، أو عطيَّةٌ.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

﴿ حرف الدال ﴾

١٨٥- دين: له خمسة معان:

[١] الملَّة.

[٢] والعادة.

[٣] والجزاء.

[٤] والحساب.

[٥] والقهر.

١٨٦- أدنَى: له معنيان:

[١] أقربُ؛ فهو من الدنوّ.

[٢] وأقلُّ؛ فهو من الدنيءِ الحقير.

١٨٧- دأبٌ: له معنيان:

[١] عادةٌ.

[٢] وجِدٌّ وملازمة؛ ومنه: ﴿سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ [يوسف: ٤٧] أي: متتابعةً للزراعة؛ من قولك: دأَبتُ على الشيء: دمت عليه.

١٨٨- دار السلام: الجنة.

١٨٩- دوائر: صروف الدهر، واحدها: دائرةٌ؛ ومنه: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨].

١٩٠- دعاء: له خمسة معان:

[١] الطلب من الله.

[٢] والعبادة؛ ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦].

[٣] والتمني: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

[٤] والنداء؛ ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣].

[٥] والدعوة إلى الشيء؛ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٩١- دابَّة: كل ما يَدِبُّ، فتعمُّ(١) جميع الحيوان.

١٩٢- دحورٌ: إبعادٌ؛ ومنه: المدحور: المطرود.

١٩٣- دعَّ -بتشديد العين- يدُعُّ أي: دفع بعنف؛ ومنه: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، و﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

١٩٤- درأَ: دفع؛ ومنه: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ [الرعد: ٢٢].

١٩٥- مدرارًا: مِن: درَّ المطر: إذا صَبَّ.

١٩٦- داخرين: صاغرين.

١٩٧- دُكَّت الأرض: أي(٢): دُقَّت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: مستويًا مع الأرض.

---

(١) في ب، ج، هـ: «فيَجمع».

(٢) في أ: «إذا».

﴿ حرف الذال ﴾

١٩٨- ذِكْرٌ: له أربعة معان:

[١] ضد النسيان.

[٢] والذكر باللسان.

[٣] والقرآنُ؛ ومنه: ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

[٤] والشَّرف.

و﴿مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]: مفتَعِلٌ من الذِّكر.

١٩٩- ذنوب: بضم الذال: جمع ذَنْب.

وبالفتح: النَّصيب؛ ومنه: ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] أي: نصيبًا من العذاب.

والذَّنوب -أيضًا-: الدَّلْو.

٢٠٠- ذِبْحٌ: بكسر الذال: المذبوح.

وبالفتح: المصدر.

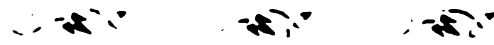
٢٠١- ذرأ: خلق ونشَر.

٢٠٢- ذَلولٌ: مُذلَّلةٌ للعمل؛ من الذِّل -بكسر الذال-؛ ومنه: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [يس: ٧٢].

ورجل ذليلٌ: من الذُّل -بالضم-.

و﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ [الإنسان: ١٤]: أُدنيت[1].

٢٠٣- أذقان: جمع ذَقَنٍ.



(١) في ج، هـ: «أي: دنيت».

﴿ حرف الراء ﴾

٢٠٤- رَبٌّ: له أربعة معان:

[١] الإله.

[٢] والسيد.

[٣] والمالك للشيء.

[٤] والمصلح للأمر.

٢٠٥- ريبٌ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿ٱرْتَابُوٓا۟﴾ [النور: ٥٠]، و﴿مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

و﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: حوادث الدهر.

٢٠٦- رجَعَ: يستعمل متعدِّيًا بمعنى: ردَّ.

وغيرَ متعدٍّ.

والمرجع: اسم مصدر، أو زمانٍ، أو مكان؛ من الرجوع.

٢٠٧- رعَى: له معنيان:

[١] من النظر.

[٢] ومن رعْيِ الغنم.

٢٠٨- رُوحٌ: له أربعة معان:

[١] النفْس التي بها الحياة؛ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

[٢] والوحي؛ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: ٢].

[٣] وجبريل؛ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].

[٤] وملَكٌ عظيم؛ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤].

ورَوْحٌ -بفتح الراء-: رائحة طيبة.

والرَّيحان: الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

٢٠٩- رُكامٌ: بعضه فوق بعض؛ ومنه: ﴿مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]، و﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٢١٠- رجا: طمِع.

وقد يستعمل في الخوف؛ ﴿يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧].

٢١١- رجالٌ: جمع رجل.

وجمع راجلٍ أي: غير راكب؛ ومنه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧]، ومثله: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

٢١٢- رفَثٌ: له معنيان:

[١] الجماع.

[٢] والكلام بهذا المعنى.

٢١٣- رجزٌ: عذابٌ، إلَّا[1]: ﴿وَالرِّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]؛ فهي الأوثان.

والرِّجْس -بالسين-: النجَس؛ حقيقةً، أو مجازًا.

وقد يستعمل بمعنى العذاب.

٢١٤- رَهْبٌ: خوفٌ؛ ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

٢١٥- رؤوفٌ: من الرَّأفة، وهي الرحمة.

إلَّا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعمُّ من الرأفة.

٢١٦- مرضاةٌ: مَفْعَلة من الرِّضا.

٢١٧- راسياتٌ: ثابتات؛ ومنه قيل للجبال: رواسي، ومنه: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثبوتها.

٢١٨- رغَدًا: كثيرًا.

٢١٩- ربوةٌ: مكان مرتفع.

٢٢٠- ربا: هو في اللغة: الزيادة؛ ومنه: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وربت الأرض: انتفخت.

٢٢١- أرحام: جمع رَحِمٍ؛ وهو فرج المرأة.

ويستعمل -أيضًا- في القرابة.

٢٢٢- أَرْجِه: أخِّرْهُ؛ ومنه: ﴿تُرْجِى﴾ [الأحزاب: ٥١] و﴿مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦].

---

(١) في د: «رجز: له معنيان: عذاب، والرجز..».

ويجوز فيه: الهمز، وتركُه.

٢٢٣- رأى[١]: من رؤية العين[٢]: يتعدَّى إلى واحد.

ومن رؤية القلب -بمعنى العلم-: يتعدى إلى مفعولَين.

٢٢٤- تربَّصَ: انتظرَ.

٢٢٥- رفاتٌ: فُتات.

٢٢٦- أرذل العمر: الهرم.

و﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]: من الرُّذَالة.

٢٢٧- رَقَى: من الرُّقية بفتح القاف؛ ومنه: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [القيامة: ٢٧].

ورقِيَ في السُّلَّم: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٢٨- أرداكم: أهلككم، والردَى: الهلاك؛ ومنه: ﴿لَتُرۡدِينِ﴾[الصافات: ٥٦] و﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١].

٢٢٩- رجفةٌ: زلزلةٌ وشدَّة[٣].

---

(١) في هـ: «أراني».

(٢) في د: «البصر».

(٣) في ب: «شديدة».

﴿ حرف الزاي ﴾

٢٣٠- زُبُرٌ -بضمتين-: كُتبٌ.

والزَّبُور: كتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢٣١- زُخرفٌ: زينةٌ.

والزخرف -أيضًا-: الذهب.

٢٣٢- زكاة: له في اللغة معنيان: الزيادة، والطهارة.

ثم استعمله الشرع في إعطاء المال؛ وهو من:

الزيادة؛ لأنه يبارَك له فيه فيزيد.

أو من الطهارة؛ لأنه يطهِّره من الذنوب.

وزكَّيت الرجل: أثنيت عليه.

وزكَا هو - مخففة -: أي صار زاكيًا[١].

٢٣٣- زوج: له ثلاثة معان:

[١] الرجل.

---

(١) في د: «زكيًا».

[٢] والمرأة؛ وقد يقال فيها: زوجة.

[٣] وبمعنى: الصنف والنوع؛ ومنه: ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

٢٣٤- زلَّ: له معنيان:

[١] زلَلُ القدم عن الموضع.

[٢] وفعل الزَّلل.

٢٣٥- زاغ عن الشيء زَيغًا: مال عنه، وأزاغه غيرُه: أماله.

٢٣٦- زُلفَى: قربى، و﴿أُزْلِفَتِ﴾: قُرِّبت.

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]: ساعاتٍ.

٢٣٧- زعَم: أي: ادَّعى ولم يوافقه غيره.

قال ابن عباس: زعَم: كنايةٌ عن كذب[١].

٢٣٨- زعيمٌ: ضامن.

٢٣٩- يُزجِي: يَسوق.

٢٤٠- زَلزلة الأرضِ: اهتزازها.

وتستعمل بمعنى: الشدَّة والخوف؛ ومنه: ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤].

---

(١) هذا من قول من ابن عمر ﷺ، وليس من قول ابن عباس ﷺ، أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٢٣/ ٩) إلى ابن عمر ﷺ قال: «زعم: كُنْيَة الكذب».

٢٤١- زجرةٌ واحدة: صيحةٌ، يعني: نفخةَ الصور.

والزجرة: الصيحة بشدةٍ وانتهار.

و﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]: من الزَّجْرِ.



﴿ حرف الطاء ﴾

٢٤٢- طبَع: ختَم، والخاتم: الطابع.

٢٤٣- طَوْلٌ -بفتح الطاء-: فَضْلٌ، أو غِنَى.

٢٤٤- طائر: له معنيان:

[١] من الطَّيَران.

[٢] ومن الطِّيَرة.

٢٤٥- طُوى: قيل: اسم للوادي.

وقيل: معناه: مرتين، أي: قُدِّس الوادي مرتين.

٢٤٦- طهارة: له معنيان:

[١] الطهارة بالماء؛ ومنه: ﴿جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]، والماء الطهور؛ وهو المطهِّر.

[٢] والطهارة من القبائح والرذائل؛ ومنه: ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]

٢٤٧- طيِّبٌ: له معنيان:

[١] اللذيذ(١).

(١) في ج، د: «الدين».

[٢] والحلال.

٢٤٨- طُوفان: سيل عظيم.

٢٤٩- طاغوت: أصنام وشياطين، ويكون مفردًا وجمعًا.

والطاغوت -أيضًا-: رئيس النصارى -على قولٍ-.

٢٥٠- طِباق: بعضها على بعض.

و﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]: حالًا بعد حال.

٢٥١- طُورٌ -بالضم-[١]: الجبل، وهو الطَّود.

٢٥٢- طَفِقَ يفعلُ كذا: أي: جعل يفعله.

٢٥٣- طائفين: من الطواف[٢].

و﴿طَيْفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: لَمَمٌ، و﴿طَٰٓئِفٌ﴾: فاعل منه.



(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «طائفتين: من الطوائف».

﴿ حرف الظاء ﴾

٢٥٤- ظهَر الأمرُ: بدا، وأظهره غيرُه: أبداه.

٢٥٥- ظهيرٌ: معين.

٢٥٦- ظاهر الرجلُ من امرأته، وتظاهر وتظهَّر أي: قال لها: «أنتِ عليَّ كظهر أمي»، وهو الظِّهار.

٢٥٧- ظَهْرُ البيتِ: أعلاه.

وظهَرتُه أي: ارتفعتُ عليه؛ ومنه: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

٢٥٨- ظلمٌ: يقع في القرآن على ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والمعاصي.

[٣] وظلم الناس أي: التعدِّي عليهم.

٢٥٩- ظنَّ: له ثلاثة معان:

[١] التَّحقيق.

[٢] وغلَبةُ أحدِ الاعتقادين.

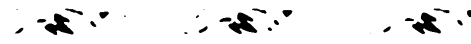
[٣] والتُّهَمَةُ.

٢٦٠- ظمَأٌ: عطشٌ.

٢٦١- ظِلال: جمع ظِلٍّ.

وظُلَل -بالضم-: جمع ظُلَّة؛ وهي ما كان من فوق.

٢٦٢- ظَلَّ بالنهار: بمنزلة بات بالليل.



﴿ حرف الكاف ﴾

٢٦٣- كافر: له معنيان:

[١] من الكفر؛ وهو الجحود.

[٢] وبمعنى: الزرع[1]؛ ومنه: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: الزُّرَّاعَ.

وتكفير الذنوب: غفرانُها.

٢٦٤- كافَّةً: جميعًا.

٢٦٥- كرَّة: رجعة.

٢٦٦- كَبِرَ -بكسر الباء-: من السنِّ، يَكبَرُ -بالفتح- في المضارع.

وكَبُرَ الأمرُ -بالضم- في الماضي والمضارع.

وكُبَرُ -بضم الكاف وفتح الباء-: جمع كبرى.

وكُبَّار -بالضم والتشديد-: كبيرٌ، مبالغةٌ.

والكِبْرُ: التكبُّر.

وكبْرُ الشيءِ -بكسر الكاف وضمها-: معظمُه.

---

(١) في د: «الزارع».

والكبرياء: المُلك والعظمة.

والمتكبِّر: اسم الله تعالى، من الكبرياء بمعنى[1]: العظمة.

٢٦٧- كَفِلَ: يَكفُل أي: ضمَّ الصبي وحضَنه.

و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٣]: اجعلني كافِلَها.

٢٦٨- كِفْلٌ: نصيبٌ.

٢٦٩- كلالةٌ: هي أن يموت الرجل ولا ولدَ له ولا والدَ.

٢٧٠- كاد: قارب الأمر ولم يفعلْه.

فإذا نُفِي اقتضَى الإثبات.

٢٧١- كريمٌ: من الكرم، وهو الحسَب والجلالة والفضل.

وكريم: اسم الله تعالى؛ أي: محسنٌ.

٢٧٢- أكنَّةٌ: أَغطِيةٌ.

وأكنان: جمع كِنٍّ؛ وهو ما وقَى من الحر والبرد.

٢٧٣- كهلٌ: هو الذي انتهى شبابه.

٢٧٤- أكمام: جمع كِمٍّ؛ وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

٢٧٥- أكبَّ الرجلُ على وجهه؛ فهو مُكِبٌّ، وكَبَّه غيرُه: بغير ألف.

٢٧٦- كهف: غار.

---

(١) في ب، ج، هـ: «وبمعنى».

٢٧٧- كيدٌ: هو من المخلوق: احتيالٌ.

وهو من[١] الله: مشيئةُ أمرٍ يَنزل[٢] بالعبد من حيث لا يشعر.

٢٧٨- كِسفًا بفتح السين: جمع كِسْفةٍ؛ وهي القطعة من الشيء.

وبالسكون: كذلك، أو مفرد.

٢٧٩- كُبتوا: أي: أُهلكوا، و﴿يَكْبِتَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧]: يُهلكَهم، أو يخزيَهم[٣].

٢٨٠- أَكْمَهُ: هو الذي وُلد أعمى.

٢٨١- كان: على نوعين:

[١] تامَّة؛ بمعنى حضر، أو حدث، أو وقع، وهي ترفع الفاعل.

[٢] وناقصة؛ وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبَر عنه في زمانها.

وقد تأتي بمعنى الدَّوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزلْ ولا يزالُ موصوفًا بذلك الوصف.

٢٨٢- كأنَّ: معناها التشبيه.

٢٨٣- كي: معناها التعليل.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «ومن».

(٢) في د: «يقع».

(٣) في د: «يخرجهم».

٢٨٤- كمْ: معناها التكثير، وهي خبرية، واستفهامية.

٢٨٥- كأيِّنْ: بمعنى: كم.

وهي عند سيبويه: كافُ التشبيه دخلت على أيٍّ.

٢٨٦- كلَّا: حرف ردعٍ وزجر.

وقيل: إنها تكون للنفي، أي: ليس الأمر كما ظننتَ.

وقيل: إنها استفتاح كلام بمعنى ألَا.

٢٨٧- الكاف: بمعنى التشبيه، وبمعنى التعليل.

وقيل: إنها تكون زائدة.



﴿ حرف اللام ﴾

٢٨٨- لبَسَ الأمرَ: أي: خلَطه، بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل.

ولبِسَ الثوبَ: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٨٩- ألبابٌ: عقول؛ وهو جمع لُبٍّ.

٢٩٠- لبِثَ في المكان: أقام فيه.

٢٩١- لمَز يلمز: أي: عاب الشيء.

٢٩٢- لؤلؤٌ: جوهر.

٢٩٣- لغْوُ الكلامِ: الباطلُ منه، والفحش(١).

ولغو اليمين: ما لا يَلزم.

٢٩٤- لهَا -بفتح الهاء-: من اللَّهو، ومضارعه: يَلهو.

ولَهِيَ عن الشيء - بالكسر والياء - يَلهَى - بالفتح -: إذا أعرض عنه.

وألْهاه الشيءُ: إذا أشغله؛ ومنه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

٢٩٥- لطيفٌ: اسم الله تعالى؛ قيل: معناه رفيق.

---

(١) في د: «ومنه الفحش».

وقيل: خبير بخفيَّات الأمور.

٢٩٦- لدى ولدن: معناهما عندَ.

٢٩٧- ليت: معناها التمني.

٢٩٨- لعلَّ: معناها الترجِّي في المحبوبات، والتوقُّع للمكروهات.

وأشكل ذلك في حق الله تعالى؛ فقيل: جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب، وبالنظر إلى المخاطَب، أي: ذلك مما يُرتجى عندكم، أو[1] يُتوقَّع.

وقد يكون معناها: التعليل[2]، أو مقاربة الأمر؛ فلا إشكال.

٢٩٩- لو: لها معنيان:

[١] التمني.

[٢] وامتناعُ شيءٍ لامتناع غيره.

٣٠٠- لولا: لها معنيان:

[١] العرض، مثل: لَوْمَا.

[٢] وامتناع شيءٍ لوجود غيره.

٣٠١- لمَّا: لها معنيان:

[١] النفي، وهي الجازمة.

---

(١) في ب، ج، هـ: «أي».

(٢) في د: «التقليل».

[٢] ووجود شيء لوجود غيره.

وأما لمَا -بالتخفيف-: فهي لام التأكيد دخلت على «ما».

وقال الكوفيون: هي بمعنى «إلّا» الموجِبة بعد النفي.

٣٠٢- لا: ثلاثة أنواع:

[١] نافية.

[٢] وناهية.

[٣] وزائدة.

٣٠٣- اللام: خمسة أنواع:

[١] لام الجرّ.

[٢] ولام كي.

[٣] ولام الجحود.

[٤] ولام الأمر.

[٥] ولام التأكيد في القسم وغيره؛ وهي المفتوحة.

ثم إن لام الجرّ لها ثلاثة معان: المِلك، والاستحقاق، والتعليل.

وقد تأتي للتعدي إذا ضعُفَ العامل.

وقد تأتي بمعنى «عندَ»؛ نحو: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، و﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ولام كي معناها: السببيَّة، والتعليل.

وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة؛ نحو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨].

وقد تأتي بمعنى «أنْ» المصدرية؛ ومنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

﴿ حرف الميم ﴾

٣٠٤- مرضُ الجسد: معروف.

ومرض القلب: الشكُّ في الإيمان، والبُغضة في الدين.

٣٠٥- المَنُّ: شبه العسل.

وقيل: خبزُ[1] النَّقِيِّ.

والسلوى: طائر.

والمنُّ -أيضًا-: الإنعام.

والمنُّ -أيضًا-: ذِكْرُ العطيَّة.

والمنُّ -أيضًا-: القطع؛ ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

٣٠٦- أمانيُّ: جمع أمنيَّةٍ، ولها ثلاثة معان:

[١] ما تتمنَّاه النفس.

[٢] والتلاوة.

[٣] والكذب.

---

(١) في د: «الخبز».

وكذلك تمنَّى؛ له هذه المعاني الثلاثة.

٣٠٧- ملأُ القومِ: أشرافُهم، وذَوو الرأي منهم.

٣٠٨- مَثَلٌ -بفتح الميم والثاء- له أربعة معان:

[١] الشبيه والنظير.

[٢] ومِن المثَل المضروب؛ وأصله من التشبيه.

[٣] ومثَل الشيء: حالُه وصفته.

[٤] والمثَل: الكلام الذي يُتمثَّل به.

ومِثْل الشيء -بكسر الميم-: شِبْهه.

٣٠٩- مِريةٌ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] أي: الشاكِّين.

و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ [الكهف: ٢٢] مِن المِراء؛ وهو الجدال.

٣١٠- أملَى لهم: أمهَلهم وزادهم.

٣١١- مهاد: فراش.

٣١٢- مدَّ يمُدُّ: أي: أملى.

وقد تكون بمعنى: زاد؛ مثل: أمدَّ بالألف من المَدَد(١).

٣١٣- مُضغةٌ: قطعة لحم.

٣١٤- إملاقٌ: فقر.

---

(١) في ب، د: «المداد».

٣١٥- مَريد ومارد: من العُتوِّ والضلال.

٣١٦- مكانةٌ: بمعنى: مكان.

أو: من التمكين[1] والعزِّ؛ ومنه: ﴿مَكِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

٣١٧- مَواخرُ: فواعل من المَخْرِ؛ يقال: مَخَرَت السفينةُ: إذا جرَت تشقُّ الماء.

٣١٨- مَجيدٌ: من المجد؛ وهو الكرم والشرف.

٣١٩- مقْتٌ: هو الذم، أو البغض على فعل القبيح.

٣٢٠- مَعينٌ: ماءٌ جارٍ كثيرٌ؛ وهو من قولك: معَن الماء أي: كثر.

وقيل: هو مشتق من العين، ووزنه: مفعول؛ فالميم زائدة.

٣٢١- مَريج: مختلِط.

والمارج: لهب النار؛ من قولك: مرج الشيء: إذا اضطرب.

وقيل: من الاختلاط؛ أي: خُلط نوعان من النار.

٣٢٢- مرج البحرين: أي: خلَّى بينهما.

وقيل: خلَطهما.

وقيل: أفاض أحدَهما في الآخر.

٣٢٣- مُهْلٌ: فيه قولان:

---

(١) في د: «التمكُّن».

دُرْدِيُّ الزيت[١].

وما أُذيب من النحاس.

٣٢٤- مَنون: له معنيان:

[١] الموت.

[٢] والدهر.

٣٢٥- مس: له معنيان:

[١] اللمس باليد وغيره.

[٢] والجنون.

٣٢٦- مَن: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] ونكرة موصوفة.

٣٢٧- ما:

[أ-] إذا كانت اسمًا فلها ستة أنواع:

[١] شرطية.

---

(١) هو ما يبقى في أسفله. «لسان العرب» مادة (درد).

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] وموصوفة.

[٥] وصفة.

[٦] وتعجبية.

[ب-] وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع:

[١] نافية.

[٢] ومصدرية.

[٣] وزائدة.

[٤] وكافَّة.

[٥] ومهيِّئة[1].

٣٢٨- مِن: لها ستة أنواع:

[١] لابتداء الغاية.

[٢] ولجملة الغاية.

[٣] وللتبعيض.

---

(١) أي: تهيئ «إن» وأخواتها للدخول على الجمل. انظر: «أوضح المسالك» لابن هشام (١/ ٣١٠).

[٤] ولبيان الجنس.

[٥] وللتعليل.

[٦] وزائدة.

٣٢٩- مهما: اسم شرط.



﴿ حرف النون ﴾

٣٣٠- نظَرَ: له معنيان:

[١] من النَّظَر.

[٢] ومن الانتظار.

فإذا كان من الانتظار: تعدَّى بغير حرف.

ومِن نظر العين: يتعدى بـ «إلى».

ومِن نظر القلب: يتعدى بـ «في».

٣٣١- أنظَر -بالألف-: أخَّر؛ ومنه: ﴿أَنظِرْنِي﴾ [الأعراف: ١٤]، و﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، و﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

٣٣٢- نَضْرةٌ -بالضاد-: من التنعُّم؛ ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢] أي: ناعمة.

وأما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]: فهو من[١] النظر.

٣٣٣- نعمة: بفتح النون: من النَّعيم.

وبكسرها: من الإِنعام.

---

(١) في ب، ج، هـ: «فمن».

٣٣٤- أَنعام: هي الإبل والبقر والغنم، دون سائر البهائم. ويجوز تذكيرها وتأنيثها.

ويقال لها -أيضا-: نَعَمٌ.

٣٣٥- نِعْمَ: كلمة مدح، ويجوز فيها: كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.

٣٣٦- نَعَمْ -بفتح النون والعين-: كلمة تصديق وموافَقة على ما قبلها من نفي أو إثبات.

بخلاف «بلى»؛ فإنها للإثبات خاصة.

ويجوز في «نعم»: فتح العين وكسرها.

٣٣٧- نِدٌّ: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه: أندادٌ.

٣٣٨- أنذَر: أعلَمَ بالمكروه قبل وقوعه؛ ومنه: ﴿نَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، و﴿مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]، و﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧] أي: إنذاري؛ فهو مصدر؛ ومنه: ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦].

ونَذَر النَّذْرَ: بغير ألف؛ ومنه: ﴿نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، و﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

٣٣٩- نَكالٌ: له معنيان:

[١] العقوبة.

[٢] والعبرة.

٣٤٠- نجَّى -بتشديد الجيم-: له معنيان:

[١] من النجَاة.

[٢] ومن النجْوة؛ وهو الموضع المرتفع؛ ومنه: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] على قول.

٣٤١- نجوى: معناه: كلامٌ خفي؛ ومنه: ناجى، و﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وقيل: إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧].

وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوى.

٣٤٢- نسيان: له معنيان:

[١] الذُّهول؛ ومنه: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

[٢] والتَّرك؛ ومنه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

٣٤٣- نسخٌ: له معنيان:

[١] الكتابة؛ ومنه: ﴿نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

[٢] والإزالة؛ ومنه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦].

٣٤٤- نصرٌ -بالصاد المهملة-: معروف.

وبالسين: اسم صنم(١)؛ ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

---

(١) في د زيادة: «ومنه».

واسم طائر -أيضًا-.

٣٤٥- نشور: خروج الناس من القبور، يقال: أَنشرهم الله فنَشَرُوا.

و﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًا﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ لأنها تنشر السحاب.

٣٤٦- نشوز -بالزاي-: له معنيان:

[١] شرٌّ بين الرجل والمرأة.

[٢] وارتفاعٌ؛ ومنه: ﴿ٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١] أي: قوموا من المكان.

٣٤٧- نُزُلٌ -بضمتين-: رِزقٌ؛ وهو ما يطعم الضيف.

٣٤٨- نأى: أي: بعُدَ؛ ومنه: ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ [الأنعام: ٢٦].

٣٤٩- نكَص: رجع إلى وراء.

٣٥٠- نفَر نُفورًا عن الشيء: ينفُر -بضم المضارع-؛ ومنه: نفرت الدابة.

ونفَر ينفِر -بكسر المضارع- نفيرًا: أي: أسرع وجدَّ؛ ومنه: ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨].

٣٥١- نبأٌ: خبر؛ ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترْكُ الهمز تخفيفٌ.

وقيل: إنه -عند من ترك الهمز- مشتقٌّ من النَّبْوَة؛ وهي الارتفاع.

٣٥٢- نطفةٌ: أي نقطةٌ من ماء؛ ومنه: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [فاطر: ١١] يعني: من المنيِّ.

٣٥٣- أناب إلى الشيء: رجع ومال إليه؛ ومنه: ﴿مُّنِيبٞ﴾ [هود: ٧٥].

٣٥٤- نفِد ينفَد: أي: تمَّ وانقطع.

٣٥٥- نهرٌ -بفتح الهاء-: الوادي، ويجوز الإسكان.

وأمَّا ﴿ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]: فهو من الانتهار؛ وهو الزَّجر.

٣٥٦- منيرٌ: من النور؛ وهو الضوءُ حسًّا أو معنًى.

٣٥٧- نصبٌ: بضمتين، وبضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد: بمعنًى واحدٍ؛ وهو حجَر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: أنصاب.

٣٥٨- نَصَبٌ -بفتحتين-: تعبٌ، و﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ [ص: ٤١] أي: بلاءٍ وشرٍّ.

٣٥٩- نقَم الشيءَ ينقِمه: أي: كرهه وعابه.

٣٦٠- نضيدٌ: منضودٌ بعضه إلى بعض.

٣٦١- نَكيرِي: إنكاري[١]، ويقال: نكَر الشيء وأنكره: بمعنًى[٢].

٣٦٢- يَنسِلون: من النَّسَلان؛ وهو الإسراع في المشي مع قرب الخُطا.

(١) في أ، د: «نكير: إنكار».

(٢) في د زيادة: «واحدٍ».

﴿ حرف الصاد ﴾

٣٦٣- صراطٌ: هو في اللغة: الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى: الطريقة الدينية.

وأصله السين، ثم قلبت صادًا؛ لحرف الإطباق بعدها.

وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

٣٦٤- صلاة: إذا كانت من الله: فمعناها رحمة.

وإذا كانت من المخلوق: فلها معنيان:

[١] الدعاء.

[٢] والأفعال المعلومة.

٣٦٥- صومٌ: أصله في اللغة: الإمساك مطلقًا.

ثم استعمل شرعًا في: الإمساك عن الطعام والشراب(١).

وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]؛ لأنه إمساكٌ عن الكلام.

---

(١) في هامش ب: «والجماع».

٣٦٦- صدَقة: ينطلق[1] على: الزكاة الواجبة، وعلى التطوع؛ ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بالتشديد؛ أي: المتصدِّقين [الحديد: ١٨].

وأما: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢] بالتخفيف: فهو من التصديق.

٣٦٧- صدُقة - بضم الدال -: صداق المرأة؛ ومنه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤].

٣٦٨- الصدق: في القول: ضد الكذب.

والصدق في الفعل: حُسْن النية فيه.

والصدق في القصد: العزم الصادق.

٣٦٩- صعِد يصعَد أي: ارتفع.

وأصعد - بالألف - يُصعِد - بالضم - أي: أبعد في الهروب؛ ومنه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣٧٠- صعيدًا طيبًا: أي: ترابًا.

والصعيد: وجه الأرض.

٣٧١- صدَّ: له معنيان:

[١] فالمتعدِّي: بمعنى: منع غيرَه من شيءٍ، ومصدره: صَدٌّ، ومضارعه بالضم.

[٢] وغيره: بمعنى: أعرض، ومصدره: صدودٌ.

---

(١) في د: «تطلق».

٣٧٢- صار: له معنيان:

[١] من الانتقال؛ ومنه: ﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾.

[٢] وبمعنى: ضَمَّ، ومضارعه: يَصور؛ ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٣٧٣- صاعقة: لها ثلاثة معان:

[١] الموت.

[٢] وكلُّ بلاءٍ يصيب.

[٣] وقطعة نارٍ تنزل مع شدة الرعد والمطر.

وجمعها: صواعق.

٣٧٤- أصَرَّ على الذنب يُصِرُّ إصرارًا: دام عليه، ولم يتبْ منه.

٣٧٥- صُواعُ: مِكيالٌ؛ وهو السقاية والصاع.

وسُواع -بالسين-: اسم صنم.

٣٧٦- صابين[1]: قوم يعبدون الملائكة ويقولون: إنها بنات الله.

وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب.

وفيه لغتان:

الهمز.

---

(١) كذا رسمت كلمة «صابئين» في النسخ الخطية بغير همزٍ؛ اتباعًا لقراءة نافع.

وتركُه؛ مِن: صَبا إلى الشيء: إذا مال إليه.

٣٧٧- تصطَلون: تَفتعِلون؛ مِن: صَلِيَ بالنار[١]: إذا تسخَّن بها، والطاء بدل من التاء.

٣٧٨- اصطفى: أي: اختار، وأصله: من الصَّفا؛ أي: اتخذه صفيًّا.

٣٧٩- صَغارٌ -بفتح الصاد-: ذِلَّةٌ؛ ومنه: ﴿صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

والصغير: ضد الكبير.

٣٨٠- صدَف عن الشيء يَصدِف: أعرض عنه.

٣٨١- صَريخٌ: مُغيث؛ ومنه: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣٨٢- صلصال: طين يابس.

فإذا مسَّته النار: فهو فخَّار.

٣٨٣- صرْحٌ: قصر.

وهو -أيضًا-: البناء العالي.



(١) في د: «النارَ».

﴿ حرف الضاد ﴾

٣٨٤- ضرب: له أربعة معان:

[١] مِن الضرْب باليد وشبهه.

[٢] ومن ضرب الأمثال.

[٣] ومن السفر؛ ومنه: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١].

[٤] ومن الالتزام؛ ومنه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢] أي: أُلزِموها.

و﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] أي: ألقينا عليهم النوم.

و﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ [الزخرف: ٥] أي: نُمسك عنكم التذكير.

٣٨٥- ضاعف الشيءَ: كثَّره، ويجوز فيه التشديد.

وضِعف الشيء -بكسر الضاد-: مِثلاه، وقيل: مِثْله.

والضِّعف -أيضًا-: العذاب.

والضُّعف بالضم: يجوز[١] فيه الفتح.

---

(١) في ب، د: «ويجوز».

٣٨٦- ضرٌّ -بفتح الضاد وضمها-: بمعنى واحد.

وكذلك الضير -بالياء-؛ ومنه: ﴿لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والضرَّاء: ما يصيب من المرض وشبهه.

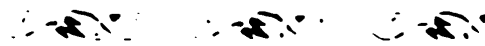
٣٨٧- ضحى: أول النهار، والفعل منه: أضحى.

وأما ضَحِيَ -بكسر الحاء- يَضحَى في المضارع فمعناه: برَز للشمس، وأصابه حرُّها؛ ومنه: ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩].

٣٨٨- ضيفٌ: يقال للواحد، والاثنين، والجماعة.

٣٨٩- ضِيق -بكسر الضاد-: مصدر.

وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيفٌ من ضَيِّق المشدد؛ كمَيِّت ومَيْت.



﴿ حرف العين ﴾

٣٩٠- عاذ بالله يعوذ: أي: استجار به، ولجأ إليه؛ ليدفع عنه ما يخاف.

ويقال -أيضًا-: استعاذ يَستعيذ.

ومنه: ﴿عُذْتُ بِرَبِّى﴾ [غافر: ٢٧]، و﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

٣٩١- العالمين: جمع عالم؛ وهو عند المتكلمين: كلُّ موجود سوى الله تعالى.

وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة؛ لجمعه جمع العقلاء.

وقيل: الإنس خاصةً؛ لقوله: ﴿ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

٣٩٢- يعمهون: يتحيَّرون في ضلالهم، والعَمَهُ: الحيرة.

٣٩٣- عدَل يعدِل عدْلًا: ضدُّ جَارَ.

وعدَل عن الحق عُدولًا.

وعدَلتُ فلانًا بفلان: سوَّيتُ بينهما؛ ومنه: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

والعدل له ثلاثة معان:

[١] ضد الجور.

[٢] والفدية؛ ومنها: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، و﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ [الأنعام: ٧٠].

[٣] ومِثلُ الشيء؛ ومنه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥].

٣٩٤- عزيز: اسم الله تعالى، معناه: الغالب.

وعزَّ: غلَب؛ ومنه: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي: غلبني.

والغلبة ترجع إلى: القوة، والقدرة؛ ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] أي: قوَّينا.

وقيل: العزيز: العديم المثل.

٣٩٥- عفا: له أربعة معان:

[١] عفا عن الذنب؛ أي: صفح عنه.

[٢] وعفا: أسقط حقَّه؛ ومنه: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

[٣] وعفا القوم: كثروا؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٥].

[٤] وعفا المنزل: درس.

٣٩٦- عفوٌ: له ثلاثة معان:

[١] الصفح عن الذنب.

[٢] والإسقاط.

[٣] والسهل من غير كلفة؛ ومنه: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٣٩٧- عَينٌ: له في القرآن معنيان:

[١] العين المبصرة.

[٢] وعين الماء.

وله في غير القرآن معانٍ كثيرةٌ.

٣٩٨- عِينٌ -بكسر العين-: واسعاتُ العيون؛ وهو جمع عَيناءَ.

٣٩٩- عنَتٌ: معناه الهلاك، أو المشقة؛ ومنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] أي: لأهلككم، أو ضيَّق عليكم.

والعنَت - أيضًا -: الزنا؛ ومنه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

وأما: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ [طه: ١١١] فليس من هذا؛ لأن لامَه واوٌ، فهو من: عنا يعنو: إذا خضع.

٤٠٠- عاقب: له معنيان:

[١] من العقوبة على الذنب.

[٢] ومن العُقبَى؛ ومنه: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة: ١١] أي: أصبتم عقبى.

٤٠١- أعجاز نخل: أصولها.

٤٠٢- أعجز[١] الشيءُ: إذا فات ولم يُقدَر عليه؛ ومنه: ﴿وَمَا هُم

(١) في د: «أعجزه».

بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]، و﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤].

وأما ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] -بالألف- فمعناه: مسابقين.

٤٠٣- عال يَعيل عَيلةً: أي: افتقر؛ ومنه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ [الضحى: ٨].

وعال يعول: عدل عن الحق.

وعال يعول -أيضًا-: كثر عياله؛ والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال[1] بالألف.

٤٠٤- عرَج يَعرُج -بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع-: صعِد وارتقى؛ ومنه: ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣].

وعرِج -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع-: صار أعرج.

٤٠٥- عُتبَى: معناه: الرِّضا؛ ومنه: ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]، و﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

والعتاب: العذل.

٤٠٦- أعدَّ -بالألف-: يسَّر الشيءَ وهيأَه.

وعدَّ -بغير ألف-: من العَدد.

٤٠٧- عرشٌ: سرير المَلِك؛ ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] و﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢].

وعرش الله: فوق السماوات.

---

(١) لم ترد في ب، ج، هـ.

و﴿يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧، النحل: ٦٨]: يبنون[1].

و﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]: سقوفها.

٤٠٨- عورةٌ: أصلُ معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه؛ ولذلك قيل: عورة الإنسان.

و﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ﴾ [النور: ٥٨] أي: أوقاتِ انكشافٍ.

و﴿بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ [الأحزاب: ١٣] أي: خاليةٌ معرَّضة للسُّرَّاق.

٤٠٩- عاقر: له معنيان:

[١] المرأة العقيم.

[٢] واسم فاعل من: عقر الحيوان.

٤١٠- عبَر يَعْبُر: له معنيان:

[١] من عِبارة الرؤيا ومنه: ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

[٢] ومن الجواز على الموضع؛ ومنه: ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣].

٤١١- عَمُونَ وعَمِينَ[2]: جمع عَمٍ؛ وهو صفة على وزن فَعِل -بكسر العين-؛ من العمَى في البصر، أو في البصيرة.

---

(١) في النسخ المعتمدة: «و«تعرشون»: تبنون»، وليس كذلك لفظ الآية، إنما هو بالياء كما أثبتُّه، وهو موافق لإحدى النسخ الخطية التي لم أعتمدها أصالة في المقابلة، وإنما أرجع إليها للاستئناس.

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، د.

٤١٢- علا يعلو: تكبَّر؛ ومنه: ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦] و﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

والعلي: اسم الله، والمتعالي، والأعلى؛ من العلوّ؛ بمعنى: الجلال والعظمة.

وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به[1].

٤١٣- عزَب الشيءُ: غاب؛ ومنه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٦١] أي: لا يخفى عنه[2].

٤١٤- عُصبةٌ: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

٤١٥- علَقةٌ: واحدةُ العلَقِ؛ وهو الدَّم.

٤١٦- عاصفٌ: ريح شديدة.

٤١٧- عصْفٌ: ورقُ الزرعِ.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك: «قوله: «من العلو؛ بمعنى: الجلال والعظمة». إلخ، أقول: يلاحظ أنه اقتصر على معنيين من معاني العلو:
الأول: الجلال والعظمة، المتضمنُ لعلو القهر.
والثاني: التنزيه لله عما لا يليق به، وهذا يتضمن علو القدر، ولم يذكر ﷺ علو الذات، وهو ارتفاعه تعالى فوق جميع المخلوقات مستويا على عرشه، وهذا هو الذي اختلف فيه أهل السنة والمبتدعة كالجهمية ومن وافقهم، فاسمه العلي سبحانه يتضمن معاني العلو الثلاثة. والله أعلم».
(٢) في د: «لا يغيب ولا يخفى عنه».

﴿ حرف الغين ﴾

٤١٨- غِشاوة: غطاءٌ؛ إما حقيقةً، أو مجازًا.

٤١٩- غمام: هو السحاب.

٤٢٠- غُلْفٌ: جمع أَغلف؛ وهو كلُّ شيء جعلتَه في غلاف؛ أي: قلوبنا محجوبة.

٤٢١- غُرفةٌ -بضم الغين- لها معنيان:

[١] المسكن المرتفع.

[٢] والغرفة من الماء بالضم، وبالفتح: المرة الواحدة.

٤٢٢- غادر: ترك؛ ومنه: ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ [الكهف: ٤٩][1].

٤٢٣- غلَّ يغُلُّ: من الغلول؛ وهو الخيانة، والأخذ من المغنم بغير حق. والغِلُّ: الحقد.

٤٢٤- أغلال: جمع غُلٍّ -بالضم-؛ وهو ما يجعل في العنق، ومنه: ﴿مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩].

٤٢٥- غلا يغلو: من الغلوّ؛ وهو مجاوزة الحد والإفراط؛ ومنه:

---

(١) في ب، ج، هـ: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] أي: لا تجاوزوا الحق.

٤٢٦- غائط: المكان المنخفض؛ ثم استعمل في حاجة الإنسان.

٤٢٧- غَشِيَ الأمر يَغشَى -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- معناه: غطَّى حسًّا أو معنًى؛ ومنه: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]؛ لأنه يغطِّي بظلامه.

ويُنقَل[1] بالهمزة، والتشديد؛ فيقال: غشَّى وأغشى.

و﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] يعني: ما يغشاهم[2] من العذاب أي: يصيبهم؛ ومنه: ﴿غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧].

والغاشية -أيضًا-: القيامة، لأنها تغشى الخلق.

٤٢٨- غبَر: له معنيان:

[١] ذهب.

[٢] وبقي.

ومنه: ﴿عَجُوزًا فِي الْغَٰبِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١] أي: في الهالكين الذاهبين، أو في الباقين في العذاب.

٤٢٩- غرور -بضم الغين-: مصدر.

وبفتحها: اسم فاعل مبالغة؛ ويراد به: إبليس.

---

(١) في د: «ويستعمل».

(٢) في ج، د: «يغشيهم».

٤٣٠- غاض الشيءُ: نقص؛ ومنه: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤]، و﴿تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨].

وغاظ يغيظ -بالظاء المشالة-: من الغَيظ.

٤٣١- غَورٌ: أي: غائر؛ من غار الماء: إذا ذهب.

٤٣٢- غرام: عذاب؛ ومنه: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الواقعة: ٦٦].

والمَغرَم: غُرْم المال؛ ومنه: ﴿مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].

﴿ حرف الفاء ﴾

٤٣٣- فُرقان: أي: مفرّقٌ بين الحق والباطل؛ ومنه: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: تَفرِقةً.

ولذلك سمي القرآن: بالفرقان.

٤٣٤- فئة: جماعة من الناس.

٤٣٥- فِصالٌ: فطام من الرَّضاع.

٤٣٦- فضْلٌ: له معنيان:

[١] الإحسان.

[٢] والربح في التجارة وغيرها؛ ومنه: ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

٤٣٧- فسق: أصله الخروج، وتارة يرد بمعنى الكفر، وتارة بمعنى العصيان.

٤٣٨- فتنة: لها ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والاختبار.

[٣] والتعذيب.

٤٣٩- فاءَ يَفيءُ: أي: رجع.

٤٤٠- فُلْكٌ -بضم الفاء-: أي: سفينة؛ ويستوي فيه المفرد والجمع.

٤٤١- فَلَكٌ -بفتحتين-: القطب الذي تدور به الكواكب.

٤٤٢- فزع: له معنيان:

[١] الخوف.

[٢] والإسراع؛ ومنه: ﴿إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبا: ٥١].

٤٤٣- فرح: له معنيان:

[١] السرور.

[٢] والبطر.

٤٤٤- فاحشة وفحشاء: هي كل ما يَقبُح ذكره من المعاصي.

٤٤٥- فرضٌ: له معنيان:

[١] الوجوب.

[٢] والتقدير.

٤٤٦- فتح: له معنيان:

[١] فتح الأبواب؛ ومنه: فتح البلاد وشبهها.

[٢] والحكم؛ ومنه: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ويقال للقاضي: فتَّاح.

واسم الله تعالى الفتاح: قيل: الحاكم، وقيل: خالق النصر والفتح.

٤٤٧- انفضُّوا: أي: تفرَّقوا.

٤٤٨- فطرَ: خلقه ابتداءً؛ ومنه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]: الخِلْقة التي خلَق الخلْق عليها.

وأفطر -بالألف-: من الطعام.

٤٤٩- فُطورٌ: شقوق؛ ومنه: ﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، أي: انشقَّت، و﴿يَنفَطِرْنَ﴾ [مريم: ٩٠].

٤٥٠- فجٌّ: طريق واسع، وجمعه: فِجاجٌ.

٤٥١- فار التنور: يقال لكلِّ شيءٍ هاج وغلا حتى فاض؛ ومنه: ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧]، وقولهم: فارت القدر.

٤٥٢- فَوجٌ: جماعة من الناس، وجمعه: أفواج.

٤٥٣- فاكهين: من التلذُّذ بالفاكهة.

أو من الفَكَاهة؛ وهي السُّرور واللهو.

٤٥٤- فؤاد: هو القلب، وجمعه: أفئدة.

٤٥٥- استفزَّ يَستفِزُّ: أي: استخفَّ.

٤٥٦- فقه: فهم؛ ومنه: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾، و﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا﴾ [هود: ٩١].

٤٥٧- في: حرف جر بمعنى الظرفية.

وقد تكون للتعليل، وقد تكون بمعنى «مع».

وقيل: بمعنى «على».

٤٥٨- الفاء: ثلاثة أنواع:

[١] عاطفة.

[٢] ورابطة.

[٣] وناصبة للفعل بإضمار «أنْ».

ومعناها: الترتيب، والتعقيب، والتسبيب[1].

---

(١) في د: «والتسبب».

﴿ حرف القاف ﴾

٤٥٩- قرآن: له معنيان:

[١] الكتاب العزيز.

[٢] ومصدرُ: قرَأَ؛ أي: تلا، ومنه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧].

٤٦٠- قنوتٌ: له خمسة معان:

[١] العبادة.

[٢] والطاعة.

[٣] والقيام في الصلاة.

[٤] والدعاء.

[٥] والسكوت.

٤٦١- قضاءٌ: له سبعة معان:

[١] الحُكْم.

[٢] والأمر.

[٣] والقدَر السابق.

[٤] وفعل الشيء.

[٥] والفراغ منه.

[٦] والموت.

[٧] والإعلام بالشيء؛ ومنه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦].

٤٦٢- قدَرَ: له خمسة معان:

[١] من القُدْرة.

[٢] ومن التَّقدير.

[٣] ومن المِقْدار.

[٤] ومن القدر والقضاء.

[٥] وبمعنى التَّضييق؛ نحو: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦].

وقد يشدَّد الفعل ويخفَّف.

والقدرُ -بفتح الدال وإسكانها-: القضاء، والمقدار.

وبالفتح لا غير: من القضاء.

٤٦٣- قام: له ثلاثة معان:

[١] من القيام على الرِّجلين.

[٢] ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه؛ ومنه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

[٣] وقام الأمرُ: ظهر واستقام؛ ومنه: ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]، و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

٤٦٤- أقام: له ثلاثة معان:

[١] أقام الرجل غيرَه؛ من القيام.

[٢] ومن التقويم؛ ومنه: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧].

[٣] وأقام في الموضع: سكَن؛ ومنه: ﴿مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم.

٤٦٥- قيُّوم: اسم الله تعالى؛ وزنه فَيْعُول؛ وهو بناءُ مبالغةٍ؛ من القيام على الأمور، معناه: مدبِّر الخلائق في الدنيا والآخرة؛ ومنه: ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

٤٦٦- قِيام: له معنيان:

[١] مصدر قام على اختلاف معانيه.

[٢] وبمعنى: قِوَام الأمر ومِلَاكه.

وقِيَم - بغير ألف -: جمع قِيمَةٍ.

٤٦٧- قرضٌ: سلفٌ؛ والفعل منه: أقرض يُقرِض.

٤٦٨- أقسطَ - بالألف - قِسْطًا[1]: عدَل في الحكم؛ ومنه: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقَسَط - بغير ألف -: جارَ؛ ومنه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

---

(١) في د: «يُقسِط».

٤٦٩- مقاليد: فيه قولان: خزائن، ومفاتح[1].

٤٧٠- قدَّس يُقدِّس: من التنزيه والطهارة.

وقيل: من التعظيم.

والقُدُّوس: اسم الله تعالى، فُعُّول؛ من النزاهة عما لا يليق به.

٤٧١- قال يقول: من القول.

وقد يكون بمعنى الظن.

ومصدره: قَوْلٌ، وقِيلٌ.

وقال يَقِيل: من القائلة؛ ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، و﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

٤٧٢- قفَى: اتَّبع؛ وأصله: من القفا؛ يقال: قَفوته: إذا جئتَ في أثَره. وقفَّيت - بالتشديد -: إذا سقتَ شيئًا في أثَره؛ ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧].

٤٧٣- قرْنٌ: جماعة من الناس، وجمعه: قرون.

٤٧٤- قواعد البيت: أساسُه، واحده: قاعدة.

و﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٦٠]: واحدهُ: قاعدٌ؛ وهي العجوز.

٤٧٥- قُربانٌ: ما يتقرَّب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها.

وقربان -أيضًا-: من القَرابة.

---

(١) في ج، هـ: «ومفاتيح».

٤٧٦- قلَى يَقلِي: أبغض؛ ومنه: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، و﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

٤٧٧- اقترف: اكتسب حسنةً، أو سيئة.

٤٧٨- قَصصٌ: له معنيان:

[١] من الحديث.

[٢] ومن قصّ الأثر؛ ومنه: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، و﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١].

٤٧٩- قَرِرْتُ به عينًا أقَرُّ: بالكسر في الماضي والفتح في المضارع.

وقَرَرْتُ في المكان: بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.

٤٨٠- قسطاسٌ: ميزان.

٤٨١- قتَر وقتَرةٌ: غبار.

وهو عبارة عن تغيُّر الوجه.

٤٨٢- قُتورٌ: من التقتير.

٤٨٣- قارعة: داهية وأمر عظيم.

٤٨٤- قبسٌ: شعلة نارٍ.

٤٨٥- قَنِطَ: يئس من الخير.

٤٨٦- قرطاس: صحيفة، وجمعها: قراطيس.

﴿ حرف السين ﴾

٤٨٧- أسباطٌ: جمع سِبطٍ؛ وهم ذرية يعقوب عليه السلام، كان له اثنا عشر ولدًا ذكرًا، فأعقب كلُّ واحد منهم عَقبًا.

والأسباط في بني إسرائيل: كالقبائل في العرب.

٤٨٨- سبيل: هو الطريق، وجمعه: سُبُلٌ.

ثم استعمل في طريق الخير والشر.

وسبيل الله: الجهاد.

وابن السبيل: الضيف، وقيل: الغريب.

٤٨٩- سَوَّى - بالتشديد -: له معنيان:

[١] من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء.

[٢] وبمعنى: اتقن وأحسن؛ ومنه: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].

٤٩٠- سَواءٌ - بالفتح والهمز -: من التسوية بين الأشياء.

و﴿سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]: وسَطها.

و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢٢]: قَصْدَ الطريق.

٤٩١- سوَى -بالكسر أو الضم مع ترك الهمز-: استثناءٌ.

وقد يكون من التسوية.

٤٩٢- سفهاء: جمع سفيه؛ وهو الناقص العقل.

وأصل السَّفَهِ: الخفَّة؛ ولذلك قيل لمبذر المال: سفيه، وللكفار والمنافقين: سفهاء.

٤٩٣- سلوى: طائرٌ يشبه السُّمَانَى، وكان ينزل على بني إسرائيل مع المنِّ.

٤٩٤- سأل: له معنيان:

[١] طلب الشيء.

[٢] والاستفهام عنه.

وسال -بغير همز-: من المعنيين المذكورين، ومن السَّيل.

٤٩٥- سبحان: تنزيه، وسبَّحتُ الله أي: نزَّهتُه عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفاتِ الحدوث(١) وجميعِ العيوب والنقائص.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «وصفات الحدوث» أقول: هذا لفظ مجملٌ يحتمل حقا وباطلا؛ فإن أريد به تنزيهُه تعالى عن وصفه بشيء من خصائص المخلوق مما يستلزم تمثيله سبحانه بخلقه فهو حقٌّ، وإن أريد به تنزيهُه عما يكون بمشيئته تعالى من أفعاله، وهو ما يعبرون عنه بحلول الحوادث، ويقصدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به؛ فإن ذلك باطلٌ. وهذا أصل عند أكثر المتكلمين، فإنه يقولون: إنه تعالى منزه عن حلول الحوادث، يريدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه؛ كالمجيء والنزول والاستواء على العرش، والله أعلم».

٤٩٦- سار يسير: مشى ليلًا أو نهارًا.

٤٩٧- سرَى يَسرِي: مشى ليلًا.

ويقال -أيضًا-: أسرى -بالألف-.

٤٩٨- سَخِر يَسخَر -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- أي: استهزأ.

٤٩٩- سخَّرَ -بالتشديد-: من التسخير.

٥٠٠- سخريًا بضم السين: من السُّخْرَة؛ وهو تكليف الأعمال.

وبالكسر: من الاستهزاء.

٥٠١- سلطان: له معنيان:

[١] البرهان.

[٢] والقوة؛ ومنه: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

٥٠٢- سام يسوم: أي: كُلِّف الأمرَ وأُلزِمَه؛ ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأصله: من سوم السلعة في البيع.

٥٠٣- سئِم يَسأم: أي: ملَّ؛ ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٥٠٤- سُنَّة: أي: عادة.

٥٠٥- سلَف الأمرُ: أي: تقدَّم.

وأسلفه الرجلُ: أي: قدَّمه؛ ومنه: ﴿هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٤].

٥٠٦- سرَّاء: فَعْلاء؛ من السرور.

٥٠٧- سارع إلى الشيء: بادر إليه.

٥٠٨- إسراف: إفراط.

والمسرفون: أي: المبذرون، أو المفْرِطون في الكفر والمعاصي.

٥٠٩- سَوأة: عورة.

والسوءُ: ما يسوءُ -بالفتح والضم-.

و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠]: فُعْلى؛ من السوء.

و﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ [هود: ٧٧]: فُعِل بهم السوء.

٥١٠- سَنَةٌ -بفتح السين-: عامٌ، ولامها محذوفة، وجمعها: سنين.

وقد تقال بمعنى: القحط والجدب.

٥١١- سِنَةٌ -بكسر السين-: ابتداءُ النوم، وفاؤها واو محذوفة؛ لأنها من الوسَن.

٥١٢- سلَك يسلُك: له معنيان:

[١] أدخل؛ ومنه: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢] و﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [الزمر: ٢١].

[٢] ومِن: سلوك الطريق.

٥١٣- أسفارٌ: جمع: سَفَرٍ -بفتحتين-.

وجمع: سِفْرٍ؛ وهو الكتاب.

٥١٤- ساح يسيح: أي: سار؛ ومنه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢].

و﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]: الصائمون.

٥١٥- سوَّل - بتشديد الواو -: زيَّن؛ ومنه: ﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ﴾ [يوسف: ١٨].

٥١٦- سرابيل: جمع سربال؛ وهو القميص.

٥١٧- سبأ: قبيلة من العرب.

٥١٨- سَموم: شدَّةُ الحرِّ.

٥١٩- سلام: له ثلاثة معان:

[١] التحية.

[٢] والسلامة.

[٣] والقول الحسن؛ ومنه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٥٢٠- سلام: اسم الله تعالى؛ معناه: ذو السلامة من كل نقص؛ فهو من أسماء التنزيه.

وقيل: مُسلِّم العباد من المهالك.

وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

٥٢١- سَلَمٌ - بفتحتين -: انقيادٌ، وإلقاءٌ باليد.

وهو -أيضًا- بَيعٌ.

٥٢٢- سَلْم - بفتح السين وإسكان اللام -: صُلح ومهادنة.

٥٢٣- سِلْم - بكسر السين وإسكان اللام -: معناه: الإسلام.

٥٢٤- سُلَّم - بضم السين وفتح اللام مشددةً -: هو الذي يُصعَد فيه.

٥٢٥- أسلم يُسلِم: له ثلاثة معان:

[١] الدُّخول في الإسلام.

[٢] والإخلاص لله.

[٣] والانقياد؛ ومنه: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٣].

٥٢٦- سعى يسعى: له ثلاثة معان:

[١] عَمِل عمَلًا؛ ومنه: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩].

[٢] ومشى؛ ومنه: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

[٣] وأسرع في مَشيه؛ ومنه: ﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ [يس: ٢٠].

٥٢٧- سكن يسكن: له معنيان:

[١] من السكون ضد الحركة.

[٢] ومن السُّكْنى في الموضع.

٥٢٨- سكينة: وقار وطُمَأنينة.

٥٢٩- سائغ: سهل للشَّراب[١]، لا يَغَصُّ به من شربه.

---

(١) في ب: «للشرب».

٥٣٠- سابغات: دروع واسعات طوال.

٥٣١- أساطير الأولين: ما كتبه المتقدمون.

٥٣٢- مسيطر: أي مُسَلَّط.

و﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧] أي: الأرباب.

٥٣٣- سندس وإستبرق: ثياب حرير.

وقيل: السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: صفيقه.

٥٣٤- سحقًا: بُعْدًا؛ ومنه: ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد.

٥٣٥- سعير: جهنم.

و﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]: أُوقدت.

٥٣٦- سبب - وجمعه: أسباب -: له خمسة معان:

[١] الحبل؛ ومنه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

[٢] والاستعارة من الحبل في المودَّة والقرابة؛ ومنه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

[٣] والطريق؛ ومنه: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥].

[٤] والباب؛ ومنه: ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٧].

[٥] وسبب الأمر: مُوجِبه.

﴿ حرف الشين ﴾

٥٣٧- شعَر: بالأمر يشعُر: أي: عَلِمه.

والشعور: العلم من طريق الحسِّ؛ ومنه: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

٥٣٨- شهِد يَشهَد: له معنيان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

٥٣٩- شهداء: جمع شهيد؛ وله ثلاثة معان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

[٣] ومن الشهادة في سبيل الله.

٥٤٠- شكر: قد تقدم في الحمد[١].

والشَّاكر والشَّكور: اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب.

وقيل: المثني على العباد.

---

(١) انظر المادة (١٢٦).

٥٤١- شرَى: أي: باع.

وقد يكون بمعنى: اشترى.

٥٤٢- شِقاقٌ: عداوة ومعاندة؛ ومنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣].

٥٤٣- شهاب: كوكب.

وقد يطلق على شعلة النار.

٥٤٤- شجر: هو كل ما ينبت في الأرض.

و﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] أي: اختلفوا فيه.

٥٤٥- شنآن: عداوة وشرٌّ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.

٥٤٦- شرَع الله الأمرَ: أي: أمر به.

والشريعة والشرعة: الملة.

وشَرَعت الدَّوابُّ في الماء.

٥٤٧- شعائرُ الله: معالم دينه، واحدها: شَعيرة أو شِعارة.

٥٤٨- شِرْكٌ: له معنيان:

[١] من الإشراك.

[٢] وهو -أيضًا- النصيب؛ ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

٥٤٩- شركاء: جمع شريك.

٥٥٠- مشحون: أي: مملوء.

﴿ حرف الهاء ﴾

٥٥١- الهُدَى: له معنيان:

[١] الإرشاد.

[٢] والبيان.

ومِن البيان: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧].

والإرشاد قد يكون:

إلى الطريق.

وإلى الدين.

وبمعنى التوفيق والإلهام.

٥٥٢- الهَدْيُ -بفتح الهاء وإسكان الدال-: ما يُهدَى إلى الكعبة من البهائم.

٥٥٣- هاد يهود: أي: تاب؛ ومنه: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

و﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البقرة: ٦٢] أي: تهوَّدوا؛ أي: صاروا يهودًا، وأصله من قولهم: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

٥٥٤- هود: له معنيان:

[١] اسم نبي عادٍ عليه السلام.

[٢] وبمعنى اليهود؛ ومنه: ﴿كُونُوا هُودًا﴾ [البقرة: ١٣٥].

٥٥٥- هوَى النفسِ - مقصور -؛ وهو ما تحبُّه وتميل إليه.

والفعل منه: بكسر الواو في الماضي، وفتحها في المضارع.

والهواء -بالمد والهمز-: ما بين السماء والأرض.

و﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: مُنْخَرِقةٌ لا تَعي[1] شيئا.

وهوَى يهوِي -بالفتح في الماضي والكسر في المضارع-: وقع من علْوٍ.

ويقال - أيضًا - بمعنى الميل؛ ومنه: ﴿أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٥٥٦- هاجر: خرج من بلاده؛ ومنه سمِّي: المهاجرون.

٥٥٧- هجَر: من الهِجران.

ومن الهُجْر -أيضًا-؛ وهو: فحش الكلام.

وقد يقال في هذا: أهجر -بالألف-.

٥٥٨- أُهِلَّ لغير الله به: أي: صِيح، والإهلال: الصياح.

ثم استعمل في:

الكلام بغير صياح.

---

(١) في ب، د: «لا تغني».

وفي النية؛ أي: أُرِيدَ به غيرُ الله.

٥٥٩- مهيمن عليه: أي شاهدٌ. وقيل: مؤتَمن.

والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم.

وقيل: الشاهد.

وقيل: الرقيب.

٥٦٠- هَوانٌ وهُونٌ: أي: ذلٌّ.

٥٦١- مُهين -بضم الميم-: مُفعِل مشتق من الهوان؛ أي: مُذِلٌّ.

وأما مَهين -بفتح الميم-: فمعناه: ضعيف، أو ذليل.

﴿ حرف الواو ﴾

٥٦٢- وَقود النارِ -بفتح الواو-: ما توقد به من الحطب وشبهه.

والوُقود -بالضم-: المصدر.

٥٦٣- وجهٌ: له معنيان:

[١] الجارحة.

[٢] والجهة؛ ومنه: ﴿وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وأما وجه الله:

ففي قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، أي: طلب رضاه.

وفي قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]:

قيل: الوجه: الذَّات.

وقيل: صفةٌ كاليدين؛ وهو من المتشابه(١).

٥٦٤- وعَد يَعِد وعْدًا: بالخير.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك عند تفسير المؤلف قولَه تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ صفحة ٣٥٢.

وقد يقال في الشرِّ إذا قُيِّد.

وأوعد -بالألف- يُوعِد وَعيدًا: بالشرِّ لا غير.

٥٦٥- ودَّ يوَدُّ: له معنيان:

[١] من المودَّة والمحبة.

[٢] وبمعنى: تمنَّى، نحو: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [النساء: ٨٩].

والوُدُّ بالضم: المحبة.

و﴿وَدًّا﴾ [نوح: ٢٣]: اسم صنم، بضم الواو وفتحها.

٥٦٦- ودود: اسم الله تعالى؛ أي: محبٌّ لأوليائه.

وقيل: محبوب.

٥٦٧- ويلٌ: كلمة شر.

وقيل: إن الويل وادٍ في جهنم.

٥٦٨- وجَب: له معنيان:

[١] من وجوب الحق.

[٢] وبمعنى: سقط، كقولهم: وجب الحائط: إذا سقط؛ ومنه: ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦].

٥٦٩- وسَطٌ وأوسطٌ: له معنيان:

[١] من التوسُّط بين الشيئين.

[٢] وبمعنى: الخيار والأحسن(١).

٥٧٠- وسِع يسَع سعةً: من الاتساع ضد الضيق.

والسعة: الغِنَى.

والواسع: اسم الله تعالى؛ أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة.

وقيل: واسعٌ: جواد.

٥٧١- مُوسِع: غنيٌّ؛ أي: واسع الحال، وهو ضد المُقْتِر.

و﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: قيل: أغنياء، وقيل: قادرون.

و﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتَها.

٥٧٢- ولَّى: له معنيان:

[١] أدبر.

[٢] وجَعل واليًا.

٥٧٣- تولَّى: له ثلاثة معان:

[١] أدبر وأعرض بالبدن، أو بالقلب.

[٢] وصار واليًا.

[٣] واتخذ وليًّا؛ ومنه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٦].

٥٧٤- وليٌّ: ناصر.

---

(١) في ج، د: «والإحسان».

والولي: اسم الله؛ قيل: ناصر، وقيل: متولي أمرَ الخلائق.

٥٧٥- مولى: له سبعة معان:

[١] السيد الأعظم.

[٢] والناصر.

[٣] والوليُّ -أي القريب-.

[٤] والمالك.

[٥] والمعتِق.

[٦] والمعتَق.

[٧] وبمعنى: أولى؛ ومنه: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ١٥].

٥٧٦- ولَجَ يلِج: أي: دخل؛ ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وأولج يُولِج: أدخل؛ ومنه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾.

٥٧٧- وهَن يهِن: ضعف؛ ومنه: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ [مريم: ٤]، والوَهن: الضعف.

٥٧٨- ورَد الماءَ يَرده: إذا جاء إليه.

وأورده غيرُه.

و﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]: الذي يتقدمهم إلى الماء فيستقي لهم.

٥٧٩- أوزعني: أي: ألهمني ووفقني.

٥٨٠- يوزعون: يدفعون.

٥٨١- وليد: صبيٌّ، وجمعه: ولدان.

٥٨٢- وجِل: يَوْجَلُ وجَلًا: خاف، ومنه: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: ٥٣]، و﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ و﴿وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢].

٥٨٣- أوجس: وجَد في نفسه وأضمر.

٥٨٤- وارَى يُواري: أي: ستَر؛ ومنه: ﴿يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] و﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وتوارى: أي: استتر واستخفى.

٥٨٥- وطِئ يطَأ: له ثلاثة معان:

[١] جماع المرأة.

[٢] ومن الوطء بالأقدام؛ ومنه: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

[٣] والإهلاك؛ ومنه: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

٥٨٦- وَقْرٌ -بفتح الواو-: هو الصمم والثِّقَل في الأذن.

والوِقْر -بكسر الواو-: الحِمْل؛ ومنه: ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢].

٥٨٧- ودْقٌ: هو المطر.

٥٨٨- واصب: أي: دائم.

٥٨٩- وكيل: كفيل بالأمر.

وقيل: كافٍ.

٥٩٠- وِزْرٌ -بكسر الواو وإسكان الزاي-: له معنيان:

[١] الذنب؛ ومنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

[٢] والحِمل الثقيل، وهو الأصل؛ ومنه: ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧]؛ أي: أحمالًا.

٥٩١- وَزَرٌ -بفتحتين-: أي: ملجأ.

٥٩٢- وزير: أي: مُعين، وأصله: من الوِزْر بمعنى: الثِّقَل؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقالَه.

٥٩٣- وسوس الشيطان إلى الإنسان: ألقى في نفسه.

والوَسواس: الشيطان.

٥٩٤- أوحَى يُوحِي وحيًا: له ثلاثة معان:

[١] كلام الملَك عن الله للأنبياء؛ ومنه قيل للقرآن: وحْيٌ.

[٢] وبمعنى الإلهام؛ ومنه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

[٣] وبمعنى الإشارة؛ ومنه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي: أشار.

٥٩٥- وعَى العلمَ يعِي[١]: حفظه؛ ومنه: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

وأوعى -بالألف- يُوعِي: جمع المال في وعاءٍ؛ ومنه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

---

(١) في أ، ب: «يعني».

﴿ حرف الياء ﴾

٥٩٦- يمين: له أربعة معان:

[١] اليد اليمنى.

[٢] والجهة اليمنى.

[٣] وبمعنى القوة.

[٤] وبمعنى الحلف.

٥٩٧- أيمن: أي: إلى الجهة اليمنى.

٥٩٨- يسيرٌ: له معنيان:

[١] قليل؛ ومنه: ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥].

[٢] وهيِّنٌ؛ ومنه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

واليُسر: ضد العسر.

٥٩٩- يئس من الأمر يَيأس: أي: انقطع رجاؤه؛ ومنه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، و﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ [هود: ٩].

وأما ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١]: فمعناه: ألم يعلم.

٦٠٠- يمٌّ: هو البحر.

٦٠١- مَيسِرٌ: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك.

وهو مأخوذ من: يَسُرَ لي كذا: إذا وجَب.

واليَسَر -بفتح الياء والسين-: الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه: أيسار.

وميسر العرب: أنهم كان لهم عشرة قِداح -وهي الأزلام- لكل واحد منها[١] نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها[٢] لا نصيب له، ويجزِّؤونها عشرة أجزاء، ثم يُدخِلون الأزلامَ في خريطة ويضعونها على يدَي عدلٍ، ثم يُدخِل يده فيها فيُخرج باسم رجل قِدْحًا، فمن خرج له قِدْحٌ له نصيب: أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قدح لا نصيب له: غَرِم ثمن الناقة كلِّها.

٦٠٢- يَنبوعٌ: أي: عينٌ من ماء، والجمع ينابيع.



(١) في د: «منهم».

(٢) في د: «وبعضهم».

﴿ الكلام على الاستعاذة ﴾

★ **فيه عشرُ فوائد من فنونٍ مختلفة:**

- **الأولى**: لفظ التعوُّذ على خمسة أوجهٍ:

[١] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وهو المرويُّ عن النبي ﷺ[١]، والمختار عند القرَّاء.

[٢] و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مرويٌّ عن النبي ﷺ[٢].

[٣] و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم».

[٤] و«أعوذ بالله القويِّ من الشيطان الغويِّ».

[٥] و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المَريد»=

وهي محدثة.

- **الثانية**: يؤمر القارئُ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتدأ أول سورة، أو جزءَ سورة.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ١٧٧)، (ح: ٢٦١٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٨٥) من حديث عائشة ﵂.

والأمر بذلك على الندب.

- **الثالثة**: يُجهَر بالاستعاذة عند الجمهور، وهو المختار.

وروي الإخفاء عن حمزة ونافع.

- **الرابعة**: لا يتعوَّذ في الصلاة عند مالك.

ويتعوَّذ في أوَّل ركعةٍ عند الشافعي وأبي حنيفة.

وفي كلِّ ركعةٍ عند قوم.

فحجة مالك: عملُ أهل المدينة.

وحجة غيره: قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]؛ وذلك يعم الصلاةَ وغيرَها[(١)].

- **الخامسة**: إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي؛ لأنَّ معنى الاستعاذة لا يتعلق إلَّا بالمستقبل؛ لأنها كالدعاء.

وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده؛ مشاكلةً للأمر به في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾.

- **السادسة**: ﴿الشَّيْطَانِ﴾ يحتمل أن يراد به:

الجنسُ؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين.

أو العهد؛ فالاستعاذة من إبليس.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٥).

وهو مِن:

شطَنَ: إذا بعُدَ؛ فالنون أصلية، والياء زائدة، ووزنه: «فَيعال».

وقيل: مِن شاط: إذا هاج؛ فالنون زائدة، والياء أصلية، ووزنه: «فَعْلان».

وإن سَمَّيتَ به: لم ينصرف على الثاني؛ لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأوَّل.

- **السابعة**: ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: فَعيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين:

أن يكون بمعنى: لعين وطريد؛ وهذا يناسب إبليس؛ لقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤].

وأن يكون من: الرَّجم بالنجوم؛ وهذا يناسب الجنس؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

والأول أظهر.

- **الثامنة**: من استعاذ بالله صادقًا أعاذه، فعليك بالصدق، ألَا ترى امرأةَ عمران لما أعاذت مريم وذرِّيَّتها عصمها الله!؛ ففي الحديث الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من مولود إلَّا نخَسه الشيطان فيستهل صارخًا، إلَّا ابن مريم وأمَّه**»[1].

- **التاسعة**: الشيطان عدوٌّ حذَّر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال عَادِيَتِه[2]، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، فيأمره -أوَّلًا- بالكفر ويشكِّكه في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) قال في «لسان العرب» (١٩/ ٢٦٤): «ويقال: كفَّ عنَّا عاديَتك: أي: ظلمك وشرَّك».

الإيمان، فإن قدَر عليه وإلَّا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلَّا ثبَّطه عن الطاعة، فإن سلِم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

- **العاشرة**: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلْق.

فعلاجُ الشيطان: بالاستعاذة منه، والمخالفة له.

وعلاج النفس: بالقهر.

وعلاج الدنيا: بالزهد.

وعلاج الخلق: بالانقباض والعزلة.



﴿ الكلام على البسملة ﴾

★ **فيه عشر فوائد**[١]:

- **الأولى**: ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها، إلَّا من النمل خاصة.

وهي عند الشافعي: آية من الفاتحة.

وعند ابن عباس: آية من كل سورة.

فحجة مالك: ما ورد في الحديث الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أنزلت عليَّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين»**[٢]؛ ولم يذكر البسملة، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح: **«إنَّ الله يقول: قسَمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين..»**[٣] فبدأ بهذا دون البسملة.

وحجة الشافعي: ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ: «بسم

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٨).
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١)، والترمذي (٢٨٧٥)، وأحمد في مسنده (٩٣٤٥) في ضمن حديث طويل.
(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥).

الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين»[١].

وحجة ابن عباس: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

- **الثانية**: إذا ابتدأت أوَّل سورة بسملت، إلَّا «براءة»، وسنذكر علَّة سقوطها من «براءة» في موضعه.

وإذا ابتدأت جزءَ سورة:

فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرٍو الداني[٢].

وتترك البسملة عند غيره.

وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى: فاختلف القرَّاء في البسملة وتركها.

- **الثالثة**: لا يبسمل في الصلاة عند مالك.

ويبسمل عند الشافعي جهرًا في الجهر، وسرًّا في السرِّ.

وعند أبي حنيفة: سرًّا في الجهر والسرِّ.

فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آيةً من الفاتحة حسَبما ذكرنا.

والآخر: الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صلَّيت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥).

(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (١٨).

لا يذكرون: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في أوَّل الفاتحة ولا في آخرها»[١].

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أنَّ البسملة عنده آية من الفاتحة.

والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسَبما ذكرناه.

- **الرابعة**: كانوا يكتبون: «باسمك اللهم»، حتى نزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا﴾ [هود: ٤١] فكتبوا: «بسم الله»، حتى نزل: ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فكتبوا: «بسم الله الرحمن»، حتى نزل: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: ٣٠] فكتبوها.

وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾؛ لكثرة الاستعمال.

- **الخامسة**: الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتدائي كائنٌ بسم الله؛ فموضعها: رفعٌ.

وعند الكوفيين: تتعلق بفعل، تقديره: أبدأُ أو أتلو؛ فموضعها: نصب.

وينبغي أن يقدَّر متأخِّرًا؛ لوجهين:

أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناءً؛ كما قدم في ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا﴾ [هود: ٤١].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٩).

- **السادسة**: الاسم مشتق من السموّ عند البصريين؛ فلامه واوٌ محذوفة.

وعند الكوفيين: مشتقٌّ من السِّمة -وهي العلامة-؛ ففاؤه واوٌ محذوفة.

ودليل البصريين: التصغير والتكسير؛ لأنهما يردَّان الكلمات إلى أصولها، فقول العرب: أسماءٌ وسُمَيٌّ دليلٌ على أن الفاء هي السين، وأن اللام حرف علة.

وقول الكوفيين أظهر في المعنى؛ لأنَّ الاسم علامةٌ على المسمى.

- **السابعة**: قولك «الله» اسم مرتجل جامد، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف.

وقيل: إنه مشتق من التألُّه، وهو التعبد.

وقيل: من الولَهان، وهي الحَيرة؛ لتحيُّر العقول في شأنه.

وقيل: أصله «إله» من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوَّله على غير قياس، ثم أدخلت الألف واللام عليه.

وقيل: أصله «الإله» بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام؛ كما تنقل في «الَارض» وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى.

وفُخِّم؛ للتعظيم، إلَّا إذا كان قبله كسرة.

- **الثامنة**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتان، من الرحمة، ومعناهما: الإحسان؛ فهي صفة فعل.

وقيل: إرادة الإحسان؛ فهي صفة ذات[1].

- **التاسعة**: الفرق بين الرحمن والرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: أنَّ الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة[2].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قوله: «ومعناهما: الإحسان» إلخ، أقول: هذا يتضمن تفسير الرحمة إما بالإحسان أو بإرادة الإحسان، قال: «والإحسان صفة فعل»، والذين يقولون هذا يريدون ما يخلقه الله من النعم؛ فالرحمة -إذن- عبارة عن مخلوقاته سبحانه، وإن سموها صفة فعلٍ فهو غلطٌ في العقل؛ فإن المفعول لا يكون صفة للفاعل، بل أثر فعله، وهم لا يثبتون فعلا يقوم بالفاعل بمشيئته، فليس عندهم إلا فاعل ومفعول، وقد يفسرون الرحمة بإرادة الإحسان، وعليه فهي صفةٌ ذاتيةٌ، كما قال المؤلف، أي إنها قائمة بذاته تعالى، وكلٌّ من التفسيرين فيه صرفٌ للفظ عن ظاهره؛ فإن الرحمة لها معنى يقابل الغضب؛ كما جاء في الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية (ص٣١) في الذين ينفون صفة الرحمة والمحبة والغضب والرضا: «إنهم يفسرون ذلك إما بالإرادة، وإما ببعض المفعولات من النعم والعقوبات» أهـ. وعليه فالواجب إثبات الرحمة صفةً لله حقيقة، وتفسيرها بالإحسان تفسير لها بأثرها. والرحمة في صفات الله نوعان: صفة ذاتية، وصفة فعلية، وذهب ابن القيم إلى أن الصفة الذاتية مدلولُ اسمه الرحمن، والفعلية مدلول اسمه الرحيم. وينبغي أن يعلم أن الرحمة المضافة إلى الله نوعان: نوع هو صفة له سبحانه، ذاتيةً أو فعليةً، كما تقدم، وإضافتها إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي مدلول الاسمين الشريفين، والنوع الثاني رحمة مخلوقة، وإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾، فالرحمة هنا المطر، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾، والرحمة هنا الجنة، وفي الحديث القدسي أن الله قال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»، ومن النوع الأول قول سليمان عليه السلام متوسلا: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٢٧).

وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين، والرحيم خاص بالمؤمنين؛ لقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ فالرحمن أعمُّ وأبلغ.

وقيل: الرحيم أبلغ؛ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى.

- **العاشرة**: إنما قدَّم الرحمن لوجهين:

اختصاصه بالله.

وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات.



﴿ سورة أم القرآن ﴾

[﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾].

وتسمَّى: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني.

★ **وفيها عشرون فائدةً**، سوى ما تقدَّم في «اللغات» من تفسير ألفاظها.

واختلف: هل هي مكية أو مدنية؟

ولا خلاف أن الفاتحة سبعُ آيات.

إلَّا أنَّ الشافعي يَعدُّ البسملة آيةً منها.

والمالكيّ يُسقطها، ويعدُّ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً.

- **الفائدة الأولى**: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبةٌ عند مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة.

وحجتهما: قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[(١)].

وحجة أبي حنيفة: قوله ﷺ للذي علَّمه الصلاة: «اقرأ ما تيسَّر من القرآن»[(٢)].

- **الثانيةُ**: اختلف هل أوَّل الفاتحة على إضمار قولٍ؛ تعليمًا للعباد، أي: قولوا: الحمد لله؟ أو هو ابتداء كلام الله؟

ولا بدَّ من إضمار القول في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما بعده.

- **الثالثة**: الحمد أعمُّ من الشكر؛ لأنَّ الشكر لا يكون إلَّا جزاءً على نعمةٍ، والحمد يكون جزاءً كالشكر، ويكون ثناءً ابتداءً.

كما أنَّ الشكر قد يكون أعمَّ من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح.

فإذا فهمت عموم الحمد: علمت أنَّ قولك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي:

الثناءَ عليه بما هو أهلُه من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمَّن معانيَ أسمائه الحسنى التسعة والتسعين.

ويقتضي شكرَه والثناء عليه بكل نعمة أعطى، ورحمة أَولى جميعَ خلقه في الآخرة والأُولى.

فيا لها من كلمةٍ جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

الخلائق! ويكفيك أن الله جعلها أوَّل كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

- **الرابعة**: الشكر باللسان: هو الثناء على المنعم والتحدُّث بالنعم، قال رسول الله: «التحدُّث بالنعم شكرٌ»(١).

والشكر بالجوارح: هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه.

والشكر بالقلب: هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضُّلٌ، لا باستحقاق العبد.

★ واعلم أنَّ النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام:

[١] نعم دنياوية(٢)، كالعافية والمال.

[٢] ونعم دينية، كالعلم، والتقوى.

[٣] ونعم أخراوية(٣)، وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير.

★ والناس في الشكر على مقامين:

منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصةً.

ومنهم من يشكر الله -عن جميع خلقه- على النعم الواصلة إلى جميعهم.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٤٢)، والبزار في مسنده (٨/ ٢٢٦).
(٢) في أ: «دنيوية».
(٣) في أ: «أخروية».

★ والشكر على ثلاث درجات:

فدرجة العوام: الشكر على النعم.

ودرجة الخواص: الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال.

ودرجة خواص الخواص: أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعِم.

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إن الفقراء إذا أُعطوا شكروا، وإذا مُنعوا صبروا، فقال إبراهيم: هذه أخلاق الكلاب؛ ولكن الفقراء[١] إذا مُنعوا شكروا، وإذا أُعطوا آثروا[٢][٣].

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «القوم»، وفي هامش أ: «خ: الفقراء».

(٢) رواه بإسناده الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٤٥٦) قال: «حدثنا محمد ابن عبد العزيز؛ قال: قال حذيفة المرعشي: قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة، فاجتمع الناس، فقالوا: نجمع بينهما. فجمعوا بينهما في المسجد الحرام، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق! على ماذا أصّلتم أصولكم؟ فقال شقيق: أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا. فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ، إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت. فقال شقيق: فعلى ماذا أصلتم أصولكم يا أبا إسحاق؟ فقال: أصلنا أصولنا على أنا إذا رُزقنا آثرنا، وإذا مُنعنا حمدنا وشكرنا. قال: فقام شقيق وجلس بين يديه، وقال: يا أبا إسحاق! أنت أستاذنا»، ورواه أيضًا أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧).

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «الشكر على ثلاث درجات...» إلخ.. أقول: سلك المؤلف رحمه الله في تقسيم مراتب الشكر والتعبير عنها طريق الصوفية، وفي كلامه هذا عدة مآخذ:

الأول: قوله: إن الشكر على النعم درجة العوام، أقول: بل الشكر على النعم من شأن العوام والخواص من المؤمنين، وقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، ولما ذكر الله ما أعطى سليمان عليه السلام من تسخير الجن والريح =

ومن فضيلة الشكر: أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق؛ فإنَّ من أسماء الله: الشاكر والشكور، وقد فسَّرتُهما في «اللغات»(١).

- **الخامسة**: قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلَّا الله»؛ لوجهين:

أحدهما: ما خرَّجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلَّا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»(٢).

= قال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

الثاني: زعمه أن درجة الخواص الشكرُ على النقم، أقول: هذا لا يصح، فإنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة تعلق الشكر بالنقم، وإنما الذي ورد الحمد، فيقال: له الحمد على كل حال، وأما الشكر فمتعلَّقه النعم، وشواهد هذا في القرآن كثير.

الثالث: قوله في الدرجة الثالثة - وهي كما قال: - درجة خواص الخواص، وفسرها بأن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم.

أقول: هذا من جنس ما تقدم في درجات الذكر عند المؤلف حيث جعل أعلى درجات الذكر الفناء، وهي أن يغيب بالله عن كل ما سوى الله، حتى عن نفسه. وتقدم أن مقام الفناء ليس بكمال بل هو نقص.

ولم يأت في الكتاب ولا في السنة مدحه، بل الرسول ﷺ - وهو أكمل الخلق ذكرًا وعبودية- لا يغيب وهو يصلي، بل يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

الرابع: ذكره الحكاية عن إبراهيم بن أدهم، وفيها التحقير للشكر على النعم، وأنه أخلاق الكلاب، فهذا -على فرض ثبوته- قبيح».

(١) انظر: المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٠).

والثاني: أنَّ التوحيد الذي يقتضيه «لا إله إلَّا الله» حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدَّمنا.

وأما قوله ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلَّا الله**»[(١)]؛ فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك، وزادت عليها.

وهذا المؤمنُ[(٢)] يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعيَّن عليه «لا إله إلَّا الله».

- **السادسة**: «الربُّ» وزنه: فَعِلٌ -بكسر العين- ثم أدغم.

ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح؛ وكلها تصلح[(٣)] في ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، إلَّا أن الأرجح: معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى.

كما أنَّ الأرجح في ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أن يراد به: كل موجود سوى الله تعالى، فيعم جميع المخلوقات.

- **السابعة**: ﴿مَلِكِ﴾ قرأه[(٤)] الجماعة: بغير ألف؛ من المُلك.

وقرأ[(٥)] عاصم والكسائي: بالألف؛ والتقدير على هذا: مالكِ مجيءِ يومِ الدين.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦٢١).

(٢) في د: «للمؤمن»، وفي هـ: «المؤمن».

(٣) في مغربي أ، د: «تصحُّ» وفي هامش أ: «خ: تصلح».

(٤) في ب، د: «قراءة».

(٥) في ج: «وقرأه»، وفي د: «وقراءة».

أو: مالك الأمرِ يومَ الدين.

وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ المَلِك أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كلُّ أحد بالمالك لمالِه، وأما الملِك فهو سيِّد الناس.

والثاني: قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

والثالث: أنها لا تقتضي حذفًا، والأخرى تقتضيه؛ لأنَّ تقديرَها: مالك الأمرِ، أو مالك مجيءِ يومِ الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأمَّا قراءة الجماعة بإضافة ﴿مَلِكِ﴾ إلى ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فهي على طريقة الاتساع، وإجراء[1] الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية؛ أي: المَلِك في يوم الدين.

ويجوز أن يكون المعنى: ملِك الأمورِ يومَ الدين؛ فيكون فيه حذفٌ.

وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ[2].

وقد قرئ ﴿مَلِكِ﴾ بوجوه كثيرة إلَّا أنها شاذةٌ.

- الثامنة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و﴿مَلِكِ﴾: صفاتٌ.

فإن قيل: كيف جرَى ﴿مَلِكِ﴾ و﴿مَٰلِكِ﴾ صفةً للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟

---

(١) في أ، ج، هـ: «وأجرى»، وفي هامش أ: «خ: وإجراء».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧)، (٢٩٢٨).

فالجواب: أنها تكون غيرَ محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائمٌ؛ فإضافته محضة.

- **التاسعة**: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: هو يوم القيامة.

ويصلح هنا من معاني الدين: الحساب، والجزاء، والقهر؛ ومنه: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣].

- **العاشرة**: ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين: مفعول بالفعل الذي بعده.

وإنما قُدِّم ليفيد الحصر؛ فإنَّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقتضى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أن يعبد الله وحده، واقتضى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعترافًا بالعجز والفقر، وأنه لا يستعين إلَّا بالله(١) وحده.

- **الحاديةُ عشرة**: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا.

وفي هذا دليلٌ على بطلان قول القدرية والجبرية، وأنَّ الحق بين ذلك.

- **الثانيةُ عشرة**: ﴿ٱهْدِنَا﴾: دعاءٌ بالهدى.

فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟

فالجواب: أن ذلك طلبٌ للثبات عليه إلى الموت، أو(٢) الزيادةِ منه؛ فإنَّ الارتقاءَ في المقامات لا نهاية له.

- **الثالثةُ عشرة**: قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأنَّ تلك السنة في

---

(١) في د: «الله».

(٢) في ج، د: «و».

الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة.

وكذلك قدّم الرحمن على ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأنَّ رحمة الله سبقت غضبه.

وكذلك قدّم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنَّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

- **الرابعة عشرة**: ذُكِر الله تعالى في أوَّل هذه السورة على طريق الغَيبة، ثم على الخطاب في ﴿إِيَّاكَ﴾ وما بعده، وذلك يسمى: الالتفات.

وفيه إشارة إلى أنَّ العبد إذا ذَكر الله تقرَّب منه فصار من أهل الحضور فناجاه.

- **الخامسة عشرة**: الصراطُ في اللغة: الطريق المحسوس الذي يُمشَى عليه.

ثم استعير للطريقة التي يكون الإنسان عليها من الخير أو الشر.

ومعنى ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: القويم الذي لا عِوَجَ فيه.

فـ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الإسلام.

وقيل: القرآن.

والمعنيان متقاربان؛ لأنَّ القرآن تضمَّن شرائع الإسلام، وكلاهما مرويٌّ عن النبي ﷺ(١).

---

(١) تفسير الصراط بالإسلام أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٣٤)، وتفسيره بالقرآن أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، كلاهما في ضمن حديث طويل.

وقرئ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة.

والأصل فيه: السين، وإنما أُبدِل منها صادٌ؛ لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي؛ فلموافقة الطاء في الجهر.

- **السادسة عشرة**: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

وقيل: المؤمنون.

وقيل: الصحابة.

وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيِّروا.

والأول أرجح؛ لعمومه، ولقوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩].

- **السابعة عشرة**: إعراب ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾: بدلٌ.

ويبعد النعت؛ لأنَّ إضافته غير محضة، وهو قد جرى على معرفة.

وقرئ بالنصب: على الاستثناء، أو الحال.

- **الثامنة عشرة**: أسند ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى الله، والغضب إلى ما لم[1] يُسَمَّ فاعله على وجه التأدُّب؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

---

(١) في أ: «لما لم».

و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأوَّل: في موضع نصب، والثاني: في موضع رفع.

- **التاسعة عشرة**: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: النصارى، قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ(١).

وقيل: ذلك عامٌ في كل مغضوب عليه، وكل ضالٌ.

والأول أرجح؛ لأربعة أوجه:

[١] روايته عن النبي ﷺ.

[٢] وجلالة قائليه(٢).

[٣] وتكرار «لا» في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ دليلٌ على تغاير الطائفتين.

[٤] وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال صفة النصارى؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى بن مريم عليه السلام، ولقول الله فيهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

- **الموفِّيةُ عشرين**: هذه السورة جمعت معانيَ القرآن كلِّه، فكأنها نسخةٌ مختصرة منه، فتأملْها بعد تحصيل «الباب الثالث» من «المقدِّمة الأولى» تعلمْ ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٤).

(٢) في أ، ب، د: «قائله».

فالإلهيات حاصلةٌ في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

والدار الآخرة في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

والعبادات كلُّها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

والشريعة كلها في قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وذِكْر طوائف الكفار في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

★ **خاتمةٌ**: أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة؛ للدعاء الذي فيها.

وقولك: «آمين»: اسم فعلٍ معناه: اللهمَّ استجب.

وقيل: هو من أسماء الله.

ويجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرُها، ولا يجوز تشديد الميم.

ويؤمِّن في الصلاة: المأموم، والفذ، والإمام إذا أسرَّ، واختلف إذا جهر.

﴿ سورة البقرة ﴾

[﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾].

﴿الٓمٓ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور، وهي: ﴿الٓمٓصٓ﴾، و﴿الٓر﴾، و﴿الٓمٓر﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾، و﴿طه﴾، و﴿طسٓمٓ﴾، و﴿طسٓ﴾، و﴿يسٓ﴾، و﴿صٓ﴾، و﴿قٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿عٓسٓقٓ﴾، و﴿نٓ﴾.

فقال قومٌ: لا تفسَّر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله.

قال أبو بكر الصديق: «لله في كل كتاب سرٌّ، وسرُّه في القرآن فواتح السور»(١).

---

(١) لم أقف عليه مسندًا إلى أبي بكر ﷺ، ونسبه الثعلبي في تفسير «الكشف والبيان» (١/ ١٣٦) إلى أبي بكر أيضًا، وفي «الدر المنثور» (١/ ١٢٧): «وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ بن حيان في التفسير عن داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود إن لكل كتاب سرًا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعْها وسلْ عما بدا لك».

وقال قوم: تفسَّر؛ ثم اختلفوا فيها:

فقيل: هي أسماء للسور.

وقيل: أسماء لله.

وقيل: أشياء[١] أقسم الله بها.

وقيل: هي حروف مقطَّعة من كلمات؛ فالألف من: «الله»، واللام من: «جبريل»، والميم من: «محمد» ﷺ، ومِثْل ذلك في سائرها.

وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدلُّ بعدد حروف «أبي جاد» على السنين التي تبقَى هذه الأمةُ، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك فلم ينكره[٢].

وقد جمع أبو القاسم السُّهيلي[٣] عددَها على ذلك، بعد أن أسقط المكرَّر، فبلغت تسعَ مئة وثلاثةً[٤].

وإعراب هذه الحروف: يختلف بالاختلاف في معناها[٥]:

فيُتصوَّر أن تكون في موضع رفع، أو نصب، أو خفض.

---

(١) في ب، ج، هـ: «أسماء».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٢٠).

(٣) هو أبو القاسم وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي الأندلسي المالَقي السهيلي المالكي، صاحب كتاب «الروض الأُنُف» في شرح سيرة ابن هشام وغيره من التصانيف، توفي سنة (٥٨١هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ١٤٣)، والديباج المذهب، لابن فرحون (١/ ٤٨٠).

(٤) انظر: الروض الأنف (٤/ ٤٢٠).

(٥) في د: «معانيها».

فالرفع: على أنها مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر.

والنصب: على أنها مفعولةٌ بفعل مضمر.

والخفض: على قول من جعلها مُقسَمًا بها؛ كقولك: «اللهِ لأفعلنَّ».

وإنما سُكِّنت لأنها لم يدخل عليها عاملٌ يقتضي حركةً؛ فسكونُها للوقف، لا للبناء، كقولك في العدد: «واحدْ، اثنانْ».

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو هنا: القرآن.

وقيل: التوراة والإنجيل.

وقيل: اللوح المحفوظ.

والأول هو الصحيح الذي يدلُّ عليه سياق الكلام، ويشهد[(١)] له مواضع من القرآن المقصودُ فيها إثبات أن القرآن من عند الله؛ كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢] يعني: القرآن باتفاق.

وخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وقيل: خبره ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ فعلى هذا: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة مستقلَّة؛ فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ أنه من عند الله؛ في نفس الأمر، وفي اعتقاد أهل الحق. ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل.

﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿لَا﴾[(٢)]؛ فيوقف عليه.

---

(١) في ج، د: «وتشهد».

(٢) في ب، د: «وخبر ﴿لَا﴾: ﴿فِيهِ﴾».

وقيل: خبرها محذوف؛ فيوقف على: ﴿لَا رَيْبَ﴾.

والأول أرجح؛ لتعيُّنه في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في مواضع أُخَر.

فإن قيل: فهلَّا قدَّم قوله: ﴿فِيهِ﴾ على الريب كقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]؟

فالجواب: أنه إنما قصد نفيَ الريب عنه، ولو قدَّم ﴿فِيهِ﴾ لكان إشارةً إلى أن ثمَّ كتابًا آخر فيه ريبٌ، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده؛ فلم يقدِّم الخبر(١).

﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى: الإرشاد؛ لتخصيصه بالمتقين.

ولو كان بمعنى البيان لعمَّ؛ كقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإعرابه:

خبر ابتداءٍ.

أو مبتدأٌ، وخبره: ﴿فِيهِ﴾ عند من يقف(٢): ﴿لَا رَيْبَ﴾.

أو منصوب على الحال، والعامل فيه الإشارة.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مُفتعِلين؛ من التقوى، وقد تقدَّم معناه في «اللغات»(٣).

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥).

(٢) في هامش هـ زيادة: «على».

(٣) انظر المادة (٩٥) في اللغات.

★ نتكلّم في[(١)] التقوى في ثلاثة فصول:

- **الأوّل**: في فضائله المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

[١] الهدى؛ لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

[٢] والنُّصرة؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨].

[٣] والوَلاية؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

[٤] والمحبة؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

[٥] والمعرفة؛ لقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

[٦] والمخرج من الغمِّ.

[٧] والرزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآيةَ [الطلاق: ٢].

[٨] وتيسير الأمور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

[٩] وغُفران الذنوب.

[١٠] وإعظام الأجور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

[١١] وتقبُّل الأعمال؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

[١٢] والفلاح؛ لقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

---

(١) في د، وهامش أ: «على».

[١٣] والبشرى؛ لقوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

[١٤] ودخول الجنة؛ لقوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

[١٥] والنجاة من النار؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم: ٧٢].

- **الفصل الثاني**: البواعث على التقوى[١] عشرةٌ:

[١] خوف العقاب الأخراوي.

[٢] وخوف العقاب الدنياوي.

[٣] ورجاء الثواب الدنيوي.

[٤] ورجاء الثواب الأخروي.

[٥] وخوف الحساب.

[٦] والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.

[٧] والشُّكر على نعمه بطاعته.

[٨] والعلم؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

[٩] وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.

[١٠] وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

تعصي الإلهَ وأنت تُظهِرُ حبَّه! هذا محالٌ في القياس بديعُ

---

(١) في ب، د زيادة: «وهي».

لو كان حبُّك صادقًا لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ(١)

ولله درُّ القائل:

قالتْ -وقد سألتْ عن حال عاشقِها-: بالله صِفْهُ ولا تَنقُص ولا تَزِدِ

فقلتُ: لو كان رهْنَ الموت من ظمإٍ وقلتِ: قفْ عن وُرود الماءِ: لم يَرِدِ(٢)

- **الفصل الثالث**: درجات التقوى خمسٌ:

[١] أن يتَّقيَ العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

[٢] وأن يتقي المعاصي والمحرَّمات، وهو مقام التوبة.

[٣] وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.

[٤] وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.

[٥] وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة.

---

(١) البيتان لعبد الله بن المبارك، أوردهما ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٦٩)، وانظر: ديوان ابن المبارك، جمع وتحقيق ودراسة: د. مجاهد مصطفى بهجت.

(٢) البيتان لأبي القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا الحسني الرسّي المصري، كما في يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (١/ ٤٩٨)، ووفيات الأعيان (١/ ١٢٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨١٧)، ولفظ البيتين هكذا في المصادر:

قالتْ لِطيفِ خيالٍ زارني ومضى بالله صِفْهُ ولا تَنقُص ولا تَزِدِ

فقال: أبصرتُه لو مات من ظمإٍ وقلتِ: قفْ عن وُرود الماءِ: لم يَرِدِ

ونُسب أيضًا إلى أبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة كما في يتيمة الدهر (١/ ١١٨)، قال الذهبي: «ولم يصح».

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

يؤمنون بالأمور المغيَّبات، كالآخرة وغيرها؛ فالغيب -على هذا-: بمعنى الغائب؛ إمَّا:

تسميةً بالمصدر، كعدْلٍ.

وإما تخفيفًا من فَعْيل؛ كمَيْت.

والآخر: يؤمنون في حال غيبتهم، أي: باطنًا وظاهرًا.

و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾:

على القول الأوَّل: يتعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

وعلى الثاني: في موضع الحال.

ويجوز في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أن يكون:

خفضًا على النعت.

أو نصبًا على إضمار فعل.

أو رفعًا على أنه خبر ابتداء.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إقامتُها: عملها؛ من قولك: «قامت السوق»، وشبه ذلك.

والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها، وأركانها، وسننها، وفضائلها، وحضور القلب، والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل.

﴿يُنفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الزكاة؛ لاقترانها مع الصلاة.

والثاني: أنه التطوُّع.

والثالث: العموم، وهو الأرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختُلِف:

هل هم المذكورون قبلُ؛ فيكون[1] من عطف الصفات؟

أو هم غيرهم -وهم مَن أسلم من أهل الكتاب-؛ فيكون عطفًا للمغايرة؟

أو مبتدأ، وخبره: الجملة بعده؟

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: التوراة، والإنجيل، وغيرهما من كتب الله ﷻ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةُ فيمن سبَق القدر أنه لا يؤمن، كأبي جهل.

فإن كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ للجنس: فلفظها عامٌّ يراد به الخصوص.

وإن كان للعهد: فهو إشارةٌ إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم:

فقيل: المراد من قُتِل ببدر من كفار قريش.

وقيل: المراد حُيَيُّ بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديَّان.

﴿سَوَآءٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ فاعلٌ به؛ لأنه في تقدير المصدر.

---

(١) في أ زيادة: «قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾» ورمز لها أعلى السطر: «خ».

أو ﴿سَوَآءٌ﴾ مبتدأ، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ خبره.

أو العكس؛ وهو أحسن.

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه:

استئنافٌ للبيان، أو للتأكيد.

أو خبرٌ بعد خبر.

أو تكون الجملة اعتراضًا، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخبر.

والهمزة في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ لمعنى التسوية، قد انسلخت من معنى الاستفهام.

﴿خَتَمَ﴾ الآيةُ تعليلٌ لعدم إيمانهم، وهو عبارةٌ عن إضلالهم؛ فهو مجاز.

وقيل: حقيقةٌ، وأن القلب كالكفِّ، يُقبَض مع زيادة الضلال إصبَعًا إصبعًا حتى يختم عليه.

والأوَّل أبرع.

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوفٌ على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾؛ فيوقف عليه.

وقيل: الوقف على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، والسمع راجع إلى ما بعده.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿غِشَٰوَةٌ﴾ مجازٌ باتِّفاق.

وفيه دليلٌ على وقوع المجاز في القرآن، خلافًا لمن منَعه.

ووحَّد السمع؛ لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع.

[﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ
ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ
﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ
ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ
شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟
مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ
بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ
كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ
ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ
وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أصل الناس: أُناسٌ؛ لأنه مشتقٌّ من الأُنس، وهو اسم جمع، وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفًا.

﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كانت اللام في ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

للجنس: فـ ﴿مَن﴾ موصوفةٌ.

وإن جعلتَها للعهد: فـ ﴿مَن﴾ موصولةٌ.

وأُفرد الضمير في ﴿يَقُولُ﴾ رَعْيًا للفظ: ﴿مَن﴾.

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج، رأسهم: عبد الله بن أبيٍّ بن سلول، يظهرون الإسلام ويسرُّون الكفر.

ويسمَّى الآن من كان كذلك: زِنديقًا.

وهم في الآخرة: مخلَّدون في النار.

وأما في الدنيا:

فإن لم تقم عليهم بينةٌ: فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم.

وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان:

فمذهب مالك: القتل، دون الاستتابة.

ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل.

فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملةً فعلية، و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملةً اسمية؛ فهلَّا طابقتها؟

فالجواب: أن قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأوكد في نفي الإيمان عنهم مِن أن لو قال: «وما آمنوا»(١).

فإن قيل: لم جاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ مقيَّدًا بالله واليوم الآخر، و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ مطلقًا؟

فالجواب: أنه يحتمل وجهين:

التقييد؛ وتَركَه(٢) لدلالة الأوَّل عليه.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ١٥٧).

(٢) في ج، هـ: «وتُرِك».

والإطلاق، وهو أعمُّ في سلْبهم عن الإيمان[١].

﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع، ويرومون الخَدْعَ بإظهار خلاف ما يسرُّون.

وقيل: معناه يخادعون رسولَ الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وبالُ فعلهم راجعٌ عليهم.

وقرئ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ - بفتح الياء من غير ألف -: مِن خَدَع، وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال: خادع: إذا رام الخداع، وخدع: إذا تمَّ له.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حُذف معموله[٢]، أي: لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يَحتمِلُ:

أن يكون حقيقةً؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره.

وأن يكون مجازًا؛ بمعنى الشكِّ، أو الحسد.

﴿فَزَادَهُمُ﴾ يَحتمل: الدعاءَ والخبر.

﴿يُكَذِّبُونَ﴾ -بالتشديد- أي: يكذِّبون الرسولَ ﷺ.

وقرئ بالتخفيف؛ أي: يَكْذِبون في قولهم: آمنا.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ١٥٩).

(٢) في ب، د: «مفعوله».

﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾ أي: بالكفر والنميمة وإيقاع الشرِّ وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ يَحتمل:

أن يكون جحودًا للكفر؛ لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

أو اعتقادًا أنهم على إصلاح.

﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبيِّ ﷺ.

والكاف يَحتمل: أن تكون للتشبيه، أو التعليل.

و﴿مَآ﴾ يَحتمل:

أن تكون كافَّةً مُهيِّئةً[1]؛ كما هي في «ربما».

وأن تكون مصدريةً.

﴿أَنُؤۡمِنُ﴾ إنكارٌ منهم وتقبيحٌ.

﴿هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ردٌّ عليهم، وإناطةٌ للسَّفه بهم.

وكذلك: ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾.

وجاء بالألف واللام؛ ليفيد حصْر السفه والفساد فيهم، وأكَّده بـ «إنَّ» وبـ«ألَا» التي تقتضي الاستئنافَ وتنبيهَ المخاطَب.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ كذَبوا؛ خوفًا من المؤمنين.

﴿خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ هم: رؤساء الكفَّار[2].

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب، ج، هـ: «الكفر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ «خ».

وقيل: شياطين الجن، وهو بعيد.

وتعدَّى «خلا» بـ«إلى»؛ لأنه ضُمِّن معنى: مشوا، أو ذهبوا، أو ركنوا.

وقيل: «إلى» بمعنى «مع»، أو بمعنى الباء.

وجاء قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بجملة اسمية؛ مبالغةً وتأكيدًا بخلاف قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ فإنه جاء بالفعل؛ لضعف إيمانهم.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

تسميةُ العقوبة باسم الذنب؛ كقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وقيل: يُملي لهم؛ بدليل قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾.

وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يَظهر لهم أنه استهزاءٌ بهم؛ كما جاء في سورة «الحديد»: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ الآيةَ [الحديد: ١٣](١).

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يَزيدهم.

وقيل: يُملي لهم.

وقد ذُكِر ﴿يَعْمَهُونَ﴾(٢).

﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ عبارةٌ عن تركهم الهدى مع تمكُّنهم منه، ووقوعهم في الضلالة؛ فهو مجاز بديع.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «لا إشكال فيما ذكر المؤلف من الوجوه؛ فلكل منها وجهٌ. وأقربها الثاني والثالث؛ فإن في كل منهما استهزاءً بالفعل».

(٢) انظر المادة (٣٩٢) في اللغات.

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ ترشيحٌ للمجاز؛ لمَّا ذكَر الشراءَ ذكَر ما يتبعه من الربح والخسران.

وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجازٌ -أيضًا-؛ لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء، أو على الإطلاق.

قال الزمخشري: نفَى الرِّبحَ في قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت﴾، ونفى سلامة رأس المال في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾(١).

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثَل -هنا- بمعنى: حالُهم وصفتهم: فالكاف للتشبيه.

وإن كان المثَل بمعنى: الشبه: فالكاف زائدة.

﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ أي: أوقد.

وقيل: طلَب الوقود؛ على الأصل في «استفعل».

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ إن تعدَّى: فـ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ مفعولٌ به.

وإن لم يتعدَّ: فـ﴿مَا﴾ زائدة، أو ظرفية.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: أذهبه، وهذه الجملة جواب ﴿لَمَّا﴾؛ فالضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدٌ على ﴿ٱلَّذِى﴾؛ وهو على هذا بمعنى: «الذين»، وحذْفُ النون منه لغةٌ.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٢٠).

وقيل: جواب ﴿لَمَّا﴾ محذوفٌ تقديره: طَفِئت النار؛ و﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: جملةٌ مستأنَفةٌ، والضمير عائد على المنافقين؛ فعلى هذا يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ على بابه من الإفراد.

(والأول أرجح)(١)، والأرجح: أنه إنَّما أُعيد عليه ضمير الجماعة؛ لأنه لم يُقصَد بالذي: واحدٌ بعينه، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارًا، سواء كان واحدًا أو جماعة، ثم أُعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبَّه؛ لأنهم جماعة.

فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟

فالجواب: من ثلاثة أوجه(٢):

أحدها: أنَّ منفعتهم في الدنيا -بدعوى الإيمان- شبيهٌ بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده.

والثاني: أنَّ اختفاءَ كفرهم كالنور، وفضيحتهم بعدَه كالظلمة.

والثالث: أنَّ ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فإيمانه نورٌ، وكفره بعده ظلمة.

ويرجِّح هذا قولُه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ٣].

فإن قيل: لم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «ذهب الله بضوئهم»؛ مشاكلةً لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾؟

---

(١) زيادة من ب، د.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٣٤)؛ والكشاف (٢/ ٢٤٢).

فالجواب: أنَّ ذهاب[١] النور أبلغ؛ لأنه إذهابٌ للقليل والكثير، بخلاف الضوء؛ فإنما[٢] يَنطلِقُ[٣] على الكثير.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ يَحتمل أن يراد به: المنافقون، أو المستوقِدون المشبَّهُ بهم.

وهذه الأوصاف مجازٌ، عبارةٌ عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقدَ الحواسِّ.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلى الهدى.

وإن أريد به أصحاب النار فمعناه: أنهم متحيِّرون في الظلمة، لا يَبرَحُون[٤]، ولا يهتدون إلى الطريق.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ عطف على: ﴿الَّذِى اسْتَوْقَدَ﴾، والتقدير: أو كصاحبِ صيِّبٍ.

و﴿أَوْ﴾ للتنويع؛ لأنَّ هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين.

والصيب: المطر، وأصله: صَيْوِب، ووزنه فَيْعِل، وهو مشتق من قولك: صاب يصوب.

وفي قوله: ﴿مِّنَ السَّمَآءِ﴾ إشارةٌ إلى قوَّته وشدَّة انصبابه.

---

(١) في هامش أ: «خ: إذهاب».
(٢) في ج، د، هـ: «فإنه».
(٣) في ب: «يطلق».
(٤) في ج، د: «لا يرجعون».

قال ابن مسعود: إنَّ رجلين من المنافقين هربَا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنَا بالهلاك، فعزما على الإيمان، ورجعا إلى النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما نزل بهما مثلًا للمنافقين.

وقيل: المعنى: تشبيهُ المنافقين في حَيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم: بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضَلَّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه؛ وهذا التشبيه على الجملة.

وقيل: إنَّ التشبيه على التفصيل؛ فالمطر: مَثَلٌ للقرآن أو الإسلام، والظلمات: مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد: مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق: مثل لما فيه من البراهين الواضحة.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ بالإفراد، ولم يجمعه كما جمع ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾؟

فالجواب: أنَّ الرعد والبرق مصدران، والمصدر لا يجمع.

ويحتمل أن يكونا اسمين، وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران(١).

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق.

قال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ.

فهو -على هذا- حقيقةٌ في المنافقين.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٦٩).

والصواعق على هذا: ما يكرهون من القرآن، والموت: هو ما يتخوَّفونه؛ فهما مجازان.

وقيل: إنه راجعٌ لأصحاب المطر المشبَّه بهم، فهو حقيقة فيهم.

والصواعق على هذا حقيقة، وهي التي تكون مع المطر من شدَّة الرعد، ونزولِ قطعة نار، والموت -أيضًا- حقيقة.

وقيل: إنه راجعٌ للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في أُذُنه[1] من شدة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ ولم يقل: «أناملهم»؛ والأنامل هي التي تجعل في الآذان؟

فالجواب: أنَّ ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل؛ ولذلك جمَعها، مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة[2].

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه، بل هم تحت قهره، وهو قادر على عقابهم.

﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ إن رجع الضمير إلى أصحاب المطر -وهم الذين شَبه بهم المنافقين-: فهو بيِّن المعنى.

وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين:

أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يُضيءُ البرق؛ وهذا مناسبٌ

---

(١) في أ: «آذانه».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧١).

لتمثيل البراهين بالبرق حسَبما تقدَّم.

والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبَّه بهم.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر **فالمعنى**: أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم.

وإن رجع إلى المنافقين **فالمعنى**: أنه(١) يلوح لهم من الحق ما يَقرُبون به من الإيمان.

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر **فالمعنى**: أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيِّرين لا يعرفون الطريق.

وإن رجع إلى المنافقين **فالمعنى**:

أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان: ثبتوا على كفرهم.

وقيل: إنَّ المعنى: كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا: هذا دين مبارك؛ فهذا مثَل الضوء، وإذا أصابتهم شدَّةٌ أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه؛ فهذا مثَل الظلمة.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة: ﴿كُلَّمَآ﴾، ومع الإظلام: ﴿وَإِذَآ﴾؟

فالجواب: أنَّهم لما كانوا حِراصًا على المشي: ذكر معه ﴿كُلَّمَآ﴾؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة(٢).

---

(١) في أ: «أنهم» وفي الهامش: «خ: أنه».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧٨).

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ: إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد، وأبصارهم بالبرق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة؛ وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم.

والباء للتعدية؛ كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

[﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا
عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا
رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا
مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ
كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآيةَ: لما قدَّم اختلاف الناس في الدين، وذكر ثلاث طوائف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين= أتْبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله.

وجاءت الدعوةُ عامةً لجميع الناس؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس.

﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ يدخل فيه: الإيمانُ به سبحانه، وتوحيده، وطاعته.

فالأمر بالإيمان به: لمن كان جاحدًا.

والأمر بالتوحيد: لمن كان مشركًا.

والأمر بالطاعة: لمن كان مؤمنًا.

﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يتعلق:

بـ ﴿خَلَقَكُمۡ﴾؛ أي خلقكم لتتقوه؛ كقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

أو بفعل مقدَّر من معنى الكلام أي: دعوتُكم إلى عبادة الله؛ لعلكم تتقون؛ وهذا أحسن.

وقيل: يتعلق بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ وهذا ضعيف.

وإن كانت «لعل» للترجي فتأويله: أنه في حق المخلوقين؛ جريًا على عادة كلام العرب.

وإن كانت للمقاربة أو التعليل: فلا إشكال.

والأظهر فيها: أنها لمقاربة الأمر؛ نحو: «عسى»؛ فإذا قالها الله فمعناها: إطماع العباد، وهكذا القول فيها حيثما وردت في كلام الله تعالى.

﴿ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ تمثيلٌ؛ لمَّا كانوا يقعدون وينامون عليها كالفِراش؛ فهو مجاز.

وكذلك ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾.

﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ : «من»: للتبعيض، أو لبيان الجنس؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها.

والباء في ﴿بِهِۦ﴾ : سببيةٌ، أو كقولك: «كتبت بالقلم»؛ لأنَّ الماء سببٌ في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟﴾ : «لا»:

ناهية.

أو نافية؛ وانتصب الفعل بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾.

والأول أظهر.

﴿أَندَادًا﴾ يراد به هنا: الشركاء المعبودون مع الله جلَّ وعلا.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُذِف مفعوله مبالغةً وبلاغةً؛ أي: وأنتم تعلمون وَحدانيته بما ذكر لكم من البراهين.

وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق.

ويتعلَّق قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟﴾ بما تقدَّم من البراهين.

ويحتمل أن يتعلَّق بقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾.

والأول أظهر.

★ **فوائد ثلاث:**

الأولى: هذه الآية تضمَّنت دعوةَ الخلق إلى عبادة الله بطريقين:

أحدهما: إقامة البراهين بخِلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والثمرات.

والآخر: ملاطفةٌ جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام، فذكر أوَّلاً ربوبيته لهم، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم؛ لأن الخالق يستحقُّ أن يعبد، ثم ذكر ما أنعم به عليهم من جعل الأرض فراشًا والسماءِ بناءً، ومن إنزال المطر، وإخراج الثمرات؛ لأنَّ المنعم يستحق أن يعبد ويشكر، وانظرْ قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، و﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يدلُّك على ذلك؛ لتخصيصه ذلك بهم؛ فما أجملها من ملاطفةٍ وخطاب بديع!.

الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية: الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه؛ لقوله في آخرها: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، وذلك هو الذي يُترجَم عنه بقولنا: «لا إله إلَّا الله»؛ فيقتضي ذلك: الأمرَ بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول «لا إله إلَّا الله».

الثالثة: تكرَّر في القرآن ذكر المخلوقات، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار؛ وذلك أنها تدلُّ بالعقل على عشرة أمور؛ وهي:

[١] أن الله موجود؛ لأنَّ الصنعة دليل على الصانع لا محالة.

[٢] وأنه واحدٌ لا شريك له؛ لأنه لا خالق إلَّا هو(١)، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (لأنه لا خالق إلَّا هو) توجيه لدلالة المخلوقات على أنه واحد؛ وهذا ليس بجيِّد في صياغة الاستدلال؛ لأنه تعليل للشيء بنفسه؛ فكأنه قال: دلت على أنه واحد؛ لأنه واحد. ولا يخفى ما فيه.

[٣-٦] وأنه حيٌّ، قدير، عالم[١]، مُريد؛ لأنَّ هذه الصفاتِ الأربعَ من شروط الصانع؛ إذ لا تصدر صنعة عمَّن عَدِم صفةً منها.

[٧] وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات، فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.

[٨] وأنه باقٍ؛ لأن ما[٢] ثبت قِدَمُه استحال عَدمه.

[٩] وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات، وتدبيره للملكوت.

[١٠] وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافعَ لبني آدم، سخر لهم ما في السموات وما في الأرض.

وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على: وجوده تعالى، أو على وَحدانيته[٣].

---

(١) في أ: «عليم».

(٢) في ب، د: «من».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته)، أقول: في هذا نظر؛ فإن المخاطَبين ليسوا جاحدين لوجود الله؛ بل مشركين في العبادة؛ فالمقصود الأول من ذكر المخلوقات الاستدلالُ بها على توحيد الإلهية، وهم يقرون بأنه الخالق لهذه المخلوقات، فاحتُجَّ عليهم بما أقروا به على ما أنكروه من توحيد الإلهية، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، ولما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ =

فإن قيل: لم قصَر الخطاب بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على المخاطَبين دون الذين مِن قبلهم، مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟

فالجواب: أنه لم يَقصرْه عليهم في المعنى، ولكنه غلَّب المخاطبين على الغائبين في اللفظ، والمراد الجميع[(١)].

فإن قيل: هلَّا قال: «لعلكم تعبدون»؛ مناسبةً لقوله: ﴿أَعْبُدُواْ﴾؟

فالجواب: أنَّ التقوى غايةُ العبادة وكمالها؛ فكان قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أبلغَ وأوقع في النفوس[(٢)].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية إثباتٌ لنبوَّة محمد ﷺ؛ بإقامة الدليل على أنَّ القرآن الذي جاء به من عند الله.

فلما قدَّم إثبات الإلهية: أعقبها بإثبات النبوة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟

فالجواب: أنه ذكر حرف «إنْ» إشارةً إلى أنَّ الريب بعيد عند العقلاء في

= ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فتضمَّنت الآيتان الأمر بعبادته تعالى، والنهيَ عن الشرك به، وذكرَ المقتضي لذلك، وهو خلق الأولين والآخرين وخلق السماوات والأرض وما بينهما، ونظائر ذلك كثير.

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٩٩).

مثل هذا الأمر الساطع البرهان؛ فلذلك وضع حرف التوقُّع والاحتمال في الأمر[١] الواقع؛ لبُعْدِ وقوع الريب وقُبْحه عند العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[٢].

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هو النبيُّ ﷺ.

والعبودية على وجهين:

عامة، وهي التي بمعنى المِلْك.

وخاصة، وهي التي يراد بها التَّشريف والتَّخصيص، وهي من أشرف أوصاف العباد، ولله درُّ القائل:

لا تـدعـنـي إلَّا بـيـا عـبـدَهُ فـإنَّـه أشـرفُ أسـمـائِـيْ[٣]

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمرٌ يراد به التَّعجيز.

﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ **الضمير عائد**:

على: ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾، وهو القرآن، و«مِن»: لبيان الجنس.

وقيل: يعود على النبي ﷺ؛ فـ«مِن» -على هذا-: لابتداءِ الغاية، ومعناه: مِن بشرٍ مثلِه.

---

(١) في ج، هـ زيادة: «الماضي».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٥٤).

(٣) هذا البيت ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤٥) بإسناده إلى أبي عبد الله المغربي (ت ٢٩٩هـ).

والأول أرجح؛ لتعيُّنه[١] في «يونس» و«هود».

ومعنى: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾: في فصاحته، وفيما تضمَّن من العلوم، والحكم العجيبة، والبراهين الواضحة.

﴿شُهَدَآءَكُم﴾: آلهتَكم، أو أعوانَكم، أو مَن يشهد لكم.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِ الله.

وقيل: هو مِن الدنيء الحقير؛ فهو مقلوب اللفظ.

﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ اعتراضٌ بين الشرط وجوابِه، فيه مبالغةٌ وبلاغة، وهو إخبار ظهر مصداقُه في الوجود؛ إذ لم يقدر أحد أن يأتيَ بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرُّفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب.

وفي الإخبار بذلك معجزةٌ أخرى.

وقد اختلف في عجْز الخلق عنه على قولين:

أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله، وهو الصَّحيح.

والثاني: أنه كان في قدرتهم وصُرِفوا عنه.

والإعجاز حاصل على الوجهين.

وقد بيَّنَّا سائرَ وجوه إعجازه في المقدمات[٢].

---

(١) في ب، ج، د: «التعيينه».

(٢) انظر صفحة ١١٨.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي: فآمنوا؛ لتنجُوا من النار، وعبر بالملازِم عن ملازِمه؛ لأنَّ ذكْر النار أبلغُ في التفخيم والتهويل والتخويف.

﴿وَقُودُهَا﴾ حطبُها.

﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود: هي حجارة الكبريت؛ لسرعة اتِّقادها، وشدَّة حرِّها، وقبح رائحتها.

وقيل: الحجارة المعبودة.

وقيل: الحجارة على الإطلاق.

﴿أُعِدَّتْ﴾ دليلٌ على أنها قد خُلِقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة، خلافًا لمن قال: إنها تخلق يوم القيامة.

وكذلك الجنة.

﴿وَبَشِّرِ﴾ يَحتمل أن يكون:

خطابًا للنبي ﷺ.

أو خطابًا لكل أحد، ورجَّح الزمخشري هذا(١)؛ لأنه أفخم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دليلٌ على أنَّ الإيمان خلافُ العمل؛ لعطفه عليه، خلافاً لمن قال: الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل.

وفيه دليلٌ على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافًا للمرجئة(٢).

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٣٤٣).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «في كلام المؤلف مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: «دليلٌ على أن الإيمان خلاف العمل؛ لعطفه عليه». =

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيها.

وهي: أنهار الماء، واللبن، والخمر، والعسل. وهكذا[1] تفسيره حيث وقع.

وروي أن أنهار الجنة تجري في غير أُخدود[2].

﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ «مِن» الأولى: للغاية، أو للتبعيض، أو لبيان الجنس.

و«مِن» الثانية: لبيان الجنس.

﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا؛ بدليل قولهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور: ٢٦] أي: في الدنيا، فإن في الجنة أجناسَ ثمر الدنيا، وإن كانت خيرًا منها في المطعم والمنظر.

= أقول: ظاهره أنه يقرر هذا الاستدلال، وهو بهذا يوافق جميع طوائف المرجئة في الاستدلال بهذه الآية على إخراج الأعمال عن مسمَّى الإيمان، وأهل السنة يخالفونهم في أصل المسألة وفي الاستدلال بالآية، فيقولون: العمل من الإيمان، لدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، كحديث وفد عبد القيس وحديث شعب الإيمان. ويقولون: العطف لا يقتضي المغايرة دائما، بل منه عطف الخاص على العام، ومن ذلك عطف الأعمال على الإيمان.

المسألة الثانية: قوله: «وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافًا للمرجئة».

أقول: هذا الاستدلال صحيح، ولكن قوله: «خلافا للمرجئة» لا يصح على الإطلاق؛ لأن مرجئة الفقهاء لا ينازعون في هذا، وإنما ينازع في هذا المرجئةُ الجهمية، القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب».

(١) في ج، د: «وهذا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٥).

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي: يشبه ثمرَ الدنيا في جنسه.

وقيل: يشبه بعضه بعضًا في المنظر، ويختلف في المطعم.

والضمير المجرور يعود على: المرزوق الذي يدلُّ عليه المعنى.

﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء ومن سائر الأقذار التي لا تختصُّ بالنساء، كالبول وغيره.

ويحتمل أن يريد: طهارةَ الطِّباع، وطيبَ الأخلاق.

﴿لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾ تأوَّل قومٌ أن معناه: لا يترك؛ لأنهم زعموا أنَّ الحياء مستحيل على الله؛ لأنه -عندهم-: انكسارٌ يمنع من الوقوع في أمرٍ.

وليس كذلك؛ وإنما هو: كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب.

ويردُّ عليهم: قوله ﷺ: «إن الله حييٌّ كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردَّهما صفرًا»(١)(٢).

﴿أَن يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أنَّه لـمَّا ذُكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) جميعهم من حديث سلمان الفارسي ﷺ.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «كلام المؤلف مستقيم، على مذهب أهل السنة؛ لأنه تضمَّن إثبات الحياء لله على ما يليق به، وأنكر على من زعم أنه ممتنعٌ على الله، مما أوجب لهم تحريف الآية بتأويل الحياء بالترك، واستدل المؤلف لما ذهب إليه بالحديث، وهو استدلال صحيح».

وقيل: لما ضَرب المثَلين المتقدِّمين في المنافقين تكلَّموا في ذلك؛ فنزلت الآية ردًّا عليهم.

﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب ﴿بَعُوضَةً﴾:

مفعولٌ بـ ﴿يَضْرِبَ﴾، و﴿مَثَلًا﴾ حال.

أو ﴿مَثَلًا﴾ مفعول، و﴿بَعُوضَةً﴾ بدل منه، أو عطف بيان.

أو هما مفعولان بـ ﴿يَضْرِبَ﴾؛ لأنها -على هذا المعنى- تتعدَّى إلى مفعولين، كجعل.

و﴿مَّا﴾: صفة للنكرة، أو زائدة.

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكِبَر.

وقيل: في الصِّغَر.

والأول أظهر.

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾؛ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء، ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمةٌ، وضَرْبُ أمثال، وبيانٌ للناس، ولأنَّ الصادق جاء بها من عند الله.

﴿مَاذَآ أَرَادَ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه: الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب.

وفي إعراب ﴿مَاذَآ﴾ وجهان:

أن تكون «ما» مبتدأ، و«ذا» خبره، وهي موصولة.

وأن تكون كلمة مركَّبة في موضع نصب على المفعول بـ ﴿أَرَادَ﴾.

و﴿مَثَلًا﴾ منصوب على: الحال، أو التمييز.

﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ من كلام الله؛ جوابًا للذين قالوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

وهو -أيضًا- تفسيرٌ لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال.

﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ مطلقٌ في العهود، وكذلك ما بعده من القطع والفساد.

ويَحتمل:

أن يشارَ بنقض عهد الله إلى اليهود؛ لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ.

ويشارَ بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين.

ويشارَ بالفساد في الأرض إلى المنافقين؛ لأن الإفساد[1] من أفعالهم، حسَبما تقدَّم في وصفهم[2].

﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ الضمير: للعهد، أو لله تعالى.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ موضعُها[3]: الاستفهام، ومعناها هنا: الإنكار والتوبيخ.

---

(١) في ب، د: «الفساد».
(٢) في ب، ج، هـ: «صفتهم».
(٣) في ب، ج، هـ: «موضوعها».

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ أي: معدومين، أو في أصلاب الآباء، أو نُطَفًا في الأرحام.

﴿فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ أي: أخرجكم إلى الدنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

وقيل: الحياة الأُولى: حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد.

وقيل: في الحياة الثانية: إنها في القبور.

والراجح القول الأول؛ لتعيُّنه في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: ٦٦].

★ فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية في معرض الردِّ على الكفار، وإقامة البرهان على بطلان قولهم.

فإن قيل: إنما يصحُّ الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتجُّ عليهم بالبعث وهم منكرون له؟

فالجواب: أنهم أُلزِموا، مِن ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت، ثبوتَ البعث؛ لأن القدرة صالحةٌ لذلك كلِّه.

الثانية: قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ في موضع الحال.

فإن قيل: كيف جاء دون «قد» وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟

فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل، والمراد: مجموع الكلام؛ كأنه يقول: وحالكم هذه؛ فلذلك لم تلزم «قد»[(١)].

الثالثة: عطَف ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بالفاء؛ لأن الحياة إِثْرُ العدم، لا تراخيَ بينهما، وعطَف ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ و﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بـ «ثم»؛ للتَّراخي الذي بينهما.

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إباحة الانتفاع بما في الأرض.

﴿اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصَد لها.

والسماء -هنا-: جنس؛ ولأجل ذلك أعاد عليها بَعْدُ ضميرَ الجماعة.

﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي: أتقن خِلْقَتهنَّ؛ كقوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].

وقيل: جعلهنَّ سواءً.

★ فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقولُه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] ظاهرهُ خلاف ذلك؛ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الأرض خُلِقت قبل السماء، ودُحِيت بعد ذلك، فلا تعارض.

والآخر: أن تكون «ثُمَّ» لترتيب الإخبار.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤١٣).

[﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن
يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ
هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ
غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ
ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾].

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جمع ملَك، واختلف في وزنه:

فقيل: فَعَلٌ؛ فالميم أصلية، ووزن ملائكة على هذا: فعائلة.

وقيل: هو من الألُوكة، وهي الرِّسالة، فوزنه مَفْعَلٌ وأصله: مَألَكٌ، ثم حذفت الهمزة، ووزن ملائكة على هذا: مَفاعِلة، ثم قلب وأخرت الهمزة؛ فصار: مَعافِلة؛ وذلك بعيد.

﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم عليه السلام؛ لأنَّ الله استخلفه في الأرض.

وقيل: ذرِّيته؛ لأنَّ بعضهم يخلف بعضًا.

والأوَّل أرجح، ولو أراد الثاني لقال: خلفاء.

﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ الآية؛ سؤالٌ محضٌ؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله مَن يعصيه.

وليس فيه اعتراضٌ؛ لأنَّ الملائكة منزَّهون عنه.

وإنما علِموا أنَّ بني آدم يفسدون:

بإعلام الله إياهم بذلك.

وقيل: كان في الأرض جنٌّ فأفسدوا، فبعث الله إليهم ملائكةً فقتلتهم، فقاس الملائكة بني آدم عليهم.

﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ﴾ اعترافٌ، والتزام للتسبيح، لا افتخارٌ ولا منَّةٌ.

﴿بِحَمۡدِكَ﴾ أي: حامدين لك، والتقدير: نسبِّح مُلْتبِسين[1] بحمدك؛ فهو في موضع الحال.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ يَحتمل:

أن تكون الكاف مفعولًا، ودخلت عليها اللام؛ كقولك: ضربتُ لِزيدٍ.

أو أن يكون المفعول محذوفًا، أي: نقدِّسك، على معنى: ننزِّهك أو نعظِّمك، وتكون اللام في ﴿لَكَۖ﴾ للتعليل؛ أي: لأجلك.

أو يكون التقدير: نقدِّس أنفسَنا -أي نطهِّرها- لك.

﴿أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء،

---

(١) في ب، د، هامش أ ورمز له بـ«خ»: «متلبِّسين».

وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي: أسماءَ بني آدم.

أو[١] أسماءَ أجناسِ الأشياء، كتسمية الفرس والشجرة وغير ذلك.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ﴾ أي: عرض المسمَّيات، وهي أشخاص بني آدم، أو[٢] أجناس الأشياء.

﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أمرٌ على وجه التعجيز.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إنَّ الخليفة يُفسد في الأرض ويَسفك الدماء.

وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء.

﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ اعترافٌ.

﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ أي: أنبئ الملائكة بأسماء ذرِّيتك، أو بأسماء أجناس الأشياء.

﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ السجود له على وجه التحيَّة.

وقيل: عبادة لله، وآدم كالقبلة.

﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ روي أنَّ أوَّل من سجد إسرافيل؛ ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ[٣].

---

(١) في ج، هـ: «و».

(٢) في ج، هـ: «و».

(٣) أخرجه ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٩٨).

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ متصل عند من قال: إنه كان ملَكًا.

ومنقطع عند من قال: إنه كان من الجن.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ لقوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قيل: كفَر بإبايته من السجود؛ وذلك بناء على أن المعصية كفرٌ.

والأظهر: أنه كفَر باعتراضه على الله، وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفرَ جحود؛ لاعترافه بالربوبية.

﴿وَزَوۡجُكَ﴾ هي حواء، خلقها الله من ضِلَعِ آدم.

ويقال: زوجةٌ، وزوجٌ؛ وهذا أفصح.

﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ هي جنةُ الخلد عند الجماعة وأهل السنة، خلافًا لمن قال: هي غيرها.

﴿وَلَا تَقۡرَبَا﴾ النهيُ عن القرب يقتضي النهيَ عن الأكل بطريق الأَولى، وإنما نهَى عن القرب سدًّا للذريعة؛ فهذا أصل في سدِّ الذرائع.

﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة.

وذلك مفتقر إلى نقل صحيح، واللفظ مبهم.

﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على ﴿تَقۡرَبَا﴾.

أو: نصب بإضمار «أنْ» بعد الفاء في جواب النهي.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعدٍّ: من زلَل القدم.

و﴿أَزَالَهُمَا﴾ بالألف: من الزوال.

﴿عَنْهَا﴾ الضمير عائد:

على الجنة.

أو على الشجرة؛ فتكون «عن» -على هذا- سببية.

★ **فائدة**: اختلفوا في أكل آدم الشجرة:

فالأظهر: أنه كان على وجه النِّسيان؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

وقيل: سَكِر من خمر الجنة، وحينئذٍ أكل منها؛ وهذا باطل؛ لأن خمر الجنة لا تُسكِر.

وقيل: أكلَها عمدًا، وهي معصية صغرى؛ وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر.

وقيل: تأوَّل آدم أن النهي كان عن شجرة معينة، فأكل من غيرها من جنسها.

وقيل: لما حلف له إبليس صدَّقه؛ لأنه ظنَّ أنه لا يحلف أحدٌ كاذبًا.

﴿اهْبِطُواْ﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس؛ بدليل: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضعُ استقرار؛ وهو في مدَّة الحياة.

وقيل: في بطن الأرض بعد الموت.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما يتمتَّع به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموت.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ أي: أخذ وقَبِلَ على قراءة الجماعة.

وقرأ ابن كثير بنصب «آدمَ» ورفع الكلمات؛ فـ﴿تَلَقَّى﴾ - على هذا -: من اللِّقاء.

﴿كَلِمَٰتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ بدليل ورودها في «الأعراف».

وقيل غير ذلك.

﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ كُرِّر؛ ليُناط به ما بعده.

ويَحتمل: أن يكون أحدُ الهبوطين من السماء، والآخر من الجنة.

وأن يكون هذا الثاني: لذرِّية آدم؛ لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾، والأول: لآدم وزوجه وإبليس.

وروي أن آدم نزل بسَرنديب من أرض الهند، وحواء بجدَّة، وإبليس بالأُبُلَّةِ(١).

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ «إنْ»: شرطية، و«ما» زائدة؛ للتأكيد.

والهدى هنا يراد به: كتاب(٢) الله ورسالاته.

﴿فَمَن تَبِعَ﴾ شرطٌ، وهو جواب الشرط الأوَّل.

وقيل: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ جواب الشرطين.

---

(١) الأُبلَّة: بلدة قريبة من البصرة في العراق. انظر: معجم البلدان (١/ ٧٦).

(٢) في ب: «كتب».

[﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ لمَّا قدَّم دعوة الناس عمومًا، وذكر مبدأهم: دعا بني إسرائيل خصوصًا، وهم اليهود.

وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

فتارةً دعاهم بالملاطفة وذكْر الإنعام عليهم وعلى آبائهم.

وتارة بالتخويف.

وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم.

★ فذكَر من النِّعم عليهم عشرةَ أشياء، وهي:

[١] ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٩].

[٢] و﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [البقرة: ٥٠].

[٣] و﴿بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٦].

[٤] و﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧].

[٥] و﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].

[٦] و﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢].

[٧] و﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٨] و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨].

[٩] و﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

[١٠] و﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

★ وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء:

[١] قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

[٢] و﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢].

[٣] وقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

[٤] و﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٩].

[٥] و﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

[٦] و﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥].

[٧] و﴿تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤].

[٨] و﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة: ٧٤].

[٩] و﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

[١٠] و﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥].

★ وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء:

[١- ٢- ٣-] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

[٤] و﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

[٥] و﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٦] و﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥].

[٧] و﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٥٩].

[٨] و﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

[٩] و﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

[١٠] و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

وهذا كلُّه جرَى لآبائهم المتقدمين، وخوطب به المعاصرون لمحمد ﷺ؛ لأنهم متَّبعون لهم راضون بأحوالهم.

★ وقد وَبَّخ المعاصرين[١] لمحمد ﷺ بتوبيخات أخر، وهي عشرة:

[١] كتمانهم أمر محمد ﷺ مع[٢] معرفتهم به.

[٢] و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦].

---

(١) في ب، د، هـ: «وُبِّخ المعاصرون».

(٢) في د: «بعد».

[٣] و﴿يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

[٤-٥] و﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

[٦] وحرصهم على الحياة.

[٧] وعداوتهم لجبريل.

[٨] واتِّباعهم للسحر.

[٩] وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٨].

[١٠] وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿نِعْمَتِيَ﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناها عام في جميع النِّعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم، أو اختصُّوا هم به، كالمن والسلوى.

وللمفسرين فيه أقوال؛ تُحمل على أنها أمثلةٌ، واللفظ يعمُّ جميعَها.

﴿بِعَهْدِيٓ﴾ مطلقٌ في كل ما أُخذ عليهم من العهود.

وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك قويٌّ؛ لأنه مقصود الكلام.

﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة.

﴿وَإِيَّٰيَ﴾ مفعولٌ بفعل مضمر مؤخَّر؛ لانفصال الضمير، وليفيد الحصر، يفسِّره: ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾؛ لأنه قد أخذ معمولَه[1].

---

(١) في د: «مفعوله».

وكذلك: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدِّقًا للتوراة.

★ وتصديقُ القرآن للتوراة وغيرِها، وتصديقُ محمد ﷺ للأنبياء المتقدمين له ثلاثة معان:

أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا؛ فتبيَّن صدقهم في الإخبار به.

والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو مصدِّقٌ لهم؛ أي: شاهدٌ بصدقهم.

والثالث: أنه ﷺ وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم؛ لاتفاقه معهم في الإيمان بذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ الضمير عائد على القرآن.

وهذا نهيٌ عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني حالٍ؛ لأن هذا مفهوم معطَّل، بل يقتضي الأمرَ بمبادرتهم إلى الإيمان به؛ لِمَا يجدون في كتبهم من ذكره، ولما يعرفون من علاماته.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا: استعارة في الاستبدال؛ كقوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾.

والآيات هنا: هي الإيمان بمحمد ﷺ.

والثمن القليل: ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم، وأخذ الرُّشا على تغيير أمر محمد ﷺ، وغير ذلك.

وقيل: كانوا يعلِّمون دينهم بالأجرة فنُهوا عن ذلك.

واحتجَّ الحنفية بهذه الآية على منع الأُجرة[1] على تعليم القرآن.

﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الحق هنا يراد به: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به.

وقيل: الحق: التوراة، والباطل: ما زادوا فيها.

﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ معطوف على النهي.

أو منصوب بإضمار «أنْ» في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع.

والأول أرجح؛ لأنَّ العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين، بخلاف النصب بالواو؛ فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين، لا النهيَ عن كل واحد على انفراده.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه حق.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يراد بها: صلاة المسلمين وزكاتهم؛ فهو يقتضي الأمرَ بالدخول في الإسلام.

﴿وَٱرْكَعُوا۟﴾ خصَّص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ لأنَّ صلاة اليهود بلا ركوع، فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع.

وقيل: الركوع: الخضوع والانقياد.

---

(١) في ج، هـ: «الإجارة».

﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ هم المسلمون؛ فيقتضي ذلك: الأمرَ بالدخول في دينهم.

وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تقريعٌ وتوبيخ لليهود.

﴿بِٱلْبِرِّ﴾ عامٌّ في أنواعه؛ فوبَّخهم على أمر الناس به وتركهم له.

وقيل: كان الأحبار يأمرون مَن نصحوه في السرِّ باتباع محمد ﷺ، ولا يتَّبعونه.

وقال ابن عباس: كانوا يأمرون باتباع التوراة، ويخالفونها في جحدهم منها صفةَ محمد ﷺ.

﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أي: تتركون، وهذا تقريع.

﴿تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حجة عليهم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قيل: معناه: استعينوا بهما على مصائب الدنيا، وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ: «كان إذا حزَبه[١] أمر فزِع إلى الصلاة»[٢]، ونُعي إلى ابن عباس أخوه قُثَم فصلَّى ركعتين وقرأ الآية[٣].

وقيل: استعينوا بهما على طلب الآخرة.

وقيل: الصبر هنا الصوم.

---

(١) في ج، هـ: «حزنه»، وفي ب، د: «أحزنه»، والمثبت هو الموافق لما في الرواية.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٢٠).

وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد:

على العبادة التي تضمَّنها الصبر والصلاة.

أو على الاستعانة.

أو على الصلاة.

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقَّةٌ صعبة.

﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا: يتيقَّنون.



[﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ
يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ
نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ
ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ
وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ
أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ
فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ
جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ
فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾].

﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم.

وقيل: تفضيلٌ من وجهٍ مَا، وهو كثرة الأنبياء و[1] غير ذلك.

﴿لَّا تَجۡزِي﴾ لا تغني، و﴿شَيۡـٔٗا﴾:

مفعولٌ به.

---

(١) في ب، ج، هـ: «أو».

أو صفةٌ لمصدر محذوف.

والجملة في موضع الصفة، وحُذِف الضمير؛ أي: فيه.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ليس نفيُ الشفاعة مطلقًا؛ فإنَّ مذهب أهل الحق ثبوتُ شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، ولقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وانظر ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة، فيقال له: «اشفع تشفع»[١].

فكلُّ ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقًا يحمل على هذا؛ لأنَّ المطلق يحمل على المقيَّد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة.

﴿عَدْلٌ﴾ هنا: فدية.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ جمَع؛ لأنَّ النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ تقديره: اذكروا إذ نجيناكم، أي: نجينا آباءكم.

وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ؛ لأنهم ذرِّيتُهم وعلى دينهم ومتَّبعون لهم، فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا:

مِن تَعداد النعم؛ لأن الإنعام على الآباء إنعامٌ على الأبناء.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

ومِن ذكر مساوئهم؛ لأنَّ ذرِّيتهم راضون بها.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: من فرعون وآله؛ وحذف لدلالة المعنى.

وآل فرعون: هم جنوده وأشياعه وآل دينه، لا قرابته خاصة.

ويقال: إنَّ اسمه: الوليد بن مصعب، وهو من ذرِّية عِمليق.

ويقال: «فرعون»: لكلِّ مَن ولي مصر.

وأصل «آل»: أهل، ثم أُبدل من الهاء همزةٌ، وأُبدل من الهمزة ألفٌ.

★ **فائدة**: كلُّ ما ذُكر في هذه السورة من الأَخبار معجزاتٌ للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلُّم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: يُلزِمونه لكم، وهو استعارة من السَّوم في البيع.

وفَسَّر سوءَ العذاب بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفْه هنا.

وأما حيث عطَفه في سورة «إبراهيم» فيحتمل:

أن يراد بـ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ غير ذلك؛ فيكون عطفَ مغايرةٍ.

أو أراد به ذلك؛ وعطَفه لاختلاف اللفظ.

وكان سبب قتلِ فرعون لأبناء بني إسرائيل:

أنه أخبره الكهان والمنجِّمون أنَّ هلاكه على يد مولود ذكرٍ من بني إسرائيل.

وقيل: إنَّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذرِّيته ملوكًا وأنبياء فحسدَهم[1] على ذلك.

وروي: أنه وكَّل بالنساء رجالًا يحفظون من يحمل منهنَّ[2].

وقيل: بل وكَّل على ذلك القوابل؛ ولأجل هذا قيل: معنى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يَفْتِشون الحيا مِن كل امرأة، وهو فرجُها، وهذا بعيد.

والأظهر: أنه من الحياة ضدِّ الموت.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: فصَلناه، وجعلناه فِرَقًا، اثني عشر طريقًا، على عدد الأسباط.

والباء: سببية، أو للمصاحبة.

والبحر المذكور هنا: هو بحر القُلْزُوم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي: شهر ذي قَعدة وعشر ذي الحجة.

وإنما خصَّ الليالي بالذكر لأنَّ التاريخ بها، والأيام تابعة لها، والمراد: أربعين ليلة بأيامها.

﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: اتخذتموه إلهًا؛ فحذف لدلالة المعنى.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي:[3] بعد غَيبته في الطُّور.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: التوراة.

---

(١) في ب، د: «فحسدوهم».
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦٤٦).
(٣) في ب، ج، د زيادة: «من».

﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: المفرِّق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة؛ عطف عليها لاختلاف اللفظ.

وقيل: الفرقان هنا: فَرق البحر.

وقيل: المعنى: آتينا موسى الكتاب، وآتينا محمدًا الفرقان؛ وهذا بعيد؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه.

﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضًا؛ كقوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وروي: أن من لم يعبد العجل قَتل من عبده[١].

وروي: أنَّ الظلام أُلقِي عليهم فقتل بعضهم بعضًا، حتى بلغ القتلى سبعين ألفًا، فعفا الله عنهم[٢].

وإنما خصَّ هنا اسم البارئ؛ لأن فيه توبيخًا للذين عبدوا العجل؛ كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برَأكم. ومعنى البارئ: الخالق.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب، أي: ففعلتم ما أُمرتم به من القتل فتاب عليكم.

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدَّى باللام؛ لأنه تضمَّن معنى الانقياد.

﴿جَهْرَةً﴾ عِيانًا.

﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الموت.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٠).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠).

وكانوا سبعين، وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور، فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا؛ لسوء أدبهم، وجُرأتهم على الله.

﴿وَظَلَّلْنَا﴾ أي: جعلنا الغمام فوقهم كالظُّلة يقيكم حرَّ الشمس، وكان ذلك في التِّيه.

وكذلك أنزل عليهم فيه المنَّ والسلوى لما عَدِموا الطعام.

وقد فسَّرنا ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ في «اللغات»[1].

﴿كُلُوا۟﴾ معمولٌ لقول محذوف.

﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وقيل: قريب من بيت المقدس.

﴿فَكُلُوا۟﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول فيها.

وجاء في «الأعراف» بالواو بعد قوله: ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾؛ لأن الأكل مقارن للسكنى.

﴿سُجَّدًا﴾ قيل: معناه رُكَّعًا؛ لأنّ الدخول لا يتأتّى معه السجود.

وقيل: متواضعين.

﴿حِطَّةٌ﴾ تقدَّم في «اللغات»[2].

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نزيدهم أجرًا إلى المغفرة.

---

(١) انظر المادتين: (٣٠٥)، (٤٩٣) في اللغات.

(٢) انظر المادة (١٣٤) في اللغات.

﴿فَبَدَّلَ﴾ روي أنه قالوا: حنطة.

وروي: حبة في شعرة.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد ذمِّهم بالظلم.

وكرَّره زيادة في تقبيح أمرهم.

﴿رِجْزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا.



[﴿۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ۝٦٠ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٦١﴾].

﴿ٱسۡتَسۡقَىٰ﴾ طلَبَ السُّقيا لمَّا عطشوا في التيه.

﴿ٱلۡحَجَرَۖ﴾ كان مربَّعًا؛ ذراعًا في ذراع، تنفجر من كل جهة ثلاث عيون.

وروي: أنَّ آدم كان أهبطه من الجنة.

وقيل: هو جنس غير معيَّن؛ وذلك أبلغ في الإعجاز.

﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ قبله محذوف تقديره: فضربه فانفجرت.

﴿مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ أي: موضعَ شربهم، وكانوا اثني عشر سِبْطًا؛ لكل سبط عينٌ.

﴿كُلُواْ﴾ أي: من المنِّ والسلوى.

﴿وَٱشۡرَبُواْ﴾ من الماء المذكور.

﴿وَفُومِهَا﴾ هي الثوم. وقيل: الحنطة.

﴿أَدۡنَىٰ﴾ من الدنيء الحقير.

وقيل: أصله «أدون»، ثم قُلب بتأخير عينه وتقديم لامه.

﴿مِصۡرٗا﴾ قيل: البلد المعروف؛ وصُرِف لسكون وسطه.

وقيل: هو غير معين فهو نكرة؛ لِمَا روي أنهم نزلوا بالشام.

والأول أرجح؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] يعني: مصر.

﴿وَضُرِبَتۡ﴾ أي قُضِي عليهم بها، وأُلزِموها.

وجعله الزمخشري استعارةً؛ مِن ضرْب القُبَّة؛ لأنها تعلو الإنسان وتحيط به[١].

﴿وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ الفاقة، وقيل: الجزية.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ﴾ الإشارة إلى: ضرب الذِّلة، والمسكنة، والغضب.

والباء للتعليل.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآيات المتلوة، أو العلامات.

﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبيٌّ إلَّا بغير حق، وإنما نصَّ عليه تشنيعًا لقبح فعلهم، ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق؛ وذلك أقبح.

★ **فائدة:** قال هنا: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ بالتعريف، فاللام للعهد؛ لأنه قد تقرَّرت الموجبات لقتل النفس.

وقال في الموضع الآخر من «آل عمران»: ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١]

---

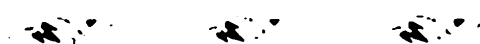
(١) انظر: الكشاف (٢/ ٥٠٧).

بالتنكير؛ لاستغراق النفي؛ لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ يحتمل:

أن يكون تأكيدًا للأول.

أو تكون الإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى القتل والكفر، والباء لتعليل ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اجترأوا على الكفر وقتل الأنبياء لمَّا انهمكوا في العصيان والعدوان.



[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ
﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ
عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا
قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ
لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ
خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية: قال ابن عباس: نسخها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقيل: معناها: إنَّ هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانًا صحيحًا فله أجره؛ فيكون في حق المؤمنين: الثبات إلى الموت، وفي حق غيرهم: الدخول

في الإسلام؛ فلا نسخ.

وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ؛ فلا نسخ.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾.

أو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل، و﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها؛ فرُفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ جدٌّ في تعلم التوراة، أو العمل بها.

﴿ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت، وكان محرَّمًا عليهم.

﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ عبارةٌ عن مسخهم.

و﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: صفة، أو خبر ثان؛ ومعناه: مُبعَدِين كما يُخسأ الكلب.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ الضمير للفِعلة؛ وهي المسخ.

﴿نَكَٰلًا﴾ أي: عقوبةً لما تقدَّم من ذنوبهم وما تأخَّر.

وقيل: عبرةً لمن تقدَّم ومن تأخَّر.

﴿أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ قصَّتها: أن رجلًا من بني إسرائيل قَتل قريبه ليرثه، وادَّعى على قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتيل ببعضها، ففعلوا، فقام وأخبر بمن قتله، ثم عاد ميتًا.

﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ جفاءٌ وقلَّة أدب، أو تكذيبٌ.

﴿فَارِضٌ﴾ مسنَّةٌ.

﴿بِكۡرٌ﴾ صغيرة.

﴿عَوَانُۢ﴾ متوسطة.

﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: بين ما ذُكِر؛ ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَۖ﴾ مع أن الإشارة إلى شيئين.

﴿صَفۡرَآءُ﴾ من الصفرة المعروفة.

وقيل: سوداء؛ وهو بعيد.

والظاهر: صفراء كلُّها.

وقيل: القرن والظِّلف فقط؛ وهو بعيد.

﴿فَاقِعٞ﴾ شديد الصفرة.

﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ لحسن لونها.

وقيل: لسِمَنِها ومنظرِها كلِّه.

﴿لَّا ذَلُولٞ﴾ أي: غير مذلَّلَةٍ للعمل.

﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: تحرثها، وهو داخل تحت النفي على الأصح.

﴿وَلَا تَسۡقِي﴾ لا يسقى عليها.

﴿مُسَلَّمَةٞ﴾ من العمل، أو من العيوب.

﴿لَّا شِيَةَ﴾ لا لُمْعة غير الصفرة؛ وهو مِن «وشى»؛ ففاؤه واو محذوفة، كعِدَةٍ.

﴿ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ العامل في الظرف: ﴿جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾.

وقيل: العامل فيه مضمر تقديره: الآن نذبحُها.

والأول أظهر.

فإن كان قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ تكذيبًا: فهذا تصديق.

وإن كان غير ذلك فالمعنى: بالحق البيِّن.

﴿وَمَا كَادُوا﴾؛ لعصيانهم وكثرة سؤالهم عن شأنها.

أو لغلاء البقرة؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم، وأنهم اشتروها بوزنها ذهبًا.

أو لقلَّة وجود تلك الصفات؛ فقد روي أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم، ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أوَّل قصة البقرة؛ فرتْبتُه التقديم قبلَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾!.

قال الزمخشري: إنما أُخِّر لتعدُّد توبيخهم بقصتين؛ وهما: ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس؛ ولو قدِّم لكان قصةً واحدة بتوبيخ واحد[1].

﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ أي اختلفتم؛ وهو من المدارأة؛ أي: المدافعة.

﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتيل، ومَن قتله.

﴿اضْرِبُوهُ﴾ القتيلَ، أو قبرَه.

﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلقٌ. وقيل: الفَخِذ. وقيل: اللسان. وقيل: الذنَب.

﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتيل، واستدلالٌ بها على الإحياء للبعث.

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٥٣٨).

وقبله محذوف لا بدَّ منه؛ وهو: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

★ **فائدة**: استدلَّ المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: «فلان قتلني»؛ وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصَّته معجزة لنبيٍّ، فلا يتأتَّى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره.

واستدلوا -أيضًا- بها على أن القاتل لا يرث؛ ولا دليل فيها على ذلك.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ خطاب لبني إسرائيل.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد إحياء القتيل، وما جرى في القصة من العجائب.

وذلك بيانٌ لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات.

﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف.

أو: خبر ابتداء؛ أي: هي أشدُّ.

و﴿أَوْ﴾ هنا إمَّا:

للإبهام.

أو للتخيير؛ كأنَّ من علم حالها مخيَّرٌ بين أن يشبِّهها بالحجارة، أو بما هو أشد قسوة، كالحديد.

أو للتفصيل؛ أي: فيهم كالحجارة، وفيهم أشدُّ.

وإنما قال: ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ولم يقل «أقسى» مع أن فعل القسوة يبنى منه «أفعل»: لكون ﴿أَشَدُّ﴾ أدلَّ على فرط القسوة.

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ الآيةَ: تفضيلٌ للحجارة على قلوبهم.

﴿يَهْبِطُ﴾ أي: يتردَّى من عُلْو إلى سُفْل[1].

والخشية: عبارة عن انقيادها.

وقيل: حقيقة؛ وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله.

---

(١) في أ: «أسفل».

[﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ
لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ
بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾
بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾].

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين.

و﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ يعني: اليهودَ، وتعدَّى باللام؛ لمَّا تضمن معنى الانقياد.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذي سمعوا كلام الله على الطور، ثم حرفوه.

وقيل: بنو إسرائيل، حرفوا التوراة.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيانٌ لقبح فعلهم[1].

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ قالها من ادَّعى الإسلام من اليهود.

وقيل: قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا أخبارهم.

---

(١) في هامش أ: «خ: حالهم».

﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ توبيخٌ.

﴿بِمَا فَتَحَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

بما حكم عليهم من العقوبات.

وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ.

وبما فتح الله عليهم من الخير والإنعام.

وكلُّ وجه حجةٌ عليهم؛ ولذلك قالوا: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾.

﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: في الآخرة.

وقيل: أي: في حكم ربكم وما أنزل في كتابه؛ فعنده بمعنى: حكمه.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم؛ توبيخًا لقومهم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الآيةَ: من كلام الله؛ ردًّا عليهم، وفضيحةً لهم.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي: لا يقرؤون ولا يكتبون؛ فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والمراد: قوم من اليهود.

وقيل: من المجوس؛ وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كلَّه مع اليهود.

﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ تلاوةً بغير فهم، أو أكاذيبَ، أو ما تتمناه النفس.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافترائهم.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرَضَ الدنيا؛ من الرئاسة، أو[1] الرشوة، وشبه ذلك.

---

(١) في ب، ج، د: «و».

﴿يَكۡسِبُونَ﴾ من الدنيا، أو من الذنوب.

﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ أربعين يومًا عددَ عبادتهم العجل.

وقيل: سبعة أيام.

﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾ الآيةَ: تقريرٌ يقتضي إبطال قولهم.

﴿بَلَىٰ﴾ تحقيقٌ:

لطول مكثهم في النار.

أو لقولهم ما لا يعلمون.

﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾ الآيةُ في الكفار؛ لأنها ردٌّ على اليهود، ولقوله بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار.

[﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾].

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ جوابٌ لقسمٍ[1]؛ يدلُّ عليه: الميثاق.

وقيل: خبر بمعنى النهي؛ ويرجحه قراءة: «لا تعبدوا».

وقيل: الأصل: «بأن لا تعبدوا»، ثم حذفت الباء، و«أنْ».

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

أو: بمحذوف، تقديره: أحسِنوا، ووُكّد بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ جمع يتيم؛ وهو من فقد والده قبل البلوغ.

واليتيم من سائر الحيوان: مَن فقد أمه.

---

(١) في ب، هـ: «القسم».

وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهمِّ: فقدَّم الوالدين؛ لحقِّهما الأعظم، ثم القرابة؛ لأن فيهم أجرُ الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى؛ لقلة حيلتهم، ثم المساكين.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض.

وإعرابه: مثل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لا يخرج بعضكم بعضًا.

﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق، واعترفتم بلزومه.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

﴿هَٰؤُلَآءِ﴾ منصوب -على التخصيص- بفعل مضمر.

وقال ابن الباذِش[1]: مبتدأ، وخبره ﴿أَنتُمْ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ﴾ حالٌ لازمة تمَّ بها المعنى[2].

﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاءَ الأوس، والنَّضير حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، وينفيه من موضعه إذا ظفر به.

﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ أي: تتعاونون.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذِش الأنصاري الغرناطي، نحويٌّ عالم بعلوم العربية، من شيوخ ابن عطية، ووالد أبي جعفر أحمد، صاحبِ «الإقناع» في القراءات، توفي سنة (٥٢٨هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (٤/ ٧٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٧٣).

﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ قرئ: بالألف وبحذفها؛ والمعنى واحد.

وكذلك ﴿أُسَـٰرَىٰ﴾ بالألف وحذفها؛ جمع أسير.

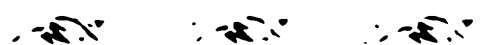
﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير: للإخراج من ديارهم، و﴿هُوَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿مُحَرَّمٌ﴾، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدل.

أو: الضمير للأمر والشأن، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبره، والجملة خبر الضمير.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فداؤهم الأسارى؛ موافقةً لما في كتابهم(١).

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتلُ والإخراج من الديار؛ مخالفةً لما في كتابهم.

﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلقٌ.



---

(١) في أ، ج، هـ: «كتبهم».

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ
فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ
ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾
۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا
يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ
عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ
وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن
يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾].

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: جئنا من بعده بالرسل؛ وهو مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول.

﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات؛ مِن إحياء الموتى وغير ذلك.

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ جبريل. وقيل: الإنجيل. وقيل: الاسم الذي كان يُحيي به الموتى.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، ولقوله ﷺ لحسان: «اللهم أيِّده بروح القدس»[١].

﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعًا مبالغةً؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه.

﴿غُلْفُۢ﴾ جمع أغلف؛ أي: عليها غلاف -وهو الغشاء- فلا تَفْقَهُ.

﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ردٌّ عليهم، وبيانٌ أن عدم فهمهم بسبب كفرهم.

﴿فَقَلِيلًا﴾ أي: إيمانًا قليلًا يؤمنون، و﴿مَّا﴾ زائدة.

ويجوز أن تكون القلة:

بمعنى العدم.

أو على أصلها؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض.

﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن.

﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدَّم أن له ثلاثة معانٍ[٢].

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي يستنصرون[٣] على المشركين؛ إذا قاتلوهم قالوا:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٥).

(٢) انظر صفحة ٣٠٨.

(٣) في ب، د: «ينتصرون».

«اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان». ويقولون لأعدائهم من المشركين: «قد أظلَّ زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرم».

وقيل: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يعرِّفون الناس بالنبي ﷺ؛ فالسين - على هذا - للمبالغة؛ كالسين في: استعجب واستسخر[1].

وعلى الأول: للطلب.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ القرآن، والإسلام، ومحمد ﷺ.

قال المبرِّد: ﴿كَفَرُوا۟﴾ جواب «لمّا» الأولى والثانية، وأُعيدت الثانية لطول الكلام، ولقصد التأكيد.

وقال الزَّجّاج: ﴿كَفَرُوا۟﴾ جواب «لمّا» الثانية، وحُذف جواب الأولى؛ للاستغناء عنه بذلك.

وقال الفرَّاء: جواب «لمّا» الأولى: ﴿فَلَمَّا﴾، وجواب الثانية: ﴿كَفَرُوا۟﴾.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: عليهم؛ يعني: اليهودَ، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ ليدلَّ أن اللعنة بسبب كفرهم.

واللام:

للعهد.

أو للجنس؛ فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.

---

(١) في د: «واستخرج».

﴿بِئْسَمَا﴾ فاعلُ «بئس» مضمر، و«ما» مفسِّرة له، و﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ هو المذموم.

وقال الفرَّاء: ﴿بِئْسَمَا﴾ مركب؛ كحبَّذا.

وقال الكسائي: «ما» مصدرية؛ أي: اشتراؤهم؛ فهي فاعلة.

﴿اشْتَرَوْاْ﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ في موضع خبر ابتداءٍ.

أو: مبتدأٌ؛ كاسم المذموم في «بئس».

أو: مفعولٌ من أجله.

أو: بدل من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾.

﴿بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن، أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها مِن ذكر محمد ﷺ.

﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ القرآن، والرسالة.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

والمعنى: أنهم إنما كفروا حسدًا لمحمد ﷺ لمّا تفضَّل الله عليه بالرسالة.

﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي: بغضب؛ لكفرهم بمحمد ﷺ على غضب: لكفرهم بعيسى عليه السلام.

أو لعبادتهم العجل.

أو لقولهم: عزير ابن الله.

ولغير ذلك من قبائحهم.

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن.

﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ التوراة.

﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: بما بعده؛ وهو القرآن.

﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ﴾ ردٌّ عليهم فيما ادَّعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيبٌ لهم.

وذكَر الماضيَ بلفظ المستقبل إشارةً إلى ثبوته؛ فكأنه دائم لمَّا رضي هؤلاء به.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ شرطيةٌ؛ بمعنى القدح في إيمانهم، وجوابُها يدل عليه ما قبل.

أو نافيةٌ؛ فيوقَف قبلها.

والأول أظهر.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: المعجزات؛ كالعصا، وفلْق البحر، وغير ذلك.

﴿ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ ذُكِر هنا على وجه الذمِّ لهم، والإبطالِ لقولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾.

وكذلك رفعُ الطور.

وذُكر قبل هذا على وجه تَعداد النِّعم؛ لقوله: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢]،

و﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [البقرة: ٦٤].

وعطفه بـ «ثُمَّ» في الموضعين؛ إشارةً إلى قبح ما فعلوه من ذلك.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الضمير لموسى عليه السلام؛ أي: مِن بعد غَيبته في مناجاة الله على جبل الطور.

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك.

ويَحتمل أن[1] قالوه: بلسان المقال، أو بلسان الحال.

﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ عبارةٌ عن تمكُّن حُب العجل من قلوبهم؛ فهو مجاز، تشبيهًا بشرب الماء، أو بشرب الصِّبْغ في الثوب.

وفي الكلام محذوف؛ أي: أُشرِبوا حُبَّ العجل.

وقيل: إن موسى برَد العجل بالمِبرَد، ورمى بُرَادته في الماء فشربوه؛ فالشُّرب على هذا حقيقة.

ويردُّ هذا قولُه: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء: سببيةٌ للتعليل، أو بمعنى المصاحبة.

﴿يَأْمُرُكُم﴾ إسنادُ الأمر إلى إيمانهم مجازٌ؛ على وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

وكذلك إضافة الإيمان إليهم.

و﴿إِن كُنتُم﴾: شرطٌ، أو نفيٌ.

---

(١) في ب، د زيادة: «يكون».

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان، أو باللسان خاصةً.

وذلك أمرٌ على وجه التعجيز والتبكيت؛ لأنَّه مَن علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها.

وورد: أنهم لو تمنوا الموت لماتوا في الحين.

وقيل: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طولَ حياته.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾، وفي سورة «الجمعة»: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥ﴾ فنفى هنا بـ«لن» وفي الجمعة بـ«لا»؟

فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابنُ الزبير: الجواب: أنه لما كان الشرط في «البقرة» مستقبلًا وهو قوله: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ = جاءَ جوابه بـ«لن» التي تخلِّص الفعلَ للاستقبال، ولما كان الشرط في «الجمعة» حالًا وهو قوله: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ = جاءَ جوابه بـ«لا» التي تدخل على الحال، وقد تدخل على المستقبل[1].

﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم.

﴿عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تهديدٌ لهم.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله؛ فيوصل به.

والمعنى: أن اليهودَ أحرصُ على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا،

---

(١) انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/ ٢٢٧).

فحُمِل على المعنى؛ كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا.

وخصَّ الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فأفْرطَ حبُّهم للحياة الدنيا.

والآخر: أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ ابتداءَ كلامٍ؛ فيوقف على ما قبله.

والمعنى: من الذين أشركوا قومٌ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فحُذِف الموصوف.

وقيل: أراد به المجوس؛ لأنهم يقولون لملوكهم: «عِشْ ألف سنة».

والأول أظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود، وعلى الثاني يَخرُج الكلام عنهم.

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ الآيةَ: فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون ﴿هُوَ﴾ عائدًا على ﴿أَحَدُهُمْ﴾، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل بـ ﴿مُزَحْزِحِهِۦ﴾.

والآخر: أن يكون ﴿هُوَ﴾ للتعمير، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل.

[﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾].

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآيةَ سببها: أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريل عدوُّنا؛ لأنه ملَك الشدائد والعذاب؛ فلذلك لا نؤمن بك، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك؛ لأنه ملَك الأمطار والرحمة.

﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ فيه وجهان:

الأول: فإن الله نزَّل جبريلَ.

والآخر: فإن جبريل نزَّل القرآنَ، وهذا أظهر؛ لأنَّ قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن.

والمعنى: الردُّ على اليهود بأحد وجهين:

أحدهما: من كان عدوًا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديَه؛ لأنه نزَّله على قلبك؛ فهو مستحق للمحبة، ويؤكِّد هذا قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾.

والثاني: من كان عدوًا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزَّله على قلبك، فكأنَّ هذا تعليلٌ لعداوتهم لجبريل.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ ذُكرَا بعد الملائكة تجريدًا؛ للتشريف والتعظيم.

﴿أَوَكُلَّمَا﴾ الواو: للعطف.

وقال الأخفش: زائدة.

﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ نزلت في مالك بن الصَّيْف اليهودي، وكان قد قال: والله ما أُخذ علينا عهدٌ أن نؤمن بمحمد.

﴿رَسُولٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، أو التوراة؛ لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: اليهود الذين في زمان محمد ﷺ، أو المتقدِّمون.

﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ هو مِن: القراءة، أو الاتِّباع.

﴿عَلَىٰ مُلْكِ﴾ أي: في ملكِ، أو على عهدِ ملك سليمان.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تبرئةٌ له مما نسبوه إليه؛ وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليُذهِبَه، فأخرجوه بعد موته، ونسبوه إليه، وقالت اليهود: إنما كان سليمان ساحرًا.

وقيل: إنَّ الشياطين استرقوا السمعَ وألقوه إلى الكهان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنَه، فلما مات قالوا: ذلك علم سليمان.

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بتعليم[1] السحر، أو بالعمل به، أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام.

﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ نفيٌ.

أو: عطفٌ على: ﴿ٱلسِّحْرَ﴾.

أو: على: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾.

﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ إن كانت «ما» نافيةً: فذلك تبرئةٌ لهما من إنزال السحر عليهما.

إلَّا أن ذلك يردُّه آخر الآية.

وإن كانت معطوفةً بمعنى «الذي» فالمعنى: أنهما أُنزِل عليهما ضربٌ من السحر؛ ابتلاءً من الله لعباده، أو ليُعرف فيُحذر منه.

وقرئ: ﴿المَلِكَيْنِ﴾ بكسر اللام؛ وقال الحسن: هما عِلْجان، فعلى هذا: يتعيَّن أن تكون «ما» غيرَ نافية.

﴿بِبَابِلَ﴾ موضعٌ معروف.

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ اسمان علَمان.

وهما: بدل من ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، أو عطفُ بيان.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «بتعلُّم»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (١/ ٢٩٩).

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي محنةٌ؛ وذلك تحذيرٌ من السحر.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي بتعلُّم السحر.

ومن هنا أَخذ مالكٌ أن الساحر يقتَل كفرًا.

﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء.

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة.

﴿عَلِمُوا﴾ أي: اليهود، أو الشياطين.

﴿اشْتَرَاهُ﴾ أي: اشتغل به، وذَكر الشراء؛ لأنهم كانو يُعطَون الأجرةَ عليه.

﴿شَرَوْا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ مِن الثواب؛ وهو جواب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾.

وإنما جاء جوابُها بجملة اسمية، وعدل عن الفعلية؛ لما في ذلك من الدَّلالة على إثبات الثواب واستقرارِه.

وقيل: الجواب محذوف؛ أي: لأثيبوا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين: نفيٌ لعِلْمهم.

فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبته في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾؟

فالجواب: أنهم لم ينفعْهم علمُهم؛ فكأنهم لم يعلموا[1].

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٢٤).

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ
قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾].

﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا؛ وذلك من المراعاة، أي: راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها: معنى الرُّعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ، وربما كانوا ينوِّنونَها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة؛ لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود، فالنهي سدًّا[1] للذريعة.

وأُمروا أن يقولوا: «انظرنا»؛ لخلوّه عن ذلك الاحتمال المذموم؛

---

(١) في ب، ج، هـ: «سدٌّ».

وهو من النظر، أو الانتظار.

وقيل: إنما نُهي المسلمون عنها؛ لما فيها من الجفاء وقلَّة التوقير.

﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ عطف على ﴿وَقُولُواْ﴾، لا على معمولها.

والمعنى: الأمر بالطاعة والانقياد.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس يعمُّ نوعين: أهلَ الكتاب، والمشركين من العرب؛ ولذلك فسَّره بهما.

ومعنى الآية: أنهم لا يحبُّون أن ينزِّل الله خيرًا على المسلمين.

﴿مِّنۡ خَيۡرٍ﴾ «من»: للتبعيض. وقيل: زائدة؛ لتقدُّم النفي في قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾.

﴿بِرَحۡمَتِهِۦ﴾ قيل: القرآن. وقيل: النبوة. والعموم أولى.

ومعنى الآية: الردُّ على من كره الخيرَ للمسلمين.

﴿مَا نَنسَخۡ﴾ أي: نُزيل حكمه ولفظه، أو أحدَهما.

وقرئ: بضم النون؛ أي: نأمر بنسخه.

﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ من النسيان؛ وهو ضدُّ الذكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن الله؛ كقوله: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعلى: ٦ - ٧].

أو بمعنى الترك؛ أي:

نتركها غيرَ مُنزلةٍ.

أو غير منسوخة.

وقرئ بالهمز: بمعنى التأخير؛ أي: نؤخِّر إنزالها، أو نسخها.

﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفَّة العمل، أو في الثواب، أو أعمُّ.

﴿قَدِيرٌ﴾ استدلالٌ على جواز النسخ؛ لأنه من المقدورات، خلافًا لليهود -لعنهم الله-؛ فإنهم أحالوه على الله.

وهو جائز عقلًا، وواقع شرعًا؛ فكما نسخت شريعتُهم ما قبلها، نسخَها ما بعدها.

﴿تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات.

ويَحتمل السؤالَ عن العلم.

والأول أرجح؛ لما بعده، فإنه شبَّهه بسؤالهم لموسى، وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: تمنَّوا.

ونزلت الآية في حُيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر، وأشباهِهما من اليهود، الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين، ويَطمعون أن يردُّوهم عن الإسلام.

﴿حَسَدًا﴾ مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال، والعامل فيه ما قبله؛ فيجب وصله معه.

وقيل: هو مصدر، والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدًا؛ فعلى هذا يوقف على ما قبله.

والأوَّل أظهر وأرجح.

﴿مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يتعلَّق بـ ﴿حَسَدًا﴾. وقيل: بـ ﴿وَدَّ﴾.

﴿فَٱعۡفُواْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ يعني: إباحةَ قتالهم، أو وصولَ آجالهم.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ الآيةَ: أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلَّا من كان يهوديًا، وقالت النصارى: لن يدخلها إلَّا من كان نصرانيًّا.

﴿هُودًا﴾ يعني: اليهود، وهذه الكلمة: جمع هائد، أو مصدر وصف به.

وقال الفرَّاء: حذفت منه ياءُ «يهودٍ» على غير قياس.

﴿أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾ أكاذيبهم، أو ما يتمنَّونه.

﴿هَاتُواْ﴾ أمرٌ على وجه التعجيز، والردِّ عليهم؛ وهو من: هاتَى يُهاتِي، ولم يُنطَق به.

وقيل: أصله: آتُوا، وأُبدل من الهمزة هاء.

﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نَفَوا؛ أي: يدخلها من ليس يهوديًّا، ولا نصرانيًّا.

﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ أي: دخل في الإسلام، أو أخلص.

وذَكَر الوجه لشرفه، والمراد: جملة الإنسان.

[﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآيةَ: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة؛ فذمَّت كل طائفة الأخرى.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقبيحٌ لقولهم مع تلاوتهم الكتاب.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب؛ لأنهم لا كتابَ لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه(١): لا أحد أظلم منه - حيث وقع -.

(١) في ب، ج، هـ: «لفظها. . ومعناها».

﴿مَنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قريشٌ منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس، أو على العموم.

﴿خَآئِفِينَ﴾ في حق قريش: قولُه ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»(١).

وفي حق النصارى: ضَرْبُهم عند بيت المقدس، أو الجزية.

﴿خِزۡيٌ﴾ في حق قريش: غلَبَتُهم وفتح مكة.

وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس، أو الجزية(٢).

﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلَّوا ليلةً في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة؛ فنزلت(٣).

وقيل: هي في تنفُّل المسافر حيثما توجَّهت به دابته.

وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها؛ أي: إن مُنعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم.

وقيل: إنها احتجاجٌ على من أنكر تحويل القبلة؛ فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] الآيةَ.

والقول الأوَّل هو الصحيح؛ ويؤخذ منه: أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه، وهو مذهب مالك.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٩٣٥)، وأحمد في المسند (٥٩٤).
(٢) قوله: «أو الجزية» سقط من ب، ج، هـ، د.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠).

﴿وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ المراد به هنا: كقوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي: رضاه.

وقيل: معناه الجهة التي وَجَّهَنا إليها.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]: فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويُردُّ علمه إلى الله.

وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات، أو عن الوجود.

وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «(وجه الله) المراد به هنا: كقوله: (ابتغاء وجه الله) أي: رضاه» إلخ.
أقول: ذكر في هذا السياق ثلاث آيات ورد فيها ذكر الوجه، فذكر في الآية الأولى قولين:
الأول: أن المراد بالوجه في الآية كقوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾، وفسره بالرضا.
الثاني: أن المراد الجهة التي وجهَّنا الله إليها، يريد: القبلة. وذكر في الآية الثالثة قولين في تفسير الوجه:
أحدهما: قول أهل التأويل، وهو أن المراد بالوجه الذات، أو الوجود.
الثاني: أن ذكر الوجه من المتشابه الذي يجب التسليم له، وردُّ علمه إلى الله.
أقول: وفيما ذكره حقٌّ وباطل؛ فتفسيره الوجه في الآية الأولى بالجهة، حقٌّ، وبه قال كثير من السلف. وتفسيره الوجه في الآية الأولى والثانية بالرضا خطأٌ، فالوجه لا يعرف في اللغة بالرضا، لكن سياق الآية يتضمن هذا المعنى، والممنوع أن يكون المراد بالوجه الرضا، وتفسير الوجه في الآية الثالثة بالذات والوجود خطأٌ، وهو تفسير أهل التأويل من نفاة الصفات. =

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ﴾ قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهٌ له عن قولهم.

﴿بَل لَّهُ﴾ الآيةَ: ردٌّ عليهم؛ لأن الكلَّ مُلكه، والعبودية تنافي البنوَّة.

﴿قَانِتُونَ﴾ أي: طائعون منقادون.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداءً.

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: قدَّره، أو أمضاه.

قال ابن عطية: «يتَّجه في الآية المعنيان؛ فعلى مذهب أهل السنة: قدَّر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق والإيجاد»[1].

قلت: لا يكون ﴿قَضَىٰ﴾ هنا بمعنى قدَّر؛ لأن القدَر قديم، و«إذا» تقتضي الحدوث والاستقبال؛ وذلك يناقض القِدَم. وإنما ﴿قَضَىٰ﴾ هنا بمعنى:

= القول الثاني: مما ذكره ابن جزي: أن الوجه في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ من المتشابه، والمتشابه عندهم ما لا يعلم معناه إلا الله، وهذا مذهب أهل التفويض، وهم من النفاة، وهم يقابلون أهل التأويل. وما ذكره عن بعضهم أن الوجه صفةٌ ثابتة بالسمع، فهو حقٌّ، فلا يجوز نفيه ولا تأويله، بل يجب إثباته على ما يليق به سبحانه، وأنه لا يماثل وجوه العباد، وليس هو من المتشابه؛ لأن معناه معقول، والكيف مجهول. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

أمضى أو فعل أو أوجد؛ كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢][(١)].

وقد قيل: إنه بمعنى حتَم الأمرَ، أو بمعنى حكم.

والأمر هنا: بمعنى الشيء[(٢)]، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر: أمر يأمر.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: أقول: القضاء من الله في القرآن يأتي لمعان:
١- قضى الخلق، بمعنى فرَغ من خلقه، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾.
٢- قضى بمعنى حكَم، وهو نوعان:
الأول: شرعيٌّ، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ومعناه أمر ووصَّى.
والثاني: كونيٌّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ومعناه: أراد كونه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.
وعلى هذا فتفسير قضى بأمضَى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾، أظهرُ؛ لأن المعنى: إذا أراد الله كون ما سبق في علمه وكتابه قال له: كُن فيكون، وهذا هو معنى الإمضاء، أي إتمام الأمر الذي قدَّره الله في علمه وكتابه.
ولهذا أقول: ما وجَّه به المؤلف ابن جزي اختياره، وهو أن معنى قضى: أمضى، وجيهٌ.
ويأتي قضى في القرآن مضمنا معنى أوحى أو أوصل، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾.
كما يأتي القضاء بمعنى الحُكم شاملا للمعنيين الكوني والشرعي، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾، كما يأتي القضاء بمعنى الفصل بين المختلِفين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

(٢) في أ: «الشأن»، وفي الهامش: «خ: الشيء».

الله تعالى، وليس بقولٍ حقيقي؛ لأنه إن كان قول: ﴿كُن﴾ خطابًا للشيء في حال عدمه لم يصحَّ؛ لأن المعدوم لا يخاطب، وإن كان خطابًا للشيء في حال وجوده لم يصحَّ؛ لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب.

وحملهُ المفسِّرون على حقيقته، وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه:

أحدها: أن الشيءَ الذي يقول الله له: ﴿كُن﴾ هو موجودٌ في علم الله؛ وإنما يقول له: ﴿كُن﴾ ليخرجه إلى العِيان لنا.

والثاني: أن قول: ﴿كُن﴾ لا يتقدَّم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه. قاله الطبري[(١)].

والثالث: أن ذلك خطابٌ لمن كان موجودًا على حالة، فيؤمر بأن يكون على حالة أخرى، كإحياء الموتى، ومسخ الكفار. وهذا ضعيف؛ لأنه تخصيص من غير مخصِّص.

والرابع: أن معنى: ﴿يَقُولُ لَهُۥ﴾: يقول من أجله؛ فلا يلزم خطابه.

والأوَّل أحسن هذه الأجوبة.

وقال ابن عطية: «تلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله ﷻ لم يزل آمرًا للمعدومات بشرط وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال: فهو بحسب المأمورات؛ إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن»[(٢)(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٠).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣٢).

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه) إلخ، أقول: كل هذه الأقوال الأربعة ليس فيها انفصال عن الإشكال الذي ذكروه، والراجح =

﴿فَيَكُونُ﴾ رُفِعَ على الاستئناف.

قال سيبويه: معناه: فهو يكونُ.

وقال غيره: ﴿فَيَكُونُ﴾ عطفٌ على ﴿يَقُولُ﴾، واختاره الطبري[1].

قال ابن عطية: «وهو فاسدٌ من جهة المعنى؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود»[2].

وفي هذا نظر.

= منها القول الأول كما اختاره المؤلف، وأرجح منه القول الرابع، وإن كان المؤلف قد ضعَّفه، ويشهد له قوله تعالى في خلق آدم وعيسى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾، ولعل الجواب الذي يرفع الإشكال الذي ذكروه أن الأمر الوارد في الآيات ليس أمر تكليف للمخاطب بفعل شيء في نفسه أو في غيره، بل هو أمر تكوين يوجب كون الشيء الذي أراده الله، كما أراد، فيكون الموجب لكونه - أي وجوده - إرادتَه تعالى وقولَه، كما جمع الله بينهما في الآيات: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، وحدوث المحدثات بإرادته وكلامه سبحانه يستلزم قدرته على كل شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وأما قول ابن عطية رحمه الله فليس فيه جواب، بل يزيد الإشكال، لقوله: «لم يزل آمرًا للمعدومات بشرط وجودها»، فمضمون قوله أنه تعالى لم يزل آمرا للمعدومات الموجودات، وهذا ممتنع، وسبب الإشكال عندهم اعتقاد أن الأمرَ أمرُ تكليف الذي يُطلب به من المأمور فعلٌ يفعله بعلم وإرادة، والصواب أن الأمرَ أمرُ تكوين، كما تقدم. وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨/ ١٨١).

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٢).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول: كفارُ العرب على الأصحّ.

وقيل: هنا هم اليهود والنصارى.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ يعني: اليهودَ والنصارى على القول بأن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ كفارُ العرب.

وأما على القول بأن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ اليهودُ والنصارى: فالذين مِن قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين.

﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ لولا هنا: عَرْض، والمعنى: أنهم قالوا: لن نؤمن حتى يكلِّمَنا الله، أو تأتينا آيةٌ؛ أي: دلالةٌ من المعجزات؛ كقولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعده.

﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ الضمير لـ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، ولـ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾.

وتشابُه قلوبِهم: هو في الكفر، أو في طلب ما لا يصحُّ أن يُطلَب؛ وهو قولُهم(١): ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾.

﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أخبر تعالى أنَّه قد بيَّن الآياتِ الدالةَ على وَحدانيته، وعلى صدق رسوله ﷺ، فكيف تُطلَب الآيات بعد بيانها؟، ولكن إنما فهمَها الذين يوقنون؛ فلذلك خصَّهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين؛ فإنهم لا تنفعُهم الآيات؛ لعنادهم.

---

(١) في ج، هـ: «كقولهم».

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ.

والمراد بالحق: التوحيد، وكل ما جاءت به الشريعة.

﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ أي: تبشِّرُ المؤمنين بالجنة، وتنذرُ الكفار بالنار، وهذا معناه حيث وقع.

﴿وَلَا تَسۡأَلۡ﴾ بالجزم: نهيٌ.

وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت.

وقيل: إن ذلك على معنى التهويل؛ كقولك: «لا تسألْ عن[1] فلان»؛ لشدَّة حاله.

وقرأ غيرُ نافعٍ: بضم التاء واللام؛ أي: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾ في القيامة عن ذنوبهم.

﴿مِلَّتَهُمۡۗ﴾ ذُكرت مفردةً وإن كانت ملَّتين؛ لأنهما متَّفقتان في الكفر، فكأنَّهما ملةٌ واحدة.

﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ ردٌّ على اليهود والنصارى، والمعنى: أنَّ الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقيُّ؛ لأنه هدًى من عند الله، بخلاف ما يدَّعيه اليهود والنصارى.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ جمع هوًى، ويعني به: ما هم عليه من الأديان الفاسدة، والأقوال المضلَّة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة، بل بهوى النفوس.

---

(١) في د زيادة: «حال».

والضمير: لليهود والنصارى.

والخطاب: لمحمد ﷺ، وقد علِم الله أنه لا يتبع أهواءهم، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك؛ فهو على معنى الفرض والتقدير.

ويَحتمل أن يكون خطابًا له ﷺ، والمراد غيرُه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: المسلمين؛ و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ -على هذا-: القرآن.

وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل؛ و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ -على هذا-: التوراة.

ويَحتمل العمومَ؛ ويكون ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: اسمَ جنس.

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يقرؤونه كما يجب من التدبُّر له، والعمل به.

وقيل: معناه يتَّبعونه حق اتباعه، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

والأول أظهر؛ فإن التلاوةَ، وإن كانت تقال بمعنى القراءة، وبمعنى الاتِّباع؛ فإنها أظهر في معنى القراءة[1]، لا سيما إذا كانت تلاوةً للكتاب.

ويَحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ فيتمُّ الكلام، ويوقَف عليها.

ويَحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع الحال، ويكون الخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، وهذا أرجح؛ لأنَّ مقصودَ الكلام الثناءُ عليهم بالإيمان، أو إقامةُ الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.

---

(١) في ب، ج، هـ: «التلاوة».

[﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾].

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآيةَ: تقدَّم الكلام على نظيرتها(١).

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ أي: اختبرَ، والعامل في «إذ»:

فعلٌ مضمر تقديره: اذكرْ.

أو قولُه: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ﴾.

﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ قيل: هي مناسك الحج.

وقيل: خصال الفطرة؛ وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظافر، ونتف الإبطين، وحلق

---

(١) انظر صفحة ٣١٢.

العانة، والختان، والاستنجاء.

وقيل: هي ثلاثون خَصلةً؛ عشرٌ ذُكِرت في «براءة» من قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾، وعشرٌ في «الأحزاب» من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾، وعشرٌ في «المعارج» من قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عَمِلَ بهنَّ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ استفهامٌ، أو رغبة.

﴿عَهْدِى﴾ الإمامة[1].

﴿ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبةَ.

﴿مَثَابَةً﴾ اسم مكان؛ من قولك: ثاب: إذا رجع؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عامًا بعد عام.

﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بالفتح: إخبارٌ عن المتَّبعين لإبراهيم عليه السلام.

وبالكسر: أمرٌ لهذه الأمَّة، وافقَ قولَ عمر رضي الله عنه: «لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مصلًّى»[2].

وقيل: أمرٌ لإبراهيم وشيعتِه.

وقيل: لبني إسرائيل؛ فهو - على هذا - عطفٌ على قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ﴾؛ وهذا بعيد.

---

(١) في ب، د: «الأمانة».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٢).

﴿مَقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ هو الحجَر الذي صعِد به[١] حين بنى الكعبةَ.

وقيل: المسجد الحرام.

﴿وَعَهِدْنَآ﴾ عبارةٌ عن الأمر والوصية.

﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ عبارةٌ عن بُنيانِه بنيَّةٍ خالصةٍ؛ كقوله: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقيل: المعنى طهِّراه من عبادة الأصنام.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة.

وقيل: الغرباء القادمون على مكة.

والأول أظهر.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ هم المعتكفون[٢]. **وقيل**: المصلُّون. **وقيل**: المجاورون من الغرباء. **وقيل**: أهل مكة.

والعكوف في اللغة: اللُّزوم.

﴿بَلَدًا﴾ يعني: مكةَ.

﴿ءَامِنًا﴾ أي: مما يصيب غيرَه من الخسف والعذاب.

وقيل: آمنًا من إغارة الناس على أهله؛ لأنَّ العرب كان يُغِير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرَّضون لأهل مكة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا

---

(١) في د: «عليه».

(٢) في د زيادة: «في المسجد».

جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

فإن قيل: لم قال في «البقرة»: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وفي «إبراهيم»: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، فعرَّف البلد في «إبراهيم» ونكَّره في «البقرة»؟

فعن ذلك ثلاثةُ أجوبة:

الجواب الأول: قاله أستاذُنا الشيخ أبو جعفر ابنُ الزبير، وهو أنه تقدَّم في «البقرة» ذِكْرُ البيت في قوله: ﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]، وذِكْر البيت يقتضي بالملازمة ذكرَ البلد الذي هو فيه، فلم يحتجْ إلى تعريفه، بخلاف آية «إبراهيم»؛ فإنه لم يتقدَّمْ قبلَها ما يقتضي ذكرَ البلد، ولا المعرفةَ به، فذكَره بلام التعريف.

الجواب الثاني: قاله السهيليُّ، وهو أن النبيَّ ﷺ كان بمكة حين نزلت آية «إبراهيم»؛ لأنها مكيةٌ، فلذلك قال فيه: ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ بلام التعريف التي للحضور؛ كقولك: «هذا الرجل» وهو حاضرٌ، بخلاف آية «البقرة»؛ فإنها مدنيةٌ، ولم تكن مكةُ حاضرةً حين نزولها، فلم يعرِّفْها بلام الحضور.

وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: قاله بعض المشارقة[2]، أنه قال: ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ قبل

---

(١) هذه الآية متأخرة عن الآية التي يتكلَّم عنها، فكأنه سبق قلم من ابن جزيٍّ رحمه الله، والمراد آية: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾..؛ فهي المتقدمة عليها، وهي التي ذكرها ابن الزبير في «ملاك التأويل» (١/ ٢٣٤) الذي نقل منه ابن جزي هذا الجواب.

(٢) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، =

أن يكون بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا، وقال: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ بعد ما صار بلدًا.

وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين؛ والظاهر أنه مرة واحدة، حُكي لفظه فيها على وجهين.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا المؤمنَ والكافر.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ﴾ على حذف القول؛ أي: يقولان ذلك.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علِّمْنا مواضع الحج. وقيل: العبادات.

﴿فِيهِمْ﴾ أي: في ذرِّيتنا.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم»[1].

والضمير المجرور: لذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم العرب الذين من نسل عدنان.

وأما الذين من نسل قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا؟

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: القرآن.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هنا: السنة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهِّرهم من الكفر والذنوب.

= قاله ذلك في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/ ٢٨٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٢)، والطبري في تفسيره (٢/ ٥٧٢) واللفظ له.

[﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾
وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ
بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ
مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟
فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ
وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾].

﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به.

وقيل: الأصل: «في نفسه»؛ ثم حذف الجارُّ فانتصب.

وقيل: تمييز.

﴿وَأَوْصَىٰ بِهَآ﴾ أي: بالكلمة والملَّة.

﴿وَيَعۡقُوبُ﴾ بالرفع: عطف على ﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾؛ فهو مُوصٍ.

وقرئ بالنصب: عطفًا على ﴿بَنِيهِ﴾؛ فهو مُوصًى.

﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾ «أم» هنا منقطعة، معناها الاستفهام والإنكار.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ كان عمَّه؛ والعمُّ يسمى أبًا.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارى: كونوا نصارى.

﴿بَلۡ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل.

﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي: لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهانٌ؛ لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبيٌّ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ﴾ وعدٌ ظهر مِصداقُه بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النَّضير، وغير ذلك.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دينَه، وهو استعارةٌ من صبغ الثوب وغيره.

ونصبه:

على الإغراء.

أو على المصدر من المعاني المتقدمة.

أو بدل من: ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾.

﴿كَتَمَ شَهَٰدَةً﴾ هي الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية.

﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ يتعلق:

بـ ﴿كَتَمَ﴾.

أو بـ ﴿عِندَهُۥ﴾؛ كأنَّ المعنى: شهادة تخلَّصت له من الله.

[﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾].

﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهرُه: الإعلام بقولهم قبل وقوعه.

إلاّ أن ابن عباس قال: نزلت بعد قولهم.

﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ هنا: اليهود، أو المشركون، أو المنافقون.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ أي: ما ولّى المسلمين عن قبلتِهم الأولى -وهي بيتُ المقدس- إلى الكعبةِ؟.

﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ﴾ الآيةَ: ردٌّ عليهم بأن الله يحكم ما يريد، ويولّي عبادَه حيث شاء؛ لأن الجهاتِ كلَّها له.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما هديناكم جعلناكم وسَطًا؛ أي: خِيارًا[(١)].

﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرُّسل إلى قومهم.

﴿عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ أي: بأعمالكم، قال ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المائدة: ١١٧] الآيةَ»[(٢)].

فإن قيل: لم قدَّم المجرور في قوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ وأخَّره في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؟

فالجواب: أنَّ تقديم المعمولات يفيد الحصرَ، فقدَّم المجرور في قوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾؛ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته، ولم يقدِّمْه في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنه لم يقصد الحصر[(٣)].

﴿ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس.

والآخر: أنها بيت المقدس، وهو قول قتادة وعطاء والسُّدِّي.

وهذا مع ظاهر قوله: ﴿كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾؛ لأنَّ النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة.

وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين:

الأول: أنَّ «كنت» بمعنى «أنت».

---

(١) في أ، ج، هـ: «أخيارًا».
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).
(٣) انظر: الكشاف (٣/ ١٣٤).

والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس.

وإعراب ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾:

مفعولٌ بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.

أو صفة لـ ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾.

ومعنى الآية على القولين: اختبارٌ وفتنة للناس بأمر القبلة.

فأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس:

فتنةٌ للعرب؛ لأنهم كانوا يعظِّمون الكعبة.

أو فتنةٌ لمن أنكر تحويلها؛ وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها؛ وهذا أظهر؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبلة.

وأما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة:

فتنةٌ لليهود؛ لأنهم يعظِّمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة.

أو فتنةٌ لضعفاء المسلمين، حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صُرِفت القبلة.

﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو: إذا ظهر في الوجود ما علِمه الله.

﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ عبارةٌ عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيهٌ بمن رجع يمشي إلى وراءَ.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ «إنْ» مخففةٌ من الثقيلة.

واسم «كان»: ضمير الفِعْلة؛ وهي التحوُّل عن القبلة.

﴿إِيمَـٰنَكُمْ﴾ هنا: قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ واستدلَّ به من قال: إنَّ الأعمال من الإيمان.

وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة.

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء؛ رجاءَ أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة.

﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ جهتَه.

﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ خبرٌ يتضمن النهي.

ووُحِّدت ﴿قِبْلَتَهُمْ﴾ وإن كانت جهتين؛ لاستوائِهما في البطلان.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأنَّ اليهود يستقبلون المغرب، والنصارى المشرق.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: يعرفون القرآنَ، أو النبي ﷺ، أو أمر القبلة.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ مبالغةٌ في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلَام: «معرفتي بالنبي ﷺ أشدُّ من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشكُّ»[1].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٦٤).

[﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: لكلِّ أحد، أو لكلِّ طائفة.

﴿وِجْهَةٌ﴾ أي: جهةٌ، ولم تحذف الواو؛ لأنه ظرف مكان.

وقيل: إنه مصدر ثبتت فيه الواو على غير قياس.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: مولِّيها وجهَه.

وقرئ: ﴿مُوَلَّاهَا﴾ أي: ولَّاه الله إليها(١).

والمعنى: أن الله تعالى جعل لكل أمة قبلةً.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلى الأعمال الصالحة.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ كُرِّر تأكيدًا، أو ليناط به ما بعده.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الصلاة إلى الكعبة ترفع

---

(١) في د: «إياها».

حجة المعترضين من الناس.

فإن أريد بالناس اليهود: فحجَّتهم أنهم يجدون في كتبهم أنَّ النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة، فلما صلَّى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين.

وإن أريد[1] قريش: فحجَّتهم أنهم قالوا: قبلة آبائه أولى به.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحوُّلَ إلى الكعبة.

والاستثناء متصل؛ لأنه استثناءٌ من عموم الناس.

ويحتمل الانقطاع؛ على أن يكون استثناءً ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة.

﴿وَلِأُتِمَّ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: فعلت ذلك لأتمَّ.

أو: معطوفٌ على: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ متعلق:

بقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ﴾.

أو بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾.

والأول أظهر.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد بن المسيب: معناه: اذكروني بالطاعة أذكرْكم بالثواب.

---

(١) في د زيادة: «بهم».

وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك.

وقد أكثر المفسّرون -لا سيما المتصوّفة- في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانٍ مخصوصةٌ؛ ولا دليل على التَّخصيص.

وبالجملة: هذه الآية بيان لشرف الذِّكر، وبيَّنها قولُ رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم»(١).

والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وباللسان، وبهما معًا.

واعلم أن الذكر أفضلُ الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها؛ فإنَّ ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله**»(٢).

وسئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «ذكر الله»، قيل: الذكر

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩١).

أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضَرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دمًا: لكان الذاكرُ الله أفضلَ منه»(١).

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين: اشترط فيه الكثرةَ؛ فقال: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: أن في الذكر مزيَّةً هي له خاصة ليست لغيره؛ وهي الحضور في الحضرة العليَّة، والوصول إلى القرب الذي عَبَّر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعيَّة؛ فإن الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني»(٢)، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني».

وللناس في المقصِد بالذكر مقامان:

فمقصد(٣) العامة: اكتساب الأجور.

ومقصد(٤) الخاصة: القرب والحضور.

وما بين المقامين بَوْن بعيد، فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حِجاب، وبين من يُقرَّب حتى يكون من خواص الأحباب!(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١١٧٢٠)، والترمذي (٣٣٧٦).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٥)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٧١).
(٣) في د: «فمقام».
(٤) في د: «ومقام».
(٥) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وللناس في المقصد بالذكر مقامان» إلخ.
أقول: تضمن كلامه هذا رحمه الله أن الذاكرين نوعان؛ عامةٌ وخاصةٌ، وأن مقصود العامة بالذكر اكتسابُ الأجر، وأن مقصود الخاصة القربُ من الله، ويدخل في الخاصة =

واعلمْ أن الذكرَ على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والحوقلَة، والحسْبلة، وذكرُ كلِّ اسم من أسماء الله تعالى، والصلاةُ على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكرٍ خاصِّيةٌ وثمرة:

فأما التهليل: فثمرته التوحيد، أعني: التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة، كالرحمن والرحيم والكريم والغفَّار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاث مقامات؛ وهي:

= الأنبياء والصديقون، وهذا التقسيم والتفاضل بين الذاكرين صحيح، وهذا يجري في كل الطاعات، فالمؤمنون منهم الأبرار أصحاب اليمين، ومنهم المقربون السابقون، كما جاء هذا التقسيم في سورة الواقعة وسورة الإنسان والمطففين، ومنه ما ذكر في سورة فاطر.

ولكن يُستدرك على الشيخ ابن جزي رحمه الله ما يوهمه كلامه من أن الخاصة لا طمع لهم في الأجور، وهذا يخالف ما وصف الله به أنبياءه وأولياءه، من رجاء رحمته وخوف عذابه، مع طلب القرب في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهم يعبدون الله في ثلاثة مقامات: مقام الحب، والخوف، والرجاء.

وكلامه رحمه الله يوهم ما تقوله جهلة الصوفية من أن العارف لا يعبد الله طمعًا في جنته، ولا خوفًا من ناره، ويردُّ هذا الزعم آياتٌ كثيرة من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإنَّ المحسنَ محبوبٌ لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتها التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

وأما الأسماء التي معناها الاطِّلاع والإدراك، كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدَّة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته.

وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرْد(١)؛ وهو قولنا: «الله، الله»؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى(٢).

---

(١) في ج، د: «المفرد».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ثم إنّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات...» إلخ.
يتضمن أمرين؛ حقًا وباطلا:
الأول: أن جميع معاني أسماء الله الحسنى يتضمنها الاسم الشريف الله، وهذا حقٌّ.
الثاني: أن أفضل الذكر هو ذكر الله بالاسم المفرد: الله الله، وهذا باطل، وذلك لأمور:
١- أن الذكر بالاسم المفرد من بدع الصوفية، ولا أصل له في كتاب ولا سنة. فاختيار المؤلف لذلك زلةٌ منه عفا الله عنه.
٢- أن كل ما ورد من ألفاظ الذكر في الكتاب والسنة هو من الكلام المركب: كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. =

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾].

﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قد ذُكر[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بمعونته.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلًا، لمَّا قتلوا حزِن عليهم

= ٣- أن الاسم المفرد لا يفيد فائدة تامة، كما هو مقرر في علم النحو.
لذلك لا يحصل بالاسم المفرد إيمان ولا كفر، فلا يدخل الكافر في الإسلام بذكره الاسم المفرد: الله، ولا يكفر من قال: لا إله إلا الله، وامتنع عن ذكر الاسم المفرد.
لذلك: لا يجزئ الإتيان بالاسم المفرد في المواضع التي يستحب أو يجب فيها نوعٌ من الأذكار الشرعية.

(١) انظر صفحة ٣١٠.

أقاربهم، فنزلت الآية مبيِّنةً لمنزلة الشهداء عند الله، ومسلِّية لأقاربهم.

ولا يخصِّصها نزولها فيهم؛ بل حكمها على العموم في الشهداء.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ أي: نختبركم.

وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه: أن يَظهر في الوجود ما في علمه؛ لتقوم الحجة على العبد، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضًا؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون.

والخطاب بهذا الابتلاء:

للمسلمين.

وقيل: لكفار قريش.

والأول أظهر؛ لقوله بعدها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ يعني: من الأعداء.

﴿وَٱلْجُوعِ﴾ بالجدب.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بالخسارة.

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالقتل.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالجوائح.

وقيل: ذلك كلُّه بسبب الجهاد.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك؛ والمالك يفعل في مُلكه ما يشاء.

﴿رَٰجِعُونَ﴾ تذكَّروا الآخرة؛ لتهون عليهم مصائب الدنيا، وفي الحديث

الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجِرني في[1] مصيبتي[2] واخلف لي خيرًا منها: أخلف الله له خيرًا مما أصابه». قالت أمُّ سلمة: «فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك؛ فأبدلني الله به رسولَ الله ﷺ»[3].

★ **فائدة**: ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا، وذلك لعظَمة موقعه في الدين.

قال بعض العلماء: كلُّ الحسنات لها أجر محصور من عشرةِ أمثالها إلى سبع مئة ضِعفٍ، إلَّا الصبر؛ فإنه لا يحصر أجره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وذكَر الله للصابرين ثمانية أنواعٍ من الكرامة:

أولها: المحبة، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والثاني: النصرة، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

والثالث: غُرفات الجنة، قال: ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥].

والرابع: الأجر الجزيل، قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) في ب، د: «على».
(٢) في أ، د: «هذه».
(٣) أخرجه مسلم (٩١٨).

والأربعة الأخرى: المذكورة في هذه الآية:

فمنها البِشارة، قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

والصلاة والرحمة والهداية، قال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

والصبر على أربعة أوجه:

[١-] صبرٌ على البلاء؛ وهو منع النفس من التسخُّط والهلع والجزع.

[٢-] وصبر على النعم؛ وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبُّر بها.

[٣-] وصبر على الطاعات؛ بالمحافظة والدوام عليها.

[٤-] وصبر عن المعاصي؛ بكفِّ النفس عنها.

وفوق الصبر: التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخُّط ظاهرًا، وترك الكراهة باطنًا.

وفوق التسليم: الرِّضا بالقضاء؛ وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة، وكلُّ ما يفعل المحبوب محبوب.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: معالمِ دينه، واحدها: شعيرة، أو شعارة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحةٌ للسعي بين الصفا والمروة.

والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي.

وإنما جاء بلفظٍ يقتضي الإباحة؛ لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنمٌ يقال له: إِسَافٌ، وعلى المروة صنم يقال له: نائلة، فخافوا أن يكون السعيُ بينهما تعظيمًا للصَّنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك.

ثم إنَّ السعي بينهما واجب[1] بالسنّة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سنَّ رسول الله ﷺ السعيَ بين الصفا والمروة، وليس لأحد تركه»[2].

وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله: ﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنَّ شعائر الله منها واجبةٌ، ومنها مندوبة.

وقد قيل: إنَّ السعي مندوبٌ.

﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصله: يتَطوَّف؛ ثم أدغمت التاء في الطاء.

وهذا الطواف يراد به: السعيُ سبعةَ أشواط.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ عامٌ في أفعال البر.

أو خاصٌ في السعي بين الصفا والمروة؛ فيقتضي أن السعي بينهما تطوُّعٌ، ويؤخذ الوجوب من السنة.

أو معنى ﴿تَطَوَّعَ﴾: التطوُّع بحجٍّ بعد حجِّ الفريضة.

﴿ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ اليهود؛ كتموا أمر محمد ﷺ.

---

(١) في ج، هـ: «وجب».

(٢) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة هنا.

﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون.

وقيل: المخلوقات إلَّا الثقَلين.

وقيل: البهائم؛ لما يصيبهم من الجدْب بذنوب الكاتمين للحقِّ.

﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ إنَّما شرَط في توبتهم أن يبيِّنوا؛ لأنهم كتموا.

﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون؛ فهو عامٌّ يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يُعتدُّ بلعنهم للكفار.

وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة. وقيل: في النار.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ مِن أنظر: إذا أخَّر؛ أي: لا يؤخَّرون عن العذاب ولا يُمهَلون.

أو مِن نظَر؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]؛ إلَّا أنَّ هذا يتعدَّى بـ «إلى».

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الواحد له ثلاثة معانٍ، كلُّها صحيحة في حق الله تعالى:

أحدها: أنه لا ثانيَ له؛ فهو نفيٌ للعدد.

والآخر: أنه لا شريك له ولا نظير.

والثالث: أنه واحدٌ لا يتبعَّض ولا ينقسم(١).

وقد فُسِّر المراد به هنا في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلمْ أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد عامة المسلمين؛ وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، ويُنجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفيُ الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصَّة؛ وهو أن يرى الأفعالَ كلَّها صادرةً من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة، لا بطريق الاستدلال، فإنَّ معرفةَ ذلك بطريق الاستدلال حاصلةٌ لكلِّ مؤمن، وإنما مقام الخاصة: يقين في القلب بعلمٍ ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم: الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه وحده، واطِّراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحدًا سواه؛ إذ ليس يرى فاعلًا إلَّا إياه، ويرى جميع

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «الواحد له ثلاثة معان . . .» إلخ.

أقول: ما ذكره في معنى الواحد، وأن المعاني الثلاثة صحيحة في حق الله؛ سقيمٌ في الجملة، وقد جرى في ذلك على طريقة المتكلمين في تقسيم التوحيد، ويؤخذ عليه وعليهم أمور:

أنهم لم يذكروا توحيد الإلهية المتضمن توحيد العبادة، الذي هو معنى لا إله إلا الله.

أن ما ذكروه غايته أن يتضمن توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون.

أن بعض عباراتهم في هذا التقسيم فيها إجمال؛ كنفي النظير والشبيه، فإن المعطلة - كالمعتزلة ومن وافقهم - يدخلون في ذلك نفي الصفات.

قولهم: «إنه واحدٌ في ذاته ولا يتجزأ»، هو حقٌّ في ظاهره، لكنهم يدخلون فيه أيضًا: نفي علوه تعالى على خلقه.

الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيءٌ من الأمر، فيطَّرح الأسباب، ويَنبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: ألَّا يرى في الوجود إلَّا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومةٌ.

وهذا هو الذي تسمِّيه الصوفية: مقامَ الفناء؛ بمعنى الغَيبة عن الخلق؛ حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده، أي: يغيبُ عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات. . .» إلخ.

أقول: هذا التقسيم للناس في التوحيد يشبه ما ذكره من تقسيمه للناس في مقصودهم من الذكر، وقد تقدم التنبيه إلى ما فيه، وكذلك نقول هنا: إن ما ذكره من تفاضل الناس في التوحيد صحيح، ولكنه سلك في التعبير عن ذلك طريق الصوفية؛ إذ جعله ثلاث درجات: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.

وفسَّر كل درجة من هذه الدرجات، كما هي عند الصوفية، ولا إشكال فيما فسَّر به توحيد العامة إلا من حيث تخصيصه بالعامة، ولكن يؤخذ على المؤلف ما فسَّر به الدرجة الثانية والثالثة مقرًّا لهما، وقد تضمن كلامه ﷺ عدة إشكالات:

١ - قوله: «فيطرح الأسباب»، أقول: هذا قولٌ مجملٌ يحتمل أمورًا:

أ - فإن كان لاعتقاد عدم تأثيرها، فهذا جَحدٌ لما تضافرت الأدلة العقلية والشرعية على إثباته، وهو تأثير الأسباب في مسبَّباتها، وهذا مذهب الجهمية ومن وافقهم؛ كالأشاعرة.

ب - وإن كان لاعتقاد عدم شرعية العمل بها، فهذا مخالفٌ لموجَب الشرع، كقوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك»، وقوله للرجل: «اعقلها وتوكل»، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وشواهد ذلك كثيرة. =

[﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ

= ج - وإن كان اطّراح الأسباب بترك الاعتماد عليها؛ فهذا حقٌّ، وهو من تحقيق التوكل على الله.

٢- قوله في الدرجة الثالثة: «ألا يرى في الوجود إلا الله وحده...» إلخ.

أقول: قوله هذا لفظه يحتمل أن يعتقد ألا موجودَ إلا الله، وهذا هو القول بوحدة الوجود، وهو قول ملاحدة الصوفية الاتحادية، والمؤلف لا يريد هذا المعنى؛ لأنه فسَّره بقوله: «حتى كأنها عنده معدومة. وهذا هو الفناء عند الصوفية، وهو الغيبة عن الخلق؛ حتى أنه يفنى عن نفسه وعن توحيده».

وقد جعل المؤلف هذه الدرجة بهذا التفسير أعلى درجات التوحيد، وهي الفناء عن شهود ما سوى الله، أي عدم الشعور بما سوى الله من المخلوقات، وقد غلط في هذا عفا الله عنه، فإن الفناء والغيبة نقص ليس بكمال، فضلا عن أن يكون من الدين، فضلا عن أن يكون أعلى مقامات الدين.

قال شيخ الإسلام في العقيدة التدمرية: «الفناء الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى...، بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى؛ فهذا حال ناقص...، ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالًا مبينا، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض».

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيةَ؛ ذكر فيها ثمانية أصنافٍ من المخلوقات؛ تنبيهًا على ما فيها من العبر، واستدلالًا على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

﴿وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: اختلاف وصفِهما من الضِّياء والظَّلام، والطول والقِصَر.

وقيل: المعنى: أنَّ أحدَهما يخلفُ[1] الآخر.

﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ﴾ إرسالها من جهاتٍ مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينها، وبصفاتٍ مختلفة؛ فمنها مُلْقِحةٌ للشجر، وعَقيمٌ، وصِرٌّ، وللنصر، وللهلاك.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ اعلمْ أنَّ محبة العبد لربه على درجتين:

أحدهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن؛ وهي واجبةٌ.

والأخرى: المحبة الخاصَّة التي ينفرد بها العلماء الربانيون، والأولياء، والأصفياء.

وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين، كالخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك؛ هي مبنيَّةٌ على حظوظ النفوس،

(١) في أ، ب، د: «يخلفه».

ألَا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجيَ إنما يرجو منفعةَ نفسه؟، بخلاف المحبة؛ فإنها من أجل المحبوب؛ فليست من المعاوضات[١].

واعلم أن سببَ محبة الله: معرفتُه؛ فتقوى المحبةُ على قدر قوَّة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ فإن الموجِب للمحبة أحدُ أمرين،

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين...» إلخ.
أقول: تضمَّن كلامه تعظيم مقام المحبة، وأن العباد فيها متفاضلون، وهذا صحيح، ولكنه - عفا الله عنه - هوَّن من مقامات الخوف والرجاء والتوكل، وقال: إن غايتها حظُّ النفس، بينما غاية المحبة المحبوبُ.
وهذا لا يُسلَّم له في الجانبين، فمقامات الخوف والرجاء والتوكل غايتها إجلال الله وتعظيمه، والخضوع له والإقرار بربوبيته وكمال غناه، كيف وقد أثنى الله على ملائكته بمقام الخوف فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأثنى الله على أنبيائه وأوليائه بمقام الخوف والرجاء والتوكل فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عن رسله ﷺ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].
وأما مقام المحبة - مع علو قدره - فلا يستغنى به عن مقام الخوف والرجاء، كما تزعم الصوفية، ومع ذلك فللنفس حظٌّ في مقام الحب، وهو ما تجده من اللذة في مشاهدة جمال المحبوب وكماله، فلا بد من التعبد لله بكل هذه المقامات، حبًّا ورجاءً وخوفًا وتوكلًا.
قال بعض السلف: من عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حَروريٌّ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

أو كلاهما إذا اجتمعا، ولا شكَّ أنهما اجتمعا في حق الله تعالى على غاية الكمال:

فالموجِب الأوَّل: الحسن والجمال.

والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع؛ فإنَّ الإنسان بالضرورة يحبُّ كلَّ ما يستحسن.

والإجمال: مثل جمال الله في حكمته البالغة، وصنائعه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تَرُوقُ العقولَ وتُبهِج القلوبَ.

وإنما يُدرَك جمالُه تعالى بالبصائر، لا بالأبصار.

وأما الإحسان؛ فقد جُبِلت القلوبُ على حبِّ من أحسن إليها.

وإحسانُ الله إلى عباده متواتر، وإنعامُه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وكلُّ إحسان يُنسب إلى غيره فهو - في الحقيقة - منه وحده، فهو المستحقُّ للمحبة وحده.

واعلمْ أن محبة الله إذا تمكَّنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح؛ من الجدِّ في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذُّذِ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوقِ إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات،

وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كلِّ ما يحبه اللهُ، (وكلِّ من يحب اللهَ)[١] وإيثارِ الله على كل من سواه.

قال الحارث المحاسبيُّ: المحبة مَيلُك إلى المحبوب بكليَّتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرًّا وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه[٢].

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ مِن رؤية العين، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مفعولٌ، وجواب «لو» محذوف؛ وهو العامل في ﴿أَنَّ﴾.

والتقدير: لو ترى الذين ظلموا لعلمتَ أنَّ القوة لله، أو لعلموا أنَّ القوة لله.

وقرئ ﴿يَرَى﴾ بالياء: وهو - على هذه القراءة - من رؤية القلب، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فاعل، و﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ مفعولُ ﴿يَرَى﴾، وجواب «لو» محذوف.

والتقدير: لو يرى الذين ظلموا أنَّ القوة لله لندموا، أو لاستعظموا ما حلَّ بهم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدلٌ من: ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾.

أو استئنافٌ؛ والعامل فيه محذوف تقديره: اذكر.

---

(١) سقط من ج، د، هـ.

(٢) أورده القشيري بإسناده إلى الحارث في الرسالة القشيرية (٢/ ٤٩٠).

﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم: الآلهة، أو الشياطين، أو الرؤساء من الكفَّار. والعموم أولى.

﴿ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ هنا: الوُصلات من الأرحام والمودَّات.

﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: سيِّئاتِهم. وقيل: حسناتهم إذ لم تقبل منهم. أو: ما عملوه لآلهتهم.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾].

﴿كُلُواْ﴾ أمرٌ محمول على الإباحة.

﴿حَلَٰلٗا﴾ حالٌ مِن: ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

أو مفعولٌ بـ ﴿كُلُواْ﴾.

أو صفة لمفعول محذوف؛ أي: شيئًا حلالًا.

﴿طَيِّبٗا﴾ يَحتمل أن يريد: الحلالَ، أو اللذيذ.

﴿خُطْواتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ ما يأمر به؛ وأصله من: خُطوة الشيء.

وقال المنذر بن سعيد: يَحتمل أن يكون من الخطيئة، ثم سهِّلت همزته.

وقرئ: بضم الطاء وإسكانها؛ وهي لغتان.

﴿بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ﴾ المعاصي.

﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ الإشراكِ، وتحريمِ الحلال؛ كالبَحِيرة وغير ذلك.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾.

والآيةُ في كفَّار العرب. وقيل: في اليهود.

والمعنى: أتتبعونهم[1] ولو كانوا لا يعقلون؟، فدخلت همزة الإنكار على واو الحال.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ في معناها قولان:

الأول: تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلَّة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم.

ولا بد في هذا من محذوف؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المحذوف أوَّلَ الآية، والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ ولا تعقل معناه.

والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك، والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مَدْعُوِّ الذي ينعق.

ويكون ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ على الوجهين: مفعولًا بـ ﴿يَسْمَعُ﴾.

والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها.

---

(١) في ج، هـ: «أيتبعونهم».

فعلى هذا القول: شبَّه الكفار: بالغنم، وشبه داعِيهم: بالذي يزجرها ويصيح عليها.

والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا.

ويكون ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ على هذا منقطعًا؛ أي: أن الداعيَ يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لا يسمعه من غير فائدة.

فعلى هذا: شبه الكفار: بالناعق.

﴿صُمٌّ﴾ وما بعده: راجع إلى الكفار؛ وذلك يقوِّي التأويل الأول.

ورفعه: على إضمار مبتدإٍ.

﴿وَٱشْكُرُوا۟﴾ الآيةَ؛ دليلٌ على وجوب الشكر؛ لقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه، وهو عمومٌ خُصَّ منه: الحوت والجراد.

وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة.

ومنع مالكٌ أكْلَ[1] الجراد حتى يُسبِّب موتَها[2] بقطع عضوٍ منها، أو وضعِها في الماء، أو غير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك.

﴿وَٱلدَّمَ﴾ يريد: المسفوحَ؛ لتقييده بذلك في سورة «الأنعام».

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ج، هـ.

(٢) في ب: «في موتها».

ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم.

﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ هو حرامٌ؛ سواء ذُكِّي أو لم يذكَّ.

وكذلك شحمُه بإجماع، وإنما خصَّ اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل، ولأن الشحم تابعٌ له؛ ولذلك من حلف أن لا يأكل لحمًا فأكل شحمًا حنَث، بخلاف العكس.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ أي: صِيحَ؛ لأنهم كانوا يَصيحون باسم من ذُبِح له، ثم استعمل في النية في الذبيحة.

﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها.

﴿ٱضْطُرَّ﴾ بالجوع، أو بالإكراه.

وهو مشتق من الضرورة، ووزنه: افتُعِل، وأبدل من التاء طاءٌ.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغٍ على المسلمين، وعادٍ عليهم؛ ولذلك لم يرخِّصْ مالك -في رواية عنه- للعاصي بسفره أن يأكل الميتة، والمشهور عنه: الترخيص له.

وقيل: باغٍ باستعمالها من غير اضطرار.

وقيل: باغٍ أي: متزيِّد على إمساك رمَقِه؛ ولهذا لم يُجِز الشافعيُّ للمضطرِّ أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزوَّد.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفعٌ للحرج.

ويجب على المضطرِّ أكلُ الميتة؛ لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة، ويؤخذ الوجوب من غيرها.

واختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم والخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟

واختلف: هل يباح له أكل ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك، وأجازه الشافعي؛ لعموم الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ اليهود.

﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار؛ فوضع السبب موضع المسبَّب.

وقيل: يأكلون النار حقيقةً في جهنم.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارةٌ عن غضبه عليهم.

وقيل: لا يكلِّمهم بما يحبونه[1].

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ لا يثني عليهم.

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾ تعجُّبٌ:

من جُرْأتهم على ما يقودهم إلى النار.

أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: «عبارةٌ عن غضبه عليهم» إلخ.

أقول: فسَّر نفي الكلام بأحد وجهين:

- بالغضب اللازم من ترك الكلام، وهو من التفسير باللازم.

- أو بترك كلام مخصوص، وهو ما يحبونه ويسرهم.

والثاني هو المناسب؛ لظاهر اللفظ، والله أعلم.

وقيل: إنه استفهام؛ و﴿أَصْبَرَهُمْ﴾ بمعنى: صَبَّرَهم، وهذا بعيد؛ وإنما حمل قائلَه عليه اعتقادُه أن التعجُّبَ مستحيلٌ على الله؛ لأنه استعظامٌ خفِيَ سببُه.

وذلك لا يلزم؛ فإنه في حق الله غيرُ خفيِّ السبب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى العذاب.

ورفْعُه: بالابتداء، أو بفعل مضمر.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الباء سببية.

﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن هنا.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو بالإخبار الحقِّ[1]؛ أي: الصادق.

والباء فيه: سببية، أو للمصاحبة.

﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى؛ و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ على هذا: التوراة والإنجيل.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾: العرب؛ و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ على هذا: القرآن.

ويَحتمل جنس الكتاب[2] في الموضعين.

﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيدٍ من الحق والاستقامة.

---

(١) في د: «بالحق».

(٢) في ج، د: «الكتب».

[﴿ ۞ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ
بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ
فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ
مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾].

﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبلةُ اليهود، والمشرق قبلة النصارى، أي: إنما البرُّ التوجُّه إلى الكعبة.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين؛ أي: ليس البرُّ الصلاةَ خاصة، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا.

﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ لا يصحُّ أن يكون ﴿مَنْ آمَنَ﴾ خبرًا عن ﴿الْبِرُّ﴾؛ فتأويله:

لكنَّ صاحب البر مَن آمن.

أو لكن البرَّ برُّ من آمن.

أو يكون البر مصدرًا وُصِف به.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ صدقةَ التطوُّع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير عائد على ﴿ٱلْمَالَ﴾؛ كقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآيةَ؛ وهو الراجح من طريق المعنى، وعَودِ الضمير على الأقرب.

وهو على هذا تتميمٌ؛ وهو من أدوات البيان.

وقيل: يعود على مصدر ﴿وَءَاتَى﴾.

وقيل: على الله.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما بعده: مرتَّبٌ بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقةٌ وصِلةٌ، بخلاف مَن بعدهم، ثم اليتامى؛ لصِغَرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الغريب، وقيل: الضَّيف[١].

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ وإن كانوا غيرَ محتاجين.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ عتقها.

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله، ومع الناس.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نُصِب بإضمار فعل.

﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض.

---

(١) في ج، د، هـ: «الضعيف»، والمثبت موافق لما فسره به في «اللغات» مادة (٤٨٨).

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ القتال.

﴿صَدَقُوا۟﴾ في القول، والفعل، والعزيمة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ أي: شُرع لكم.

وليس بمعنى: فُرِض؛ لأن وليَّ المقتول مخيَّرٌ بين القصاص والدية والعفو.

وقيل: بمعنى فرض؛ أي: فُرِض:

على القاتل: الانقيادُ للقصاص.

وعلى وليِّ المقتول: أن لا يتعداه إلى قتل غيره؛ كفعل الجاهلية.

وعلى الحكَّام: التمكينُ من القصاص.

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ ظاهره: اعتبار التَّساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل حرٌّ بعبد، ولا ذكر بأنثى.

إلَّا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى.

ورأى قوم: أن يُعطِي أولياؤُها حينئذٍ نصفَ الدية لأولياء الرجل المقتصِّ منه؛ خلافًا لمالك والشافعي وأبي حنيفة.

وأما قتل الحرِّ بالعبد: فهو مذهب أبي حنيفة، خلافًا لمالك والشافعي.

فعلى هذا:

لم يأخذ أبو حنيفة بشيءٍ من ظاهر الآية؛ لا في الذكورية ولا في الحرية؛ لأنها عنده منسوخة.

وأخذ مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، وتأويلها عنده:

أن قوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ عمومٌ يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرَّر قوله: ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ تجريدًا؛ للتأكيد؛ لأن بعض العرب كانوا إذا قُتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكرًا؛ تكبُّرًا وعدوانًا.

وقد يتَّجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرِّ بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «**لا يقتل حرٌّ بعبد**»(١).

والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل.

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾ الآيةَ؛ فيها تأويلان:

أحدهما: أن المعنى: من قَتل فعُفي عنه فعليه أداءُ الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتِّباعه بها بمعروف.

فعلى هذا: «مَن»: كناية عن القاتل، وأخوه: هو المقتول، أو وليُّه، و﴿عُفِىَ﴾ من العفو عن القصاص؛ وأصله أن يتعدى بـ «عن»، وإنما تعدَّى هنا باللام؛ لأنه كقولك: «تجاوزت لفلان عن ذنبه».

والثاني: أن المعنى: مَن أعطِيَته الدية فعليه اتِّباع بمعروف، وعلى القاتل أداءٌ بإحسان.

فعلى هذا: «مَن»: كناية عن أولياء المقتول، وأخوه: هو القاتل

---

(١) أخرجه البيهقي (١٦/ ١٩١)، والدارقطني (٤/ ١٥٣).

أو عاقلته[1]، و﴿عُفِىَ﴾ بمعنى: يُسِّرَ؛ كقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: ما تيسَّر، ولا إشكال في تعدِّي ﴿عُفِىَ﴾ باللام على هذا المعنى.

﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارةٌ إلى جواز أخذ الدية؛ لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية، وإنما هو القصاص.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ أي: قتل قاتل وليِّه بعد أن أَخذ منه الدية.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه. وقيل: عذاب الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ بمعنى قولهم: «القتل أنفى للقتل»؛ أي: أن القصاص يردعُ الناس عن القتل.

وقيل: المعنى: أن القصاص أقلُّ قتلًا؛ لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتَي القاتل والمقتول، حتى يُقتَل بسبب ذلك جماعةٌ.

﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضًا قبل الميراث، ثم نسخَها آيةُ المواريث، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»[2]، وبقيت الوصية مندوبةً لمن لا يرث من الأقربين.

وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض؛ فلا تعارض بينها وبين المواريث، ولا نسخ.

والأول أشهر.

---

(١) في أ، د: «أو على عاقلته».

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٢٠)، وأبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (١٧٦٦٣).

[﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ
أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن
تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ
هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ
وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ
فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ
نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ
فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ
وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ
إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾ القصد بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾: تسهيلُ الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذارٌ عن كتْبِه عليهم، ومُلاطفةٌ جميلة.

والذي كُتِب على الذين من قبلنا:

الصيام مطلقًا.

وقيل: كتب على الذين من قبلنا رمضان، فبدَّلوه.

﴿أَيَّامًا﴾ منصوبٌ: بـ ﴿الصِّيَامُ﴾، أو بمحذوف.

ويبعد انتصابُه بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآيةَ؛ إباحةٌ للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك.

وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى: فحوى الخطاب؛ وتقديره: فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر: فعليه عدَّةٌ من أيام أخر.

ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف؛ فرأوا أنَّ صيام المريض والمسافر لا يصحُّ، وأوجبوا عليه عدَّةً من أيام أخر، وإن صام في رمضان.

وهذا منهم جهلٌ بكلام العرب.

وليس في الآية ما يقتضي تحديدَ السفر، وبذلك قال الظاهرية.

وحدُّه في مشهور مذهب مالك: أربعة بُرُدٍ.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ **قيل**: يطيقونه من غير مشقة؛ فيفطرون ويكفِّرون، ثم نسخ جواز الإفطار بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

وقيل: يطيقونه بمشقَّة؛ كالشيخ الهرِم، فيجوز له الفطر، ويكفِّر بالإطعام، فلا نسخ على هذا.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ أي: صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة؛ وذلك على القول بالنسخ.

وقيل: تطوَّع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ.

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ : مبتدأٌ .

أو خبر ابتداء مضمر .

أو بدلٌ مِن ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ .

﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ابن عباس : أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة .

وقيل : المعنى : أُنزِل في شأنه القرآن ؛ كقولك : «أنزل القرآن في فلان» .

وقيل : المعنى : ابتُدِئ فيه إنزال القرآن .

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي : أن القرآن هدى ، ثم هو - مع ذلك - من مبيِّنات[1] الهدى ؛ وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق ، وموصوف بالبيان .

فالهدى الأوَّل - هنا - : على الإطلاق .

وقوله : ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي : وهو من الهدى المبيِّن ؛ فهو من عطف الصفات ؛ كقولك : «فلان عالمٌ وجليلٌ من العلماء» .

﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي : كان حاضرًا غير مسافر ، و﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ : منصوبٌ على الظرفية .

﴿ٱلۡيُسۡرَ﴾ و﴿ٱلۡعُسۡرَ﴾ : على الإطلاق .

---

(١) في د: «بينات».

وقيل: اليسرُ: الفطرُ في السفر، والعسر: الصوم فيه.

﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾ متعلّقٌ بمحذوف تقديره: شُرع.

أو: عطف على: ﴿ٱلۡيُسۡرَ﴾.

﴿ٱلۡعِدَّةَ﴾ الأيامَ التي أفطر فيها.

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ﴾ التكبير يوم العيد، أو مطلقٌ.

﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئةِ الله، وموافقةِ القدر.

وهذا جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «مقيد بمشيئة الله...» إلخ.

أقول: تضمن كلامه هذا أن وعد الله باستجابة دعاء الداعي مشروط بمشيئة الله، وهذا حقٌّ؛ فإنَّ فعله تعالى إنما يكون بمشيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وأدلة ذلك كثيرة في القرآن.

ومشروط ثانيًا بموافقة القدر، أي أن يكون المطلوب قد سبق القدرُ بكونه، وفي هذا إجمالٌ؛ فإن أراد أنه مقدَّر بدون حصول هذا الدعاء، فهذا يؤول إلى أن يكون الدعاء لا أثر له في حصول المطلوب، وهذا هو الظاهر من مراده، فإنَّ هذا يجري على مذهب نفاة تأثير الأسباب، والدعاءُ من الأسباب، وهو مذهب الأشاعرة، والظاهر أن المؤلف ممن يذهب هذا المذهب.

وإن أراد أنه مقدَّر الحصول بذلك الدعاء فهو حقٌّ، لكن يصير التقيد بذلك كالتقييد للمشيئة؛ فإنه لا يكون إلا ما سبق به القدر، كما لا يكون إلا ما شاءه الله تعالى، فتَخَلُّفُ المطلوب يرجع إلى أن الله لم يقدِّر حصوله في سابق علمه وكتابه. وما كان كذلك فإنه لا يشاؤه سبحانه.

فالمشيئة والقدر متلازمان، فما شاءه فقد سبق به علمُه وكتابُه، وما عَلِمَه وكتَبَه فإنه تعالى يشاؤه، فلا يكون إلا ما يشاء، ولا يكون إلا ما سبق به علمُه وكتابُه. والله أعلم.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ أي: في امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآيةَ؛ كان الأكل والجماع محرَّمًا بعد النوم في ليل رمضان، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب[1] ولصِرْمة بن مالك[2]؛ فأحلَّهما الله؛ تخفيفًا على عباده.

﴿ٱلرَّفَثُ﴾ هنا: الجماع، وإنما تعدَّى بـ﴿إِلَىٰ﴾؛ لأنه في معنى الإفضاء.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ تشبيهٌ بالثياب؛ لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليلٌ للإباحة.

﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان.

﴿فَتَابَ﴾ ﴿وَعَفَا﴾ أي: غفر ما وقعتم فيه من ذلك.

وقيل: رَفع عنكم ذلك الحكم.

﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ إباحةٌ.

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: الولد يبتغى بالجماع.

وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه.

﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيانٌ للخيط الأبيض، لا للأسود؛ لأنَّ الفجر ليس له سواد.

---

(١) أخرجها أحمد في المسند (١٥٧٩٥).

(٢) أخرجها البخاري (١٩١٥)، ووقع في اسمه اختلاف كثير، ذكره ابن حجر في الإصابة (٥/ ٢٤٨)، فقيل: صرمة بن مالك كما أورده المؤلف، وقيل: قيس بن صرمة كما في رواية البخاري، وقيل غير ذلك.

والخيط -هنا- استعارةٌ؛ يراد بالخيط الأبيض: بياض الفجر، وبالخيط الأسود: سواد الليل.

وروي أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ نزل بعد ذلك؛ بيانًا لهذا المعنى؛ لأنَّ بعضهم جعل خيطًا أبيض وخيطًا أسود عند وِسادِه، وأكل حتى تبيَّن له، فقال له النبي ﷺ: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل»[1].

﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: إلى أوَّل الليل، وهو غروب الشمس؛ فمن أفطر قبل ذلك: فعليه القضاء والكفارة.

ومن شك هل غربت أم لا فأفطر: فعليه -أيضًا- القضاء والكفارة.

وقيل: القضاء فقط.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث[2].

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف.

قال الجمهور: المباشرة -هنا-: الجماع وما دونه.

وقيل: الجماع فقط.

﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ دليلٌ على جواز الاعتكاف في كلِّ مسجد؛ خلافًا لمن قال: لا اعتكاف إلَّا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس.

وفيه -أيضًا- دليلٌ على أن الاعتكاف لا يكون إلَّا في المساجد، لا في

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

غيرها، خلافًا لمن أجازه في غيرها من مفهوم الآية.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: أحكامه التي أمر بالوقوف عندها.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي لا تُقارِبوا[١] مخالفتَها.

واستدلَّ بعضهم به على سدِّ الذرائع؛ لأنَّ المقصود النهي عن المخالفة للحدود؛ لقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ثم نهَى - هنا - عن مقاربة المخالفة؛ سدًّا للذريعة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم﴾ أي: لا يأكلْ بعضكم مال بعض بالباطل، كالقمار، والغصب، وجحد الحقوق، وغير ذلك.

﴿وَتُدْلُوا﴾ عطف على: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾.

أو: نصب بإضمار «أنْ».

وهو مِن: أَدلى الرجل بحجَّته: إذا قام بها.

والمعنى: نهيٌ عن أن يَحتجَّ بحجة باطلة؛ ليَصِل بها إلى أكل مال الناس.

وقيل: نهيٌ عن رشوة الحكَّام بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس.

فالباء:

على الأول: سببية.

وعلى الثاني: للإلصاق.

﴿بِالْإِثْمِ﴾ الباء: سببية، أو للمصاحبة.

---

(١) في أ، ب: «لا تقربوا».

والإثم:

على القول الأوَّل في ﴿وَتُدْلُوا﴾: إقامة الحجة الباطلة؛ كشهادة الزور، والأيمان الكاذبة.

وعلى القول الثاني: الرشوة.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنكم على الباطل؛ وذلك مبالغةٌ في المعصية والجرْأة.

* * *

[﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟
ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ
جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ
قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ
نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى
ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ سببها: أنهم سألوا عن الهلال، وما فائدة مِحَاقِه وكمالِه ومخالفته لحال الشمس.

والهلال: ليلتان من أوَّل الشهر، وقيل: ثلاثٌ، ثم يقال له: قمر.

﴿مَوَٰقِيتُ﴾ جمع ميقات؛ لمحلِّ الديون، والأَكْرِية، وانقضاء العِدد، وغير ذلك.

ثم ذكَر الحجَّ؛ اهتمامًا بذكره، وإن كان قد دخل في المواقيت للناس.

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآيةَ؛ كان قومٌ إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحولُ بيننا وبين السماء شيءٌ؛ فنزلت الآية إعلامًا أنَّ ذلك ليس من البرِّ.

وإنما ذَكَر ذلك بعد ذِكْر الحج؛ لأنه كان عندهم من تمام الحج.

وقيل: إن المعنى: ليس البر أن تسألوا عن الأهلَّة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه؛ فتأتون الأمور على غير ما يجب.

فعلى هذا: ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ و﴿أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ و﴿ظُهُورِهَا﴾ استعاراتٌ؛ يراد بالبيوت: المسائل، وظهورها[1]: السؤال عما لا يفيد، وأبوابها: السؤال عما يحتاج إليه.

﴿الْبِرُّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ تأويلُه مثل: ﴿الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ﴾[2].

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كان القتال غيرَ مباح في أوَّل الإسلام، ثم أُمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل؛ وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أُمر بقتال جميع الكفار في قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] و﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾ [النساء: ٨٩]؛ فهذه الآية منسوخة.

وقيل: إنها مُحْكمة؛ وأنَّ المعنى: قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلكم[3]، دون النساء والصبيان الذي لا يقاتلونكم.

والأوَّل أرجح وأشهر.

---

(١) في ب، ج، هـ: «فظهورها».

(٢) انظر صفحة ٣٩٨.

(٣) في ب، ج، هـ: «يقاتلونكم».

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ أي: بقتال من لم يقاتلْكم؛ على القول الأول.

وبقتال النساء والصبيان؛ على القول الثاني.

﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ أي: من مكة؛ لأنَّ قريشًا أخرجوا منها المسلمين.

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ أي: فتنةُ المؤمن عن دينه أشدُّ عليه من قتله.

وقيل: كفر الكفار أشدُّ من قتل المؤمنين(١) لهم في الجهاد.

﴿عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ [النساء: ٨٩]، وذلك يقوِّي نسخ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: عن الكفر فأسلموا؛ بدليل قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: لا يبقى دينُ كفرٍ.

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ الآيةَ؛ نزلت لما صدَّ الكفارُ النبيَّ ﷺ والمسلمين(٢) عن دخول مكة للعمرة عامَ الحديبيَة في شهر ذي قَعدة، فدخلها في العام الذي بعده في شهر ذي قعدة.

أي: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ الذي دخلتم فيه مكة ﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الذي صُدِدتم فيه عن دخولها.

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ أي: حرمةُ الشهر والبلد حين دخلتموها: قصاصٌ

---

(١) في ج، هـ: «المؤمن».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

بحرمة الشهر والبلد حين صُدِدتم عنها.

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب؛ أي: قاتلوا مَن قاتلَكم، ولا تبالوا بحرمة من صدَّكم عن مكة.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أبو أيوب الأنصاري: المعنى: لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد.

وقيل: لا تتركوا النفقة في الجهاد؛ خوف العَيلة.

وقيل: لا تقنطوا من التوبة.

وقيل: لا تقتحموا المهالك.

والباء في ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: زائدة.

وقيل: التقدير: لا تلقوا أنفسَكم بأيديكم.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما[١].

ابنُ عباس: إتمامهما[٢]: إكمال المناسك.

عليٌّ: إتمامهما[٣]: أن تحرم بهما من دارك.

ولا حجَّة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام، لا بالابتداء.

---

(١) في ج، هـ: «أكملوها إذا ابتدأتم عملها».
(٢) في ب، ج، هـ: «إتمامها».
(٣) في ب، ج، هـ: «إتمامها».

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة: أَحصره المرض -بالألف-، وحصَره العدوُّ.

وقيل: بالعكس.

وقيل: هما بمعنًى واحدٍ.

فقال مالك: ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ هنا: بالمرض على مشهور اللغة؛ فأوجب عليه الهديَ، ولم يوجبْه على من حصَره العدوُّ.

وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدْيُ على من حصَره العدو، وحمَلا الآيةَ على ذلك، واستدلَّا بنحر النبي ﷺ الهدْيَ بالحديبية.

وقال أبو حنيفة: يجب الهديُ على المحصر بعدوٍّ وبمرض.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدي؛ وذلك شاةٌ.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ خطابٌ للمحصر بمرض عند مالك؛ لأنه لا يتحلَّل بالحلق حتى يبلغ الهديُ محلَّه أي: موضع نحره؛ وهو:

مكة أو منى عند مالك.

وقال الشافعي: محِلُّه: حيث أُحصر.

وقيل: هو[1] خطابٌ للمُحصَر وغيره.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآيةَ؛ نزلت في كعب بن عُجْرة حين رآه النبيُّ ﷺ فقال له: «لعلَّك تؤذيك هوامُّ رأسك؟» فقال: نعم، فقال له

---

(١) في ب، ج، هـ «هي».

رسول الله ﷺ: «احلق رأسك، وصمْ ثلاثة أيام، أو أَطعِم ستة مساكين، أو انسُكْ بشاة»[١].

(فمعنى الآية: أنَّ من كان الحج واضطرَّهُ مرضٌ[٢] أو قَمْلٌ إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه؛ وعليه صيام، أو صدقة، أو نسك)[٣] حسَبما تفسَّر في الحديث.

وقاس الفقهاء على حلق الرأس: سائرَ الأشياء التي يُمنَع الحاج منها، إلَّا الصيدَ، ووطء النساء.

وقصَر الظاهريةُ ذلك على حلق الرأس.

ولا بدَّ في الآية من مضمر لا يستقلُّ الكلام دونَه، وهو المسمى: فحوى الخطاب؛ وتقديرها: فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه فحلق رأسَه فعليه فديةٌ.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ أي: من المرض؛ على قول مالك.

ومن العدوِّ؛ على قول غيره.

والمعنى: إذا كنتم بحال أمْن؛ سواءٌ تقدَّم مرض أو خوف عدوٍّ، أو لم يتقدَّمْ.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾ التمتُّع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في

---

(١) أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٢٠١).

(٢) في د: «واضطرَّ لمرضٍ».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

أشهر الحج، ثم يحجَّ من عامِه؛ فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة.

وقال عبد الله بن الزبير: التمتع: هو أن يُحصَر عن الحج بعدوٍّ حتى يفوتَه الحج، فيعتمر عمرةً يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاءً لحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل.

وقيل: التمتع: هو قِرَان الحج والعمرة.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ شاة.

﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ وقتُها: من إحرامه إلى يوم عرفة، فإن فاته: صامَ أيام التشريق.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: إلى بلادكم، أو في الطريق.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فائدته: بيان أن السبعةَ تصام بعد الثلاثة؛ فتكون عشرة، ورفْعٌ لتوهُّمِ أنَّ السبعة بدلٌ من الثلاثة.

وقيل: هو مثل الفَذْلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد: «فذلك كذا».

وقيل: كاملةٌ في الثواب.

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني: غير أهل مكة وذي طُوى بإجماع.

وقيل: أهل الحرم كلِّه.

وقيل: من كان دون المواقيت.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الهدي أو الصيام؛ أي: إنما يجب الهدي - أو الصيام بدلًا منه - على الغرباء، لا على أهل مكة.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع.



[﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ
أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا
هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ
فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ
ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا
كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى
قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ
وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ
جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا
تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ
فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾].

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهرُ الحج أشهرٌ.

أو: الحجُّ في أشهر.

وهي: شوَّال، وذو القَعدة، وذو الحِجة.

وقيل: العَشر الأوَّل منه.

وينبني على ذلك: من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي حِجةٍ:

فعليه دمٌ على القول بالعَشر الأول.

ولا دمَ عليه على القول بجميع الشهر.

واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر:

فأجازه مالكٌ على كراهة.

ولم يُجزه الشافعيُّ وداود؛ لتعيين هذا الأشهر لذلك؛ فكأنها كوقت الصلاة.

﴿فَمَن فَرَضَ﴾ أي: ألزم الحجَّ نفسَه.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرفث: الجماع. وقيل: الفحش من الكلام.

والفسوق: المعاصي.

والجدال: المراء مطلقًا.

وقيل: المجادلة في مواقف الحج.

وقيل: النسيءُ الذي كانت العرب تفعله.

﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ قيل: احملوا زادًا في السفر.

وقيل: تزوَّدوا للآخرة بالتقوى، وهو الأرجح؛ لما بعده.

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ التجارة في أيام الحج، أباحها الله تعالى.

وقرأ ابن عباس: «فضلًا من ربكم في مواسم الحج».

﴿أَفَضۡتُم﴾ اندفعتم جملةً واحدة.

﴿مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ اسمُ علَمٍ للموقف.

والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر، لا تنوين صرْفٍ؛ فإن فيه التعريفَ والتأنيث.

﴿ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ المزدلفة.

والوقوف بها سُنَّة.

﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَإِن كُنتُم﴾ «إن» مخفَّفة من الثقيلة؛ ولذلك جاءت اللام في خبرها.

﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: من قبل الهُدى.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر للحُمْسِ[1]؛ وهم قريشٌ ومَن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرمٌ، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حِلٌّ، ويقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نقف إلَّا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن

---

(١) الحُمْس: لقب قريشٍ، ومن ولَدت قريشٌ وكنانةُ وجَديلةُ قيسٍ، وهم: فَهْمٌ وعَدوانُ ابنا عمرِو بن قيسِ عَيلان، وبنو عامر بن صعصعة، سُمُّوا حُمْسًا؛ لتحمُّسهم في دينهم، أي: تشدُّدهم فيه، وكذا في الشجاعة فلا يطاقون، أو لالتجائهم بالحَمْساء، وهي الكعبةُ؛ لأن حجَرها أبيضُ إلى السَّواد. انظر: تاج العروس (١٥/ ٥٥٥).

يقفوا بعرفة مع الناس ويُفِيضوا منها.

وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة؛ توفيقًا من الله تعالى له.

والقول الثاني: أنها خطابٌ لجميع الناس؛ ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى.

فـ ﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول: على بابِها من الترتيب.

وأما على القول الأوَّل: فليست للترتيب، بل للعطف خاصة.

قال الزمخشري: هي كقولك: «أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلَّا إلى كريم»؛ فإنَّ معناها: التفاوت بين ما قبلها وما بعدها، وأن ما بعدها آكدُ[1].

﴿قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ فرَغتم من أعمال الحج.

﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيرًا ما يذكر آباءه[2].

وقيل: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرةً عند الجمرة، فأُمروا بذكر الله عوضًا من ذلك.

﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصةً؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قيل: العمل الصالح. وقيل: المال. وقيل: المرأة الصالحة.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٠٣).

(٢) في ب، ج، هـ: «أباه».

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة.

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۚ﴾ يَحتمل أن تكون «مِن»:

سببيةً؛ أي: لهم نصيب عند الله؛ من أجل ما كسبوا من الحسنات.

وأن تكون لبيان الجنس؛ أي: لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها، والنصيب - على هذا -: الثواب.

﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد به: سرعةُ مجيءِ يوم القيامة.

والآخر: أن يراد به: سرعةُ وقوعِ الحساب يوم القيامة؛ لأنَّ الله لا يحتاج إلى عِدَّةٍ ولا فكرة.

وقيل لعليٍّ ﷺ: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: «كما يرزقهم على كثرتهم»[١].

﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ ثلاثةٍ بعد يوم النحر؛ وهي أيام التشريق.

والذكر فيها: التكبير في أدبار الصلوات، وعند رمي الجمار، وغير ذلك.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ أي: إلى اليوم الثالث فرمَى فيه بقيةَ الجمار.

---

(١) لم أقف عليه مسندًا.

وأما المتعجل: فقيل: يترك رمي جمار اليوم الثالث. وقيل: يقدِّمها في اليوم الثاني.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ في الموضعين:

قيل: إنه إباحةٌ للتعجل والتأخر.

وقيل: إنه إخبارٌ عن غفران الإثم -وهو الذنب- للحاجِّ؛ سواءٌ تعجل أو تأخر.

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ أمَّا على القول بأن معنى: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ إباحةٌ؛ فالمعنى: أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما؛ فقد أبيح له ذلك من غير إثم.

وأمَّا على القول: بأن معنى: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ إخبار بغفران الذنوب؛ فالمعنى: أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه؛ كقوله ﷺ: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق: خرج من ذنوبه كيومَ ولَدته أمه»[1].

فاللام متعلِّقة: إمَّا بالغفران، أو الإباحة[2] المفهومَين من الآية.

﴿مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في الأخنس بن شَريق؛ فإنه أظهر الإسلام، ثم خرج فقتل دوابَّ المسلمين وأحرق لهم زرعًا.

وقيل: في المنافقين.

وقيل: عامة في كل من كان على هذه الصفة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) في د: «بالإباحة».

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ متعلّق بـ ﴿قَوْلُهُۥ﴾؛ أي: يعجبك ما يقول في أمر الدنيا.

ويحتمل أن يتعلَّق بـ ﴿يُعْجِبُكَ﴾.

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ أي: يقول: الله يعلم إنِّي لصادق.

﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة.

﴿تَوَلَّىٰ﴾ أدبر بجسده، أو أعرض بقلبه.

وقيل: صار واليًا.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ على القول بأنها في الأخنس: فإهلاك الحرث: حرقه للزرع، وإهلاك النسل: قتله للدواب.

وعلى القول بالعموم: فالمعنى: مبالغةٌ في الفساد، وعبَّر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل؛ لأنهما قِوامُ معيشة بني آدم، فإن الحرث: هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل: هو الإبل والبقر والغنم، وغير ذلك مما يَتناسل.

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ المعنى: أنه لا يطيع مَن أمره بالتقوى؛ تكبرًا وطغيانًا.

والباء يَحتمل أن تكون: سببيةً، أو بمعنى «مع».

وقال الزمخشري: هي كقولك: أخذ الأمير الناسَ بكذا أي: ألزمَهم إيَّاه؛ فالمعنى: حملته العزة على الإثم[1].

---

(١) الكشاف (٣/٣١٨).

﴿مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ أي: يبيعها.

قيل: نزلت في صهيب. **وقيل**: على العموم.

وبيع النفس: في الهجرة، أو الجهاد.

وقيل: في تغيير المنكر، وأنَّ الذي قبلها: فيمن غُيِّر عليه فلم ينزجر.

﴿السَّلْمِ﴾ بفتح السين:

المسالمة، والمراد بها هنا: عقد الذمة بالجزية.

فالأمر على هذا: لأهل الكتاب، وخوطبوا بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة.

وقيل: هو الإسلام.

وكذلك هو بكسر السين.

فيكون الخطاب لأهل الكتاب؛ على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام.

وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظِّموا السبت كما كانوا؛ فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه[1].

ويَحتمل: أن يكون الخطاب للمسلمين؛ على معنى: الأمر بالثبوت عليه، أو[2] الدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي.

---

(١) في د: «ما سواه».

(٢) في أ، ب: «و».

﴿كَآفَّةً﴾ عموم في: المخاطبين، أو في شرائع الإسلام.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديدٌ لمن زلَّ بعد البيان.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ تأويله عند المتأوّلين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا.

وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم: من المتشابه؛ فيجب الإيمان بها من غير تكييف.

ويَحتمل أن لا تكون من المتشابه؛ لأنَّ قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى: يطلبون ذلك بجهلهم؛ كقولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٨].

﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظُلَّة؛ وهو: ما علاك من فوق.

فإن كان ذلك لأمرِ الله: فلا إشكال.

وإن كان لله: فهو من المتشابه(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «(يأتيهم الله) تأويله عند المتأوّلين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا. إلخ، أقول: ذُكر في معنى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ قولين:
الأول: تفسير المتأولين، بما ذكره من عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهذه طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات.
الثاني: أن الآية من المتشابه، والمتشابه عند المؤلف وأمثاله ما لا يعلم معناه إلا الله، وزعم ابن جزي أن هذا هو مذهب السلف ومن تبعهم، ونسبة هذا إلى السلف باطلة، فهذه الآية وأمثالها من نصوص الصفات عند السلف مفهومة المعنى، وهم يثبتون =

﴿ٱلْغَمَامِ﴾ السحابِ.

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ فُرِغ منه؛ وذلك كنايةٌ عن وقوع العذاب.



= ما دلت عليه من الصفات والأفعال، ولكن قول المؤلف: «فيجب الإيمان بها من غير تكييف» كلام حق يشبه ما جاء عن السلف في نصوص الصفات: أمروها كما جاءت من غير كيف. لكن يكون في كلام المؤلف نوع تناقض، فجعلها من المتشابه يقتضي عدم الفهم لمعناها، وقوله: «يجب الإيمان بها من غير تكييف» يقتضي فهمها وإثبات معناها، ففي تقريره لما زعم أنه مذهب السلف اضطراب.

وفي كلامه ﷺ عن الآية اضطراب آخر، فبينما يتعلق الكلام في: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ينتقل إلى أن يكون متعلقا بقوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾، وذلك في قوله: «ويحتمل أن لا تكون من المتشابه»، ثم يفسر ﴿يَنظُرُونَ﴾ يطلبون. والمعروف في اللغة والتفسير أن ينظرون المتعدي معناه: ينتظرون، كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، وفي هذا تهديد للمكذبين، والصواب أن الآية تدل على أن الله يأتي يوم القيامة كيف شاء، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾.

وقول المؤلف: «فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله: فهو من المتشابه» لعله يريد إن كانت الظلل شيئا مخلوقا بأمر الله فلا إشكال، وهو كما قال، وإن كانت الظلل صفة لله فهي من المتشابه، ولا موجب لهذا التردد، بل الظلل مخلوقة قطعا، وهي بأمر الله، ولا يجوز أن تكون من ذات الله أو صفته، فلا موجب لهذا التردد، ومن أحسن ما عبر به عن قوله: (في ظلل) أي: مع ظلل. ففي على هذا بمعنى مع والله أعلم.

[﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾].

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على وجه التَّوبيخ لهم، وإقامةِ الحجة عليهم.

﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ﴾ معجزات موسى، أو الدلالات[1] على نبوَّة محمد ﷺ.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ وعيدٌ.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفارُ قريش سخروا من فقراء المسلمين، كبلالٍ وصهيب.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ هم المؤمنون الذين سخِر الكفارُ منهم.

﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: أحسنُ حالًا منهم.

---

(١) في ب، د: «الدلالة».

ويحتمل فوقيَّة المكان؛ لأنَّ الجنة في السماء.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ إن أراد في الآخرة: فـ ﴿مَن﴾ كنايةٌ عن المؤمنين.

والمعنى: ردٌّ على الكفار؛ أي: إنْ رزَقَ اللهُ الكفارَ في الدنيا؛ فإن المؤمنين يُرزقون في الآخرة.

وإن أراد في الدنيا: فيحتمل:

أن تكون ﴿مَن﴾ كنايةً عن المؤمنين؛ أي: سيرزقهم، ففيه وعدٌ لهم.

وأن تكون كنايةً عن الكافرين؛ أي: أنَّ رِزْقَهم في الدنيا بمشيئة الله، لا على وجه الكرامة لهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين: فيحتمل أن يريد:

بغير تضييقٍ.

أو من حيث لا يحتسبون.

أو لا يحاسَبون عليه.

وإن كان للكفار: فمِن غير تضييق.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متَّفقين في الدين:

قيل: كفارٌ؛ في زمان نوح عليه السلام.

وقيل: مؤمنون؛ ما بين آدم ونوح، أو مَن كان مع نوح في السفينة.

وعلى ذلك يقدَّر: فاختلفوا بعد اتفاقهم؛ ويدلُّ عليه: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩].

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: جنس، أو مع كل نبيٍّ كتابه[١].

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود: على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

أو على الضمير المجرور المتقدم.

وقال الزمخشري: يعود على «الحق»[٢].

وأما الضمير في ﴿أُوتُوهُ﴾: فيعود على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والمعنى: تقبيحُ الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسدًا، أو عدوانًا.

وهو: مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: أمَّةَ محمد ﷺ.

﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: للحقِّ فيما اختلفوا فيه.

فـ«ما» بمعنى: الذي، وقبلها مضاف محذوف.

والضمير في ﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾: لجميع الناس.

يريد: اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق.

---

(١) في ج، هـ: «كتابٌ».
(٢) الكشاف (٣/ ٣٣٩).

وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق.

و«مِن» في قوله: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ لبيان الجنس؛ أي[١]: جنسَ ما وقع فيه الخلاف[٢].

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قيل: بعلمه. وقيل: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمرِ بالصبر على الشدائد.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ أي: لا تدخلون الجنة حتى يصيبَكم مثلُ ما أصاب مَن كان قبلكم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ أي: حالهم، وعبَّر عنه بالمثَل؛ لأنه في شدَّته يُضرَب به المثل.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ بالتخويف والشدائد.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يَحتمل:

أن يكون جوابًا للذين قالوا: متى نصر الله؟

أو أن يكون إخبارًا مستأنفًا.

وقيل: إن الرسول قال ذلك لمَّا قال الذين معه: متى نصر الله؟.

﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ إن أُرِيد بالنفقة الزكاة: فذلك منسوخ.

---

(١) في ب، ج، هـ: «أعني».

(٢) كذا في د، وهامش أ ورمز له بـ«خ»، وفي أ، ب، ج، هـ: «جنسَ المختلَف فيه».

والصواب: أن المراد التطوُّع؛ فلا نسخ.

وقدَّم في الترتيب الأهمَّ فالأهم.

وورد السؤال عن المنفَق، والجواب عن مَصرِفه؛ لأنه كان المقصودَ بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفَق في قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان: فنسَخه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، فصار القتال فرض كفاية.

وإن كان على الكفاية: فلا نسخ.

﴿كُرْهٌ﴾ مصدرُ: كَرِه[1]؛ للمبالغة، أو اسمُ مفعولٍ؛ كالخبز بمعنى: المخبوز.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟﴾ حضٌّ على القتال.

* * *

(١) كذا في أ، ب، د، وفي هامش أ: «خ: ذُكر»، وفي ج، هـ: «مصدرٌ ذَكَرَهُ».

[﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾].

﴿ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ جنسٌ، وهي أربعة أشهر: رجب، وذو القَعدة، وذو الحِجة، والمحرم.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلشَّهْرِ﴾؛ وهو مقصود السؤال.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: ممنوعٌ؛ ثم نسخه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وذلك بعيد؛ فإن ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عمومٌ في الأمكنة، لا في الأزمنة.

ويظهر أنَّ ناسخه: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] بعد ذكر الأشهر الحرم؛ فإن[1] التقدير: قاتلوا فيها؛ ويدلُّ عليه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

ويَحتمل أن يكون المراد: وقوعَ القتال في الشهر الحرام؛ أي: إباحتَه حسَبما استقرَّ في الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخةً، بل ناسخة لما كان في أوَّل الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم.

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ابتداءٌ، وما بعده معطوف عليه، و﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ خبرُ الجميع.

أي: أنَّ هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظمُ عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عَيَّر به الكفارُ المسلمين في سرية عبد الله بن جحش حين قاتل في أوَّل يوم من رجب.

وقد قيل: إنه ظنَّه آخرَ يوم من جُمادَى.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ﴾ عطفٌ على: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: «حتى» هنا: للتعليل[2].

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى أن المرتدَّ يحبَط عمله بنفس الارتداد؛ سواءٌ رجع إلى الإسلام، أو مات على الارتداد، ومن ذلك: انتقاض وضوئه، وبطلان صومه.

---

(١) في د: «فكأنَّ».
(٢) الكشاف (٣/ ٣٥٠).

وذهب الشافعيُّ إلى أنه لا يحبط إلَّا إن مات كافرًا؛ لقوله: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾.

وأجاب المالكية: بأنَّ قولَه: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: جزاءٌ على الردة، وقولَه: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: جزاءٌ على الموت على الكفر.

وفي ذلك نظر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآيةَ؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه.

﴿الْخَمْرِ﴾ كلُّ مسكر؛ من العنب وغيره.

﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار. وكان ميسر العرب بالقِداح في لحم الجزور.

ثم يَدخل في ذلك: النَّرْدُ والشَّطْرنج وغيرهما.

وروي: أنَّ السائلَ عنهما كان حمزة بن عبد المطلب ﷺ.

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ نصٌّ في التحريم وأنهما من الكبائر؛ لأن الإثم حرامٌ؛ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

خلافًا لمن قال: إنما حرَّمتْها آيةُ «المائدة»، لا هذه الآية.

﴿وَمَنَافِعُ﴾ في الخمر: التلذُّذ والطرب. وفي القمار: الاكتساب به.

ولا يدلُّ ذِكْر المنافع على الإباحة؛ قال ابن عباس: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده.

﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾ تغليبٌ[١] للإثم على المنفعة، وذلك -أيضًا- بيانٌ للتحريم.

---

(١) في ج، هـ: «تغليبًا».

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: السَّهلَ من غير مشقَّة.

وقراءة الجماعة: بالنصب، بإضمار فعلٍ؛ مشاكلةً للسؤال؛ (على أن يكون ﴿مَاذَا﴾ مركَّبًا مفعولًا بـ ﴿يُنفِقُونَ﴾.

وقرأ أبو عمرٍو: بالرفع بالابتداء؛ مشاكلةً للسؤال؛)[١] على أن يكون «ما» مبتدأ، و«ذا» خبره.

﴿تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: في أمرِهما.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ كانوا قد تجنَّبوا اليتامى تورُّعًا؛ فنزلت إباحة[٢] مخالطتهم بالإصلاح لهم.

فإن قيل: لم جاء ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ بالواو ثلاثَ مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟

فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأُوَل وقع في أوقات متفرِّقة؛ فلم تأت[٣] بحرف عطف، وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو؛ لأنها كانت متناسقةً[٤].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذيرٌ من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى.

(﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيَّقَ عليكم بالمنع من مخالطتهم.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) في د: «فنزلت الآية بإباحة».

(٣) في ب، ج، هـ: «يأت».

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٣٧٤).

ابنُ عباس: لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى)[١].

﴿وَلَا تَنكِحُوا﴾ أي: لا تتزوجوا.

والنكاح: مشترك بين الوطء والعقد.

﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ عُبَّاد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهودَ ولا النصارى المباحَ نكاحُهنَّ في «المائدة»، فلا تعارض بين الموضعين، ولا نسخ.

خلافًا لمن قال: آيةُ «المائدة» نسخت هذه.

ولمن قال: هذه نسخت آيةَ «المائدة»؛ فمنَع نكاح الكتابيَّات.

ونزلت الآية بسبب مَرثدٍ الغَنَويِّ، أراد أن يتزوج امرأة مشركة.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: أمةٌ لله؛ حرَّةً كانت أو مملوكةً.

وقيل: أمةٌ مملوكة مؤمنة خيرٌ من حرَّةٍ مشركة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الجمال، والمال، وغير ذلك.

﴿وَلَا تُنكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تُزوِّجوهم نساءَكم.

وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوَّج مسلمة؛ سواءٌ كان كتابيًّا أو غيرَه.

واستدلَّ المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال.

﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عبدٌ للهِ. وقيل: مملوكٌ.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المشركات والمشركون.

﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ إلى الكفر الموجِب للنار.

﴿بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ أي: بإرادته، أو علمه.

* * *

[﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ سأل عن ذلك عبَّاد بن بِشْرٍ وأُسيد بن الحُضير؛ قالا لرسول الله ﷺ: ألا نجامع النساء في المحيض، خلافاً لليهود؟.

﴿هُوَ أَذًى﴾ مستقذَرٌ، وهذا تعليلٌ لتحريم الجماع في المحيض.

﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: اجتنبوا جماعَهنَّ.

وقد فَسَّر ذلك الحديثُ بقوله: «لتشدَّ عليها إزارها، وشأنك بأعلاها»[1].

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطعَ عنهنَّ الدم.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلنَ بالماء.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٩).

وتعلَّق الحكمُ:

بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي؛ فلا يجوز عندهما وطءُ الحائض حتى تغتسلَ.

وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة؛ فأجاز الوطءَ عند انقطاع الدم، وقبل الغُسل.

وقرئ: ﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾: بالتشديد، ومعنى هذه القراءة: بالماء؛ فتكون الغايتان[1] بمعنًى واحدٍ، وذلك حجة لمالك.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ﴾ قُبُل المرأة.

﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذُّنوب.

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء، أو من الذُّنوب.

﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: موضعُ حرثٍ؛ وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد: بالحرث في إلقاء البَذر وانتظار الزرع.

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم من الهيئات، أو متى شئتم.

لا: أين شئتم؛ لأنه يُوهِم الإتيانَ في الدبر، وقد افترى مَن نسَب جوازه إلى مالك، وقد تبرَّأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: الأعمال الصالحة[2].

---

(١) في ج، هـ: «الغاية».

(٢) في ب، د: «الصالحات».

﴿عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ أي: لا تكثروا الحلِفَ بالله فتبتذِلُوا اسمَه.

و﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: علةٌ للنهي؛ فهو مفعولٌ من أجله، أي: نُهِيتم[1] عن كثرة الحلف كي تبرُّوا.

وقيل: المعنى: لا تحلِفوا على أن تبرُّوا وتتقوا، وافعلوا البرَّ والتقوى دون يمين.

فـ ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: هو المحلوف عليه.

والعُرْضةُ على هذين القولين كقولك: «فلان عرضةٌ لفلان»: إذا أكثرَ التعرُّضَ له.

وقيل: ﴿عُرۡضَةٗ﴾ مَانع؛ من قولك: «عرض له أمرٌ»: حالَ بينه وبين كذا.

أي: لا تمتنعوا بالحلِف بالله من فعل البرِّ والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق أن لا ينفق على مِسْطَح.

فـ ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ على هذا: علَّةٌ لامتناعهم؛ فهو مفعولٌ من أجله، أو مفعولٌ بـ ﴿عُرۡضَةٗ﴾؛ لأنها بمعنى مانع.

﴿بِٱللَّغۡوِ﴾ الساقط.

وهو عند مالك: قولُك[2]: «نعم والله»، و«لا والله»، الجاري على اللسان من غير قصدٍ، وفاقًا للشافعي.

---

(١) في د: «نهيتكم».

(٢) في ب، د: «كقولك».

وقيل: أن يحلف على الشيء يظنُّه على ما حلف عليه، ثم يَظهر خلافَه، وفاقًا لأبي حنيفة.

وقال ابن عباس: اللغو: الحلِف حين الغضب.

وقيل: اللغو: اليمين على المعصية.

والمؤاخذةُ: العقاب، أو وجوب الكفارة.

﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصدتْ؛ فهو خلاف اللغو.

وقال ابن عباس: هو اليمين الغَموس؛ وذلك أن يحلف على الكذب متعمِّدًا. وهو حرام إجماعًا.

وليس فيه كفارةٌ عند مالك، خلافًا للشافعي.

﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهنَّ.

وإنما تعدى بـ ﴿مِن﴾؛ لأنه تضمَّن معنى البعد منهن.

ويدخل في عموم قوله: ﴿لِّلَّذِينَ﴾: كل حالفٍ؛ حرًّا كان أو عبدًا.

إلا أن مالكًا جعل مدة إيلاء العبد شهرين، خلافًا للشافعي.

ويدخل في إطلاق الإيلاء: اليمينُ بكل ما يَلزم عنه حكمٌ، خلافًا للشافعي في قصرِه الإيلاءَ على الحلِف بالله؛ ووجهُه: أنها اليمين الشرعيَّة.

ولا يكون مُؤْلِيًا - عند مالك والشافعي - إلَّا إذا حلف على مدَّةٍ أكثرَ من أربعة أشهر.

وعند أبي حنيفة: أربعة أشهر فصاعدًا.

فإذا انقضت الأربعة الأشهر:

وُقِف المؤلي[١] عند مالك والشافعي، فإمّا فاءَ، وإلّا طلّق.

فإن أبَى: طلَّق عليه الحاكم.

وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر: وقع الطلاق دون توقيف.

ولفظ الآية يَحتمل القولين.

﴿فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا إلى الوطء، وكفَّروا عن اليمين.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة.

﴿عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ العزيمة:

على قول مالك: التطليق، أو الإباية؛ فيطلِّقُ عليه الحاكم.

وعند أبي حنيفة: ترك الفيءِ حتى تنقضيَ الأربعة الأشهر.

والطلاق في الإيلاء:

رجعيٌّ عند مالك.

بائنٌ عند الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيانٌ للعِدَّة، وهو عمومٌ مخصوص؛ خرجت منه:

الحاملُ بقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] الآيةَ.

---

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

والتي لم يُدخَل بها بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

فيبقى حكمها: في المدخول بها، وهي في سنِّ مَن تحيض.

وقد خصَّ مالك منها: الأمةَ؛ فجعل عدَّتها قُرْأين.

و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ خبرٌ بمعنى الأمر.

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ انتصب ﴿ثَلَٰثَةَ﴾ على أنه مفعولٌ به؛ هكذا قال الزمخشري(١).

و﴿قُرُوٓءٍ﴾: جمع قُرْءٍ؛ وهو مشترك -في اللغة- بين الطُّهر والحيض.

فحمله مالك والشافعي على الطُّهر؛ لإثبات التاء في ﴿ثَلَٰثَةِ﴾، فإن الطهرَ مذكَّرٌ، والحيض مؤنث، ولقول عائشة: الأقراء هي الأطهار.

وحمله أبو حنيفة على الحيض؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدَّة.

فعلى قول مالك: تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة، إذا طلَّقها في طهر لم يمسَّها فيه.

وعند أبي حنيفة: بالطهر منها.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني: الحملَ والحيض.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ جمع بعْلٍ؛ وهو هنا الزوج.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في زمان العدة.

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٩٤).

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع، وحسن المعاشرة.

﴿دَرَجَةٌ﴾ في الكرامةِ. وقيل: الإنفاقُ. وقيل: كونُ الطلاق بيده.

* * *

[﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾
وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾].

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ بيانٌ لعدد الطلاق الذي يُرتَجع منه دون زوجٍ آخر.

وقيل: بيانٌ لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السُّنَّة.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ﴾ ارتجاعٌ. وهو مرفوع: بالابتداء، أو بالخبر.

﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ حُسْنِ المعاشرة، وتوفيةِ الحقوق.

﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ هو تركُها حتى تنقضيَ العدة، فتبِينَ منه.

﴿بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ المتعة.

وقيل: التسريح هنا: الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف(١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٣٠).

وهو بعيد؛ لأنَّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تَكرارًا، أو طلقةً رابعة لا معنى لها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا﴾ الآيةَ؛ نزلت بسبب ثابت بن قيس، اشتكت به امرأته إلى رسول الله ﷺ فقال لها: «أتردِّين عليه حديقته؟» قالت: نعم، فدعاه فطلَّقها على ذلك[1].

وحكمها على العموم.

وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع.

وظاهرها أنه: لا يجوز الخلع إلَّا إذا خاف الزوجان ألَّا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقبُحت معاشرتهما.

ثم إن المخالعةَ على أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة:

فأجازها مالك وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الآيةَ [النساء: ٤].

ومنعها قومٌ؛ لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعًا:

فمنعه مالك في المشهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٣٩).

وأجازه الشافعي؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾.

الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصةً:

فأجازه الجمهور؛ لظاهر هذه الآية.

والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة:

فمنعه الجمهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآيةَ [النساء: ٢٠].

وقد منع بعضهم الخلع مطلقًا؛ لقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآيةَ.

وأجازه أبو حنيفة مطلقًا، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكَّام والمتوسطين في هذا الأمر.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾ أجمعت الأُمَّة على أن النكاح هنا هو العقد، مع الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلَّقة ثلاثاً حين أرادت الرجوع إلى مطلِّقها قبل أن يمسَّها الزوج الآخر: «لا؛ حتى تذوقي عُسيلَته ويذوقَ عسيلتكِ»[1].

وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يُحِلُّها دون وطءٍ، وهو قول مرفوض؛ لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

وإنما يُحِلُّ[1] عند مالك إذا كان:

النكاحُ صحيحًا لا شبهة فيه.

والوطءُ مباحًا في غير حيض، ولا إحرام، ولا اعتكاف، ولا صيام، خلافًا لابن الماجشون في الوطء غير المباح.

وأما نكاح المحلِّل: فحرام، ولا يُحِلُّ الزوجةَ لزوجها عند مالك، خلافًا لأبي حنيفة.

والمعتبَر في ذلك: نية المحلِّل، لا نية المرأة، ولا المحلَّل له.

وقال قوم: من نوى التحليل منهم أفسد.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني: هذا الزوجَ الثاني.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوجة والزوج الأول.

﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: أوامرَه فيما يجب من حقوق الزوجيَّة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للأزواج.

وهو نهيٌ عن أن يطوِّل الرجل العدَّةَ على المرأة؛ مضارَّةً منه لها، بأن يرتجعَ قرب انقضاء العدَّة، ثم يطلِّقَ بعد ذلك.

ومعنى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في هذا الموضع: قاربن انقضاء العدَّة، وليس المراد: انقضاؤها؛ لأنه ليس بيده إمساكٌ حينئذٍ.

ومعنى ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجعوهنَّ.

---

(١) في د: «تحلُّ».

و﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ هنا: قيل: هو الإشهاد. وقيل: النفقة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآيةَ؛ هذه الأخرى خطابٌ للأولياء.

وبلوغ الأجل هنا: انقضاءُ العدة.

و﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا تمنعوهنَّ.

﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي: يراجعن الأزواج الذين طلقوهنَّ.

قال السهيلي: نزلت في مَعقِل بن يسار، كان له أخت، فطلَّقها زوجُها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته، فمنعها أخوها[1].

وقيل: نزلت في جابر بن عبد الله؛ وذلك أنَّ رجلًا طلق أخته وتركها حتى تمَّتْ عدتُها، ثم أراد ارتجاعها، فمنعها جابر وقال: تركتَها وأنت أملكُ بها، لا زَوَّجْتُكها أبدًا، فنزلت الآية.

و﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا: الصداق. وقيل: الإشهاد.

وهذه الآية تقتضي ثبوتَ حقِّ الولي في إنكاح وليته، خلافًا لأبي حنيفة.

﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، أو لكلِّ أحد على حِدَتِه؛ ولذلك وحَّد ضمير الخطاب.

﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى﴾ خطابٌ للمؤمنين، والإشارة إلى ترك العَضْل.

ومعنى ﴿أَزْكَى﴾: أطيبُ للنفس.

ومعنى ﴿وَأَطْهَرُ﴾: للدين والعِرض.

---

(١) انظر: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، للسهيلي، تحقيق: النقراط، ص: ٦٩.

[﴿ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾].

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ خبر بمعنى الأمر.

★ وتقتضي الآية حكمين:

★ الأول: مَن يُرضِع الولد:

مذهبُ[1] مالك: أن المرأة يجب عليها رضاعُ ولدها ما دامت في عصمة والده، إلَّا أن تكون شريفةً لا يُرضِع مثلُها، فلا يلزمها ذلك.

وإن كان والدهُ قد مات وليس للولد[2] مال:

لزمَها إرضاعُه في المشهور.

(١) في د: «فمذهب».

(٢) في د: «للابن» وكذا في هامش أ ورمز لها بـ«خ».

وقيل: أجرة رضاعه على بيت المال.

وإن كانت مطلقةً بائنًا[١]: لم يلزمْها رضاعُه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، إلَّا أن تشاء هي؛ فهي أحقُّ به بأجرة المثل.

وإن[٢] لم يقبلْ غيرَها: وجب[٣] عليها إرضاعُه.

ومذهب الشافعي وأبي حنيفة: أنها لا يلزمُها إرضاعه أصلًا، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب.

وقال أبو ثور: يلزمها على الإطلاق؛ لظاهر الآية، فحمَلها على الوجوب.

وأما مالك: فحمَلها في موضع على الوجوب، وفي موضع على الندب، وفي موضع على التَّخيير، حسَبما ذكَرنا[٤] من التقسيم في المذهب.

★ الحكم الثاني: مدَّةُ الرَّضاع:

وقد ذكرها في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفهما بكاملين؛ لأنه يجوز أن يقال في حولٍ وبعضِ آخر: حولان، فرَفع ذلك الاحتمال.

وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

---

(١) في د: «طلقةً بائنة».
(٢) في ب، ج، هـ: «فإن».
(٣) في ب، ج، هـ: «فيجب».
(٤) في ب، ج، هـ: «ذكروا».

واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآيةَ.

فإن لم يكن على الولد ضررٌ في الفطام فلا جناح عليهما.

ومن دعا منهما إلى تمام الحولين: فذلك له.

وأما بعد الحولين: فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له.

وقال ابن عباس: إنما يَرضعُ حولين مَن مكَث في البطن ستةَ أشهر، فمن مكث سبعةً فرَضاعه: ثلاثة وعشرون شهرًا، وإن مكث تسعةً فرضاعه: أحَدٌ وعشرون؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان:

أحدهما: أنها أُجرة رضاع الولد، أوجبها الله للأمّ على الوالد، وهو قول الزمخشريِّ[1] وابنِ العربي[2].

والثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، قال منذرُ بن سعيد البلُّوطيُّ: هذه الآية نصٌّ في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى هذا حملها ابن الفَرَس[3].

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا: أي: على قدْر حال الزوج في ماله، والزوجةِ في منصبها، وقد بيَّن ذلك بقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٤١٦).

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٢٠٣).

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن الفرس (١/ ٣٤٠).

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ قرئ:

بفتح الراء -لالتقاء الساكنين-؛ على النهي.

وبرفعهما؛ على الخبر، ومعناه النهي.

ويَحتمل على كل واحد من الوجهين:

أن يكون الفعل مسندًا إلى الفاعل؛، فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام.

أو يكون مسندًا إلى المفعول، فيكون مفتوحًا.

والمعنى على الوجهين: النهيُ عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد.

ويدخل في عموم النهي: وجوهُ الضرر كلُّها.

والباء في قوله ﴿بِوَلَدِهَا﴾ و﴿بِوَلَدِهِۦ﴾: سببية.

والمراد بقوله: ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾: الوالد، وإنما ذكَره بهذا اللفظ؛ إعلامًا بأنَّ الولد يُنسَب له، لا للأم.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ اختلف في الوارث:

فقيل: وارث المولود له.

وقيل: وارث الصبي لو مات.

وقيل: هو الصبيُّ نفسه.

وقيل: مَن بَقِي مِن أبويه.

واختلف في المراد بقوله: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾:

فقال مالك وأصحابه: عدم المضارَّة، وذلك يجري مع كلِّ قولٍ في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجبٌ على كل أحد.

وقيل: المراد: أجرة الرضاع في النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث:

فأما على القول بأن الوارث هو الصبيُّ: فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله.

وأما على سائر الأقوال:

فقيل: إن الآية منسوخة؛ فلا تجب أجرة الرضاع على أحدٍ غير الوالد.

وقيل: إنها مُحْكَمة؛ فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات، أو على وارث الوالد، وهو قول قتادة والحسن البصري.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا﴾ إباحةٌ لاتخاذ الظِّئْر.

﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي: دفعتم أجرةَ الرضاع.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآيةَ؛ عمومٌ في كل متوفًّى عنها؛ سواءٌ توفي زوجُها قبل الدخول أو بعده.

إلَّا الحاملَ؛ فعِدَّتها وضعُ حملها؛ سواءٌ وضعتْه قبل الأربعة الأشهر والعشرِ أو بعدَها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء.

وقال علي بن أبي طالب: عدَّتها أبعدُ الأجلَين.

وخصَّ مالكٌ من ذلك: الأمةَ؛ فعدَّتها في الوفاة: شهران وخمسُ ليالٍ.

و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه: عن التزوُّج.

وقيل: وعن[١] الزِّينة؛ فيكون أمرًا بالإحداد.

وإعراب ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ على تقدير: أزواجُهم يتربصْنَ.

وقيل: التقدير: وأزواجُ الذين يتوفون منكم يرتبصن.

وقال الكوفيون: الخبرُ عن ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ متروكٌ، والقصد: الإخبار عن أزواجهم.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢] هنا: إذا كان غير منكر.

وقيل: معناه الإشهاد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾ الآيةَ؛ إباحةٌ للتعريض بخِطبة المرأة المعتدَّة.

ويقتضي ذلك: النهيَ عن التَّصريح.

ثم أباح ما يُضمَر في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: تذكرونهنَّ[٣] في نفوسكم، وبألسنتكم لمن يَخِفُّ عليكم.

---

(١) في د: «عن» بلا واو.

(٢) في ب، د، هـ: «فالمعروف».

(٣) في ب، ج، هـ: «تذكروهنَّ».

وقيل: أي ستخطبونهنَّ إن لم تُنهَوا[١] عن ذلك.

﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدوهنَّ في العِدَّة خُفيةً بأن تتزوجوهنَّ بعد العدة.

وقال مالك فيمن يَعِدُ[٢] في العِدَّة ثم يتزوج بعدها: فراقها أحب إليَّ، ثم يكون خاطبًا من الخُطَّاب.

وقال ابن القاسم: يجب فراقها.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْـرُوفًاۚ﴾ استثناءٌ منقطع.

والقول المعروف: هو ما أُبيح من التَّعريض؛ كقوله: «إنكم لأكْفَاءٌ كرام»، وقوله: «إن الله سيفعل معكِ خيرًا»، وشبه ذلك.

﴿وَلَا تَعْـزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ الآيةَ؛ نهيٌ عن عَقد النكاح قبل تمام العدَّة.

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هنا: القدْر الذي شُرع من المدَّة.

ومَن تزوَّج امرأةً في عدَّتها فرِّق بينهما اتفاقًا.

فإن دخل بها حرُمت عليه على التَّأبيد عند مالك، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة.

واختُلف عن مالك في تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها، أو إذا دخل ولم يطأها.

---

(١) في ج، د: «تنتهوا».

(٢) في د: «يواعد».

[﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى
ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن
قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ
﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم
مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ
أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ؛ قيل: إنها إباحةٌ للطلاق قبل الدخول.

لمَّا نُهي عن التزوُّج بمعنى الذَّوق، وأُمر بالتزوُّج طلبَ العصمة ودوامَ الصحبة: ظنَّ قومٌ أن من طلَّق قبل البناء وقع في المنهيِّ عنه، فنزلت الآية رافعةً للجُناح في ذلك.

وقيل: إنها في بيان ما يَلزم من الصَّداق والـمُتعة في الطلاق قبل الدخول.

وذلك أن مَن طلَّق قبل الدخول:

فإن كان لم يَفرِض لها صداقًا -وذلك في نكاح التَّفويض- : فلا شيءَ عليه من الصداق؛ لقوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ، فالمعنى: لا طلبَ عليكم بشيءٍ من الصداق.

ويؤمر بالمتعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾.

وإن كان قد فرَض لها: فعلية نصف الصداق؛ لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾.

ولا مُتعة عليه؛ لأن المتعة إنما ذُكِرت لمن لم يفرض لها؛ فقوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟﴾ «أو» فيه بمعنى الواو.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أحسنوا إليهنَّ، وأعطوهنَّ شيئًا عند الطلاق.

والأمر بالمتعة مندوبٌ عند مالك، واجبٌ عند الشافعي.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ أي: يُمتِّعُ كلٌّ واحد على قَدْر ما يجد.

و﴿ٱلْمُوسِعِ﴾: الغني، و﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضَّيق الحال.

وقرئ بإسكان دال ﴿قَدَرُهُۥ﴾ وفتحها؛ وهما بمعنًى.

و﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ هنا: أي: لا حَمْل فيه، ولا تكلُّف على أحد الجانبين.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعلَّق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: ﴿حَقًّا﴾.

وتعلق مالك في الندب بقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأنَّ الإحسان تطوُّعٌ بما لا يَلزم.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآيةَ؛ بيانٌ أن المطلَّقة قبل الدخول لها نصف الصداق إذا كان قد فُرض لها صداقٌ مسمًّى، بخلاف نكاح التفويض.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ النون فيه: نون جماعة النسوة؛ يريد: المطلَّقاتِ.

والعفو هنا: بمعنى الإسقاط.

أي: للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق، إلَّا أن يُسقِطْنَه، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكةً أمر نفسِها.

﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ قال ابن عباس ومالك وغيرهما: هو الوليُّ الذي تكون المرأة في حَجره، كالأب في ابنته المحجورة، والسيد في أَمَته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجبِ له بالطلاق قبل الدخول.

وأجاز شُريحٌ إسقاطَ غير الأب من الأولياء.

وقال علي بن أبي طالب والشافعي: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو الزوج.

وعفْوه: أن يعطيَ النصف الذي سقط عنه من الصداق.

ولا يجوز عندهم أن يُسقِط الأبُ النصف الواجب لبنته.

وحجة مالك: أن قوله: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ في الحال؛ والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدةُ نكاحٍ.

وحجة الشافعي: قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فإنَّ الزوج إذا تطوَّع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضْلٌ، وأما إسقاط الأب لحقِّ ابنته فليس فيه تقوى؛ لأنه إسقاطُ[1] حقِّ الغير.

﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل: إنه يعني إسقاطَ المرأة نصفَ صداقها، أو دفعَ الرجل النصف الساقط عنه.

---

(١) في ج، د: «أسقط».

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ جرَّد ذكرها بعد دخولها في ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾؛ اعتناءً بها.

وهي:

الصبح عند مالك وأهل المدينة.

والعصر عند عليٍّ بن أبي طالب؛ لقوله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»[١].

وقيل: هي الظهر.

وقيل: المغرب.

وقيل: العشاء الآخرة.

وقيل: الجمعة.

وسُمِّيت وسطى:

لتوسُّطها في عدد الركعات، على القول بأنها المغرب؛ لأنها بين الركعتين والأربع.

أو لتوسُّط وقتِها:

على القول بأنها الصبح؛ لأنها متوسطةٌ بين الليل والنهار.

وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة؛ لأنها في وسَط النهار.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢٨).

أو لفضلِها ؛ من الوسط ؛ وهو الخيار ، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها .

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ معناه : في صلاتكم .

﴿قَـٰنِتِينَ﴾ هنا : ساكتين ؛ وكانوا يتكلَّمون في الصلاة حتى نزلت .

قاله ابن مسعود، وزيد بن أرقم .

وقيل : خاشعين .

وقيل هنا : طول القيام .

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ ، أو سَبُعٍ ، أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس .

﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجلٍ ؛ أي : على رجليه .

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكبٍ .

أي : صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك في صلاة المُسايَفة .

ولا يُنقَص فيها من ركعتين في السفر ، وأربع في الحضر عند مالك .

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ ؛ قيل : المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي عَلِمْتموها ؛ وهي التامَّة .

وقيل : إذا أمنتم فاذكروا الله كما علَّمكم هذه الصلاة التي تُجزِئكم في حال الخوف .

فالذكر :

على القول الأوَّل: بمعنى الصلاة .

وعلى الثاني: بمعنى الشكر.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ هذه الآية منسوخة.

ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنةً، ويُنفَق عليها من ماله، وذلك وصيةٌ لها.

ثم نُسِخ إقامتُها سنةً: بالأربعة الأشهر والعشر.

ونُسِخت النفقة: بالربع أو الثمن الذي لها في الميراث؛ حسَبما ذُكِر في سورة «النساء».

وإعراب ﴿وَصِيَّةٌ﴾: مبتدأٌ، وخبره:

﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾.

أو مضمرٌ تقديره: فعليهم وصيةٌ.

وقرئت بالنصب: على المصدر؛ تقديره: ليوصوا وصيةً.

و﴿مَّتَٰعًا﴾: نُصِب على المصدر.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراجُ المرأة.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه: إذا كان الخروج من قِبَل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوُّجٍ وزينة.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ عامٌّ في إمتاع كلِّ مطلَّقة؛ وبعمومه أخذ أبو ثور.

واستثنى الجمهور: المطلقةَ قبل الدخول، وقد فُرِض لها؛ بالآية المتقدمة.

واستثنى مالك: المختلِعة والملاعِنة.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يدلُّ على وجوب المتعة؛ وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوى واجبةٌ.

ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكِّدةً للمتعة؛ لأنه نزل قبلها: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

* * *

[﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب.

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ وهم قومٌ من بني إسرائيل، أُمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماتهم الله؛ ليُعرِّفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيءٌ.

وقيل: بل فرُّوا من الطاعون.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألفٍ؛ قيل: ثمانون ألفًا. وقيل: ثلاثون ألفًا. وقيل: ثمانية آلاف.

وقيل: هو مِن الأُلْفة؛ وهذا ضعيف.

﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ عبارةٌ عن إماتتهم.

وقيل: إن ملَكين صاحا بهم: «موتوا!»، فماتوا.

﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم.

﴿وَقَـٰتِلُوا۟﴾ خطابٌ لهذه الأمة.

وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ استفهامٌ يراد به: الطلب، والحضُّ على الإنفاق.

وذكَر لفظ القَرْض؛ تقريبًا للأفهام؛ لأن المنفِق ينتظر الثواب، كما ينتظر المسلِف ردَّ ما أسلف.

وروي: أن الآية نزلت في أبي الدَّحداح حين تصدَّق بحائطٍ لم يكن له غيره.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصًا طيِّبًا من حلال، مِن غير مَنٍّ ولا أذى.

﴿فَيُضَـٰعِفَهُۥ﴾ قرئ:

بالتشديد والتخفيف.

وبالرفع: على الاستئناف، أو عطفًا على ﴿يُقْرِضُ﴾.

وبالنصب: في جواب الاستفهام.

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرةً فما فوقها إلى سبع مئة.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ إخبارٌ يراد به: الترغيب في الإنفاق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ رؤيةُ قلبٍ، وكانوا قومًا نالتهم الذِّلة من أعدائهم، فطلَبوا الإذن في القتال، فلما أُمروا به كَرهوه.

﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ قيل: اسمه شَمْوِيل[1]. وقيل: شَمْعون.

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: قاربتم، وأراد النبيُّ المذكور أن يتوثَّق منهم.

ويجوز في السين من ﴿عَسِيتُمْ﴾: الكسرُ، والفتح؛ وهو أفصح ولذلك انفرد نافعٌ بالكسر.

وأمَّا إذ لم يتصل بـ «عسى» ضمير: فلا يجوز فيها إلَّا الفتح.

﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن مُنَبِّه: أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنشَّ الدُّهنُ[2] الذي في القَرْن[3]: فهو مَلِكُهم.

وقال السُّدِّيُّ: أرسل الله إلى نبيهم عصًا، وقال له: إذا دخل عليك رجلٌ على طول هذه العصا فهو ملكهم؛ فكان ذلك طالوت.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي أنه كان دبَّاغًا، ولم يكن من بيت المُلْك.

والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ﴾ واوُ الحال.

---

(١) في أ، ب، د: «سموبل».

(٢) نشَّ الماءُ والدهن وغيرهما يَنِشُّ نَشًّا ونَشِيشًا: صوَّتَ عند الغليان. انظر: لسان العرب (٨/ ٢٤٤).

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير الطبري (٥/ ٣٠٧): «القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سموا المحجمة التي يحتجم بها «قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت».

والواو في قوله: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾: لعطف الجملة على الأخرى.

﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالمًا بالعلوم، وقيل: بالحروب. وكان أطولُ رجلٍ[1] يصل إلى مَنكِبيه.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ ردٌّ عليهم في اعتقادهم أن الملك يُستحَقُّ بالبيت أو المال.

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوتُ قد تركه موسى عند يُوشَع، فجعله يوشع في البرِّية، فبعث الله ملائكةً حملته حتى جعلته[2] في دار طالوت.

وفيه قَصصٌ كثيرٌ غير ثابت.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: ريحٌ لها رأسٌ ووجه كوجه الإنسان.

وقيل: طَسْتٌ مِن ذهب تُغسَل فيه قلوبُ الأنبياء.

وقيل: رحمةٌ.

وقيل: وقارٌ.

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ ابنُ عباس: هي عصا موسى ورُضَاض الألواح[3].

وقيل: العصا والنَّعلان.

---

(١) في د: «الناس».

(٢) في ج، د، هـ: «جعلوه».

(٣) رُضاضُ الشي: كُسارُه أي: ما تكسَّر منه، وقِطَعه، وفُتاتُه، ورضَّ الشيءَ رَضًا: كسَره فصار قِطَعًا. انظر: لسان العرب (٩/ ١٤).

وقيل: ألواحٌ من التوراة.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ يعني: أقاربَهما.

وقال الزمخشري: يعني الأنبياءَ من بني إسرائيل[1].

ويَحتمل أن يريد موسى وهارون، وأُقحم الآل.

* * *

(١) الكشاف (٣/ ٤٦٤).

[﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ
فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن
كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾].

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلى الجهاد.

﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين.

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآيةَ؛ اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب.

﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً﴾ رخَّص لهم في الغَرفة باليد.

وقرئ: بفتح الغين؛ وهو المصدر، وبضمها؛ وهو الاسم.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفًا، فشربوا منه كلُّهم إلَّا ثلاثَ مئةٍ وبضعةَ عشر، عددَ أصحاب بدر، فأمَّا من شرب فاشتدَّ عليه

العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطَشْ.

﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ كان كافرًا عدوًّا لهم، وهو ملك العمالقة.

ويقال: إن البربر من ذرِّيته.

﴿يَظُنُّونَ﴾ أي: يوقنون؛ وهم أهل البصائر من أصحابه.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوتَ، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل.

وفي ذلك قَصصٌ كثير غير صحيح.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هنا: النبوة، أو الزَّبور.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ صنعةَ الدروع، ومنطق الطَّير، وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ منَّةٌ على العباد بدفع بعضهم ببعض.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف، و﴿دَفْعُ﴾ بغير ألف؛ والمعنى متَّفقٌ.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الإشارةُ إلى جماعتهم.

﴿فَضَّلْنَا﴾ نصٌّ في التفضيل في الجملة، من غير تعيينِ مفضولٍ؛ كقوله ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء»[(١)]، و«لا تفضلوني على يونس بن متَّى»[(٢)]، فإنَّ معناه: النهيُ عن تعيين المفضول؛ لأنه تنقيصٌ له، وذلك غِيبةٌ ممنوعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

(٢) هذا اللفظ حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه «نقلٌ باطل»، انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٤). والثابت قوله ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متَّى» أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٦).

وقد صرَّح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولدِ آدم»[١] لا بفضله على واحدٍ بعينه؛ فلا تعارض بين الحديثين.

﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ موسى عليه السلام.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ قيل: هو محمد ﷺ؛ لتفضيله على الأنبياء بأشياءَ كثيرةٍ.

وقيل: هو إدريس؛ لقوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٧]؛ فالرِّفعة على هذا: في المسافة.

وقيل: هو مطلقٌ في كل من فضَّله الله منهم.

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: مِن بعد الأنبياء، والمعنى: بعدَ كلِّ نبيٍّ، لا بعد الجميع.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرَّره تأكيدًا، و[٢] ليبنيَ عليه ما بعده.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٢٧٨) واللفظ له.

(٢) في ب، د: «أو».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾].

﴿أَنفِقُواْ﴾ يعمُّ الزكاة والتطوُّع.

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرَّف أحدٌ في ماله، والمراد[1]: لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا.

ويدخل فيه: نفيُ الفدية؛ لأنها شراءُ الإنسان نفسَه.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي: مودَّةٌ نافعة؛ لأن كل أحد يومئذٍ مشغولٌ بنفسه.

﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعة إلَّا بإذن الله؛ فهي في الحقيقة رحمةٌ من الله للمشفوع فيه، وكرامةٌ للشافع، ليس فيها تحكُّمٌ على الله.

وعلى هذا يُحمَل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن؛ أعني: أنها لا تقع إلَّا بإذن الله؛ فلا تعارض بينه وبين إثباتها.

---

(١) في ب، د: «والمعنى».

وحيثما كان سياقُ الكلام في أهوال يوم القيامة، والتخويف بها: نُفِيت الشفاعة على الإطلاق؛ مبالغةً في التهويل.

وحيثما كان سياقُ الكلام تعظيمَ الله: نُفِيت الشفاعة إلَّا بإذنه.

﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون»[١].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسيِّ، وهي أعظم آية في القرآن حسَبما ورد في الحديث[٢]، وجاء فيها فضلٌ كبير في الحديث الصحيح وفي غيره.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عن الآفَات البشرية.

والفرق بين السِّنَة والنوم: أن السنةَ هي ابتداءُ النوم، لا نفسُه؛ كقول القائل:

.... في عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ[٣]

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ استفهامٌ يراد به نفيُ الشفاعة إلَّا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعةٌ إليه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران عائدان على مَن يعقل؛ ممَّن تضمَّنه قولُه: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٥٢٦).

(٢) تقدم تخريجه في صفحة. .

(٣) هذا عجُز بيت لعَديِّ بن الرِّقاع العاملي، في ديوانه (ص: ١٢٢)، وصدُره: «وَسْنانُ أقْصَدهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ»، وهو ضمن قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك.

والمعنى: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم.

وقال مجاهد: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة.

﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ من معلوماته؛ أي: لا يعلم عبادُه من معلوماته إلَّا ما شاء هو أن يَعلموه(١).

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسيُّ: مخلوقٌ عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: ملكه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: لا يُثقِلُه، ولا يَشقُّ عليه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ من معلوماتِه إلخ؛ أقول: اقتصر المؤلفُ رحمه الله على أحد القولين، وهو أن المراد بعلمِهِ معلوماتُه سبحانه، وجعلَ المنفي عن العباد هو علمهم بمعلومات الرب، والمنفيُّ في الآية هو الإحاطة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾، والإحاطة أخصُّ من مطلق العلم، ولكن كل منهما منتف عن العباد، فلا يعلم العباد إلا ما علمهم اللهُ، ولا يحيطون بشيء علما إلا بما شاء سبحانه، وفي الآية قول آخر، وهو أن المراد بالعلمِ هو المتعلِّقُ بذاتِه سبحانه وأسمائِه وصفاتِه، فعلى هذا يكون المراد من العلم العلمَ الإلهي، وهذا القول هو الراجح، وذلك لأمرين:
١- لأن قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾، ورد في أثناء آية الكرسي، التي هي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنها اشتملت على جماع أسماء الله وصفاته.
٢- أن لهذا القول شاهدًا من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

البراهين على صحَّته، بحيث لا يُحتاج أن يُكرَه أحدٌ على الدخول فيه، بل يدخل فيه كلُّ ذي عقلٍ سليم من تلقاء نفسه، دون إكراهٍ؛ ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ أي: قد تبيَّن أن الإسلام رشدٌ، وأن الكفر غيٌّ؛ فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه.

وقيل: معناها الموادَعة، وأن لا يُكرَه أحدٌ بقتالٍ على الدخول في الإسلام؛ ثم نُسِخت بالقتال، وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آيات المسالمة وترك القتال بمكة.

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ العروة في الأَجْرام هي: موضع الإمساك وشدِّ الأيدي. وهي هنا تشبيهٌ واستعارة في الإيمان.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسارَ لها، ولا انفصال.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ جُمِع الطاغوت هنا، وأُفرِد في غير هذا الموضع؛ فكأنه اسم جنس لما عُبِد من دون الله، ولمن يُضِلُّ الناس من الشياطين وبني آدم[(١)].

---

(١) المقصود: أنه جمع الفعل المسند إلى ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ وهو ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ مع أن لفظ ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ مفرد؛ فكان مقتضى ذلك أن يقول: «وليُّهم»، وأجاب عن هذا بأن المراد به الجنس، فرُوعي فيهم معنى الجمع، وقوله: «وأُفرِد في غير هذا الموضع» كما في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فأعاد عليه ضمير المفرد ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل: «بها»؛ لأنه روعي فيه لفظ ﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو مفرد. انظر: الكشاف (٥/ ٤٥)، (٩/ ٧٢٥).

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾].

﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو نُمْرُوذُ(١) الملك.

وكان يدَّعي الربوبية؛ فقال لإبراهيم: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

فقال نُمروذ: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال: قد أحييتُ هذا وأمتُّ هذا.

---

(١) هذه الكلمة هنا وفي الموضعين الآتيين وردت في ب، ج، د كذا: «نمرود» بالدال المهملة، وهما وجهان في الكلمة، بالذال المعجمة والمهملة، قال الإمام ثعلب: «ونمروذ بالذال، وأهل البصرة يقولون: نمرود بالدال» مجالس ثعلب (١/ ١٨١)، وبعض اللغويين يرى أنه بالمعجمة لا غير. وانظر: تاج العروس (٩/ ٢٤٠).

فقال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ ﴿فَبُهِتَ﴾ أي: انقطعَ، وقامت عليه الحجة.

فإن قيل: لم انتقلَ إبراهيم عن دليله الأوَّلِ إلى هذا الدليل الثاني، والانتقال علامة الانقطاع؟

فالجواب: أنه لم ينقطعْ، ولكنه لمَّا ذكر الدليلَ الأوَّل وهو الإحياءُ والإماتة: كان له حقيقةٌ - وهو فعل الله -، ومجازٌ - وهو فعل غيره -، فتعلَّق نمروذُ بالمجاز؛ غلَطًا منه أو مغالطةً، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني؛ لأنه لا مجازَ له، ولا يمكن الكافرَ عدولٌ عنه(١).

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ تقديره: «أو رأيتَ مثل الذي»، فحُذِف؛ لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه؛ لأنَّ كلتيهما كلمةُ تعجيبٍ.

ويجوز أن يُحمَل على المعنى؛ كأنه قيل: أرأيتَ كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مرَّ على قرية.

وهذا المارُّ:

قيل: إنه عُزير. **وقيل**: الخَضِر؛ فقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ ليس إنكارًا للبعث، ولا استبعادًا، ولكنه:

استعظامٌ لقدرة الذي يحيي الموتى.

أو سؤالٌ عن كيفية الإحياء وصورتِه، لا شكٌّ في وقوعه؛ وذلك مقتضى كلمة ﴿أَنَّىٰ﴾، فأراه الله ذلك عِيانًا؛ ليزداد بصيرة.

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٥٠٠).

وقيل: بل كان كافرًا، وقالها إنكارًا للبعث، واستبعادًا، فأراه الله الحياةَ بعد الموت في نفسه، وذلك أعظم برهان.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية من الناس.

وقال السُّدِّي: سقطت سُقُفُها -وهي العروش-، ثم سقطت الحيطان على السُّقف.

﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ: إحياءُ هذه القرية بالعمارة بعد الخراب.

ولكن المعنى: إحياءُ أهلِها بعد موتهم؛ لأنَّ ذلك هو الذي يمكن فيه الشكُّ أو الإنكار؛ ولذلك أراه الله الحياةَ بعد موته.

والقرية كانت بيت المقدس، لما خرَّبه بُخْتُ نَصَّرَ(١).

وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ.

﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ سؤالٌ على جهة التَّقرير.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلَّ مدَّة موته، قيل: أماته الله غُدْوةَ يوم، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخَر بعد مئة عام، فظنَّ أنه يومٌ واحد، ثم رأى بقيَّةً من الشمس فخاف أن يَكذِب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: إنَّ طعامه كان تينًا وعنبًا، وإنَّ

---

(١) في لسان العرب (٧/ ٦٨): «قال الأصمعيُّ: إنما هو بُوخَتُنَصَّر، فأُعرب، وبوُخَتُ: ابنُ، ونَصَّرُ: صنمٌ، وكان وُجد عند الصنم ولم يعرف له أبٌ، فقيل هو ابن الصنم».

شرابه كان عصيرًا، أو[1] لبنًا.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه: لم يتغيَّرْ، بل بقي على حاله طولَ مئة عام، وذلك أُعجوبة إلهية.

واللفظ يَحتمل أن يكون مشتقًّا من السَّنة؛ لأن لامَها هاءٌ.

فتكون الهاء في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ أصليةً؛ أي: لم تغيِّرْه السُّنون.

ويَحتمل أن يكون مشتقًّا من قولك: تسنَّنَ الشيءُ: إذا فسَد؛ ومنه: «الحمأ المسنون»، ثم قلبت النون حرفَ علَّةٍ؛ كقولهم: «قَصَّيتُ أظفاري»، ثم حذف حرف العلة؛ للجزم.

والهاء على هذا: هاء السَّكت.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيًّا طول المئة عام، دون علَفٍ ولا ماء.

وقيل: مات، ثم أحياه الله وهو ينظر إليه.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ التقدير: فَعلْنا بك هذا؛ لتكون آية للناس.

وروي: أنه قام شابًّا على حالته يوم مات، فوجد أولادَه وأولادَهم شيوخًا.

﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسِه.

وقيل: عظام الحمار؛ على القول بأنه مات.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (٣/ ٥٠٧).

﴿نُنشِرُهَا﴾ -بالراء-: نُحييها.

وقرئ بالزاي؛ ومعناه: نرفعُها للإِحياء.

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضمِّ الميم؛ أي: قال الرجل ذلك اعترافًا.

وقرئ: بألف وصل، والجزمِ؛ على الأمر؛ أي: قال له الملَك ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ الآيةَ؛ قال الجمهور: لم يشكَّ إبراهيم في إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة؛ لأنه رأى دابةً قد أكلتها السِّباع والحِيتان، فسأل ذلك السؤال؛ ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿كَيْفَ﴾؛ فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورتِه، لا عن وقوعه.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ أي: بالمعاينة.

﴿أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ قيل: هي الديك والطاوس والحمام والغراب، فقطَّعها، وخلَط أجزاءها، ثم جعل من المجموع جزءًا على كل جبل، وأمسك رؤوسَها بيده، ثم قال: تعالَيْنَ بإذن الله، فتطايرت تلك الأجزاء حتى الْتَأَمتْ، وبقيت بلا رؤوس، ثم كرَّر النداء، فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها، وطارت بإذن الله.

﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي: ضُمَّهنَّ. وقيل: قطِّعهن.

﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ قيل: أربعة جبال. وقيل: سبعة. وقيل: الجبال التي وصل إليها حينئذٍ من غير حصرٍ بعددٍ.

[﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾].

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ظاهرُه: الجهاد.

وقد يُحمَل على جميع وجوه البرِّ.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كلُّ ما يُزْدَرعُ[1] ويُقتات، وأشهرُه: القمح.

وفي الكلام حذفٌ؛ تقديره: مثَل نفقةِ الذين ينفقون كمثل حبة.

أو يقدَّر في آخِر[2] الكلام: كمثَلِ صاحب حبة.

---

(١) في ب: «يزرع» وهما بمعنًى واحد. انظر: القاموس المحيط مادة (زرع).

(٢) في ب، ج: «أجزاء».

﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ بيانٌ أن الحسنة بسبع مئة؛ كما جاء في الحديث: أن رجلًا جاء بناقةٍ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعُ مئة ناقةٍ»(١).

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يزيده على سبع مئة.

وقيل: هو تأكيد وبيان للسبع مئة.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: نزلت في عثمان. **وقيل**: في عليٍّ. **وقيل**: في عبد الرحمن بن عوف.

﴿مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ المنُّ: ذكر النعمة على معنى التَّعديد لها والتقريع بها. والأذى: السبُّ.

﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾ هو ردُّ السائل بجميلٍ من القول؛ كالدعاء له، والتَّأنيس.

﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾ أي: عفوٌ عن السائل إذا وُجِد منه جفاءٌ.

وقيل: مغفرة من الله بسبب الردِّ الجميل.

والمعنى: تفضيلُ عدمِ العطاء إذا كان بقولٍ معروف ومغفرة: على العطاء الذي يتبعه أذًى.

﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تُبطِل الحسنات؛ فقالوا في هذه الآية: إنَّ الصدقة التي يَعلم الله مِن صاحبها أنه يمُنُّ أو يؤذي لا تقبل منه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

وقيل: إنَّ المنَّ والأذى دليلٌ على أن نيَّتَه لم تكن خالصةً؛ فلذلك بَطَلت صدقتُه.

﴿كَالَّذِى يُنفِقُ﴾ تمثيلٌ لمن يمُنُّ ويؤذي بالذي ينفق رياءً وهو غير مؤمن.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثل المرائي في نفقته: كحجَرٍ عليه تراب، فيظنُّه من يراه أرضًا مُنبِتةً طيبةً، فإذا نزل عليه المطرُ انكشف التراب، فبقِيَ الحجر لا منفعةَ فيه.

فكذلك المرائي؛ يظنُّ أن له أجرًا، فإذا كان يومُ القيامة انكشف سرُّه ولم تنفعْه نفقتُه.

﴿صَفْوَانٍ﴾ حجرٌ كبير.

﴿وَابِلٌ﴾ مطرٌ كثير.

﴿صَلْدًا﴾ أملسَ.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: لا يقدرون على الانتفاع بثواب شيءٍ من إنفاقهم؛ وهو كسبُهم.

﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي: تيقُّنًا وتحقيقًا للثواب؛ لأن أنفسهم لها بصائرُ تحملهم على الإنفاق.

ويَحتمل أن يكون معنى التثبيت: أنهم يثبِّتون أنفسَهم على الإيمان؛ باحتمال المشقَّة في بذل المال.

وانتصابُ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: على المصدر في موضع الحال، وعطف عليه ﴿وَتَثْبِيتًا﴾.

ولا يصحُ في ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أن يكون مفعولًا من أجله ؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت ؛ فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ .

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره : كمثل صاحب جنَّةٍ .

أو يقدر أوَّلًا : مثل نفقةِ الذين ينفقون .

﴿بِرُبْوَةٍ﴾ لأنَّ ارتفاع موضع الجنة أطيبُ ؛ لتُربتِها وهوائها .

﴿فَطَلٌّ﴾ المطرُ الرَّقيق الخفيف ؛ والمعنى : أنه يكفي هذه الجنةَ ؛ لكرم أرضها .

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآيةَ ؛ مثلٌ ضرب للإنسان يعمل عملًا صالحًا ، حتى إذا كان عند آخِر عُمرِه خُتِم له بعمل السُّوء .

أو مثلٌ للكافر ، أو المنافق ، أو المرائي المتقدِّم ذكرُه آنفًا ، أو ذي المنِّ والأذى ؛ فإنَّ كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله ، فإذا كان وقتُ حاجته إليه لم يجد شيئًا .

فشبَّههم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابتْها الجائحة المهلكة أحوجَ ما كان إليها ؛ لشيخوخته ، وضعف ذُرِّيته .

فالواوُ في قوله : ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ : للحال .

﴿إِعْصَارٌ﴾ أي : ريحٌ فيها سَمُومٌ محرقةٌ .

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ
وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم
مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ
فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى
مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا
تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ
مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾].

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الطيبات هنا عند الجمهور: الجيِّد غير الرديء.

فقيل: إنَّ ذلك في الزكاة؛ فيكون واجبًا.

وقيل: في التطوُّع؛ فيكون مندوبًا، لا واجبًا؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء.

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا﴾ النبات، والمعادن، وغير ذلك.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي: لا تقصِدوا الرديءَ.

﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ في موضع الحال.

﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ الواو للحال.

والمعنى: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم، إلَّا بأن تتسامحوا في أخذه[١].

و﴿تُغۡمِضُواْ﴾ من قولك: أَغمض فلانٌ عن بعض حقِّه: إذا لم يستوفِهِ، أو إذا غضَّ بصرَه.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ الآيةَ؛ دفعٌ لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حضٌّ على الإنفاق.

ثم بيَّن عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء؛ وهي: المعاصي.

وقيل: الفحشاء: البخل؛ والفاحش عند العرب: البخيل.

قال ابن عباس: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله.

والفضل: هو الرزق والتوسعة.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن. وقيل: النبوة. وقيل: الإصابة في القول والعمل.

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآيةَ؛ ذكر نوعين وهما:

ما يفعله الإنسان تبرُّعًا.

وما يفعله بعد إلزامِه نفسَه بالنذر.

وفي قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ وعدٌ بالثواب.

---

(١) في ب، ج، هـ: «تتسامحوا فيه».

وفي قوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعيدٌ لمن يمنع الزكاة، أو ينفق[(١)] لغير الله.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ هي التطوع عند الجمهور؛ لأنها يحسُن إخفاؤها، وإبداءُ الواجبة؛ كالصَّلوات.

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثناءٌ على الإظهار، ثم حكَم أنَّ الإخفاء خيرٌ من ذلك الإبداء.

و«ما» من «نِعِمَّا»: في موضع نصب، تفسير للمضمر؛ والتقدير: فنعم شيئًا إبداؤها.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ قيل: إنَّ المسلمين كانوا لا يتصدَّقون على أهل الذمة؛ فنزلت الآية مبيحةً للصدقة على من ليس على دين الإسلام، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلًا.

فالضمير في ﴿هُدَىٰهُمْ﴾ على هذا القول: للكافر.

وقيل: ليس عليك أن تهديَهم لمَا أُمِروا به من الإنفاق، وتركِ المنِّ والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلِّغَهم، والهدى بيد الله.

فالضمير على هذا: للمسلمين.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: إنَّ منفعته لكم كقوله[(٢)]: ﴿مَّنْ عَمِلَ

---

(١) في د زيادة: «مالَه».

(٢) في د: «القوله».

صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلَّا ابتغاء وجه الله؛ ففيه تزكيةٌ لهم، وشهادةٌ بفضلهم.

وقيل: ما تنفقون نفقةً تُقبَل منكم، إلَّا ابتغاء وجه الله؛ ففي ذلك حضٌّ على الإخلاص.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: الإنفاقُ للفقراء؛ وهم هنا: المهاجرون.

﴿أُحْصِرُوا﴾ حُبِسوا بالعدو، أو بالمرض.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل: الجهادَ، أو الدخول في الإسلام.

﴿ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هو التصرُّف في التجارة وغيرها.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ أي: يظنُّ الجاهلُ بحالهم أنهم أغنياءُ؛ لقلة سؤالهم.

و﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾ هنا: هو عن الطلب.

و﴿مِنَ﴾: سببية. وقال ابن عطية: لبيان الجنس[1].

---

(١) الذي ذكره ابن عطية أنها لابتداء الغاية، وهذا نصُّ عبارته: «و«مِن» في قوله: (من التعفُّف) لابتداء الغاية، أي: مِن تعففهم ابتدأتْ محسبتُه، وليست لبيان الجنس»، ثم قال بعد ذلك: «وتحتمل الآية معنًى آخر «مِن» فيه لبيان الجنس سنذكره بعد». المحرر الوجيز (٢/ ٨٩).

﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ علامةِ وجوههم؛ وهي ظُهور الجَهْد والفاقة، وقلَّةُ النعمة.

وقيل: الخشوع.

وقيل: السجود.

﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾ الإلحاف: هو الإلحاح في السؤال.

والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطَّفون ولا يُلِحُّون.

وقيل: هو نفيٌ للسؤال والإلحاح معًا.

وباقي الآية وعدٌ.

[﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ
لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ
وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ
ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن
تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ
تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾].

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ تعميمٌ لوجوه الإنفاق، وأوقاته.

ابنُ عباس: نزلت في عليٍّ؛ فإنه تصدَّق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانيةً.

أبو هريرة: نزلت في علَف الخيل.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: ينتفعون به، وعبَّر عن ذلك بالأكل؛ لأنه أغلب المنافع. وسواءٌ من أعطاه أو من أخذه.

والرِّبا في اللغة: الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة، أكثرُها راجعٌ إلى الزيادة؛ فإنَّ غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم:

أتقضي أم تُرْبِي؟، فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطَّالب عليه.

ثم إن الربا على نوعين: ربا النسيئة، وربا التفاضل.

وكلاهما يكون في: الذهب والفضة، وفي الطعام.

فأما النسيئة؛ فتَحرُم في بيع الذهب بالذهب، وبيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة، وهو الصَّرف، وفي بيع الطعام بالطعام مطلقًا.

وأما التفاضل؛ فإنما يَحرُم في بيع الجنس الواحد بجنسه؛ من النَّقدين، ومن الطعام.

ومذهب مالك: أنه إنما يحرم التفاضل في المقتات المدَّخَر من الطعام.

ومذهب الشافعي: أنه يحرم في كل طعام.

ومذهب أبي حنيفة: أنه يحرم في المكيل والموزون؛ من الطعام وغيره.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أنَّ المعنى: لا يقومون من قبورهم في البعث إلَّا كالمجنون.

و﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يتفعَّله؛ من قولك: خبَط يخبِط.

و﴿ٱلْمَسِّ﴾: الجنون.

و﴿مِنَ﴾ تتعلَّق بـ ﴿يَقُومُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليلٌ للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار؛ لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾: ردٌّ على الشريعة وتكذيبٌ لها، ثم قد يأخذ العُصاة بحظٍّ من هذا الوعيد.

فإن قيل: فهلَّا قيل: «إنما الربا مثل البيع»؛ لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز؟

فالجواب: أن هذا مبالغةٌ؛ فإنهم جعلوا الربا أصلًا حتى شبَّهوا به البيع[1].

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ عمومٌ يَخرج منه: البيوع الممنوعة شرعًا، وقد عدَدْناها في الفقه ثمانين نوعًا[2].

﴿وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا﴾ ردٌّ على الكفار، وإنكارٌ للتسوية بين البيع والربا.

وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليلَ على بطلان قياسهم: تحليلَ الله وتحريمَه.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: له ما أخذ من الربا؛ (أي: لا يؤاخذُ بما فعل منه)[3] قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا.

والمعنى: أن الله يحكم فيه يومَ القيامة، فلا تؤاخذوه في الدنيا.

وقيل: الضمير عائد على الربا.

والمعنى: أمرُ الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآيةَ؛ يعني: مَن عاد إلى فعل الربا، وإلى القول:

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٥٤٤).

(٢) انظر: القوانين الفقهية، لابن جزي (ص: ٤٣٢) وما بعدها.

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

«إنما البيع مثل الربا».

ولذلك حكَم عليه بالخلود في النار؛ لأنَّ ذلك القولَ لا يصدر إلَّا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يَنقُصه ويُذهِبه.

﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يُنميها؛ في الدنيا: بالبركة، وفي الآخرة: بمضاعفة الثواب.

﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي: مَن يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا؛ وهذا يدل على أن الآية في الكفَّار.

﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثَقيف ربًا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربًا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إنَّ ثقيفًا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش، فأبَوا مِن دفعه وقالوا: قد وُضِع الربا، فتحاكموا إلى عتَّاب بن أَسِيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية[1].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرطٌ لمن خوطب به؛ من ثقيف وغيرهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾ أي: إن لم تنتهوا عن الربا حُوربتم.

ومعنى ﴿فَأْذَنُواْ﴾: اعلَموا.

وقرئ بالمدِّ؛ أي: أعلِموا غيرَكم.

ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٠).

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تَظلِمون بأخذِ زيادةٍ على رؤوس أموالكم، ولا تُظلَمون بالنقص منها.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ «كان» تامة؛ بمعنى: حضَر، أو وقَع.

وقرئ ﴿ذَا عُسْرَةٍ﴾؛ أي: إن كان الغريم ذا عسرة.

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسُرَةٍ﴾ حَكم الله للمُعسِر بالإنظار إلى أن يُوسِرَ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه.

و﴿نَظِرَةٌ﴾: مصدرٌ؛ معناه: التأخير.

وهو مرفوع على أنه:

خبر ابتداء؛ تقديره: فالواجبُ نظرةٌ.

أو مبتدأ.

و﴿مَيْسُرَةٍ﴾ أيضًا مصدر.

وقرئ بضم السين، وفتحها.

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندَب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدَّين عنه، فذلك أفضل من إنظاره.

وباقي الآية وعظٌ.

وقيل: إنَّ آخِرَ آية نزلت آيةُ الربا.

وقيل: بل قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآيةَ.

وقيل: آية الدَّين المذكورة بعدُ.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ۞وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾﴾].

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ أي: إذا عامل بعضكم بعضًا بدَين.

وإنما ذَكر الدين وإن كان مذكورًا في ﴿تَدَايَنتُم﴾؛ ليعود عليه الضمير في ﴿فَٱكۡتُبُوهُ﴾، وليزول الاشتراك الذي في ﴿تَدَايَنتُم﴾؛ إذ قد يقال بمعنى: الجزاء.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ دليلٌ على أنه لا يجوز إلى أجلٍ مجهول.

وأجاز مالك البيعَ إلى الجداد والحصاد؛ لأنه معروف عند الناس.

ومنعه الشافعي وأبو حنيفة.

قال ابن عباس: نزلت الآية في السَّلَم خاصةً؛ يعني: أن سَلَم أهل المدينة كان سبب نزولها.

قال مالك: وهذا يجمع الدَّين كلَّه؛ يعني: أنه يجوز التأخير في السلَم والسلَف وغيرهما.

﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ ذهب قومٌ إلى أن كتابة الدين واجبةٌ بهذه الآية.

وقال قوم: إنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

وقال قوم: إنها على الندب.

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قومٌ: يجب على الكاتب أن يكتب.

وقال قوم: نُسِخ ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه.

وقال قوم: إنَّ الأمر بذلك على الندب؛ ولذلك جاز أخذ الأُجرة على كَتْب الوثائق.

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ يتعلَّق عند ابن عطية بقوله: ﴿وَلْيَكْتُب﴾[1].

وعند الزمخشري بقوله: ﴿كَاتِبٌ﴾[2].

فعلى الأول: تكون الكتابة بالعدل؛ وإن كان الكاتب غيرَ مرْضيٍّ.

وعلى الثاني: يجب أن يكون الكاتب مَرضيًا في نفسه.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١١٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٥٤).

قال مالك: لا يكتب الوثائق إلَّا عارفٌ بها، عدلٌ في نفسه، مأمونٌ.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ نهيٌ عن الإبابة، وهو يقوِّي الوجوب.

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿أَن يَكْتُبَ﴾، والكاف: للتَّشبيه؛ أي: يكتب مثلَ ما علَّمه الله.

أو للتَّعليل؛ أي: ينفع الناسَ بالكتابة كما علَّمه الله؛ كقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقيل: يتعلَّق بقوله بعدها: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾.

﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال: أملَلْتُ الكتاب، وأملَيتُه؛ فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله: ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥] على الأُخرى.

﴿الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ ؛ لأنَّ الشهادة إنما هي باعترافه.

فإنْ كُتِبتْ الوثيقة دون إملاله، ثم أقرَّ بها جاز.

﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ أمرَه الله بالتقوى فيما يُمِلُّ، ونهاه عن البَخْس؛ وهو نقص الحق.

﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ السَّفيه: الذي لا يُحسِن النظرَ في ماله.

والضعيف: الصغير وشبهه.

والذي لا يستطيع أن يُمِلَّ: الأخرس وشبهه.

﴿وَلِيُّهُۥ﴾ أبوه، أو وصيه.

والضمير عائد على: ﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾.

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزةٌ في كل شيءٍ، إلَّا في الزنا؛ فلا بد من أربعة.

﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ نصٌّ في رفض شهادة الكفار، والصِّبيان، والنساء.

وأما العبيد: فاللفظ يتناولهم؛ ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتَهم.

ومنعها مالك والشافعي؛ لنقص الرِّقِّ.

﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ قال قومٌ: لا تجوز شهادة المرأتين إلَّا مع عدم الرجال؛ وقالوا: معنى الآية: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾: إن لم يوجَدَا.

وأجازه الجمهور؛ لأن المعنى: إن لم يشهد[1] رجلان فرجلٌ وامرأتان.

وإنما يجوز -عند مالك- شهادة الرجل والمرأتين في الأموال، لا في غيرها.

وتجوز عنده شهادةُ المرأتين دون رجلٍ فيما لا يطَّلع عليه الرجال، كالوِلادة، والاستهلال، وعيوب النساء.

وارتفع[2] ﴿فَرَجُلٌ﴾:

بفعل مضمر؛ تقديره: فليكن رجلٌ؛ فهو فاعل، أو تقديره: فليُستشهَد رجلٌ؛ فهو مفعول لم يُسمَّ فاعلُه.

أو بالابتداء؛ تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون.

---

(١) في ب، ج، هـ: «يستشهد».

(٢) في ج، هـ: «وارتفاع».

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين.

وهو مشترَطٌ -أيضًا- في الرجلين الشاهدين؛ لأنَّ الرِّضا مشترط في الجميع.

وهو العدالة؛ ومعناها: اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقِّي الصغائر، مع المحافظة على المروءة.

﴿أَن تَضِلَّ﴾ مفعولٌ من أجله، والعامل فيه: هو المقدَّر العامل في ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾.

والضَّلال في الشهادة: هو نسيانُها، أو نسيان بعضها.

وإنما جُعِل ضلالُ إحدى المرأتين مفعولًا من أجله، وليس هو المراد؛ لأنه سببٌ لتذكير الأخرى لها، وهو المراد؛ فأُقيم السببُ مقام المسبَّب.

وقرئ: ﴿إِن تَضِلَّ﴾ بكسر الهمزة: على الشرط، وجوابه: الفاء في ﴿فَتُذَكِّرُ﴾.

ولذلك رفَعه مَن كسَر الهمزة، ونصبَه من فتحها على العطف.

وقرئ ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف؛ والمعنى واحد.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ أي: لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ[1]، واتَّفق العلماء أن أداء الشهادة واجبٌ إذا دعي إليها.

---

(١) لم أقف على تخريجه، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ١٢٠): «وأسند النقَّاش إلى النبي ﷺ أنه فسر اللآية بهذا».

وقيل: إذا دعوا[(١)] إلى تحصيلِ الشهادة وكَتْبها.

وقيل: إلى الأمرين.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ أي: لا تملُّوا من الكتابة إذا تردَّدتْ وكثُرت؛ سواءٌ كان الحق صغيرًا أو كبيرًا.

ونُصب ﴿صَغِيرًا﴾ على الحال.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى الكتابة.

﴿أَقۡسَطُ﴾ من القسط؛ وهو العدل.

﴿وَأَقۡوَمُ﴾ بمعنى: وأشدُّ إقامةً.

وبُنِي أفعل فيهما من الرباعي؛ وهو قليل.

﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: أقرب إلى عدم الشك في الشهادة.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ «أن» في موضع نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأن الكلام المتقدِّم في الدين المؤجَّل.

والمعنى: إباحةُ تركِ الكتابة في التجارة الحاضرة؛ وهي ما يباع بالنقد.

وقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾ يقتضي: القبضَ، والبينونة.

﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾ ذهب قومٌ إلى وجوب الإشهاد على كلِّ بيعٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ، وهم الظاهرية، خلافًا للجمهور.

وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «دعي».

وذهب قوم إلى أنه على الندب.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يَحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٌ﴾ فاعلًا؛ على تقدير كسر الرَّاء المدغمة من ﴿يُضَآرَّ﴾.

والمعنى على هذا: نهيٌ للكاتب والشهيد[1] أن يضرًّا صاحبَ الحقِّ أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه، أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة.

ويَحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٌ﴾ مفعولًا لم يسمَّ فاعلُه؛ على تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوِّي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يُضارَرْ» بالتَّفكيك وفتح الراء.

والمعنى: النهيُ عن الإضرار بالكاتب والشَّهيد؛ بإذايتهما بالقول أو بالفعل.

﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ إن وقعْتم في الإضرار فإنَّه فُسوقٌ حالٌّ بكم.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ إخبارٌ على وجه الامتنان.

وقيل: معناه الوعد بأنَّ من اتقى علَّمه الله وألهمَه.

وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يُعطِيه؛ لأنه لو كان كذلك لجزمَ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ في جواب ﴿وَاتَّقُوا﴾.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآيةَ؛ لما أمر الله تعالى بكتابة الديون: جعَل الرَّهن توثيقًا للحق، عوضًا من الكتابة حيث تتعذَّر الكتابة في السفر.

---

(١) في د: «والشاهد».

وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلَّا في السفر؛ لظاهر الآية.

وأجازه مالك وغيره في الحضَر؛ لأن النبي ﷺ رهن دِرعَه بالمدينة[١].

﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهِن بالرَّهن.

وأجمع العلماء على صحةِ قبضِ المرتهن، وقبضِ وكيلِه.

وأجاز مالك والجمهور وضعَه على يد عدْلٍ.

والقبض للرهن شرطٌ في الصحة عند الشافعي وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾.

وهو عند مالك شرط كمال.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآيةَ؛ أي: إن أمن صاحبُ الحق المِدْيَانَ لحسن ظنه به: فليستغْنِ عن الكتابة وعن الرهن.

فأمر أولًا بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ فللدَّين ثلاثة أحوال.

ثم أمر المديانَ بأداء الأمانة؛ ليكون عند ظن صاحبه به.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ﴾ محمولٌ على الوجوب.

﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ معناه: قد تعلَّق به الإثمُ اللاحقُ عن المعصية في كِتمان الشهادة.

وارتفع ﴿ءَاثِمٌ﴾ بأنه خبر «إنَّ»، و﴿قَلْبُهُۥ﴾ فاعلٌ به.

ويجوز أن يكون ﴿قَلْبُهُۥ﴾ مبتدأ، و﴿ءَاثِمٌ﴾ خبره.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).

وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملةُ الكاتم هي الآثمة: لأنَّ الكِتمان مِن فعل القلب؛ إذ هو يُضمِرها، ولئلا يُظَنَّ أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان.

* * *

[﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾].

﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآيةَ؛ مقتضاها: المحاسَبة على ما في نفوس العباد من الذنوب؛ سواءٌ أبدَوْه أم أخفَوْه، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله أو الغفران لمن شاء الله.

وفي ذلك إشكالٌ؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها»(١).

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شقَّ ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فكشف عنهم الكربة(٢)، ونسَخ بذلك هذه الآيةَ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) في ج، هـ: «الكرب».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥).

وقيل: هي في معنى: كتم الشهادة وإبدائها؛ وذلك محاسَبٌ به.

وقيل: يحاسب الله خلْقَه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذِّب الكافرين والمنافقين.

والصحيح: التأويل الأوَّل؛ لوروده في الصحيح، وقد ورد -أيضًا- عن ابن عباس وغيره.

فإن قيل: إنَّ الآية خبرٌ، والأخبار لا يدخلها النسخ؟

فالجواب: أنَّ النسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة؛ وذلك حكمٌ يصحُّ دخول النسخ فيه.

فلفظ الآية: خبر، ومعناها: حكم(١).

﴿فَيَغْفِرْ﴾ و﴿يُعَذِّبْ﴾ قرئ:

بجزمهما: عطفًا على ﴿يُحَاسِبْكُم﴾.

وبرفعهما: على تقدير: فهو يغفرُ.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآيةَ؛ سببها: ما تقدَّم في حديث أبي هريرة؛ لما قالوا: سمعنا وأطعنا: مدَحهم الله بهذه الآية، وقدَّم ذلك قبل كشف ما شقَّ عليهم.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، أو مبتدأٌ:

فعلى الأول: يُوقَف ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

وعلى الثاني: يوقف ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٣٣).

والأول أحسن.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ إن كان ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾ معطوفًا: ف ﴿كُلٌّ﴾ عمومٌ في الرسول والمؤمنين.

وإن كان مبتدأً: ف ﴿كُلٌّ﴾ عموم في المؤمنين.

ووحَّد الضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ على معنى: كلٌّ واحدٍ منهم آمن.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرئ بالجمع؛ أي كل كتاب أنزله الله.

وقرئ بالتوحيد؛ يريد: القرآن، أو الجنس.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ التقدير: يقولون: لا نفرِّق.

والمعنى: لا نفرِّق بين أحدٍ من الرسل وبين غيره في الإيمان، بل نؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعض.

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾ حكايةُ قولِ المؤمنين؛ على وجه المدح لهم.

﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدرٌ، والعامل فيه مضمر. ونصْبُه:

على المصدرية؛ تقديره: اغفرْ غفرانك.

وقيل: على المفعولية؛ تقديره: نطلب غفرانك.

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ إقرارٌ بالبعث، مع تذلُّلٍ وانقياد. وهنا تمَّت حكاية كلام المؤمنين.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ إخبارٌ من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق.

وهو جائزٌ عقلًا عند الأشعريَّة، ومحالٌ عقلًا عند المعتزلة.

واتَّفقوا على أنه لم يقعْ في الشريعة.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات.

﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ أي: من السيئات.

وجاءت العبارة بـ ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما يَنتفع العبدُ به، وجاءت في السيئات بـ ﴿عَلَيْهَاۗ﴾؛ لأنها مما يَضرُّ بالعبد.

وإنما قال في الحسنات ﴿كَسَبَتْ﴾ وفي الشرِّ[١] ﴿ٱكْتَسَبَتْۗ﴾:

لأنَّ في الاكتساب ضربًا من الاعْتمال والمعالجة، حسَبما تقتضيه صيغة: «افتعل»؛ فالسيئات فاعلُها يتكلَّف مخالفةَ أمر الله، ويتعدَّاه، بخلاف الحسنات؛ فإنه فيها على الجادَّة من غير تكلُّفٍ.

أو لأنَّ السيئات يجِدُّ في فعلها؛ لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مُكتسَبة، ولمَّا لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك: وُصِفت بما لا دلالةَ فيه على الاعتمال.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم[٢].

ويَحتمل أن يكون مِن بقيَّةِ حكاية قولهم؛ كما حكى عنهم قولَهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾.

---

(١) في ب: «السيئات».

(٢) في د: «أي: قالوا ذلك في دعائهم».

والنِّسيان هنا: هو الذُّهولُ الغالبُ على الإنسان.

والخطأ: غير العمد؛ فذلك معنى قوله ﷺ: «رُفِع عن أمَّتي الخطأ والنسيان»(١).

وقد كان يجوز أن يُؤاخَذَ به لولا أنَّ الله رفَعه.

﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ التكاليفَ الصعبة؛ كانت قد كُلِّفتْ لمن تقدَّم من الأمم؛ كقتل أنفسهم، وقَرْض أبدانهم، ورُفِعت عن هذه الأمة؛ قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقيل: الإصرُ: المسخُ قردةً وخنازيرَ.

﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ هذا الدعاء دليلٌ على جواز تكليف ما لا يطاق؛ لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إنَّ الشرع دفع وقوعه.

وتحقيقُ ذلك: أنَّ ما لا يطاق أربعةُ أنواع:

الأول: عقليٌّ محض؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن:

فهذا جائزٌ، وواقعٌ باتِّفاق.

والثاني: عاديٌّ؛ كالطَّيران في الهواء.

والثالث: عقليٌّ وعادي؛ كالجمع بين الضِّدَّين.

فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعِه.

والرابع: تكليف ما يَشقُّ ويَصعُب:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣).

فهذا جائز اتفاقًا، وقد كلَّفه الله من تقدَّم من الأمم (ورفعه عن هذه الأمة)[١].

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ ألفاظٌ متقاربةُ المعنى، وبينَها من الفرق:

أنَّ العفو: تركُ المؤاخذة بالذنب.

والمغفرة: تقتضي -مع ذلك- السَّترَ.

والرحمة: تجمع ذلك، مع التفضُّل بالإنعام.

﴿مَوْلَىٰنَا﴾ وليُّنا وسيدُنا.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿ سورة آل عمران ﴾

نزل صدرُها إلى نيِّفٍ وثمانين آيةً لما قدِم نصارى نجران المدينة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام.

[﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾].

﴿الٓمٓ ۝١﴾ تقدَّم الكلام على حروف الهجاء[1].

وقرأ الجمهور: بفتح الميم هنا في الوصل؛ لالتقاء الساكنين؛ نحو: «مِنَ الناس».

---

(١) انظر صفحة ٢٦١.

وقال الزمخشريُّ: هي حركة الهمزة نُقِلت إلى الميم[١]. وهذا ضعيف؛ لأنها ألفُ وَصْلٍ تَسقط في الدَّرْجِ.

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ردٌّ على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صُلِب؛ فليس بحيٍّ، وليس بقيُّومٍ.

﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ هنا: القرآن.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: تَضمَّن الحقَّ؛ مِن الأَخبار والأَحكام وغيرها.

أو: بالاستحقاق.

﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدَّم في: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١][٢].

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدِّمة.

﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أعجميان؛ فلا يصحُّ ما ذكرَه النُّحاة من اشتقاقهما ووزنهما.

﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وإنما كرَّر ذكْرَه؛ ليصفه بأنه المفرِّق بين الحق والباطل.

ويَحتمل: أن يكون ذكَرَه أوَّلًا على وجه الإثبات لإنزاله بقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ثم ذكره ثانيًا على وجه الامتنان بالهدى به؛ كما قال في التوراة والإنجيل: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ فكأنه قال: «وأنزل الفرقان هدًى للناس»، ثم حَذف ذلك؛ لدلالة الهدى الأوَّل عليه.

---

(١) الكشاف (٤/ ٥).

(٢) انظر صفحة ٣٠٨.

فلما اختلف قصْدُ الكلام في الموضعين: لم يكن ذلك تَكرارًا.

وقيل: الفرقان هنا: كلُّ ما فرَّق بين الحق والباطل؛ من كتابٍ وغيره.

وقيل: هو الزَّبور؛ وهذا بعيد.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبرٌ عن إحاطة عِلْم الله بجميع الأشياء على التَّفصيل.

وهذه صفةٌ لم تكن لعيسى، ولا لغيره؛ ففي ذلك ردٌّ على النصارى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهانٌ على إثبات علم الله المذكورِ قبلُ.

وفيه ردٌّ على النصارى؛ لأن عيسى لا يَقدِر على التَّصوير، بل كان مصوَّرًا؛ كسائر بني آدم.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِن طولٍ، وقِصَرٍ، وحُسْن، وقبح، ولَوْن، وغيرِ ذلك.

﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ المُحْكَم من القرآن: هو البيِّنُ المعنى، الثابت الحكم.

والمتشابه: هو الذي يحتاج إلى تأويل، أو يكون مُستغلِقَ المعنى؛ كحروف الهجاء.

قال ابن عباس: المحكمات: النَّاسخاتُ والحلال والحرام، والمتشابهات: المنسوخات، والمقدَّم، والمؤخَّر.

وهذا تمثيلٌ لما قلنا.

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: عُمدةُ ما فيه، ومُعْظَمه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروحٌ منه؟ قال: «نعم»، قالوا: فحسْبُنا إذن[١]. فهذا من المتشابه الذي اتَّبعوه.

وقيل: نزلت في أبي ياسر ابن أخطبَ اليهودي وأخيه حُيَيٍّ.

ثم يَدخل في ذلك: كلُّ كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتَّبع المتشابهَ من القرآن.

﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناسَ.

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: يبتغون أن يتأوَّلوه على ما تقتضي مذاهبُهم.

أو: يبتغون أن يصِلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يَصل إليه مخلوقٌ.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إخبارٌ عن انفراد الله بعلمِ تأويل المتشابه من القرآن، وذمٌّ لمن طلَب عِلمَ ذلك من الناس.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأٌ مقطوع مما قبله.

والمعنى: أن الرَّاسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: «آمنا به»؛ على وجه التَّسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته.

وقيل: إنه معطوفٌ على ما قبله.

وإن المعنى: أنهم يعلمون تأويلَه.

وكلا القولين مرويٌّ عن ابن عباس.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٠٥-٢٠٦).

والأوَّل قول أبي بكر الصديق، وعائشة، وعروة بن الزبير؛ وهو أرجحُ.

وقال ابن عطية: المتشابه نوعان:

نوعٌ انفرد الله بعلْمه.

ونوعٌ يمكن وصول الخلق إليه.

فيكون ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾:

ابتداءً: بالنظر إلى الأول.

وعطفًا: بالنظر إلى الثاني(١).

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكايةٌ عن الراسخين.

ويَحتمل أن يكون مُنقطِعًا؛ على وجه التَّعليم.

والأول أرجح؛ لاتِّصال الكلام.

وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: فهو من كلام الله تعالى، لا حكايةُ قولِ الراسخين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ استدلالٌ على البعث، ويَحتمل أن يكون:

من تمام كلام الراسخين.

أو منقطعًا؛ فهو من كلام الله تعالى.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٦١).

[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ
وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ
وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ
ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن
ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟
ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ
وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن
يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ
ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن
تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾].

﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع رفعٍ؛ أي: دأبُ هؤلاء ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ وفي ذلك تهديدٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ويعني بهم: قومَ نوحٍ وعاد وثمودَ وغيرهم.

والضمير عائد على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ البراهين، أو الكتب.

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ بتاء الخطاب:

ليهود المدينة.

وقيل: لكفَّار قريش.

وقرئ بالياء: إخباراً:

عن يهود المدينة.

وقيل: عن قريش.

وهو صادقٌ على كل قول:

أما اليهود فغُلبوا يوم قريظةَ والنَّضير وقَينُقاع.

وأما قريش ففي بدرٍ وغيرها.

والأشهرُ أنَّها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له: لا يغرَّنَّك أنك قتلت نفرًا من قريش لا يعرفون القتال، فلو قاتلْتنا لعرفتَ أنَّا نحن الناس، فنزلت الآية، ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ قيل: خطابٌ للمؤمنين. وقيل: لليهود. وقيل: لقريش.

والأرجح[1] أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ ففيه تهديدٌ لهم وعبرةٌ بما[2] جرى لغيرهم.

﴿فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر.

﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قرئ: ﴿تَرَوْنَهُم﴾ بالتاء: خطابًا لمن خوطب بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾.

والمعنى: ترون الكفارَ مِثْلَي المسلمين؛ ولكن الله أيَّد المسلمين بنصره على قلَّة عَددهم.

وقُرئ: بالياء؛ والفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾: هم المؤمنون، والمفعول به: هم المشركون، والضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾: للمؤمنين.

والمعنى: على حسَب ما تقدَّم.

فإن قيل: إنَّ الكفار كانوا يوم بدر أكثرَ مِن مِثْلَي المسلمين؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ لأن الكفار كانوا قريبًا من ألف، والمؤمنون ثلاث مئة وثلاثة عشر، ثم إنَّ الله تعالى قلَّل عدد الكافرين في أعين المؤمنين؛ حتى حسِبوا أنهم مثلَهم مرَّتين؛ ليتجاسروا على قتالهم، إذا ظهر لهم أنهم على ما أُمِروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

---

(١) في د: «والأول أرجح».

(٢) في د: «لما».

وهذا المعنى موافقٌ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

والآخر: أنه رجع قومٌ من الكفار حتى بقي منهم ستُّ مئة وستةٌ وعشرون رجلًا؛ وذلك قَدْرُ عدد المسلمين مرتين.

وقيل: إنَّ الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾: ضمير المشركين، والمفعول: ضمير المؤمنين، وإن الضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ يَحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين.

والمعنى على هذا: أنَّ الله كثَّر عدد المسلمين في أعين المشركين؛ حتى حسِب الكفارُ المؤمنين مثلَي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقلُّ من ذلك، وإنما كثَّرهم الله في أعينهم ليَرهَبُوهم.

ويردُّ هذا قوله تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ نُصِب على المصدرية. ومعناه: معاينةً ظاهرةً لا شكَّ فيها.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ﴾ أي: أنَّ النصر بمشيئة الله، لا بالقِلَّة، ولا بالكثرة؛ فإن فئةَ المسلمين غَلبت فئةَ الكافرين؛ مع أنهم كانوا أكثرَ منهم.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: المزيِّن هو الله، وقيل: الشيطان.

ولا تعارض بينهما؛ فتَزيين الله: بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاءِ الجِبِلَّة على الميل إلى الدنيا.

وتزيين الشيطان: بالوسوسة والخديعة.

﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ جمع قنطار؛ وهو ألف ومئتا أوقية. وقيل: ألف ومئتا مثقال، وكلاهما مرويٌّ عن النبي ﷺ[١].

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ مبنيَّةٌ من لفظ القنطار؛ للتأكيد؛ كقولهم: ألفٌ مؤلفة.

وقيل: المضروبةُ دنانيرَ أو دراهمَ.

﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الراعية؛ من قولهم: سام الفرس وغيره: إذا جال في المسارح.

وقيل: المُعْلَمة في وجوهها شِياتٌ[٢]؛ فهي من السِّيما بمعنى العلَامة.

وقيل: المعَدَّة للجهاد.

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تحقيرٌ لها؛ ليَزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ تفضيلٌ للآخرة على الدنيا؛ ليُرغب فيها.

وتمَّ الكلامُ في قوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾؛ تفسيرًا لذلك.

ف ﴿جَنَّٰتٌ﴾ على هذا: مبتدأ، وخبره: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾.

وقيل: إنَّ قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ متعلِّق بما قبله، ويتمُّ الكلام في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

ف ﴿جَنَّٰتٌ﴾ على هذا: خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ.

---

(١) أخرجهما الطبري في تفسيره (٥/ ٢٥٥).

(٢) الشِّياتُ: جمع شِيَةٍ، وهي كل لونٍ يخالف معظم لون الفرس وغيره، وهي من: وَشَيَ، ففاؤه واو محذوفة، والهاء في آخره عوضٌ منها. انظر: لسان العرب (٢٠/ ٢٧١).

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادةٌ إلى نعيم الجنة، وهو أعظم من النعيم حسَبما ورد في الحديث[1].

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعتٌ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أو رُفِع بالابتداء، أو نُصِب بإضمار فعل.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ العابدين، أو المطيعين.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار: هو طلب المغفرة.

قيل لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: «قولوا: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم»[2].

﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ جمع سَحَرٍ؛ وهو آخر الليل؛ يقال: إنه الثلث الآخِر؛ وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذٍ: «من يستغفرني فأغفر له»[3].

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآيةَ؛ شهادةٌ من الله سبحانه لنفسه بالوَحدانية.

وقيل: معناها: إعلامُه لعباده بذلك.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا» أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ عطفٌ على اسم ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: هم شهداءُ بالوَحدانية.

ويعني بأولي العلم: العارفين بالله، الذين يقيمون البراهينَ على وَحدانيته.

﴿قَآئِمَۢا﴾ منصوبٌ على الحال من: اسم ﴿اللَّهُ﴾، أو من: ﴿هُوَ﴾.

أو منصوبٌ على المدح.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرَّر التَّهليل لوجهين:

أحدهما: أنه ذكَر أوَّلًا الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة[1].

والآخر: أن ذلك تعليمٌ لعباده؛ ليُكثِروا من قولها.

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة: ابتداءٌ.

وبفتحها: بدلٌ مِن ﴿أَنَّهُ﴾، وهو بدل شيءٍ من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق؛ من أجل البغي، وهو الحسد.

والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما.

---

(١) في د: «ثم ذكر ثانيًا ثبوتَها بالشهادة المتقدمة».

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قد تقدَّم معناه في «البقرة»[١].

وهو هنا تهديدٌ؛ ولذلك وقع في جواب: ﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين.

والضمير: لليهود، ونصارى نجران.

﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: أخلصتُ نفسي وجُملتي لله؛ وعبَّر بالوجه عن الجملة.

ومعنى الآية: إقامة الحجة عليهم؛ لأنَّ مَن أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شكٍّ، فسقطت حجَّةُ مَن خالفه.

﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطفٌ على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾.

ويجوز أن يكون مفعولًا معه.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ تقريرٌ بعد إقامة الحجة؛ أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تُسلِموا.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: إنما عليك أن تبلِّغَ رسالة ربك، فإذا بلَّغتها فقد فعلتَ ما عليك.

وقيل: إن فيها موادَعةً نسختها آية السيف.

---

(١) انظر صفحة ٤٢٣.

[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ
يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ
۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ۝٢٤ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ
وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن
تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ
فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ
مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٢٧ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن
يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى
ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٩ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ
مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ
وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٣٠ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ﴾ الآية؛ نزلت في اليهود والنصارى؛ توبيخًا لهم، ووعيدًا على قبيح[1] أفعالهم، وأفعال أسلافهم.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هم اليهود.

---

(١) في ب، د: «قُبح».

والكتاب هنا: التوراة، أو جنس.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ ابنُ عباس: دخل رسول الله ﷺ على جماعةٍ من اليهود، فيهم النعمان بن عمرٍو، والحارث بن زيد، فقالوا له: على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: «على دين إبراهيم»، فقالوا: إنَّ إبراهيم كان يهوديًّا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «فهلمُّوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم»، فأبوا عليه فنزلت الآية[١].

فـ ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ على هذا: التوراة.

وقيل: هو القرآن؛ كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيُعرِضون عنه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ إلى إعراضهم عن كتاب الله.

والباء سببية.

والمعنى: أنَّ كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم.

والأيام المعدودات قد ذُكِرت[٢] في «البقرة»[٣].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي: كيف يكون حالهم يوم القيامة؟

والمعنى: تهويلٌ واستعظام لما أُعِدَّ لهم.

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ منادى، والميم فيه عوض مِن حرف النداء عند البصريين؛ ولذلك لا يجتمعان.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٩٣).

(٢) في ب، ج، هـ: «ذكر».

(٣) انظر صفحة ٣٣٠.

وقال الكوفيون: أصله: «يا أللهُ أُمَّنَا بخيرٍ» فالميم عندهم من: «أُمَّنا».

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ منادى عند سيبويه.

وأجاز الزَّجّاج أن يكون صفةً لاسم الله.

وقيل: إنَّ الآية نزلت ردًّا على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى.

وقيل: لما أَخبر النبيُّ ﷺ أن أمته يفتحون مُلْك كسرى وقيصر: استبعدَ ذلك المنافقون، فنزلت الآية.

﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ قيل: المراد: «بيدك الخير والشر»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه.

وقيل: إنما خصَّ الخير بالذكر؛ لأنَّ الآية في معنى دعاءٍ ورغبة؛ فكأنه يقول: بيدك الخير فأَجزِل حظِّيَ منه.

﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ عبد الله بن مسعود: هي النُّطفة؛ تَخرج من الرجل ميِّتة وهو حيٌّ، ويَخرج الرجل منها حيًّا وهي ميِّتةٌ.

وقال عكرمة: هو إخراج الدَّجاجة من البَيضة، والبيضة من الدَّجاجة.

وقيل: تُخرِج[1] المؤمن من الكافر، والكافرَ من المؤمن، فالحياة والموت على هذا: استعارة.

---

(١) في ب، د: «يخرج».

وفي ذِكْر الحيِّ مع الميت:

المطابقة؛ وهي من أدوات البيان.

وفيه -أيضًا- القلب؛ لأنه قدَّم الحيَّ على الميت، ثم عكس.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تضييق. وقيل: بغير محاسبة.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيةَ؛ عامة في جميع الأعصار.

وسببها: مَيْلُ بعض الأنصار إلى بعض اليهود.

وقيل: كتاب حاطب إلى مشركي قريش.

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ تبرُّؤٌ ممن فعل ذلك، ووعيدٌ على موالاة الكفار.

وفي الكلام حذف؛ تقديره: ليس من التقرُّب إلى الله في شيء.

وموضع ﴿فِي شَيْءٍ﴾: نصبٌ على الحال من الضمير في ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾. قاله ابن عطية(١).

﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ إباحةٌ لموالاتهم إن خافوا منهم.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٩٢)، ونقل أبو حيان كلام ابن عطيَّة هذا، وعلَّق عليه بقوله: «وهو كلام مضطرب؛ لأن تقديرَه: «فليس من التقرُّب إلى الله» يقتضي أن لا يكون «من الله» خبرًا لـ«ليس»؛ إذ لا يستقلُّ، وقوله: «(في شيء) هو في موضع نصب على الحال» يقتضي أن لا يكون خبرًا؛ فيبقى «ليس» -على قوله- لا يكون لها خبر، وذلك لا يجوز»، وأعرَبها أبو حيان بقوله: «وخبر «ليس» هو ما استقلَّت به الفائدة، وهي (في شيء)، و(من الله) في موضع نصب على الحال؛ لأنه لو تأخَّر لكان صفةً لشيء، والتقدير: فليس في شيء من ولاية الله». البحر المحيط (٥/ ٢٨٦).

والمراد: موالاةٌ بالظاهر، مع البغضاء في الباطن.

﴿تُقَىٰةً﴾ وزنه: فُعَلَة -بضم الفاء وفتح العين-، وفاؤه واوٌ، أُبدِل منها تاءٌ، ولامه ياء أبدل منها ألف.

وهو منصوب على المصدرية.

ويجوز أن ينتصب على الحال من الضمير في ﴿تَتَّقُوا﴾.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تخويفٌ.

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، والعامل فيه:

فعل مضمر؛ تقديره: اذكروا، أو خافوا.

وقيل: العامل فيه: ﴿قَدِيرٌ﴾.

وقيل: ﴿الْمَصِيرُ﴾.

وقيل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأٌ، خبره: ﴿تَوَدُّ﴾.

أو معطوف.

﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافةً.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذُكر بعد التَّحذير:

تأنيسًا؛ لئلا يُفرِطَ الخوفُ.

أو لأن التحذيرَ والتنبيه رأفةٌ.

﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ جَعل اتِّباع النبي ﷺ:

علامةً على محبة العبد لله تعالى.

وشرطًا في محبة الله للعبد ومغفرتِه له.

وقيل: إنَّ الآية خطابٌ لنصارى نجران، ومعناها على العموم في جميع الناس.

* * *

[﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ
بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي
مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ
أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ
ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن
لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ
أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا
يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ
وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١ ﴾].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ الآيةَ؛ لما مضى صدرٌ من محاجَّة نصارى نجران: أخذ يبيِّن لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام، وكيفية وِلادته.

وبدأ بذِكْر آدم ونوحٍ عليهما السلام؛ تكميلًا للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء.

ثم ذكَر إبراهيم؛ تدريجًا إلى ذكر عمران والدِ مريم أمِّ عيسى عليه السلام.

وقيل: إنَّ عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمان مئة سنة.

والأظهر أن المراد هنا: هو والد مريم؛ لذكر قصَّتِها بعد ذلك.

﴿وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ يَحتمل أن يريد بالآل: القرابةَ، أو الأتباعَ.

وعلى الوجهين يدخل نبيُّنا محمد ﷺ في آل إبراهيم.

﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدلٌ مما تقدَّم، أو حال.

ووزنه فُعْلِيَّةٌ؛ منسوب إلى الذَّرِّ؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغُيِّر أوَّله في النَّسَب.

وقيل: أصل ذُرِّيَّةٍ: ذُرُّورَةٌ؛ وزنها: فُعُولَةٌ، ثم أُبدِل من الراء الأخيرة ياء، فصار: ذُرُّويَة، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصار: ذُرِّيَّة.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ العامل فيه محذوف؛ تقديره: اذكر.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾.

وقال الزَّجَّاج: العامل فيه: معنى الاصطفاء.

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ اسمها: حَنَّةُ -بالنون-، وهي أم مريم، وعمران هنا: هو والد مريم.

﴿نَذَرْتُ﴾ أي: جعلت نذرًا عليَّ أن يكون هذا الولد الذي في بطني حَبِيسًا على خدمة بيتك؛ وهو بيت المقدس.

﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: عَتِيقًا من كل شُغلٍ إلَّا خدمة المسجد.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآيةَ؛ كانوا لا يُحرِّرون الإناثَ لخدمة المساجد، فقالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾؛ تحسُّرًا وتلهُّفًا على ما فاتها من النَّذر الذي نذَرتْ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرئ ﴿وَضَعَتْ﴾: بإسكان التاء، وهو من كلام الله؛ تعظيمًا لموضوعها.

وقرئ: بضم التاء وسكون العين؛ وهو -على هذا- من كلامهما.

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ يحتمل:

أن يكون من كلام الله.

فالمعنى: ليس الذكرُ الذي طلَبتِ كالأنثى التي وُهِبتْ لكِ.

وأن يكون من كلامها.

فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن الذكور كانوا يَخدمونها دون الأناث.

﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إنما قالت لربها: ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾؛ لأن مريم في لغتهم بمعنى: العابدة، فأرادت بذلك التقرُّبَ إلى الله.

ويؤخذ من هذا: تسميةُ المولود يوم ولادته.

وامتنع ﴿مَرْيَمَ﴾ من الصَّرف؛ للتعريف والتأنيث، وفيه -أيضًا- العُجْمة.

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾ ورد في الحديث: «ما من مولود إلَّا نخسه الشيطان حين يُولَد فيَستهلُّ صارخًا، إلَّا مريم وابنها؛ لقولها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ الآيَةَ»[١].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: رَضِيَها للمسجد مكانَ الذَّكَر.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدرًا على غير الصَّدْر[٢].

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة.

(٢) في أ، د: «المصدر»، والمثبت هو الصواب، والصَّدْر: هو الفعل في اصطلاح الكوفيين، وهذا التعبير «مصدر على غير الصَّدر» مألوف الاستعمال عند العلماء، =

والآخر: أن يكون اسمًا لما يُقبَل به، كالسَّعوط: اسم[1] لما يُسعَط به.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارةٌ عن حسن النشأة.

﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّاءُ﴾ أي: ضمَّها إلى إنفاقه وحَضانته، والكافل: هو الحاضن.

وكان زكرياءُ زوجَ خالتها، وقيل: زوج أختها.

وقرئ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء، ونصب ﴿زَكَرِيَّاءَ﴾، أي: جعَله الله كافلَها.

﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ في اللغة: أشرفُ المجالس، وبذلك سُمِّي موضع الإمام.

ويقال: إن زكرياءَ بنى لها غرفةً في المسجد؛ وهي المحراب هنا.

وقيل: المحراب: موضع العبادة.

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهةَ الشتاء في الصَّيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء.

ويقال: إنها لم تَرضَعْ ثديًا قطُّ، وكان الله يرزقها.

= كما في أدب الكاتب لابن قتيبة، والمحرر الوجيز، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، وغيرها، ومعناه: أن يكون المصدر على غير بناء الفعل، بأن يكون مصدرًا لفعل آخر، فالفعل في هذه الآية: «تقبَّل»، ومصدرُ هذا الفعل: «تقبُّلًا»، ولكنه جاء هنا «قبولًا» مصدرًا للفعل «قَبِلَ». وانظر: أدب الكاتب، لابن قتيبة (تحقيق: الدالي): (ص: ٣٣٣).

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى.

﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى مكان.

وقد يستعمل في الزمان؛ وهو الأظهر هنا، أي: لما رأى زكرياءُ كرامةَ الله تعالى لمريم: سأل مِن اللهِ الولد.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أُنِّث رَعْيًا للجماعة.

وقرئ بالألف على التذكير.

وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ كقولهم: فلان يَركب الخيلَ؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسًا واحدًا.

﴿بِيَحْيَىٰ﴾ اسمٌ سمَّاه الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعِبرانية صادف اشتقاقًا وبناءً في العربية.

وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميًّا: ففيه التعريف والعُجْمة، وإن كان عربيًّا: فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مصدِّقًا بعيسى عليه السلام، مؤمنًا به.

وسُمِّي عيسى كلمةَ الله؛ لأنه لم يوجد إلَّا بكلمة الله وحدَها؛ وهي قوله: ﴿كُن﴾، لا بسبب آخر؛ وهو الوالد كسائر بني آدم.

﴿وَسَيِّدًا﴾ السَّيِّد: الذي يسود قومَه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضْل.

﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يأتي النساء؛ فقيل: خلَقه الله كذلك، وقيل: كان يُمسِك نفسَه.

وقيل: الحصور: الذي لا يأتي الذُّنوب.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تعجُّبٌ واستبعادٌ أن يكون له ولد مع شيخوختِه، وعُقْم امرأته، ويقال: إنه كان له تسعٌ وتسعون سنةً، ولامرأته ثمان وتسعون؛ فاستَبعدَ ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك.

فسأله؛ لعلمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة.

وقيل: سأله وهو شابٌّ، وأُجِيب وهو شيخ؛ ولذلك استبعده.

﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ﴾ أي: مثلَ هذه الفِعْلة العجيبة: يَفعلُ الله ما يشاء؛ فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفِعلة.

والإشارة بـ «ذلك»: إلى هبة الولد لزكرياءَ.

واسم ﴿اللَّهُ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، و﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبره؛ فيجب وصله معه.

وقيل: إن الخبر: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، ويَحتمل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ - على هذا - وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل ﴿يَفْعَلُ﴾.

والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدإٍ محذوف؛ تقديره: «الأمر كذلك»، أو «أنتما كذلك».

وعلى هذا يوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

والأول أرجح؛ لاتِّصال الكلام، وارتباط قوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مع ما قبله، ولأنَّ له نظائرَ كثيرةً في القرآن؛ منها قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ أي: علامةً على حَمل المرأة.

﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ثلاثةَ أيام، يُمنَع لسانه(١) عن ذلك، مع إبقاء قدرته على التكلُّم بذكر الله؛ ولذلك قال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾.

وإنما حُبِس لسانُه عن الكلام تلك المدَّة؛ لِيَخْلُصَ فيها لذكر الله؛ شكرًا على استجابة دعائه، ولا يُشغِلَ لسانَه بغير الشُّكر والذِّكر.

﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ إشارةً باليد، أو بالرأس، أو غيرهما؛ فهو استثناء منقطع.

﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: من زوال الشمس إلى غروبها، ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: من طلوع الفجر إلى الضحى.

* * *

(١) في ج: «لسانك».

[﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ
لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ
ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى
ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ
كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ
وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى
بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ
أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ
فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾].

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ اختُلف هل المراد جبريل أو جمعٌ من الملائكة؟.

والعامل في «إذ» مضمر.

﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾ أوّلًا حين تقبّلك من أمّكِ.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من كل عيب في خَلْق أو خُلُق أو دين.

﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يَحتمل:

أن يكون هذا الاصطفاءُ مخصوصًا بأن وهب لها عيسى من غير أبٍ.

فيكون ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عامًّا.

وأن يكون الاصطفاء عامًّا.

فيُخصَّصُ[1] مِن ﴿نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: خديجة وفاطمة.

أو يكون المعنى: على نساء زمانِها.

وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق.

وقيل: إنها كانت نبيَّةً؛ لتكليم الملائكة لها.

﴿ٱقۡنُتِي﴾ القنوت هنا: بمعنى الطاعة والعبادة.

وقيل: طول القيام في الصلاة؛ وهو قول الأكثرين.

﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾ أُمِرت بالصلاة؛ فذَكر القنوت والسجود؛ لكونهما[2] من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين؛ أي: في الجماعة.

فلا يقتضي الكلامُ -على هذا- تقديمَ السجود على الركوع؛ لأنه لم يُرِد الركوع والسجود المنتظِمَيْنِ في ركعةٍ واحدة.

وقيل: أراد ذلك، وقدَّم السجود؛ لأن الواو لا تُرتِّبُ.

---

(١) في ج، د، هـ: «فيخص».

(٢) ب: «لأنهما».

ويَحتمل أن تكون الصلاةُ في ملَّتِهم بتقديم السجود على الركوع.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدم من القَصَص، وهو خطابٌ للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاجٌ على نبوته ﷺ؛ لكونه أخبر بهذه الأَخبار وهو لم يحضر معهم.

﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أزْلامَهم[1]؛ وهي قِدَاحُهم.

وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اقترعوا بها على كفالة مريم؛ حرصًا عليها وتنافُسًا في كَفالتها.

وتدلُّ الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت -أيضًا- من السنة.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، في موضع نصبٍ بفعل تقديره: يَنظرون أيُّهم.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يَكفُلها منهم.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ «إذ» بدلٌ من ﴿وَإِذْ قَالَتِ﴾، أو من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، أو العامل فيه مضمر.

﴿ٱسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكَّر على «الكلمة»؛ لأن المسمَّى بها ذَكَرٌ.

﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتقٌّ من: ساحَ في الأرض؛ فوزنه: مَفْعِل.

وقال الأكثرون: مِن مَسَح؛ لأنه مُسِح بالبركة؛ فوزنه: فَعِيل.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

وإنما قيل[١]: ﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ والخطاب لمريم؛ ليَنسِبَه إليها؛ إعلامًا بأنه يولد من غير والد.

﴿وَجِيهًا﴾ نُصِب على الحال.

ووجاهتُه في الدنيا: النبوة، والتقدُّم على الناس، وفي الآخرة: الشفاعةُ وعُلوُّ الدرجة في الجنة.

﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ في موضع الحال، ﴿وَكَهۡلٗا﴾ عطفٌ عليه.

والمعنى: أنه يكلِّم الناس صغيرًا؛ آيةً تدلُّ على براءة أمِّه مما قذفَها به اليهود، وتدلُّ على نبوته. ويكلِّمهم - أيضًا - كبيرًا؛ ففيه إعلامٌ بعَيشِه إلى أن يبلغ سنَّ الكهولة؛ وأوله: ثلاث[٢] وثلاثون سنةً. وقيل: أربعون.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطفٌ على ﴿يُبَشِّرُكِ﴾، أو على ﴿وَيُكَلِّمُ﴾.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هنا: جنسٌ. وقيل: الخط باليد.

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ هنا: العلوم الدِّينية، أو الإصابة في القول والفعل.

﴿وَرَسُولًا﴾ حالٌ معطوفة على ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ إذ التقدير: ومعلِّمًا الكتابَ. أو يُضمَر له فعل تقديره: أُرسِل رسولًا، أو جاء رسولًا.

﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أُرسِل إليهم عيسى عليه السلام مبيِّنًا لحكم التوراة.

﴿أَنِّي﴾ تقديره: بأني.

---

(١) في د: «قال».

(٢) في أ، ب، د، هـ: «ثلاثة».

﴿إِنِّيَ أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة: بدلٌ من ﴿أَنِّي﴾ الأول، أو من ﴿بِئَايَةٍ﴾.

وبكسرها: ابتداءُ كلام.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ذكّر هنا الضمير؛ لأنه يعود على الطّين[1]، أو على الكاف من ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾.

وأنّث في «المائدة»؛ لأنه يعود على الهيئة.

﴿فَيَكُونُ طَائِرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخُفَّاش.

وقرئ ﴿طَيْرًا﴾ بياءٍ ساكنة: على الجمع، وبألف وهمزة: على الإفراد.

وكرَّر ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ رفعًا لوَهْمِ من توهَّم في عيسى الربوبيةَ.

﴿وَأُبْرِئُ﴾ روي أنه كان يجتمع إليه جماعةٌ من العُميان والبُرْصِ[2] فيدعو لهم فيبرَؤون.

﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ روي أنه كان يَضرب بعصاه الميتَ أو القبر، فيقوم الميت ويكلِّمه.

وروي أنه أحيا سامَ بن نوح.

﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ كان يقول: يا فلان أكلتَ كذا، وادَّخرت في بيتك كذا.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطفٌ:

على ﴿وَرَسُولًا﴾.

---

(١) في ب، د: «الطير»، وماأثبتُّه موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٢٢٨).

(٢) في أ، ب، د، هـ: «والبرصى»، والذي لسان العرب (٨/ ٢٧٠): «وجمع الأبْرص بُرْصٌ».

أو على موضع: ﴿بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم[١] بآية، وجئتكم مصدِّقًا.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ عطفٌ على ﴿بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وكانوا قد حُرِّم عليهم الشحمُ، ولحمُ الإبل، وأشياءُ من الحيتان والطيرِ، فأحلَّ لهم عيسى بعضَ ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى﴾ ردٌّ على مَن نسَب الربوبيةَ لعيسى.

وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله: ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وابتداؤه من قوله: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾.

وكلُّ ذلك يَحتمل:

أن يكون مما ذكَرت الملائكةُ لمريم حكايةً عن عيسى عليه السلام أنه سيقولُه.

ويَحتمل أن يكون خطابُ مريم قد انقطع، ثم استؤنف الكلام مِن قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾؛ على تقدير: جاء عيسى رسولًا بأني قد جئتكم بآية[٢]، ثم استمرَّ كلامُه إلى آخره.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: عَلِم علمًا ظاهرًا، كعلم ما يُدرَك بالحواسِّ.

﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ طلَبَ النُّصرةَ[٣]. والأنصار: جمع ناصرٍ.

---

(١) في د زيادة: «من ربكم».

(٢) في د زيادة: «من ربكم».

(٣) في ب، ج: «طلبٌ للنصرة».

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تقديره: مَن يضيفُ أنفسَهم -في نصرتي- إلى الله؛ فلذلك قيل: «إلى» هنا بمعنى: «مع».

أو: يتعلَّق بمحذوف تقديره: ذاهبًا إلى الله، أو ملتجِئًا إلى الله.

﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ حواريُّ الرجلِ: صِفْوَتُه وخالِصته؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ حواريٌّ، وإن حواريَّ الزبير»[١].

وقيل: إنَّ الحواريين كانوا قَصَّارين[٢] يُحَوِّرُون الثيابَ -أي: يبيِّضونها- ولذلك سمَّاهم الحوَاريين.

﴿بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ يريدون: الإنجيلَ، و﴿ٱلرَّسُولَ﴾ هنا: عيسى عليه السلام.

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: مع الذين يشهدون بالحقِّ من الأمم.

وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل، ومكْرُهم: أنهم وكَّلوا بعيسى مَن يقتله غِيلةً.

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أي: رفع عيسى إلى السماء، وألقَى شَبَهَهُ على من أراد اغتياله حتى قُتِل عِوَضًا منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

(٢) قَصَر الثوبَ قِصارةً وقَصَّرَه: حوَّره ودقَّه، والقصَّار والمُقَصِّرُ: المحوِّر للثياب؛ لأنه يدُقُّها بالقَصَرَة التي هي القطعة من الخشب، وتسمى أيضًا المِقصَرة، وحرفته: القِصَارة. انظر: لسان العرب (٦/ ٤١٥).

وعبَّر عن فِعْل الله بالمكر مشاكلةً لقوله: ﴿وَمَكَرُواْ﴾[(١)].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي: أقواهم، وهو فاعلٌ ذلك بحقٍّ، والماكر من البشر فاعلٌ بباطل.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «عبَّر عن فعل الله» إلخ. أقول: معناه أن الله سمَّى ما يفعله بالكافرين من العقوبة مكرا مشاكلةً لفظية، ليوافق مكر الكافرين بالرسول ﷺ والمؤمنين في الاسم، فيكون الجزاء من جنس العمل لفظا. وهذا خطأٌ، والحامل عليه عند المؤلف وغيره: استقباحُ إضافة المكر إلى الله حقيقة، بناء على اعتقاد أن المكر كلَّه مذموم، وليس كذلك؛ بل من المكر ما هو محمودٌ، وهو ما كان على وجه المجازاة عدلا، ومن هذا مكرُ الله بأعدائه وأعداء رسله، جزاء وفاقا، وسنةُ الله أن يكون الجزاء من جنس العمل. ومن مكر الله بالكافرين الإملاء لهم واستدراجهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

[﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ العامل فيه: فعلٌ مضمر، أو ﴿وَمَكَرَ﴾(١).

﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل: وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء.

وقيل: رُفِع حيًّا، ووفاةُ الموت: بعد أن ينزلَ إلى الأرض فيقتلَ الدَّجَّالَ.

وقيل: يعني: وفاةَ نومٍ.

وقيل: المعنى: قابضك من الأرض إلى السماء.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ أي: إلى سمائي(٢).

---

(١) في جميع النسخ الخطية كذا: «أو يمكر»!، والمثبت هو لفظ الآية، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٢٣٧)، والكشاف (٤/ ١١٩).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ ابن جزي في قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ قال: أي: «إلى سمائي»، أقول: هذا عدولٌ باللفظ عن =

﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي: من سوءِ جِوَارهم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون، وعُلوُّهم على الكفار: بالحجة وبالسيف في غالب الأمر.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾(١): النصارى، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: اليهود؛ فالآية مخبِرةٌ عن عزَّة النصارى على اليهود، وإذلالهم لهم.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من الأخبار.

﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ المتلوَّة، أو المعجزات.

﴿وَٱلذِّكْرِ﴾ القرآنِ.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الناطقِ بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ الآيةَ؛ حجةٌ على النصارى في قولهم: كيف يكون ابنٌ دون أب؟، فمثَّله الله بآدم الذي خلَقه دون أمٍّ ولا أبٍ، وذلك أغرب مما استبعدوه؛ فهو أقطعُ لقولهم.

= ظاهره، بتفسيره بلازمِهِ؛ فإنَّ رفعَ عيسى عليه السلام إلى الله الذي هو مدلولُ اللفظ، يستلزم رفعَه إلى السماء، والذي حمل ابنَ جزي وأمثالَه على هذا التأويل مذهبُهم في علوِّ الله، وهو أنه ليس سبحانه بذاتِه فوقَ سماواته، بل هو في كل مكان، كما تقدم في عددٍ من المواضع التي جرى التعليق عليها، وهذا خلافُ ما دلت عليه النصوصُ، وأجمع عليه أهلُ السنة، ورفعُ عيسى عليه السلام إلى السماء التي وجده النبي ﷺ فيها ليلة الإسراء يتضمَّن تكريما وتقريبا، فمَن كان من العباد أعلى مكانا كان أقربَ إلى الله تعالى، فإبراهيم وموسى عليهما السلام أقربُ إلى الله من المسيح، فإنَّ إبراهيم في السماء السابعة، وموسى في السادسة، وعيسى في الثانية، كما في حديث أنس عند مسلم، (رقم ١٦٢). والله أعلم.

(١) في ب، ج، هـ: «الذين اتبعوه».

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ تفسيرٌ لحال آدم.

﴿فَيَكُونُ﴾ حكايةُ حالٍ ماضية، والأصل لو قال: «خلقه من تراب ثم قال له كن فكان»، لكنه وضَع المضارعَ موضع الماضي؛ ليصوِّر في نفوس المخاطَبين أن الأمر كأنه حاضرٌ دائم.

﴿الْحَقُّ﴾ خبر ابتداءٍ مضمر.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسى، وكان الذي حاجَّه فيه وفدَ نجران من النصارى، وكان لهم سيِّدان يقال لأحدهما: السيد، وللآخر: العاقِب.

﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، والبَهْلةُ: اللَّعنة؛ أي: نقول: «لعنةُ الله على الكاذب منَّا ومنكم»، هذا أصل الابتهال.

ثم استعمل في كل دعاءٍ يُجتهَدُ فيه، وإن لم يكن لعنةً.

ولما نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يُهلِكَهم الله أو يَمسَخهم الله قردةً وخنازير، فأبَوا من الملاعنة، وأعطوا الجزية.

[﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ
وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ
لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خطابٌ لنصارى نجران، وقيل: لليهود.

﴿سَوَآءٍ﴾ أي عدلٍ ونَصَفٍ.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَةٍ﴾.

أو رَفْعٌ على تقدير: هي.

ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله، وتركِ ما عبدوا من دونه، كالمسيح والأحبار والرُّهبان.

﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهوديًا، وقال النصارى: كان نصرانيًا، فنزلت الآية ردًّا عليهم؛ لأن ملَّة اليهود والنصارى إنما وُجِدت بعد موت إبراهيم بمدَّةٍ طويلة.

﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ «ها» تنبيهٌ، وقيل: بدلٌ من همزة الاستفهام، و«أنتم» مبتدأ:

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خبره، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ استئناف.

أو: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوب على التَّخصيص، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ الخبر.

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فيما نطَقتْ به التوراةُ والإنجيل.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ما تقدَّم على ذلك من حال إبراهيم.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ردٌّ على اليهود والنصارى.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفيٌ للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراكُ الذي يتضمَّنه دينُ اليهود والنصارى.

﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ عطف على ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، أي: محمدٌ ﷺ أولى الناس بإبراهيم؛ لأنه على دينه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: أمة محمد ﷺ.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾ هم اليهود؛ دعَوا حذيفةَ وعمارًا ومعاذًا إلى اليهوديَّة.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلَّا عليهم.

﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمدًا ﷺ نبيٌّ.

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ أي: تَخلِطون.

والحق: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به.

[﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾].

﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ كان قومٌ من اليهود أظهروا الإيمان أولَ النهار، ثم كفروا آخِرَه؛ ليخدعوا المسلمين فيقولوا: ما رجع هؤلاء إلَّا عن علم.

وقال السهيلي: إنّ هذه الطائفة هم عبد الله بن الصَّيْف، وعَديُّ بن زيد، والحارث بن عوف[١].

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٧٥- ٧٦.

﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ يحتمل:

أن يكون من تمام الكلام الذي أُمِر النبي ﷺ أن يقوله؛ فيكون متَّصلًا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

وأن يكون من كلام أهل الكتاب؛ فيكون متَّصلًا بقولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ويكون ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾ اعتراضًا بين الكلامين.

فعلى الأول: يكون المعنى: كراهةَ أن يؤتى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم: قُلْتم ما قلتم، ودبَّرتم ما دبَّرتم من الخداع.

فموضع ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾:

مفعولٌ من أجله.

أو منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة.

وعلى الثاني: يكون المعنى: لا تؤمنوا أي: لا تُقِرُّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، واكتموا ذلك عمَّن لم يتبع دينَكم؛ لئلا يدعوهم إلى الإسلام.

فموضع ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾:

مفعولٌ بـ ﴿تُؤْمِنُوٓا۟﴾ المضمَّنِ معنى: تُقِرُّوا.

ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله؛ أي: لا تؤمنوا إلَّا لمن تبع دينكم؛ كراهةَ أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم.

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾، وضمير الفاعل: للمسلمين، وضمير المفعول: لليهود.

﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ على اليهود في قولهم: لم يؤتِ الله أحدًا مثلَ ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن أهل الكتب على قسمين: أمين، وخائن.

وذَكَر القنطارَ مثالًا[١] للكثير؛ فمن أدَّاه أدَّى ما دونه، وذكَر الدينارَ مثالًا للقليل؛ فمن منَعه منع ما فوقه بطريق الأولى.

﴿قَآئِمًا﴾ يَحتمل أن يكون:

من القيام الحقيقيِّ بالجسد.

أو من القيام بالأمر؛ وهو العزيمة عليه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ إلى خيانتهم، والباء: للتعليل.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أنَّ أموال الأُمِّيِّين -وهم العرب- حلالٌ لهم.

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ هنا: قولهم: إنَّ الله أحلها لهم في التوراة، أو كَذِبُهم على الإطلاق.

﴿بَلَىٰ﴾ أي: عليهم سبيلٌ وتِبَاعةٌ في أموال الأُمِّين.

﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ الضمير يعود على: ﴿مَنْ﴾، أو على ﴿ٱللَّهِ﴾.

---

(١) في ب، ج، هـ: «وذِكْرُ القنطارِ مثالٌ».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا.

وقيل: نزلت بسبب خصومةٍ بين الأشعث بن قيس وآخَرَ، فأراد خصمُه أن يحلف كاذبًا.

﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ﴾ الضميرُ عائد على أهل الكتاب.

﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم﴾ أي: يحرِّفون اللفظَ، أو المعنى.

﴿لِتَحۡسَبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دلَّ عليه قوله: ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم﴾، وهو الكلام المحرَّف.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآيةَ؛ هذا النفي يتسلَّطُ[1] على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾، والمعنى: لا يدَّعي الربوبيةَ من آتاه الله النبوَّةَ.

والإشارة: إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ردٌّ على النصارى الذي قالو: إنه إلهٌ.

وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «معاذ الله!، ما بذلك أُمرتُ، ولا إليه دعوتُ»[2].

﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ جمع ربَّانيٍّ؛ وهو العالِم.

وقيل: الرباني: الذي يربِّي الناسَ بصغار العلم قبل كِباره.

﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ الباء: سببية، و«ما»: مصدرية.

---

(١) في ب، ج، هـ: «متسلِّطٌ».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٢٤).

﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف: تَعرِفون.

وقرئ بالتشديد: من التَّعليم.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع: استئنافٌ، والفاعل: الله، أو البشر المذكور.

وقرئ بالنصب: عطفًا على ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾، أو على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾، والفاعل على هذا: البشر.

[﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ
رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا
فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ
إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ
تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ
مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ معنى الآية: أن الله أخذ العهدَ والميثاق على كل نبيٍّ أن يؤمنَ بمحمد ﷺ وينصرَه إن أدركه، وتضمَّن ذلك أخذَ هذا الميثاق على أمم الأنبياء.

واللام في قوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ لامُ التوطئة؛ لأنَّ أخذَ الميثاق في معنى الاستحلاف.

واللام في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جواب القسم.

و«ما» يَحتمل:

أن تكون شرطيةً، و﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ سدَّ مَسدَّ جواب القسَم والشرط.

وأن تكون موصولةً؛ بمعنى: الذي آتيناكموه لَتؤمِنُنَّ به.

والضمير في: ﴿بِهِۦ﴾ و﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾: عائدٌ على الرسول.

﴿ءَأَقۡرَرۡتُمۡ﴾ اعترفتم.

﴿إِصۡرِيۖ﴾ عهدي.

﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾ أي: على أنفسكم، وعلى أُممكم بالتزام هذا العهد.

﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم﴾ تأكيدٌ للعهد بشهادة ربِّ العزة ﷻ.

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مَن تولَّى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسقٌ مُتمرِّدٌ[1] في كفره.

﴿أَفَغَيۡرَ﴾ الهمزة: للإنكار، والفاء: عَطفت جملةً على جملة، و«غيرَ»: مفعولٌ؛ قُدِّم: للاهتمام به، أو للحصر.

﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ أي: انقادَ واستسلم.

﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ مصدرٌ في موضع الحال.

والطَّوع: للمؤمنين.

والكَره: للكافر إذا عاين الموتَ.

وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدِّم.

---

(١) في ج: «مرتدٌّ»، وفي د: «مترَدٍّ»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (٤/ ١٦٧).

وقيل: إقرارُ كلِّ كافر بالصانع هو إسلامُه كَرهًا.

﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ أُمِر النبيُّ ﷺ أن يُخبِرَ عن نفسه وعن أمَّته بالإيمان.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ تعدَّى هنا بـ«على»؛ مناسبةً لقوله: ﴿قُلْ﴾.

وفي «البقرة» بـ«إلى»؛ لقوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ لأنَّ «على» حرف استعلاء يقتضي النزول من علْوٍ، ونزولُه على هذا المعنى مختصٌّ بالنبي ﷺ، و«إلى» حرف غاية؛ وهو مُوصَلٌ[1] إلى جميع الأمة.

﴿وَمَن يَبۡتَغِ﴾ الآيةَ؛ إبطالٌ لجميع الأديان غير الإسلام.

وقيل: نَسخت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٦٢] الآيةَ.

﴿كَيۡفَ﴾ سؤالٌ، والمراد به هنا: استبعادُ الهدى.

﴿قَوۡمًا كَفَرُواْ﴾ نزلت في الحارث بن سُوَيدٍ وغيرِه؛ أسلموا ثم ارتدُّوا ولحِقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهليهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾، فرجعوا إلى الإسلام.

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، شهدوا بصفة النبي ﷺ، وآمنوا به، ثم كفروا به لما بُعِث.

﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطف على ﴿إِيمَٰنِهِمۡ﴾؛ لأنَّ معناه: بعد أن آمنوا.

وقيل: الواو للحال.

وقال ابن عطية: عطفٌ على ﴿كَفَرُواْ﴾، والواو لا ترتِّب[2].

---

(١) في ب: «موصول».

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٨).

﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ عمومٌ بمعنى الخصوص في المؤمنين.

أو على عمومه؛ وتكون اللعنة في الآخرة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد: على اللَّعْنة.

وقيل: على النار وإن لم تُذْكَر؛ لأنَّ المعنى يَقتضيها.

﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ قيل: هم اليهود؛ كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ.

وقيل: كفروا بمحمد ﷺ بعدما كانوا مؤمنين قبل مَبعثِه، ثم ازدادوا كفرًا بعداوتهم له وطعْنِهم عليه.

وقيل: هم الذين ارتدُّوا.

﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ قيل: ذلك عبارةٌ عن موتهم على الكفر؛ أي: ليس لهم توبةٌ فتقبلُ، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر.

وقيل: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر؛ فذلك عامٌّ.

﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم﴾ جزْمٌ بالعذاب لكلِّ مَن مات على الكفر.

والواو في قوله: ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾:

قيل: زائدةٌ.

وقيل: للعطف على محذوف؛ كأنه قال: لن يقبل مِن أحدهم لو تصدَّق به، ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

وقيل: نفَى أوَّلًا القَبول جملةً على الوجوه كلِّها، ثم خصَّ الفدية بالنفي؛ كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلًا ولو رَغِبتَ إليَّ.

[﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾
۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن
تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۚ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ
حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ
ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ
تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعْتَصِم
بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾].

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ أي: لن تكونوا من الأبرار، و(١) لن تنالوا البرَّ الكامل حتى تنفقوا مما تحبونه من أموالكم.

ولما نزلت قال أبو طلحة: إنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحى(٢)، وإنها صدقة.

وكان ابن عمر يتصدَّق بالسُّكر؛ ويقول: إني لأُحبُّه.

---

(١) في هـ، د: «أو».

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٥): «هذه اللفظة كثيرًا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها، فيقولون بيْرحاء، بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وضمِّها، والمد فيهما، وبفتحهما والقصر، وهي اسم مالٍ وموضعٍ بالمدينة»، وقال الزمخشري في «الفائق» (١/ ٩٣): «كأنها فَيْعَلى، من البَرَاح، وهي الأرض المنكشفة الظاهرة».

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن الأطعمة كانت حلالًا لبني إسرائيل، إلَّا ما حرَّم أبوهُم على نفسه؛ وهو لحم الإبل ولبنُها.

ثم حُرِّمت عليهم أنواعٌ من الأطعمة كالشُّحوم وغيرها؛ عقوبةً لهم على معاصيهم.

وفيها ردٌّ عليهم في قولهم: إنهم على ملَّة إبراهيم ﷺ، وإنَّ الأشياء التي هي محرمةٌ عليهم كانت محرمةً على إبراهيم.

وفيها دليلٌ على جواز النسخ ووقوعِه؛ لأنَّ الله حرَّم عليهم تلك الأشياءَ بعد حِلِّها، خلافًا لليهود في قولهم: إنَّ النسخ محالٌ على الله.

وفيها معجزةٌ للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلُّمٍ من أحدٍ.

وسبب تحريم إسرائيلَ لحومَ الإبل على نفسه: أنه مرض، فنذَر إن شفاه الله أن يُحرِّم أحبَّ الطعام إليه؛ شكرًا لله وتقرُّبًا إليه.

ويؤخذ من ذلك: أنه يجوز للأنبياء أن يحرِّموا على أنفسهم باجتهادهم.

﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ تعجيزٌ لليهود، وإقامةُ حجة عليهم.

وروي: أنهم لم يَجسُروا على إخراج التوراة.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي: مَن زعَم بعد هذا البيان أن الشحم وغيرَه كان محرَّمًا على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظَّالم المكابَر بالباطل.

﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: الأمرُ كما وَصف، لا كما تَكذِبون أنتم؛ ففيه تعريضٌ بكَذِبهم.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلزامٌ لهم أن يُسْلِموا؛ لما ثبت أنَّ ملَّة الإسلام هي ملةُ إبراهيم التي لم يحرَّم فيها شيءٌ مما هو محرَّمٌ عليهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي: أول مسجد بُني في الأرض.

وقد سأل أبو ذرٍّ النبيَّ ﷺ: أيُّ مسجد بني أولُ[1]؟ قال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»[2].

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: المعنى: أنه أول بيت وُضِع مباركًا وهدًى، وقد كانت قبله بيوتٌ.

﴿بِبَكَّةَ﴾ قيل: هي مكة؛ والباء بدل من الميم.

وقيل: مكةُ: الحرم كلُّه، وبكَّةُ: المسجد وما حوله.

﴿مُبَارَكًا﴾ نُصِب على الحال، والعامل فيه:

على قول عليٍّ: ﴿وُضِعَ﴾؛ لأنه حالٌ من الضمير الذي فيه.

وعلى القول الأوَّل: هو حالٌ من الضمير الذي في المجرور، والعاملُ فيه: العامل في المجرور من معنى الاستقرار.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ آيات البيت[3] كثيرة:

منها: الحجَر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رَفع القواعد من البيت، فكان كلَّما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى

---

(١) في د: «أولًا»، ووردت بالوجهين في صحيح مسلم.
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).
(٣) في ب، ج، هـ، د: «البينات».

أكمل البناء، وغَرِقت قدمُ إبراهيم في الحجر كأنها في طينٍ، وذلك الأثر باقٍ إلى اليوم.

ومنها: أن الطَّيرَ لا تعلُوه.

ومنها: إهلاكُ أصحاب الفيل، وردُّ الجبابرة عنه.

ونَبْعُ زمزم لهاجَرَ أمِّ إسماعيل بهمْز جبريل بعَقِبه، وحفْرُ عبد المطلب لها بعد دُثُورِها، وأنَّ ماءها يَنفع لما شُرِب به، إلى غير ذلك.

﴿مَقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ﴾ قيل: إنه بدلٌ من الآيات، أو عطف بيان؛ وإنما جاز بدل الواحد من الجمع؛ لأن المقامَ يحتوي على آياتٍ كثيرة؛ لدلالته على قدرة الله تعالى، وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك.

وقيل: الآيات: مقامُ إبراهيم، وأَمْنُ مَن دخَله؛ فعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ عطفًا.

وعلى الأول: استئنافًا.

وقيل: التقدير: منهنَّ مقامُ إبراهيم؛ فهو على هذا: مبتدأٌ.

والمقام: هو الحجَر المذكور.

وقيل: البيت كله.

وقيل: مكة كلها.

﴿كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ أي: آمنًا من العقاب؛ فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحدٌ جَرِيرةً(١) ثم لجأ إلى البيت لا يُطلَبُ، ولا يُعاقَب.

---

(١) في د: «جريمة».

فأما في الإسلام: فإنَّ الحرم لا يَمنع من الحدود، ولا من القِصاص.

وقال ابن عباس وأبو حنيفة: ذلك الحكم باقٍ في الإسلام؛ إلَّا أنَّ مَن وجب عليه حدٌّ أو قصاصٌ فدخل الحرم لا يُطعَم ولا يُباع منه حتى يَخرج.

وقيل: آمنًا من النار.

﴿حَجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بيانٌ لوجوب الحج، واختُلف هل هو على الفور أو على التراخي؟.

وفي الآية ردٌّ على اليهود؛ لمَّا زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم: إن كنتم صادقين فحُجُّوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ «مَن»: بدلٌ من ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

وقيل: فاعلٌ بالمصدر؛ وهو ﴿حَجُّ﴾.

وقيل: شرطٌ مبتدأٌ؛ أي: من استطاع فعليه الحجُّ.

والاستطاعةُ:

عند مالك: هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحَّةِ البدن، إمَّا راجلًا وإما راكبًا، مع الزاد المبلِّغ والطريق الآمن.

وقيل: الاستطاعة: الزاد والراحلة؛ وهو مذهب الشافعي وعبد الملك ابن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف[١].

---

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ٢١٣)، والبيهقي (٩/ ٢٠٦).

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قيل: المعنى: من لم يحجَّ؛ وعبَّر عنه بالكفر تغليظًا؛ كقوله ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر»(١).

وقيل: أراد اليهود؛ لأنهم لا يحجُّون.

وقيل: مَن زعم أن الحج ليس بواجب.

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ توبيخٌ لليهود.

﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخٌ أيضًا، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هنا: الإسلام.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الضمير يعود على السبيل؛ أي: تطلبون لها الاعوجاجَ.

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: تشهدون أن الإسلام حقٌّ.

﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا﴾ الآيةَ؛ لفظها عام، والخطاب للأوس والخزرج؛ إذ كان اليهود يريدون فتنَتهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكارٌ واستبعاد.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٢)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧) (٢٣٠٠٧).

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾].

﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قيل: نسخها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقيل: لا نسخ؛ إذ لا تعارض، فإنَّ العباد أُمِروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا؛ تحرُّزًا من الإكراه وشبهه.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: تمسَّكوا، والحبل هنا: مستعارٌ من الحبل الذي يُشَدُّ عليه اليدُ.

والمراد به هنا: القرآن، وقيل: الجماعة.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهيٌ عن التدابر والتقاطع؛ إذ كان الأوس همُّوا بالقتال مع الخزرج، لما رام اليهود إيقاعَ الشرِّ بينهم.

ويَحتمل أن يكون نهيًا عن التفرُّق في أصول الدين.

ولا يدخل في النهي: الاختلافُ في الفروع.

﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوةٌ وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله على الإسلام.

﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ أي: حَرْفِ حفرةٍ، وذلك تشبيهٌ لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآيةَ؛ دليلٌ على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ.

وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ دليلٌ على أنه فرض كفاية؛ لأن «مِن» للتبعيض.

وقيل: إنها لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمةً.

وتغييرُ المنكر يكون: باليد وباللسان وبالقلب، على حسَب الأحوال.

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ هم اليهود والنصارى، نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم.

ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين[١] وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلُّها في النار إلَّا واحدة» قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: «مَن كان على ما أنا وأصحابي عليه»[٢].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ العامل فيه: محذوفٌ. وقيل: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «اثنين».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) واللفظ له، وأبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأحمد (١٢٤٧٩).

﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم﴾.

والخطاب: لمن ارتدَّ عن الإسلام.

وقيل: للخوارج.

وقيل: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، ثم كفروا به لما بعث.

[﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ
﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ
مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ
أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ
الصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ
بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟
وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾].

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ «كان» هنا: هي التي تقتضي الدّوام، كقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقيل: كنتم في علم الله.

وقيل: كنتم فيما وُصِفتم به في الكتب المتقدِّمة.

وقيل: «كنتم» بمعنى: «أنتم».

والخطاب: لجميع المؤمنين. وقيل: للصَّحابة خاصةً.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ أي: بالكلام خاصة، وهو أهون المضرَّة.

﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ إخبارٌ بغيب ظهر في الوجود صِدْقُهُ.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ إخبارٌ مستأنَفٌ، غير معطوف على ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾، وفائدة ذلك: أنَّ توليتَهم الأدبارَ مقيَّدةٌ بوقت القتال، وعدمَ النصر على الإطلاق.

وعُطِفت الجملة على جملة الشرط والجزاء.

و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشدُّ من توليتِهم الأدبارَ حين القتال.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو هنا: العهد والذمة.

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ أي: ليس أهلُ الكتاب مستوِينَ[1] في دينهم.

﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أي: قائمةٌ بالحقِّ، وذلك فيمن أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلَام، وثعلبة بن سعيةَ وأخيه أسد وغيرهم.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدلُّ أن تلاوتَهم للكتاب في الصلاة.

﴿فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ أي: لا تُحرَمون ثوابَه.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ تشبيهٌ لنفقة الكفَّار بزرعٍ أهلكته ريحٌ باردة، فلم

---

(١) في أ: «مستويين».

ينتفعْ به أصحابُه، فكذلك لا ينتفعُ الكفار بما ينفقون.

وفي الكلام حذف تقديره:

مثَل ما ينفقون كمثل مُهلَكِ ريحٍ.

أو: مثل إهلاكِ ما ينفقون كمثل إهلاك ريحٍ.

وإنما احتيج لهذا؛ لأنَّ ما ينفقون ليس شبيهًا بالريح، إنما هو شبيهٌ بالزرع الذي أهلكته الريح.

﴿صِرٌّ﴾ أي: بردٌ.

﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: عصَوْا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الضمير:

للكفار والمنافقين.

أو لأصحاب الحرث.

والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعلُ حالٍ فدلَّ[١] على أنه للحاضرين.

﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: أولياءَ من غيركم؛ فالمعنى: نهيٌ عن استخلاص الكفار وموالاتهم.

وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هنا رجلًا من النصارى لا أحدَ أحسنُ خطًّا منه،

---

(١) في ب: «يدلُّ».

أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذَن أتَّخذُ بطانةً من دون المؤمنين(١).

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يُقصِّرون في فسادكم، والخبال: الفساد.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تمنَّوْا مضرَّتَكم، و«ما» مصدرية.

وهذه الجملة والتي قبلها:

صفةٌ للبطانة.

أو استئنافٌ.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بكلِّ كتابٍ أنزله الله، واليهود لا يؤمنون بقرآنكم.

﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ عبارةٌ عن شدَّة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه.

و﴿الْأَنَامِلَ﴾: جمع أنملة بضم الميم وفتحها.

﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ تقريعٌ وإغاظة، وقيل: دعاء.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة: ضدها.

﴿لَا يَضِرْكُمْ﴾ من الضَّيْر؛ بمعنى الضُّرِّ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٨٩).

[﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ
هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ
نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن
يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟
وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ
﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ
لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾].

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد، وكان غُدوُّ رسول الله ﷺ للقتال صبيحةَ يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة.

﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تُنزِلهم، وذلك يوم السبت حين حضَر القتال.

وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال: «غدوت» فيما بعد الزوال إلَّا على المجاز.

وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس، وذلك ضعيف؛ لأنه لم يبوِّئ حينئذٍ مقاعدَ للقتال؛ إلَّا أن يراد أنه بوَّأهم بالتَّدبير حين المشاورة.

﴿مَقَٰعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مَقعَدٍ.

﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما: بنو حارثةَ مِن الأوس، وبنو سَلِمةَ مِن الخزرج

لمَّا رأَوا كثرة المشركين وقلَّة المسلمين همُّوا بالانصراف؛ فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ.

﴿أَن تَفْشَلَا﴾ الفشَل في البدن: هو الإعياء، والفشل في الرأي: هو العجز والحيرة وفساد العزم.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: مُثبِّتُهما.

وقال جابر بن عبد الله: ما وددنا أنها لم تنزلْ؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[1].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكيرٌ بنصر الله يوم بدر؛ لتقوى قلوبُهم.

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ هذه الذِّلةُ: هي قلة عَددهم وضعف عُددهم؛ كانوا يوم بدر ثلاثَ مئة وثلاثةَ عشر رجلًا، ولم يكن لهم إلَّا فرسٌ واحد، وكان المشركون ما بين التسع مئة والألف، وكان معهم مئةُ فرسٍ، فقُتل من المشركين سبعون، وأُسر منهم سبعون، وانهزم سائرُهم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلِّقٌ: بـ ﴿نَصَرَكُمُ﴾، أو بـ ﴿فَاتَّقُوا﴾، والأوَّل أظهر.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القولُ: يوم بدر.

وقيل: يوم أحد.

فالعامل في «إذ»:

على الأول: محذوف.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

وعلى الثاني: هي بدلٌ من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾.

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ تقريرٌ، جوابُه: ﴿بَلَىٰٓ﴾.

وإنما جاوب المتكلِّمُ؛ لصحة الأمر وبيانه؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفَوْر: السُّرعة[١].

أي: من ساعتهم.

وقيل: المعنى: من سفرهم.

﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم[٢]؛ ليزيدَ ذلك في قوَّتكم[٣].

فإن كان هذا يومَ بدر: فقد قاتلتْ فيه الملائكة.

وإن كان يومَ أحد: فقد شَرط قولَه: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾، فلما خالفوا الشَّرطَ لم تنزل الملائكة.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ - بفتح الواو وكسرها - أي: مُعْلَمين، أو مُعْلِمين أنفسَهم أو خيلَهم.

وكانت سِيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضاء، إلَّا جبريل فإنه كانت عِمامتُه صفراءَ.

---

(١) في هـ، ج: «الساعة»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٤/ ٢٥٢).
(٢) في ج، د: «يكفيهم».
(٣) في هـ، د: «قوتهم».

وقيل: كانوا بعمائمَ صفرٍ، وكانت خيلهم مجزوزةَ الأذناب.

وقيل: كانوا على خيل بُلْقٍ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على: الإنزال و[1] الإمداد.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ معطوف على ﴿بُشْرَىٰ﴾؛ لأنه هذا الفعل بتأويل المصدر.

وقيل: يتعلَّق بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿جَعَلَهُ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلَّق:

بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

أو بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملةٌ اعتراضية بين المعطوفَين.

ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياءَ من العرب، فترك الدعاء عليهم[2].

﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه: يُسلِمون.

* * *

---

(١) في أ: «أو».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).

[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ
وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا
فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى
ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن
يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ
فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾].

﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ كانوا يزيدون فيه كلما حلَّ، عامًا بعد عام.

﴿سَارِعُوٓاْ﴾ بغير واو: استئنافٌ، وبالواو: عطف على ما تقدَّم.

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقُّون بها المغفرةَ.

﴿عَرْضُهَا﴾ ابنُ عباس: تُقْرَنُ السموات والأرض بعضُها إلى بعض كما تُبسَط الثياب، فذلك عَرْض الجنة، ولا يعلم طولَها إلَّا الله.

وقيل: ليس العرضُ هنا خلافَ الطول، وإنما المعنى: سعتُها كسعة السموات والأرض.

﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في العسر واليسر.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حُذِف مفعولُه، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ تأنيسًا لهم.

وقيل: للكفَّار؛ تخويفًا لهم.

﴿فَٱنظُرُواْ﴾ من نظر العين عند الجمهور.

وقيل: هو بالفكر.

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ تقويةٌ لقلوب المؤمنين.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلوِّ كلمة الإسلام.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن مسَّكم قتلٌ أو جراح في أُحُد فقد مسَّ الكفارَ مثلُه في بدر.

وقيل: قد مسَّ الكفار يومَ أحد مثلُ ما مسكم فيه؛ فإنهم نالُوا منكم ونِلتم منهم.

وذلك تسلية[1] للمؤمنين بالتأسِّي.

﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تسليةٌ أيضًا عما جرى يوم أحد.

---

(١) في د: «تأنيس».

﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ متعلِّق بمحذوف؛ تقديره: أصابكم ما أصابَ يوم أحد؛ لِيَعلمَ.

والمعنى: ليعلمَ ذلك علمًا ظاهرًا لكم تقوم به الحجة.

﴿شُهَدَآءَ﴾ مَن قُتل مِن المسلمين يوم أحد.

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي: يُطهِّر، وقيل: يُميِّز.

وهو معطوف على ما تقدَّم من التعليلات لقصة أحد.

والمعنى: أن إدالة الكفارِ على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأنَّ نصْرَ المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين؛ أي: يُهلِكَهم.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾ «أم» هنا منقطعة، مقدَّرة بـ «بل» والهمزة عند سيبويه.

وهذه الآيةُ وما بعدها معاتبةٌ لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياءُ يوم أحد.

﴿تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ خوطب به قومٌ فاتتهم غزوة بدر، فتمنَّوا حضور قتال الكفار مع النبي ﷺ؛ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا: إنما تمنَّوا الجهاد، وهو سبب الموت.

وقيل: تمنَّوا الشهادة في سبيل الله.

[﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمدًا ﷺ رسولٌ كسائر الرسل؛ قد بلَّغ الرسالة كما بلَّغوا، فيجب عليكم التمسُّك بدينه في حياته وبعد موته.

وسببها: أنه صرَخ صارخٌ يوم أحد: إنَّ محمدًا قد مات، فتزلزل بعض الناس.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء؛ لتربطَ الجملةَ الشرطية بالجملة التي قبلها.

والمعنى: أنَّ موت رسول الله ﷺ أو قتْله لا يقتضي انقلابَ أصحابه على أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقرَّرت، وبراهينه قد صحَّت، فعاتبهم على تقدير أنْ لو صدَر منهم انقلابٌ لو مات ﷺ، أو قُتِل، وقد عَلم أنه لا يُقتَل؛ ولكنه[1] ذكَر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم.

﴿الشَّـٰكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الثابتون على دينهم.

---

(١) في ب، ج، هـ: «ولكن»

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ نُصِب على المصدر؛ لأنَّ المعنى: كُتِب الموتُ كتابًا.

وقال ابن عطية: نصب على التمييز[١].

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيَّدٌ بالمشيئة؛ بدليل قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ الفعل مسندٌ إلى ضمير النبيِّ، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ على هذا في موضع الحال.

وقيل: إنه مسند إلى الرِّبِّيين، فيكون[٢] ﴿رِبِّيُّونَ﴾ على هذا مفعولًا لما لم يُسمَّ فاعلُه.

فعلى الأول: يوقف على قوله: ﴿قُتِلَ﴾.

ويَترجَّح الأوَّل: بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدًا قد قُتل، فضرب لهم المثل بنبيٍّ قُتل.

ويترجح الثاني: بأنه لم يُقتَل قطُّ نبيٌّ في محارَبة.

﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماءُ؛ مثل ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾.

وقيل: جموعٌ كثيرة.

﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ الضمير لـ ﴿رِبِّيُّونَ﴾؛ على إسناد القتل للنبي.

وهو لمن بقي منهم؛ على إسناد القتل إليهم.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٣٧٤).

(٢) في أ، د: «ويكون».

﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ﴾ أي: لم يذِلُّوا للكفَّار.

قال بعض النحاة: استكانَ مشتقٌّ من السُّكون، ووزنه افتَعَلُوا؛ مُطِلتْ[1] فتحةُ الكاف فحدَث عن مَطْلِها ألفٌ، وذلك كالإشباع.

وقيل: أنه مِن: كان يكون، فوزنه استفعلوا[2].

وقوله: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ وما بعده: تعريضٌ بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ أي: في الحرب.

﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ النصر.

﴿ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ الجنة.



---

(١) المطْل: المدُّ. كما في القاموس المحيط، مادة (م ط ل).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٨١): «أصله: استكْوَنوا، نُقلت حركة الواو إلى الكاف، وقُلبت ألفًا.. والمعنى: إنَّهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبًا من ذلك».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾].

﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضيَّة[1] أحد ما قالوا.

وقيل: مشركو قريش.

وقيل: اليهود.

---

(١) في د: «قصة».

﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ قيل: ألقى الله الرعبَ في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلى مكة من غير سبب.

وقيل: لما كانوا ببعض الطريق همُّوا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا.

والآية بعدُ تتناول جميع الكفَّار؛ لقوله ﷺ: «نُصِرتُ بالرُّعب»[1].

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر، فنصرهم الله أوَّلًا، وانهزم المشركون وقُتِل منهم اثنان وعشرون رجلًا، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرُّماة أن يَثبتوا في مكانهم ولا يَبرَحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طَمِعوا في الغنيمة وأَتْبَعُوهم، وخالفوا ما أُمِروا به من الثُّبوت في مكانهم، فانقلبت الهزيمة على المسلمين.

﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم قتلًا ذريعًا؛ يعني: في أوَّل الأمر.

﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ وقع التنازع بين الرماة، فثبت بعضُهم كما أُمِروا، ولم يثبت بعضهم.

﴿وَعَصَيۡتُم﴾ أي: خالفتم ما أمرتم به من الثبوت.

وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين، وإن كان المخالفُ بعضَهم؛ وغْظًا للجميع، وسترًا على مَن فعل ذلك.

وجواب ﴿إِذَآ﴾: محذوفٌ؛ تقديره: انهزمتم.

﴿مَن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ الذين حرَصوا على الغنيمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه: ليَنزِل بكم ما نزل من القتل والتَّمحيص.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ إعلامٌ بأن الذنب كان يستحقُّ أكثرَ مما نزل بهم؛ لولا عفو الله عنهم، فمعناه: لقد أبقى عليكم.

وقيل: هو عفوٌ عن الذنب.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في «إذ»:

﴿عَفَا﴾؛ فيُوصَل ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ مع ما قبله.

ويَحتمل أن يكون العامل فيه مضمرًا.

﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾ مبالغةٌ في صفة الانهزام.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول[1]: «إليَّ عبادَ الله»، وهم يفرون[2].

﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ في ساقَتِكم.

وفيه مدحٌ للنبي ﷺ؛ فإنَّ الآخِر هو موقفُ الأبطال[3].

﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ أي: جازاكم.

﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ قيل: أثابكم غمًّا بسبب الغمِّ الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم.

---

(١) في د: «ينادي».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٤٧).

(٣) في هـ، ج: «فإن الآخر موقوف على الأبطال».

وقيل: أثابكم غمًّا متَّصلًا بغمٌ؛ وأحد الغمَّين: ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أُرجف به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النَّصر والغنيمة.

﴿مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ قال ابن مسعود: نعَسنا يوم أحد، والنُّعاس في الحرب أمنٌ من الله[1].

﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون، غَشِيهم النعاس؛ تأمينًا لهم.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون.

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ معناه: يظنُّون أن الإسلام ليس بحقٍّ، وأن الله لا ينصره.

و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدلٌ؛ وهو على حذف موصوفٍ، تقديره: ظنَّ المدَّةِ الجاهلية، أو الفِرقة الجاهلية.

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبيٍّ بن سلول، والمعنى: ليس لنا رأيٌ، ولا يُسمَع قولنا.

أو: لسنا على شيءٍ من الأمر الحقِّ؛ فيكون قولهم هذا كفرًا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير (٦/ ١٦٣) بلفظ: «النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان».

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يَحتمل أن يريد: الأقوالَ التي قالوها.

أو الكفرَ.

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ قاله مُعَتِّبُ بن قُشَيرٍ، ويَحتمل من المعنى ما احتَمل قولُ عبد الله بن أبيٍّ.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ الآية؛ ردٌّ عليهم، وإعلامٌ بأنَّ أجَل كلِّ إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يُقتَل يموتُ لأجله، ولا يؤخَّر، وأنَّ مَن كُتب عليه القتل لا ينجيه منه شيءٌ.

﴿وَلِيَبْتَلِىَ﴾ يتعلَّق بفعلٍ، تقديره: ليبتليَ فعَل بكم ذلك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ الآية؛ نزلت فيمن فرَّ يومَ أحد.

﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي: طلب منهم أن يَزِلُّوا.

ويَحتمل أن يكون معناه: أزلَّهم؛ أي: أوقعهم في الزَّلَل.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: كانت لهم ذنوبٌ عاقبهم الله عليها؛ بأن مكَّن الشيطانَ[١] من استزلالهم.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: غفر لهم ما وقعوا فيه من الفِرار.



(١) في ج: «مكنهم الشيطان».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ
كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ
وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ
مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ
لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ
ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ
أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ
هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ
أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾].

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المنافقون.

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ هم[1] إخوة القرابة؛ لأن المنافقين كانوا من الأوس

---

(١) في هـ، ج: «هي».

والخزرج، وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يُقتَل من المهاجرين إلَّا أربعة.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا.

وإنما قال: «إذا» التي للاستقبال مع ﴿قَالُواْ﴾؛ لأنه على حكاية الحال الماضية.

﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غازٍ، ووزنه فُعَّل -بضم الفاء وتشديد العين-.

﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ اعتقادٌ منهم فاسد؛ لأنَّهم ظنُّوا أن إخوانَهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقتَلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدَر والأجل المحتوم. ويَقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين[1].

﴿لِيَجْعَلَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قالوا ذلك فكان حسرةً في قلوبهم، فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرةَ؛ لأن الذي يتيقَّنُ بالقدَر والأجل تذهب عنه الحسرة.

﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ على قولهم واعتقادهم.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن مغفرة الله ورحمتَه لهم إذا قُتِلوا أو ماتوا في سبيل الله خيرٌ لهم مما يجمعون من الدنيا.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكروا أن المعتزلة يقولون: المقتول مقطوعٌ عليه أجله الذي قدِّر له، أو إن له أجلين: أحدهما: ما حصل بسبب القتل، والآخر: هو الذي لو عاش لبلغه.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن من مات أو قتل فإنه يُحشَر إلى الله.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» زائدةٌ للتأكيد.

﴿لَانفَضُّواْ﴾ أي: تفرَّقوا.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصُّ بك.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختصُّ بحقِّ الله.

﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمورٌ بها شرعًا، وإنما يشاوِر النبي ﷺ الناسَ في الرأي؛ في الحروب وغيرها، لا في أحكام الشريعة[1].

وقرأ ابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر».

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكُّل: هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع، أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرَّات، أو رفعها بعد وقوعها.

وهو من أعلى المقامات؛ لوجهين:

أحدهما: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

والآخر: الضَّمَان الذي في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقد يكون واجبًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعله شرطًا في الإيمان، ولِظاهرِ قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) في هـ، ج: «الأحكام الشرعية».

ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ فإن الأمر محمولٌ على الوجوب.

واعلمْ أن الناس في التوكُّل على ثلاث مراتب:

الأولى: أن يعتمد العبد على ربِّه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عندَه الذي لا يشُكُّ في نصيحته له، وقيامه بمصالحه.

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمِّه؛ فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلَّا إليها.

والثالثة: أن يكون العبد مع ربه: كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

(**فصاحب الدرجة الأولى**: عنده حظٌّ من النظر لنفسه، بخلاف صاحبِ الثانية.

وصاحبُ الثانية: له حظٌّ من المراد والاختيار، بخلاف صاحب الثالثة)[1][2].

---

(١) ما بين القوسين سقط في هـ، ج.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب» إلخ، أقول: التوكل من أعمال القلوب، وهو من تحقيق توحيد الربوبية، ومن مقامات العبودية القلبية، وجعْلُه ثلاث درجات طريقة الصوفية، والحق أنه درجتان: الأولى: توكل المقتصدين، والثانية: توكل المقربين، وهذا يوافق معنى ما ذكره المؤلف في الدرجة الأولى والثانية؛ فإنه لا إشكال فيهما، وأما الدرجة الثالثة فهي من بدع الصوفية التي خالفوا فيها الحس والعقل والشرع، فكون الإنسان يصل إلى حالة يكون فيها كالميت بين يدي الغاسل، بحيث لا تكون له إرادة في جلبٍ ولا دفعٍ حالةٌ ممتنعة حسًّا وعقلا، وغير مطلوبة شرعا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقا على قول بعض =

وهذه الدَّرجات مبنيَّةٌ على التوحيد الخاصِّ الذي تكلَّمنا عليه في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣][١]، فهي تقْوَى بقوَّته، وتَضعف بضَعْفه.

فإن قيل: هل يُشترطُ في التوكل تركُ الأسباب أم لا؟

فالجواب: أنَّ الأسباب على ثلاثة أقسام:

أحدها: سببٌ معلومٌ قطعًا، قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه، كالأكل لدفع الجوع، واللِّباس لدفع البرد.

والثاني: سبب مظنونٌ، كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدحُ فعلُه في التوكل؛ فإن التوكل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي على ذلك.

والثالث: سبب موهومٌ بعيد، فهذا يقدحُ فعلُه في التوكل.

ثم إنَّ فوقَ التوكل التفويضُ؛ وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مرادٌ واختيار، وهو يطلب مرادَه باعتماده على ربه، وأما المفوِّض فليس له مرادٌ ولا اختيار، بل أَسند الاختيارَ إلى الله تعالى، فهو أكملُ أدبًا مع الله تعالى.

= الصوفية: (إن العارف يصير كالميت بين يدي الغاسل)، أي في استسلامه للقدر، قال الشيخ: «فهذا إنما يمدح منه سقوطُ إرادته التي لم يؤمر بها، وعدمُ حظه الذي لم يؤمر بطلبه، وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه، وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه. ومن أراد بذلك أنه تبطل إرادته بالكلية، وأنه لا يُحس باللذة والألم والنافع والضار، فهذا مخالفٌ لضرورة الحس والعقل، ومن مَدح هذا فهو مخالف لضرورة الدِّين والعقل» اهـ من العقيدة التدمرية (ص ٢٢٠).

(١) انظر صفحة ٣٨٣.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ هو من الغُلول، وهو أخذ الشيءِ في خفْيةٍ من المغانم وغيرها.

وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه: تبرئةٌ للنبي ﷺ من الغلول.

وسببها: أنه فُقِدت من المغانم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله ﷺ أخَذها.

وقرئ بضم الياء وفتح الغين:

أي: ليس لأحد أن يَغُلَّ نبيًا؛ أي: يخونَه في المغانم.

وخصَّ النبي بالذِّكر وإن كان ذلك محظورًا مع الأمراء؛ لشُنْعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصيَ تَعظُم بحضْرته.

وقيل: معنى هذه القراءة: أن يوجد غالًا، كما تقول: أَحمدتُ الرجلَ؛ إذا أصبتَه محمودًا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيدٌ لمن غلَّ بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيءَ الذي غلَّ.

وقد جاء ذلك مفسَّرًا في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا أُلفِينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رِقاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت[1]، لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثني!، فأقول: لا أملك

(١) يعني: الذهب والفضة، خلاف الناطق وهو الحيوان. انظر: النهاية (٦/ ٢٣٧٥).

لك من الله شيئًا، قد بلَّغتُك»[١].

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ الآيةَ؛ قيل: إن الذي اتَّبع رضوان الله: من لم يَغلَّ، والذي باء بالسَّخْط: من غلَّ.

وقيل: الذي اتبع الرضوان: من استُشهِد بأحد، والذي باء بالسخط: المنافقون الذين رجعوا عن الغزو.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ذووا درجات، والمعنى:

تفاوتُ ما بين منازل أهل الرِّضوان وأهل السَّخط.

أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان، فإن بعضَهم فوقَ بعض، وكذلك[٢] درجات أهل السخط.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ بفضل الله على المؤمنين ببعث رسوله محمد ﷺ.

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: في الجنس واللسان، فكونه من جنسهم: يوجِب الأُنسَ به، وقلَّةَ الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم: يُوجِب حسنَ الفهم عنه، ولكونه منهم يعرفون حسَبَه وصدقه وأمانته ﷺ، ويكون هو ﷺ أشفقَ عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآيةَ؛ عتابٌ للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٢) في ب، ج، هـ: «فكذلك».

ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف.

والجملة معطوفة على:

ما تقدَّم من قصة أحد.

أو على محذوف.

﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ قُتِل من المسلمين يوم أحد سبعون، وكان قد قُتِل من المشركين يوم بدر سبعون، وأُسِر سبعون.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قيل: معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة؛ لمخالفتهم رسولَ الله ﷺ حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يَخرجَ إلى المشركين، فأبَوا إلَّا الخروج.

وقيل: بل ذلك إشارةٌ إلى عصيان الرماة حسَبما تقدَّم.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: جَمْعُ المسلمين والمشركين يوم أحد.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الآيةَ؛ كان رأيُ عبد الله بن أبيٍّ بن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين، فلما طلَب الخروجَ قومٌ من المسلمين فخرج رسول الله ﷺ غضب عبد الله، وقال: أطاعهم وعصاني!، فرجع ورجع معه ثلاث مئة رجلٍ، فمشى في أَثَرهم عبد الله بن عَمرِو بن حرامٍ الأنصاري، فقال لهم: ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا!، فقال له عبد الله بن أبي: ما أرى أن يكون قتالٌ، ولو علمنا أنه يكون قتال لكنَّا معكم.

﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ أي: كثِّروا السَّواد وإن لم تقاتلوا.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾.

و﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: في النَّسب؛ لأنهم كانوا من الأوس والخزرج.

﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ﴾ أي: ادفعوا، والمعنى: ردٌّ عليهم.

* * *

[﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾].

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ إعلامٌ بأن حال الشهداء حالُ الأحياء؛ من التمتُّع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين؛ فإنهم لا يتمتَّعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم﴾ المعنى: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين

بقُوا في الدنيا من بعدهم؛ لأنهم يرجون أن يُستَشهدوا مثلهم، فينالوا مثل ما نالوا من السَّعادة.

﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله، أو بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كُرِّر ليُذكَر ما تعلَّق به من النعمة والفضل.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ صفةٌ لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أو مبتدأ وخبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ الآيةَ.

ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتِّباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراءِ الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحاتٌ وشدائدُ، فتجلَّدوا وخرجوا، فمدحهم الله بذلك.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الآيةَ؛ لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد، بلغ ذلك أبا سفيان، فمرَّ عليه ركْبٌ من عبد القيس يريدون المدينة بالمِيرة، فجعل لهم حِمْلَ بعيرٍ من زبيب على أن يثبِّطوا المسلمين عن اتِّباع المشركين، فخوَّفوهم بهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرجوا.

فـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأول: ركْب عبد القيس، و﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثاني: مشركو قريش.

وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدنا بدرٌ في العام القابل، فقال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله»، فلما كان العامُ القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نُعيمَ بن مسعود الأشجعيَّ ليثبِّط المسلمين.

فعلى هذا: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأول: نعيم، وإنما قيل له: «الناس» وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل؛ إذا ركبتَ فرسًا.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المَقُول، وهو: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾.

والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا: قَوِي يقينُهم وثقتُهم بالله.

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ كلمةٌ يُدفَع بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلقِي في النار.

ومعنى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا الله وحده؛ فلا نخاف غيرَه.

ومعنى: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ثناءٌ على الله، وأنه خير مَن يَتوكَّل العبدُ عليه ويلجأ إليه.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ أي: رجعوا بنعمة السَّلامة وفضل الأجر.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ لخروجهم مع رسول الله ﷺ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ المراد به هنا: أبو سفيان، أو نعيمٌ الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس.

و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ خبره، وما بعده استئنافٌ.

أو: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ نعتٌ، وما بعده خبر.

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوِّفُكم أيها المؤمنون أولياءَه؛ وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه: قولُه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وقراءةُ ابن عباس وابن مسعود: «يخوفكم أولياءَه».

وقيل: المعنى: يخوِّفُ المنافقين - وهم أولياؤه - مِن كفار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف.

﴿وَلَا يُحْزِنكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ.

وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعًا، مِن: «حَزَن» الثلاثي، وهو أشهر في اللغة مِن «أحزن».

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي: يبادرون إلى أقواله وأفعاله، وهم: المنافقون، أو الكفار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟﴾ الآيةَ؛ هم: المذكورون قبل، أو على العموم في جميع الكفار.

﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: نُمهِلهم.

و«أنَّ» مفعول بـ﴿يَحْسِبَنَّ﴾، و«ما» اسم «أنَّ»؛ فحقُّها أن تكتب منفصلةً، و﴿خَيْرٌ﴾ الخبر.

﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ «ما» هنا كافَّة، والمعنى: ردٌّ عليهم؛ أي: أن الإملاءَ لهم ليس خيرًا لهم، إنما هو استدراجٌ؛ ليكتسبوا الآثام.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيةَ؛ خطاب للمؤمنين، والمعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلِطين بالمنافقين، ولكنه ميَّز هؤلاء من هؤلاء؛ بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال، التي تدلُّ على الإيمان أو على النفاق.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليُطلِعَكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق.

أو: ما كان الله ليطلعكم على أنكم تَغلبون أو تُغلبون.

﴿يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ﴾ أي: يختار مَن شاء مِن رسله، فيطلعه على ما شاء من غَيبه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمنعون الزكاةَ وغيرها.

﴿هُوَ خَيْرًا﴾: ﴿هُوَ﴾ فصْلٌ، و﴿خَيْرًا﴾ مفعول ثان، والأول محذوف؛ تقديره: لا يَحسبَنَّ[1] البخلَ خيرًا لهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يُلزَمون إثمَ ما بخلوا به.

وقيل: يُجعَلُ ما بَخِل به حيَّةً يُطوَّقُها في عنقه يوم القيامة.

---

(١) في أ، د: «تحسبنَّ».

[﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾].

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية؛ لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال بعض اليهود -وهو فِنْحَاصُ، أو حُيي بن أخطب، أو غيرهما-: إنما يَستقرِضُ الفقيرُ من الغني، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضًا على القرآن، أوجبه قلَّةُ فهمهم، أو تحريفُهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقادٍ فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف.

﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ أي: قتْلَ آبائِهم للأنبياء، وأُسنِد إليهم؛ لأنهم راضون به، ومتَّبعون لمن فعَله من آبائهم.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ صفةٌ لـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وليس صفةً ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قَبولَ الله لصدقةٍ أو غيرها جعلوه في مكان، فتنزل نارٌ من السماء فتحرِقُه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامةً على صدق الرُّسل.

﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ عليهم بأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضًا بالقُربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذَّبوهم وقتَلوهم، فذلك يدلُّ على أن كفرَهم عنادٌ، وأنهم كذَبوا في قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ بالتأسِّي بغيره.

﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أي: نُحِّي(١) وأُبعد.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للمسلمين، والبلاء في الأنفس: بالموت والأمراض، وفي الأموال: بالمصائب والإنفاق.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآيةَ؛ سببها: قولُ اليهود: «إن الله فقير»، وسبُّهم للنبي ﷺ وللمسلمين.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ابنُ عباس: هي لليهود؛ أُخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه.

---

(١) في ج، د: «نجا».

وقيل: هي عامَّةٌ في كل من علَّمه الله علمًا.

﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ الآيةَ؛ ابنُ عباس: نزلت في أهل الكتاب؛ سألهم النبي ﷺ عن شيءٍ فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أرَوه أن قد أخبرُوه بما سألهم عنه، واستَحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أَتوا من كِتْمانهم إياه ما سألهم عنه.

وقال أبو سعيد الخدري: نزلت في المنافقين؛ كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزوِ تخلَّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قَدِم النبي ﷺ اعتذروا إليه، وأحبُّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

﴿فَلَا تَحۡسِبَنَّهُم﴾ بالتاء وفتح الباء: خطاب للنبي ﷺ.

وبالياء وضم الباء: أسند الفعل لـ ﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ﴾؛ أي: لا يحسبون أنفسَهم[1] بمفازةٍ من العذاب.

ومن قرأ: ﴿لَا يَحۡسِبَنَّ﴾ بالتاء: فهو أيضًا خطاب للنبي ﷺ و﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ﴾ مفعول به، و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني، وكرَّر ﴿فَلَا تَحۡسِبَنَّهُم﴾ للتأكيد.

ومن قرأ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ بالياء من أسفل: فإنه حذف المفعولين؛ لدلالة مفعولي ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم﴾ عليهما.

---

(١) في د: «أنهم».

[﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ
النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ
الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ
﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن
بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ
عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في «البقرة»(١).

﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال؛ فكأنَّ هذه الهيئات حصرٌ لحال ابن آدم.

---

(١) انظر صفحة ٣٨٧.

وقيل: إن ذلك في الصلاة؛ يصلُّون قيامًا، فإن لم يستطيعوا صلُّوا قعودًا، فإن لم يستطيعوا صلُّوا على جنوبهم.

﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون: ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة، بل خلقتَه وخلقت البشر؛ لينظروا فيه فيعرفوكَ فيعبدوكَ.

﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبيُّ ﷺ.

﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على أَلسِنة رسلِك.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ «من»: لبيان الجنس، وقيل: زائدةٌ؛ لتقدُّم النفي.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: الرجال والنساء سواءٌ في الأجور والخيرات.

﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ هم المهاجرون؛ آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها.

﴿ثَوَابًا﴾ منصوبٌ على المصدرية.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ؛ أي: لا تظنَّ أن حال الكفار في الدنيا دائمةٌ فتهتمَّ لذلك، وأنزل ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ منزلةَ: «لا يَحزُنكَ».

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: تقلُّبهم في الدنيا قليلٌ؛ بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة.

﴿نُزُلًا﴾ منصوبٌ:

على الحال من ﴿جَنَّٰتٌ﴾.

أو على المصدرية.

﴿لِّلْأَبْرَارِ﴾ جمع بارٍّ أو بَرٍّ، ومعناه: العاملون بالبرِّ؛ وهو غاية التقوى والعمل الصالح.

قال بعضهم: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ[١].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت في النجاشيِّ ملكِ الحبشة، فإنه كان نصرانيًّا فأسلم.

وقيل: في عبد الله بن سلَام وغيره ممن أسلم من اليهود.

﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ مدحٌ لهم، وفيه تعريضٌ بذمِّ غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنًا قليلًا.

﴿وَصَابِرُوا۟﴾ أي: صابروا أعداءَكم[٢] في القتال.

﴿وَرَابِطُوا۟﴾ أقيموا في الثُّغور رابطين خيلَكم، مستعدِّين للجهاد.

وقيل: هو مرابطةُ العبد فيما بينه وبين الله؛ أي: معاهدتُه على فعل الطاعة وترك المعصية.

والأول أظهر وأشهر؛ قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»[٣].

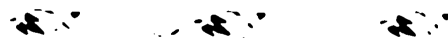
وأما قوله -في انتظار الصلاة-: «فذلكم الرِّباط»[٤] فهو تشبيهٌ بالرباط في سبيل الله؛ لعِظَم أجره.

---

(١) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٠٦).
(٢) في ب: «عدوكم».
(٣) أخرجه مسلم (١٩١٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٥١).

والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور؛ ليرابطَ فيها، وهي غيرُ موطنِه.

فأمَّا سكَّانُها دائمًا بأهليهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين، ولكنهم حُماةٌ. حكاه ابن عطية(١).



(١) المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٨).

فهرس الموضوعات

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء. (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

ومعه تقريرات لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك

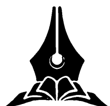
تحقيق

علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

المجلد الثاني

من النساء إلى الإسراء



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به



الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به
0125562986 I yyy 01@hotmail com

 dar taibaa @dar_tg  dar taibagreen123  dar taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه
0503568771 I 0550428992 I yyy.01@hotmail.com I 0125562986

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة النساء ﴾

[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ
أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ
خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ (٣) وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن
طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا (٤) وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ
لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٥) وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ
ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ
وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ
فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ
ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨)
وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ
قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)﴾].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ خطابٌ على العموم، وقد تكلَّمنا على التقوى

في أوَّل «البقرة»[(١)].

﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هو آدمُ عليه السلام.

﴿زَوۡجَهَا﴾ هي حوَّاءُ؛ خُلِقت من ضِلَع آدم.

﴿وَبَثَّ﴾ نشَر.

﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي: يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا.

﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ بالنصب عطفٌ:

على اسم الله؛ أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها.

أو على موضع الجار والمجرور -وهو ﴿بِهِۦ﴾ -؛ لأنَّ موضعه نصبٌ.

وقرئ بالخفض: عطفًا على الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، وهو ضعيف عند البصريين؛ لأن الضمير المخفوض لا يُعطَف عليه إلَّا بإعادة الخافض.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ إذا تحقَّق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريفٌ، أصله: علمٌ، وحال، ثم يُثمِر حالَين.

أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطَّلِعٌ عليه، ناظرٌ إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كلَّ ما يخطُر على باله.

وأما الحال: فهو ملازَمة هذا العلم للقلب، بحيث يَغلِب عليه ولا يَغفُل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال.

---

(١) انظر صفحة ١/ ٢٦٥.

فإذا حصل العلم والحال:

كانت ثمرتُهما عند أصحاب اليمين: الحياءَ من الله، وهو يوجب بالضَّرورة تركَ المعاصي، والجِدَّ في الطاعات.

وكانت ثمرتُهما عند المقرَّبين: المشاهدةَ التي توجِب التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

فقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» إشارةٌ إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم؛ كمن يشاهد مَلِكًا عظيمًا، فإنه يعظِّمه إذ ذاك بالضرورة.

وقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» إشارةٌ إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقرَّبين، فاعلمْ أنه يراك؛ فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسَّر الإحسان أوَّل مرَّةٍ بالمقام الأعلى؛ رأى أن كثيرًا من الناس قد يَعجِزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعلمْ أن المراقبة لا تستقيم حتى يتقدَّمَ(٢) قبلها: المشارطة، والمرابطة، ويتأخَّرَ عنها: المحاسبة، والمعاقبة.

فأما المشارطة: فهي اشتراطُ العبد على نفسه التزامَ الطاعة وترك المعاصي.

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة ١/ ١٥٥.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «تتقدم».

وأما المرابطة: فهي معاهدة العبد لربِّه على ذلك.

ثم بعد المشارطة والمرابطة في أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره.

وبعد ذلك[١] يحاسب العبدُ نفسَه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهَد عليه اللهَ: حمِد الله.

وإن وجد نفسه قد حلَّ عُقْدةَ[٢] المشارطة، ونقض عهد المرابطة: عاقب النفس عقابًا يزجرُها[٣] عن العودة إلى مثل ذلك.

ثم عاد إلى المشارطة، والمرابطة، وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون إلى أن يلقى الله تعالى.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ خطابٌ للأوصياء.

وقيل: للعرب الذين لا يورِّثون الصغير مع الكبير؛ فأُمِروا أن يورِّثوهم.

وعلى القول بأنَّ الخطاب للأوصياء:

فالمراد: أن يؤتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبَسون في حال صِغَرهم؛ فيكون اليتيم على هذا حقيقةً.

وقيل: المراد: دفع أموالهم إذا بلَغوا؛ فيكون اليتيم على هذا مجازًا؛ لأن اليتيم قد كَبِرَ.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدِّل الشاةَ السمينة من مال اليتيم

---

(١) في د زيادة: «تكون المحاسبة».

(٢) في ب، ج، هـ: «عقد».

(٣) في ب: «بأن يزجرها».

بالمهزولة من ماله، والدرهمَ الطيِّب بالزائف؛ فنُهوا عن ذلك.

وقيل: المعنى: لا تأكلوا مالهم[١] - وهو الخبيث -، وتدعوا مالكم[٢] -وهو الطيب-.

﴿إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ المعنى: نهيٌ أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعةً إلى أموالهم.

وقيل: نهيٌ عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أُبيح ذلك بقوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وإنما تعدَّى الفعل بـ«إلى»؛ لأنه تضمَّن معنى الجمع والضم.

وقيل: «إلى» بمعنى «مع».

﴿حُوبٗا﴾ أي: ذنبًا.

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ﴾ الآيةَ؛ قالت عائشة: نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمالُ وليَّاتهم، فيريدون أن يتزوجوهنَّ ويَبخسوهنَّ في الصَّداق؛ لمكان ولايتهم عليهنَّ، فقيل لهم: أَقسِطوا في مهورهن، فمن خاف أن لا يُقسِط فليتزوَّجْ ما طاب له من الأجنبيات اللاتي يوفِّيهن حقوقَهنَّ.

وقال ابن عباس: إن العرب كانت تتحرَّج في أموال اليتامى، ولا تتحرَّج في العدل بين النساء، فنزلت الآية في ذلك؛ أي: كما تخافون أن لا تقسطوا

---

(١) في ب، ج، هـ، د: «أموالهم».

(٢) في د: «أموالكم».

في اليتامى فكذلك خافوا في النساء.

وقيل: إن الرجل منهم كان يتزوج العشرَ وأكثر، فإذا ضاق مالُه أخَذ مال يتيمه، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقتصروا في النساء.

﴿مَا طَابَ﴾ أي: ما حلَّ.

وإنما قال «ما» ولم يقل «مَن»:

لأنه أراد الجنس.

وقال الزمخشري: لأن الإناث من العقلاء يُجرَى مُجْرَى غيرِ العقلاء؛ ومنه قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[1].

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ لا تنصرف؛ للعدل والوصف.

وهي: حالٌ من ﴿مَا طَابَ﴾.

وقال ابن عطية: بدلٌ[2].

وهي معدولةٌ عن أعدادٍ مكرَّرة، ومعنى التكرار فيها: أن الخطاب لجماعةٍ؛ فيجوز لكل واحد منهم أن يَنكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكرَّرت الأعداد بتكرار[3] الناس.

والمعنى: انكحوا اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا، وفي ذلك منْعٌ لما كان في الجاهلية مِن تزوُّج ما زاد على الأربع.

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٢٣).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٦).

(٣) في ج، هـ: «بتعدُّد».

وقال قوم لا يُعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجتمعُ منه تسعةٌ، وهذا خطأ؛ لأن المراد التَّخييرُ بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال: «تسع»، ولم يَعدل عن ذلك إلى ما هو أطولُ منه وأقلُّ بيانًا، وأيضًا قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة.

﴿فَوَٰحِدَةً﴾ أي: إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنتين[١] أو الثلاث أو الأربع فاقتصروا على واحدة، أو على ما ملكت أيمانكم من قليلٍ أو كثير؛ رغبةً في العدل.

وانتصاب[٢] ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ بفعل مضمر؛ تقديره: فانكحوا واحدةً.

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى: أن ذلك أقربَ إلى أن لا تعولوا.

ومعنى ﴿تَعُولُواْ﴾: تميلوا، وقيل: يَكثُرَ عيالُكم.

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ خطابٌ للأزواج.

وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صَداق وليَّته.

وقيل: هي[٣] نهيٌ عن الشِّغار.

﴿نِحۡلَةٗ﴾ أي: عطيَّةً منكم لهنَّ، أو عطيةً من الله.

---

(١) في أ، ب، هـ: «الاثنين».
(٢) في ب: «وانتَصب».
(٣) في ب، د، هـ: «هو».

وقيل: معنى ﴿نِحۡلَةٗ﴾ أي: شِرْعةً ودِيانةً(١).

وانتصابه:

على المصدر من معنى: آتوهن.

أو على الحال من ضمير المخاطَبين.

﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ﴾ الآيةَ؛ إباحة للأزواج أو الأولياء -على ما تقدَّم من الخلاف- أن يأخذوا ما دفعه النساءُ مِن صَدُقاتهنَّ عن طيب أنفسهن.

والضمير في ﴿مِّنۡهُ﴾ يعود:

على الصَّداق.

أو على الإيتاء.

﴿هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ عبارةٌ عن التَّحليل، ومبالغةٌ في الإباحة.

وهما صفتان؛ من قولك: «هَنُؤَ الطعام ومَرُؤَ»: إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه.

وهما: وصفٌ للمصدر؛ أي: أكلًا هنيئًا.

أو حال من ضمير الفاعل(٢).

---

(١) في ب: «ودينًا».

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، ولعل صوابه: «حال من ضمير المفعول»، أي: حالَ كونِ المأكول هنيئًا مريئًا، كما تومئ إليه عبارة الزمخشري في كشافه حيث قال (٤/ ٤٣٥): «وهما وصفٌ للمصدر، أي: أكلًا هنيئًا مريئًا، أو حالٌ من الضمير؛ أي: كلوه وهو [أي: المأكول] هنيءٌ مريءٌ»، وقال أبو حيان (٦/ ٤٢٧) «وانتصاب (هنيئًا).. على أنه حال من ضمير المفعول، هكذا أعربه الزمخشري وغيره» والله أعلم.

وقيل: يوقف على ﴿فَكُلُوهُ﴾، ويبتدأ: ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ على الدعاء.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامرأته؛ أي: لا تؤتوهم أموالكم للتَّبذير.

وقيل: السفهاء: المحجورون، و﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي: أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطَبين؛ لأنهم ناظرون عليها وهي تحت ولايتهم.

﴿قِيَٰمًا﴾ جمع قِيمَة.

وقيل: بمعنى «قيامٍ» بالألف؛ أي: تقومُ بها معايشُكم(١).

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجلَ نفقتُه مِن زوجته وأولاده.

وقيل: في المحجورين؛ يُرزقون ويُكسَون من أموالهم.

﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: ادعوا لهم بخير، أو عِدُوهم وعدًا جميلًا؛ أي: إن رشَدتُّم دفَعنا لكم أموالكم.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أي: اختبروا رشدَهم.

﴿بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ بلغوا مَبلَغ الرجال.

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ الرُّشد: هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدِّين.

واشترط قومٌ الدين.

---

(١) في أ، ب: «معاشكم»، وفي هـ: «على معايشهم»، وفي ج: «على معايشكم».

واعتبر **مالك**: البلوغَ والرشد؛ وحينئذٍ يدفع المال[١].

واعتبر **أبو حنيفة**: البلوغ وحده؛ ما لم يَظهرْ سفَهٌ.

وقوله مخالف للقرآن.

﴿وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾ معناه: مبادرةً لكِبَرِهم؛ أي: إن الوصيَّ يَستغنم أكْلَ مال اليتيم قبل أن يَكبَر.

وموضع ﴿أَن يَكۡبَرُواْ﴾ نصبٌ:

على المفعولية بـ ﴿وَبِدَارًا﴾.

أو على المفعول من أجله؛ تقديره: مخافةَ أن يَكبَروا.

﴿فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾ أمر الوصيَّ[٢] الغنيَّ أن يَستعفف عن مال اليتيم[٣]، ولا يأكلَ منه شيئًا.

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ قال **عمر بن الخطاب**: المعنى: أن يَستسلِفَ الوصيُّ الفقيرُ من مال المحجور[٤]، فإذا أيسَر ردَّه.

وقيل: المراد: أن يكون له أُجرةٌ بقدْرِ عمله وخدمته.

ومعنى: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ من غير إسراف.

وقيل: نسَخها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾.

---

(١) في هامش ب زيادة: «إليه».

(٢) في ب: «أمرٌ للوصيّ».

(٣) في د: «المحجور».

(٤) في د: «اليتيم».

﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ﴾ أمر بالتحرُّز والحزم؛ فهو ندبٌ، وقيل: فرض.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن بعض العرب كانوا لا يوَرِّثون النساء، فنزلت الآية؛ ليرثَ الرجالُ والنساءُ[١].

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ منصوبٌ انتصابَ المصدر المؤكِّد؛ كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾.

وقال الزمخشري: منصوب على التَّخصيص؛ بمعنى: أعني نصيبًا[٢].

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للوارثين؛ أُمِروا أن يتصدَّقوا من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى والمساكين.

فقيل: إن ذلك على الوجوب.

وقيل: على الندب؛ وهو الصحيح.

وقيل: نُسِخ بآية المواريث.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ﴾ الآيةَ؛ معناها: الأمرُ لأولياء اليتامى أن يُحسِنوا إليهم في نظر أموالهم، فيخافوا اللهَ على أيتامهم كخوفهم على ذُرِّيتهم لو تركوهم ضِعافًا، ويُقَدِّروا ذلك في أنفسهم؛ حتى لا يفعلوا خلاف الشَّفقة والرَّحمة.

وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدَّقَ بماله حتى يُجحِفَ بورثته، فأُمِروا أن يخشوا على الورثة كما يخشون على أولادهم.

وحُذِف مفعولُ ﴿وَلْيَخْشَ﴾.

---

(١) في د: «بميراث الرجالِ والنساء».
(٢) الكشاف (٤/ ٤٤٦).

و﴿خَافُواْ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ على القول الأول: ملاطفةُ الوصيِّ لليتيم بالكلام الحسن.

وعلى القول الثاني: أن يقول للموروث: «لا تُسرِف في وصيتك وارفُق بورثتك».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قيل: نزلت في الذين لا يُوَرِّثون الإناث.

وقيل: في الأوصياء.

ولفظها[1] عامٌّ في كل من أكل مال يتيمٍ بغير حق.

﴿يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي: إنَّ أكْلَهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار.

وقيل: بل يأكلون النار في جهنم.

---

(١) في ج، هـ: «وقولها».

[﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب بنات[1] سعد بن الرَّبيع.

وقيل: بسبب جابر بن عبد الله؛ إذ عاده[2] رسول الله ﷺ في مرضه.

ورَفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال.

---

(١) في ب: «بنت»، ولم ترد في ج، هـ.

(٢) في ب: «دعاه».

وقيل: نَسخت: ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ بلفظ الفعل الدَّائم، ولم يقل: «أوصاكم»؛ تنبيهًا على نسْخ ما مضى والشروعِ في حكم آخر.

وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ بالاسم الظاهر، ولم يقل: «نوصيكم»؛ لأنه أراد تعظيمَ الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء.

وإنما قال: ﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ ولم يقل: «في أبنائكم»؛ لأن الابن يقع على الابن من الرَّضاعة، وعلى ابن البنت، وعلى الابن المتبنَّى[1]، وليسوا من الورثة.

﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ هذا بيانٌ للوصية المذكورة.

فإن قيل: هلا قال: «للأنثيين مثل حظ الذكر»، أو «للأنثى نصف حظ الذكر»؟.

فالجواب: أنه بدأ بالذَّكَر لفضله، ولأن القصد ذِكْرُ حظِّه، ولو قال: «للأنثيين مثل حظ الذكر» لكان فيه تفضيلٌ للإناث[2].

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾ إنما أنَّث ضمير الجماعة في ﴿كُنَّ﴾؛ لأنه قصَد الإناث وأصله أن يعود على الأولاد؛ لأنه يشمل الذكور والإناث.

وقيل: يعود على المتروكات.

---

(١) في د: «وعلى ابن التبنِّي».
(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٤٥٥).

وأجاز الزمخشري أن تكون «كان» تامَّةً، والضمير مبهم، و﴿نِسَآءً﴾ تفسير[١].

﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره: أكثر من اثنتين، ولذلك أُجمِع على أن للثلاث فما فوقَهن الثلثَين[٢].

وأما البنتان: فاختلف فيهما:

فقال ابن عباس: لهما النصف، كالبنت الواحدة.

وقال الجمهور: لهما الثلثان، وتأولوا ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾:

أن المراد: اثنتان فما فوقَهما.

وقال قومٌ: إن ﴿فَوْقَ﴾ زائدةٌ؛ كقوله: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] وهذا ضعيف.

وقال قوم: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن.

وقيل: بالقياس على الأُختين.

﴿وَإِن كَانَتْ واحِدَةٌ﴾ بالرفع: فاعل، و«كان» تامة.

وبالنصب: خبر «كان».

وقوله تعالى: ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ نصٌّ على أن للبنت النصفَ إذا انفردت، ودليلٌ على أن للابن جميعَ المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثلَ حظ الأنثيين.

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٥٧).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «الثلثان».

﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ الولد: يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين والجماعة، سواءٌ كان للصُّلب، أو ولدَ ابنٍ، وكلُّهم يَرُدُّ الأبوين إلى السدس.

﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأمّ الثلث إلَّا بشرطين:

أحدهما: عدم الولد.

والآخر: إحاطة الأبوين بالميراث؛ ولذلك دخلت الواو؛ لتَعطِفَ أحد الشرطين على الآخر.

وسكت عن حظِّ الأب؛ استغناءً بفهمه؛ لأنه لا يبقى بعد الثلث إلَّا الثلثان، ولا وارث إلَّا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأبَ(١) يأخذ بقيَّة المال؛ وهو الثلثان.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ أجمع العلماء على أن ثلاثةً من الإخوة يَرُدُّون الأمَّ إلى السدس.

واختلفوا في الاثنين:

فمذهب الجمهور: أنهما يَرُدَّانها إلى السدس.

ومذهب ابن عباس: أنهما لا يردَّانها إليه، بل هما كالأخ الواحد.

وحجَّته: أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمعٌ لا تثنيةٌ، وأقلُّ الجمع ثلاثة.

وقال غيره: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين؛ كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

---

(١) في د: «الوالد».

﴿شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، و﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]، و﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]، واحتجُوا بقوله ﷺ: «**الاثنان فما فوقهما جماعة**»[1]، وقال مالك: مضت السُّنة أن الإخوةَ اثنان فصاعدًا، ومذهبه: أن أقل الجمع اثنان.

فعلى هذا: يَحجُبُ الأخوان فصاعدًا الأمَّ عن الثلث إلى السدس، سواءٌ كانا شقيقين أو لأب أو لأم، أو مختلفين، وسواءٌ كانا ذكرين أو أُنثيين أو ذكرًا وأنثى.

فإن كان معهما أبٌ: ورث بقيةَ المال، ولم يكن للإخوة شيءٌ عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون.

وقال قومٌ: يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأمَّ.

وإن لم يكن أبٌ ورثوا.

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ يتعلَّق بالاستقرار المضمر في قوله: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ أي: استقرَّ لهنَّ الثلثان من بعد وصية.

ويَمتنع أن يتعلَّق بـ ﴿تَرَكَ﴾.

وفاعل ﴿يُوصِى﴾: الميت.

وإنما قُدِّمت الوصية على الدَّين، والدَّين مقدَّمٌ عليها في الشريعة؛ اهتمامًا

---

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٤).

بها، وتأكيدًا للأمر بها[١]، ولئلا يُتهاون بها.

وأُخِّر الدَّين؛ لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه.

وتُخرَج الوصية من الثلث، والدَّين من رأس المال بعد الكفن.

وإنما ذَكَر الوصية والدَّين نكرتين؛ ليدلَّ على أنهما قد يكونان، وقد لا يكونان؛ فدلَّ ذلك على سقوط وجوب الوصية.

﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ قيل: بالإنفاق إذا احتيج إليه.

وقيل: بالشَّفاعة في الآخرة.

ويَحتمل أن يريد: نفعًا بالميراث من ماله، وهو أَلْيَقُ بسياق الكلام.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للرجال، وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تَنفرد به إن كانت واحدةً، ويُقسَم بينهنَّ إن كنَّ أكثر مِن واحدة، ولا يُنقَص من ميراث الزوج والزوجة وسائر أهل السهام إلَّا ما نَقَصه العَوْلُ على مذهب جمهور العلماء، خلافًا لابن عباس؛ فإنه لا يقول بالعول.

فإن قيل: لم كرَّر قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكرْه قبل ذلك إلَّا مرَّةً واحدة في ميراث الأولاد والأبوين؟

فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، فكل واحدة قضيةٌ على انفرادها؛ فلذلك ذكر

---

(١) في د: «لأمرها».

ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأُولى؛ فإن الموروث فيها واحدٌ، ذَكَر حكمَ ما يرث منه أولادُه وأبواه؛ وهي قضيةٌ واحدة؛ فلذلك قال فيها: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ﴾ مرَّةً واحدة.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ الكلالة: هي انقطاع عمودَي النسب؛ وهي خُلُوُّ الميت عن ولَدٍ و[1] والد.

ويَحتمل أن تطلق هنا على: الميت الموروث، أو على الوَرَثة، أو على الوِرَاثة، أو على القرابة، أو على المال.

[١] فإن كانت للميت فإعرابها:

١- خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة[2].

٢- (أو ﴿يُورَثُ﴾ خبر كان، و﴿كَلَٰلَةً﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

٣- أو تكون ﴿كَانَ﴾ تامَّة، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة)[3] و﴿كَلَٰلَةً﴾ حال من الضمير.

[٢] وإن كانت للوَرَثة فهي:

١- خبر ﴿كَانَ﴾؛ على حذف مضافٍ تقديره: «ذا كلالةٍ».

٢- أو حالٌ؛ على حذف مضاف أيضًا.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «أو».

(٢) في ب زيادة: «و(كلالةً) حالٌ من الضمير».

(٣) ما بين القوسين سقط من ج، هـ.

[٣] **وإن كانت للوِراثة فهي:** مصدرٌ في موضع الحال.

[٤] **وإن كانت للقَرابة فهي:** مفعولٌ من أجله، (تقديره: «يورث[١] من أجل القربى»)[٢].

[٥] **وإن كانت للمال فهي:** مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿يُورَثُ﴾.

وكل وجه من هذه الوجوه[٣] على أن تكون:

١- ﴿كَانَ﴾ تامةً، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة.

٢- وأن[٤] تكون ناقصةً، و﴿يُورَثُ﴾ خبرها.

﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ المراد هنا: الأخ للأم والأخت للأم بإجماعٍ.

وقرأ سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت لأمِّهِ»؛ وذلك تفسير للمعنى.

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ إذا كان الأخ للأم واحدًا فله السدس، وكذلك إن كانت الأخت للأم واحدةً.

﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ إذا كان الإخوة للأم اثنين فأكثر فلهم الثلث بالسَّواء بين الذكر والأنثى؛ لأن قولَه: ﴿شُرَكَآءُ﴾ يقتضي التسويةَ بينهم، ولا خلاف في ذلك.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من د.

(٢) سقط من ج، هـ.

(٣) في ب: «الأوجه».

(٤) في د: «أو».

﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ منصوبٌ على الحال، والعامل فيه: ﴿يُوصِي﴾، و﴿مُضَآرٍّ﴾ اسم فاعل.

قال ابن عباس: الضِّرار في الوصية من الكبائر.

ووجوه المضارَّةِ كثيرة؛ منها: الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث، أو بالثلث؛ فرارًا عن[1] وارثٍ محتاج.

فإن عُلم أنه قَصد بوصيَّته الإضرارَ رُدَّ ما زاد على الثلث اتفاقًا.

واختلف: هل يُرَدُّ الثلث؟ على قولين في المذهب، والمشهور: أنه يَنفُذُ.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾.

ويجوز أن يَنتصب بـ ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من المواريث وغيرها.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ؛ تعلَّق بها المعتزلة في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يُخلَّدون في النار.

وتأوَّلها الأشعرية: على أنها في الكفار.



(١) في أ، ب: «من».

[﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢﴾].

﴿يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ هي هنا: الزِّنا.

﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ أي: من المسلمات؛ لأن المسلمة تُحَدُّ حدَّ الزنا.

وأما الكافر والكافرة: فاختُلف هل يُحدُّ أو يعاقب؟

﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾ قيل: إنما جعل شهداء الزنا أربعةً؛ تغليظًا على المدَّعي، وسترًا على العباد.

وقيل: ليكون شاهدان على كلِّ واحدٍ من الزَّانيين.

﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ كانت عقوبةُ الزنا الإمساكَ في البيوت، ثم نُسِخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا؛ وهو السَّبُّ والتَّوبيخ.

وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال، فلا نسْخ بينهما. ورجَّحه ابن عطية[1] وابن الفرَس[2] بقوله - في الإمساك -: ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾، وفي الأذى: ﴿مِنكُمۡ﴾.

ثم نُسِخ الإمساك والأذى بالرَّجم للمُحصَن، وبالجلد لغير المحصن، واستقرَّ الأمر على ذلك.

فأما الجلد: فمذكور في سورة «النور».

وأما الرجم: فقد كان في القرآن، ثم نُسِخ لفظُه وبقي حكمُه، وقد رجَم رسول الله ﷺ ماعزًا الأسلميَّ[3] وغيره.

﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآ﴾ لما أمر بالأذى للزاني؛ أمر بالإعراض عنه إذا تاب، وهو ترك الأذى.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنما يقبل الله توبةَ مَن كان على هذه الصفة.

وإذا تاب العبد توبةً صحيحة بشروطها:

فيُقطَع بقَبول اللهِ لتوبته عند جمهور العلماء.

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٠).
(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٢/ ١٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (٥٢٧١)، ومسلم (١٦٩٥).

وقال أبو المعالي: يَغلب ذلك على الظنِّ، ولا يُقطَع به[(١)].

﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي: بسفاهة وقلَّة تحصيلٍ أدَّت إلى المعصية.

وليس المعنى: أنه يَجهل أن يكون ذلك الفعل معصيةً؛ قال أبو العالية: أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالةٍ، سواءٌ كانت عمدًا أو جهلًا[(٢)].

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت.

وقيل: قبل السِّياق، ومعاينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر»[(٣)].

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ الآيةَ[(٤)]؛ في الذين يُصِرُّون على الذنوب إلى حينٍ لا تقبل التوبة؛ وهو معاينة الموت.

فإن كانوا كفارًا فهم مخلَّدون في النار بإجماع.

وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم.

فقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ثابتٌ في حق الكفار، ومنسوخٌ في حق العصاة من المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فعذابهم مقيَّدٌ بالمشيئة.

---

(١) انظر: الإرشاد لأبي المعالي الجويني (ص: ٤٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٦/ ٥٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، (٦٤٠٨)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣).

(٤) في د زيادة: «نزلت».

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته؛ إن شاؤوا تزوَّجها أحدهم، وإن شاؤوا زوَّجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزوُّج[١]، فنزلت الآية في ذلك.

فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يُورَثْنَ عن الرجال كما يورث المال.

وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة؛ ليرثوا مالها من غير غِبطةٍ بها.

وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون وليَّاتهم[٢] من التزوُّج؛ ليرثوهن دون الزوج.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوفٌ على: ﴿أَن تَرِثُوا۟﴾، أو نهيٌ.

والعضل: المنع.

فقال ابن عباس: هي -أيضًا- في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوُّج بعد موته.

إلَّا أنَّ قوله: ﴿مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على هذا معناه: ما آتاها الرجل الذي مات.

وقال ابن عباس أيضًا: هي في الأزواج الذي يمسكون المرأة ويُسيئون عِشْرتَها؛ حتى تفتديَ بصَداقها.

---

(١) في د: «التزويج».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «وليَّاتهنَّ».

وهو ظاهر اللفظ في قوله: ﴿مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، ويقوِّيه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾؛ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج، وقد يكون في غيرهم.

وقيل: هي للأولياء.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ قيل: الفاحشة هنا: الزنا.

وقيل: نشوزُ المرأة وبغضُها في زوجها، فإذا نَشَزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صَداقٍ وغير ذلك من مالها.

وهذا جارٍ على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضَّرر من المرأة، والزنا أصعب على الزوج من النُّشوز؛ فيجوز له أخذ الفدية معه.

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن كرهتم النساء لوجهٍ فاصبروا عليه؛ فعسى أن يجعل الله الخيرَ في وجهٍ آخر.

وقيل: الخير الكثير: الولد.

والأحسن العموم؛ وهذا معنى قوله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن سخِط منها خلقًا رضِي منها[1] آخر»[2].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٖ﴾ الآيةَ؛ معناها: المنع مِن أن يأخذ الرجل من المرأة فديةً على الطلاق إذا أراد أن يُبدلها بأخرى، وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من (أن يأخذ الرجلُ)[3] الفديةَ إذا كان الضَّررُ

(١) لفظة: «منها» زيادة من د، وهي موافقة لما في الصحيح.
(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٩).
(٣) زيادة من هامش أ، ورمز لها بـ «خ».

وإرادةُ الفراقِ من الزوج.

وقال قوم: إنَّ هذه الآية منسوخةٌ بقوله في «البقرة»: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال قوم: هي ناسخةٌ.

والصحيح: أنها غير ناسخة ولا منسوخة؛ فإنَّ جواز الفدية على وجهٍ، ومنعها على وجهٍ؛ فلا تعارض ولا نسخ.

﴿قِنطَارًا﴾ مثالٌ على جهة[١] المبالغة في الكثرة.

وقد استدلَّتْ به المرأةُ على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب ﷺ عن ذلك؛ فقال عمر ﷺ: «امرأةٌ أصابت، ورجل أخطأ، كلُّ الناس أفقهُ منك يا عمر»[٢].

﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ كنايةٌ عن الجماع.

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ **قيل**: هو عُقدةُ[٣] النكاح.

وقيل: قوله: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقيل: الأمر بحسن العِشْرة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ كان بعض العرب يتزوَّج امرأة أبيه بعده؛ فنزلت الآية تحريمًا لذلك.

---

(١) في ج، د: «وجه».
(٢) أخرجه البيهقي (١٤/ ٤٧٩).
(٣) في ج: «عقد».

فكلُّ امرأةٍ تزوَّجها رجلٌ حَرُمت على أولاده ما سَفُلوا، سواءٌ دخل بها أو لم يَدخل؛ فالنكاح في الآية بمعنى العقد.

و﴿مَا نَكَحَ﴾ يعني: النساء، وإنما أطلق عليهن «ما» وإن كانت[1] ممن يعقلُ؛ لأنَّ المراد الجنس.

فإن زنى رجلٌ بامرأة فاختُلف هل يَحرم تزوُّجها على أولاده أم لا؟

فحرَّمه أبو حنيفة.

وأجازه الشافعي.

وفي المذهب قولان.

واحتج من حرَّمه: بهذه الآية، وحَمل النكاح فيها على الوطء.

وقال من أجازه: إنَّ الآية لم تتناولْه؛ إذ النكاح فيها بمعنى العقد.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ أي: إلَّا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك، وانقطع بالإسلام؛ فقد عُفي عنه فلا تؤاخَذون به، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ بعدَ قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ في المرَّة الأُخرى في الجمع بين الأختين.

قال ابن عباس: كانت العرب تحرِّم كل ما حرَّمت الشريعةُ، إلَّا امرأةَ الأبِ، والجمعَ بين الأختين.

وقيل: المعنى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ فدعوه.

---

(١) في د: «كنَّ».

وقال الزمخشريُّ: المعنى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فانكِحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن؛ فالمعنى: المبالغة في التحريم[(١)].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ «كان» في هذه الآية تقتضي الدَّوام؛ كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وشبه ذلك.

وقال المبرِّد: هي زائدة. وذلك خطأ؛ لوجود خبرها منصوبًا.

وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنا في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ دلالةً على أن هذا أقبحُ من الزنا.

* * *

(١) الكشاف (٤/ ٤٨٩).

[﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ الآيةَ؛ معناها: تحريم ما ذُكِر من النساء.

والنساءُ المحرَّمات على التأبيد ثلاثة أصناف: بالنَّسب، وبالرَّضاع، وبالمصاهرة.

فأما النَّسب فيَحرُم به سبعة أصناف؛ وهي المذكورة في هذه الآية.

وضابطها: أنه يَحرُم على الرجل فُصولُه ما سفُلت، وأصولُه ما علَت، وفصول أبويه ما سفلت، وأول فصلٍ من كل أصل متقدِّم على أبويه.

﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه: الوالدات، والجدَّات من الأم ومن الأب ما علَوْنَ.

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه: البنت، وبنت الابن، وبنت البنت ما سَفُلن.

﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه: الأخت الشقيقة، والأخت للأب، والأخت للأم.

﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه: أخت الوالد، وأخت الجد ما علا؛ سواءٌ كانت شقيقةً أو لأب أو لأم.

﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ يدخل فيه: أخت الأم، وأخت الجدَّة ما علت؛ سواءٌ كانت شقيقة أو لأب أو لأم.

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ يدخل فيه: كل من تناسل من الأخ الشقيق، وللأب، وللأم.

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ يدخل فيه: كل من تناسل من الأخت الشقيقة، وللأب، وللأم.

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ذكَر تعالى صنفين من الرضاعة وهما: الأم والأخت، وقال رسول الله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»(١).

فاقتضى ذلك: تحريمَ الأصناف السبعة التي تحرم من النسب، وهي: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧).

وتفصيل ذلك يطول.

وفي الرَّضاع مسائلُ لم نذكرْها؛ لأنها ليس لها تعلُّقٌ بألفاظ الآية.

﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ المحرَّمات بالمصاهرة أربع؛ وهنَّ: زوجة الأب، وزوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة.

فأما الثلاث الأُوَل: فتَحرُم بالعقد؛ دخل بها أو لم يدخل.

وأما بنت الزوجة: فلا تَحرم إلَّا بعد الدخول بأمها.

فإن وطئها حرمت عليه بنتها بإجماع.

وإن تلذَّذ بها بما دون الوطء: فحرَّمها مالك والجمهور.

وإن عقد عليها ولم يدخل بها: لم تَحرم بنتها إجماعًا.

وتحرم هذه الأربع بالرَّضاع كما تحرم بالنسب.

﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ الرَّبيبة: هي بنتُ امرأةِ الرجل من غيره، سُمِّيت بذلك؛ لأنه يُربِّيها، فلفظها: فَعِيلة بمعنى مفعولة.

وقوله: ﴿ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ على غالب الأمر؛ إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمِّها، وهي محرَّمة؛ سواءٌ كانت في حجره أم لا، هذا عند الجمهور من العلماء، إلَّا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره.

﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ اشتَرط الدخولَ في تحريم بنت الزوجة خاصة، ولم يَشترطه في غيرها، وعلى ذلك جمهور العلماء، إلَّا ما روي عن علي بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع، وقد

انعقد الإجماع بعده على خلاف ذلك.

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ الحلائل: جمع حَلِيلة؛ وهي الزوجة.

﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ تخصيصٌ؛ ليَخرج عنه زوجةُ الابن الذي يتبنَّاه الرجل وهو أجنبيٌّ عنه؛ كتزوُّجِ رسول الله ﷺ زينبَ بنت جحش، امرأةَ زيد بن حارثة الكلْبيِّ الذي كان يقال له: زيد بن محمد.

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين؛ سواءٌ كانتا شقيقتَين أو لأب أو لأم؛ وذلك في الزوجتين.

وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء:

فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ: ﴿ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾.

وأجازه الظاهرية؛ لأنهم قصَرُوا الآية على الجمع بالنكاح.

وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطءٍ فجائز باتِّفاق.

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ المعنى: إلَّا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام؛ فقد عُفي عنكم فلا تؤاخذون به، هذا أرجحُ الأقوال حسَبما تقدَّم في الموضع الأول.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ المراد هنا: ذوات الأزواج، وهو معطوف على المحرمات المذكورات قبله.

والمعنى: أنه لا يحِلُّ[1] نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل.

---

(١) في د: «لا يجوز».

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد: السَّبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل.

والمعنى: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج، ثم سُبِيتْ جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها.

وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا إلى أوطاسٍ، فأصابوا سبايا من العدوِّ لهنَّ[(١)] أزواج من المشركين، فتأثَّم المسلمون من غشيانهنَّ، فنزلت الآية مبيحةً لذلك.

ومذهب مالك: أن السبي يهدم النكاح؛ سواءٌ سُبي الزوجان الكافران معًا أو سُبي أحدهما قبل الآخر.

وقال ابن الموَّاز: لا يهدم السبيُ النكاحَ.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ منصوبٌ على المصدرية؛ أي: كتَب الله ذلك عليكم كتابًا، وهو تحريم ما حرَّم.

وهو عند الكوفيين: منصوب على الإغراء.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ معناه: أُحلَّ لكم تزوُّج مَن سوى ما حرَّم من النساء.

وعطف ﴿أُحِلَّ﴾ على الفعل المضمر الذي نصب ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، والفاعل هو الله؛ أي: كَتب الله عليكم تحريم مَن ذُكر، وأَحلَّ لكم ما وراء ذلكم.

---

(١) في ج، د: «ولهن».

﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ مفعولٌ من أجله، أو بدلٌ من: ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾.

وحُذِف مفعوله؛ وهو النساءُ.

﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ هنا: أعِفَّةً. ونصْبُه على الحال من الفاعل في ﴿تَبۡتَغُواْ﴾.

﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ أي: غير زُناةٍ. والسِّفاح: هو الزنا.

﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾ ابنُ عباس وغيره: معناها: إذا استمتعتم بالزوجة، ووقع الوطء، فقد وجب إعطاء الأجر؛ وهو الصَّداق كاملًا.

وقيل: إنها في نكاح المتعة؛ وهو النكاح إلى أجلٍ من غير ميراث، وكان جائزًا في أول الإسلام، فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حُرِّم عند جمهور العلماء؛ فالآية على هذا منسوخة:

بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة.

وقيل: نسَخها آية الفرائض؛ لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه.

وقيل: نسخها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ٥].

وروي عن ابن عباس جواز نكاح المتعة، وروي أنه رجع عنه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ﴾ مَن قال: إن الآية المتقدِّمة في مهور النساء؛ فمعنى هذه: جواز ما يتراضون به من حطّ من[1] الصداق، أو تأخيره بعد استقرار الفريضة.

---

(١) لم يرد هذا الحرف في ج، هـ، د.

ومن قال: إن الآية في نكاح المتعة؛ فمعنى هذه: جواز ما يتراضون به من زيادةٍ في مدة المتعة وزيادة في الأجر.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ معناها: إباحة تزوُّج الفتيات - وهنَّ الإماء - للرجل إذا لم يجد طَولًا للمحصنات.

والطَّوْل: هو السعة في المال.

والمحصنات هنا: يراد به[١] الحرائرُ غير المملوكات.

ومذهب مالك وأكثر أصحابه: أنه لا يجوز للحُرِّ نكاحُ أمَةٍ إلَّا بشرطين:

أحدهما: عدم الطَّول؛ وهو أن لا يجد ما يتزوج به حرةً[٢].

والآخر: خوف العنت؛ وهو الزِّنا؛ لقوله بعد هذا: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾.

وأجاز ابن القاسم نكاحَهن دون الشرطين؛ على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر.

واتَّفقوا على اشتراط الإسلام في الأَمَة التي تُتزوَّج[٣]؛ لقوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، إلَّا أهل العراق فلم يشترطوه.

---

(١) في د: «بهن».
(٢) في ب، ج، هـ: «بما يتزوج حرة».
(٣) في ج، هـ: «لا تتزوج».

وإعراب ﴿طَوْلًا﴾:

[١-] مفعولٌ بالاستطاعة، و﴿أَن يَنكِحَ﴾:

بدلٌ منه، فهو في موضع نصبٍ.

(أو في موضع نصبٍ)[١] بتقدير: «لِأن ينكحَ».

[٢-] ويَحتمل أن يكون ﴿طَوْلًا﴾ نُصِب على المصدر؛ والعامل فيه الاستطاعة لأنهما بمعنى يتقارب، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ على هذا مفعول:

بالاستطاعة.

أو بالمصدر.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ معناه: أنه يعلم بواطنَ الأمور ولكم ظواهرُها، فإذا كانت الأَمة ظاهرةَ الإيمان، فنكاحها صحيحٌ، وعِلْمُ باطنها إلى الله.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: إماؤكم منكم؛ وهذا تأنيسٌ بنكاح الإماء؛ لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: بإذن ساداتهنَّ المالكين لهنَّ.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: صَدُقاتهن.

وهذا يقتضي أنهنَّ أحقُّ بصَدُقاتهنَّ من ساداتهنَّ، وهو مذهب مالك.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشَّرع على ما تقتضيه السُّنة.

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في أ، ب، ج، د، ومثبت من هـ، وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٥٢٠).

﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أي: عفيفاتٍ غيرَ زانيات.

وهو منصوب على الحال؛ والعامل فيه: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾.

﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خِدْنٍ؛ وهو الخليل، وكان مِن نساء الجاهلية مَن تتخذ خِدنًا تزني معه خاصة، ومنهنَّ مَن كانت لا تردُّ يد لامسٍ.

﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ معنى ذلك: أن الأمة إذا زنت بعد أن أُحصِنت فعليها نصف حدِّ الحرة، فإن الحرة تُجلد في الزنا مئةَ جلدة، والأمة تجلد خمسين.

فـ ﴿إِذَآ أُحْصِنَّ﴾ يريد به هنا: تزوَّجْنَ، والفاحشة هنا: الزنا، و﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ هنا: الحرائر، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ هنا: الحدُّ[1].

فاقتضت الآية: حدَّ الأمة إذا زنت بعد أن تزوَّجت، ويؤخذ حدُّ غير المتزوِّجة من السنة؛ وهو مثل حدِّ المتزوِّجة.

وهذا على[2] قراءة ﴿أُحْصِنَّ﴾ بضم الهمزة وكسر الصاد.

وقرئ بفتحهما، ومعناه:

أَسْلَمن.

وقيل: تزوَّجن.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ الإشارةُ إلى تزوُّج الأمة؛ أي: إنما يجوز لمن خَشِي على نفسه الزنا، لا لمن يملك نفسَه.

---

(١) في د: «الجلد».

(٢) في ب، ج، هـ: «وعلى هذا».

﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المراد: الصبر عن نكاح الإماء، وهذا ندبٌ إلى تركه، وعِلَّته: ما يؤدي إليه من استرقاق الولد.

* * *

[﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ
ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا
﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا
كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا
ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ
عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ قال الزمخشري: «أصله: أن يبيِّنَ؛ فزيدت اللام مؤكِّدةً، كما زيدت في: لا أبا لك»(١).

وقال الكوفيون: اللام مصدرية؛ مثل: «أنْ».

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: يهديكم مناهجَ مَن كان قبلكم من الأنبياء والصالحين؛ لتقتدوا بهم.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كُرِّر توطئةً لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات، وهم هنا:

الزناة عند مجاهد.

---

(١) الكشاف (٤/ ٥١٣).

وقيل: المجوس؛ لنكاحهم ذواتِ المحارم.

وقيل: عامٌّ في كل متبعٍ شهوةً. وهو أرجح.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾ يقتضي سياقُ الكلام التخفيفَ الذي وقع في إباحة نكاح الإماء، وهو مع ذلك عامٌّ في كلِّ ما خفَّف الله عن عباده، وجَعْلِ دينِهم يُسرًا.

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ قيل: معناه لا يصبر عن النساء؛ وذلك مقتضى سياق الكلام.

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يدخل فيه: القمار، والغصب، والسرقة، وغير ذلك.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةٌ﴾ استثناءٌ منقطع، والمعنى: لكن إن كانت تجارةٌ فكلوها.

وفي إباحة التجارة دليلٌ على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعةً تساوي مئة، والمشهور إمضاء البيع.

وحُكي عن ابن وهب: أنه يُردُّ إذا كان الغبن أكثر من الثلث.

وموضع «أن» نصبٌ، و﴿تِجَٰرَةٌ﴾ بالرفع: فاعل ﴿تَكُونَ﴾؛ وهي تامة.

وقرئ بالنصب: خبر ﴿تَكُونَ﴾؛ وهي ناقصة.

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ أي: اتفاقٍ.

وبهذا استدلَّ المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرُّق.

وقال الشافعي: إنما يتمُّ بالتفرق بالأبدان؛ لقوله ﷺ: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا»(١).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسِّرون أن المعنى: لا يقتلْ بعضكم بعضًا(٢).

قلت: ولفظها يتناول قتْلَ الإنسانِ لنفسِه(٣)، وقد حملها عمرُو بن العاص على ذلك، ولم ينكرْه رسول الله ﷺ إذْ سمعه(٤).

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى:

القتل؛ لأنه أقرب مذكور.

وقيل: إليه، وإلى أكل المال بالباطل.

وقيل: إلى كل ما تقدَّم من المنهيات من أوَّل السورة.

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ اختلف الناس في الكبائر ما هي؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣١).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٠).

(٣) في ب، د: «نفسه».

(٤) أخرج أبو داود في سننه (٣٣٤) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن اغتسل فأهلِك، فتيمَّمت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «يا عمرُو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟!» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا.

فقال ابن عباس: الكبائر: كلُّ ذنب ختَمه الله بنارٍ أو لعنةٍ أو غضبٍ.

وقال ابن مسعود: الكبائر هي الذُّنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى هذه الآية.

وقال بعض العلماء: كل ما عُصِيَ الله به فهو كبيرةٌ.

وعدَّها بعضهم سبعَ عشرة.

وفي البخاري عن النبي ﷺ: «اتقوا السبع الموبقات: الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات»[١] فلا شكَّ أن هذه من الكبائر؛ للنص عليها في الحديث.

وزاد بعضهم عليها أشياءَ وردَ في الأحاديث[٢] النصُّ على أنها كبائر، أو ورد في القرآن أو في الحديث وعيدٌ عليها؛ فمنها: عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغَموس، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنُّهْبة، والقُنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنْع ابن السبيل الماء، والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرُّز من البول، والغُلول، واستطالة المرء في عِرْض أخيه، والجَور في الحكم.

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ وعْدٌ بغُفران الذنوب الصغائر إذا اجتُنبت الكبائر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) في ب، د: «الحديث».

﴿مَّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ اسم مكان؛ وهو هنا: الجنة.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ الآيةَ؛ سببها: أن النساء قلن: ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث، وشاركناهم في الغزو!، فنزلت نهيًا عن ذلك؛ لأن في تمنِّيهم ردًّا[١] على حكم الشريعة.

فيدخل في النهي: تمنِّي مخالفةِ الأحكام الشرعية كلِّها.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ الآيةَ؛ أي: من الأجر والحسنات.

وقيل: من الميراث؛ ويردُّه لفظ الاكتساب.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ الآيةَ؛ في معناها وجهان:

أحدهما: لكل شيءٍ من الأموال جعلنا مواليَ يرثونه؛ فـ ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: بيان لـ «كُلٍّ».

والآخر: لكلِّ أحدٍ جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون؛ فـ ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: يتعلَّق بفعل مضمر.

والموالي هنا: الوَرثة[٢] والعَصبة.

﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ **اختُلف هل هي منسوخة أو مُحْكَمة؟**

فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا: معناها:

الميراث بالحِلْف الذي كان في الجاهلية.

---

(١) في ب: «لأن تمنيَهم ردٌّ».

(٢) في ج، هـ: «الذرية»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٧).

وقيل: بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه.

ثم نسخها: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]؛ فصار الميراث للأقارب.

والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا:

فقال ابن عباس: هي في المؤازرة والنُّصرة بالحِلْف، لا في الميراث به.

وقال أبو حنيفة: هي في الميراث؛ وأن الرجلين إذا والَى أحدُهما الآخَرَ على أن يتوارثا صحَّ ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابةٌ.

* * *

[﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟
مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ
سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا
مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ
ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ
يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا
جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾].

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ قوّام: بناءُ مبالغة؛ من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه.

قال ابن عباس: الرجال أمراءُ على النساء.

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ الباء: للتعليل، و«ما» مصدرية.

والتفضيل: بالجهاد، والإمامة، ومِلك الطّلاق، وكمال العقل، وغير ذلك.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟﴾ هو: الصَّداقُ، والنفقةُ المستمرَّة على الزوجات.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: النساءُ الصالحات في دينهنَّ مطيعاتٌ لأزواجهن.

أو: مطيعاتٌ لله في حقِّ أزواجهن.

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: تحفظ كلَّ ما غاب عن علم زوجها، فيدخل في ذلك: صيانةُ نفسها، وحفظ ماله وبيته، وحفظ أسراره.

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي: بحفْظِ الله ورعايته.

أو: بأمره للنساء أن يُطِعْنَ الزوج ويحفظْنَه.

فـ«ما»: مصدرية، أو بمعنى «الذي».

﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ قيل: الخوف هنا بمعنى اليقين.

وقيل: هو على أصله.

﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ هذه أنواعٌ من تأديب المرأة إذا نشَزت على زوجها؛ وهي على مراتب:

فالوعظ في النُّشوز في الخفيف.

والهِجران فيما هو أشدُّ منه.

والضرب فيما هو أشد منه[1].

ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب لم يُتعدَّ إلى ما بعده.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في ب، هـ.

والِهجران هنا: هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها.

والضرب: غير مُبرِّح.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجَها فليس له أن يؤذيَها بهجران ولا ضرب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الشِّقاق: الشرُّ والعداوة.

وكان الأصل: «إن خفتم شقاقًا بينهما»، ثم أُضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتِّساع؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣]؛ وأصله: «مكرٌ بالليل والنهار».

﴿فَٱبْعَثُوا حَكَمًا﴾ الآيةَ؛ ذكر تعالى الحُكْمَ في نشوز المرأة، والحكمَ في طاعتها، ثم ذكر هنا حالةً أخرى؛ وهي: إذا ساء[1] ما بين الزوجين ولم يُقدَرْ على الإصلاح بينهما، ولا عُلِم مَن الظالم منهما، فيُبعَث حكَمان مسلمان؛ ليَنظرَا في أمرهما، ويُنفِّذَا[2] ما ظهر لهما من تطليق وخُلع من غير إذن الزوج.

وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جُعل[3] لهما.

وإن اختلفا لم يَلزم شيءٌ إلَّا باتِّفاقهما.

ومشهور مذهب مالك: أن الحاكم هو الذي يبعث الحكَمين.

---

(١) في ب: «وهي إساءة».

(٢) في ب، ج، هـ: «ويَنفُذ».

(٣) في ب: «أن يجعل».

وقيل: يبعثهما الزوجان.

وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأةً أمينة، ولا يبعثوا حكمين؛ قال بعض العلماء: هذا تغييرٌ لحكم القرآن والسُّنةِ الجارية.

﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ يجوز في المذهب أن يكون الحكَمان من غير أهل الزوجين والأكملُ أن يكونا من أهلهما؛ كما ذَكر الله.

﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ الضمير في ﴿يُرِيدَآ﴾: للحكَمين، وفي ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: للزوجين على الأظهر.

وقيل: الضميران للزوجين.

وقيل: للحكَمين.

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ ابنُ عباس: الجارُ ذو القربى: هو القريب النَّسب، والجار الجنب: هو الأجنبي.

وقيل: ذو القربى: القريب المسكن منك، والجنب: البعيد المسكن عنك.

وحد الجوار(١) عند بعضهم: أربعون دارًا من كل ناحية.

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ ابنُ عباس: الرفيق في السفر.

عليُّ بن أبي طالب: الزوجة.

---

(١) في د: «الجار».

﴿مُخْتَالًا﴾ اسم فاعل؛ وزنه مُفتعِل؛ من الخيلاء، وهي[١] الكبر وإعجاب المرء بنفسه.

﴿فَخُورًا﴾ شديدَ الفخر.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مُخْتَالًا﴾.

أو نَصْبٌ على الذم.

أو رفْعٌ بخبر ابتداء مضمر.

أو مبتدأ وخبره محذوف؛ تقديره: «يُعذَّبون».

والآية في اليهود؛ نزلت في قوم منهم: كَرْدَمٌ، وحُيي بن أَخطبَ، ورِفاعة بن زيد بن التَّابُوت، كانوا يقولون للأنصار: لا تُنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات.

وهي -مع ذلك- عامةٌ فيمن فعل هذه الأفعالَ من المسلمين.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾.

وقيل: على: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياءً[٢] ومُصانعة.

وقيل: في اليهود.

---

(١) في د: «وهو».

(٢) في د: «رياءَ الناس».

وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم[١] في حرب المسلمين.

﴿قَرِينًا﴾ أي: مُلازِمًا له يُغوِيه.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا﴾ الآيةَ؛ استدعاءٌ لهم بملاطفة.

أو: توبيخٌ على ترك الإيمان والإنفاق؛ كأنه يقول: أيُّ مضرَّةٍ عليهم في ذلك.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزنَها؛ وهي النملة الصغيرة، وذلك تمثيلٌ بالقليل تنبيهًا على الكثير.

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ﴾ بالرفع: فاعل، و﴿تَكُ﴾ تامةٌ.

وبالنصب: خبرٌ؛ على أنها ناقصة، واسمها مضمر فيها.

﴿يُضَاعِفْهَا﴾ أي: يكثِّرْها[٢]؛ واحدة بعشرٍ[٣]، إلى سبع مئة وأكثر.

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده؛ تفضُّلًا وزيادةً على ثواب العمل.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا!.

﴿بِشَهِيدٍ﴾ هو نبيُّهم؛ يشهد عليهم بأعمالهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي: تشهد على قومك.

ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله ﷺ ذرفت عيناه[٤].

---

(١) في أ: «مالهم» وفي الهامش: «خ: أموالهم».
(٢) في أ: «يكررها» وفي الهامش: «خ: يكثرها».
(٣) في د: «بعشر أمثالها».
(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨٣)، ومسلم (٨٠٠).

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تَسَوَّى بهم كما تَسَوَّى بالموتى.

وقيل: يتمنون أن يكونوا سواءً مع الأرض؛ كقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ استئنافٌ، إخبارٌ أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئًا.

فإن قيل: كيف هذا مع قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم؛ لأنهم إذا كتموا تَنطق جوارحُهم، فكأنهم لم يكتُموا.

والآخر: أنهم طوائفُ مختلفة، ولهم أوقاتٌ مختلفة.

وقيل: إن قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ عطفٌ على ﴿تَسَوَّىٰ﴾؛ أي: يتمنون أن لا يكتموا؛ لأنهم إذا كتموا افتُضِحوا.

* * *

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ
وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ
مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ
بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ
ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا
وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنًا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا
وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا
﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ
وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ
إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ
فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾].

﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ سببها: أن جماعةً من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة، وأمَّهم أحدُهم فخلط في القراءة.

فمعناها: النهيُ عن الصلاة في حال[1] السُّكر.

قال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم؛ لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، إنما هي نهيٌ عن الصلاة في حال السكر، وذلك

---

(١) في هامش أ: «حين».

الحكم ثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها.

وقال بعضهم: معناها: لا يكن منكم سكرٌ يمنع قرب الصلاة؛ إذ المرءُ مأمورٌ بالصلاة، فكأنها تقتضي النهيَ عن السُّكر، وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيدٌ من مقتضى اللفظ.

﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ أي: حتى تعودَ إليكم عقولُكم فتعلمون ما تقرؤون.

ويَظهر من هذا: أن السَّكران (لا يعلمُ ما يقول؛ فأَخذ بعض الناس من ذلك: أن السكرانَ)[1] لا يَلزمه طلاقُه ولا إقرارُه.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ عطفَ ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ على موضع: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾؛ إذ هو في موضع الحال.

والجنب هنا: غير الطَّاهر؛ بإنزالٍ أو إيلاج، وهو واقعٌ على جماعة؛ بدليل استثناء الجمع منه.

واختُلف في عابري السبيل:

فقيل: إنه المسافر؛ ومعنى الآيةَ على هذا: نهيٌ أن يقرب الصلاة وهو جنب إلَّا في السفر، فيصلي بالتيمم دون اغتسال.

فمقتضى الآية: إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضَر من الحديث.

---

(١) ما بين القوسين سقط من ب، ج، هـ.

وقيل: عابرُ السبيل: المارُّ في المسجد، والصلاة هنا يراد بها: المسجد؛ لأنه موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا: النهيُ أن يَقرب الجنبُ المسجد إلَّا خاطِرًا عليه.

وعلى هذا أَخذ[1] الشافعي الآية؛ لأنه يُجِيز للجنب أن يمرَّ في المسجد، ولا يجيز له أن يقعد فيه.

ومنع مالك المرور والقعود.

وأجازهما داود.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآيةَ؛ سببها: عَدَمُ الصحابةِ للماء في غزوة المُرَيسِيع، فأبيح لهم التيمُّم في عَدم الماء.

ثم إنَّ عدمَ الماء على ثلاثة أوجه:

أحدها: عدمه في السفر.

والثاني: عدمه في المرض.

فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع؛ لأن الآية نصٌّ في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما؛ لقوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾.

الوجه الثالث: عدم الماء في الحضَر دون مرضٍ؛ فاختلف الفقهاء فيه:

فمذهب أبي حنيفة: أنه لا يجوز فيه التيمم؛ لأن ظاهر الآية أنَّ عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر.

---

(١) في د: «حمل».

ومذهب مالك والشافعي: أنه يجوز فيه التيمم.

فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة.

وإن قلنا: إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها[١].

وهذا هو الأرجح إن شاء الله؛ وذلك أنه ذَكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الأحداث دون مرضٍ ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كلِّه: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾، فيرجع قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾ إلى المرض وإلى السفر وإلى مَن أَحدث في غير مرض ولا سفر؛ فيجوز التيمم على هذا لمَن عَدِمَ الماءَ في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجةٌ لمالك والشافعي.

ويجوز التيمم أيضًا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء، ولم يَقدِر على استعماله؛ لضررٍ بدنه.

فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة.

وإن قلنا: إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها[٢]؛ على أن يُتأَوَّلَ قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ أن معناه: مرضى لا تقدرون على مسِّ الماء.

وحدُّ المرض الذي يجوز فيه التيمم:

عند مالك: هو أن يَخاف الموتَ، أو زيادةَ المرض، أو تأخُّرَ البُرْءِ.

وعند الشافعي: خوفُ الموت لا غيرُ.

وحدُّ السفر: الغيبة عن الحضَر، سواءٌ كان مما تُقصَر فيه الصلاة أم لا.

---

(١) في د: «منهما».

(٢) في د: «منهما».

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ في «أو» هنا تأويلان:

أحدهما: أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها.

والآخر: أنها بمعنى الواو.

فعلى القول بأنها على بابها: يكون قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾ راجعًا إلى المريض والمسافر، وإلى مَن جاء مِن الغائط، وإلى مَن لامس، سواءٌ كانا مريضين أو مسافرين أم لا؛ حسَبما ذكرنا قبل هذا.

فيقتضي ذلك: جوازَ التيمم للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماءَ، وهو مذهب مالك والشافعي فيكون في الآية حجةٌ لهما.

وعلى القول بأنها بمعنى الواو: يكون قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾ راجعًا إلى المريض والمسافر.

فيقتضي ذلك: أنه لا يجوز التيمم إلَّا في المرض والسفر مع عدَم الماءِ، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدِم الماءَ، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخَر.

والراجح: أن تكون «أو» على بابها؛ لوجهين:

أحدهما: أنَّ جعْلها بمعنى الواو إخراجٌ لها عن أصلها، وذلك ضعيف.

والآخر: أنه[١] إذا كانت على بابها: كان فيها إفادة[٢] إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدِم الماءَ على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى

---

(١) في د: «أنها».

(٢) في ج، د: «فائدة».

الواو لم تُعْطِ[١] هذه الفائدة.

وحجَّةُ مَن جعَلها بمعنى الواو: أنه لو جعَلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدَثٌ يوجِب الوضوء كالغائط؛ لعطفه عليهما.

وهذا لا يَلزم؛ لأن العطف بـ «أو» هنا للتنويع والتفصيل، ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماءً إن كنتم مرضى أو على سفر، أو أحدثتم في غير مرض ولا سفر.

﴿ٱلْغَآبِطِ﴾ أصله: المكان المنخفض، وهو هنا: كنايةٌ عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العَذِرة، والرِّيح، والبول؛ لأن مَن ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاثة.

وقيل: إنما هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السُّنة، وكذلك الوَدْيُ والمذْيُ.

﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ اختُلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الجماع وما دونه؛ من التقبيل واللمس باليد وغيرها. وهو قول مالك.

فعلى هذا: ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دونَ الجماع على تفصيلٍ في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدِم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم.

والقول الثاني: أنها ما دون الجماع.

فعلى هذا: ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال

---

(١) في هامش أ: «خ: تُفِدْ».

بذلك عمر بن الخطاب، ويؤخذ جوازه عند من أجازه من الحديث.

والثالث: أنها الجماع لا غيرُ.

فعلى هذا: يجوز التيمم للجنب، ولا يكون ما دونَ الجماع ناقضًا للوضوء. وهو مذهب أبي حنيفة.

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء[١]، وهو مذهب مالك، خلافًا لأبي حنيفة.

فإن وجده بثمنٍ فاختلف: هل يجوز له التيمم أم لا؟

وإن وُهِب له فاختلف: هل يلزمه قَبوله أم لا؟

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ التيمم في اللغة: القصد.

وفي الفقه: الطَّهارة بالتراب، وهو منقولٌ من المعنى اللُّغوي.

﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصَّعيد عند مالك: هو وجه الأرض، كان ترابًا أو رملًا أو حجارة، فأجاز التيمم بذلك كلِّه.

وهو عند الشافعي: الترابُ لا غيرُ.

والطيِّب هنا: الطاهر.

واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، وبالملح، وبالتراب المنقول كالمجعول في طبق، وبالآجُرِّ، وبالجِصِّ المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كلُّه على الاختلاف في معنى الصعيد.

---

(١) في ب، ج، هـ: «الطلب».

﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾ لا يكون التيمم إلَّا في هذين العضوين، ويُقدِّم الوجهَ على اليدين؛ لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك، ويَستوعب الوجهَ بالمسح.

وأما اليدان فاختُلف هل يَمسحهما إلى الكوعين، أو إلى المرفقين؟

ولفظ الآيةَ مُحتمِلٌ؛ لأنه لم يُحدَّ.

وقد احتجَّ من قال: إلى المرفقين بأن هذا مطلق، فيُحمل على المقيَّد، وهو تحديدهما في الوضوء بالمرفقين.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هم اليهود هنا، وفي الموضع الثاني.

قال السهيلي في الموضع الأول: نزل في رِفاعةَ بن زيد بن التَّابوت، وفي الثاني: نزل في كعب بن الأشرف(١).

﴿يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ عبارةٌ عن إيثارهم الكفرَ على الإيمان، فالشِّراء مجازٌ؛ كقوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦].

وفي تَكرار قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ مبالغةٌ.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ «مِن»:

راجعةٌ إلى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا﴾، أو إلى: ﴿بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾؛ فهي بيانٌ.

وقال الفارسيُّ(٢): هي ابتداء كلام؛ تقديره: «من الذين هادوا قومٌ».

---

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨١.

(٢) هو أبو علي الفارسي النحوي، تقدمت ترجمته في ١/ ٩٠.

وقيل: هي متعلِّقةٌ بـ ﴿نَصِيرًا﴾؛ وهو ضعيف.

ويوقَف على ﴿نَصِيرًا﴾ على قول الفارسي.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يَحتمل: تحريفَ اللفظ، أو المعنى.

و﴿ٱلْكَلِمَ﴾ هنا: التوراة، وقيل: كلام النبي ﷺ.

﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه: لا سَمِعتَ.

﴿وَرَٰعِنَا﴾ ذُكِر في «البقرة»[1].

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوضٌ من قولهم: «سمعنا وعصينا».

﴿وَٱسْمَعْ﴾ عوضٌ من قولهم: «اسمع غير مسمع».

﴿وَٱنظُرْنَا﴾ عوضٌ من قولهم: «راعنا»؛ وهو من النَّظر أو الانتظار.

فهذه الأشياءُ الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمَّهم على قولها؛ لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأُخَر عوضًا من تلك لكان خيرًا لهم؛ فإن هذه ليس فيها سوءُ أدب.

﴿مُصَدِّقًا﴾ ذُكِر في «البقرة»[2].

﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ ابنُ عباس: طَمْسُها: أن تُزال العينان منها، وتُردَّ في القفا؛ فيكون ذلك ردًّا على الدُّبر.

وقيل: طمسها: محوُ تخطيط صُوَرِها؛ مِن أنف وعين وحاجب، حتى

---

(١) انظر صفحة ١/ ٣٦٤.

(٢) انظر صفحة ١/ ٣٠٨.

تصيرَ كالأدبار في خُلوِّها عن الحواسِّ.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي: نمسخَهم كما مُسِخ[١] أصحاب السبت، وقد ذُكِروا[٢] في «البقرة»[٣].

أو يكون من اللَّعن المعروف.

والضمير يعود:

على الوجوه؛ والمراد أصحابُها.

أو يعود على الذين أوتوا الكتاب؛ على الالتفات.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبيِّنة لما تعارَض فيها من الآيات، وهي الحجَّة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة.

وذلك أن مذهب أهل السنة: أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم، وحجَّتُهم: هذه الآية؛ فإنها نصٌّ في هذا المعنى.

ومذهب الخوارج: أن العصاة يُعذَّبون ولا بدَّ؛ سواءٌ كانت ذنوبهم صغائرَ أو كبائر.

ومذهب المعتزلة: أنهم يعذبون على الكبائر ولا بدَّ.

---

(١) في د: «مسخنا».

(٢) في ج، هـ: «ذكر».

(٣) انظر صفحة ١/ ٣٢٣.

ويَردُّ على الطائفتين قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

ومذهب المرجئة: أن العصاة كلَّهم يُغفَر لهم ولا بدَّ، وأنه لا يضرُّ[١] ذنبٌ مع الإيمان.

ويَردُّ عليهم قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾؛ فإنه تخصيصٌ لبعض العصاة.

وقد تأوَّلت المعتزلة الآيةَ على مذهبهم، فقالوا: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: هو التائب، فإن التائب لا خلاف أنه لا يعذَّب.

وهذا التأويل بعيدٌ؛ لأن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ في غير التائب من الشرك، وكذلك قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ في غير التائب من العصيان؛ ليكون أوَّلُ الآية وآخرُها على نسَقٍ واحد.

وتأوَّلتها المرجئة على مذهبهم، فقالوا: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ معناه: لمن يشاء أن يؤمن.

وهذا أيضًا بعيدٌ، لا يتقضيه اللفظ.

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد:

فحملها المعتزلة على العصاة.

وحملها المرجئة على الكفار.

وحملها أهل السنة على الكفار، وعلى مَن لا يَغفر الله له من العصاة.

كما حملوا آيات الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين

(١) في هامش أ: «خ: لا يضرهم».

التائبين، وعلى مَن يغفر الله له من العصاة غير التائبين.

فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارضٌ بين آيات الوعد وآيات الوعيد، بل يُجمَع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم؛ فإن الآيات فيه تتعارَض(١).

وتلخيص المذاهب:

أن الكافر إذا تاب من كفره غُفِر له بإجماع، وإن مات على كفره لم يُغفَر له، وخُلِّد في النار بإجماع.

وأن العاصيَ من المؤمنين إن تاب غفر له، وإن مات دون توبة فهو الذي اختَلف الناس فيه.

﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْۚ﴾ هم اليهود، وتزكيتهم: قولهم: «نحن أبناء الله وأحباؤه».

وقيل: مدحهم لأنفسهم.

﴿فَتِيلًا﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شِقِّ نواة التمرة.

وقيل: ما يخرج بين إصبَعيك وكفَّيك إذا فتلتَهما.

وهو تمثيلٌ وعبارة عن أقلِّ الأشياء؛ فيدلُّ على الأكثر بطريق الأولى.

﴿يَفۡتَرُونَ﴾ دليلٌ على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل.

* * *

---

(١) في أ: «فيها تعارُض» وفي الهامش: «خ: فيه تتعارَض».

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا
﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ
سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم
بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ
إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾].

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ قال ابن عباس: الجبت هنا: حييُّ بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف.

وقال عمر بن الخطاب: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقيل: الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر.

وبالجملة هما: كل ما عُبِد و(١) أُطِيع من دون الله.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيةَ؛ سببها: أن حُييَّ بن أخطب أو كعب بن

(١) في أ، د، هـ: «أو».

الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلًا من محمد وأصحابِه.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ الهمزة للاستفهام مع الإنكار.

﴿نَقِيرًا﴾ النقير: هو النُّقْرةُ في ظهر النواة، وهو تمثيلٌ وعبارة عن أقل الأشياء.

والمراد: وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذٍ يَبخلون بالنَّقير الذي هو أقلُّ الأشياء، ويبخلون بما هو أكثرُ منه من باب أولى.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وصَفهم بالحسد مع البخل.

والناس هنا يراد به: النبي ﷺ وأُمَّته، والفضل: النبوة، وقيل: النصر والعزة.

وقيل: الناس: العرب، والفضل: كون النبي ﷺ منهم.

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ المراد بآل إبراهيم: ذريته من بني إسرائيل وغيرهم؛ ممن آتاه الله الكُتُبَ التي أنزلها والحكمةَ التي علَّمها.

والقصد بالآية: الردُّ على اليهود في حسدهم لمحمدٍ ﷺ.

ومعناها: إلزامٌ لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم، فلأيِّ شيء يخصُّون محمدًا ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليه.

﴿مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ الملك في آل إبراهيم: هو ملك يوسف، وداود، وسليمان عليهم السلام.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ الآيةَ؛ قيل: المراد: مِن اليهود مَن آمن: بالنبي ﷺ.

أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

أو بما ذُكِر من حديث إبراهيم.

فهذه ثلاثة أوجه في ضمير ﴿بِهِۦ﴾.

وقيل: ﴿فَمِنْهُم﴾ أي: مِن آل إبراهيم مَن آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ الآيةَ؛ قيل: تُبدَّل لهم جلودٌ بعدَ جلودٍ أُخرَ؛ إذ نفوسهم هي المعذَّبة.

وقيل: تبديل الجلود: تغيير صفاتها بالنار.

وقيل: الجلود السَّرابيل؛ وهو بعيد.

﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذُكِر في «البقرة»[1].

﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ صفةٌ من لفظ «الظِّلّ» للتأكيد؛ أي: دائمًا لا تنسخه الشمس.

وقيل: يَقِي الحرَّ والبردَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآيةَ؛ قيل: هي خطاب للولاة.

وقيل: للنبي ﷺ حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة.

ولفظها عامٌّ، وكذلك حكمها.

---

(١) انظر صفحة ١/ ٢٩٣.

﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ هم: الولاة، وقيل: العلماء.

ونزلت في عبد الله بن حذافة؛ بعثه رسول الله ﷺ في سرية.

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الردُّ إلى الله: هو النظر في كتابه، والردُّ إلى الرسول ﷺ: هو سؤاله في حياته، والنظرُ في سنته بعد وفاته.

﴿إِن كُنتُمْ﴾ يَحتمل أن يكون هذا الشرطُ راجعًا:

إلى قوله: ﴿فَرُدُّوهُ﴾.

أو إلى قوله: ﴿أَطِيعُواْ﴾.

والأول أظهر؛ لأنه أقرب إليه.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: مآلًا وعاقبةً.

وقيل: أحسنُ نظرًا منكم.

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾].

﴿ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآيةَ؛ نزلت في المنافقين.

وقيل: في منافقٍ ويهودي؛ كان بينهما خصومةٌ، فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلى كاهن.

﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر؛ ليذمَّهم بالنفاق.

ودلَّ ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت في المنافقين.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ الآيةَ؛ أي: كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم!.

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

معطوفًا على ما قبله.

أو يكون معطوفًا على قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾، ويكون قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم﴾ اعتراضًا.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن معاقبتهم.

وليس المراد بالإعراض القطيعةَ؛ لقوله: ﴿وَعِظْهُمْ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآيةَ؛ وعدٌ بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاءٌ للاستغفار والتوبة.

ومعنى ﴿جَآءُوكَ﴾: أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم، يطلبون أن تستغفر لهم الله.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» هنا: مؤكِّدةٌ للنفي الذي بعدها.

﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلط واختلفوا فيه.

ومعنى الآية: أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي ﷺ.

ونزلت بسبب:

المنافقين الذين تخاصموا.

وقيل: بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار في الماء.

وحكمها عامٌّ.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ معناها: لو فُرِض عليهم ما فرض على مَن كان قبلهم من المشقَّات لم يَفْعلوها؛ لقلة انقيادهم، إلَّا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقًّا، وقد روي أن من هؤلاء القليل: أبا بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع: بدلٌ من الضمير.

وقرأ ابن عامر وحده بالنصب:

على أصل الاستثناء.

أو على: إلَّا فِعلًا قليلًا.

﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من اتِّباع النبي ﷺ وطاعته والانقياد له.

﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أي: تحقيقًا لإيمانهم.

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم﴾ جوابٌ لسؤال مقدَّر عن حالهم لو فعلوا ذلك.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ثوابٌ على الطاعة؛ أي: هم معهم في الجنة.

وهذه الآية مفسِّرةٌ لقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

والصدِّيق: فِعِّيل؛ من الصدق، أو من التصديق، والمراد به المبالغة، والصِّدِّيقون أرفع الناس درجةً بعد الأنبياء.

والشهداءُ: المقتولون في سبيل الله، ومَن جرى مجراهم من سائر

الشهداء، كالغريق وصاحب الهدم؛ حسَبما ورد في الحديث أنهم سبعة[١].

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ الإشارةُ إلى الأصناف الأربعة المذكورة.

والرَّفيق: يقع على الواحد والجماعة؛ كالخَلِيط.

أو هو مفردٌ بيّن به الجنس.

ومعنى الكلام: إخبارٌ، واستدعاءٌ للطاعة التي يُنال بها مرافقةُ هؤلاء.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ﴾ الإشارةُ إلى الثواب على الطاعة بمرافقة مَن ذُكِر في الجنة.

و﴿ٱلْفَضْلُ﴾: صفةٌ، أو خبرٌ.

* * *

---

(١) أخرج مالك في الموطأ (٩٣٥)، (٩٩٦)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٧) في حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغَرِقُ شهيد، وصاحب ذات الجَنْب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيد» قال أبو داود: الجُمْع: أن يكون ولدها معها.

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾].

﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرَّزوا من عدوِّكم واستعدُّوا له.

﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ أي: اخرجوا للجهاد جماعاتٍ متفرِّقين؛ وذلك كنايةٌ عن السرايا.

وقيل: إنَّ الثُّبَة: ما فوق العشرة.

ووزنها فُعَلَةٌ -بفتح العين-، ولامها محذوفة.

﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين في الجيش[1] الكثيف.

فخيَّرهم بينَ[2] الخروج إلى الغزو في قلة أو في كثرة.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين، والمراد بـ«مَن»: المنافقون،

---

(١) كذا في د وفي هامش أ ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «الجمع».
(٢) في ج، هـ، د: «في».

وعبَّر عنهم بـ ﴿مِنكُمْ﴾ ؛ إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين، ويقولون: آمنا.

واللام:

في ﴿لَمَن﴾ للتأكيد.

وفي ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ جوابُ قسم محذوف.

ومعناه:

يُبطِّئ غيرَه -أي: يثبِّطه- عن الجهاد، ويَحمِله على التخلُّف عن الغزو.

وقيل: يبطِّئ: يتخلَّف هو عن الغزو ويتثاقل.

﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي: قتلٌ وهزيمة.

والمعنى: أنَّ المنافق تسرُّه غَيبته عن المؤمنين إذا هُزِموا.

و﴿شَهِيدًا﴾ معناه: حاضرًا معهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ﴾ أي: نصرٌ وغنيمة.

والمعنى: أنَّ المنافق يَندم على ترك الغزو معهم إذا غَنِموا؛ فيتمنَّى أن يكون معهم.

﴿كَأَن لَّمْ يَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ جملةُ اعتراضٍ بين القول ومعموله؛ فلا يجوز الوقف عليها.

وهذه المودَّة في ظاهر المنافق، لا في اعتقاده.

﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي: يبيعون.

﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ذَكر الحالتين للمقاتل، ووَعد بالأجر على كل واحدةٍ[١] منهما.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ تحريضٌ على القتال.

و«ما» مبتدأ والمجرور خبره، و﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ في موضع الحال.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ هم: الذين حبسهم مشركو قريش بمكة؛ ليَفتنوهم عن الإسلام.

وهو عطفٌ على اسم ﴿ٱللَّهِ﴾، أو مفعولٌ معه.

﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما بعده: إخبارٌ، قصدَ به: تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال.

---

(١) في ب، ج، هـ: «واحد».

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾].

﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآيةَ؛ قيل: هي في قوم من الصحابة؛ كانوا قد أُمِروا بالكفِّ عن القتال قبل أن يُفرَض الجهاد، فتمنَّوا أن يؤمروا به، فلما أُمِروا به كرهوه، لا شكًّا في دينهم، ولكن خوفًا من الموت.

وقيل: هي في المنافقين؛ وهو أليقُ بسياق الكلام.

﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ وما بعده: تحقيرٌ للدنيا؛ يتضمَّن[1] ردًّا عليهم في كراهتهم للموت.

﴿فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ أي: في حصون منيعة.

وقيل: المشيدة: المطوَّلة.

وقيل: المبنيَّة بالشِّيد؛ وهو الجِصُّ.

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ﴾ الآيةَ؛ الحسنة هنا: النصر والغنيمة وشبهُ ذلك من المحبوبات، والسيئة: الهزيمة والجوع وشبه ذلك.

والضمير في ﴿تُصِبۡهُمۡ﴾ وفي ﴿يَقُولُواْ﴾ لـ ﴿ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾، وهذا يدلُّ على أنها في المنافقين؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ: إن السيئات من عنده.

﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ ردٌّ على من نسَب السيئة إلى رسول الله ﷺ، وإعلامٌ أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله؛ أي: بقضائه وقدره.

﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ توبيخٌ لهم على قلَّة فهمهم.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، والمراد به: كل مخاطَب على الإطلاق؛ فدخل فيه غيرُه من الناس.

وفيه تأويلان:

أحدهما: نِسبةُ الحسنة إلى الله، والسيئة إلى العبد؛ تأدُّبًا مع الله في

---

(١) في ب، ج، هـ: «تتضمن».

الكلام، وإن كان كلُّ شيء منه في الحقيقة؛ وذلك كقوله ﷺ: «والخير كله بيديك[١]، والشر ليس إليك»[٢]، وأيضًا فنسبة[٣] السيئة إلى العبد؛ لأنها بسبب ذنوبه؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، فهي من العبد بتسبُّبه[٤] فيها، ومن الله بالخِلقة[٥] والاختراع.

والثاني: أن هذا كلام القوم المذكورين قبلُ؛ والتقدير: يقولون كذا؛ فمعناها كمعنى التي قبلَها.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ هذه الآية من فضائل رسول الله ﷺ، وإنما كانت طاعته طاعةَ الله؛ لأنه يأمر وينهى عن الله.

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ أي: مَن أعرض عن طاعتك فما أنت عليه بحفيظٍ تحفظ أعماله، بل حسابُه وجزاؤه على الله.

وفي هذا مُتارَكةٌ ومُوادَعة منسوخة بالقتال.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ أي: أمرُنا وشأننا طاعةٌ لك.

وهي في المنافقين بإجماعٍ.

﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾ بيَّت: أي: دبَّر الأمرَ بالليل.

---

(١) في ب، ج، د: «بيدك» والمثبت موافق لما في الصحيح.
(٢) أخرجه مسلم (٧٧١).
(٣) في أ: «فنُسِبت».
(٤) في هـ: «بتسبيبه».
(٥) في هامش أ: «خ: بالخَلق».

والضمير في ﴿تَقُولُ﴾:

للمخاطَب؛ وهو النبي ﷺ.

أو للطائفة.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعاقبْهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ حضٌّ على التفكُّر في معانيه؛ لتَظهرَ أدلتُه وبراهينه.

﴿اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي: تناقضٌ؛ كما في كلام البشر، أو تفاوتٌ في الفصاحة، لكن القرآن منزَّهٌ عن ذلك؛ فدلَّ على أنه كلام الله.

وإن عَرضت لأحدٍ شبهةٌ وظنَّ اختلافًا في شيء من القرآن فالواجب: أن يتَّهمَ نظره، ويسألَ أهل العلم، ويطالعَ تواليفهم؛ حتى يعْلمَ أن ذلك ليس باختلاف.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ قيل: هم المنافقون.

وقيل: قومٌ من ضعفاء المسلمين؛ كانوا إذا بلغهم خبرٌ عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به، أي تكلَّموا به وشهَروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدةٌ على المسلمين، مع ما في ذلك من العجلة وقلَّة التثبُّت، فأنكر الله عليهم ذلك.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: لو تَرك هؤلاء القومُ الكلامَ بذلك الأمر الذي بلغهم، وردُّوه إلى

رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر[١]، وهم كبراءُ الصحابة وأهلُ البصائر منهم= لعلمه القوم الذين يستنبطونه -أي: يستخرجونه- من الرسول وأولي الأمر.

ف ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ على هذا: طائفةٌ من المسلمين؛ يسألون عنه الرسولَ عليه السلام وأولي الأمر.

وحرف الجر في قوله: ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ لابتداء الغاية؛ وهو[٢] يتعلَّق بالفعل.

والضمير المجرور يعود على: الرسول وأولي الأمر.

وقيل: إن ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ هم أولوا الأمر؛ كما جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه: أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلَّق نساءه، فدخل عليه، فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: «لا»، فقام على باب المسجد، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه[٣]. فأنزل الله هذه القصة، قال: وأنا الذي استنبطتُه.

فعلى هذا: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ هم أولوا الأمر.

والضمير المجرور يعود عليهم، و﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ لبيان الجنس.

واستنباطه على هذا:

هو بسؤالهم عنه النبيَّ ﷺ.

---

(١) في د زيادة: «منهم».

(٢) سقط من ب، ج، هـ.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩)، ومسلم (١٤٧٩).

أو بالنظر والبحث.

واستنباطه على التأويل الأول: هو بسؤال الذين أذاعوه للرسول ﷺ ولأولي الأمر.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: هُداه وتوفيقُه، أو بعثه للرَّسول(١)، وإنزاله للكتاب(٢).

والخطاب في هذه الآية للمؤمنين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلَّا اتباعًا قليلًا؛ فالاستثناء من المصدر، والمعنى: لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلَّا في أمورٍ قليلة كنتم لا تتبعونه فيها.

وقيل: إنه استثناءٌ من الفاعل في ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ﴾؛ أي: إلَّا قليلًا منكم، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غيرَ متَّبعين للشيطان؛ كورقةِ بن نوفل.

والفضل والرحمة على هذا: بعث الرسول(٣) وإنزال الكتاب(٤).

وقيل: إن الاستثناء من قوله: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ؛ أي: إن أفردوك فقاتلْ وحدَك؛ فإنما عليك ذلك.

---

(١) في أ، ج، هـ: «للرسل».
(٢) في أ، ب، ج، هـ: «للكتب».
(٣) في ج: «الرسل».
(٤) في أ، ب، ج، هـ: «الكتب».

﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليس عليك في شأن المؤمنين إلَّا التحريض.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: «عسى» من الله واجبة.

و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا: قريش، وقد كفَّهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها، وبفتح مكة.

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقابًا وعذابًا.

﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعةُ في مسلم؛ لتُفرَّجَ عنه كربةٌ، أو تُدفعَ[1] مظلمةٌ، أو يُجلَب إليه خيرٌ[2]، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك.

وقيل: الشفاعة الحسنة: هي الطاعة، والشفاعة السيئة: هي المعصية.

والأول أظهر.

والكِفْل: هو النَّصيب.

﴿مُّقِيتًا﴾ قيل: قديرًا.

وقيل: حفيظًا.

وقيل: الذي يُقِيت الحيوانَ؛ أي: يرزقهم القوتَ.

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ معنى ذلك: الأمر بردِّ السلام، والتخييرُ بين أن يردَّ بمثل ما سلَّم عليه أو بأحسنَ منه، والأحسنُ أفضل؛ مثل أن يقال له: «سلام عليك»، فيردُّ السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة.

---

(١) في د: «أو ترفع عنه».

(٢) في ب: «ليُفرِّجَ عنه كربةً، أو يَدفعَ مظلمةً، أو يَجلِب إليه خيرًا».

وردُّ السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي.

وقال بعض الناس: هو فرض عين.

واختُلف في الردِّ على الكفار:

فقيل: يردُّ عليهم؛ لعموم الآية.

وقيل: لا يردُّ عليهم.

وقيل: يقال لهم: «عليكم»؛ حسَبما جاء في الحديث[1]، وهو مذهب مالك.

ولا يُبتَدؤون بالسلام.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسمٍ محذوف، وتضمَّن معنى الحشر؛ ولذلك تعدَّى بـ «إلى».

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ لفظه استفهامٌ؛ ومعناه: لا أحدَ أصدقُ من الله.



(١) أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).

[﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ
أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ
سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم
مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ
عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ
سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ
أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾].

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ «ما» استفهاميةٌ بمعنى التوبيخ، والخطاب للمسلمين.

ومعنى ﴿فِئَتَيْنِ﴾ أي: طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال.

والمراد بالمنافقين هنا:

ما قال ابن عباس: إنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين؛ فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتَهم؛ لأنهم لم يهاجروا؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟

وقال زيد بن ثابت: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد، فاختلف الصحابة في أمرهم.

ويردُّ هذا قولُه: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾.

﴿أَرْكَسَهُم﴾ أي: أضلَّهم وأهلكهم.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الضمير للمنافقين؛ أي: تمنَّوا أن تكفروا.

﴿فَخُذُوهُمْ﴾ يريد به: الأسر.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآيةَ؛ استثناءٌ من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾.

ومعناها:

أن مَن وصل مِن الكفار غيرِ المعاهَدين إلى الكفار المعاهدين -وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهدٌ ومهادنة- فحكمه[1] كحكمهم في المسالمة وترك قتاله[2]، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بالقتال في أول سورة «براءة».

قال السهيلي وغيره: ﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: هم بنو مُدْلِجِ بن كِنانة ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: بنو خزاعة، فدخل بنو مدلجٍ في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ[3]، فمعنى: ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾: ينتهون إليهم، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة.

وقيل: معنى ﴿يَصِلُونَ﴾: ينتسبون؛ وهذا ضعيف جدًّا؛ بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين؛ فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين!.

---

(١) في د: «فحكمهم».

(٢) في ج: «قتله»، وفي د: «القتال».

(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨٤.

﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ عطفٌ:

على ﴿يَصِلُونَ﴾.

أو على صفةِ ﴿قَوۡمِۭ﴾؛ وهي: ﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

والمعنى يختلف على ذلك، والأول أظهر.

و﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ في موضع الحال؛ بدليل قراءة يعقوب: «حَصِرَةً»، ومعناه: ضاقت عن القتال وكرهته.

ونزلت الآية في قوم جاؤوا إلى المسلمين، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضًا أن يقاتلوا قومَهم -وهم أقاربهم الكفار-، فأمر الله بالكفِّ عنهم، ثم نُسِخ[1] أيضًا ذلك بالقتال.

﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾ أي: سالموكم فلا تقاتلوهم، و﴿ٱلسَّلَمَ﴾ هنا: الانقياد.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ الآيةَ؛ نزلت في قوم مخادِعين، وهم من أسدٍ وغطفانَ، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا؛ ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا؛ ليأمنوا قومَهم.

و﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ هنا: الكفر على الأظهر. وقيل: الاختبار.

* * *

(١) في ج: «أبيح».

[﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ نزلت بسبب قتل عيَّاشِ بن ربيعة للحارث بن زيد، وكان الحارث يُعذِّبه على الإسلام، ثم أسلم وهاجر، ولم يعلم عياش بإسلامه فقتَله.

وقيل: إنَّ الاستثناء هنا منقطع؛ والمعنى: لا يَحلُّ لمؤمن أن يقتل مؤمنًا بوجه، لكن الخطأ قد يقع.

والصحيح: أنه متصل؛ والمعنى: لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنًا إلَّا على وجه الخطإ، من غير قصدٍ ولا تعمُّدٍ؛ إذ هو مغلوبٌ فيه.

وانتصاب ﴿خَطَأً﴾ على أنه:

مفعولٌ من أجله.

أو حالٌ.

أو صفةٌ لمصدر محذوف.

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ﴾ هذا بيانُ ما يجب على القاتل خطأً، فأوجب الله عليه التَّحريرَ والدية، فأما التحرير ففي مال القاتل، وأما الدية ففي مال عاقلته، وجاء ذلك عن النبي ﷺ(١)، وهو بيانٌ للآية؛ إذ لفظها يَحتمل ذلك وغيره، وأجمع الفقهاء عليه.

واشترط مالك في الرَّقبة التي تُعتَق: أن تكون مؤمنةً، ليس فيها عقدٌ من عقود الحرية، سالمةً من العيوب.

فأما إيمانها: فنصٌّ هنا؛ ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في رقبة الظِّهار وكفارة اليمين.

وأما سلامتها من عقود الحرية: فيظهر من قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ لأنَّ ظاهرَه أنه ابتداءُ عتق عند التكفير بها.

وأما سلامتها من العيوب: فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه؛ وفي ذلك نظر.

ولم يبين في الآية مقدار الدية، وهي عند مالك: مئة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب، واثنا عشر ألف درهم شرعية على أهل الوَرِق، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٠) ومسلم (١٦٨١).

﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾ أي: مدفوعةٌ إليهم، والأهل هنا: الورثة.

واختُلف في مدَّة تسليمها:

فقيل: هي حالَّة عليهم.

وقيل: يؤدُّونها في ثلاث سنين.

وقيل: في أربع.

ولفظ التَّسليم مطلقٌ؛ وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك.

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ الضمير يعود على أولياء المقتول؛ أي: إذا أسقطوا الدية سقطت.

وإذا أسقطها المقتولُ سقطت أيضًا عند مالك والجمهور، خلافًا لأهل الظاهر؛ وحجَّتهم: عَودُ الضمير على الأولياء.

وقال الجمهور: إنما هذا إذا لم يُسقِطْها المقتولُ.

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾ معنى الآية: أنَّ المقتولَ خطأً إن كان مؤمنًا وقومه كفارٌ[1] أعداءٌ - وهم المحارِبون -، فإنما في قتله التَّحريرُ خاصةً دون الدية، فلا تُدفع لهم؛ لئلا يتقوَّوا بها على المسلمين.

ورأى ابن عباس أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر، وخالفه غيره.

(١) في ج، هـ: «كفارًا».

ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال؛ فالآية عنده منسوخةٌ.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن المقتول خطأً إن كان قومه كفارًا معاهَدين ففي قتله تحريرُ رقبة والديةُ إلى أهله؛ لأجل معاهدتهم.

والمقتول على هذا مؤمن؛ ولذلك قال مالك: لا كفارةَ في قتل الذمِّيّ.

وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافرٌ؛ فعلى هذا: تجب الكفارة في قتل الذمي.

وقيل: هي عامةٌ في المؤمن والكافر.

ولفظ الآية مطلقٌ؛ إلَّا إنْ قيَّده قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في الآية التي قبلها، وقرأ الحسن هنا: «وهو مؤمن».

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي: من لم يجد العتقَ ولم يَقدِر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عِوَضٌ منه.

﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر؛ ومعناه: رحمةً منه وتخفيفًا.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ الآيةَ؛ نزلت بسبب مِقْيَسِ بن صُبَابةَ؛ كان قد أخذ ديةَ أخيه هشام المقتول خطأً، ثم قَتل رجلًا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتدَّ مشركًا، فأمر رسول الله ﷺ بقتله.

والمتعمِّد عند الجمهور: هو الذي يَقصِد القتل بحديدٍ أو حجر أو عصًا أو غير ذلك.

وهذه الآية مُعْضِلةٌ على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول: لا يُخلَّدُ عصاةُ المؤمنين في النار.

واحتجَّ بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار؛ لقوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾.

وتأوَّلها الأشعرية بأربعة أوجه:

أحدها: أنْ قالوا: إنها في الكافر إذا قَتل مؤمنًا.

والثاني: قالوا: معنى المتعمِّد هنا: المستحلُّ للقتل؛ وذلك يؤول إلى الكفر.

والثالث: قالوا: الخلود فيها ليست بمعنى الدَّوام الأبديِّ، وإنما هو عبارةٌ عن طول المدة.

والرابع: أنها منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وأما المعتزلة: فحملوها على ظاهرها، ورأوا أنها ناسخةٌ لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، واحتجوا على ذلك: بقول زيد بن ثابت: «نزلت الشديدة بعد الهيِّنة»(١)، وبقول ابن عباس: «الشرك والقتل من مات عليهما خُلِّد»(٢)، وبقول رسول الله ﷺ: «كلُّ ذنب عسى الله أن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٤٩).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وكذلك أورده ابن عطية في تفسيره (٣/ ٦٣٤) بغير إسناد، فقال: «وكان ابن عباس يقول: الشرك والقتل مبهمان، من مات عليهما خُلِّد»، وعند الطبري (٧/ ٣٤٧) والخلال في جامعه (/ ٩٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤٣٣) بلفظ: =

يغفره، إلَّا الرجلَ يموت كافرًا، أو الرجلَ يقتل المؤمن متعمِّدًا»[١]، وتقتضي الآية وهذه الآثار: أن للقتل حُكمًا يخصُّه مِن بين سائر المعاصي[٢].

واختلف الناس في القاتل عمدًا إذا تاب؛ هل تقبل توبته أم لا؟.

= «هما المبهمتان: الشرك والقتل»، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير الطبري (٩/ ٦٧): «يعني بقوله: «المبهمتان»، يعني: الآيتان اللتان لا مخرج منهما، كأنها باب مبهم مصمت، أي: مستغلق لا يفتح، ولا مأتى له. وذلك أن الشرك والقتل، جزاؤه التخليد في نار جهنم، أعاذنا الله منها».

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٠٧)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤١٦).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وهذه الآية مُعضِلة على مذهب الأشعرية وغيرهم) إلخ، أقول: ما ذكره من أن هذه الآية معضلة، أي مشكلة إشكالا قويا، على مذهب الأشاعرة وغيرهم من القائلين بأن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار، وأجاب من جهة الأشاعرة وغيرهم من القائلين بعدم خلود أهل الكبائر في النار بأربعة أجوبة؛ أقول: أجودها: تفسير الخلود بالمكث الطويل، وأجود منه تقييد الآية بما تواترت به السنة من خروج عصاة الموحدين من النار بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين.

وكذلك ما ذكره من احتجاج المعتزلة بهذه الآية على قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار، أقول: ما ذكره من المذهبين في تخليد العصاة صحيحٌ، ولكنه رحمه الله ذكر احتجاج المعتزلة على مذهبهم بأثر ابن عباس وزيد وبالحديث، ولم يجب عن ذلك، بل أيده بقوله: (وتقتضي الآية وهذه الآثار: أن للقتل حُكمًا يخصه من بين سائر المعاصي). وهذا يجعل في كلامه نوع تناقض؛ لأنه قد أجاب عن الآية، وأما أثر ابن عباس وزيد والحديث فلا تقاوم دلالتها دلالة قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ في موضعين من سورة النساء. وهي التي ذكر فيها وعيد القاتل بالخلود في النار، ولا تقاوم دلالة السنة على خروج عصاة الموحدين من النار، وقد أجمع أهل السنة على ما دلت عليه آيتا النساء، وما دل عليه حديث الشفاعة. والله أعلم.

وكذلك حَكى ابن رُشدٍ الخلافَ في القاتل إذا اقتُصَّ منه؛ هل يَسقط عنه العقاب[١] في الآخرة أم لا؟[٢].

والصحيح: أنه يسقط عنه؛ لقول رسول الله ﷺ: «من أصاب ذنبًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»[٣]، وبذلك قال جمهور العلماء.

﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: سافرتم في الجهاد.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من البيان.

وقرئ: بالثاء المثلثة؛ من الثبات.

والتَّفَعُّل فيها بمعنى الاستفعال؛ أي: اطلبوا[٤] بيان الأمر أو[٥] ثبوته.

﴿أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ بغير ألف؛ أي: انقادَ وألقى بيده.

وقرئ: ﴿السَّلَامَ﴾؛ بمعنى التحية.

ونزلت في سريةٍ لقيت رجلًا فسلَّم عليهم، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمَل عليه أحدُهم فقتله، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ.

وكان القاتل: مُحَلِّمُ بن جَثَّامة، والمقتول: عامرُ بن الأَضْبَط.

وقيل: القاتل أسامة بن زيد، والمقتول: مِرْداس بن نَهِيك.

---

(١) في أ: «العذاب»، وفي الهامش: «خ: العقاب».

(٢) انظر: المقدمات الممهدات، لأبي الوليد ابن رشد الجدّ (ت ٥٢٠هـ) (٣/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٩٢)، ومسلم (١٧٠٩).

(٤) في أ: «يطلب».

(٥) في ب، د: «و».

﴿تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني: الغنيمةَ، وكان للرجل المقتول غَنَمٌ.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞ﴾ وعدٌ، وتزهيدٌ في غنيمة مَن أظهر الإسلام.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾ قيل: معناه: كنتم كفّارًا، فهداكم الله للإسلام.

وقيل: كنتم تخفون إيمانكم من قومكم، فمَنَّ الله عليكم بالعزة والنصر حتى أظهرتموه.

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ الآيةَ؛ معناها: تفضيلُ المجاهدين على مَن لم يجاهد؛ وهم القاعدون.

﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية قام ابن أمِّ مكتوم الأعمى، فقال: يا رسول الله هل من رخصة؛ فإني ضَرير البصر؟ فنزل: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾.

وقرئ ﴿غَيۡرَ﴾ بالحركات الثلاث:

فالرفعُ؛ صفةٌ للقاعدين.

والنصب؛ على الاستثناء، أو الحال.

والخفض؛ صفةٌ للمؤمنين.

﴿دَرَجَةٗ﴾ قيل: هي تفضيلٌ على القاعدين من أهل العذر، والدرجات: على القاعدين بغير عذر.

وقيل: إن الدرجات مبالغةٌ وتأكيدٌ للدرجة.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة.

﴿أَجْرًا﴾ منصوب:

على الحال من ﴿دَرَجَٰتٍ﴾[١].

أو على المصدرية من معنى ﴿فَضَّلَ﴾.

وانتصب ﴿دَرَجَٰتٍ﴾:

على البدل من الأجر.

أو بفعل مضمر.

وانتصب ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ بإضمار فعلِهما؛ أي: غَفر لهم ورحمهم مغفرةً ورحمةً.



(١) قال في الكشاف (٥/ ١٢٩): «ونُصب ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على أنه حالٌ عن النكرة التي هي ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ مقدَّمةً عليها».

[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾
إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآيةَ؛ نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقُتِلوا؛ منهم: قيس بن الفاكِه، والحارث بن زَمْعة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف.

ويَحتمل ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ أن يكون: ماضيًا، أو مضارعًا.

وانتصب ﴿ظَالِمِىٓ﴾ على الحال.

﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أيِّ شيءٍ كنتم من أمر دينكم.

﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ اعتذارٌ عن التَّوبيخ الذي وبَّخهم الملائكة؛ أي: لم نَقدِر[1] على الهجرة، وكان اعتذارًا بالباطل.

﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ ردٌّ عليهم، وتكذيبٌ لهم في اعتذارهم.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الذين كان استضعافُهم حقًّا، قال ابن عباس: كنت أنا وأبي وأمي ممن عنَى اللهُ بهذه الآية.

﴿مُرَٰغَمًا﴾ أي: مُتحوَّلًا وموضعًا يُرغِم عدوَّه بالذَّهاب إليه.

---

(١) في أ: «تقدروا».

﴿وَسَعَةً﴾ أي: اتساع في الأرض.

وقيل: في الرزق.

(﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ﴾ أي: ثبت وصحَّ)(١).

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾ الآيةَ؛ حكمها على العموم.

ونزلت في ضَمْرَةَ بن العِيس(٢) وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضًا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: أَخرجوني(٣)، فهُيِّئ له فراشٌ فوُضع عليه وخرج، فمات في الطريق.

وقيل: نزلت في خالد بن حِزام؛ فإنه هاجر إلى أرض الحبشة، فنهشته حيةٌ في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة.

---

(١) هكذا جاء موضع تفسير هذه الجملة من الآية، متقدِّمًا على تفسير جملة (ومن يخرج من بيته) في جميع النسخ الخطية!، وحقُّه أن يكون متأخرًا عن تفسير جملة (ومن يخرج من بيته)؛ جريًا على ترتيب الآية.

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية «العيس» بالسين، والذي في تفسير الطبري (٧/ ٣٩٣)، والإصابة لابن حجر (٢/ ٢٥٩): «العِيص» بالصاد.

(٣) في هامش أ: «خ: اخرُجوا بي».

[﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾].

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ﴾ اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال:

الأول: أنها في قَصْر الصلاة الرُّباعيَّة إلى ركعتين في السَّفر، وأن ذلك لا يجوز إلَّا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة وعثمان ابن عفان رضي الله عنهما.

الثاني: أن الآية تقتضي ذلك، ولكن يؤخذ القصرُ في السفر دون الخوف من السُّنة، ويؤيد هذا: حديثُ يَعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: إنَّ الله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ وقد أَمِن الناس؟ فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدَّق الله بها عليكم فاقبلوا

صدقته»[١]، وقد ثبت أن النبي ﷺ قصَر في السفر وهو آمن[٢].

الثالث: أن قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ راجعٌ إلى قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآيةَ التي بعد ذلك، والواو زائدة، وهذا بعيد.

الرابع: أنها في صلاة الخوف؛ على قول مَن يرى أن تُصلِّيَ كلُّ طائفةٍ ركعةً خاصة، قال ابن عباس: فرضت الصلاةُ في الحضَر أربعًا، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

الخامس: أنها في صلاة المسايَفة؛ فالقصر على هذا هو من هيئات الصلاة؛ كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

وإذا قلنا: إنها في القصر في السفر:

فظاهرها: أن القصرَ رخصةٌ، والإتمام أفضل. وهو مذهب الشافعي.

وقال مالك: القصر أفضل.

وقيل: إنهما سواءٌ.

وأوجب أبو حنيفة القصر.

وليس في لفظ الآيةِ ما يدلُّ على مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه: السفر مطلقًا؛ ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفرٍ؛ طويلٍ أو قصير.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٨٣)، ومسلم (٦٩٦).

ومذهب مالك والشافعي: أن مسافة القصر ثمانيةٌ وأربعون مِيلًا؛ واحتجُّوا بآثار عن ابن عمر وابن عباس.

وكذلك ليس في الآية ما يدلُّ على تخصيص القصر بسفر القُرْبة، أو السفر المباح دون سفر المعصية؛ فإنَّ لفظها مطلقٌ في السفر، ولذلك أجاز أبو حنيفة: القصر في سفر القربة، وفي المباح، وفي سفر المعصية.

ومنعه مالك: في سفر المعصية.

ومنعه ابن حنبل: في المعصية، وفي المباح[1].

وللقصر أحكامٌ لا تتعلَّق بالآية؛ فأضربْنا عن ذكرها.

والمراد بالفتنة في هذه الآية: القتال والتعرُّض بما يُكرَه.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ في صلاة الخوف، وظاهرها يقتضي: أنها لا تُصلَّى بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه شرَط كونَه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف.

وأجازها الجمهور بعده ﷺ؛ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أُمَّته، وقد فعلها الصحابة بعده عليه السلام.

واختلف الناس في صفة صلاة الخوف على عشرة أقوال؛ لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطرُّ إلى ذكرها؛ فإنَّ تفسيرها لا يتوقَّف على ذلك.

وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرِّقاع.

---

(١) معتمد المذهب عند الحنابلة: جواز القصر في السفر المباح، وهذه الرواية عن الإمام اختارها جماهير الأصحاب، وعن أحمد رواية أخرى: لا يقصر إلا في سفر الطاعة، اختارها بعض الأصحاب. انظر: المسائل الفقهية من الروايتين والوجهين، لأبي يعلى (١/ ١٧٦)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٢٨).

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ يقْسم الإمام المسلمين على طائفتين؛ فيصلي بالأُولى نصفَ الصلاة، وتقف الأخرى تحرس، ثم يصلي بالثانية بقيَّةَ الصلاة، وتقف الأولى تحرس.

واختُلف هل تُتِمُّ كلُّ طائفة صلاتَها -وهو مذهب الجمهور-، أم لا؟

وعلى القول بالإتمام اختُلف؛ هل يُتمُّونها في إِثْر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ اختُلف مَن المأمور بأخذ الأسلحة؟.

فقيل: الطائفة المصلِّية.

وقيل: الحارسة.

والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

ويدلُّ ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم أن يقاتلوا مَن قاتلهم؛ وإلَّا لم يكن معنى لأخذ الأسلحة إذا لم يَدفعوا بها مَن قاتلهم.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ الضمير في قوله: ﴿سَجَدُواْ﴾ للمصلين، والمعنى: إذا سجدوا معك في الركعة الأُولى.

وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء.

والضمير في قوله: ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾:

[أ-] يَحتمل أن يكون للذين سجدوا؛ أي: إذا سجدوا فلْيقوموا ولْيرجعوا وراءكم.

وعلى هذا :

إن كان السجود هنا في الركعة الأولى : فيقتضي ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى، ثم يَحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقيةَ صلاتهم أو لا يقضونها .

وإن كان السجود ركعةَ القضاء : فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلّا بعد القضاء، وهو مذهب مالك والشافعي .

[ب -] ويَحتمل أن يكون الضمير في قوله : ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ للطائفة الأخرى؛ أي : يقفون وراء المصلِّين يحرسونهم في حال سجودهم .

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ يعني : الطائفةَ الحارسة .

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ عما جرى في غزوة ذات الرقاع مِن عزْم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فنزل جبريل على النبي ﷺ، وأخبره بذلك، وشُرِعت صلاة الخوف؛ حذرًا من الكفار .

وفي قوله تعالى : ﴿مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ مبالغةٌ؛ أي : مُستأصِلةً لا يُحتاج معها إلى ثانية .

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ الآيةَ؛ نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف، كان مريضًا فوَضع سلاحه فعنَّفه[1] بعض الناس، فرخَّص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر، ويُقاس عليهما : كلُّ عذر يَحدث في ذلك الوقت .

---

(١) في أ : «فعتبه» وفي الهامش : «خ : فعنفه» .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ إن قيل: كيف طابَق الأمرُ بالحذر للعذاب المهين؟

فالجواب: أن الأمر بالحذر من العدوِّ يقتضي توهُّمَ قوَّتِهم وعزَّتهم، فنفى ذلك الوهمَ بالإخبار أن الله يُهِينهم ولا ينصرهم؛ لتَقْوى قلوبُ المؤمنين. قال ذلك الزمخشري[1].

وإنما يصحُّ ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر: أنه في الآخرة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ؛ أي: إذا فرَغتم من الصلاة فاذكروا الله بألسنتكم.

وذكَرَ القيامَ والقعود وعلى الجُنوب؛ ليَعُمَّ جميع أحوال الإنسان.

وقيل: المعنى: إذا تلبَّستم بالصلاة فافعلوها قيامًا، فإن لم تقدروا فقعودًا، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم.

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة.

﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: محدودًا بالأوقات.

وقال ابن عباس: فرضًا مفروضًا.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: لا تَضعُفوا في طلب الكفار.

---

(١) الكشاف (٥/ ١٤٣).

﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن أصابكم ألمٌ من القتال فكذلك يصيب الكفارَ ألمٌ مثلُه، ومع ذلك فإنكم ترجون -إذا قاتلتموهم- النصرَ في الدنيا، والأجر في الآخرة، وذلك تشجيعٌ للمسلمين.

* * *

[﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾].

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد: بالوحي، أو بالاجتهاد أو بهما.

وإذا تضمَّنت الاجتهادَ؛ ففيها دليلٌ على إثبات النظر والقياس، خلافًا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة طِعْمَة ابن الأُبَيْرِق؛ إذ سَرق طعامًا وسلاحًا لبعض الأنصار، وجاء قومُه إلى النبي ﷺ وقالوا: إنه بريءٌ، ونسبوا السرقةَ إلى غيره، وظنَّ رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم؛ ليَدفع ما نُسِب إليهم، حتى نزَل القرآن فافتُضِحوا.

فالخائنون في الآية: هم السُّرَّاق بنو الأبيرق، وقال السهيلي: هم بِشْرٌ

وبُشَير ومُبَشِّر وأُسَير[١].

ومعناها: لا تكن لأجل الخائنين مخاصِمًا لغيرهم.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ أي: مِن خِصامك عن الخائنين؛ على أنه ﷺ إنما تكلَّم على الظاهر وهو يعتقد براءَتهم.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يُدبِّرون ليلًا، وإنما سُمِّي التدبير قولًا؛ لأنه كلامُ النفس، وربما كان معه كلام باللسان.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ قيل: إن الخطيئة تكون عن عمدٍ وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلَّا عن عمد.

وقيل: هما بمعنًى[٢]؛ وكُرِّر لاختلاف اللفظ.

﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لَبِيدِ بن سهلٍ.

﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ هم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وأبرؤوا ابنَ الأُبيرق من السرقة.

وهذه الآيات[٣]، وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة؛ فهي أيضًا تتضمَّن أحكامَ غيرِها.

وبقية الآية تشريفٌ للنبي ﷺ، وتقرير لنِعَم الله عليه.

---

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨٧.

(٢) في د زيادة: «واحد».

(٣) في ب: «الآية».

[﴿ ۞ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ
بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ
وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ
الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ
فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن
يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا
﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾].

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ إن كانت النجوى هنا بمعنى: الكلام الخفي؛ فالاستثناء الذي بعد هذا منقطعٌ.

وقد يكون متَّصلًا؛ على حذف مضاف تقديره: إلَّا نجوى مَن أمر.

وإن كانت النجوى بمعنى: الجماعة؛ فالاستثناء متصلٌ.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يُعاديه؛ والشِّقاق: هو العداوة.

ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق؛ لأنه ارتدَّ وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامةٌ فيه وفي غيره.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ استدلَّ الأصوليون بهذا[1] على صحة إجماع المسلمين، وأنه لا تجوز مخالفته؛ لأن مَن خالفه اتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين. وفي ذلك نظر.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نتركه مع اختياره الفاسد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ قد تقدَّم الكلام على نظيرتها[2].

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار.

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون.

واختُلف في الإناث هنا:

فقيل: هي الأصنام؛ لأن العرب كانت تسمِّي الأصنام بأسماءَ مؤنثةٍ، كاللَّات والعزى.

وقيل: المراد: الملائكة؛ لقول الكفار: إنهم إناثٌ، وكانوا يعبدونهم؛ فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد.

وقيل: المراد: الأصنام؛ لأنها لا تَعْقِل، فيُخبَر عنها كما يُخبَر عن المؤنث.

---

(١) في ب، د: «بها».

(٢) انظر صفحة ٦٦.

﴿إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾ يعني: إبليس، وإنما قال: إنهم يعبدونه؛ لأنهم يطيعونه في الكفر والضَّلال.

والمَرِيد: هو الشديدُ العُتوِّ والإِضلال.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ صفةٌ للشيطان.

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾: للشيطان.

و﴿مَّفۡرُوضٗا﴾ أي: فَرَضْتُه لنفسي؛ من قولك: فَرَضَ للجندِ وغيرهم، والمراد بهم: أهلُ الضلال.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ أي: أَعِدُهم الأمانيَّ الكاذبة.

﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ أي: يُقَطِّعونها، والإشارةُ بذلك إلى البَحِيرة وشبهها.

﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ التَّغيير: هو الخِصاءُ وشبهُه؛ وقد رخَّص جماعة من العلماء في خِصاء البهائم إذا كان فيه منفعةٌ، ومنَعه بعضهم؛ لظاهر الآية.

وقيل: التغيير: هو الوَشْمُ وشبهُه؛ ويدلُّ على هذا الحديثُ الذي لعن فيه الواشمات، والمستوشمات، والمتنمِّصات، والمتفلِّجات للحسن، المغيِّرات خلق الله[(١)].

﴿مَحِيصٗا﴾ أي: مَعدِلًا ومَهرَبًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ مصدران:

الأول: مؤكِّدٌ للوعد الذي يقتضيه قوله: ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾.

والثاني: مؤكِّد لـ ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾.

﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ﴾ الآيةَ؛ اسم «ليس» مضمر؛ تقديره: «الأمرُ» وشبهه.

والخطاب للمسلمين، وقيل: للمشركين.

أي: لا يكون ما تتمنَّون[1]، ولا ما يتمنَّى أهل الكتاب، بل يَحكم الله بين عباده، ويجازيهم بأعمالهم.

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ وعيدٌ حتمٌ في الكفار، ومقيَّدٌ بمشيئة الله في المسلمين.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دخلت «مِن» للتبعيض؛ رِفقًا بالعباد؛ لأن الصالحات على الكمال لا يُطِيقها البشر.

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ تقييدٌ باشتراط الإيمان؛ فإنه لا يقبل عملٌ إلَّا به.

﴿نَقِيرٗا﴾ هو النُّقْرَة التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى: تمثيلٌ بأقلِّ الأشياء.

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: دينَ الإسلام.

﴿حَنِيفٗاۗ﴾ حالٌ: مِن المتَّبع، أو من ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ أي: صَفِيًّا؛ وهو مشتقٌّ مِن الخُلَّة بمعنى المودَّة، وفي ذلك تشريفٌ لإبراهيم، وترغيبٌ في اتِّباعه.

(١) في ب، ج، هـ، د: «تمنَّون».

[﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي: يسألونك عمَّا يجب عليهم في أمر النساء.

﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ عطفٌ على اسم ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: يُفتِيكم اللهُ والمتلوُّ(١) في الكتاب؛ يعني: القرآنَ.

﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوَّج اليتيمةَ من أقاربه بدون ما تستحقُّه من الصَّداق.

فقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني: ما تستحقه المرأةُ من الصداق.

---

(١) في ب، د زيادة: «عليكم».

وقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني: لجمالهنَّ ومالهنَّ من غير توفيةِ حقوقهنَّ، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك في قوله أوَّلَ السورة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآيةَ، وهذه هي التي تُلِيت عليهم في يتامى النساء.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطفٌ على: ﴿يَتَامَى النِّسَاءِ﴾؛ أي: والذي يُتلى في المستضعفين مِن الولدان؛ وهو قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؛ لأن العرب كانت لا تُوَرِّثُ البنتَ ولا الابنَ الصغير، فأَمر الله أن يأخذوا نصيبَهم من الميراث.

﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ عطفٌ على: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؛ أي: والذي يُتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط.

ويجوز أن يكون منصوبًا(١)؛ تقديره: ويأمركم أن تقوموا.

والخطاب في ذلك: للأولياء والأوصياء، أو للقضاة وشبهِهم.

والذي تُلي(٢) عليهم في ذلك هو قولُه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآيةَ، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] إلى غير ذلك.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معنى الآية: إباحةُ الصُّلح بين الزوجين إذا خافت النُّشوزَ أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف؛ كذلك يجوز بعد وقوع

---

(١) في د زيادة: «بفعل محذوف».

(٢) في د: «يتلى».

النشوز أو(١) الإعراض.

وقد تقدَّم معنى النشوز(٢)، وأما الإعراض فهو أخفُّ منه.

ووجوه الصلح كثيرةٌ؛ منها: أن يعطيَها الزوج شيئًا، أو تعطيَه هي، أو تسقطَ حقَّها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك.

وسبب الآية: أن سَودةَ بنت زَمْعة لما كَبِرَتْ خافت أن يطلِّقها رسول الله ﷺ، فقالت له: أَمسِكني في نسائك ولا تَقسِم لي، وقد وهبتُ يومي لعائشة.

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ لفظٌ عامٌّ؛ يدخل فيه صُلح الزوجين وغيرهما.

وقيل: معناه: صلح الزوجين خيرٌ من فراقهما؛ فـ ﴿خَيۡرٞ﴾ على هذا للتفضيل، واللام في ﴿وَٱلصُّلۡحُ﴾ للعهد.

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ معناه: أن الشحَّ جُعِل حاضرًا مع النفوس لا يَغيب عنها؛ لأنها جُبِلت عليه.

والشحُّ: هو أن لا يسمح الإنسانُ لغيره بشيءٍ من حظوظ نفسه.

وشحُّ المرأة من(٣) هذا: هو طلبها لحقِّها من النفقة والاستمتاع.

وشحُّ الزوج: هو منع الصَّداق، أو التضييق في النفقة، وزهده في المرأة؛ لكِبَر سنِّها أو قُبح صورتها.

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ معناه: العدلُ التامُّ الكامل في

---

(١) في ج، هـ، د: «و».

(٢) انظر صفحة ٥١.

(٣) في د: «على».

الأقوال والأفعال والمحبَّة وغيرِ ذلك، فرفَع الله ذلك عن عباده؛ فإنهم لا يستطيعونه، وقد كان رسول الله ﷺ يَقْسِم بين نسائه ثم يقول: «اللهم هذا فعلي فيما أَمْلك؛ فلا تؤاخذْني فيما[1] لا أملك»[2] يعني: مَيْلَه بقلبه.

وقيل: إنَّ الآية نزلت في مَيْلِه ﷺ بقلبه إلى عائشة.

ومعناها: اعتذارٌ مِن الله تعالى عن عباده.

﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ أي: لا ذات زوج ولا مطلَّقة.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الآيةَ؛ معناها: إن تفرَّق الزوجان بطلاقٍ أغنى الله كلَّ واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعدٌ بخيرٍ وتأنيسٌ.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أنَّ الله وصَّى الأوَّلِين والآخِرين بأن يتقوه.

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ أي: بقومٍ غيرِكم، وروي أنَّ النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كَتِف سلمان الفارسي، وقال: «هم قوم هذا»[3].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآيةَ؛ تقتضي الترغيبَ في طلب ثواب الآخرة؛ لأنه خيرٌ من ثواب الدنيا.

وتقتضي -أيضًا- أن يُطلَب ثوابُ الدنيا والآخرة من الله وحدَه؛ فإنَّ ذلك بيده لا بيد غيره.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «بما»، والمثبت موافق لما في السنن والمسند.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥١١١)، وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٣٩٥)، وابن ماجه (١٩٧١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٢).

وعلى أحد هذين الوجهين يَرتبط الشرطُ بجوابه:

فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يَقتصِرْ عليه خاصةً؛ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة.

وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا فلْيطلبْه من الله؛ فعنده ثواب الدنيا والآخرة.



[﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾].

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: مجتهدين في إقامة العدل.

﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ معناه: لوجه الله ولمرضاته.

﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ يتعلَّق بـ ﴿شُهَدَاءَ﴾.

وشهادة الإنسان على نفسه: هي إقرارُه بالحقِّ.

ثم ذَكر الوالدَين والأقربين؛ إذ هم مَظِنَّةٌ للتعصب والميل؛ فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أحرى وأولى.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ جواب «إن» محذوفٌ على الأظهر؛ أي: إن

يكن المشهودُ عليه غنيًا فلا يَمتنِعْ[١] من الشهادة عليه تعظيمًا له، وإن كان فقيرًا فلا يَمتنعْ[٢] من الشهادة عليه إشفاقًا عليه؛ فإنَّ اللهَ أولى بالغني والفقير؛ أي: بالنظر لهما.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ «أنْ» مفعولٌ من أجله، ويَحتمل أن يكون المعنى:

مِن العَدل؛ فالتقدير: إرادةَ أن تَعدِلوا بين الناس.

أو من العُدول؛ فالتقدير: كراهةَ أن تَعدِلوا عن الحقِّ.

﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾ قيل: إنَّ الخطاب للحُكَّام.

وقيل: للشُّهود.

واللفظ عامٌّ في الوجهين.

واللّيُّ: هو تحريف الكلام.

أي: إن تَلْوُوا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحقِّ، أو تُعرِضوا عن صاحب الحق، أو عن المشهود[٣] له فإنَّ الله يُجازيكم؛ فإنه خبير بما تعملون.

وقرئ: ﴿وَإِن تَلُوا﴾ بضم اللام؛ من الوِلاية؛ أي: إن وَلِيتم إقامةَ الشهادة، أو أَعرضتم عنها.

---

(١) في د: «تمتنع».
(٢) في د: «تمتنع».
(٣) في د: «الشهادة».

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للمسلمين، معناه:

الأمر بأن يكون إيمانُهم على الكمال بكلِّ ما ذُكِر.

أو يكونُ أمرًا بالدَّوام على الإيمان.

وقيل: خطابٌ لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدِّمين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ.

وقيل: خطابٌ للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الآيةَ؛ قيل: هي في المنافقين؛ لتردُّدهم بين الإيمان والكفر.

وقيل: في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم[1] كفروا بمحمد ﷺ.

والأول أرجح؛ لأنَّ الكلام مِن هنا فيهم.

والأَظهر: أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ، ثم ارتدَّ، ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتدَّ وزاد كفرًا.

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذلك فيمن عَلِمَ اللهُ أنه يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابًا لهم بسوءِ أفعالهم.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الآيةَ؛ إشارةٌ إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الانعام: ٦٨] وغيرِها.

---

(١) في د: «و».

وفي الآية دليلٌ على وجوب تجنُّب أهل المعاصي.

والضمير في قوله: ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود على: ما يدلُّ عليه سياق الكلام مِن الكافرين والمنافقين.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ صفةٌ للمنافقين؛ أي: ينتظرون بكم دوائرَ الزمان.

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: نَغْلِبْ على أمركم بالنُّصرة لكم والحَمِيَّة.

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال علي بن أبي طالب وغيره: ذلك في الآخرة.

وقيل: السبيل هنا: الحجة الغالبة[1].

---

(١) كذا في ب، وهامش أ ورمز له بـ«خ» وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٣/ ٤٩)، وفي بقية النسخ: «البالغة».

[﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾].

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ذُكر في «البقرة»[1].

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب؛ لأنَّ وبالَ خِداعهم راجعٌ عليهم[2].

﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ أي: مضطربين متردِّدين، لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار.

﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: حجةً ظاهرة.

---

(١) انظر صفحة ١/ ٢٧٣.

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٢٧٥، ١/ ٥٤٥، وصفحة ٤٢٢، و٥١٢ من هذا الجزء.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ أي: في الطبقة السُّفلى من جهنم، وهي سبعُ طبقاتٍ.

وفي ذلك دليلٌ على أنهم شرٌّ من الكفار.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ استثناءٌ من المنافقين، والتوبة هنا: الإيمان الصَّادق في الظاهر والباطن.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ المعنى: أيُّ حاجةٍ أو منفعة لله بعذابكم وهو الغنيُّ عنكم!.

وقدَّم الشكر على الإيمان؛ لأنَّ العبد ينظر إلى النعم فيَشكر عليها ثم يؤمن بالمنعِم، فكأنَّ الشكر سببٌ للإيمان متقدِّمٌ عليه.

ويَحتمل أن يكون الشكر يتضمَّن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدًا واهتمامًا به.

والشَّاكر اسم الله، ذُكِر في «اللغات»[1].

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ أي: إلَّا جَهْرَ المظلوم، فيجوز له مِن الجهر:

أن يدعوَ على مَن ظَلمه.

وقيل: أن يَذكر ما فُعل به من الظُّلم.

وقيل: أن يَرُدَّ عليه بمثل مَظلمته إن كان شتَمه.

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآيةَ؛ ترغيبٌ في فعل الخير سرًّا وعلانية،

---

(١) انظر المادة (٥٤٠) في اللغات.

وفي العفو عن الظلم بعد أن أَباح الانتصارَ؛ لأن العفوَ أحبُّ إلى الله من الانتصار، وأكَّد ذلك بوصفه تعالى نفسَه بالعَفْو مع القُدرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآيةَ؛ [1] في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمدٍ ﷺ وغيرِه.

ومعنى التَّفريق بين الله ورسله: الإيمانُ به والكفر برسله.

وكذلك التفريق بين الرُّسل: هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحَكم الله على مَن كان كذلك بحُكم الكفر الحقيقيِّ الكامل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآيةَ؛ في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله.



(١) في د زيادة: «نزلت».

[﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ
بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا
غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ
مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا
صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ
ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ
ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾
وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن
قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾].

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية؛ روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتابٍ من السماء جملةً كما أتى موسى بالتوراة.

وقيل: كتابٌ إلى فلان، وكتابٌ إلى فلان بأنك رسول الله.

وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنُّت، فذكر الله سؤالهم من موسى، وسوءَ أدبهم معه؛ تسليةً للنبي ﷺ بالتأسّي بغيره.

ثم ذَكر أفعالهم القبيحة؛ ليُبيِّن أنَّ كفرَهم إنما هو عنادٌ، وقد تقدَّم في «البقرة»[1] ذِكْرُ طلبِهم للرؤية، واتخاذهم العجلَ، ورَفْع الطورِ فوقَهم، واعتدائهم في السَّبت وغيرِ ذلك مما أشير إليه هنا.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ «ما» زائدةٌ؛ للتأكيد، والباء تتعلَّق:

بمحذوفٍ؛ تقديره: بسبب نقْضِهم فَعَلْنا بهم ما فعلنا.

أو تتعلَّق بقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ويكون ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ -على هذا- بدلًا من قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾.

﴿بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ هو أنْ رَمَوْا مريمَ بالزِّنا مع رؤيتهم الآيةَ في كلام عيسى في المهد.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عدَّد اللهُ في جملة قبائحهم قولَهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾؛ لأنهم قالوها افتخارًا وجُرْأةً مع أنهم كذَبوا في ذلك، ولَزِمهم الذنبُ وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي أُلْقِي شَبَهُه عليه، وهم يعتقدون أنه عيسى.

وروي أن عيسى قال للحواريين: أيُّكم يُلْقَى عليه شَبَهِي فيُقتَل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فأُلقِي عليه شَبَهُ عيسى فقُتِل على أنه عيسى.

وقيل: بل دلَّ على عيسى يهوديٌّ، فألقى اللهُ شَبه عيسى على اليهودي،

---

(١) انظر صفحة ١/ ٣١٥ وما بعدها.

فقُتِل اليهوديُّ، ورُفِع عيسى إلى السماء حيًا، حتى ينزلَ إلى الأرض فيقتلَ الدَّجَّالَ.

﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ إن قيل: كيف قالوا فيه ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وهم يكفرون به ويسبُّونه؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكُّم والاستهزاء.

والثاني: أنهم قالوه على حسَب اعتقاد المسلمين فيه؛ كأنهم قالوا: رسول الله عندَكم أو بزعمِكم.

الثالث: أنه مِن قول الله لا من قولهم؛ فيوقف قبله، وفائدته: تعظيمُ ذنبهم، وتقبيح قولهم: إنا قتلناه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ردٌّ عليهم وتكذيبٌ لهم وللنصارى أيضًا في قولهم: إنه صُلِب؛ حتى عبدوا الصَّليب من أجل ذلك، والعَجب كلُّ العجب مِن تناقضهم في قولهم: إنه إلهٌ أو ابن إلهٍ، ثم يقولون: إنه صُلِب!.

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما ذكرناه مِن إلقاء شَبَهِه على الحواريِّ، أو على اليهودي.

والآخر: أنَّ معناه: شُبِّه لهم الأمرُ؛ أي: خَلط لهم القومُ الذين حاولوا قتله؛ فإنهم قتلوا رجلًا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يَقرُبوا منه، حتى تغيَّر بحيث لا يُعرف، وقالوا للناس: هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقَهم وكانوا متعمِّدين للكذب.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ روي أنه لما رُفع عيسى وأُلقي شَبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتولُ عيسى فأين صاحبُنا؟، وإن كان هذا صاحبَنا فأين عيسى؟ فاختلفوا، فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أنَّ شخصًا قُتِل، واختلفوا مَن كان.

﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناءٌ منقطع؛ لأنَّ العلم تحقيقٌ والظن تردُّدٌ.

وقال ابن عطية: هو متَّصلٌ؛ إذ الظنُّ والعلم يَجمعهما جنسُ المعتقدات[1].

فإن قيل: كيف وصفهم بالشكِّ وهو تردُّدٌ بين احتمالين على السَّواء، ثم وصفهم بالظنِّ وهو ترجيحُ أحد الاحتمالين؟

فالجواب: أنهم كانوا على الشكِّ، ثم لَاحَتْ لهم أَمارةٌ فظنُّوا. قاله الزمخشري[2].

وقد يقال: الظنُّ بمعنى الشك، وبمعنى الوَهْم الذي هو أضعف من الشك.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ أي: ما قتلوه قتلًا يقينًا؛ فإعراب ﴿يَقِينًۢا﴾ على هذا: صفةٌ لمصدر محذوف.

وقيل: هو مصدرٌ في موضع الحال؛ أي: ما قتلوه متيقِّنين.

وقيل: هو تأكيدٌ للنفي الذي في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾؛ أي: تَيقَّنَ نفيُ قتلِه، وهو على هذا منصوبٌ على المصدرية.

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٦٢).

(٢) الكشاف (٥/ ٢٢١).

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ أي: إلى سمائه[١]، وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية[٢].

﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: أنَّ الضمير في ﴿مَوۡتِهِۦ﴾ لعيسى، والمعنى: أنَّ كلَّ أحدٍ من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزلُ إلى الأرض، قبل أن يموت عيسى، وتصيرُ الأديان كلُّها حينئذٍ دينًا واحدًا، وهو دين الإسلام.

والثاني: أنَّ الضمير في ﴿مَوۡتِهِۦ﴾ للكتابيِّ الذي تضمَّنه قولُه: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، التقدير: وإن من أهل الكتاب أحدٌ إلَّا ليؤمننَّ بعيسى ويَعلمُ أنه نبيٌّ قبل أن يموت هذا الإنسان؛ وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمانٌ لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره.

وفي مصحف أبيِّ بن كعب: «قبل موتهم»، وفي هذه القراءة تقويةٌ للقول الثاني.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾: لعيسى على الوجهين.

وقيل: هو لمحمد ﷺ.

﴿وَبِصَدِّهِمۡ﴾ يَحتمل أن يكون:

بمعنى الإعراض؛ فيكون ﴿كَثِيرٗا﴾ صفةً لمصدر محذوف؛ تقديره: صدًّا كثيرًا.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في صفحة ١/٥٤٦.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

أو بمعنى صدِّهم لغيرهم؛ فيكون ﴿كَثِيرًا﴾ مفعولًا بالصدِّ؛ أي: صَدُّوا كثيرًا من الناس عن سبيل الله.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ﴾ هم عبد الله بن سلَام، ومُخَيْرِيق، ومَن جرى مجراهم.

﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ منصوبٌ على المدح بإضمارِ فعلٍ، وهو جائزٌ كثيرٌ في الكلام.

وقالت عائشة: هو مِن لحن كُتَّاب المصحف(١).

وفي مصحف ابن مسعود: «والمقيمون» على الأصل.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٦٨٠)، والفراء في معاني القرآن (١/ ١٠٦) بإسنادهما عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة ﵂ عن قوله: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾، وعن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ وعن قوله: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ فقالت: «يا ابن أختي، هذا عمل الكُتَّاب أخطؤوا في الكتاب»، وقال السيوطي في الإتقان (٢/ ٢٦٩): «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»، وقال الطبري تعليقًا على هذا الأثر (٧/ ٦٨٤): «فلو كان ذلك خطأً من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غيرِ مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه= بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبيٍّ في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صوابٌ غيرُ خطإٍ، مع أن ذلك لو كان خطأً من جهة الخط لم يكن الذين أُخِذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلِّمون مَن علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم، ولقَّنوه للأمة تعليمًا على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعًا ذلك قراءةً على ما هو به في الخط مرسومًا أدلُّ الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صُنْعَ في ذلك للكاتب»، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ٢٤٨) وما بعدها.

[﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾].

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على اليهود الذين سألوا من النبي[1] ﷺ أن يُنزِّلَ عليهم كتابًا من السماء، واحتجاجٌ عليهم بأن الذي أتى به وحيٌ، كما أتى مَن تقدَّم مِن الأنبياء بالوحي من غير إنزال كتابٍ من السماء، ولذلك أكثرَ مِن ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا؛ لتقومَ بهم الحجة.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ﴾ منصوبٌ بفعل مضمر؛ أي: أرسلنا رسلًا.

---

(١) في أ: «سألوا النبيَّ».

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ تصريحٌ بالكلام، مؤكَّدٌ بالمصدر، وذلك دليلٌ على بطلان قول المعتزلة: إنَّ الشجرة هي التي كلَّمت موسى.

﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ﴾ منصوبٌ:

بفعل مضمر.

أو على البدل.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ أي: بعَثَهم الله ليَقطعَ حجَّةَ مَن يقول: لو أُرسِل إليَّ رسولٌ لآمنت.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ الآيةَ؛ معناها: أنَّ الله يشهد بأن القرآن مِن عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك.

وسبب الآية: إنكارُ اليهود للوحي، فجاء الاستدراك؛ على تقدير أنهم قالوا: لن نشهدَ بما أُنزِل إليك، فقيل: لكن الله يشهد بذلك.

وفي الآية من أدوات البيان: التَّرديد، وهو ذكر الشهادة أوَّلًا، ثم ذكرها في آخر الآية.

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ في هذا دليلٌ لأهل السنة على إثبات علم الله، خلافًا للمعتزلة في قولهم: إنه عالم بلا علم، وقد تأوَّلوا الآيةَ بتأويلٍ بعيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابٌ عام؛ لأن النبي ﷺ بُعِث إلى جميع الناس.

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ انتصب ﴿خَيۡرٗا﴾ هنا، وفي قوله: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾:

بفعلٍ مضمر لا يظهر؛ تقديره: ائتوا خيرًا لكم. هذا مذهب سيبويه.

وقال الخليل: انتصب بقوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ﴾ و﴿ٱنتَهُواْ﴾ على المعنى.

وقال الفرَّاء: فآمنوا إيمانًا خيرًا لكم؛ فنصبه على النعت لمصدر محذوف.

وقال بعض الكوفيين: هو خبر «كان» المحذوفة؛ تقديره: يكن الإيمان خيرًا لكم.

﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: هو غنيٌّ عنكم، لا يضرُّه كفرُكم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ هذا خطابٌ للنصارى؛ لأنهم غلَوْا في عيسى حتى كفَروا، فلفظ «أهل الكتاب» عمومٌ يراد به الخصوص في النصارى؛ بدليل ما بعد ذلك.

والغلو: هو الإفراط وتجاوز الحد.

﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ أي: مكوَّنٌ عن كلمته التي هي «كن»، مِن غير واسطةِ أبٍ ولا نطفة.

﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ أي: ذو روحٍ من الله، فـ«مِن» هنا: لابتداء الغاية، والمعنى: مِن عند الله.

وجعَله من عند الله؛ لأن الله أَرسل به جبريلَ ﵇ إلى مريم.

﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ نهيٌ عن التَّثليث الخبيث، وهو مذهب النصارى.

وإعراب ﴿ثَلَٰثَةٌۚ﴾: خبر ابتداءٍ مضمر.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ برهانٌ على تنزيهه تعالى عن الولد؛ لأنه مالك كل شيء.

[﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾].

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ لن يأنف. وكذلك[1] حيث وقع.

﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيه دليلٌ لمن قال: إنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنى: لن يستنكف عيسى ولا مَن فوقه.

﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ هو القرآن، وهو أيضًا النور المبين.

ويَحتمل أن يريد بالبرهان: الدلائلَ والحُجج، وبالنور: النبيَّ ﷺ؛ لأنه سمَّاه سراجًا.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يَطلبون منك الفُتْيا.

ويَحتمل أن يكون هذا الفعل:

طالبًا للكلالة، و﴿يُفْتِيكُمْ﴾ أيضًا طالبًا لها؛ فيكون من باب الإعمال،

(١) في د زيادة: «معناه».

وأُعمِل العامل الثاني على اختيار البصريين.

أو يكون ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ مقطوعًا عن ذلك؛ فيوقَف عليه.

والأول أظهر.

وقد تقدَّم معنى الكلالة في أوَّل السورة(١).

والمراد بالأخت والأخِ هنا: الشَّقائق، والذين للأبِ إذا عَدِم الشقائقُ، وقد تقدَّم حكم الإخوة للأمِّ في قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ الآية.

﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ ارتفع بفعل مضمر عند البصريين.

ولا إشكال فيما ذُكِر هنا من أحكام المواريث.

﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾ مفعولٌ من أجله؛ تقديره: كراهةَ أن تَضِلُّوا.



(١) انظر صفحة ٢٣.

﴿ سورة المائدة ﴾

[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٤ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾].

﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ قيل: إن العقود هنا: ما عقده الإنسانُ مع غيره مِن بيعٍ

ونكاح وعتق وشبه ذلك.

وقيل: ما عقده مع ربِّه من الطَّاعات، كالحج والصيام وشبه ذلك.

وقيل: ما عقده اللهُ عليهم من التَّحليل والتحريم في دينه؛ ذُكِر مجمَلًا ثم فُصِّل بعد ذلك في قوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم﴾ وما بعده.

﴿بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ هي: الإبل والبقر والغنم.

وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخصُّ منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها.

قال الزمخشري: هي الإضافة التي بمعنى «مِن»، كخاتمِ مِن حديد؛ أي: البهيمة من الأنعام[1].

وقيل: هي الوحش؛ كالظِّباءِ، وبقر الوحش.

والمعروف من كلام العرب: أن الأنعام لا يقع إلَّا على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كلِّ حيوانٍ ما عدا الإنسان.

﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يريد: الميتةَ وأخواتها.

﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ نُصِب على الحال من الضمير في ﴿لَكُم﴾.

﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾ حالٌ من ﴿مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾.

و﴿حُرُمٌ﴾ جمع حرامٍ؛ وهو المُحْرِم بالحج.

---

(١) الكشاف (٥/ ٢٥٥).

فالاستثناء بـ «إِلَّا» من البهائم المحلَّلة، والاستثناء بـ «غير» من القوم المخاطَبين.

﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي مناسك الحج؛ كان المشركون يحجُّون ويعتمرون، فأراد المسلمون أن يُغِيروا عليهم، فقيل لهم: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُغِيروا عليهم ولا تصدُّوهم.

وقيل: هي الحَرَم، وإحلالُه: الصيد فيه.

وقيل: هي ما يَحرُم على الحاج من النساء والصَّيد[1] وغير ذلك، وإحلالُه: فعله.

﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ قيل: هو جنس الأشهر الحُرُم الأربعة؛ وهي: رجب، وذو القَعدة، وذو الحِجَّة، والمحرَّم.

وقيل: أشهر الحج؛ وهي: شوال، وذو قَعدة، وذو الحجة.

وإحلالها: هو القتال فيها، وتغيير حالها.

﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ هو ما يُهدَى إلى البيت الحرام من الأنعام، ويذبح تقرُّبًا إلى الله، فنَهى الله أن يُستحَلَّ؛ بأن يُغار عليه، أو يُصَدَّ عن البيت.

﴿وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ قيل: هي التي تُعلَّق في أعناق الهدي؛ فنَهى عن التعرُّض لها.

وقيل: أراد: ذواتِ القلائد من الهدي؛ وهي البُدْن، وجرَّدَها بالذِّكْر بعد دخولها في الهدي؛ اهتمامًا بها وتأكيدًا لأمرها.

---

(١) في ب، د: «والطيب» بدل «والصيد»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: القاصدين إلى البيت لحجٍّ أو عمرة، نهى الله عن الإغارة عليهم أو صدِّهم عن البيت.

ونزلت الآية - على ما قال السهيلي - بسبب الحُطَمِ البَكْريِّ - واسمه: شُريح بن ضُبَيعة -[(١)]، أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يَقصِد إلى الكعبة ليعتمر[(٢)].

وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عامٌّ في المسلمين والمشركين، ثم نُسِخ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وبقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧].

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ الفضل: الربح في التجارة، والرضوان: الرحمة[(٣)] في الدنيا أو[(٤)] في الآخرة.

---

(١) الحطم لقبٌ له، ومعناه: الراعي الذي يسوق ماشيته سوقًا عنيفًا، لقب بذلك لأنه غزا اليمن في جموعٍ جمعها من ربيعة فغنم وسبى بعد حربٍ كانت بينه وبين كندة، ثم رجع وأخذ في طريقِ مفازةٍ فضلَّ بهم دليلُهم ثمَّ هرب مِنْهُم، فهلك أناسٌ كثير بالعطش، فجعل شريح يسوق بأصحابه سَوقًا حثيثًا حتى نجوا ووردوا الماء، فقال فيه رشيد ابن رميض العَنَزي:

هــذا أوانُ الـشــدِّ فـاشــتـدِّي زِيَمْ ... قـد لـفَّـهـا الـلـيـلُ بـسَـوَّاقٍ حُـطَـمْ

إلى آخر الأبيات. انظر: فوات الوفَيات، للصفدي (١٦/ ٨٤).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٩١.

(٣) في ب، د: «الربح».

(٤) في ب، د: «و».

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: إذا حللتم مِن إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم؛ فالأمر هنا إباحةٌ بإجماع.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ معنى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يُكسِبنَّكم؛ يقال: جَرَم فلانٌ فلانًا هذا الأمرَ: إذا أكسبَه إيَّاه وحمَله عليه.

والشنآن: هو البغض والحِقد؛ ويقال بفتح النون وإسكانها.

و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ مفعولٌ من أجله.

و﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

ومعنى الآية: لا تَحملنَّكم[1] عداوةُ قومٍ على أن تعتدوا عليهم مِن أجل أنْ صدُّوكم عن المسجد الحرام.

ونزلت عام الفتح؛ حين ظفِر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدُّوهم عن المسجد الحرام عامَ الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم؛ لأن الله عَلِم أنهم يؤمنون.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وصيةٌ عامة.

والفرق بين البرِّ والتقوى:

أن البرَّ: عامٌّ في فعل الواجبات والمندوبات، وترك المحرمات، وفي كل ما يُقرِّب إلى الله.

---

(١) في أ، ب، د: «لا تحملْكم».

والتقوى: في الواجبات، وترك المحرمات، دونَ فعل المندوبات.

فالبرُّ أعم من التقوى.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الفرق بينهما:

أن الإثم: كلُّ ذنب بين العبد وبين الله (أو بينه وبين الناس)[١].

والعدوان: على الناس.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ تقدَّم الكلام عليها في «البقرة»[٢].

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تُخنَق بحبلٍ وشبهه.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ هي المضروبة بعصًا أو حجرٍ وشبهه.

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تَسقط من جبلٍ وشبهه[٣].

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نَطحتْها بهيمةٌ أخرى.

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: أكلَ بعضَه، والسَّبُعُ: كلُّ حيوانٍ مفترس؛ كالذئب والأسد والنَّمِر والثعلب والعُقَاب والنَّسْر.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل: إنه استثناءٌ منقطع؛ وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها: ما مات من الاختناق والوَقْذ والتَّرَدِّي والنَّطح وأكْل السَّبُعِ، والمعنى: حُرِّمت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكَّيتم من غيرها فهو حلال.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ

(٢) انظر صفحة ١/ ٣٩٤.

(٣) في ب، د: «وشبه ذلك».

وهذا القول ضعيف؛ لأنها إذا ماتت بهذه الأسباب فهي مَيْتةٌ؛ فقد دخلت في عموم الميتة، فلا فائدة لذكرها بعدَها.

وقيل: إنه استثناءٌ متصلٌ؛ وذلك إن أُرِيد بالمنخنقة وأخواتها: ما أصابته تلك الأسباب وأُدْرِكت ذكاتُه، والمعنى على هذا: إلَّا ما أدركتم ذكاتَه من هذه الأشياء فهو حلال.

ثم اختَلف أهلُ هذا القول: هل يشترط أن تكون لم تُنْفَذْ مَقاتِلُها أم لا؟

وأما إذا لم تُشرِف على الموت من هذه الأسباب فذكاتها جائزةٌ باتفاق.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ عطفٌ على المحرمات المذكورة.

و﴿ٱلنُّصُبِ﴾ حجارةٌ كان أهل الجاهلية يُعظِّمونها ويَذْبحون عليها، وليست بالأصنام؛ لأن الأصنامَ مصوَّرةٌ والنُّصُب غير مصوَّرة، وهي الأنصاب، والمفرد: نِصَابٌ.

وقد قيل: إن النُّصُب بضمتين: مفرد، وجمعه: أَنصاب.

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ عطفٌ على المحرمات أيضًا.

والاستقسام: هو طلب ما قُسِم له.

والأزلام: هي السِّهَام؛ واحدها: زلَمٌ - بضم الزاي وفتحها -، وكانت ثلاثةً قد كُتِب على أحدها: «افعل»، وعلى الآخر: «لا تفعل»، والثالث مهملٌ، فإذا أراد الإنسان أن يَعمل أمرًا جعلها في خَرِيطةٍ، وأدخل يده وأخرج أحدَها، فإن خرج له الذي فيه «افعل» فعَل ما أراد، وإن خرج له

الذي فيه «لا تفعل» تَركه، وإن خرج[١] المهمل أعاد الضَّرْب.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارةُ:

إلى تناول المحرمات المذكورة كلِّها.

أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرَّمه الله وجعله فسقًا؛ لأنه دخولٌ في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكِهانة وغيرها مما يرام به الاطِّلاعُ على الغيوب.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أي: يئسوا أن يَغلبوه أو يُبطِلوه.

ونزلت بعد العصر مِن يوم الجمعة يومَ عرَفة في حجة الوداع؛ فذلك هو اليوم المذكور؛ لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين.

ويَحتمل أن يكون المرادُ باليوم: الزمانَ الحاضر، لا اليومَ بعينه.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يَحتمل أن يكون:

بالنصر والظهور.

أو بتعليم الشرائع، وبيان الحلال والحرام.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ راجعٌ إلى المحرمات المذكورة قبلَ هذا، أباحها الله عند الاضطرار.

﴿فِى مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعةٍ.

---

(١) في ج، د زيادة: «له».

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ هو بمعنى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ وقد تقدَّم في «البقرة»[1].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قام مقام: «فلا جناح عليه»، وتضمَّن زيادةَ الوعد.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببها: أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يَحِلُّ لهم من المآكل.

وقيل: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سألوه: ماذا يحل لنا من الكلاب؟ فنزلت مبيِّنةً للصيد بالكلاب.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هي عند مالك: الحلال؛ وذلك ما لم يرد تحريمُه في كتاب ولا سنة.

وعند الشافعي: الحلال المستلَذُّ؛ فحرَّم كل مستقذَرٍ كالخنافس وشبهها؛ لأنها من الخبائث.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾؛ على حذف مضاف تقديره: وصيدُ ما علَّمتم.

أو: مبتدأ وخبره: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن؛ لأنه لا حذفَ فيه.

والجوارح: هي الكلاب ونحوها مما يُصَاد به، وسُمِّيت جوارح؛ لأنها كواسبُ لأهلها، فهو من الجَرْح بمعنى الكسب.

---

(١) انظر صفحة ١/ ٣٩٥.

ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب.

واختُلف فيما سواها:

ومذهب الجمهور: الجواز؛ للأحاديث الواردة في البُزَاة وغيرها.

ومنع بعضهم ذلك؛ لقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ فإنه مشتقٌّ من الكلب.

ونزلت الآية بسبب عَدي بن حاتم؛ فإنه كان له كلاب يَصطاد بها، فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: معلِّمين للكلابِ[1] الاصطيادَ.

وقيل: معناه: أصحاب كلاب.

وهو منصوبٌ على الحال من ضمير الفاعل في ﴿عَلَّمْتُم﴾.

ويقتضي قولُه: ﴿عَلَّمْتُم﴾ و﴿مُكَلِّبِينَ﴾: أنه لا يجوز الصيد إلَّا بجارحٍ معلَّم؛ لقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ ولقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ على القول الأول، ولتأكيده ذلك بقوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾.

وحدُّ التَّعليم:

عند ابن القاسم: أن يَفهم الجارحُ الإيسادَ[2] والزَّجرَ.

---

(١) في ج، د: «معلمين الكلابَ».

(٢) في د هنا وفي الموضع التالي: «الإشلاء». قال في لسان العرب (٤/ ٣٨): «وآسَدَ الكَلْبَ بالصيدِ إيسادًا: هيَّجه وأغراهُ، وأشلاه: دعاه»، وقال الإمام ثعلب في كتاب الفصيح (ص: ١٥٥): «وتَقُولُ: أَشْلَيْتُ الكَلْبَ وغَيْرَهُ: إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَيْكَ. وقَوْلُ النَّاسِ: أَشْلَيْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ خَطَأٌ. فَإِنْ أَردتَ ذَلِكَ قُلْتَ: آسَدْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ، وأَوْسَدتُهُ».

وقيل: الإيسادَ خاصةً.

وقيل: الزجرَ خاصة.

وقيل: أن يُجِيب إذا دُعِي.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: تعلمونهنَّ مِن الحيلة في الاصطياد وتأتِّي تحصيلِ الصيد، وهذا جزءٌ مما علمه الله الإنسانَ؛ فـ «من» للتبعيض.

ويَحتمل أن تكون لابتداء الغاية.

والجملة في موضع: الحال، أو استئنافٌ.

﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا إباحةٌ.

ويَحتمل أن يريد: مما أمسكن سواءٌ أكلت الجوارح منه أو لم تأكل، وهو ظاهر إطلاق اللفظ، وبذلك أخذ مالك.

ويَحتمل أن يريد: مما أمسكن ولم يأكلن منه؛ وبذلك فسَّره رسول الله ﷺ بقوله: «فإن أكل منه فلا تأكل؛ فإنه إنما أَمسك على نفسه»(١)، وقد أَخذ بهذا بعض العلماء.

وقد ورد في حديثٍ آخر: «إذا أكل فكل»(٢)، وهو حجة لمالك.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمرٌ بالتسمية على الصَّيد، ويجري الذبح مجراه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٥)، ومسلم (١٩٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٥٢).

وقد اختَلف الناس في حكم التَّسمية:

فقال الظاهرية: إنها واجبةٌ؛ حملًا للأمر على الوجوب، فإن تُرِكت التسمية عمدًا أو نسيانًا، لم تؤكل عندهم.

وقال الشافعي: إنها مستحبة؛ حملًا للأمر على الندب، وتؤكل عنده؛ سواءٌ تركت التسمية عمدًا أو نسيانًا.

وجَعل بعضهم الضمير في ﴿عَلَيۡهِۖ﴾ عائدًا على الأكل؛ فليس فيها - على هذا - أمرٌ بالتسمية على الصيد.

ومذهب مالك: أنه: إن تُرِكت التسمية عمدًا لم تؤكل، وإن تركت نسيانًا أُكِلت؛ فهي عنده واجبةٌ مع الذُّكْرِ، ساقطةٌ مع النسيان.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ معنى ﴿حِلّٞ﴾: حلالٌ، و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هم اليهود والنصارى.

واختُلف في نصارى بني تَغْلِبٍ من العرب، وفيمن كان مسلمًا ثم ارتدَّ إلى اليهودية أو النصرانية هل يَحلُّ لنا طعامُهم أم لا؟.

ولفظ الآية يقتضي الجواز؛ لأنهم من أهل الكتاب.

واختُلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا؟.

وأما الطعام؛ فهو على ثلاثة أقسام:

أحدها: الذبائح؛ وقد اتَّفق العلماء على أنها مُرادة في الآية، فأجازوا أكْل ذبائح اليهود والنصارى.

واختلفوا فيما هو محرَّمٌ عليهم في دينهم، هل يحل لنا أم لا؟.

على ثلاثة أقوال: الجواز، والمنع، والكراهة.

وهذا الاختلاف مبنيٌّ على: هل هو من طعامهم أم لا؟

فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه: جاز.

وإن أريد به ما يَحلُّ لهم: مُنِع.

والكراهة توسُّطٌ بين القولين.

القسم الثاني: ما لا محاولةَ لهم فيه؛ كالقمح والفاكهة، فهو جائز لنا باتِّفاقٍ.

والثالث: ما فيه محاولةٌ؛ كالخبز، وتَعصِير الزَّيت، وعَقْد الجُبْن، وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه:

فمنعه ابن عباس؛ لأنه رأى أن طعامهم هو الذَّبائح خاصةً، ولأنه يمكن أن يكون نجسًا.

وأجازه الجمهور؛ لأنهم رأوه داخلًا في طعامهم.

وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملًا، فأمَّا إذا تحقَّقْنا استعمالَ النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلًا، وقد صنف الطُّرطوشيُّ[1] في تحريم جُبْن النصارى، وقال: إنه يُنَجِّس البائعَ

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي نسبة إلى بلدة طُرطوشة بالأندلس، الفقيه المالكي، توفي بالاسكندرية سنة (٥٢٠هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ٢٤٤).

والمشتري والآلة؛ لأنهم يُعْقِدُونه بإِنْفَحَةِ[١] الميتة[٢].

ويجري مجرى ذلك الزيت إذا عَلِمنا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة.

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ هذه إباحةٌ للمسلمين أن يُطعِموا أهلَ الكتاب من طعامهم.

﴿وَالْمُحْصَنَٰتُ﴾ عطفٌ على الطعام المحلَّل.

وقد تقدَّم أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوُّج، والعِفَّة، والحرية.

فأما الإسلام فلا يصحُ هنا؛ لقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وأما التزوج فلا يصحُ أيضًا؛ لأن ذاتَ الزوج لا تحلُ لغيره.

ويَحتمل هنا: العفةَ والحرية.

فمَن حمَله على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواءٌ كانت حرة أو أَمَة.

ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأَمة، وهو مذهب مالك.

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢١] لأنه هذه في الكتابيَّات، والأخرى في المشركين من العرب.

---

(١) قال في «القاموس»: «الإنفَحَة بكسر الهمزة، وقد تشدد الحاء، وقد تكسر الفاء: شيءٌ يستخرج من بطن الجدْي الرضيع، أصفرُ، فيُعصر في صوفةٍ، فيغلظ كالجبن».

(٢) انظر: رسالة في تحريم الجبن الرومي، تحقيق: عبد المجيد التركي، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة (١٤١٧هـ)، صفحة (١٣١).

وقد جعل بعضُ الناس هذه ناسخةً لتلك.

وقيل بالعكس.

وقد تقدَّم معنى: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]، ومعنى الأَخدان[(١)].

* * *

(١) انظر صفحة ٤٢.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى
ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن
كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ
فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ
عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ٦ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ
سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ
هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ نزلت في غزوة المريسيع، حين انقطعَ[١] عِقد عائشة ﵂، فأقام الناس على الْتِماسِه وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، فنزلت الرُّخصة في التيمم، فقال أُسيد بن حُضير: ما هذه بأوَّل بركاتكم يا آلَ أبي بكر[٢]، ولذلك سُمِّيت الآيةُ آيةَ التيمم، وقد كان الوضوء مشروعًا قبلها، ثابتًا بالسنة.

---

(١) في د: «تلف».
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٢)، ومسلم (٣٦٧).

وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا.

ويقتضي ظاهرُها: وجوبَ تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة.

ومذهب الجمهور: أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال:

الأول: أنَّ وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخٌ بفعل رسول الله ﷺ؛ إذ صلى الصلوات الخمس يومَ الفتح بوُضوء واحد[1].

والثاني: أن ما تقتضيه الآيةُ من التجديد يُحمَل على الندب.

والثالث: أن تقديرها: إذا قمتم مُحْدِثين؛ فإنما يجب على من أَحدث.

والرابع: أن تقديرها: إذا قمتم من النوم.

﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ ذكَر في هذه الآية أربعة أعضاء:

اثنين محدودين؛ وهما اليدان والرجلان.

واثنين غير محدودين؛ وهما الوجه والرأس.

فأما المحدودان: فتُغسَل اليدان إلى المرفقين، والرجلان إلى الكعبين وجوبًا بإجماع؛ فإنَّ ذلك هو الحدُّ الذي جعَل الله لهما.

واختُلف: هل يجب غَسل المرفقين مع اليدين، وغسل الكعبين مع

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧).

الرجلين أم لا؟ وذلك مبنيٌّ على معنى «إلى»:

فمن جعل «إلى» بمعنى «مع» في قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ و﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أوجب غَسْلَهما.

ومَن جعَلها بمعنى الغاية لم يوجِب غسلهما.

واختلف في الكعبين؛ هل هما اللَّذان عند مَعقِد الشِّراك؟ أو العظمان النَّاتِئان في طرف السَّاق؟ وهو أظهر؛ لأنه ذكَرهما بلفظ التثنية، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق؛ لأنه على ذلك في كل رِجلٍ كعبٌ واحد.

وأما غير المحدودين: فاتُّفق على وجوب إيعاب الوجه.

وحدُّه طولًا: من أول منابت الشَّعر إلى آخر الذَّقَن أو اللحية، وحدُّه عرضًا: من الأذن إلى الأذن، وقيل: من العِذَار إلى العذار.

وأما الرأس: فمذهب مالك: وجوب إيعابه؛ كالوجه.

ومذهب كثيرٍ من العلماء: جواز الاقتصار على بعضه؛ لما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته(١). ولكنهم اختلفوا في القدْر الذي يُجزئ على أقوال كثيرة.

﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختُلف في هذه الباء:

فقال قومٌ: إنها للتَّبعيض؛ وبنَوا على ذلك: جوازَ مسح بعض الرأس. وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨١٣٤)، والنسائي (١٠٧).

وقال القَرَافيُّ: إنها باءُ الاستعانة التي تَدخل على الآلات، وإن المعنى: امسحوا أيديكم برؤوسكم[١]. وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا ماسحٌ لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود.

وقيل: إنها زائدة. وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضعَ زيادتها.

والصحيح عندي: أنها باء الإلصاق التي تُوصِل الفعلَ إلى مفعوله؛ لأن المسح تارةً يتعدَّى بنفسه، وتارةً بحرف الجر؛ كقوله: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ﴾، وكقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ قرئ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب؛ عطفًا على الوجوه[٢] والأيدي، فيقتضي ذلك: وجوبَ غَسل الرجلين.

وقرئ بالخفض:

فحمَله بعضهم على أنه عطفٌ على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، فأجاز مسح الرجلين، روي ذلك عن ابن عباس.

وقال الجمهور: لا يجوز مسحُهما، بل يجب غسلهما، وتأوَّلوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه خفضٌ على الجِوار، لا على العطف.

والآخر: أنه يراد به المسح على الخفين.

والثالث: أن ذلك منسوخٌ بالسنة.

---

(١) انظر: شرح تنقيح الفصول، للقرافي (ص: ١٠٤).

(٢) في ب، ج، هـ: «الوجه».

والفرق بين الغَسل والمسح:

أن المسح: إمرارُ اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء.

والغسل: عند مالك: إمرارُ اليد بالماء، وعند الشافعي: إمرار الماء، وإن لم يدْلك باليد.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدَّم الكلام على نظيرتها في «النساء»[١].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: مِن ضيقٍ ولا مشقَّة؛ كقول رسول الله ﷺ: «دين الله يُسْرٌ»[٢].

وبقيَّة الآية تفضُّلٌ مِن الله على عباده ورحمةٌ، وفي ضمن ذلك ترغيبٌ في الطهارة وتنشيط عليها.

﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة، وبيعة الرِّضوان، وكلِّ موطن قال المسلمون فيه: سمعنا وأطعنا.

﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ تقدَّم الكلام على نظيرتها في «النساء»[٣].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: لا يَحملنَّكم بغضُ قومٍ على تركِ العدل فيهم.

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سببها أربعةُ أقوال:

الأول: أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النَّضِير من اليهود، فهمُّوا أن يَصبُّوا عليه صخرةً يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان، ويقوِّي هذا

(١) انظر صفحة ٥٩.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩)، ولفظه: «إن الدين يسرٌ..».

(٣) انظر صفحة ١٢٠.

القولَ: ما ورد من الآيات بعد هذا في غدر اليهود.

الثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سلَّ السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فأَغمد السيف وجلس[1]. واسمه: غَوْرَثُ بن الحارث الغطَفانيُّ.

الثالث: أنها فيما همَّ به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف.

الرابع: أنها على الإطلاق في دفْع اللهِ الكفارَ عن المسلمين.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

[﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا
وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى
وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ
ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟
إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ
تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ
وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾
لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم
بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ
وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾].

﴿اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ النَّقيب: هو كبير القوم القائمُ بأمورهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بنصري.

والخطاب: لبني إسرائيل، وقيل: للنُّقَباء.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ اختُلف: هل أُرِيد تحريفُ الألفاظ أو المعاني؟.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: على خيانةٍ؛ فهو مصدر كالعاقبة.

وقيل: على طائفةٍ خائنة.

وهو إخبارٌ بأمرٍ مُستقبَل.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف والجزية.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ أي: ادَّعوا أنهم أنصار الله، وسَمَّوا أنفسهم بذلك، ثم كفروا بالله، ووصفوه بما لا يليق به.

ويتعلَّق[1] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ﴾ بـ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾، والضمير عائد على النصارى.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي: أثبتنا وألصقْنا؛ وهو مأخوذٌ مِن الغِرَاء.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في الموضعين: يَعمُّ اليهود والنصارى.

وقيل: إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة؛ فإنهم كانوا يَذْكرون رسول الله ﷺ ويصفونه بصفته، فلما حلَّ بالمدينة كفروا به.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وفي الآية دلالةٌ على صحة

---

(١) في أ، ب، د: «وتتعلق».

نبوته؛ لأنه بيَّن لهم ما أخفَوه مما في كتبِهم، وهو أُمِّيٌّ لم يقرأ كتبَهم.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: يتركُه ولا يفضحُكم فيه.

﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ محمدٌ ﷺ، والقرآن.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على الذين قالوا: إن الله هو عيسى، وهم فرقة من النصارى.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إشارة إلى خِلْقَةِ[1] عيسى من غير والدٍ.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي: قالت كل فرقةٍ عن نفسها: إنهم أبناء الله وأحِبَّاؤه.

والبُنوَّة هنا: بُنوَّة الحنان والرَّأْفة.

وقال الزمخشريُّ: المعنى: نحن أشياعُ أبناءِ الله -عندهم-، وهما المسيح وعُزَير، كما يقول حَشَم الملوك: نحن الملوك[2].

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ ردٌّ عليهم؛ لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أيامًا معدوداتٍ.

وقد أَخذ الصوفيةُ مِن الآية أن المحِبَّ لا يعذِّب حبيبَه[3]، ففي ذلك بِشارةٌ لمن أحبَّه الله.

---

(١) في ب: «خَلقِهِ».

(٢) الكشاف (٥/ ٣١٧).

(٣) قال ذلك أبو بكر الشِّبلي الصوفي لابن مجاهد المقرئ في محادثةٍ جرت بينهما في مجلس، أوردها الخطيب البغدادي بإسناده في تاريخ بغداد (١٦/ ٥٦٧)، وابن الصلاح في طبقات الشافعية (١/ ٤٨٩)، وفيها -كما عند الخطيب-: «ثم قال [الشبلي] له =

[﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾].

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قيل: جعل منكم ملوكًا؛ أي: أمراءَ.

وقيل: الملك: مَن له مسكنٌ وامرأة وخادِم.

﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: يعني: المنّ والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا: يكون ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خاصًا بأهل زمانهم؛ لأن أمة محمد ﷺ قد أُوتيت مِن آياته مثل ذلك وأعظم.

وقيل: المراد: كثرةُ الأنبياء، فعلى هذا: يكون عامًّا؛ لأن الأنبياء في

= [أي: لابن مجاهد]: قد أجمع الناس أنك مقرئ الوقت، أين في القرآن الحبيب لا يعذّب حبيبَه؟ قال: فسكت ابن مجاهد، فقال له أبي: قل يا أبا بكر، قال: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، فقال ابن مجاهد: كأنني ما سمعتُها قطّ!».

بني إسرائيل أكثرُ منهم في سائر الأمم.

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس، وقيل: الطُّور، وقيل: دمشق.

﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قضى أن تكون لكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ يَحتمل أن يريد:

الارتدادَ عن الدين والطاعة.

أو الرجوعَ إلى الطريق الذي جاؤوا منه؛ فإنه رُوي أنه لما أمرهم موسى ﷺ بدخول الأرض المقدَّسة خافوا من الجبارين الذين فيها، وهمُّوا أن يُقدِّموا على أنفسهم رئيسًا ويرجعوا إلى مصر.

﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ هم العمالقة.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما: يُوشَع وكالِب.

﴿يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون الله.

وقيل: يخافون الجبارين، ولكن الله أنعم عليهم بالصبر والثبوت؛ لصدق إيمانهما.

﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ أي: باب المدينة.

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراطٌ في العصيانِ وسوءِ الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله ﷺ: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى، ولكن نقول لك: اذهب أنت

وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون![1].

﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِىۖ﴾ قاله موسى عليه السلام؛ ليتبرَّأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويَبذلَ جهده في طاعة الله، ويعتذرَ إلى الله.

وإعراب ﴿أَخِى﴾:

عطفٌ على ﴿نَفْسِى﴾؛ لأن أخاه هارون كان يُطيعه.

وقيل: عطفٌ على الضمير في ﴿أَمْلِكُ﴾؛ أي: لا أملك أنا إلَّا نفسي، ولا يملك أخي إلَّا نفسَه.

وقيل: مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: أخي لا يملك إلا نفسه.

﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا﴾ أي: فَارِقْ بيننا وبينهم؛ فهو من الفُرْقة.

وقيل: افصِلْ بيننا وبينهم بحُكم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله تعالى.

وحرَّم الله على جميع بني إسرائيل دخولَ تلك المدينة أربعين سنةً، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض؛ أي: في أرض التِّيهِ - وهو ما بين مصر والشام -، حتى مات كلُّ من قال: «إن لن ندخلها»، ولم يدخلْها أحدٌ من ذلك الجيل إلَّا يُوشَع وكالِب، ومات هارون في التيه، ومات موسى بعده في التيه أيضًا.

وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه؛ لقوله: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

---

(١) قاله المقداد بن الأسود رضي الله عنه يوم بدر. أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، (٤٦٠٩).

وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبَّارين، وفتح المدينة.

والعامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ على الأصحِّ؛ فيجب وصله معه.

وقيل: العامل فيه: ﴿يَتِيهُونَ﴾، فعلى هذا يجوز الوقف على قوله: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾، وهذا ضعيف؛ لأنه لا حاملَ على تقديم المعمول هنا، مع أن القول الأوَّل أكمل معنًى؛ لأنه بيانٌ لمدة التَّحريم والتِّيه.

﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: يتحيَّرون، وروي أنهم كانوا يسيرون الليل كلَّه، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي: لا تحزن، والخطاب: لموسى.

وقيل: لمحمد ﷺ، ويراد بـ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: مَن كان في عصره من اليهود.



[﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ
يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ
أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ
فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ
يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى
ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟
عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾].

﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ هما قابيلُ وهابيلُ.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ روي أن قابيل كان صاحب زرع فقرَّب أرْذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنَم فقرَّب أحسن كبشٍ عنده، وكانت العادة حينئذ أن يُقرِّب الإنسان قُرْبانه إلى الله ويقوم يصلي، فإذا نزلت نارٌ من السماء وأكلت القربان فذلك دليلٌ على القَبول وإلَّا فلا قَبولَ، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته، وتركت زرع قابيل، فحسده قابيلُ فقتله.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ استدلَّ بها المعتزلة وغيرهم على أن العاصيَ لا يُتَقبَّلُ عمله.

وتأوَّلها الأشعرية: بأن التقوى هنا يراد بها: تقوى الشرك[١].

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآيةَ؛ قيل: معناها: لئن بدأتني بالقتل لم أبدأْك به. وقيل: لئن بدأتني بالقتل لم أُدافعْك، ثم اختُلف على هذا القول: هل تَرْكه لدفاعه عن نفسه تورُّعٌ[٢] وفضيلة؟ وهو الأظهر والأشهر. أو كان واجبًا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه؟ وهو قول مجاهد.

وأما في شرعنا: فيجوز دفْعُ الإنسان عن نفسه؛ بل يجب.

﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبَّةٍ وشهوة، وإنما هو تَخيُّرٌ في أهون الشَّرَّين؛ كأنه قال: إن قتلتني فذلك أحبُّ إلي مِن

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (استدل بها المعتزلة..) إلخ، أقول: ذكر المؤلف قول المعتزلة وقول الأشاعرة، وظاهر كلامه أنه يرد قول المعتزلة، ويرضى قول الأشاعرة، وقولُ المعتزلة ظاهر الفساد؛ لأنه مبنيٌ على أن العاصي ليس بمؤمن، وشرط قبول العمل الإيمان، وأما قول الأشاعرة فصحيحٌ من جهة أن الشرك يحبط العمل، لكن هذا القول يقتضي أن من لم يكن مشركا فالله يقبل عمله مطلقا، وليس هذا بمستقيم؛ فإن المؤمن الموحد قد يعرض له في العمل ما يبطله كالرياء، والمن والأذى في الصدقة، ومخالفة السنة، ومن الخطأ في فهم الآية ظنُّ بعض الناس أن المراد أن الله لا يتقبل إلا من تقيٍّ فاعل للمأمورات، تارك للمعاصي، وهذا يؤول إلى قول المعتزلة، والصواب في الآية أن الله لا يتقبل إلا ممن اتقى الله في عمله ذلك، بأن أتى به على الوجه المشروع، خالصا صوابا، ولم يأت بما يبطله. والله أعلم.

(٢) في د زيادة: «منه».

أن أقتلك، كما ورد في الأثر: «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»[١].

وأما قوله: ﴿بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ فمعناه:

بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما تَحمَّل القاتل الإثمين؛ لأنه ظالمٌ، فذلك مثل قوله ﷺ: «المستبَّان ما قالا فهو على البادئ»[٢].

وقيل: ﴿بِإِثْمِى﴾ أي: تَحْمِلُ عني سائرَ ذنوبي؛ لأن الظالم تُجعَل عليه في القيامة ذنوبُ المظلوم، ﴿وَإِثْمِكَ﴾ أي: في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذُنوبك.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يَحتمل أن يكون:

من كلام هابيل.

أو استئنافًا من كلام الله تعالى.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ الآيةَ؛ روي أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جَعل القاتل يبحثُ عن التراب ويواري الميت.

وقيل: بل كان غرابًا واحدًا يبحث ويُلقِي التراب على هابيل.

﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي: عورته، وخُصَّت بالذِّكر؛ لأنها أحقُّ بالسَّتر من سائر الجسد.

والضمير في ﴿أَخِيهِ﴾ عائدٌ على ابن آدم، ويظهر من هذه القصة أن هابيل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٠٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٧).

كان أول مَن دُفِن مِن بني آدم.

﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ أصله: «يا ويلتِي»، ثم أبدل من الياء ألف، وفتحت التاء.

وكذلك: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾، و﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ أي: على ما وقع فيه من قتل أخيه.

واختُلف في قابيل؛ هل كان كافرًا أو عاصيًا؟

والصحيح: أنه لم يكن كافرًا؛ لأنه قصَد التقرُّبَ إلى الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافرٌ.

و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا وفي الموضع الأول: عبارةٌ عن جميع الأوقات، لا مختصَّةٌ بالصباح.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿كَتَبْنَا﴾.

وقيل: بـ ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾؛ وهو ضعيف.

﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: فرضنا عليهم، أو كتبناه في كتبهم.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه: مِن غير أن يَقتل نفسًا يجب عليه به القِصاص.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الفسادَ الذي يجب به القتل؛ كالحرابة.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ تمثيلُ قاتل الواحد بقاتل الجميع يُتصوَّر من ثلاث جهات:

إحداها: القصاص؛ فإن القصاص في قتل الواحد والجميع سواءٌ.

والثاني: انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان.

والثالث: الإثم والعذاب الأُخراوي، قال مجاهد: أوعد[١] الله قاتل النفس بجهنمَ، والخلودِ فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك. وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصدَ بالآية تعظيمُ قتل النفس والتشديد فيه؛ ليَزدجرَ الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر والترغيب فيه.

وإحياؤها: هو بإنقاذها من الموت؛ كإنقاذ الغريق والحريق وشبه ذلك.

وقيل: بترك قتلها.

وقيل: بالعفو إذا وجب القصاص.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمعنى: تقبيح أفعالهم، وفي ذلك إشارةٌ إلى ما همُّوا به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ؛ سببها عند ابن عباس: قومٌ من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل.

وقال جماعة: نزلت في نفر من عُكْلٍ وعُرَينة، أسلموا، ثم إنَّهم قتلوا راعيَ النبي ﷺ وأخذوا إبله.

ثم حكمها بعدَ ذلك في كل مُحارِبٍ.

والحرابة عند مالك: هي حمل السِّلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد.

---

(١) في ج، د: «وعد».

وقال أبو حنيفة: لا يكون المحارب إلَّا خارج البلدان.

وقوله: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ تغليظٌ ومبالغة.

قال بعضهم: تقديره: يحاربون رسول الله ﷺ. وذلك ضعيف؛ لأن الرسول ﷺ قد ذُكِر بعد ذلك.

وقيل: يحاربون عباد الله[١]. وهو أحسن.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بيانٌ للحرابة، وهي على درجات؛ فأدناها: إخافةُ الطريق، ثم أخذ الأموال، ثم قتل النفس.

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ الصَّلْب مضاف إلى القتل:

فقيل: يقتل ثم يصلب؛ ليراه أهل الفساد فيزدجروا. وهو قول أشهب.

وقيل: يصلب حيًا، ويقتل في الخشبة. وهو قول ابن القاسم.

﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ معناه: أن تُقطَع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قُطِعت يده اليسرى ورجله اليمنى.

وقَطعُ اليدِ[٢] عند مالك والجمهور: من الرُّسغ، وقطع الرجل: من المَفصِل، وذلك في الحرابة وفي السرقة.

﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مشهور مذهب مالك: أن يُنفَى من بلد إلى بلد آخر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته.

---

(١) في ب: «يحاربون الناس».

(٢) في د: «وتقطع اليدُ».

وروَى عنه مطرِّفٌ[١]: أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة.

وقيل: ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه.

ومذهب مالك: أن الإمام مخيَّرٌ في المحارب بين أن يقتله ويَصلِبه، أو يقتله ولا يصلِبه، أو يَقطَع يده ورجله، أو يَنفيَه، إلَّا أنه قال: إن كان قتَلَ فلا بدَّ من قتله، وإن لم يَقتل فالأحسن أن يُؤخَذ فيه بأيسر العقاب.

وقال الشافعي وغيره: هذه العقوبات مرتَّبة؛ فمن قَتل وأخذ المال قُتل وصُلب، ومن قَتل ولم يأخذ مالًا[٢] قُتل ولم يُصلَب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف السبيل ولم يَقتل ولم يأخذ مالًا نُفِي.

وحجة مالك: عطف هذه العقوبات بـ «أو» التي تقتضي التخيير.

﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ هو العقوبة، وعذاب الآخرة: النار.

وظاهر هذا: أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفَّارة للمحارب، بخلاف سائر الحدود.

ويَحتمل أن يكون الخزيُ في الدنيا لمن عوقب (في الدنيا)[٣]، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب.

---

(١) هو مطرِّف بن عبد الله بن مطرف الهلالي أبو مصعب، مولى ميمونة وزوج النبي ﷺ، وهو ابن أخت الإمام مالك، ومن كبار أصحابه، توفي سنة (٢٢٠). انظر: الديباج المذهب (٢/ ٣٤٠).

(٢) في ج: «المال».

(٣) لم ترد في ج، د، هـ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: هي في المشركين. وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يَختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها.

وقيل: هي في المحارِبين من المسلمين. وهو الصَّحيح، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يُقدَر عليه فقد سقط عنه حكم الحِرابة؛ لقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

واختُلف هل يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أم لا؟.

فوجه المطالبة بها: أنها زائدة على حدِّ الحرابة الذي سقط[1] عنه بالتوبة. ووجه سقوطها: إطلاق[2] قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١) في د: «التي سقطت».

(٢) لم ترد في ج، هـ.

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ
مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي
الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا
سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ
تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ
لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ
شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ
يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾].

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: ما يُتوسَّل به ويُتقرَّب به إليه؛ من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك.

﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ إن قيل: لم وحَّد الضمير وقد ذكر شيئين وهما: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿وَمِثْلَهُ﴾؟

فالجواب:

أنه وَضع المفرد موضعَ الاثنين.

أو أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة؛ كأنه قال: ليفتدوا بذلك.

أو تكون[1] الواو بمعنى «مع»[2].

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائمٌ، وكذلك: ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطعَ كل سارق؛ إلَّا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطًا خصَّصوا بها العموم، فمن ذلك:

أنَّ مَن اضطرَّه الجوع إلى السرقة لم يُقطَع عند مالك؛ لتحليل الميتة له.

وكذلك مَن سرق مال ولده أو سيده.

أو من سرق من غير حرزٍ.

أو سرق أقل من النصاب؛ وهو عند مالك: ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدَهما.

وأدلَّة التَّخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية.

وقد قيل: إن الحرز مأخوذ من الآية؛ لأن ما أُهمِل بغير حرز أو اؤتمن عليه فليس أخْذُه سرقةً، وإنما هو اختلاس أو خيانة.

---

(١) في أ، ب، د: «يكون».

(٢) انظر: الكشاف (٥/ ٣٤٩).

وإعراب ﴿وَٱلسَّارِقُ﴾:

عند سيبويه: مبتدأ، وخبره محذوف؛ كأنه قال: فيما يتلى عليكم السارقُ والسارقة.

والخبر عند المبرِّد وغيره: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، ودخلت الفاء؛ لتضمُّن معنى الشرط.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ الآيةَ؛ توبة السارق: هي أن يندمَ على ما مضى، ويُقلِعَ فيما يستقبل، ويَردَّ ما سرق إلى من يستحقُّه.

واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم:

هل يسقط عنه القطع؟ وهو مذهب الشافعي؛ لظاهر الآية.

أو لا يسقط عنه؟ وهو مذهب مالك؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة، إلَّا المحارِب؛ للنصِّ عليه.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قدَّم العذاب على المغفرة؛ لأنه قوبل بذلك تقدُّم[١] السرقة على التوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآيةَ؛ خطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ هم المنافقون.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يَحتمل أن يكون:

عطفًا على ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾، ثم يكون ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ استئنافَ إخبارٍ عن

---

(١) في د: «تقديم».

الصِّنفَين المنافقين واليهود.

ويَحتمل أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ استئنافًا منقطعًا مما قبله، و﴿سَمَّٰعُونَ﴾ راجعٌ إليهم خاصَّةً.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي: يسمعون[1] كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي ﷺ؛ لإفراط البُغْضَة والمجاهرة بالعداوة؛ فقوله: ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ صفةٌ لـ ﴿قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

والمراد بالقوم الآخرين: يهود خيبر، والسَّمَّاعون للكذب: بنو قُريظة.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ أي: يبدِّلونه مِن بعد أن وُضِع في مواضعه، وقُصِدت به وجوهُه القويمة، وذلك من صفة اليهود.

﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب أن يهوديًا زنى بيهودية؛ فسأل رسولُ الله ﷺ اليهودَ عن حدِّ الزاني عندهم فقالوا: نجلدهما ونُحمِّم وجوههما، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن في التوراة الرجم»، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤوها، وجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلَام: ارفع يدك!، فرَفع، فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرُجِما[2].

فمعنى قولهم: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أوتيتم هذا الذي ذَكرتم من الجَلْد والتَّحميم فخذوه واعملوا به، ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ﴾ وأفتاكم محمد ﷺ بغيره ﴿فَٱحۡذَرُواْ﴾.

---

(١) في د: «سماعون».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٩)، ومسلم (١٦٩٩).

﴿فِتْنَتَهُۥ﴾ أي: ضلالته[١] في الدنيا، أو عذابه في الآخرة.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: الذِّلة، والمسكنة، والجزية[٢].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود: فكُرِّر هنا تأكيدًا.

وإن كان الأول في المنافقين واليهود: فهذا في اليهود خاصة.

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي: للحرام؛ من الرشوة والربا وشبه ذلك.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكمَ بين اليهود أو يتركَهم، وهو أيضًا يتناول الحكّام.

وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ الآيةَ؛ استبعادٌ لتحكيمهم النبيَّ ﷺ وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدَّعون الإيمانَ بها.

فمعنى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: يتولَّون عن اتباع حكم الله في التوراة مِن بعد كون حكم الله فيها موجودًا عندهم، ومعلومًا في قضية[٣] الرجم وغيرها.

﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه السلام، وهذا إلزامٌ لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدَّله فدعواه الإيمانَ به باطلةٌ.

* * *

(١) في ب، ج، هـ: «ضلاله».

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ج، هـ.

(٣) في ب، د: «قصة».

[﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ
هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا
تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ
وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ
بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾
وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ
ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ
فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا
مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ
ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ
﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾].

﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد ﷺ.

ومعنى ﴿أَسْلَمُوا۟﴾ هنا: أخلصوا لله، وهي صفة مدح أُريد بها التَّعريض باليهود؛ لأنهم بخلاف هذه الصفة.

وليس المراد هنا: الإسلام الذي هو ضدُّ الكفر؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم: أسلموا على هذا المعنى؛ لأنهم لم يكفروا قط، وإنما هو كقول

إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿يَحْكُمُ﴾؛ أي: يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا، ويحملونهم عليها.

وقيل: يتعلَّق بقوله: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ أي: كُلِّفوا حفظَه، والباء هنا: سببية. قاله الزمخشري[١].

ويَحتمل أن تكون بدلًا من المجرور في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾.

﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ وما بعده: خطابٌ لليهود.

ويحتمل أن تكون[٢] وصيةً للمسلمين يراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك من أفعالهم.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال ابن عباس: نزلت الثلاثةُ في اليهود؛ ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. وقد روي في هذا أحاديثُ عن النبي ﷺ[٣].

وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلَّا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان.

---

(١) الكشاف (٥/ ٣٦٧).

(٢) في ب، ج، هـ، د: «يكون».

(٣) أخرجه مسلم (١٧٠٠).

وقال الشعبيُّ: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: في المسلمين، و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: في اليهود، و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ في النصارى.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى:

الكتابة في الألواح.

أو بمعنى الفرض والإلزام.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فِيهَآ﴾ للتوراة.

﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ أي: تُقتَل النفس إذا قَتلت نفسًا، وهذا إخبارٌ عما في التوراة، وهو حكمٌ في شريعتنا بإجماع، إلَّا أن هذا اللفظ عام، وقد خَصص العلماء منه أشياءَ، فقال مالك: لا يقتل مؤمن بكافر؛ للحديث الوارد في ذلك[١]، ولا يقتل حرٌّ بعبد؛ لقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقد تقدَّم الكلام على ذلك في «البقرة»[٢].

﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ وما بعدَه: حُكم القِصاص في الأعضاء.

والقراءة بنصب ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ وما بعده: عطفٌ على ﴿ٱلنَّفْسَ﴾.

وقرئ بالرفع، ولها ثلاثة أوجه:

أحدها: العطف على موضع ﴿ٱلنَّفْسَ﴾؛ لأن المعنى: قلنا لهم: النفسُ بالنفس.

والثاني: العطف على الضمير الذي في الخبر؛ وهو ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (١١١).

(٢) انظر صفحة ١/ ٤٠٠.

والثالث: أن يكون مستأنفًا مرفوعًا بالابتداء.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب: عطفٌ على المنصوبات قبله.

وبالرفع: على الأوجه الثلاثة التي في رفع ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾.

وهذا اللفظ عامٌّ، يراد به الخصوص في الجِراح التي لا يُخاف على النفس منها.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: مَن تصدَّق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فذلك كفارةٌ له؛ يكفِّر الله ذنوبَه؛ لعفوه وإسقاطه حقه.

والثاني: مَن تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل أو الجارح؛ يعفو الله عنه في ذلك؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه.

فالضمير في ﴿لَّهُۥ﴾:

على التأويل الأول: يعود على «مَن» التي هي كناية عن المقتول أو المجروح، أو الولي.

وعلى الثاني: يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يَجْرِ له ذكرٌ؛ ولكن سياق الكلام يقتضيه.

والأول أرجح؛ لعود الضمير على مذكور؛ وهو «مَن»، ومعناها واحد على التأويلين.

والصدقة بمعنى العفو على التأويلين:

إلَّا أن **التأويل الأول**: بيانٌ لأجر من عفا، وترغيبٌ في العفو.

والتأويل الثاني: بيانٌ لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عُفي عنه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد تقدَّم معنى ﴿مُصَدِّقًا﴾ في «البقرة»[1].

و﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التوراةَ؛ لأنها قبله، والقرآنُ مصدِّقٌ للتوراة والإنجيل، لأنهما قبله.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطفٌ على موضعِ قولِه: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾؛ لأنه في موضع الحال.

﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ ابنُ عباس: شاهدًا، وقيل: مؤتمنًا.

﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ تضمَّن الكلام معنى: «لا تنصرف» أو «لا تنحرف» ولذلك تعدى بـ «عن».

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ابنُ عباس: سبيلًا وسُنَّة.

والخطاب: للأنبياء، أو للأمم.

والمعنى: أن الله جعل لكلِّ أمةٍ شريعةً يتَّبعونها.

وقد استدلَّ بها من قال: إن شريعة مَن قبلنا ليس بشرعٍ لنا؛ وذلك في الأحكام والفروع.

وأما الاعتقادات[2]؛ فالدين فيها واحدٌ لجميع العالم؛ وهو الإيمان بالله، وتوحيدُه، وتصديق رسله، والإيمان بالدار الآخرة.

---

(١) انظر صفحة ١/٣٠٨.

(٢) في أ، ب، د: «في الاعتقادات».

﴿فَٱسۡتَبِقُوا۟ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ استدلَّ بها(١) قومٌ على أن تقديم الواجبات أفضلُ من تأخيرها، وهذا متفق عليه في العبادات كلِّها، إلا الصلاة؛ ففيها خلاف:

فمذهب الشافعي: أن تقديمها في أوَّل وقتها أفضلُ.

وعكَس أبو حنيفة.

وفي مذهب مالك خلافٌ وتفصيل.

واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ عطفٌ:

على «الكتاب» في قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

أو على «الحق» في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾.

وقال قوم: إنَّ هذا وقولَه قبله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾ ناسخٌ لقوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾؛ أي: ناسخٌ للتخيير الذي في الآية.

وقيل: إنه ناسخ للحكم بالتوراة.

ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود؛ طَلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك، ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ توبيخٌ لليهود.

وقرئ بالياء: إخبارًا عنهم، وبالتاء: خطابًا لهم.

---

(١) في ج، هـ: «به».

﴿لِقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾ قال الزمخشري: اللام للبيان؛ أي: هذا الخطاب لقوم يوقنون؛ فإنهم الذين يتبيَّن لهم أنه لا أحسن من الله حكمًا[1].



(١) انظر: الكشاف (٥/ ٣٨٥).

[﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾] .

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ سببها : موالاة عبد الله بن أبيٍّ بن سلول ليهود بني قينقاع، وخلعُ عبادة بن الصامت الحِلْفَ الذي كان بينه وبينهم.

ولفظها عامٌّ، وحكمها باقٍ.

ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع وشبهه.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ تغليظٌ في الوعيد، فمن كان يعتقد مُعتقَدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبَّهم فهو منهم في المقت عند الله، واستحقاقِ العقوبة.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون؛ والمراد هنا : عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ كان عبد الله بن أبيٍّ يوالي اليهود ويستكثرُ بهم، ويقول: إني رجل أخشى الدوائر.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ الفتح: هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين.

والأمر من عند الله:

هو هلاك الأعداء بأمرٍ من عنده لا يكون فيه تسبُّبٌ لمخلوق.

أو أمرٌ من الله لرسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ بقتل اليهود.

﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ الضمير في ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾ للمنافقين، والذي أسرُّوه: هو قصدهم الاستعانةَ باليهود على المسلمين، وإضمارُ العداوة للمسلمين.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ قرئ: ﴿يَقُولُ﴾ بغير واو؛ استئنافُ إخبارٍ.

وقرئ بالواو والرفع؛ وهو عطف جملة على جملة.

وبالواو والنصب؛ عطفًا على ﴿أَن يَأْتِيَ﴾، أو على ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟﴾ الإشارةُ إلى المنافقين؛ لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين.

وانتصبَ ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ على المصدر المؤكِّد.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ يَحتمل أن يكون: من كلام المؤمنين، أو من كلام الله.

ويَحتمل أن يكون: دعاءً، أو خبرًا.

﴿وَمَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ خطابٌ على وجه التحذير والوعيد، وفيه

إعلامٌ بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع؛ فارتدَّ في حياة رسول الله ﷺ بنو حنيفة قومُ مُسيلِمةَ الكذابِ، وبنو مُدْلِج قوم الأسودِ العَنْسِيِّ الذي ادعى النبوة، وقُتِل في حياة رسول الله ﷺ، وبنو أسَدٍ قومُ طُلَيحة بن خويلد الذي ادَّعى النبوة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون، وفشا أمرُهم بعد موت رسول الله ﷺ، حتى كفى اللهُ أمرَهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكانت القبائل التي ارتدَّت بعد وفاة رسول الله ﷺ سبعَ قبائل: بنو فَزَارة، وغَطَفانُ، وبنو سُلَيم، وبنو يَربُوعٍ، وكِنْدَةُ، وبنو بكرِ بن وائل، وبعضُ بني تميم، ثم ارتدَّت غسَّانُ في زمان عمر بن الخطاب، وهم قوم جَبَلَةَ بنِ الأَيْهَم الذي تنصَّر من أجل اللَّطمة[1].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: «هم قوم هذا»[2]، يعني: أبا موسى الأشعريَّ، والإشارةُ بذلك - والله أعلم - إلى أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن.

وقيل: المراد أبو بكر الصديقُ وأصحابُه الذين قاتلوا أهل الردَّة، ويقوِّي ذلك: ما ظهر من أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه من الجِدِّ في قتالهم، والعزم عليه حين[3] خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتدَّ عزمه حتى وافقوه وأجمعوا معه، فنصرهم الله على أهل الردة، ويقوي ذلك أيضًا: أنَّ الصفاتِ التي وُصِف

(١) انظر قصته في فتوح الشام، للواقدي (١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٥٢١).

(٣) في ب، ج، هـ: «حتى».

بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألَا ترى قولَه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وكان أبو بكر ضعيفًا في نفسه، قويًا في الله، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ إشارةٌ إلى مَن خالف أبا بكر ولامَه في قتال أهل الردَّة فلم يَرجع عن عزمه.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وإنما تعدَّى ﴿أَذِلَّةٍ﴾ بـ «على»؛ لأنه تضمَّن معنى العطف والحنوّ.

فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟

فالجواب: أنه محذوف؛ تقديره: من يرتدُّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانَهم، أو بقوم يقاتلونهم(١).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذَكَر الوليَّ بلفظ المفرد؛ إفرادًا لله تعالى بها، ثم عَطف على اسمه تعالى الرسولَ ﷺ والمؤمنين على سبيل التَّبع، ولو قال: «إنما أولياؤكم» لم يكن في الكلام أصلٌ وتبع.

﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ **قيل**: نزلت في عليِّ بن أبي طالب ﷺ؛ فإنه سأله سائلٌ وهو راكع في الصلاة، فأعطاه خاتمه.

وقيل: هي عامةٌ، وذَكر الركوع بعد الصلاة؛ لأنه من أشرف أعمالها.

فالواو:

على القول الأوَّل: واو الحال.

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٣٩٥).

وعلى الثاني: للعطف[١].

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقامَ المضمر؛ معناه: فإنهم هم الغالبون.

* * *

(١) في د: «عطفٌ على (الذين)».

[﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنٗا وَكُفْرٗاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارٗا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٞ مُّقْتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾].

﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ بالنصب: عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾.

وقرئ بالخفض: عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ويعضُده قراءة ابن مسعود: «ومن الكفار».

ويراد بهم: المشركون من العرب.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآيةَ؛ روي أن رجلًا من النصارى كان بالمدينة إذا

سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمدًا رسول الله» قال: حَرَّق اللهُ الكاذبَ، فوقعت النار في بيته واحترق هو وأهلُه.

واستدلَّ بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ جَعل قِلَّة عقولهم علةً لاستهزائهم بالدين.

﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ أي: هل تَعِيبون علينا وتُنكِرون منَّا إلَّا إيمانَنا بالله، وبجميع كتبه ورسله!، وذلك أمرٌ لا ينكر ولا يعاب، ونظيرُ هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم بهنَّ فُلُولٌ من قِراع الكتائبِ[1]

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وجماعة من اليهود؛ سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمِن بهم، فتلا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] إلى آخر الآية، فلما ذَكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به.

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾.

وقيل: على ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾.

وقيل: هو تعليلٌ معطوف على تعليلٍ محذوف؛ تقديره: هل تنقمون منَّا إلَّا لِقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون!.

ويَحتمل أن يكون ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ مبتدأً، وخبره محذوف تقديره: فِسْقُكم معلومٌ، أو ثابت.

---

(١) انظر: ديوان النابغة، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٤٤).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ لمَّا ذَكر أن أهل الكتاب يَعيبون المسلمين بالإيمان بالله، ورسله؛ ذَكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك؛ ردًّا عليهم.

فالخطاب في ﴿أُنَبِّئُكُم﴾ لليهود، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدَّم من حال المؤمنين.

﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ هي من الثواب، ووضع الثواب موضع العقاب؛ تهكُّمًا بهم؛ نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ يعني: اليهودَ، و«مَن»:

في موضع رفعٍ بخبر ابتداءٍ مضمر؛ تقديره: هو مَن لعنهُ الله.

أو في موضع خفضٍ على البدل مِن ﴿شَرٍّ﴾.

ولا بدَّ في الكلام من حذفِ مضافٍ؛ تقديره: «بِشرٌ من أهل ذلك»، أو تقديره: «دين مَن لعنه اللهُ».

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مُسِخ قومٌ من اليهود قرودًا[1] حين اعتدوا في السبت، ومُسِخ قومٌ منهم خنازيرَ حين كذَّبوا عيسى بنَ مريم.

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ القراءة بفتح الباء: فعلٌ معطوف على ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾.

وقرئ بضم الباء وخفض ﴿الطَّاغُوتِ﴾؛ على أن يكون «عَبُدَ» اسمًا على وجه المبالغة كـ«يَقُظ»، أُضيف إلى «الطاغوت».

وقرئ: «وعابِدَ» «وعُبَّادَ» =

---

(١) في د: «قردة».

وهي في هذه الوجوه عطفٌ على ﴿ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: منزلةً، ونَسب الشرَّ للمكان وهو في الحقيقة لأهلِه؛ وذلك مبالغةٌ في الذمِّ.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ نزلت في منافقين من اليهود.

﴿دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ﴾ تقديره: مُلْتَبِسينَ[١] بالكفر، والمعنى: دخلوا كفَّارًا وخرجوا كفارًا.

ودخلت «قد» على ﴿دَّخَلُوا۟﴾ و﴿خَرَجُوا۟﴾؛ تقريبًا للماضي من الحال؛ أي: ذلك حالُهم في دخولهم وخروجهم على الدَّوام.

﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾ الكذبِ، وسائرِ المعاصي.

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلمِ.

﴿ٱلسُّحْتَ﴾ الحرامَ.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ﴾ عرضٌ وتحضيضٌ وتقريعٌ.

﴿لَبِئْسَ﴾ اللام في الموضعين للقسم.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غَلُّ اليد: كنايةٌ عن البخل، وبَسْطُها: كنايةٌ عن الجود؛ ومنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي: لا تَبخَلْ كلَّ البخل، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] أي: لا تَجُدْ كلَّ الجود.

وروي أنَّ اليهود أصابتهم سَنةُ جَهدٍ فقالوا هذه المقالة الشَّنيعة، وكان

---

(١) في ب، د: «متلبسين».

الذي قالها فِنْحَاصُ، ونُسِبت إلى جملةِ اليهود؛ لأنهم رضُوا بقوله.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَحتمل أن يكون: دعاء أو خبرًا.

ويَحتمل أن يكون: في الدنيا أو في الآخرة.

فإن كان في الدنيا: فيَحتمل أن يراد به: البُخل، أو غَلُّ أيديهم في الأَسْر.

وإن كان في الآخرة: فهو جعلُ الأَغلال في جهنم.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارةٌ عن إنعامه وجوده.

وإنما ثُنِّيت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ ليكون ردًّا عليهم، ومبالغةً في وصفه تعالى بالجود؛ كقول العرب: «فلان يعطي بكلتا يديه»؛ إذا كان عظيم السَّخاء[(١)].

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ إيقادُ النار: عبارةٌ عن محاولة الحرب،

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: (عبارة عن إنعامه وجوده) إلخ، أقول: إن أراد بذلك تفسير اليدين، فهذا تأويل يجري على طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات؛ فإنهم يجمعون بين التعطيل والتحريف، وإن أراد ما يدل عليه بسط اليدين بكثرة الإنفاق فهو معنى صحيح، يزيده قوله تعالى: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، ولا يقتضي ذلك نفي حقيقة اليدين، وسياق كلام المؤلف يشعر بالنفي، وليرجع في معرفة حقيقة مذهبه إلى كلامه عند قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؛ فإنه قال هناك «قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة» أهـ، وقال نظير ذلك عند قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾. ويظهر من ذلك أن ابن جزي يذهب إلى التفويض، وحقيقته إجراء النصوص ألفاظا، من غير فهم لمعناها. والتفويض والتأويل مذهبان لنفاة الصفات، كلها أو بعضها.

وإطفاؤها: عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم.

ويَحتمل أن يراد بذلك:

أسلافُهم.

أو يراد مَن كان معاصرًا للنبي ﷺ منهم، ومَن يأت بعدهم، (فيكون على هذا إخبارًا بغيب، وبِشارةً للمسلمين[١].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ الآيةَ؛ يَحتمل أن يريد:

أسلافَهم.

أو المعاصرين للنبي ﷺ)[٢]، فيكون على هذا ترغيبًا لهم في الإيمان والتقوى.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إقامتُها: بالعلم والعمل.

وذِكْرُ الإنجيل دليلٌ على دخول النصارى في لفظ أهل الكتاب.

﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ قيل: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ عبارةٌ عن المطر، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ عبارةٌ عن النبات والزرع.

وقيل: ذلك استعارةٌ في توسعة الرزق من كل وجه.

﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: معتدلة، ويراد به:

مَن أسلم منهم؛ كعبد الله بن سلَام.

وقيل: مَن لم يُعادِ الأنبياءَ المتقدمين.

---

(١) في ب: «فهو على هذا إخبارٌ بغيب وبشارةٌ للمسلمين».

(٢) ما بين القوسين سقط من ج، هـ.

[﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ
وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ
عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم
مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا
خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ
رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ
كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن
يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ
يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ
قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن
قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أمرٌ بتبليغ جميع ما أوحي إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بلَّغ، وإنما أُمِر هنا أن لا يتوقَّف عن شيء مخافةَ أحد.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ﴾ هذا وعيدٌ على تقدير عدم التَّبليغ.

وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان:

أحدهما: أن المعنى: إن تركت منه شيئًا فكأنك لم تبلِّغْ شيئًا، وصار ما بلَّغتَ لا يُعتدُّ به، فمعنى ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: إن لم تستوفِ التبليغَ على الكمال.

والآخر: أن المعنى: إن لم تبلِّغ الرسالةَ وجب عليك عقابُ مَن كتَمها، ووضع السبب موضعَ المسبَّب.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وعدٌ وضمانٌ للعصمة، وكان رسول الله ﷺ يَخاف أعداءَه ويحترس منهم في غزَواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية قال: «**يا أيها الناس!، انصرفوا فإن الله قد عصمني**»[1] وترك الاحتراس.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآيةَ؛ أي: لستم على دينٍ يُعتدُّ به يسمى شيئًا حتى تقيموا التوراةَ والإنجيلَ، ومن إقامتِها: الإيمانُ بمحمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ قال ابن عباس: يعني: القرآنَ.

ونزلت الآية بسبب رافعِ بن حارثة وسلَّامِ بن مِشْكَمٍ ورافعِ بن حُرَيملةَ[2] وغيرهم من اليهود؛ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا نتبعك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦).

(٢) في أ، د كذا: «خرعلة»! وهو تصحيف، والمثبت هو الصواب كما في سيرة ابن هشام (١/ ٥٦٨).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ تقدَّم الكلام على نظيرتها في «البقرة»[١].

﴿وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾ قراءة السبعة بالواو؛ وهي مشكلةٌ، حتى قالت عائشة: «هي من لحن كُتَّاب المصحف»[٢].

وإعرابُها:

عند أهل البصرة: مبتدأٌ وخبره محذوف؛ تقديره: والصابُون كذلك، وهو مقدَّمٌ في نية التأخير.

وأجاز بعض الكوفيين فيه: أن يكون معطوفًا على موضع اسم «إنَّ».

وقيل: «إنَّ» هنا بمعنى «نَعَمْ»، وما بعدها مرفوع بالابتداء. وهو ضعيف.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاءٌ واختبار.

وقرئ ﴿تَكُونَ﴾:

بالرفع؛ على أن تكون «أنْ» مخففةً من الثقيلة.

وبالنصب؛ على أنها مصدريةٌ.

﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ عبارةٌ عن تماديهم على المخالفة والعصيان.

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إن هذه التوبةَ ردُّ مُلكهم ورجوعُهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه، ثم أُخرِجوا المرة الثانية فلم يَنجبر حالهم أبدًا.

وقيل: التوبة: بعث عيسى.

---

(١) انظر صفحة ١/ ٣٢٢.

(٢) انظر تخريجه والتعليق عليه صفحة ١٣٢.

وقيل: بعث محمد ﷺ.

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدلٌ من الضمير.

أو فاعلٌ؛ على لغة: «أكلوني البراغيثُ».

والبدل أرجح وأفصح.

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على النصارى، وتكذيبٌ لهم.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يَحتمل أن يكون: من كلام المسيح، أو من كلام الله.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على من جعله إلهًا.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ بناءُ مبالغةٍ؛ من الصِّدق، أو من التَّصديق.

ووصْفُها بهذه الصفة دون النبوَّة يَدفع قولَ من قال: إنها نبيَّةٌ.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ استدلالٌ على أنهما ليسا بإلهين؛ لاحتياجِهما إلى الغذاء الذي لا يَحتاج إليه إلَّا مُحْدَثٌ مُفتقِرٌ، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزَّهٌ عن صفات الحدوث[1]، وعن كلِّ ما يَلحق بالبشر.

وقيل: إن قوله: ﴿يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ عبارةٌ عن الاحتياج إلى الغائط.

ولا ضرورةَ تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمةٌ بالوجهين.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في المقدمة الثانية في اللغات عند المادة رقم (٤٩٥).

﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ دخلت «ثم»؛ لتفاوت الأمرين، ولقصد التَّعجيب مِن كُفْرهم بعد بيان الآيات.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ إقامةُ حجةٍ على مَن عبد عيسى وأمَّه وهما لا يملكان ضرًّا ولا نفعًا.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ خطابٌ للنصارى، والغلوُّ: الإفراط، وبسبب ذلك كفَر النصارى.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ﴾ قيل: هم أئمتُهم في دين النصرانية؛ كانوا على ضلالٍ في عيسى، وأضلُّوا كثيرًا من الناس، ثم ضلُّوا بكفرهم بمحمد ﷺ.

وقيل: هم اليهود.

والأول أرجح؛ لوجهين:

أحدهما: أنَّ الضَّلال وصفٌ لازم للنصارى، ألَا ترى قولَه تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾!.

والآخر: أنه يَبعد نهيُ النصارى عن اتباع اليهود، مع ما بينهم من الخلاف والشِّقاق.

* * *

[﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾].

﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ أي: في الزَّبور والإنجيل.

﴿لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ أي: لا يَنهى بعضهم بعضًا عن منكرٍ.

فإن قيل: لم وصف المنكر بقوله: ﴿فَعَلُوهُۚ﴾ والنهيُ لا يكون بعد الفعل؟

فالجواب: أن المعنى: لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر[1] أرادوا فعله[2].

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ إن أراد أسلافهم: فالرؤية بالقلب.

(١) في هامش أ زيادة: «خ: إن» أي: إن أرادوا فعله، والمثبت موافق لما في الكشاف.
(٢) انظر: الكشاف (٥/ ٤٥٤).

وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ -وهو الأظهر-: فهي رؤية عين.

﴿وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: ما اتخذوا الكفارَ أولياء.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ عن شدة عداوة اليهود وعبَدَة الأوثان للمسلمين.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أن النصارى أقربُ إلى مودَّة المسلمين.

وهذا الأمر باقٍ إلى آخر الدهر، فكل يهوديٍّ شديدُ العداوة للإسلام والكيدِ لأهله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا﴾ تعليلٌ لقرب مودَّتهم، والقِسِّيس: العالم، والرَّاهب: العابد.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ الآيةَ؛ هي في النجاشيِّ، وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلًا، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، فبكَوا كما بكى النجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سورة «مريم».

وقال السهيلي: نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارى عشرين رجلًا، فلما سمعوا القرآن بكوا[1].

﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ «مِن» الأولى: سببيةٌ، والثانية: لبيان الجنس.

---

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٩٩.

﴿ءَامَنَّا﴾ أي: بالقرآن من عند الله.

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: مع المسلمين، وكذلك: ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ توقيفٌ لأنفسهم، أو محاجَّةٌ لغيرهم.

﴿وَنَطْمَعُ﴾ قال الزمخشري: الواو للحال[١].

وقال ابن عطية: لعطف جملة على جملة، لا لعطف فعل على فعل[٢].

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٤٦٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٦).

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى
رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا
اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾].

﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سببها: أن قومًا من الصحابة غلب عليهم خوف الله إلى أن حرَّم بعضُهم النساءَ، وبعضُهم النومَ بالليل، وبعضُهم أكْلَ اللحم، وهمَّ بعضُهم أن يَخْتَصُوا ويَسيحوا في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأُفطِر، وآتي النساءَ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١).

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تُفْرِطوا في التَّشديد على أنفسكم أكثرَ مما شُرِع لكم.

﴿وَكُلُوا﴾ أي: تمتَّعوا بالمآكل الحلال، وبالنساء وغير ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

وإنما خصَّ الأكل بالذِّكر؛ لأنه أعظمُ حاجات الإنسان.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدَّم في «البقرة»[(١)].

﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: بما قصدتم عَقْدَه بالنية.

وقرئ ﴿عَقَدتُّمُ﴾ بالتخفيف، و﴿عَاقَدتُّمُ﴾ بالألف.

﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ اشتراطُ المسكنة دليلٌ على أنه لا يُجزِئ في الكفارة إطعام غنيٍّ، فإن أطعمه جهلًا لم يُجْزِئه على المشهور من المذهب.

واشترط مالك أيضًا: أن يكونوا أحرارًا مسلمين، وليس في الآية ما يدلُّ على ذلك.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختُلف في هذا التوسط؛ هل هو في القَدْر أو في الصِّنف؟ واللفظ يَحتمل الوجهين.

فأما القَدْر:

فقال مالك: يُطعَم بالمدينة: مدٌّ بمدِّ النبي ﷺ، وبغيرها: وسَطٌ من الشِّبَع.

وقال الشافعي وابن القاسم: يُجزِئ المدُّ في كل مكان.

وقال أبو حنيفة: إن غدَّاهم وعشَّاهم أجزأه.

وأما الصِّنف: فاختُلف هل يُطعِم من عيش نفسه، أو من عيش أهل بلده؟

فمعنى الآية على التأويل الثاني: من أوسط ما تطعمون -أيها الناس-

---

(١) انظر صفحة ١/ ٤٤٢.

أهليكم على الجملة.

وعلى الأول: يختصُّ الخطاب بالمكفِّر.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال كثيرٌ من العلماء: يُجزئ ثوبٌ واحد لمسكين؛ لأنه يقال فيه: كِسوةٌ.

وقال مالك: إنما يُجزئ[1] ما تصحُّ به الصلاة، فالرجلُ[2] ثوبٌ واحد، والمرأةُ[3] قميصٌ وخِمار.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اشترط مالك فيها: أن تكون مؤمنة؛ لتقييدها بذلك في كفارة القتل، فحَمل هذا المطلق على ذلك المقيد.

وأجاز أبو حنيفة هنا: عتقَ الكافر؛ لإطلاق اللفظ هنا.

واشترط مالك أيضًا: أن تكون سليمةً من العيوب. وليس في اللفظ ما يدلُّ على ذلك.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: مَن لم يملك ما يُعتِق ولا ما يُطعِم ولا ما يَكسو؛ فعليه صيام ثلاثة أيام، فالخصالُ الثلاثة[4] على التَّخيير، والصيامُ مرتَّبٌ بعدَها لمن عَدِمها.

وهو عند مالك: مَن لم يَفضُل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادةٌ.

---

(١) في د: «يجزئه».

(٢) في ج، د: «فللرجلِ».

(٣) في ج، د: «وللمرأةِ».

(٤) في أ: «الثلاث».

﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه: إذ حلَفتم وحَنِثتم، أو أردتم الحِنْثَ.

واختُلف: هل يجوز تقديم الكفَّارة على الحِنث أم لا؟.

﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أي: احفظوها فبرُّوا فيها، ولا تَحنَثوا.

وقيل: احفظوها بأن تكفِّروها إن[1] حَنِثتم.

وقيل: احفظوها؛ أي: لا تنسَوْها تهاونًا بها.

﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ مذكوران في «البقرة»[2].

﴿وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة[3].

﴿رِجْسٌ﴾ هو في اللغة: كلُّ مكروهٍ مذموم، وقد يطلق بمعنى النَّجس، وبمعنى الحرام.

وقال ابن عباس هنا[4]: ﴿رِجْسٌ﴾: سُخْطٌ.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ نصٌّ في التحريم، والضمير يعود على الرِّجس؛ الذي هو خبرٌ عن جميع الأشياء المذكورة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ تقبيحٌ للخمر والميسر، وذكرٌ لبعض عيوبها، وتعليلٌ لتحريمها.

---

(١) في د: «إذا»، وكذا في هامش أ ورمز لها بـ«خ».

(٢) انظر صفحة ١/ ٤٣٦.

(٣) انظر صفحة ١٤٤.

(٤) في د: «معنى» بدل «هنا».

وقد وقعت في زمان الصحابة عداوةٌ بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال: إن ذلك كان سببَ نزول الآية.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ توقيفٌ يتضمَّن الزَّجر والوعيد؛ ولذلك قال عمر لما نزلت: «انتهينا انتهينا»[١].

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: أنه لما نزل تحريم الخمر قال قومٌ من الصحابة: كيف بمن مات منَّا وهو يشربها؟، فنزلت الآية مُعْلِمةً أنه لا جُناح على من شربها قبل التَّحريم؛ لأنه لم يعص اللهَ بشربها حينئذٍ.

والآخر: أن المعنى: رفعُ الجُناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرامَ منها، وعلى هذا أخذها عمرُ رضي الله عنه حين قال لقُدَامةَ: «إنك إذا اتَّقيتَ الله اجتنبت ما حرم عليك»، وكان قدامةُ قد شربها واحتجَّ بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال له عمر: «أخطأتَ التأويل»[٢].

﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا﴾ الآيةَ؛ قيل: كَرَّر التقوى مبالغةً.

وقيل: الرُّتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانيةُ: اتقاء المعاصي، والثالثةُ: اتقاء ما لا بأس به؛ حذرًا مما به البأسُ.

وقيل: الأولى: للزمان الماضي، والثانيةُ: للحال، والثالثةُ: للمستقبل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٤٧٢).

﴿وَأَحْسَنُواْ﴾ يَحتمل أن يريد:

الإحسانَ إلى الناس.

أو الإحسانَ في طاعة الله؛ وهو[١] المراقبة، وهذا أرجح؛ لأنه درجةٌ فوق التقوى، ولذلك ذكَره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثةٌ: مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.

* * *

(١) في أ، ب، هـ: «وهي».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾].

﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ أي: يختبر طاعتَكم من معصيتكم بما يَظهر لكم من الصيد مع الإحرام، أو في الحرم.

وكان الصيد من معايش العرب ومستعملًا عندهم، فاختُبِروا بتركه كما اختُبِر بنو إسرائيل بالحوت في السَّبت.

وإنما قلَّله في قوله: ﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ إشعارًا بأنه ليس من الفتن العِظام، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها.

﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ قال مجاهد: الذي تناله الأيدي: الفِراخ، والبَيض، وما لا يستطيع أن يَفِرَّ، والذي تناله الرماح: كبارُ الصيد.

والظاهر عدم هذا التَّخصيص.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: يَعلَمه علمًا تقوم به الحجة؛ وذلك إذا ظهر في الوجود.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ أي: بقتل الصيد وهو مُحرِمٌ.

والعذاب الأليم هنا: في الآخرة.

﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ معنى ﴿حُرُمٌ﴾: داخلين في الإحرام، أو في الحرَم.

و﴿ٱلصَّيْدَ﴾ هنا: عامٌّ، خَصَّص منه الحديثُ: الغرابَ، والحِدَأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور(١).

وأدخل مالك في الكلب العقور: كلَّ ما يؤذي الناس من السِّباع وغيرها.

وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كلَّ ما لا يؤكَل لحمُه.

ولفظ الصيد يدخل فيه: ما صيد، وما لم يُصَدْ مما شأنه أن يصاد.

وورد النهي هنا عن القتل؛ قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي: أن جزاءَ الصيد على المتعمِّد لا على الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر.

وقال جمهور الفقهاء: إن المتعمدَ والناسيَ سواءٌ في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المتعمد إنما ذُكِر ليُناط به الوعيدُ الذي في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨).

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾؛ إذ لا وعيدَ على الناسي.

والثاني: أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد.

والثالث: أن الجزاء على المتعمد ثبَت بالقرآن، وأنَّ الجزاء على الناسي ثبت بالسنة(١).

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ المعنى: فعليه جزاءٌ.

وقرئ بإضافة ﴿جَزَآءُ﴾ إلى ﴿مِثْلِ﴾؛ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به.

وقيل: ﴿مِثْلِ﴾ زائدةٌ؛ كقولك: «أنا أكرمُ مثلَك» أي: أكرمُك.

وقرئ ﴿فَجَزَآءٌ﴾ -بالتنوين- ﴿مِّثْلُ﴾ بالرفع؛ على البدل، أو الصفة.

و﴿ٱلنَّعَمِ﴾: الإبل والبقر والغنم خاصةً.

ومعنى الآية:

عند مالك والشافعي: أنَّ من قتل صيدًا وهو مُحرِمٌ أنَّ عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيدَ في الخِلْقة والمنظر، ففي النعامة بدَنةٌ، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثْلِيَّة -على هذا-: هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مِثلٌ: أطعَم أو صامَ.

---

(١) هذا من قول الزهري، كما في مصنف عبد الرزاق (٤/ ١٧٠): «عن الزهري قال: يُحكَم عليه في العمد، وهو في الخطإ سُنة»، وليس المراد بالسنة هنا حديثٌ معيَّن واردٌ فيه، وإنما المراد: أنه عليه عمل أهل العلم وطريقتهم، ولذا قال عبد الرزاق معلِّقًا: «وهو قول الناس، وبه نأخذ».

ومذهب أبي حنيفة: أنَّ المثلَ القيمةُ؛ يقوَّمُ الصيد المقتول، ويخيَّر القاتل بين أن يتصدَّقَ بالقيمة، أو يشتريَ بالقيمة من النَّعم ما يُهديه.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذه الآية تقتضي: أن التَّحكيم شرطٌ في إخراج الجزاء، ولا خلاف في ذلك، فإن أخرج أحدٌ الجزاءَ قبل الحكم عليه فعليه إعادتُه بالحكم، إلَّا حمامَ مكة؛ فإنه لا يَحتاج إلى حَكَمين، قاله مالك.

ويجب عند مالك التَّحكيمُ فيما حَكَمت فيه[1] الصحابةُ، وفيما لم يحكموا به؛ لعموم لفظ الآية.

وقال الشافعي: يُكتفَى في ذلك بما حكمت به الصحابة.

﴿هَدْيًا﴾ يقتضي ظاهرُه: أن ما يُخرَج من النَّعم جزاءً عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يُهدَى؛ وهو الجذَع من الضأن والثَّنِيُّ مما سواه.

وقال الشافعي: يُخرِج المثلَ في اللحم، ولا يُشترَط السن.

﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ لم يُرِد الكعبة بعينِها، وإنما أراد الحرمَ.

ويقتضي: أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي؛ مِن سَوْقِه من الحلِّ إلى الحرَم[2].

وقال الشافعي وأبو حنيفة: إن اشتراه في الحرم أجزأه.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ عدَّد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصَّيد، فذكر أوَّلًا الجزاءَ من النَّعم، ثم الطعامَ، ثم الصيامَ.

---

(١) في د: «به».

(٢) في أ، ب، هـ: «الحرام».

ومذهب مالك والجمهور: أنها على التَّخيير، وهو الذي يقتضيه العطف بـ «أو».

ومذهب ابن عباس: أنها على التَّرتيب.

ولم يبيِّن الله هنا مقدارَ الطعام، فرأى العلماءُ أن يُقدَّر بالجزاء من النَّعَم، إلَّا أنهم اختلفوا في كيفية التَّقدير:

فقال مالك: يقدَّر الصيد المقتول نفسُه بالطعام، أو بالدراهم ثم تقوَّم الدراهم بالطعام، فيُنظَر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حيٌّ.

وقال بعض أصحاب مالك: تقدير الصيد بالطعام أن يقال: كم كان يُشبع الصيدُ من نفسٍ، ثم يُخرِج قَدْر شِبَعِهم طعامًا.

وقال الشافعي: لا يقدَّر الصيد نفسُه، وإنما يقدَّر مثلُه، وهو الجزاء الواجب على القاتل له.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ تَحتمل الإشارةُ بذلك أن تكون:

إلى الطعام، وهو أحسن؛ لأنه أقرب.

أو إلى الصيد.

واختُلف في صفة تعديل الصيام بالطعام:

فقال مالك: يصوم مكان كل مدٍّ يومًا.

وقال أبو حنيفة: مكان كل مدَّين يومًا.

وقيل: مكان كلِّ صاعٍ يومًا.

ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام إلَّا بقتل الصيد، لا بأخذه دون قتل؛ لقوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُ﴾.

وفي كلِّ وجهٍ يشترط حُكْم الحَكَمين، وإنما لم يذكره الله في الصيام والطعام؛ استغناءً بذكره في الجزاء.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ الذَّوْقُ هنا: مستعارٌ؛ لأن حقيقتَه بحاسَّة اللسان.

والوبالُ: سوء العاقبة، وهو هنا: ما لَزِمه من التَّكفير.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: عمَّا فعلتم في الجاهلية مِن قتل الصَّيد في الحرم.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: مَن عاد إلى قتل الصيد وهو مُحرِمٌ بعد النهي عن ذلك فينتقمُ الله منه بوجوب الكفارة عليه، أو بعذابه في الآخرة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أحلَّ الله بهذه الآية صيدَ البحر للحلال والمحرم.

والصيد هنا: المصيد، والبحر: هو الماء الكثير؛ سواءٌ كان مِلْحًا أو عَذْبًا، كالبِرَك ونحوها.

﴿وَطَعَامُهُ﴾ هو ما يطفو على الماء، وما قَذف به البحر؛ لأنَّ ذلك طعامٌ وليس بصيد. قاله أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطاب.

وقال ابن عباس: طعامه: ما مُلِّح منه وبقي.

﴿مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بـ ﴿لَكُمْ﴾ للحاضرين في البحر، والسيارة: المسافرون.

أي: هو متاعٌ[1] تأتدِمون به.

---

(١) في د زيادة: «لكم».

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ﴾ الصَّيد هنا يَحتمل أن يراد به: المصدرُ، أو الشيءُ المصيد، أو كلاهما.

فنشأ من هذا: أن ما صاده المحرم فلا يحلُّ له أكله بوجهٍ.

ونشأ الاختلاف فيما صاد[1] غيرُه:

فإذا اصطاد حلالٌ:

فقيل: يجوز للمُحرِم أكلُه.

وقيل: لا يجوز.

وقيل: لا يجوز إن اصطاده لمحرمٍ.

والأقوال الثلاثة مرويةٌ عن مالك.

وإن اصطاد حرامٌ: لم يَجُزْ لغيره أكلُه عند مالك، خلافًا للشافعي.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي: أمرًا يقوم للناس بالأمن والمنافع.

وقيل: موضعَ قيامٍ بالمناسك.

ولفظ «الناس» هنا: عامٌّ.

وقيل: أراد العربَ خاصةً؛ لأنهم الذين كانوا يعظِّمون الكعبةَ.

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ يريد: جنسَ الأشهر الحرم الأربعة؛ لأنهم كانوا يكفُّون فيها عن القتال.

---

(١) في ب، د: «صاده».

﴿وَٱلْهَدْيَ﴾ يريد: أنه أمانٌ لمن يسوقه؛ لأنه يُعلِم أنه في عبادةٍ لم يأت لحرب.

﴿وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلَّد شيئًا من السَّمُر، وإذا رجع تقلَّد شيئاً من شجر الحرم؛ ليُعلِم أنه كان في عبادة، فلا يتعرَّض له أحدٌ بِشرٍّ[١]؛ فالقلائد هنا: هو[٢] ما يُقلِّدُه[٣] المحرمُ من الشجر.

وقيل: أراد قلائد الهدي.

قال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية، وشدَّدها في الإسلام[٤].

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ الإشارةُ إلى جعل الله هذه الأمور قيامًا للناس.

والمعنى: فعل[٥] الله ذلك لتعلموا أنه يَعلم تفاصيلَ الأمور.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ لفظٌ عام في جميع الأمور؛ من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك.

* * *

(١) في ب، هـ: «بشيء» ولم ترد في ج.
(٢) في ج، هـ: «هي».
(٣) في د: «ما تقلَّده».
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٨).
(٥) في د: «جعل».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾].

﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ قيل: سببها: سؤال عبد الله بن حذافة: مَنْ أبي؟، فقال له النبي ﷺ: «أبوك حذافة»، وقال آخر: أين أنا(١)؟ قال: «في النار»(٢).

وقيل: سببها: أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحجَّ فحجوا»

---

(١) في هامش ب: «أين أبي»، والمثبت موافق لما في الصحيح.
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٩٤).

فقالوا: يا رسول الله أفي كلِّ عامٍ؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلتُ: نعم لوجبت»(١).

فعلى الأول: ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ بالإخبار بما لا يعجبكم.

وعلى الثاني: ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ بتكليف ما يشقُّ عليكم، ويقوِّي هذا قولُه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها؛ كقوله ﷺ: «عفا الله عن الزكاة في الخيل»(٢).

وقيل: إن معنى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عفا عنكم فيما تقدَّم من سؤالكم؛ فلا تعودوا إليه.

﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال؛ كأنه قال: لا تسألوا، وإن سألتم أُبدِيَ لكم ما يسؤوكم.

والمراد بـ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾: زمانُ الوحي.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في ﴿سَأَلَهَا﴾ راجعٌ إلى المسألة التي دلَّ عليها ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾، وهي مصدرٌ؛ ولذلك لم يتعدَّ بـ«عن» كما تعدَّى قولُه: ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾.

وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياءَ، فإذا أُمِروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا: عبارةٌ عن ترك ما أُمِروا به.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٧٤)، والترمذي (٦٢٠)، والنسائي (٢٤٨٠) بلفظ: «قد عفوت عن صدقة الخيل..».

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قومٌ عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظَّم كتعظيم الكعبة والهدي؟؛ أخبرهم الله أنه لم يَجعلْ شيئًا من ذلك لعبادِه؛ أي: لم يَشرعْه لهم، وإنما الكفَّارُ جعلوا ذلك.

فأما البَحيرة: فهي فَعِيلة بمعنى مفعولة؛ مِن بَحَرَ إذا شَقَّ؛ وذلك أن الناقة إذا نُتِجَتْ[1] عشرةَ أَبْطُنٍ شقُّوا أُذنَها، وتركوها ترعى ولا ينتفع بها.

وأما السَّائبة: فكان الرجل يقول: إذا قدمتُ من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعَلها كالبَحيرة في عدم الانتفاع بها.

وأما الوَصيلة: فكانوا إذا وَلَدت الناقة ذكرًا وأنثى في بطنٍ واحد قالوا: وصلت الناقةُ أخاها، فلم يذبحوهُ[2].

وأما الحامي: فكانوا إذا نُتِجَ مِن صلب الجمل عشرةُ بطون قالوا: قد حمَى ظَهْرَه، فلا يُركَب ولا يُحمَل عليه شيءٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرِّمْ.

---

(١) في أ، ب، د: «أنتجت» بالألف، والمثبت هو الفصيح كما نص عليه الإمام ثعلب في كتابه الفصيح، يقال: «نُتِجت الناقةُ تُنتَج، ونَتَجها أهلُها»، وانظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ١٠٤).

(٢) في أ، د: «يذبحوها»، والمثبت هو الصواب، والضمير يعود على الذَّكَر، قال في الكشاف (٥/ ٥٠٨): «فإن ولدت ذكرًا وأنثى قالوا: وصلتْ أخاها، فلم يذبحوا الذَّكرَ لآلهتهم»، وانظر أيضًا: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٧).

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الذي يفترون: هم الذين اخترعوا تحريمَ تلك الأشياء.

والذين لا يعقلون: هم أتباعُهم المقلِّدون لهم.

﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: يكفينا دينُ آبائنا.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال الزمخشري: الواو: واو الحال، دخلت عليها همزة الإنكار؛ كأنه قيل: أَحَسْبُهم هذا وآباؤهم لا يعقلون![1].

وقال ابن عطية: «ألف التَّوقيف دخلت على واو العطف»[2].

وقول الزمخشري أحسنُ في المعنى.

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: إنها منسوخةٌ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيل: إنها خطابٌ للمسلمين من ذرية الذين حرَّموا البَحيرةَ وأخواتِها؛ كأنه يقول: لا يضرُّكم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم.

والقول الصحيح فيها: ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال: سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيتم[3] شُحًّا مطاعًا، وهوى متَّبَعًا، ودنيا مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه؛ فعليك بخويصة نفسك وذَرْ عوامَّهم»[4]، ومثل ذلك قول عبد الله بن

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٥٠٩).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٨).

(٣) في د: «رأيت».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤).

مسعود ﷺ : «ليس هذا بزمان هذه الآية؛ قولوا الحق ما قُبِل منكم، فإذا رُدَّ عليكم[١] فعليكم أنفسكم»[٢].

﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ﴾ قال مكيٌّ: هذه الآية أشكلُ آيةٍ مِن القرآن؛ إعرابًا، ومعنًى، وحكمًا[٣].

ونحن نبيِّن معناها على الجملة، ثم نبين أحكامها، وإعرابها على التفصيل.

وسببها: أنَّ رجلين خرجا إلى الشام، وخرج معهما رجلٌ آخر لتجارة[٤]، فمرض في الطريق، فكتب كتابًا قيَّد فيه كلَّ ما معه، وجعله في متاعه، وأوصى الرجلين أن يؤديا رَحْلَه إلى ورثته، فمات، فقَدِمَ الرجلان المدينة، ودفعَا رَحله إلى ورثته، فوجودوا فيه كتابه، وفقدوا منه أشياءَ قد كتبها، فسألوهما عنها فقالا: لا ندري، هذا الذي قبضناه، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فاستحلَفهما رسول الله ﷺ، فبقي الأمر مدَّةً، ثم عُثِر على إناءٍ عظيم من فضة، فقيل لمن وُجِد عنده: من أين لك هذا؟، فقال: اشتريته من فلان وفلان، يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا، فحلفا واستحقًّا.

فمعنى الآية: إذا حضر الموتُ أحدًا في السفر فليُشهِد عَدْلين بما معه، فإن

---

(١) سقطت هذه الكلمة من ب، ج، هـ.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٤٣).
(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (١/ ٢٤٣).
(٤) في ج، د: «بتجارة».

وقعت ريبةٌ في شهادتهما حلَفا أنهما ما كذَبا ولا بدَّلا ، فإن عُثِر بعد ذلك على أنهما كذَبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت، وغَرِم الشَّاهدان ما ظهر عليهما .

﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وخبره: ﴿ٱثۡنَانِ﴾، التقدير: شهادةُ بينكم شهادةُ اثنين.

أو: مقيمُ شهادةِ بينكم اثنان.

﴿إِذَا حَضَرَ﴾ أي: إذا قارب[1] الحضورَ، والعامل في ﴿إِذَا﴾: المصدرُ الذي هو ﴿شَهَٰدَةُ﴾، وهذا على أن يكون ﴿إِذَا﴾ بمنزلة «حين»؛ لا تحتاج جوابًا.

ويجوز أن تكون شرطيةً، وجوابها محذوف؛ يدلُّ عليه ما تقدَّم قبلها؛ فإنَّ المعنى: إذا حضر أحدَكم الموتُ فينبغي أن يُشهِدَ.

﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾ ظرفٌ؛ العامل فيه: ﴿حَضَرَ﴾.

أو يكون بدلًا من ﴿إِذَا﴾.

﴿ذَوَا عَدۡلٍ﴾ صفةٌ للشاهدين.

﴿مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ قيل: معنى ﴿مِّنكُمۡ﴾: من عشيرتكم وأقاربكم، و﴿مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾: من غير العشيرة والقرابة.

وقال الجمهور: ﴿مِّنكُمۡ﴾ أي: من المسلمين، و﴿مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ أي: من الكفار إن لم يوجد مسلمٌ.

---

(١) في ج، د: «قرب».

ثم اختُلف على هذا:

هل هي منسوخةٌ بقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] فلا تجوز شهادة الكفار أصلًا -وهو قول مالك والشافعي والجمهور-؟.

أو هي مُحْكَمةٌ وأن شهادة الكفار جائزةٌ على الوصية في السفر -وهو قول ابن عباس-؟.

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم، وجواب ﴿إِنْ﴾ محذوفٌ؛ يدلُّ عليه ما تقدَّم قبلها، والمعنى: إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فشهادة بينكم شهادةُ اثنين.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ قال أبو علي الفارسيُّ: هو صفة لـ ﴿ءَاخَرَانِ﴾، واعتُرِض بين الصفة والموصوف بقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمَوْتِ﴾؛ ليُفيدَ أن العُدول إلى آخَرينِ من غير المِلَّة إنما يجوز لضرورةِ الضَّرب في الأرض، وحلولِ الموت في السَّفَر.

وقال الزمخشري: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ استئنافُ كلامٍ[1].

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الجمهور: هي صلاة العصر؛ فاللام للعهد؛ لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي ﷺ باللِّعان، وقال: «مَن حلَف على سلعة بعد العصر..»[2]، وكان التحليفُ بعدها معروفًا عندهم.

وقال ابن عباس: هي صلاة الكافرَينِ في دينهما؛ لأنهما لا يُعظِّمان صلاةَ العصر.

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٥١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (١٠٨).

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: يحلفان، ومذهب الجمهور: أن تحليف الشاهدين منسوخٌ.

وقد أَحْلَفهما عليٌّ بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري.

﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: إن شككتم في صدقهما، وأمانتهما.

وهذه الكلمة اعتراضٌ بين القَسَم والمُقسَم عليه.

وجواب ﴿إِنِ﴾ محذوفٌ؛ يدل عليه: ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾.

﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسَم عليه، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقسم، وفي ﴿كَانَ﴾ للمُقسَم له؛ أي: لا نَستبدلُ بصحة القسم بالله عرَضًا من الدنيا؛ أي: لا نحلف بالله كاذبَيْنِ لأجل المال؛ ولو كان مَن نُقسِمُ له قريبًا لنا؛ وهذا لأن عادة الناس الميلُ إلى أقاربهم.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: الشهادةَ التي أَمر الله بحفظها وأدائها، وأضافها[١] إلى الله؛ تعظيمًا لها.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: إن اطُّلِع بعد ذلك على أنهما فعَلَا ما أوجب إثمًا.

فالإثم: الكذب، أو[٢] الخيانة. واستحقاقُه: الأهليةُ للوصف به.

﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدَينِ في اليمين.

---

(١) في ج: «وإضافتها».

(٢) في د: «و».

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: من الذين استُحِقَّ عليهم الإثم، أو المال. ومعناه: من الذي جُنِي عليهم؛ وهم أولياء الميت.

﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ تثنية «أَوْلَى»؛ بمعنى: أحقُّ؛ أي: الأحَقَّان بالشهادة؛ لمعرفتهما، أو الأحقَّان بالمال؛ لقرابتهما.

وهو مرفوعٌ؛ على أنه:

خبر ابتداءٍ؛ تقديره: «هما الأَوْليان».

أو مبتدأٌ مؤخَّرٌ؛ تقديره: «الأوليان آخران يقومان».

أو بدلٌ من الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾.

ومنع الفارسيُّ أن يُسنَد ﴿اسْتُحِقَّ﴾ إلى ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾، وأجازه ابن عطية[1].

وأما على قراءة ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ -بفتح التاء والحاء- على البناء للفاعل:

فـ ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ فاعلٌ بـ ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾.

ومعنى ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ على هذا: أَخَذ المال وجعَل يدَه عليه.

و﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ -على هذا- هما: الشَّاهدان اللذان ظهرت خيانتُهما؛ أي: الأوليان بالتَّحليف والتَّعنيف والفضيحة.

وقرئ ﴿الأَوَّلِينَ﴾ جمع أوَّلٍ، وهو:

مخفوضٌ؛ على الصفة لـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ﴾.

أو منصوبٌ بإضمار فعلٍ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩).

ووصفهم بالأوَّلِيَّة؛ لتقدُّمهم على الأجانب في استحقاق المال، وفي صدق الشهادة.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي: يَحلفُ هذان الآخران أنَّ شهادتَهما أحقُّ -أي: أصحُّ- من شهادة الشاهدَينِ اللذَينِ ظهرت خيانتهما.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن اعتدَينا فإنّا من الظالمين؛ وذلك على وجه التبرِّي، ومثلُه قول الأوَّلَينِ: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ الإشارةُ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الحكم الذي وقع في هذه القضية[1].

ومعنى ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقربُ، و﴿عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ أي: كما وقعت من غير تبديل ولا تغيير.

﴿أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: يخافوا أن يحلف غيرُهم بعدَهم فيَفتضِحوا.

* * *

(١) في ب: «القصة»، وفي د: «الوصية».

[﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ
﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ
أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ
أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصابُ الظَّرف بفعل مضمر.

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أي: ماذا أجابكم به الأمم؛ من إيمان وكفر وطاعة ومعصية؟

والمقصود بهذا السؤال: توبيخُ مَن كفر من الأمم، وإقامةُ الحجة عليهم.

وانتصب ﴿مَاذَآ﴾ بـ ﴿أُجِبْتُمْ﴾ انتصابَ مصدرِه.

ولو أُريد الجواب لقيل: «بماذا أُجبتم؟».

﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إنما قالوا ذلك تأدُّبًا مع الله، فوكَلوا العلم إليه.

قال ابن عباس: المعنى: لا علم لنا إلا ما علَّمتنا.

وقيل: معناه: عِلْمُنا ساقطٌ في جنب علمك، ويقوِّي ذلك قولُهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾؛ لأنَّ مَن عَلِم الخفيَّات لم تَخْفَ[1] عليه الظواهر.

وقيل: ذَهَلُوا عن الجواب؛ لهولِ ذلك اليوم. وهذا بعيد؛ لأنَّ الأنبياءَ في ذلك اليوم آمنون.

وقيل: أرادوا بذلك توبيخَ الكفار.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ يَحتمل:

أن يكون ﴿إِذْ﴾ بدلًا من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾، ويكون هذا القولُ يومَ القيامة.

أو يكونَ العامل في ﴿إِذْ﴾ مضمرًا، ويَحتمل على هذا أن يكون القولُ: في الدنيا.

أو يوم القيامة، وإذا جعلناه يومَ القيامة؛ فقوله: ﴿قَالَ﴾ بمعنى: يقول.

وقد تقدَّم تفسير ألفاظ هذه الآية في «آل عمران»[2].

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير المؤنَّث عائدٌ على الكاف؛ لأنها صفة الهيئة، وكذلك الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾.

وكذلك الضمير المذكَّر في قوله في «آل عمران»: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] عائدٌ على الكاف أيضًا؛ لأنها بمعنى: «مِثْلَ».

وإن شئت أن تقول: هو في الموضعين عائدٌ على الموصوف المحذوف

---

(١) في ب، هـ: «يخف».

(٢) انظر صفحة ١/ ٥٤٢.

الذي وُصِف بقوله: ﴿كَهَيْـَٔةِ﴾ فتُقدِّرُه[1] في التَّأنيث: «صورةً»، وفي التَّذكير: «شخصًا» أو «خَلْقًا» وشبهَ ذلك.

وقيل: المؤنَّثُ يعود: على الهيئة، والمذكَّرُ[2]: على الطَّير، أو الطِّين. وهو بعيدٌ في المعنى.

﴿بِإِذْنِي﴾ كرَّره مع كل معجزة؛ ردًّا على من نسَب الربوبيةَ لعيسى.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهودَ؛ حين همُّوا بقتله فرفَعه الله إليه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوفٌ على ما قبله؛ فهو من جملة نعم الله على عيسى.

والوحيُ هنا يَحتمل أن يكون: وحيَ إلهامٍ، أو وحيَ كلامٍ.

﴿وَٱشْهَدْ﴾ يَحتمل أن يكون خطابًا: لله تعالى، أو لعيسى عليه السلام.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليلٌ على أنهم لم يكونوا يعظِّمونه كتعظيم المسلمين لمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله.

وقولهم: ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ دليلٌ على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقادَ الصحيح مِن نِسْبتِه إلى أمٍّ دون والد، بخلاف ما اعتقده النصارى.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ظاهرُ هذا اللفظ: أنهم شكُّوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة. وعلى هذا أخَذه الزمخشري، وقال: ما وصفهم الله

---

(١) في أ، ب: «فتقديره».

(٢) في د زيادة: «يعود».

بالإيمان، وإنما حكَى دعواهم في قولهم: «آمنَّا»(١).

وقال ابن عطية وغيره: ليس لأنهم شكُّوا في قدرة الله؛ لكنه بمعنى: هل يفعل ربك هذا؟، وهل يقع منه إجابةٌ إليه؟(٢).

وهذا أرجحُ؛ لأن الله أثنى على الحواريين في مواضعَ من كتابه، مع أنَّ في اللفظ بشاعةٌ تُنكَر.

وقرئ: ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ - بتاء الخطاب - ﴿رَبَّكَ﴾ بالنصب؛ أي: هل تستطيع سؤالَ ربِّكَ.

وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكُّوا، وبها قرأت عائشة ﵂، وقالت: «كان الحواريون أعرفَ بربِّهم من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾»(٣).

﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ موضعُ ﴿أَن﴾:

مفعولٌ بقوله: ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ على القراءة بالياء.

ومفعولٌ بالمصدر - وهو السؤالُ المقدَّر - على القراءة بالتاء.

والمائدة: التي عليها طعامٌ، فإن لم يكن عليها طعام فهي خِوَانٌ.

﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قوله لهم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أن يكون:

زجرًا عن طلبِ المائدة، واقتراحِ الآيات.

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٥٣٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٤٣).

ويَحتمل أن يكون زجرًا عن الشكِّ الذي يقتضيه قولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على مذهب الزمخشري.

أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شكٌّ.

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

هو على ظاهره على مذهب الزمخشري.

وأما على مذهب ابن عطية وغيره: فهو تقريرٌ لهم؛ كما تقول: «افعل كذا إن كنت رجلًا»، ومعلوم أنه رجل.

وقيل: إنَّ هذه المقالةَ صدرت منهم في أوَّل الأمر، قبل أن يروا معجزات عيسى.

﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: أكلًا نتشرَّف به بين الناس، وليس مرادُهم شهوةَ البطن.

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ أي: نعاينَ الآية، فيصيرَ إيمانُنا بالضَّرورة والمشاهدة فلا تَعرِضُ لنا الشكوكُ التي تعرض في الاستدلال.

﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ظاهرُه يقوِّي قولَ من قال: إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكُّن إيمانهم.

ويَحتمل أن يكون المعنى: نعلمَ علمًا ضروريًا لا يحتمل الشكَّ.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: نشهدُ بها عند مَن لم يحضرها من الناس.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ﴾ أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله.

وروي أنه لبس جُبَّةَ شَعر ورداءَ شعر، وقام يصلي ويدعو ويبكي.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ قيل: نتَّخذُ يومَ نزولها عيدًا يدور كلَّ عام، لأول الأمة، ثم لمن بعدَهم.

وقال ابن عباس: المعنى: تكون مجتمَعًا لجميعنا أوَّلِنا وآخِرِنا في يوم نزولها خاصة، لا عيدًا[1] يدور.

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي: علامةً على صدقي.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلى ما طلبوا، ونزلت المائدة عليها خبز وسمك.

وقيل: زيتون وتمر ورمان.

وقال ابن عباس: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا.

وفي قصة المائدة قَصص كثيرٌ غيرُ صحيح.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾ عادةُ الله ﷻ عقابُ مَن كفر بعد اقتراحِ آيةٍ فأُعطِيَتْهُ، ولما كفر بعض هؤلاء مسَخهم الله خنازير.

قال عبد الله بن عمر: أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة مَن كفر من أصحاب المائدة، وآلُ فرعون، والمنافقون[2].

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «لا عيد».
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٢).

[﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس والجمهور: هذا القول من الله يكون يومَ القيامة على رؤوس الخلائق؛ ليَرى الكفارُ تبرئةَ عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل.

وقال السُّدِّيُّ: لما رَفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرَهم بذلك، فسأله الله حينئذ عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ الآيةَ، فعلى هذا:

يكون ﴿إِذْ قَالَ﴾ ماضيًا في معناه؛ كما هو في لفظه.

وعلى قول ابن عباس: يكون بمعنى المستقبل.

﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ نفيٌ يَعضُده دليل العقل؛ لأن المحْدَث لا يكون إلهًا.

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ اعتذارٌ وبراءةٌ من ذلك القول، ووكَلَ العلم إلى الله؛ لتَظهرَ براءتُه؛ لأن الله عَلِم أنه لم يقل ذلك.

﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي: تعلم مَعلومِي ولا أعلم مَعلومَك، ولكنه سلك باللفظ مَسْلَك المشاكَلة؛ فقال: ﴿فِى نَفْسِكَ﴾؛ مقابلةً لقوله: ﴿فِى نَفْسِى﴾[1].

وبقيةُ كلامِه تعظيمٌ لله، وإخبارٌ بما قال للناس في الدنيا.

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟﴾ ﴿أَن﴾ حرف عبارة وتفسير.

أو مصدرية؛ بدلٌ من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فيها سؤالان:

الأول: كيف قال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وهم كفَّارٌ؛ والكفَّار لا يُغفَر لهم؟

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في تفسير الآية: «أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك» إلخ، أقول: هذا تفسير منه للموصول في الموضعين: ﴿مَا فِى نَفْسِى﴾ و﴿مَا فِى نَفْسِكَ﴾، فيكون المعنى تعلم الذي أعلمه، ولا أعلم الذي تعلمه، وهذا يشمل ما يُبدَى وما يُخفَى، وهذا أعم مما يدل عليه لفظ الآية، والله يعلم ما يبديه العبد وما يخفيه، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، والعبد يعلم من معلوم الله ما أعلمَه به، ولا يعلم العبد ما يخفيه سبحانه، فلا يعلم ما استأثر الله بعلمه، ولا كلَّ ما أعلم به بعضَ عباده، فقول عيسى ﷺ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ أي ما أخفيه، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي ما تخفيه. ولم يذكر المؤلف ﷺ معنى النفس في الآية، وأليقُ معاني النفس في مثل هذا السياق أن يراد بها الذات، كما يقال: جاء محمد نفسه، وهذا الشيء نفسُ ذاك، أي هو هو، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾. والله أعلم.

والجواب: أن المعنى: تسليمُ الأمر لله، وأنه إن عذَّب أو غفَر فلا اعتراضَ عليه؛ لأن الخلق عبادُه، والمالك يفعل في مُلكه ما يشاء، ولا يَلزم من هذا وقوعُ المغفرة للكفار، إنما يقتضي جوازَها في حِكْمة الله تعالى وعزَّته، وفَرقٌ بين الجواز والوقوع.

وأما على قول من قال: إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء، فلا إشكالَ؛ لأن المعنى: إن تغفر لهم بالتوبة، وكانوا حينئذ أحياءَ، وكل حيٍّ معرَّضٌ للتوبة.

السؤال الثاني: ما مناسبةُ قولِه: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لقوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ والأليق مع ذكر المغفرة أنْ لو قيل: «فإنك أنت الغفور الرحيم»؟.

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: يظهر لي: أنه لما قَصد التَّسليم لله والتَّعظيم له، كان قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أليقَ؛ فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزَّة تقتضي التعظيم له؛ فإن العزيز: هو الذي يفعل ما يريد، ولا يَغلِبه غيرُه، ولا يَمتنع عليه شيءٌ أراده، فاقتضى الكلام تفويضَ الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادرٌ على كلا الأمرين؛ لعزَّته، وأيهما فعَل فهو جميل؛ لحكمته.

الجواب الثاني: -قاله شيخُنا الأستاذ أبو جعفر ابنُ الزبير-: إنما لم يقل «الغفور الرحيم»؛ لئلا يكون في ذلك تعريضٌ بطلب المغفرة لهم، فاقتصر

على التسليم والتفويض دون الطلب؛ إذ لا تطلب المغفرة لكافرٍ(١).
وهذا قريبٌ من قولنا.

الثالث: حكى شيخُنا الخطيب أبو عبد الله ابنُ رُشَيدٍ(٢) عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم ابن حازم(٣) أنه كان يقف على قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ويجعل ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ استئنافًا، وجواب ﴿إِن﴾ في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾؛ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال.

﴿هَٰذَا يَوْمَ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ عمومٌ في جميع الصادقين، وخصوصٌ في عيسى بن مريم؛ فإن في ذلك إشارةً إلى صدْقِه في الكلام الذي حكاه الله عنه.

وقرأ غيرُ نافع: ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾ بالرفع؛ على الابتداء والخبر.

وقرأ نافعٌ بالنصب؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ ظرفًا لـ﴿قَالَ﴾؛ فعلى هذا: لا تكون الجملة معمولَ القول، وإنما معموله ﴿هَٰذَا﴾ خاصةً، والمعنى: قال الله هذا القَصص أو(٤) الخبر في يوم. وهذا بعيدٌ مُزِيلٌ لرَوْنَقِ الكلام.

---

(١) انظر: ملاك التأويل (١/ ٤٠٨).

(٢) هو محمد بن عمر، ابنُ رُشَيد الفهري السبتي، أبو عبد الله محب الدين، ولد سنة (٦٥٧هـ)، وتوفي سنة (٧٢١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ١٩٩).

(٣) هو حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي النحوي، أبو الحسن، شيخ البلاغة والأدب في عصره، له كتاب «سراج البلغاء» في البلاغة، ولد سنة (٦٠٨هـ)، وتوفي سنة (٦٨٤هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤٩١).

(٤) في ب، د: «و».

والآخر: أن يكون ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأً، و﴿يَوْمَ﴾ في موضع خبره، والعامل فيه محذوفٌ؛ تقديره: هذا واقعٌ يومَ ينفع الصادقين صدقهم.

ولا يجوز أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ مبنيًا على قراءة نافع؛ لأنه أضيف إلى مُعْرَبٍ. قاله الفارسي والزمخشري[1].

* * *

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٥٤٩).

﴿ سورة الأنعام ﴾

قال كعبٌ[١] : أوَّل الأنعام هو أول التوراة[٢] .

[﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾] .

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ «جعل» هنا بمعنى: خلق، والظلمات: الليل، والنور: النهار، والضَّوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما.

---

(١) في د زيادة: «الأحبار».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٤٧).

وإنما أَفرد النورَ؛ لأنه أراد الجنس.

وفي الآية ردٌّ على المجوس في عبادتهم النارَ وغيرَها من الأنوار، وقولِهم: إن الخيرَ من النور والشرَّ من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلهًا ولا فاعلًا لشيءٍ من الحوادث.

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يُسَوُّون ويُمَثِّلون؛ من قولك: عدَلتُ فلانًا بفلان: إذا جعلتَه نظيرَه وقرينه.

ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ لتدلَّ على استبعاد أن يَعدِلوا بربِّهم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض، والظلمات والنور.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾؛ استبعادٌ لأن يمتروا فيه بعدما ثبت أنه أحياهم وأماتهم.

وفي ضمن ذلك تعجيبٌ من فعلهم، وتوبيخٌ لهم.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هنا: عامٌّ في كل مشرك.

وقد يختصُّ:

بالمجوس؛ بدليل الظلمات والنور.

أو بعَبَدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الردُّ في أكثر القرآن.

﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ أي: خلق أباكم آدمَ من طين.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ الأجل الأول: الموتُ، والثاني: يومُ القيامة، وجَعَله عنده؛ لأنه استأثر بعلمه.

وقيل: الأوَّل: النوم، والثاني: الموت.

ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ هنا لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوقوع؛ لأن القضاء متقدِّمٌ على الخلق.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلَّق ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بمعنى اسم الله؛ فالمعنى كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، كما يقال: أمير المؤمنين الخليفةُ في المشرق والمغرب.

ويَحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر؛ فيتعلَّق باسم فاعلٍ محذوف، والمعنى على هذا قريبٌ من الأول.

وقيل: المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه؛ كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والأول أرجح وأفصح؛ لأن اسم الله جامعٌ للصفات كلِّها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك فقَصَد جمْعَها مع الإيجاز.

ويترجَّح الثاني: بأن سياق الكلام في اطِّلاع الله تعالى وعلمه؛ لقوله بعدها: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.

وقيل: يتعلَّق بمحذوف؛ تقديره: المعبود في السموات والأرض، وهذا المحذوف صفة لـ ﴿ٱللَّهُ﴾.

واسم ﴿ٱللَّهُ﴾ على هذا القول، وعلى الأول: هو خبر المبتدأ.

وأما إذا كان المجرور الخبر: فاسم ﴿ٱللَّهُ﴾ بدلٌ من الضمير.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ «مِن» الأولى: زائدة.

والثانية: للتَّبعيض، أو لبيان الجنس.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ حضٌّ للكفار على الاعتبار بغيرهم.

والقَرْن: مئة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون.

﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ الضمير عائدٌ على القرن؛ لأنه في معنى الجماعة.

﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من مؤمن وكافر.

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ السماءُ هنا: المطر، أو السحاب، أو السماء حقيقةً.

و﴿مِّدْرَارًا﴾: بناءُ مبالغةٍ وتكثيرٍ؛ من قولك: درَّ المطر: إذا غَزُرَ.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ التَّقدير: فكفروا وعصَوا فأهلكناهم، وهذا تهديدٌ للكفار أن يصيبَهم مثلُ ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات.

والمراد بقوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾[1] لو بالغوا في مَيْزِه وتقليبه ليرتفع الشكُّ؛ لعاندوا بعد ذلك.

---

(١) في د «أي»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

ويُشبِه أن يكون سببُ هذه الآية قولَ بعضهم للنبي ﷺ: لا أؤمن لك[١] حتى تأتِيَني بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك، وما أُرَاني مع هذا[٢] أصدِّقك.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ﴾ حكايةٌ عن طلب بعض العرب، روي أن العاصيَ بن وائل، والنضرَ بن الحارث، وزمعة بن الأسود، والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، لو كان معك مَلَك!.

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس: المعنى: لو أنزلنا ملكًا فكفروا بعد ذلك لعُجِّل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذفٌ، وقضاء الأمر على هذا: تعجيلُ أَخْذِهم.

وقيل: المعنى: لو أنزلنا ملكًا لماتوا من هَوْلِ رؤيته، فقضاء الأمر على هذا: موتهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملَكًا لكان في صورة[٣] رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملَك في صورته.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي: لخلَطنا عليهم ما يَخلِطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملَك في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك.

---

(١) في د: «بك».
(٢) في د: «بعد ذلك».
(٣) في د: «في صفة».

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ﴾ الآية؛ إخبارٌ قُصِد به تسليةُ النبي ﷺ عما كان يلقى من قومه.

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط بهم، وفي هذا الإخبارِ تهديدٌ للكفار.

* * *

[﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن
مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ
إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ
وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ
بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ
شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ
لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآيةَ؛ حضٌّ على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هَلَكوا قبلهم.

﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾ قال الزمخشري: إن قلتَ: أيُّ فَرْقٍ بين قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾ وبين قوله: ﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾؟

قلت: جعل النظر مسبَّبًا عن السَّيْر في قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾؛ فكأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ فمعناه: إباحةُ السَّير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجابُ النظر في الهالكين، ونَبَّه على

ذلك بـ «ثم»؛ لتَباعُدِ ما بين الواجب والمباح[١].

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ القصد بالآية: إقامةُ برهانٍ على صحة التوحيد وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصيغة الاستفهام؛ لإقامة الحجة على الكفار، فسأل أولًا: ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضَّرورة، فيَثبت بذلك أن الإله الحقَّ هو الله الذي له ما في السموات والأرض.

وإنما يَحسن أن يكون السائل مجيبًا عن سؤاله، إذا علم أنَّ خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم الحجةَ عليه.

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: قضاها؛ وتفسير ذلك: بقول النبي ﷺ: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي»[٢]، وفي رواية: «تغلب غضبي»[٣].

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوعٌ مما قبله، وهو جوابٌ لقسَمٍ محذوف.

وقيل: هو تفسيرٌ للرحمة المذكورة؛ تقديره: أنْ يَجمعَكم. وهذا ضعيفٌ؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها؛ فإنها لا تدخل إلَّا في القسم، أو في غير الواجب.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيل: «إلى» هنا بمعنى «في». وهو ضعيف.

والصحيح: أنها للغاية على بابها.

---

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) أخرجها البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأٌ، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ودخلت الفاء؛ لما في الكلام من معنى الشَّرط. قاله الزجاج، وهو حسَنٌ.

وقال الزمخشري: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نَصْبٌ على الذمِّ، أو رَفْعٌ بخبر ابتداء مضمر[1].

وقيل: هو بدلٌ من الضمير في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ وهو ضعيف.

وقيل: منادى، وهو باطل.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾.

ومعنى ﴿سَكَنَ﴾: حلَّ؛ فهو من السُّكنى.

وقيل: هو من السُّكون. وهو ضعيف؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة؛ فلا يَعُمُّ، والمقصود عمومُ مُلْكه تعالى لكل شيء.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إقامةُ حجةٍ على الكفار، وردٌّ عليهم بصفات الله الكريمة التي لا يشاركه غيره فيها.

﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابقُ أمَّتِه إلى الإسلام.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذفٌ؛ تقديره: وقيل لي: ولا تكونن من المشركين.

---

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٣٤).

أو يكون معطوفًا على معنى ﴿أُمِرْتُ﴾ فلا حذفَ، وتقديره: أُمِرت بالإسلام، ونُهِيت عن الإشراك.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ أي: من يُصرَف عنه العذابُ يومَ القيامة فقد رحمه الله.

وقرئ: ﴿يَصْرِفْ﴾ بفتح الياء، وفاعله: الله.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى: صَرْف العذاب، أو إلى الرحمة.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنى ﴿يَمْسَسْكَ﴾: يُصِبْك، والضُّرُّ: المرض وغيره على العموم في جميع المُضِرَّات، والخير: العافية وغيرها على العموم أيضًا.

والآية برهانٌ على الوَحدانية؛ لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف؛ براهينُ وردٌّ على المشركين.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ سؤالٌ يقتضي جوابًا ينبني عليه المقصود.

وفيه دليلٌ على أن الله يقال فيه: شيء؛ ولكن ليس كمثله شيء.

﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿شَهِيدٌ﴾ خبره.

والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ بمعنى: أن الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ؛ على تقدير: هو شهيدٌ بيني وبينكم.

والأول أرجح؛ لعدم الإضمار.

والثاني أرجح؛ لمطابقته للسؤال؛ لأن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال في الجواب: فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس.

والمقصود بالكلام: الاستشهاد بالله -الذي هو أكبر شهادة- على صدق رسوله ﷺ.

وشهادة الله بهذا:

هي عِلْمه بصحة نبوة محمد ﷺ.

أو إظهاره لمعجزاته الدَّالَّة على نبوته.

﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ عطفٌ على ضمير المفعول في ﴿لِأُنذِرَكُم﴾، والفاعل بـ﴿بَلَغَ﴾: ضميرُ ﴿الْقُرْءَانُ﴾، والمفعول: محذوف يعود على «مَن»؛ تقديره: ومَن بلغه.

والمعنى: أُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذر به المخاطَبين - وهم أهل مكة -، وأنذر كلَّ مَن بلغه القرآنُ من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدًا ﷺ[1].

وقيل: المعنى: ومَن بلَغ الحُلُمَ. وهو بعيد.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ الآيةَ؛ تقريرٌ للمشركين على شِرْكهم، ثم تبرَّأ من ذلك بقوله: ﴿لَّآ أَشْهَدُ﴾، ثم شهد لله بالوحدانية.

---

(١) لم أقف عليه من قول سعيد بن جبير، ووقفتُ عليه من قول محمد بن كعب القُرَظي، أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٨٢).

وروي أنها نزلت بسبب قوم من الكفار؛ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد!، أما تعلم مع الله إلهًا آخر؟.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ﴾ تقدَّم في «البقرة»[1].

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وهو فاسدٌ؛ لأن الذين أوتوا الكتاب استَشهَد بهم هنا ليُقيم الحجةَ على الكفار.

* * *

(١) انظر ١/ ٣٧١.

[﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم ممن افترى على الله، وذلك تنصُّلٌ مِن الكذب على الله، وإظهارٌ لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب.

ويَحتمل أن يريد بالافتراء على الله: ما نَسَب إليه الكفارُ مِن الشُّركاء والأولاد.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: علاماته، وبراهين دينه.

﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ يقال لهم ذلك على وجه التَّوبيخ.

﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعمون أنهم آلهةٌ؛ فحَذفه لدلالة المعنى عليه.

والعامل في ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ محذوفٌ(١).

---

(١) في هامش أ هنا زيادة: «تقديره: ويوم نحشرهم كان كَيْتَ وكيت، فتُرِكَ ليبقى على =

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ الفتنة هنا يَحتمل أن تكون:

بمعنى الكفر؛ أي: لم تكن عاقبة كفرهم إلَّا جحودَه والتبرِّيَ منه.

وقيل: ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: معذرتهم.

وقيل: كلامهم.

وقرئ ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾:

بالنصب؛ على خبر «كان»، واسمُها: ﴿أَن قَالُوا﴾.

وقرئ بالرفع؛ على اسم «كان»، وخبرُها: ﴿أَن قَالُوا﴾.

﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحودٌ لشركهم.

فإن قيل: كيف يجحدونه وقد قال الله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]؟

فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن، فيَكتُم قومٌ ويُقِرُّ آخرون، ويكتمون في موطن ويُقِرُّون في موطنٍ آخَرَ؛ لأن يوم القيامة طويل.

وقد قال ابن عباس - لما سئل عن هذا السؤال -: إنهم جحدوا طمَعًا في النجاة، فختم الله على أفواههم، وتكلَّمت جوارحهم؛ فلا يكتمون الله حديثًا[١].

= الإبهام الذي هو أدْخلُ في التَّخويف»، وكتب بعدها: «صح منه»، وهذه عبارة الزمخشري في الكشاف (٦/ ٥٠)، وليست موجودة في بقية النسخ، فيظهر أنها حاشية، وليست من عبارة التسهيل.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٩٤).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائدٌ على الكفار، وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وهو فعلُ[١] جماعةٍ؛ حَمْلًا على لفظ «مَن».

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كِنَان؛ وهو الغِطاء، و﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله؛ تقديره: كراهةَ أن يفقهوه.

ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فَهْم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكنَّة والوَقر؛ مبالغةً، وهي استعارة.

﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: قَصَصُهم وأخبارُهم، وهو جمع أَسْطَار وأُسطورة.

قال السُّهيلي: حيثما ورد[٢] في القرآن ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ فإن قائلها هو النَّضْر بن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس، وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد[٣].

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ ﴿هُمْ﴾ عائدٌ على الكفار، والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على القرآن، والمعنى: وهم ينهون الناس عن الإيمان به، ويَنأون هم عنه - أي يَبعُدون -، والنَّأْيُ: هو البُعْدُ[٤].

وقيل: الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على النبي ﷺ، ومعنى ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: ينهون الناس عن إذَايته، وهم مع ذلك يَبعُدون عنه، والمراد بالآية - على هذا -: أبو طالب ومن كان معه يحمي النبيَّ ﷺ ولا يُسلِمُ.

---

(١) في ب: «لفظ».

(٢) في د: «وقع».

(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠١).

(٤) في د، هـ: «والنائي هو البعيد» وكذا في هامش أ، ورمز له بـ«خ».

وفي قوله: ﴿يَنْهَوْنَ﴾ و﴿يَنْئَوْنَ﴾ ضربٌ من ضروب التَّجنيس.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: جواب «لو» محذوفٌ هنا وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، وإنما حُذِف ليكون أبلغَ ما يُقدِّره السَّامع؛ أي: لو ترى لرأيت أمرًا شنيعًا هائلًا.

ومعنى ﴿وُقِفُواْ﴾: حُبِسوا. قاله ابن عطية(١).

ويَحتمل أن يريد بذلك:

إذا دخلوا النار.

أو إذا عاينوها وأشرفوا عليها.

ووضع «إذ» موضع «إذا»؛ لتحقيق وقوع الفعل حتى كأنه ماضٍ.

﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ﴾ قرئ برفع ﴿نُكَذِّبُ﴾ و﴿نكونُ﴾؛ على الاستئنافِ والقطعِ عن التمني، ومثَّله سيبويه بقولك: دعني ولا أعودُ؛ أي: وأنا لا أعود.

ويَحتمل أن يكون:

حالًا؛ تقديره: نُرَدُّ غيرَ مكذِّبين.

أو عطفًا على ﴿نُرَدُّ﴾.

وقرئ بالنصب؛ بإضمار «أنْ» بعد الواو في جواب التمني.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ المعنى: ظهر لهم يوم القيامة في

---

(١) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٣٤١).

صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم.

وقيل: هي في أهل الكتاب؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ.

وقيل: هي في المنافقين؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر.

وهذان القولان بعيدان؛ فإن الكلام من أوَّله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب.

وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف؛ لئلا يشعر به[1] أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة.

﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ إخبارٌ بأمر لا يكون، لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ يعني في قولهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ونكُونُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولا يصحُّ أن يرجع إلى قولهم: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾؛ لأن التمنيَ لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ حكايةٌ عن[2] قولهم في إنكار البعث الأخراوي.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ تقريرٌ لهم وتوبيخٌ.

---

(١) في ب: «بهم».

(٢) سقط الحرف من ب، ج، هـ.

[﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا
فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى
يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ
مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ
مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى
ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ
﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا
فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى
ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ
إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ
تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾].

﴿قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضمير في ﴿فِيهَآ﴾ للحياة الدنيا؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يَجْرِ لها ذكرٌ.

وقيل: للساعة؛ أي: فرَّطنا في شأنها، والاستعدادِ لها.

والأول أظهر.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ كنايةٌ[1] عن تحمُّلِ الذنوب، وقال:

(١) في د: «عبارة».

﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾؛ لأن العادة حَمل الأثقال على الظهور.

وقيل: إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقةً، ورُوي في ذلك أن الكافر يَركبُه عملُه بعد أن يتمثَّل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يَركبُ عملَه بعد أن يتصوَّر له في أحسن صورة.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إخبارٌ عن سوء ما يفعلون من الأوزار.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيُحْزِنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ﴾ قرأ نافع «يحزن» حيث وقع بضم الياء؛ من «أحزن»، إلَّا قولَه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقرأ الباقون بفتح الياء؛ من «حزَن» الثلاثي، وهو أشهر في اللغة.

و﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ﴾: قولهم: إنه ساحرٌ، شاعرٌ، كاهنٌ.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ من قرأ بالتَّشديد فالمعنى: لا يكذِّبونك معتقدين لكَذِبك، وإنما هم يجحدون الحقَّ مع علمهم به.

ومن قرأه بالتخفيف:

فقيل: معناه: لا يجدونك كاذبًا؛ يقال: أكْذبْتُ فلانًا؛ إذا وجدتَه كاذبًا، كما يقال: أحْمدتُه: إذا وجدتَه محمودًا.

وقيل: هو بمعنى التَّشديد؛ يقال: كذَّب فلان فلانًا وأكْذَبه بمعنًى واحدٍ، وهو الأظهر؛ لقوله بعد هذا: ﴿يَجْحَدُونَ﴾، ويؤيِّد هذا: ما روي أنها نزلت في أبي جهل؛ فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نكذِّبك ولكن نكذِّب ما جئتَ به، وأنه قال للأخنس بن شَرِيقٍ: والله إن محمدًا لصادق، ولكني أحسده على الشَّرف.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: ولكنهم، ووَضع الظاهر موضعَ المضمر؛ للدَّلالة على أنهم ظَلموا في جحودهم.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ، وحضٌّ له على الصَّبر، ووعدٌ له بالنصر.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لمواعيده لرسله؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٢]، وفي هذا تقويةٌ للوعد.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: مِن أخبارهم، ويعني بذلك: صبْرَهم ثم نصْرَهم، وهذا أيضًا تقويةٌ للوعد والحضِّ على الصبر.

وفاعل ﴿جَآءَكَ﴾ محذوفٌ؛ تقديره: نبأٌ أو جَلاءٌ[١].

وقيل: هو المجرور.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآيةَ؛ مقصودها: حمل النبي ﷺ على الصبرِ، والتسليمِ لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم، فقيل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء لتأتيهم[٢] بآية يؤمنوا بسببها فافعلْ، وأنت لا تَقدِرُ على ذلك، فاستسلم لأمر[٣] الله.

---

(١) في هامش ب: «خ: بيان»، وفي د: «خبرٌ».
(٢) في د: «فتأتيهم».
(٣) في ب، هـ: «بأمر».

والنَّفَق في الأرض معناه: مَنْفذٌ تَنفُذ فيه إلى ما تحت الأرض.

وحُذِف جواب «إن»؛ لفهم المعنى.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ حجةٌ لأهل السنة على القدرية.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: من الذين يجهلون أن الله لو شاءَ لجمعهم على الهدى.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيَفهمون ويَعقِلون.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن الموتى: عبارةٌ عن الكفار؛ (لموت قلوبهم، والبعث يراد به: الحشر يوم القيامة، فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم)[1] فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون.

والآخر: أن الموتى: عبارةٌ عن الكفار، والبعث: عبارةٌ عن هدايتهم للفَهْم والسَّماع.

والثالث: أن الموتى على حقيقته، والبعث على حقيقته؛ فهو إخبارٌ عن بعث الموتى يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ للكفار، و﴿لَوْلَا﴾ عَرْضٌ، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتيَ النبيُّ ﷺ بآية على نبوَّته.

---

(١) سقط من ب.

فإن قيل: فقد أتى بآياتٍ ومعجزات كثيرة فلِمَ طلبوا آيةً؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم لم يعتدُّوا بما أتى به؛ فكأنه لم يأت بشيءٍ عندَهم؛ لعنادهم وجحدهم.

والآخر: أنهم إنما طلبوا آيةً تضطَرُّ إلى الإيمان مِن غير نظر ولا تفكُّر[1].

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ جوابٌ على قولهم، وقد حُكي هذا القول عنهم في مواضع من القرآن، وجُووِبوا عليه بأجوبة مختلفة:

منها: ما يقتضي الردَّ عليهم في طلبهم للآيات؛ فإنهم[2] قد أتاهم بآيات، وتحصيل الحاصل لا يُبتغى؛ كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ [البقرة: ١١٨]، وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ومنها: ما يقتضي الإعراضَ عنهم؛ لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويَحتمل أن يكون من هذا قولُه: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾.

ويَحتمل أيضًا أن يكون معناه: قادرٌ على أن ينزل آية تضطرُّهم إلى الإيمان.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حُذِف مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وهو يَحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون أن الله قادر.

والآخر: لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطرُّ إلى الإيمان

---

(١) في د: «فكرٍ».

(٢) في ب، هـ «بأنهم».

لمصالح العباد؛ فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعُوجِلوا بالعذاب.

﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيدٌ، وبيانٌ، وإزالةٌ للاستعارة المتعاهَدة في هذه اللفظة؛ فقد يقال: طائرٌ للسَّعْد والنَّحْس.

﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي: في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك.

ومناسبةُ ذِكْر هذا لما قبله من وجهين:

أحدهما: أنه تنبيهٌ على مخلوقات الله تعالى؛ فكأنه يقول: تفكَّروا في آياته في مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات.

والآخر: أنه تنبيهٌ على البعث؛ كأنه يقول: جميع الدوابِّ والطَّير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر؛ لقوله بعده: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: ما أغفلنا، والكتاب هنا: اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عام.

وقيل: هو القرآن، والكلام على هذا خاص؛ أي: ما فرَّطنا فيه من شيءٍ فيه هدايتُكم والبيانُ لكم.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: تُبعَثُ الدوابُّ والطُّيور[1] يوم القيامة للجزاء والفصل بينها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ الآيةَ؛ لما ذكَر قدرته على بعث الخلق كلِّهم أتْبعه بأن

---

(١) في د: «والطير».

وصف من كذَّب بذلك بالصَّمَم والبَكَم.

وقوله: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ يقوم مقام الوصف بالعمى.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ معناه: أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محلَّ له من الإعراب.

وجواب الشرط محذوف؛ تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة مَن تَدْعون؟، ثم وقَّفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلَّا اللهَ، ولا يدعون آلهتَهم.

والآيةُ احتجاجٌ عليهم، وإثباتٌ للتوحيد، وإبطالٌ للشرك.

﴿إِن شَآءَ﴾ استثناءٌ؛ أي: يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد.

﴿وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ يَحتمل أن يكون من: النسيان، أو الترك.

* * *

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾
فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا
فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ
غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ
أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى
خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ
يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ كان ذلك على وجه التَّخويف والتَّأديب.

﴿فَلَوْلَآ﴾ هنا: عَرْضٌ وتَحضيضٌ.

وفيه دليل على نفع التضرُّع حين الشدائد.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ الآيةَ؛ أي: لما تركوا الاتِّعاظ بما ذُكِّروا به من الشدائد فَتح عليهم أبوابَ الرزق والنِّعَم ليَشكروا عليها، فلم يشكروا، فأخذهم الله.

﴿مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من الخير.

﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: آخِرُهم، وذلك عبارةٌ عن استئصالهم بالكلية.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرٌ على إهلاك الكفار؛ فإنه[1] نعمة على المؤمنين.

---

(١) في د: «لأنه».

وقيل: إنه[١] على ما تقدَّم من ملاطفته في أخذه لهم بالشرِّ ليزدجروا، أو[٢] بالخير ليشكروا، حتى وجب عليهم العذاب[٣] بعد الإنذار والإعذار.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على الكفار أيضًا.

﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ الضمير عائدٌ على المأخوذ.

﴿يَصْدِفُونَ﴾ أي: يُعرِضون.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الآيةَ؛ وعيدٌ وتهديد، والبغتَةُ: ما لم يتقدَّمْ لهم شعورٌ به، والجَهْرةُ: ما بدتْ لهم مَخايِلُه.

وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾ بالليل، و﴿جَهْرَةً﴾ بالنهار.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ أي: لا أدَّعي شيئًا ينكر ولا يُستبعَد، إنما أنا نبيٌّ رسول كما كان غيري من الرسل.

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثالٌ للضال والمهتدي.

* * *

(١) أي: الحمد. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٦٣).
(٢) في د، هـ «و».
(٣) في ب، د، هـ: «العقاب».

[﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ
مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ
وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾].

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾.

والإنذار عامٌّ لجميع الناس، وإنما خُصِّص هنا بالذين يخافون؛ لأنه قد تقدَّم في الكلام ما يقتضي اليأسَ(١) من إيمان غيرهم، فكأنه يقول: أنذِر الخائفين؛ لأنهم ينفعهم الإنذار(٢)، وأعرِض عمن تقدَّم ذكْره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون.

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾.

أو استئنافُ إخبارٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿أَنذِرْ﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآيةَ؛ نزلت في ضعفاء المؤمنين، كبلال، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخبَّاب، وصُهَيب، وأمثالهم، وكان

---

(١) في أ: «الإياس» وفي الهامش: «خ: اليأس».
(٢) في أ: «فكأنه أنذرَ الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار».

بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي ﷺ: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء؛ لشَرَفِنا فلو طردتَّهم لاتَّبعناك، فنزلت الآية.

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخَمس، وكانت غُدْوةً وعشيةً.

وقيل: هي عبارةٌ عن دوام الفعل.

و﴿يَدْعُونَ﴾ هنا:

مِن الدعاء وذِكْر الله.

أو بمعنى العبادة.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إخبارٌ عن إخلاصهم لله، وفيه تزكيةٌ لهم.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ الآيةَ؛ قيل: الضمير في ﴿حِسَابِهِم﴾ لـ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾.

وقيل: للمشركين؛ والمعنى على هذا: لا تُحاسَبُ عنهم، ولا يُحاسَبون عنك، فلا تهتَمَّ بأمرهم حتى تطردَ هؤلاء من أجلهم.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [هود: ٢٩]، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾ [الشعراء: ١١٣]، والمعنى على هذا: أنَّ الله هو الذي يحاسبُهم فلأي شيء تطردُهم!.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾.

﴿فَتَكُونَ﴾ هذا جواب النهي في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾.

أو عطف على ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتَلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: هؤلاء العبيد والفقراء منَّ الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشرافٌ أغنياءُ!، وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ردٌّ على الكفار في قولهم المتقدِّم.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نُهيَ النبي ﷺ عن طردهم، أُمِر بأن يُسلِّم عليهم؛ إكرامًا لهم، وأن يُؤَنِّسهم بما بعد هذا.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: حتَمها، وفي الصحيح: «إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»[1].

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ الآيةَ؛ وعدٌ بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح، وهو خطاب للقوم المذكورِين قبلُ، وحكمُه عامٌّ فيهم وفي غيرهم.

والجهالة قد ذكرت في «النساء»[2].

وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يُسلِم الكفار، فلما نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ ندم عمر على قوله، وتاب منه؛ فنزلت الآية.

وقرئ ﴿أَنَّهُۥ﴾:

بالفتح؛ على البدل من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾.

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٢٤٧.

(٢) انظر صفحة ٢٨.

وبالكسر؛ على الاستئناف.

وكذلك ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالكسر: على الاستئناف.

وبالفتح:

خبرُ ابتداءٍ مضمر؛ تقديره: فأمره أنه غفور.

وقيل: تَكرارٌ للأولى؛ لطول الكلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ الإشارة إلى ما تقدَّم من النهي عن الطَّرد وغير ذلك.

وتفصيلُ الآيات: شَرْحُها وبيانُها.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بتاء الخطاب ونصب السبيل: على أنه مفعول به.

وقرئ بتاء التأنيث ورفع السبيل: على أنه فاعلٌ مؤنَّث.

وبالياء والرفع: على تذكير السبيل؛ لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث.

[﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ
إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُ
مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي
يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾].

﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي: إن اتَّبعت أهواءكم ضللتُ.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي: على أمرٍ بيِّنٍ من معرفة ربي.

والهاء في ﴿بَيِّنَةٍ﴾: للمبالغة، أو للتأنيث.

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ الضمير عائد على: الربِّ، أو على البينة.

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: العذابُ الذي طلبوه في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقيل: الآياتُ التي اقترحوها.

والأول أظهر.

﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ مِن القَصص.

وقرئ ﴿ يَقْضِ ﴾ بالضاد المعجمة؛ من القضاء، وهو أرجح؛ لقوله: ﴿خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي: الحاكمين.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: لو كان عندي العذابُ - على التأويل الأوَّل -، أو الآياتُ المقترحة - على التأويل الآخر -؛ لوقع الانفصال وزال النِّزاع؛ لنزول العذاب، أو لظهور الآيات.

﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ استعارةٌ وعبارةٌ عن التوصُّل إلى الغيوب كما يُتَوصَّل بالمفاتح إلى ما في الخزائن.

وهو جمع مِفتَح -بكسر الميم-؛ بمعنى: مفتاح.

ويَحتمل أن يكون جمع مَفتَح -بالفتح-؛ وهو المخزون.

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ تنبيهٌ بها على غيرها؛ لأنها أشدُّ تغيُّبًا من كل شيء.

﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ اللوح المحفوظ، وقيل: علم الله.

﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي: إذا نمتم، وفي ذلك اعتبارٌ واستدلال على البعث الأخراوي.

﴿مَا جَرَحْتُم﴾ أي: ما كسبتم من الأعمال.

﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يوقظكم من النَّوم، والضمير عائدٌ على النهار؛ لأن غالبَ اليقظة فيه، وغالب النوم بالليل.

﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجلُ الموت.

[﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ
ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ
هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ
بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ
ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ
يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ
بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ
وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا
كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾].

﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ؛ وهم الملائكة الكاتبون.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الذين مع ملَك الموت.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟﴾ خروجٌ من الخطاب إلى الغَيْبة، والضمير لجميع الخلق.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ الآيةَ؛ إقامةُ حجةٍ.

و﴿ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: عبارةٌ عن شدائدهما وأهوالهما؛ كما يقال لليوم الشديد: مُظْلمٌ.

﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قيل: الذي من فوق: إمطار الحجارة ومن تحت: الخسف.

وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: تسليطُ أكابركم، و﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: تسليط سَفِلَتِكم، وهذا بعيد.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي: يَخلِطكم فِرَقاً مختلفين.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال.

واختُلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو للمؤمنين؟.

وروي أنه لما نزلت ﴿أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، قال النبي ﷺ: «هذه أهون»(١)، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائدٌ:

على القرآن.

أو على الوعيد المتقدِّم.

و﴿قَوْمُكَ﴾ هم قريش.

﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: بحفيظٍ ومتسلِّطٍ، وفي ذلك متارَكةٌ نسَخها القتال.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: غايةٌ يُعرَفُ عندها صِدْقُه مِن كَذِبه.

﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في الاستهزاء بها، والطَّعن فيها.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: قمْ ولا تجالسْهم.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ «إمَّا» مركَّبة مِن «إنْ» الشرطية و«ما» الزائدة، والمعنى: إن أنساك الشيطان النهيَ عن مجالستهم فلا تَقعدْ بعد أن تذكُر النهيَ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: هم المؤمنون، والضمير في ﴿حِسَابِهِم﴾ للكفار المستهزئين، والمعنى: ليس على المؤمنين شيءٌ من حساب الكفار على استهزائهم وضَلالهم[1].

وقيل: إن ذلك يقتضي إباحةَ جلوس المؤمنين مع الكافرين؛ لأنهم شقَّ عليهم النهيُ عن ذلك؛ إذ كانوا لا بدَّ لهم من مخالطتهم في طلب المعاش، وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نُسِخت بآية «النساء»؛ وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] الآية.

وقيل: إنها لا تقتضي إباحةَ القعود.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المعنى: ليس على المؤمنين حسابُ الكفار، ولكن عليهم تذكيرٌ لهم، ووعظ[2].

---

(١) في أ: «وإضلالهم».

(٢) في د: «تذكيرهم ووعظهم».

وإعراب ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ على هذا:

نَصْبٌ على المصدر؛ وتقديره: يذكِّرونهم ذكرى.

أو رَفْعٌ على المبتدأ؛ تقديره: عليهم ذكرى.

والضمير في ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ عائدٌ:

على الكفار؛ أي: يذكِّرونهم رجاءَ أن يتقوا.

أو عائدٌ على المؤمنين؛ أي: يذكِّرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى لله.

والوجه الثاني: أن المعنى: ليس نهيُ المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أنَّ عليهم من حسابهم شيء، وإنما هو ذكرى للمؤمنين.

وإعراب ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ على هذا:

خبرُ ابتداءٍ مضمر؛ تقديره: ولكن نَهْيهم ذكرى.

أو مفعولٌ من أجله؛ تقديره: إنما نهوا ذكرى.

والضمير في ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ على هذا: للمؤمنين لا غيرُ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ﴾ قيل: إنها متارَكةٌ منسوخة بالسيف.

وقيل: بل هي تهديدٌ فلا[1] متاركةَ؛ فلا نسخ فيها.

﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾ أي: اتَّخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبًا ولهوًا؛ لأنهم سخروا منه.

---

(١) في د: «بلا».

أو اتَّخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبًا ولهوًا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويَلهُون.

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦ﴾ الضمير عائد: على الدين، أو على القرآن.

﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قيل: معناه: تُحْبَس، وقيل: تُفضَح، وقيل: تَهْلِك.

وهو في موضع مفعولٍ من أجله؛ أي: ذكِّرْ به؛ كراهةَ أن تبسل نفسٌ.

﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي: وإن تُعْطِ كلَّ فدية لا يؤخذْ منها.

[﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا
ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ
قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ
أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ
فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن
لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى
ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ
عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم
بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾].

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾ الآيةَ؛ إقامةُ حجة، وتوبيخٌ للكفار.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع من الهدى إلى الضَّلال، وأصل الرجوع على العَقِب: في المشي، ثم استُعِير في المعاني.

وهذه الجملةُ معطوفةٌ على ﴿أَنَدْعُواْ﴾، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ.

﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ الكاف:

في موضع نصب على الحال من الضمير في ﴿نُرَدُّ﴾؛ أي: كيف نرجع مُشْبِهين مَن استهوته الشياطين.

أو نعتٌ لمصدر محذوف؛ تقديره: ردًّا كردِّ الذي.

ومعنى ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾: ذهبتْ به في مَهامِه الأرض، وأخرجته عن الطريق؛ فهو استفعال مِن هوَى في الأرض: إذا ذهبَ فيها.

وقال الفارسي: استهوى بمعنى: أهوى؛ مثل استزلَّ بمعنى أزلَّ.

و﴿حَيْرَانَ﴾ أي: ضال[1] عن الطريق، وهو نَصْبٌ على الحال من المفعول في ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾.

﴿لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ أي: لهذا المستهوِي أصحابٌ - وهم رُفْقةٌ - يدعونه إلى الهدى؛ أي: إلى أن يَهدوه الطريقَ، يقولون له: ائتنا، وهو قد تاهَ وبَعُدَ عنهم فلا يُجيبهم، وهذا كلُّه تمثيلٌ لمن ضلَّ في الدين عن الهدى، وهو يُدعَى إلى الإسلام فلا يجيب.

وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، ويُبطِل هذا قولُ عائشة: ما نزل في آل أبي بكر شيءٌ من القرآن إلَّا براءتي[2].

---

(١) في د: «أي: ضالًا».
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟﴾ عطفٌ :

على ﴿لِنُسْلِمَ﴾ .

أو على مفعول ﴿وَأُمِرْنَا﴾ .

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وخبرُه: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ ، وهو مقدَّمٌ عليه، والعامل فيه: معنى الاستقرار؛ كقولك: يومَ الجمعة القتالُ، واليومُ: بمعنى الحين، وفاعل ﴿يَكُونُ﴾ مضمر، وهو فاعل ﴿كُن﴾ ؛ أي: حين يقول لشيء كن: فيكون ذلك الشيء.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ ؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

وقيل في إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيفٌ أو تَخليطٌ.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ.

﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، فإعرابه: عطفُ بيان، أو بدلٌ، ومُنِع من الصَّرف للعُجْمة والعلَمية، لا للوزن؛ فإن وزنه: فاعَل؛ نحو: عابَر وشالَخ.

وقرئ بالرفع؛ على النداء.

وقيل: إنه اسم صنم؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارَح؛ فعلى هذا يَحتمل:

أن يكون لقِّب به؛ لملازمته له.

أو أريد: عابِد آزَرَ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد.

ولا يَبعُدُ أن يكون له اسمان.

﴿نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: إنه فَرَج له السموات والأرض حتى رأى ببصره المُلْك الأعلى والأسفل، وهذا يفتقرُ إلى صحة نقل.

وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه.

﴿وَلِيَكُونَ﴾ يتعلَّق بمحذوف؛ تقديره: وليكون من الموقنين فَعَلْنا به ذلك.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي: ستَره؛ يقال: جنَّ عليه الليل وأجنَّهُ.

﴿رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ يَحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس:

أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي أن أمَّه وَلَدته في غار؛ خوفًا من نمروذ؛ إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجِّمين أخبروه أن هلاكه على يد صبيٍّ.

ويَحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الردِّ عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.

ولا يُتَصوَّر أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار؛ لأن ذلك يقتضي محاجَّةً وردًّا على قومه.

وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبينَ لهم الخطأ في دينهم، وأن يرشدَهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدٌ منها إلهًا؛ لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبَّر طلوعَها وغروبها وأُفولها هو الإله الحق وحده، فقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ قول مَن يُنصِف خصمه مع علمه أنه مُبْطِلٌ؛ لأن ذلك أَدْعى إلى الحق وأقربَ إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليه الحجة بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾؛ أي: لا أحب عبادةَ المتغيِّرين؛ لأن التغيُّر دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفات الإله، ثم استمرَّ على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهانَ، وأقام عليهم الحجة، جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ثم أعلن بعبادتِه لله وتوحيدِه له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك.

فإن قيل: لم احتجَّ بالأُفول دون الطُّلوع، وكلاهما دليلٌ على الحدوث؛ لأنهما انتقالٌ من حال إلى حال؟

فالجواب: أنه أظهرُ في الدلالة؛ لأنه انتقالٌ مع اختفاءٍ[1] واحتجاب[2].

---

(١) في ب، ج، هـ: «خفاء».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «.. ثم أقام عليهِ الحجةَ بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ أي: لا أحب عبادةَ المتغيِّرين؛ لأن التغيُّرَ دليلٌ على الحدوثِ»، إلخ =

﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في الإيمان بالله وفي توحيده، والأصل: أتحاجونَني -بنونين-.

وقرئ:

بالتشديد؛ على إدغام إحداهما في الأخرى.

وبالتخفيف؛ على حذف إحداهما، واختُلف هل حذفت الأولى أو الثانية؟.

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ ﴿مَا﴾ هنا بمعنى: «الذي»، ويريد بها: الأصنام، وكانوا قد خوَّفوه أن تصيبه أصنامُهم بضُرٍّ، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يَقدِرون على شيء.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ استثناءٌ منقطع بمعنى: «لكن»؛ أي: إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئًا.

= أقول: عليه في هذا الكلام مأخذان:

أحدهما: تفسير الأفول بالتغيُّر، وهو من التَّفسيرِ باللازم؛ فإنَّ أفلَ في اللغة بمعنى غاب، والأُفولُ هو الغيابُ بعد الظهور، فعليه يكون ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: الغائبين بعد الظهور.

الثاني: جزمُه بأنَّ كلَّ متغيِّر محدَثٌ؛ فيقتضي ذلك نفيَ التغيُّرِ عن اللهِ، وابن جزي وأمثالُه يطلقون نفيَ التغيُّرِ عنِ الله بهذه الشُّبهة، والصواب أن التغير من الألفاظ المحدَثة المجملة التي لا تجوز إضافتُها إلى الله، لا نفيا ولا إثباتا، إلا بعد الاستفصال عن مراد المتكلم بها؛ فإن أراد حقًّا قبل، وإن أراد باطلا رُدَّ، وإن أرادهما مُيِّز الباطلُ من الحقّ، فعلى هذا؛ إنْ أُريد بالتغيُّر قيامُ الأفعالِ الاختياريةِ بهِ سبحانه، فالنفيُ باطلٌ، والإثباتُ حقٌّ، وإن أُريد بالتغيُّر النقصُ بعد الكمالِ في ذاتِه تعالى وصفاتِه، فالنفي حقٌّ، والإثباتُ باطلٌ، وابن جزي وأمثاله هم من نفاة الصفات الفعلية في الجملة.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف شركاءكم الذين لا يَقدِرون على شيء، وأنتم لا تخافون ما فيه كلُّ خوفٍ؛ وهو إشراككم بالله؟، فأنتم تنكرون عليَّ الأمنَ في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ يعني: فريقَ المؤمنين، وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيةَ.

وقيل: إن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيةَ استئنافٌ، وليس من كلام إبراهيم.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: وأينا لم يَظْلِمْ نفسَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤).

[﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من استدلاله واحتجاجه.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير: لنوح، أو إبراهيم ﷺ، والأول هو الصحيح؛ لذِكْر لوطٍ؛ وليس من ذرية إبراهيم.

﴿دَاوُۥدَ﴾ عطف على ﴿نُوحًا﴾؛ أي: وهدينا داود.

﴿وَعِيسَىٰ﴾ فيه دليلٌ على أن أولاد البنات يقال لهم: ذرية؛ لأن عيسى ليس له أبٌ؛ فهو ابن بنتِ نوح.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضع نصب؛ عطفًا على ﴿كُلًّا﴾؛ أي: وهدينا بعضَ آبائهم.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهلُ مكة.

﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم: الأنبياء المذكورون، وقيل: الصحابة، وقيل: كلُّ مؤمن.

والأول أرجح؛ لدلالة ما بعده على ذلك.

ومعنى توكيلهم بها: توفيقُهم للإيمان بها والقيامِ بحقوقها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ إشارةٌ إلى الأنبياء المذكورين.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ استدلَّ به من قال: إن شرع من قبلنا شرعٌ لنا.

فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فاتفقت فيه جميع الشرائع.

وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع، والخلاف: هل يقتدي النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا؟.

والهاء في ﴿ٱقْتَدِهْۗ﴾ للوقف؛ فينبغي أن تَسقُط في الوصل، ولكنَّ من أثبتها فيه راعى ثبوتها في خطِّ المصحف.

* * *

[﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾].

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حقَّ معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم؛ إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب.

والقائلون هم: اليهود؛ بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغةً في إنكار نبوة محمد ﷺ، وروي أن الذي قالها منهم مالك بن الصَّيف، فردَّ الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بدَّ لهم من الإقرار به؛ وهو إنزال التوراة على موسى.

وقيل: القائلون قريش، وأُلزِموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرِّين بالتوراة.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ الخطاب: لليهود، أو لقريش؛ على وجه إقامة الحجة والردِّ عليهم في قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ﴾.

فإن كان لليهود: فالذي عُلِّموه: التوراة.

وإن كان لقريش: فالذي عُلِّموه: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب: ﴿مَنْ أَنزَلَ﴾، واسم ﴿ٱللَّهُ﴾:

مرفوعٌ بفعل مضمر؛ تقديره: أنزله الله.

أو مرفوع بالابتداء.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطفٌ على صفة الكتاب.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة، وسميت أم القرى:

لأنها مكان أوَّلِ بيت وضع للناس.

ولأنه جاء أن الأرض دُحِيت منها.

ولأنها يَحُجُّ إليها أهلُ القرى من كل فجٍّ عميق.

﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ هو مُسيلِمة وغيره من الكذَّابين الذين ادَّعوا النبوَّة.

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو النَّضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن، واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف؛ تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا.

و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

مَن تقدَّم ذكره من اليهود والكذَّابين والمستهزئين؛ فتكون اللام للعهد.

أو أعمُّ من ذلك؛ فتكون للجنس.

﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: تبسط الملائكة أيديَهم إلى الكفار، يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾؛ وهذه عبارةٌ عن التَّعنيف في السِّياق، والشدَّة في قبض الأرواح.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يَحتمل أن يريد:

ذلك[١] الوقتَ بعينِه.

أو الوقت الممتدَّ من حينئذٍ إلى الأبد.

﴿ٱلْهُونِ﴾ الذِّلة.

﴿فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين:

عن أموالكم وأولادكم.

أو عن شركائكم.

والأول يترجَّح بقوله[٢]: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾؛ أي: ما أعطيناكم من الأموال والأولاد.

ويترجح الثاني بقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾.

﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تفرَّق شَملُكم.

ومن قرأه بالرفع:

أسند الفعل إلى الظَّرف واستعمله استعمال الأسماء.

أو يكون البَيْن بمعنى الفُرْقة، أو بمعنى الوَصْل.

ومن قرأه بالنصب: فالفاعل:

مصدرُ الفعل.

أو محذوفٌ؛ تقديره: تقطع الاتِّصال بينَكم.

---

(١) في ب، د، هـ: «بذلك».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «لقوله».

[﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ
وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ
إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾].

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾ أي: يَفلِق الحبَّ تحت الأرض؛ لخروج النبات منها، ويفلق النوى؛ لخروج الشجر منها.

وقيل: أراد الشِّقَّين اللذينِ في النواة والحِنطة.

والأول أرجح؛ لعمومه في أصناف الحبوب.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾ تقدَّم في «آل عمران»(١).

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ معطوفٌ على ﴿فَالِقُ﴾.

---

(١) انظر ١/ ٥٢٧.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: الصبح؛ فهو مصدر سُمِّي به الصبح، ومعنى فَلْقِه: إخراجه من الظلمة.

وقيل: إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالقُ ظلمةِ الإصباح.

﴿سَكَنًا﴾ أي: يُسكَنُ فيه عن الحركات ويُستَراحُ.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: يُعلَم بهما حساب الأزمان والليل والنهار.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ ما أحسنَ ذِكْرَ هذين الاسمين هنا!؛ لأن العزيز يغلِب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخَّرهما كيف شاء، والعليم لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة.

﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف الظلمات إليهما لملابستها[1] لهما.

أو شبَّه الطرق المشتبهة بالظلمات.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مَن كسَر القاف مِن ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾: فهو اسم فاعل، و﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مستقِرٌّ ومستودَع.

ومَن فتَحها: فهو اسم مكان أو مصدر، و﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مثله، والتقدير على هذا: لكم مستقَرٌّ ومستودَع.

والاستقرار: في الرَّحِم، والاستيداع: في الصُّلْب.

(١) في د: «لمناسبتها».

وقيل: الاستقرار: فوق الأرض، والاستيداع: تحتها.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ الضمير يعود على الماء.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائدٌ على النبات.

﴿خَضِرًا﴾ أي: أخضر غضًا، وهو يتولَّد من أصل النبات من الفِرَاخ.

﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الخضِر.

﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني: السُّنبلَ؛ لأن حبَّه بعضه على بعض، وكذلك الرُّمان وشبهها.

﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قِنْوٍ، وهو العنقود من التمر.

وهو مرفوع بالابتداء، وخبره ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾، و﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدل.

والطَّلع: أول ما يخرج من التمر في أكمامه.

﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبةٌ سهلة للتناول.

وقيل: قريب بعضها من بعض.

﴿وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب؛ عطفًا على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

وقرئ - في غير السبع - بالرفع؛ عطفًا على ﴿قِنْوَانٌ﴾.

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ﴾ نَصْبٌ على الحال:

مِن ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾.

أو من كلِّ ما تقدَّم من النبات.

والمشتبه والمتشابه بمعنًى واحدٍ؛ أي: مِن النبات ما يشبه بعضُه بعضًا

في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضًا، وفي ذلك دليلٌ قاطع على الصانع المختار القدير[١] العليم المُريد.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ أي: انظروا إلى ثمره أوَّلَ ما يخرج ضعيفًا لا منفعة فيه، ثم يُنقَل من حال إلى حال حتى يَيْنَعَ؛ أي: يَنضَجَ ويطيب.

﴿شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ نَصْبُ ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ على أنه:

مفعولٌ أول لـ ﴿جَعَلُواْ﴾، و﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولٌ ثانٍ، وقُدِّم لاستعظام الإشراك.

أو ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعول أول، و﴿لِلَّهِ﴾ في موضع المفعول الثاني، و﴿ٱلۡجِنَّ﴾ بدلٌ من ﴿شُرَكَآءَ﴾.

والمراد بهم هنا:

الملائكةُ؛ وذلك ردٌّ على من عبدهم.

وقيل: المراد الجن، والإشراك بهم: طاعتهم.

﴿وَخَلَقَهُمۡۖ﴾ الواو للحال، والمعنى: الردُّ عليهم؛ أي: جعلوا لله شركاء وهو خلقهم.

والضمير عائد: على الجنّ، أو على الجاعلين؛ والحجة قائمةٌ على الوجهين.

---

(١) في ب، ج، هـ: «العزيز».

﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾ أي: اختلقوا وزوَّروا، والبنين قول النصارى في المسيح، واليهود في عزير، والبنات قول العرب في الملائكة.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ أي: قالوا ذلك بغير دليل؛ بل مجرَّد افتراءٍ.

﴿بَدِيعُ﴾ ذُكِر معناه في «البقرة»[1]، ورفعه على أنه:

خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ.

أو مبتدأٌ وخبره: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾.

أو فاعلُ ﴿ تَعَـٰلَىٰ ﴾.

والقصد به الردُّ على مَن نَسب لله البنين والبنات؛ وذلك من وجهين:

أحدهما: أن الولد لا يكون إلَّا من جنس والده، والله تعالى متعالٍ عن الأجناس؛ لأنه مُبدِعُها، فلا يصحُّ أن يكون له ولد.

والآخر: أن الله خلق السموات والأرض، ومن كان هكذا فهو غنيٌّ عن الولد وعن كل شيء.

﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ مسبَّبٌ عن مضمون الجملة؛ أي: مَن كان هكذا فهو المستحِقُّ للعبادة وحده.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ يعني: في الدنيا، وأما في الآخرة؛ فالحقُّ أن المؤمنين يرون ربهم؛ بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، وقد جاءت في ذلك أحاديثُ صحيحةٌ صريحة المعنى، لا تحتمل التأويل.

---

(١) انظر ١/ ٣٥٣.

وقالت الأشعرية: إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزةٌ عقلًا؛ لأن موسى سألها من الله، ولا يسأل موسى ما هو محال.

وقد اختَلف الناس هل رأى رسول الله ﷺ ربَّه ليلةَ الإسراء أم لا؟.

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ قال بعضهم: الفرق بين الرؤية والإدراك: أن الإدراك يتضمَّن الإحاطةَ بالشيء والوصولَ إلى غايته؛ فلذلك نفَى أن تُدرِك أبصارُ الخلق ربَّهم، ولا يقتضي ذلك نفيَ الرؤية؛ وحَسُن على هذا قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾؛ لإحاطة علمه تعالى بالخفيَّات.

﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي: لَطُفَ عن أن تدركه الأبصار، وهو الخبير بكل شيء؛ فهو يدرك الأبصار.

* * *

[﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم
مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ
أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾
۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾].

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة؛ وهي نور القلب، والبصر نور العين.

وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

﴿وَلِيَقُولُوا﴾ متعلِّق بمحذوف؛ تقديره: ليقولوا؛ صرفنا الآيات.

﴿دَرَسْتَ﴾ -بإسكان السين وفتح التاء-؛ أي: درستَ العلم وقرأته.

و﴿دَارَسْتَ﴾ -بالألف-؛ أي: دارستَ العلماء وتعلَّمت منهم.

و﴿دَرَسَتْ﴾ -بفتح السين وإسكان التاء-؛ بمعنى: قدُمَتْ هذه الآيات ودَثَرَتْ.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ الضمير للآيات، وجاء مذكَّرًا؛ لأن المراد بها القرآن.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن كان معناه: أعرض عما يدعونك إليه، أو عن مجادلتهم فهو مُحْكَم.

وإن كان: عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ.

وكذلك: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ و﴿بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تسبُّوا آلهتهم فيكون ذلك سببًا لأن يسبوا الله.

واستدلَّ المالكية بهذا على سدِّ الذرائع.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هي بيد الله لا بيدي.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: ما يُدرِيكم؛ وهو من الشُّعور بالشيء.

و«ما»: نافيةٌ، أو استفهامية.

﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مَن قرأ بفتح ﴿أَنَّهَا﴾:

فهو معمولُ ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾؛ أي: ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها؟!، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه.

وقيل: ﴿لَا﴾ زائدة؛ والمعنى: ما يُشعِركم أنهم يؤمنون.

وقيل: «أنَّ» هنا بمعنى «لعلَّ».

ومَن قرأ بالكسر: فهي استئنافُ إخبارٍ، وتمَّ الكلام في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾؛ أي: ما يشعركم ما يكون منهم.

فعلى القراءة بالكسر: يوقف على ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾.

وأما على القراءة بالفتح:

فإن كانت «أنَّ» مصدرية لم يوقف عليه؛ لأنه عاملٌ فيها.

وإن كانت بمعنى «لعلَّ»: فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخُنا أبو جعفر بن الزبير؛ لما في «لعلَّ» من معنى التَّعليل.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ أي: نطبعُ عليها ونصدُّها عن الفهم فلا يفقهون.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ الكاف للتعليل؛ أي: نطبع على أفئدتهم وأبصارهم؛ عقوبةً لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرةٍ.

ويَحتمل أن تكون للتشبيه؛ أي: نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثلَ ما طَبعنا عليها أول مرة.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ عليهم في قسَمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها؛ أي: لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكلَّ آية لم يؤمنوا إلَّا أن يشاء الله.

﴿قِبَلًا﴾ - بكسر القاف وفتح الباء -؛ أي: معاينةً، فنَصْبُه على الحال.

وقرئ بضمتين؛ ومعناه: مواجهةً؛ كقوله: ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦].

وقيل: هو جمع قَبِيلٍ بمعنى كفيل؛ أي: كُفَلاءَ بتصديق رسول الله ﷺ.



[﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ
أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ
يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن
كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم
مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ
بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ
لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ بالتأسّي بغيره.

﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ أي: المتمرِّدين من الصنفَين، ونَصْبُ ﴿شَيَٰطِينَ﴾:

على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾؛ إذ هو بمعنى الجمع.

أو مفعول أول، و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثان.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يوسوس ويُلقِي الشرَّ.

﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ ما يزيِّنه من القول.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير عائدٌ:

على وحيهم.

أو على عداوة الكفار.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيدٌ.

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ «ما» في موضع نصب؛ على أنها:

مفعولٌ معه.

أو عطفٌ على الضمير.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ أي: تميلَ، وهو متعلّق بمحذوف، واللام لام الصيرورة.

﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوحيهم.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ يكتسبوا.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ معمولٌ لقول محذوف؛ أي: قل لهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: صحَّتْ، والكلمات: ما نزَّل على عباده من كتبه.

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي: صدقًا فيما أخبر، وعدلًا فيما حكَم.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر: إباحةُ ما ذُكِر اسم الله عليه، والنهيُ عما ذبح للنُّصُب وغيرها، وعن الميتة، وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر، ثم صرَّح به في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

وقد استدلَّ بذلك مَن أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليلٌ على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك.

وقال عطاء: هذه الآية أمرٌ بذكر الله على الذبح والأكل والشرب[1].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ المعنى: أيُّ غرَضٍ لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه وقد بيَّن لكم الحلال من الحرام؟.

﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناءٌ مما حرَّم.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظٌ يعمُّ أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر.

وقيل: الظاهر: الأعمال، والباطن: الاعتقاد.

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لمصدر ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ سببها: أن قومًا من الكفار قالوا: إنَّا نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله -يعنون الميتة-!.

* * *

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٥١١-٥١٢).

[﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي
الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ
شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ
اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ
رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾].

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الموت هنا: عبارةٌ عن الكفر، والإحياء: عبارة عن الإيمان، والنور: نور الإيمان، والظلمات: الكفر؛ فهي استعاراتٌ.

وفي قوله: ﴿مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ مطابقةٌ؛ وهي من أدوات البيان.

ونزلت الآية في عمار بن ياسر، وقيل: في عمر بن الخطاب.

والذي في الظلمات: أبو جهل.

ولفظها أعمُّ من ذلك.

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ مثَل هنا: بمعنى صفة، وقيل: هو زائدٌ؛ والمعنى: كمن هو.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ﴾ أي: كما جعلنا في مكة أكابرَها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذَكَر الأكابرَ؛ لأن غيرهم تبَعٌ لهم، والمقصود: تسلية النبي ﷺ.

﴿مُجْرِمِيهَا﴾ إعرابُه:

مضافٌ إليه عند الفارسي وغيره.

وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعولٌ أول لـ ﴿جَعَلْنَا﴾، و﴿أَكَـٰبِرَ﴾ مفعولٌ ثانٍ مقدَّم[1]، وهذا جيدٌ في المعنى ضعيفٌ في العربية؛ لأن ﴿أَكَـٰبِرَ﴾ جمع أكبر وهو مِن أفعل؛ فلا يستعمل إلَّا بـ «مِن» أو بالإضافة.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ﴾ الآيةَ؛ قال[2] هذه المقالة أبو جهل.

وقيل: الوليد بن المغيرة؛ لأنه قال: أنا أولى بالنبوة من محمد.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ ردٌّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى: أن الله عَلِم أن محمدًا ﷺ أهلٌ للرسالة، فخصَّه بها، وعَلِم أنهم ليسوا بأهلٍ لها فحرَمهم إيَّاها.

وفي الآية من أدوات البيان: الترديد؛ لكونه ختم كلامهم باسم الله، ثم ردَّه في أول كلامه.

﴿صَغَارٌ﴾ أي: ذِلَّةٌ.

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٣).

(٢) في د: «قائل».

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ شَرْحُ الصدرِ، وضِيقُه، وحَرَجُه: ألفاظٌ مستعارة.

ومن قرأ ﴿حَرَجًا﴾ -بفتح الراء-: فهو مصدر وُصِفَ به.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: كأنما يحاول الصعود في السماء، وذلك غير ممكن؛ فكذلك يصعب عليه الإيمان.

وأصل ﴿يَصَّعَّدُ﴾ المشدد: يتصعَّد، وقرئ بالتخفيف.

﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الجنة، والسَّلام هنا يَحتمل أن يكون:

اسمَ الله، فأضافها إليه؛ لأنها مُلْكُه وخَلْقه.

أو بمعنى السلامة.

أو التحية.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوفٌ؛ تقديره: اذكر.

أو تقديره: قلنا، ويكون -على هذا- عاملًا في ﴿يَوْمَ﴾ وفي ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾.

﴿ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي: أضْللتم منهم كثيرًا، وجعلتموهم أتباعَكم؛ كما تقول: استكثر الأمير من الجيش.

﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتاعُ الجنِّ بالإنس: طاعتهم لهم، واستمتاع الإنس بالجن: كقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فإن الرجل كان إذا نزل واديًا قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي -يعني: كبيرَ الجن-.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾ هو الموت، وقيل: الحشر.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾؛ ف «ما» بمعنى «مَن»؛ لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: مَن آمن منهم.

وقيل: الاستثناء من مدَّة الخلود، وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار.

وقيل: الاستثناء من النار، وهو دخولهم الزَّمهريرَ.

وقيل: ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه.

﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ أي: نجعل بعضهم وليًّا لبعض.

وقيل: نُتبعُ بعضَهم بعضًا في دخولهم النارَ.

وقيل: نسلِّطُ بعضَهم على بعض.

[﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾].

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ﴾ تقرير للجن والإنس؛ فقيل: إن الجن بُعِث فيهم رسلٌ منهم؛ لظاهر الآية.

وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة؛ وإنما قال: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾؛ لأنه جمَع الثقلين في الخطاب.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ لما تقدَّم هناك.

فإن قيل: لم كرَّر شهادتهم على أنفسهم؟

فالجواب: أن قولهم: ﴿شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ قولٌ قالوه هم، وقوله: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ذمٌّ لهم، وتقبيحٌ لحالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمر؛ تقديره: الأمر ذلك.

أو مفعولٌ بفعل مضمر؛ تقديره: فعلنا ذلك.

والإشارةُ إلى بعث الرسل.

﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ تعليلٌ لبعث الرسل.

وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدلٌ من ﴿ذَٰلِكَ﴾.

﴿بِظُلْمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الله لم يكن ليُهلِكَ القرى دون بعث رسل إليهم، فيكون إهلاكهم ظلمًا؛ إذ لم يُنذِرْهم، فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

والآخر: أن الله لا يهلك القرى بظلم إذا ظلموا دون أن يُنذرَهم؛ ففاعل الظلم -على هذا-: أهلُ القرى، وغفلتهم: عدم إنذارهم.

حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري(١)، والوجه الأول صحيحٌ(٢) على مذهب المعتزلة، ولا يصحُّ على مذهب أهل السنة؛ لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظالمًا عندهم(٣).

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦٣)، والكشاف (٦/ ٢٥٠).

(٢) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ولا يصح على مذهب أهل السنة»، يريد الأشاعرة، فمن مذهبهم أنَّ كلَّ ممكنٍ جائزٌ على الرب فعله؛ فعندهم يجوز أن يعذب أولياءه، وأن ينعِّم أعداءه، فعليه: يجوز أن يعذب من شاء بغير ذنب، أو يعذبه بذنب غيره، ومنشأ هذا المذهب هو أن مردَّ أفعال الله تعالى وشرعِه محضُ المشيئة، فلا حكمة ولا غاية في مفعولاته ومأموراته، والظلم عندهم هو المستحيل لذاته، كالجمع بين النقيضين، قال ابن القيم:

والظلمُ عندهمُ المحالُ لذاته ... أنَّى ينزهُ عنه ذو السلطانِ =

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: منازلُ في الجزاء على أعمالهم؛ من الثواب والعقاب.

﴿مِّن ذُرِّيَّةِ﴾ أي: مِن ذرية أهلِ سفينة نوح، أو مَن كان قبلهم إلى آدم.

﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد، والمكانة: التمكُّن.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ.

﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ يَحتمل أن تكون «مَن»:

موصولةً في موضع نصْبٍ على المفعولية.

أو استفهاميةً في موضع رَفْعٍ بالابتداء.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: الآخرة، أو الدنيا، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٣].

= وأما الظلم عند أهل السنة والجماعة، فهو أن يعذب أحدا بغير ذنب، أو يعذبه بذنب غيره، وقد حرَّم الله تعالى ذلك على نفسه، قال في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا»، وقد نزه الله نفسه عن الظلم في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، والظلم عند أهل السنة مقدور لله، لكنه لا يفعله لكمال عدله وحكمته، وأما الظلم عند الأشاعرة فهو غير مقدور له، والمدحُ والكمالُ في ترك الظلم مع القدرة عليه.

[﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾].

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُواْ﴾ لكفار العرب.

قال السهيلي: هم حيٌّ من خَوْلانَ، يقال لهم: الأديم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبًا لله ونصيبًا لأصنامهم(١).

ومعنى ﴿ذَرَأَ﴾: خلَق وأنشأ؛ ففي ذلك ردٌّ عليهم؛ لأن الله الذي خلقها وذرأها هو مالكها لا ربَّ غيره.

﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾ أي: بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم: في الكذب.

---

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠٥).

وقرئ بفتح الزاي وضمها، وهما لغتان.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ كانوا إذا هبَّت الريح فحملت شيئًا من الذي لله إلى الذي للأصنام أقرُّوه، وإذا حملت شيئًا من الذي للأصنام إلى الذي لله ردُّوه، وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله، وتحامَوا نصيب شركائهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كانوا يقتلون أولادهم بالوَأْدِ، ويذبحونهم تقرُّبًا إلى الأصنام.

و﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ هنا: هم الشياطين، أو القائمون على الأصنام.

وقرأ الجمهور بفتح الزاي من ﴿زَيَّنَ﴾ على البناء للفاعل، ونَصْب ﴿قَتْلَ﴾ على أنه مفعول، وخَفْض ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالإضافة، ورَفْع ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ على أنه فاعل بـ ﴿زَيَّنَ﴾.

والشُّركاء على هذه القراءة: هم الذين زيَّنوا القتل.

وقرأ ابن عامر[1]: بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفْع ﴿قَتْلُ﴾ على أنه مفعول لم يسمَّ فاعلُه، ونصْب ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾ على أنه مفعول بـ ﴿قَتْلُ﴾، وخفض ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ على الإضافة إلى ﴿قَتْلُ﴾ إضافة المصدر إلى فاعله، وفُصِلَ بين المضاف والمضاف إليه بقوله: ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾، وذلك ضعيفٌ في العربية، وقد سُمِع في الشعر.

والشُّركاء على هذه القراءة: هم القاتلون للأولاد.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «ابن عباس» والمثبت هو الصواب. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦٨).

﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ أي: ليُهلِكوهم، وهو مِن الرَّدى بمعنى الهلاك.

﴿أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ أي: حرامٌ، وهو فِعْل بمعنى مفعولٍ، نحو ذِبْح، فيستوي في الوصف به المذكَّرُ والمؤنث والواحد والجمع.

﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ أي: لا يأكلها إلَّا من شاؤوا؛ وهم: القائمون على الأصنام، أو الرجال دون النساء.

﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ أي: لا تُركَبُ، وهي السائبة وأخواتها.

﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ قيل: معناه: لا يُحَجُّ عليها؛ فلا يُذكَر اسم الله بالتلبية.

وقيل: لا يذكر عليها إذا ذُبِحت.

﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾ كانوا قد قسَّموا أنعامهم هذه الأقسام، ونسَبوا ذلك إلى الله افتراءً وكذبًا.

ونصْبُه: على الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكَّد.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا﴾ الآيةَ؛ كانوا يقولون في أجنَّة البَحيرة والسائبة: ما وُلِد منها حيًّا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء، وما وُلِد منها ميتًا اشترك فيه الرجال والنساء.

وأنَّث ﴿خَالِصَةٞ﴾ للحمل على المعنى؛ وهي الأجنَّة، وذكَّر ﴿مُحَرَّمٌ﴾ حملًا على لفظ «ما».

ويجوز أن تكون التاء للمبالغة.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: البَحيرةَ والسائبة وشبهَهما.

[﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾].

﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مرفوعاتٍ على دعائمَ وشبهِها، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ متروكاتٍ على وجه الأرض.

وقيل: المعروشات: ما غرَسه الناس في العمران، وغير معروشات: ما أنبته الله في الجبال والبراري.

﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليلٌ على أن الخالق مختارٌ مُريد.

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قيل: ﴿حَقَّهُۥ﴾ هنا: الزكاة، وهو ضعيفٌ؛ لوجهين:

أحدهما: أن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة.

والآخر: أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى يوم[١] ضمّ الحبوب والثمار.

وقيل: ﴿حَقَّهُۥ﴾ ما يتصدَّق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبًا ثم نُسِخ بالعُشر.

وقيل: هو ما يَسقط من السُّنبل، والأمر على هذا للندب.

﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ عطفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾.

والحَمولة: الكبار، والفَرْش: الصغار؛ كالعجاجيل والفِصْلان.

وقيل: الحمولة: الإبل؛ لأنها يُحمَل عليها، والفرش: الغنم؛ لأنها تُفْرَش للذبح، ويُفرَش ما ينسج من صوفها.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بدلٌ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾، وسمَّاها أزواجًا؛ لأن الذكر زوج للأنثى، والأنثى زوج للذكر.

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يريد: الذكرَ والأنثى، وكذلك فيما بعده.

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ يعني: الذكرَ من الضأن والذكر من المَعْز، ويعني بالأُنثيين: الأنثى من الضأن، والأنثى من المعْز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر.

والهمزة للإنكار.

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ تعجيزٌ وتوبيخ.

---

(١) في د: «بعد».

﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: في تحريم(١) ما لم يحرِّم اللهُ، وذلك إشارةٌ إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبَحيرة وغيرها.

* * *

(١) في د: «تحريمهم».

[﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾].

﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية تقتضي حصرَ المحرَّمات فيما ذُكِر، وقد جاء في السنة تحريمُ أشياء لم تذكر هنا كلحوم الحُمُرِ؛ فذهب قوم إلى أن السنة نَسخت هذا الحصرَ.

وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب؛ فلا تقتضي الحصر.

وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذُكِر إنما نُهِي عنه على وجه الكراهة، لا على وجه التحريم.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ معطوفٌ على المنصوبات قبله، وهو ما أُهِلَّ به لغير الله،

سماه فسقًا؛ لتوغُّله في الفسق، وقد تقدَّم الكلام على هذه المحرمات في «البقرة»[١].

﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ هو ما له إصبَعٌ من دابة أو طائر. قاله الزمخشري[٢].

وقال ابن عطية: يراد به: الإبل والإِوَزُّ والنَّعام ونحوُه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع، و[٣] له ظفر[٤]. وقال الماوردي مثله[٥].

وحكى النقَّاش عن ثعلب: أن كل ما لا يَصيد فهو ذو ظُفر، وما يصيد فهو ذو مِخْلَب، وهذا غير مطَّرد؛ لأن الأسد ذو ظفر[٦].

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ يعني: ما في الظهور والجُنوب من شحم.

﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ هي المباعِر[٧].

وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوَّى في البطن.

وواحد حوايا حَوِيَّةٌ؛ على وزن فَعِيلة؛ فوزن حوايا على هذا فَعائِل؛ كصحيفة وصحائف.

---

(١) انظر: ١/ ٣٩٤.
(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٢٧٨).
(٣) في أ، ب: «أو».
(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٨٣).
(٥) انظر: تفسير الماوردي «النكت والعيون» (٣/ ١٨٣).
(٦) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٨٣).
(٧) المباعر: جمع مبْعَرٍ، وهو مكان اجتماع البَعْر في البطن من كل ذي أربعٍ. لسان العرب (٥/ ١٣٨).

وقيل: واحدها حاوِيَة؛ على وزن فاعِلة؛ فحوايا -على هذا- فواعِل؛ كضاربة وضوارب.

وهو معطوفٌ على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾، فهو من المستثنى من التحريم.

وقيل: عطفٌ على الظهور؛ فالمعنى: إلَّا ما حملت الظهور، أو حملت الحوايا.

وقيل: عطفٌ على الشُّحوم؛ فهو من المحرَّم.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد: في جميع الجسد.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ أي: فيما أخبَرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريضٌ بكذب مَن حرَّم ما لم يحرِّم الله.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ أي: إن كذبوك فيما أخبرتَ به من التحريم فقل لهم: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾؛ إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدَّة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصيةٍ: ما أحلم الله!؛ تريد: لإمهالِه عن مثل ذلك.

ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تغترُّوا بسعة رحمته؛ فإنه لا يرَدُّ بأسُه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ الآيةَ؛ معناها: أنهم يقولون: إنَّ شِرْكَهم وتحريمَهم لما حرَّموا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن

لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، فاحتجُّوا على صحة ذلك بإرادة الله له، وتلك نزْعَةٌ جبرية، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأنهم مكلَّفون مأمورون ألَّا يشركوا بالله، ولا يحرِّموا ما حلل الله، والإرادة خلاف التكليف.

ويَحتمل عندي أن يكون قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قولًا يقولونه في الآخرة على وجه التمنِّي أن ذلك لم يكن؛ كقولك إذا ندمتَ على شيء: لو شاء الله ما كان هذا؛ أي: تتمنى أن ذلك لم يكن، ويؤيد هذا: أنه حَكى قولهم بأداة الاستقبال، وهي السين؛ فذلك دليلٌ على أنهم يقولونه في المستقبل وهي الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ توقيفٌ لهم وتعجيز.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ لما أبطل حجَّتهم أثبت حجة الله؛ ليَظهرَ الحقُّ ويَبطُلَ الباطلُ.

﴿هَلُمَّ﴾ قيل: هي بمعنى «هاتِ»؛ فهي متعدية.

وقيل: بمعنى «أَقبِلْ»؛ فهي غير متعدية.

وهي عند بعض العرب: فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث.

وعند بعضهم: اسم فعل؛ فيخاطَب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء.

ومقصود الآية: تعجيزهم عن إقامة الشُّهداء.

﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: إن كذبوا في شهادتهم وزوَّروا فلا تشهد بمثل شهادتهم.

[﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾].

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيَّه ﷺ أن يدعوَ جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرَّم عليهم.

وذكَر في هذه الآيات المحرَّمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تُنسخ قطُّ في ملة.

وقال ابن عباس: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى(١).

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ قيل: «أن» هنا: حرف عبارة وتفسير؛ فلا موضع لها من الإعراب، و«لا» ناهية جَزمت الفعل.

وقيل: «أن» مصدرية في موضع رفعٍ؛ تقديره: الأمر أن لا تشركوا؛ فـ «لا» على هذا نافية.

---

(١) لم أقف على إسناده إلى ابن عباس، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٠) بقوله: «وقد قيل: إنها العشر. .» إلخ، ولم ينسبه لأحد.

وقيل: «أن» في موضع نصبٍ بدلًا من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ﴾، ولا يصحُّ ذلك إلّا إن كانت «لا» زائدةً، وإن لم تكن زائدةً فسَد المعنى؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترْكَ الإشراك.

والأحسن عندي: أن تكون «أن» مصدرية في موضع نصب على البدل و«لا» نافية، ولا يَلزم ما ذُكِر مِن فساد المعنى؛ لأن قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ معناه: ما وصَّاكم به ربكم؛ بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ فضمَّن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعمُّ من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ووجوب وندب، ولا يُنكَر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص.

فإذ تقرر هذا؛ فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما وصَّاكم به ربكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان؛ فقال: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ أي: وصَّاكم أن لا تشركوا به شيئًا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم، فجَمعت الوصيةُ تركَ الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك.

ويؤيد هذا التأويل الذي تأوَّلنا: أن الآيات اشتملت على أوامرَ؛ كالإحسان بالوالدين، وقول العدل، والوفاء في الوزن، وعلى نواهي؛ كالإشراك، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بد أن يكون اللفظ المقدَّمُ في أولها لفظًا يجمع الأوامر والنواهي؛ لأنها أُجمِلت فيه، ثم فُسِّرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية؛ لأنه جامع للأمر والنهي، فلذلك

جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك: ذكر لفظ الوصية بعد ذلك.

وإن لم يتأوَّل على ما ذكرناه: لزم في الآية إشكالٌ؛ وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طُلِب فعلها، والنواهي طُلِب تركها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصحُّ ذلك إلَّا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك.

وتَحتمل الآية[1] عندي تأويلًا آخر؛ وهو: أن يكون لفظ التحريم على ظاهره، ويعمُّ فعل المحرمات، وترك الواجبات؛ لأن ترك الواجب حرامٌ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ الإملاق: الفاقة، و﴿مِّن﴾ هنا للتعليل؛ تقديرها: من أجل إملاق.

وإنما نَهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب، فلا يُفهَم منه إباحةُ قتلهم لغير ذلك الوجه.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قيل: ﴿مَا ظَهَرَ﴾: الزنا، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: اتخاذ الأخدان.

والصحيح: أن ذلك عمومٌ في جميع الفواحش.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ فسَّره قولُ رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلَّا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، أو كفر بعد

---

(١) في د: «أيضًا».

إيمان، أو قتل نفس بغير نفس»[١].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النهيُ عن القُرب يعمُّ وجوه التصرُّف، وفيه سدُّ الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب[٢] المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى.

والتي هي أحسن: منفعة اليتيم وتثمير ماله.

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو البلوغ مع الرُّشد، وليس المقصود هنا السنَّ وحدَه، وإنما المقصود: معرفته بمصالحه.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولانقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقَّق الوصول إليه؛ أمر بما في الوُسْع من ذلك، وعفا عما سواه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي: ولو كان المقول له أو عليه في شهادةٍ أو غيرها من أهل قَرَابةِ القائل؛ فلا ينبغي أن يزيدَ ولا يَنقص، بل يَعدل.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ الإشارة بـ ﴿هَذَا﴾:

إلى ما تقدَّم من الوصايا.

أو إلى جميع الشريعة.

و«أنَّ» بفتح الهمزة والتشديد:

عطفٌ على ما تقدَّم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٧)، وأبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠٢٤).

(٢) في د: «عن قرب».

أو مفعول من أجله؛ أي: فاتبعوه؛ لأن هذا صراطي مستقيمًا.

وقرئ بالكسر؛ على الاستئناف.

وبالفتح والتخفيف؛ على العطف، وهي على هذا مخفَّفة من الثقيلة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرقَ المختلفة في الدين؛ من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضًا: البدع والأهواء المضِلَّة.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ خطَّ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه كلُّها سبلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»(١).

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: تُفرِّقكم عن سبيل الله، والفعل مستقبل؛ حذفت منه تاء المضارعة، ولذلك شدَّده البزِّي.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ معطوفٌ على ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾.

فإن قيل: فإن إيتاء موسى الكتابَ متقدِّمٌ على هذه الوصية، فكيف عطَفه عليها بـ «ثم»؟.

فالجواب: أن هذه الوصية قديمةٌ لكل أمة على لسان نبيها، فصحَّ الترتيب.

وقيل: إنها هنا لترتيب الإخبار والقول، لا لترتيب الزمان.

﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن المعنى: تمامًا للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى،

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٩٥).

ففاعل ﴿أَحْسَنَ﴾ ضمير يعود على ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، و﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ يراد به: جنس المحسنين.

والآخر: أن المعنى: تمامًا؛ أي: تفضُّلًا، أو جزاءً على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير موسى عليه السلام، و﴿ٱلَّذِى﴾ صفة لعمل موسى.

والثالث: تمامًا؛ أي: إكمالًا على ما أحسن الله به إلى عباده، فالفاعل[1] على هذا ضمير الله تعالى.

* * *

(١) في أ، ب، هـ: «فالعامل».

[﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ
أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا
لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ
ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ
رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ
مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ
إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾
قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠
أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ
الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾].

﴿أَن تَقُولُوٓا﴾ في موضع مفعولٍ من أجله؛ تقديره: كراهةَ أن تقولوا.

﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ أهلِ التوراة والإنجيل.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ أي: لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجَّة علينا، ﴿وَإِن﴾ هنا مخفَّفة من الثقيلة.

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ إقامةُ حجة عليهم.

﴿وَصَدَفَ﴾ أعرضَ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الآيةَ؛ تقدَّمت نظيرتها في «البقرة»[١].

﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أشراطُ الساعة؛ كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر، ولا توبة عاصٍ.

فقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ يعني: أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ.

وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ يعني: أن من كان مؤمنًا ولم يَكسِب حسنات قبل ظهور تلك الآيات، ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذٍ.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ وعيدٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى.

وقيل: أهل الأهواء والبدع.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قيل: يا رسول الله ومن تلك الواحدة؟ قال: «من كان على ما أنا وأصحابي عليه»[٢].

وقرئ ﴿ فَارَقُواْ ﴾؛ أي: تركوا.

﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ جمع شِيعَةٍ؛ أي: متفرِّقين، كلُّ فرقة تتشيَّع لمذهبها.

---

(١) انظر: ١/ ٤٢٧.

(٢) تقدم تخريجه ١/ ٥٦٧.

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: أنت بريءٌ منهم.

﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضلٌ عظيم، على العموم في الحسنات، وفي العاملين، وهو أقلُّ التَّضعيف للحسنات؛ فقد ينتهي إلى سبع مئة وأزيد.

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ بدلٌ من موضع: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ لأن أصله: هداني صراطًا؛ بدليل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَٰطَ﴾، والقيِّم: فَيْعِل؛ مِن القيام، وهو أبلغ من قائم.

وقرئ ﴿قِيَمًا﴾ بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها، وهو على هذا: مصدر وُصِف به.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بدلٌ من ﴿دِينًا﴾، أو عطفُ بيان.

﴿وَنُسُكِى﴾ أي: عبادتي، وقيل: ذبحي للبهائم، وقيل: حَجِّي. والأول أعمُّ وأرجح.

﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ أي: أعمالي في حين حياتي وعند موتي.

﴿لِلَّهِ﴾ أي: خالصًا[1] لوجهه وطلب رضاه، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾؛ أي: لا أريد بأعمالي غير الله؛ فيكون نفيًا للشرك الأصغر وهو الرياء.

ويَحتمل أن يريد: لا أعبد غير الله؛ فيكون نفيًا للشرك الأكبر.

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ الإشارةُ إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك.

﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ لأنه ﷺ سابقُ أمته.

---

(١) في د: «خالصة».

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ تقريرٌ وتوبيخ للكفار.

وسببها: أنهم دعَوهُ إلى عبادة آلهتهم.

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ برهانٌ على التوحيد، ونفيُ الربوبية عن غير الله.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ ردٌّ على الكفار؛ لأنهم قالوا له: اعبدْ آلهتنا ونحن نتكفَّل لك بكل تِبَاعةٍ تتوقَّعُها في دنياك وأُخراك(١)، فنزلت هذه الآية؛ أي: ليس كما قلتم، وإنما كَسْبُ كلِّ نفس عليها خاصةً.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يَحمل أحدٌ ذنوبَ أحد، وأصل الوِزر: الثِّقَل، ثم استُعمل في الذنوب.

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفةٍ؛ أي: يَخلُف بعضكم بعضًا في السُّكنى في الأرض.

أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا: لجميع الناس.

وقيل: لأمة محمد ﷺ؛ لأنهم خلَفُوا الأممَ المتقدمة.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ عمومٌ في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ليختبرَ شُكْرَكم على ما أعطاكم، وأعمالَكم فيما مكَّنكم فيه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ جمعٌ بين التَّخويف والتَّرجية.

---

(١) في د: «وآخرتك».

وسُرْعة عقابه تعالى:

إما في الدنيا لمن عجَّل أَخْذَه.

أو في الآخرة؛ لأن كلَّ آتٍ قريبٌ.

ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته[١].

* * *

(١) في د زيادة: «تمت سورة الأنعام بعون الله وفضله، فله الحمد، وبتمامها كمل الكلام على الربع الأول من القرآن العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين المبلِّغ الهادي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا».

﴿ سورة الأعراف ﴾

[﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾].

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ تكلَّمنا على حروف الهجاء في «البقرة»[1].

﴿حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ أي: ضيقٌ مِن تبليغه مع تكذيب قومك.

وقيل: الحرج هنا: الشكُّ؛ فتأويله كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧].

﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلِّق بـ ﴿أُنزِلَ﴾.

﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ منصوبٌ على المصدرية بفعل مقدَّر[2]؛ تقديره: لتنذر وتذكِّر

---

(١) انظر: ١/ ٢٦١.

(٢) في أ: «مضمر».

ذكرى؛ لأن الذِّكرى بمعنى التَّذكير.

أو مرفوعٌ؛ على أنه خبر ابتداءٍ مضمرٍ.

أو مخفوضٌ؛ عطفًا على موضع ﴿لِتُنذِرَ﴾؛ أي: للإنذار والذِّكرى.

﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ انتصب ﴿قَلِيلًا﴾ بـ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكَّرون تذكُّرًا قليلًا.

و﴿مَا﴾ زائدةٌ؛ للتأكيد.

﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ قيل: إنه من المقلوب؛ تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها.

وقيل: المعنى: أردنا إهلاكها فجاءها بأسُنا؛ لأن مجيءَ البأس قبل الإهلاك، فلا يصحُّ عطْفُه عليه بالفاء.

ويَحتمل أن يكون ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ استئنافًا؛ على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلُّفٍ.

والمراد: أهلكنا أهلها فجاءهم، ثم حذف المضاف؛ بدليل: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

﴿بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ﴿بَيَاتًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال؛ بمعنى: بائتين؛ أي: بالليل.

و﴿قَائِلُونَ﴾: من القائلة؛ أي: بالنهار.

وقد أصاب العذابُ بعض الكفار المتقدِّمين بالليل، وبعضَهم بالنهار.

و﴿أَوْ﴾ هنا: للتنويع.

﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلَّا للاعتراف بأنهم ظالمون.

وقيل: المعنى: أن دعواهم هنا: ما كانوا يدَّعونه من دينهم، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك.

﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أسند الفعل إلى الجار والمجرور.

ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عما أُجيبوا به.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرسل والأمم.

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ يعني: وزنَ الأعمال.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ يُسأل الرسلُ وأممُهم؛ وهو يوم القيامة.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي: يكذِّبون بها ظلمًا.



[﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ
ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن
طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ
أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾
وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ
هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾
قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾].

﴿خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ قيل: المعنى: أردنا خَلْقَكم وتصويركم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.

وقيل: خلَقْنا أباكم[(١)]، ثم صوَّرناه.

وإنما احتيج إلى التأويل؛ ليصحَّ العطف.

---

(١) في د، وهامش أ زيادة: «آدم».

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ «لا» زائدة؛ للتأكيد.

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ استدلَّ به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور؛ ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة للسجود.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ تعليلٌ علَّلَ به إبليسُ امتناعَه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه.

وبهذا الاعتراض كفَر إبليس؛ إذ ليس كفرُه كفرَ جحودٍ.

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من السماء.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للتعليل؛ وهي تتعلق[١] بفعل قسم محذوف تقديره: أُقسِمُ بالله -بسبب إغوائك لي- لأُغوِيَنَّ بني آدم.

و«ما»: مصدرية.

وقيل: استفهامية؛ ويُبطِله ثبوت الألف في «ما» مع حرف الجر.

﴿صِرَٰطَكَ﴾ يريد: طريق الهدى والخير، وهو منصوبٌ على الظرفية.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ أي: من الجهات الأربع، وذلك عبارةٌ عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه.

وقال ابن عباس: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: الآخرة، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: الحسنات، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: السيئات.

﴿مَذْءُومًا﴾ مِن ذَأَمَه -بالهمز-: إذا ذمَّه.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وهو متعلق».

﴿مَدۡحُورٗاۖ﴾ أي: مطرودًا حيث وقع.

﴿فَوَسۡوَسَ﴾ إذا تكلَّم كلامًا خفيًّا يكرِّره؛ فمعنى ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا﴾: ألقى لهما هذا الكلام.

﴿لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا﴾ أي: ليُظهِر ما سُتر من عوراتهما.

واللام في قوله: ﴿لِيُبۡدِيَ﴾:

للتعليل؛ إن كان في انكشافهما غَرَضٌ لإبليس.

أو للصَّيرورة؛ إن وقع ذلك بغير قصدٍ منه إليه.

﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾ ذكرت في «البقرة»[١].

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ أي: كراهةَ أن تكونا ملكين.

واستدلَّ به من قال: إن الملائكة أفضلُ من الأنبياء.

وقرئ: «مَلِكَيْنِ» بكسر اللام؛ ويقوِّي هذه القراءةَ قولُه: ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: حلَف لهما إنه لمن الناصحين.

وذكر قَسَم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين:

لأنه اجتهد فيه.

أو لأنه أَقسم لهما، وأقسَما له أن يَقبلا نصيحته.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ أي: أنزلهما إلى الأكل من الشجرة.

---

(١) انظر: ١/ ٣٠١.

﴿بِغُرُورٍۚ﴾ أي: غرَّهما بحَلِفِه لهما؛ لأنهما ظنَّا أنه لا يحلف كاذبًا.

﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: زال عنهما اللباس، وظهرت عوراتُهما، وكانا لا يَريانِها من أنفُسِهما، ولا أَحدُهما[1] من الآخَر.

وقيل: كان لباسهما نورٌ يحول بينهما وبين النَّظر.

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِۖ﴾ أي: يَصِلان بعضَه ببعض ليستترا بها.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ يَحتمل أن يكون هذا النداء: بواسطة ملَك، أو بغير واسطة.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ اعترافٌ، وطلبٌ للمغفرة والرحمة.

وتلك[2] الكلمات التي تاب الله عليه بها.

﴿اهْبِطُواْ﴾ وما بعده: مذكور في «البقرة»[3].

﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: في الأرض.

* * *

(١) في أ، ب، ج، هـ: «لأحدهما».
(٢) في د زيادة: «هي».
(٣) انظر: ١/ ٣٠٢.

[﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾].

﴿لِبَاسٗا﴾ أي: الثيابَ التي تَستُر؛ ومعنى ﴿أَنزَلۡنَا﴾: خلقنا.

وقيل: المراد: أنزلنا ما يكون عنه اللباس؛ وهو[1] المطر.

واستدلَّ بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة.

﴿وَرِيشٗاۖ﴾ أي: لباسَ الزينة؛ وهو مستعار من ريش الطائر.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ استعارَ للتقوى لباسًا؛ كقولهم: ألبسك الله قميص تقواه.

وقيل: لباس التقوى: ما يُتَّقَى به في الحرب من الدروع وشبهها.

وقرئ: بالرفع؛ على الابتداء، وخبره: الجملة؛ وهي: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارةُ إلى ما أنزل من اللباس.

---

(١) في أ، ب، هـ: «أي».

وهذه الآية واردةٌ على وجه الاستطراد عَقِيب[١] ما ذكر من ظهور السَّوآت وخَصْف الورق عليهما؛ ليُبيِّن إنعامه بما[٢] خَلق من اللباس.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي: كان سببًا في نزْع لباسِهما عنهما.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يعني: في غالب الأمر.

وقد استدلَّ به من قال: إن الجن لا يُرَوْن.

وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتُحمَل الآية على الأكثر؛ جمعًا بينها وبين الأحاديث.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ قيل: هي ما كانت العرب تفعله من الطَّواف بالبيت عراةً؛ الرجالُ والنساء.

ويَحتمل العمومَ في الفواحش.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا بعذرين باطلين:

أحدهما: تقليد آبائهم.

والآخر: افتراؤهم على الله.

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ **قيل**: المراد إحضار النية، والإخلاص لله.

وقيل: فعل الصلاة والتوجُّه فيها.

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: في كل مكان سجود.

---

(١) في د: «عقِب».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «على ما».

أو: في وقت كلِّ سجود.

والأول أظهر.

والمعنى: إباحة الصلاة في كلِّ موضع؛ كقوله[١] ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا»[٢].

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاجٌ على البعث الأخراوي بالبَدْأة الأولى.

﴿فَرِيقًا﴾ الأول: منصوبٌ بـ ﴿هَدَىٰ﴾.

والثاني: منصوبٌ بفعل مضمر؛ يفسِّره ما بعده.

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ قيل: المراد به: الثياب الساترة، واحتجَّ به من أوجب ستر العورة في الصلاة.

وقيل: المراد به: الزينةُ زيادةً على السَّتر، كالتجمُّل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب.

﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ الأمر فيهما للإباحة؛ لأن بعض العرب كانوا يحرِّمون أشياء من المآكل.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أي: لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة.

وقال الأطباء: إن الطبَّ كلَّه مجموعٌ في هذه الآية[٣].

وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «لقوله».

(٢) هو جزء من حديث: «نصرت بالرعب..» وقد تقدم تخريجه ١/ ٥٨٤.

(٣) انظر: الكشاف (٦/ ٣٧٢).

[﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا
حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا
ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا
كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكارٌ لتحريمها، وهي ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل.

وكان بعض العرب إذا حجُّوا يُحرِّمون(١) الثياب ويطوفون عراةً، ويحرِّمون الشحم واللبن؛ فنزل ذلك ردًّا عليهم.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: الزينة والطيبات في الدنيا: للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة: خالصةٌ لهم دون غيرهم.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «يجرِّدون».

وقرئ ﴿خَالِصَةٌ﴾:

بالنصب؛ على الحال.

والرفع؛ على أنه: خبر بعد خبر، أو خبر ابتداءٍ مضمرٍ.

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ عامٌ في كل ذنب.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: تفتروا عليه في التَّحريم وغيره.

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي «إنْ» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة؛ للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكِّدة.

وجواب الشرط: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الآيةَ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذُكِر في «الأنعام»[1].

﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: يصلُ إليهم ما كُتِب لهم من الأرزاق وغيرها.

﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ أي: غابوا عنا.

﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: ادخلوا النارَ في جملة أممٍ؛ أي: مع أمم.

﴿ٱدَّارَكُوا۟﴾ أي: تلاحقوا واجتمعوا.

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ المراد بـ ﴿أُولَىٰهُمْ﴾: الرؤساء والقادة، و﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾: الأتباع والسَّفِلَة.

---

(١) انظر صفحة ٢٥٢.

والمعنى: أن أُخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأُولاهم؛ لأنهم أضلوهم.

وليس المعنى: أنهم قالوا لهم ذلك خطابًا لهم، إنما هو كقولك: قال فلان لفلان كذا؛ أي: قاله عنه، وإن لم يخاطبْه به.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: لم يكن لكم علينا فضلٌ في الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابُنا أشدَّ من عذابكم، بل نحن وأنتم متساوون.

﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ مِن قول أُولاهم لأُخْراهم، أو من قول الله تعالى لجميعِهم.



[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ
ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ
مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ
أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى
ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ
يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ
تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ
وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ
مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ
لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا
وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ
جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا
نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾].

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يَصعَدُ عملُهم إلى السماء.

والثاني: لا يدخلون الجنة؛ فإن الجنة في السماء.

والثالث: لا تفتَّح أبواب السماء لأرواحهم - إذا ماتوا - كما تفتَّح لأرواح المؤمنين.

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ أي: حتى يدخلَ الجمل في ثُقْبِ الإبرة.

والمعنى: لا يدخلون الجنة حتى يكونَ ما لا يكونُ أبدًا، فلا يدخلونها أبدًا.

﴿مِهَادٌ﴾ فراشٌ.

﴿غَوَاشٍ﴾ أغطيةٌ.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ جملةُ اعتراضٍ بين المبتدإ والخبر؛ ليبيِّن أنه إنما طَلب من الأعمال الصالحة ما في الوُسع والطاقة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي: مَن كان في صدره غِلٌّ لأخيه في الدنيا نُزِع منه في الجنة، وصاروا إخوانًا أحبابًا.

وإنما قال: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ بلفظ الماضي وهو مستقبل؛ لتحقُّق وقوعه في المستقبل، حتى عبَّر عنه بما يعبر عن الواقع.

وكذلك كلُّ ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ، وهي تقع في الآخرة؛ كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ وغير ذلك.

﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الجنة، أو إلى ما أوجبها من الإيمان والتقوى.

﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ و﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾، و﴿أَن لَّعْنَةُ﴾، و﴿أَن سَلَامٌ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَن﴾ في كل واحدة منها:

مخفَّفةً من الثقيلة؛ فيكون فيها ضمير.

أو حرفُ عبارة وتفسيرٍ لمعنى القول.

﴿مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ حُذِف مفعول ﴿وَعَدَ﴾:

استغناءً عنه بمفعول ﴿وَعَدَنَا﴾.

أو لإطلاق الوعْد؛ فيتناول الثواب والعقاب.

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: أَعْلم مُعْلِمٌ؛ وهو ملَكٌ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين الجنة والنار.

أو: بين أصحابهما، وهو الأرجح؛ لقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿الْأَعْرَافِ﴾ قال ابن عباس: هو تلٌّ[1] بين الجنة والنار.

ومجاهد: حجابٌ بين الجنة والنار.

وقيل: سور الجنة.

﴿رِجَالٌ﴾ هم أصحاب الأعراف.

وورد في الحديث: «أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم،

---

(١) في د: «جبل».

فلم يدخلوا الجنة ولا النار»[١].

وقيل: هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم، فاستُشهدوا، فمُنِعوا من الجنة؛ لعصيان آبائهم، ونَجوا من النار؛ للشهادة.

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يعرفون أهل الجنة بعلامتهم؛ من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم؛ من سواد وجوههم، أو غير ذلك من العلامات.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلَّم أصحابُ الأعراف على أهل الجنة.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، وهم يطمعون في دخولها من بعدُ.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف؛ أي: إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ يعني: من الكفار الذين في النار، قالوا لهم ذلك على وجه التَّوبيخ.

﴿جَمْعُكُمْ﴾ يَحتمل أن يريد:

جمعكم للمال.

أو كثرتكم.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٢١-٢٢٢).

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: استكبارُكم على الناس، أو استكباركم عن الرجوع إلى الحق؛ فـ «ما» ها هنا مصدرية.

و«ما» في قوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾: استفهاميةٌ، أو نافية.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطابًا لأهل النار.

والإشارة بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى أهل الجنة؛ وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يُقسِمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يَعبأُ بهم؛ فظهر خلاف ما قالوا.

وقيل: هي من كلام الملائكة؛ خطابًا لأهل النار.

والإشارة بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى أصحاب الأعراف.

﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ﴾ خطابٌ لأهل الجنة: إن كان من كلام أصحاب الأعراف؛ تقديره: قد قيل لهم ادخلوا الجنة.

وخطابٌ لأهل الأعراف: إن كان من كلام الملائكة.

﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ دليلٌ على أن الجنة فوق النار.

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِن سائر الأطعمة أو الأشربة.

﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ أي: نتركُهم.

﴿كَمَا نَسُوا﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَمَا كَانُوا﴾ عطفٌ على ﴿كَمَا نَسُوا﴾؛ أي: لنسيانهم وجحودهم.

﴿جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: عَلِمنا كيف نُفَصِّله[1].

﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عاقبةَ أمره، وما يؤول إليه؛ مِن ظهور ما نَطق به من الوعد والوعيد؟.

﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: قد تبيَّن وظهر الآن أن الرسلَ جاؤوا بالحق.

* * *

(١) في أ، ب، د: «تَفْصيلُه».

[﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾].

﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث وقع:

حمَله قومٌ على ظاهره؛ منهم ابن أبي زيد[1] وغيره.

وتأوَّله قوم بمعنى: قصَد؛ كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

ولو كان كذلك لقال: ثم استوى إلى العرش.

وتأوَّله الأشعرية أنَّ معنى استوى: استولى بالملك والقدرة.

والحق: الإيمان به من غير تكييف؛ فإنَّ السلامة في التسليم، ولله درُّ مالك بن أنس الإمام في قوله للذي سأله عن ذلك: «الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة»[2].

وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري.

---

(١) هو ابن أبي زيد القيرواني، في مقدمة الرسالة في الفقه المالكي (ص: ١٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٤٤١).

ولم يتكلَّم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه؛ ولذلك قال مالك: «السؤال عنه بدعة»[(١)].

﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يُلحِق الليلَ بالنهار، أو يلحق النهار بالليل؛ يَحتمل الوجهين، هكذا قال الزمخشري[(٢)].

وأصل اللفظة: من الغِشاء؛ أي: يجعل أحدَهما غشاءً للآخر يغطِّيه، فتغطِّي ظلمةُ الليل نورَ النهار.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ حيث وقع، إلخ، أقول: ذكر فيه مذاهب:
الأول: إجراؤه على ظاهره، لابن أبي زيد المالكي.
الثاني: مذهب أهل التأويل، ومنهم الأشاعرة، وبعضهم قال: استوى: قصد، وقالت الأشاعرة: استوى بالملك والقدرة.
الثالث: مذهب الصحابة والأئمة، وهو الإيمان به من غير تكييف، وقرر هذا القول بقوله: «والحق: الإيمان به من غير تكييف؛ فإنّ السلامة في التسليم».
وكلامه هنا متردد بين الإثبات من غير تكييف، وبين التفويض، ولذا استشهد بقول الإمام مالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولكنه قال: «ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه»، قال: «ولذا قال مالك: والسؤال عنه بدعة»، ومفهوم كلام المؤلف رحمه الله أن السؤال عن معنى الاستواء بدعة، وهذا خطأ فالذي سئل عنه مالك، وقال: «السؤال عنه بدعة» هو الكيفية؛ لأنه قال: «الاستواء معلوم» أي معناه، «والكيف مجهول، والسؤال عنه» أي السؤال عن الكيف.
وقد أخطأ ابن جزي رحمه الله أيضا في زعمه أن الصحابة والتابعين لم يتكلموا في معنى استوى. والصواب هو إثبات الاستواء لله على العرش بمعناه المعلوم، وهو علا وارتفع، مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية. ومن يتدبر كلام ابن جزي يدرك أنه إلى التفويض أميل، أي تفويض معنى الاستواء، أو هو قوله الذي يقول به. والله أعلم.

(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٤٠٤).

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعًا، والجملة في موضع الحال من ﴿ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: يطلب[١] النهارَ فيُدرِكه.

﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ قيل: الخلق: المخلوقات، والأمر: مصدر أَمَر يأمُر.

وقيل: الخلق: مصدر خلَق، والأمر: واحد الأمور؛ كقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

والكلُّ صحيحٌ.

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة؛ وهو فعل غير متَصرِّف لم تَنطِق له العرب بمضارع.

﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدرٌ في موضع الحال، وكذلك: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

﴿وَخُفْيَةً﴾ من الإخفاء.

وقرئ: «خِيفَةً» من الخوف.

﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحدِّ.

وقيل هنا: هو رفع الصوت بالدعاء، والتشطُّط فيه.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ جمَع اللهُ الخوفَ والطمع؛ ليكون العبد خائفًا راجيًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فإن مُوجِب الخوفِ: معرفةُ سَطَوات[٢] الله وشدَّةِ عقابه.

ومُوجِب الرجاء: معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه؛ قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ

(١) في د زيادة: «الليلُ».
(٢) في د: «سطوة».

أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

ومَن عرَف فضْلَ الله رجَاه، ومَن عرف عذابه خافه؛ ولذلك جاء في الحديث: «لو وُزِن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلَا»[١].

إلَّا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يَغْلِب عليه الخوف؛ ليقودَه إلى فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يَغلِب عليه الرجاء عند حضور الموت؛ لقوله ﷺ: «لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يحسن الظن بالله تعالى»[٢].

★ **واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:**

الأولى: أن يكون ضعيفًا يخطُر على القلب، ولا يؤثِّر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم.

والثانية: أن يكون قويًا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة.

والثالثة: أن يشتدَّ حتى يبلغ إلى القنوط واليأس، وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها.

★ **والناس في الخوف على ثلاث مقامات:**

فخوف العامة: من الذنوب.

وخوف الخاصة: من الخاتمة.

---

(١) لا يصحُّ حديثًا، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٥٥٥): «لا أصل له في المرفوع، وإنما يؤثر عن بعض السلف»، وأخرجه أحمد في الزهد (ص: ٢٣٩) عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير من قوله.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

وخوف خاصة الخاصة: من السَّابقة؛ فإن الخاتمة مبنيَّةٌ عليها.

★ **والرجاء على ثلاث درجات:**

الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبُّب فيها بفعل طاعته وترك معصيته؛ فهذا هو الرجاء المحمود.

والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان؛ فهذا غرورٌ.

والثالثة: أن يَقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن؛ فهذا حرام.

★ **والناس في الرجاء على ثلاث مقامات:**

فمقام العامة: رجاء ثواب الله.

ومقام الخاصة: رجاء رضوان الله.

ومقام خاصة الخاصة: رجاء لقاء الله حبًّا فيه وشوقًا إليه.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التأنيث من ﴿قَرِيبٌ﴾ وهو خبر عن الرحمة:

على تأويل الرحمة بالرِّحِم، أو الترحُّم، أو العفو.

أو لأن تأنيث الرحمة غيرُ حقيقيٍّ.

أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيءٌ قريب.

أو على تقدير النَّسب؛ أي: ذات قرب.

وقيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ هنا ليس خبرًا عن الرحمة[1]، وإنما هو ظرفٌ لها.

---

(١) قوله: «عن الرحمة» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًۢا﴾ قرئ ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: بالجمع؛ لأنها رياح المطر.

وقد اطَّرد في القرآن جمعُها إذا كانت للرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب ومنه ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها رِيحًا»[1].

وقرئ بالإفراد؛ والمراد: الجنس.

وقرئ: ﴿نَشْرًا﴾ -بفتح النون وإسكان الشين-؛ وهو على هذا مصدر في موضع الحال.

وقرئ بضمهما؛ وهو جمع ناشر، وقيل: جمع منشور.

وقرئ بضم النون وإسكان الشين؛ وهو تخفيف من الضم؛ كرُسُلٍ ورُسْل.

وقرئ بالباء في موضع النون؛ من البِشارة.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: قَبْلَ المطر.

﴿أَقَلَّتْ﴾ حمَلتْ.

﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ لأنها تحمل الماء فتَثقُل به.

﴿سُقْنَٰهُ﴾ الضمير للسحاب.

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يعني: لا نباتَ فيه من شدة القحط، وكذلك معناه حيث وقع.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ الضمير:

للسحاب.

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ١٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢١٣).

أو البلد؛ على أن تكون الباء ظرفيةً.

﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ تمثيلٌ لإخراج الموتى من القبور بإخراج الزرع من الأرض.

وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع؛ منها: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ هو الكريم من الأرض، الجيِّد التراب[١].

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ بخلاف ذلك؛ كالسَّبخة ونحوها.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ عبارةٌ عن السهولة والطيب، والنَّكِد بخلاف ذلك.

ويَحتمل أن يكون المراد:

ما يقتضيه ظاهر اللفظ؛ فتكون متمِّمةً للمعنى الذي قَبْلها في المطر.

وأن يكون[٢] تمثيلًا للقلوب:

فقيل -على هذا-: الطيب: قلب المؤمن، والخبيث: قلب الكافر.

وقيل: هما الفَهِمُ[٣] والبليد.

* * *

(١) في ب، ج، هـ: «الترب».
(٢) في ج، د: «تكون».
(٣) في د: «الفهيم».

[﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾].

﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قرأ الكسائي: بالخفض - حيث وقع -؛ على اللفظ.

وقرأ غيره: بالرفع؛ على الموضع.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يومَ القيامة، أو يومَ هلاكهم.

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أشرافُ الناس.

﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ إنما قال ﴿ضَلَٰلَةٌ﴾ ولم يقل «ضلالٌ» كقولهم؛ لأن الضَّلالة أخصُّ من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ تقول: ما عندي تمرة؛ فتعمُّ بالنفي.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد.

وهو في موضع صفةٍ لـ ﴿رَسُولٌ﴾، أو استئنافٌ.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن صفاته ورحمته وعذابه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف؛ كأنه قال: أكذَّبتم وعجبتم مِن أن جاءكم ذِكرٌ.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي: على لسان رجل.

﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ يتعلَّق:

بـ ﴿مَعَهُۥ﴾؛ والتقدير: استقرُّوا معه في الفلك.

ويَحتمل أن يتعلَّق بـ ﴿أنجَيْنَـٰهُ﴾.

﴿عَمِينَ﴾ جمع عَمٍ؛ وهو مِن عمَى القلب.

* * *

[﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ
بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ
وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ
وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟
مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾].

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: واحدًا من قبيلتهم، وهو معطوف على ﴿نُوحًا﴾.

و﴿هُودًا﴾ بدلٌ منه، أو عطف بيان.

وكذلك ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ وما بعده، وما هو مثله حيث وقع.

﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيَّد هنا بالكفر؛ لأن في الملأ مِن قوم هود مَن آمن؛ وهو مَرثَدُ بن سعد، بخلاف قوم نوح؛ فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ الملإ.

﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد:

أمانته على الوحي.

أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصِّدق.

﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكًا.

﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ كانوا عِظَام الأجسام؛ كان أقصرُهم ستين ذراعًا، وأطولهم مئة ذراع.

﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نِعَمهُ حيث وقع.

﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته؛ ولذلك قال لهم هود: ﴿قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم﴾ أي: حَقَّ عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب.

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ يعني: الأصنامَ؛ أي: تجادلونني في عبادة مسمَّياتِ أسماءَ؛ ففي الكلام حذفٌ.

وأراد بقوله: ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾:

جعلتم لها أسماءَ؛ فدلَّ ذلك على أنها محدثةٌ، فلا يصحُّ أن تكون آلهة.

أو سمَّيتموها آلهةً من غير دليل على أنها آلهةٌ؛ فقولكم باطل.

فالجدال:

على القول الأول: في عبادتها.

وعلى القول الثاني: في تسميتها آلهةً.

والمراد بالأسماء:

على القول الأول: المسمَّى.

وعلى القول الثاني: التَّسمية.

﴿دَابِرَ﴾ ذكر في «الأنعام»[1].

* * *

(١) انظر صفحة ٢٦٤.

[﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾].

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آيةٌ ظاهرة؛ وهي الناقة، وأضيفت إلى الله تشريفًا لها، ولأنه خلقها من غير فحْلٍ.

وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقَّت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم نُتِجَتْ ولدًا فآمن به قوم منهم وكفر آخرون.

﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي: معجزة تدلُّ[١] على صحة نبوة صالح.

والمجرور في موضع الحال من ﴿ءَايَةً﴾؛ لأنه لو تأخَّر لكان صفةً.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي: لا تَضُرُّوها[٢]، ولا تطردوها.

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كانت أرضُهم بين الحجاز والشام، وقد دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال لهم ﷺ: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلَّا وأنتم باكون؛ مخافةَ أن يصيبكم مثلُ الذي أصابهم»[٣].

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنون قصورًا في الأرض البسيطة.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي: تَنجرُون[٤] بيوتا في الجبال، (وكانوا يسكنون القصورَ في الصيف، والجبال في الشتاء.

وانتصب ﴿بُيُوتًا﴾ على الحال)[٥]؛ وهو كقولك: خِطتُ هذا الثوب قميصًا.

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾.

﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ إنما لم يقولوا: ﴿بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ كما قال الآخرون؛ لئلَّا يكون اعترافًا برسالته.

---

(١) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.
(٢) في ج، د: «لا تضربوها».
(٣) أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠).
(٤) في أ: «تتخذون».
(٥) سقط من أ، ب، هـ.

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ نَسب العقر إلى جميعهم؛ لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلَّا واحدٌ منهم؛ وهو الأُحَيْمِرُ.

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الصيحةُ حيث وقعتْ؛ وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحةً بين السماء والأرض فماتوا منها.

﴿جَٰثِمِينَ﴾ حيث وقع: أي: قاعدين لا يتحرَّكون.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ الآيةَ؛ يَحتمل أن يكون تولِّيه عنهم وقولُه لهم: حين عقروا الناقة، قبل نزول العذاب بهم؛ لأنه روي أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم.

أو يكون ذلك بعد أن هَلكوا؛ وهو ظاهرُ الآية، وعلى هذا: خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجُّع عليهم.

وقوله: ﴿لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ حكايةُ حالٍ ماضية.

﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ العامل في ﴿إِذۡ﴾: «أرسلنا» المضمرُ، أو يكون بدلاً من ﴿لُوطًا﴾.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: لم يفعلْها أحدٌ من العالمين قبلكم.

و﴿مِنۡ﴾ الأولى: زائدةٌ.

والثانية: للتبعيض، أو للجنس.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ الآيةَ؛ أي: أنهم عَدَلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله.

﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتنزَّهون عن الفاحشة.

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الهالكين.

وقيل: من الذين غَبَروا في ديارهم فهَلكوا، أو مِن الباقين من أترابها؛ يقال: غبَر: بمعنى مضى، وبمعنى بقِي.

وإنما قال: ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ بجمع المذكَّر؛ تغليبًا للرجال الغابرين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني: الحجارةَ؛ أُصيب بها من كان منهم خارجًا عن بلادهم، وقُلِبت البلاد بمن كان فيها.



[﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾].

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آيةٌ ظاهرة، ولم تُعيَّن في القرآن آيةُ شعيب.

﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ كانوا يَنقُصون في الكيل والوزن، فبُعِث شعيب لينهاهم عن ذلك.

والكيل هنا: بمعنى المكيال الذي يكال به؛ مناسبةً للميزان؛ كما جاء في «هود»: ﴿ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤].

ويجوز أن يكون ﴿ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ مصدرين.

﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ﴾ قيل: هو نهيٌ عن السَّلْب وقطع الطريق؛ وكان ذلك مِن فِعْلِهم.

وقيل: كانوا يقعدون على الطريق؛ يردُّون الناس عن اتباع شعيب ويُوعِدونهم إن اتَّبعوه.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾ أي: تمنعون الناس من[1] سبيل الله؛ وهو الإيمان.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾: للصِّراط، أو لله.

﴿وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾ ذُكِر في «آل عمران»[2].

﴿أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ أي: ليكونَنَّ أحدُ الأمرين: إما إخراجُكم، أو عَوْدُكم إلى ملة الكفر.

فإن قيل: إن العَوْد إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فُعِل قبل ذلك؛ فيقتضي قولهم: ﴿لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ أن شعيبًا ومن كان معه كانوا أولًا على ملة قومهم، ثم خرجوا منها فطَلب قومُهم أن يعودوا إليها، وذلك محالٌ؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها!.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: قاله ابن عطية؛ وهو أنَّ «عاد» قد تكون بمعنى: صار؛

(١) في ج، د: «عن».
(٢) انظر ١/ ٥٦٥.

فلا تقتضي تقدُّم ذلك الحال الذي صار إليه[١].

والثاني: قاله الزمخشري؛ وهو أن المراد بذلك: الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك؛ كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾؛ فغلَّبوا في الخطاب بالعَوْد الجماعةَ على الواحد[٢].

وبمثل ذلك يُجاب عن قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام والإنكار، والواو: للحال، تقديره: أنعود في ملَّتكم[٣] ونحن كارهون؟!.

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ أي: إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمرٍ عظيم من الافتراء على الله، وذلك تبرُّؤٌ من العود فيها.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلامٌ لقضاء الله على وجه التأدُّب مع الله وإسنادِ الأمور إليه؛ وذلك أنه لما تبرَّأ من ملتهم: أَخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عَوْدٍ وتَرْكِه؛ فإن القلوب بيده يقلِّبها كيف يشاء.

فإن قلت: إنَّ ذلك يصحُّ في حق قومه، وأما في حق نفسه فلا؛ فإنه معصوم من الكفر؟.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٦١٣).

(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٤٧٣).

(٣) في أ، ب، هـ زيادة: «ويكون لنا أن نعود فيها».

فالجواب: أنه قال ذلك تواضعًا وتأدُّبًا مع الله تعالى، واستسلامًا لأمره؛ كقول نبينا ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[1] مع أنه قد علم أنه يثبِّته.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي: احكمْ.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ أي: كأن لم يقيموا في ديارهم.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي: كيف أحزنُ عليهم وقد استحقُّوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم.

* * *

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠).

[﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ
يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ
وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا
عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾
أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن
يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ
إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ
نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن
قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن
وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي
رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم
بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ
بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾].

﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قد تقدَّم[1].

﴿بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾ أي: أبدلنا البأساء والضراء بالنَّعيم؛ اختبارًا لهم في الحالتين.

---

(١) انظر صفحة ٢٦٤.

﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي: كَثُروا ونَمَوْا في أنفسهم وأموالهم.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أي: قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضُرَّهم؛ فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار.

﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: بالمطر، والزرع.

﴿أَوْ أَمِنَ﴾ مَن قرأ بإسكان الواو: فهي «أو» العاطفة.

ومن قرأ بفتحها: فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ؛ كما دخلت على الفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾.

﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: استدراجَه وأَخْذَه للعبد من حيث لا يشعر.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أو لم يتبيَّنْ.

﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: يسكنونها.

﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ هو فاعلُ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، ومقصود الآية الوعيد.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾؛ لأنه في معنى المستقبل.

أو منقطعٌ؛ على معنى الوعيد.

وأجاز الزمخشري أن يكون عطفًا على ﴿يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾، أو على ما دلَّ عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾؛ كأنه قال: يَغفُلون عن الهداية ونطبعُ على قلوبهم[(١)].

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لـ ﴿أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، والمعنى: وجدناهم ناقضين للعهود.

---

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٤٩١).

﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ من قرأ ﴿عَلَيَّ﴾ بالتشديد على أنها ياء المتكلم: فالمعنى ظاهر؛ وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلَّا الحق.

وموضع ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ -على هذا- رفعٌ؛ على أنه:

خبر ﴿حَقِيقٌ﴾، و﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ.

أو بالعكس.

ومن قرأ ﴿عَلَىٰٓ﴾ بالتخفيف: فموضع ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ خفضٌ بحرف الجر، و﴿حَقِيقٌ﴾ صفة لرسول.

وفي المعنى -على هذا- وجهان:

أحدهما: أن «على» بمعنى الباء؛ فمعنى الكلام: رسولٌ حقيق بأن لا أقول على الله إلَّا الحق.

والثاني: أن معنى حقيق: حريصٌ؛ ولذلك تعدَّى بـ «على».

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بمعجزةٍ تدلُّ على صدقي؛ وهي العصا، أو جنسُ المعجزات.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: خَلِّهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدَّسة موطن آبائهم.

وذلك أنه لما تُوفِّيَ يوسف عليه السلام غلَب فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصرَ واليوم الذي دخله موسى: أربع مئة عام.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ وكان موسى عليه السلام شديد الأَدَمَةِ، فأظهر يدَه لفرعون ثم أدخلها في جيبه، ثم أخرجها وهي بيضاءُ شديدة البياض كاللبن أو أشدُّ بياضًا.

وقيل: إنها كانت مُنيرةً شفافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه.

﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ مبالغةٌ في وصف يده بالبياض؛ كأنَّ الناسَ يجتمعون للنظر إليها، والتعجُّب منها.



[﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ
سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ
﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ
ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ
عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ
ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ
سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ
قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ حكى هذا الكلام هنا عن الملأ، وفي «الشعراء» عن فرعون:

فكأنه قد قاله هو وهُمْ.

أو قاله هو، ووافقوه عليه؛ كعادة جلساء الملوك في اتّباعهم لما يقول الملك.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقِتال[1] أو بالحيل.

وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خُدَّامًا لهم؛ فتخرب الأرض

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالقتل».

بخروج الخُدَّام والعُمَّار منها.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملإ، أو من قول فرعون.

وهو من معنى:

المؤامرة؛ أي[١]: المشاورة.

أو من الأمر وهو ضدُّ النهي.

﴿أَرْجِهِ﴾ من قرأه بالهمز: فهو من أرجأتُ الرجل: إذا أخَّرتَه؛ فمعناه: أخِّرْهما حتى ننظُرَ في أمرهما.

وقيل: المراد بالإرجاء -هنا-: السِّجن.

ومن قرأ بغير همز: فتَحتمل:

أن تكون بمعنى المهموز؛ وسُهِّلت الهمزة.

أو يكون بمعنى الرجاء؛ أي: أَطْمِعْهُ.

وأما ضمُّ الهاء وكسرُها: فلغتان.

وأما إسكانها: فلعلَّه أَجرى فيها الوصل مُجرى الوقف.

﴿حَٰشِرِينَ﴾ يعني: الشُّرَط؛ أي: جامعين للسحرة.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ قبل هذا محذوفٌ يدلُّ عليه سياق الكلام؛ وهو أنه بعث إلى السَّحرة.

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزتين: فهو استفهام.

---

(١) في أ، ج، هـ: «أو».

ومن قرأه بهمزة واحدة: فيَحتمل أن يكون خبرًا، أو استفهامًا حذفت منه الهمزة.

والأجر هنا: الأُجرة؛ طلبوها من فرعون إن غلَبوا موسى، فأنْعَم لهم فرعون بها، وزادهم التَّقريبَ منه، والجاهَ عنده.

﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عطفٌ على معنى ﴿نَعَمْ﴾؛ كأنه قال: نعطيكم أجرًا ونقرِّبكم.

واختُلف في عدد السحَرة اختلافًا متباينًا من سبعين رجلًا إلى سبعين ألفًا؛ وكلُّ ذلك لا أصل له في صحة النقل.

﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ خيَّروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤوا هم بإلقاء سِحْرهم، فأمرهم أن يلقوا.

وانظرْ كيف عبَّروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية؛ إشارةً إلى أنهم أهْلُ الإلقاء المتمكِّنون فيه.

﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خوَّفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر.

﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا على قَدْر الجبَل.

وقيل: إنه طال حتى جاوز النِّيل.

﴿تَلْقَفُ﴾ أي: تبتلعُ.

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: ما صوَّروا من إفكهم وكَذِبهم.

وروي: أن الثعبان أكل مِلْءَ الوادي من حبالهم وعصيِّهم، ومدَّ موسى يده إليه فصار عصًا كما كان، فعَلِم السحرةُ أن ذلك ليس من السحر،

وليس في قدرة البشر، فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآيةَ؛ وعيدٌ من فرعون للسحرة.

وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك، ولكنه روي أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره.

وقد ذُكِر معنى ﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ في «العقود»[1].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥﴾ أي: لا نبالي بالموت؛ لانقلابنا إلى ربِّنا.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: ما تَعِيب منَّا إلَّا إيمانَنا.

* * *

(١) انظر صفحة ١٧١.

[﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾].

﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يُخربوا ملك فرعون وقومِه ويخالفوا دينه.

﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوفٌ على ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾، أو منصوبٌ بإضمار «أنْ» بعد الواو.

﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصنامًا يعبدونها، وجعل نفسه الإله الأكبر؛ فلذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]؛ فـ﴿ءَالِهَتَكَ﴾ - على هذا -: هي تلك الأصنام.

وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس: «وإِلَـٰهَتَكَ»؛ أي: عبادتَك والتذلُّلَ لك.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليلٌ للصبر الذي أمرهم به.

يعني: أرض الدنيا هنا وفي قولِه: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وقيل: يعني: أرضَ فرعون.

فأشار لهم موسى أولًا بالنَّصر في قوله: ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ﴾، ثم صرَّح به في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآيةَ.

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ حضٌّ على الاستقامة والطاعة.

[﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ
أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ
وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟
يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ
مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ
يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا
غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى
بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ
أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم
بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾].

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ أي: بالجذب والقحوط[(١)].

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الآيةَ؛ أي: إذ جاءهم الخِصْب والرَّخاء قالوا: هذا لنا وبسَعْدِنا، ونحن مستحقُّون له، وإذ جاءهم الجذب والشدة ﴿يَطَّيَّرُوا۟

(١) في د: «والقحط».

﴿بِمُوسَىٰ﴾ أي: قالوا: هذا بشؤمه.

فإن قيل: لم قال: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ بـ «إذا» وتعريف الحسنة، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بـ «إن» وتنكير السيئة؟.

فالجواب: أن الحسنة وقوعها كثيرٌ، والسيئة وقوعها نادرٌ؛ فعرَّف الكثيرَ الوقوعِ باللام التي للعهد، وذكَره بـ «إذا»؛ لأنها تقتضي التَّحقيق، وذكَر السيئة بـ «إن» لأنها تقتضي الشك، ونكَّرها للتَّقليل.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنما حظُّهم ونصيبهم الذي قُدِّر لهم من الخير والشر عند الله.

وهو مأخوذ من زَجْرِ الطير، ثم سُمِّي به ما يصيب الإنسان.

ومقصود الآية: الردُّ عليهم فيما نَسبوا إلى موسى من الشُّؤم.

﴿مَهْمَا﴾ هي «ما» الشرطية ضمَّت إليها «ما» الزائدة؛ نحو: «أينما»، ثم قلبت الألف هاءً.

وقيل: هي اسمٌ بسيط غير مركَّب.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على ﴿مَهْمَا﴾.

وإنما قالوا: ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾:

على تسميةِ موسى لها آيةً.

أو على وجه التهكُّم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ روي: أنه كان مطرًا شديدًا دائمًا، مع فَيْضِ النيل

حتى هدَم بيوتهم، وكادوا يَهلِكون، وامتنعوا من الزراعة.

وقيل: هو الطَّاعون.

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ هو المعروف؛ أكَل زرعهم وثمارهم حتى أكَل ثيابهم وأبوابهم وسُقُفَ بيوتهم.

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ قيل: هي صغار الجراد. وقيل: البراغيث. وقيل: السُّوس.

وقرئ «القَمْلَ» - بفتح القاف والتخفيف -؛ فهي - على هذا -: القمل المعروف، وكانت تتعلَّق بلحومهم وشعورهم[1].

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ هي المعروفة؛ كثرت عندهم حتى امتلأت بها فُرُشهم وأوانيهم، وإذا تكلَّم أحدهم وثَبَ الضفدع إلى فمه[2].

﴿وَٱلدَّمَ﴾ صارت مياهُهم دمًا؛ فكان يستقي من البئر القبطيُّ والإسرائيلي في إناء واحد، فيخرج ما يلي القبطيَّ دمًا، وما يلي الإسرائيليَّ ماءً.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ أي: العذابُ؛ وهي الأشياء المتقدمة، وكانوا مهما نزل بهم أمرٌ منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فإذا[3] كشَفه عنهم نقضوا العهد وتمادَوا على كفرهم.

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بذِمَامِك إليه ووسائلك.

---

(١) هذه اللفظة لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٢) في ب: «وقع الضفدع في فمه».

(٣) في أ، ب، ج: «فلما».

والباء تَحتمل:

أن تكون للقسَم، وجوابُه ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾.

أو تتعلَّق بـ ﴿ٱدْعُ لَنَا﴾؛ أي: توسَّلْ إليه بما عهد عندك.

﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾ البحر حيث وقع.

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل.

﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ الشامَ ومصرَ.

﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بالخِصْب، وكثرة الأرزاق.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي نفَذتْ لهم واستقرَّت.

والكلمة هنا:

ما قُضِي لهم في الأزل.

وقيل: هي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥].

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ أي: يبنون.

وقيل: هي الكُرُوم وشبهُها.

فهو على الأوَّل: من العَرْش.

وعلى الثاني: من العَرِيش.

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ أي: اجعل لنا صنمًا نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامَهم.

ولما تمَّ خبر موسى مع فرعون: ابتدأ خبرُه مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ من التَّبار؛ وهو الهلاك.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وما بعده: مذكور في «البقرة»[1].

* * *

(١) انظر (١/ ٣١٢).

[﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ
لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ
﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ
ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ
دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾
قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ
فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ
ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا
وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ
حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾].

﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ روي: أن الثلاثين: هي شهر ذي القَعدة، والعشرَ بعدها: هي العَشْرُ الأول من ذي الحِجة؛ وذلك تفصيلٌ للأربعين المذكورة في «البقرة».

﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: ما وقَّت له من الوقت لمناجاته في الطُّور.

﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ أي: كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبي.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ لما سمع موسى كلامَ الله طمع في رؤيته، فسألها،

كما قال الشاعر:

وأبرحُ ما يكون الشَّوقُ يومًا إذا دنت الدِّيارُ من الديارِ[١]

واستدلَّ الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزةٌ عقلًا، وأنها لو كانت محالًا لم يسألها موسى؛ فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل عليه.

وتأوَّل الزمخشري طلب موسى للرؤية بوجهين:

أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تَبْكيتًا لمن خرج معه من بني إسرائيل، فهم[٢] الذين طلبوا الرؤية، فقالوا: أَرِنَا الله جَهْرَةً؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب في المنع فيتأدَّبوا.

والآخر: أن معنى ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾: عرِّفني نفسَك تعريفًا واضحًا جليًّا[٣].

وكلا الوجهين بعيد، والثاني أبعد وأضعف؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤيةَ لم يقل له ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الآيةَ.

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ قال مجاهد وغيره: إن الله قال لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾؛ لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشدُّ،

---

(١) البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، المعروف بإسحاق النديم؛ لمنادمته لعدد من الخلفاء العباسيين. انظر: الوافي بالوفَيات (٨/ ٢٥٥).

(٢) لم ترد في ب، ج.

(٣) انظر: الكشاف (٦/ ٥٥١).

فإن استقرَّ وأطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى أن لا تطيق أنت.

فعلى هذا؛ إنما جعل الله الجبل مثالًا لموسى.

وقال قوم: المعنى: سأتجلى لك على الجبل؛ وهذا ضعيف؛ يبطله قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾.

فإذا تقرَّر هذا؛ فقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ نفيٌ للرؤية، وليس فيه دليلٌ على أنها محال؛ فإنه إنما جعَل علَّةَ النفي: عدمُ إطاقة موسى الرؤية لا استحالتُها.

ولو كانت الرؤية مستحيلةً؛ لكان في الجواب زجرٌ وإغلاظ، كما قال الله لنوح: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا؛ لضعف البِنْيَة البشرية عن ذلك.

وأما في الآخرة: فقد صرَّح بوقوع الرؤية كتابُ الله وسنة رسوله ﷺ، فلا ينكرها إلَّا مبتدع.

وبين المعتزلة وأهل السنة في مسألة الرؤية نزاعٌ طويل.

وفي هذه القصة قَصَصٌ كثيرٌ تركته؛ لعدم صحته، ولما فيه من الأقوال الفاسدة.

﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: مدكوكًا؛ فهو مصدر بمعنى مفعول، كقولك: ضرْبُ الأمير.

والدَّكُّ والدَّقُّ: أخوان؛ وهو التفتُّت.

وقرئ: ﴿دَكَّاءَ﴾ - بالمد والهمز -؛ أي: أرضًا دكاءَ:

قيل: ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره.

وقيل: تفتَّت حتى صار غبارًا.

وقيل: ساخ في الأرض، وأفضى إلى البحر.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ أي: مغشيًا عليه.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ معناه: تبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أوَّلُ قومِه، أو أهلِ[1] زمانه، أو على وجه المبالغة في السَّبْق إلى الإيمان.

﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ عمومٌ يراد به الخصوص؛ فإنَّ جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة.

واختُلف: هل كلَّم الله غيرَه من الرسل أم لا؟.

والصحيح: أنه كلم نبينا محمدًا ﷺ ليلة الإسراء.

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ تأديبٌ؛ أي: اقنَعْ بما أعطيتك من رسالتي وكلامي، ولا تطلب غير ذلك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أي: في ألواح التوراة.

وكانت: سبعة، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان.

وقيل: كانت من زُمُرُّد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب.

---

(١) في أ، ب، هـ: «أول».

﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم.

وكذلك: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾.

وموضع ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: نصبٌ؛ على أنه مفعول ﴿كَتَبْنَا﴾، و﴿مَّوْعِظَةً﴾: بدلٌ منه.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجِدٍّ وحزم(١). والضمير للتوراة.

﴿يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: فيها ما هو حسَنٌ وأحسنُ منه؛ كالقِصاص مع العفو، وكذلك سائر المباحات من المندوبات.

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: دار فرعون وقومِه؛ وهي مصر.

والمعنى: أريكم كيف أَقْفرتْ منهم لما هلَكوا.

وقيل: منازل عاد وثمود ومَن هلك مِن الأمم المتقدِّمة؛ ليعتبروا بها.

وقيل: جهنم.

وقرأ ابن عباس: «سأورثكم» - بالثاء المثلثة -؛ من الوِراثة.

وهي -على هذا- مصرُ؛ لقوله ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآياتُ: يَحتمل - هنا - أن يراد بها:

آيات القرآن وغيرِه من الكتب.

أو العلامات والبراهين.

---

(١) في أ: «وعزم».

والصَّرْف يراد به: صدُّهم عن فَهْمِها وعن الإيمان بها؛ عقوبةً لهم على تكبُّرهم.

وقيل: الصَّرْف: مَنْعُهم من إبطالها.

﴿وَلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون:

من إضافة المصدر إلى المفعول به؛ أي: ولقائِهم الآخرةَ.

أو من إضافة المصدر إلى الظرف.

[﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾].

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد غَيْبته في الطور.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ -بضم الحاء والتشديد-: جمع حَلْيٍ؛ نحو ثَدْيٍ وثُدِيٍّ.

وقرئ بكسر الحاء؛ للإِتْباع.

وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام.

والحْلَيُ: هو ما يُتزيَّن به من الذهب والفضة.

﴿جَسَدًا﴾ أي: جسمًا دون روح. وانتصابُه على البدل.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ الخوار: هو صوت البقر.

وكان السَّامريُّ قد قبَض قبضة من تراب أثَر فرس جبريل يوم قطَع البحرَ، فقذَفه في العجل فصار له خوارٌ.

وقيل: كان إبليس يدخل في جوف العجل فيصيح فيه، فيُسمع له خوار.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ ردٌّ عليهم، وإبطالٌ لمذهبهم الفاسد في عبادته.

﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي: اتَّخذوه إلهًا؛ فحذف المفعول الثاني للعلم به.

وكذلك حذف من قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾.

﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: نَدِموا؛ يقال: سُقِط في يد فلان: إذا عجَز عما يريد، أو وقع فيما يكره.

﴿أَسِفًا﴾ شديدَ الحزن على ما فعلوا.

وقيل: شديد الغضب؛ كقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ أي: قُمتم مقامي.

وفاعل «بئس» مضمرٌ؛ يفسره «ما»، واسم المذموم محذوفٌ.

والمخاطَب بذلك:

إما القوم الذين عبدوا العجل مع السَّامري؛ حيث عبدوا غير الله في غَيْبة موسى عنهم.

أو رؤساءُ بني إسرائيل كهارون ﷺ؛ حيث لم يكفُّوا الذين عبدوا العجل.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظارُ موسى حتى يرجع من الطور؛ فإنهم لما رأوا أنَّ الأمر قد تمَّ ظنوا أن موسى ﷺ قد مات فعبدوا العجل.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ طرحها؛ لِما لحقه من الدَّهَش والضَّجَر؛ غضبًا لله من عبادة العجل.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشَعَر رأسه يجرُّه؛ لأنه ظنَّ أنه فرَّط في كفِّ الذين عبدوا العجل.

﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ كان هارون شقيقَ موسى، وإنما دعاه بأمِّه؛ لأنه أدْعَى إلى العطف والحنُوِّ.

وقرئ: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾:

بالكسر؛ على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء.

وبالفتح؛ تشبيهًا بخمسةَ عشرَ؛ جُعل الاسمان اسمًا واحدًا فبُني.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: لا تظنَّ أني منهم.

أو: لا تجدْ عليَّ في نفسك ما تجدُ عليهم؛ يعني: أصحابَ العجل.

* * *

[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾].

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي: غضبٌ في الآخرة، وذِلةٌ في الدنيا.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أي: سكَن؛ وكذلك قرأ بعضُهم.

وقال الزمخشري: قوله: ﴿سَكَتَ﴾ مَثَلٌ؛ كأنَّ الغضب كان يقول له: أَلْقِ الألواح وجُرَّ برأس أخيك، ثم سكَت عن ذلك(١).

﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ أي: فيما ينسخ منها، والنُّسخة: فُعْلةٌ بمعنى مفعول.

﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: يخافون.

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٥٩٥).

ودخلت اللام؛ لتقدُّم المفعول؛ كقوله: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

وقال المبرِّد: تتعلَّق بمصدر تقديره: رهْبتُهم لربهم.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه سبعين رجلًا، حملهم معه إلى الطور فسَمِعوا[١] كلام الله لموسى، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة؛ عقابًا لهم على قولهم.

وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل، أو لسكوتهم عن[٢] عبادته.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿فَقَالُوٓا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

ويَحتمل أن تكون رجفةَ:

موتٍ.

أو إغماءٍ.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿لَوْ﴾ هنا للتمني؛ أي: تمنَّى أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشغيب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين.

ويَحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرُّع والاستسلام لأمر الله؛ كأنه

---

(١) في ب، ج، هـ: «فيسمعوا».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «على».

قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت؛ فإنَّا عبيدُك وتحت قهرك، وأنت تفعل ما تشاء.

ويَحتمل أن يكون قالها على وجه التضرُّع والرغبة؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، لكنَّك عافَيْتَنا وأبقيتنا فافعلْ معنا الآن كما عوَّدتنا[١]، وأحْيِ هؤلاء القومَ الذين أخذتْهم الرجفةُ.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي: أتهلكُني وتهلكُ بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية، والذين عبدوا العجل.

فمعنى هذا: إدلاءٌ بحجته، وتبرُّؤٌ مِن فعل السفهاء، ورغبةٌ إلى الله أن لا يعمَّ الجميع بالعقوبة.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: الأمور كلها بيدك تضلُّ من تشاء وتهدي من تشاء.

ومعنى هذا: اعتذارٌ عن فعل السفهاء بأنه[٢] كان بقضاء الله ومشيئته.

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تُبْنَا.

وهذا الكلام الذي قاله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هو كلُّه استعطافٌ ورغبة إلى الله وتضرُّع إليه، ولا يقتضي شيئًا مما توهم الجهَّال فيه من الجفاء في قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾؛ لأنَّا قد بينَّا أنه إنما قال ذلك استعطافًا لله، وبراءةً من فعل السفهاء.

---

(١) في أ، ج، د، هـ: «وعدتنا».

(٢) في د: «فإنه».

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ قيل: الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة.

والصحيح: أنه عمومٌ يندرجون فيه مع غيرهم.

وقرئ «من أساءَ» -بالسين وفتح الهمزة-؛ من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال: إنها تصحيفٌ.

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ يَحتمل أن يريد رحمته في الدنيا؛ فيكون خصوصًا في الرحمة، وعمومًا في كل شيء؛ لأنَّ المؤمن والكافر والمطيع والعاصي تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا.

ويَحتمل أن يريد رحمة الآخرة؛ فيكون خصوصًا في كل شيء؛ لأنّ الرحمة في الآخرة مختصَّة بالمؤمنين.

ويَحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق؛ فيكون عمومًا في الرحمة، وفي كل شيء.

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إن كانت الرحمة المذكورة رحمةَ الآخرة: فهي -بلا شكٍّ- مختصَّةٌ بهؤلاء الذين كتبها الله لهم، وهم أمَّة محمد ﷺ.

وإن كانت رحمةَ الدنيا: فهي -أيضًا- مختصة بهم؛ لأن الله نصرهم على جميع الأمم، وأعلى دينَهم على جميع الأديان، ومكَّن لهم في الأرض ما لم يمكِّنْ لغيرهم.

وإن كانت على الإطلاق: فقوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ تخصيصٌ للإطلاق.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء،

وليس ذلك لغير هذه الأمّة.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ هذا الوصف خصّص أمّة محمد ﷺ.

قال بعضهم: لما قال الله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ طمِع فيها كلُّ أحد حتى إبليس، فلما قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يئس إبليس، وبقيت اليهود والنصارى، فلما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الآيةَ: يئس اليهود والنصارى[1].

﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ أي: الذي لا يقرأ ولا يكتب، وذلك مِن أعظم دلائل نبوة محمد[2] ﷺ؛ لأنه أتى بالعلوم الجمّة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال بعضهم: الأُمِّيُّ منسوبٌ إلى الأمِّ، وقيل: إلى الأمّة[3].

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ لبني إسرائيل، وكذلك الضمير في ﴿عِندَهُمْ﴾.

ومعنى ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾: يجدون نعتَه وصفته.

★ ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا ﷺ:

فمن ذلك: ما ورد في البخاري وغيره أنَّ في التوراة من صفة النبي ﷺ:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٨٣-٤٨٤).

(٢) في ج، د: «نبوته».

(٣) في أ، ب، هـ: «للأمة».

«يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحِرْزًا للأُمِّيين، أنت عبدي ورسولي، أسميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب[١] في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[٢]، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيَفتح به عيونًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا»[٣].

ومن ذلك: ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب، وهو باق بأيديهم إلى الآن: «إنَّ الملَك نزل على إبراهيم فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق، فقال إبراهيم: يا ربِّ ليت إسماعيل يعيش يخدمك، فقال الله لإبراهيم: ذلك لك، قد استجيب لك في إسماعيل، وأنا أباركه وأنميه وأكبره وأعظمه بماذْ ماذْ».

وتفسير هذه الحروف: محمد.

ومن ذلك: في التوراة: «إنَّ الربَّ تعالى جاء في طور سيناء، وطلع من ساعِر، وظهر من جبال فَاران».

ويعني بطور سيناء: موضع مناجاة موسى عليه السلام، وساعر: موضع عيسى عليه السلام، وفاران: هي مكة موضع مولد نبينا محمد ﷺ ومبعثه.

ومعنى ما ذُكِر من مجيء الله وطلوعه وظهوره: هو ظهور دينه على يد

---

(١) الذي في الرواية: «سخَّاب» بالسين، وهما بمعنى واحد، قال في النهاية (٥/ ٢٢٨٩): «الصَّخَب والسَّخَب: الضجَّة واضطراب الأصوات للخصام».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ولا تجزي.. تعفو وتصفح»، والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، (٤٨٣٨).

الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع.

وتفسير ذلك: ما في كتاب أشعيا خطابًا لمكة: «قومي فأزْهري مصباحك، فقد دنا وقتك، وكرامةُ الله طالعةٌ عليك، فقد تجلَّل الأرضَ الظلامُ، وغطَّى على الأمم المصاب، والربُّ يشرق عليك إشراقًا، ويُظهِر كرامته عليك، تسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك، وتأمَّلي فإنهم مستجمعون عندك، وتحجُّ إليك عساكر الأمم».

وفي بعض كتبهم: «لقد تقطَّعت السماء من بهاء محمد المحمود، وامتلأت الأرض من حمده، لأنه ظهر بخلاص أمته».

ومن ذلك: في التوراة: «أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملَك فقال لها: يا هاجر أين تريدين؟ ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهربُ من سيدتي سارة، فقال لها: ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدًا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطةً إليه بالخضوع».

ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد ﷺ: أن هذا الذي وعدَها به الملَكُ من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبي محمد ﷺ وظهور دينه وعلوِّ كلمته، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره قبل محمد ﷺ.

ومن ذلك: في التوراة - أيضًا -: «أن الرب يقيم لهم نبيًا من إخوتهم،

وأيُّ رجل لم يسمع الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم[١] الله منه».

ودلالة هذا الكلام ظاهرةٌ بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد ﷺ كبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم.

ومن ذلك: في التوراة: «إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: قد أجبتُ دعاءك في إسماعيل، وباركت عليك، وسيلد اثني عشر عظيمًا، وأجعله لأمة عظيمة».

ومن ذلك: في الإنجيل: «أن المسيح قال للحواريين: أنا ذاهب عنكم، وسيأتيكم البارَقْلِيط الذي لا يتكلَّم من قِبَلِ نفسه، إنما يقول كما يُقال له».

وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد ﷺ في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وتفسير البارقليط: أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا ﷺ محمدٌ وأحمدُ.

وقيل: معنى البارقليط: الشافع المشفع.

ومن ذلك: في التوراة: «أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمته الحمادون».

وبيان ذلك: أن أمته يقرأون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في صلاتهم مرارًا كثيرة في كل يوم وليلة.

وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن

---

(١) في أ، ب، هـ: «ينتقم».

من حِمْيرَ: أن كعبًا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم، قال كعب: وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، وبكُتُب الأنبياء، ولم يكن يدَّخر عني شيئًا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني، فقال: يا بني قد علمتَ أني لم أكن أدَّخر عنك شيئًا مما كنت أعلمُ، إلَّا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظلَّ زمانُه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذَّابين فتتبعه، وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكُوَّة التي ترى وطيَّنت عليهما، فلا تتعرَّض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأَقِرَّهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتَّبعه وانظر فيهما؛ فإن الله يزيدك بذلك خيرًا.

فلما مات والدي لم يكن شيءٌ أحبَّ إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوَّة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: «محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، لا نبي بعده، مولده بمكة، ومُهَاجَره بطيبة، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمَّادون الذي يَحمَدون الله على كل شرف، وعلى كل حال، وتُذلَّل[1] ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيَّهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأْتَزِرون على أوساطهم، وأناجيلُهم في صدورهم، ويأكلون قُربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم

(١) في أ: «وتتذلل».

والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون، والشَّافعون المشفع لهم».

فلما قرأتُ هذا قلت في نفسي: والله ما علَّمني شيئًا خيرًا لي من هذا، فمكثت ما شاء الله حتى بُعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أَقدِر على إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا، وتخوَّفت ما كان والدي حذَّرني وخوفني من ذكْر الكذابين، وجعلت أحبُّ أن أتبيَّن وأتثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة، فقلت في نفسي: إنِّي لأرجو أن يكون إياه، وجعلت ألْتمس السبيلَ إليه، فلم يُقدَّر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: لعلَّه لم يكن الذي كنت أظن.

ثم بلغني أن خليفةً قام مقامه، ثم لم ألبث إلَّا قليلًا حتى جاءتنا جنودُه فقلت في نفسي: لا أدخل في هذا الدين حتى أعلمَ أهم الذين كنت أرجو وأنتظرُ، وأنظرَ كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم.

فلم أزل أدفع ذلك وأؤخِّره لأتبين وأتثبت حتى قدِم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبِرَّهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذي كنت أنتظر، فحدَّثت نفسي بالدخول في دين الإسلام، فوالله إني ذات ليلةٍ فوق سطح لي إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧]،

فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحوَّل وجهي في قفاي، فما كان شيء أحبَّ إليَّ من الصباح، فغدوتُ على عمر فأسلمت حين أصبحت.

وقال كعبٌ لعمر عند انصرافه إلى الشام: يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله: إن هذه البلاد، التي كان فيها بنو إسرائيل، وكانوا أهلها؛ مفتوحةٌ على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سرُّه مثل علانيته، وعلانيته مثل سرِّه، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أُسْدٌ بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون.

فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي والذي أنزل التوراة على موسى والذي يسمع ما نقول إنه لحق.

فقال عمر: الحمد لله الذي أعزَّنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ، وبرحمته التي وسعت كل شيء(١).

ومن ذلك: كتاب فروة بن عمرٍو الجذامي إلى رسول الله ﷺ، وكان من ملوك العرب بالشام، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد رسول الله من فروة بن عمرٍو: إني مقرٌّ بالإسلام مصدِّقٌ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وأنه الذي بشَّر به عيسى ابن مريم عليه السلام»، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجَنه فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدًا

(١) أخرجه الواقدي في فتوح الشام (ص: ٢٣٣-٢٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ١٦١).

فإنك تعرف أنه النبي الذي بشَّر به عيسى بن مريم، ولكنك حرصتَ على ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدَق والإنجيل[(١)].

ويشهد لهذا ما خرَّجه البخاري ومسلم من كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع قدميَّ، ولو خلَصت إليه لغسلت قدميه[(٢)].

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه - وهو عندنا بالإسناد - أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلى الشام، قال: فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببِطْريقٍ قد قبض على عنقي، فذهبت أُنازعُه فقيل لي: لا تفعل فإنه لا نَصَفَ لك منه، فأدخلني كنيسةً فإذا تراب عظيم ملقًى، فجاءني بزنبيل ومِجْرفة فقال لي: انقل ما هاهنا، فجعلت أنظرُ كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوبٌ أرى سائر جسده منه، فقال: أثنك على ما أرى ما نقلت شيئًا!، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي، فقلت: واثكل أمِّك يا عمر، أبلغتَ ما أرى؟، ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامتَه فنشرتُ دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير، فسرت بقية يومي وليلتي من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى ديرٍ فاستظللت بفنائه، فخرج إليَّ رجل منه فقال لي: يا عبد الله ما يُقعِدك هنا؟ فقلت: أَضللتُ أصحابي، فقال لي: ما أنت على طريقٍ وإنك لتنظر بعيني

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في المنتظم (٤/ ٩) بمعناه، وذكره الكلاعي في «الاكتفاء» (٢/ ٢٦) بلفظه، وعزاه إلى الواقدي وأنه ذكره بإسناده، وقد ذكر الكلاعي في مقدمة كتابه أنه ينقل من كتاب المبعث للواقدي.

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

خائف!، فادخُلْ فأَصب من الطعام واسترحْ، فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطعمني، ثم صعَّد فيَّ النظر وصوَّبه، فقال: قد علم والله أهل الكتاب أو الكتب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب أو بالكتب مني، وإني لأرى صفتكَ الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلتُ: يا هذا لقد ذهبتَ بي في غير مذهب!، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبُنا، فاكتب لي على ديري هذا وما فيه، فقلت: يا هذا إنك قد صنعت إليَّ صنيعةً فلا تكدِّرْها، فقال: إنما هو كتاب في رَقٍّ، فإن كنت صاحبنا فذلك، وإلا لم يضرَّك شيءٌ، فكتب[1] له على ديره وما فيه، فأتاني بثياب ودراهم فدفعها إليَّ ثم أَوْكَفَ أتانًا فقال لي: أتراها؟ فقلت: نعم، قال: سِرْ عليها، فإنك لا تمرُّ بقومٍ إلَّا سَقَوْها وعلفوها وأضافوك، فإذا بلغت مَأْمَنك فاضربْ وجهها مدبرةً فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إليَّ، قال: فركبتها فكان كما قال، حتى لحقتُ بأصحابي وهم متوجِّهون إلى الحجاز، فضربتُها مدبرةً وانطلقتُ معهم.

فلما وافى عمرُ الشامَ في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس، فلما رآه عرفه، فقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدَّثهم بحديثه، فلما فرَغ منه أقبل على الراهب فقال: هل عندكم من نفعٍ للمسلمين؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إن أضفتم المسلمين ومرَّضتموهم وأرشدتموهم فعلْنا ذلك، قال: نعم يا أمير المؤمنين فوفَّى له عمر رضي الله عنه ورحمه[2].

---

(١) في د: «فكتبتُ».

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٦)، (٦٤/ ٢٨٩).

وعن سيف[(١)] يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال: السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء[(٢)].

ومن ذلك أن عمرو بن العاص قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلى عُمان واليًا عليها، فجاءه يومًا يهودي من يهود عمان فقال له: أنشُدكَ بالله، مَن أرسلك إلينا؟ فقال له: رسول الله ﷺ، فقال اليهودي: والله إنك لتعلم أنه رسول الله؟، قال عمرو: نعم، فقال اليهودي: لئن كان حقًّا ما تقول لقد مات اليوم.

فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهوديُّ أن النبي ﷺ مات فيه، ثم خرج فأُخبِر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق، ووجده قد مات في ذلك اليوم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم وبارك وشرَّف وكرَّم[(٣)].

ومن ذلك: أن وفد غسَّان قدموا على رسول الله ﷺ فلقيهم أبو بكر الصديق فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: رهطٌ من غسان قدمنا على محمد لنسمع

---

(١) هو سيف بن عمر التميمي الضبي، صاحب كتاب «الردة والفتوح» وغيره. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٦٤١)

(٢) لعله ذكر هذا في كتابه الردّة والفتوح، والمطبوع منه ناقص، يبدأ من قصة استشهاد عمر ﷺ وحديث الشورى، وقد أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٦١) عن سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم، وأخرجه الطبر ي في تاريخه عن سالم بن عبد الله (٣/ ٦٠٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٥٨).

كلامه، فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم ائتوا رسول الله ﷺ، فكلِّموه، فقالوا: وهل نقدر على كلامه كما أردنا؟ فتبسَّم أبو بكر وقال: إنه ليطوف بالأسواق، ويمشي وحده، ولا شرطةَ معه، ويرعب[١] من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا أبو بكر ابن أبي قحافة، فقالوا: أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله، فقال لهم: كيف تخدعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا[٢].

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

من وصف النبي ﷺ في التوراة؛ فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾.

أو تفسير لما كُتِب من ذِكْره.

أو يكون استئنافَ وصفٍ من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ مذهب مالك: أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام.

ومذهب الشافعي: أن الطيبات هي المستلَذَّات، إلَّا ما حرمه الشرع منها؛ كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات؛ كالخنافس والعقارب وغيرها.

---

(١) في أ، د: «ويرغب».

(٢) ذكره الكلاعي في الاكتفاء (١/ ٦١٧) عن الواقدي.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ هي مثل ما(١) كُلِّفوا في شرعهم من المشقَّات؛ كقتل الأنفس في التوبة(٢)؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب.

وكذلك ﴿ الْأَغْلَـٰلَ ﴾ عبارةٌ عما مَنعت منه شريعتهم؛ كتحريم الشُّحوم، وتحريم العمل يوم السبت، وشبه ذلك.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: منعوه بالنَّصر؛ حتى لا يقوى عليه عدوٌّ.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ هو القرآن، أو الشرع كله.

ومعنى ﴿مَعَهُۥٓ﴾: مع بعثه ورسالته.



(١) في ج، د: «هو مثل لما».
(٢) في أ، ب، هـ: «التوراة».

[﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾].

﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ تفسيره: قوله ﷺ: «وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»(١).

فإعراب ﴿جَمِيعًا﴾: حالٌ من الضمير في ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ نعتٌ لله.

أو منصوبٌ على المدح بإضمار فعل.

أو مرفوعٌ على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء.

---

(١) هو جزء من حديث: «نصرت بالرعب..» وقد تقدم تخريجه في ١/ ٥٨٤.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى. (أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره)[١].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي: فرَّقناهم[٢].

﴿أَسْبَاطًا﴾ السِّبْط في بني إسرائيل: كالقبيلة في العرب.

وانتصابه:

على البدل من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾، لا على التمييز؛ فإن تمييز ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ لا يكون إلَّا بمفرد.

وقال الزمخشري: على التمييز؛ لأن كل قبيلة أسباطٌ لا سبط[٣].

﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ أي: انفجرت؛ إلَّا أن الانبجاسَ أخفُّ من الانفجار.

وقال الغَزنوي: الانبجاس: أول الانفجار[٤].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ وما بعده إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾: مذكورٌ في «البقرة»[٥].

تنبيه: وقع اختلافٌ في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين[٦]

---

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) في أ، ب: «مزَّقناهم».

(٣) انظر: الكشاف (٦/ ٦٢٠).

(٤) انظر: عين المعاني «مخطوط» (ل: ٢٦٩)، للغزنوي السجاوندي، تقدمت ترجمته في ١/ ٩٢.

(٥) انظر: ١/ ٣١٧.

(٦) في أ، ب، هـ: «وفي».

سورة «البقرة»؛ كقوله: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ و﴿فَانبَجَسَتْ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾، وقوله: ﴿وَكُلُوا﴾ و﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء:

فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض[١].

وعلَّلها شيخُنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب: «مِلاك التأويل»[٢] وصاحبُ الدُّرة[٣] بتعليلات؛ منها قوية وضعيفة فيها طول فتركناها؛ لطولها.



(١) انظر: الكشاف (٦/ ٦٢٦).

(٢) انظر: ملاك التأويل (١/ ٢٠٣) وما بعدها.

(٣) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، انظر كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/ ٢٣٣) وما بعدها.

[﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ
إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ
نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا
الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾
فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ
إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ
عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ
الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ
﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾].

﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ أي: اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ.

﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ قيل: هي أَيْلَة، وقيل: هي طَبَريَّة، وقيل: مَدْين.

﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبةً منه، أو على شاطئه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون حدَّ الله فيه؛ وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نُهُوا عنه.

وموضع ﴿إِذْ﴾:

بدلٌ من ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ والمراد: أهلها، وهو بدل اشتمال.

أو منصوبٌ بـ ﴿كَانَتْ﴾، أو بـ ﴿حَاضِرَةَ﴾.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم؛ ابتلاءً لهم؛ إذ كان صيدُها محرَّمًا عليهم في السبت، وتَغِيبُ عنهم في سائر الأيام.

و﴿سَبْتِهِمْ﴾ مصدرٌ من قولك: سبَت اليهودي يَسْبِتُ: إذا عظَّم يوم السبت.

ومعنى ﴿شُرَّعًا﴾: ظاهرةً قريبةً منهم؛ يقال: شرَع منا فلان: إذ دنا.

و﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾:

منصوبٌ بـ ﴿يَعْدُونَ﴾.

أو بدلٌ من ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ الآيةَ؛ افترقت بنو إسرائيل ثلاثَ فرق:

فرقة عصتْ بالصيد يوم السبت.

وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت.

وفرقة سكتت واعتزلت، فلم تنْهَ ولم تعْصِ.

وإنَّ هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيانَ العاصية قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قومًا يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم، فقالت الناهية:

نهاهم معذرةً إلى الله ولعلهم يتقون.

فهلَكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختُلف في الثالثة: هل هلكت؛ لسكوتها؟ أو نجت؛ لاعتزالها وتركها العصيانَ؟.

﴿بِعَذَابِۭ بِيسِۭ﴾ أي: شديد.

وقرئ بالهمز، وتركِه، وقرئ على وزن «فَعِيل»، وعلى وزن «فَيْعَل»؛ وكلُّها من معنى البؤس.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ أي: لما تكبَّروا عن ما نهوا عنه.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ ذُكِر في «البقرة»[1].

والمعنى: أنهم عُذِّبوا أولًا بعذاب شديد، فعَتَوْا بذلك، فمُسِخوا قردة.

وقيل: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ﴾ تكرارٌ لقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾، والعذاب البِيسُ: هو المسخ.

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عزَم؛ وهو من الإيذان بمعنى الإعلام.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآيةَ؛ أي: يسلِّط عليهم، ومن ذلك: أخذُ الجزية، وهوَانُهم في جميع البلاد.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: فرَّقناهم في البلاد، ففي كل بلدةٍ فرقةٌ منهم، فليس لهم إقليم يملكونه.

---

(١) انظر (١/ ٣٢٣).

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ هم من أسلم؛ كعبد الله بن سلَام، أو[1] من كان صالحًا من المتقدمين منهم.

﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: بالنِّعم والنِّقم.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: حدَث بعدهم قومُ سوءٍ.

والخَلف بسكون اللام: ذمٌّ، وبفتحها: مدحٌ.

والمراد: مَن حدث من اليهود بعد المذكورين.

وقيل: المراد: النصارى.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: عرَض الدنيا.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذلك اغترارٌ منهم وكذب.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال؛ أي: يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم.

﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ إشارةٌ إلى كَذِبهم في قولهم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

وإعراب ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟﴾:

عطفُ بيانٍ على ﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

أو تفسيرٌ له.

أو تكون «أن» حرف عبارةٍ وتفسير.

---

(١) في أ، ب، هـ: «و».

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف؛ وهما بمعنًى واحدٍ.

وإعراب ﴿الَّذِينَ﴾:

عطفٌ على ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

أو مبتدأٌ وخبره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾؛ وقام ذِكْرُ المصلحين مقامَ الضمير؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: اقتلَعْنا الجبل ورفعناه فوق بني إسرائيل وقلنا لهم: خذوا التوراة حين أبَوا مِن أَخْذِها.

وقد تقدَّم في «البقرة» تفسير الظُّلة[1]، و﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾[2].



(١) انظر: (١/ ٤٢٧).

(٢) انظر: (١/ ٣٢٣).

[﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ
مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا
ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى
وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ
وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآيةَ؛ في معناها قولان:

أحدهما: أن الله لما خلق آدم أخرج ذُرِّيته من صلبه وهم مثل الذرِّ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربُّهم، فأقرُّوا بذلك والتزموه.

روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة، وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم.

والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارةٌ عن إيجادهم

في الدنيا، وأما إشهادهم فمعناه: أن الله نصَب لبني آدم الأدلةَ على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم: ألست بربكم وكأنهم قالوا[1] بلسان الحال: بلى أنت ربُّنا.

والأول هو الصحيح؛ لتواتر الأخبار به، إلَّا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عَدَل عنه مَن قال بالقول الآخر، وإنما تُطابِقُه بتأويل؛ وذلك أن أخْذ الذرية إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم!.

والجمع بينهما: أنه ذَكر بني آدم في الآية والمراد آدم؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] الآيةَ، على تأويل: لقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه.

وقال الزمخشري: إن المراد ببني آدم: أسلافُ اليهود، والمراد بذرِّيتهم: من كان في عصر النبي ﷺ منهم[2].

والصحيح المشهور: أن المراد جميع بني آدم حسَبما ذَكرنا.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ قولهم ﴿بَلَىٰ﴾: إقرارٌ منهم بأن الله ربهم؛ فإن تقديره: أنت ربنا؛ فإن «بلى» بعد التقرير تقتضي الإثبات، بخلاف «نعم»؛ فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس في هذه الآية: لو قالوا: «نعم» لكفروا.

---

(١) في أ، ج، هـ: «وقالوا».

(٢) انظر: الكشاف (٦/ ٦٤٩).

وأما قولهم: ﴿شَهِدْنَا﴾ فمعناه: شهدنا بربوبيتك؛ فهو تحقيقٌ لربوبية الله، وأداءٌ لشهادتهم بذلك عند الله.

وقيل: إن ﴿شَهِدْنَا﴾ من قول الله والملائكة؛ أي: شهدنا على بني آدم باعترافهم.

﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله؛ أي: فعَلْنا ذلك كراهةَ أن تقولوا، فهو من قول الله، لا من قولهم.

وقرئ:

بالتاء؛ على الخطاب لبني آدم.

وبالياء؛ على الإخبار عنهم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل، بعثه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ملك مَدْين داعيًا إلى الله، فرشاه الملِك، وأعطاه المُلْك على أن يترك دين موسى ويتابع الملِك على دينه ففعل، وأضلَّ الناس بذلك.

وقال ابن عباس: هو رجل من الكنعانيين اسمه بَلْعَام، كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين - وهم الجبارون - سألوا من بلعام أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحُّوا عليه حتى دعا عليه (أن لا يدخل المدينة، ودعا موسى عليه)[١].

(١) سقط من أ، ب، هـ.

فالآيات التي أُعطِيَها:

على هذا القول: هي اسم الله الأعظم.

وعلى قول ابن مسعود: هي ما علَّمه موسى من الشريعة.

وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هو أمية بن أبي الصلت، وكان قد أوتي علمًا وحكمةً، وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر، ثم رجع عن ذلك فمات كافرًا، وفيه قال النبي ﷺ: «**كاد أميةُ بن أبي الصلت أن يسلم**»(١).

فالآيات على هذا: ما كان عنده من العلم.

والانسلاخ: عبارةٌ عن البُعْد والانفصال منها، كالانسلاخ من الثياب والجلد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي: لرفعنا منزلتَه بالآيات التي كانت عنده.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ عبارةٌ عن فعله لِما سقطَتْ به منزلتُه عند الله.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ أي: صِفَتُه كصفة الكلب؛ وذلك غايةٌ في الخسَّة والرداءة(٢).

﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ اللَّهَثُ: هو تنفُّسٌ بسرعة، وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

(٢) في د: «والرذالة».

مع الحرِّ والتعب، وهي حالةٌ دائمة للكلب.

ومعنى ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: إن تفعل معه ما يشقُّ عليه من طرد أو غيره، ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ دون أن تحملَ عليه: فهو يلهث على كل حال.

ووجه تشبيه ذلك الرجل به:

أنه إن وعَظْته فهو ضالٌّ، وإن لم تعِظْهُ فهو ضالٌّ، فضلالته على كل حال؛ كما أن لهَث الكلب على كل حال.

وقيل: إن ذلك الرجل خَرج لسانُه على صدره، فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقةً.

﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: صفة المكذبين كصفة الكلب في لهثه، أو كصفة الرجل المشبَّه به؛ لأنهم إن أُنذِروا لم يهتدوا، وإن تُرِكوا لم يهتدوا.

أو شبَّههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعْهم، كما أن الرجل لم ينفعْه ما كان عنده من الآيات.

﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ أي: مثلُ القوم.

﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾ قدَّم هذا المفعول؛ للاختصاص والحصر.

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ هم الذين عَلِم اللهُ أنهم يدخلون النار بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك، كما جاء في قوله: «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٦٠).

﴿لَا يُبۡصِرُونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفي الفهم والسمع والبصر جملةً؛ وإنما المعنى: نفيُها عما ينفع في الدين.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»[١].

وسبب نزول الآية: أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ، فيذكر الله مرةً، والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أنَّ الإلهَ واحد وها هو يعبد آلهة كثيرة؛ فنزلت الآية مبينةً أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمًى واحدٍ.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ مصدر وُصِف به، أو تأنيث «أحسن».

وحُسْنُ أسماء الله: هي أنها صفات مدحٍ وتعظيم وتمجيد[٢].

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ أي: سمُّوه بأسمائه، وهذا إباحةٌ لإطلاق الأسماء على الله[٣] تعالى:

فأمَّا ما ورد منها في القرآن أو في الحديث: فيجوز إطلاقه على الله إجماعًا.

وأمَّا ما لم يرد، وفيه مدحَ لا تتعلَّق به شبهة:

فأجاز أبو بكر ابن الطيب إطلاقَه على الله.

ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفةٌ على

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) في ب، هـ: «وتحميد».

(٣) في أ، هـ: «الإله».

ما ورد في القرآن والحديث.

وقد ورد في «كتاب الترمذي» عِدَّتها؛ أعني: تعيين التسعة والتسعين[(١)]، واختَلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ أو موقوفة على أبي هريرة؟.

وإنما الذي ورد في الصحيح كونُها تسعةً وتسعين من غير تعيين.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ قيل: معنى «ذروا»: اتركوهم لا تحاجُوهم ولا تتعرَّضوا لهم؛ فالآية -على هذا- منسوخةٌ بالقتال.

وقيل: معنى «ذروا»: الوعيد والتهديد؛ كقوله: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: ١١]، وهو الأظهر؛ لما بعده.

وإلحادهم في أسماء الله:

هو ما قال أبو جهل، فنزلت الآية بسببه.

وقيل: تسميته بما لا يليق به.

وقيل: تسمية الأصنام باسمه، كاشتقاقهم اللَّات من الله، والعُزَّى من العزيز.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾ الآيةَ؛ روي أن النبي ﷺ قال: «هذه الآية لكم، وقد تقدَّم مثلُها لقوم موسى»[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٠٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٠).

[﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝١٨٣ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾].

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الاستدراج: استفعالٌ من الدَّرجة؛ أي: نسوقهم إلى الهلاك شيئًا بعد شيء وهم لا يشعرون.

والإملاء: هو الإمهال مع إرادة العقوبة.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سمَّى فعله بهم كيدًا؛ لأنه شبيهٌ بالكيد في أن ظاهره إحسانٌ وباطنه خذلان(١).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ يعني بصاحبهم: النبيَّ ﷺ، فنفى عنه ما نَسب له المشركون من الجنون.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله «سمَّى فعله بهم كيدًا» إلخ، يتضمن أن ما يفعله الرب ﷻ بالكافرين من الاستدراج ليس بكيد حقيقةً، بل مجرد تسلية، فهو كيد لفظا لا معنى، وهذا خطأ؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره بلا موجب، كيف وقد أكده الله بالمصدر المؤكَّد بقوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؟! فهو تعالى يكيد الكافرين ويمكر بهم، جزاءً على كيدهم ومكرهم، جزاءً وفاقا.

ويَحتمل أن يكون قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾:

معمولًا لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيُوصَل به، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلموا أنه ما بصاحبهم من جنة.

ويَحتمل أن يكون الكلام قد تمَّ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، ثم ابتدأ إخبارًا مستأنفًا بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾.

والأول أحسن.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ يعني: نظرَ استدلال.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطفٌ على الملكوت.

ويعني بقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾: جميعَ المخلوقات؛ إذ جميعُها دليلٌ على وَحدانية خالقها.

﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ «أن» الأولى: مخففة من الثقيلة، وهي عطف على الملكوت.

و«أن» الثانية: مصدرية؛ في موضع رفعٍ بـ﴿عَسَىٰ﴾.

و﴿أَجَلُهُمْ﴾ يعني: موتَهم.

والمعنى: لعلهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلِّصهم عند الله قبل حلول الأجل.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ السائلون: اليهود، أو قريش.

وسُمِّيت القيامة ساعةً؛ لسرعة حسابها؛ كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ

إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ معنى ﴿أَيَّانَ﴾: متى.

و﴿مُرْسَىٰهَا﴾: وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء؛ بمعنى الثبوت.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ أي: استأثرَ اللهُ بعلم وقت وقوعها، ولم يطَّلع عليه أحدٌ.

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ معنى ﴿يُجَلِّيهَا﴾: يُظْهِرها؛ فهو من الجلاء ضدّ الخفاء.

واللام في ﴿لِوَقْتِهَآ﴾ ظرفيةٌ؛ أي: عندَ وقتها.

والمعنى: لا يُظْهِر الساعةَ عند مجيءِ وقتِها إلَّا اللهُ.

﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

الأول: ثقلت على أهل السموات والأرض؛ لهيبتها عندهم، وخوفِهم منها.

والثاني: ثقلت على[1] السموات والأرض أنفسِها؛ لتفطر السماء فيها، وتبديل الأرض.

والثالث: معنى ﴿ثَقُلَتْ﴾: ثقل علمها؛ أي: خفي.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ الحفيُّ بالشيء: هو المُهْتَبِلُ به المعتنِي به.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «أهل»، والصواب عدم ذكرها كما في المحرر الوجيز (٤/ ١٠٥) وكما يقتضيه السياق.

والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بعِلْمها.

وقيل المعنى: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم؛ لقرابتك منهم.

فـ ﴿عَنْهَا﴾ -على هذين القولين- يتعلَّق بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾.

وقيل المعنى: يسألونك كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ براءةٌ من علم الغيب، واستدلالٌ على عدم علمه.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ عطفٌ على: ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير، واحترست من السوء[1]، ولكن لا أعلمه؛ فيصيبُني ما قُدِّر لي من الخير والشر.

وقيل: إن قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ استئنافُ إخبارٍ؛ والسوء -على هذا-: هو الجنون.

واتِّصالُه بما قبله أحسن.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلَّق بـ ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ معًا؛ أي: أبشر المؤمنين وأنذرهم.

وخصَّ بهم البِشارة والنِّذارة؛ لأنهم الذين ينتفعون بهما.

ويجوز أن يتعلَّق بالبشارة وحدها، ويكون المتعلَّق بـ ﴿نَذِيرٌ﴾ محذوف؛ أي: نذير للكافرين.

والأول أحسن.

---

(١) في د: «الشر».

[﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾].

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ.

﴿زَوْجَهَا﴾ يعني: حوَّاء.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يميل إليها ويستأنس بها.

﴿تَغَشَّىٰهَا﴾ كنايةٌ عن الجماع.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ أي: خفَّ عليها، ولم تَلْقَ منه ما يلقى بعض الحُبَالى من حملهنَّ مِن الأذى والكرب.

وقيل: الحمل الخفيف: المنيُّ في فرجها.

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قيل معناه: استمرَّت به إلى حين ميلاده.

وقيل: قامت وقعدت.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي: ثقُلَ حملُها وصارت به ثقيلةً.

﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ أي: ولدًا صالحًا سالمًا في بدنه.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شِرْكًا فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ أي: لما آتاهما ولدًا صالحًا كما طلبا: جعل أولادُهما له شركاءَ.

فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾؛ أي: فيما آتى أولادَهما وذريَّتَهما.

وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس فقال لها: إن أطعتِني وسمَّيت ما في بطنك عبد الحارث فسأخلِّصه لك - وكان اسم إبليس الحارث -، وإن عصيتِني في ذلك قتلته. فأخبرتْ بذلك آدم، فقال لها: إنه عدوُّنا الذي أخرجَنا من الجنة، فلما وَلدت مات الولد، ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك، فعصته فمات الولد، ثم حملت مرة ثالثة فسمَّياه عبد الحارث؛ طمعًا في حياته.

فقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شِرْكًا فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ أي: في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله.

والقول الأول أصحُّ؛ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه يقتضي براءةَ آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء عليهم السلام.

والثاني: أنه يدلُّ على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته: قولُه[1] تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع.

والثالث: أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة.

وقيل: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: هو قصي بن كلاب وزوجته، و﴿جَعَلَا لَهُۥ شِرْكَآءَ﴾ أي: سمَّيا أولادَهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف.

وهذا القول بعيدٌ؛ لوجهين:

أحدهما: أن الخطاب - على هذا - خاصٌّ بذرية قصيٍّ من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم.

والآخر: قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فإن هذا يصح في حواء؛ لأنها خلقت من ضِلَعِ آدم، ولا يصحُّ في زوجة قصي.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ هذه الآية ردٌّ على المشركين من بني آدم.

والمراد بقوله: ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾: الأصنامُ وغيرها مما عُبِد من دون الله.

والمعنى: أنها مخلوقة غير خالقة، والله تعالى خالق غير مخلوق؛ فهو الإله وحده.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ **المعنى**: أن الأصنام لا ينصرون مَن عبدَهم، ولا ينصرون أنفسَهم؛ فهم في غاية العجز والذِّلة،

---

(١) في د: «بدليل قوله».

فكيف يكونون آلهة؟!.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ المعنى: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تَهتدي، أو إلى أن تَهدِي[1]؛ لأنها جمادات.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ تأكيدٌ وبيان لما قبلها.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾؛ فوَضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية؟ وهلَّا قال: أو صمتُّم؟.

فالجواب: أنَّ صمْتَهم عن دعاء الأصنام كانت حالةً مستمرة، فعبَّر عنها بجملة اسمية؛ لتقتضيَ الاستمرارَ على ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ردٌّ على المشركين؛ فإن آلهتهم عبادٌ، فكيف يُعبَد العبدُ مع ربِّه؟!.

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ أمرٌ على جهة التعجيز.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ وما بعده؛ معناه: أن الأصنام جماداتٌ عادمة للحسِّ والجوارح والحياة، وما كان كذلك لا يكون إلهًا؛ فإنَّ مِن وصف الإله: الإدراك والحياة والقدرة.

وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرُّون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطِش ولا تُبصِر ولا تسمع؛ فلزمتهم الحجة.

والهمزة في قوله: ﴿أَلَهُمْ﴾ للاستفهام مع التوبيخ.

---

(١) في ب: «إذا دعيت أن تهدي أو إلى أن تهدَى».

و﴿أَمْ﴾ في المواضع الثلاثة: تضمَّنت معنى الهمزة ومعنى «بل»، وليست عاطفةً.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ المعنى: استنجدوا[1] أصنامكم لمضرَّتي والكيدِ عليّ، ولا تؤخِّروني؛ فإنكم وأصنامَكم لا تقدرون على مضرَّتي.

ومقصود الآية: الردُّ عليهم ببيان عجْزِ أصنامهم، وعدم قدرتها على المضرَّة.

وفيها -أيضًا- إشارةٌ إلى أن التوكل: على الله، والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء، ثم أفصح بذلك في قوله:

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ أي: هو ناصري وحافظي منكم، فلا تضرونني، ولو حرَصتم أنتم وآلهتُكم على مضرَّتي.

ثم وصف اللَّه بأنه: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وبأنه: ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، وفي هذين الوصفين استدلالٌ على صدق النبي ﷺ؛ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولَّى حِفْظَه، ومن تولى اللهُ حفظَه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقًا في قوله؛ لا سيما فيما يقوله على الله.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على المشركين، وقد تقدَّم معناه.

---

(١) في د، هـ: «استجدوا».

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ﴾ يَحتمل:

أن يريد الأصنام؛ فيكون تحقيرًا لها، وردًّا على من عبدها؛ فإنها جمادٌ مواتٌ لا تسمع شيئًا، فيكون المعنى كالذي تقدَّم.

أو يريد الكفار، ووصَفهم بأنهم لا يسمعون يعني: سمعًا ينتفعون به؛ لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبَع على قلوبهم.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام: فقوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ مجازٌ، وقوله: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ حقيقة؛ لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئًا.

وإن كان من وصف الكفار: فـ﴿يَنظُرُونَ﴾ حقيقة، و﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ مجازٌ على وجه المبالغة؛ كما وصفهم بأنهم لا يسمعون.

[﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾].

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسَّر لا ما يشقُّ عليهم؛ لئلا ينفروا.

فالعفو -على هذا- بمعنى: السَّهل والسَّمح عنهم(١)، وهو ضد الجَهْد(٢) والتكلُّف(٣)، كقول الشاعر:

خذي العَفْوَ مني تستديمي مودَّتي(٤)

والآخر: أن المعنى: خذ في الصَّدقات ما سَهُلَ على الناس في أموالهم،

---

(١) في أ، ب، هـ: «عندهم».

(٢) في ب، ج، هـ: «الجهل».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «والتكليف».

(٤) هذا صدر بيت لأسماء بن خارجة الفزاري، أحد الأجواد المعدودين، وهو في طبقة التابعين، وعجزه: «ولا تَنطِقي في سَوْرتي حين أغضبُ». انظر: فوات الوفيات (١/ ١٦٩).

أو ما فضَل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة.

فالعفو -على هذا- بمعنى: السَّهل، أو بمعنى الكثرة.

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف؛ وهو أفعال الخير.

وقيل: العرف: الجاري بين الناس من العوائد.

واحتجَّ المالكية بذلك على الحكم بالعوائد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم، واحلُمْ عنهم.

ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبريل عنها، فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع فقال: «يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعكْ، وتعطيَ من حرمك، وتعفوَ عمن ظلمك»(١).

وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق(٢).

وهي -على هذا- ثابتة الحكم؛ وهو الصحيح.

وقيل: كانت مداراةً للكفار، ثم نُسِخت بالقتال.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ نزْغُ الشيطان: وسوستُه بالتَّشكيك في الحق، والأمرِ بالمعاصي، أو تحريكُ الغضب.

فأمَر الله بالاستعاذة منه عند ذلك، كما ورد في الحديث: «أن رجلًا اشتد غضبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما به:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٤٣).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ ٣١٨) عن جعفر الصادق بدون إسناد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[(١)].

﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ معناه: لِمَّة منه، كما جاء: «إن للشيطان لمة، وللملَك لمة»[(٢)].

ومن قرأ ﴿طَآئِفٌ﴾ - بالألف -: فهو اسم فاعل.

ومن قرأ ﴿ طَيْفٌ ﴾ - بياء ساكنة -: فهو مصدر، أو تخفيف من طيِّف المشدَّد؛ كميِّت ومَيْت.

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ حُذِف مفعوله ليعمَّ كلَّ ما يُتَذكَّرُ من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه، أو النظر والاعتبار وغير ذلك.

﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب.

﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾ الضمير في ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ لـ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، وأريد بقوله: ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ الجنس؛ فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، و﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ هم الكفار.

ومعنى ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾: يكونون مددًا لهم؛ أي: يعضُدونهم.

وضمير المفعول في ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾ للكفار، وضمير الفاعل لـ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.

ويَحتمل أن يريد بالإخوان: الشياطين، ويكون الضمير في ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ للكفار.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في الكبري (١٠/ ٣٧).

والمعنى على الوجهين: أن الكفار يمدهم الشيطان.

وقرئ ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾: بضم الياء، وفتحها؛ والمعنى واحد.

و﴿فِي ٱلْغَيِّ﴾: يتعلَّق بـ ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾.

وقيل: يتعلَّق بـ ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾؛ كما تقول: إخوة في الله، أو في الشيطان.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يُقْصِر الشياطين عن إمداد إخوانهم من الكفار.

أو: لا يُقصِر الكفار عن غيِّهم.

وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم؛ لالتزام الصاد قبل الراء في ﴿مُّبْصِرُونَ﴾ و﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ الضمير في ﴿لَمْ تَأْتِهِم﴾ للكفار.

و﴿لَوْلَا﴾ هنا عرْضٌ.

وفي معنى ﴿ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ قولان:

أحدهما: اخترعْتها من قِبَلِ نفسك.

فالآية -على هذا-: من القرآن، وكان النبي ﷺ يتأخَّر عنه الوحي أحيانًا، فيقول الكفار: هلَّا جئتَ بقرآن من قولك!.

والآخر: أن معناها: طلبتَها من الله، وتخيَّرتها عليه.

فالآية - على هذا -: معجزةٌ؛ أي: يقولون: اطلب المعجزة من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ معناه:

لا أخترعُ القرآن؛ على القول الأول.

ولا أطلبُ آيةً من الله؛ على القول الثاني.

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ أي: علاماتُ هدى، والإشارة إلى القرآن.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ **فيها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن الإنصات المأمور به: هو لقراءة الإمام في الصلاة.

والثاني: أنه الإنصات للخطبة.

والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الرَّاجح؛ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه.

والثاني: أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال بعضهم: الرَّحمة أقرب شيءٍ إلى مستمع القرآن؛ لهذه الآية.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ يَحتمل أن يريد:

الذِّكرَ بالقلب دون اللسان.

أو الذِّكر باللسان سرًّا.

فعلى الأول: يكون قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ عطفًا مغايِرًا؛ أي: حالةً أخرى.

وعلى الثاني: يكون بيانًا وتفسيرًا للأول.

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ أي: في الصباح والعشيِّ.

و«الآصال»: جمع أُصُل؛ والأُصُل جمع أَصِيلٍ.

قيل: المراد: صلاة الصبح والعصر.

وقيل: صلاة المسلمين.

وقيل: فرض الخمس.

والأظهر الإطلاق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام.

وفي ذِكْرهم تحريضٌ للمؤمنين وتعريضٌ بالكفار.

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ قدَّم المجرور لمعنى الحصر؛ أي: لا يسجدون إلَّا له وحده.



﴿ سورة الأنفال ﴾

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها.

[﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨ ﴾].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والسَّائلون: هم الصحابة.

و﴿ٱلۡأَنفَالِۖ﴾: هي الغنائم.

وذلك أن الصحابة كانوا يوم بدر ثلاث فرقٍ:

فرقة مع النبي في العريش تحرسه وتؤنسه.

وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم.

وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا.

فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كلُّ فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية.

ومعناها: يسألونك عن حكم الغنيمة ومَن يستحقُّها.

وقيل: الأنفال هنا: ما ينفِّله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً على حظِّه.

وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التَّنفيل(١) من الخمس - وهو قول مالك -؟ أو من الأربعة الأخماس؟ أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس؟.

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: الحكم فيها لله وللرسول، لا لكم.

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: اتَّفقوا وائتلفوا، ولا تنازعوا.

و﴿ذَاتَ﴾ هنا بمعنى: الأحوال؛ قاله الزمخشري(٢).

وقال ابن عطية: يراد بها في هذا الموضع: نفسُ الشيء وحقيقته(٣).

وقال الزُّبيدي(٤): إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب(٥).

---

(١) في أ، ب، هـ: «المتنفَّل».
(٢) انظر: الكشاف (٧/ ١٠).
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٣).
(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي الأندلسي الإشبيلي النحوي، صاحب «مختصر العين» و«طبقات النحويين»، و«لحن العوام» وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٣٧٩هـ) انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (١/ ٢٥١٨)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٨٤).
(٥) انظر: لحن العوام (ص: ١٢).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ يريد: في الحكم في الغنائم.

قال عبادة بن الصامت: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسوله ﷺ فقسَمها على السَّواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين[(١)].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيةَ؛ أي: الكاملون الإيمان، فـ﴿إِنَّمَا﴾ هنا للتأكيد والمبالغة، لا للحصر[(٢)].

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت، وقرأ أبي بن كعب: «فَزِعَتْ».

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: قَوِي تصديقهم ويقينهم، خلافًا لمن قال: إن الإيمان لا يزيد، وإن زيادته إنما هي بالعمل.

﴿لَهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ يعني: في الجنة.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاث تأويلات[(٣)]:

أحدها: أن تكون الكاف في موضع رفع؛ على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره: هذه الحالُ كحال إخراجِك؛ يعني: أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة[(٤)] خروجك للحرب.

والثاني: أن يكون موضعُ الكاف نصْبًا؛ على أنه صفة لمصدر الفعل

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «والحصر»، والمثبت الصواب كما في المحرر الوجيز (٤/ ١٣٥).

(٣) في ج، د: «ثلاثة أوجه».

(٤) في أ، ب، هـ: «حالة».

المقدَّر في قوله: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: استقرَّت الأنفال لله والرسول استقرارًا مثلَ استقرار خروجك.

والثالث: أن تتعلَّق الكاف بقوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾.

﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ يعني: مَسْكَنَهُ بالمدينة إذ أخرجه الله منه لغزوة[1] بدر.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ أي: كرهوا قتال العدو، وذلك أن عِيرَ قريش أقبلت من الشام فيها أموالٌ عظيمة، ومعها أربعون راكبًا، فأخبر بذلك جبريلُ النبيَّ ﷺ، فخرج بالمسلمين، فسمع بذلك أهل مكة، فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير؛ ليمنعوا عِيرهم، فنزل جبريل ﵇ فقال: يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش، فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقالوا: العير أحبُّ إلينا من لقاء العدو، فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقال له سعد بن عبادة: امض لما شئت فإنك متبعوك، وقال سعد بن معاذ: والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك؛ فسِرْ بنا على بركة الله[2].

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ كان جدالهم في لقاء قريش؛ لإيثارهم لقاءَ العِير؛ إذ كانت أكثرَ أموالًا وأقلَّ رجالًا.

وتبيُّنُ الحق: هو إعلام رسول الله ﷺ بأنهم يُنصَرون.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ تشبيهٌ لحالهم في إفراط جزَعِهم من لقاء قريش.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بغزوة».

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١-٣٥).

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعني: قريشًا أو عِيرَهم.

والعامل في «إذ» محذوف تقديره: اذكروا.

﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدلٌ من ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الشَّوكة: عبارة عن السلاح سمِّيت بذلك لحِدَّتها.

والمعنى: تحبون أن تلْقَوا الطائفة التي لا سلاح لها؛ وهي العِير.

﴿أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ يعني: يُظهِر الإسلام؛ بقتل الكفار وهَلاكهم يوم بدر.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ متعلِّق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعَل ذلك، وليس تكرارًا للأول؛ لأن الأول مفعولُ ﴿يُرِيدُ﴾، وهذا تعليلٌ لفعل الله تعالى.

ويَحتمل أن يريد بـ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الأول: الوعدَ بالنصرة، وبـ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الثاني: الإسلام؛ فيكون المعنى: أنه نصَرهم؛ ليظهر الإسلام، ويؤيِّد هذا قولُه: ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: يبطل الكفر.

[﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ
(٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً
لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
(١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَٰلِكُمْ
فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)﴾].

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾.

وقيل: تتعلّق بقوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾، أو بفعل مضمر.

واستغاثتُهم: دعاؤهم بالغوث والنصر.

﴿مُمِدُّكُم﴾ أي: مُكثِّركم.

﴿مُرْدَفِينَ﴾ من قولك: رَدِفه: إذا تَبِعه، وأردفتُه إياه: إذا أتبعتَه إياه.

والمعنى: يتبع بعضُهم بعضًا.

فمن قرأه بفتح الدال: فهو اسم مفعول.

ومن قرأه بالكسر: فهو اسم فاعل.

وصحَّ معنى القراءتين؛ لأن الملائكة المنزلين تَبِعَ بعضُهم بعضًا، فمنهم تابعون ومتبوعون.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الضمير عائد:

على الوعد.

أو على الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ﴾.

أو منصوبٌ: بـ ﴿ٱلنَّصْرُ﴾، أو بما في ﴿عِندِ ٱللَّهِ﴾ من معنى النصر، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر.

ومن قرأ ﴿يُغْشِيكُمُ﴾ -بضم الياء والتخفيف-: فهو من أَغْشَى.

ومن قرأ بالضم والتشديد: فهو من غشَّى المشدَّد.

وكلاهما يتعدَّى إلى مفعولين؛ فنَصْبُ ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ على أنه المفعول الثاني.

والمعنى: يغطِّيكم به؛ فهو استعارةٌ من الغِشاء.

ومن قرأ بفتح الياء والشين: فهو من غَشِي المتعدي إلى واحد؛ أي: يَنزِل عليكم النعاسُ.

﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: أمنًا.

والضمير المجرور يعود على الله تعالى، وانتصاب ﴿أَمَنَةً﴾ على أنه مفعول من أجله.

قال ابن مسعود: النعاس عند حضور القتال علامة أمْنٍ من العدو[1].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٩-٦٠).

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ تعديدٌ لنعمة أخرى؛ وذلك أنهم عَدِموا الماءَ في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر -وقيل: بعد وصولهم-، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية.

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهَّر بماء المطر، وتوضأ به سائرُهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطُّهور[1] ولا للوُضوء.

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسةً بسبب عدمهم الماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقى بلا ماء؟، فأنزل الله المطر، وأزال عنهم وسوسة الشيطان.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبِّتَها بزوال ما وسوس لها الشيطان، وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على الماء؛ وذلك أنهم كانوا في رَمْلَةٍ دَهْسةٍ[2] لا يثبت بها قدم، فلما نزل المطر تلبَّدت وتَدَمَّثَ الطريق، وسهل للمشي والوقوف.

وروي: أن ذلك المطر بعينه صعَّب الطريق على المشركين؛ فتبيَّن أن ذلك من لطف الله.

﴿إِذْ يُوحِى﴾ يَحتمل أن يكون ذلك:

بدلًا من «إذ» المتقدمة، كما أنها بدل من التي قبلها.

---

(١) في أ، ب: «للطهر».

(٢) الدَّهْسة: الأرض السهلة اللينة التي يثقل فيها المشي، وتغيب فيها القوائم. لسان العرب (٧/ ٣٩٢).

أو يكون العامل فيه ﴿يُثَبِّتُ﴾.

﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (يَحتمل أن يكون هذا)[١] التَّثبيت:

بقتال الملائكة مع المؤمنين.

أو بأقوال مُؤَنِّسةٍ مقوِّية للقلب قالوها إذ تصوَّروا في صور بني آدم.

أو بإلقاءٍ في نفوس المؤمنين.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يَحتمل أن يكون:

من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر؛ تكميلًا لتثبيت المؤمنين.

أو استئنافَ إخبارٍ عما يفعله الله في المستقبل.

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يَحتمل - أيضًا - أن يكون: خطابًا للملائكة، أو للمؤمنين.

ومعنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: أعاليَ الأعناق؛ حيث المفصِل بين الرأس والعُنق؛ لأنه مَذْبَحٌ، والضرب فيها يطيِّر الرأس.

وقيل: المراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق.

وقيل: المراد الأعناق، و﴿فَوْقَ﴾ زائدةٌ.

﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قيل: هي المفاصل.

وقيل: الأصابع؛ وهو أشهر في اللغة.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

وفائدة ذلك: أن المُقاتِل إذا ضُرِبت أصابعه تعطَّل من القتال فأمكن أسْرُه وقتله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الإشارةُ إلى ما أصاب الكفار يوم بدر، والباء للتعليل.

و﴿شَآقُّواْ﴾: من الشِّقاق؛ وهو العداوة والمقاطعة.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ الخطاب -هنا- للكفار.

و﴿ذَٰلِكُمْ﴾ مرفوع تقديره: ذلكم العقاب أو العذاب.

ويَحتمل أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿فَذُوقُوهُ﴾، كقولك: زيدًا فاضربه.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ على تقدير رفعه، أو نصبه.

أو: مفعول معه، والواو بمعنى «مع».

* * *

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٧ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾].

﴿زَحۡفٗا﴾ حالٌ من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، أو من الفاعل في ﴿لَقِيتُمُ﴾.

ومعناه: متقابلي الصفوف والأشخاص.

وأصل الزحف: الاندفاع.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ نهيٌ عن الفرار، مقيدٌ بأن لا يكون[1] الكفارُ أكثرَ من مِثْلَي المسلمين حسَبما يُذكَر في موضعه.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يومَ اللقاء، في أي عصرٍ كان.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ﴾ هو الكرُّ بعد الفر؛ ليُرِيَ عدوه أنه منهزم، ثم يَعطِف عليه، وذلك من الخِداع في الحرب.

﴿أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ أي: منحازًا إلى جماعة من المسلمين.

فإن كانت الجماعة حاضرةً في الحرب: فالتحيُّز إليها جائز باتفاقٍ.

واختُلف في التحيز إلى المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن شيءٌ من

---

(١) في أ، ب، د: «بأن يكون».

ذلك حاضرًا، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: «أنا فئةٌ لكل مسلم»[١]، وهذا إباحة لذلك.

والفرار من الذنوب الكبائر.

وانتصب قوله: ﴿مُتَحَرِّفًا﴾:

على الاستثناء من قوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ﴾.

وقال الزمخشري: انتصب على الحال، و«إلَّا» لغوٌ[٢].

ووزن «متحيِّز»: مُتَفَيْعِل، ولو كان على متفعِّل لقال: «متحوِّز»، لأنه من حاز يحوز.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: لم يكن قتْلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بتأييدكم عليهم وبالملائكة.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله ﷺ قد أخذ يوم بدر قبضةً من تراب أو حصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا.

فمعنى الآية: أن ذلك من الله في الحقيقة.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٨٠-٨١).

(٢) انظر: الكشاف (٧/ ٥١)، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٩٣): «ولا يريد الزمخشري بقوله «و(إلا) لغو» أنها زائدة، إنما يريد أن العامل الذي هو (يولهم) وصَل إلى العمل فيما بعدها، كما قالوا في «لا» من قولهم: «جئتُ بلا زاد» إنها لغو، وفي الحقيقة هو استثناء من حالة محذوفة والتقدير: ومن يولهم ملتبسًا بأية حالة إلا في حال كذا».

﴿بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ يعني: الأجر والنصر والغنيمة.

﴿مُوهِنُ﴾ من الوَهْن؛ وهو الضَّعف.

وقرئ بالتشديد والتخفيف؛ والمعنى واحدٌ.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ الآيةَ؛ خطاب لكفار قريش، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحبَّ الطائفتين إليه - وروي أن الذي دعا بذلك أبو جهل -، فنصر الله المؤمنين، وفتَح لهم.

ومعنى ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾: تطلبوا الفتح.

ويَحتمل الفتح الذي طلبوه أن يكون:

بمعنى النصر.

أو بمعنى الحُكم.

وقيل: إن الخطاب للمؤمنين.

﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ﴾ إن كان الخطاب للكفار: فالفتح هنا بمعنى الحكم؛ أي: قد جاءكم الحكم الذي حكَم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر.

وإن كان الخطاب للمؤمنين: فالفتح هنا يَحتمل أن يكون:

بمعنى الحكم؛ لأن الله حكم لهم.

أو بمعنى النصر.

﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ أي: ترجعوا عن الكفر، وهذا يدلُّ على أن الخطاب للكفار.

﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ أي: إن تعودوا للاستفتاح أو للقتال نعدْ لقتالكم والنصر عليكم.



[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ
ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ
وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ
لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ
وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ
وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾].

﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ الضمير:

للرسول ﷺ.

أو للأمر بالطاعة.

﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ أي: تسمعون القرآن والمواعظ.

﴿كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ هم الكفار؛ أي: سمعوا بآذانهم دون قلوبهم، فسماعهم كلا سماعٍ.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ أي: كل مَن يَدِبُّ، والمقصود: أن الكفار شرُّ الخلق.

قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار؛ فإنهم جدُّوا في القتال مع المشركين.

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: للطاعة، وقيل: للجهاد؛ لأنه يُحيِي[1]؛ بالنصر.

﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل: يُمِيته.

وقيل: يصرِّف قلبه كيف يشاء؛ فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك.

﴿فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ أي: لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينْهَ عن الظلم؛ وإن كان لم يَظلِم.

وحكى الطبري أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن الفتنة: ما جرى لهم يوم الجمل[2].

ودخلت النون في ﴿تُصِيبَنَّ﴾؛ لأنه بمعنى النهي.

﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآيةَ؛ أي: حين كانوا بمكة، و﴿فَآوَاكُمْ﴾ بالمدينة، و﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ في بدر وغيرها.

﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ نزلت في قصة أبي لُبابة، حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلَّا الذَّبح.

وقيل: المعنى: لا تخونوا بغُلول الغنائم.

ولفظها عامٌّ.

﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿لَا تَخُونُوا﴾، أو منصوب.

---

(١) في د: «يجيء».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١١٣).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾].

﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ أي: تَفرِقةً بين الحق والباطل؛ وذلك دليلٌ على أن التقوى تنوِّر القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة.

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عطفٌ على ﴿إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾، أو استئنافٌ.

وهي إشارةٌ إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي.. الحديثَ بطوله[1].

﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ أي: يَسجُنوك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤).

﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث؛ كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا.

وقيل: هي في سائر قريش.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أخبارهم المسطورة.

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾ الآيةَ؛ قائلها[1]: النضر بن الحارث، أو سائر قريش؛ لمَّا كذَّبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمرُه هو الحق.

والصَّحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل. رواه البخاري ومسلم في كتابيهما[2].

وانتصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾؛ لأنه خبر كان.

وقال الزمخشري: معنى كلامهم جحودٌ؛ أي: إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابًا، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفيُ العقوبة عن أنفسهم[3].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ إكرامٌ للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمانٌ من العذاب.

---

(١) في د: «قالها».

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦).

(٣) انظر: الكشاف (٧/ ٨٧).

قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب؛ وهما: وجود النبي ﷺ، والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر[١].

وقيل: الضمير في ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾ للكفار، وفي ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: أيُّ شيءٍ يَمنع من عذابهم وهم يصدون المؤمنين من المسجد الحرام!.

والجملة في موضع الحال، وذلك هو[٢] الموجِب لعذابهم.

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ الضمير: للمسجد الحرام، أو لله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ المكاء: التَّصفير بالفم، والتصدية: التَّصفيق باليد، وكانوا يفعلونهما إذ صلى المسلمون؛ ليَخلِطوا عليهم صلاتَهم.

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآيةَ؛ نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد.

وقيل: إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب؛ فإنه استأجر ألفين من الأحابيش[٣] فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير (١/ ١٥١-١٥٣) من قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وأبي العلاء ﷺ.

(٢) في أ، ب: «من».

(٣) في أ: «الأحباش»، وفي ب، ج، هـ: «الأحابش»، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣): «قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهُوْن ابن خزيمة ابن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة. قال ابن هشام: تحالفوا جميعا، فسموا الأحابيش؛ لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له الأحْبَش بأسفل مكة».

﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: يتأسَّفون على إنفاقها من غير فائدة، أو يتأسفون في الآخرة.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ إخبارٌ بالغيب.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ معنى ﴿يَمِيزَ﴾: يفرّق بين الخبيث والطيب.

والخبيث هنا: الكفار، والطيب: المؤمنون.

وقيل: الخبيث: ما أنفقه الكفار، والطيب: ما أنفقه المؤمنون.

واللام في ﴿لِيَمِيزَ﴾ -على هذا- تتعلَّق بـ ﴿يُغْلَبُونَ﴾.

وعلى الأول: بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾.

﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ أي: يضمُّه ويجعلَ بعضه فوق بعض.

* * *

[﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾].

﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ يعني: عن الكفر؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ولا تصحُّ المغفرة إلّا به.

﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ يعني: إلى القتال.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تهديدٌ بما جرى لهم يوم بدر، وبما جرى للأمم السالفة.

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الفتنة هنا: الكفر؛ فالمعنى: قاتلوهم حتى لا يبقى كفرٌ، فهو كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠).

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ لفظه عامٌّ يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار:

منها ما يخمَّس؛ وهو ما أُخِذ على وجه الغلَبة بعد القتال.

ومنها ما لا يخمس، بل يكون جميعه لمن أخَذه؛ وهو ما أخَذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجافٍ، وما طرحه العدو خوف الغرق.

ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته، ويصرِف سائرَه في مصالح المسلمين؛ وهو الفيءُ الذي لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآيةَ؛ اختُلف في قَسْم الخُمس على هذه الأصناف:

فقال قوم: يصرف على ستة أسهم: سهم الله[1] في عمارة الكعبة، وسهم النبي[2] ﷺ في مصالح المسلمين - وقيل: للوالي[3] بعده -، وسهمٌ لذوي القربى الذين لا تحلُّ لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

وقال الشافعي: على خمسة أسهم، ولا يَجعل لله سهمًا مختصًّا، وإنما بدأ -عنده- بالله؛ لأن الكلَّ مُلكه.

وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم: لليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام، يأخذ منه كفايته، ويصرف الباقيَ في المصالح.

---

(١) في أ، ب: «الله».
(٢) في أ، ب: «للنبي».
(٣) في أ، ب، ج، هـ: «للموالي».

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ راجعٌ إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذَكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسَب ذلك ولا تخالفوه.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني: النبي ﷺ. والذي أنزل عليه: القرآن أو النصر.

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: التَّفرقة بين الحق والباطل، وهو يوم بدر.

﴿ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يعني: المسلمين والكفار.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿ٱلْتَقَى﴾.

والعُدْوة: شَفِير الوادي، وقرئ بالضم والكسر؛ وهما لغتان.

و﴿ٱلدُّنْيَا﴾: القريبة من المدينة، و﴿ٱلْقُصْوَىٰ﴾: البعيدة.

﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني: العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكَب عن الطريق؛ خوفًا من النبي ﷺ، وكان جمْعُ قريشٍ المشركين قد حال بين المسلمين وبين العِير.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ﴾ أي: لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتَهم وقلَّتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم.

أو: لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي: يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة حجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له.

وقيل: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾: يكفر، ﴿وَيَحْيَىٰ﴾: يؤمن.

وقرئ ﴿مَنْ حَيِيَ﴾ بالإظهار والإدغام؛ وهما لغتان.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفار في نومه قليلًا، فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم.

﴿لَفَشِلْتُمْ﴾ أي: جبنتم عن اللقاء.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الله أظهر كل طائفة قليلةً في عين الأخرى؛ ليقع التجاسر على القتال.



[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ۝٤٧ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤٨﴾].

﴿رِيحُكُمۡ﴾ أي: قوتكم ونشاطكم؛ وذلك استعارةٌ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني: قريشًا الكفار حين خرجوا لبدرٍ.

﴿بَطَرٗا﴾ أي: اعتداءً[(١)] وتكبرًا.

﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ الآيةَ؛ لما خرجت قريش إلى بدر تصوَّر لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: إني جار لكم من قومي -وكانوا قد خافوا من قومه-، ووعدهم النصر[(٢)].

﴿نَكَصَ﴾ أي: رجع إلى وراءَ.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ رأى[(٣)] الملائكةَ تقاتل.

---

(١) في هامش أ: «عتوًّا».
(٢) في أ، ب: «بالنصر».
(٣) في أ، ب، ج: «أي».

[﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾].

﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة.

وقيل: الذين كانوا مع الكفار، وهم نفرٌ من قريش؛ منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن ربيعة بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منبِّه بن الحجاج؛ وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة.

﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أي: اغترَّ المسلمون بدينهم، فأدخلوا أنفسهم فما لا طاقة لهم به.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ذلك فيمن قُتِل يوم بدر.

﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي: أَسْتاهَهم، وقيل: ظهورَهم.

﴿وَذُوقُواْ﴾ هذا من قول الملائكة لهم؛ تقديره: ويقولون لهم: ذوقوا.

والقول المحذوف ومعموله معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾.

ويَحتمل أن يكون ما بعده:

من قول الملائكة.

أو يكون مستأنفًا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ تقديره عند سيبويه: الأمر ذلك، والباء سببية.

والمعنى: أن الله لا يغيِّرُ نعمةً على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي.

﴿كَدَأْبِ﴾ ذُكِر في «آل عمران»(١).

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ يريد: بني قريظة.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم من النِّقمة ما يَزجُر غيرَهم.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي: نقضًا للعهد.

﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: ردَّ العهد الذي بينك وبينهم.

والمفعول محذوف؛ تقديره: فانبذ إليهم عهدَهم.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: على مَعْدلة.

وقيل: معناه: أن تستوي معهم في العلم بنقض العهد.

---

(١) انظر ٥١٧/١.

[﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي: لا تظنَّ أنهم فاتُوا ونجَوا بأنفسهم.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يفوتون في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾ الضمير:

للذين يُنبَذ إليهم العهد.

أو للذين لا يُعجِزون.

وحكمه عامٌّ في جميع الكفار.

﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ألَا إن القوة الرمي»[١].

﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الزمخشري: الرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧).

(٢) انظر: الكشاف (٧/ ١٤١).

ابن عطية: رباط الخيل: جمع رَبْط، أو مصدر[١].

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني: الكفارَ.

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ يعني: المنافقين، وقيل: بني قريظة، وقيل: الجن؛ لأنها تنفر من صهيل الخيل، وقيل: فارس.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيءٌ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُۚ﴾، فكيف يعلمهم أحد![٢].

وهذا لا يلزم؛ لأن معنى قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُۚ﴾: لا تعرفونهم؛ أي: لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يُعرَف صنفهم من الناس، ألَا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ السِّلم هنا: المهادنة.

والآية منسوخة بآية[٣] القتال في «براءة»؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾ قيل: المراد: بين قلوب الأوس والخزرج؛ إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٢٠).

(٣) في ب، ج، هـ: «بآيات».

واللفظ عام.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفٌ على اسم الله.

وقال الزمخشري: مفعول معه، والواو بمعنى «مع»؛ أي: حسبك وحسب من اتبعك اللهُ[1].



(١) انظر: الكشاف (٧/ ١٤٦).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾].

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ يتضمَّن:

وعدًا، بشرط الصبر.

ووجوبَ ثبوت الواحد للعشرة، ثم نُسِخ بوجوب ثبوت[1] الواحد للاثنين.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: يقاتلون على غير دين ولا بصيرة؛ فلا يثبتون.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ لما أَخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحياتهم، وأشار عمر بقتلهم، فنزلت الآية؛ عتابًا على استبقائهم.

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يبالغَ في القتل.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ عتابٌ لمن رغب في فداء الأسارى.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الكتاب:

ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم.

---

(١) في أ، ب: «بثبوت».

وقيل: ما قضاه من تحليل الغنائم لهم.

﴿فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ يراد به: الأُسارى، أو فداؤهم.

ولما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «**لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر**»[١].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ﴾ إباحةٌ للغنائم، ولفداء الأسارى.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٣).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾].

﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ أي: إن علم في قلوبكم إيمانًا جبر عليكم ما أُخذ منكم من الفدية.

قال العباس: فيَّ نزلت؛ وكان افتدى يوم بدر، ثم أعطاه رسول الله ﷺ من المال ما لم يقدر أن يحمله، فقال: قد أعطاني الله خيرًا مما أُخِذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي[١].

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى آخر السورة؛ مَقصِدها: بيان منازل المهاجرين، والأنصار، والذين آمنوا ولم يهاجروا بعد الحديبية.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٥).

فبدأ أولًا بالمهاجرين، ثم ذكر الأنصار - وهم الذين آووا ونصروا -، وأثبت الولاية بينهم، وهي ولاية التعاون والتناصر.

وقيل: هي ولاية الميراث، ثم نُسِخت بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ لما نفى الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا: أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين، إلَّا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد، فلا ينصرونهم عليهم.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿إِلَّا﴾ هنا مركَّبة من «إنْ» الشرطية و«لا» النافية.

والضمير في ﴿تَفْعَلُوهُ﴾:

لولاية المؤمنين ومعاونتهم.

أو لحفظ الميثاق الذي في قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

أو للنصر الذي في قوله: ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾.

والمعنى: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ الآيةَ؛ ثناءٌ على المهاجرين والأنصار، ووعد لهم.

والرزق الكريم: في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ يعني: الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان.

﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ **قيل**: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار.

وقال مالك: ليست في الميراث.

وقال أبو حنيفة: هي في الميراث؛ وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام.

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في القرآن، **وقيل**: في اللوح المحفوظ.

سورة براءة

وتسمَّى: سورة التوبة، وتسمى - أيضًا - الفاضحة؛ لأنها كشَفت أسرار المنافقين.

واتفقت المصاحف والقرَّاء على إسقاط البسملة من أولها.

واختُلف في سبب ذلك:

فقال عثمان بن عفان ﷺ: أشبهت معانيها معانيَ «الأنفال»، وكانت تدعى[١] القرينتين في زمان رسول الله ﷺ؛ فلذلك قَرنتُ بينهما ووضعتُها[٢] في السبع الطِّوال[٣].

وكان الصحابة قد اختلفوا: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فتُرِكتَ البسملةُ بينهما لذلك.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: البسملة أمان، و«براءة» نزلت بالسيف، فلذلك لم تبدأ بالأمان[٤].

---

(١) في هامش أ: «تدعيان».
(٢) في أ، د: «ووضعتهما» والمثبت موافق لما في الرواية.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٩)، وأبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٢٥٣).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٠).

[﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾].

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ المراد بالبراءة: التبرُّؤ من المشركين.

وارتفاع ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على أنه: خبر ابتداء، أو مبتدأ.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تقدير الكلام: براءة واصلةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فـ«مِن» و«إلى» متعلِّقان بمحذوف لا بـ ﴿بَرَآءَةٌ﴾.

وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله: ﴿عَٰهَدتُّم﴾؛ لأن فِعْل الرسول ﷺ لازمٌ للمسلمين، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين.

وكان النبي ﷺ قد عاهد المشركين إلى آجالٍ محدودة:

فمنهم من وفَّى، فأمر الله أن يُتمَّ عهدَه إلى مدته.

ومنهم من نقض، أو قارب النقض، فجُعل له أجلٌ أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد.

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سيروا آمنين أربعةَ أشهر، وهي الأجل الذي جعل لهم.

واختُلف في وقتها:

فقيل: هي شوال وذو قَعدة وذو حِجة والمحرَّم؛ لأن السورة نزلت حينئذ، وذلك عام تسعة.

وقيل: هي من عيد الأضحى إلى تمام العَشر الأوَّل من ربيع الآخر؛ لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصديق فحجَّ بالناس، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب فقرأ على الناس سورة براءة: يوم عرفة، وقيل: يوم النحر.

﴿غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: لا تَفوتونه.

﴿وَأَذَٰنٌ﴾ أي: إعلام بتبرُّؤ الله تعالى ورسولِه من المشركين.

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ جعَل البراءة مختصَّةً بالمعاهدين من المشركين)[1]، وجعل الإعلام بالبراءة عامًّا لجميع الناس؛ من عاهد، ومن لم يُعاهِد، وللمشركين وغيرهم.

﴿ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة، أو يوم النحر.

---

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

وقيل: أيام الموسم كلها؛ وعبر عنها بيوم؛ كقولك: يوم صفين والجمل وكانت أيامًا كثيرة.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ﴾ تقديره: أذان بأن الله بريء، وحذفت الباء تخفيفًا.

وقرئ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ بالكسر؛ لأن الأذان في معنى القول.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ ارتفع:

بالعطف على الضمير في ﴿بَرِيٓءٌ﴾.

أو بالعطف على موضع اسم ﴿أَنَّ﴾.

أو بالابتداء، وخبره محذوف.

وقرئ بالنصب؛ عطفًا على اسم ﴿أَن﴾.

وأما الخفض:

فلا يجوز فيه العطف على ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه معنى فاسد.

ويجوز على الجوار، أو على القسم، وهو - مع ذلك - بعيدٌ، والقراءة به شاذة.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ يعني: التوبة من الكفر.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ يريد: الذين لم ينقضوا.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ يعني: الأشهر الأربعة التي جعلت لهم:

فمن قال: إنها شوال وذو قَعدة وذو حِجة والمحرم: فهي الحُرُم المعروفة زاد فيها شوال، ونقص رجب، وسمِّيت حُرمًا؛ تغليبًا للأكثر.

ومن قال: إنها إلى ربيع الثاني: فسمِّيت حرمًا؛ لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ.

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ناسخةٌ لكل موادَعة في القرآن.

وقيل: إنها نَسخت أيضًا: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

وقيل: بل نَسختْها هي؛ فيجوز المنُّ والفداء.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ معناه: الأَسر، والأَخِيذ: هو الأسير.

﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كلَّ طريق، ونصْبُه على الظرفية.

﴿فَإِن تَابُوا﴾ يريد: مِن الكفر، ثم قرن بالإيمان الصلاةَ والزكاة؛ فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والآية في معنى قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»(١).

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ تأمينٌ لهم.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ هو من الجوار؛ أي: استأمنك فأمِّنه حتى يسمع القرآن؛ ليَرى هل يُسلِم أم لا.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي: إن لم يُسلِم فرُدَّه إلى موضعه.

وهذا الحُكْم ثابت عند قوم، وقال قوم: نُسِخ بالقتال.

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٤٥٨.

[﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ
عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧
كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ
قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ
بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟
وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾].

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظه[1] استفهام، ومعناه: استنكار واستبعاد.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قيل: المراد قريش، وقيل: قبائل بني بكر.

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ «ما» ظرفية.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «لفظ».

﴿كَيْفَ﴾ تأكيدٌ للأولى، وحذف الفعل بعدها؛ للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد؟.

﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ أي: لا يُرَاعوا.

﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الإلُّ: القرابة؛ وقيل: الحِلْف. والذمة: العهد.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ استثنى[١] من قضى له منهم بالإيمان.

﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي: رؤساءَ أهلِه؛ قيل: إنهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو. حكى ذلك الطبري[٢]، وهو ضعيف؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة.

والأحسن أنها على العموم.

﴿لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي: لا أيمان لهم يوفُون بها.

وقرئ: ﴿لا إِيْمَانَ﴾ بكسر الهمزة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿فَقَاتِلُوا﴾.

﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قيل: يعني: إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأحد.

وقيل: يعني إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة، ثم خرج هو بنفسه.

---

(١) في ب، ج، د: «استثناء».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٦٣).

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: إذايَتهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة.

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد[1]: بالقتل والأسر، وفي ذلك وعد للمسلمين بالظَّفر.

﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل: إنهم خزاعة. والإطلاق أحسن.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ استئنافُ إخبارٍ بأن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيُسلِم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الله لا يتركُهم دون تمحيصٍ يظهر فيه الطيب من الخبيث.

و﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى: بل والهمزة.

و﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: يعلم ذلك موجودًا؛ لتقوم به الحجة.

﴿وَلِيجَةً﴾ أي: بطانةً.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «الله».

[﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن
يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوٓا
ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾].

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس لهم ذلك بالحق والواجب، وإن كانوا قد عمروها تغلُّبًا[1] وظلمًا.

ومن قرأ ﴿مَسَٰجِدَ﴾ بالجمع: أراد جميع المساجد.

ومن قرأ بالتوحيد: أراد المسجد الحرام.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ أي: أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر.

---

(١) في أ، ب، هـ: «تغليبًا».

وقيل: الإشارةُ إلى قولهم في التلبية: «لا شريك لك، إلَّا شريكاً هو لك».

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن قومًا من قريش افتخروا بسقاية الحاج، وبعمارة المسجد الحرام؛ فبيَّن الله أن الجهاد أفضل من ذلك.

ونزلت الآية في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة ابن شيبة، افتخروا؛ فقال طلحة: أنا صاحب البيت وعندي مفاتحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، وقال علي: لقد أسلمت قبل الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ.

﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت فيمن تثبَّط عن الهجرة، ولفظها عامٌّ، وكذلك حكمها.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ وعيدٌ لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ قيل: يعني: فتح مكة، وقيل: هو إشارةٌ إلى عذاب أو عقوبة.

[﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾].

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطفٌ على ﴿مَوَاطِنَ﴾.

أو منصوبٌ بفعل مضمر، وهذا أحسن؛ لوجهين:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ مختصٌّ بحنين، ولا يصح في غيره من المواطن؛ فيضعُف عطف (يوم حنين على المواطن؛ للاختلاف الذي بينهما في ذلك.

والآخر: أن ﴿مَوَاطِنَ﴾ ظرف مكان، و﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ظرف زمان؛ فيضعف عطف)[1] أحدهما على الآخر، إلَّا أن يريد بالمواطن الأوقات.

وحُنين: اسم علمٍ لموضعٍ عُرِف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكَّر.

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثني عشر ألفًا، فقال بعضهم: لن

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

نُغلَب اليوم من قلّة، فأراد الله إظهار عجزهم، ففرَّ الناس عن رسول الله ﷺ حتى بقي على بغْلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال: «شاهت الوجوه»(١)، ونادى بأصحابه(٢) فرجعوا إليه، وهزم الله الكفار.

وقصة حنين مذكورة في السِّيَر.

﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: ضاقت على كثرة اتساعها، و«ما» هنا: مصدرية.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكةَ.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارةٌ إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نصٌّ على منع المشركين - وهم عبَدة الأوثان- من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك.

وقاس مالك على المشركين: سائرَ الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام: سائرَ المساجد، فمنع جميعَ الكفار من جميع المساجد.

وجعلها الشافعي عامة في الكفار، خاصةً بالمسجد الحرام، (فمَنع جميعَ الكفار من دخول المسجد الحرام خاصة)(٣)، وأباح لهم دخول غيره.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٢) في أ، ب، هـ: «أصحابه».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

وقصَرها أبو حنيفة على موضع النصّ؛ فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره.

﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ يريد: عامَ تسعة من الهجرة؛ حين حج أبو بكر بالناس، وقرأ عليهم عليٌّ سورة «براءة».

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ أي: فقرًا.

كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة، فخاف الناس قلة القوت بها إذ مُنِعَ المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها، وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله للمسلمين(١) سائرَ الأمصار.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أمرٌ بقتال أهل الكتاب.

ونفَى عنهم الإيمان بالله؛ لقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد الجِسْماني(٢).

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: لا يدخلون في الإسلام.

---

(١) في أ، ب، هـ: «ثم فتح المسلمون».

(٢) في أ، ج، هـ: «الحسابي».

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ بيان للذين أُمِر بقتالهم، وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك؛ لقتال النصارى.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ اتفق العلماء على قَبول الجزية من اليهود والنصارى ويُلحَق بهم المجوس؛ لقوله ﷺ: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»[(١)].

واختلفوا في قَبولها من عبَدة الأوثان والصابئين.

ولا تؤخذ من النساء والصِّبيان والمجانين.

وقَدْرها عند مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الوَرِق، ويؤخذ ذلك من كل رأس.

﴿عَن يَدٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: دفْع الذميّ لها بيده، لا يبعثها مع أحد ولا يَمْطُل بها؛ كقولك: يدًا بيد.

الثاني: عن استسلام وانقياد؛ كقولك: ألقى فلان بيده.

﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ أي: أذلّاء.

* * *

(١) أخرجه مالك في الموطإ (٧٤٢).

[﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود؛ وهم: سلَّام بن مِشْكَم، ونعمان بن أوفى، وشأس بن قيس، ومالك بن الصَّيف.

وقيل: لم يقلها إلا فِنْحَاص، ونَسب ذلك إلى جميعهم؛ لأنهم متبعون لمن قالها.

والظاهر أن جماعتهم قالوها؛ إذ لم ينكروها حين نُسِبت إليهم.

وكان سبب قولهم ذلك: أنهم فقدوا التوراة، فحفظها عُزير وحده، فعلّمها لهم، فقالوا: ما علّم الله عزيرَ التوراة إلا أنه ابنه.

و﴿عُزَيْرٌ﴾ مبتدأ، و﴿ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ خبره.

ومُنع ﴿عُزَيْرٌ﴾ التنوين؛ لأنه أعجمي لا ينصرف.

وقيل: بل هو منصرف، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وهذا ضعيف.

وأما من نوَّنه فجعله عربيًّا.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال أبو المعالي: «أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله»[1]، وذلك كفرٌ شنيع.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يتضمَّن معنيين:

أحدهما: إلزامهم هذه المقالة، والتأكيد في ذلك.

والثاني: أنهم لا حجة لهم عليه، وإنما هو مجرَّد[2] دعوى؛ كقولك لمن تكذِّبه: هذا قولك بلسانك.

﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ معنى ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾: يشابهون.

فإن كان الضمير لليهود والنصارى؛ فالإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾:

---

(١) الإرشاد، لأبي المعالي الجويني (ص: ٥١).

(٢) في ج، د: «عن».

للمشركين من العرب؛ إذ قالوا: الملائكة بنات الله، وهم أول كافر.

أو للصابئين.

أو لأمم متقدمة.

وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى؛ فـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ هم أسلافهم المتقدمون.

﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم، وقيل: معناه: لعنهم الله.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ تعجُّبٌ كيف يُصرَفون عن الحق والصواب!.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي: أطاعوهم كما يطاع الربُّ، وإن كانوا لم يعبدوهم.

﴿وَٱلْمَسِيحَ﴾ معطوفٌ على الأحبار والرهبان.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي: أمرهم بذلك عيسى ومحمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يطفئوا نبوة محمد ﷺ وما جاء به من عبادة الله وتوحيده.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إشارةٌ إلى أقوالهم، كقولهم: ساحر وشاعر[1]، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ الضمير: للرسول ﷺ، أو للدين.

---

(١) في ب، هـ: «سحر وشعر».

وإظهاره: جعْلُه أعلى الأديان وأقواها حتى[(١)] عمَّ المشارق والمغارب.

وقيل: ذلك عند نزول عيسى بن مريم حين[(٢)] لا يبقى دين إلَّا دين الإسلام.

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ هي[(٣)]: الرُّشا على الأحكام وغير ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ ورد في الحديث أن: «كل ما أُدِّيتْ زكاته فليس بكنز، وما لم تؤدَّ زكاته فهو كنز»[(٤)].

وقال أبو ذرٍّ وجماعة من الزهاد: كلُّ ما فضَل عن حاجة الإنسان فهو كنز.

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمَّنها المعنى.

وقيل: هو للفضة، واكتفى بذلك عن الذهب؛ إذ الحكم فيهما واحد.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ العامل في الظرف: ﴿أَلِيمٍ﴾، أو محذوفٌ.

﴿عَلَيْهَا﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير ﴿يُنفِقُونَهَا﴾.

﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ هي الأشهر المعروفة؛ أولها: المحرم، وآخرها: ذو الحجة.

وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب ﷺ.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: في القرآن.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «حتى».

(٢) في ج، د: «حتى».

(٣) في أ، ب: «هنا».

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبير (٨/ ١٣).

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ هي: رجب وذو قَعدة وذو حِجة والمحرم.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعني: أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل[1]، وكانت العرب قد تمسَّكت به حتى غيَّره بعضهم.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ للأشهر الحُرُم تعظيمًا لأمرها، وتغليظًا للذنوب فيها، وإن كان الظلم ممنوعًا في غيرها.

وقيل: الضمير للاثني عشَر شهرًا، وهي الزمان كلُّه.

والأول أظهر.

﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ أي: قاتلوهم في الأشهر الحرم؛ فهذا نسْخ لتحريم القتال فيها.

و﴿كَآفَّةً﴾ حال من الفاعل، أو المفعول.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ هو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات، وكانت محرَّمةً عليهم في الأشهر الحرم، فيشقُّ عليهم تركها، فيجعلونها في شهر حرام ويحرِّمون شهرًا آخر بدلًا منه، وربما أحلوا المحرَّم وحرموا صفرًا حتى يُكمِلوا في العام أربعة أشهر محرمة.

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ أي: تارة يحلُّون وتارة يحرِّمون، ولم يُرِد العام حقيقةً.

(١) لم يرد «وإسماعيل» في أ، ب، هـ.

﴿لِيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا عدد الأشهر الحرم؛ وهو أربعة.

﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ يعني: إحلالهم القتالَ في الأشهر الحرم.

* * *

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ
نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ
لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ
لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ
ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا
قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ
يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾].

﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾ عتابٌ(١) لمن تخلَّف عن غزوة تبوك.

﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ عبارةٌ عن تخلفهم، وأصل ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾: تثاقلتم.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ شرط وجزاء.

وهذا العذاب: في الدنيا أو في الآخرة.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ شرط وجواب، والضمير لرسول الله ﷺ.

فإن قيل: كيف ارتباط هذا الشرط مع جوابه(٢)؟

---

(١) في هـ: «خطاب».

(٢) في أ، ب، هـ: «و».

فالجواب: أن المعنى: إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدلَّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ على نصْرِه في المستقبل.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: خروجَه من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأسند إخراجه إلى الكفار؛ لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه.

﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ هو وأبو بكر الصديق.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ يعني: أبا بكر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني: بالنصر واللُّطف.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ الضمير: للرسول ﷺ.

وقيل: لأبي بكر؛ لأن النبي ﷺ لم تزل معه السكينة، ويَضعف ذلك: بأن الضمائر بعدها للرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكةَ يوم بدر وغيره.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ يريد: بإذلالها ودَحْضها.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ قيل: هي: لا إله إلا الله، وقيل: الدين كله.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أمرٌ بالنَّفير إلى الغزو.

والخفَّة: استعارةٌ لمن يمكنه السفر بسهولة، والثِّقَل: مَن يمكنه بصعوبة.

وقال بعض العلماء: الخفيف: الغني، والثقيل: الفقير.

وقيل: الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ.

وقيل: الخفيف: النشيط، والثقيل: الكسلان.

وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة.

وقيل: إن هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩١] الآية.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآيةَ؛ نزلت هي وكثيرٌ مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك؛ وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة، وكانت في شدَّة الحر وطيب الثمار والظلال، فثقلت عليهم، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعَرَضٍ من الدنيا، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه.

﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ أي: الطريقُ والمسافة.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إخبارٌ بغيب؛ وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: يُوقِعونها في الهلاك: بحَلِفهم الكاذب، أو بتخلُّفهم عن الغزو.



[﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾].

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآيةَ؛ كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلُّف عن غزوة تبوك فأذن لهم، فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم.

وقدَّم العفو على العتاب؛ إكرامًا له ﷺ.

وقيل: إن قوله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ ليس لذنب ولا عتاب، ولكنه استفتاح كلام؛ كما تقول: أصلحك الله.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ كانوا قد قالوا: نستأذنه في القعود، فإن أَذِن لنا قعدنا، (وإن لم يأذن لنا قعدنا)[١].

وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم؛ فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق، ويسافر المطيع.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ أي: لا يستأذنك في التخلُّف عن الغزو لغير عذرٍ مَن يؤمن بالله واليوم الآخر.

﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكَّت.

ونزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول والجدِّ بن قيس.

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾ الآيةَ؛ أي: لو كانت لهم نيةٌ في الغزو لاستعدوا له قبل أوانه.

﴿ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: خروجَهم.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: كسَر عزمَهم، وجعل في قلوبهم الكسل.

﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ﴾ يَحتمل أن يكون القائل لهم ﴿ٱقْعُدُواْ﴾:

هو الله تعالى؛ وذلك عبارةٌ عن قضائه عليهم بالقعود.

ويَحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض.

﴿مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ أي: مع النساء والصبيان وأهل الأعذار، وفي ذلك ذمٌّ لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: شرًّا وفسادًا.

﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ أي: أسرعوا السير، والإيضاع: سرعة السير، والمعنى: أنهم يسرعون بالفساد والنميمة.

﴿خِلَالَكُمْ﴾ أي: بينكم.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: يحاولون أن يَفتِنوكم.

﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: يسمعون كلامهم.

وقيل: يسمعون أخباركم وينقلونها إليهم.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: طلبوا الفساد، (وروي أنها نزلت في عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه من المنافقين)[1].

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: دبَّروها من كل وجه، فأبطل الله سعيَهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ لما دعا النبي ﷺ إلى غزوة تبوك قال الجدُّ بن قيس -وكان من المنافقين-: ائذن لي في القعود ولا تفتنِّي برؤية بنات الأصفر[2]؛ فإني لا أصبر عن النساء.

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: وقعوا في الفتنة التي فرُّوا منها.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الحسنة هنا: النصر والغنيمة وشبه ذلك.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: قد حَذِرْنا وتأهَّبْنا من قبل.

---

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) في أ، ب، هـ: «بني الأصفر».

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي: ما قدَّر وقضى، وهذا ردٌّ على المنافقين.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ أي: هل تنتظرون بنا إلَّا أحد أمرين: إما الظفَر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحدة من الخَصلتين حسنى.

﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ المصائبُ وما ينزل من السماء، أو عذابُ الآخرة.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني: القتلَ.

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ تهديدٌ.

[﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾].

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ تضمَّن الأمر هنا معنى الشرط، فاحتاج إلى جواب.

والمعنى: لن يتقبلَ منكم سواءٌ أنفقتم طوعًا أو كرهًا، والطَّوع والكَره عموم في الإنفاق؛ أي: لن يتقبل على كل حال.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ تعليلٌ لعدم قَبول نفقاتهم بكفرهم.

ويَحتمل أن يكون ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾:

فاعلُ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ﴾.

أو في موضع المفعول من أجله، والفاعل الله.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ قيل: عذابهم في الدنيا بالمصائب.

وقيل: ما أُلزِموا من أداء الزكاة.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ إخبارٌ بأنهم يموتون على الكفر.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: من المؤمنين.

﴿يَفْرَقُونَ﴾ يخافون.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ أي: ما يلجؤون إليه من المواضع.

﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ هي الغِيران في الجبال.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وزنه مُفْتَعَل؛ مِن الدخول، ومعناه: نفقٌ أو سَرْبٌ في الأرض.

﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي: يُسرِعون.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يَعيبك على قِسْمتها.

والآية في المنافقين؛ كالتي قبلها وبعدها.

وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟﴾ الآيةَ؛ ترغيبٌ لهم فيما هو خير لهم.

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ؛ تقديره: لكان ذلك خيرًا لهم.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآيةَ؛ ﴿إِنَّمَا﴾ هنا: تقتضي حصر الصدقات -وهي الزكاة[1]- في هذه الأصناف الثمانية، فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم.

---

(١) في ب، هـ: «الزكوات».

ومذهب مالك: أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام؛ فله أن يجعلها في بعضهم دون بعض.

ومذهب الشافعي: أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسَّواء.

واختلف العلماء هل الفقير أشدُّ حاجةً من المسكين أو بالعكس؟

فقيل: هما سواء.

وقيل: الفقير الذي يسأل ويُعلَم حاله، والمسكين ليس كذلك.

﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الذين يقبضونها ويفرِّقونها.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ كفارٌ يعطَون ترغيبًا في الإسلام.

وقيل: هم مسلمون يعطون ليتمكَّن إيمانهم.

واختلف هل بقي حكمهم، أو سقط للاستغناء عنهم؟.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ يعني: العبيد؛ يُشترَون ويُعتَقون.

﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ يعني: مَن عليه دين، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرَف[1].

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الجهاد، فيعطَى منها المجاهدون ويشترَى منها آلات الحرب.

واختُلف هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل؟.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج.

---

(١) في أ، ب: «ولا إسراف».

﴿فَرِيضَةً﴾ أي: حقًّا محدودًا، ونصْبُه على المصدر.

فإن قيل: لم ذَكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذِكْر المنافقين؟.

فالجواب: أنه حصَر مصرف الزكاة في تلك الأصناف؛ ليقطعَ طمع المنافقين فيها، فاتَّصلت هذه الآية في المعنى بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ الآية.



[﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾].

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ يعني: من المنافقين، وإذايتهم له ﷺ: بالأقوال والأفعال.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كلَّ ما يقال له ويصدِّقه.

ويقال: إنَّ قائل هذه المقالة هو نَبْتَل بن الحارث، وكان من مرَدة المنافقين، وقيل: عتَّاب بن قُشير.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: هو يسمع الخير والحق.

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدِّقهم؛ يقال: آمنت لك؛ إذا صدَّقتك؛ ولذلك تعدَّى هذا الفعل باللام، وتعدَّى ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ بالباء.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع؛ عطفٌ على ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾.

وبالخفض؛ عطفٌ على ﴿خَيْرٍ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ﴾ يعني: المنافقين.

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ تقديره: والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك؛ فهما جملتان حُذف الضمير من الثانية؛ لدلالة الأُولى عليها.

وقيل: إنما وحَّد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحدٌ.

﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ من يعادي ويخالف.

﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾ «أنّ» هنا مكررة؛ تأكيدًا للأولى.

وقيل: بدل منها.

وقيل: التقدير: فواجب أنَّ له؛ فهي في موضع خبر مبتدإٍ محذوف.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: تُنزَّل في شأنهم سورة على النبي ﷺ، والضمائر في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿تُنَبِّئُهُم﴾ و﴿قُلُوبِهِمْ﴾ تعود على المنافقين.

وقال الزمخشري: إن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿تُنَبِّئُهُم﴾ للمؤمنين، وفي ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ للمنافقين[1].

والأول أظهر.

﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ تهديدٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ صنَع ذلك بهم في هذه السورة؛ لأنها فضحتهم.

﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت في وديعة بن ثابت؛ بلغ النبيَّ ﷺ أنه

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٢٩٢).

قال: هذا يريد أن يفتتح قصور الشام! هيهات هيهات!، فسأله عن ذلك فقال: إنما كنا نخوض ونلعب.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ كان منهم رجل اسمه مُخَشِّن[1]، تاب ومات شهيدًا.



(١) قال ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٤): «يقال له: مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيِّر، ويقال: مخشيّ».

[﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ
ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ
فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ
ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً
فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾].

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ نفيٌ لأن يكونوا من المؤمنين.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ كنايةٌ عن البخل.

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: غفَلوا عن ذكره.

﴿فَنَسِيَهُمْۗ﴾ تركهم من رحمته وفضله.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ الأصل في الشرِّ أن يقال: «أوعد»، وإنما يقال فيه «وعد» إذا صُرِّح بالشر.

﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ يعني: المجاهرين بالكفر.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمنافقين، والكاف:

في موضع نصبٍ؛ والتقدير: فعلتم مثلَ فعل الذين من قبلكم.

أو في موضع خبر مبتدإ؛ تقديره: أنتم كالذين من قبلكم.

﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: خلَطتم، وهو مستعارٌ من الخوض في الماء، ولا يقال إلَّا في الباطل من الكلام.

﴿كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ تقديره: كالخوض الذي خاضوا.

وقيل: كالذين خاضوا؛ فـ«الذي» هنا -على هذا- بمعنى الجمْع.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ لهم بما أصاب الأمم المتقدمة.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ يعني: مدائنَ قوم لوط.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله - في المنافقين -: ﴿بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾، ولكنه خصَّ المؤمنين بالوصف بالولاية.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قيل: عدن: هي مدينة الجنة وأعظمها.

وقال الزمخشري: هو اسم علم[١].

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضوانٌ من الله أكبر مِن كلِّ ما ذُكِر.

وذلك معنى ما ذكر في الحديث: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة:

---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٣٠٤).

أتريدون شيئًا أزيدكم، فيقولون: يا ربنا أي شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»[١].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا
لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ
نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾
أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾].

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان ما لم يَظهر ما يدل على كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق، وقد اختُلف هل يقتل أم لا؟.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الغِلظة ضدُّ الرحمة والرأفة، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ نزلت في الجُلَاسِ بن سُويد؛ فإنه قال: إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن شرٌّ من الحُمُر، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقرره عليه، فحلف أنه ما قاله.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني: ما تقدَّم من قول الجُلَاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب.

﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ لم يقل: «بعد إيمانهم»؛ لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم: آمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم.

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ همَّ الجُلَاس بقتل مَن بلَّغ تلك الكلمة عنه.

وقيل: همَّ بقتل النبي ﷺ.

وقيل: الآية نزلت في عبد الله بن أبيّ بن سلول، وكلمةُ الكفر التي قالها قوله: سمِّنْ كلبَك يأكلْك، وهمُّه بما لم ينل: قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ما عابوا إلَّا الغنى الذي كان حقُّه أن يَشكروا عليه، وذلك في الجُلَاس، أو في عبد الله بن أبيّ.

﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ فتح الله لهم باب التوبة، فتاب الجُلَاس وحسن حاله.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ؛ نزلت في ثعلبة بن حاطب، وذلك أنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يكثر مالي، فقال له رسول الله ﷺ: «**قليلٌ تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه**»، فأعاد عليه حتى دعا له، فكثر ماله، فتشاغل به حتى ترك الصلوات، ثم امتنع من أداء الزكاة، فنزلت فيه الآية، فجاء بزكاته إلى النبي ﷺ، فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال: «**إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك**»، ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان[1].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٨-٥٨٠).

﴿بَخِلُوا بِهِۦ﴾ إشارةٌ إلى منعه الزكاة.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ ذلك عقوبةٌ على العصيان بما هو أشدُّ منه.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ حكم بوفاته على النفاق.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ نزلت في المنافقين؛ حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا: ما هذا إلَّا رياء.

وأصل ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتطوعين، والمراد به هنا: مَن تصدق بكثير.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ هم الذين لا يقدرون إلَّا على القليل فيتصدقون به.

نزلت في أبي عقيل؛ تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخفُّون بهم.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قول ابن جزي رحمه الله: «تسمية للعقوبة باسم الذنب» أقول: معنى كلامه أن الله لا يسخر حقيقة بالمنافقين، بل هذا من تسمية العقوبة باسم الذنب الذي ارتكبوه، وهو سخريتهم بالمؤمنين المتصدقين، وهذا معنى قول بعضهم: هذا من قبيل المشاكلة، أي اللفظية، كما قالوا مثل ذلك في المكر والاستهزاء والخداع، والصواب: أن الله يمكر حقيقة بالماكرين من الكافرين والمنافقين، ويخدع المخادِعين، ويستهزئ بالمستهزئين، ومن ذلك إملاؤه تعالى للكافرين واستدراجهم، وإظهاره سبحانه قبول ما أظهره المنافقون من الإيمان، فيحسبون أنهم خدعوا الله بما أظهروه من العمل، وهو تعالى محمود على ذلك؛ لأنه عدلٌ. =

﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ يَحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون لفظَ أمْرٍ، ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت لهم أو لم تستغفرلهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة «المنافقين».

والآخر: أن يكون تخييرًا؛ كأنه قال: إن شئت فاستغفر، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أَعْلَمه الله أنه لا يغفر لهم، وهذا أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: **«إن الله خيَّرني فاخترت»**، وذلك حين قال عمر: أتصلي على عبد الله بن أبيٍّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه![1].

﴿سَبۡعِينَ مَرَّةً﴾ ذكَرها على وجه التمثيل للعدد الكثير.

= ومن مكر الله واستهزائه بالمنافقين يوم القيامة أنهم يكونون مع المؤمنين، فيعطون أنوارا حتى يظنوا أنهم ناجون، وليسوا بناجين، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ الآيات، ومن مكر الله بالكافرين ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾. والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٦)، ومسلم (٢٧٧٤).

[﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ
﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ
طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ
رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا
وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ
وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾
وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟
ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾].

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي: الذين خلَّفهم الله عن الغزو وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقيرٌ وذمٌّ لهم، ولذلك لم يقل: «المتخلِّفون».

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم.

﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعدَه حين خرج إلى تبوك، فـ﴿خِلَٰفَ﴾ على هذا ظرف.

وقيل: هو مصدر مِن خالَفَ؛ فهو على هذا مفعول من أجله.

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قال هذه المقالة رجل من بني سَلِمَة ممن صعب عليه السفر إلى تبوكَ في الحرِّ.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ أمرٌ بمعنى الخبر، فضَحِكُهم القليل: في الدنيا مدة بقائهم فيها، وبكاؤهم الكثير: في الآخرة.

وقيل: هو بمعنى الأمر؛ أي: يجب أن يكونوا يضحكون قليلًا ويبكون كثيرًا في الدنيا؛ لما وقعوا فيه.

﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ إنما لم يقل: «إليهم»؛ لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلُّف.

﴿لَن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ عقوبةٌ لهم فيها خزي وتوبيخ.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: في غزوة تبوك.

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ أي: مع القاعدين؛ وهم النساء والصبيان.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول وصلاةِ رسول الله ﷺ عليه حين مات.

فروي أنه صلى عليه فنزلت الآية بعد ذلك.

وروي أن رسول الله ﷺ لما تقدَّم ليصليَ عليه جاءه جبريل فجبَذ بثوبه، وتلا عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ الآيةَ، فانصرف ﷺ ولم يصل عليه.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ قيل: يعني براءة، والأرجح أنه على الإطلاق.

﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ «أنْ» هنا مفسِّرة.

﴿اسْتَـْٔذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي: أولوا الغنى والمال الكثير.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ الآيةَ؛ أي: إن تخلَّف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه.

﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ تعمُّ منافع الدارين.

وقيل: هي الحور العين؛ لقوله: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

* * *

[﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ
لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا
يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن
يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا
رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟
عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ
كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾
وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا
يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾].

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ هم: المعتذرون؛ ثم أدُغمت التاء في الذال، ونقلت حركتها إلى العين، واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين؟.

وقيل: هم المقصِّرون؛ من عذَّرَ في الأمر: إذا قصَّر فيه ولم يَجِدَّ؛ فوزنه على هذا: المفعِّلون.

وروي أنها نزلت في قوم من غِفَار.

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم؛ فكذبوا في دعواهم الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ أي: من المعذِّرين.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ هذا رفعٌ للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو.

وقيل: إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان، وهذا بعيد.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ قيل: نزلت في بني مُقَرِّنٍ، وهم ستة إخوة صحبوا النبي ﷺ.

وقيل: في عبد الله بن مغفل المزني.

﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ﴾ يعني: بنيَّاتهم وأقوالهم، وإن لم يخرجوا للغزو.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ وصفهم بالمحسنين؛ لأنهم[١] نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قيل: هم بنو مقرِّن.

وقيل: ابن مغفل.

وقيل: سبعة نفر من بطون شتى؛ وهم البكّاؤون.

ومعنى ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾: على الإبل.

---

(١) في أ، ب، هـ: «أنهم».

وجواب ﴿إِذَا﴾ يَحتمل أن يكون: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾ أو ﴿تَوَلَّوا﴾.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يعني: من غزوة تبوك.

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدِّقكم.

﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ نعتٌ لمحذوف هو المفعول الثاني؛ تقديره: قد نبأنا الله جملةً من أخباركم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ هم أهل البوادي من العرب.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: أنهم أحقُّ أن لا يعلموا الشرائع؛ لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ أي: تثقل عليه الزكاة والنفقة في سبيل الله ثِقَلَ المغرم الذي ليس بحق عليه.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ أي: ينتظر بكم مصائب الدنيا.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ خبرٌ، أو دعاءٌ.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي: دعواته لهم.

وهو عطفٌ على ﴿قُرُبَاتٍ﴾؛ أي: يَقصِدون بنفقاتهم التقرُّب إلى الله[1] واغتنامَ دعاء الرسول لهم.

وقيل: نزلت في بني مقرِّن.

---

(١) في أ، ج، هـ: «إليه».

[﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ قيل: هم من صلَّى للقبلتين.

وقيل: من شهد بدرًا.

وقيل: من حضر بيعة الرضوان.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ سائر الصحابة، ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ بشرط الإحسان.

﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ أي: اجترؤوا عليه، **وقيل**: أقاموا عليه.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ العذاب العظيم: هو عذاب النار.

وأما المرَّتان قبله:

فالثانية منهما: عذاب القبر.

والأولى: عذابهم بإقامة الحدود عليهم.

وقيل: فضيحتهم في النفاق.

﴿وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: إنها نزلت في أبي لبابة، فعمله الصالح: الجهاد، وعمله السيِّئ: نصيحته لبني قريظة.

وقيل: هي فيمن تخلَّف عن تبوك من المؤمنين، فعملهم الصالح: ما سبق لهم، وعملهم السيئ: تخلفهم عن تبوك، وروي أنهم ربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد، وقالوا: لا نحُلُّ أنفسنا حتى يحلَّنا رسول الله ﷺ.

وقيل: هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة.

قال بعضهم: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ **قيل**: نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم؛ لما تاب الله عليهم قالوا: يا رسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا، فنزلت هذه الآية، وأخذ ثلث أموالهم.

وقيل: هي الزكاة المفروضة؛ فالضمير على العموم لجميع المسلمين.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ خطاب للنبي ﷺ، في موضع صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾.

أو حال من الضمير في ﴿خُذْ﴾.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لهم.

﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي: تَسْكُن به نفوسهم؛ فهو عبارةٌ:

عن صحة الاعتقاد.

أو عن طُمَأْنينة نفوسهم إذ علموا أن الله تاب عليهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ الضمير في ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾:

للتائبين من التخلف.

وقيل: للذين تخلفوا ولم يتوبوا.

وقيل: عام.

وفائدة الضمير المؤكِّد: تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره.

﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ **قيل**: معناه: يأمر بها.

وقيل: يقبلها من عباده.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ **قيل**: هم الثلاثة الذين خُلِّفوا قبل أن يتوب الله عليهم.

وقيل: هم الذين بنَوْا مسجد الضِّرار.

وقرئ ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمز وتركِه، وهما لغتان، ومعناه: التأخير.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ قرئ ﴿الَّذِينَ﴾ بغير واو؛ صفةً لقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: هم أهل مسجد الضرار.

وقرئ ﴿وَالَّذِينَ﴾ بالواو؛ عطفًا على ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾، وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجَيْن: إنهم الثلاثة الذين خلفوا.

﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ كان بنو عمرٍو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غَنْمِ بن عوف وبنو سالم بن عوف؛ فبنوا مسجدًا آخر مجاورًا له؛ ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا، وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيه، ويصليَ لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرادوا أن يتفرَّق المؤمنون عن مسجد قباء.

﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: انتظارًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامرٍ الراهبُ الذي سمَّاه رسول الله ﷺ: الفاسقَ، وكان من أهل المدينة، فلما قدِمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلى مكة فحزَّب الأحزاب من المشركين، فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام، ليستنصر بقيصر فهلك هناك.

وكان أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد.

والإشارةُ بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ إلى ما فعل مع الأحزاب.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الخَصلة الحسنى؛ وهي الصلاة وذكر الله، فأَكْذَبهم الله في ذلك.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهيٌ عن إتيانه والصلاة فيه، فكان رسول الله ﷺ لا يمرُّ بطريقه.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قيل: هو مسجد قباء.

وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وقد رُوي ذلك عن رسول الله ﷺ[1].

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال: إن المسجد الذي أُسِّس على التقوى هو مسجد المدينة.

ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصةً على قول من قال: إنه مسجد قباء.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الآيةَ؛ استفهام بمعنى التقرير.

والذي أُسِّس على التقوى والرضوان: مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أُسس على شفا جرف هارٍ: هو مسجد الضرار.

وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه.

والتأسيس على شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين؛ فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٨٣).

ومعنى ﴿شَفَا جُرُفٍ﴾: طرَفِه.

ومعنى ﴿هَارٍ﴾: ساقِطٍ، أو واهٍ؛ بحيث أَشْفى على السقوط، وأصل «هارٍ»: هائِرٌ؛ فهو من المقلوب؛ لأن لامه جعلت في موضع العين.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: طاح في جهنم، وهذا ترشيحٌ للمجاز؛ فإنه لما شُبِّه بالجرف وُصِف بالانهيار؛ الذي هو من شأن الجرف.

وقيل: إن ذلك حقيقة، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه.

والصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهُدِم.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبةٌ من بنيانه؛ أي:

شكٌّ في الإسلام بسبب بنيانه؛ لاعتقادهم صواب فعلهم.

أو غيظٌ بسبب هدمه.

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إلَّا أن يموتوا.

* * *

[﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ
وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ
ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ
حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ
ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ قيل: إنها نزلت في بيعة العقبة.

وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة.

قال بعضهم: ما أكرمَ اللهَ!؛ فإن أنفسَنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقةٌ رابحة!.

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جملةٌ في موضع الحال؛ بيانًا للشراء.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ قال بعضهم: ناهيك من بيعٍ البائعُ فيه ربُّ العُلى، والثمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ وما بعده: أوصاف المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسَهم وأموالهم؛ تقديره: هم التائبون.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ قيل: معناه الصائمون.

ويقال: ساح في الأرض: أي: ذهب.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في شأن أبي طالب؛ فإنه لما امتنع أن يقول: «لا إله إلا الله» عند موته؛ قال له رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْه عنك»، فكان يستغفر حتى نزلت هذه الآية(١).

وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه أن يستغفر لأُمّه؛ فنزلت الآية.

وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين؛ فنزلت.

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ المعنى: لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإن ذلك لم يكن إلَّا لوعد(٢) تقدَّم، وهو قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «وعد».

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ قيل: تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر.

وقيل: بأنه نُهي عن الاستغفار.

﴿لَأَوَّٰهٌ﴾ قيل: كثير الدعاء، وقيل: مُوقِنٌ، وقيل: فقيه، وقيل: كثير الذكر لله، وقيل: كثير التأوُّه من خوف الله.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا﴾ الآيةَ؛ نزلت في قوم من المسلمين؛ استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا على أنفسهم من ذلك، فنزلت الآية؛ تأنيسًا لهم؛ أي: ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبيِّن لكم المنع من ذلك.

﴿فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ يعني: حين محاولة غزوة تبوك.

والساعة هنا: بمعنى الحين والوقت، وإن كان مدةً.

و﴿ٱلۡعُسۡرَةِ﴾: الشدة وضيق الحال.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني: تزيغ:

عن الثبات على الإيمان.

أو عن الخروج في تلك الغزوة؛ لِمَا رأوا من الضيق والمشقة.

وفي ﴿كَادَ﴾:

ضمير الأمر والشأن.

أو ترتفع بها القلوب.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على هذا الفريق؛ أي: رجع بهم عما كادوا يقعون فيه.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرَارة ابن الربيع، تخلَّفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصدٍ للمخالفة، فلما رجع رسول الله ﷺ عتَب عليهم، وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فبقوا على ذلك مدَّةً إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد وقع حديثهم في البخاري ومسلم[1] والسِّيَر.

ومعنى ﴿خُلِّفُوا۟﴾ هنا: عن الغزوة.

وقال كعب بن مالك: معناه: خُلفوا عن قبول العذر، وليس بالتخلُّف عن الغزو، ويقوِّي ذلك: كونه جَعل ﴿إِذَا ضَاقَتْ﴾ غايةً للتخلف.

﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ عبارةٌ عما أصابهم من الغم والخوف من الله.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ أي: رجَع بهم ليستقيموا على التوبة.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾].

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يَحتمل أن يريد: صدق اللسان؛ إذ كان هؤلاء الثلاثةُ قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب، فنفعهم الله بذلك.

ويَحتمل أن يريد: أعمَّ من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم.

والمراد بـ ﴿الصَّادِقِينَ﴾: المهاجرون؛ لقول الله في «الحشر»: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وقد احتجَّ بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا؛ أي: تابعين لنا[(١)].

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآيةَ؛ عتابٌ لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب.

---

(١) أخرجه الواقدي في كتاب الردة (ص: ٣٦).

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: لا يمتنعوا من اقتحام المشقَّات التي تحملها هو ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ تعليلٌ لما يجب من عدم التخلف.

﴿ظَمَأٌ﴾ أي: عطشٌ.

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب.

﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع.

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾ بأرجلهم أو بدوابِّهم.

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ ابن عباس: هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا؛ أي: لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه، فالآية الأولى: في الخروج معه ﷺ، وهذه: في السرايا التي كان يبعثها.

وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع؛ فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين.

وقيل: هي في طلب العلم؛ ومعناها: أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع، بل على البعض؛ لأنه فرض كفاية.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ تحضيضٌ على نفير بعض المؤمنين للجهاد، أو لطلب العلم.

﴿لِيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إن قلنا: إن الآية في الخروج إلى طلب العلم؛ فالضمير في ﴿يَتَفَقَّهُواْ﴾ للفِرقة التي (تنفر -أي: ترحل-، وكذلك الضمير في ﴿يُنذِرُواْ﴾ وفي ﴿رَجَعُوٓاْ﴾؛ أي: يُعلِّمون قومهم إذا رجعوا إليهم من الرِّحلة.

وإن قلنا: إن الآية في السرايا؛ فالضمير في ﴿يَتَفَقَّهُواْ﴾ للفِرقة التي)[1] تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وكذلك الضمير في ﴿يُنذِرُواْ﴾، وأما الضمير في ﴿رَجَعُوٓاْ﴾ فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا.

وقيل: إن التفقُّه يكون في حين خروجهم مع السَّرايا؛ فعلى هذا تكون الضمائر كلها للفِرقة التي خرجتْ مع السرايا.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم.

* * *

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ
ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾].

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أمرٌ بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج.

وقيل: إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام؛ لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب، وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام، وكانت العراق حينئذ بعيدةً.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ أي: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه إيمانًا؟ على وجه الاستخفاف بالقرآن؛ كأنهم يقولون: أيُّ عجبٍ في هذا؟ وأي دليل في هذا؟.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وذلك لما يتجدَّد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ المرض: عبارة عن الشك والنفاق.

ومعنى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ زادتهم كفرًا ونفاقًا إلى كفرهم ونفاقهم.

﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يختبرون بالأمراض والجوع.

وقيل: بالأمر بالجهاد.

واختار ابن عطية أن يكون المعنى: يفضحون بما يُكشَف من سرائرهم[١].

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: تغامزوا، وأشار بعضهم إلى بعض؛ على وجه الاستخفاف بالقرآن، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ فينقل عنكم هذا الاستخفاف؟، فقولهم: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ كان بسبب خوفهم أن يُنقَل عنهم ذلك.

وقيل: معنى ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: على وجه التعجُّب مما ينزل في القرآن؛ من كشف أسرارهم، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: هل رأى أحدٌ أحوالكم فنقَلها عنكم؟ أو عُلِمت من غير نقل؟ فهذا أيضًا على وجه التعجُّب.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ يَحتمل أن يريد:

الانصراف بالأبدان.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٩).

أو الانصراف بالقلوب عن الهدى.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاءٌ، أو خبرٌ.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ تعليلٌ لصرف قلوبهم.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: النبي ﷺ، والخطاب: للعرب.

أو لقريش خاصة؛ أي: من قبيلتكم حيث تعرفون حسَبه وصِدْقَه وأمانته.

أو لبني آدم كلهم؛ أي: من جنسكم.

وقرئ: «مِنْ أنفَسِكُمْ» بفتح الفاء؛ أي: مِن أشرفكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشقُّ عليه عنَتُكم، والعنَت: هو ما يضرهم في دينهم أو دنياهم.

و﴿عَزِيزٌ﴾ صفة للرسول، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ فاعلٌ بـ﴿عَزِيزٌ﴾، و«ما» مصدرية.

أو ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مصدر، و﴿عَزِيزٌ﴾ خبر مقدَّم، والجملة في موضع الصفة.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: حريص على إيمانكم وسعادتكم.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: إن أعرضوا عن الإيمان بك فاستعن بالله وتوكل عليه.

وقيل: إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة.

﴿ سورة يونس عليه السلام ﴾

[﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ
أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى
ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ
بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ
لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَعۡلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا
وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ
ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ
دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾].

﴿الٓرۚ﴾ تكلَّمنا في أول «البقرة» على حروف الهجاء التي في أوائل السور(١).

---

(١) انظر: ١/ ٢٦١.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إشارةٌ إلى ما تضمَّنته السورة من الآيات، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا: القرآن.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ مِن:

الحكمة.

أو من الحُكم.

أو من الإِحكام للأمر؛ أي: أَحْكَمه الله.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار، و﴿عَجَبًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ اسمها، و﴿أَنْ أَنذِرِ﴾ تفسيرٌ للوحي.

والمراد بالناس هنا: كفار قريش وغيرهم، والرجل هنا: رسول الله ﷺ.

ومعنى الآية: الردُّ على من استبعدَ النبوة أو تعجَّبَ مِن أن يبعث الله رجلًا.

﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي: عملٌ صالح قدَّموه.

وقال ابن عباس: السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ.

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون: ما جاء به من القرآن.

وقرئ ﴿لَسَٰحِرٌ﴾؛ يعنون به: النبي ﷺ.

ويَحتمل أن يكون كلامهم هذا:

تفسيرًا لما ذُكِر قبلُ مِن تعجبهم من النبوة.

أو يكون خبرًا مستأنفًا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ تعريفٌ بالله وصفاته؛ ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه ردٌّ على من أنكر النبوة؛ كأنه يقول: إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السموات والأرض، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟!.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ أي: لا يشفع إليه أحدٌ إلَّا بعد أن يأذن له في الشفاعة، وفي هذا ردٌّ على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ نصْبُ ﴿وَعْدَ﴾ على المصدر المؤكِّد للرجوع إلى الله، ونصْبُ ﴿حَقًّا﴾ على المصدر المؤكِّد لوعدِ الله.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: يبدؤه في الدنيا ويعيده في الآخرة، والبَدْأة دليلٌ على العودة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليلٌ للعودة؛ وهي البَعث(١).

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بعدله في جزائهم.

أو: بقسطهم في أعمالهم الصالحة.

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وصْفُ أفعال الله وقدرته وحكمته.

والضياء أعظم من النور.

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ الضمير للقمر، والمعنى: قدَّر سَيْرَه في منازل.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «البعثة».

﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ يعني: حساب الأوقات؛ من الأشهر والأيام والليالي.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ما خلقه عبثًا، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدَّم من المخلوقات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: معنى ﴿يَرْجُونَ﴾ هنا: يخافون.

وقيل: لا يرجون حسن لقائنا؛ فالرجاء على أصله.

وقيل: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يتوقعونه أصلًا، ولا يخطر ببالهم.

﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: قنِعوا أن تكون حظَّهم ونصيبهم.

﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ أي: سكَنتْ نفوسهم عن ذكر الانتقال عنها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ يحتمل:

أن تكون هي الفِرقة الأولى؛ فيكون من عطف الصفات.

أو تكون غيرها.

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ أي: يسدِّدهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة.

أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة، وهو أرجح؛ لما بعده.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم.

[﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ
فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا
لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ
كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا
ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا
يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم
بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ
ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا
كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾].

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أي: لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعًا.

ونزلت الآية -عند قوم-: في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده.

وقيل: نزلت في الذين قالوا: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ

عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ عتابٌ في ضمنه نهيٌ لمن يدعو الله عند الضر، ويَغفُل عنه عند العافية.

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضطجعًا، وروي أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة؛ لمرضٍ كان به.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾ إخبارٌ في ضمنه وعيد للكفار.

﴿لِنَنظُرَ﴾ معناه: ليظهرَ في الوجود؛ فتقوم عليكم الحجة.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: على قريش.

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: ما تلوته إلَّا بمشيئة الله؛ لأنه من عنده وما هو من عندي.

﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ أي: ولا أعلمكم به.

﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓ﴾ أي: بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصُّلٌ من الافتراء على الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب.

أو[1] إشارةٌ إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له.

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ بيانٌ لظلمهم في تكذيب رسول الله ﷺ.

---

(١) في د: «و».

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ الضمير في ﴿يَعۡبُدُونَ﴾ لكفار العرب، و﴿مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾: هي الأصنام.

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾ ردٌّ عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى: أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومةٍ لله الذي هو عالم بما في السموات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدمٌ محضٌ، ليس بشيء؛ فقوله: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكُّم؛ أي: كيف تعلِّمون الله بما لا يعلم؟.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ تقدَّم في «البقرة»[1] في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ﴾ يعني: القضاء.

﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوا، ولقد نزلت عليه آيات عظامٌ فما اعتدُّوا بها؛ لعنادهم وشدة ضلالهم.

﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ أي: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطَّلع على ذلك أحد.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أي: انتظروا نزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ أي: منتظرٌ لعقابكم على كفركم.

---

(١) انظر: ١/ ٤٣٠.

[﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ
مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ
فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن
كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ
قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا
وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ
أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ
وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ هذه الآية في الكفار، وتتضمَّن النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا: الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة: هو عقابه لهم، سماه مكرًا؛ مشاكلةً لفعلهم

وتسميةً للعقوبة باسم الذنب[١].

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ الضمير المؤنث في ﴿وَجَرَيْنَ﴾ للفُلك، والضمير في ﴿بِهِمْ﴾ للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات.

وجواب ﴿إِذَا كُنتُمْ﴾ قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

وقوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾: قال الزمخشري: هو بدلٌ من ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾[٢].

ومعناه: دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه.

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رفعٌ على أنه:

خبر ابتداء مضمر؛ تقديره: وذلك متاع.

أو يكون خبر ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾.

ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ معنى الآية: تحقيرٌ للدنيا وبيان سرعة فنائها؛ فشبَّهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النباتَ آفةٌ عند حسنه وكماله.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ كالزرع والفواكه.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يعني: المرعى التي ترعاه من العشب وغيرها.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٥٤٥، وصفحة ٥١٢ من هذا الجزء.

(٢) انظر: الكشاف (٧/ ٤٥٨).

﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعَروس إذا تزينت بالثياب والحلي.

﴿قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: متمكِّنون من الانتفاع بها.

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ أي: بعض الجوائح؛ كالريح، والصِّرِّ، وغير ذلك.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ أي: جعلنا زرعها كالذي حُصِد وإن كان لم يُحصَد.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تَنْعَم.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: إلى الجنة، وسمِّيت دار السلام؛ أي: دار السلامة من العناء والتعب.

وقيل: السلام هنا: اسم الله؛ أي: يدعو إلى داره.

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ذكَر الدعوةَ إلى الجنة عامة مطلقة، والهدايةَ خاصة بمن يشاء.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله.

وقيل: الحسنى: جزاء الحسنة بعشر أمثالها، والزيادة: التضعيف فوق ذلك إلى سبع مئة.

والأول أصح؛ لوروده في الحديث[1]، وكثرة القائلين به.

﴿قَتَرٌ﴾ أي: غبار يغيِّر الوجه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٦١).

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ:

على حذف مضاف؛ تقديره: جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها.

أو على تقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها.

أو معطوفٌ على الذين أحسنوا؛ ويكون: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿بِمِثْلِهَا﴾.

﴿مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحد من عذاب الله.

﴿قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ من قرأ بفتح الطاء: فهو جمع قطعة، وإعراب ﴿مُظْلِمًا﴾ على هذه القراءة: حال من ﴿اللَّيْلِ﴾.

ومن قرأ ﴿قِطْعًا﴾ بإسكان الطاء: فـ ﴿مُظْلِمًا﴾: صفة له، أو حال من ﴿اللَّيْلِ﴾.

﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره: الزموا مكانكم؛ أي: لا تبرحوا حتى تنظروا ما يُفعَلُ بكم.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرَّقنا.

﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي: تَختبر ما قدَّمت من الأعمال.

وقرئ ﴿تَتْلُوا﴾ بتاءين؛ بمعنى: تَتْبَع، أو تقرؤه في الصحائف.

[﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ
ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾
فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ
قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ
كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ
بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا
يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على الكفار بحجج كثيرة واضحة، لا محيص لهم عن الإقرار بها.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ مذكور في «آل عمران»(١).

﴿رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الثابت الربوبية، بخلاف ما يعبدون من دونه.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ أي: عبادة غير الله ضلالٌ بعد وضوح الحق.

وتدلُّ الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات؛ إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع.

---

(١) انظر: ١/٥٢٧.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ المعنى: كما حق الحق في الاعتقادات كذلك حقت كلمات ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون.

والكلمة يراد بها: القدر والقضاء.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على الكفار.

فإن قيل: كيف يُحتَجُّ عليهم بإعادة الخلق، وهم لا يعترفون بها؟.

فالجواب: أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة؛ ففي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضًا فوُضِعت الإعادة هنا موضع المتَّفق عليه؛ لظهور برهانها.

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾ بتشديد الدال؛ معناه: لا يهتدي في نفسه، فكيف يهدي غيرَه؟.

وقرئ بالتخفيف؛ بمعنى: يَهدِي غيره.

والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج.

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية معناها تقرير وتوبيخ، و﴿لَكُمْ﴾ خبرها، ويوقف عليه.

﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ أي: تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: غيرَ تحقيق؛ لأنه لا يستند إلى برهان.

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ذلك في الاعتقادات؛ إذ المطلوب فيها اليقين، بخلاف الفروع.

﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ مذكور في «البقرة»[1].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمۡ﴾ هنا بمعنى: «بل» والهمزة.

﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ﴾ تعجيز لهم، وإقامة حجة عليهم.

﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ يعني: مِن شركائكم وغيرهم من الجن والإنس.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غير الله.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ أي: سارَعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره.

﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾ أي: عِلْمُ تأويله.

أو يعني بتأويله: الوعيدَ الذي لهم فيه.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ الآيةَ؛ فيها قولان:

أحدهما: إخبارٌ بما يكون منهم في المستقبل، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر.

والآخر: أنها إخبارٌ عن حالهم؛ أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم من هو مكذب.

* * *

(١) انظر: ١/٣٠٨.

[﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾].

﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ الآية موادعة، منسوخةٌ بالقتال.

﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يستمعون القرآن، وجمع الضمير بالحمْل على معنى «مَن».

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ المعنى: أتريد أن تسمع الصم؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى الصَّمَم عدمُ العقل.

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ﴾ المعنى: أتريد أن تهدي العمي؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى عمى(١) البصر عمى البصيرة.

---

(١) في أ: «عدم».

والصَّمَم والعمَى: عبارةٌ عن قلة فهمهم.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليلٌ لمدة بقائهم في الدنيا، أو في القبور.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: يومَ الحشر؛ فهو - على هذا - حال من الضمير في ﴿يَلْبَثُوٓاْ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ شرطٌ، جوابه: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، والمعنى: إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكرت «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الأمر. قاله ابن عطية[1].

وقال الزمخشري: ذُكِرت الشهادة والمراد مقتضاها؛ وهو العقاب[2]. فالترتيب على هذا صحيح.

﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ قيل: مجيئه في الآخرة للفصل.

وقيل: مجيئه في الدنيا؛ وهو بعثه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ كلامٌ فيه استبعاد واستخفاف.

﴿بَيَٰتًا﴾ أي: بالليل.

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى: أيُّ شيء تستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به!.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٨٨).
(٢) انظر: الكشاف (٧/ ٤٩٨).

وقوله: ﴿مَاذَا﴾ جواب ﴿إِنْ أَتَنكُمْ﴾، والجملة متعلقة بـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ دخلت همزة التقرير على «ثم» العاطفة، والمعنى: أإذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن؟!، وذلك لا ينفعكم؛ لأنكم كنتم تستعجلون به مكذِّبين به.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: يسألونك هل الوعيد حق؟.

أو: هل الشرع والدين حق؟.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: لا تَفُوتون من الوعيد.

﴿قُلْ إِى﴾ أي: نعم.

[﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾].

﴿ظَلَمَتْ﴾ صفةٌ لـ ﴿نَفْسٍ﴾؛ أي: لو ملك الظالمُ الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها.

﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: يَشفي ما فيها من الجهل والشكِّ.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يتعلَّق ﴿بِفَضْلِ﴾ بقوله: ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾، وكرَّر الفاء في قوله: ﴿فَبِذَلِكَ﴾ تأكيدًا، والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما.

والفضل والرحمة: عموم.

وقد قيل: الفضل: الإسلام، والرحمة: القرآن.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ الآيةَ؛ مخاطبةٌ لكفار العرب الذي حرَّموا البَحِيرة والسائبة وغير ذلك.

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلِّق بـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾، وكرَّر ﴿قُلْ﴾ للتأكيد، ولما قسَم الأمر إلى إذْن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك.

﴿وَمَا ظَنُّ﴾ وعيدٌ للذين يفترون.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ظرف منصوب بالظن، والمعنى: أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟!.



[﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ
شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ
وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾
وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ
عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾].

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ الشأن: الأمر، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وجميع الخلق؛ ولذلك قال في آخرها: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ بمخاطبة الجماعة.

ومعنى الآية: إحاطة علم الله بكل شيء.

﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدَّم ذِكْرُه؛ لدلالة ما بعده عليه؛ كأنه قال: ما تتلو شيئًا من القرآن.

وقيل: يعود على الشأن.

والأول أرجح؛ لأن الإضمار قبل الذِّكر تفخيمٌ للشيء.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ يقال: أفاض الرجل في الأمر: إذا أخَذ فيه بجِدٍّ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ ما يغيب.

﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنها، والذرة: صغار النمل.

قال الزمخشري: إن قلتَ: لم قُدِّمت الأرض على السماء بخلاف سورة «سبأ»؟

فالجواب: أن السماء قدِّمت في «سبأ»؛ لأن حقَّها التقديم، وقدِّمت الأرض هنا؛ لمَّا ذُكِرت الشهادة على أهل الأرض[1].

﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ من قرأهما بالفتح: فهو عطفٌ على لفظ ﴿مِثْقَالِ﴾.

ومن قرأهما بالرفع: عطَفه على موضعه، أو رفَع بالابتداء.

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافًا كثيرًا، والحقُّ فيه ما فسَّره الله بعد هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي.

وإعراب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

صفةٌ للأولياء.

أو منصوبٌ على التخصيص.

---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٥١٩).

أو رفعٌ بإضمار: هم الذين.

ولا يكون ابتداءً مستأنفًا؛ لئلا ينقطع مما قبله.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أما بشرى الآخرة: فهي الجنة اتفاقًا.

وأما بشرى الدنيا: فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، روي ذلك عن رسول الله ﷺ[1].

وقيل: محبة الناس للرجل الصالح.

وقيل: ما بشَّر به في القرآن من الثواب.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تغيير لأقواله ولا خُلْفَ لمواعده.

وقد استدلَّ بها ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدِّله.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني: ما يقوله الكفار من التكذيب.

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبارٌ في ضمنه وعدٌ للنبي ﷺ بالنصر، وتسليةٌ له.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً، وأُوجِبت بقوله: ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، وكرَّر ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ توكيدًا، والمعنى: ما يتبع الكفار إلَّا الظن.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩).

والوجه الثاني: أن تكون ﴿مَآ﴾ استفهامية، ويتمُّ الكلام عند قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾، والمعنى: أيُّ شيء يتبعون؟ على وجه التحقير لما يتبعونه، ثم ابتدأ الإخبار بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾.

والعامل في ﴿شُرَكَآءَ﴾ على الوجهين: ﴿يَدْعُونَ﴾.

﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ من السُّكون؛ وهو ضدُّ الحركة.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مُضيئًا تبصرون فيه الأشياء.

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ الضمير: للنصارى، ولمن قال: إن الملائكة بنات الله.

﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ وصفٌ يقتضي نفيَ الولد، والردَّ على من نسبه لله؛ لأن الغني المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بيانٌ وتأكيد للغني، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم.

﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ تقديره: لهم متاع في الدنيا.

[﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ
ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ
وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ
خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ
بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ
نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ
بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ
مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾
قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا
بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ
أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾] .

﴿نُوحٍ﴾ روي أن اسمه عبد الغفار، وإنما سمي نوحًا؛ لكثرة نَوْحِه على نفسه من خوف الله.

﴿كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾ أي: صعب وشقَّ.

﴿مَّقَامِي﴾ أي: قيامي لوعظكم والكلام معكم.

وقيل: معناه: مكاني؛ يعني: نفسه، كقولك: فعلت ذلك لمكان فلان.

﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ﴾ بقطع الهمزة؛ مِن أجمع الأمرَ: إذا عزَم عليه.

وقرئ بألف وصل؛ من الجمع.

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: ما تعبدون من دون الله.

وإعرابه:

مفعول معه.

أو مفعول بفعل مضمر تقديره: ادعوا.

وهذا على القراءة بقطع الهمزة.

وأما على الوصل: فهو معطوف.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا يكون قصْدكم إلى إهلاكي مستورًا ولكن مكشوفًا تجاهرونني به، وهو من قولك: غُمَّ الهلال: إذا لم يَظهر.

والمراد بقوله: ﴿أَمْرَكُمْ﴾ في الموضعين: إهلاككم لنوح عليه السلام؛ أي: لا تقصِّروا في إهلاكي إن قدَرتم على ذلك.

﴿ثُمَّ اقْضُوٓا إِلَيَّ﴾ أي: انفُذوا فيما تريدون.

ومعنى الآية: أن نوحًا عليه السلام قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون؛ فإني لا أبالي بكم؛ لتوكُّلي على الله وثقتي به سبحانه.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ أي: يخلفون مَن هلك بالغرق.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا﴾ يعني: هودًا وصالحًا وإبراهيم وغيرهم.

﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ قيل: إنه معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾؛ فهو من كلام قوم فرعون، وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصمِّمون على أنه سحر؛ لقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، فكيف يستفهمون عنه؟.

وقيل: إنه من كلام موسى تقريرًا وتوبيخًا لهم، فيوقف على قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾، ويكون معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ محذوفًا؛ تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر، ويدلُّ على هذا المحذوف ما حكَى عنهم من قولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، فلما تمَّ الكلام ابتدأ موسى يوبِّخهم[1] بقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله.

﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي: لتصرفنا وتردَّنا عن دين آبائنا.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي: الملك، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام.

﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ مرفوعة بالابتداء، و﴿ٱلسِّحْرُ﴾ الخبر.

وقرئ ﴿آلسِّحْرُ﴾ بالاستفهام؛ فـ﴿مَا﴾ على هذا استفهامية، و﴿آلسِّحْرُ﴾ خبر ابتداء مضمر.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ يَحتمل أن يكون:

من كلام موسى.

أو إخبارًا من الله تعالى.

* * *

(١) في ج، د: «توبيخهم».

[﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ
وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم
بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾].

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ الضمير عائد على موسى، ومعنى الذرية: شُبَّانٌ وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون.

وقيل: إن الضمير عائد على فرعون، فالذرية على هذا من قوم فرعون، وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنُه(١) وامرأة خازنِه، وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ الضمير يعود على الذرية؛ أي: آمنت الذرية من بني إسرائيل؛ على خوف من فرعون وملإ بني إسرائيل؛ لأن

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «وخازنته».

الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان؛ خوفًا من فرعون.

وقيل: يعود على فرعون؛ بمعنى: آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

﴿لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: متكبِّرٌ قاهر.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تمكِّنهم من عذابنا فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما عذَّبناهم، فيُفتنون بذلك.

﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي: اتَّخذا[1] لهم بيوتًا للصلاة والعبادة.

وقيل: إنه أراد الإسكندرية.

﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: مساجد، وقيل: موجَّهة إلى جهة القبلة.

فإن قيل: لم خصَّ موسى وهارون بالخطاب في قوله ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾، ثم خوطب معهما بنو إسرائيل في قوله: ﴿وَٱجْعَلُوا۟﴾؟

فالجواب: أن قوله ﴿تَبَوَّءَا﴾ من الأمور التي يختصُّ بها الأنبياء وأولوا الأمر.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أمرٌ لموسى عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ.

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاءٌ بلفظ الأمر.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «اتخذ».

وقيل: اللام لام كي، وتتعلّق بقوله: ﴿ءَاتَيْتَ﴾.

﴿ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي: أهلِكها.

﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اجعلها شديدة القسوة.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ جوابٌ للدعاء الذي هو ﴿وَٱشْدُدْ﴾.

أو دعاءٌ بلفظ النفي.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الخطاب لموسى وهارون؛ على أنه لم يذكر الدعاء إلى عن موسى وحده، ولكن كان موسى يدعو، وهارون يؤمِّن على دعائه.

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي: اثبُتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي: لحقهم؛ يقال: تَبِعه حتى أَتْبَعه، هكذا قال الزمخشري[١].

وقال ابن عطية: أَتْبع بمعنى تَبع، وأما اتَّبع - بالتشديد - فهو طلَبُ الأثر، سواءٌ أدرك أو لم يدرك[٢].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: الله ﷻ، وفي لفظ فرعون مَجْهَلةٌ وتلعثُمٌ؛ لكونه لم يصرح باسم الله.

﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي: قيل له: أتؤمن الساعةَ في وقت الاضطرار؟ وذلك لا يُقبل منك.

---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٥٥٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٢١).

﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي: نُبْعِدُك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر.

وقيل: نلقيك على نجوةٍ من الأرض؛ أي: على موضع مرتفع.

﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: بجسدك جسدًا بدون روح.

وقيل: بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرف بها.

والمجرور[١] في موضع الحال، والباء للمصاحبة.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي: لمن وراءك آية، وهم بنو إسرائيل.

* * *

(١) في أ، ب، ج، هـ: «والمحذوف»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٧/ ٥٦٠).

[﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾].

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلًا حسنًا، وهو مصر والشام.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم.

وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره.

وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرَّني، مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس: لم يشكَّ النبي ﷺ ولم يَسأل.

وقال الزمخشري: ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: إن فرضت أن تقع في شك فاسأل[1].

﴿مِمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ قيل: يعني: القرآن والشرع بجملته، وهذا أظهر.

وقيل: يعني ما تقدَّم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلَّا من بعدما جاءهم الحق.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني: الذين يقرأون التوراة والإنجيل.

قال السهيلي: هم عبد الله بن سلَام ومُخَيرِيق ومَن أسلم من الأحبار[2]. وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحَمْلُ الآية على الإطلاق أولى.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ والمراد غيره.

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: قضى أنهم لا يؤمنون.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ «لولا» هنا للتَّحضيض؛ بمعنى «هلَّا»، وقرئ في الشاذ: «هلَّا».

والمعنى: هلَّا كانت قريةٌ من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها!؛ إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناءٌ من القرى؛ لأن المراد أهلها، وهو استثناء

---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٥٦٤).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٣٤).

منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب.

ويجوز أن يكون متصلًا، والجملة في معنى النفي؛ كأنه قال: ما آمنت قرية إلَّا قوم يونس.

وروي في قَصَصِهم: أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم، فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى، فرفعه الله عنهم.

﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد: إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: أتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك؟ وليس ذلك إليك، إنما هو بيد الله.

وقيل: المعنى: أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا؟، وكان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نُسخت بالسيف.

﴿ٱنظُرُوا۟﴾ أمرٌ بالاعتبار والنظر في آيات الله.

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: من قضَى الله عليه أنه لا يؤمن.

و«ما»: نافية، أو استفهامية يراد بها النفي.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ.

﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراضٌ بين العامل ومعموله، وهما: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ و﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن
فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ
وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ
يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾].

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ الوجه هنا بمعنى: القصد والدِّين.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ منسوخٌ بالقتال، وكذلك قوله: ﴿وَٱصْبِرْ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ وعدٌ بالنصر والظهور على الكفار.

﴿ سورة هود عليه السلام ﴾

[﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ
إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ
مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ
يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ ۞ وَمَا
مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ
۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ
لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ
لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٨﴾].

﴿كِتَٰبٌ﴾ يعني: القرآن، وهو خبر ابتداء مضمر.

﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ أي: أُتقنت؛ فهو من الإحكام للشيء.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ قيل: معناه: بُيِّنتْ.

وقيل: قُطِّعت سورةً سورة.

و﴿ثُمَّ﴾ هنا ليست للترتيب في الزمان، وإنما هي لترتيب الأحوال؛

كقولك: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ «أن»: مفسِّرة.

وقيل: مصدرية؛ في موضع مفعول من أجله، أو بدل من الآيات.

أو يكون كلامًا مستأنفًا، منقطِعًا عما قبله، على لسان رسول الله ﷺ، ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه مما تقدَّم من الشرك والمعاصي، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها.

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾ أي: ينفعكم[1] في الدنيا بالأرزاق، والنعم، والخيرات.

وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه؛ لأنه الكافر قد يُمتَّع في الدنيا بالأرزاق.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: إلى الموت.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي: يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله.

والضمير يَحتمل أن يعود:

على الله تعالى.

أو على ﴿ذِى فَضْلٍ﴾.

---

(١) في هـ: «يمتعكم».

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ خطاب للناس، وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يعني: يوم القيامة، أو غيرَه كيوم بدر.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ قيل: كان الكفار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردُّون إليه ظهورهم؛ لئلا يرونه من شدة البُغضة والعداوة، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود إلى رسول الله ﷺ.

وقيل: إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغِلّ.

وقيل: هو عبارة عن إعراضهم؛ لأن مَن أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف.

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود على الله تعالى؛ أي: يريدون أن يستخفوا من الله تعالى؛ فلا يُطْلِع رسولَه والمؤمنين(١) على ما في قلوبهم.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يجعلونها أَغْشِية وأغطية؛ كراهيةً لاستماع القرآن، والعامل في ﴿حِينَ﴾: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾.

وقيل: المعنى: يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه على هذا، ويكون ﴿يَعْلَمُ﴾ استئنافًا.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعدٌ وضمان صادق.

فإن قيل: كيف قال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضُّلٌ؛ لأن الله لا يجب عليه شيء؟.

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «فلا يطلع رسولُه والمؤمنون».

فالجواب: أنه ذكَره كذلك تأكيدًا في الضمان؛ ولأنه لما وعد به صار واقعًا لا محالة؛ لأنه لا يخلف الميعاد.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ المستقَر: صلب الأب، والمستودَع: بطن المرأة.

وقيل: المستقر: المكان في الدنيا، والمستودع: القبر.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ دليلٌ على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبرَكم اختبارًا تقوم به الحجة عليكم؛ لأنه كان عالمًا بأعمالكم قبل خلقكم، ويتعلق ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بـ ﴿خَلَقَ﴾.

﴿سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يَحتمل أن يشيروا:

إلى القرآن.

أو إلى القول بالبعث؛ يعنون أنه باطل كبطلان السحر.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ يَحتمل أن يريد: عذاب الدنيا، أو الآخرة.

﴿إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى وقت محدود.

﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي: أيُّ شيء يمنع هذا العذابَ الموعودَ به؟ وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف.

[﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ
﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ
تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟
بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ
﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا﴾ الآيةَ؛ ذمٌّ لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفخر ويتكبر عند النعم.

والرحمة هنا والنعماء: يراد بهما الخيرات الدنيوية.

والإنسان: عام يراد به الجنس، والاستثناء على هذا متصل.

وقيل: المراد بالإنسان الكافر، فالاستثناء على هذا منقطع.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ الآيةَ؛ كان الكفار يقترحون على رسول الله ﷺ أن يأتي بكنز أو يأتي معه ملك، وكانوا يستهزؤن بالقرآن، فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن تُلقِيَ إليهم بعض ما أنزل إليك ويَثقُلُ عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك.

والمقصد بالآية: تسليته ﷺ عن قولهم حتى يبلِّغ الرسالة، ولا يباليَ بهم.

وإنما قال ﴿وَضَآئِقٌۢ﴾، ولم يقل «ضيِّق»؛ ليدلَّ على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾ أي: ليس عليك إلَّا الإنذار والتبليغ، والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ «أم» هنا منقطعة بمعنى: «بل» والهمزة، والضمير في ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ لما يوحَى إليه.

﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ تحدَّاهم أوَّلًا بعشر سور، فلما بان عجزهم عنها تحداهم بسورة واحدة فقال: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، والمماثلة المطلوبة: في فصاحته وعلومه.

﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ صفة لـ ﴿عَشۡرِ سُوَرٖ﴾، وذلك مقابلةٌ لقولهم ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾، وليست المماثلة في الافتراء.

﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ أي: استعينوا بمن شئتم.

﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين؛ أي: إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن؛ فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى: دوموا على علمكم بذلك، أو زيدوا يقينًا به.

والثاني: أن يكون خطابًا من النبي ﷺ للكفار؛ أي: إن لم يستجب مَن تدعونه مِن دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قَدَر جميعكم عليه؛ فاعلموا

أنه من عند الله، وهذا أقوى من الأول؛ لقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

ومعنى ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾:

بإذنه.

أو بما لا يعلمه إلَّا الله من الغيوب.

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلى الإسلام، وإلزام للكفار أن يسلموا، لمَّا قام الدليل على صحة الإسلام؛ لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآيةَ؛ نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يريدون الآخرة؛ إذ هم لا يصدِّقون بها.

وقيل: نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، حسَبما ورد في الحديث -في القارئ، والمنفق، والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك- «إنهم أول من تسجر[1] بهم النار»[2].

والأول أرجح[3]؛ لتقدُّم ذكر الكفار المناقضين للقرآن، فإنما قصَد بهذه الآية أولئك.

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ أي: نوفّ إليهم أجور أعمالهم بما نعطيهم في الدنيا من الصحة والرزق.

---

(١) في هامش أ: «خ: تسعر» وهو الموافق لما في الرواية.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٩٥).

(٣) في أ، ب: «أوضح».

والضمير في ﴿فِيهَا﴾ يعود على الدنيا، والمجرور متعلّق بقوله: ﴿نُوَفِّ﴾ أو بـ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ هنا:

يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بـ ﴿حَبِطَ﴾.

ويعود على الدنيا إن تعلق بـ ﴿صَنَعُواْ﴾.

* * *

[﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا
وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ
مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ
كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ
لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا
يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية؛ معادِلةٌ لما تقدَّم، والمعنى: أمَن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه.

والمراد بمن كان على بينة من ربه: النبي ﷺ والمؤمنون؛ لقوله بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

ومعنى البينة: البرهان العقلي والأمر الجلي.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾:

للبرهان؛ وهو البينة.

أو لمن كان على بينة من ربه.

والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ للرب تعالى.

و﴿وَيَتْلُوهُ﴾ هنا بمعنى: يتبع.

والشاهد يراد به: القرآن؛ فالمعنى: يَتْبعُ ذلك البرهانَ شاهدٌ من الله وهو القرآن، فيزيدُ وضوحَه وتعظيمَ دلالتِه[١].

وقيل: إن الشاهد المذكور هنا: هو علي بن أبي طالب.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: ومِن قبل ذلك الشاهد كتابُ موسى، وهو أيضًا دليل آخر متقدِّم.

وقد قيل أقوالٌ كثيرة في معنى هذه الآية، وأرجحها ما ذكرنا.

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: من أهل مكة.

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهد، كأصحاب، ويَحتمل أن يكون:

من الشهادة؛ فيراد به: الملائكة والأنبياء.

أو من الشهود بمعنى الحضور؛ فيراد به: كلُّ من حضر الموقف.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون اعوجاجها، أو يصفونها بالاعوجاج.

﴿لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ أي: لا يُفلِتون.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ إخبارٌ عن تشديد عذابهم، وليس بصفة لـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ الآيةَ؛ «ما» نافية، والضمير للكفار، والمعنى:

---

(١) في ب: «وتعظُمَ دلالتُه».

وصْفُهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، كقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٧] الآية.

وقيل غير ذلك، وهو بعيد.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ.

﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾ خشعوا، وقيل: أنابوا.

﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين.

﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ شبَّه الكافر بالأعمى وبالأصم، وشبَّه المؤمن بالبصير وبالسميع، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين.

وقيل: التقدير كالأعمى الأصم، والبصير السميع، فالواو لعطف الصفات، فهو على هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد؛ وهو مَن جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكافر بمثال واحد؛ وهو مَن جمع بين العَمى والصَّمم.

* * *

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾].

﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وصْفُ اليوم بالأليم على وجه المجاز؛ لوقوع الألم فيه.

﴿أَرَاذِلُنَا﴾ جمع أرْذَلٍ، وهم سَفِلَة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم؛ جهلًا منهم، واعتقادًا أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا.

وقيل: إنهم كانوا حاكَةً وحجَّامين.

واختار ابن عطية أنهم أرادوا: أراذلَ في أفعالهم؛ لقول نوح: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢][(١)].

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ أي: أولَ الرأي، من غير نظر ولا تدبُّر.

و﴿بَادِىَ﴾ منصوب على الظرفية، أصله: وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه: ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾ على أصح الأقوال، والمعنى: اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبُّت.

وقيل: هو صفة لـ ﴿بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾؛ أي: غيرَ متثبِّت في الرأي.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: من زيادة وشرف، والخطاب لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أي: على برهان وأمر جليٍّ، وكذلك في قصة صالح وشعيب.

﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ يعني: النبوَّة.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خَفِيت عليكم، والفاعل: البينة، أو الرحمة.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنُكرِهُكم على قَبولها قهرًا؟، وهذا هو جواب ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾.

ومعنى الآية: أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: أرأيتم إن هداني الله وأضلكم أأُجبركم على الهدى وأنتم له كارهون؟.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٩٥).

﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على التَّبليغ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء.

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ المعنى: أنه يجازيهم على إيمانهم.

﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ﴾ أي: من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطَّرد.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ أي: لا أدَّعي ما ليس لي فتنكرون قولي.

﴿تَزْدَرِيٓ﴾ أي: تحتقر؛ من قولك: زرَيت على الرجل: إذا قصَّرتَ به.

والمراد بالذين تزدري أعينهم: ضعفاء المؤمنين.

﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن قلتُ للمؤمنين: لن يؤتيهم الله خيرًا.

والخير هنا يَحتمل أن يراد به: خير الدنيا، أو الآخرة.

﴿جِدَٰلَنَا﴾ الجدال: هو المخاصمة والمراجعة في الحجة.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: بالعذاب.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾ الآيةَ؛ جزاءُ قوله: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ هو ما دلَّ عليه قوله: ﴿نُصْحِيٓ﴾، وجزاءُ قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾ هو ما دلَّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾، فتقديرها: إن أراد الله أن يغويكم لم ينفعْكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾.

ولا يجوز أن يكون ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ جوابَ الشرط.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ﴾ الآيةَ؛ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، وفي ﴿افْتَرَىٰهُ﴾ لمحمد ﷺ، هذا قول جميع المفسرين.

واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح ﷺ، فيكون الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لقوم نوح، وفي ﴿افْتَرَىٰهُ﴾ لنوح؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها، وهذا بعيد[١].

﴿إِجْرَامِى﴾ أي: ذنبي.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٦٩).

[﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم
مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن
تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ
زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾
۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى
بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا
تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى
مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ
ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ
عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى
بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا
وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ
فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: فلا تحزن.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت نظرنا وحفظنا.

﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أي: وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: لا تشفع لي فيهم؛ فإني قد قضيت عليهم بالغرق.

﴿وَكُلَّمَا﴾ يحتمل أن يكون جوابها: ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾، أو ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ﴾.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تهديدٌ، و﴿مَن يَأۡتِيهِ﴾ منصوبٌ بـ ﴿تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ هو الغرق، والعذاب المقيم: عذاب النار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ غايةٌ لقوله: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: فار بالماء، جعل الله تلك علامةً لنوح؛ ليركب حينئذ في السفينة.

والمراد: التنور[١] الذي يُوقَد فيه عند ابن عباس وغيره، ورُوي أنه كان تنور آدم خَلَص إلى نوح.

وقيل: التنور: وجه الأرض.

﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ المراد بالزوجين: الذكر والأنثى من الحيوان.

وقرئ ﴿مِن كُلِّ﴾ بغير تنوين؛ فعَمل ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ في ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾.

وقرئ بالتنوين؛ فعَمل ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ في ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾، وجُعِل ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ توكيدًا.

---

(١) في د: «بالتنور».

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: قرابتك، وهو معطوف على ما عَمل فيه ﴿احْمِلْ﴾.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: من قُضي عليه بالعذاب، فهو مستثنى من أهله، والمراد بذلك: ابنُه الكافر وامرأته.

﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معطوفٌ على ﴿وَأَهْلَكَ﴾؛ أي: احمل أهلك ومن آمن مِن غيرهم.

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لنوح، والخطاب لمن كان معه، والضمير في ﴿فِيهَا﴾ للسفينة.

وروي أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب، واستقرَّت على الجودي يوم عاشوراء.

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ اشتقاق ﴿مَجْرَاهَا﴾ من الجري، واشتقاق ﴿وَمُرْسَاهَا﴾ من الإرساء، وهو الثبوت؛ أي[1]: وقوف السفينة.

ويمكن أن يكونا: ظَرْفَين للزمان أو للمكان، أو مصدرين.

ويَحتمل الإعراب وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿ارْكَبُوا﴾، والتقدير: اركبوا متبرِّكين باسم الله، أو قائلين بسم الله،

---

(١) في أ، ب: «أو من».

فيكون ﴿مُجْرَاهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ على هذا ظرفين للزمان، بمعنى: وقتَ إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيه[١] ما في قولك: «بسم الله» من معنى الفعل، ويكون قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ متصلًا مع ما قبله، والجملة كلام واحد.

والوجه الثاني: أن يكون كلامين، فيوقف على ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾، ويكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع خبر، و﴿مُجْرَاهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ مبتدأ بمعنى المصدر؛ أي: إجراؤها وإرساؤها، ويكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ على هذا مستأنفًا غير متصل بما قبله، ولكنه من كلام نوح حسَبما روي أن نوحًا كان إذا أراد أن يَجري بالسفينة قال: «بسم الله» فتَجري، وإذا أراد وقوفَها قال: «بسم الله» فتقف.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ روي أن الماء طبَّق ما بين السماء والأرض، فصار الكل كالبحر، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، وأين كان الموج كالجبال على هذا؟[٢].

وصوَّبه الزمخشري، وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التَّطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبالَ[٣].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كان اسمه: كَنْعان، وقيل: يامٌ، وكان له ثلاثة بنون[٤] سواه؛ وهم: سامٌ وحامٌ ويافثٌ، ومنهم تناسل الخلق.

---

(١) في د: «فيهما».
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٨٠).
(٣) انظر: الكشاف (٨/ ٨٠).
(٤) في د: «بنين».

﴿فِي مَعْزِلٍ﴾ في ناحية.

﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ يَحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ اسم فاعل، و﴿مَن رَّحِمَ﴾ كذلك بمعنى الراحم، فالمعنى: لا عاصم إلَّا الراحم؛ وهو الله تعالى.

والثاني: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى: ذي عصمة؛ أي: معصوم، و﴿مَن رَّحِمَ﴾ بمعنى مفعول؛ أي: من رحمه الله، فالمعنى: لا معصوم إلَّا من رحمه الله.

والاستثناء على هذين الوجهين متصل.

والثالث: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ اسم فاعل، و﴿مَن رَّحِمَ﴾ بمعنى المفعول والمعنى: لا عاصم من أمر الله، لكن من رحمه الله فهو المعصوم.

والرابع: عكسه.

والاستثناء على هذين منقطع.

﴿ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ عبارةٌ عن جفوف الأرض من الماء.

﴿أَقْلِعِي﴾ أي: أمسكي عن المطر، ورُوي أنها أمطرت من كل موضع منها.

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: نقَص.

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: تمَّ وكمل.

﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ أي: استقرت السفينة على الجودي؛ وهو جبل بالموصِل.

﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ أي: هلاكًا، وانتصابه على المصدر.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ يَحتمل أن يكون هذا النداء:

قبل الغرق؛ فيكون العطف من غير ترتيب.

أو يكون بعده.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أي: وقد[١] وعدتني أن تنجيَ أهلي.

﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنه كافر.

وقال الحسن: لم يكن ابنَه، ولكن خانته امرأته، وكان لغير رِشْدةٍ، وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء ﷺ قد عصمهم الله من أن يزني نساؤهم، ولقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾.

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور:

أحدها: أن يكون الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لسؤال نوحٍ نجاةَ ابنه.

والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح، وحُذِف مضافٌ من الكلام؛ تقديره: إنه ذو عملٍ غير صالح.

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح، و﴿عَمَلٌ﴾ مصدر وصف به مبالغةً، كقولك: رجل صومٌ.

وقرأ الكسائي: ﴿عَمِلَ﴾ بفعل ماض ﴿غَيْرَ صَـٰلِحٍ﴾ بالنصب، والضمير

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «قد» بلا واو.

على هذا لابن نوح بلا إشكال.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: لا تطلب مني أمرًا لا تعلم أصوابٌ هو أم غير صواب حتى تقف على كُنْهِه.

فإن قيل: لم سمِّي نداؤه سؤالًا، ولا سؤال فيه؟.

فالجواب: أنه تضمَّن السؤال وإن لم يصرِّحْ به.

﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ «أن» في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: أعظك؛ كراهةَ أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصفٌ[1] له بالجهل، بل فيه ملاطفة وإكرام.

﴿ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾ أي: اهبط من السفينة بسلامة.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: ممن معك في السفينة.

واختار الزمخشري أن يكون المعنى: مِن ذرية مَن معك، ويعني به: المؤمنين إلى يوم القيامة، فـ«مِن» على هذا لابتداء الغاية، والتقدير: على أمم ناشئة ممن معك[2].

وعلى الأول: تكون «مِن» لبيان الجنس.

﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ يعني: نمتعهم متاع الدنيا - وهم الكفار - إلى يوم القيامة.

(١) أ، ب، ج، هـ: «وصفًا».
(٢) انظر: الكشاف (٨/ ٩٨).

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ إشارةٌ إلى القصة، وفي الآية دليلٌ على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي.

* * *

[﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾].

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ يعني: في عبادتهم لغير الله.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ السماء هنا: المطر، و﴿مِّدْرَارًا﴾ بناءُ تكثيرٍ؛ من الدَّرِّ، يقال: درَّ المطر واللبن وغيره.

وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سببٌ لنزول الأمطار، ورُوي أن عادًا كان المطر قد حُبِس عنهم ثلاث سنين، فأمرهم بالتوبة والاستغفار، ووعدهم على ذلك بالمطر.

والمراد بالتوبة هنا: الرجوع عن الكفر، ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصحُّ إلَّا بعد الإيمان.

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة، وذلك كذب منهم وجحود. أو يكون معناه: بآية تضطرنا إلى الإيمان بك، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية.

﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بسبب قولك.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ معناه: ما نقول إلَّا أن بعض آلهتنا أصابتك بجنون لما سببْتَها ونهيتنا عن عبادتها.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ هذا أمرٌ بمعنى التعجيز؛ أي: لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم، فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآيةَ.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي: هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكُّله على الله وعدم مبالاته بالخلق.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يريد: أن أفعال الله جميلة، وقوله صدق، ووعده حق، فالاستقامة تامة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾ أصل ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ هنا: تتولوا؛ لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة.

فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جوابًا للشرط، وقد كان الإبلاغ قبل التولِّي؟.

فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتْبَ عليَّ؛ لأني قد أبلغتكم رسالة ربي.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تَنقُصونه شيئًا إذا أهلككم واستخلف غيركم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ إن قيل: لم قال هنا وفي قصة شعيب ﴿وَلَمَّا﴾ بالواو وقال في قصة صالح ولوط ﴿فَلَمَّا﴾ بالفاء؟

فالجواب على ما قال الزمخشري: أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد؛ فجيء بالفاء التي تقتضي التَّسبيب، كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد..، بخلاف قصة هود وشعيب؛ فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو[1].

﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يَحتمل أن يريد به عذاب الآخرة؛ ولذلك عطَفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح.

ويَحتمل أن يريد بالثاني أيضًا الريح، وكرَّره؛ إعلامًا بأنه عذاب غليظ، وتعديدًا للنعمة في نجاتهم.

﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ في جمع الرسل هنا وجهان:

أحدهما: أن من عصى رسولًا واحدًا لزمه عصيان جميعهم؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده.

والثاني: أن يراد الجنس؛ كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلَّا فرسًا واحدًا.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ هذا تشنيع لكفرهم، وتهويل بحرف التنبيه، وبتكرار اسم عاد.

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ١٨٤).

﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي: هلاكًا، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمر.

فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلَكوا؟.

فالجواب: أن المراد: أنهم أهْلٌ لذلك.

﴿لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيانٌ؛ لأن عادًا اثنان؛ أحدهما: قوم هود، والآخر(١): إِرَم.

* * *

(١) في ج، هـ: «والأخرى».

[﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟
يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا
تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ
رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ
نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾].

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لأن آدم خلق من تراب.

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم تَعمُرونها؛ فهو من العمران للأرض.

وقيل: هو من العُمر؛ نحو: استبقاكم من البقاء.

﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي: كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت.

وقيل: المعنى: كنا نرجو أن تدخل في ديننا.

﴿فِى دَارِكُمْ﴾ أي: بلدكم.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت؛ لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد.

﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ معطوف على ﴿نَجَّيْنَا﴾ أي: نجيناهم من خزي يومئذ.

﴿جَٰثِمِينَ﴾ ذُكِر في «الأعراف»[(١)].

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ كأن لم يقيموا فيها، والضمير للديار، وكذلك في قصة شعيب.



(١) انظر صفحة ٣٦٢.

[﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ
بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟
لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن
وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ
عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ
مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ
إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ
عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً
أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾].

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الرسل هنا: الملائكة.

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بشّروه بالولد.

﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر؛ تقديره: سلّمنا عليكم سلامًا.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ تقديره: عليكم سلام، أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون

بمعنى التحية، وإنما رُفِع جوابه؛ ليدلَّ على إثبات السلام، فيكون قد حيَّاهم بأحسن مما حيَّوه.

ويَحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونُصِب الأول؛ لأنه في معنى الطلب، ورُفِع الثاني؛ لأنه في معنى الخبر.

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ أي: ما لبث مجيئُه، بل عَجِل، و«ما» نافية، و﴿أَن جَآءَ﴾ فاعل بـ ﴿لَبِثَ﴾.

﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: مشويٌّ، وفعيل هنا بمعنى مفعول.

﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم ولم يعرفهم؛ يقال: نَكِر وأنكر بمعنى واحد.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قيل: إنه لم يعرفهم، فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه.

وقيل: عرف أنهم ملائكة، ولكن خاف أن يكونوا أُرسلوا بما يُخَاف، فأمَّنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ قيل: قائمة خلف سِترٍ.

وقيل: قائمة في الصلاة.

وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: معناه حاضت، وهو ضعيف.

وقال الجمهور: هو الضَّحِك المعروف، واختلفوا من أيِّ شيء ضحكت؟.

فقيل: سرورًا بالولد الذي بُشِّرت به؛ ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير.

وقيل: سرورًا بالأمن بعد الخوف.

وقيل: سرورًا بهلاك قوم لوط.

﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى؛ لأنها كانت بأمره.

﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبُ﴾ أي: من بعده، وهو ولده.

وقيل: الوراء ولد الولد.

و﴿يَعۡقُوبُ﴾ بالرفع: مبتدأ، وبالفتح: معطوف على ﴿إِسۡحَٰقَ﴾.

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ الألف فيه مبدلة من المتكلم، كذلك في «يا لهفَا» و«يا أسفَا» و«يا عجبًا»، ومعناه: التعجُّب من الوِلادة، وروي أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة سنة.

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ يَحتمل الدعاءَ والخبر.

﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ أي: أهل بيت إبراهيم، وهو منصوبٌ بفعل مضمر على الاختصاص، أو منادى.

﴿حَمِيدٞ﴾ أي: محمود.

﴿مَّجِيدٞ﴾ من المجد؛ وهو العلو والشرف.

﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ هذا جواب ﴿فَلَمَّا﴾، على أن يكون المضارع في موضع الماضي، أو على تقدير: ظلَّ أو أخذ يجادلنا.

أو يكون ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ مستأنفًا، والجواب محذوف.

ومعنى جداله: كلامُه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط.

وقد ذُكِر في «اللغات» ﴿حَلِيمٌ﴾[١]، وفي «براءة» ﴿أَوَّٰهٌ﴾[٢].

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ أي: قلنا: يا إبراهيم أعرض عن هذا؛ يعني: عن المجادلة فيهم، فقد نفَذ القضاء بعذابهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ الرسل هم الملائكة، ومعنى ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ أصابه سوءٌ وضجر؛ لما ظن أنهم من بني آدم، وخاف عليهم من قومه.

﴿يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ أي: شديد.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: يُسرِعون، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث.

﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: كانت عادتهم إتيانَ الفواحش في الرجال.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ المعنى: فتزوجوهنَّ، وإنما قال ذلك ليقِيَ أضيافه ببناته.

وقيل: اسم بناته الواحدة ريثا[٣]، والأخرى غوثا[٤]، وأن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والغة.

---

(١) انظر المادة (١٢٩) في اللغات.

(٢) انظر صفحة ٥٢٨.

(٣) في ب، ج، هـ: «زينا».

(٤) في ب، ج، هـ: «رغوثا».

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: ما لنا فيهنَّ أَرَبٌ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يعنون: نكاح الذكور.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ جواب «لو» محذوف؛ تقديره: لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت.

ويَحتمل أن تكون «لو» للتمني.

﴿أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى ﴿ءَاوِيَ﴾ ألجأُ، والمراد بالركن الشديد: ما يلجأ إليه من عشيرة أو أنصار يحمونه من قومه، وكان رسول الله ﷺ يقول: «يرحم الله أخي لوطًا؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد»[1] يعني: إلى الله وملائكته.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للملائكة، والضمير في ﴿لَن يَصِلُوٓاْ﴾ لقوم لوط، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذٍ.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي: اخرج بهم بالليل؛ فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن.

وقرئ ﴿ فَاسْرِ ﴾ بوصل الألف وقطعها، وهما لغتان؛ يقال: سَرى وأسرى.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: قطعةٍ منه.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ نُهوا عن الالتفات؛ لئلا تتفطَّر أكبادهم على قريتهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١).

وقيل: ﴿يَلْتَفِتْ﴾ معناه: يتلوَّى[1].

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع:

فالنصب: استثناءٌ من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، فيقتضي هذا أنه لم يُخرِجْها مع أهله.

والرفع: بدلٌ من ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، ورُوي على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتتْ وقالت: يا قوماه!، فأصابها حجر فقتلها.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ أي: وقت عذابهم الصبح.

﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ذُكِر أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ قال لهم لوط: هلَّا عُذِّبوا الآن! فقالوا له: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الضمير للمدائن، رُوي أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صُراخ الدِّيكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي: على المدائن، والمراد أهلها، روي أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهلَك لما قُلِبت.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: معناه من ماء وطين، وإنما كان مثل[2] الآجُرِّ المطبوخ.

---

(١) قال في المحرر الوجيز (٤/ ٦٢٥): «وقالت فرقة: هي من لَفتَ الشيءَ يَلفِتُه: إذا ثنّاه ولوَاه، فمعناها: ولا يتثبَّطْ».

(٢) في د: «من».

وقيل: مِن سَجَله: إذا أرسله.

وقيل: هو لفظ أعجمي.

﴿مَنضُودٍ﴾ أي: مضموم بعضه فوق بعض.

﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معناه: معلَّمة بعلامة، رُوي أنه كان فيها بياض وحمرة.

وقيل: كان في كل حجر اسم صاحبه.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ الضمير للحجارة، والمراد بـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كفار قريش، فهذا تهديدٌ لهم؛ أي: ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم؛ لأجل كفرهم.

وقيل: الضمير للمدائن، فالمعنى: ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠].

وقيل: إن ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على العموم.



[﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾].

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ يعني: رخص الأسعار، وكثرة الأرزاق.

﴿عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ يوم القيامة، أو يوم عذابهم في الدنيا.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ أي: ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته.

﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلاة: هي المعروفة، ونَسب الأمر إليها مجازًا، كقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والمعنى: أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان؟، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء.

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا﴾ يعنون: ما كانوا عليه من بخْس المكيال والميزان.

و﴿أَن نَّفْعَلَ﴾ عطفٌ على ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾[(١)].

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء والتهكُّم.

وقيل: معناه: الحليم الرشيد عند نفسك.

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: سالمًا من الفساد الذي أدخلتم في أموالكم.

وجواب ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ محذوف، يدلُّ عليه المعنى، وتقديره: أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أيصح[(٢)] لي ترك تبليغ رسالته؟.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلى كذا: إذا

---

(١) كذا في جميع النسخ الخطية!، ولعل الصواب -كما في المحرر الوجيز-: أنها عطف على ﴿مَا يَعْبُدُ﴾ أي: أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء!، قال في المحرر الوجيز (٥/ ٥): «﴿أنْ﴾ الثانية عطفٌ على ﴿ما﴾، لا على ﴿أنْ﴾ الأولى؛ لأن المعنى يصير: أصلواتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟، وهذا قلْب ما قصدوه»، وانظر: حاشية الطِّيبي على الكشاف (٨/ ١٦٧).

(٢) في د: «أيصلح».

قصدَه وأنت مُوَلٍّ عنه، وخالفني عنه: إذا ولَّى عنه وأنت قاصده.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: لا تُكْسِبْكم عدواتي أن يصيبكم مثلُ عذاب الأمم المتقدمة، و﴿شِقَاقِىٓ﴾ فاعل، و﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ مفعول.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني: في الزمان؛ لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم.

ويَحتمل أن يريد: في البلاد.

﴿مَا نَفْقَهُ﴾ أي: ما نفهمُ.

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: نَحِيل البدن، وقيل: أعمى.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ الرَّهْط: القرابة، والرَّجم: بالحجارة، أو بالسبِّ.

﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هذا توبيخٌ لهم.

فإن قيل: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزَّة دونه، فكيف طابق جوابه كلامهم؟.

فالجواب: أنَّ تهاونهم به وهو رسول الله تهاونٌ بالله؛ فلذلك قال: ﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ الضمير في ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ لله تعالى، أو لدينه وأمره.

والظِّهريُّ: ما يُطَّرح وراء الظهر ولا يُعبَأ به، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب.

﴿اَعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديدٌ، ومعنى ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ تمكُّنكم في الدنيا وعزَّتكم فيها.

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا والآخرة.

﴿وَارْتَقِبُوٓاْ﴾ تهديدٌ.

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ
فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ
وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ
وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ
﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ
رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: بالمعجزات.

﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: برهان بيِّن.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ أي: يتقدَّم قُدَّامهم للنار، كما كانوا في الدنيا يتَّبعونه على الضلال والكفر.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ الورود هنا بمعنى: الدخول، وذكَره بلفظ الماضي؛ لتحقُّق وقوعه.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ عطفٌ على ﴿فِى هَـٰذِهِۦ﴾؛ فإن المراد به: في الدنيا.

﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ أي: العطية المعطاة.

﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ باقٍ وداثرٌ.

﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ حجة على التوحيد ونفي الشرك.

﴿تَتْبِيبٍ﴾ أي: تخسير.

﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: يُجمَعون فيه للحساب، والثواب والعقاب.

وإنما عبَّر باسم المفعول دون الفعل؛ ليدلَّ على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ ﴿مَّجْمُوعٌ﴾ أبلغ من لفظ «يُجمَع».

﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي: يحضره الأولون والآخرون.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ العامل في الظرف: ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، أو مضمر.

وفاعل ﴿يَأْتِ﴾ ضمير:

يعود على ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

وقال الزمخشري: يعود على الله تعالى؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ويعضُده عَوْد الضمير عليه في قوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾[1].

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذي دلَّ عليهم قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾.

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير: إخراج النفس، والشهيق: ردُّه.

وقيل: الزفير: صوت المحزون، والشهيق: صوت الباكي.

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ١٩٥).

وقيل: الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد بها سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة أبدًا.

والآخر: أن يكون عبارة عن التَّأبيد، كقول العرب: ما لاح كوكب، وما ناح الحمام، وشبه ذلك مما يقصد به الدوام.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال:

قيل: إنه على طريق التأدُّب مع الله، كقولك: «إن شاء الله» وإن كان الأمر واجبًا.

وقيل: المراد به: زمان خروج المذنبين من النار، ويكون ﴿ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ على هذا يعمُّ الكفار والمذنبين.

وقيل: استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ.

وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث، دون الثاني.

﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المرية: الشك، والإشارةُ إلى عبَدة الأصنام؛ أي: لا تشك في فساد دين هؤلاء.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي: هم متبعون لآبائهم، تقليدًا من غير برهان.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ يعني: من العذاب.

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا
يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ
ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا
مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ
وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ
وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾].

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدر، وذلك أن الله قضى أن يَفصِل بينهم يوم القيامة، فلا يفصل في الدنيا.

﴿وَإِن كُلًّا﴾ قرئ: بتشديد ﴿إِن﴾، وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة.

والتنوين في ﴿كُلًّا﴾ عوضٌ من المضاف إليه؛ يعني: كلَّهم.

واللام في ﴿لَمَا﴾ موطِّئة للقسم، و«ما» زائدة، و﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ خبر ﴿إِن﴾.

وقرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ على أن تكون ﴿إِن﴾ نافيةً، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى «إلّا».

﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني: جزاء أعمالهم.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني: الكفار، وقيل: إنهم الظَّلَمة من الولاة وغيرهم.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ مستأنَفٌ غير معطوف، وإنما ذكر بـ ﴿ثُمَّ﴾ لبعد النصرة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآيةَ؛ يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول: الصبح، والطرف الثاني: الظهر والعصر، والزُّلَف من الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لفظه عام، وخصَّصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل.

رُوي أن رجلًا قبَّل امرأة، ثم ندم، فذَكر ذلك للنبي ﷺ، وصلى معه الصلاة، فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: **«أين السائل؟»**، فقال: ها أنا ذا، فقال: **«قد غُفر لك»**، فقال الرجل: ألي خاصة أو للمسلمين عامة؟، فقال: **«للمسلمين عامة»**(١)، والآية على هذا مدنية.

وقيل: إن الآية كانت قبل ذلك، وذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلًّا بها، والآية على هذا مكية كسائر السورة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).

وإنما تُذهِب الحسناتُ - عند الجمهور - الصغائرَ إذا اجتُنبت الكبائر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة:

إلى الصلوات.

أو إلى كل ما تقدَّم من وعظ ووعد ووعيد.

﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى «هلَّا».

﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أي: أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع، معناه: ولكنَّ قليلًا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض.

وقيل: هو متصل، فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي؛ كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلَّا قليلًا، على أن الوجه في مثل هذا البدل، ويجوز فيه النصب.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني: الذين لم ينهوا عن الفساد.

﴿بِظُلْمٍ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من ﴿رَبُّكَ﴾، والمعنى: أنه لا يُهلِك أهل القرى ظالمًا لهم، تعالى الله عن ذلك.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: مؤمنة، لا خلاف بينهم في الإيمان.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: في الأديان، والملل، والمذاهب.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل: الإشارة إلى الاختلاف.

وقيل: إلى الرحمة.

وقيل: إليهما.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ انتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ ﴿نَقُصُّ﴾، و﴿مَآ﴾ بدلٌ من ﴿كُلًّا﴾.

﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ الإشارةُ إلى السورة.

﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ تهديدٌ.

﴿ سورة يوسف عليه السلام ﴾

[﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾].

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن، و﴿ٱلْمُبِينِ﴾ يحتمل:

أن يكون بمعنى البيِّن، فيكون غير متعدٍّ.

أو يكون متعديًا، بمعنى أنه أبان الحقَّ؛ أي: أظهره.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلَّق بـ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، أو بـ ﴿عَرَبِيًّا﴾.

﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يعني: قصة يوسف، أو قِصص الأنبياء على الإطلاق.

و﴿ٱلْقَصَصِ﴾ يكون مصدرًا، أو اسم مفعول؛ بمعنى المقصوص.

فإن أريد به هنا المصدر فمفعول ﴿نَقُصُّ﴾ محذوفٌ؛ لأن ذِكْر القرآن يدلُّ عليه.

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ للقَصص؛ أي: من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله؛ لكونه جاء به من غير تعليم.

﴿إِذْ قَالَ﴾ العامل فيه: «اذكر» المضمر، أو ﴿ٱلْقَصَصِ﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أي: يا أبي، والتاء للمبالغة.

وقيل: للتأنيث، وكُسِرت دلالةً على ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم.

﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ كرَّر الفعل لطول الكلام، وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة؛ لما وصفها بفعل مَن يعقل، وهو السجود.

وتأويل الكواكب في المنام: إخوته، والشمس والقمر: أبواه، وسجودهم له: تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو مَلِك.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته، فخاف عليه من الحسد.

﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعني: ذريته.

* * *

[﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ
أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ
أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟
يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا
لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ
عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤
فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ
۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ
ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ
هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ
مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠ ﴾].

﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: لمن سأل عنها، رُوي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشًا أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ هو بنيامين، وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان أصغر أولاد يعقوب.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصَّغيرَين، والعصبة: العشرة فما فوقها إلى الأربعين.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خطإٍ وخروجٍ عن الصواب بإفراط حبة ليوسف وأخيه.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: لا يشارككم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم.

﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ أي: بالتوبة والاستقامة.

وقيل: هو صلاح حالهم مع أبيهم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وقيل: روبيل.

﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ غَوْره، وما غاب منه.

﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ جمع سيَّارٍ، وهم القوم الذين يسيرون في الأرض للتجارة، وغيرها.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: هذا هو الرأي إن فعلتموه.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: لم تخاف عليه منا؟.

وقرأ السبعة ﴿تَأْمَ۫نَّا﴾ بالإدغام والإشمام؛ لأن أصله بضم النون الأولى.

﴿يَرْتَعِ﴾ مَن قرأه بكسر العين فهو من الرَّعي:

أي: من رعْي الإبل.

أو من رَعْي بعضهم لبعض، وحراسته.

ومن قرأه بالإسكان، فهو من الرَّتْع؛ وهو الإقامة في الخِصب والتنعُّم، والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل «يَفْعَلُ».

ووزنه على الأول «يَفْتَعِلُ».

ومن قرأ ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء: فالضمير ليوسف.

ومن قرأ بالنون: فالضمير للمتكلِّمين؛ وهم إخوته.

وإنما قالوا: ﴿نَلْعَبْ﴾؛ لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، أو كان اللعب من المباح لتعلم القتال، كالمسابقة بالخيل.

﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ أي: عزموا، وجواب ﴿فَلَمَّا﴾ محذوف.

وقيل: إنه ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾، أو ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ على زيادة الواو.

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ يَحتمل أن يكون هذا الوحي: بواسطة ملك، أو بإلهام.

والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف، وقيل: ليعقوب، والأول هو الصحيح.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال:

من ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾؛ أي: لا يشعرون حين تنبئهم، فيكون خطابًا ليوسف عليه السلام.

أو من ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾؛ أي: لا يشعرون حين أوحينا إليه، فيكون خطابًا للمحمد ﷺ.

﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي: نجري على أقدامنا لننظر أيُّنا يسبق.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدِّقٍ لمقالتنا.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي: لا تصدِّقُنا ولو كنا عندك من أهل الصدق، فكيف وأنت تتهمنا!.

وقيل: معناه: لا تصدقُنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة، فذلك على وجه المغالطة منهم.

والأول أظهر.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ أي: ذي كذب، أو وُصِف بالمصدر مبالغة.

وروي أنهم لطَخوا قميصه بدم جَدْيٍ، وقالوا ليعقوب: هذا دمه في قميصه، فقال لهم: ما بال الذئب أكله ولم يَخرِق قميصه؟، فاستدلَّ بذلك على كذبهم.

﴿سَوَّلَتۡ﴾ زيَّنت.

﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ وعد من نفسه بالصبر، وارتفاعه على أنه:

مبتدأ، تقديره: صبر جميل أمثل.

أو خبر مبتدإ، تقديره: شأني صبر جميل.

﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ﴾ رُوي أن هؤلاء[1] السيارة من مَدْين، وقيل: هم أعراب.

﴿وَارِدَهُمۡ﴾ الوارد: هو الذي يستقي الماء لجماعة، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد: مالك بن دُعْرٍ من العرب العاربة، ولم يكن له ولد، فسأل يوسفَ أن يدعو له بالولد فدعا له، فرزقه الله اثني عشر ولدًا، أعقب كلُّ واحد منهم قبيلةً[2].

---

(١) في أ، ب، هـ: «هذه».

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (١٤٤).

﴿قَالَ يَٰبُشْرَايَ﴾ أي: نادى البُشرى، كقولك: يا حسرة، وأضافها إلى نفسه.

وقرئ: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بحذف ياء المتكلم، والمعنى كذلك.

وقيل على هذه القراءة: نادى رجلًا منهم اسمه بشرى، وهذا بعيد.

ولما أدلى الواردُ الحبلَ في الجب تعلَّق به يوسف فحينئذ قال: ﴿يَٰبُشْرَايَ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ الضمير الفاعل للسيارة، والضمير المفعول ليوسف، أي: أخفوه من الرُّفقة، وقالوا لهم: دفعَهُ لنا قوم لنبيعه لهم بمصر.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، والضمير أيضًا للذين أخذوه.

وقيل: الضمير لإخوة يوسف، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة: هذا عبدنا.

﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ أي: ناقصٍ عن قيمته.

وقيل: البخس هنا: الظلم.

﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارةٌ عن قلَّتها.

﴿وَكَانُوا۟﴾ الضمير للذين أخذوه، أو لإخوته.

[﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتۡنِى عَن نَّفۡسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ يعني: العزيز، وكان حاجب الملك وخازنه، وقال السهيلي: اسمه قِطْفِير(١).

﴿مِن مِّصۡرَ﴾ هو البلد المعروف، ولذلك لم ينصرف.

وكان يوسف قد سِيق إلى مصر، فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنُه وزنَه ذهبًا، وقيل: فضةً، فاشتراه العزيز.

﴿تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ قد تقدَّم.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (١٤٤).

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ في عودةِ الضمير وجهان:

أحدهما: أن يعود على الله؛ **فالمعنى**: أنه يفعل ما يشاء لا رادَّ لأمره.

والثاني: أنه يعود على يوسف؛ أي: يدبِّر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ **قيل**: الأشدُّ البلوغ، **وقيل**: ثمانَ عشرة سنة، **وقيل**: ثلاث وثلاثون، **وقيل**: أربعون.

﴿حُكْمًا﴾ هو الحِكمة أو[1] النبوة.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة[2]، وهي زَلِيخَا امرأة العزيز.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ روي أنها كانت سبعة أبواب.

﴿هَيْتَ لَكَ﴾ اسم فعل معناه: تعال وأقبل.

وقرئ بفتح الهاء وكسرها، وبفتح التاء وكسرها وضمها، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركات التاء للبناء.

وأما من قرأه بالهمز؛ فهو فعل من تهيَّأتُ، كقولك: جِئت.

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية، والمعنى: أعوذ بالله.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ يَحتمل أن يكون الضمير:

لله تعالى.

---

(١) في ج: «و».
(٢) في أ، ب، هـ: «للمرأة».

أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له ربٌّ، فالمعنى لا ينبغي لي أن أخونه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأوَّل.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثرَ الناسُ الكلام في هذه الآية حتى ألَّفوا فيها التواليف، فمنهم مُفْرِط ومُفَرِّط.

وذلك أن منهم من جعل همَّ المرأة وهمَّ يوسف من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك رواياتٍ من جلوسه بين رجليها، وحلِّه للتِّكة وغير ذلك، مما لا ينبغي أن يقال به؛ لضعف نقله، ولنزاهة الأنبياء عن مثله.

ومنهم من جعل أنها همَّت به لتضربه على امتناعه، وهمَّ بها ليقتلها، أو يضربها ليدفعها، وهو بعيدٌ، يرده قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

ومنهم من جعل همَّها به من حيث مرادها، وهمه بها ليدفعها، وهذا أيضًا بعيد؛ لاختلاف سياق الكلام.

والصواب إن شاء الله: أنها همت به من حيث مرادُها، وهمَّ بها كذلك، لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذُكِر مِن حلِّ التكة وغيرها، بل كان همُّه خطْرةً خطرت على قلبه لم يُطِعْها، ولم يتابعها، ولكنه بادر إلى التوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يَقْدَحُ هذا في عصمة الأنبياء؛ لأن الهمَّ بالذنب ليس بذنب، ولا نقص عليه في ذلك؛ فإنه من همَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة.

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لو لا أن رأى برهان ربه لخالطها، وإنما حذف؛ لأن قوله ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدلُّ عليه.

وقد قيل: إن ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب، وهذا ضعيف؛ لأن جواب «لولا» لا يتقدَّم عليها.

واختُلف في البرهان الذي رآه:

فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء!.

وقيل: رأى يعقوب ينهاه.

وقيل: تفكَّر فاستبصر.

وقيل: رأى زَليخا غطَّت وجه صنم لها حياءً منه، فقال: أنا أولى أن أستحييَ من الله.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ﴾ الكاف:

في موضع نصب، متعلقة بفعل مضمر، التقدير: ثبتناه مثل ذلك التثبيت.

أو في موضع رفع، تقديره: الأمرُ مثل ذلك.

﴿ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ خيانة سيده، والوقوع في الزنا.

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قرئ بفتح اللام حيث وقع؛ أي: الذين أخلصهم الله لطاعته.

وبالكسر؛ أي: أخلصوا دينهم لله.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ معناه: سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب، فقصَد هو الخروجَ والهروب عنها، وقصَدتْ هي أن تردَّه.

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿ٱلْبَابَ﴾ بالإفراد، وقد قال بالجمع: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾؟

فالجواب: أن المراد هنا الباب البرَّاني الذي هو المخرج من الدار.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ أي: قطعته من وراء، وذلك أنها قبضت في قميصه من خلفه لتردَّه، فتخرَّق القميص، والقدُّ: القطع بالطول، والقَطُّ: بالعرض.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي: وجدا زوجها عند الباب.

﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة عكست القضية، وادَّعت أن يوسف راودها عن نفسها، فذكرت جزاء كلٍّ من فعل ذلك على العموم، ولم تصرِّح بذكر يوسف؛ لدخوله في العموم، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها.

و﴿مَا جَزَآءُ﴾ يَحتمل أن تكون «ما»: نافيةً، أو استفهامية.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ برَّأ نفسه من دعواها.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ **قيل**: هو ابن عمها، **وقيل**: كان طفلًا في المهد فتكلم.

وكونه من أهلها أوجبُ للحجة عليها وأوثقُ لبراءة يوسف.

وكونه لم يتكلم قط، ثم تكلم بذلك كرامةٌ ليوسف عليه السلام.

والتقدير: شهد شاهد فقال، أو ضُمِّنت الشهادة معنى القول.

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقدُّ قميصه من قبل.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ لأنها جبذته إلى نفسها حين فرَّ منها، فقدَّت[١] قميصه من دبر.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ فاعل ﴿رَءَا﴾: زوجها، أو الشاهد.

﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ الضمير للأمر، أو لقولها: ﴿مَا جَزَآءُ﴾.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي: اكتمه ولا تحدَّث به، و﴿يُوسُفُ﴾ منادى حذف منه حرف النداء؛ لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارةٌ إلى تقريبه وملاطفته.

﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ خطابٌ لها، وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشاهد.

﴿مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ جاء بلفظ التذكير، ولم يقل «من الخاطئات»؛ تغليبًا للذكور.

* * *

(١) في أ، ب، هـ: «فقد».

[﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٤ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٣٥﴾].

﴿نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: في مصر، روى أنهن خمس نسوة: امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب.

﴿فَتَىٰهَا﴾ أي: خادمها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم.

﴿شَغَفَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافُه.

وقيل: السُّويداء منه.

وقيل: الشغاف: داءٌ يصل إلى القلب.

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بقولهن، وسماه مكرًا؛ لأنه كان في خفية.

وقيل: كانت قد استكتمتهنَّ سرَّها فأفشَيْنَه عليها.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي: أعتدت لهن ما يُتَّكأ عليه من الفرش ونحوها.

وقيل: المتكأ: طعام.

وقرئ في الشاذ: «مُتْكًا» بسكون التاء وتنوين الكاف، وهو الأُتْرُجُّ.

وإعطاؤها السكاكين لهنَّ يدلُّ على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحمًا.

﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أمرٌ ليوسف، وإنما أطاعها؛ لأنه كان مملوك زوجها.

﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أي: عظَّمن شأنه وجماله.

وقيل: معنى أكبرن: حِضْنَ، والهاء للسكت، وهذا بعيد جدًّا.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي اشتغلن بالنظر إليه، وبُهِتْنَ من جماله حتى قطَّعن أيديهن وهنَّ لا يشعرن كما يقطع الطعام.

﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ معناه براءة وتنزيه؛ أي: تنزيهٌ لله وتعجب من قدرته على خلقة مثله.

و«حاش» في باب الاستثناء تَخفض على أنها حرف، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلًا.

وأما هنا: فقال أبو علي الفارسي: إنها فعل، والدليل على ذلك من وجهين:

أحدهما: أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام في قوله ﴿لِلَّهِ﴾، ولا يدخل الحرف على حرف.

والآخر: أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة، والحروف لا يحذف منها شيء، وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل، وإنما تحذف من الأفعال كقولك: لم يكُ، ولا أدرِ.

والفاعل بـ ﴿حَشَ﴾ ضمير يعود على يوسف، تقديره: بَعُدَ يوسفُ عن الفاحشة لخوف الله.

وقال الزمخشري: إن ﴿حَشَ﴾ وُضِع موضع المصدر، كأنه قال: «تنزيهًا»، ثم قال: «لله»؛ ليبين من ينزه، قال: وإنما حذف منه التنوين مراعاةً لأصله من الحرفية[١].

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أخرجنه من البشر، وجعلنه من الملائكة؛ مبالغة في وصفه بالحسن.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ توبيخٌ لهن على اللوم)[٢].

﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: طلب العصمة، وامتنع مما أرادت منه.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أَمِلْ[٣]، وكلامه هذا تضرُّعٌ إلى الله.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهر، والفاعل محذوف، تقديره: رأيٌ، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾:

لزوجها وأهلها.

أو[٤] من تشاور معه في ذلك.

﴿رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: الأدلةَ على براءته.

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٣١٧).

(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «أميل».

(٤) في أ، ب، د، هـ: «و».

[﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ
أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي
رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ
ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ
ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ
مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ
ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي
فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ أي: شابَّان، وقَبْلَ هذا محذوفٌ لا بد منه، وهو: فسجنوه.

وكان يوسف قد قال لأهل السجن: إني أَعْبُرُ الرؤيا، فلذلك سأله الفتيان عن منامهما.

وقيل: إنهما استعملاها ليُجَرِّباه.

وقيل: رأيا ذلك حقًّا.

﴿أَعْصِرُ خَمْرًاۖ﴾ قيل فيه: سمَّى العنبَ خمرًا بما يؤول إليه.

وقيل: هي لغة.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قيل: معناه: في تأويل الرؤيا.

وقيل: إحسانه إلى أهل السجن.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦ﴾ الآيةَ؛ تقتضي أنه وصف لهما نفسَه بكثرة العلم؛ ليجعل ذلك وُصْلةً إلى دعائهما لتوحيد الله.

وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قال: إنه يخبرهما بكل مايأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزةٌ للأنبياء.

والآخر: أنه قال: لا يأتيكما طعام في المنام إلَّا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا.

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ رُوي أنهما قالا له: من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجِّم؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يكون هذا الكلام:

تعليلًا لما قبله من قوله: ﴿عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

أو يكون استئنافًا.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ نسَبهما إلى السجن:

إمَّا لأنهما سكَناه.

أو لأنهما صَحِباه فيه، فكأنه قال: يا صاحبيَّ في السجن.

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾ الآيةَ؛ دعاهما إلى توحيد الله، وأقام عليهما

الحجة؛ رغبةً في إيمانهما.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ أوقع الأسماءَ هنا موقع المسمَّيات، والمعنى: سميتم آلهةً ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدتموها[1].

﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: حجة وبرهان.

﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ يعني: الملِكَ.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظن هنا يَحتمل:

أن يكون بمعنى اليقين؛ لأن قوله: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ يقتضي ذلك.

أو يكون على بابه؛ لأنه عبارة الرؤيا ظنٌّ.

﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: عند الملِك.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: الضمير ليوسف؛ أي: نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله، ورجا غيره، فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن.

وقيل: الضمير للذي نجا منهما، وهو السَّاقي؛ أي: نسي ذِكْرَ يوسف عند ربه، فأضاف الذِّكر إلى ربه؛ إذ هو عنده، والربُّ على هذا التأويل: الملِك.

﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾ البِضعُ: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة.

وروي أن يوسف عليه السلام سُجِن خمسَ سنين أولًا، ثم سجن بعد قوله ذلك سبعَ سنين.

---

(١) في ب: «تسميتُهم آلهةً ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدوها».

[﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادمًا له، واسمه ريَّان بن الوليد، وقيل: مصعب بن الرَّيان، وكان من الفراعنة.

وقيل: إنه فرعون موسى، عُمِّر أربع مئة سنة حتى أدركه موسى، وهذا بعيد.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ﴾ يعني: في المنام.

﴿عِجَافٌ﴾ أي: ضِعافٌ في غاية الهُزال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ خطابٌ لجلسائه وأهل دولته.

﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: تعرفون تأويلها، يقال: عبَرتُ الرؤيا بتخفيف الباء، وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموعٌ من العرب.

وأدخلت اللام على المفعول به لمَّا تقدَّم عن الفعل.

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: تَخاليطُها وأباطيلها، وما يكون منها من

حديث نفسٍ ووسوسة شيطانٍ بحيث لا يُعْبَرُ.

وأصل الأضغاث: ما جُمِع من أخْلاط النبات، واحده: ضِغْثٌ.

فإن قيل: لم قال ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ بالجمع، وإنما كانت الرؤيا واحدةً؟.

فالجواب: أن هذا كقولك: فلان يركب الخيل، وإن ركب فرسًا واحدًا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ إمَّا أن يريدوا:

تأويلَ الأحلام الباطلة.

أو تأويل الأحلام على الإطلاق، وهو الأظهر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقي الملك.

﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد حينٍ.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ يُقدَّر قبله محذوفٌ لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال: يا يوسف.

وسمَّاه صديقًا؛ لأنه كان قد جرَّب صِدْقَه في تعبير الرؤيا وغيرها، والصدِّيق مبالغة في الصِّدق.

﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ﴾ أي: فيمن رأى سبع بقرات، وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فعجب كيف غلبتهنَّ؟ وكيف وسعت في بطونهنَّ؟، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفَّتْ بها سبعٌ يابسات، حتى غطَّتْ خضرتها.

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هذا تعبيرٌ للرؤيا، وذلك أنه عبَر البقرات السِّمان

بسبع سنين مخصِبةٍ، وعبَر البقرات العجاف بسبع سنين مجدِبة، وكذلك السنبلات الخضر واليابسة.

﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأَب على العمل: إذا داوم عليه، وهو مصدر في موضع الحال.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ هذا رأيٌ أرشدهم يوسف إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين، فعلَّمهم حيلةً يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس[(١)]، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: لا تَدْرُسوا منه إلَّا ما يُحتَاج للأكل خاصة.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني: سبع سنين ذات شدَّةٍ وجوعٍ.

﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: تأكلون فيهنَّ ما اختزنتم من الطعام في سنبله، وأسند الأكل إلى السنين مجازًا.

﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي: تُحْرِزون[(٢)] وتُخبِّئون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ هذا زيادةٌ على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن.

﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يَحتمل أن يكون:

من الغيث؛ أي: يُمطَرون.

---

(١) درَس الحنطةَ دِرَاسًا: إذا داسها. لسان العرب (٧/ ٣٨٢).

(٢) في د: «تخزنون».

أو من الغوث؛ أي: يفرِّجُ الله عنهم.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر.



[﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ﴾ قَبْلَ هذا محذوفٌ، وهو: فرجع الرسول إلى الملِك فقصَّ عليه مقالة يوسف، فرأى علمه وعقله، فقال: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦۖ﴾.

﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ﴾ لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه، أراد يوسف أن يبرِّئ نفسه مما نُسِب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها، وأن يُعلِم الملك وغيره أنه سُجن ظلمًا، فذكَر طرفًا من قصَّته لينظرَ الملك فيها فيتبيَّنَ له الأمر، وكان هذا الفعل من يوسف صبرًا وحلمًا، إذا لم يُجِبْ إلى الخروج من السجن ساعةَ دُعِيَ إلى ذلك بعد طول المدَّة، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز؛ رعْيًا لذِمَام زوجها وسَترًا لها، بل ذكر النسوة اللَّاتي قطَّعن أيديهنَّ.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ الآيةَ؛ جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهنَّ، فسألهنَّ عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلى جميعهن؛ لأنه لم يكن عنده علم بأنَّ امرأة العزيز هي التي راودته وحدها.

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تبرئةٌ ليوسف.

أو تبرئةٌ لأنفسهن من مراودته، وتكون تبرئة يوسف بقولهن: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾.

﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تبيَّن وظهر، ثم اعترفتْ على نفسها بالحق.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ قيل: إنه من كلام امرأة العزيز متصلًا بما قبله، والضمير في ﴿لِيَعْلَمَ﴾ و﴿أَخُنْهُ﴾ على هذا ليوسف عليه السلام؛ أي: ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غَيبته، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى توبتها وإقرارها.

وقيل: إنه من كلام يوسف عليه السلام، فالضمير للعزيز؛ أي: لم أخنه في زوجته في غَيبته، بل تعفَّفتُ عنها، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى توقُّفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ اختُلف أيضًا هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف؟.

فإن كان من كلامها: فهو اعترافٌ بعد الاعتراف.

وإن كان من كلامه:

فهو اعترافٌ بما همَّ به على وجه خُطورِه على قلبه، لا على وجه العزم والقصد.

أو قاله في عموم الأحوال على وجه التواضع.

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ النفس هنا للجنس، والنفوس ثلاثة أنواع:

أمارة بالسوء، ولوَّامة؛ وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ استثناءٌ من ﴿ٱلنَّفْسَ﴾؛ إذ هي بمعنى النُّفوس، أي: إلَّا النفس المرحومة وهي المطمئنة، فـ «ما» على هذا بمعنى الذي.

ويَحتمل أن تكون ظرفية؛ أي: إلَّا حينَ رحمة الله.

﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ﴾ أي: أجعله خاصَّتي وخلاصتي، قال أولًا: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦۖ﴾، فلما تبين له حاله قال: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ﴾.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: لما رأى حُسن كلامه وعرَف وفور عقله وعلمه قال: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، والمكين: من التَّمكين، والأمين: من الأمانة.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ﴾ لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبةً منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافرًا.

ويُستدَلُّ بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يُصلِح بعض الأحوال.

وقيل: إن الملك أسلم.

وأراد بقوله: ﴿خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ﴾: أرض مصر؛ إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن: كل ما يختزن من طعام ومال وغير ذلك.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تعمُّ[1] وجوه المعرفة والضبط للخزائن.

---

(١) في هامش أ: «تعمَّان».

وقيل: حفيظٌ للحساب، عليمٌ بالألسن، واللفظ أعم من ذلك.

ويُستدَلُّ بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرِّفَ بنفسه ويمدحَ نفسه بالحق إذا جُهل أمره، وإذا[1] كان في ذلك فائدة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الإشارة بـ «ذلك» إلى ما تقدَّم من جميل صنع الله به.

ورُوي أن الملك ولَّاه في موضع العزيز، وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلَّب على أمره، وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت، فتزوجها يوسف ودعا الله، فردَّ عليها جمالها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق لهم شيء منها، ثم بالحلي، ثم بالدواب، ثم بالضِّياع والعقَار، ثم برقابهم حتى تملَّكهم جميعًا، ثم أعتقهم وردَّ عليهم أملاكهم.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ الرحمة هنا: يراد بها الدنيا، وكذلك الأجر في قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ﴾، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص، وأن المحسن لا بدَّ له مِن أجْرِه في الدنيا، فالأول: في المشيئة، والثاني: واقعٌ لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خيرٌ من ذلك كلِّه للذين آمنوا وكانوا يتقون.

وفي الآية إشارةٌ إلى أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) في أ، هـ: «أو إذا».

[﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾
فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ
﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ
أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ
أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ
بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا
وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ
تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى
عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى
نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾].

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي ادَّخره يوسف.

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيُّر سنِّه، أو لأنه كان متلثِّمًا.

وروي أنهم دخلوا عليه وهو على[1] هيئة عظيمة من الملْك، وأنه سألهم

---

(١) في د: «في».

عن أحوالهم، وأخبروه أنهم تركوا أخًا لهم (عند أبيهم)[1]، فحينئذ قال لهم: ﴿ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾، وهو بنيامين شقيق يوسف.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ الجَهاز: ما يَحتاج إليه المسافر من زاد وغيره، والمراد به هنا: الطعام الذي باع منهم.

﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ أي: المضِيفين.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ أي: نفعل ذلك لا محالةَ.

﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ جمع فتًى، وهو الخادم سواء كان حرًّا أو عبدًا.

﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾ أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ﴾ أي: لعلهم يعرفون اليد والكرامة في ردِّ البضاعة إليهم، وليس الضمير للبضاعة.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع، وقصَد بردِّ البضاعة إليهم مع الطعام استئلافَهم بالإحسان إليهم.

﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ إشارةٌ إلى قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾، فهو خوف من المنع في المستقبل.

﴿نَكۡتَلۡ﴾ وزنه نَفْتَعِل من الكيل.

﴿مَا نَبۡغِيۖ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية، و﴿نَبۡغِيۖ﴾ بمعنى: نطلب، والمعنى: أيُّ شيءٍ نطلبه بعد هذه الكرامة، وهي ردُّ البضاعة مع الطعام؟.

---

(١) لم ترد في أ، ج، هـ.

ويحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿نَبۡغِى﴾ من البغي؛ أي: لا نتعدَّى على أخينا ولا نَكْذِب على الملك.

﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ أي: نسوق لهم الطعام.

﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بَعيرَ أخيهم؛ إذ كان يوسف لا يعطي إلَّا كيل بعير من الطعام لإنسان، فأعطاهم عشرة أبعرة، ومنعهم الحادي عشر؛ لغَيبة صاحبه حتى يأتي، والبعير: الجمل.

﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٌ يَسِيرٌ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى: أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير.

وإن كانت الإشارة إلى ﴿كَيۡلَ بَعِيرٍ﴾ فالمعنى: أنه يسيرٌ على يوسف؛ أي: قليل عنده أو سهلٌ عليه، فلا يمنعهم منه.

﴿حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أراد أن يحلفوا له، و﴿لَتَأۡتُنَّنِى﴾ جواب اليمين.

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ إلَّا أن تُغلَبوا، فلا تطيقون الإتيان به.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جَمالٍ وهيئة.

﴿مَّا كَانَ يُغۡنِى عَنۡهُم﴾ جواب ﴿وَلَمَّا﴾، والمعنى: أن ذلك لا يدفع ما قضى الله.

﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناءٌ منقطع، والحاجة هنا: هي شفقته عليهم ووصيته لهم.

[﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾].

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضمَّه.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه، واستكتمه ذلك.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن؛ وهو من البؤس.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف، ويعني: ما فعلوا بيوسف وأخيه.

ويَحتمل أن يكون لفتيانه؛ أي: لا تبالي بما تراه من تحيُّلي في أخذك.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ السِّقاية هي الصُّواع، وهو إناءٌ يَشرب به

الملك، ويكال به الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب.

وقصَد بجعْلِه في رحل أخيه أن يَحتال على إمساكه معه؛ إذ كان شَرْعُ يعقوب أنَّ مَن سرَق استعْبَده المسروقُ له.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: نادى منادٍ.

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ أي: أيتها الرُّفقة.

﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ خطابٌ لأخوة يوسف، وإنما استحلَّ أن يرميَهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه.

وقيل: إن حافظ السقاية نادى: إنكم لسارقون، بغير أمر يوسف، وهذا بعيدٌ؛ لتفتيش الأوعية.

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: لمن وجده ورده حِملُ بعير من طعام على وجه الجُعْل.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامنٌ لحمل البعير لمن ردَّ الصواع، وهذا من كلام المنادي.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استشهدوا بعلمهم؛ لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم، حتى كانوا يجعلون الأكِمَّة في أفواه إبلهم؛ لئلا تنال زروع الناس.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ أي: قال فتيان يوسف: ما جزاء آخِذ الصُّواع إن كنتم كاذبين في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾، فالضمير في قوله: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ يعود على الآخِذ المفهوم من الكلام.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ المعنى: أن إخوة يوسف أفتوا فيما سُئلوا عنه فقالوا: جزاء السارق أن يُستعبَد، ويُؤخَذَ في السرقة.

وأما الإعراب فيَحتمل وجهين:

الأول: أن يكون ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ الأول مبتدأ، و﴿مَن﴾ مبتدأ وهي شرطية أو موصولة، وخبرها ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، والجملة خبر ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ الأول.

والوجه الثاني: أن يكون ﴿مَن﴾ خبر المبتدإ الأول على حذف مضاف، وتقديره: جزاؤه أخْذُ مَن وُجِد في رحله، وتمَّ الكلام، ثم قال: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: هذا الحكم جزاؤه.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مِن كلام إخوة يوسف؛ أي: هذا حُكْمنا في السارق.

وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام، ثم نسخ بقطع الأيدي.

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ هذا تمكينٌ للحيلة، ورفعٌ للتهمة.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ ليصحَّ له بذلك إمساكه معه، وإنما أنَّث الصواع في هذا الموضع؛ لأنه سقاية، أو لأن الصواع يذكَّر ويؤنث.

﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ أي: صنعنا له هذا الصُّنع.

﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ أي: في شَرْعِه أو عادته؛ لأنه إنما كان جزاءُ السارق عنده أن يُضرَب ويُضْعَفَ عليه الغرمُ، ولكن حكَم في هذه القضية بحكم آل يعقوب.

﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ يعني: الرِّفعة بالعلم؛ بدليل ما بعده.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوق كل عالم مَن هو أعلم منه من البشر، أو اللهُ ﷻ.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ لإخوة يوسف، وأشاروا إلى يوسف، ومعنى كلامهم: إن يسرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف من قبل؛ فهذا الأمر إنما صدر من ابنَي راحيل[1]، لا مِنَّا، وقصدوا بذلك رفع المعرَّة عن أنفسهم، ورموا بها يوسف وشقيقه.

واختُلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال:

الأول: أن عمَّته ربَّته، فأراد والده أن يأخذه منها، وكانت تحبه ولا تصبر عنه، فجعلت عليه مِنطَقةً لها، ثم قالت: إنه أخذها، فاستعبدته بذلك، وبقي عندها إلى أن ماتت.

والثاني: أنه أخذ صنمًا لجدِّه والدِ أمه فكسَره.

والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين.

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملة التي بعد ذلك؛ وهي قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، والمعنى: قال في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾[2].

وقال ابن عطية: الضمير للحزازة التي وجَد في نفسه من قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، أسَرَّ كراهيَة مقالتهم، ثم جاهرهم بقوله: ﴿أَنتُمْ

---

(١) راحيل: اسم أمّ يوسف وبنيامين.

(٢) انظر: الكشاف (٨/ ٤٠١-٤٠٣).

شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: لسوء أفعالكم[1].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارةٌ إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة.

﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ استعطافٌ، وكانوا قد أعلموه بشدَّة محبة أبيه فيه.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ على وجه: الضمان، أو[2] الاسترهان، أو الاستعباد، وهذا هو الأظهر؛ لقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾.

﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أحسنت إلينا فيما فعلت معنا قبلُ، أو على الإطلاق.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٢٦).

(٢) في ب: «و».

[﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾].

﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ أي: يئسوا.

﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ أي: انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضًا.

والنجيُّ يكون: بمعنى المناجي، ومصدرًا.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قيل: كبيرهم في السن؛ وهو روبيل.

وقيل: كبيرهم في الرأي؛ وهو شمعون.

وقيل: يهوذا.

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ تحتمل ﴿مَا﴾ وجوهًا:

الأول: أن تكون زائدةً.

والثاني: أن تكون مصدريةً، ومحلها الرفع بالابتداء، تقديره وقع من قبلُ[1] تفريطكم في يوسف.

والثالث: أن تكون موصولةً، ومحلها أيضًا الرفع كذلك.

والأول أظهر.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يريد: الموضع الذي وقعت فيه القصة.

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ﴾ مِن قول كبيرهم.

وقيل: مِن قول يوسف، وهو بعيد.

﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح السين والراء.

وروي عن الكسائي «سُرِّقَ» بضم السين وكسر وتشديد الراء؛ أي: نُسِبتْ له السرقة.

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: قولنا لك: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ إنما هي شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى.

---

(١) في هامش ب زيادة «هذا».

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي: لا نعلم الغيب هل ذلك حقٌّ في نفس الأمر، أم لا؛ إذ يمكن أن دُسَّ الصُّواع في رحله من غير علمه.

وقال الزمخشري: المعنى: ما شهدنا إلَّا بما علمنا من سرقته وتيقَّنَّاه؛ لأن الصواع استُخرِج من وعائه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق[1].

وقراءة ﴿سَرَقَ﴾ بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد القول الأول.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك: أهل العير؛ يعنون الرُّفقة، هذا قول الجمهور.

وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات؛ لأنه نبيٌّ.

والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز.

والقرية هنا: هي مصر.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ قبله محذوفٌ تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ الآيةَ.

﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف، وأخاه بنيامين، وأخاهم الكبير الذي قال: لن أبرح الأرض.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدِّقهم أعرض عنهم، ورجع إلى التأسُّف.

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٤١٠).

﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ تأسَّف على يوسف، دون أخيه الثاني والثالث الذاهبَين؛ لأن حُزْنَه عليه كان أشدَّ؛ لإفراط محبته، ولأن مصيبتَه كانت السابقة.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ أي: من البكاء الذي هو ثمرة الحزن، فقيل: إنه عَمِيَ، وقيل: إنه كان يدرك إدراكًا ضعيفًا.

وروي عن النبي ﷺ: أن يعقوب حَزِن حُزْنَ سبعين ثكلى، وأُعطِي أجر مئة شهيد، وما ساءَ ظنُّه بالله قطُّ(١).

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل؛ أي: كاظم لحزنه لا يظهره لأحد، ولا يشكو إلَّا إلى لله(٢).

وقيل: بمعنى مفعول، كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي: مملوءُ القلبِ بالحزن، أو بالغيظ على أولاده.

وقيل: الكظيم: الشديدُ الحُزْنِ.

﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾ أي: لا تفتؤ، والمعنى: لا تزال، وحذف حرف النفي؛ لأنه لا يلْتبسُ بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتًا لكان مؤكَّدًا باللام والنون.

﴿حَرَضًا﴾ أي: مشفيًا(٣) على الهلاك.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ردَّ عليهم تفنيدَهم له؛ أي: إنما

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٠٧-٣٠٨).
(٢) في أ، ب: «إلَّا لله».
(٣) في د: «مشرفًا».

أشكو إلى الله، لا إليكم ولا لغيركم.

والبثُّ: أشدّ الحزن.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظنِّي به، وقوةَ رجائي فيه.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ﴾ يعني: إلى الأرض التي تركتم بها أخوَيْكم.

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: تعرَّفوا خبرَهما، والتحسُّسُ: طلب الشيء بالحواس؛ السمع والبصر.

وإنما لم يذكر الولد الثالث؛ لأنه بقي هناك اختيارًا منه، ولأن يوسف وأخاه كانا أحبَّ إليه.

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِن رحمة الله.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إنما جعل اليأس من صفة الكافر؛ لأن سببَه تكذيبُ الربوبية، أو جهلٌ بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ أي: على يوسف، وقَبْلَ هذا محذوفٌ؛ تقديره: فرجعوا إلى مصر.

﴿ٱلضُّرُّ﴾ يريدون به: المجاعة، أو الهمَّ على إخوتهم.

﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام، والمزجاة: القليلة، وقيل: الرديئة، وقيل: الناقصة.

وقيل: إن بضاعتهم كانت عُروضًا؛ فلذلك قالوا هذا.

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ قيل: يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم.

وقيل: أوف لنا الكيل الذي هو حقُّنا، وزدنا على حقِّنا، وسموا الزيادة صدقة، ويقتضي هذا أن الصدقة كانت حلالًا للأنبياء قبل محمد ﷺ.

وقيل: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بردِّ أخينا إلينا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: هو من المعاريض؛ وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر؛ لأنهم لم يعرفوه، فظنوا أنه على دين أهل مصر، فلو قالوا: إن الله يَجزِيك بصدقتك كذَبوا، فقالوا لفظًا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكَوا إليه رَقَّ لهم وعرَّفهم بنفسه.

ورُوِي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثامٌ، ثم أزال اللثام ليعرفوه.

وأراد بقوله: ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التفريقَ بينهما في الصغر، ومضرَّتهم ليوسف، وإذايةَ أخيه من بعده؛ فإنهم كانوا يُذِلُّونه ويَشتِمونه.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ اعتذارٌ عنهم؛ فيَحتمل أن يريد: الجهل بقبح ما فعلوه، أو جهل الشباب.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرئ بالاستفهام، والخبر.

فالخبر على أنهم عرفوه.

والاستفهام على أنهم توهَّموا أنه هو ولم يحقِّقوه.

﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قيل: أراد مَن يتق في ترك المعصية، ويصبر على السجن.

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: فضَّلك.

﴿لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي: عاصين، وفي كلامهم استعطافٌ واعترافٌ.

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ عفوٌ جميل، والتثريب: التعنيف، أو العقوبة.

وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ راجعٌ إلى ما قبله فيوقف عليه، وهو يتعلَّق بالتثريب، أو بالمقدَّر في ﴿عَلَيْكُمُ﴾ من معنى الاستقرار.

وقيل: إنه يتعلَّق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾، وذلك بعيد؛ لأنه تحكُّمٌ على الله؛ وإنما ﴿يَغْفِرُ﴾ دعاءٌ، فكأنه أسقط حقَّ نفسه بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، ثم دعا الله(١) أن يغفر لهم حقَّه.

﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى﴾ روي أن هذا القميص كان لإبراهيم، كساه الله له حين أُخرِج من النار، وكان من ثياب الجنة، ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم دفعه يعقوب ليوسف، وهذا يَحتاج إلى سند يوثق به.

والظاهر: أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كلِّ أحدٍ.

﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ الظاهر: أنه عَلِمَ ذلك بوحيٍ من الله.

---

(١) في ب، د، هـ: «دعا إلى الله».

[﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ
بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ
﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ
جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن
نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾
۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ
وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ
وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾].

﴿فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهةً إلى يعقوب.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب ببيت المقدس، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة.

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تلومونني أو تردون عليَّ قولي.

وقيل: معناه: تقولون: ذهب عقلك؛ لأن الفَنَد هو الخَرَفُ.

﴿لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي: ذهابك عن الصواب؛ بإفراط محبتك في يوسف قديمًا.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ روي أن البشير يهوذا؛ لأنه كان جاء بقميص الدَّمِ،

فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص التَّرْحة؛ فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ وعدَهم بالاستغفار لهم، فقيل: سوَّفهم إلى السَّحَر؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلى ليلة الجمعة.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ هنا محذوفاتٌ يدلُّ عليها الكلام؛ وهي: فرحَلَ يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي: ضمَّهما، أراد[1] بالأبوين: أباه وأمه.

وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت، وسمَّى[2] الخالةَ على هذا أمًّا.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ راجعٌ إلى الأمن الذي في قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: على سرير الملك.

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ كان السجود عندهم تحيةً وكرامة، لا عبادة.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ يعني: حين رأى الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له.

وكان بَيْنَ رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عامًا، وقيل: أربعون.

﴿أَحْسَنَ بِىٓ﴾ يقال: أحسن به وإليه.

---

(١) في د: «وأراد».

(٢) في د: «وتسمَّى».

﴿أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ إنما لم يقل أخرجني من الجبِّ لوجهين:

أحدهما: أن في ذكر الجب خِزْيُ إخوته، وتعريفُهم بما فعلوا؛ فترَك ذكره؛ توقيرًا لهم.

والآخر: أنه خرج من الجب إلى الرقّ، ومن السجن إلى الملك؛ فالنعمة به أكثر.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ أي: من البادية، وكانوا أصحاب إبل وغنم، فعدَّ في النِّعم مجيئَهم للحاضرة.

﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أفسد وأغوى.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: لطيفُ التدبير لما يشاء من الأمور.

﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ «مِن» للتبعيض؛ لأنه لم يعطه الله إلَّا بعض مُلك الدنيا، بل بعض ملك مصر.

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ لما عدَّد النعم التي أنعم الله عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم، فدعا بالموت.

وقيل: ليس ذلك دعاءً بالموت، وإنما دعا أن الله يتمُّ عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ احتجاجٌ على صحة نبوة النبي ﷺ بإخباره بالغيوب.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ؛ تأكيدًا لحجته، والضمير لإخوة يوسف.

﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟﴾ أي: عزموا.

﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يعني: فِعْلَهم بيوسف.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ عمومٌ؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين.

وقيل: أراد أهل مكة.

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ اعتراضٌ؛ أي: لا يؤمنون، ولو حرَصتَ على إيمانهم.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لست تسألهم أجرًا على الإيمان، فيثقل عليهم بسبب ذلك.

وهكذا معناه حيث وقع.

[﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ
أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا
نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ
ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ
وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾].

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ يعني: المخلوقات والحوادث الدالَّة على الله سبحانه.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ نزلت في كفار العرب الذي يُقِرُّون بالله ويعبدون معه غيره.

وقيل: في أهل الكتاب؛ لقولهم: عزير ابن الله، (والمسيح ابن الله)(١).

﴿غَٰشِيَةٌ﴾ هي ما يَغشى ويَغمُّ.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ إشارةٌ إلى شريعة الإسلام.

﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو الناس إلى عبادة الله، وأنا على

(١) سقط من أ، ب، هـ

بصيرة من أمري وحجة واضحة.

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾: ﴿أَنَا۠﴾ تأكيدٌ للضمير في ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾، و﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ معطوفٌ عليه، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال.

وقيل: ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأٌ، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبره، فعلى هذا: يوقف على قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، وهذا ضعيف.

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تقديره: وأقول: سبحان الله.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ ردٌّ على من أنكر أن يكون النبي من البشر.

وقيل: فيه إشارةٌ إلى أنه لم يبعث رسولًا من النساء.

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ أي: من أهل المدن، لا من أهل البوادي؛ فإن الله لم يبعث رسولًا من أهل البادية؛ لجفائهم[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ متصلٌ في المعنى بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ إلى قوله: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾.

ويأسُهم يَحتمل أن يكون:

من إيمان قومهم.

أو من النصر.

والأول أحسن.

---

(١) في ب: «لجهالتهم».

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قرئ بتشديد الذال وتخفيفها.

فأما التشديد: فالضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ و﴿كُذِّبُوا﴾ للرسل.

والظن يَحتمل أن يكون: على بابه، أو بمعنى اليقين؛ أي: علم الرسل أن قومَهم قد كذَّبوهم فيئسوا من إيمانهم.

وأما التخفيف: فالضميران فيه للقوم المرسَلِ إليهم؛ أي: ظنُّوا أن الرسل قد كذَبوهم فيما ادَّعَوْا من الرسالة، أو من النُّصرة عليهم.

﴿فِى قَصَصِهِمْ﴾ الضمير: للرسل على الإطلاق، أو ليوسف وإخوته.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدَّم معناه في «البقرة»[١].



(١) انظر: ١/٣٠٨.

﴿ سورة الرعد ﴾

[﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾].

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: آيات هذه السورة.

ويَحتمل أن يريد: آياتِ الكتب على الإطلاق.

ويَحتمل أن يريد: القرآنَ، وهذا بعيدٌ؛ لتكرار ذكر القرآن بعد ذلك.

﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ﴾ يعني: القرآنَ، وإعرابه: مبتدأٌ، وخبره ﴿ٱلۡحَقُّ﴾.

﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾ أي: بغير شيءٍ تقف عليه إلَّا قدرة الله.

﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾ قيل: الضمير للسموات، فـ ﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾ على هذا: في موضع الحال، أو استئنافٌ.

وقيل: الضمير للعَمَد؛ أي: ليس لها عمَدٌ مرئيةٌ، فيقتضي المفهومُ: أن لها عَمدًا لا تُرى.

وقيل: إن عمَدَها هو جبل قاف المحيطُ بالدنيا.

وقال الجمهور: لا عمَد لها ألبتةَ، فالمراد: نفيُ العمَدِ ونفيُ رؤيتِها.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ هنا لترتيب الإخبار، لا لترتيب وقوع الأمر؛ فإن العرش كان قبل خلق السموات. وتقدَّم الكلام على الاستواء في «الأعراف»[1].

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ يعني: أمرَ الملكوت.

﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يعني آيات كتبه[2].

﴿مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يقتضي أنها بَسيطةٌ لا كورةٌ، وهو ظاهر الشريعة.

وقد يترتَّب لفظ البَسط والمدِّ مع التَّكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودةٌ على حِدَتِها، وإنما التكوير لجملة الأرض.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني: الجبالَ الثابتة.

---

(١) انظر صفحة ٣٤٩.

(٢) في د: «كتابه».

﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني: صنفين من الثمر، كالأسود والأبيض، والحلو والحامض.

فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق مِن كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافًا كثيرةً!.

فالجواب: أن ذلك زيادةٌ في الاعتبار، وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر الاثنين؛ لأن دلالة غيرها[1] من باب أولى.

وقيل: إن الكلام تمَّ في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ثم ابتدأ بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾ يعني الذكر والأنثى.

والأول أحسن.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يلبسه إياه، فيصير له كالغشاء، وذلك تشبيهٌ.

﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ يعني: قرى[2] متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء، وصَلبٍ ورِخْوٍ، وغير ذلك، وكلٌّ ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر.

﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ الصنوان: هي النخَلات الكثيرة، ويكون أصلها واحدًا، وغير الصنوان: المفترق فردًا فردًا، وواحد الصنوان: صِنْوٌ.

﴿تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ حجةٌ وبرهان على أنه تعالى قدير مُريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء

---

(١) في د: «غيرهما».

(٢) في أ، ب: «قطعًا».

الذي تسقى به دليلٌ على القدرة والإرادة، وفي ذلك ردٌّ على القائلين بالطبيعة.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي: إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيقٌ أن يُتعَجَّب منه؛ فإن الذي قدَر على إنشاء ما ذكرنا من السموات والأرض والثمار قادرٌ على إنشاء الخلق بعد موتهم.

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا إِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث.

واختَلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحدَ عشر موضعًا، أولها: هذا، وفي «الإسراء» موضعان، وفي «المؤمنين» موضع، وفي «النمل» موضع، وفي «العنكبوت» موضع، وفي ﴿الٓمٓ ١﴾ «السجدة» موضع، وفي «الصافات» موضعان، وفي «الواقعة» موضع، وفي «النازعات» موضع:

فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني.

ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط، وهو نافع.

ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط.

وأصل الاستفهام في المعنى إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع؛ فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقًا جديدًا، ولم ينكروا أن يكونوا ترابًا.

فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط: فهو على الأصل.

ومن قرأ بالاستفهام في الأول: فإنما القصد بالاستفهام الثاني.

ومن قرأ بالاستفهام فيهما: فذلك للتأكيد.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ يحتمل:

أن يريد الأغلالَ في الآخرة، فيكون حقيقة.

أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: ٨]، فيكون مجازًا يَجري مجرى الطبع والختم على القلوب.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بالنقمة قبل العافية، والمعنى: أنهم طَلبوا العذاب على وجه الاستخفاف.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ جمع مَثُلَةٍ على وزن «سَمُرَةٍ»، وهي العقوبة العظيمة التي تَجعل الإنسانَ مثَلًا، والمعنى: كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوباتُ الأممَ الذين كانوا قبلهم؟ أفلا يخافون مثل ذلك؟.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يريد: سَتره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة.

وقيل: يريد مغفرته لمن تاب.

والأول أظهر هنا.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ، مِن نزول ملَك معه أو شبه ذلك، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العِظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندةٌ.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أي: إنما عليك إنذارُهم، وليس عليك أن تأتيَهم بآية، إنما ذلك إلى الله.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يراد بالهادي اللهُ تعالى، فالمعنى: إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء.

والوجه الثاني: أن يريد بالهادي النبيَّ ﷺ، فالمعنى: إنما أنت نبيٌّ منذر، ولكل قوم هادٍ من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببِدْعٍ ولا مستنكر.

الثالث: رُوي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: **«أنا المنذر، وأنت يا عليٌّ الهادي»**[1].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٤٢-٤٤٣).

[﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ
بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ
وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ
ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ
خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى
ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ
أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ
شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا
رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ
فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾].

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وهي من الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أو أنثى، أو تامٌّ أو مُخْدَجٌ، أو حسَن أو قبيح، أو غير ذلك.

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنى ﴿تَغِيضُ﴾: تنقص، ومعنى ﴿تَزْدَادُ﴾: من الزيادة.

وقيل: إن الإشارة لدم الحيض[1]؛ فإنه يقِلُّ ويكثر.

وقيل: للولد، فالغيض: السِّقط، أو الوِلادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة: إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر.

ويَحتمل أن تكون «ما» في قوله: ﴿مَا تَحْمِلُ﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾:

موصولةً.

أو مصدريةً.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ المعنى: إن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء.

وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان؛ فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضًا مطابقة.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء، مع السَّارب بالنهار، وهو في غاية الظهور.

ومعنى السارب: المتصرِّف في سَرْبِه -بالفتح-؛ أي: في طريقه ووجهه.

والسارب والمستخفي اثنان، قصَد التسويةَ بينهما في اطِّلاع الله عليهما، مع تباين حالهما.

---

(١) في أ: «إلى دم الحيض».

وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد، يستخفي بالليل، ويظهر بالنهار، ويعضد هذا كونُه قال: ﴿وَسَارِبٌۢ﴾، فعطفه عطْفَ الصفات، ولم يقل: «ومن هو سارب» بتكرار «مَن» كما قال: ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾.

إلا أنَّ جَعْلهما اثنين أرجح؛ ليقابل ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا، ويكون قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ﴾ عطفًا على الجملة وهي قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ﴾، لا على ﴿مُسْتَخْفٍۭ﴾ وحده.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ المعقبات هنا: جماعة الملائكة، وسمِّيت معقبات؛ لأن بعضهم يعقب بعضًا، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود على «من» المتقدِّمة، كأنه قال: لمن أسر ولمن جهر ولمن استخفى ولمن ظهر معقباتٌ.

وقيل: يعود على الله، وهو قول ضعيف؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق.

﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ صفة للمعقبات، وهذا الحفظ يَحتمل أن يراد به:

حفظ أعماله.

أو حفظه وحراسته من الآفات.

﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ صفة للمعقبات؛ أي: معقباتٌ مِن أجل أمر الله؛ إذْ أمَرَهم بحفظه، وقرئ: «بأمر الله»، وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلَّق ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ على هذا بـ ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾.

وقيل: يتعلَّق به؛ على أنهم يحفظونه مِن عقوبة الله إذا أذنب؛ بدعائهم له واستغفارهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ المعنى: إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك: أن الله لا يَسلب النعم، ولا يُنزِل النقم إلَّا بالذنوب.

﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف يكون من البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه.

﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ وصفها بالثِّقَلِ؛ لأنها تحمل الماء.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الرعد: اسم ملك، وصوته المسموع تسبيح.

وقد جاء في الأثر: أن صوته زجْرٌ للسحاب[1]، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ قيل: إنها إشارةٌ إلى الصاعقة التي نزلت على أرْبَدَ الكافرِ وقتلته، حين همَّ بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يعني: الكفار، والواو: للاستئناف، أو للحال.

﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي: شديد القوة، والمحال: مشتق من الحِيلة، فالميم زائدة، ووزنه مِفْعَل.

وقيل: معناه: شديد المكر؛ من قولك: مَحَلَ بالرجل: إذا مكَر به، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فِعَال، وتأويل المكر على هذا القول كتأويله

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٥٧-٣٦٠).

في المواضع التي ورد[(١)] في القرآن[(٢)].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ قيل: هي لا إله إلا الله، والمعنى: أن دعوة العباد بالحق لله، ودعوتهم بالباطل لغيره.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ يعني بـ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ما عُبِد من دون الله من الأصنام وغيرهم، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار.

والمعنى: أن المعبودِين لا يستجيبون لمن عبَدهم.

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ شبَّه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسَط إليه كفَّيْهِ، وأشار إليه بالإقبال إلى فيه، ولا يبلغ فمَه على هذا أبدًا؛ لأن الماء جمادٌ لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام.

والضمير في قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ للماء، وفي ﴿بِبَٰلِغِهِۦ﴾ للفم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ «مَن» لا تقع إلَّا على من يعقل، فهي هنا يراد بها: الملائكة والإنس والجن.

فإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه؛ فهو عامٌّ في الجميع، من شاء منهم، ومن أبى، ويكون ﴿طَوْعًا﴾ لمن أسلم، ﴿وَكَرْهًا﴾ لمن كره وسخط.

---

(١) في د: «وردت».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٥٤٥، وصفحة ٤٢٢، ٥١٢ من هذا الجزء.

وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد، فيكون سجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعًا، وأما الكَره؛ فهو سجود المنافق، أو[1] سجود ظل الكافر.

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ معطوف على ﴿مَن﴾، والمعنى: أن الظلال تسجد غدوةً وعشية، وسجودها: انقيادها للتصرُّف بمشيئة الله ﷻ.

وقيل: سجودها: فيئها بالعشي.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدِّم، وهو ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمرٌ واضحٌ لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الأعمى تمثيل للكافر، والبصير تمثيل للمؤمن، و﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر، ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل.

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى «بل» والهمزة، و﴿خَلَقُوا۟﴾ صفة لـ ﴿شُرَكَآءَ﴾، والمعنى: أن الله وقَّفهم هل خلق شركاؤهم خلقًا كخلق الله فحمَلهم ذلك واشتباهُه بما خلق الله على أن جعلوا إلهًا غير الله؟، ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فحصل الردُّ عليهم.

---

(١) في د، هـ: «و».

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ الآيةَ؛ هذا مثلٌ ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه، فمثَّل الحق وأهلَه:

بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية، وتنتفع به الأرض.

وبالذهب والفضة والحديد والصُّفْر وغيرها من المعادن التي ينتفع بها الناس.

وشبَّه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله:

بالزبَد الذي يَرمي به السيل.

وبزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيبت، وليس في الزبد منفعةٌ، وليس له دوام.

﴿بِقَدَرِهَا﴾ يَحتمل أن يريد:

ما قُدِّر لها من الماء.

ويَحتمل أن يريد بقَدْر ما تحتمله، على قَدْر صغرها وكبرها.

﴿زَبَدًا رَّابِيًاۚ﴾ الزَّبد: ما يحمله السيل من غُثَاءٍ ونحوه، والرَّابي: المنتفخ الذي ربا، ومنه الربوة.

﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ﴾؛ أي: يَنشأ من الأشياء التي يوقَد عليها زبدٌ مثل زبد السيل.

﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾ الذي يُوقَد عليه ابتغاءَ الحَلْيِ: هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع: هو الحديد والرصاص والنحاس والصُّفر وشبه ذلك.

ومعنى المتاع: ما يَستمتع الناس به في مرافقهم وحوائجهم.

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: يضرب أمثال الحق والباطل.

﴿جُفَآءً﴾ يَجفَؤه السيل؛ أي: يرمي به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: الخالص من الماء، ومن تلك الأحجار.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الذين استجابوا: هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، والحسنى: الجنة، وإعرابها: مبتدأ، وخبرها: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيةَ، فيوقَف على ﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾، وعلى ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقيل: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ يتعلَّق بـ ﴿يَضْرِبُ﴾، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مصدر من معنى ﴿ٱسْتَجَابُوا۟﴾؛ أي: استجابوا الاستجابة الحسنى، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ معطوف على ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾، والمعنى: يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾.

﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المناقشة والاستقصاء.

[﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾
جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ
بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ
مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى
ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ تقريرٌ، والمعنى: أسواء من آمن ومن لم يؤمن؟.

والأعمى هنا: من لم يؤمن بالنبي ﷺ.

وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأبي جهل لعنه الله.

﴿يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ القَرابات وغيرها.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ قيل: يدفعون الشرك بقول: لا إله إلا الله.

وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن.

والأظهر: يفعلون الحسنات؛ فيدرؤن بها السيئات، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار، ثم هي عامة في كل مؤمن اتصف بهذه الصفات.

﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ يعني: الجنة، ويَحتمل أن يريد بالدار: الآخرةَ، وأضاف العقبى إليها؛ لأنها فيها.

ويَحتمل أن يريد بالدار: الدنيا، وأضاف العقبى إليها؛ لأنها عاقبتها.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر؛ تفسيرًا لـ ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

﴿وَمَن صَلَحَ﴾ أي: مَن كان صالحًا.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ أي: يقولون لهم: سلام عليكم.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلَّق بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم.

ويجوز أن يتعلَّق بـ ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: نسلِّم[1] عليكم بما صبرتم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية؛ أوصافٌ مضادَّة لما تقدَّم.

وقيل: إنها في الخوارج، والأظهر: أنها في الكفار.

﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ يَحتمل أن يراد بها: الدنيا، أو الآخرة[2].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسِّع على من يشاء، ويضيِّق على من يشاء، وهذا تفسيره حيث وقع.

﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إخبارٌ في ضمنه ذمٌّ وتسفيه لمن فرح بالدنيا، ولذلك حقرها بقوله: ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾؛ أي: قليلٌ بالنظر إلى الآخرة.

---

(١) في ج، هـ: «يسلم».

(٢) في أ، ب: «في الدنيا والآخرة».

[﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾].

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ خرج به مخرج التعجُّب منهم لما طلبوا آيةً، أي: قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن وبآيات كثيرة فعَمِيتم عنها، وطلبتم غيرها، وتماديتم على الكفر؛ لأنّ الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، أو خبر ابتداء مضمر.

و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بدل ثانٍ، أو مبتدأ.

﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر مِن: طاب، كبُشْرى، ومعناها: أصبت خيرًا وطيبًا.

وقيل: هي شجرة في الجنة.

وإعرابها: مبتدأ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الكاف تتعلّق بالمعنى الذي في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قيل: إنها نزلت في أبي جهل.

وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن، وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط.

ومعنى الآية: أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم.

﴿مَتَابِ﴾ مَفْعَل من التوبة، وهو اسم مصدر.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآيةَ؛ جواب «لو» محذوف تقديره: لو أن قرآنًا على هذه الصفة مِن تسيير الجبال به، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى؛ لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

وقيل: تقديره: لو أن قرآنًا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غايةٌ في التَّذكير، ونهايةٌ في الإنذار، كقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر: ٢١].

وقيل: هو متعلِّق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال.

﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾ معناه: أفلم يعلم، وهي لغة هوازن، وقرئ: «أو لم يَتبيَّن».

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: كفار قريش والعرب.

﴿قَارِعَةٌ﴾ يعني: مصيبةٌ في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزَوات المسلمين إليهم.

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الفاعل ضمير القارعة، والمعنى: إما أن تصيبهم، وإما أن تقرب منهم.

وقيل: التاء للخطاب، والفاعل ضمير المخاطَب؛ وهو النبي ﷺ.

والأول أظهر.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ هو فتح مكة.

وقيل: قيام الساعة.

* * *

[﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ
تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟
عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ
أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا
وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ الآيةَ؛ مَقصِدها: تأنيسٌ وتسلية للنبي ﷺ، وهكذا حيث وقع.

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أي: أمهلتُهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ هو الله تعالى؛ أي: حفيظ رقيب على عمل كل أحد.

والخبر محذوف تقديره: «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحقُّ أن يعبد أم غيره؟»، ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: اذكروا أسماءَهم.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: أن الله لا يعلم لنفسه شركاء، وإذا لم يعلمْهم هو فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم،

وتعبدون الباطل؟، وذلك كقولك: قل لي من زيد؟، أم هو أقلُّ من أن يعرف؛ فهو كالعدم.

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ المعنى: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة؟، كقوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النجم: ٢٣].

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ هنا وفي «القتال»: أي: صفتُها، وليس بضرب مثلٍ لها.

والخبر:

عند سيبويه: محذوف مقدم تقديره: فيما يتلى عليكم: صفةُ الجنة.

وقال الفرَّاء: الخبر مؤخَّر، وهو: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ يعني: ما يؤكَل فيها من الثمرات وغيرها، والأُكل - بضم الهمزة -: المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأَكل - بفتح الهمزة -: المصدر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: من أسلم من اليهود والنصارى، كعبد الله بن سلَام والنجاشي وأصحابِه.

وقيل: يعني: المؤمنين، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على هذا: القرآن.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ قيل: هم بنو أمية، وبنو المغيرة من قريش.

والأظهر: أنها في سائر كفار العرب.

وقيل: هم اليهود والنصارى؛ لأنهم لا ينكرون القِصاص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حرَّفوه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ وجه اتصاله بما قبله: أنه جوابٌ للمنكرين، وردٌّ عليهم، كأنه قال: إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده، فكيف تنكرون هذا؟.

﴿مَئَابِ﴾ مَفْعَل من الأَوْب؛ وهو الرجوع، أي: مرجعي في الآخرة، أو مرجعي بالتوبة.



[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ ردٌّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يَحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية، فالمعنى: لستَ ببِدْعٍ في ذلك، بل أنت كمن تقدَّم من الرسل.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ردٌّ على الذين اقترحوا الآيات.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: لكل كتابٍ أجلٌ بالعكس.

وهذا لا يلزم، بل المعنى صحيح من غير عكس، أي: لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قيل: يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام، ويُثبِت منها ما يشاء.

وقيل: هي في آجال بني آدم، وذلك أن الله تعالى في ليلة القدر -وقيل: في ليلة النصف من شعبان- يكتب آجال من يموت في ذلك العام، فيُمحَى[1]

(١) في أ، ب: «فيمحوا».

من ديوان الأحياء، ويُثبت من لا يموت في ذلك العام.

وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء.

وهذا تردُّه القاعدة المتقررة: أن القضاء لا يتبدَّل، وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء إلَّا في السعادة والشقاوة الأخراوية، والآجال.

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصلُ كلِّ كتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ «إن» شرط دخلت عليها «ما» المؤكِّدة، وجوابها: ﴿فَإِنَّمَا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الإتيان هنا: بالقدرة والأمر، والأرض: أرض الكفار، ونقصها: هو بما يفتح[1] الله للمسلمين منها، والمعنى: أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكِّنك منهم.

وقيل: الأرض: جنس، ونقصها: بموت الناس، وهلاك الثمرات، وخراب البلاد، وشبه ذلك.

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ المعقِّب: الذي يَكرُّ على الشيء فيبطله.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب[2].

---

(١) في أ، ب، د: «فتح».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٥٤٥، وصفحة ٤٢٢، ٥١٢ من هذا الجزء.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ تهديدٌ، والمراد بالكافر: الجنس؛ بدليل قراءة ﴿ٱلْكُفَّٰرُ﴾ بالجمع.

و﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: الدنيا، أو[1] الآخرة.

﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ أمَره الله أن يستشهد اللهَ على صحة نبوته.

وشهادة الله له هي: علمه بذلك، أو[2] إظهاره الآيات الدالَّة على ذلك.

﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ معطوفٌ على اسم الله؛ على وجه الاستشهاد به.

فقيل: المراد عبد الله بن سلَام ومَن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلَمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل.

وقيل: المراد: المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوَّة.

وقيل: المراد: الله تعالى؛ فهو الذي عنده علم الكتاب، ويَضْعُف هذا، لأنه عطْفُ صفةٍ على موصوف، ويقويه قراءة: «ومِن عندِه» بـ «مِن» الجارة وخفض «عنده».

* * *

(١) في أ، ب، د: «و».

(٢) في ج، د: «و».

﴿ سورة إبراهيم عليه السلام ﴾

[﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ
إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ
لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ
إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ
ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ
شَكُورٖ ۝٥ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ
ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي
ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝٦﴾].

﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والظلمات: الكفر والجهل، والنور: الإيمان والعلم.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: بأمره، (وهو إرساله)(١).

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ بدلٌ من إلى ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

---

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

﴿ٱللَّهِ﴾ قرئ بالرفع: وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإٍ مضمرٍ.

وبالخفض: بدل.

﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ أي: يؤثرون.

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ قد ذُكِر[1].

﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي: بلغتهم وكلامهم.

﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ «أنْ» مفسِّرة، أو مصدرية على تقدير: بأن.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: عقوبته للأمم المتقدمة.

وقيل: إنعامه على بني إسرائيل.

واللفظ يعمُّ النعم والنقم.

وعبَّر عنها بالأيام؛ لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيمٌ لها، كقولهم: يوم كذا ويوم كذا.

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ ذُكِر هنا بالواو؛ ليدلَّ على أن سوء العذاب: غيرُ الذبح.

أو أعمُّ من ذلك، ثم جرَّد الذبح، كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وذُكِر في «البقرة» بغير واو؛ تفسيرًا للعذاب.

---

(١) انظر: ١/ ٥٦٥.

[﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ
٧ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ
إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا
أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ
شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ من كلام موسى، و﴿تَأَذَّنَ﴾ بمعنى: آذن؛ أي: أعلم، كقولك: توعَّدَ وأوْعَد، وإعلامُ الله مقترنٌ بإنفاذ ما أعلم به.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ هذا معمولُ ﴿تَأَذَّنَ﴾؛ لأنه يتضمن معنى «قال».

ويَحتمل أن تكون الزيادة:

من خير الدنيا.

أو من الثواب في الآخرة.

أو منهما.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ يَحتمل أن يريد:

كفر النعم.

أو الكفر بالإيمان.

والأول أرجح؛ لمقابلته بالشكر.

﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عبارةٌ عن كثرتهم، كقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الضمائر لقوم الرسل، والمعنى: أنهم ردُّوا أيديَهم في أفواه أنفسهم:

غيظًا من الرسل، كقوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

أو استهزاءً وضَحِكًا، كمن غلَبه الضَّحِك فوضع يده على فمه.

والثاني: أن الضمائر لهم، والمعنى: أنهم ردُّوا أيديَهم في أفواه أنفسهم؛ إشارةً على الأنبياء بالسكوت.

والثالث: أنهم ردُّوا أيديَهم في أفواه الأنبياء تسكيتًا لهم، ودفعًا لقولهم.

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى: أفي وجود الله شك، أو في إلهيته؟.

وقيل: في وَحدانيته.

والهمزة للتقرير والتوبيخ؛ لأنه لا يَحتمل الشكَّ؛ لظهور الأدلة، ولذلك وَصَفه[1] بعدُ بقوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

---

(١) في ج، هـ: «وُصِف».

﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن «مِن» زائدة.

ومنع سيبويه زيادتها في الواجب، وهي عنده للتبعيض، ومعناه: أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدَّم من ذنوبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة، فوقعت المغفرة للبعض.

ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلَّا للكفار، كهذا الموضع، والذي في «الأحقاف» وسورة «نوح».

وجاء للمؤمنين بغير «مِن»، كالذي في «الصفّ».

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه: يؤخّركم إن آمنتم إلى آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت[1].

وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يأبَون هذا؛ فإن الأجل عندهم واحدٌ محتوم[2].

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٥٦٣).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قول ابن جزي رحمه الله: «وهذا بناء على قولهم - أي المعتزلة - بالأجلين»، أقول: هذا صحيح عن المعتزلة؛ معناه أن المعتزلة يقولون: إن المقتول ومن يعاجَل بالعقوبة له أجل متأخر لو لم يُقتل أو يعاجَل لانتهى إليه، ولقتلِه أو تعجيل عقوبته أجلٌ متقدم، وقال بعضهم عن المعتزلة: إن الأجل واحد، وهو الأجل المسمَّى، وأن المقتول مقطوعٌ عليه أجله، وكذا من يعاجَل بالعقوبة بسبب كفره، والحقُّ أن الأجل الذي قدَّره الله في علمه وكتابه واحدٌ، سواء كان متقدما أو متأخرا، ولا يقع إلا هو، فالمتقدم لا يتأخر، والمتأخر لا يتقدم، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا =

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ يحتمل أن يكون قولهم:
استبعادًا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة.
أو يكون إحالةً لنبوة البشر.

والأول أظهر؛ لطلبهم البرهان في قولهم: ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾، ولقول الرسل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ أي: بالتفضيل بالنبوة.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ المعنى: أي: شيءٍ يمنعنا من التوكُّل على الله.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن قيل: لم كرَّر الأمر بالتوكل؟.

فالجواب عندي: أن قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ راجعٌ إلى ما تقدَّم من طلب الكفار لسلطان مبين؛ أي: حجة ظاهرة، فتوكُّل الرسل في ورودها على الله، وأما قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ فهو راجعٌ إلى قولهم: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ﴾ أي: نتوكل على الله في دفع أذاكم.

وقال الزمخشري: إن هذا الثاني بمعنى الثبوت على التوكل[1].

= ﴿كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ﴾، وهذا معنى ما أشار إليه المؤلف في قوله: «وأهل السنة يأبون هذا؛ فإن الأجل عندهم واحدٌ محتوم». والله أعلم.

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٥٦٥).

[﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾].

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ ﴿أَوْ﴾ هنا:

بمعنى «إلَّا أنْ».

أو على أصلها؛ لوقوع أحد الشيئين.

والعَوْدُ هنا: بمعنى الصَّيرورة، وهو كثير في كلام العرب، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في ملَّةِ الكفار قبل ذلك.

﴿خَافَ مَقَامِى﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا، وفي ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ في «الرحمن»:

فالأول: أن معناه: مقام الحساب في القيامة.

والثاني: أن معناه: قيام الله على عباده بأعمالهم.

والثالث: أن معناه: خافني، وخاف ربه[١]، على إقحام المقام، أو على التعبير به عن الذات.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ الضمير للرسل؛ أي: استنصروا بالله، وأصله: طلب الفتح، وهو الحُكم.

﴿جَبَّارٍ﴾ أي: قاهرٍ، أو متكبرٍ.

﴿عَنِيدٍ﴾ مخالفٍ لا ينقاد.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ في الموضعين: الوراء هنا: بمعنى ما يستقبل من الزمان. وقيل: معناه هنا: أمامه، وهو بعيد.

﴿وَيُسْقَىٰ﴾ معطوفٌ على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى، وإنما ذَكر هذا السَّقْيَ تجريدًا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشدِّ عذابها.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي: يتكلَّف جَرْعَه، وتصعب عليه إساغته.

ونفي «كاد» يقتضي وقوعَ الإساغة بعد جُهْدٍ.

ومعنى ﴿يُسِيغُهُۥ﴾: يبتلعه.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يجد ألمًا مثل ألم الموت وكرباته من جميع الجهات.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا يُرَاحُ بالموت.

---

(١) قوله: «وخاف ربَّه» هذا تفسيرٌ لآية «الرحمن»: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما في: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ التي في «الرعد» و«القتال».

والخبر عند سيبويه: محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم.

والخبر عند الفراء: الجملة التي بعد.

والمثَل هنا بمعنى التَّشبيه.

﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها.

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: شديد الريح، والعُصوف في الحقيقة من صفة الريح.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: لا يرون له منفعة.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ أي: ظهروا، ومعنى الظُّهور هنا:

خروجهم من القبور.

وقيل: معناه صاروا بالبَراز، وهي الأرض المتسعة.

﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف.

﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ «من» الأولى: للبيان، والثانية: للتبعيض.

ويجوز أن يكونا للتبعيض معًا. قاله الزمخشري[١].

والأظهر: أن الأولى: للبيان، والثانية: زائدة، والمعنى: هل أنتم

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٥٧٧).

دافعون أو متحمِّلون عنا شيئًا من عذاب الله.

﴿مَحِيصٍ﴾ أي: مهربٍ، حيث وقع، ويَحتمل أن يكون: مصدرًا، أو اسم مكان.

* * *

[﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ
وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم
مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ
حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني: إبليس الأقدم، روي أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام: يوم القيامة.

أو في النار يقوله لأهلها.

﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة: فمعنى ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: تعيَّن قومٌ للنار وقومٌ للجنة.

وإن كان في النار: فمعنى ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناءٌ منقطع.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثين لي.

﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: بإشراككم لي مع الله في الطاعة.

﴿مِن قَبۡلُۗ﴾ يتعلَّق بـ ﴿أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾.

ويَحتمل أن يتعلَّق بـ ﴿كَفَرۡتُ﴾.

والأول أظهر وأرجح.

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئنافٌ، من كلام الله تعالى.

ويَحتمل أن يكون حكايةً عن إبليس.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾ يتعلَّق بـ ﴿وَأُدۡخِلَ﴾، أو بـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾، والأول أحسن.

﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ ابن عباس وغيره: هي: «لا إله إلا الله».

(وقيل: كلُّ كلمة حسنة)[1].

﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة في قول الجمهور.

واختار ابن عطية: أنها شجرة غير معينة، إلَّا أنها كلُّ ما اتصف بتلك الصفات[2].

﴿وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في الهواء، وذلك عبارةٌ عن طولها.

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾ الحين في اللغة: وقت غير محدود، وقد تقترن به قرينة تَحدُّه؛ فقيل في: ﴿كُلَّ حِينِۭ﴾: كل سنة لأن النخلة تُطعِم في كل سنة، وقيل غير ذلك.

---

(١) سقط من أ، ب، هـ.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٤٤).

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، وقيل: كل كلمة قبيحة.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، واختار ابن عطية: غير معينة[1].

﴿اجْتُثَّتْ﴾ أي: اقتلعت، وحقيقة الاجتثاث: أخذ الجُثَّة، وهذا في مقابلة قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾.

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو «لا إله إلا الله»، والإقرار بالنبوة.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: إذا فُتِنوا لم يَزِلُّوا.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور.

* * *

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٢٤٦).

[﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾].

﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ نعمة الله هنا: هو محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها، والتقدير: بدلوا شكر نعمة الله كفرًا.

﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ أي: مَن أطاعهم واتبعهم.

﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ فسَّرها بقوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟﴾ هي جواب شرط مقدَّرٍ، يتضمَّنه قوله: ﴿قُل﴾، تقديره: إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف.

وقيل: جُزم بإضمار لام الأمر، تقديره: ليقيموا.

﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ من الخُلَّة، وهي المودة.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يريد الجنسَ.

[﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ
﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا
فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾].

﴿ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ ذُكِر في «البقرة»[(١)].

﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ أي: امنعني، والماضي منه: جنَب، يقال: جنَب وجنَّب -بالتشديد- وأجنب بمعنى واحد.

﴿وَبَنِىَّ﴾ يعني: بنيه من صلبه، وفيهم أجيبت دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام.

﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ يريد: من عصاه بغير الكفر، أو عصاه بالكفر ثم تاب منه، فهو الذي يصح أن يدعى له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم؛ لِمَا كان فيه عليه السلام من الرحمة للخلْق وحسن الخلُق.

﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ يعني: ابنَه إسماعيل عليه السلام، لما وَلَدته أمه هاجر غارت بها[(٢)] سارة زوجة إبراهيم، فحمله مع أمه من الشام إلى مكة.

---

(١) انظر: ١/ ٣٦٢.

(٢) في د: «منه».

﴿بِوَادٍ﴾ يعني: مكة، والوادي: ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة:

فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات.

وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيُبنَى هناك بيتٌ(١).

﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اللام يَحتمل أن تكون:

لام الأمر بمعنى الدعاء.

أو لام «كي»، وتتعلَّق بـ ﴿أَسْكَنتُ﴾.

وجمْعُ الضمير يدل على أنه كان قد عَلِمَ أن ابنه يُعْقِبُ هنالك نسلًا.

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: تسير بجِدٍّ وإسراع، ولهذه الدعوة حبَّب الله حج البيت إلى الناس، على أنه قال ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بالتبعيض.

قال بعضهم: لو قال: «أفئدة الناس» لحجته فارس والروم.

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غيرُ ذي زرع، وأجاب الله دعوته فجعل مكة تُجبَى(٢) إليها ثمراتُ كل شيء.

﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ الآيةَ؛ يَحتمل أن تكون: من كلام الله تعالى، أو حكايةً عن إبراهيم.

﴿وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ روي: أنه ولد له إسماعيل وهو

(١) في ج: «سيَبني هناك بيتًا».

(٢) في أ، ب، هـ: «تجيء».

ابن مئةٍ وسبعةَ عشرَ عامًا، وروي أقل من هذا، وإسماعيل أسنُّ من إسحاق.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ إن أراد بالدعاء: الطلبَ والرغبة فمعنى القَبول: الاستجابة.

وإن أراد بالدعاء: العبادة، فالقبول على حقيقته.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ قيل: إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما.

والصحيح: أنه دعا لهما قبل أن يتبيَّن له أنه عدوٌّ لله، حسَبما ورد في «براءة».

* * *

[﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾ هذا وعيدٌ للظالمين، وهم الكفار هنا على الأظهر.

فإن قيل: لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾؟

فالجواب: أنه يَحتمل أن يكون خطابًا للنبي ﷺ، أو لغيره.

فإن كان لغيره فلا إشكال.

وإن كان له فهو مشكلٌ؛ لأن النبي ﷺ لا يَحسَبُ أن الله غافلٌ، وتأويل ذلك بوجهين:

أحدهما: أن المراد: الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغيرُ مخلف وعده.

والآخر: أن المراد: إعلامُه بعقوبة الظالمين، فمقصد الكلام الوعيد لهم.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: تُحِدُّ النظرَ من الخوف.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ قيل: الإهطاع: الإسراع.

وقيل: شدَّة النظر مِن غير أن يَطرِف.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس.

وقيل: خفْضُه من الذِّلة.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا يَطرِفون بعيونهم؛ من الحذر والجزع.

﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: منخرقة، لا تعي شيئًا؛ من شدَّة الجزع، فشبهها بالهواء في تفرُّغه من الأشياء.

ويَحتمل أن يريد مضطربةً في صدورهم.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني: يوم القيامة، وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ على أنه مفعول ثان لـ ﴿أَنذِرِ﴾، ولا يجوز أن يكون ظرفًا.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾ تقديره: يقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾ الآيةَ.

﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ هو المقسَم عليه، ومعنى ﴿مِّن زَوَالٍ﴾: أي: من الأرض بعد الموت؛ أي: حلَفتم أنكم لا تبعثون.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: جزاءُ مكرِهم.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ «إن» هنا نافية، واللام لام

الجحود، والجبال يراد بها: الشَّرائع والنبوات، شبهت بالجبال في ثبوتها، والمعنى: تحقيرُ مكرهم؛ لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة.

وقرأ الكسائي: ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام ورفع ﴿تَزُولُ﴾، و«إن» - على هذه القراءة - مخففةٌ من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى: تعظيم مكرهم؛ أي: إنَّ مكرَهم من شدته بحيث تزول منه الجبال، ولكن الله عصم ووقَى منه.

﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ يعني: الوعد بالنصر على الكفار.

فإن قيل: هلا قال: «مخلف رسلِه وعدَه»، ولم قدَّم المفعول الثاني على الأول؟.

فالجواب: أنه قدَّم الوعد ليُعلَم أنه لا يُخلف الوعد أصلًا على الإطلاق، ثم قال: ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾؛ ليُعلَم أنه إذا لم يخلف وعد أحدٍ من الناس، فكيف يخلف وعد رسله وخِيرةِ خلقه؟، فقدَّم الوعد أولًا؛ لقصد الإطلاق، ثم ذكَر الرسل؛ لقصد التخصيص.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ العامل في الظرف: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، أو محذوفٌ.

وتبديل الأرض: بأن تكون يوم القيامة بيضاءَ عفراءَ كقُرْصة النَّقِي، هكذا ورد في الحديث الصحيح(١).

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ تبديلها: بانشقاقها، وانتثار كواكبها، وخسوف شمسها وقمرها.

وقيل: تبدَّل أرضًا من فضة، وسماءً من ذهب، وهذا ضعيف.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكفار.

﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: مربوطين في الأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي: قمصهم، والسِّربال: القميص.

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ هو الذي تُهْنَأُ به الإبل، وللنار فيه اشتعالٌ شديد، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف؛ أي: فعل الله ذلك ليجزيَ.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ﴾ إشارةٌ: إلى القرآن، أو إلى ما تضمَّنته هذه السورة.

﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ معطوفٌ على محذوف تقديره: ليُنصحوا به وليُنذروا.



﴿ سورة الحجر ﴾

[﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟
مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾
وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ يَحتمل أن يريد بالكتاب: الكتب المتقدمة، وعطف القرآن عليها.

والظاهر: أنه القرآن، وعُطف عطف الصفات.

﴿رُّبَمَا﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان، و«ما» حرفٌ، كافَّةٌ لـ«رُبَّ».

ومعنى «رب»: التقليل، وقد تكون للتكثير.

وقيل: إن هذه منه.

وقيل: إنما عبَّر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، و﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤].

وقيل: إن معنى التقليل في هذه: أنهم لو كانوا يودُّون الإسلام مرةً واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه مرارًا كثيرة؟.

ولا تدخل «رُبَّ» إلَّا على الماضي، وإنما دخلت هنا على المستقبل؛ لأنه في التَّحقيق كالماضي.

﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ قيل: إن ذلك عند الموت.

وقيل: في القيامة.

وقيل: إذا خرج عصاة المسلمين من النار، وهذا هو الأرجح؛ لحديثٍ روي في ذلك[1].

﴿ذَرْهُمْ﴾ وما بعده: تهديدٌ.

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: وقت محدود.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ الضمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ لكفار قريش، وقولهم: ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾[2] على وجه الاستخفاف؛ أي: بزعمك ودعواك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٨).

(٢) في هـ زيادة: «يعنون».

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ﴿لَوْ مَا﴾ عرضٌ وتحضيضٌ، والمعنى: أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه.

﴿مَا تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ردٌّ عليهم فيما اقترحوا، والمعنى: أن الملائكة لا تتنزل إلَّا بالحق؛ من الوحي والمصالح، التي يريدها الله، لا باقتراح مقترِح واختيار كافر معترض.

وقيل: الحق هنا: العذاب.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ ﴿إِذًا﴾ حرف جواب وجزاء، والمعنى: لو أنزل الملائكة لم يؤخَّرْ عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن مِن عادة الله أن مَن اقترح آيةً فرآها ولم يؤمن أنه يعجَّل له العذاب، وقد عَلِم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثيرٌ منهم، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ الذِّكر هنا: هو القرآن، وفي قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردٌّ لإنكارهم واستخفافهم في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ ولذلك أكَّده بـ ﴿نَحْنُ﴾، واحتجَّ عليه بحفظه.

ومعنى حفظه: حراسته عن التَّبديل والتَّغيير، كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يَقدِر أحدٌ على الزيادة فيه، ولا النقصان منه، ولا تبديلِه، بخلاف غيره من الكتب؛ فإنَّ حفْظَها موكولٌ إلى أهلها؛ لقوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الشِّيَع: جمع شِيعة، وهي الطائفة التي تتشيع لمذهب أو رجل.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ معنى ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾: نُدخِله.

والضمير في ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ يَحتمل:

أن يكون للاستهزاء الذي دلَّ عليه قوله: ﴿بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

أو يكون للقرآن؛ أي: نسلكه في قلوبهم مستهزَءًا به، ويكون قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تشبيهًا للاستهزاء المتقدِّم، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تفسيرٌ لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن.

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدَّمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء، حتى هلَكوا بسبب ذلك، ففي الكلام تهديدٌ لقريش.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر.

وقيل: الضمير في ﴿ظَلُّوا۟﴾ و﴿يَعْرُجُونَ﴾ للملائكة، وفي ﴿قَالُوٓا۟﴾ للكفار.

ومعنى ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يَصعَدون.

والمعنى: أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا: إنها تخييل أو سحر.

وقرئ ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف، ويَحتمل أن يكون مشتقًّا:

من السُّكْر، فيكون معناه: حُيِّرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته.

أو من السَّكْر، وهو السَّدُّ، فيكون معناه: منعت أبصارنا من النظر.

* * *

[﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ
رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ
﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ
لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي
وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾].

﴿بُرُوجًا﴾ يعني: المنازل الاثني عشر.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استثناءٌ مِن حفظ السموات، فهو في موضع نصب.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي: مقدَّر بقصْدٍ وإرادة؛ فالوزن على هذا مستعار.

وقيل: المراد: ما يوزن حقيقةً كالذهب والأطعمة، والأول أعمُّ وأحسنُ.

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يعني: البهائم والحيوانات، و﴿مَن﴾ معطوفٌ على ﴿مَعَايِشَ﴾.

وقيل: على الضمير في ﴿لَكُمْ﴾، وهذا ضعيف في النحو؛ لأنه عطفٌ على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قويٌّ في المعنى؛ أي: جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قيل: يعني المطر، واللفظ أعم من ذلك.

والخزائن: المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودةٌ قد خُلِقت.

وقيل: ذلك تمثيل، والمعنى: وإن من شيء إلَّا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه.

﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: بمقدار محدود.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ يقال: لَقِحَت الناقة والشجرة: إذا حمَلت فهي لاقحة، وألْقَحت الريحُ الشجرَ فهي مُلْقِحةٌ، و﴿لَوَٰقِحَ﴾:

جمع لاقحة؛ لأنها تحمل الماء.

أو جمع ملقحة؛ على حذف الميم الزائدة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآيةَ؛ يعني: الأولين والآخرين من الناس، وذكَر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذُكِر بعد ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنه إذا أحاط بهم علمًا لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم.

وقيل: يعني: مَن استقدم وِلادةً وموتًا، ومن تأخَّر.

وقيل: من تقدَّم إلى الإسلام ومن تأخَّر عنه.



[﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾
فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ
﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى
لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ
هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ
ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ
مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ الإنسان هنا هو: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل؛ أي: يصوِّت، وهو غير مطبوخٍ، فإذا طُبخ فهو فخَّارٌ.

﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الحمأ: الطين الأسود، والمسنون: المتغيِّر المنتن.

وقيل: إنه مِن أَسَنَ الماءُ: إذا تغيَّر، والتَّصريف يردُّ هذا القول.

وموضع ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ صفةٌ لـ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾؛ أي: من صلصال كائنٍ من حمأ.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ يراد به: جنس الشياطين.

وقيل: إبليس الأول، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، وتناسلت الجن من إبليس، وهو للجن كآدم للناس.

﴿ٱلسَّمُومِ﴾ شدَّة الحر.

﴿خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾ يعني: آدم ﷺ.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ يعني: الروح التي في الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافةَ مُلْك إلى مالك؛ أي: من الروح الذي هو لي، وخَلْقٌ من خلقي.

وتقدَّم الكلام على سجود الملائكة في «البقرة»(١).

﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، أو من السماء.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية، وأن كفره كان بوجهٍ غيرِ الجحود، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ اليوم الذي طلب إبليس أن يُنظَرَ إليه: هو يوم القيامة.

ويوم الوقت المعلوم الذي أُنظِر إليه: هو يوم النفخ في الصور النفخةَ الأولى؛ حين يموت من في السموات ومن في الأرض.

وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلًا منه ومغالطةً؛ إذ سأل ما لا سبيل إليه؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدًا؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه، وأعطاه الإنظارَ إلى النفخة الأولى.

﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ الباء للسببية؛ أي: لأغوينهم بسبب إغوائك لي.

---

(١) انظر: ١/ ٣٠٠.

وقيل: للقسَم؛ كأنه قال: بقُدْرتك على إغوائي لأغوينهم.

والضمير لذرية آدم.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾ القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾:

إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم.

أو إلى تقسيم الناس إلى غويٍّ ومُخْلَص.

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ يَحتمل أن يريد بالعباد:

جميعَ الناس؛ فيكون قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ استثناءً متصلًا.

أو يريد بالعباد المخلَصين؛ فيكون الاستثناء منقطعًا.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ روي: أنها سبعة أطباق، في كل طبقة باب، فأعلاها: للمذنبين من المسلمين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارى، والرابع: للصابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع: للمنافقين.

* * *

[﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾].

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم: ادخلوها، والسَّلام هنا يَحتمل أن يكون: التحيةَ، أو السلامةَ.

﴿إِخْوَٰنًا﴾ يعني: أخوَّة المودَّة والإيمان.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: يقابل بعضهم بعضًا على الأسِرَّة.

﴿نَصَبٌ﴾ أي: تعبٌ.

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ﴾ الآيةَ؛ أَعْلِمهم، والآية آية ترجية وتخويف.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿ضَيْفِ﴾ هنا: واقعٌ على جماعة، وهم الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم بالبشرى.

﴿وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، والوجَل: الخوف.

﴿لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخفْ.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ المعنى: أبشرتموني بالولد مع أنني قد كَبِرَ سنِّي!.

وكان حينئذ ابن مئة سنة، وقيل: أكثر.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قال ذلك:

على وجه التعجُّب مِن ولادته في كِبَرِه.

أو على وجه الاستبعاد لذلك.

وقرئ ﴿ تُبَشِّرُونِّ﴾:

بتشديد النون وكسرها؛ على إدغام نون الجمع في نون الوقاية.

وبالكسر والتخفيف؛ على حذف إحدى النونين.

وبالفتح؛ وهي نون الجمع.

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باليقين الثابت، فلا تستبعده ولا تشُكَّ فيه.

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ دليلٌ على تحريم القنوط.

وقرئ ﴿يَقْنَطُ﴾: بفتح النون وكسرها، وهما لغتان.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم؟، وبأي شيء جئتم؟.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون: قوم لوط.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يحتمل:

أن يكون استثناءً من ﴿قَوْمٍ﴾؛ فيكون منقطعًا؛ لوصف القوم بالإجرام،

ولم يكن آلُ لوط مجرمين.

ويَحتمل أن يكون استثناءً من الضمير في ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾؛ فيكون متصلًا؛ كأنه قال: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلَّا آل لوط فلم يجرموا.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ استثناءٌ من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، فهو استثناءٌ من استثناء.

وقال الزمخشري: إنما هو استثناءٌ من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾[1]. وذلك هو الذي يقتضيه المعنى.

﴿قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ الغابر: يقال بمعنى الباقي، وبمعنى الذاهب.

وإنما أَسند الملائكةُ فعلَ التَّقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده؛ لما لهم من القرب والاختصاص بالله، لا سيما في هذه القضية، كما تقول خاصة الملِك للملِك: دبَّرنا كذا.

ويَحتمل أن يكون حكاية عن الله.

* * *

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٦).

[﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ
بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ
اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ
إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ
الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾
وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾].

﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ أي: لا يعرفهم[(١)].

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: جئناك بالعذاب لقومك.

ومعنى ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكُّون فيه.

﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي: كنْ خلفهم وفي سَاقَتِهم؛ حتى لا يبقى منهم أحد، وليكونوا قدَّامه؛ (فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه؛ لخوفه عليهم)[(٢)].

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ تقدَّم في «هود»[(٣)].

﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هو مصر، وقيل: «حيث» هنا للزمان؛ إذ لم يُذكَر مكانٌ.

---

(١) في أ، ب: «قوم لا نعرفهم».

(٢) في أ، ب: «ولو كانوا وراءه لاشتغل بخوفه عليهم».

(٣) انظر صفحة..

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بـ «إلى»؛ لأنه ضُمِّن معنى: «أوحينا».

وقيل: معناه: أعلمناه بذلك الأمر.

﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ هذا هو تفسيرٌ لـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾.

ودابر القوم: أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط.

﴿مُصْبِحِينَ﴾ في الموضعين: أي: إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ المدينة هي سَدُوم، واستبشار أهلها بالأضياف؛ طمعًا أن ينالوا منهم الفاحشة.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ كانوا قد نهوه أن يُضِيفَ أحدًا.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ دعاهم إلى تزويج بناته؛ ليقي بذلك أضيافَه.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسمٌ، والعَمْر: الحياة؛ ففي ذلك كرامةٌ للنبي ﷺ، لأن الله أقسم بحياته.

وقيل: هو من قول الملائكة للوط.

وارتفاعه: بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: لعمرك قسمي، واللام للتوطئة.

﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الضمير لقوم لوط، و﴿سَكْرَتِهِمْ﴾: ضلالهم وجهلهم، و﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتحيَّرون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل، وهي أخْذُه لهم.

﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي: داخلين في الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس.

وقد تقدَّم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في «هود»[١].

﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي: للمتفرِّسين، ومنه: فِراسة المؤمن.

وقيل: للمعْتبرين.

وحقيقة التوسُّم: النظر إلى السِّمَة.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ أي: بطريقٍ ثابت يراه الناس، والضمير: للمدينة[٢] المهلَكة.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ أصحاب الأيكة: قوم شعيب، والأيكة: الغَيْضة من الشجر، لما كفروا أضرمها الله عليهم نارًا.

﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ الضمير في ﴿وَإِنَّهُمَا﴾:

قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، فالإمام على هذا: الطريق؛ أي: إنهما بطريق واضح يراه الناس.

وقيل: الضمير للوط وشعيب؛ أي: إنهما على طريق من الشَّرع واضح.

والأول أظهر.

---

(١) انظر صفحة ٦٠٤.

(٢) في ج، هـ: «للمدائن».

[﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ
سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا
عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ
﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ
صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾].

﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ هم ثمود قوم صالح، والحجر: واديهم، وهو بين المدينة والشام.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدًا، وفي ذلك تأويلان:

أحدهما: أن من كذَّب واحدًا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع؛ لأنهم جاؤوا بأمر متفق من التوحيد.

والثاني: أنه أراد الجنس، كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلَّا فرسًا واحدًا.

﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا﴾ يعني: الناقةَ، وما كان فيها من العجائب.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ النحت: النَّقر بالمعاويل وشبهها في الحجر

والعود وشبه ذلك، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال.

﴿ءَامِنِينَ﴾ يعني: آمنين مِن تهدُّم بيوتهم لوثاقتها، وقيل: آمنين من عذاب الله.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: أنها لم تُخْلَقْ عبثًا.

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ قيل: إن الصفح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب.

وفي الآية مهادنةٌ للكفار منسوخة بالسيف.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ قيل: يعني: أم القرآن؛ لأنها سبع آيات.

وقيل: يعني السُّور السبع الطِّوال؛ وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة.

والأول أرجح؛ لوروده في الحديث(١).

و﴿ٱلْمَثَانِى﴾: مشتق من التثنية، وهو التكرير؛ لأن الفاتحة تُكرَّر قراءتها في الصلاة، ولأن غيرها من السور تُكرَّر فيها القَصص وغيرها.

وقيل: هي مشتقة من الثَّناء؛ لأن فيها ثناءً على الله.

و﴿مِّنَ﴾ تَحتمل أن تكون: للتَّبعيض، أو لبيان الجنس.

وعطَف القرآن على السبع المثاني؛ لأنه يعني ما سواها من القرآن، فهو عموم بعد الخصوص.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤).

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظرْ إلى ما متَّعناهم به في الدنيا، ومعنى الآية: تزهيدٌ في الدنيا؛ كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلى الدنيا؛ فإن الذي أعطيناك أعظمُ منها.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: أصنافًا من الكفار.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي: تواضع ولِنْ للمؤمنين، **والجَناح هنا**: استعارة.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ الكاف من ﴿كَمَا﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾؛ أي: أُنذِرُ قريشًا عذابًا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين.

وقيل: تتعلَّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾ أي: أنزلنا عليك كتابًا كما أنزلنا على المقتسمين.

واختُلف في المقتسمين:

فقيل: هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقتسموا إلى قسمين.

وقيل: هم قريش، اقتسموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، يقول أحدهم: هو شاعر، ويقول الآخر: ساحر، وغير ذلك.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ أي: أجزاءَ، وقالوا فيه أقوالًا مختلفة، وواحد ﴿عِضِينَ﴾ عِضَةٌ.

وقيل: هو من العَضْهِ، وهو السِّحر، والعاضِه: الساحر، والمعنى على هذا: قالوا إنه سحر.

والكلمة محذوفة اللام، ولامها على القول الأول: واو، وعلى الثاني: هاء.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ إن قيل: كيف يُجمَع بين هذا وبين قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩]؟

فالجواب: أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: صرِّح به وأنفِذْه.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ يعني قومًا من أهل مكة؛ أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن غَيْطَلة، وقصة هلاكهم مذكورة في السِّيَرِ.

وقيل: هم الذين قُتِلوا ببدرٍ؛ كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم.

والأول أرجح؛ لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ وتأنيسٌ.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي: الموتُ.

﴿ سورة النحل ﴾

[﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ
بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا
هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ
تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا
جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾].

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ **قيل**: يعني القيامة.

وقيل: النصر على الكفار.

وقيل: عذاب الكفار في الدنيا.

ووضع الماضي موضع المستقبل؛ لتحقُّق وقوع الأمر، ولقربه.

وروي أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائمًا فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكَن[١].

---

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٨٧) عن ابن عباس، =

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي: بالنبوة، وقيل: بالوحي.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من نطفة المنيِّ، والمراد: جنس الإنسان.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه متكلِّم يخاصم عن نفسه.

والثاني: يخاصم في ربه ودينه، وهذا في الكفار.

والأول أعمُّ.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: ما يُتدفَّأُ به، يعني: ما يُتَّخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب.

ويَحتمل أن يكون قوله: ﴿لَكُمْ﴾ متعلِّق: بما قبله، أو بما بعده، ويختلف الوقف باختلاف ذلك.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ يعني: شربَ ألبانها، والحرث بها، وغير ذلك.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يَحتمل أن يريد بالمنافع:

ما عدا الأكل؛ فيكون الأكل أمرًا زائدًا عليها.

أو يريد بالمنافع: الأكل وغيره، ثم جرَّد ذكر الأكل؛ لأنه أعظم المنافع.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الجمال: حسن المنظر،

= وفي الدر المنثور (٩/ ٥): «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ ذُعِر أصحاب الرسول حتى نزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فسكنوا».

و﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: يعني: حين تردُّونها بالعشي إلى المنازل، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: حين تردُّونها بالغداة إلى الرعي، وإنما قدَّم ﴿تُرِيحُونَ﴾ على ﴿تَسْرَحُونَ﴾؛ لأن جمال الأنعام بالعشيِّ أكثر؛ لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ يعني: الأمتعةَ وغيرها، وقيل: أجساد بني آدم.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أي: إلى أيِّ بلدٍ توجهتم، وقيل: يعني مكة.

﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ أي: بمشقة.

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ استدلَّ بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير؛ لكونه علَّل خِلْقَتها بالركوب والزينة دون الأكل.

ونَصْبُ ﴿زِينَةً﴾ على أنه مفعول من أجله، وهو معطوف على موضع ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارةٌ على العموم؛ أي: أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها.

وكلُّ مَن ذَكر في هذه الآية شيئًا مخصوصًا فهو على وجه المثال.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: على الله تقويم طريق الهدى، بنصب الأدلة وبعث الرسل.

والمراد بالسبيل هنا: الجنس، ومعنى القصد: القاصد الموصِل، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف.

﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود على السبيل؛ إذ المراد به: الجنس، ومعنى الجائر: الخارج عن الصواب؛ أي: ومن الطريق جائر، كطريق اليهود والنصارى وغيرهم.

* * *

[﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾].

﴿مَآءً لَّكُم﴾ يحتمل أن يتعلَّق ﴿لَّكُم﴾ بـ ﴿أَنزَلَ﴾.

أو يكون في موضع خبر لـ ﴿شَرَابٌ﴾.

أو صفةً لـ ﴿مَآءً﴾.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني: ما يَنبت بالمطر(١) من الشجر.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي: ترعون أنعامكم.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك.

---

(١) في أ، ب: «ما يُنبِت المطرُ».

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: أصنافه وأشكاله.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: الحوتَ.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجواهر والمرجان.

﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: مخَرت السفينةُ، والمخْر: شقُّ الماء.

وقيل: صوت جرْي الفلك بالرياح.

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني: في التجارة، وهو معطوف على ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الرواسي: الجبال، واللفظ مشتقٌّ من رسا إذا ثبت، و﴿أَن تَمِيدَ﴾ في موضع مفعول من أجله، والمعنى: أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض.

وروي أنه لما خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: لا يستقرُّ على ظهر هذه أحدٌ، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال.

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ قال ابن عطية: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: وجعل أو خلق أنهارًا، قال: وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليلٌ على أن ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ أخصُّ من «جعل» و«خلق»، ولو كانت ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ بمعنى «خلق» لم يحتجْ إلى هذا الإضمار[١].

﴿وَسُبُلًا﴾ يعني: الطرقَ.

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٣٣٨).

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ يعني: ما يستدلُّ به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك، وهو معطوف على ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾.

وقال ابن عطية: هو نصبٌ على المصدر؛ أي: لعلكم تعتبرون وعلامات أي: عبرةً وإعلامًا[١].

﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: الاهتداءَ بالليل في الطرق، والنجم هنا: جنس.

وقيل: المراد الثريا والفَرْقَدان.

فإن قيل: قوله: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مُخرَجٌ عن سَنن الخطاب، وقدَّم فيه النجم، كأنه يقول: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون، فمن المراد بـ ﴿هُمْ﴾؟

فالجواب: أنه أراد قريشًا؛ لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجم في سيرهم علْمٌ لم يكن لغيرهم، وكان الاعتبار ألزمَ لهم فخُصِّصوا. قال ذلك الزمخشري[٢].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ تقريرٌ يقتضي الردَّ على مَن عبد غير الله، وإنما عبَّر عنهم بـ «مَن»:

لأن فيهم مَن يعقل ومن لا يعقل.

أو مشاكلةً لقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٣٩).

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٩٥-٩٦).

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعًا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته، ولذلك أعقبها بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾.

وفيها أيضًا تَعدادٌ لنعمه على خلقه؛ ولذلك أعقبها بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لكم التقصير في شكر نعمه.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أضدادها، وهي أنهم مخلوقون غير خالقين، وغير أحياء، وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده فقال: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي: لم تكن لهم حياة قط ولا تكون، وذلك أَغرقُ في موتها ممن تقدَّمتْ له حياة ثم مات، ثم يَعقُب موتَه حياةٌ.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير في ﴿يَشْعُرُونَ﴾ للأصنام، وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للكفار الذين عبدوهم.

وقيل: إن الضميرين للكفار.

[﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾].

﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ أي: تنكر وحدانية الله تعالى وجل.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ.

وقيل: إن ﴿لَا﴾ نفيٌ لما تقدَّم، و﴿جَرَمَ﴾ معناه: وَجب، أو حُقَّ، و«أنَّ» فاعلةٌ بـ ﴿جَرَمَ﴾.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون، وكان النضر بن الحارث قد اتَّخذ كتب[1] تواريخ، وكان يقول: إنما يحدِّث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه.

و﴿مَاذَآ﴾ يجوز أن يكون:

اسمًا واحدًا مركبًا من «ما» و«ذا»، ويكون منصوبًا بـ ﴿أَنزَلَ﴾.

أو أن تكون «ما» استفهامية في موضع رفع بالابتداء، و«ذا» بمعنى الذي، وفي ﴿أَنزَلَ﴾ ضمير محذوف.

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة؛ أي: قالوا أساطير الأولين، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم.

---

(١) في أ، ب: «كتاب».

ويَحتمل أن تكون للأمر.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال: من المفعول في ﴿يُضِلُّونَهُم﴾، أو من الفاعل.

* * *

[﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾].

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الآيةَ؛ قيل: المراد بالذين من قبلهم: نمروذ؛ فإنه بنى صرحًا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما علا فيه فَرْسخَينِ هدمه الله وخرَّ سقفُه عليه.

وقيل: المراد بالذين من قبلهم: كلُّ من كفر من الأمم المتقدمة، ونزلت به عقوبةُ الله، فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ توبيخٌ للمشركين، وأضاف الشركاء إلى نفسه؛ أي: على زعمكم ودعواكم، وفيه تهكُّمٌ بهم.

﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونِ فِيهِمْ﴾ أي: تعادونِ من أجلهم.

فمن قرأ بكسر النون: فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله ﷻ.

ومن قرأ بفتحها: فالمفعول محذوف تقديره: تعادونَ المؤمنين من أجلهم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الأنبياء والعلماء من كل أمة.

وقيل: يعني الملائكة.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ حالٌ من الضمير المفعول في ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾.

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استسلموا للموت.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ أي: قالوا ذلك، ويَحتمل قولهم لذلك: أن يكونوا قصدوا الكذب؛ اعتصامًا به، كقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم، فلم يقصدوا الكذب ولكنه كذبٌ في نفس الأمر.

﴿بَلَىٰٓ﴾ مِن قول الملائكة للكفار؛ أي: قد كنتم تعملون السوء.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾ لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين؛ قابل ذلك بمقالة المؤمنين.

فإن قيل: لم نصب جواب المؤمنين، وهو قولهم: ﴿خَيْرًا﴾، ورفع جواب الكافرين وهو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؟

فالجواب: أن قولهم ﴿خَيْرًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: أنزل خيرًا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر تقديره: هو أساطير الأولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله؛ فلا وجه لنصبه، ولو كان منصوبًا لكان الكلام متناقضًا؛ لأن قولهم: أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله؛ لأن تقديره: أنزل.

فإن قيل: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره: هو أساطير الأولين؛ فإنه غير مطابق للسؤال الذي هو: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾؟

فالجواب: أنهم عدَلُوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، ولم ينزله الله.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالابتداء، و﴿لِلَّذِينَ﴾ خبره.

والجملة بدلٌ من ﴿خَيْرًا﴾، وتفسيرٌ للخير الذي قالوه.

وقيل: هي استئنافُ كلامِ الله تعالى، لا من كلام الذين قالوا خيرًا.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ **يَحتمل** أن يكون هو اسم الممدوح بـ ﴿نِعْمَ﴾، فيكون: مبتدأ وخبره فيما قبله.

أو خبر ابتداء مضمر.

ويَحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، أو مضمر تقديره: لهم جنات عدن.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير للكفار.

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: لقبض أرواحهم.

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ يعني: قيام الساعة، أو العذاب في الدنيا.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ أي: أصابهم جزاء سيئات ما عملوا.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذين كانوا به يستهزؤون، وهذا تفسيره حيث وقع.



[﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم؛ أي: إنَّ فِعْلَنا هو بمشيئة الله فهو صواب، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه.

والرَّدُّ عليهم: بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضاه على من يشاء من عباده.

ويَحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني؛ فإن «لو» تكون للتمني، والمعنى على هذا: أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره، ولم يحرِّموا ما أحلَّ الله من البَحيرة وغيرها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُهْدَى مَن يُضِلُّ﴾ قرئ بضم الياء مِن ﴿يُهْدَى﴾ وفتح الدال على البناء للمفعول؛ أي: لا يَهدي غيرُ الله مَن يضله الله.

وقرئ ﴿يَهْدِى﴾ بفتح الياء وكسر الدال، والمعنى على هذا: لا يهدي الله من قضى بإضلاله.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ الضمير عائد على ﴿مَن يُضِلُّ﴾؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت؛ أي: أنه يبعث.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ اللام تتعلَّق بما دل عليه ﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: يبعثهم ليبين لهم، وهذا برهان على البعث؛ فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم، فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ الآيةَ؛ برهانٌ أيضًا على البعث؛ لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى.

* * *

[﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ
مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾
أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا
لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ يعني: الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة؛ لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعد هذا.

وقيل: نزلت في أبي جندل بن سهيل وخبره مذكور في السِّيَرِ في قصة الحديبية، وهذا بعيد؛ لأن السورة نزلت قبل ذلك.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وعدٌ أن ينزلهم بقعةً حسنة، وهي المدينة التي استقرُّوا بها.

وقيل: إن ﴿حَسَنَةً﴾ صفة لمصدر؛ أي: نبوئنهم تبوئةً حسنة.

وقرئ «لَنُثْوِيَنَّهُمْ» بالثاء؛ من الثَّواءِ.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ وصفٌ للذين هاجروا، ويَحتمل إعرابه أن يكون: نعتًا.

أو على تقدير: هم الذين، أو أمدح الذين.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ ردٌّ على من استبعد أن يكون الرسول من البشر.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني: أحبار اليهود والنصارى؛ أي: لأن جميعهم يشهدون أن الرسول[1] من البشر.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ يتعلَّق:

بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام.

أو بـ «أرسلنا» مضمرًا.

أو بـ ﴿يُوحَىٓ﴾.

أو بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يَحتمل أن يريد:

لتبين القرآن بسَرْدِك نصَّه وتعليمه للناس.

أو لتبين معانيَه؛ بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بينته السنة من الشريعة.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني: كفار قريش عند جمهور المفسرين.

و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ تَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد بها الأعمالَ السيئات؛ أي: المعاصيَ، فيكون ﴿مَكَرُواْ﴾ يتضمن معنى: عملوا.

---

(١) في ج، هـ: «الرسل».

والآخر: أن يريد: المكَرات السيئاتِ؛ أي: مَكْرَهم بالنبي ﷺ؛ فيكون المكر على بابه.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ يعني: في أسفارهم.

﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بمُفْلِتين، حيث وقع.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: على تنقُّصٍ؛ أي: ينتقَّصُ أموالهم وأنفسهم شيئًا بعد شيء حتى يَهلِكوا، من غير أن يُهْلِكهم جملةً واحدة؛ ولهذا أشار بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخفُّ من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوُّف في الآية، حتى قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا[1].

والوجه الثاني: أنه من الخوف؛ أي: يهلك قومًا قبلهم، فيتخوَّفوا هم ذلك، فيأخذهم بعد أن توقَّعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ معنى الآية: اعتبارٌ بانتقال الظل، ويعني بقوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الأجرامَ التي لها ظِلالٌ؛ من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك؛ وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلُّها إلى جهةٍ، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة

---

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكر الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٩) عن سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٣٦).

(٢) لعلّ مراده الآية السابقة: (من حيث لا يشعرون)!.

أخرى، ثم يمتدُّ الظل ويعمُّ بالليل إلى طلوع الشمس.

وقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾ مِن الفيء؛ وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غُدْوةً، وقال رؤبة بن العجَّاج: يقال بعد الزوال: ظل وفيء، ولا يقال قبله إلَّا: ظل، ففي لفظ: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾ هنا تجوُّزٌ مَّا؛ لوقوع الخصوص في موضع العموم؛ لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع ﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾ موضع ينتقل أو يميل(١).

والضمير في ﴿ظِلَـٰلُهُۥ﴾ يعود على: ﴿مَا﴾، أو على ﴿شَىْءٍ﴾.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ يعني: عن الجانبين؛ أي: يرجع الظل من جانب إلى جانب، و﴿ٱلْيَمِينِ﴾ بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام؛ فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة للإنسان.

﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حالٌ من الظِّلال.

وقال الزمخشري: حال من الضمير في ﴿ظِلَـٰلُهُۥ﴾، إذ هو بمعنى الجمع؛ لأنه يعود على قوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾(٢).

فعلى الأول: يكون السجود من صفة الظِّلال.

وعلى الثاني: يكون من صفة الأجرام.

---

(١) في أ، ب، جـ هـ: «تنتقل أو تميل».

(٢) إعراب الزمخشري إنما هو لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾، وليس لقوله: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾، حيث قال في الكشاف (٩/ ١٢٨): «﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾: حالٌ من الظِّلال، ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾: حال من الضمير في ﴿ظِلَـٰلُهُۥ﴾»، قال الطِّيبي في حاشيته على الكشاف: «فالمعنى: ظلالهم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتَّفق الباطن مع الظاهر».

واختُلِف في معنى هذا السجود:

فقيل: عبَّر به عن الخضوع والانقياد.

وقيل: هو سجود حقيقة.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: صاغرون، وجمع بالواو؛ لأن الدُّخُور من أوصاف العقلاء.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ يَحتمل أن يكون ﴿مِن دَابَّةٍ﴾:

بيانًا لما في السموات وما في الأرض معًا؛ لأن كل حيوان يصحُّ أن يوصف بأنه يَدِبُّ.

ويَحتمل أن يكون بيانًا لما في الأرض خاصة.

وإنما قال: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ ليعم العقلاء وغيرهم، ولو قال: «من في السموات» لم يدخل في ذلك غير العقلاء. قاله الزمخشري[1].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إن كان قوله: ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ بيانًا لما في السموات والأرض: فقد دخل الملائكة في ذلك، وكرَّر ذكرهم؛ تخصيصًا لهم بالذكر وتشريفًا.

وإن كان ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ لما في الأرض خاصةً: فلم تدخل الملائكة في ذلك، فعطفهم على ما قبلهم.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ١٣١).

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ هذا إخبارٌ عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار.

ويَحتمل أن يريد:

فوقيةَ القدرة والعظمة.

أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها.

وقيل: معناه يخافون أن يُرسِل عليهم عذابًا من فوقهم(١).

* * *

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قول ابن جزي: «هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار» إلخ، أقول: بيان نفي الاستكبار، يريد أن قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ تفسير لقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ثم تردد - رحمه الله وعفا عنا وعنه - في توجيه قوله تعالى: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ بين التفويض والتأويل، فقال: «ويحتمل أن يريد: فوقية القدرة والعظمة»، وهذا تأويل، وقال: «أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها»، وهذا تفويضٌ، قال: «وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم»، وهذا تأويل؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره، وهو في الحقيقة تحريف؛ لأنه لا دليل يوجبه، ولجوء المؤلف في توجيه الآية إلى التفويض والتأويل، راجع إلى نفي الفوقية الحقيقية لله تعالى بذاته فوق جميع المخلوقات، وهو مذهب الأشاعرة، وعلى هذا فالمؤلف يذهب مذهبهم، ومذهب أهل السنة أن الله بذاته فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه.

[﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ
ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ
يُشۡرِكُونَ ٥٤ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ
نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ
وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ
مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩
لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠ ﴾].

﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ وصفُ ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ بـ ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ تأكيدًا وبيانًا للمعنى.

وقيل: إن ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ مفعول أول و﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ مفعول ثاني، فلا يكون في الكلام تأكيد.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم؛ لأن الغائب هو المتكلم، و﴿فَإِيَّٰيَ﴾ مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه ﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾؛ لأنه قد أخذ معموله.

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ أي: واجبًا وثابتًا، وقيل: دائمًا.

وانتصابه: على الحال من ﴿ٱلدِّينُ﴾.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ يَحتمل أن تكون الواو: للاستئناف.

أو للحال؛ فيكون الكلام متصلًا بما قبله؛ أي: كيف تتقون غير الله، وما بكم من نعمة فمنه وحده؟.

﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرُّع.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللام: لام الأمر على وجه التهديد؛ لقوله بعدها: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فعلى هذا يبتدئ بها.

وقيل: هي لام العاقبة؛ فعلى هذا توصل بما قبلها؛ لأنها في الأصل لام كي، وذلك بعيد في المعنى.

والكفر هنا يَحتمل أن يريد به:

كفر النعم؛ لقوله: ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾.

أو كفر الجحود والشرك؛ لقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ يريد التمتع في الدنيا، وذلك أمرٌ على وجه التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لكفار العرب؛ فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبًا من ذبائحهم وغيرها.

والمراد بقوله: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأصنامُ، والضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للكفار؛ أي: لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة.

وقيل: الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للأصنام؛ أي: لأشياءَ غيرِ عالمةٍ، وهذا بعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ إشارةٌ إلى قول الكفار: إن الملائكة بنات الله، ثم

نزَّه تعالى نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى: أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون؛ يعني بذلك: الذكور من الأولاد.

وأما الإعراب: فيجوز أن يكون ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾:

مبتدأ، وخبره المجرور قبله.

وأن يكون مفعولًا بفعل مضمر تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون.

وأن يكون معطوفًا على ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾؛ على أن هذا يمنعه البصريون؛ لأنه من باب: «ضربتُنِي»، وكان يَلزم عندهم أن يقال: لأنفسهم.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ إخبارٌ عن حال العرب في كراهتهم البنات.

و﴿ظَلَّ﴾ هنا يَحتمل أن تكون: على بابها، أو بمعنى صار.

والسَّوَاد: عبارةٌ عن العبوس والغم، وقد يكون معه سوادٌ حقيقةً.

و﴿كَظِيمٌ﴾ قد ذُكِر في «يوسف»[1].

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: يستخفي من أجل سوء ما بشّر به.

﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ المعنى: يدبِّر وينظر هل يمسك الأنثى التي بُشِّر بها على هوان وذُلّ لها، أو يدفنها في التراب حيةً، وهي المؤودة، وهذا معنى: ﴿يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾.

---

(١) انظر صفحة ٦٥٥.

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: صفة السَّوء؛ من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفات الافتقار والنقص.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى؛ من الغنى عن كل شيء، والنزاهة عن صفات المخلوقين.

[﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾].

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾ يعني: لو يعاقبهم في الدنيا.

﴿بِظُلْمِهِم﴾ أي: بكفرهم ومعاصيهم.

﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض.

﴿مِن دَابَّةٍ﴾ يعمُّ[(١)] بني آدم وغيرَهم، وهذا يقتضي أن تَهلِكَ الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر.

وقيل: يعني بني آدم خاصة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني: البناتِ.

﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بدلٌ من ﴿الْكَذِبَ﴾.

و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ هنا: قيل: هي الجنة، وقيل: ذكور الأولاد.

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ﴾ بكسر الراء والتخفيف: من الإفراط؛ أي: متجاوزون الحدَّ في المعاصي.

---

(١) في ج، د: «يعني».

وبفتح الراء والتخفيف: من الفَرْط أي معجَّلون إلى النار.

وبكسر الراء والتشديد: من التَّفريط.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ يَحتمل أن يريد بـ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: وقت نزول الآية، أو يوم القيامة.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع ﴿لِتُبَيِّنَ﴾، وانتصبا على أنهما مفعولٌ من أجلهما؛ أي: لأجل البيان والهدى والرحمة.



[﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾].

﴿نَسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها: لغتان، يقال: سقَى وأسقَى.

﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ الضمير للأنعام، وإنما ذُكِّرَ:

لأنه مفرد بمعنى الجمع، كقولهم: ثوبٌ أخلاقٌ(١).

أو لأنه اسم جنس.

وإذا أنِّث فهو جمع نَعَم.

﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفرث: هو ما في الكَرِش من القَذَر، والمعنى: أن الله يخلق اللبن متوسِّطًا بين الفرث والدم يكتنفانه، ومع ذلك فلا يغيِّران له لونًا ولا طعمًا ولا رائحةً.

و«مِن» في قوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ للتبعيض، وفي قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ لابتداء الغاية.

---

(١) أخلاقٌ جمع خَلَقٍ أي: بالٍ، ضدّ الجديد، كذا في اللسان (١١/ ٣٧٦) ثم قال: «وقد يُقال: ثوبٌ أخلاقٌ يصفون به الواحد إذا كانت الخُلُوقة فيه كلّه».

﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ يعني: سهلًا للشرب، حتى قيل: لم يَغَصَّ أحدٌ قطّ باللبن.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوفٍ تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب؛ أي: من عصيرها، ويدلُّ عليه ﴿نُّسْقِيكُم﴾ الأول.

أو يكون ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ﴾ معطوفًا على ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾.

أو يتعلَّق ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ﴾ بـ ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، وكرَّر ﴿مِنْهُ﴾ توكيدًا.

أو يكون ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ صفة لمحذوف تقديره: شيءٌ تتخذون.

﴿سَكَرًا﴾ يعني: الخمر، ونزل ذلك قبل تحريمها، فهي منسوخة بالتحريم.

وقيل: إن هذا على وجه المنَّة بالمنفعة التي في الخمر، ولا تعرُّض فيها لتحليل ولا تحريم، فلا نسخ.

وقيل: السَّكَر: المائع من هاتين الشجرتين كالخَلِّ والرُّبِّ.

والرزق الحسن: العنب والتمر والزبيب.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ الوحي هنا: بمعنى الإلهام؛ فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحي منام، ووحي إلهام.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿أَنِ﴾ مفسِّرة للوحي الذي أُوحِي إلى النحل، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع؛ إما في

الجبال وكِوَاها[١]، وإما في متجوَّف الأشجار، وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجباح[٢] والحيطان ونحوها.

و«مِن» في المواضع الثلاثة للتبعيض؛ لأن النحل إنما تتخذ بيوتًا في بعض الجبال، وبعض الشجر، وبعض الأماكن.

وعرَشَ: معناه: هيَّأ أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ عطف ﴿كُلِي﴾ على ﴿ٱتَّخِذِى﴾، و«من» للتبعض؛ وذلك إنها إنما تأكل النُّوَّارَ[٣] من الأشجار.

وقيل: المعنى: من كل الثمرات التي تشتهيها.

﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني: الطرق في الطيران[٤]، وأضافها إلى الرب؛ لأنها مُلكه وخَلْقه.

﴿ذُلُلًا﴾ أي: مطيعةً منقادة، ويَحتمل أن يكون:

حالًا من السبل، قال مجاهد: لم يتوعَّرْ قطُّ على النحل طريق.

أو حالًا من النحل؛ أي: منقادةً لما أمرها الله به.

---

(١) في اللسان (٢٠/ ١٠١): «والكَوُّ والكَوَّةُ: الخَرْق في الحائط والثَّقب في البيت ونحوه. . وجمع الكَوَّة كِوًى بالقصر نادرٌ وكِواءٌ بالمد، والكاف مكسورة فيهما».

(٢) الأجباح جمع جبْح - مثلث الجيم -، وهو خليلة العسل. القاموس المحيط.

(٣) النوار على وزن رُمَّان: الزهر من الأشجار. القاموس المحيط.

(٤) في أ: «الغيران».

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسلَ.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أي: منه أبيض وأصفر وأحمر.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملةٌ من العسل، كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر يتداوى به من كل شيء؛ فكأنه أخذه على العموم، وعلى ذلك الحديث عن النبي ﷺ أن رجلًا جاء إليه، فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «**اسقه عسلًا**»، فذهب ثم رجع فقال: فقد سقيته فما نفع، قال: «**فاذهب فاسقه عسلًا؛ فقد صدق الله وكذب بطن أخيك**»، فسقاه فشفاه الله ﷻ[1].

﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: إلى أخسِّه وأحقره، وهو الهرَم.

وقيل: حدُّه خمسة وسبعون عامًا، وقيل: ثمانون، والصحيح: أنه لا ينحصر إلى مدة معينة، وأنه يختلف بحسَب الناس.

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ اللام لام الصيرورة؛ أي: يصير إذا هَرِم لا يعلم شيئًا بعد أن كان يعلم قبل الهرَم، وليس المراد نفي العلم بالكلية، بل ذلك عبارة عن قلة العلم؛ لغلبة النسيان.

وقيل: المعنى لئلا يعلم زيادةً على علمه شيئًا.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

[﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾].

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ الآية؛ في معناها قولان:

أحدهما: أنها احتجاجٌ على الوحدانية؛ كأنه يقول: أنتم لا تسوُّون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق، ولا تجعلونهم شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟!.

والآخر: أنها عتابٌ وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه؛ حتى يردَّ ما رزقه الله عليه، كما جاء في الحديث: «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون»[١].

والأول أرجح.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الجحد هنا:

على المعنى الأول: إشارةٌ إلى الإشراك بالله، وعبادة غيره.

وعلى المعنى الثاني: إشارةٌ إلى بخس[(١)] المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يعني: الزوجات.

و﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يَحتمل:

أن يريد: من نوعكم وعلى خِلْقتكم.

أو يريد: أن حواء خلقت من آدم، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريتهما.

﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافدٍ، ابن عباس: هم أولاد البنين، وقيل: الأصهار، وقيل: الخدم، وقيل: البنات؛ لأن لفظ البنين المذكَّر لا يدل عليهن.

والحَفْد[(٢)] في اللغة: الخِدْمة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ توبيخٌ للكفار، وردٌّ عليهم في عبادتهم للأصنام، وهي لا تملك لهم رزقًا.

وانتصب ﴿رِزْقًا﴾؛ لأنه[(٣)] مفعول بـ﴿يَمْلِكُ﴾، ويَحتمل أن يكون: مصدرًا، أو اسمًا لما يُرزَق.

---

(١) في ج، د: «جنس».

(٢) في أ، ب، د: «والحفدة».

(٣) في ب، د: «على أنه».

فإن كان مصدرًا: فإعراب ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به؛ لأن المصدر ينصب المفعول.

وإن كان اسمًا: فإعراب ﴿شَيْئًا﴾ بدل منه.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على ﴿مَا﴾؛ لأن المراد به الآلهة.

ونفَى الاستطاعة بعد نفي الملك؛ لأن نفيها أبلغ في الذم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ الآيةَ؛ مثلٌ لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، وبيده الرزق، ويتصرَّف فيه كيف يشاء، فكيف يسوَّى بينه وبين الأصنام؟!.

وإنما قال: ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؛ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالمُكاتَب والمأذون له.

﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ﴾ «مَن» هنا نكرة موصوفة، والمراد بها: من هو حرٌّ قادر؛ كأنه قال: حرًّا رزقناه؛ ليطابق ﴿عَبْدًا﴾.

ويَحتمل أن تكون موصولة.

﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: هل يستوي العبيد والأحرار الذي ضرب بهم المثل؟!.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرٌ لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: الكفار.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ الآيةَ؛ مثلٌ لله تعالى وللأصنام، كالذي قبله، والمقصود منهما: إبطال مذاهب المشركين،

وإثبات الوحدانية لله تعالى.

وقيل: إن الرجل الأبكم: أبو جهل، والذي يأمر بالعدل: عمار بن ياسر.

والأظهر: عدم التعيين.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ الكَلُّ: الثقيل؛ يعني: أنه عِيالٌ على وليه أو سيده، وهو مثالٌ للأصنام، والذي يأمر بالعدل: هو الله تعالى.

* * *

[﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾].

﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيانٌ لقدرة الله على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه؛ كقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقيل: المراد سرعة إتيانها.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ الأمهات: جمع أمّ، زيدت فيه الهاء؛ فرقًا بين من يعقل ومن لا يعقل.

وقرئ: بضم الهمزة، وبكسرها؛ إتْباعًا للكسرة قبلها.

﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في الهواء البعيد من الأرض.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ السَّكَن: مصدر يوصف به.

وقيل: هو فَعَلٌ بمعنى مفعول.

ومعناه: ما يسكن فيه كالبيوت، أو يسكن إليه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ يعني: بيوتَ[1] الأَدَم من القِباب وغيرها.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفةً.

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني: في السفر والحضر، واليوم هنا بمعنى الوقت، ويقال: ظعَن الرجل: إذا رحلَ.

وقرئ ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين، وإسكانها؛ تخفيفًا.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ الأصواف: للغنم، والأوبار: للإبل والأشعار: للمَعْز والبقر.

﴿أَثَٰثًا﴾ الأثاث: متاع البيت من البُسط وغيرها.

وانتصابه: على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: جعل.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت غير معين.

ويَحتمل أن يريد: إلى أن تَبلى وتفنى، أو إلى أن تموتوا.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ نعمةٌ عدَّدها الله عليهم بالظل؛ لأن الظل في بلادهم مطلوب محبوب؛ لشدَّة حرها، ويعني بما خلق: من الشجر وغيرها.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ الأكنان: جمع كِنٍّ، وهو ما يقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك الغِيران والبيوت المنحوتة في الجبال.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، د.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ السَّرابيل: هي الثياب من القمص وغيرها.

وذكر وقاية الحر ولم يذكر البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم؛ لحرارة بلادهم.

وقيل: لأن ذِكْر أحدهما يغني عن ذكر الآخر.

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني: دروع[1] الحديد.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى ما ذَكر من النعم من أول السورة إلى هنا.

والضمير في ﴿يَعْرِفُونَ﴾ للكفار، وإنكارهم لنعم الله: إشراكهم به وعبادة غيره.

وقيل: ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ هنا: نبوة محمد ﷺ.

* * *

(١) في أ، ب، هـ: «درع».

[﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: يشهد عليهم بإيمانهم أو كفرهم.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يسترضون، وهو من العتبى بمعنى الرضا.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون:

بمعنى التأخير.

أو بمعنى النظر؛ أي لا ينظر الله إليهم.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الضمير في ﴿فَأَلْقَوْا﴾ للمعبودِين، والمعنى: أنهم كذَّبوهم في قولهم إنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

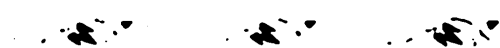
فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟.

فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم؛ فكأن عبادتهم لم تكن عبادة.

ويَحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله، لا في العبادة.

﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استسلموا له[1] وانقادوا.

﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ رُوي أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم.



(١) في أ، ب، هـ: «إلى الله».

[﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ
وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ
أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً
طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ يعني بالعدل: فِعْلَ الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين.

قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى(١).

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الإيتاء: مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٧).

في العدل والإحسان، ولكنه جرَّده بالذِّكر؛ اهتمامًا به.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ **قيل**: يعني الزنا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي.

﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ يعني: الظلم.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خيرٌ، وأما ما كان تركه أولى فلْيكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه، كما جاء في الحديث[1].

أو تكون الأيمان هنا: ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدةً لغيره.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: رقيبًا ومتكفِّلًا بوفائكم بالعهد.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ.

وقيل: فيما كان بين العرب من حِلْفٍ في الجاهلية.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ شبَّه الله من يحلف ولا يفِي بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلًا قويًّا ثم تنقضه.

ويروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى رَيْطَةَ بنت سعد، كانت تفعل ذلك، وبها وقع التشبيه.

وقيل: إنما شبه بامرأة غير معينة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

﴿أَنكَٰثًا﴾ جمع نِكْثٍ، وهو ما يُنكَث؛ أي: ينقض، وانتصابه على الحال.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدَّخَل: الدَّغَل، وهو قصْدُ الخديعة.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ ﴿أَن﴾ في موضع المفعول من أجله؛ أي: بسبب أن تكون أمة.

ومعنى ﴿أَرْبَىٰ﴾: أكثر عددًا، أو أقوى.

ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلةٌ أقوى منها غدرت الأولى وحالفت الثانية.

وقيل: الإشارة بالأربى هنا[(١)]: إلى كفَّار قريش؛ إذ كانوا حينئذٍ أكثر من المسلمين.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ الضمير:

للأمر بالوفاء.

أو لكون أمة أربى من أمة؛ فإن بذلك يَظهر من يحافظ على الوفاء أو لا.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارةٌ في الرجوع عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد القدَم ونكَّرها؛ لاستعظام الزَّلَل في قدم واحدة، فكيف في أقدام كثيرة؟!.

﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني: في الدنيا.

﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدلُّ على أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الثمن القليل: عرَض الدنيا، وهذا نهيٌ لمن بايع النبي ﷺ أن يَنكُث لأجل ضعف الإسلام حينئذٍ وقوة الكفَّار، ورجائه الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي: يفنى.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا؛ فقال ابن عباس: هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة.

وقيل: هي حياة الآخرة.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ظاهر اللفظ: أن يستعاذ بعد القراءة؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذَّ قومٌ فأخذوا بذلك.

وجمهور الأمة: على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، أو إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ بالله.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر على إضلالهم.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ أي: يتخذونه وليًا.

﴿بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس، والباء سببية.

[﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ
لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ
إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ
ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ التبديل هنا: النسخ، كان الكفار إذا نُسِخت آية، يقولون: هذا افتراء، ولو كان من عند الله لم يبدل.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه، وفيها ردٌّ على الكفار؛ أي: الله أعلم بما يَصلح للعباد في وقت، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ يعني: جبريل.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره.

ويَحتمل أن يكون قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾: بمعنى حقًّا، أو بمعنى أنه واجب النزول.

﴿أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش، وقيل: كانا غلامين اسم أحدهما جَبْر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلِّمان محمدًا.

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ﴾ اللسان هنا: بمعنى اللغة والكلام.

و﴿يُلۡحِدُونَ﴾ مِن ألحد: إذا مال، وقرئ بفتح الياء، مِن لَحَدَ، وهما بمعنى.

وهذا ردٌّ عليهم بأن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجميُّ اللسان؛ وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة فلا يمكن أن يأتي به أعجمي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ هذا في حقِّ من علم الله منه أنه لا يؤمن، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾ [يونس: ٩٦]، فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة: ٦] الآيةَ.

وقال ابن عطية: المعنى: إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله، ولكنه قدَّم في هذا الترتيب وأخَّر؛ تهمُّمًا بتقبيح أفعالهم[1].

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿إِنَّمَآ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤١٠).

أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾؛ يعني: إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله؛ أي: هم الذين عادتهم الكذب؛ لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي.

ويَحتمل أن يكون الكذبُ المنسوب إليهم قولَهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ «مَن» شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك «مَن» في قوله: ﴿مَّن شَرَحَ﴾؛ لأنه تخصيص من الأول.

وقوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾:

جواب على الأولى والثانية؛ لأنهما بمعنى واحد.

أو يكون جوابًا للثانية، وجوابُ الأولى محذوف يدلُّ عليه جواب الثانية.

وقيل: ﴿مَن كَفَرَ﴾ بدل:

من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أو من المبتدإ في قوله: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾.

أو من الخبر.

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ وذلك أن قومًا ارتدوا عن الإسلام، فنزلت فيهم الآية، وكان فيهم مَن أُكرِه على الكفر فنطق بكلمة الكفر وهو يعتقد الإيمان؛ منهم: عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال؛ فعذَرهم الله، روي: أن عمار بن ياسر شكا إلى رسول الله ﷺ ما صُنِع به من العذاب وما سامح به من القول، فقال له رسول الله ﷺ: «كيف تجد قلبك؟»

قال: أجده مطمئنًا بالإيمان، قال: «فأجبهم بلسانك؛ فإنه لا يضرك»[١].

وهذا الحكم فيمن أُكره بالنطق على الكفر.

وأما الإكراه على فعلٍ هو كفر، كالسجود للصنم؛ فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟.

فأجازه الجمهور.

ومنعه قوم.

وكذلك قال مالك: لا يلزم المكرَه يمينٌ، ولا طلاق، ولا عِتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويَلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز له الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الإشارةُ إلى العذاب، والباء للتعليل، فعلَّل عذابهم بعلتين:

إحداهما: إيثارهم الحياة الدنيا.

والأخرى: أن الله لا يهديهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ قراءة الجمهور ﴿فُتِنُوا۟﴾ بضم الفاء؛ أي: عُذِّبوا، فالآية -على هذا- في عمارٍ وشبهه من المعذَّبين على الإسلام.

وقرأ ابن عامر بفتح الفاء؛ أي: عَذَّبوا المسلمين؛ فالآية على هذا فيمن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٧٤).

عذَّب المسلمين، ثم هاجر وجاهد، كالحضرمي[١] وأشباهه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ كرَّر ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ تأكيدًا، والضمير في ﴿بَعۡدِهَا﴾ يعود على الأفعال المذكورة؛ وهي: الهجرة، والجهاد، والصبر.

* * *

(١) هو عامر بن الحضرمي، وكان يعذِّب غلامه جبرًا ويكرهه على الكفر، وهو الغلام الأعجمي النصراني الذي كانوا يزعمون أنه يعلم محمدًا ﷺ، ثم أسلم الحضرمي. انظر: الكشاف (٩/ ٢٠٦)، والإصابة (٥/ ٤٩٧).

[﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ
أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا
قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾].

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يحتمل أن يتعلَّق:

بـ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

أو بمحذوف تقديره: اذكر، وهذا أظهر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ النفس هنا: بمعنى الجملة؛ كقولك: إنسان.

والنفس في قوله ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ بمعنى الذات المعينة التي نَقِيضُها الغَيْرُ؛ أي: تجادل عن ذاتها لا عن غيرها، كقولك: جاء زيدٌ نفسُه وعينه.

﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي: تحتجُ وتعتذر.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]؟

فالجواب: أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآيةَ؛ قيل: إن القرية المذكورة مكة، كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ يعني: بنبوة محمد ﷺ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ إليهم.

وقيل: إنما قصد قريةً غير معينة أصابها ذلك، فضرب الله بها مثلًا لمكة[1]، وهذا أظهر؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم.

والضمائر في قوله: ﴿فَكَفَرَتْ﴾ و﴿فَأَذَٰقَهَا﴾ يراد بها أهل القرية؛ بدليل قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ الإذاقة واللِّباس هنا مستعاران.

أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة.

وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف؛ لاشتمالهما على اللابس، ومباشرتهما له كمباشرة الثوب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ إن كان المراد بالقرية مكة: فالرسول هنا: محمد ﷺ، والعذاب الذي أخذهم: القحط وغيره.

وإن كانت القرية غير معينة: فالرسول: من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، والعذاب: ما أصابهم من الهلاك.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

﴿فَكُلُوا۟﴾ وما بعده مذكور في «البقرة»[١].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾ هذه الآية مخاطِبةٌ للعرب الذين أحلُّوا أشياء وحرموا أشياء كالبَحيرة وغيرها مما ذكر في سورة «المائدة» و«الأنعام»، ثم يدخل فيها كل من قال: هذا حلال أو حرام بغير علم.

وانتصب ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ بـ ﴿لَا تَقُولُوا۟﴾، ويكون قوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾ بدلًا من ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾، و«ما» في قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ موصولة.

ويجوز أن ينتصب ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ بقوله: ﴿تَصِفُ﴾، وتكون «ما» على هذا مصدرية، ويكون قوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾ معمول[٢] ﴿لَا تَقُولُوا۟﴾.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ يعني: عيشهم في الدنيا، وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ يعني قوله في «الأنعام»: ﴿حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود؛ ليُعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراءٌ على الله، كما فعلت العرب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ هذه الآية تأنيسٌ لجميع الناس وفتح باب التوبة[٣].

---

(١) انظر: ١/ ٣٩٤.

(٢) في هـ: «مفعول».

(٣) في ج: «للتوبة».

[﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾].

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحدَه أمةً من الأمم؛ لكماله وجمعه لصفات الخير، كقول الشاعر:

وليس لله[1] بمستنكرٍ ... أن يجمع العالم في واحدِ[2]

والآخر: أن يكون أمة بمعنى إمام، كقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، قال ابن مسعود: والأمة معلِّمُ الناسِ الخيرَ.

وقد ذُكِر معنى القانت[3] والحنيف[4].

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «وليس على الله»، والمبثت موافق لما في الديوان.

(٢) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ، كما في ديوانه (ص: ٢١٨)

(٣) انظر: المقدمة في اللغات مادة (٤٦٠).

(٤) انظر: المقدمة في اللغات مادة (١٣١).

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني: لسان الصّدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه.

وقيل: يعني المال والأولاد.

﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنة.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشرك؛ لقصد الردّ على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أمر موسى بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصًا للعبادة، فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم: بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه: هو ما ذُكِر، والسبت على هذا: هو اليوم.

وقيل: اختلافهم فيه: هو أنَّ منهم من حرَّم الصيد فيه، ومنهم من أحلَّه، فعاقبهم الله بالمسخ قردةً، فالمعنى: إنما جُعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا: مصدرٌ مِن سبَت: إذا عظَّم يوم السبت. قاله الزمخشري(١).

وتقتضي الآية: أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ المراد بالسبيل هنا: الإسلام.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٢٢٣).

والحكمة: هي الكلام الذي يظهر صوابه.

والموعظة: هي الترغيب والترهيب.

والجدال: هو الردُّ على المخالف.

وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخَطابة والجدَل(١).

وهذا الآية تقتضي مهادنةً نُسِخت بالسيف.

وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطُّف والرفقِ غيرُ منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار.

وأما العصاة فهي في حقِّهم مُحْكَمة إلى يوم القيامة باتفاق.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ المعنى: إن صُنِع بكم صنيع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبةً لمشاكلة اللفظ.

ويَحتمل أن يكون ﴿عَاقَبْتُمْ﴾، بمعنى: أصبتم عُقْبى؛ كقوله في «الممتحنة»: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة: ١١]، بمعنى: غَنِمتم، فيكون في الكلام تجنيسٌ.

وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب، لما بقَر المشركون بطنه يوم أحد قال النبي ﷺ: «والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن

---

(١) في أ، ب: «والجدال».

بسبعين منهم»، فنزلت الآية، فكفَّر النبي ﷺ عن يمينه، وترك ما أراد من المُثْلة[١].

ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية.

ويَحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكيةً كسائر السورة.

واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتَمن الظالمُ المظلوم على مال، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟.

فأجاز ذلك قوم؛ لظاهر الآية.

ومنعه مالك؛ لقوله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»[٢].

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ هذا ندبٌ إلى الصبر وترك عقوبة مَن أساء إليك؛ فإن العقوبة مباحة، وتركها أفضل، والضمير راجع إلى الصبر.

ويَحتمل أن يراد بالصابرين هنا:

العموم.

أو يراد به المخاطبون؛ كأنه قال: خير لكم.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا عزمٌ على النبي ﷺ في خاصَّته

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤).

على الصبر، ويروى أنه قال لأصحابه: «**أما أنا فأَصبرُ كما أُمِرت، فماذا تصنعون؟**» قالوا: نصبر كما نُدِبْنا[(١)]. ثم أخبره أنه لا يصبر إلَّا بمعونة الله.

وقد قيل: إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فُعِل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسَّفْ لكفرهم.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يضقْ[(٢)] صدرك بمكرهم، والضَّيْق - بفتح الضاد - تخفيف من ضَيِّق، كميِّت وميْت.

وقرئ بالكسر، وهو مصدر.

ويجوز أن يكون الضَّيْق والضِّيق مصدرين.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره.

﴿وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا: يَحتمل أن يراد به: فعل الحسنات.

أو المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»[(٣)] وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبه فوق التقوى.

* * *

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٨).
(٢) في أ، ب، ج، هـ: «لا يضيقُ»
(٣) تقدم تخريجه ١/ ١٥٥.

﴿ سورة الإسراء ﴾

[﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا
ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ
نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى
ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى
بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ
عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾].

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ معنى ﴿سُبْحَٰنَ﴾ تنزيهٌ، وهو مصدر غير متصرِّف.

وأسرى وسرى: لغتان، وهو فعل غير متعدٍّ.

واختار ابن عطية أن يكون ﴿أَسْرَىٰ﴾ هنا متعديًا؛ أي: أسرى الملائكةَ بعبده[1]، وهذا بعيد.

والعبد هنا: هو نبينا محمد ﷺ، وإنما وصفه بالعبودية؛ تشريفًا له وتقريبًا.

﴿لَيْلًا﴾ **إن قيل**: ما فائدة قوله: ﴿لَيْلًا﴾ مع أن السُّرَى هو السير بالليل؟.

فالجواب: أنه أراد بقوله: ﴿لَيْلًا﴾ بلفظ التنكير تقليلَ مدَّة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ يعني بالمسجد الحرام: مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد روي في الحديث أنه ﷺ قال: «**بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل..**»[2].

وقيل: كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته، فالمسجد الحرام على هذا: مكة؛ أي: بلد المسجد الحرام.

وأما المسجد الأقصى: فهو بيت المقدس الذي بإيلياءَ، وسُمِّيَ الأقصى؛ لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد.

ويَحتمل أن يريد بـ﴿ٱلْأَقْصَا﴾: الأبعد؛ فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٣٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

واختلف العلماء في كيفية الإسراء:

فقال الجمهور: كان بجسد النبي ﷺ وروحه.

وقال قوم: كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حقٍّ.

فحجة الجمهور: أنه لو كان منامًا لم تنكره قريش، ولم يكن في ذلك ما يكذِّب به الكفار، ألَا ترى قول أم هانئٍ له: لا تخبرْ بذلك فيكذبَك قومك؟.

وحجة من قال: إن الإسراء كان منامًا: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وإنما تقال الرؤيا في المنام، ويقال فيما يُرى بالعين: رؤية، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «**بينما أنا بين النائم واليقظان..**»(١) وذكَر الإسراء، وقال في آخر الحديث: «**فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام..**».

وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال: إن الإسراء كان مرتين: إحداهما: بالجسد، والأخرى: بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس، وهو الذي أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع، ليلة فرضت الصلوات الخمس، ولقي الأنبياء في السموات.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين:

أحدهما: ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء.

والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خصَّ الله بها الشام.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي: لنريَ محمدًا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء، وكلَّمه الله تعالى حسَبما ورد في أحاديث الإسراء، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا.

﴿وَجَعَلْنَهُ هُدًى﴾ يَحتمل أن يعود الضمير: على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، أو على ﴿مُوسَىٰ﴾.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ أي: ربًّا تكِلُون إليه أمركم.

و«أنْ» يَحتمل أن تكون: مصدريةً، أو مفسِّرة.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منادى، وفي ندائهم بذلك تلطُّفٌ وتذكير بنعمةٍ.

وقيل: هو مفعول ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾.

ويتعيَّن معنى ذلك على قراءة مَن قرأ ﴿يَتَّخِذُوا۟﴾ بالياء.

ويعني بـ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أولادَه الثلاثة؛ وهم: سامٌ وحامٌ ويافثٌ، ونساءَهم، ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي: كثير الشكر، كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليلٌ لما تقدَّم؛ أي: كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: إن ﴿قَضَيْنَآ﴾ هنا بمعنى: أعلمنا وأخبرنا، كما قيل في: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، والكتاب على هذا: التوراة.

وقيل: قضينا إليه: من القضاء والقدر، والكتاب على هذا: اللوح

المحفوظ الذي كُتبت فيه مقادير الأشياء، و«إلى» بمعنى على.

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيانٌ للمقضيّ، وهي في موضع جواب ﴿قَضَيْنَآ﴾ إذا كان من القضاء والقدر؛ لأنه جرى مجرى القسم.

وإن كان بمعنى أعلمنا: فهو جواب قسم محذوف، تقديره: والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول ﴿قَضَيْنَآ﴾.

والمرَّتان المشار إليهما: إحداهما: قتل زكريا، والأخرى: قتل يحيى عليه السلام.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ مِن العلوّ وهو الكِبر[1] والتَّجبُّر.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ معناه: أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادًا له؛ لينتقمَ منهم على أيديهم.

واختلف في هؤلاء العبيد:

فقيل: جالوت وجنوده.

وقيل: بُخْتُ نَصَّرَ[2] ملك بابل.

﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ أي: تردَّدوا بينها بالفساد، روي أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المساجد وسَبَوْا منهم سبعين ألفًا.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدَّولة والغلَبة على الذين بُعِثوا

(١) في ب: «التكبر».
(٢) انظر التعليق في ١/ ٤٨٠.

عليكم، ويعني: رجوعَ الملْك إلى بني إسرائيل، واستنقاذَ أسراهم، وقتل بخت نصَّر.

وقيل: قتل داود لجالوت.

﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثر عددًا، وهو:

مصدر من قولك: نفَر الرجل: إذا خرج مسرعًا.

أو جمع نَفْرٍ.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ الأول: بمعنى: فعل الحسنات، والثاني: بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنتُ إلى فلان، ففيه تجنيسٌ، واللام فيه بمعنى «إلى»، وكذلك اللام في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يعني: إذا أفسدوا في المرة الآخرة، بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، فـ ﴿الْآخِرَةُ﴾ صفة للمرة.

ومعنى ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسُّوء كقوله: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧].

واللام: لام كي، وهي تتعلَّق بـ «بعثنا» المحذوف؛ لدلالة الأول عليه.

وقيل: هي لام الأمر.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ من التَّبار، وهو الإهلاك وشدَّة الفساد.

﴿مَا عَلَوْاْ﴾ ﴿مَا﴾ مفعول ﴿ يُتَبِّرُواْ ﴾؛ أي: يُهلِكوا ما غلَبوا عليه من البلاد.

وقيل: إن ﴿مَا﴾ ظرفيةٌ؛ أي: يفسدوا مدَّة عُلُوِّهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ خطابٌ لبني إسرائيل، ومعناه: ترجيةٌ لهم بالرحمة إن تابوا بعد المرة الثانية.

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ خطاب - أيضًا - لبني إسرائيل؛ أي: إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى عقابكم، وقد عادوا؛ فبعث الله عليهم محمدًا ﷺ وأمته يقتلونهم ويُذِلُّونهم إلى يوم القيامة.

﴿حَصِيرًا﴾ أي: سجنًا، وهو من الحَصْر.

وقيل: أراد به ما يفرش ويبسط، كالحصير المعروف.

﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطريقة والحالة التي هي أقوم.

وقيل: يعني لا إله إلا الله.

واللفظ أعم من ذلك.

[﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟
عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى
عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ
حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟
فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا
كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾].

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ المعنى: ذمٌّ وعتابٌ لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير وفي وقت التثبُّت(١).

وقيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآيةَ، وقد تقدَّم أن الصحيح في قائلها أنه أبو جهل(٢).

---

(١) في ب، هـ: «التثبيت».

(٢) انظر صفحة ٤٥٥.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله: اسم جنس.

وقيل: يعني هنا آدم، وهو بعيد.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار كقولك: مسجد الجامع؛ أي: الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار، ومحْوُ آية الليل على هذا: كونُه مظلمًا.

والوجه الثاني: أن يراد بآية الليل القمر، وآية النهار الشمس، ومحْوُ آية الليل على هذا: كون القمر لم يُجعَل له ضوء كضوء الشمس.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ يَحتمل أن يريد: النهار بنفسه، أو الشمس.

ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ تُبصَر فيها الأشياء.

﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتتوصَّلوا بضوء النهار إلى التصرُّف في معايشكم، ولتعلموا - باختلاف الليل والنهار، أو بمسير الشمس والقمر -: عددَ السنين وحسابَ الأشهر والأيام.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ انتصبَ ﴿وَكُلَّ﴾ بفعل مضمر، والتَّفصيل: البيان.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ انتصب ﴿وَكُلَّ﴾ بفعل مضمر، والطائر هنا: العمَل، والمعنى: أن عمله لازمٌ له.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ ما قُدِّر عليه وله من خير وشر، والمعنى على هذا: أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبَّر عن ذلك بالطائر؛ لأن العرب

كانت عادتها التيمُّن والتشاءم بالطير.

وقوله: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ أي: هو كالقِلادة أو الغُلِّ، لا ينفكُّ عنه.

﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ يعني: صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ تقديره: يقال له: اقرأ.

﴿حَسِيبًا﴾ أي: محاسِبًا، أو من الحساب؛ بمعنى العدد.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معناه حيث وقع: لا يؤاخَذ أحدٌ بذنب أحد، والوزر في اللغة: الثِّقَل والحِمْل، ويراد به هنا: الذنوب.

ومعنى ﴿تَزِرُ﴾ تحمل، و﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: وزر نفس أخرى.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قيل: إن هذا في حكم الدنيا؛ أي: أن الله لا يهلك أمةً إلَّا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم.

وقيل: هو عام في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يعذب في الآخرة قومًا إلَّا وقد أرسل إليهم رسولًا فكفروا به وعصوه، ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨ - ٩]، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفَتَرات.

واستدلَّ أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلَّا من الشرع، لا من مجرد العقل.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ في تأويل ﴿أَمَرْنَا﴾ هنا ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن يكون في الكلام حذف تقديره: أمرنا مترفيها بالخير

والطاعة فعصوا وفسقوا.

والثاني: أن يكون ﴿أَمَرْنَا﴾ عبارةً عن القضاء عليهم بالفسق؛ أي: قضينا عليهم ففسقوا.

والثالث: أن يكون ﴿أَمَرْنَا﴾ بمعنى كثَّرنا، واختاره أبو علي الفارسي.

وأما على قراءة ﴿آمَرْنَا﴾ بمدِّ الهمزة فهو بمعنى كثّرنا.

وأما على قراءة ﴿أَمَّرْنَا﴾ بتشديد الميم فهو من الإِمارة؛ أي: جعلناهم أمراء ففسقوا.

والمترَف: الغنيُّ المتنعِّم بالدنيا.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي: القضاء الذي قضاه الله.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ القرن: مئة سنة، **وقيل**: أربعون.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يؤمنون بالآخرة، على أن لفظها أعم من ذلك.

والمعنى: أنهم يعجِّل الله لهم حظًّا من الدنيا بقيدين:

أحدهما: تقييد المقدار المعجَّل بمشيئة الله.

والآخر: تقييد الشخص المعجَّل له بإرادة الله، و﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدلٌ من ﴿لَهُۥ﴾، وهو بدل بعضٍ من كل.

﴿مَّدْحُورًا﴾ أي: مبعَدًا، أو مهانًا.

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عمل لها عملها.

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ﴾ انتصب ﴿ كُلًّا﴾ بـ ﴿نُّمِدُّ﴾، وهو من المدَد، ومعناه: نزيدهم من عطائنا.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدلٌ من ﴿ كُلًّا﴾، والإشارة إلى الفريقين المتقدِّمَين.

﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ يعني: رزق الدنيا.

وقيل: من الطاعات لمن أراد الآخرة، ومن المعاصي لمن أراد الدنيا.

والأول أظهر.

﴿مَحْظُورًا﴾ أي: ممنوعًا.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: في رزق الدنيا.

﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ خطابٌ لواحد، والمراد به جميع الخلق؛ لأن المخاطَب غير معين.

﴿مَذْمُومًا﴾ أي: يذمُّه الله وخيار عباده.

﴿مَّخْذُولًا﴾ أي: غيرَ منصور.

* * *

[﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ
ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ
ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ
ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا
فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ
فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا
بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا
كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِۖ
إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ
بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ
مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَٰكُمْ
رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي: حكَم وألزم وأوجب.

أو أمر، ويدلُّ على ذلك ما في مصحف ابن مسعود: «ووصَّى ربك».

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ «أن» مفسِّرة، أو مصدرية على تقدير: بأن لا تعبدوا.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» المؤكِّدة، وجوابها: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

والمعنى: الوصية ببر الوالدين إذا كَبِرا، أو كَبِر أحدهما، وإنما خصَّ حاله الكِبَر؛ لأنهما حينئذ أحوجُ إلى البر والقيام بمؤنتهما؛ لضعفهما.

ومعنى ﴿عِندَكَ﴾ أي: في بيتك وتحت كنَفِك.

﴿أُفٍّ﴾ حيث وقعت: اسم فعل، معناها: قولٌ مكروه يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى أن لا يقال لهما ما فوقَ ذلك.

ويجوز في «أفّ» الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ من الانتهار؛ وهو الإغلاظ في القول.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ استعارةٌ في معنى التواضع لهما والرفق بهما، فهو كقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وأضافه إلى الذُّل مبالغةً في المعنى؛ كأنه قال: الجناح الذليل.

و«من» في قوله: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ للتعليل؛ أي: من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما.

﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ قيل: معناه الصالحين، وقيل: المسبِّحين، وهو مشتقٌّ من الأَوْبة بمعنى الرجوع؛ فحقيقته: الراجعين إلى الله.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ خطابٌ لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم.

وقيل: هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتيَ قرابته حقَّهم من بيت المال.

والأول أرجح.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم؛ فقل لهم كلامًا حسنًا، وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه، حياءً منه، فأُمِر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك.

والميسور: مشتق من اليُسر.

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله، يَحتمل:

أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ والمعنى على هذا: أنه يعرض عنهم انتظارًا لرزق يأتيه، فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا: هو ما يرتجيه من الرزق.

أو يتعلق بقوله: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾؛ أي: ابتغ رحمة ربك بقولٍ ميسور، والرحمة على هذا: هي الأجر والثواب.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ استعارةٌ في معنى: غاية البخل؛ كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء[1]، وشُدَّت إلى عنقه.

---

(١) في ب: «العطاء».

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ استعارةٌ في معنى: غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسُّط بينهما، كقوله: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿مَلُومًا﴾ أي: يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك.

أو يلومك من يستحقُّ العطاء؛ لأنك لم تترك ما تعطيه.

أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء.

﴿مَّحْسُورًا﴾ أي: منقطعًا بك لا شيء عندك، وهو من قولهم: حسَر السفرُ البعيرَ: إذا أتعبَه حتى لم تبقَ له قوةٌ(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسِّع على من يشاء، ويضيق على من يشاء؛ فلا تهتمَّ بما تراه من ذلك؛ فإن الله أعلم بمصالح عباده.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ ذُكِر في «الأنعام»(٢).

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الحقُّ الموجب لقتل النفس: هو ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى**»(٣).

وتتصل(٤) بهذه الأشياء أشياء أُخَر؛ لأنها في معناها، كالحرابة،

---

(١) في ب، هـ: «يُبقِ له قوةً».
(٢) انظر صفحة ٣٢٠.
(٣) تقدم تخريجه في صفحة ٣٢٠.
(٤) في أ، ب، هـ: «ويتصل».

وترك الصلاة، ومنع الزكاة.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ المظلوم هنا: مَن قُتِل بغير حق.

والولي: هو ولي المقتول وسائر العَصَبة، وليس النساء من الأولياء عند مالك.

والسلطان الذي جعل الله له: هو القصاص، أو تخييره(١) بين العفو والقِصاص.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ نهى عن أن يسرف وليُّ المقتول؛ بأن يقتل غير قاتل وليه، أو يقتل اثنين بواحد، أو غير ذلك من وجوه التعدي.

وقرئ ﴿فلا تُسْرِف﴾ بالتاء؛ خطابًا للقاتل، أو لوليِّ المقتول.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضمير: للمقتول، أو لوليه، ونصره: هو القصاص.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ ذُكِر في «الأنعام»(٢).

قال بعضهم(٣): ﴿لَا تَقْرَبُوا۟﴾ و﴿لَا تَقْتُلُوٓا۟﴾ معطوفاتٌ على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾(٤).

والظاهر: أنها مجزوماتٌ بالنهي؛ بدليل قوله بعدها: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وتخيره».

(٢) انظر صفحة ٣٢١.

(٣) قاله الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٧٧).

(٤) في ج زيادة: «وذلك خطأ»، ولم ترد في شيء من النسخ الأخرى، ويظهر أنها زيادة مقحمة؛ بدليل أنه أن ابن جزيٍ وجَّه هذا الإعراب كما سيأتي قريبًا.

ويصحُ أن تكون معطوفات إذا جعلنا ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ مجزومًا على النهي، و«أن» مفسِّرة.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ عامٌّ في العهود مع الله، ومع الناس.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من معنى[1] الطلب؛ أي: يُطلَب الوفاء به.

والثاني: أن يكون المعنى: يُسأل عنه يوم القيامة، هل وفًى به أم لا.

﴿وَزِنُوا۟ بِالقِسْطَاسِ﴾ **قيل**: القسطاس الميزان، **وقيل**: العدل.

وقرئ بكسر القاف، وهي لغةٌ.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبةً ومآلا، وهو مِن آلَ: إذا رجعَ.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا تقل ما لا تعلم من ذمِّ الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق مِن قَفَوْتُه: إذا اتبعتَه.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى السمع والبصر والفؤاد، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾؛ لأنها حواسٌّ لها إدراك.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على ﴿كُلُّ﴾، ويتعلَّق ﴿عَنْهُ﴾ بـ ﴿مَسْـُٔولًا﴾ **والمعنى**: أن الإنسان يُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده.

وقيل: الضمير يعود على: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، والمعنى على هذا: أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تُسأل عما ليس لها به علم، وهذا بعيد.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ المرَح: الخيلاء والكِبْر في المشية.

وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا.

وإعرابه: مصدر في موضع الحال.

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لن تجعل فيها خَرْقًا بمشيك عليها، والخَرْق هو: القطع.

وقيل: معناه: لا تقدر أن تستوفيَ جميعَها بالمشي.

والمراد بذلك: تعليل النهي عن الكبر والخيلاء؛ أي: إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض، ولا على مطاولة الجبال؛ فكيف تتكبَّر وتختال في مشيك؟!، وإنما الواجب عليك التواضع.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات، والمكروه هنا: بمعنى الحرام، لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام.

وإعراب ﴿مَكْرُوهًا﴾: نعت لـ ﴿سَيِّئَةً﴾، أو بدلٌ منها، أو خبر ثان لـ ﴿كَانَ﴾.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ خطابٌ على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يَجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذُ لنفسه الأدنى وهو البنات؟!.

ومعنى ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: خصَّكم.

﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عظيم النُّكر والشناعة.

[﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ هذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان:

أحدهما: أن المعنى: لو كان مع الله آلهةٌ لابتغوا سبيلًا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكون من جملة عباده.

والآخر: لابتغوا سبيلًا إلى إفساد مُلْكِه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن؛ فلا إله إلا هو.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ الآيةَ؛ اختلف في كيفية هذا التسبيح:

فقيل: هو تسبيحٌ بلسان الحال؛ أي: بما تدلُّ عليه صنعتها من قدرة وحكمة.

وقيل: إنه تسبيح حقيقة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أن الله أخبر نبيه ﷺ أنه يستره من الكفار إذا أرادوا به شرًّا، ويحميه(١) منهم.

والآخر: أنه يحجب(٢) الكفار عن فهم القرآن، وهذا أرجح؛ لما بعده.

والمستور هنا:

قيل: معناه مستور عن أعين الخلق؛ لأنه من لطف الله وكفايته، فهو من المغيبات.

وقيل: معناه ساترًا.

﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كِنَان؛ وهو الغطاء، و﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول من أجله تقديره: كراهةَ أن يفقهوه، وهذه كلها استعاراتٌ في إضلالهم.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ الآية؛ معناها: إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فرَّ المشركون عن ذلك؛ لما فيه من رفض آلهتهم وذمِّها.

و﴿نُفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء، والضمير في ﴿بِهِ﴾ عائدٌ على «ما»؛ أي: نعلم ما يستعمون به من الاستهزاء.

---

(١) في ج، د: «ويحجبه».

(٢) في ب، هـ: «حجب».

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ جماعةٌ يتناجون، أو هم ذو نجوى، والنجوى: كلام السِّرِّ.

﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ قيل: معناه جُنَّ فسُحِر.

وقيل: معناه ساحر.

وقيل: هو من السَّحر - بفتح السين -؛ وهو الرئة؛ أي: بشرًا ذا سَحر مثلكم، وهذا بعيد.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: مثَّلوك بالساحر، والشاعر، والمجنون.

﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحق.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى؛ ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وأصحابه من الكفار.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ الآيةَ؛ معناها: إنكارهم للبعث، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقًا جديدًا بعد فنائهم.

والرُّفات: الذي بَلِيَ حتى صار غبارًا وفتاتًا.

وقد ذُكِر في «الرعد» اختلاف القراء في الاستفهامين[١].

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ المعنى: لو كنتم حجارة أو حديدًا لقَدَرْنا على بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن

---

(١) انظر صفحة ٦٦٩.

الرطوبة التي في الحياة؛ فأولى وأحرى أن نبعث أجسادكم ونحييَ عظامكم البالية، فذَكر الحجارة والحديد تنبيهًا بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما.

ومعنى قوله: ﴿كُونُوا﴾ أي: كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التَّعجيز كما قال بعضهم في ذلك.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قيل: يعني السموات والأرض والجبال.

وقيل: بل أحال على فكرتهم عمومًا في كل ما هو كبير عندهم؛ أي: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو شيئًا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة؛ لقدَرْنا على بعثكم.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحرِّكونها تحريك المستبعد للشيء، أو المستهزئ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي: متى يكون البعث.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ الدعاء هنا: عبارةٌ عن البعث بالنفخ في الصور.

والاستجابة: عبارةٌ عن قيامهم من القبور طائعين منقادين.

و﴿بِحَمْدِهِ﴾ في موضع الحال؛ أي: حامدين له.

وقيل: معنى ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بأمره.

﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: لبثتم في الدنيا، أو في القبور.

[﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾].

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العباد هنا: المؤمنون؛ أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلامًا لينًا طيبًا.

وقيل: أن يقولوه للمشركين، ثم نسخ بالسيف.

وإعراب ﴿يَقُولُوا﴾ كقوله: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] في «إبراهيم»، وقد ذكر(١).

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ قيل: يعني الملائكة.

---

(١) انظر صفحة ٧٠٤.

وقيل: عيسى وأمه وعُزيرًا[(١)].

وقيل: نفرٌ من الجن كان العرب يعبدونهم.

والمعنى: أنهم لا يقدرون على كشف الضرّ عنكم، فكيف تعبدونهم؟!.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ المعنى: أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله، ويرجونه، ويخافونه، فكيف تعبدونهم معه؟!.

وإعراب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ صفة له، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خبره، والفاعل في ﴿يَدْعُونَ﴾ ضميرٌ للكفار[(٢)]، وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للآلهة[(٣)] المعبودين.

وقيل: إن الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ و﴿يَبْتَغُونَ﴾ للأنبياء المذكورين قبلُ في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

و﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي ما يُتوسَّل به ويُتقرب.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلٌ من الضمير في ﴿يَبْتَغُونَ﴾؛ أي: يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم، فكيف بغيره؟.

أو ضمِّن معنى «يَحرِصون»؛ فكأنه قال: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالاجتهاد في طاعته.

---

(١) في ج، د: «وعزيرَ» بالمنع من الصرف، وهو مختلف في صرفه ومنعه من الصرف، كما سبق كلام ابن جزي عنه في سورة التوبة، صفحة ٤٨٨.

(٢) في ج، د: «الكفار» بدون لفظة «ضمير».

(٣) في ب، ج: «الآلهة».

ويَحتمل أن يكون المعنى: أنهم يتوسلون بأيهم أقرب.

﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر؛ وهو الخوف.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يَحتمل هذا الكلام وجهين:

أحدهما: أن يكون بالموت والفناء الذي لا بدَّ منه.

والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخُذُ[1] المدينة دَفعةً فيهلكها، وهذا أظهر؛ لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به.

والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هما في الحقيقة لأهل القرى؛ أي: مهلكو أهلِها أو معذِّبوهم.

وروي: أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالتُّرْك، والأندلس بالخيل.

وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة، فقال: أصابها العذاب يومَ قتْل الموحدين بها في ثورة ابن هود، وأما هلاك قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغيرها فأخْذُ الروم لها.

﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الآيات هنا يراد بها: التي يقترحها الكفار، فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «بأخذِ».

وسبب الآية: أن قريشًا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهبًا، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذِّبوا فيهلكوا، وعبَّر بالمنع عن ترك ذلك.

و﴿أَن نُّرْسِلَ﴾ في موضع نصب، و﴿أَن كَذَّبَ﴾ في موضع رفع.

ثم ذكر ناقة ثمود تنبيهًا على ذلك؛ لأنهم اقترحوها فكانت[1] سبب هلاكهم.

ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينةً واضحةَ الدلالة.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ إن أراد بالآيات هنا المقترَحة: فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفًا من العذاب العاجل وهو الإهلاك.

وإن أراد المعجزات غير المقترحة: فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفًا من عذاب الآخرة؛ ليراها الكافر فيؤمن.

وقيل: المراد بالآيات هنا الزلازل والرعد والكسوف وغير ذلك من المخاوف.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ المعنى: اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش؛ يعني: بشَّرناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥]، وإنما قال: ﴿أَحَاطَ﴾ بلفظ الماضي وهو لم يقع؛ لتحقيقه[2] وصحة وقوعه بَعْدُ.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وكانت».

(٢) في ب: «لتحققه».

وقيل: المعنى: أحاط بالناس في منعك وحياطتك منهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ اختُلف في هذه الرؤيا:

فقيل: إنها الإسراء:

فمن قال إنه كان في اليقظة: فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين.

ومن قال إنه كان في المنام: فالرؤيا منامية[١].

والفتنة على هذا: تكذيب الكفار بذلك، وارتداد بعض المسلمين حينئذ.

وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمةَ الكفار وقتلَهم ببدر، والفتنة على هذا: تكذيب قريش بذلك وسخريتهم به.

وقيل: إنها رؤياه أنه يدخل مكة، فعجَّل في سنة الحديبيَة فرُدَّ عنها، فافتتن بعض المسلمين بذلك.

وقيل: رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره؛ فاغتمَّ بذلك[٢].

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ يعني: شجرة الزقوم، وهي معطوفة على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾؛ أي: جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس؛ وذلك أن قريشًا لما سمعوا أن في جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا: كيف تكون شجرة في النار والنار تَحرق الشجر؟ وقال أبو جهل: ما أعرف الزقوم إلَّا التمر بالزُّبْد.

---

(١) في ب، ج، هـ: «منامة»، وفي د: «منامهُ».

(٢) في ج، د: «لذلك».

فإن قيل: أين لُعنت شجرة الزقوم في القرآن؟

فالجواب: أن المراد: لعنةُ آكلِها.

وقيل: اللعنة بمعنى الإبعاد؛ لأنها في أصل الجحيم.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش.

* * *

[﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾].

﴿طِينًا﴾ تمييزٌ، أو حالٌ مِن ﴿مَنْ﴾، أو مِن مفعول ﴿خَلَقْتَ﴾.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ الكاف من ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ للخطاب، لا موضع لها من الإعراب، و﴿هَٰذَا﴾ مفعول بـ«أرأيت»، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كرَّمته علي - أي: فضَّلته -؛ لم فضلته وأنا خير منه؟، فاختصر الكلام بحذْف[1] ذلك.

وقال ابن عطية: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هنا بمعنى: أتأمَّلتَ ونحوه، لا بمعنى أخبرني[2].

(١) في ج: «فحذف».
(٢) المحرر الوجيز (٥/٥٠٦).

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ معناه: لأُمِيلَنَّهم وأقودهم، وهو مأخوذ من: تحنيك الدابة؛ وهو أن يشدَّ على حنَكِها بحبلٍ فتنقاد.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ قال ابن عطية: ﴿ٱذْهَبْ﴾ وما بعده من الأوامر: صيغة أمر على وجه التَّهديد(١).

وقال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضدُّ المجيء، وإنما معناه: امض لشأنك الذي اخترتَه؛ خذلانًا له وتخلية(٢).

ويَحتمل عندي: أن يكون معناه: الطرد والإبعاد.

﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال: «جزاؤهم» بضمير الغيبة؛ ليرجع إلى ﴿مَن تبعك﴾، ولكنه ذكَره بلفظ الخطاب؛ تغليبًا للمخاطَب على الغائب، وليدخل إبليس معهم.

﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال، والموفور: المكمَّل.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ أي: اخدع واستخفَّ.

﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل: يعني الغناء والمزامير.

وقيل: الدعاء إلى المعاصي.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي: هوِّل، وهو من الجلَبة، وهو الصياح.

﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الخيل هنا يراد به(٣): الفرسان الراكبون على خيل،

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٠٨).

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٣٣٠).

(٣) في أ، د، هـ: «بها».

والرَّجْل: جمع راجل؛ وهو الذي على رجليه:

فقيل: هو مجاز واستعارة بمعنى: افعل جَهْدَك.

وقيل: إن له من الشياطين خيلًا ورجلًا.

وقيل: المراد: فرسان الناس ورجالهم المتصرِّفون في الشر.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ مشاركته في الأموال: هي بكسبها بالربا، وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك.

ومشاركته في الأولاد: هي بالاستيلاد بالزنا، وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك.

﴿وَعِدْهُمْ﴾ يعني: المواعِد الكاذبة؛ من شفاعة الأصنام وشبه ذلك.

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ يعني: المؤمنين الذين يتوكلون على الله؛ بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾، ونحوه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩].

﴿يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي: يجريها ويسيرها، والفلك هنا: جمع، وابتغاءُ الفضل: في التجارة وغيرها.

﴿ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ يعني: خوف الغرق.

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ضلَّ هنا: بمعنى تَلف وفُقِد؛ أي: تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلَّا الله وحده، فلجأتم إليه حينئذ دون غيره، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلَّا إياه؟!.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ أي: كفورًا بالنعم، والإنسان هنا: جنس.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف؛ أي: أنجوتم من البحر فأمنتم الخسفَ في البر؟!.

﴿حَاصِبًا﴾ يعني: حجارةً، أو ريحًا شديدة ترمي بالحصباء.

﴿وَكِيلًا﴾ أي: قائمًا بأموركم، وناصرًا لكم.

﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ يعني: الذي يقصف ما يلقَى؛ أي: يكسره.

﴿تَبِيعًا﴾ أي: مطالبًا بثأركم؛ أي: لا تجدون مَن ينتصر لكم منا، كقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥].

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ يعني: فضَّلهم على الجن وعلى سائر الحيوان، ولم يفضلهم على الملائكة؛ ولذلك قال: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾، وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى، وقد ذكر المفسرون منها: كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة، وهذه أمثلة.

* * *

[﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾].

﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ **قيل**: يعني بنبيهم؛ يقال: يا أمة فلان.

وقيل: يعني: كتابهم الذي نزل عليهم.

وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شقّ نواة التمرة، والمعنى: أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلًا ولا كثيرًا، فعبر بأقل الأشياء؛ تنبيهًا على الأكثر.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ الإشارةُ بـ ﴿هَٰذِهِ﴾ إلى الدنيا.

والعمى يراد به: عمى القلب؛ أي: من كان في الدنيا أعمى عن الهدى[1] والصواب فهو في يوم القيامة أعمى؛ أي: حيرانُ يائس من الخير.

ويَحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة: عمى البصر؛ كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) في ب: «الهداية».

وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلًا ؛ لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء.

ويجوز في ﴿أَعۡمَىٰ﴾ الثاني :

أن يكون صفةً كالأول.

وأن يكون من «أفعل» التي للتفضيل، وهذا أقوى؛ لقوله ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فعطف ﴿وَأَضَلُّ﴾ الذي هو من «أفعل من كذا» على ما هو شبهه.

وقال سيبويه: لا يجوز أن يقال: هو أعمى من كذا.

ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر، لا في عمى القلب.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن قريشًا قالوا للنبي ﷺ: اقبلْ[1] بعض أمرنا ونُقبل على بعض أمرك.

وقيل: إن ثقيفًا طلبوا من النبي ﷺ أن يؤخِّرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى، والآية على هذا القول مدنية.

﴿لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ﴾ الافتراء هنا يراد به: مخالفة ما أوحى إليه في القرآن أو في غيره.

﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ أي: لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلًا.

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾ «لولا» تدل على امتناع شيءٍ لوجود غيره، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبي ﷺ الركونَ إليهم؛ لأجل تثبيت الله له وعصمته.

---

(١) في د زيادة: «على».

و﴿كِدتَّ﴾ تقتضي -أيضًا- نفيَ الركون؛ لأن معنى كاد فلان يفعل كذا: أنه لم يفعله؛ فانتفى الركون إليهم ومقاربته، فليس في ذلك غضٌّ من جانب النبي ﷺ؛ لأن التثبيت منَعه من مقاربة الركون إليهم، ولو لم يثبِّته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئًا قليلًا، وأما مع التثبيت فلم يركن قليلًا ولا كثيرًا، ولا قارب ذلك.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: ضعف عذابهما لو فعل ذلك.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الضمير لقريش، كانوا قد همُّوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة، وذلك قبل الهجرة، فالأرض هنا يراد بها: مكة؛ لأنها بلده.

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلَّا قليلًا، فلما خرج النبي ﷺ مهاجرًا من مكة إلى المدينة، لأجل إذاية قريش له ولأصحابه، لم يبقوا بعد ذلك إلَّا قليلًا، وقتلوا يوم بدر.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ انتصب ﴿سُنَّةَ﴾ على المصدر، ومعناه: العادة؛ أي: هذه عادة الله مع رسله.

* * *

[﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾].

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ هذه الآية إشارةٌ إلى الصلوات المفروضة:

فدلوك الشمس: زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر.

وغسق الليل: ظلمته، وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء.

وقرآن الفجر: صلاة الصبح.

وانتصب ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾:

بالعطف على موضع اللام في قوله: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾؛ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى «عند».

وقيل: هو عطف على ﴿الصَّلَوٰةَ﴾.

وقيل: مفعول بفعل مضمر تقديره: اقرأْ قرآنَ الفجر.

وإنما عبَّر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر؛ لأن القرآن فيها أكثر من غيرها؛ لأنها تصلى بسورتين طويلتين.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده ملائكة الليل والنهار، فيجتمعون فيه؛ إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل.

و﴿مِنَ﴾ للتبعيض، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن.

والتهجُّد: السهر؛ وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود: النوم؛ فالتفعُّل هنا: للخروج عن الشيء، كالتحرُّج والتأثُّم في الخروج عن الإثم والحرج.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يعني: الشفاعة يوم القيامة، وانتصب ﴿مَقَامًا﴾ على الظرف.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآيةَ؛ المدخل: دخوله إلى المدينة، والمخرج: خروجه من مكة.

وقيل: المدخل: في القبر، والمخرج: إلى البعث.

واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور[١].

﴿سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ قيل: معناه: حجة تنصرني بها وتُظهِر[٢] بها صدقي.

وقيل: قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء، وهذا أظهر.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الحق: الإيمان، والباطل: الكفر.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ ﴿مِنَ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٠).
(٢) في أ، ب: «ويَظهَر».

والمراد بالشفاء: أنه يَشفِي القلوب من الريب[1] والجهل.

ويَحتمل أن يريد: نفعه من الأمراض؛ بالرُّقى به والتعويذ.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الآيةَ؛ المراد بالإنسان هنا: الجنس؛ لأن ذلك من سجيَّة الإنسان.

وقيل: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يُعرِض عن الله.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: بعُد، وذلك تأكيدٌ وبيان للإعراض.

وقرئ ﴿نَاءَ﴾، وهو بمعنى واحد.

﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكله.

* * *

(١) في أ، ب: «الريبة».

[﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً
مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟
بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ
لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ
ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ السائلون: اليهود، وقيل: قريش بإشارة اليهود.

والروح هنا:

عند الجمهور: هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه: النفس.

وقيل: الروح هنا جبريل.

وقيل: القرآن.

والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك.

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من الأمور التي استأثر الله بها، ولم يُطلِع عليها خلقَه.

وكانت اليهود قد قالت لقريش: اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبيٌّ، وذلك أنه كان عندهم في التوراة: أن الروح مما انفرد الله بعلمه.

وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح[١].

ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعوَّل عليه.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله.

وقيل: خطاب لليهود خاصة.

والأول أظهر؛ لأن فيه إشارةً إلى أنهم لا يَصِلون إلى العلم بالروح.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: إن شئنا ذهبنا بالقرآن، فمحوناه من الصدور والمصاحف.

وهذه الآية متَّصلةُ المعنى بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا[٢] إليك فلا يبقى عندكم شيءٌ من العلم.

﴿وَكِيلًا﴾ أي: من يتوكل بردِّه وإعادته بعد ذهابه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يَحتمل أن يكون:

استثناء متصلًا؛ بمعنى: أن رحمة ربك تردُّ القرآن بعد ذهابه لو ذهب.

أو استثناء منقطعًا؛ بمعنى: أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ عجَز الخلقُ عن الإتيان بالقرآن؛ لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده إلى عبد الله بن بريدة في كتاب العظمة (٣/ ٨٦٧).
(٢) في أ، ب، هـ: «أوحي».

الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال.

وقال أكثر الناس: إنهم عجَزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه.

ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهًا[١].

﴿ظَهِيرًا﴾ أي: معينًا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بيَّنا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة.

وهذا يدلُّ على إن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الكفور: الجحود، وانتصب بقوله: ﴿أَبَىٰٓ﴾؛ لأنه في معنى النفي.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ الذين قالوا هذا القول: هم أشراف قريش، طلبوا من النبي ﷺ أنواعًا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله في هذه الآية.

وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمة النبي ﷺ، ثم أسلم بعد ذلك.

والينبوع: العين، قالوا له: إن مكة قليلة الماء ففجِّرْ لنا فيها عينًا من الماء.

---

(١) ذكر في المقدمة في الباب الحادي عشر عشرةَ أوجهٍ من الإعجاز، وذكر هذه الأوجه العشرة أيضًا في كتابه «النور المبين في قواعد عقائد الدين» (ص: ٦٧).

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩].

﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين: جمع كِسْفة؛ وهي القطعة.

وقرئ بالإسكان؛ أي: قِطْعًا واحدًا.

﴿قَبِيلًا﴾ قيل: معناه مقابلة ومعاينة.

وقيل: ضامنًا شاهدًا بصدقك، والقَبالة في اللغة: الضمان.

﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي: من ذهب.

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجُّبٌ من اقتراحاتهم، و(١) تنزيهٌ لله عن قولهم: ﴿تَأْتِيَ بِٱللَّهِ﴾، وعن أن يَطلُب منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار؛ لأن ذلك سوءُ أدبٍ.

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي: إنما أنا بشر؛ فليس في قدرتي شيءٌ مما طلبتم، وأنا رسول؛ فليس علي إلَّا التبليغ.



---

(١) في ج: «أو».

[﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾
قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا
رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا
﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾].

﴿إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ المعنى: أن الذي منع الناس من الإيمان هو إنكارهم لبعث الرسل[1] من البشر.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ﴾ الآية؛ معناها: أنه لو كان أهل الأرض ملائكةً لكان الرسول إليهم ملَكًا، ولكنهم بشر؛ فالرسول إليهم بشر من جنسهم.

ومعنى ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين في الأرض.

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ذُكِر في «الأنعام»[2].

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ قيل: هي استعاراتٌ بمعنى أنهم يوم القيامة حَيارى.

---

(١) في أ، د، هـ: «الرسول».

(٢) انظر صفحة ٢٤٩.

وقيل: هي حقائق، وأنهم يكونون عميًا وبكمًا وصمًّا حين قيامهم من قبورهم.

﴿كُلَّمَا خَبَتۡ﴾ معناه في اللغة: سكن لهبها، والمراد هنا: كلما أكلت لحومَهم فسكن لهبها بُدِّلوا أجسادًا أُخرَ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ استبعادٌ للحشر، وقد تقدَّم معنى الرفات[1]، والكلام في الاستفهامين[2].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ؛ احتجاج على الحشر؛ فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدَر الله على خِلْقتها؛ فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه.

والرؤية في الآية رؤية قلب.

﴿أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ القيامة، أو أجل الموت.

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ﴾ «لو» حرف امتناع، ولا يليها إلَّا الفعلُ ظاهرًا أو مضمرًا، فلا بد من فعل يقدَّر هنا بعدها تقديره: لو تملكون، ثم فسَّره بـ﴿تَمۡلِكُونَ﴾ الظاهر، و﴿أَنتُمۡ﴾ تأكيد للضمير الذي في «تملكون» المضمر.

﴿خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾ أي: الأموال والأرزاق.

﴿إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ أي: لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق: عاقبة الإنفاق؛ وهو الفقر.

---

(١) انظر صفحة ٨١٠.

(٢) انظر سور الرعد صفحة ٦٦٩.

ومفعول ﴿لَأَمْسَكْتُمْ﴾: محذوفٌ.

وقال الزمخشري: لا مفعول له؛ لأن معناه: بَخِلتم؛ من قولهم للبخيل: ممسك[١].

ومعنى الآية: وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى.

* * *

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٣٨٦).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾].

﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ الخمس منها: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والأربع: انقلاب عصاه حية، وإخراج يده بيضاء، وحلُّ العُقْدة من لسانه، وفَلْق البحر.

وقد عُدَّ فيها: رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر، على أن يسقط اثنان من الأُخَر.

وقد عدَّ فيها -أيضًا-: السنون، والنقص من الثمرات.

وروي أن بعض اليهود سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هي ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريءٍ إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا،

ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصةَ اليهود أن لا تعدوا في السبت»[(١)].

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى؛ لتزداد يقينًا، والآية -على هذا- خطاب لمحمد ﷺ.

وقال الزمخشري: إن المعنى: قلنا لموسى: اسأل بني إسرائيل مِن فرعون؛ أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، فالأمر في قوله ﴿فَسْـَٔلْ﴾ لموسى على إضمار القول.

وقال -أيضًا-: يَحتمل أن يكون المعنى: اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك[(٢)].

وهذا أيضًا على أن يكون الخطاب لموسى.

والأول أظهر.

﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمراد: آباؤهم الأقدمون.

والعامل في ﴿إِذْ﴾:

على القول الأوَّل: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ﴾، أو فعل مضمر.

والعامل فيه على قول الزمخشري: القول المحذوف.

﴿مَسْحُورًا﴾ هنا وفي «الفرقان»: أي: سُحِرتَ فاختَلط عقلك.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٩٢)، والترمذي (٢٧٣٣)، (٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٤٩)، (٨/ ٤٣).

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٣٨٨).

وقيل: معناه: ساحر.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ - بفتح التاء - خطاب لفرعون، والمعنى: أنه علم أن الله أنزل الآيات، ولكنه كفر بها[(١)] عنادًا، كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

والإشارةُ بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى الآيات.

﴿مَثْبُورًا﴾ أي: مُهلَكًا، وقيل: مغلوبًا، وقيل: مصروفًا عن الخير.

قابل موسى قولَ فرعون: ﴿لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر.

﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الشام.

﴿لَفِيفًا﴾ أي: جميعًا مختلطين.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه في الموضعين: بالواجب من المصلحة والسَّداد.

وقيل: معنى الأول كذلك، ومعنى الثاني: ضد الباطل؛ أي: بالحق في أخباره وأوامره ونواهيه.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ انتصب بفعل مضمر يدل عليه ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾، ومعناه: بيَّناه وأوضحناه.

---

(١) في ج، هـ: «كذَّبها».

﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قيل: معناه على تمهُّلٍ وترتيل في قراءته.

وقيل: على طول مدة نزوله شيئًا فشيئًا من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته، وذلك عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أُمِرَ باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول: سواء آمنتم أو لم تؤمنوا؛ لأنكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم مِن قبله، وهم المؤمنون من أهل الكتاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ يعني: المؤمنين من أهل الكتاب.

وقيل: الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة؛ كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل.

والأول أظهر.

وهذه الجملة تعليلٌ لما تقدَّم، والمعنى: إن لم تؤمنوا به أنتم، فقد آمن به من هو أعلم منكم.

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: لناحية الأذقان، كقولهم: خرَّ لليدين وللفم.

والأذقان: جمع ذَقَنٍ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية.

وإنما كرَّر ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؛ لأن الأول للسجود، والثاني للبكاء.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ سببها: أن الكفار سمعوا رسول الله ﷺ يدعو: «يا الله يا رحمن»، فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وها هو يدعو إليهن!، فنزلت الآية مبينة أن قوله: «الله أو الرحمن» اسمان لمسمى واحد، وأنه مخيَّرٌ في الدعاء بأيِّ الاسمين شاء.

والدعاء في الآية بمعنى التسمية؛ كقولك: دعوت ولدي زيدًا، لا بمعنى النداء.

﴿أَيًّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ﴿أَيًّا﴾ اسم شرط منصوب بـ ﴿تَدْعُواْ﴾، والتنوين فيه عوضٌ من المضاف إليه، و﴿مَّا﴾ زائدة للتأكيد، والضمير في ﴿لَهُ﴾ لله تعالى، وهو المسمَّى، لا الاسم.

والمعنى: أيَّ هذين الاسمين تدعو فحسنٌ؛ لأن الله له الأسماء الحسنى فوَضع قوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ موضع الجواب، وهو في المعنى تعليل للجواب؛ لأنه إذا حسُنت أسماؤه كلُّها حسُن هذان الاسمان.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخافتة: هي الإسرار.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة، فسمعه المشركون، فسبُّوا القرآن ومن أنزله، فأُمر رسول الله ﷺ بالتوسُّط بين الإسرار والجهر؛ ليُسمِع أصحابه الذين يصلون معه، ولا يُسمِع المشركين.

وقيل: المعنى: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بها كلها، واجعل منها سرًّا وجهرًا، حسَبما أَحْكَمته السنة.

وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: ليس له ناصر يمنعه مِن الذُّلِّ؛ لأنه تعالى عزيز، فلا يفتقر إلى وليٍّ يحميه، فنفَى الولاية على هذا المعنى؛ لأنه غنيٌّ عنها، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده.

وحكى الطبري أن قوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ ردٌّ على النصارى واليهود، الذين

نسبوا الله ولدًا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ﴾ ردٌّ على المشركين، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ ردٌّ على الصابئين في قولهم: لولا أولياء الله لذلَّ الله، تعالى الله عن قولهم[١].

﴿وَكَبِّرْهُ﴾ معطوف على ﴿قُلِ﴾، ويَحتمل هذا التكبير:

أن يكون بالقلب؛ وهو التعظيم.

أو باللسان؛ وهو أن يقول: «الله أكبر» مع قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآيةَ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٣٩).

فهرس الموضوعات

التَّسهيل لعلوم التَّنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء. (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

ومعه تقريرات لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك

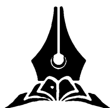
تحقيق

علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

المجلد الثالث

من الكهف إلى المؤمنون



دار طيبة الخضراء

علم ينتفع به



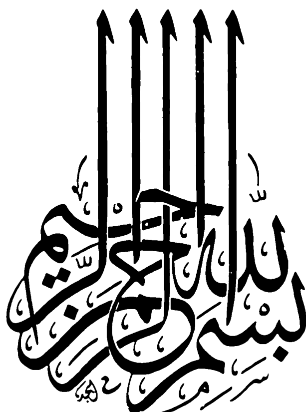
الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به
0125562986 I yyy 01@hotmail com

 dar taibaa @dar_tg  dar taibagreen123  dar taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه
0503568771 I 0550428992 I yyy.01@hotmail.com I 0125562986


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الكهف ﴾

[﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا
شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ
وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ
نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ
زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ
حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى
ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ
ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟
أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ العبد هنا: هو النبي ﷺ، ووصفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وقربه.

والكتاب: القرآن.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ العوج بكسر العين: في المعاني التي لا تُحسُّ.

وبالفتح: في الأشخاص، كالعصا ونحوها.

ومعناه: عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا: معناه: لا تناقض فيه ولا خلل فيه.

وقيل: لم يجعله مخلوقًا.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا.

وقيل: قيمًا على الخلق بأمر الله تعالى.

وقيل: قيمًا على سائر الكتب بتصديقها.

وانتصابه على الحال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، والعامل فيه ﴿أَنزَلَ﴾.

ومنع الزمخشري ذلك؛ للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر، تقديره: جعله قيمًا[١].

﴿لِّيُنذِرَ﴾ متعلّق بـ ﴿أَنزَلَ﴾، أو بـ ﴿قَيِّمًا﴾، والفاعل به: ضمير الكتاب أو النبي ﷺ.

والبأس: العذاب.

وحذف المفعول الثاني[٢] - وهو الناس -، كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ﴾...؛ لدلالة المعنى على المحذوف.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٠٤).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، ولعل صواب العبارة: «وحذف المفعول الأول»؛ إذ المفعول الثاني مذكورٌ وهو (بأسًا). انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٣)، وحاشية الطيبي على الكشاف (٩/ ٤٠٧).

﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، والضمير عائد على الله تعالى.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ أي: دائمين، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ هم النصارى؛ بقولهم[1] في عيسى، واليهود في عزير، وبعض العرب في الملائكة.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد: على قولهم، أو على الولد.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التميز، وقيل: على الحال.

ويعني بالكلمة قولَهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتِلُها بالحزن والأسف، والمعنى: تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ استعارةٌ فصيحة؛ كأنهم مِن فَرْطِ إدبارهم قد بَعُدوا، فهو يتبع آثارهم؛ تأسُّفًا عليهم.

وانتصب ﴿أَسَفًا﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يعني: ما يصلح للتزيُّن، كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك.

---

(١) في د: «لقولهم».

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى: إخبارٌ بفناء الدنيا وزينتها.

والصعيد: هو التراب، والجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها؛ أي: سنُفني ما على الأرض من الزينة، حتى تبقى كالأرض التي لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء بهجةً[1].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عجَبٌ؟، بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب.

والكهف: الغار الواسع.

والرقيم: اسم كلبهم.

وقيل: هو لوح رُقِمت فيه أسماؤهم على باب الكهف.

وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم.

وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف.

وقيل: الجبل الذي فيه الكهف.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الرقيم!.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ نذكر من قِصَّتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه؛ إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا:

---

(١) في د: «مبهجة».

وذلك أنهم كانوا قومًا مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا مِن الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم، فانتهى المتبِعون لهم إلى الغار فوجدوهم، وعرَّفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده، وأمر بالدخول إليهم، فهاب الرجال ذلك وقالوا له: دعهم يموتوا جوعًا وعطشًا، وكان الله قد ألقى عليهم نومًا ثقيلًا، فبقوا على ذلك مدَّة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا بدراهم كانت لهم، فعجب منها البياع وقال: هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان من أي جاءتك؟، وشاع الكلام بذلك في الناس، وقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف، فقال: هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى.

وأما موضع كهفهم:

فقيل: إنه بمقربة من فلسطين.

وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لَوْشَةَ من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك، وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرَّقيم قد بقي بعض جُدُراتِه[1]، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها: مدينة دَقْيوس، والله أعلم.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩٥)، وقال بعد إيراد ذلك: «وإنما استسهلتُ ذكرَ هذا مع بُعْده؛ لأنه عجَبٌ يتخلَّد ذكره ما شاء الله ﷻ».

ومما يُبعِد ذلك: ما روي أن معاوية مرَّ عليهم وأراد الدخول إليهم، ولم يدخل معاوية الأندلس قط، وأيضًا فإن الموتى الذين في غار لَوْشَةَ يراهم الناس، ولم يدرك أحدًا الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ﴾ عبارةٌ عن إلقاء النوم عليهم.

وقال الزمخشري: المعنى: ضربنا على آذانهم حجابًا، ثم حذف هذا المفعول(١).

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: كثيرةً.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم.

﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ أي: لنعلم علمًا يظهر في الوجود؛ لأن الله قد كان علم ذلك.

والمراد بالحزبين: الذين اختلفوا في الكهف في مدة لبثهم، فالحزب الواحد: أصحاب الكهف، والحزب الآخَر: القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم.

وقيل: إن الحزبين معًا أصحاب الكهف؛ إذ كان بعضهم قد قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وقال بعضهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماض، و﴿أَمَدًا﴾ مفعول به.

وقيل: ﴿أَحْصَىٰ﴾ اسم للتفضيل، و﴿أَمَدًا﴾ تمييز، وهذا ضعيف؛ لأن «أفعلَ مِن» التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي، إلَّا في الشاذِّ.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤١٦).

[﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا
لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾
۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ
فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوَّينا عزمهم، وألهمناهم الصبر.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ يحتمل أن يريد:

قيامَهم من النوم.

أو قيامَهم بين يدي الملك الكافر، لما آمنوا ولم يبالوا به.

﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلـهًا لقلنا قولًا شططًا، والشَّطط: الجَوْر والتَّعدي.

﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيضٌ بمعنى التعجيز؛ أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابٌ من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطفٌ على المفعول في ﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: تركتموهم وتركتم ما يعبدون.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى «غير»، وهذا استثناء:

متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره.

ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله.

وفي مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله».

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾، والمعنى: أن بعضهم قال لبعض: إذ[1] فارَقْنَا الكفارَ فلْنَجعل الكهف لنا مأوى، ونتّكل على الله؛ فإنه يرحمنا ويَرْفِق بنا.

﴿مِّرْفَقًا﴾ بفتح الميم وكسرها: ما يُرتفَق به ويُنتفَع.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ قبل هذا الكلامِ[2] محذوفٌ تقديره: فأوى القوم إلى الكهف، ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم.

ومعنى ﴿تَّزَٰوَرُ﴾: تميل وتروغ.

ومعنى ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم؛ أي: تَبْعُد عنهم، وهو من القَرْض بمعنى القطع.

وذات اليمين والشمال[3]: أي: جهتَه.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «إذا»، والمثبت أصوب، وموافق لما في المحرر الوجيز (٥/ ٥٧٧).
(٢) في هـ: «كلامٌ».
(٣) في ب: «وذات الشمال».

ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها، ولا عند غروبها؛ لئلا يحترقوا بحَرِّها.

فقيل: إن ذلك كرامةُ الله لهم، وخرْقُ عادةٍ.

وقيل: كان باب الكهف شماليًّا يستقبل بناتَ نَعْشٍ[1]، فلذلك لا تصيبهم الشمس.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مُفَتَّحٌ لإصابة الشمس[2]، ومع ذلك حجبها الله عنهم.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرْقَ عادةٍ.

وإن كان لكون بابهم إلى الشِّمال؛ فالإشارة إلى أمْرهم بجملته.

---

(١) بنات نعش: من الكواكب الشامية القريبة نجم القطب، وهي سبعة أنجم، أربعة منها نعشٌ؛ لأنها مربَّعة، قيل: شُبِّهت بحمَلة النعش في تربيعها، وثلاثةٌ بنات نعشٍ. انظر: كتاب الأنواء، لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، وتاج العروس (١٧/ ٤١٨).

(٢) عبارة الكشاف (٩/ ٤٢٦): «مع أنهم كانوا في مكان واسعٍ مُنفَتحٍ مُعرَّض لإصابة الشمس».

[﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم
بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾
وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ
بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا
﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا
﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ
يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم
مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أيقاظًا: جمع يَقِظ، وهو المنتبه، كانت أعينهم مفتوحةً وهم نائمون، فيحسبهم من يراهم أيقاظًا.

وفي قوله: ﴿أَيْقَاظًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ مطابقة، وهي من أدوات البيان.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: نقلِّبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم.

وروي أنهم كانوا يقلَّبون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبًا لأحدهم يصيد به.

وقيل: كان كلبًا لراع، فمرُّوا عليه فصحبهم، وتبعه كلبُه.

وأُعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضيّ؛ لأنه حكاية حال.

﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي: بباب الكهف، **وقيل**: عَتَبته، **وقيل**: الفناء.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة.

وقيل: لطول أظافرهم وشعورهم، وعِظَم أجرامهم.

وقيل: لوحشة مكانهم.

وعن معاوية أنه غزا الروم فمرَّ بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحًا فأحرقتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنمناهم كذلك بعثناهم؛ ليسأل بعضهم بعضًا، واللام في ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾ لام الصيرورة.

﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ولكنه لم يَعلم مقدارها؛ فأَسند علمها إلى الله.

﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ الوَرِق: الفضة، وكانت دراهم تزوَّدوها حين خروجهم إلى الكهف.

ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه.

ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة.

فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟.

فالجواب: أنهم كأنهم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، فابعثوا أحدكم.

﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل: إنها طَرَسُوسُ.

﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قيل: أكثرُ، وقيل: أحلُّ.

وروي: أنه أراد شراء زبيب، وقيل: تمر.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: في اختفائه وتحيُّله.

﴿إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة.

وقيل: معنى ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: بالقول.

والأول أظهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنمناهم وبعثناهم أطْلَعنا الناس عليهم.

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف؛ أي: أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور.

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿أَعْثَرْنَا﴾، أو مضمر تقديره: اذكر.

والمتنازعون: هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء؟.

وقيل: تنازعوا هل تحشر الأجساد، أو الأرواح بالأجساد؟، فأراهم الله حال أصحاب الكهف؛ ليعلموا أن الأجساد تحشر.

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ أي: على باب كهفهم، إما ليطمس أثَرهم[1]، وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخْذَ تربتهم تبرُّكًا.

وإما ليكون علَمًا على كهفهم يعرفُ[2] به.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة.

وقيل: يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحقَّ بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدًا لعبادة الله.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود، أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف.

﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ظنًا، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي.

﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قال قوم: إن الواو واو الثمانية؛ لدخولها هنا، وفي قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧]، وفي قوله في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وفي قوله في «براءة»: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال البصريون: لا تثبت واو الثمانية، وإنما الواو هنا كقوله: جاء زيد وفي يده سيف.

---

(١) في ج: «آثارهم».
(٢) في د: «ليُعرف».

قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا: ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[(١)].

وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبارٍ عن عددهم؛ لتدلَّ على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصحَّ الكلام[(٢)].

وكذلك دخلت السين في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول.

﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عِدَّتَهم إلَّا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب.

وقال ابن عباس: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم»[(٣)]؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، ولم يقل ذلك في ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: من المراء؛ وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج.

ومعنى الآية: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إلَّا مراء ظاهرًا؛ أي: غير متعمِّقٍ فيه، من غير مبالغة ولا تعنيف في الردِّ عليهم.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥٨٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠).

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحدًا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال.



[﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ
مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ وَٱتْلُ
مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٧
وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ
فُرُطًا ۝٢٨ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا
أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ
وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا ۝٣٠ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ
وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ
مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾].

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ سببها: أن قريشًا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوه عن فتيةٍ ذهبوا في الزمان الأول، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وهو ذو القرنين، وعن الروح؛ فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوه فقال: «غدًا أخبركم»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يومًا، فأوجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف، فقصَّ

عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذي القرنين[١]، وأنزل عليه هذه الآية؛ تأديبًا له وتعليمًا، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل.

وقوله: ﴿غَدًا﴾ يريد به الزمان المستقبل، لا اليوم الذي بعد يومه خاصة.

وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى، وتقديره: ولا تقولن لشيءٍ إني فاعل ذلك غدًا إلَّا أن تقول: «إن شاء الله»، أو تقول: «إلَّا أن يشاء الله».

والمعنى: أن يعلِّق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته، ويبرأ هو من الحول والقوة.

وقيل: إن قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، والمعنى: لا تقولنَّ ذلك القول إلَّا أن يشاء الله أن تقوله؛ بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة - على هذا- راجعة إلى القول، لا إلى الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه، حكى هذا الزمخشري[٢]، وحكاه ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يُحكَى[٣].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس: الإشارة بذلك إلى الاستثناء؛ أي: استثنِ بعد مدةٍ إذا نسيت الاستثناء أولًا، وذلك على مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٣).
(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٤٤٩).
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩٠).

وأما مذهب مالك والشافعي: فإنه لا ينفع إلَّا إن كان متصلًا باليمين.

وقيل: معنى الآية: اذكر ربك إذا غضبت.

وقيل: اذكره إذا نسيت شيئًا؛ ليذكِّرَك ما نسيت.

والظاهر: أن المعنى: اذكر ربك إذا نسيت ذكره؛ أي: ارجع إلى الذكر متى غفَلت عنه، واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[(١)].

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ هذا كلامٌ أُمر النبي ﷺ أن يقوله، والإشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلى خبر أصحاب الكهف؛ أي: عسى أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوَّتي من خبر أصحاب الكهف.

واللفظ يقتضي أن المعنى: عسى أن يوفقني[(٢)] الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشدُ من خبر أصحاب الكهف وأقربُ إلى الله.

وقيل: إن الإشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلى المنسيِّ؛ أي: إذا نسيت شيئًا فقل: عسى أن يهديني الله إلى شيءٍ آخر هو أرشد من المنسيِّ.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ في هذا قولان:

أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب؛ يدلُّ على ذلك ما في قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم»، وهو معطوف على ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣).

(٢) في د: «يؤتيني».

فقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ ردٌّ عليهم في هذا العدد المحكي عنهم.

القول الثاني: أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيانٌ لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾، ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ - على هذا -: أنه أعلم مِن الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فإخباره هو الحق؛ لأنه أعلم من الناس، فكأن قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ احتجاجٌ على صحة ذلك الإخبار.

وانتصب ﴿سِنِينَ﴾:

على البدل من ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ﴾، أو عطف البيان.

أو على التمييز.

وذلك على قراءة التنوين في ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ﴾.

وقرئ بغير تنوين: على الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد.

﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعه!؛ لأن الله يدرك الخفيَّات كما يدرك الجليَّات.

﴿مَا لَهُم﴾ الضمير: لجميع الخلق، أو للمعاصرين للنبي ﷺ.

﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ هو خبر؛ على القراءة بالياء والرفع.

وقرئ بالتاء والجزم؛ على النهي.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يَحتمل أن يراد بالكلمات هنا:

القرآن؛ فالمعنى: لا يبدِّلُ أحد القرآن ولا يغيره.

ويَحتمل أن يريد بالكلمات: القضاء والقدر.

﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأً تميل إليه.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبسْها صابرًا.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ هم فقراء المسلمين، كبلال وصهيب وخباب، وكان الكفار قد قالوا له: اطرد هؤلاء نجالسْك نحن، فنزلت الآية.

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قيل: المراد الصلوات الخمس.

وقيل: الدعاء على الإطلاق.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتجاوزْ عنهم إلى أبناء الدنيا، قال الزمخشري: يقال عداه: إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بـ «عن»؛ لأنه تضمن معنى: نَبَتْ عينه عن الرجل: إذا احتقرَه[1].

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال، فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليلٍ لفعل المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا.

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي: جعلناه غافلًا، أو وجدناه غافلًا.

وقيل: إنه يعني عيينة بن حصن الفَزَاري، والأظهر: أنها مطلقة من غير تعيين.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٦٠).

﴿فُرُطًا﴾ من التَّفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو الحق.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ لفظه: أمرٌ وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر، فيختارُ كل إنسان لنفسه؛ إما الحق الذي ينجيه، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديدٌ.

﴿سُرَادِقُهَا﴾ السُّرداق في اللغة: ما أحاط بالشيء، كالسُّور والجدار.

وأمَّا سرادق جهنم: فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهى حرُّه، روي ذلك عن النبي ﷺ(١).

وقيل: ما أذيب من الرَّصاص وشبهه.

﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: شيئًا يرتفق به؛ فهو من الرِّفق(٢).

وقيل: يُرتَفق عليه؛ فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضٌ.

ويجوز أن يكونا خبرين.

أو يكون ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ الخبر، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كلام مستأنف، ويَقوم العموم في قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدَّر: من أحسن عملًا منهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧١)، والترمذي (٢٥٨١).

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «به»، والمثبت موافق لما في تفسير الطبري (١٥/ ٢٥٣).

وروي أن النبي ﷺ قال: «إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم»(١).

﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أُسوار، أو سِوار، وهو ما يجعل في الذراع.

وقيل: أساور جمع أَسْوِرة، وأسورة جمع سِوار.

﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرَّة والفُرُش.



---

(١) أخرج أبو جعفر النحاس بإسناده في معاني القرآن (٢٣٥): «عن البراء بن عازب قال: قدم أعرابي الى رسول الله ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته الصهباء، فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾؟ قال النبي ﷺ: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم منك ببعيد هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فأعلم قومك أن هذا الآية نزلت في هؤلاء الأربعة»، وذكره السهيلي بإسناده إلى أبي جعفر النحاس في التعريف والإعلام (ص: ١٨٤).

[﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمَا زَرْعًا ٣٢ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ٣٣
وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ٣٤ وَدَخَلَ
جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ
أَحَدًا ٣٨ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا
٤٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ
خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ٤٤ ﴾].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير: للكفار الذين قالوا: اطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم؛ أي: مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين.

وهما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالًا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيَّره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر.

وروي أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر فوطس.

وقيل: كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله.

﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تَنقُصْ.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ﴾ بضم الثاء والميم: أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة.

وقيل: هو الذهب والفضة خاصة.

وهو من ثمَّر مالَه: إذا كثَّره، ويجوز إسكان الميم تخفيفًا.

وأما بفتح الثاء والميم: فهو المأكول من الشجر، ويَحتمل المعنى الآخر.

﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾ أي: يراجعه في الكلام.

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: الأنصارَ والخدَم.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أفرد الجنة هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين؛ إذ لا يمكن دخول الجنتين معًا في دَفعةٍ واحدة.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ إما بكفره، أو بمقالته لأخيه؛ فإنها تتضمن الفخر والكِبْر والاحتقار لأخيه.

﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ يَحتمل أن تكون الإشارة:

إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلًا ببقاء هذا الوجود، كافرًا بالآخرة.

أو تكون الإشارة إلى جنته، فيكون قوله إفراطًا في الاغترار وقلة التحصيل.

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم أخي، لأجدنَّ في الآخرة خيرًا من جنتي في الدنيا.

وقرئ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة.

﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: مرجعًا.

﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرًا بالله؛ لشكِّه في البعث.

﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ كما تقول سوَّاك إنسانًا.

ويَحتمل أنْ قَصَدَ الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا: «لكنْ أنا»، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون.

وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك: بأن تكون «لكن» لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا» و«ضربنا»، ثم أدغمت النون في النون.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآيةَ؛ وصيةٌ من المؤمن للكافر، و«لولا» تحضيضٌ.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يَحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: أمرًا مهلكًا، كالحرِّ والبرد ونحو ذلك.

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد: وجه الأرض، والزَّلَق: الذي لا يثبت فيه قدم، يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته.

﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ذاهبًا، وهو مصدر وصف به.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ عبارةٌ عن هلاكها(١).

﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارةٌ عن تلهفه وتأسفه وندمه.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد: أن السُّقُف وقعت وهي العروش، ثم تهدَّمت الحيطان عليها، فالحيطان على العروش.

وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عروشُها، ثم سقطت الكروم عليها.

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك:

على وجه التمني لمَّا هلَك بستانه.

أو على وجه التوبة من الشرك.

﴿هُنَالِكَ﴾ ظرفٌ يَحتمل:

أن يكون العامل فيه ﴿مُنتَصِرًا﴾.

أو يكون في موضع خبر ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو: بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها: من الموالاة والمودَّة.

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة.

---

(١) في ب: «إهلاكها».

[﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾].

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطًا؛ أي: ملتفًّا بعضه ببعض من شدة تكاثفه.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي: متفتّتًا، و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا بمعنى «صار».

﴿تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ﴾ أي: تفرّقه، ومعنى المثل: تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الآيةَ؛ هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان.

وقرئ: «زينتا» بالتثنية؛ لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة؛ لأنها مصدر.

﴿وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٤)، (١/ ٧٢٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٨).

وقيل: الصلوات الخمس.

وقيل: الأعمال الصالحات على الإطلاق.

﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي: نحملها، ومنه قوله: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] وبعد ذلك تصير هباءً.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرةً؛ لزوال الجبال عنها.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ قال الزمخشري: إنما جاء ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ بلفظ الماضي بعد قوله: ﴿نُسَيِّرُ﴾؛ للدلالة على أن حشْرَهم قبل تسيير الجبال؛ ليُعاينوا تلك الأهوال[١].

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي: لم نتركْ.

﴿صَفًّا﴾ أي: صفوفًا، فهو إفراد تَنزَّل منزلة الجمع، وقد جاء في الحديث: «إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًّا، أنتم منها ثمانون صفا»[٢].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ.

و﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: حفاةً عراة غُرْلا.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، فـ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ اسم جنس.

* * *

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢٨).

[﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾].

﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كلام مستأنف، جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع؛ فإن الجن صنف غير الملائكة.

وقد يجيب عن ذلك من قال: إنه كان من الملائكة:

بأنَّ ﴿كَانَ﴾ هنا بمعنى «صار»؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن.

أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن، وهم الذين خُلِقوا من نار.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عما أمره[(١)] به، والفسق في اللغة: الخروج.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هذا توبيخٌ ووعظ، وذرية إبليس: هم الشياطين، واتخاذهم أولياء: بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ الضمير:

للشياطين على وجه التحقير لهم.

---

(١) في أ، ب: «أمر».

أو للكفار.

أو لجميع الخلق، فيكون فيه ردٌّ على المنجِّمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرِّصة.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: مُعِينًا، ومعنى ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾: الذين يُضِلون العباد، وذلك يقوِّي أن المراد الشياطين.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بيَّن هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

﴿مَّوْبِقًا﴾ أي: مَهْلكًا، وهو اسم موضع، أو مصدر من: وَبقَ الرجل: إذا هلَك.

وقد قيل: إنه وادٍ من أودية جهنم.

والضمير في ﴿بَيْنَهُم﴾: للمشركين وشركائهم.

﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظنُّ هنا بمعنى اليقين.

﴿مَصْرِفًا﴾ أي: مَعدِلًا ينصرفون إليه.

[﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ
جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ
سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾
وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ
لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾].

﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذمَّ الجدل.

وسببها فيما قيل: مجادلة النضر بن الحارث، على أن الإنسان(١) يراد به الجنس.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ الآية؛ معناها: أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو يأتيهم العذاب؛ يعني: عذاب الآخرة.

ومعنى ﴿قِبَلًا﴾: معاينة.

وقرئ بضمتين، وهو جمع قَبيل؛ أي: أنواعًا من العذاب.

(١) في د زيادة: «هنا».

﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾ أي: يبطلوا.

﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ يعني: العذاب.

و«ما»: موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه، أو مصدرية.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبةٌ على الإعراض المحكيِّ عنهم، أو تعليلٌ له.

والأكنة: جمع كِنَانٍ وهو الغطاء، والوَقْرُ: الصَّمم، وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن، وعدم استجابتهم للإيمان.

﴿فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ يراد به: مَن قضى الله أنه لا يؤمن.

﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم﴾ الضمير: لكفار قريش، أو لسائر الناس، كقوله: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ [النحل: ٦١]، والجملة خبر المبتدإ، و﴿ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر؛ توطئةً لما ذكر بعدُ من ترك المؤاخذة.

ويَحتمل أن يكون ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ هو الخبر، و﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم﴾ بيان لمغفرته ورحمته.

والأول أظهر.

﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر.

﴿مَوۡئِلٗا﴾ أي: منجًى، يقال: وأَلَ الرجلُ: إذا نجا(١).

---

(١) في أ: «أي: ملجأ.. لجأ» وهما بمعنىً واحد. تفسير الطبري (١٥٣٠٤/)، والكشاف (٥٠٣/٩).

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يعني: عادًا وثمودًا وغيرَهم من المتقدمين.

والمراد: أهل القرى؛ ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

وفي ضمن هذا الإخبار تهديدٌ لكفار قريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي: وقتًا معلومًا، والمُهْلَكُ هنا - بضم الميم وفتح اللام -: اسم مصدر من «أهلك»، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعدٍّ.

وقرئ بفتح الميم، من «هلَك»، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.



[﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ هذا ابتداءُ قصة موسى مع الخَضِر، وهو موسى بن عمران نبي الله.

وقال قوم: هو موسَى آخَرُ، وذلك باطل، ردَّه ابن عباس وغيره، ويدلُّ الحديث على بطلانه.

وفتاه: هو يُوشَعُ بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتى هنا: بمعنى الخَدِيم.

وسبب القصة فيما روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أن موسى عليه السلام خطب يومًا في بني إسرائيل، فقيل له: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بل[1] عبدنا الخضر أعلم منك، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتًا في مِكْتَل ويسير بطول سِيف

(١) في ب، د: «بلى».

البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك، ففعل موسى ذلك حتى لقيه[1].

﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر أي: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فحذف خبر ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ اختصارًا؛ لدلالة المعنى عليه.

ومعنى ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة «لا أبرح» تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة.

و﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: عند طَنْجَةَ، حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس.

وقيل: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق.

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا﴾ أي: زمانًا طويلًا، والحُقب - بضم القاف وإسكانها - ثمانون سنة.

وقيل: زمان غير محدود.

وقيل: هو جمع حِقْبة، وهي السنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾ الضمير في ﴿بَلَغَا﴾ لموسى وفتاه، والضمير في ﴿بَيۡنِهِمَا﴾ للبحرين.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نَسب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتى وحده، كما تقول: فعل بنو فلان كذا: إذا فعله واحد منهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

وقيل: نسي الفتى أن يقدِّمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء.

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل ﴿ٱتَّخَذَ﴾: الحوت، والمعنى: أنه سار في البحر:

فقيل: إن الحوت كان ميتًا مملوحًا، ثم صار حيًّا بإذن الله، ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس: إنما حيي الحوت؛ لأنه مسَّه ماءُ عين يقال لها: عين الحياة، ما مست قطُّ شيئًا إلَّا حَيِيَ، وفي الحديث: أن الله أمسك جَرْيَة الماء عن الحوت فصار مثل السَّرَب[1]، وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى عليه السلام.

وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البر سرَبًا حتى وصل إلى البحر، فعامَ على العادة. ويردُّ هذا ما ورد في الحديث.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزَا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها فسار[2] الحوت في البحر بينما كان موسى نائمًا، وكان ذهاب الحوت أمارةَ لقائه للخضر، فلما استيقظ موسى أصابه الجوع، فقال لفتاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾.

﴿نَصَبًا﴾ أي: تعبًا.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هنا بمعنى: أخبرني، ثم قال: فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام؛ فإن كل واحد من ﴿أَرَءَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾ و﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ لا متعلَّق له؟.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) في ب، ج، د: «فصار».

فالجواب: أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يُوشَع ما رأى منه، وما اعتراه ومن نسيانه فدُهِشَ، فطَفِق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، فحذف بعض الكلام[1].

﴿نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ أي: نسيتُ أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، فتقديره: نسيتُ ذِكْرَ الحوت.

﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدلٌ من الهاء في ﴿أَنسَانِيهُ﴾، وهو بدل اشتمال.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

من كلام يُوشَع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس.

أو يكون إخبارًا من الله تعالى:

أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس.

أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبًا؛ أي: تعجَّب هو منه.

وإعراب ﴿عَجَبًا﴾: مفعول ثان لـ ﴿ٱتَّخَذَ﴾، مثل ﴿سَرَبًا﴾.

وقيل: إن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾، ثم ابتدأ التعجُّب فقال: ﴿عَجَبًا﴾، وذلك بعيد.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: فقْدُ الحوت هو ما كنا نطلب؛ لأنه أَمارةٌ على وِجدان الرجل.

﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا في طريقهما يقصَّان أثرهما

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٥١١ - ٥١٢).

الأول؛ لئلا يخرجا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال: إن الخضر نبيٌّ.

وقيل: إنه ليس بنبيٍّ، ولكنه وليٌّ.

وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلَّا بوحي.

واختُلف أيضًا هل مات أو هو حيٌّ إلى الآن؟ ويذكر كثيرٌ من الصُلَحاء أنهم يرونه ويكلِّمهم.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث: أن موسى وجد الخضر مسجًّى بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنَّى بأرضك السلام؟، قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أو لم يكن لك في بني إسرائيل ما يَشْغَلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلَّمَ منك، قال: إني على علم من علم الله علَّمَنِيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علَّمَكهُ لا أعلمه أنا[1].

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآيةَ؛ مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلَّم منه.

﴿رُشْدًا﴾ قرئ: بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما، والمعنى واحد.

وانتصَب على أنه: مفعول ثانٍ بـ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، أو حال من الضمير في ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

[﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا
إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ
وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ
نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ
إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ
أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ
تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن
يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾
وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ
أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾].

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر.

وفي الحديث: «أنهما انطلقا ماشيين على سِيف البحر، حتى مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر فحُمِلا فيها بغير نَوْلٍ[1]؛ أي: بغير أجرة[2].

﴿خَرَقَهَا﴾ روي أن الخضر أزال لوحين من ألواحها.

﴿شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا، وقيل: منكرًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في القاموس المحيط من معاني النَّوْلِ: أجرةُ السفينة خاصةً.

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يعني: بعد نزولهما من السفينة، فمرًّا بغِلمان يلعبون، وفيهم غلام وضيءُ الصورة، فاقتلع الخضر رأسه.

وقيل: ذبحه.

وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه.

والأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح(١).

وروي أن اسم الغلام جَيْسُور - بالجيم -، وقيل: بالحاء المهملة.

قال الزمخشري: إن قلت: لم قال: ﴿خَرَقَهَا﴾ بغير فاء، وقال: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ بالفاء؟.

فالجواب: أن ﴿خَرَقَهَا﴾ جواب الشرط، و﴿قَتَلَهُۥ﴾ من جملة الشرط معطوف عليه، والجزاء: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾.

فإن قلت: لم خولف بينهما؟

فالجواب: أن خَرْق السفينة لم يتعقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتلُ لقاءَ الغلام(٢).

﴿نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ، فمعنى ﴿زَاكِيَةً﴾ ليس له ذنب.

وقيل: إنه كان بالغًا، ولكنه لم ير له الخضر ذنبًا.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسًا لم يكن بقتله بأسٌ على وجه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٥٢٢).

القِصاص، وهذا يدلُّ على أن الغلام كان بالغًا؛ فإن غير البالغ لا يُقتَل وإن قتل نفسًا.

﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ أي: منكرًا، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْرًا﴾، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بزيادة ﴿لَّكَ﴾، فيه من الزجر والإغلاط ما ليس في قوله أولًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة، وإن لم يتقدم لها ذكْرٌ، ولكن سياق الكلام يدل عليها.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرتَ إليّ، فأنت معذور عندي.

وفي الحديث: «كانت الأولى من موسى نسيانًا»[1].

﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكِيَةُ.

وقيل: بَرْقَةُ.

وقال أبو هريرة وغيره: هي بالأندلس، ويُذكَر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة.

﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ أي: طلبَا منهم طعامًا.

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يسقط، وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته: أنه قارب أن ينقضَّ.

---

(١) تقدم تخريجه.

ووزن ﴿يَنقَضَّ﴾ يَنْفَعِل، وقيل: يَفْعَلّ -بالتشديد- كيَحْمَرّ.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مسَحه بيده وأقامه فقام.

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: قال موسى للخضر: لو شئت لاتخذتَ عليه أجرًا؛ أي: طعامًا نأكله.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا؛ لأجل شرطه في قوله: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾، على أن قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ليس بسؤال، ولكن في ضمنه أمرٌ بأخذ الأجرة عليه؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام.

والبَيْنُ هنا: ليس بظرف، وإنما معناه: الوُصْلة والقُرْب.

وقال الزمخشري: الأصل: «هذا فراقٌ بينيَ وبينَك» بتنوين «فراق» ونصب «بين» على الظرفية، ثم أضيف المصدر إلى الظرف(١).

والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى السؤال الثالث، الذي أوجب الفراق.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: إنهم تجار، ولكنه قال فيهم: «مساكين» على وجه الإشفاق عليهم؛ لكونهم كانوا يُغصَبون سفينتهم، أو لكونهم في لجج البحر.

وقيل: كانوا عشرة إخوة، منهم خمسة عاملون بالسفينة، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم.

وقرئ: «مسَّاكين» بتشديد السين؛ أي: يمسكون السفينة.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٥٣٢).

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ قيل: معناه: قدَّامهم، وقرأ ابن عباس: «أمامهم».

وقال ابن عطية: إن ﴿وَرَآءَهُم﴾ على بابه، ولكن روعي به الزمان، فالوراء هو المستقبل، والأمام هو الماضي[١].

﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ عموم معناه[٢] الخصوص في الجياد الصِّحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود: «يأخذ كل سفينة صالحة».

وقيل: إن اسم هذا الملك هُدَدُ بن بُدَد، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح.

وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخَّرٌ في المعنى عن ذكر غَصْبها؛ لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها، وإنما قُدِّم للعناية به.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ روي أنه كان كافرًا، وروي أنه كان يفسد في الأرض.

﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر.

وقيل: إنه من كلام الله، وتأويلُه على هذا: «فكَرِهنا».

وقال ابن عطية: إنه من نحو ما وقع في القرآن من «عسى» و«لعل»، وإنما هو في حق المخاطبين[٣].

ومعنى: ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: يكلِّفهما ذلك، والمعنى: أنْ يحملَهما حبُّه على اتباعه، أو يَضُرَّ بهما مخالطته[٤] مع مخالفته لهما.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٤٧).

(٢) في ج، هـ: «يراد به».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٤٩).

(٤) في د: «بمخالطته».

﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ أي: غلامًا آخر خيرًا من الغلام المذكور المقتول.

﴿زَكَوٰةً﴾ أي: طهارةً وفضيلة في دينه.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمة وشفقة؛ فقيل: المعنى أن يرحمها، وقيل: يرحمانه.

﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم: من فقد أبويه قبل البلوغ.

وروي أن اسم الغلامين: أَصْرم وصَرِيم، واسم أبيهما: كاشح، وهذا يفتقر إلى صحة نقل.

﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قيل: مال عظيم.

وقيل: كان عِلْمًا في صحف مدفونة.

والأول أظهر.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قيل: إنه الأب السابع.

وظاهر اللفظ: أنه الأقرب.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله؛ لأنها في أمرٍ مُغَيَّب مستأنف لا يَعلم ما يكون منه إلَّا الله، وأسندها الخضرُ إلى نفسه في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ لأنها لفظة[1] عيب، فتأدَّب بأن لا يُسندَها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله؛ تأدبًا.

---

(١) في أ، ب: «لفظ».

واختلف في قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله؟.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ هذا[1] دليلٌ على نبوَّة الخضر؛ لأن المعنى أنه فعل ما فعل بأمر الله؛ أي: بوحْيِه.



(١) في ج: «في هذا».

[﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى
ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ
فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا
﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ
مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا
عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ
ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ
هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ السائلون: اليهود، أو قريش بإشارة اليهود.

وذو القرنين: هو الإسكندرُ الملك، وهو يوناني - وقيل: رومي -، وكان رجلًا صالحًا.

وقيل: كان نبيًّا.

وقيل: كان ملَكًا - بفتح اللام -.

والصَّحيح أنه ملِك - بكسر اللام -.

واختُلف لم سمّي ذا القرنين؟

فقيل: كان له ضَفِيرتان من شَعرٍ هما قَرْناه، فسمي بذلك.

وقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب؛ فكأنه حاز قَرْنَي الدنيا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ التمكين له: أنه ملَك الدنيا، ودانت له الملوك كلُّهم.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ أي: علمًا وفهمًا، يَتوصل به إلى معرفة الأشياء.

والسبب: ما يُتوصل به إلى المقصود من علم، أو قدرة، أو غير ذلك.

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا يوصله.

﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ قرئ بالهمز، على وزن «فَعِلة»؛ أي: ذات حَمْأةٍ[1].

وقرئ بالياء، على وزن «فاعلة».

وقد اختَلف في ذلك معاوية وابن عباس، فقال ابن عباس: «حمئة»، وقال معاوية: «حامية»، فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر، فقال: أمَّا العربية فأنتم أعلم بها مني، ولكني أجد في التوارة أنها تغرب في ماء وطين، فوافق ذلك قراءةَ ابن عباس[2].

ومعنى: ﴿حَامِيَةٖ﴾: حارة.

---

(١) في اللسان (١/ ٥٤): «الحمأة: الطين الأسود المنتن».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧٥).

ويَحتمل أن يكون بمعنى حمئة، ولكن سهلت همزته، فيتفق معنى القراءتين.

وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حَمْأَةٌ، وتكون حارَّة لحرارة الشمس، فتكون جامعةً للوصفين، ويجتمع معنى القراءتين.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ استدلَّ بهذا من قال: إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي.

ويَحتمل أن يكون بإلهام، فلا يكون فيه دليل على نبوته.

﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارًا، فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام، فيحسن إليهم.

وقيل: الحُسْن هنا: هو الأَسْر، وجعله حُسْنًا؛ بالنظر إلى القتل.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ اختار أن يدعوَهم إلى الإسلام، فمن تمادى على الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه.

والظلم هنا: الكفر، والعذاب: القتل.

وأراد بقوله: ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾: عذاب الآخرة.

﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ المراد بالحسنى: الجنة، أو الأعمال الحسنة.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعَدَهم بأن ييسِّر عليهم.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزِّنْج، وهم أهل الهند ومن وراءهم.

ومعنى: ﴿لَّمۡ نَجۡعَل﴾ الآيةَ: أنهم ليس لهم بنيان؛ إذ لا تحتمل[(١)] أرضهم البناءَ، وإنما يدخلون من حرِّ الشمس في أسرابٍ تحت الأرض.

وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم[(٢)].

وقيل: السِّتر: اللباس، فكانوا - على هذا - لا يلبسون الثياب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أَمْرُ ذي القرنين كذلك؛ أي: كما وصفناه؛ تعظيمًا لأمره.

وقيل: إن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ راجع لما قبله؛ أي: لم نجعل لهم سترًا كما جعلنا لكم من المباني والثياب.

وقيل: المعنى: وجَد عندها قومًا كذلك؛ أي: مثل القوم الذين وَجد عند مغرب الشمس، وفعل معهم مثل فعله.

﴿بَيۡنَ ٱلسُّدَّيۡنِ﴾ أي: الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض.

وقرئ بالضم والفتح، وهما بمعنى.

وقيل: ما كان من خِلْقة الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا﴾ قيل: هم التُّرْك.

﴿لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ عبارةٌ عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، فهم لا يفقهون القول إلَّا بالإشارة أو نحوها.

---

(١) في ج: «تحمل».
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٥٧).

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم، في خِلْقتهم[١] تشويه، منهم مُفْرِط الطول ومفرط القِصَر.

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إفسادهم: بالقتل والظلم وسائر وجوه الشرّ.

وقيل: كانوا يأكلون بني آدم.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا﴾ «هل» استفهام في ضمنه عرْضٌ ورغبة.

والخَرْجُ: الجباية، ويقال فيه: خرَاج، وقد قرئ بهما.

فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالًا ليقيم بها السُّدَّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ أي: ما بسَط الله لي من الملك خير من خرجكم؛ فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي.

﴿رَدْمًا﴾ أي: حاجزًا حصينًا، والرَّدْم أعظم من السد.

﴿سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي: بين الجبلين.

﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ يريد نفخ الكِير؛ أي: أوقدوا النار على الحديد.

﴿قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا مذابًا، وقيل: هو الرصاص.

وروي أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل البنيان من زُبَرِ الحديد، حتى ملأ به ما بين الجبلين، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب.

﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل ﴿ٱسْطَـٰعُوٓا۟﴾: استطاعوا، وحذفت التاء تخفيفًا.

---

(١) في هـ: «خلقهم».

والضمير في ﴿يَظْهَرُوهُ﴾ للسدّ، ومعنى ﴿يَظْهَرُوهُ﴾: يَعلوه ويَصعَدوا على ظهره، فالمعنى: أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السدِّ؛ لارتفاعه، ولا يَنقبوه؛ لقوَّته.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين، وأشار إلى الرَّدم.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني: القيامةَ.

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآ﴾ أي: مبسوطًا مسوًّى بالأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿وَتَرَكْنَا﴾ لله ﷻ.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَحتمل:

أن يريد به: يوم القيامة؛ لأنه قد تقدَّم ذكره، فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ - على هذا - لجميع الناس.

أو يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كمال السدّ، والضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ - على هذا - ليأجوج ومأجوج.

والأول أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، فيتصل الكلام.

و﴿يَمُوجُ﴾ عبارةٌ عن اختلاطهم واضطرابهم.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ الصُّور: هو القرن الذي يُنفَخ فيه يوم القيامة حسَبما جاء في الحديث[1]، يَنفخ فيه إسرافيل نفختين، إحداهما للصعق، والأخرى للقيام من القبور.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠).

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ﴾ عبارةٌ عن عمى بصائرهم وقلوبهم، وكذلك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.

* * *

[﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا
﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾
قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا
﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾].

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكى عنهم أنهم يقولون: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبا: ٤١].

والعباد هنا: مَن عُبِد مع الله ممن لا يريد ذلك، كالملائكة وعيسى بن مريم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي: يسَّرنا.

﴿نُزُلًا﴾ ما ييسر[١] للضيف والقادم عند نزوله، والمعنى: أن جهنم لهم بدل النُّزُل، كما أن الجنة نزلٌ في قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

ويَحتمل أن يكون النزل موضع النزول.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ الآية في كفار العرب؛ لقوله: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾.

---

(١) في أ، هـ: «ما يتيسر»، وفي ب: «تيسر».

وقيل: في الرهبان؛ لأنهم يتعبّدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تقبل منهم.

وفي قوله: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس الخط، وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي: ليس لهم حسنةٌ توزن؛ لأن أعمالهم قد حبِطت.

﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسَبما ورد في الحديث[1]، ولفظ الفردوس أعجمي معرب.

﴿حِوَلًا﴾ أي: تحوُّلًا وانتقالًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ عن اتِّساع علم الله تعالى.

والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، فمعنى الآية: لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفَدْ علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخَرَ مثلِه؛ وذلك لأن البحر متناهٍ وعلم الله غير متناهٍ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزي رحمه الله: «إخبارٌ عن اتساع علم الله تعالى» إلخ، أقول: هذا صريح بتأويل كلام الله بعلمه، فالآية عند المؤلف إخبار عن سعة علم الله، لا عن دوام كلامه، وقد بنى هذا التأويل على قول الأشاعرة في كلام الله بأنه معنى نفسي غير مسموع منه، وذلك في قوله: «والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس»، وهذا ظاهر في أنه يقرر القول بالمعنى النفسي، وقولُ الأشاعرة في كلام الله قول باطل مناقضٌ لدلالة العقل والشرع، فهو عندهم معنى نفسي ليس بصوت ولا حرف، واحد لا يتعدد، قديم لا تتعلق به مشيئة الله، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم، فكلام الله عند أهل السنة كلام مسموع، كما سمع موسى كلام =

﴿بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، والمدد: هو ما يُمَدُّ به الشيء أي: يُكَثَّر.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه: فالمعنى: يرجو حُسْنَ لقاءِ ربه، وأن يلقاه لقاءَ رضًا وقَبولٍ.

وإن كان الرجاء بمعنى الخوف: فالمعنى: يخاف سوءَ لقاء ربه.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ يَحتمل:

أن يريد الشرك بالله، وهو عبادة غيره؛ فيكون راجعًا إلى قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

أو يريد الرياء؛ لأنه الشرك الأصغر.

واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

(كمل تفسير سورة الكهف، وبتمامها تمَّ جميع النصف من البقرة من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين يتلوه إن شاء الله تفسير سورة مريم عليها السلام)[1].

= الله من الله، أي: بلا واسطة، وهو متعدد، فهو حروف وكلمات، وسور وآيات، وهو سبحانه يتكلم بما شاء، إذا شاء، كيف شاء، كما أخبر أنه قال، ويقول، ونادى، وينادي، كما دلَّت على ذلك الآيات. والله أعلم.

(١) كذا في ب، وورد في أ هكذا: «كمل الجزء الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ويتلوه الثاني إن شاء الله، ومن الله أرجو العون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».
وورد في ج هكذا: «كمل تفسير سورة الكهف، والحمد لله، وبتمامها تم السفر الأول، ويتلوه في الثاني إن شاء الله تعالى سورة مريم عليها السلام، وصلى الله على محمد».
ولم يرد في د، هـ

﴿ سورة مريم عليها السلام ﴾[(١)]

[﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً
خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن
لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى
غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ
رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ
ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ
ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ
وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾].

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قد تكلَّمنا في «البقرة» على حروف الهجاء[(٢)].

وقيل في هذا: إن الكاف من «كريم» أو «كبير» أو «كافٍ»، والهاء من

---

(١) في ب، ج هنا زيادة: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

(٢) انظر (١/ ٢٦١).

«هادي»، والياء من «علي»، والعين من «عزيز» أو «عليم»، والصاد من «صادق».

وكان علي بن أبي طالب يقول في دعائه: «يا كهيعص»[١] فيَحتمل: أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالى.

أو ينادي بالأسماء التي اقتُطعت منها هذه الحروف.

﴿ذِكْرُ﴾ تقديره: هذا ذكر.

﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ﴾ وصَفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وتقريبه.

ونصب ﴿عَبْدَهُۥ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿رَحْمَتِ﴾؛ فإنها مصدرٌ أُضيف إلى الفاعل، ونَصَب المفعولَ.

وقيل: هو مفعول بفعلٍ مضمر، تقديره: رَحِم عبدَه، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلُّفُ الإضمار من غير حاجة إليه، وقطعُ العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعني: دعاه.

﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ أخفاه:

لأن الله يسمع الخفيَّ كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقربُ إلى الإخلاص، وأبعدُ من الرياء.

أو لئلا يلومَه الناس على طلب الولد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥١).

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ أي: ضعف.

﴿وَٱشْتَعَلَ﴾ استعارةٌ للشيب، من اشتعال النار.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: قد سعدتُ بدعائي لك فيما تقدَّم، فاستجب لي في هذا، فتوسَّلَ إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ يعني: الأقاربَ:

قيل: خاف أن يرثوه دون نسله.

وقيل: خاف أن يضيِّعوا الدِّين مِن بعده.

﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي: مِن بعدي.

﴿عَاقِرًا﴾ أي: عقيمًا.

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يعني: وارثًا.

﴿يَرِثُنِى﴾ قيل: يعني وِراثة المال.

وقيل: وراثة العلم والنبوة، وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»(١).

وكذلك يرثُ من آل يعقوب العلمَ والنبوة، وقيل: الملك.

ويعقوب هنا: هو يعقوب بن إسحاق على الأصحِّ.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٩٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٩٨)، وهو في الصحيحين بلفظ: «لا نورث، ما تركناه صدقة» أخرجه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨).

﴿رَضِيًّا﴾ أي: مرضيّ[1]، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿سَمِيًّا﴾ يعني مَن سُمِّي باسمه.

وقيل: مثيلًا ونظيرًا.

والأوَّل أحسن هنا.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تعجُّبٌ واستبعادٌ أن يكون له ولد مع شيخوخته وعُقْم امرأته، فسأل ذلك أولًا؛ لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجَّب منه؛ لأنه نادرٌ في العادة.

وقيل: سأله وهو في سنٍّ من يرجوه، وأُجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ.

﴿عِتِيًّا﴾ قيل: يُبسًا في الأعضاء والمفاصل.

وقيل: مبالغةٌ في الكِبَر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع رفْعٍ؛ أي: الأمرُ كذلك؛ تصديقًا له فيما ذَكر مِن كِبَره وعُقْم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، ثم يبتدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾.

وقيل: إن الكاف في موضع نصبٍ بـ﴿قَالَ﴾، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى مبهم يفسِّره: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

﴿اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي: علامةً على حمل امرأته.

﴿سَوِيًّا﴾ أي: سليمًا غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في

---

(١) في د: «مرضيًا».

﴿تُكَلِّمَ﴾، والمعنى: أنه لا يكلِّمُ الناس مع أنه سليم من الخَرَس.

وقيل: إن ﴿سَوِيًّا﴾ يرجع إلى الليالي؛ أي: مستوياتٍ.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار.

وقيل: كَتَبه في التراب؛ إذ كان لا يَقدِر على الكلام.

﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ قيل: معناه: صلُّوا، والسُّبْحة في اللغة: الصلاة.

وقيل: قولوا[١]: سبحان الله.

﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد وِلادته: يا يحيى.

﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: في العلم به، والعمل به.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الحكمُ: معرفة الأحكام.

وقيل: الحكمة.

وقيل: النبوَّة.

﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه: رحمةً.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الحنان![٢].

﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي: طهارةً.

وقيل: ثناءً، كما يزكِّي الشاهدُ.

---

(١) في أ، ب: «قوله».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧٧).

[﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن
دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ
مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ
هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ
فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ
هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا
﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ
فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ
أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا
كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا
شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ
مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ
أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾
فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ
يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ
فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والكتاب: القرآن.

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت.

﴿مَكَانًا شَرۡقِيًّا﴾ أي: إلى جهة الشرق[١]، ولذلك يصلِّي النصارى إلى المشرق.

﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل.

وقيل: عيسى.

والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثَّل لها باتفاق.

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ١٨﴾ لما رأت الملك الذي تمثَّل لها في صورة البشر قد دخل عليها؛ خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه: إن كنت ممن يتقي الله فابعُد عني؛ فإني أعوذ بالله منك.

وقيل: إن ﴿تَقِيًّا﴾ اسم رجل معروف بالشرِّ عندهم، وهذا ضعيف بعيد.

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: هو عيسى عليه السلام.

وقرئ: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الربِّ جل جلاله.

وقرئ بهمزة المتكلم، وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه:

لأنه هو الذي أرسله الله بها.

أو يكون قال ذلك حكايةً عن الله تعالى.

﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغيُّ: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغيٍّ: فَعُول.

---

(١) في ب: «المشرق».

﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ الضمير للولد، واللام تتعلَّق بمحذوف تقديره: لنجعله آيةً فعَلْنا ذلك.

﴿فَحَمَلَتۡهُ﴾ يعني: في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانيةَ أشهر.

وقال ابن عباس: حملته وولدته من ساعته[1].

﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ أي: بعيدًا، وإنما بعُدت حياءً من قومها أن يظنوا بها الشرَّ.

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ معناه: ألجأها، وهو منقول مِن «جاء» بهمزة التعدية.

﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾ أي: النِّفاس.

﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ رُوي أنها احتضنت الجذع؛ لشدة وجع النفاس.

﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ﴾ إنما تمنَّت الموت خوفًا من إنكار قومها، وظنِّهم بها الشرَّ، ووقوعِهم في ذمِّها، وتمني الموت جائزٌ في مثل هذا، وليس هذا من تمني الموت لضرٍّ نزل بالبدن؛ فإنه منهيٌّ عنه.

﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا﴾ النَّسْيُ: الشيء الحقير الذي لا يُوبَه له[2]، ويقال بفتح النون وكسرها.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ قرئ «من» بفتح الميم وكسرها، وقد اختُلف على كلتا القراءتين: هل هو جبريل أو عيسى؟.

وعلى أنه جبريل:

قيل: إنه كان تحتها كالقابلة.

---

(١) في أ: «ساعة».

(٢) في ج، د، هـ: «به».

وقيل: كان في مكانٍ أسفلَ من مكانها.

﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ تفسيرٌ للنداء، فـ «أنْ» مفسِّرة.

﴿سَرِيًّا﴾ يعني: جدولًا، وهو ساقيةٌ من ماء كان قريبًا من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسَّره بذلك(١).

وقيل: يعني عيسى؛ فإن السَّرِيَّ الرجلُ الكريم.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كان جذعًا يابسًا، فخلق الله فيه الرُّطَب؛ كرامةً لها وتأنيسًا.

وقد استدلَّ بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبَّب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهزِّ النخلة.

والباء في ﴿بِجِذْعِ﴾ زائدة، كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل بـ ﴿تُسَاقِطْ﴾ النخلة.

وقرئ بالياء؛ والفاعل - على ذلك - الجذع.

و﴿رُطَبًا﴾ تمييز.

والجنيُّ معناه: الذي طاب وصلح لأن يُجتنَى.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي: كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السَّرِي.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٤٢) من حديث البراء مرفوعًا، ورواه الطبري في تفسيره عن البراء موقوفًا (١٥/ ٥٠٦).

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفسًا بما فعل[١] الله لك من وِلادة نبي كريم، أو من تيسير المأكول والمشروب.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ هي «إنْ» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة للتأكيد، و﴿تَرَيِنَّ﴾ فعل خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة؛ للتأكيد.

﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا عن الكلام.

وقيل: تعني: الصيام؛ لأن مِن شرطه في شريعتهم الصمت.

وإنما أُمِرت بالصمت؛ صيانةً لها عن الكلام مع المتَّهِمين لها، و[٢]لأن عيسى تكلَّم عنها.

وإخبارها[٣] بأنها نذرت الصمت[٤] كان بهذا الكلام.

وقيل: بالإشارة.

ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علِمت أن الله سيبين عذرها، فجاءت به من المكان القَصيِّ إلى قومها.

﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي: شنيعًا، وهو من الفِرية.

---

(١) في ج، د: «جعل».
(٢) في د: «أو».
(٣) في ب، هـ: «فإخبارها».
(٤) في هـ: «الصوم».

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ كان هارون عابدًا من[1] بني إسرائيل، شُبِّهت به مريم في كثرة العبادة؛ فقيل لها: أخته، بمعنى: أنها تشبهه.

وقيل: كان أخاها من أبيها، وكان رجلًا صالحًا.

وقيل: هو هارون النبي أخو موسى، وكانت من ذريته، فـ«أخت» على هذا كقولك: «أخو بني فلان»؛ أي: واحد منهم.

ولا يتصوَّر على هذا القول أن تكون أختَه من النسب حقيقةً؛ فإن بين زمانهما دهرًا طويلًا.

﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ أي: إلى ولدها ليتكلم، وصمتت هي كما أُمرت.

﴿كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ «كان» بمعنى: يكون، والمهد: هو المعروف.

وقيل: المهد هنا: حجرها.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: الإنجيل، أو التوراة والإنجيل.

﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة.

وقيل: نفَّاع.

وقيل: معلِّمٌ للخير.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ هما المشروعتان.

وقيل: الصلاة هنا: الدعاء، والزكاة: التطهير من العيوب.

---

(١) في د هـ: «في».

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾، روي أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال، على عادة البشر.

وفي كلامه هذا ردٌّ على النصارى؛ لأنه اعترف أنه عبد الله، وردٌّ على اليهود؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا؛ لتقدُّم السلام المنكَّر في قصة يحيى، فهو كقولك: رأيت رجلًا فأكرمت الرجل.

وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريضٌ بلعنة من اتَّهم مريم؛ كأنه قال: السلام كلُّه عليَّ لا عليكم، بل عليكم ضدُّه[(١)].

﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق، أو بدلٌ، أو خبرٌ بعد خبر.

وبالنصب: منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدِّم.

﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون؛ فهو من المراء.

أو: يشكُّون؛ فهو من المِرية.

والضمير لليهود والنصارى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى.

وقرئ بفتح الهمزة: تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ١٧).

وبكسرها: لابتداء الكلام.

وقيل: هو من كلام النبي ﷺ، والمعنى: يا محمد!، قل لهم: ذلك عيسى بن مريم، وإن الله ربي وربكم.

والأول أظهر.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ هذا ابتداءُ إخبارٍ، والأحزاب: اليهود والنصارى؛ لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافًا شديدًا، فكذَّبه اليهود وعبده النصارى، والحقُّ خلاف أقوالهم كلِّها.

﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ معناه: من تلقائهم، ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم.

﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يومَ القيامة.

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ أي: ما أسمعَهم وما أبصرَهم يوم القيامة!، على أنهم في الدنيا في ضلال مبين.

﴿يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾ هو يومُ يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت.

وقيل: هو يوم القيامة.

وانتصاب ﴿يَوۡمَ﴾ على المفعولية، لا على الظرفية.

﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ﴾ يعني: في الدنيا، فهو متعلِّق[1] بقوله: ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أو بـ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾.

---

(١) في ب، هـ: «يتعلق».

[﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝٤٦ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٤٨ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾].

﴿صِدِّيقًا﴾ بناءُ مبالغةٍ من الصدق، أو من التصديق، ووصفه بأنه صدِّيقٌ قبل الوحي، نبِيٌّ بعدَه.

ويَحتمل أنْ جَمع[1] الوصفين.

﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني: الأصنام.

﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي: قويمًا.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني: الرجم بالحجارة.

وقيل: الشتم.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: حينًا طويلًا، وعطف ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ على محذوف،

---

(١) في ج زيادة «بين».

تقديره: احذر رجمي لك.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ هو وداعٌ ومفارقة.

وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعدٌ، وهو الذي أُشير إليه في قوله: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

قال ابن عطية: معناه: سأدعو الله أن يهديَك فيغفرَ لك بإيمانك؛ وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز[١].

وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره؛ ولعلَّه كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه الله بذلك، ويقوِّي هذا القول قوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ومِثْل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»[٢].

﴿حَفِيًّا﴾ أي: بارًّا متلطِّفًا.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون.

﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه، وهبهما الله عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوَّة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

وقيل: المال والولد.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني: الثناءَ الباقيَ عليهم إلى آخر الدهر.

* * *

[﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ
إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ
عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا
٥٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨
۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن
تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي
وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ
رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ وَمَا نَتَنَزَّلُ
إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤ رَّبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾].

﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام: أي: أخلص نفسه وأعماله لله.

وبفتحها: أي: أخلصه الله للنبوَّة والتقريب.

﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبيَّ كل من أوحى الله إليه، ولا يكون رسولًا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبيٌّ، وليس كل نبي رسولًا.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ هو تكليم الله له.

﴿ٱلطُّورِ﴾ هو الجبل المشهور بالشام.

﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى حين وقف عليه.

ويَحتمل أن يكون من اليُمْن.

﴿نَجِيًّا﴾ النجيُّ: فعيل، وهو المنفرد بالمناجاة.

وقيل: هو من النجاة.

والأول أصح.

﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ «من»: سببية، أو للتبعيض.

و﴿أَخَاهُ﴾:

على الأول: مفعول.

وعلى الثاني: بدل.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ روي أنه وعد رجلًا إلى مكان، فانتظره فيه سنة.

وقيل: الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذا يدلُّ على قول من قال: إن الذبيح هو إسماعيل.

﴿إِدْرِيسَ﴾ هو أول نبيٍّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ قال ابن عباس: رفعه الله إلى السماء، وهناك مات، وفي حديث الإسراء: أنه في السماء الرابعة[1].

وقيل: يعني: رِفعةَ النبوة وتشريفَ منزلته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

والأول أشهر، ويرجِّحه الحديث.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى كل مَن ذكر في هذه السورة، من زكرياءَ إلى إدريس.

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ «مِن» هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض.

﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني: نوحًا وإدريس.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني: إبراهيم.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يَحتمل العطفَ على «مِن» الأولى، أو الثانية.

﴿وَبُكِيًّا﴾ جمع باكٍ، ووزنه فُعُول.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عَقِب الخير: خلَف - بفتح اللام -، وفي عقب الشر: خلْف - بالسكون - وهو المعنيُّ هنا.

واختُلف فيمن المراد بذلك؟

فقيل: النصارى؛ لأنهم خلَفوا اليهود.

وقيل: كلُّ من كفر وعصى مِن بعد بني إسرائيل.

﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها.

﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغيُّ: الخسران.

وقد يكون بمعنى الضلال؛ فيكون على حذف مضاف تقديره: يلقون جزاء غيٍّ.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناءٌ يَحتمل الاتصالَ والانقطاع.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: أخبرَهم من ذلك(١) بما غاب عنهم.

﴿مَأْتِيًّا﴾ وزنه مفعول؛ فقيل: إنه بمعنى فاعل؛ لأن الوعد هو الذي يأتي.

وقيل: إنه على بابه؛ لأن الوعد هو الجنة، وهم يأتونها.

﴿لَغْوًا﴾ يعني: ساقطَ الكلام.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناءٌ منقطع.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: المعنى: أن زمانهم يُقدَّر بالأيام والليالي؛ إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل.

وقيل: المعنى: أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبَّر عن ذلك بالبُكرة والعشيِّ؛ على عادة الناس في أكلهم(٢).

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له: «أبطأتَ عني واشتقتُ إليك»، فقال: «إني كنت أشوَقَ، ولكني عبدٌ مأمور؛ إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتَبست»، ونزلت هذه الآية(٣).

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: له ما قُدَّامنا وما خلفنا،

---

(١) في ب، ج: «بذلك».

(٢) في هـ: «في كلامهم».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤١٤).

وما نحن فيها[١] من الجهات والأماكن؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلَّا بأمر الله.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين النفختين.

وقيل: ما مضى من أعمارنا، وما بقي منها، والحالُ التي نحن فيها.

والأول أكثر مناسبةً لسبب الآية.

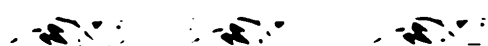
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذُّهول.

وقيل: بمعنى الترك.

والأول أظهر.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلًا ونظيرًا، فهو من المسامي والمضاهي.

وقيل: مَن يُسمَّى باسمه؛ لأنه لم يتسمَّ بالله غيره تعالى.



(١) في ج، هـ: «فيه».

[﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ
مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا
٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ
بِهَا صِلِيّٗا ٧٠ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ
وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا
٧٤ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا
ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ
هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ
بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨
كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ٨٠
وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ
عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢﴾].

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦﴾ هذه حكايةُ قولِ مَن أنكر البعث من القبور.

والإنسان هنا: جنس يراد به الكفار.

وقيل: إن القائل لذلك أبيُّ بن خلف، وقيل: أمية بن خلف.

والهمزة التي دخلت على ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ للإنكار والاستبعاد.

واللام في قوله: ﴿لَسَوۡفَ﴾ سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى.

والإخراج يراد به: البعث.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاجٌ على صحة البعث، وردٌّ على من أنكره؛ لأن النشأة الأولى دليلٌ على الثانية.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ﴾ يعني: قُرناءَهم من الشياطين الذين أضلُّوهم.

والواو:

للعطف.

أو بمعنى «مع»؛ فيكون ﴿الشَّيَٰطِينَ﴾ مفعولًا معه.

﴿جُثِيًّا﴾ جمع جاثٍ، ووزنه فُعُول، من قولك: جثا الرجل: إذا جلس جِلسة الذليل الخائف.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب، أو اتِّباع إنسان.

ومعنى الآية: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها، فيقدِّمه إلى النار.

وقال بعضهم: المعنى: نبدأ بالأكبر جُرْمًا فالأكبر جُرمًا.

﴿أَيُّهُمْ﴾ اختُلف في إعرابه:

فقال سيبويهِ: هو مبنيٌّ على الضم؛ لأنه حُذِف العائدُ عليه من الصِّلة - وكان التقدير: «أيُّهم هو أشدُّ» - فوجب البناء.

وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية، تقديره: الذي يقال له أشدُّ.

وقال يونس: عُلِّق عنها الفعل، وارتفعت بالابتداء.

﴿أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ الصُّلِيُّ: مصدرُ: صَلِيَ النارَ، ومعنى الآية: أن الله يعلم

من هو أولى بأن يُصلَى العذابَ.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطابٌ لجميع الناس عند الجمهور.

فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تَخمُد فلا تضرُّهم، فالورود على هذا بمعنى[1]: الدخول، كقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] و﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

وقيل: الورود بمعنى القدوم عليها، كقوله: ﴿وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] والمراد بذلك: جواز الصراط.

وقيل: الخطاب للكفار؛ فلا إشكال.

﴿حَتْمًا﴾ أي: أمرًا لا بدَّ منه.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول: فنجاة الذين اتقوا بكون النارِ عليهم بردًا وسلامًا، ثم بالخروج منها.

وإن كان بمعنى المرور على الصراط: فنجاتهم بالجواز، والسلامة من الوقوع فيها.

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان: هم المؤمنون والكفار.

والمقام: اسم مكان مِن قام.

وقرئ بالضم؛ من أقام.

والنديُّ: المجلس.

---

(١) في أ، ب، هـ: «المعنى».

ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقامًا؛ أي: أحسن حالًا في الدنيا، وأجمل مجلسًا؛ فنحن أكرم على الله منكم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ ﴿كَمْ﴾ مفعول بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

ومعنى الآية: ردٌّ على الكفار في قولهم المذكور؛ أي: ليس حُسْن الحال في الدنيا دليلًا على الكرامة عند الله؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالًا منكم في الدنيا.

﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لـ ﴿كَمْ﴾[(١)].

﴿أَثَٰثًا﴾ أي: متاع البيت.

وقال ابن عطية: هو اسمٌ عام في المال؛ العينِ والعَرْض[(٢)] والحيوان[(٣)].

وهو اسم جمع.

وقيل: هو جمع، واحده أثاثةٌ.

﴿وَرِءْيًا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء، معناه: منظر حسن، وهو من الرؤية، والرِّئْي: اسم المرئي.

وقرئ بتشديد الياء من غير همز، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفِقٌ.

وقيل: هو من رِيِّ الشارب؛ أي: التنعُّم بالمشارب والمآكل.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٨٣).

(٢) في د: «والعُروض».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٦٠).

وقرأ ابن عباس: «زِيًّا» بالزاي.

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ أي: يمهله ويُملي له، واختُلف هل هذا الفعل دعاءٌ، أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدًا؟.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا: غايةٌ للمدِّ في الضَّلال.

﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: عذابَ الدنيا.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة قولهم: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ ذُكر في «الكهف»[1].

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: مرجعًا وعاقبة.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل.

﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال: لئن بُعثتُ كما يزعم محمد ليكوننَّ لي هناك مال وولد.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والردُّ على العاصي في قوله.

﴿كَلَّاۚ﴾ ردعٌ له عن كلامه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلًا؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيد له فيه.

---

(١) انظر صفحة ٣١.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد.

ووِراثتُها: هي بأن يَهلِك العاصي ويتركَها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضي الله عنهما.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمعبودين، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للكفار فالمعنى كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ معناه: يكون لهم خلاف ما أمَّلوه منهم، فيصير العزُّ الذي أمَّلوه ذِلةً.

وقيل: معناه: أعداءً.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ
لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا
﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا
﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ
ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ
ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ
وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾].

﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تضمَّن معنى: «سلَّطنا»، ولذلك تعدَّى بـ «على».

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تُزعجهم إلى الكفر والمعاصي.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تستبطئ عذابَهم وتطلب تعجيلَه.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: نعدُّ مدَّة بقائهم في الدنيا.

وقيل: نعدُّ أنفاسهم.

﴿وَفْدًا﴾ قيل: معناه: ركبانٌ[١]، ومعنى الوفد لغة: القادمون، وعادتهم الركوب؛ فلذلك قيل ذلك.

وقيل: مُكْرمون؛ لأن العادة إكرام الوفود.

---

(١) في د: «ركبانًا».

﴿وِرۡدٗا﴾ معناه: عطاش[1]؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلّا للعطش.

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ الضمير يَحتمل:

أن يكون للكفار، والمعنى: لا يملكون أن يُشفع لهم، ويكون ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ استثناءً منقطعًا، بمعنى «لكن».

أو يكون الضمير للمتقين، فالاستثناء متصل، والمعنى:

لا يملكون أن يَشفعوا إلّا لمن اتخذ عهدًا.

أو لا يملكون أن يَشفع منهم إلّا من اتخذ عهدًا.

أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذُكِروا قبل ذلك؛ فالاستثناء - أيضًا - متصل، و﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾: يَحتمل أن يراد به الشافع، أو المشفوع له.

﴿عَهۡدٗا﴾ يريد به: الإيمانَ والأعمال الصالحة.

ويَحتمل أن يريد به: الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩].

والظاهر أن ذلك إشارةً إلى شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسي نفسي»[2].

﴿شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ أي: شنيعًا صعبًا.

﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ أي: يتشقَّقنَ من قول الكفار: اتخذ الله ولدًا.

---

(١) في د: «عطاشًا».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

﴿هَدًّا﴾ أي: انهدامًا.

﴿أَن دَعَوۡاْ﴾ أي: من أجل أن دعوا للرحمن وَلَدًا.

وقرئ ﴿وُلْدًا﴾ بضم الواو وإسكان اللام، وهي لغة.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ردٌّ على مقالة الكفار، والمعنى: أن الكل عبيده؛ فكيف يكون أحد منهم ولدًا له؟!.

و﴿إِن﴾ نافية، و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ هو المحبة والقَبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده.

وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

﴿يَسَّرۡنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك.

﴿قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ جمع ألَدّ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك: قريش.

وقيل: معناه: فُجَّارًا.

﴿أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى: أنهم لم يبق منهم أثر، وفي ذلك تهديد لقريش.

﴿ سورة طه ﴾

[طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ
خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا
نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى
﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ
طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾
فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ
﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾
قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾
لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾].

قيل في ﴿طه ﴿١﴾﴾: إنه من أسماء النبي ﷺ.

وقيل: معناه: يا رجل.

وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول «البقرة»[1].

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورَّمت قدماه، فنزلت الآية؛ تخفيفًا عنه، فالشَّقاء على هذا: إفراطُ التعب في العبادة.

وقيل: المراد به: التأسُّف على كفر الكفار.

واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل[١] عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ نصبٌ على الاستثناء المنقطع.

وأجاز ابن عطية أن يكون بدلًا من موضع ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله[٢]، ومنع ذلك الزمخشري؛ لاختلاف الجنسين[٣].

ويصح أن ينصب بفعل مضمر تقديره: أنزلناه تذكرةً.

﴿تَنزِيلًا﴾ نصبٌ على المصدرية، والعامل فيه: مضمر، أو ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾.

وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾، ثم رجع إلى الغَيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ الآيةَ، وذلك هو الالتفات.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ جمع عُليا.

﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ تكلَّمنا عليه في «الأعراف»[٤].

---

(١) في ج: «نزل».
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٧٩).
(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ١٢٤).
(٤) انظر (٢/ ٣٤٩).

﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ هو في اللغة: التراب النديْ، والمراد به هنا: الأرض.

﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السرَّ وأخفى.

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السرُّ: الكلام الخفيُّ، والأخفى: ما في النفس.

وقيل: السر: ما في نفوس البشر، والأخفى: ما انفرد الله بعلمه.

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تكلَّمنا عليها في «الأعراف»[1].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ لفظه استفهام، والمراد به: التنبيه.

﴿إِذْ رَءَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿حَدِيثُ﴾؛ لأن فيه معنى الفعل.

وكان من قصة موسى: أنه رحَل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار، فقدحه بزَنْدِه[2] فلم ينقدح، فرأى نارًا فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون.

﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي: رأيت.

﴿بِقَبَسٍ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها.

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ يعني: هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أُمر بخلع نعليه؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأُمر بخلع النجاسة.

---

(١) انظر (٢/ ٤٢٠).

(٢) في ج: «بزناده».

واختار ابن عطية: أن يكون أُمر بخلعهما ليتأدبَ، ويعظِّمَ البقعة المباركة ويتواضعَ في مقام مناجاة الله[١]، وهذا أحسن.

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهَّر.

﴿طُوًى﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي[٢]، وإعرابه على هذا: بدل، ويجوز تنوينه؛ على أنه مكان، وتركُ صرفِه؛ على أنه بقعة.

والثاني: أن معناه: مرتين، فإعرابه على هذا: مصدر؛ أي: قُدِّس الوادي مرةً بعد مرة، أو نُودي موسى مرةً بعد مرة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ **قيل**: **المعنى**: لتذْكُرني فيها.

وقيل: لأذكرَكَ بها.

فالمصدر:

على الأول: مضاف للمفعول.

وعلى الثاني: مضاف للفاعل.

وقيل: معنى ﴿لِذِكْرِيٓ﴾: عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي ﷺ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٨٢).

(٢) في ب: «الوادي».

استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها[(١)].

﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه:

فقيل: ﴿أُخۡفِيهَا﴾ بمعنى أظهرها، وأخفيت - على هذا - من الأضداد.

وقال ابن عطية: هذا قول مختلٌ[(٢)]؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف، من الإخفاء، وخفَى بغير ألف بمعنى: أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: «أَخفيها» بفتح همزة المضارع، وقد قرىء بذلك في الشاذ.

وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفَى[(٣)]؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلًا على هذه اللغة.

وقيل: ﴿أَكَادُ﴾ بمعنى «أريد»، فالمعنى: أريد إخفاءها.

وقيل: المعنى ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ﴾، وتمَّ هنا الكلام، بمعنى: أكاد أُنفِذها؛ لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: ﴿أُخۡفِيهَا﴾.

وقيل: المعنى: أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؟!.

وهذه الأقوال ضعيفة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٨٥).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ١٤٧).

وإنما الصحيح أن المعنى: أن الله أبْهم وقت الساعة فلم يُطْلِع عليه أحدًا[١]؛ حتى إنه كاد أن يُخفيَ وقوعَها؛ لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها؛ إذ أخبر بوقوعها، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة، و«كاد» على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه، وهذا المعنى هو اختيار المحققين.

﴿لِتُجْزَىٰ﴾ يتعلَّق بـ ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي: بما تعمل.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ الضيمر للساعة، أي: لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها.

وقيل: الضمير للصلاة، وهو بعيد.

والخطاب لموسى عليه السلام.

وقيل: لمحمد ﷺ، وذلك بعيد.

﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه: تَهلِك، والرَّدى: هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا مِن قلبها حيةً، فمعنى السؤال: تقرير على أنها عصا؛ ليتبينَ له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن يقلبها.

وقيل: إنما سأله ليؤنسه ويَبسُطَه بالكلام.

---

(١) في ب، هـ: «أحدٌ».

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ معناه: أضرب بها الشجر؛ لينتثر[١] الورق للغنم.

﴿مَـَٔارِبُ﴾ أي: حوائجُ.

﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ أي: تمشي.

﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: أنها لما أخذها عادت كما كانت أول مرة.

وانتصب ﴿سِيرَتَهَا﴾ على أنه: ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا: الجنب؛ أي: تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ روي أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس.

﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يريد من غير بَرص ولا عاهة.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ يَحتمل أن تكون ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: مفعولَ ﴿لِنُرِيَكَ﴾.

وأن تكون صفةً للآيات.

ويختلف المعنى على ذلك.



---

(١) في ج: «لينتشر».

[﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾
يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ
فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ
﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن
يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ
فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ
قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ
أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا
ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ
رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ
فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَىٰ﴾].

﴿ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إن قيل: لم قال ﴿ٱشْرَحْ لِي﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ﴾، مع أن المعنى يصحُّ دون قوله: «لي»؟

فالجواب: أن ذلك تأكيدٌ وتحقيقٌ للرغبة.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ العُقْدة: هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فيه[1] وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجرِّبه[2].

وإنما قال: ﴿عُقۡدَةً﴾ بالتنكير؛ لأنه طلب حلَّ بعضها؛ ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعينًا، وإعراب ﴿هَـٰرُونَ﴾:

بدلٌ.

أو مفعولٌ أول.

﴿أَزۡرِي﴾ أي: ظهري، والمراد: القوة، ومنه: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قوَّاه.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كلَّ ما طلبت من الأشياء المذكورة.

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ يَحتمل أن يكون:

وحيَ كلام بواسطة ملَك.

أو وحيَ إلهام، كقوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨].

﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهامٌ، يراد به تعظيم الأمر.

﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ الضمير الأول: لموسى.

والثاني: للتابوت، أو لموسى.

---

(١) في د، هـ: «فمه».

(٢) في ج: «يذبحه».

واليَمُّ: البحر، والمراد به هنا: النيل.

وكان فرعون قد ذُكر له أن هلاكه وخراب مُلكه على يد غلامٍ من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولدٍ ذكَر يولد لهم، فأوحى الله إلى أمّ موسى أن تُلقيَه في التابوت وتُلقيَ التابوتَ في البحر، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يُشرِف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسِيق إليه، وامرأته معه[1] ففُتح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولدًا فأباح لها ذلك.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ هو فرعون.

﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: أحببتك.

وقيل: أراد: محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحدٌ إلَّا أحبَّه.

وقيل: أراد: محبةَ امرأة فرعون ورحمتَها له.

وقوله: ﴿مِّنِّي﴾ يَحتمل:

أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾.

أو يكون صفةً لـ ﴿مَحَبَّةً﴾ فيتعلَّق بمحذوف[2].

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي: تُربَّى ويُحسَن إليك بمرأى مني وحفظٍ[3].

---

(١) في ج: «حوله».

(٢) قال في الكشاف (١٠/ ١٧٠): «وإما أن يتعلق بمحذوفٍ هو صفة لـ﴿مَحَبَّةً﴾؛ أي: محبةً حاصلةً أو واقعةً مني».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «تُربَّى ويحسن إليك»، أقول: هذا صحيح، وهو الذي يقتضيه السياق وتدل عليه الجملة، فقوله: «تُربَّى»، هو معنى تُصنع، وقوله: «بمرأى مني» يدل له قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، فدلت الآية على إثبات العين لله =

والعامل في ﴿وَلِتُصۡنَعَ﴾ محذوفٌ.

﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ﴾ العامل في ﴿إِذۡ﴾:

﴿تُصۡنَعَ﴾.

أو ﴿وَأَلۡقَيۡتُ﴾.

أو فعل مضمر تقديره: ومننَّا عليك.

﴿فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة، فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك؛ ليُردَّ إلى أمِّه.

﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ يعني: القبطيَّ الذي وكزه فقضى عليه.

﴿فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ يعني: الخوف من أن يُطلَب بثأر المقتول.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ﴾ أي: اختبرناك اختبارًا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة.

وقيل: خلَّصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلَّصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل.

والفتون يَحتمل أن يكون: مصدرًا، أو جمع فتنة.

﴿فَلَبِثۡتَ سِنِينَ﴾ يعني: الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب.

= بلا كيف، كما تفيده الإضافة، وعلى أن الله يَرى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وذكر الرؤية يقتضي الحفظ من كل شر، ولم يتعرض المؤلف لإثبات العين أو نفيها، فلعله آثر الإمساك على طريقة أهل التفويض من النفاة لحقائق الصفات. وهو الغالب عليه رحمه الله، حسبما تقدم. والله أعلم.

﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قدَّره الله[١] لنبوتك.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ عبارةٌ عن الكرامة والتقريب؛ أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني[٢].

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي: لا تضعفا ولا تُقصِّرا، والونَى: هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها.

﴿أَن يَفْرُطَ﴾ أي: يَعْجل بالشرّ.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: سرِّحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله، وبتسريح بني إسرائيل.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم، وتسخيرِهم في خدمته، وإذلالهم.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ يعني: قلْبَ العصا حية، وإخراجَ اليد بيضاءَ، وإنما وحدَّها وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان، وهو معنى واحدٌ.

﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ﴾ يَحتمل أن يريد: التحية، أو السلامة.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه؛ لأنه

---

(١) في ب: «وقدرة الله».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب» إلخ، صحيحٌ، وقوله: عبارة، أي: الاصطناع عبارةٌ عن الكرامة والتقريب، أي: معناه الكرامة والتقريب، فاصطنعتك أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني، وقوله تعالى: ﴿لِنَفْسِي﴾ أي: جعلتك من خاصتي، كقوله تعالى عن الملك: ﴿ائْتُونِي بِهِۦٓ﴾ يعني يوسف ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.

الأصل في النبوة، وأخوه تابع له.

﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ المعنى: أن الله أعطى خلْقَه كلَّ شيء يحتاجون إليه، فـ ﴿خَلۡقَهُۥ﴾ على هذا بمعنى[1] المخلوقين، وإعرابه: مفعول أول، و﴿كُلَّ شَىۡءٍ﴾: مفعول ثان.

وقيل: المعنى: أعطى كل شيء خِلْقته وصورته؛ أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى: الخِلقة، وإعرابه: مفعول ثان، و﴿كُلَّ شَىۡءٍ﴾: مفعول أول.

والمعنى الأول أحسن.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: هدى خَلقه إلى التوصُّل لما أعطاهم، وعلَّمهم كيف ينتفعون به.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ يَحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى: محاجَّةً ومناقضة لموسى؛ أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى؟ أو ما بالها لم تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذَّبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ويَحتمل أن يكون قال ذلك قطعًا للكلام الأول، ورَوَغانًا عنه وحَيْدةً؛ لمَّا رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، ثم عاد إلى وصف الله؛ رجوعًا إلى الكلام الأول.

﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني: اللوحَ المحفوظ.

---

(١) في أ، ب: «على هذا المعنى».

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي: فراشًا.

وانظر كيف وصف موسى ربَّه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعونَ أن يتَّصف بها، لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق أو شبهَ ذلك؛ لأمكن فرعون أن يغالطَ[1] ويدعيَ ذلك لنفسه.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: أنهج[2] لكم فيها طرقًا[3] تمشون فيها.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يَحتمل أن يكون من كلام موسى، على تقدير: يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾.

ويَحتمل أن يكون كلامُ موسى تمَّ عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ثم ابتدأ كلام الله.

﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافًا مختلفة.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ المعنى: أنها تصلح لأن تُؤكل وتَرعاها الأنعام، وعبَّر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك، فكأنه أمر به.

﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: العقول، واحدها نُهْية.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد: خِلْقَةَ[4] آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني: بالدفن عند الموت.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني: عند البعث.

---

(١) في ج، د: «يغالطه».

(٢) في ج، د: «نهج»، وهما بمعنى واحد.

(٣) في ب، ج، د: «طريقًا».

(٤) في ج: «خَلْقَهُ».

[﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ
مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ
لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى
يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ
سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى
عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ
أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا
وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ
عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾].

﴿أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم؛ فالإضافة في قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ تجري مجرى التعريف بالعهد؛ أي: آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفًا لها.

﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ يَحتمل أن يكون الموعد: اسمَ مصدر، أو اسم زمان، أو اسم مكان.

ويدلُّ على أنه اسم مكان: قوله: ﴿مَكَانٗا سِوٗى﴾، ولكن يَضْعف بقوله: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾؛ لأنه أجاب بظرف الزمان.

ويدلُّ على أن الموعد اسمُ زمان: قوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾، ولكن يضعف بقوله: ﴿مكانا سِوًى﴾.

ويدلُّ على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد: قوله: ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾؛ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد، لا الزمان ولا المكان، ولكن يضعف ذلك بقوله: ﴿مَكَانٗا﴾ وبقوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

فلا بدَّ على كل وجه من تأويل، أو إضمار.

ويَختلف إعراب[1] قوله: ﴿مَكَانٗا﴾ باختلاف تلك الوجوه:

فأمَّا إن كان الموعد اسم مكان: فيكون قوله: ﴿مَوۡعِدٗا﴾ و﴿مَكَانٗا﴾ مفعولين لقوله[2]: ﴿ٱجۡعَلۡ﴾، ويطابقه قوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ من طريق المعنى لا من اللفظ، وذلك أن[3] الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورةً.

وإن كان الموعد اسم زمان: فينتصب قوله: ﴿مَكَانٗا﴾ على أنه ظرف مكان، والتقدير: موعدًا كائنًا في مكان.

---

(١) سقطت من أ، ب، هـ.

(٢) في ب: «بقوله».

(٣) في ب: «لأن».

وإن كان الموعد اسم مصدر : فينتصب ﴿مَكَانًا﴾ على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله : ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ على حذف مضاف تقديره : موعدكم وعْدُ يوم الزينة.

وقرأ الحسن : «يومَ الزينة» بالنصب، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقديرِ محذوفٍ.

﴿مَكَانًا سِوًى﴾ معناه : مستوٍ في القرب منا ومنكم.

وقيل : معناه : مستوٍ في الأرض[١]، ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع.

وقرئ بكسر السين وضمها، والمعنى متَّفق.

﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيدٍ لهم.

وقيل : يوم عاشوراء.

﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾، فهو في موضع خفض.

أو عطف على اليوم، فهو في موضع رفع.

وقصَد موسى أن يكون موعدُهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويتبيَّن الحق للناس.

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ معناه : يُهلِككم، ويقال : سَحَت وأَسحت، وقد قرئ بفتح الياء وضمها، والمعنى متفق.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قرئ : ﴿إِنَّ هَـٰذَيْنِ﴾ بالياء، ولا إشكال في ذلك.

---

(١) في أ : «مستوي الأرض».

وقرئ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾، وهي مخفَّفة من الثقيلة، وارتفع بعدها ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالابتداء.

وأما[(١)] قراءة نافع وغيره بتشديد ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿هَٰذَٰنِ﴾:

فقيل: ﴿إِنَّ﴾ هنا بمعنى: «نَعَمْ»، فلا تَنصِب، ومنه ما روي في الحديث: «إنَّ الحمدُ لله» بالرفع[(٢)].

وقيل: اسم ﴿إِنَّ﴾ ضمير الأمر والشأن، تقديره: إنَّ الأمرَ، و﴿هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾.

وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض.

وقالت عائشة ﵂: هذا مما لحن فيه كُتَّاب[(٣)] المصحف[(٤)].

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ أي: يذهبا[(٥)] بسيرتكم الحسنة.

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ أي: اعزموا، وأنفذوه.

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ استدلَّ بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييلٌ لا حقيقةٌ.

---

(١) في أ، ب زيادة: «على».
(٢) أخرجه أبو جعفر النحاس بإسناده في إعراب القرآن (٣/ ٣١).
(٣) في أ، ب، هـ: «كاتب».
(٤) انظر التعليق في (٢/ ١٣٢).
(٥) في أ، ب: «يذهب».

وقال بعضهم: إن حيلة السَّحَرة في سعي الحبال والعصيِّ هي أنهم حشَوْها بالزِّئبق، وأوقدوا تحتها نارًا، وغطَّوا النار؛ لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيَّهم.

وقيل: جعلوها للشمس، فلما أحسَّ الزِّئبق بحرِّ النار أو الشمس سال، وهو في حشو الحبال والعصيِّ فحملها، فتخيَّل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانًا فابتلعته.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ «ما» هنا موصولة، وهي اسم «إنَّ»، و﴿كَيْدُ﴾ خبرها.

﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدَّم هنا[1] ﴿هَارُونَ﴾؛ لتعتدل[2] رؤوس الآي وتكونَ على الألف.

﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوفٌ على ﴿مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾.

وقيل: هي واو القسم.

﴿هَٰذِهِ الْحَيَاةَ﴾ نصبٌ على الظرفية؛ أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قيل: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون؛ على وجه الموعظة.

وقيل: هو من كلام الله.

---

(١) زيادة من ج، د.

(٢) في ب، ج: «لتعدل».

[﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ
دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ
قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ
غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ
ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ
مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ
عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ
أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ
﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾].

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ يعني: بني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه؛ تشريفًا لهم، وكانوا - فيما قيل - ست مئة ألف.

﴿يَبَسًا﴾ أي: يابسًا، وهو مصدر وصف به.

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر.

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهامٌ؛ لقصد التهويل.

﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ إن قيل: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ يغني عن قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾!.

فالجواب: أنه مبالغة وتأكيد.

وقال الزمخشري: هو تهكُّم بفرعون في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩][١].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خطابٌ لهم بعد خروجهم من البحر وإغراقِ فرعون.

وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني[٢] إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء؛ ليكلِّم فيه ربه.

والطور: هو الجبل، واختُلف: هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوَّته؟ أو[٣] هو غيره؟.

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ ذُكر في «البقرة»[٤].

﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ أي: هلَك، وهو استعارة من السقوط من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بدَّ، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٢١٤).

(٢) في ب، د: «بني» بلا واو، والمثبت هو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/ ١١٧)؛ فالآمر هو الله تعالى.

(٣) في ب، ج زيادة «هل».

(٤) بل ذُكر في اللغات مادة (٣٠٥).

وقالت المعتزلة: لا يغفر إلَّا لمن تاب[١].

﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أي: استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح.

ويَحتمل أن يكون الهدى هنا: عبارةٌ عن نور وعلم، يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحًا.

﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قَصص هذه الآية: أن موسى عليه السلام، لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدَّم هو وحده؛ مبادرةً إلى أمر الله، وطلبًا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامريُّ حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾؟.

وإنما سأل اللهُ موسى عن سبب استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثَره، فيخبرَه الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل.

وقيل: إنما سأله على وجه الإنكار لتقدُّمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين:

أحدهما: أن قومه على أثَره؛ أي: قريب منه، فلم يتقدَّم عليهم بكثيرٍ يوجب العتاب.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد» إلخ، صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾، وهذه الآية لمن تاب، أما من لم يتب فما دون الشرك فمغفرته مقيدة بالمشيئة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، وقول المعتزلة: «لا يغفر إلا لمن تاب» بنوا عليه القول بتخليد أهل الكبائر في النار.

والثاني: أنه إنما تقدَّم طلبًا لرضا الله.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ رجلًا من بني إسرائيل، ويقال(١): إنه ابن خال موسى.

وقيل: لم يكن منهم، وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها: سامرة.

وكان ساحرًا منافقًا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يعني: رجع من الطور، بعد كمال(٢) الأربعين يومًا التي كلَّمه الله فيها.

﴿أَسِفًا﴾ ذُكر في «الأعراف»(٣).

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعني: ما وعدهم من الوصول إلى الطور.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ يعني: المدة، وهذا الكلام توبيخٌ لهم.

﴿بِمَلْكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر، ومعناه: ما أخلفنا موعدك بأن مَلَكْنا أمرنا، ولكن غُلِبنا بكيد السامريِّ، فيَحتمل:

أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم.

أو اعتذروا بقلة ملْكهم لأنفسهم في النظر، وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر.

---

(١) في ج: «يقال».

(٢) في ج: «إكمال».

(٣) انظر (٢/ ٣٨٩).

﴿حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا: الأحمال، سمِّيت أوزارًا؛ لثِقَلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛ أي: الذنوب.

وزينة القوم: هي حُليُّ القبط قومِ فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم، فقال لهم السامريُّ: اجمعوا هذا الحُليَّ في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك، وأوقد السامريُّ نارًا على الحليّ، وصاغ منه عجلًا.

وقيل: بل خلق الله منه العجل، من غير أن يصنعه السامري، ولذلك قال لموسى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾.

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحُليِّ في الحفرة.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من موطئ[1] فرسه قبضةً من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مَواتٍ صار حيوانًا، فألقاها على العجل، فخار العجل؛ أي: صاح صياح العجول.

فالمعنى: أنهم قالوا: كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامريُّ قبضةَ التراب.

﴿جَسَدًا﴾ أي: جسمًا بلا روح، والخُوَار: صوت البقر.

﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضُهم لبعض.

---

(١) في هـ: «وطء».

﴿فَنَسِيَ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل: موسى؛ أي: نسي موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى[١]: الذهول.

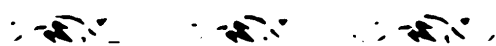
والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل: السامريُّ؛ أي: نسي دينَه وطريقَ الحق، والنسيان على هذا بمعنى: الترك.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه: لا يردُّ عليهم كلامًا إذا كلموه، وذلك ردٌّ عليهم في دعوى[٢] الربوبية له.

وقرئ ﴿يَرْجِعُ﴾:

بالرفع، و«أنْ» مخففة من الثقيلة.

وبالنصب، وهي مصدرية.



(١) في أ، ب، هـ: «المعنى».

(٢) في ب: «دعواهم».

[﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾].

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «لا» زائدة للتأكيد، والمعنى:

ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور؟.

أو تتبعني في الغضب لله، وشدَّة الزجر لمن عبد العجل، وقتالِهم بمن لم يعبده؟.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ ذُكر في «الأعراف»(١).

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ كان موسى قد أخذ بشَعر هارون ولحيته من

---

(١) انظر (٢/ ٣٩٠).

شدَّة غضبه، لمَّا وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: لو قاتلت[١] مَن عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلتَ: فرَّقتَ جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله: ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في الزجر والقتال.

أو: لو اتَّبعتك في المشي إلى الطور لاتَّبعني بعضهم دون بعض، فتفرَّقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في المشي إلى الطور.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني: قوله[٢]: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ أي: قال موسى ما شأنك؟، ولفظ الخَطْب يقتضي انتهارًا؛ لأنه مستعمل في المكاره.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، يعني: جبريلَ عليه السلام وفرسَه.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضة من ترابٍ من أثرِ فرسِ الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود: «من أثر فرس الرسول».

وإنما سمَّى جبريلَ بالرسول؛ لأن الله أرسله إلى موسى.

والقبضة: مصدر قبَض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كـ«ضرْب الأمير».

ويقال: قبض بالضاد المعجمة: إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد

---

(١) في أ، ب، هـ: «قتلت».

(٢) في د، هـ زيادة «له».

المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع، وقد قرئ كذلك في الشاذ.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحليّ، فصار عِجلًا، أو على العجل فصار له خوار.

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى ﷺ السامريَّ؛ بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسَّة ولا إذاية.

وروي أنه كان إذا مسَّه أحدٌ أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يَبعُد عن الناس وصار الناس يَبعُدون عنه.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني: العذاب في الآخرة، وهذا تهديدٌ ووعيد.

﴿ظَلْتَ﴾ أصله ظَلِلْت، حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الدُّؤوب على الشيء[1] ليلًا ونهارًا.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ من الإحراق بالنار.

وقرئ بفتح النون وضم الراء، بمعنى: نَبرُده بالمِبْرَدِ.

وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى؛ لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح: أن المقصود بإحراقه بالنار إذابتُه وإفساد صورته، فيصحُّ حمل قراءة الجماعة على ذلك.

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي: نُلقيه في البحر، والنسف: تفريق الغبار ونحوِه.

---

(١) في ب، ج: «المشي».

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ من كلام موسى لبني إسرائيل.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبةٌ من الله تعالى لمحمد، و﴿أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: أخبار المتقدِّمين.

﴿ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني: إعراض تكذيبٍ به.

﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة: الثِّقَل، ويعني هنا:

العذابَ؛ لقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾.

أو الذنوب؛ لأنها سبب العذاب.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحِمْل؛ لثِقَله.

قال الزمخشري: «ساءَ» تجري مجرى «بئس»، ففاعلها مضمر يفسِّره: ﴿حِمْلًا﴾[1].

وقال غيره: فاعلها مضمر يعود على الوزر.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ أي: يَنفخ الملَك في القرن.

وقرئ: ﴿نَنفُخُ﴾ بالنون؛ أي: بأمرنا.

﴿زُرْقًا﴾ قيل: زرق الألوان كالسواد.

وقيل: زرق العيون من العمى.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٢٣٩).

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ أي: يقول بعضهم لبعض في السرِّ: إن لبثتم في الدنيا إلَّا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدَّة الدنيا.

وقيل: يعنون لبثهم[١] في القبور.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: يقول أعلمهم بالأمر - بالإضافة إليهم -: إن لبثتم إلَّا يومًا واحدًا، فاستقلَّ المدَّة أشدَّ[٢] مما استقلَّها غيرُه.



---

(١) في أ، ب: «لبثتم».

(٢) في هـ: «أكثر».

[﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ
لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن
قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾].

﴿يَنسِفُهَا رَبِّى﴾ أي: يجعلها كالغبار، ثم يفرِّقها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ الضمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ للجبال، والمراد: مواضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ المعروف في اللغة: أن العِوَج بالكسر: في المعاني، وبالفتح: في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغةً في نفيه؛ فإن الذي في المعاني أدقُّ من الذي في الأشخاص، فنفاه؛ ليكون غايةً في نفي العِوَج من كل وجه.

﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ الأمْتُ: هو الارتفاع اليسير.

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ يعني: الذي يدعو الخلق إلى الحشر.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يَعْوَجُ أحدٌ عن اتباعِه والمشيِ نحوَ صوته.

أو لا عوج لدعوته؛ لأنها حقٌّ.

﴿هَمۡسٗا﴾ هو الصوت الخفيُّ.

﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ يَحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا، و﴿مَنۡ﴾ في موضع نصب بـ ﴿تَنفَعُ﴾، وهي واقعة على المشفوع له، فالمعنى: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلَّا من أذن له الرحمن في أن يُشفَع له.

أو أن يكون الاستثناء منقطعًا، و﴿مَنۡ﴾ واقعة على الشافع، والمعنى: لكن من أذن له الرحمن يَشفع.

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ إن أريد بـ ﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ المشفوع فيه، فاللام في ﴿لَهُۥ﴾ بمعنى: لأجله؛ أي: رضي قولَ الشافع لأجل المشفوع فيه.

وإن أريد الشافع فالمعنى: رضي قوله في الشفاعة.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ الضميران لجميع الخلق[1]، والمعنى ذُكر في آية الكرسيِّ[2].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ قيل: المعنى: لا يحيطون بمعلوماته، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والصحيح عندي: أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته؛ إذ لا يَعرف الله على الحقيقة إلَّا الله، ولو أراد المعنى الأوَّل لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنى ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ هناك، ولم يستثن هنا.

﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ أي: ذلَّت يوم القيامة.

---

(١) في أ، ب، هـ: «الضمير للخلق».

(٢) انظر (١/ ٤٧٦).

﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: بخسًا ونقصًا لحسناته.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: تذكُّرًا.

وقيل: شرفًا، وهو هنا بعيد.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: إذ أقرأك جبريل القرآنَ[1] فاستمع إليه، واصبر حتى يَفرغ، وحينئذ تَقرؤه أنت، فالآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦].

وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتْبه في الحين، فأُمر أن يتأنَّى حتى تفسَّر له المعاني.

والأول أشهر.

(١) لم ترد في أ، ب، هـ.

[﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾].

﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: وصَّيناه أن لا يأكل من الشجرة.

﴿فَنَسِىَ﴾ يحتمل:

أن يريد النسيان الذي هو ضدُّ الذُّكْر، فيكون ذلك عذرًا لآدم.

أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره؛ لأن الناسيَ لا عقاب عليه[(١)].

وقد تقدَّم الكلام على قصة آدم وإبليس في «البقرة»[(٢)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٣٧).

(٢) انظر (١/ ٣٠٠).

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة، فجعل المسبَّب موضع السبب.

وخصَّ آدم بقوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾؛ لأنه كان المخاطَب أولًا والمقصود بالكلام.

وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختصٌّ بالرجال.

﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ الظمأ: هو العطش، والضُّحِيُّ[(١)]: هو البروز للشمس.

﴿يَخْصِفَانِ﴾ ذكر في «الأعراف»[(٢)]، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في «البقرة»[(٣)].

﴿ٱهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى﴾ هي «إنْ» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة، وجوابها ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: ضيِّقةً؛ فقيل: إن ذلك في الدنيا؛ فإن الكافر ضيق المعيشة؛ لشدَّة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرِض أحد عن ذكر الله إلَّا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه.

---

(١) في أ، ب: «والضحاء».
(٢) انظر (٢/ ٣٣٥).
(٣) انظر (١/ ٣٠١).

وقيل: ذلك في البرزخ.

وقيل: في جهنم بأكل الزقوم، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ يعني: أعمى البصر.

﴿فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ من الترك، لا من الذهول.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: عذاب جهنم أشدُّ وأبقى من المعيشة الضنك، ومن الحشر أعمى.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: ألم يتبين لهم، والضمير لقريش، والفاعل بـ ﴿يَهْدِ﴾ مقدَّر، تقديره: ألم يهد لهم الهُدَى، أو الأمر.

وقال الزمخشري: الفاعل الجملة التي بعده[١].

وقيل: الفاعل ضمير الله ﷻ، ويدل عليه قراءة: «أفلم نهد» بالنون.

وقال الكوفيون: الفاعل ﴿كَمْ﴾.

﴿يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ﴾ يريد: أن قريشًا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم.

﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: ذوي العقول.

* * *

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٢٦٩).

[﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الكلمة هنا: القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزامًا؛ أي: واقعًا بهم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزامًا، وإنما أخّره لتعتدل رؤوس الآي.

والمراد بالأجل المسمى: يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري(١).

وقيل: المراد به: أجل الموت.

وقيل: القيامة.

﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح: الصلاةَ.

---

(١) الذي في البخاري (٤٧٧٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه فسر ﴿لِزَامًا﴾ بيوم بدر، وليس الأجل المسمى!.

أو قولَ: «سبحان الله»، وهو ظاهر اللفظ.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: وأنت حامد لربك على أن وفّقك للتسبيح.

ويَحتمل أن يكون المعنى: سبّح تسبيحًا مقرونًا بحمد ربك، فيكون أمرًا بالجمع بين قول: «سبحان الله» وقول: «الحمد لله»، وقد قال رسول الله ﷺ: «**وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض**»(١).

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ إشارةٌ إلى الصلوات الخمس عند من قال: إن معنى ﴿وَسَبِّحْ﴾: الصلاة، فالتي قبل طلوع الشمس: الصبح، والتي قبل غروبها: الظهر والعصر، ومن آناء الليل: العشاء الآخرة(٢)، وأطراف النهار: المغرب والصبح.

وكرَّر الصبح في ذلك؛ تأكيدًا للأمر بها.

وسمَّى الطرفين أطرافًا لأحد وجهين:

إما على نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤].

وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف.

وآناءُ الليل: ساعاته، واحدها: أَنْيٌ.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في «الحجر»(٣)، ومدُّ العينين: هو تطويل النظر،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) في أ، ب، هـ: «المغرب والعشاء الآخرة».

(٣) انظر (٢/ ٧٢٩).

ففي ذلك دليل[١] أن النظر غير الطويل معفوٌّ عنه.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ شبه نعيم الدنيا بالزهر وهو[٢] النُّوَّار؛ لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل.

وفي نصب ﴿زَهْرَةَ﴾ خمسة أوجه:

[١-] أن ينتصب بفعل مضمر على الذم.

[٢-] أو يضمَّن ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى: أعطينا، ويكون ﴿زَهْرَةَ﴾ مفعولًا ثانيًا له.

[٣-] أو يكون بدلًا من موضع الجار والمجرور.

[٤-] أو يكون بدلًا من ﴿أَزْوَٰجًا﴾، على تقدير: ذوي زهرة.

[٥-] أو ينتصب على الحال.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ أي: نختبرهم.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرَّغْ أنت وأهلك للصلاة؛ فنحن[٣] نرزقك.

وكان بعض السلف إذا أصاب أهلَه خصاصةٌ قال: «قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله»، ويتلو هذه الآية[٤].

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ البينة هنا: البرهان، والصحف

---

(١) في ب، د زيادة «على».

(٢) في أ، ب: «وهي».

(٣) في أ، هـ: «نحن».

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٦/ ٢٦٧) عن بكر بن عبد الله المزني.

الأولى: هي التوراة والإنجيل وغيرهما[1] من كتب الله.

والضمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ وفي ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ لقريش، لما اقترحوا على وجه العناد والتعنيت أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى: قد جاءكم برهانٌ ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلأيِّ شيء تطلبون آية أخرى؟.

ويَحتمل أن يكون المعنى: قد جاءكم القرآن، وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الآية؛ معناها: لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، و«لولا» هنا: عَرْضٌ، فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: قل كل واحد منا ومنكم منتظرٌ لما يكون من هذا الأمر.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ تهديدٌ.

﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم.



(١) في أ، ب، هـ: «وغيرها».

﴿ سورة الأنبياء عليهم السلام ﴾

[﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي
يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ
ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ
أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا
كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾].

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الناس: لفظٌ[1] عام.

وقال ابن عباس: المراد به هنا: المشركون من قريش؛ بدليل ما بعد ذلك؛ فإنه من صفاتهم.

وإنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثرُ مما بقي لها، ولأن كل آتٍ قريب.

---

(١) في أ، هـ: «لفظه».

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ يعني بالذكر: القرآن، و﴿مُّحْدَثٍ﴾ أي: محدث النزول[١].

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في ﴿أَسَرُّوا﴾ ضمير فاعل، يعود على ما قبله، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدل من الضمير.

وقيل: إن الفاعل هو ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وجاء ذلك على لغة من قال: «أكلوني البراغيث»، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيبويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن.

ويَحتمل أن يكون ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

منصوبًا بفعل مضمر على الذمّ.

أو خبرَ ابتداء مضمر.

والأول أحسن.

﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب؛ بدلًا من ﴿النَّجْوَى﴾؛ لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية: هو محمد ﷺ.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: (يعني بالذكر: القرآن، و(محدث) أي: محدث النزول» لا إشكال فيه؛ فالذكر من أسماء القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾، وقوله: «أي: محدث النزول» موافق لما نقله ابن جرير عن أهل التأويل، فإنه قال: «ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس»، وأسنده إلى قتادة، وهذا موافق لبعض أجوبة الإمام أحمد رحمه الله حين احتجت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق. والله أعلم.
وينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٥، ٤٠٠) ط. دار هجر.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ إخبارٌ بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسرُّوه.

فإن قيل: هلَّا قال: «يعلم السر»؛ مناسَبةً لقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾؟

فالجواب: أن القول يشمل السرَّ والجهر؛ فحصل به ذكر السرِّ وزيادة.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: أخلاط منامات، وحَكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم.

﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: كما جاء الرسل المتقدِّمون بالآيات فليأتنا محمد بآية، فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ لما قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا هلَكوا، ثم قال: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال مَن قبلهم.

ويَحتمل أن يكون المعنى: أن كل قرية هلَكت لم تؤمن، فهؤلاء كذلك، ولا يكون -على هذا- جوابًا لقولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾، بل يكون إخبارًا مستأنفًا على وجه التهديد.

و﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ في موضع الصفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾، والمراد: أهل القرية.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ والمعنى: أن الرسل المتقدمين رجالٌ من البشر؛ فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولًا؟!.

﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني: أحبار أهل الكتاب.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: ما جعلنا الرسل أجسادًا غيرَ طاعمين، ووحَّد الجسد لإرادة الجنس، و﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفة لـ ﴿جَسَدًا﴾.

وفي الآية ردٌّ على قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم.

وقيل: تذكيركم.



[﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ
أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ
حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ
لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ
هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ
وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ
نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾].

﴿قَصَمْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله مِن: قَصْمِ الظهر أي: كسْرُه.

﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ يريد: أهل القرية.

قال ابن عباس: هي قرية باليمن يقال لها: حَضُور، بعث الله إليهم نبيًّا فقتلوه، فسلَّط الله عليهم بُختَ نَصَّر[١] ملكَ بابل، فأهلكهم الله بالقتل.

(١) انظر (١/ ٤٨٠).

وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن «كم» للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارةٌ عن فرارهم، فيَحتمل:

أن يكونوا ركبوا الدواب، وركضوها؛ لتسرع الجري.

أو شُبِّهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يَركض الدابة.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي: قيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، والقائل لذلك: هم الملائكة، قالوه تهكُّمًا بهم.

أو رجال بختِ نصَّر إن كانت القرية المعيَّنة، قالوا ذلك لهم خداعًا؛ ليرجعوا فيقتلوهم.

﴿مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾ أي: نُعِّمتم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ تهكُّمٌ بهم وتوبيخ؛ أي: ارجعوا إلى نعيمكم(١) ومساكنكم؛ لعلكم تسألون عما جرى عليكم.

ويَحتمل أن يكون ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾ بمعنى: يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضًا تهكُّمٌ.

﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ﴾ الآيةَ؛ اعترافٌ وندم حين لم ينفعهم.

﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ شُبِّهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى ﴿خَٰمِدِينَ﴾: موتى، وهو تشبيهٌ بخمود النار.

﴿لَٰعِبِينَ﴾ حال منفية؛ أي: ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب،

---

(١) في أ، ب، هـ: «نِعَمكم».

بل للاعتبار بها، والاستدلالِ على صانعها.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ اللهو في لغة اليمَن: الولد، وقيل: المرأة، و﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من[1] الملائكة، فالمعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو ردٌّ على من قال: المسيح ابن الله وعزيز ابن الله.

والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾.

وقال الزمخشري: المعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ لهوًا لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا؛ لأنه مناقض للحكمة[2].

وفي كلا القولين نظرٌ.

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿إِنْ﴾:

شرطيةً، وجوابها فيما قبلها.

أو نافيةً.

والأول أظهر.

﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الحق: عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل: عام في أضداد ذلك.

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي: يَقمعه ويُبطله، وأصله من إصابة الدماغ.

---

(١) لم ترد في ب، ج.
(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٠٦).

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني: الملائكة.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يَعْيَوْن(١)، ولا يَملُّون.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ «أم» هنا: للإضرابِ عما قبلها، والاستفهامِ على وجه الإنكار لما بعدها.

و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلَّق بـ ﴿يُنشِرُونَ﴾.

والمعنى: أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرون أن يُنشروا الموتى من الأرض، فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله: ﴿فِيهِمَآ﴾ للسموات والأرض، و﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ صفة لـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «غير».

فاقتضى الكلام أمرين:

أحدهما: نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحدًا.

والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودلَّ على ذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وأما الأوَّل فكانت الآية تدلُّ عليه لو لم تذكر هذه الكلمة.

وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها دليلُ التَّمانعِ الذي أورده

---

(١) في ب: «لا يلعبون».

الأصوليون، وذلك أنَّا لو فرضنا إلهين، فأراد أحدهما شيئًا وأراد الآخر نقيضَه، فإما أن تَنفُذَ إرادة كل واحد منهما، وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحدٍ منهما، وذلك أيضًا محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معًا، ولأن ذلك يؤدِّي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد.

وهذا الدليل إن سلَّمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلَّا الله لفسدتا؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألَا ترى أنه لا يوجد مِلكان اثنان بمدينة[1] واحدة، ولا والِيان[2] لخِطَّةٍ[3] واحدة.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم؛ فأفعاله كلُّها جاريةٌ على الحكمة.

﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ لفَقْد العلتين.

﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ كرَّر هذا الإنكار؛ استعظامًا للشرك، ومبالغةً في تقبيحه؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به

(١) في ج: «المدينة».
(٢) في أ، ج، د: «وليان».
(٣) في ب: «بخطة».

ما ذكر بعده من تعجيز[1] المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان؛ لا من جهة العقل، ولا من جهة الشرائع.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيزٌ لهم. وقد تكلمنا على ﴿هَاتُوا﴾ في «البقرة»[2].

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ ردٌّ على المشركين، والمعنى[3]: هذا الكتاب الذي معي، والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله، بل كلها متفقة على التوحيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على المشركين، والمعنى: أن كل رسول إنما أتى بـ «لا إله إلا الله».

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذي قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض البنوَّة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غرَّ الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا يتكلمون حتى يتكلم هو؛ تأدُّبًا معه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي: لمن ارتضى أن يُشفَع له.

ويَحتمل أن تكون هذه الشفاعة:

في الآخرة.

---

(١) في أ، هـ: «تعجيزهم»!.

(٢) انظر (١/ ٣٤٩).

(٣) في ج زيادة: «أنّ».

أو في الدنيا، وهي استغفارهم لمن في الأرض.

﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصود[١] الآية الردُّ على المشركين.

وقيل: إن الذي قال: «إني إله»: هو إبليس لعنه الله.



---

(١) في ب: «مقصد».

[﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا
فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ
﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن
وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً
فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾].

﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ الرَّتْق: مصدرٌ وُصِف به، ومعناه: الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفَتْق: الفتح:

فقيل: كانت السماء مُلْصقةً[١] بالأرض ففتقهما[٢] الله بالهواء.

وقيل: كانت السماوات[٣] ملصقةً بعضها ببعض، والأرضون[٤] كذلك،

---

(١) في د، هـ: «ملتصقة».
(٢) في ب، ج: «ففتقها».
(٣) كذا في هامش د، وهامش هـ ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «السماء».
(٤) في ب، ج: «والأرض».

ففتقهما[١] الله سبعًا سبعًا.

والرؤية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ على هذا: رؤية قلب.

وقيل: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، والرؤية على هذا: رؤية عين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ أي: خلقنا من الماء كل حيوان، ويعني بالماء: المنيّ.

وقيل: الماء الذي يُشرَب؛ لأنه سببٌ لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة.

﴿رَوَٰسِىَ﴾ يعني: الجبال.

﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره: كراهةَ أن تميد.

﴿فِجَاجًا﴾ يعني: الطرق الكبار.

وإعرابه عند الزمخشري: حال من السُّبُل؛ لأنه صفةٌ تقدَّمت على النكرة[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: في طريقهم وتصرفاتهم.

﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي: حُفِظ من السُّقوط، ومن الشياطين.

﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني: الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك.

---

(١) في هـ: «ففتحهما».

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٣٩).

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوضٌ عن الإضافة؛ أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني: الشمس والقمر، دون الليل والنهار؛ إذ لا يوصف الليل والنهار بالسَّبْح في الفلك، فالجملة:

في موضع حال من ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾.

أو مستأنفةٌ[١].

فإن قيل: لفظ ﴿كُلٌّ﴾ و﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعٌ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟

فالجواب: أنه أراد جنس مطالعهما[٢] كل يوم وليلة، وهي كثيرة. قاله الزمخشري[٣].

وقال الغَزْنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة.

وعبَّر عنها بضمير الجماعة[٤] العقلاء في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء، وهو السَّبْح.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ وهي أفلاك كثيرة؟

فالجواب: أنه أراد: كل واحد يَسْبَح في فلكه[٥]، وذلك كقولك[٦]:

---

(١) في أ، ب: «مستأنف».
(٢) في ج: «مطالعها».
(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٤٢).
(٤) في هـ: «جماعة»، ولم ترد في ب.
(٥) في أ، هـ: «فلك».
(٦) في أ، ج: «كقوله».

«كساهم الأمير حُلَّةً»؛ أي: كسا كلَّ واحد منهم حلة.

ومعنى الفلك: جسم مستدير.

وقال بعض المفسرين: إنه من موج، وذلك بعيد.

والحقُّ: أنه لا تُعلم صفته وكيفيته إلَّا بإخبارٍ صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود.

ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُون، أو يدورون، وهو مستعارٌ من السَّبْح بمعنى العوم في الماء.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ سببها: أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت.

وقيل: إنهم تمنَّوا موته؛ ليَشمَتوا به، وهذا أنسب لما بعده.

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ وقُدِّمت[1]؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كلُّ نفسٍ مخلوقةٍ لا بدَّ لها أن تذوق الموت. والذَّوْق هنا استعارة.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ أي: نختبركم بالفقر والغنى، والمرض والصحة وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر على الشر، والشكر على

---

(١) في ج: «وتقدمت».

الخير، أو خلافُ ذلك.

﴿فِتْنَةً﴾ مصدرٌ من معنى ﴿وَنَبْلُوكُم﴾.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، دلَّت على ذلك قرينة الحال؛ فإن الذكر قد يكون بذمٍّ أو مدح.

والجملة تفسير للهزء؛ أي: يقولون: أهذا الذي..

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال؛ أي: كيف ينكرون ذمَّك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحقُّ بالملامة.

وقيل: معنى ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: تسميته بهذا الاسم؛ لأنهم أنكروها.

والأول أغرق في ضلالهم.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: خلق شديدَ الاستعجال، وجاءت هذه العبارة للمبالغة، كقولك: خُلِق حاتم من جُودٍ.

والإنسان هنا: جنس.

وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذابَ الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئةً لقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

وقيل: المراد هنا: آدم؛ لأنه لما وصل الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: من طين، وهذا أضعف.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ وعيدٌ، وجوابٌ على ما[1] طلبوه من التعجيل.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية؛ تفسيرٌ لاستعجالهم.

﴿ٱلْوَعْدُ﴾ القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب «لو» محذوف.

﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الضمير الفاعل: للنار،

وقيل: للساعة.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجؤهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخَّرون عن العذاب.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ الآية؛ تسليةٌ بالتأسي.

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط.



(١) في ب: «لما»، وفي أ: «ما» بدون «على».

[﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ
﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا
نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ
وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم
بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾].

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله؟، و«مَن» استفهامية.

والمعنى: تهديدٌ، وإقامةُ حجة؛ لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بمعنى: أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله؛ أي: عن الجواب الذي فيه ذكر الله.

وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا: أنهم معرضون عن ذكره، فضلًا عن أن يخافوا بأسه[١].

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من العذاب، و﴿أَمْ﴾ هنا للاستفهام، والمعنى: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٥١).

أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتجَّ عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره.

﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لا يُصْحَبون منا بنصرٍ ولا حفظ.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي: متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا، فطغَوا بذلك ونسُوا عقاب الله.

والإضراب بـ«بل» عن معنى الكلام المتقدِّم؛ أي: لم يحملْهم على الكفر والاستهزاء نصرٌ ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متَّعناهم وآباءهم.

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ ذُكِر في «الرعد»[1].

﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ إشارةٌ إلى الكفار، والصَّمَم استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿نَفْحَةٌ﴾ أي: خطْرةٌ، وفيها تقليل العذاب.

والمعنى: أنهم لو رأوا أقلَّ شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ أي: العدْلَ، وإنما أفرد القسط، وهو صفة للجمع:

لأنه مصدرٌ وُصِف به، كعَدْلٍ ورضًا.

أو على تقدير: ذوات القسط.

---

(١) انظر (٢/ ٦٨٩).

ومذهب أهل السنة: أن الميزان يوم القيامة حقيقة، له كِفَّتانِ ولسانٌ وعمودٌ توزن فيه الأعمال، والخِفَّة والثِّقَل متعلقة بأجسام؛ إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله.

وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارةٌ عن العدل في الجزاء.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة، أو لحُكمه فهو على حذف مضاف[١].

وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لستٍّ خَلَوْنَ من الشهر[٢].

﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ أي: وزنُها، والرفع على أنَّ «كان» تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر.

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ هنا: التوراة.

وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعني: القرآنَ.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٧٣).
(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٥٧).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا
هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ
كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ
بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ
إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى
يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟
ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن
كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ
نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى
بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾].

﴿رُشْدَهُۥ﴾ يعني: إرشادَه إلى توحيد الله، وكسر الأصنام، وغيرِ ذلك.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى وهارون.

وقيل: آتيناه رشده قبل النبوة.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: عَلِمنا[١] أنه يستحق ذلك.

﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنامَ، وكانت على صور بني آدم.

﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعترافٌ بالتقليد من غير دليل.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: هل[٢] هذا الذي تقول جِدٌّ أو[٣] مزاحٌ؟!.

وانظر كيف عبَّروا[٤] عن الحق بالفعل، وعن اللَّعِب بالجملة الاسمية؛ لأنه أثبت عندهم.

﴿فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقهن، والضمير للسموات والأرض، والتماثيل[٥] وهذا[٦] أليق بالردِّ عليهم.

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ يعني: خروجَهم إلى عيدهم.

﴿جُذَٰذًا﴾ أي: فُتاتًا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذِّ بمعنى القطع.

---

(١) في أ: «علمناه».

(٢) لم ترد في أ، هـ.

(٣) في ج، د: «أم».

(٤) في ج، د: «عبر».

(٥) كذا في جميع النسخ الخطية!، ولعل صواب العبارة: «أو للتماثيل»؛ ليستقيم الكلام مع ما بعده وهو قوله: «وهو أليق بالرد عليهم»؛ أي: كون الضمير للتماثيل أليق من كونه للسماوات والأرض، وهذا هو الموافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٣٦٥) حيث قال: «الضمير في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ للسماوات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم».

(٦) في ج، د: «وهو».

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ ترَك الصنم الكبير لم يكسره، وعلَّق القَدوم على يده[١].

﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير؛ أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء.

وقيل: الضمير لإبراهيم عليه السلام، أي: يرجعون إليه فيبيِّن لهم الحق.

﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ قبلَه محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فـ ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾.

﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذمِّ، وبقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ منادى.

وقيل: خبر ابتداء مضمر.

وقال الأعلم[٢]: هو رفعٌ على الإهمال[٣].

والصحيح أنه مفعول لم يسمَّ فاعله بـ ﴿يُقَالُ﴾؛ لأن المراد الاسمُ

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «من يده»!.

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشَّنتَمري الأشبيلي، النحوي، ولد سنة (٤١٠هـ)، كان عالما بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته. لُقِّب بالأعلم؛ لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقًّا واسعا، وتوفي باشبيلية سنة (٤٧٦هـ). أنظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٦/ ٢٨٤٨).

(٣) قال ابن عطية في توضيح مراده: «لما رأى وجوه الرَّفع كلها لا توضِّح المعنى الذي قصدوه؛ ذهب إلى رفعه بغير شيء، كما قد يَرفع التجرُّد والعُرُوُّ عن العوامل الابتداءَ» المحرر الوجيز (٦/ ١٧٦).

لا المسمَّى. وهذا اختيار ابن عطية[١] والزمخشري[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدون عليه بما فعل، أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتَهم وإقامةَ الحجة عليهم، كأنه يقول: إن كان إلهًا فهو قادر على أن يفعل، وإن لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض؛ لأنه كَذِبٌ.

فإن قيل: فقد جاء في الحديث: «إن إبراهيم كذب ثلاث كَذَبات، إحداها[٣] قوله: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾»[٤]؟

فالجواب: أن معنى ذلك: أنه قال قولًا ظاهره الكذب، وإن كان القصدُ به معنى آخر، ويدل على ذلك قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾؛ لأنه أراد به أيضًا تبكيتَهم وبيانَ ضلالهم.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة.

﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شيء.

أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، وفي تعنيفه على أعين الناس.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٧٦).

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٧٠).

(٣) في د: «أحدها».

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارةٌ لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!، فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم.

ويَحتمل أن يكون ﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ بمعنى رجوعهم عن[1] المجادلة إلى الانقطاع؛ فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ اعترافٌ يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة.

ويَحتمل على هذا أن يكون ﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ حقيقةً؛ أي: أطرقوا من الخجل لمَّا قامت عليهم الحجة.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقدَّم الكلام على ﴿أُفٍّ﴾ في «الإسراء»[2].

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه[3] بالظلم.

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة.

واختُلف كيف برَدت النار؟

فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحرِّ والإحراق.

---

(١) في أ: «من».
(٢) انظر (٢/ ٨٠٢).
(٣) لم ترد هذه الكلمة في ج، د.

وقيل: دَفع عن جسم إبراهيم حرَّها وإحراقها، مع ترك ذلك فيها.

وقيل: خَلق بينه وبينها حائلًا.

ومعنى السلام هنا: السلامة، وقد روي أنه لو لم يقل: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لهلَك إبراهيم بالبرد[١].

وقد أضربْنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم؛ لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من العراق.

وبركتُها: بخِصْبها، وكثرة الأنبياء فيها[٢].

﴿نَافِلَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل[٣]: العطاء.

وقيل: سماه نافلة؛ لأنه عطاءٌ بغير سؤال؛ فكأنه تبرُّع.

وقيل: الهبة: إسحاق، والنافلة: يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله: ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأُعطي يعقوبَ؛ زيادةً على ما سأل.

واختار بعضهم على هذا الوقف على ﴿إِسْحَٰقَ﴾؛ لبيان المعنى، وهذا ضعيف؛ لأنه معطوفٌ على كلِّ قولٍ.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذننا.

---

(١) في هـ: «من البرد».

(٢) «فيها» زيادة من ج، د.

(٣) في ب، ج: «والتنفل».

﴿وَلُوطًا﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسّره ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾.

والأظهر أنه انتصب بالعطف على ﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، أو[1] ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وانتصب ﴿نُوحًا﴾ و﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ وما بعدهم بالعطف أيضًا.

وقيل: بفعل مضمر تقديره: اذكر.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي: حكمًا بين الناس، أو حكمةً.

﴿مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ هي سَدُوم[2] من أرض الشام.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: في الجنة، أو في أهل رحمتنا[3].

---

(١) في ، د: «و».

(٢) في ب: «سدام».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: كل من التفسيرين صحيح، وإن كان الأول هو الجاري على الظاهر، ويدل لصحة التفسيرين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقوله سبحانه عن سليمان ﷺ: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال الله في الحديث القدسي للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء». والله أعلم.

[﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ
الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ
لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى
الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ
لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ
أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ
وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ
أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا
وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾].

﴿نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: دعا قبل إبراهيم ولوط.

﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني: الغرقَ.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ تعدَّى ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ بـ ﴿مِنَ﴾ :

لأنه مطاوع «انتصَر» المتعدِّي بـ «مِن».

أو تضمَّن[١] معنى: نجَّيناه، أو أجرناه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ كان داود نبيًّا ملكًا، وكان ابنه سليمان حينئذٍ ابنَ[٢] أحد عشر عامًا.

﴿فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كَرْم، والحرث يقال فيهما.

﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ رعَتْ فيه بالليل.

﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لداود وسليمان والمتخاصمَين.

وقيل: لداود وسليمان خاصةً؛ على أن يكون أقلُّ الجمع اثنين.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ تخاصم إلى داود رجلان، دخلت غنمُ أحدِهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته، فقضى داودُ بأن يأخذ صاحبُ[٣] الزرع الغنمَ، ووجْه هذا الحكم: أن قيمة[٤] الزرع[٥] مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبيَّ الله لو حكمتَ بغير هذا كان[٦] أرفق للجميع!، قال: وما هو؟ قال:

---

(١) في ج: «أو ضُمِّن»، وسقطت من ب.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «من»!.

(٣) في ب: «ربُّ».

(٤) في ب زيادة «هذا».

(٥) في د زيادة: «كانت».

(٦) في ب، د: «لكان».

يأخذ صاحب الغنم الأرضَ؛ ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفعُ بألبانها وصوفها ونَسْلها، فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنمُ إلى صاحبها، والأرضُ بزرعها إلى ربِّها، فقال له داود: وُفِّقتَ يا بنيَّ، وقضى بينهما بذلك، ووجْه حكمِ سليمان: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان.

ويَحتمل أن يكون ذلك إصلاحًا، لا حكمًا.

واختَلف الناس: هل كان حكمهما باجتهادٍ أو وحي؟

فمن قال: كان باجتهاد: أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروي أن داود رجع عن حكمه لمَّا تبين له أن الصواب خلافه.

وقد اختُلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء.

وعلى القول بالجواز اختُلف: هل وقع أم لا؟.

وظاهر قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ﴾ أنه كان باجتهادٍ، خصَّ الله سليمان فيه بفهم القضية.

ومن قال: كان بوحي: جعل حكم سليمان ناسخًا لحكم داود.

وأما حكم إفساد المواشي للزرع(١) في شرعنا:

فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون

(١) في ج: «الزرعَ».

النهار؛ للحديث الوارد في ذلك[١]، وعلى هذا يدلُّ حكم داود وسليمان؛ لأن النَّفْش لا يكون إلَّا بالليل.

وقال أبو حنيفة: لا يَضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار؛ لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جُبَارٌ»[٢].

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل: يعني في هذه النازلة، وأنَّ داود لم يخطئ فيها، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدلُّ هذا القول على أنَّ كل مجتهد مصيبٌ.

وقيل: بل يعني: حكمًا وعلمًا في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول: «سبحان الله».

وقيل: الصلاة معه إذا صلَّى.

وقدَّم الجبال على الطير؛ لأن تسبيحها أغرب؛ إذ هي جمادٌ.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا.

---

(١) وهو ما أخرجه أحمد في مسنده (١٨٦٠٦) وأبو داود (٣٥٦٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٣٤) وابن ماجه (٢٣٣٢): عن حرام بن محيصة عن أبيه أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٢)، ومسلم (١٧١٠).

وقال ابن عطية: معناه: كان ذلك في حقه؛ لأجل أن داود استوجب ذلك منا[١].

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني: دروعَ[٢] الحديد، وأول من صنعها داود عليه السلام، قال ابن عطية: اللَّبوس في اللغة: السلاح[٣].

وقال الزمخشري: اللَّبوس: اللِّباس[٤].

﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتَقِيَكم في القتال.

وقرئ بالياء والتاء والنون:

فالنون: لله تعالى.

والتاء: للصَّنعة.

والياء: لداود، أو للبوس.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاءٌ إلى الشكر.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾، والعاصفة: هي الشديدة.

فإن قيل: كيف يقال ﴿عَاصِفَةً﴾ وقال في «ص»: ﴿رُخَآءً﴾ [ص: ٣٦] أي: ليِّنة؟

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٨).

(٢) في أ، ب: «درع».

(٣) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٩).

(٤) الكشاف (١٠/ ٣٨٥)

فالجواب: أنها كانت في نفسها ليِّنةً طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجَمعت الوصفين.

وقيل: كانت رُخاءً في ذهابه، وعاصفةً في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراعُ في الرجوع.

وقيل: كانت تشتدُّ إذا رَفعت البساط، وتلين إذا حملته.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: أرض الشام، وكانت مسكنَه وموضعَ[1] مُلكه، فخصَّ في الآية الرجوع إليها؛ لأنه[2] يدلُّ على الانتقال منها.

﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: يَدخلون في الماء؛ ليستخرجوا له الجوهر من البحار.

﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أقلَّ من الغَوص، كالبنيان والخدمة.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ﴾ أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه.

وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ كان أيوب ﷺ نبيًّا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك[3] الأولاد فصبر، ثم سلَّط البلاءَ على جسمه فصبر إلى أن مرَّ به قوم فشمِتوا

---

(١) في ج، د: «وأرض».
(٢) في أ، ب: «فإنه».
(٣) في ج: «هلك».

به، فحينئذٍ دعا إلى الله[1] تعالى.

على أن قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ليس تصريحًا بالدعاء ولكنه ذكَر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربَّه بغاية الرحمة؛ ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطُّف ما ليس في التصريح بالطلب.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع[2] له عينًا من ماء، فشرب منه واغتسل، فبرئ من المرض والبلاء.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ روي أنَّ الله أحيا أولاده الموتى[3]، ورزقه مثلهم معهم في الدنيا.

وقيل: في الآخرة.

وقيل: وَلَدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى، ومثلهم معهم.

وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: رحمةً لأيوب، وذكرى لغيره من العابدين؛ ليصبروا كما صبر.

ويَحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معًا للعابدِين.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: نبيٌّ بُعِث إلى رجل

---

(١) في د: «دعا الله».

(٢) في هـ: «فتح»

(٣) هذه الكلمة زيادة من ج، د.

واحد[1]، وقيل: رجل صالح غير نبي.

وسُمِّي ذا الكفل أي: ذا الحظِّ من الله.

وقيل: لأنه تكفَّل لليسَع بالقيام بالأمر[2] مِن بعده.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، والنون: هو الحوت، نُسِب إليه؛ لأنه الْتقمه.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي: مغاضبًا لقومه؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون، حتى أدركه ضجَرٌ منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

ولا يصحُّ قول من قال: مغاضبًا لربه.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نضيِّق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦].

وقيل: هو من القدر والقضاء؛ أي ظنَّ أن لن نقدِّر عليه بعقوبة.

ولا يصح قول من قال: إنه من القدرة.

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوفٌ؛ لبيانه في غير هذه الآية، وهو: أنه لما خرج ركب السفينة فرُمِي في البحر، فالتقمه الحوت، ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت.

---

(١) في ب: «وحده».
(٢) في ب، هـ: «بأمره».

ويَحتمل أنْ عبَّر بالظلمات عن بطن الحوت؛ لشدَّة ظلمته، كقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧].

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿أَن﴾ مفسِّرة، أو مصدرية على تقدير: نادى بأن.

والظلم الذي اعترف به: كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني: من بطن الحوت، وأخرجه إلى البرِّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يَحتمل:

أن يكون مطلقًا.

أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك[1] قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلَّا استجيب له»[2].

﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني وارثًا فأنت خير الوارثين، فهو استسلامٌ لله.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ يعني: وَلَدت بعد أن كانت عقيمًا، واسم زوجته: أشياع، قاله السهيلي[3].

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين.

---

(١) في أ، هـ: «وكذلك».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٦٣)، والترمذي (٣٥٠٥)، النسائي في الكبرى (٩/ ٢٤٣)

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٢١١).

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الرَّغب: الرجاء، والرَّهَب: الخوف.

وقيل: الرغب: أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب: أن ترفع ظهورها(١).

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنى ﴿أَحْصَنَتْ﴾: من العفة؛ أي: أعفته عن(٢) الحرام والحلال، كقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسى لمَّا نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه؛ لأنه كان بأمره.

والروح هنا: هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه؛ للتشريف، أو للملك.

﴿ءَايَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يثنَّ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملَّتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لمحمد ﷺ؛ أي: إنما بُعِث الأنبياء المذكورون بما أُمرتم به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقون في أصول العقائد.

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارةٌ مِن جَعْل الشيء قِطَعًا.

والضمير للمخاطَبين قبلُ، فالأصل: تقطَّعتم.

---

(١) في ج، د: «ظهورهما».

(٢) في أ، ب، هـ: «من».

[﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ
كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ
فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ
كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ
لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ
أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ
أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ
بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ
عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ
إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ
وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ
مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾].

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي: لا إبطال لثواب عمله.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ﴾ أي: نكتب عمله في صحيفته.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ قرئ ﴿حِرْمٌ﴾ بكسر الحاء، وهو بمعنى حرام.

واختُلف في معنى الآية:

فقيل: حرام بمعنى: ممتنع:

(أي: ممتنعٌ)[١] على قرية (أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة.

أو ممتنعٌ على قرية)[٢] قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا.

و﴿لَا﴾ زائدة في الوجهين.

وقيل: حرام بمعنى: حتمٌ واقع لا محالة، ويُتصوَّر فيه الوجهان، وتكون ﴿لَا﴾ نافيةً فيهما:

أي: حتمٌ عدمُ رجوعهم إلى الله بالتوبة.

أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا.

وقيل: المعنى: ممتنعٌ على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، و﴿لَا﴾ على هذا نافيةٌ أيضًا، ففيه ردٌّ على من أنكر البعث.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا:

حرف ابتداء.

أو غايةٌ متعلِّقة بـ ﴿يَرۡجِعُونَ﴾.

وجواب ﴿إِذَا﴾: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾.

وقيل: الجواب: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾؛ لأن تقديره: يقولون يا ويلنا.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

و﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فُتِح سدُّها، فحذف المضاف.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الحدَب: المرتفع من الأرض، و﴿يَنسِلُونَ﴾: أي يسرعون.

والضمير ليأجوج ومأجوج؛ أي: يَخرجون من[1] كل طريق؛ لكثرتهم.

وقيل: لجميع الناس.

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني: [2] القيامة.

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ «إذا» هنا للمفاجأة، والضمير:

عند سيبويه: ضمير القِصَّة.

وعند الفراء: للأبصار.

و﴿شَاخِصَةٌ﴾ من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطابٌ للمشركين.

والحصَب: ما توقد به النار، كالحطب، وقرأ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «حطب جنهم».

والمراد بـ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها، تُحرَق في النار؛ توبيخًا لمن عبدها.

---

(١) في ب: «على».

(٢) في ج زيادة: «يوم».

﴿وَارِدُونَ﴾ الورود هنا: دخول(١).

﴿زَفِيرٌ﴾ ذُكر في «هود»(٢).

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يُجعلون في توابيت من نار، فلا يسمعون شيئًا.

وقيل: يُصِمُّهم الله كما يُعميهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿سَبَقَتْ﴾ أي: قُضيت في الأزل، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾: السعادة.

ونزلت الآية لما اعترض ابن الزِّبَعْرى على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال: إن عيسى وعزيرَ والملائكةَ قد عُبدوا.

فالمعنى: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومه في كل مَن سبقت له السعادة.

﴿حَسِيسَهَا﴾ أي: صوتها.

﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة.

وقيل: ذَبح الموت.

وقيل: النفخة الأولى في الصور؛ لقوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾ السِّجلُّ: الصحيفة، والكتاب: مصدر؛

---

(١) في هـ: «الدخول».

(٢) انظر (٢/ ٦١١).

أي: كما يُطوَى السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه.

وقيل: السجل: رجل كاتب، وهذا ضعيف.

وقيل: هو ملَك في السماء الثانية، ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضًا ضعيف.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي: كما قَدَرْنا على البَدْأة نَقدِر على الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقيل: المعنى: نعيدهم على الصورة التي بدأناهم[1] كما جاء في الحديث: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلًا**»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[2].

والكاف متعلِّقة بقوله: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾.

﴿فَٰعِلِينَ﴾ تأكيدٌ لوقوع البعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود، والذِّكر هنا على هذا: التوراة التي أنزل الله على موسى، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالى.

والقول الثاني: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر على هذا: هو اللوح المحفوظ؛ أي: كتب الله هذا في

---

(١) في أ، ب، هـ: «بدأناهم».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٥٩).

الكتاب الذي أفرد له، بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها.

والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهرُ وأكثر استعمالًا ولأن الزبور مفردٌ، فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النصَّ قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها[1] الصالحون.

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها.

وقيل: الأرض المقدسة.

وقيل: أرض الجنة.

والأول أظهر.

والعباد الصالحون: أمَّة محمد ﷺ، ففي الآية ثناءٌ عليهم، وإخبارٌ بغيبٍ ظهر[2] مصداقُه في الوجود؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ هذا خطاب لمحمد ﷺ، وفيه تشريف عظيم.

وانتصاب ﴿رَحْمَةً﴾ على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة.

---

(١) في ج زيادة: «عبادي».

(٢) في أ، ب: «وإخبار بظهور غيب»!.

ويَحتمل:

أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين.

أو يكون مفعولًا من أجله.

والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة.

فإن قيل: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ عمومٌ، والكفار لم يُرحموا به؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا معرَّضين للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم.

والآخر: أنهم رُحِموا به؛ لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدِّمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك.

﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: أعلمتكم بالحق على استواءٍ في الإعلام، وتبليغٍ إلى جميعكم لم يختصَّ به واحد دون[1] آخر.

﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ «إن» هنا وفي الموضع الآخر نافيةٌ، و﴿أَدْرِيٓ﴾ فعل عُلِّق عن معموله؛ لأنه من أفعال القلوب، وما بعده

---

(١) في أ، ب زيادة: «واحد».

في موضع المعمول من طريق المعنى؛ فيجب وصْلُه معه، والهمزة في قوله: ﴿أَقَرِيبٌ﴾ للتسوية، لا لمجرَّد الاستفهام.

وقيل: يوقف على ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ في الموضعين، ويبتدأ بما بعده، وهذا خطأ؛ لأنه يَطلب ما بعده.

﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى الموت، أو القيامة.

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.



﴿ سورة الحج ﴾

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ
تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ
فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ
لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ
لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا
يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ٧ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ١٠﴾].

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ تكلَّمنا على التقوى في أول «البقرة»[١].

---

(١) انظر (١/ ٢٦٥).

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: شدَّتها وهَوْلها[1]، كقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، أو تحريك الأرض حينئذ، كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

والجملة تعليلٌ للأمر بالتقوى.

واختُلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك:

في الدنيا بين يدي القيامة؟

أو بعد أن تقوم القيامة؟.

والأرجح: أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل، لا بعد القيامة.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ العامل في الظرف ﴿تَذْهَلُ﴾.

والضمير للزلزلة.

وقيل: للساعة، وذلك ضعيف؛ لما ذكرنا، إلَّا أن يريد ابتداء أمرها.

﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول: هو الذهاب عن الشيء مع دهشة.

﴿مُرْضِعَةٍ﴾ إنما لم يقل «مرضع»؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمةً ثديها للصبي، والمرضع: التي شأنها أن تُرضِع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ ليكون ذلك أعظم في الذهول؛ إذ تنزع ثديها من فمِ الصبي حينئذ.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وهو هولها».

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ تشبيهٌ بالسُّكارى؛ لشدَّة الغمّ.

﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ نفيٌ لحقيقة السُّكر.

وقرئ ﴿سَكْرَىٰ﴾، والمعنى متَّفق[1].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل.

وهي تتناول كلَّ مَن اتصف بذلك.

﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: شديدِ الإغواء، ويَحتمل أن يريد: شيطان الجن، أو الإنس.

﴿كُتِبَ﴾ تمثيلٌ لثبوت الأمر، كأنه مكتوب.

ويَحتمل أن يكون بمعنى: قُضي، كقوله: كتَب الله.

﴿أَنَّهُۥ﴾ في موضع المفعول الذي لم يسَمَّ فاعله، و﴿فَأَنَّهُۥ﴾ عطفٌ عليه، وقيل: تأكيد.

﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: تبعه، أو اتخذه وليًّا.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾، وفي ﴿أَنَّهُۥ﴾ في الموضعين، وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾: للشيطان.

وفي ﴿يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾: للمتولِّي له.

ويَحتمل أن تكون تلك الضمائر أوَّلًا لـ ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾.

---

(١) في ج زيادة «عليه».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن شككتم في البعث الأُخراوي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خِلْقتكم؛ فتعلموا أن الذي قدَر على خِلْقتكم أول مرة، قادرٌ على أن يعيدكم ثانيَ مرة، وأن الذي قدَر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها، قادر على أن يخرجكم من قبوركم.

﴿خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ إشارةٌ إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس؛ لأنهم من ذريته، وهو أصلهم.

﴿مِن عَلَقَةٍ﴾ العلقة: قطعةٌ من دمٍ جامدةٌ.

﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾ أي: قطعة من لحم.

﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلقة: غير التامة، كالسِّقْط.

وقيل: المخلَّقة: المسوَّاة السالمة من النقصان.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اللام تتعلَّق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبيِّن لكم قدرتنا على البعث.

﴿وَنُقِرُّ﴾ فعلٌ مستأنَف.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: وقتَ وضع الحمل، وهو مختلِفٌ، أقلُّه ستة أشهر إلى ما فوق ذلك.

﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أفرده: لأنه أراد الجنس، أو أراد: نخرج كل واحد منكم طفلًا.

﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ هو كمال القوَّة والعقل والتمييز، وقد اختُلف فيه من ثمان عشرة سنة إلى خمس وأربعين.

﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ ذُكر في «النحل»[1].

﴿هَامِدَةً﴾ يعني: لا نبات فيها.

﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ تحرَّكت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لمَّا دخلها الماء.

﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت.

﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: صنف عجيب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور، مِن أمر الإنسان والنبات، حاصلٌ بأن[2] الله هو الحق. هكذا قدَّره الزمخشري[3]، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضًا فسَّرها ابن عطية[4].

ويَلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ معطوفًا على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذُكِر؛ فقال ابن عطية: قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ ليس بسبب لما ذكر؛ ولكن المعنى: أن الأمر مرتبطٌ بعضه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة[5].

---

(١) انظر (٢/ ٧٦٢).

(٢) في هـ: «لأن».

(٣) الكشاف (١٠/ ٤٤٥).

(٤) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٨).

(٥) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٨).

وهذان الجوابان اللذان ذكَر ابن عطية ضعيفان.

أما قوله: «إن الأمر مرتبط بعضه ببعض»، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصح.

وأما قوله: «على تقدير: الأمر: أن الساعة»؛ فذلك استئنافٌ، وقطعٌ للكلام الأول، ولا شكَّ أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعًا مما قبله؟!.

والذي يظهر لي: أن الباء ليست بسببية، وإنما يُقدَّر لها فعلٌ تتعلق به ويقتضيه المعنى، وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدَّم من خِلْقة الإنسان والنبات شاهدٌ[1] بأن الله هو الحق، وبأنه يحيي[2] الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مما استدلَّ عليها بخِلْقة الإنسان والنبات.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ نزلت فيمن نزلت الأولى، وقيل: في الأخنس بن شَرِيق.

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ كنايةٌ عن المتكبِّر المعرض.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌۖ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث: فالخزي: أسره ثم قلته، وكذلك قتل أبي جهل.

---

(١) في د: «تشهد».

(٢) في ج: «محيي».

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: يقال له: ذلك بما فعلتَ، وبعدل الله؛ لأنه لا يظلم العباد.



[﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ
ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ
يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ
وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ
فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾].

﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتَّفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دينٌ حسَن، وإن اتَّفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتدَّ عن الإسلام.

فالحرف هنا: كنايةٌ عن المقصِد، وأصله:

من الانحراف عن الشيء.

أو من الحرف بمعنى الطرَف؛ أي: أنه في طرفٍ من الدين لا في وسَطه.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا: بما جرى عليه فيها، وخسارة الآخرة: بارتداده، وسوء اعتقاده.

﴿مَا لَا يَضُـرُّهُۥ﴾ يعني: الأصنامَ، و﴿يَدْعُوا﴾ بمعنى: يعبد (في الموضعين)[١].

﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ فيها إشكالان:

الأول: في المعنى، وهو كونه وصَف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأنَّ ضَرَّها أكثر من نفعها، فنفى الضرَّ ثم أثبته!.

والجواب: أن الضر المنفي أوَّلًا يراد به ما يكون مِنْ فِعْلها، وهي لا تفعل شيئًا، والضر الثاني يراد به: ما يكون بسببها من العذاب وغيره.

والإشكال الثاني: دخول اللام على «مَن»، وهي في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل على المفعول!.

وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه:

أحدها: أن اللام مقدَّمة على موضعها، كأنَّ الأصل أن يقال: يدعو مَن لضرُّه أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدإ.

وثانيها: أنَّ ﴿يَدْعُوا﴾ هنا كُرِّر تأكيدًا لـ ﴿يَدْعُوا﴾ الأول، وتمَّ الكلام عنده، ثم ابتدأ قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾، فـ«من» مبتدأ، وخبره ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

---

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

وثالثها: أن معنى ﴿يَدْعُواْ﴾: يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرَّة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدإ في أول الكلام.

﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هنا: بمعنى الوليّ.

﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ الصاحب؛ فهو من العِشْرة[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ لما ذكر أن الأصنام لا تنفع مَن عبدها؛ قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ السبب هنا: الحبل، والسماء هنا: سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تُعَلَّق[٢] منها الحبال.

والقطع هنا يراد به: الاختناق بالحبل، يقال: قَطَع الرجلُ: إذا اختَنق.

ويَحتمل أن يراد به: قَطْعُ الرِّجْل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق، وربطه في السقف.

والمراد بالاختناق هنا: ما يفعله من اشتدَّ غيظه وحسرته، أو طمِع فيما لا يصل إليه، كقولك للحسود: مُتْ كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك.

وفي معنى الآية قولان:

الأول: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظنُّ أن لن ينصر اللهُ محمدًا فليختنق بحبل؛ فإن الله

---

(١) في أ، ب، هـ: «العشيرة»!.

(٢) في ج، د، هـ: «يعلق».

ناصره ولا بدَّ؛ على غيظ الكفار.

فموجِب الاختناق: هو الغيظ من نصرة محمد ﷺ.

والقول الثاني: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ عائدٌ على ﴿مَن﴾، والمعنى على هذا: مَن ظنَّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمِّه أن لن ينصره الله فليختنق، وليمت بغيظه؛ فإنه لا يَقدِر على غير ذلك.

فموجب الاختناق على هذا: القنوط، والتسخُّط من القضاء، وسوءُ الظنِّ بالله حتى ييئس[١] مِن نصره، ولذلك فسَّر بعضهم ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى: أن لن يرزقه.

وهذا القول أرجح من الأول لوجهين:

أحدهما: أن هذا القول مناسبٌ لمن يعبد الله على حرف؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنِط، حتى ظنَّ أن الله لا ينصره[٢]، فيكون هذا الكلام متصلًا بما قبله، ويدلُّ عليه[٣] قوله قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الأمور بيد الله؛ فلا ينبغي لأحد أن يتسخَّط من قضاء الله، ولا ينقلبَ إذا أصابته فتنة.

والوجه الثاني: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ على هذا القول يعود على ما تقدَّم[٤]، وأما في القول الأول فلا يعود على مذكورٍ قبله؛ لأن النبي ﷺ لم

---

(١) في ج: «ييأس».

(٢) في أ، ب: «أن لن ينصره».

(٣) في د: «على ذلك».

(٤) في ج، هـ: «تقدمه».

يُذكَر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه، ولا يدلُّ سياق الكلام عليه دلالةً ظاهرة.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به: اختناقه، وسُمِّيَ كيدًا؛ لأنه وضعه موضع الكيد؛ إذ هو غاية حيلته.

والمعنى: إذا خنق نفسه فلينظر هل يُذهِب ذلك ما يَغيظه من الأمر؟، أي: ليس يُذهِبه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن؛ أي: مثل هذا أنزلنا القرآن كلَّه آياتٍ بيِّناتٍ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية: «أنَّ» في موضع خبر الابتداء، والتقدير: الأمر أن الله[1]، وهذا ضعيف؛ لأن فيه تكلُّفَ إضمار، وقطعًا للكلام عن المعنى الذي قبله.

وقال الزمخشري: التقدير: لأنَّ الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات[2]، فجعل «أنَّ» تعليلًا للإنزال، وهذا ضعيف؛ للفصل بينهما بالواو.

والصحيح عندي: أن قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ معطوفٌ على ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ لأنه مقدر بالمصدر، فالتقدير: أنزلناه آياتٍ بينات وهدًى لمن أراد الله أن يهديَه.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ ذُكر في «البقرة»[3]، وكذلك ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٢٢٤).

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٥٦).

(٣) انظر (١/ ٣٢٢)، والمادة (٣٧٦) في اللغات.

﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشرَّ من الظلمة.

﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآيةَ، وكُرِّرت ﴿إِنَّ﴾ مع الخبر للتأكيد.

وفَصْلُ اللهِ بينَهم: بأن يبين لهم أنَّ الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار.

﴿يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ دخل في هذا: مَن في السموات مِن الملائكة، ومَن في الأرض مِن الملائكة والجنِّ، ولم يدخل الناس في ذلك؛ لأنه ذكَرهم في آخر الآية، إلَّا أن يكون ذكَرهم في آخرها على وجه التجريد.

وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به: الانقياد، ثم إن الانقياد يكون على وجهين:

أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعًا.

والآخر: الانقياد لما يُجرِي الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره، شاؤوا أو أبَوا.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ إنْ جعلنا السجود بمعنى الانقياد للطاعة؛ فيكون ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ معطوفًا على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون

قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ مستأنفًا يراد به من لا ينقاد للطاعة، ويُوقَف على قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، وهذا القول هو الصحيح.

وإنْ جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره؛ فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد؛ لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى.

فقيل[١]: إن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ يقتضي ظاهره: أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود.

وتأوله الزمخشري على هذا المعنى: بأن أعربَ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاعلًا بفعل مضمر تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوعًا بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: مثاب[٢]. وهذا تكلُّف بعيد.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدلُّ على ذلك: ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس[٣].

---

(١) في ج، د: «وقيل».

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٥٩).

(٣) في نسبة هذا القول إلى ابن عباس نظر!، فابن عباس يقول بأنها في المؤمنين وأهل الكتاب، لا عموم الكفار، وأما القول بأنها في المؤمنين والكفار على العموم، فهو قول مجاهد وعطاء والحسن البصري وعاصم والكلبي. انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٩١)، والمحرر الوجيز (٦/ ٢٢٨).

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات.

والخَصْم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا: جماعة.

والإشارة بـ ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى الفريقين.

﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ لجماعة الفريقين.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيةَ؛ حكَم بين الفريقين، بأن جعل للكفار النار، وللمؤمنين الجنةَ المذكورة بعد هذا.

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصّلت على قدر أجسادهم، وهو مستعارٌ من تفصيل الثياب.

﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحارُّ.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي: يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبَّ على رؤوسهم وصل حرُّه إلى بطونهم، فأذاب ما فيها.

وقيل: معنى ﴿يُصْهَرُ﴾: يُنضَج.

﴿مَقَٰمِعُ﴾ جمع مِقْمَعة؛ أي: مِقْرَعة مِن حديد يُضرَبون بها.

وقيل: هي السِّياط.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدلٌ من المجرور قبله.

﴿وَذُوقُوا۟﴾ التقدير: يقال لهم: ذوقوا.

[﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾].

﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ ﴿مِنۡ﴾ لبيان الجنس، أو التبعيض.

وفسَّرنا الأساور في «الكهف»[1].

﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ بالنصب:

مفعول بفعل مضمر؛ أي: يُعطَون لؤلؤًا.

أو معطوف على موضع ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾؛ إذ هو مفعول.

وبالخفض: معطوفٌ:

على ﴿أَسَاوِرَ﴾.

أو على ﴿ذَهَبٖ﴾.

﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ قيل: هو «لا إله إلا الله».

واللفظ أعم من ذلك.

﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله، فالحميد اسم الله.

ويَحتمل أن يريد: الصراطَ الحميدَ، وأضاف الصفة إلى الموصوف

---

(١) انظر صفحة ٢٦.

كقولك: مسجد الجامع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ خبره محذوفٌ، يدلُّ عليه قوله: ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقيل: الخبر ﴿يَصُدُّونَ﴾ على زيادة الواو، وهذا ضعيف.

وإنما قال: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بلفظ المضارع؛ ليدلَّ على الاستمرار على الفعل.

﴿سَوَآءً﴾ بالرفع: مبتدأ، أو خبر مقدم، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ «جعلنا».

وقرئ بالنصب؛ على أنه المفعول الثاني، و﴿ٱلْعَـٰكِفُ﴾ فاعل به.

﴿ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ العاكف: المقيم في البلد، والبادي: القادم عليه من غيره، والمعنى: أن الناس سواءٌ في المسجد الحرام، لا يختصُّ به أحد دون أحد(١)، وذلك إجماعٌ.

وقال أبو حنيفة: حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء، وليس لأحد فيها ملك، والمراد عنده بالمسجد الحرام: جميع مكة.

وقال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد، بل هي متملَّكة.

﴿بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ الإلحاد: الميل عن الصواب.

---

(١) في ج، هـ: «دون آخر».

والظلم هنا: عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر؛ لأن الذنوب بمكة أشدُّ منها في غيرها.

وقيل: هو استحلال الحرام[١].

ومفعول ﴿يُرِدْ﴾ محذوف، تقديره: مَن يُرِد أحدًا، أو مَن يرد شيئًا، و﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾: حالان مترادفان.

وقيل: المفعول قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ على زيادة الباء.



(١) في ب، ج: «الحرم».

[﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ
اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ
الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ
﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ
الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن
تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ العامل في «إذ» مضمر، تقديره: اذكر.

و﴿بَوَّأْنَا﴾ أصله: باءَ بمعنى رجَع، ثم ضوعف ليتعدَّى، واستعمل بمعنى: أنزلنا في الموضع، كقوله: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١].

إلَّا أن هذا المعنى يشكل هنا؛ لقوله: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾؛ فتعدَّى الفعل باللام وهو يتعدَّى بنفسه، حتى قيل: اللام زائدة، وقيل: معناه: هيَّأنا، وقيل: جعلنا.

و﴿الْبَيْتِ﴾ هنا: الكعبة، وروي أنه كان آدم يعبد الله فيه، ثم دَرَس بالطوفان، فدلَّ الله إبراهيمَ عليه السلام على مكانه، وأمره ببنيانه.

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ ﴿أَن﴾: مفسِّرة، والخطاب لإبراهيم عليه السلام، وإنما

فُسِّرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك والأمرِ بالتطهير؛ لأن التبوئة إنما قُصِدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ عامٌّ في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك.

﴿وَالْقَآئِمِينَ﴾ يعني: المصلين.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ خطاب لإبراهيم.

وقيل: لمحمد ﷺ.

والأول هو الصحيح.

روي[1] أنه لما أُمِر بالأذان بالحج صَعِدَ على جبل أبي قُبيس، ونادى: أيها الناس!، إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحُجُّوا، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة، وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره: «لبيك اللهم لبيك»، فجرَت التلبية على ذلك.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ جمع راجِلٍ؛ أي: ماشيًا على رجليه.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضامر يراد به: ما يُركَب من فرس وناقة وغير ذلك، ووصفه بالضُّمور؛ لأنه لا يصل إلى البيت إلَّا بعد ضموره.

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوف على حال؛ كأنه قال: رجالًا وركبانًا.

---

(١) في ب، د: «وروي».

واستدلَّ بعضهم بتقديم الرِّجال في الآية على أن المشي[١] إلى الحج أفضل من الركوب[٢].

واستدلَّ بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر.

﴿يَأْتِينَ﴾ صفةٌ لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد.

﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ التجارة.

وقيل: أعمال الحج وثوابه.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني: التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا[٣].

وقيل: يعني الذِّكرَ على الإطلاق.

وإنما قال: ﴿اسْمَ اللَّهِ﴾؛ لأن الذاكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء.

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ هي عند **مالك**: يوم النحر وثانيه وثالثه خاصةً؛ لأن هذه هي أيام الضحايا عنده، ولم يُجِزْ ذبحَها بالليل؛ لقوله: ﴿فِي أَيَّامٍ﴾.

---

(١) في أ، ب: «الماشي».

(٢) في أ: «الراكب».

(٣) في أ: «والهدي».

وقيل: الأيام المعلومات: عشر ذي الحجة، ويوم النحر، والثلاثة[١] بعده.

وقيل: عشر ذي الحجة خاصةً.

وأما الأيام المعدودات؛ فهي الثلاثة بعد يوم النحر.

فيوم النحر من المعلومات، لا من المعدودات.

واليومان بعده من المعلومات والمعدودات.

ورابع النحر من المعدودات، لا من المعلومات.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ندبٌ، أو إباحة.

ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا، ويتصدق بالأكثر.

﴿الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه البؤس.

وقيل: هو المتكفِّف.

وقيل: الذي يظهر عليه أثر الجوع.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ التَّفَث في اللغة: الوسَخ، فالمعنى: ليقضوا إزالة تفثهم بقصِّ الأظفار، والاستحدادِ، وسائرِ خصال الفطرة، والتنظفِ بعد أن يَحِلُّوا من الحج.

وقيل: التفث: أعمال الحج.

---

(١) في أ: «والثالثة»، وفي ب: «وثالثة».

وقرئ بكسر اللام وإسكانها، وهي لام الأمر، وكذلك ﴿وَلْيُوفُوا﴾ ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا: طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو الطواف الواجب.

﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

وقيل: العتيق: الكريم، كقولهم: فرس عتيق.

وقيل: أُعتق من الجبابرة؛ أي: مُنع منهم.

وقيل: العتيق: أي: لم يملكه أحد(١) قط.

﴿ذَلِكَ﴾ هنا، وفي الموضع الثاني: مرفوعٌ على تقدير: الأمر ذلك، كما يقدِّم الكاتبُ جملةً من كتابه، ثم يقول: «هذا؛ وقد كان كذا».

وأجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ في ثلاثة مواضع من هذه السورة، وهي:

[١-] هذا.

[٢-] و﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾(٢).

لأنها جملة مستقلة؛ إذ هو خبر ابتداء مضمر.

---

(١) في ج زيادة: «منهم».

(٢) في جميع النسخ ما عدا هـ زيادة: «و(ذلك ومن يشرك بالله») باعتبارها الموضع الثالث!، وهذا وهمٌ؛ فليست هناك آية بهذا النظم لا في سورة الحج ولا في غيرها، فلعل مراده أن الموضع الثالث هو الموضع الآتي، وهو ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾.

والأحسن: وصْلُها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر ابن الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلامًا أجنبيًا.

ومثلها:

[٣-] ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ [الحج: ٦٠].

و﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفال: ١٤] في «الأنفال».

و﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص: ٥٥] في «ص».

﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جمع حُرْمة، وهو ما لا يحلُّ هَتْكه من جميع الشريعة، فيَحتمل أن يكون هنا:

على العموم.

أو يكون خاصًا بما يتعلق بالحج؛ لأن الآية فيه.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: التعظيم للحرمات خير.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرَّمه في غير هذا الموضع، كالميتة.

﴿ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس؛ كأنه قال: الرجس الذي هو الأوثان.

والمراد: النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقرُّبًا إليها، كما كانت العرب تفعل.

﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ أي: الكذب.

وقيل: شهادة الزور.

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيةَ؛ تمثيلٌ للمشرك بمن أهلك نفسه أشدَّ الهلاك.

﴿سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد.

﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج، وتعظيمُها: بأن تُختار سِمانًا عِظامًا غالية الأثمان.

وقيل: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة، وتعظيمُها: إجلالها وتوقيرها والقصد إليها.

وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمُها: القيام بها وإجلالها.

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفِعْلة التي يتضمَّنها الكلام، وهي مصدر ﴿يُعَظِّمْ﴾.

وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات[1].

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من قال: إن شعائر الله هي الهدايا: فالمنافع بها: شرب لبنها، وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى: نحرها.

ومن قال: إن شعائر الله مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها، أو الأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.

---

(١) الكشاف (١٠/ ٤٨٣).

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ من قال: إن الشعائر الهدايا فمحِلُّها: موضع نحرها، وهو[1] منى ومكة، وخصَّ البيت بالذكر؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي.

و﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول ليست للترتيب في الزمان؛ لأن محِلَّها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجُمل.

ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحِلها: مأخوذٌ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كلِّه الطواف بالبيت، يعني: طواف الإفاضة؛ إذ به يَحِلُّ المحرم من إحرامه.

ومن قال: إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق؛ فذلك لا يستقيم مع قوله: ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾.



(١) في ج، هـ: «وهي».

[﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي: لكل أمة مؤمنة.

والمنسك: اسم مكان؛ أي: موضعًا[1] لعبادتهم.

ويَحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى: عبادةً، والمراد بذلك: الذبائح؛ لقوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربًا إلى الأصنام.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان:

أحدهما: أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبنا بقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: هو الذي شرع المناسك لكم، ولمن تقدَّم قبلكم.

والثاني: أنه إشارةٌ إلى الذبائح؛ أي: إلهكم إله واحد؛ فلا تذبحوا تقربًا لغيره.

﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين.

---

(١) في أ، ب: «موضعها».

وقيل: المتواضعين.

وقيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وكذلك قوله بعد ذلك: و﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

واللفظ فيهما أعم من ذلك.

﴿وَجِلَتْ﴾ خافت.

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنة، وهو ما أُشعِر من الإبل، واختُلف هل يقال للبقرة بدنة؟.

وانتصابه بفعل مضمر.

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، و﴿مِّن﴾ للتبعيض، وبذلك استدَلَّ من قال: إن شعائر الله المذكورة أوَّلًا على العموم في أمور الدين.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل: الخير هنا: المنافع المذكورة قبلُ.

وقيل: الثواب.

والصواب: العموم في خير الدنيا والآخرة.

﴿صَوَآفَّ﴾ معناه: قائماتٍ قد صَففْن أيديَهن وأرجلهن.

وهو منصوب على الحال من الضمير المجرور، ووزنه فواعل، وواحده صافّة.

﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال: وجب الحائط وغيره: إذا سقط.

﴿ٱلْقَانِعَ﴾ معناه: السائل، وهو من قولك: قَنَع الرجل -بفتح النون-: إذا سأل.

وقيل: معناه: المتعفِّف عن السؤال، فهو -على هذا- من قولك: قنِع -بالكسر-: إذا رضي بالقليل.

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مُفْتعِل، يقال: اعتررت القومَ[1]: إذا تعرَّضتَ لهم.

فالمعنى: أطعموا مَن سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله.

أو أطعموا من تعفف عن السؤال بالكليَّة، ومن تعرَّض للعطاء.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كلِّه سخَّرناها لكم.

وقال الزمخشري: التقدير: مثلَ التسخير الذي عَلِمْتم سخَّرناها لكم[2].

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنَّما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ: ﴿يَنَالُ﴾ مبالغةً وتأكيدًا[3]، كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما يصل إليه التقوى منكم؛ فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب.

---

(١) في ج، د: «بالقوم».
(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٠).
(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

وقيل: كان أهل الجاهلية يضرِّجون البيت بالدماء، فأراد المسلمون فعل ذلك، فنهوا عنه، ونزلت الآية.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كُرِّر[1] تأكيدًا.

﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ قيل: يعني قول الذابح: «بسم الله والله أكبر».

واللفظ أعم من ذلك.

* * *

(١) في ج زيادة «هنا».

[﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ
يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم
بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ
وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ
مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن
قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ
مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ
فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن
يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرَّهم وأذاهم.

وحذف مفعول ﴿يُدَٰفِعُ﴾؛ ليكون أعظم وأعمّ.

وقرىء ﴿يُدَٰفِعُ﴾ بالألف، و﴿يَدْفَعُ﴾ بسكون الدال من غير ألف، وهما بمعنى واحد؛ أجريتْ «فاعَلَ» مُجرَى «فَعَل»، كقولك: عاقبتُ اللصَّ.

وقال الزمخشري: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ معناه: يبالغ في الدفع عنهم؛ لأنه للمبالغة،

وفعل المغالِب أقوى[(١)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الخوَّان: مبالغةٌ في خائن، والكفور: مبالغةٌ في كافر.

قال الزمخشري: هذه الآية علَّةٌ لما قبلها[(٢)].

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونَسخت الموادعة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة.

وقرئ ﴿أُذِنَ﴾:

بضم الهمزة؛ على البناء لما لم يسَمَّ فاعله،

وبالفتح؛ على البناء للفاعل، وهو الله تعالى.

والمعنى: أُذِن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ عليه.

وقرئ ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء وكسرها.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ يعني: الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضرُّوا بهم، حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في مَعْرِض إلزامهم الذنب، ووصفهم بالظلم.

---

(١) الكشاف (١٠/ ٤٩٢).

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٢).

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع، لا يجوز فيه البدل عند سيبويه[(١)].

وقال الزمخشري: ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ في محل الجر على الإبدال من ﴿حَقٍّ﴾[(٢)].

﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الآيةَ؛ تقويةٌ للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه، كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين، وذهب الدين.

وقيل: المعنى: لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة.

والأول أليق بسياق الآية.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف: مصدر دافع، وبغير ألف: مصدر دفَع.

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرئ بالتخفيف، والتشديد؛ للمبالغة.

﴿صَوَٰمِعُ﴾ جمع صَومَعة - بفتح الميم -، وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمِّي بها في الإسلام موضع الأذان.

والبِيَع: جمع بِيعة - بكسر الباء -، وهي كنائس النصارى.

والصَّلوات: شنائغ[(٣)] اليهود.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٢٥٣).

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٤).

(٣) جاء في تكملة المعاجم العربية (٦/ ٣٦٥): «شُنُوغَة: كنيس، معبد اليهود، وجمعه: شَنائِغ»، وهذه الكلمة مأنوسة، مألوفة الاستعمال عند أهل المغرب والأندلس، فقد استعملها ابن عطية في المحرر الوجيز عند تفسير هذه الآية، واستعملها ابن سهل الأندلسي الجيَّاني المالكي في كتابه الإعلام بنوازل الأحكام (ص: ٧٧٣)، وتجمع شنوغة على شنائغ وشُنُوغات.

وقيل: هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها: مواضع الصلوات.

والمساجد: للمسلمين.

فالمعنى: لولا دفاع الله؛ لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدِّمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة، فهدموا مواضع عبادتهم.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدَّم من المتعبَّدات.

وقيل: للمساجد خاصة.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: مَن ينصر دينه وأولياءه، وهو وعد تضمَّن الحضَّ على القتال.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ الآيةَ؛ قيل: يعني أمة محمد ﷺ.

وقيل: الصحابة.

وقيل: الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مُكِّنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيةَ؛ ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له، والوعيد لهم.

﴿نَكِيرِ﴾ مصدر بمعنى الإنكار.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ العروش[1]: السُّقُف، فإن تعلَّق الجار بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فالمعنى: أن العروش سقطت، ثم سقطت[2] الحيطان عليها، فهي فوقها.

---

(١) في أ، ب، هـ: «العرش».

(٢) في ب: «العرش سقط ثم سقط».

وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال فالمعنى: أنها خاوية مع بقاء عروشها.

﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ أي: لا يُستقى الماء منها؛ لهلاك أهلها.

ورُوي أن هذه البئر هي الرسُّ، وكانت بعدَنٍ لأمة من بقايا ثمود.

والأظهر أنه لم يُرِد التعيين؛ لقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾، وهذا اللفظ[1] يراد به التكثير.

﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ أي: مبنيّ بالشِّيْدِ، وهو الجِصُّ.

وقيل: المشيَّد: المرفوع البنيان[2].

﴿قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ دليلٌ على أن العقل في القلب، خلافًا للفلاسفة في قولهم: إنه في الدماغ.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي: لا تعمى الأبصار عمًى يُعتدُّ به، وإنما العمى الذي يعتدُّ به عمى القلوب.

أو إن[3] هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم؛ ولكن عميت قلوبهم.

فالمعنى الأول: لقصد المبالغة.

والثاني: خاصٌّ بهؤلاء القوم.

﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مبالغةٌ، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧].

---

(١) في ب، هـ: «لفظ».
(٢) في ج: «البناء».
(٣) في أ، ج: «وأن».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش.

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الوعيد بالعذاب، وسماه وعدًا؛ لأن المراد به مفهوم.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى: إن يومًا من أيام الآخرة مقداره[1] ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة»[2].

وقيل: المعنى: إن يومًا واحدًا من أيام العذاب كألف سنة؛ لطول العذاب؛ فإن أيام البؤس طويلة، وإن كانت في الحقيقة قصيرةً.

وفي كل واحد من الوجهين تهديدٌ للذين استعجلوا العذاب، إلَّا أن الأول أرجح؛ لأن الألف سنةٍ فيه حقيقة.

وقيل: إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ ذكر أوَّلًا القرى التي أهلكها بغير إملاء، وذَكر هنا التي أهلكها بعد الإملاء.

والإملاء: هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد.

وعطف هذه الجملة بالواو على الجملة[3] المعطوفة قبلها بالواو، وقال في الأولى: ﴿فَكَأَيِّن﴾؛ لأنه بدلٌ من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

---

(١) في ب: «مقدار».

(٢) أخرجه أحمد (١٠٦٥٤)، والترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢).

(٣) في أ، د، هـ: «الجمل».

[﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ
ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى
ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ
يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾].

﴿سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالطعن عليها، وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جدَّ[١] فيه؛ لقصد إصلاحه أو إفساده.

﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ بالألف أي: مغالبين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة.

وقرئ بالتشديد من غير ألف؛ ومعناه: أنهم يُعجِّزون الناس عن الإسلام؛ أي: يثبِّطونهم عنه.

﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ النبيُّ أعم من الرسول، فكل رسول نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولًا، فقدَّم الرسول؛ لمناسبته لقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وأخَّر النبي؛

---

(١) في أ: «أكدَّ»، وفي ج: «أخذ».

لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر على ﴿رَسُولٌ﴾ لم يدخل في ذلك من كان نبيًا غير رسول.

﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان: «تلك الغرانقة العلى، منها الشفاعة ترتجى»، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به، وقالوا: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد.

واختُلف في كيفية إلقاء الشيطان:

فقيل: إن الشيطان هو الذي تكلَّم بذلك، وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قرَّب صوته من صوت النبيِّ ﷺ حتى التبس الأمر.

وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه، حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد.

والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة.

والقول الأول أرجح؛ لأن النبي ﷺ معصومٌ في التبليغ.

فمعنى الآية: أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان.

واختلف في معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ و﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في هذه الآية:

فقيل: تمنَّى بمعنى: تلا، والأمنيَّة: التلاوة؛ أي: إذا قرأ . . . .

الكتاب[١] ألقى الشيطان من عنده في تلاوته.

وقيل: هو من التمني؛ بمعنى: حب[٢] الشيء.

وهذا المعنى أشهر في اللفظة؛ أي: تمنَّى النبي ﷺ مقاربةَ قومه واستئلافهم، فألقى الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمنيَّة؛ ليُعجبَهم ذلك.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يبطله، كقولك: نسخت الشمسُ الظلَّ.

﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿فَيَنسَخُ﴾ و﴿يُحْكِمُ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أهل الشك، ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المكذِّبون.

وقيل: الذين في قلوبهم مرض: عامة الكفار، ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: أشدُّهم كفرًا وعتوًّا، كأبي جهل.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ يعني بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المذكورين قبلُ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر؛ ليقضيَ عليهم بالظلم.

والشِّقاق: العداوة، ووصفه بـ﴿بَعِيدٍ﴾؛ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قيل: يعني الصحابة.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن.

---

(١) في أ، ب، هـ: «الكتب».

(٢) في د: «أحب».

وقال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء[١].

﴿فَتُخْبِتَ﴾ أي: تخشع.

﴿فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ الضمير: للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان.

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر، ووصفه بالعَقيم[٢]؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم؛ لأنهم يُقتَلون فيه.

وقيل: هو يوم القيامة، والساعة مقدِّماته، ويقوِّي ذلك قولُه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، ثم تقسيمُ[٣] الناس إلى أصحاب الجحيم، وأصحاب النعيم.



(١) الكشاف (١٠/ ٥١٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «بالعقم».

(٣) في أ، ب، هـ: «قسم».

[﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾].

﴿قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ روي أن قومًا قالوا: يا رسول الله قد عَلِمنا[1] ما أعطى الله مَن قُتِل مِن الخير، فما لمن مات معك؟، فنزلت الآية مُعْلِمةً أن الله يرزق من قتل ومن مات معًا، ولا يقتضي ذلك المساواةَ بينهم؛ لأن تفضيل الشهداء ثابت.

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يحتمل أن يريد به:

الرزق في الجنة بعد يوم القيامة.

أو رزق الشهداء في البرزخ.

والأول أرجح؛ لأنه يعمُّ الشهداء والموتى.

﴿مُدْخَلًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك، كما يقول الكاتب: «هذا وقد كان

(١) في أ، ب، هـ: «أعلمنا الله».

كذا . . » إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر .

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ سَمَّى الابتداء عقوبةً باسم الجزاء عليها تجوُّزًا، كما تُسمَّى العقوبةُ أيضًا باسم الذنب، ووعَد بالنصر لمن بُغِي عليه .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إن قيل : ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن في ذكر هذين الوصفين إشعارًا بأن العفو أفضل من المعاقبة[1]، فكأنه حضٌّ على العفو .

والثاني : أن في ذكرهما إعلامًا بعفو الله عن المعاقِب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ أي : ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل .

ومعنى الإيلاج هنا : أنه يُدخِل ظلمة هذا مكان ضوءِ هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا .

وقيل : الإيلاج هو ما يَنقص من أحدهما ويزيد في الآخر .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي : ذلك الوصف الذي وُصِف الله به هو بسبب أنه الحق .

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ تصبح هنا : بمعنى تصير .

---

(١) في هـ: «العقوبة».

وفَهِم بعضهم أنه أراد: صبيحة ليلة المطر، فقال: لا تصبح الأرض مخضرَّة إلَّا بمكة، والبلاد الحارة.

وأما على معنى تصير؛ فذلك عام في كل بلد.

والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابًا لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لنصبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود.

وإنما قال ﴿ تُصْبِحُ ﴾ بلفظ المضارع؛ ليفيد بقاءها كذلك مدة.



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾].

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: البهائمَ والثمار والمعادن وغير ذلك.

﴿أَن تَقَعَ﴾ في موضع مفعول، على تقدير: عن أن تقع.

وقال الزمخشري: كراهةَ أن تقع؛ فهو مفعول من أجله[1].

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يحتمل:

أن يريد يوم القيامة، فجعل[2] طيَّ السماء كوقوعها.

أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبَّر عن ذلك بالحياة؛ لأن

(١) الكشاف (١٠/ ٥٢٣).

(٢) في ب، هـ: «يجعل».

الإنسان قبل ذلك تراب، فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني: الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: البعث.

﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جَحُودٌ للنعم.

﴿مَنسَكًا﴾ هنا: اسم مصدر؛ لقوله: ﴿نَاسِكُوهُ﴾، ولو كان اسم مكان لقال: «ناسكون فيه».

﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يَسع[1] النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي، والمراد غير النهي.

وقيل: المعنى: لا تنازعهم[2] فينازعوك، فحذف الأول؛ لدلالة الثاني عليه.

ويَحتمل أن يكون نهيًا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى عبادة ربك.

﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ الآية تقتضي موادعةً منسوخة بالقتال.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾

---

(١) في ج، د: «لا يُسمع».

(٢) في أ، ب، هـ: «لا تنازعوهم».

إلى معلومات الله[١].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يَحتمل أن تكون الإشارة:

إلى كَتْب المعلومات في الكتاب.

أو إلى الحكم في الاختلاف.

والأول أظهر.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يعني: الأصنام، والسلطان هنا: الحجة والبرهان.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني: ما ليس لهم به علم ضروري، فنفى أوّلًا البرهان النظري، ثم العلم الضروري.

وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى، بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معًا.

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون، فـ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ مصدر، كالمُكرَم بمعنى الإكرام.

ويعرف ذلك في وجوههم: بعبوسها[٢] وإعراضها.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «يعني: اللوح المحفوظ» صحيح، وكذلك قوله: «والإشارة بـ(ذلك) إلى معلومات الله» صحيح أيضا، ومعلومات الله المشار إليها هي ما تضمنه الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فكل ما في السماء والأرض معلوم لله، ومكتوب في أم الكتاب اللوح المحفوظ، والآية دالة على مرتبتي الإيمان بالقدر، وهما مرتبتا العلم والكتابة، والله أعلم.

(٢) في أ: «العبوسها».

﴿يَسْطُونَ﴾ من السَّطْوة، وهي سرعة البطش.

﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ يَحتمل:

أن تكون ﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ، و﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ خبره.

أو يكون ﴿ٱلنَّارُ﴾ خبر ابتداء مضمر[1]، كأنَّ قائلًا قال: ما هو؟، فقيل: هو النار، ويكون ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ استئنافًا، وهذا أظهر.

(١) زيادة من د.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ
ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ
﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾
يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ
أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ
فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾].

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: ضربه الله؛ لإقامة الحجة على المشركين.

﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ تنبيهٌ بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى.

والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها لا تَقدِر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تُعبَد من دون الله الذي خلق كل شيء؟!، ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه.

﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ بيانٌ أيضًا لعجز الأصنام؛ بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئًا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه.

وقد قيل: إن المراد بما يَسلب الذباب منهم: الطِّيب الذي كانت العرب تجعل على الأصنام.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ المراد بالطالب: الأصنام، وبالمطلوب: الذباب؛ لأن الأصنام تَطلب من الذباب ما[١] سلبته منها.

وقيل: الطالب: الكفار، والمطلوب: الأصنام؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظَّموه حق تعظيمه.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ردٌّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.

﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره؛ للحديث الصحيح الوارد في ذلك[٢]، خلافًا للمالكية.

﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ عمومٌ في العبادات بعد ذكر الصلاة التي عبَّر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدَّمها؛ لأنها أهم العبادات.

﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ قيل: المراد صلة الرحم.

وقال ابن عطية: هي في الندب فيما[٣] عدا الواجبات.

واللفظ أعم من ذلك كله.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بما».

(٢) وهو حديث قال: قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «نعم، فمن لم يسجدهما، فلا يقرأهما» أخرجه أحمد (١٧٣٦٤)، وأبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)

(٣) في أ، ب، هـ: «مما».

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يريد:

جهاد الكفار.

أو جهاد النفس والشيطان والهوى.

أو العموم في ذلك كله.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ قيل: إنه منسوخ، كنسخ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] بقوله: ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وفي ذلك نظر.

وإنما أضاف الجهاد إلى الله؛ ليبين بذلك فضله واختصاصَه بالله.

﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي: اختاركم من بين الأمم.

﴿مِنۡ حَرَجٍ﴾ أي: مشقة، وأصل الحرج: الضيق.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ انتصب ﴿مِّلَّةَ﴾ بفعل مضمر، تقديره: أعني بالدين ملةَ إبراهيم، أو: التزِموا ملةَ إبراهيم.

وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال: «كمِلَّةِ[(١)]».

وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدَّم، كأنه قال: وسَّع عليكم توسعةَ ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف[(٢)].

فإن قيل: لم يكن إبراهيم أبًا للمسلمين كلهم؟!

فالجواب: أنه أبو رسول الله ﷺ، وكان أبًا لأمَّته؛ لأن أمة الرسول في

---

(١) في هـ زيادة «إبراهيم».

(٢) الكشاف (١٠/ ٥٣).

حكم أولاده؛ ولذلك قرىء: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وهو أبٌ لهم﴾ [الأحزاب: ٦].

وأيضًا؛ فإن قريشًا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم، وهم أكثر الأمة، فاعتبرهم دون غيرهم.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الكتب المتقدمة، ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ أي: في القرآن.

وقيل: الضمير لإبراهيم، والإشارة إلى قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾ على هذا: من قبل وجودكم، وهنا يتمُّ الكلام على هذا القول، ويكون قوله: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ مستأنفًا؛ أي: وفي هذا بلاغٌ.

والقول الأول أرجح، وأقلُّ تكلُّفًا، ويدلُّ عليه قراءة أبي بن كعب: «الله سماكم المسلمين».

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ تقدَّم معنى هذه الشهادة في «البقرة»(١).

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة؛ لاقترانها مع الزكاة.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ معناه هنا: وليُّكم وناصركم؛ بدلالة ما بعد ذلك.

---

(١) انظر (١/ ٣٦٩).

﴿ سورة المؤمنين ﴾

[﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ الخشوع: حالة في القلب، من الخوف والمراقبة والتذلُّل لعظمة المولى ﷻ، ثم يظهر أثرُ ذلك على الجوارح، بالسكون والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع.

وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوعَ في فرائض الصلاة؛ لأنه جعَله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقَل منها»(١).

والصواب: أن الخشوع أمرٌ زائدٌ على حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع.

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ١١٦): «لم أجده مرفوعًا.. ولابن المبارك في الزهد موقوفًا على عمار: «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه».

﴿عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو هنا: الساقطُ من الكلام، كالسبِّ واللَّهوِ، والكلامُ بما لا يعني.

وعددُ أنواع المنهيِّ عنه من الكلام عشرون نوعًا[1].

ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه، والدخولِ فيه.

ويحتمل أن يريد: أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى.

﴿لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ أي: مؤدّون.

فإن قيل: لم قال ﴿فَـٰعِلُونَ﴾ ولم يقل: «مؤدُّون»؟

فالجواب: أن الزكاة لها معنيان:

أحدهما: الفعل الذي يفعله المزكي؛ أي: أداء ما يجب على المال.

والآخر: المقدار المخرَج من المال، كقولك: هذا زكاة مالي.

والمراد هنا: الفعل؛ لقوله: ﴿فَـٰعِلُونَ﴾.

---

(١) عدَّها ابن جزيٍّ وتكلم عن تفاصيلها في كتابه «القوانين الفقهية» (ص: ٧٠٦)، وهي إجمالًا: (١) الغيبة، (٢) والبهتان، (٣) والكذب، (٤) واليمين الغموس، (٥) وشهادة الزور، (٦) والنميمة، (٧) والاستهزاء، (٨) وإطلاق ما لا يحل إطلاقه على الله أو رسوله أو الملائكة أو الأنبياء أو الصحابة، (٩) وكلام العوام في دقائق علم الكلام مما لا يعلمون، (١٠) والسحر، (١١) والفحش من الكلام، (١٢) والشعر والغناء، (١٣) والمدح، (١٤) وكلام ذي الوجهين، (١٥) وتزكية الإنسان لنفسه، (١٦) وإفشاء السر، (١٧) والكذب في الوعد، (١٨) والجدال والخصام، (١٩) وذم الأشياء، (٢٠) والكلام فيما لا يعني.

ويصح المعنى الآخر على حذفٍ؛ تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون.

﴿عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: لا يُلامُون على أزواجهم.

ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَٰفِظُونَ﴾ على أن يكون ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى «عن».

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يعني: النساء المملوكات.

قال الزمخشري: إنما قال ﴿مَا مَلَكَتْ﴾ ولم يقل «من»؛ لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء[1].

﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما سوى الزوجات والمملوكات.

﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

أماناتِ الناس وعهدَهم،

أو أمانةَ الله وعهدَه:

في دينه.

أو العموم.

والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهدٍ، وبغير عهد متقدم.

﴿رَٰعُونَ﴾ أي: حافظون لها، قائمون بها.

﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظةُ عليها: هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها.

---

(١) الكشاف (١٠/ ٥٥٠).

فإن قيل: كيف كرَّر ذكر الصلوات أوَّلًا وآخرًا؟

فالجواب: أنه ليس بتَكرار؛ لأنه قد[١] ذكر أوَّلًا الخشوعَ فيها، وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان.

وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم؛ دلالةً على ثبوت فعلهم لها.

﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أي: المحصِّلون[٢] للجنة، فالميراث استعارة.

وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة.

﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة، وهي جنة الأعناب.

وأعاد الضمير عليها مؤنَّثًا؛ على معنى الجنة.



---

(١) لم ترد في أ، هـ.

(٢) كذا في هامش أ، وفي بقية النسخ: «المخلصون»، والمثبت هو الأصوب، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/ ٢٨٠).

[﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾
ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا
ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا
كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا
وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ اختُلف هل يعني آدمَ؟، أو جنسَ بني آدم؟.

﴿مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السُّلالة: هي ما يُسَلُّ من الشيء؛ أي: ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا: القطعة التي أُخذت من الطين وخلق منها آدم.

فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنى: أنه خُلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً﴾ لا بدَّ أن يراد به ابن آدم؛ فيكون الضمير يعود على غير مَن ذكر أوّلًا، ولكن يفسّره سياق الكلام.

وإن أراد بالإنسان ابنَ آدم: فيستقيم عَوْدُ الضمير عليه، ويكون معنى خَلْقِه من سلالةٍ من طين: أي: خَلْقُ أصْلِه، وهو أبوه آدم.

ويَحتمل عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعمُّ آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أوّلًا، ثم فصّله بعد ذلك إلى الخِلْقة المختصّة بآدم، وهي من طين،

وإلى الخِلْقة المختصَّة بذريته، وهي النطفة.

فإن قيل: ما الفرق بين ﴿مِن﴾ و﴿مِّن﴾؟

فالجواب - على ما قال الزمخشري -: أن الأول للابتداء، والثاني للبيان، كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠][1].

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: رَحِم الأمّ.

ومعنى ﴿مَّكِينٍ﴾: متمكِّن، وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقِرَّة، لا من صفة المحلِّ المستقَرِّ فيه، ولكنه كقولك: «طريق سائرٌ» أي: يسير الناس فيه.

وقد تقدَّم تفسير النطفة والمضغة والعلقة في أول «الحج»[2].

﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه.

وقيل: خروجه إلى الدنيا.

وقيل: استواء الشباب.

وقيل: على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ هو مشتقٌّ من البركة.

وقيل: معناه: تقدَّس.

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلقًا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٥٥٦).

(٢) انظر صفحة ١٧٨.

وفسَّر بعضهم ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ بالمقدِّرين؛ فرارًا من وصف المخلوق بأنه خالق.

ولا يجب أن يُنفَى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع، كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وإنما الذي يجب أن يُنفَى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: الخلق في اللغة يأتي بمعنى الإيجاد بعد عدم، ويأتي بمعنى التقدير، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقتَ وبعـ ... ـضُ القوم يخلُق ثم لا يفري

وقد جاء المعنيان في القرآن فيما يضاف إلى الله، ولكن المعنى الأول هو الأكثر، وشواهده بتصاريف مادته لا تحصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، ومن الخَلق بمعنى التقدير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ فالخالق هو المقدر لما يريد إيجاده، والبارئ هو المخرج لما قدَّره إلى الوجود، ويحتمل المعنيين قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. ولم يأت في القرآن الخلقُ مضافا إلى غير الله إلا ما جاء في الخبر عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾، والأظهر أن الخلق هنا بمعنى التقدير، فهو عليه السلام لا يوجد طيرا، وإنما يخلق ما هو كهيئة الطير، فينفُخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وبذا يعلم أنه لم يأت الخلق بمعنى الإيجاد في القرآن مضافا لغير الله مطلقا، ولا يكاد يستعمل في لسان المسلمين إضافةُ الخلق لغير الله، بل نفى ﷻ الخلق عن كل ما يعبده المشركون: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، حتى ما ينحته المشركون من الأصنام أضاف الله خلقها إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، وعلى هذا فلا يجوز إضافة خلق مصنوعات البشر إلى صانعيها، بل الله خالقها بالأسباب التي خلقها وقدَّرها، وعلى هذا فتعقب المؤلف لمن قال: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أحسنُ المقدرين، ضعيفٌ.

﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾ يعني: السموات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طُورِقَ[١] فوق بعض كمُطارقة النعل[٢].

وقيل: يعني الأفلاك؛ لأنها طرق للكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ يَحتمل أن يريد بالخلق: المخلوقين، أو المصدر.

﴿مَآءَۢ بِقَدَرٖ﴾ يعني: المطرَ الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيون والأنهار في الأرض.

وقيل: يعني: أربعة أنهار، وهي النيل، والفرات، ودِجلة، وسَيحان.

ولا دليل على هذا التخصيص.

ومعنى ﴿بِقَدَرٖ﴾: بمقدار معلوم لا يزيد عليه[٣] ولا ينقص منه.

﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ يعني: الزيتونَ.

وإنما خصَّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع.

و﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾: جبل بالشام، وهو الذي كلَّم الله عليه موسى ﷺ، ونُسِب الزيتون إليه؛ لأنها فيه كثيرة.

---

(١) في ب: «طرائق»، وفي ج: «طروق» والمثبت هو الصواب وهو الموافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٥٦٣).

(٢) طارقَ النعل: إذا وضع بعضها على بعض، وركب بعضها على بعض. انظر: لسان العرب (١٢/ ٨٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «عليها».

و﴿سِينَاءَ﴾ اسم الجبل، أضافه إليه، كقولك[١]: جبل أحد.

وقرئ بفتح السين، ولم ينصرف للتأنيث اللازم.

وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعُجْمة، أو للتأنيث مع التعريف؛ لأن «فِعْلاء» بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث.

وقيل: معناه: مبارك.

وقيل[٢]: ذو شجرٍ.

ويلزم على ذلك صرْفُه.

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ يعني: الزيتَ.

وقرئ ﴿تَنۢبُتُ﴾ بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال، كقولك: جاء زيد بسلاحه.

وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن أَنبت بمعنى نَبت.

والثاني: حذف المفعول، تقديره: تُنبِت ثمرتَها بالدهن.

والثالث: زيادة الباء.

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ الصِّبغ: الغمس في الإدام.

﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذِّكر: الإبل؛

---

(١) في ج، د: «كقوله».

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

لقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝٢٢﴾.

وقد تقدَّم في «النحل» ذكرُ المنافعِ التي فيها[١]، وتذكيرِها وتأنيثها[٢].

(١) انظر (٢/ ٧٣٢).

(٢) انظر (٢/ ٧٥٩).

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾].

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوّة لبشر؛ فيا عجبًا منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر!.

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾ أي: يطلب الفضل والرياسة عليكم.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله.

أو: بمثل الكلام الذي قال لهم.

وهذا يدلُّ على أنه كان قبلَ نوح فترةٌ طويلة.

﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون.

فانظر اختلافَ قولهم فيه؛ فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت لم يعيِّنوه، ولكن أرادوا: وقتَ زوال جنونه

على قولهم، أو وقتَ موته.

﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ تضمَّن هذا دعاءً عليهم؛ لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم.

وقد تقدَّم في «هود» تفسير ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، و﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾، و﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾[1].

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدخِل فيها.

وقد تقدَّم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[2].

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ «إن» مخفَّفة من الثقيلة، و﴿مُبْتَلِينَ﴾: اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون:

بمعنى[3] الاختبار.

أو إنزال البلاء.

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد، ورسولهم هود؛ لأنهم الذين يلون قومَ نوح.

وقيل: إنهم ثمود، ورسولهم صالح، وهذا أصحُّ[4]؛ لقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾، وثمود هم الذين هَلَكوا بالصيحة، وأما عاد فهَلكوا بالريح.

---

(١) انظر (٢/ ٥٨٦).

(٢) انظر (٢/ ٥٨٦).

(٣) في ب، د: «من».

(٤) في أ، ب، هـ: «أصلح».

[﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾].

﴿مِن قَوْمِهِ﴾ قدّم هذا المجرور على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ لئلا يُوهم أنه متّصل بقوله: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، بخلاف قوله: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ في غير هذا الموضع(١).

﴿وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ﴾ أي: نعّمناهم.

---

(١) انظر: درة التنزيل للإسكافي ص: ٩٣٥، وملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير (٢/ ٨٧٥).

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يَحتمل أنْ قالوا ذلك:

لإنكارهم أن يكون نبيٌّ[1] من البشر.

أو قالوه أنفةً من اتِّباع بشر مثلهم.

وكذلك قول قوم نوح.

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾ كرَّر «أنَّ» توكيدًا[2] للأولى؛ و﴿مُّخْرَجُونَ﴾ خبرٌ عن الأولى.

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا من حكاية كلامهم.

و﴿هَيْهَاتَ﴾: اسم فعل بمعنى: بَعُدَ.

وقال الغزنوي: هي للتأسُّف والتأوُّه[3].

ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان.

وتارةً يجيءُ فاعله دون لام، كقوله:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ وأهله[4] ....

---

(١) في د، هـ: «النبي».

(٢) في د: «تأكيدًا».

(٣) انظر: عين المعاني..

(٤) هذا صدر بيت لجرير بن عطية، كما في ديوانه (ص: ٣٨٥)، وروي البيت هكذا «فهيهات هيهات..»، وروي «فأيهات أيهات..» بالهمزة، وهما لغتان، والعرب تبدل الهمزة هاءً وبالعكس. انظر: تحفة المجد الصريح شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر اللَّبْلي (١/ ٢٤٢).

وتارةً يجيء باللام، كهذه الآية.

قال الزَّجَّاج في تفسيره: البعد لما توعدون[١]؛ فنزَّله منزلة المصدر.

قال الزمخشري: وفيه وجه آخر؛ وهو أن يكون اللام لبيان المستبعَد ما هو، بعد التَّصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] لبيان المُهَيَّت به[٢].

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلَّا حياتنا الدنيا، فوضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة؛ لدلالة الخبر عليها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعضٌ ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر، ومرادهم: إنكار البعث.

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٍ﴾[٣] صفةٌ للزمان، والتقدير: عن زمانٍ قليلٍ يندمون.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ يعني: هالكين كالغثاء، والغثاء: ما يحمله السيل من الورَق وغيرها مما يبلى ويسوَدُّ، فشبَّه به الهالكين.

﴿فَبُعْدًا﴾ مصدرٌ وُضع موضع الفعل بمعنى: بَعِدُوا؛ أي: هَلكوا، والعامل فيه مضمرٌ لا يظهر.

﴿تَتْرَا﴾ مصدرٌ وزنه: فَعْلَى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوعٌ موضعَ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ١٣).

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٥٨٢).

(٣) في أ، ب، ج: «وقيل»، وهو تصحيف، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٥٨٤).

الحال؛ أي: متواترين واحدًا بعد واحد.

فمن قرأه بالتنوين: فألفه للإلحاق.

ومن قرأه بغير تنوين: فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرسل جماعة.

والتاء الأولى فيه بدلٌ من واو هي فاء الكلمة.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدَّث الناس بما جرى عليهم، ويَحتمل أن يكون:

جمعَ حديث.

أو جمع أُحدُوثة، وهذا أليق؛ لأنها تقال في الشرِّ.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين.

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ أي: خادمون[1] متذلِّلون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رُبْوَةٍ﴾ الرُّبوة: الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الراء وضمُّها وكسرها.

واختُلف في موضع هذه الربوة:

فقيل: بيت المقدس.

---

(١) في د: «حامدون».

وقيل: بغوطة دمشق.

وقيل: بفلسطين[(١)].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار: المستوي من الأرض، فمعناه: أنها بسيطة يتمكَّن فيها الحرث والغِراسة.

وقيل: القرار هنا: الثمارُ والحبوب.

والمعين: الماء الجاري:

فقيل: إنه مشتقٌّ من قولك: مَعَن الماءُ: إذا كثر؛ فالميم على هذا أصلية، ووزنه فَعِيل.

وقيل: إنه مشتق من العين؛ فالميم زائدة، ووزنه مفعول.



(١) في أ، ب، هـ: «فلسطين».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا
لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ
﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ
ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ
﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي
غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ
إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ
فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ
أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾
أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ
أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم
مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾
۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم
بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا
هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرّقة، وإنما المعنى: أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك.

وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ، وأقامه مقام الجماعة، وهذا بعيد.

﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب.

أو من المستلَذَّات، فالأمر للإباحة.

﴿وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قرئ ﴿وَأَنَّ﴾:

بالكسر على الاستئناف.

وبالفتح على معنى: لِأَنَّ، وهي متعلِّقة بقوله آخِرًا: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾.

وقيل: تتعلَّق بفعل مضمر تقديره: واعلموا.

والأمَّة هنا: الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره.

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾ أي: افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿زُبُرًا﴾ جمع زَبور، وهو الكتاب[١]، والمعنى:

أنهم افترقوا في اتِّباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك.

أو وضعوا كتبًا[٢] من عند أنفسهم.

﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ الضمير لقريش، والغَمْرة: الجهل والضلال، وأصلها من غَمْرة الماء[٣].

---

(١) في أ، هـ: «الكتب».

(٢) في ب، ج: «كتابًا».

(٣) قال في الكشاف (١٠/ ٥٩٣): «الغَمْرة: الماء الذي يغمر القامة، فضُربتْ مثلًا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم، أو شُبِّهوا باللاعبين في غمرة الماء؛ لما هم عليه من الباطل».

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا: يوم بدر، أو يوم موتهم.

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خيرٌ لهم وأنها بسبب رضا الله عنهم[١].

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر «أنَّ»، والضمير الرابط محذوفٌ، تقديره: نسارع به.

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن ذلك استدراجٌ لهم، ففيه معنى التهديد.

﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ قيل: معناه يُعطُون ما أعطوا من الزكوات[٢] والصدقات.

وقيل: إنه عامٌّ في جميع أفعال البرِّ؛ أي: يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم، وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي ﷺ[٣]، إلَّا أنها قرأت: «يَأْتون ما أَتوا» بالقصر، فيَحتمل أن يكون الحديث تفسيرًا لهذه القراءة.

وقيل: إنه عامٌّ في الحسنات والسيئات؛ أي: يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ «أنَّ»:

في موضع المفعول من أجله.

أو في موضع المفعول بـ ﴿وَجِلَةٌ﴾؛ إذ هي في معنى: خائفة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فيه معنيان:

أحدهما: أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات.

---

(١) في أ: «ولسبب رضا الله عنهم»، وفي ب: «وبسببها رضيَ الله عنهم».

(٢) في أ، د: «الزكاة».

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٩).

والآخر: أنهم يتعجَّلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدِّمة[1]؛ لأنه أُثبِت فيه ما نُفِي عن الكفار من المسارعة[2].

﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

وقيل: معناه: سبقت لهم السعادة في الأزل.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: أن هذا الذي وَصف به الصالحين غيرُ خارج عن الوُسْع والطاقة.

وقد تقدَّم الكلام على تكليف ما لا يطاق في «البقرة»[3].

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديدٌ، وتأمينٌ من الظلم والحيف.

﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجلمته.

وقيل: من القرآن.

وقيل: من الكتاب المذكور.

وقيل: من الأعمال التي وَصف بها المؤمنين.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون الغَمْرة التي هم فيها، فالمعنى: أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾

---

(١) الآية المتقدمة قوله تعالى في الكفار: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

(٢) انظر: الكشاف وتعليق الطِّيبي (١٠/ ٥٩٧).

(٣) انظر (١/ ٥١٠).

-على هذا- إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتذكير[١]؛ لأنها في معنى الكفر.

وقيل: الإشارة إلى قوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾؛ أي: لهم أعمال سيئة غير (ذلك المعنى)[٢] المشار إليه حسَبما اختُلف فيه.

﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال.

وقيل: عن الاستقبال.

وقيل: المعنى: أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله، فجعل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ غايةً لقوله: ﴿عَٰمِلُونَ﴾.

﴿مُتْرَفِيهِم﴾ أي: أغنياءَهم[٣] وكبراءَهم.

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون.

فإن أراد بالعذاب قتلَ[٤] المترفين يوم بدر: فالضمير في ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ لسائر قريش؛ أي: ناحوا وصاحوا[٥] على القتلى.

وإن أراد بالعذاب شدائدَ الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب: لا تجأروا، ويَحتمل: أن يكون هذا القول حقيقةً.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالتأكيد».

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) في أ، ب، هـ: «أعيانهم».

(٤) في أ، هـ: «قتال».

(٥) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

أو[١] يكون بلسان الحال.

ولفظه نهيٌ، ومعناه: أن الجُؤار لا ينفعهم.

﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ أي: ترجعون إلى وراء، وذلك عبارةٌ عن إعراضهم عن الآيات، وهي القرآن.

﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ قيل: إن الضمير عائدٌ على المسجد الحرام، أو على الحرم وإن لم يُذْكَر؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام، والمعنى: أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام؛ لأنهم أهله ووُلَاته.

وقيل: إنه عائد على القرآن؛ من حيث ذُكِرت الآيات، والمعنى على هذا: أن القرآن يحدث لهم عتوًا وكِبْرًا[٢].

وقيل: إنه يعود على النبي ﷺ، وهو على هذا متعلّق بـ ﴿سَٰمِرٗا﴾.

﴿سَٰمِرٗا﴾ مشتقٌ من السَّمَر، وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع[٣] بالليل في المسجد، فيتحدَّثون، وكان أكثرُ حديثهم سبَّ النبي ﷺ، و﴿سَٰمِرٗا﴾ مفرد بمعنى الجمع، وهو منصوب على الحال، فمن جعل الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للنبي ﷺ، فالمعنى: أنهم سامرون بذكره وسبِّه.

﴿تُهۡجِرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه: تقولون الهُجْر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام.

---

(١) في ج، د: «وأن».

(٢) في د: «وتكبرًا».

(٣) في ب: «يجتمعون».

ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم: فهو من الهَجْر - بفتح الهاء -؛ أي: تَهجرون الإسلام، والنبيَّ ﷺ، والمؤمنين.

أو من قولك: هَجَر المريض: إذا هَذَى؛ أي: تقولون اللغو من القول.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن، وهذا توبيخٌ لهم.

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ معناه: أنَّ النبوَّة ليست ببِدْعٍ فينكرونها بل قد جاءت آباءَهم الأولين، فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ المعنى: ألم يعرفوا محمدًا ﷺ، ويعلموا أنه أشرفَهم حسَبًا، وأصدقَهم حديثًا، وأعظمَهم أمانةً، وأرجحهم عقلًا؛ فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون أو غير ذلك من النقائص؟، مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم أنه عين الصواب.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ الاتِّباع هنا: استعارة، والحق هنا يراد به: الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى: لو كان الأمر على ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقيل: إن الحق في الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد في المعنى، وإنما حمَله عليه أنْ جعَل الاتباع حقيقةً ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكورة في قوله: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

بتذكيرهم ووعظهم.

أو بفخرهم وشرفهم، وهذا أظهر.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ الخَرْج: هو الأجرة، ويقال فيه: خَراج، والمعنى واحد، وقد قرئ[(١)] بالوجهين في الموضعين، فهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٤٠، القلم: ٤٦]؛ أي: لست تسألهم أجرًا فيثقل عليهم اتباعك.

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: رزق ربك خير من أموالهم؛ فهو يرزقك ويغنيك عنهم.

﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ أي: عادلون ومعرضون[(٢)] عن الصراط المستقيم المذكور.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ الآيةَ؛ قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى: لو رحمناهم بالخِصْب، وكشفنا ما بهم من ضرِّ القحط والجوع؛ لتمادوا على طغيانهم.

وفي هذا عندي نظر؛ فإنَّ الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسَبما ورد في الحديث.

وقيل: المعنى: لو رحمناهم بالردِّ إلى الدنيا بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه.

---

(١) في أ، ب: «وقد روي».

(٢) في أ، ب، هـ: «ويعرضون».

وهذا القول لا يَلزم عليه ما لزم على الآخر، ولكنه خارج عن معنى الآية.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ **قيل**: إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط، وإن الباب ذا العذاب الشديد المتوعَّد به بعد هذا: يوم بدر.

وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر.

وقيل: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعَّد به هو القحط.

وقيل: الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدَّة؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: إنهم فيه مبلسون؛ أي يائسون[1] من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم: ١٢].

﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ أي: ما تذلَّلوا لله ﷻ.

وقد تقدَّم الكلام على هذه الكلمة في «آل عمران»[2].

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ **إن قيل**: هلَّا قال: «فما استكانوا وما تضرعوا»، أو «فما يستكينون وما يتضرعون» باتِّفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟

فالجواب: أن ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ عند العذاب الذي أصابهم، و﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ حتى يفتح عليهم بابُ عذابٍ شديد، فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرُّع في الحال والاستقبال[3].

---

(١) في ب: «آيسون».

(٢) انظر (١/ ٥٨٢).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ٦١٥).

[﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾].

﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٗا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: شكرًا قليلًا تشكرون.

وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهي القلوب -؛ لعظيم[1] المنافع التي فيها؛ فيجب شكر خالقها، ومِن شكره: توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمةٍ وإقامة حجة.

﴿ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: نشركم فيها.

﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أي: هو فاعله ومختصٌّ به، فاللام للاختصاص.

(١) في ج: «العظم».

وقد ذُكر في «البقرة» معنى اختلاف الليل والنهار[١].

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي: قالت قريش مثلَ قول الأمم المتقدِّمة، ثم فسَّر قولهم بإنكارهم للبعث، وإليه الإشارة بقولهم: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾.

وقد ذُكر الاستفهامان في «الرعد»[٢].

و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في «الأنعام»[٣].

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ هذه الآيات[٤] توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلَّا الإقرار بها، وإذا أقرُّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول ﴿لِلَّهِ﴾ باللام بإجماع؛ جوابًا لقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾، وكذلك قرأ الجمهور الثانيَ والثالث، وذلك على المعنى؛ لأن قوله: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في معنى: «لمن هي».

وقرأ أبو عمرٍو الثانيَ والثالث بالرفع على اللفظ.

﴿مَلَكُوتُ﴾ مصدرٌ في بنائه مبالغةٌ.

﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة: المنع من الإنسان[٥]، يقال: أجرتُ

---

(١) انظر (١/ ٣٨٧).
(٢) انظر (٢/ ٦٦٩).
(٣) انظر (٢/ ٢٥٤).
(٤) في أ، ب، د: «الآية».
(٥) في أ، ب، هـ: «الإهان» كذا!، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز (٦/ ٣١٦).

فلاناً على فلان: إذا منعتَه من مضرَّته وإهانته، فالمعنى: أن الله تعالى يُغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحدٌ منه أحدًا.

﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: تُخدَعون عن الحق، والخادعُ لهم الشيطان، وذلك تشبيهٌ بالسحر في التَّخليط والوقوع في الباطل.

ورُتِّبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج، فقال أوَّلًا: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ثم قال ثانيًا: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وذلك أبلغُ؛ لأن فيه زيادةَ تخويف، ثم قال ثالثًا: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ يعني: فيما يَنسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك ردَّ عليهم بنفي ذلك.

﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوَحدانية، وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إلهٌ آخرُ لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدَّ كل واحد منهما بمُلكه، وطلب غلَبَةَ الآخر والعلوَّ عليه، كما ترى[1] حال ملوك الدنيا، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطةً بعضُها ببعض حتى كأن العالم كلَّه كُرَةٌ واحدة: علمنا أن مالكه ومدبِّره واحد، لا إله غيره.

وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية[2] وغيره، بل هو دليل آخر.

---

(١) في ج، د: «نرى».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨/ ٣١٧).

فإن قيل: «إذًا» لا تدخل إلَّا على كلامٍ هو جزاءٌ وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدَّم قبلها شرطٌ ولا سؤال سائلٍ؟

فالجواب: أن الشرط محذوفٌ تقديره: لو كان معه آلهة، وإنما حُذِف لدلالة قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾، وهو جواب للكفار الذين وقع الردُّ عليهم[1].

﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ بالرفع: خبر ابتداء، وبالخفض: صفة لله.



(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٢).

[﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾
وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ
﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ
كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ
﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي
وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ
﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾].

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الآية؛ معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعوَ لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قُضِي أن يَرى ذلك، وفيها تهديدٌ للظالمين وهم الكفار.

و«إن» شرطية، و«ما» زائدة، وجواب الشرط: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾، وكرَّر قوله: ﴿رَبِّ﴾ مبالغةً في الدعاء والتضرُّع.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ قيل: التي هي أحسن: لا إله إلا الله، والسيئةُ: الشرك.

والأظهر أنه أمرٌ بالصَّفح والاحتمال وحسن الخلق، فهو محْكَمٌ غير منسوخ، وإنما نُسِخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار.

﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ يعني: نزَغاته ووَسواسه[1].

وقيل: يعني الجنون.

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ معناه: أن يكونوا معه.

وقيل: يعني: حضورَهم[2] عند الموت.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا حرف ابتداءٍ[3]؛ أي ليست غايةً لما قبلها.

وقال الزمخشري: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تتعلَّق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت[4].

---

(١) في ب، ج: «ووساوسه».
(٢) في أ، ب: «بحضورهم».
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٢٠).
(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٥).

﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ يعني: الرجوعَ إلى الدنيا، وخاطب ربَّه مخاطبةَ الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري[1] وغيره، ومِثْلُه قول الشاعر:

أَلَا فارحموني يا إلهَ محمَّدٍ[2] ....

وقيل: إنه نادى ربَّه ثم خاطب الملائكة.

﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ قيل: يعني فيما تركتُ من المال.

وقيل: فيما تركتُ من الإيمان؛ فهو كقوله: ﴿أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمعنى: أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليؤمن ويعمل صالحًا في الإيمان الذي تركه أوَّل مرة.

﴿كَلَّآۚ﴾ ردعٌ له عما طلب.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ يعني: قولَه: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ فسمَّى هذا الكلام كلمةً، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالةَ؛ لإفراط ندمه وحسرته، فهو إخبار بقوله.

والثاني: أن المعنى: أنها كلمة يقولها، ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئًا.

والثالث: أن يكون المعنى: أنه يقولها كاذبًا فيها، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحًا.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٦).

(٢) هذا صدر بيت وتمامه: «فإن لم أكن أهلًا فأنت له أهلُ»، أورده الزمخشري في الكشاف (١٠/ ٦٢٦)، ولم أقف على قائله.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي فيما يستقبلون من الزمان.

والضمير للجماعة المذكورين في قوله: ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾.

﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني: المدة التي بين[(١)] الموت والقيامة، وهي تَحُول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا.

وأصل البرزخ: الحاجز بين شيئين.

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى: أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة؛ لاشتغال كل أحد بنفسه، كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٥]، فتكون الأنساب كأنها معدومةٌ.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضًا؛ لاشتغال كل أحد بنفسه.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥]؟

فالجواب: أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى، ثم يتساءلون بعد ذلك؛ فإن يوم القيامة يومٌ طويل فيه مواقف مختلفة[(٢)].

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تصيبهم بالإحراق.

﴿كَـٰلِحُونَ﴾ الكُلُوح: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرًا ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري[(٣)] للكباش إذا شويت رؤوسها، وفي الحديث:

---

(١) في أ، ب، هـ: «بعد».

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «تجري».

«إن شفَة الكافر ترتفع في النار[١] حتى تبلغ وسَط رأسه»[٢]، وفي ذلك عذابٌ وتشويه.

﴿غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ أي: ما قُدِّر علينا[٣] من الشقاء.

وقرئ: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾، والمعنى واحد.

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ كلمةٌ تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانةٌ وإبعاد.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تكلمونِ في رفع العذاب، فحينئذ ييأسون من ذلك، أعاذنا الله من ذلك برحمته.

﴿سُخۡرِيًّا﴾ بضم السين من السُّخْرة بمعنى التَّخديم.

وبالكسر: من السَّخَر بمعنى الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم.

وقرئ هنا بالوجهين؛ لاحتمال المعنيين، على أن معنى الاستهزاء هنا أليقُ؛ لقوله: ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾.

﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: في جوف الأرض أمواتًا.

وقيل: أحياءً في الدنيا.

فأجابوا بأنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم؛ لاستقصار[٤] المدة، ولما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدُّون شيئًا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالنار».

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٣٦)، والترمذي (٢٥٨٧).

(٣) في أ: «ما قدرنا عليهم».

(٤) في ج، د: «لاستقصارهم».

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: اسأل من يَقدِر على أن يَعُدَّ، وهو: مَن عُوفي مما ابتلوا به.

أو يعنون الملائكة.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: أنه قليلٌ بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين[1] أبدًا.

﴿عَبَثًا﴾ أي: باطلًا، والمعنى: إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب.

﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفةٌ لقوله: ﴿إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾، وجواب الشرط: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن.

وانظرْ كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين؛ ليبين البون[2] بين الفريقين، والله أعلم.



(١) في ج، د زيادة: «فيها».

(٢) في د، هـ: «الفرق».

﴿ سورة النور ﴾

[﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي
فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ
لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ
وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾
وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ
شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾].

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ السورة:

خبر ابتداء مضمر.

أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أُنزل عليكم سورة.

و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفة للسورة.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا الأحكام التي فيها.

وقرئ بالتشديد للمبالغة.

﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال.

وقيل: معنى ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ هنا: ليس فيها مُشْكل.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾: يراد بهما الجنس، وقدَّم الزانية؛ لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر؛ فإنه كان منهنَّ إماء وبغايا يجاهرن[1] بذلك.

وإعراب ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ كإعراب: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وقد ذكر في «المائدة»[2].

وهذه الآية ناسخةٌ بإجماع لما في سورة «النساء» من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة، ومن الأذى في الأخرى[3].

ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه؛ فإنَّ جلْد المئة إنما هو حدُّ الزانية والزاني إذا كانا مسلمَين حُرَّين[4] غيرَ محصنين.

فيخرج منها الكفار؛ فيُرَدُّون إلى أهل دينهم.

ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة.

فأما العبد والأمة: فحدُّهما خمسون جلدةً، سواءٌ كان محصنين أو غير محصنين.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «يجاهرون».
(٢) انظر (٢/ ١٧٦).
(٣) انظر (٢/ ٢٦).
(٤) في ب زيادة: «بالِغين».

وأما المحصنان الحرَّان فحدُّهما الرجم.

هذا على مذهب مالك.

وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب:

فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهرُ العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصَّصوا من هذا العموم أشياءَ؛ منها باتفاق، ومنها باختلاف.

فأما الكفار:

فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدَّهم جلدُ مئة؛ أُحصِنوا أو لم يُحصَنوا؛ أخذًا بعموم الآية.

ورأى الشافعي أن حدَّهم كحدِّ المسلمين؛ الجلدُ إن لم يُحصَنوا، والرجم إن أُحصِنوا؛ أخذًا بالآية، وبرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذا زنيا.

ورأى مالك أن يُرَدُّوا إلى أهل دينهم؛ لقوله في سورة «النساء»: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ [النساء: ١٥]، فخصَّ نساء المسلمين؛ على أنها قد نسخَتها هذه، ولكن بقيت في محلها.

وأما العبد والأمة:

فرأى أهل الظاهر أن حدَّ الأمة خمسون جلدةً؛ لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ [النساء: ٢٥]، وأن حدَّ العبد الجلدُ مئةً؛ لعموم الآية.

وقال غيرهم: يُجلَد العبد خمسين؛ بالقياس على الأَمَة؛ إذا لا فرق بينهما.

وأما المحصن:

فقال الجمهور: حكمه الرجم، فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخًا، ثم اختلفوا في المخصص أو الناسخ:

فقيل: الآيةُ التي ارتفع لفظها وبقي حكمها، وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذ زنيا فارجموهما ألبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم»[1].

وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم.

وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب: يُجلد المحصن بالآية، ثم يُرجم بالسنة، فجمعوا عليه الحدَّين، ولم يجعلوا الآية منسوخةً بالرجم[2]، ولا مخصَّصةً.

وقال الخوارج: لا رجمَ أصلًا؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله.

ولا يُعتدُّ بقولهم.

وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة.

وقال مالك بالجلد والتغريب سَنةً؛ للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام»[3].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٠).

ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك.

وصفة الجلد:

عند مالك: في الظهر، والمجلودُ جالسٌ.

وقال الشافعي: يفرَّق على جميع الأعضاء، والمجلود قائم.

وتُستَر المرأة بثوبٍ لا يقيها الضرب.

ويجرَّد الرجل عند مالك.

وقال قوم: يجلد على قميص.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل: يعني: في إسقاط الحدِّ؛ أي: أقيموه ولا بدَّ.

وقيل: في تخفيف الضرب.

وقيل: في الوجهين.

فعلى القول الأول: يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرِّح، وهو مذهب مالك والشافعي.

وعلى القول الثاني والثالث: يكون الضرب في الزنا أشدَّ.

واختُلف: هل يجوز أن تُجمَع مئةُ سوط ويضرب بها مرة واحدة؟

فمنعه مالك.

وأجازه أبو حنيفة؛ لما ورد في قصة أيوب عليه السلام.

وأجازه الشافعي للمريض؛ لورود ذلك في الحديث.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك: توبيخ الزُّناة، والغلظة عليهم.

واختُلف في أقل ما يجزئ من الطائفة؟

فقيل: أربعة؛ اعتبارًا بشهادة الزنا[1]، وهو قول ابن أبي زيد.

وقيل: عشرة.

وقيل: اثنان[2]، وهو مشهور مذهب مالك.

وقيل: واحد.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية؛ معناها: ذمُّ الزناة، وتشنيعُ الزنا، وأنه لا يقع فيه إلَّا زانٍ أو مشرك، ولا يوافقه عليه من النساء إلَّا زانية أو مشركة، و﴿يَنكِحُ﴾ على هذا بمعنى: يجامع.

وقيل: معناها: لا يحلُّ لزانٍ أن يتزوج إلَّا زانيةً أو مشركة، ولا يحلُّ لزانية أن تتزوج إلَّا زانيًا أو مشركًا، ثم نُسِخ هذا الحكم، وأُبيح لهما التزوُّجُ ممن شاءَا[3].

والأول هو الصحيح.

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارةُ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾:

إلى الزنا؛ أي: حُرِّم الزنا على المؤمنين.

---

(١) في أ، ب: «الزناة».

(٢) في أ، ب، ج: «اثنين».

(٣) في د: «شاؤوا».

وقيل: الإشارة إلى تزوُّج المؤمن غيرِ الزاني لزانية؛ فإن قومًا منعوا أن يتزوَّجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها، وهو بعيد.

وأجاز تزوُّجها مالك وغيره، وروي عنه كراهته.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حدُّ القذف، وهو الفِرْية التي عبَّر الله عنها هنا بالرمي.

و﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ هنا يراد به: العفائف من النساء، وخصَّهنَّ بالذِّكر؛ لأن قذفهنَّ أكثرُ وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى؛ إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحدٌ.

وقيل: إن المعنى: يرمون الأنفس المحصنات؛ فيعمُّ اللفظ - على هذا - النساءَ والرجال.

ويُحتاج هنا إلى الكلام في القذف، والقاذف، والمقذوف، والشهادة في ذلك:

فأما القذف: فهو الرَّمي بالزنا؛ اتفاقًا.

أو بفعلِ قوم لوط عند مالك والشافعي؛ لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافاً لأبي حنيفة.

أو النفيُ من النَّسب.

ومذهب مالك أن التعريض بذلك كلِّه كالتصريح، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة.

وأما القاذف:

فيُحدُّ؛ سواءٌ كان مسلمًا أو كافرًا؛ لعموم الآية، وسواءٌ كان حرًّا أو عبدًا.

إلَّا أن العبد والأمة إنما يحدَّان[(١)] أربعين عند الجمهور، فنصَّفوا حدَّهما قياسًا على تنصيفه في الزنا، خلافاً للظاهرية.

ولا يحدُّ الصبي ولا المجنون؛ لكونهما غيرَ مكلَّفَين.

وأما المقذوف:

فمذهب مالك: أنه يشترط فيه: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رُمِي به، والتمكُّن من الوطء؛ تحرُّزًا من المجبوب وشبهه، فلا يحدُّ عنده مَن قذف صبيًّا أو كافرًا أو مجنونًا أو عبدًا أو مَن لا يمكنه الوطء.

وقد قيل: يحدُّ مَن قذف واحدًا منهم؛ لعموم الآية.

واتُّفِقَ على اشتراط البراءة مما رُمي به.

وأما الشهادة التي تُسقِط حدَّ القذف:

فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدٌ أو كافرٌ[(٢)]، أو يشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قُذِف به كالمِرْوَدِ في المُكْحلة، ويؤدُّون الشهادةَ مجتمعين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ تقدَّم قبل هذا الاستثناء ثلاثةُ أحكام؛ وهي الحدُّ، وردُّ شهادة القاذف، وتفسيقُه.

---

(١) في ب: «يجلد».

(٢) في ب، ج، د: «عبدًا أو كافرًا».

فاتُّفِق على أن الاستثناء راجعٌ إلى التَّفسيق، وأن ذلك يزول عنه بالتوبة.

واتُّفِق على أنه لا يرجع إلى الحدِّ، وأنه لا يَسقط عنه بالتوبة.

واختُلف هل يرجع إلى ردِّ الشهادة أم لا؟

فقال مالك: إذا تاب قُبِلت شهادته.

خلافًا لأبي حنيفة.

وتوبته: هو صلاح حاله في دينه.

وقيل: إكذاب نفسه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف الرجل لامرأته؛ فيجب اللِّعان بذلك.

وسببها: أن رجلًا قال يا رسول الله: الرجل يجد مع امرأته رجلًا؛ أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟، فسكت عنه نبيُّ الله ﷺ، ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «قد أُنزل فيك وفي صاحبتك، فائتني[1] بها» فتلاعنا، وفرَّق رسول الله ﷺ بينهما[2].

ومُوجِب اللعان عند مالك شيئان:

أحدهما: أن يدَّعيَ الزوج أنه رأى امرأته تزني.

والآخر: أن ينفيَ حملها ويدعي الاستبراء قبله.

---

(١) في أ، ب، هـ: «فأتى».

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠٨)، مسلم (١٤٩٢).

فإذا تلاعن الزوج تعلَّقت به ثلاثة أحكام:

[١-] نفي حدِّ القذف عنه.

[٢-] وانتفاء سبب الولد منه.

[٣-] ووجوب حدِّ الزنا عليها إن لم تلاعن، فإن تلاعنت سقط الحدُّ عنها.

ولفظ الآية عامٌّ في الزوجات؛ الحرائرِ والمماليك، والمسلماتِ والكافرات، والعدولِ وغيرهم، وبذلك أخذ مالك.

واشترط مالك في الزوج: الإسلامَ.

واشترط أبو حنيفة: أن يكونا مُسلمَين حرَّين عدلين.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: يقول الزوج أربعَ مرَّات: «أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني»، أو «أشهد بالله ما هذا الحمل مني، ولقد زنت، وإني في ذلك لمن الصادقين»، ثم يقول في الخامسة: «لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين».

وزاد أشهب: أن يقول: «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو».

وانتصب: ﴿أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ﴾ على المصدرية، والعامل فيه: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ﴾.

وقرئ بالرفع، وهو خبر ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ﴾.

وقوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ و﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ مِن صلَة ﴿أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ﴾،

أو من صلة[١] ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ قرئ بنصب ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ هنا وفي الموضع الثاني، وانتصب:

بفعل مضمر تقديره: ويشهد الشهادةَ[٢] الخامسة.

أو بالعطف على ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾ على قراءة النصب.

وقرئ بالرفع:

على الابتداء.

أو عطف على ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ بقراءة الرفع.

وقرئ ﴿أَنْ لَعْنَتُ﴾، و﴿أَنْ غَضِبَ﴾:

بتشديد ﴿أَنَّ﴾، ونصب اسمها.

وتخفيفها، ورفع اللعنة والغضب على الابتداء.

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨﴾ العذابُ هنا: حدُّ الزنا؛ أي: يدفعه الْتِعان المرأة، وهو[٣] أن تقول أربع مرات: «أشهد بالله ما زنيت، وإنه في ذلك لمن الكاذبين»، ثم تقول في الخامسة: «غضب الله عليها إن كان من الصادقين».

---

(١) في ج: «لا مِن صلة».

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب.

(٣) في أ، ب، هـ: «وهي».

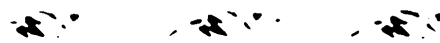
ويتعلق بالْتِعانها ثلاثة أحكام:

[١-] دفع الحدِّ عنها.

[٢-] والتفريق بينها وبين زوجها.

[٣-] وتأبيد التحريم.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف هنا وفي الموضع الآخَر، تقديره: «لولا فضل الله عليكم لوَاخذكم[1]»، أو نحو هذا.



(١) كذا رُسمت في النسخ المخطوطة بالواو، قال في «المصباح المنير» في مادة (أ خ ذ): «أخذه بذنبه: عاقبه عليه، وآخذه بالمد مؤاخذةً كذلك، والأمر منه آخِذْ بمد الهمزة، وتبدل واوًا في لغة اليمن فيقال: واخذه مواخذةً، وقرأ بعض السبعة: ﴿لا يُوَاخِذُكُم اللهُ﴾ بالواو على هذه اللغة».

[﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الإفك: أشدُّ الكذب.

ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستَّ عشرةَ آيةً في شأن عائشة رضي الله عنها وبراءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برَّأ أربعة بأربعة:

[١-] برَّأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها.

[٢-] وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه.

[٣-] وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها.

[٤-] وبرأ عائشة من الإفك بإنزال(١) القرآن في شأنها.

---

(١) في أ، ب: «فأنزل».

ولقد تضمَّنت هذه الآيات الغايةَ العظمى في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتَّشديد على من قذفها.

وقد خرَّج حديثَ الإفك البخاري ومسلم وغيرهما[١]، واختصاره: أن عائشة خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عِقْدٌ، فتأخرت على الْتماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطَّل، فرآها فنزل عن ناقته وتنحَّى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «ما بال رجال رموا أهلي؟، والله ما علمت على أهلي إلَّا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلَّا خيرًا»، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما أعلم عليها إلَّا ما يعلمه الصَّائغ على تبر الذهب الأحمر».

والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يُذْكَر في الحديث من أهل الإفك إلَّا أربعة، وهم: عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، وحَمْنة بنت جحش، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحسان بن ثابت.

وقيل: إن حسَّانَ لم يكن منهم.

وارتفاع ﴿عُصۡبَةٞ﴾ لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾.

واختار ابن عطية أن يكون ﴿عُصۡبَةٞ﴾ بدلًا من الضمير في ﴿جَآءُو﴾، ويكون الخبر: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ﴾؛ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٥٣).

والأول أظهر.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه:

[١-] تبرئة أم المؤمنين.

[٢-] وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها.

[٣-] والأجر الجزيل لها في الفرية[١] عليها.

[٤-] وموعظة المؤمنين.

[٥-] والانتقام من المفترين.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي بن سلولٍ المنافقُ.

وقيل: الذي بدأ بهذه الفرية، وهو غير معين.

والعذاب العظيم هنا: يَحتمل أن يراد به:

الحدُّ.

أو عذاب الآخرة.

﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا: عَرْضٌ، والمعنى: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمرَ على أنفسهم؛ فإن كان ذلك يبعد في حقِّهم فهو في حق عائشة أبعدُ؛ لفضلها.

وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوبَ الأنصاري، فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟، قالت: لا والله!، قال: فعائشة أفضل منك، قالت: نعم.

---

(١) في ب: «بالفرية».

فإن قيل: لم قال: ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ بلفظ الخطاب، ثم عدل إلى لفظ الغَيْبة في قوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل: «ظننتم»؟

فالجواب: أن ذلك الْتفاتٌ، قُصِد به المبالغة، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدِّق المؤمن على المؤمن شرًّا[١].

﴿لَوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عَرْضٌ، والضمير في ﴿جَاءُو﴾ لأهل الإفك، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء.

﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ يقال: أفاض في الحديث وخاض فيه: إذا أكثر الكلام فيه.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أو ﴿أَفَضْتُمْ﴾.

ومعنى ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾: يأخذه بعضكم من بعض.

وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتابٌ لهم على خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه؛ فإن الواجب كان الإغضاءُ عن ذكره والتركُ له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء، وهي:

تلقِّيه بالألسنة؛ أي: السؤال عنه وأخذه من المسؤول.

والثاني: قولهم ذلك.

والثالث: أنهم حسِبوه هيِّنًا وهو عند الله عظيم.

وفائدة قوله: ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ و﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب؛ إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم.

---

(١) انظر: الكشاف (١١/ ٣٤).

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعكم[١] له.

و﴿لَوْلَآ﴾ أيضًا في هذه الآية عَرْضٌ، وكان حقُّها أن يَلِيَها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف: الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار ذلك الكلام في أول وقتٍ سمعوه[٢].

ومعنى ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾: ما ينبغي لنا ولا يحلُّ لنا أن نتكلم بهذا.

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهٌ لله عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ على ما قال أهل الإفك.

وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجُّبُ من عِظَم الأمر، والاستبعادُ له، والأصل في ذلك أن يسبِّحَ الله عند رؤية العجائب[٣].

﴿بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغِيبة: أن يقال ما فيه.

﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ تقديره: يعظكم كراهةَ أن تعودوا، ثم عظَّم الأمر وأكَّده بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين

---

(١) في أ، ب: «أن يبادروا.. سماعهم».

(٢) في ج: «سمعتموه».

(٣) انظر: الكشاف (١١/ ٤١).

أحبُّوا أن يَشيع حديث الإفك، ثم هو عامٌّ في غيرهم ممن اتصف بصفتهم.

والعذاب في الدنيا الحدُّ.

وأما عذاب الآخرة؛ فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على ذنب لم يعذَّب[١] عليه في الآخرة[٢]، فأشكل اجتماع الحدِّ مع عذاب الآخرة في هذا الموضع، فيَحتمل:

أن يكون القاذف يعذَّب في الآخرة، ولا يُسقِط الحدُّ عنه عذابَ الآخرة، بخلاف سائر الحدود.

أو يكون هذا مختصًا بمن قذف عائشة؛ فإنه روي عن ابن عباس أنه قال: من أذنب ذنبًا ثم تاب منه قُبِلت توبته إلَّا من خاض في أمر عائشة[٣].

أو يكون[٤] لمن مات مصِرًّا غيرَ تائب.

أو يكون للمنافقين.



(١) في د: «يعاقب».
(٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٨)
(٤) في أ، ب: «تكون».

[﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾].

﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ ذُكِر في «البقرة»(١).

﴿بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ ذُكِر في «النحل»(٢).

﴿زَكَىٰ﴾ أي: تطهَّر من الذنوب، وصلَح دينُه(٣).

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ معنى ﴿يَأْتَلِ﴾: يحلف؛ فهو من قولك: آليتُ: إذا حلفتَ.

وقيل: معناه: يُقصِّر؛ فهو من قولك: ألَوْتُ أي: قصَّرتُ؛ ومنه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

---

(١) انظر (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر (٢/ ٧٧٣).

(٣) في د: «حاله».

و﴿ٱلۡفَضۡلِ﴾ هنا : يَحتمل أن يريد به :

الفضلَ في الدين.

أو الفضل في المال؛ وهو أن يَفْضُل له عن مقدار ما يكفيه.

و﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ : هي اتساع المال.

ونزلت الآية بسبب أنَّ أبا بكر الصديقَ ﷺ حلف أن لا يُنفق على مِسْطَح، لمَّا تكلم في حديث الإفك، وكان ينفق عليه لمسكنته، ولأنه قريبه، وكان ابنَ بنت خالته[1]، فلما نزلت الآية رَجَع إلى مسطحِ النفقةَ والإحسان، وكفَّر عن يمينه.

قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن؛ لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف.

ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحدٌ على ترك عمل صالح.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ أي: كما تحبون أن يَغفر الله لكم؛ كذلك اغفروا أنتم لمن أساءَ إليكم.

ولما نزلت قال أبو بكر ﷺ: «إني لأحبُّ أن يغفر الله لي»، ثم ردَّ النفقة إلى مسطح.

﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ معنى ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ هنا: العفائف ذواتُ الصَّوْن.

ومعنى ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ : السَّليمات الصدور؛ فهو من الغفلة عن الشرِّ.

---

(١) في أ، ب، ج: «ابن خالته»، والمثبت هو الصواب كما في الإصابة لابن حجر (١٠/١٣٩).

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة، ولذلك لم يَذكر فيه توبةً، قال[١] ابن عباس: كلُّ مذنب تقبل توبته إذا تاب إلَّا من خاض في حديث عائشة.

وقيل: الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يَحتمل أن يراد به: الحدُّ أو عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ العامل فيه: ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾، وكرَّر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيدًا.

وقيل: العامل فيه ﴿عَذَابٌ﴾، أو فعل مضمر.

﴿دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي: جزاءَهم الواجبَ لهم.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدلُّ على أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين.

ومعنى ﴿الْمُبِينُ﴾: الظاهر الذي لا شك فيه.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية؛ معناها: أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيِّبات من النساء للطيِّبين من الرجال؛ ففي ذلك ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن النبي ﷺ هو أطيب الطيِّبين؛ فزوجته[٢] أطيب الطيِّبات.

وقيل: [٣] المعنى: أن الخبيثات[٤] من الأعمال للخبيثين من الناس،

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «فقال».
(٢) في أ، ب، هـ: «وزوجته».
(٣) في أ، ب، هـ زيادة: «إن».
(٤) في ب: «الخبائث».

والطيِّبات من الأعمال للطيِّبين من الناس؛ ففيه أيضًا ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن عائشة لا يليق بها إلَّا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهل الإفك.

وقيل: المعنى: أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك؛ أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلَّا خبيث مثلهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ الإشارة بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الطيبين والطيبات والضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ للخبيثات والخبيثين، والمراد: تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ
أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ
يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ
عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا
تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ
أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ
ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ
إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ
عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ
تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾].

﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ هذه الآية أمرٌ بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعمُّ بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأمِّ؛ خِيفةَ أن يراها عُريانة.

ومعنى ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾: تستأذنوا، وهو مأخوذ من قولك: آنستُ الشيءَ: إذا عَلِمتَه؛ فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهلُ الدار الدخول أم لا؟.

وقيل: هو مأخوذ من الأُنْس ضد الوَحْشة.

وقرأ ابن عباس: «حتى تستأذنوا».

والاستئذان واجب، وأما السَّلام فلا ينتهي إلى الوجوب.

واختُلف أيَّهما يقدِّم؟

فقيل: يقدِّم السلام، ثم يستأذن؛ فيقول: «السلام عليكم»، ثم يقول: «أأدخل؟».

وقيل: يقدِّم الاستئذان؛ لتقديمه في الآية.

وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاثَ مرات[1]، وهو تفسير للآية.

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمَّق قومٌ؛ فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلِّمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان.

واختُلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية؟

فقيل: هي الفنادق التي في الطرق، ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأويَ إليها كلُّ ابن سبيل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣).

والمتاع على هذا: التمتع بالنزولِ فيها والمبيتِ وغير ذلك.

وقيل: هي الخِرَب التي تُدخَل للبول والغائط.

والمتاع على هذا: حاجة الإنسان.

وقيل: هي حوانيت القَيْسارِيَّة[1].

والمتاع على هذا: الثياب والبُسط وشبهُها.

وهذا القول خطأ؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] في «إبراهيم»، وقد ذُكِر[2].

و﴿مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ للتبعيض.

والمراد: غضُّ البصر عما يَحرم، والاقتصار به على ما يحل.

وقيل: معنى التبعيض فيه: أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويُمنَع ما بعدها.

وأجاز الأخفش أن تكون ﴿مِنْ﴾ زائدة.

وقيل: هي لابتداء الغاية؛ لأن البصر مفتاح القلب.

والغضُّ المأمور به: هو عن النظر إلى العورات، أو إلى ما لا يحلُّ من

---

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية (٨/ ٤٣٥): «قيسارية: .. ميدان عام يقام فيه سوق، أو هي بالأحرى: بناية مربعة في شكل رواق الدير، فيها حجرات ومخازن وحوانيت للتجار».

(٢) انظر (٢/ ٧٠٤).

النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يُستَر.

وحفظ الفروج المأمور به: هو عن الزنا.

وقيل: أراد ستر العورة.

والأظهر أن الجميع مراد.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغضِّ بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعًا.

واختُلف هل يجب عليها غضُّ بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا؟ وعن سائر جسد المرأة أم لا؟

فعلى القول بذلك: تشتمل الآية عليه.

والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهَى عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بدَّ من النظر إليه عند حركتها، أو إصلاح شأنها، وشبه ذلك.

فقيل: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: الثيابَ؛ فعلى هذا: يجب سَترُ جميع جسدها.

(وقيل: الثياب والوجه)[1].

---

(١) سقط من أ، ج، د. ومثبت في ب، هـ، وهو قولٌ في تفسير الآية كما في المحرر الوجيز (٦/ ٣٧٤).

وقيل: الثياب والوجه والكفَّان، وهو مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفَّيها في الصلاة.

وزاد أبو حنيفة: القدمين.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب: هي التي يقول لها العامة: أطواق.

وسببها: أن النساء كنَّ في ذلك الزمان يلبسن ثياباً واسعة[1] الجيوب يظهر منها صدورهنَّ، وكنَّ إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلْنَها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا سِتر عليها، فأمرهنَّ الله بِلَيِّ الأخمرة على الجيوب؛ ليستر جميع ذلك.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ الآيةَ؛ المراد بالزينة هنا: الباطنة، فلما ذَكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة؛ ذَكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذو المحارم[2] من الزينة الباطنة.

وبدأ بالبُعولة - وهم الأزواج -؛ لأن اطِّلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنَّى بذوي المحارم، وسوَّى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب.

والمراد بالآباء: كل من له وِلادة من والدٍ وجدٍّ، وبالأبناء: كل من عليه وِلادة من ولد وولد ولد.

---

(١) في ج: «واسعات».

(٢) في هـ: «المحرم».

ولم يَذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمَّ والخال:

ومذهب جمهور العلماء: جواز رؤيتهما للمرأة؛ لأنهما من ذوي المحارم.

وكره ذلك قوم.

وقال الشَّعبيُّ[(١)]: إنما لم يذكر العمَّ والخال؛ لئلا يصفَا زينة المرأة لأولادهما.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني[(٢)]: جميع المؤمنات؛ فكأنه قال: أو صنفِهن، ويخرج عن ذلك: نساء الكفار.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك: الإماء المسلمات والكتابيات.

وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال:

منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي.

والجواز، وهو قول ابن عباس وعائشة.

والجواز بشرط أن يكون العبد وغْدًا[(٣)]، وهو مذهب مالك، وإنما أَخذ جوازه من قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾.

---

(١) في أ، ج: «الشافعي» وهو خطأ، الصواب أنه الشعبي، كما في تفسير الطبري (١٩/ ١٧٣).

(٢) في ب: «يدخل».

(٣) المراد بالوغد: القبيح المنظر (شرح مختصر خليل للخرشي (٣/ ٢٢١)، وفي المدونة (٤/ ٥٢) سأل ابن القاسم الإمام مالكًا عن الوغد فقال: «الذي لا منظر له ولا خَطْب فذلك الوغد».

واختُلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبيّ أم لا؟ على قولين.

﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ شَرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين:

أحدهما: أن يكونوا[1] تابعِين، ومعناه: أن يَتْبَع لشيءٍ يُعطاه كالوكيل والمتصرِّف، ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهِمَّتُه بطنُه.

والآخر: أن لا يكون لهم إربةٌ في النساء، كالخَصِيّ والمخنَّث والشيخ الهَرِم والأحمق.

فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلَّا باجتماع الشرطين.

وقيل: بأحدهما.

ومعنى ﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾: الحاجة إلى الوطء.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أراد بـ ﴿ٱلطِّفْلِ﴾: الجنس، ولذلك وصفه بالجمع، ويقال: طفل: ما لم يراهق الحُلُم.

و﴿يَظْهَرُوا۟﴾ معناه: يطَّلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه: الذين لم يطؤوا النساء.

وقيل: الذي لا يدرون ما عوراتُ النساء. وهذا أحسن.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ روي أن امرأةً كان لها خَلخالان، فكانت تضرب بهما؛ فيسمعُهما الرجال، فنهى الله ﷻ عن ذلك.

---

(١) في أ: «يكونا»!.

قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشدُّ تحريكًا للشهوة من إبدائها[١].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف؛ بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وفرائضها ثلاثة:

[١-] الندم على الذنب؛ مِن حيث عُصِي به ذو الجلال[٢]، لا من حيث أضرَّ ببدن أو مال.

[٢-] والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان، من غير تأخير ولا توانٍ.

[٣-] والعزم أن لا يعود إليها أبدًا، ومهما قُضِي عليه بالعَوْد أحدث عزمًا مجدَّدًا.

وآدابها ثلاثة:

[١-] الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار.

[٢-] والإكثار من التضرع والاستغفار.

[٣-] والإكثار من الحسنات لمحْوِ ما تقدَّم من السيئات.

ومراتبها سبع:

[١-] فتوبة الكفار: من الكفر.

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠).

(٢) في ب، د: «عَصى به ذا الجلال».

[٢-] وتوبة المخلِّطين[١]: من الذنوب الكبائر[٢].

[٣-] وتوبة العدول: من الصغائر.

[٤-] وتوبة العابدين: من الفَتَرات.

[٥-] وتوبة السالكين: من عِلل القلوب والآفات.

[٦-] وتوبة أهل الورع: من الشبهات.

[٧-] وتوبة أهل المشاهدة: من الغَفَلات.

والبواعث على التوبة سبعة:

[١-] خوف العقاب.

[٢-] ورجاء الثواب.

[٣-] والخجل من الحساب.

[٤-] ومحبة الحبيب.

[٥-] ومراقبة الرقيب القريب.

[٦-] وتعظيم المقام.

[٧-] وشكر الإنعام.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ الأيامى: جمع أيِّم، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالًا كانوا أو نساء، أبكارًا أو ثيِّباتٍ.

---

(١) في ج، د: «المخلصين».

(٢) في أ، ب: «الكبار».

والخطاب هنا: للأولياء والحكام؛ أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهيَ عن عضلهنَّ من التزويج.

وفي الآية دليلٌ على عدم استقلال النساء بالإنكاح، واشتراطِ الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة.

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني: الذين يَصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم.

وقال الزمخشري: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ بمعنى: الصلاح في الدين، قال: وإنما خصهم الله بالذكر؛ ليَحفظ عليهم صلاحهم[1].

والمخاطبون هنا ساداتهم[2].

ومذهب الشافعي: أن السيد يُجبَر على تزويج عبيده؛ لهذه الآية، خلافًا لمالك.

ومذهب مالك: أن السيد يُجبِر عبده وأمته على النكاح، خلافًا للشافعي.

﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وعَد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوَّجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أمرٌ بالاستعفاف، وهو الاجتهاد في طلب العفَّة من الحرام لمن لا يقدر على التزوُّج.

---

(١) انظر: الكشاف (١١/ ٧٣-٧٥).

(٢) في ج، د، هـ: «سادتهم».

فقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ معناه:

لا يجدون استطاعة على التزوُّج بأيِّ وجهٍ تعذَّر التزوج.

وقيل: معناه: لا يجدون صَداقًا للنكاح.

والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله: ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هنا: مصدرٌ بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال مُنَجَّم، فإذا أدَّاه خرج حرًّا، وإن عجَز بقي رقيقًا.

وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى، سأل(١) مولاه أن يكاتبه فأبى عليه.

وحكمها مع ذلك عامٌّ؛ فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور.

وقال الظاهرية وغيرهم: هو على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب ﷺ لأنس بن مالك حين سأله مملوكُه سيرينُ الكتابة، فتلكَّأ أنس، فقال له عمر: لتكاتبنَّه أو لأُوجعنك بالدِّرَّة(٢).

وإنما حمله مالك على الندب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها.

---

(١) كذا وردت الكلمة في جميع النسخ الخطية!، والصواب: «سأله مولاه»، وحويطب من سادات قريش وليس من العبيد، ومولاه الذي سأل الكتابة اسمه صبيح. انظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ٦٥٦، ٥/ ٢١٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٦).

واختُلف هل يُجبِر السيدُ عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا: القوة على أداء الكتابة بأيِّ وجهٍ كان.

وقيل: هو المال الذي يؤدِّي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس.

وقيل: هو الصلاح في الدين.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ هذا أمرٌ بإعانة المكاتَب على كتابته، واختُلف فيمن المخاطب بذلك؟

فقيل: هو خطاب للناس أجمعين.

وقيل: للولاة.

والأمر على هذين القولين: للندب.

وقيل: هو خطاب لسادات المكاتَبين، وهو على هذا القول:

ندب عند مالك.

ووجوب عند الشافعي.

فإن كان الأمر للناس: فالمعنى: أن يعطوهم صدقات[1] من أموالهم.

وإن كان للولاة: فيعطوهم من الزكوات[2].

وإن كان للسَّادات[3]: فيَحُطُّوا عنهم من كتابتهم.

---

(١) في د، هـ: «صدقة».

(٢) في أ، د: «الزكاة».

(٣) في أ، ب: «للسادة».

وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة.

وعلى القول بالحطّ من الكتابة؛ اختُلف في مقدار ما يُحَطُّ؟

فقيل: الربع، وروي ذلك عن رسول الله ﷺ.

وقيل: الثلث.

وقال مالك والشافعي: لا حدَّ في ذلك، بل أقلُّ ما ينطلق عليه[1] شيء، إلَّا أن الشافعيَّ يُجبِره على ذلك، ولا يُجبِره مالك.

وزمان الحطّ عنه: في آخِر الكتابة عند مالك.

وقيل: في أول نَجْم.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ معنى ﴿ٱلْبِغَآءِ﴾: الزنا، نهى الله المسلمين أن يُجبروا مملوكاتهم على ذلك.

وسبب الآية: أن عبد الله بن أبيِّ بن سلولٍ المنافقَ كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة، ويضربهما على ذلك، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا الشرط راجعٌ إلى إكراه الفتيات على الزنا؛ إذ لا يتصوَّر إكراهُهن إلَّا إذا أردن التحصُّن، وهو التعفُّف.

وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾. وذلك بعيد.

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: ما تَكسِبه الأمةُ بفرجها، وما تلده من الزنا.

---

(١) في د زيادة: «اسم».

ويتعلَّق ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ بقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ﴾.

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المعنى: غفورٌ لهنَّ رحيم بهن، لا يؤاخذهنَّ بالزنا؛ لأنهن أُكرهن عليه.

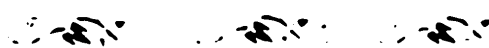
ويَحتمل أن يكون المعنى: غفور رحيم للسيد الذي يُكرههن إذا تاب من ذلك.

﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيَّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء: أي بيَّنها الله.

وبالكسر: مبيِّنات للأحكام والحلال والحرام.

﴿وَمَثَلًا﴾ يعني: ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حرامًا في كل ملة.

أو في براءة عائشة، كما برَّأ يوسف ومريم.



[﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾].

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقةً: على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازًا: على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء؛ فتأويل الآية: الله ذو نور السموات والأرض.

أو وصف نفسه بأنه نور، كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ: إذا أردت المبالغة في أنه كريم.

فإن أراد بالنور المدرَك بالأبصار: فمعنى ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم.

أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به، كما تظهر الأشياء بالضوء.

ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب: «الله نَوَّرَ السماواتِ والأرضَ» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو؛ أي: جعل فيهما النور.

وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب: فمعنى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض، ولهذا قال ابن عباس: معناه: هادي أهلِ السموات والأرض(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرَك بالأبصار، ومجازا على المعاني التي تدرك بالقلوب» إلخ، أقول: ما ذكره المصنف من أن النور نوعان حسي ومعنوي، هو صحيح ومعلوم، وهذا يقتضي أن معنى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: منورهما بالنور الحسّيّ، وهو ما خلقه فيهما من الأنوار، كالشمس والقمر، وبالنور المعنوي، وهو هداه الذي يجعله في قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته، وقد سمَّى الله وحيه الذي بعث به رسله نورا وهدى، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾، وقال في الوحي: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾، ونظائر هذا متعددة. وهذا معنى ما جاء عن ابن عباس، قال: «نور السموات والأرض، أي: هادي أهل السموات والأرض»، كما ذكره المصنف رحمه الله. وقد جاء في السنة نظير ما في آية النور، قال ﷺ: «ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض»، وإذا كان الله منوِّرَ السماوات والأرض، والنورُ كمالٌ فهو أحق أن يكون النور وصفَه؛ إذ كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، ومعطي الكمال أحق به، ولم يثبت أن النور اسم من أسمائه تعالى؛ بل الاسم الذي نطق به الكتاب والسنة: نور السماوات والأرض، فيُدعى بهذا الاسم كما دعا به الرسول ﷺ.

وأما قول المؤلف: «أو وصَف نفسه بأنه نور»؛ فهذا لا يصح؛ لأن لفظ النور في الآية مقيَّد بالإضافة إلى السماوات والأرض، فلم يقل تعالى: الله نور، بل قال: نور السماوات والأرض، وتقدم معنى نور السموات والأرض، وهذا الاسم ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ نظير: رب السماوات والأرض، وقيوم السماوات والأرض، لكن (قيوم) جاء في القرآن معرفا غير مضاف، وفي السنة جاء مضافا وغير مضاف. والله أعلم.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة: هي الكَوَّة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديدَ الإضاءة.

وقيل: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأسه.

والأول أصح وأشهر.

والمعنى: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، على أعظم ما يتصوَّره البشر من الإضاءة والإنارة.

وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه.

وقيل: الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ عائدٌ على محمد ﷺ.

وقيل: على القرآن.

وقيل: على المؤمن.

وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدَّم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصح أن يقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، والمضاف غير المضاف إليه؟

فالجواب: أن ذلك يصحُّ مع التأويل الذي قدَّمناه؛ أي: الله ذو نور السموات والأرض.

أو كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ، ثم تقول: يَنْعَش الناسَ بكرمه(١).

---

(١) أي: يرفعهم من الفقر إلى الغنى. انظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ٨٣).

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ المصباح: هو الفَتيل بناره، والمعنى: أنه في قنديل من زجاج؛ لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفاف.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب دريٍّ، وذلك يَحتمل معنيين:

إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها.

وإما أن يريد أنها في نفسها شديدةَ الضوء؛ لصفائها ورقَّة جوهرها، وهذا أبلغ؛ لاجتماع نورها مع نور المصباح.

والمراد بالكوكب الدرِّيِّ: أحد الدراري المضيئة؛ كالمشتري، والزُّهرة وسهيل، ونحوها.

وقيل: أراد الزهرة.

ولا دليل على هذا التخصيص.

وقرأ نافع ﴿دُرِّىٌّ﴾ بضم الدال وبشدِّ الياء من غير همز، ولهذه القراءة وجهان:

إما أن ينسب الكوكب إلى الدُّرِّ لبياضه وصفائه.

أو يكون مسهَّلًا من الهمز.

وقرئ بالهمز وكسر الدال، وبالهمز وضم الدال، وهو مشتقٌّ من الدَّرء بمعنى الدفع.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء، أو ﴿تَوَقَّدَ﴾ بالفعل الماضي: فالفعل مسند إلى المصباح.

ومن قرأ ﴿تُوقَدُ﴾ بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة.

والمعنى: يوقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة: لكثرة منافعها.

أو لأنها تنبت في الأرض المباركة، وهي الشام.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: يعني: أنها بالشام، فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام.

وقيل: هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصةً للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي غربية شرقية؛ لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب.

وقيل: إنها في وسط دَوْحة، فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب.

وقيل: إنها من شجر الجنة، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقيةً أو غربية.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغةٌ في وصف صفائه وحسنه.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: اجتماعَ نورِ المصباح وحسنِ الزجاجة وطيب الزيت، والمراد بذلك: كمال النور الممثَّل به.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يوفق الله من يشاء لإصابة الحق.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ يعني: المساجدَ.

وقيل: بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن.

والأول أصح.

والجارُّ يتعلَّق بما قبله؛ أي: كمشكاة في بيوت، أو تُوقَد في بيوت.

وقيل: بما بعده، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾، وكرر الجارَّ بعد ذلك تأكيدًا.

وقيل: بمحذوف؛ أي: سبِّحوا في بيوت.

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ المراد بالإذن: الأمرُ.

ورفعها: بناؤها.

وقيل: تعظيمها.

﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي: غُدْوةً وعشيَّةً[1].

وقيل: أراد الصبح والعصر.

وقيل: صلاة الضحى والعصر.

﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ على القراءة بكسر الباء.

وأما على القراءة بالفتح: فهو مرفوع بفعل مضمر يدلُّ عليه الأول.

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تشغلهم.

ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كلَّ شغل وبادروا إليها.

والبيع من التجارة، ولكنه خصَّه بالذِّكْر تجريدًا؛ كقوله: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

---

(١) في ج: «وعشيًّا».

أو أراد بالتجارة الشراء.

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي: تضطرب من شدة الهول والخوف.

وقيل: تفقهُ القلوب وتُبصِر الأبصار بعد العمى؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ.

والأول أصح؛ كقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وفي قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ تجنيس.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متعلِّق: بما قبله، أو بفعل من معنى ما قبله.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ تقديره: جزاءَ أحسنِ ما عملوا.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ يعني: زيادةً على ثواب أعمالهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذُكِر في «البقرة»[1].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ لما ذَكر الله حال المؤمنين؛ أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكفّار:

الأول: يقتضي حالَ أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعُهم، بل يضمحلُّ ثوابها كما يضمحل السراب.

والثاني: يقتضي حالَ أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض.

---

(١) انظر (١/ ٤٣٠).

والسَّراب: هو ما يرى في الفلَوات من ضوء الشمس في الهَجيرة حتى يَظهر كأنه ماءٌ يجري على وجه الأرض.

والقِيعة: جمع قاعٍ، وهو المنبسط من الأرض.

وقيل: القيعة بمعنى القاع، وليس بجمع.

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ الظَّمآن: العطشان؛ أي: يظن العطشان أن السراب ماء، فيأتيه ليشربَه، فإذا جاء خاب ما أمَّل، وبطَل ما ظنَّ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعْه فهي كالسراب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ ضمير الفاعل: للظمآن، وضمير المفعول: للسراب، أو لموضع السراب.

أو يكون ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: شيئًا يُنتفع به، أو شيئًا موجودًا على العموم؛ لأنه معدوم.

ويَحتمل أن يكون:

ضمير الفاعل: للظمآن، وضمير المفعول للسراب.

أو ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ ضمير الفاعل في ﴿وَجَدَ﴾ للكافر، والضمير في ﴿عِندَهُۥ﴾ لعمله.

والمعنى: وجد الله عنده بالجزاء، أو وجد زبانية الله[(١)(٢)].

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ هذا هو المثل الثاني، وهو عطف على قوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾.

والمشبَّه بالظلمات: أعمال الكفَّار؛ أي: هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب.

﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ منسوب إلى اللُّجِّ، وهو معظم الماء.

وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال[(٣)] قوبلت به أجزاء الممثَّل به؛ فالظلمات: أعمال الكافر، والبحر اللجي: صدره، والموج: جهله، والسحاب: الغطاء الذي على قلبه.

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة.

وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغةٌ، كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة.

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ المعنى: مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾ وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة.

---

(١) في أ، ب: «زِبْنِيَّةَ الله» وهو مفرد الزبانية، وفي ج: «زبانيته».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «وجد الله عنده بالجزاء» أي: وجد جزاء عمله الذي أعده الله له، أقول: هذا معنى صحيح؛ ولا ينفي أن يكون من معنى الآية أن الكافر يجد الله يوم القيامة، أي: يلقاه، فيوبخه على كفره، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾. والله أعلم.

(٣) في ج، د: «المثل».

واختُلف في تأويل الكلام:

فقيل: المعنى: إذا أخرج يده لم يقارِب رؤيتَها، فنفَى الرؤية ومقاربتَها.

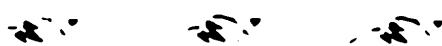
وقيل: بل رآها بعد عسر وشدة؛ لأنَّ كاد إذا نُفِيت تقتضي الإيجاب، وإذا أُوجِبت تقتضي النفي.

وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها، فأما إذا دخل حرف النفي على «كاد» كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ فإنه يَحتمل النفي والإيجاب[1].

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد، فالنور كنايةٌ عن الهدى والإيمانِ في الدنيا.

وقيل: أراد: في الآخرة؛ أي: من لم يرحمه الله فلا رحمةَ له.

والأول أليق بما قبله.



---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٩٥).

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ
السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ
بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ
دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ
يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ
مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا
فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا
أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى: العلم.

والتسبيح: التنزيه والتعظيم، وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لايعقل:

فقال الجمهور: إنه حقيقي، ولا يَبعد أن يلهمها الله التسبيح، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء.

وقيل: تسبيحه ظهور الحكمة فيه.

﴿صَافَّاتٍ﴾ يصففْنَ أجنحتهنَّ في الهواء.

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في ﴿عَلِمَ﴾: لله، أو لـ ﴿كُلٌّ﴾.

والضمير في ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: لـ ﴿كُلٌّ﴾.

﴿يُزْجِي﴾ معناه: يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سَوْق كل ثقيلٍ، كالسحاب.

﴿رُكَامًا﴾ متكاثفًا، بعضه فوق بعض.

﴿ٱلْوَدْقَ﴾ المطر.

﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من بينه، وهو جمع خَلَلٍ، كجبل وجبال.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ **قيل**: إن الجبال هنا حقيقةٌ، وإن الله جعل في السماء جبالًا من برَدٍ.

وقيل: إنه مجاز، كقولك: عند فلان جبالٌ من مالٍ أو علمٍ؛ أي: هي في الكثرة مثل الجبال.

و﴿مِنَ﴾:

في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لابتداء الغاية.

وفي قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدلٌ من الأولى، أو تكون للتبعيض فتكون مفعول ﴿يُنَزِّلَ﴾.

و﴿مِنۢ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض؛ فتكون مفعول ﴿وَيُنَزِّلُ﴾.

وقال الأخفش: هي زائدة. وذلك ضعيف.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء.

﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ السَّنا بالقصر: الضوء، وبالمدِّ: المجد والشرف.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يأتي بهذا بعد هذا.

﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ يعني: بني آدم والبهائم والطيور؛ لأن ذلك كلَّه يَدِبُّ.

﴿مِّن مَّآءٖ﴾ يعني: المنيَّ.

وقيل: الماء الذي في الطين الذي خُلِق منه آدم وغيره.

﴿عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ كالحيَّات والحوت.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين، وسببها: أن رجلًا من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف.

﴿مُذۡعِنِينَ﴾ أي: منقادين طائعين؛ لقصد الوصول إلى حقوقهم.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ توقيفٌ يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده.

﴿أَن يَحِيفَ﴾ معناه: أن يجور، والحَيْف: الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن الرسول إنما يحكم بأمر[1] الله وشرعه.



(١) في أ: «بما أمر».

[﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية؛ معناها: إنما الواجب أن يقول المؤمنون: «سمعنا وأطعنا» إذا دعوا إلى الله ورسوله.

وجعَل الدعاء إلى الله؛ من حيث هو إلى شرعه.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية؛ قال ابن عباس: معناها: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾: في فرائضه، ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: في سننه[1]، ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾: فيما مضى من ذنوبه، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: فيما يُستقبل.

وسأل بعض الملوك عن آيةٍ كافية جامعة، فذُكِرت له هذه الآية.

وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعت كلَّ ما في التوراة والإنجيل.

(١) في ج، د: «سنته».

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين.

﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكَّدوها.

﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ يعني: إلى الغزو.

﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ نهى عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف؛ أي: طاعة معروفة أمثلُ وأولى بكم.

أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يُشَكُّ فيها.

﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني: تبليغ الرسالة.

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني: السمع والطاعة واتباع الشريعة.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعدٌ ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وقيل: إن المراد بالآية: خلافةُ أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ؛ لقول رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[1]، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة عليّ.

فإن قيل: أين القَسَم الذي جاء قولُه: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ جوابًا له؟

فالجواب: أنه محذوف، تقديره: وعدهم الله وأقسم.

أو جعل الوعد بمنزلة القَسَم؛ لتحقُّقِه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦).

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾].

﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قيل: المراد بـ ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: الرجال خاصة.

وقيل: النساء خاصة؛ لأن الرجال يَستأذنون في كل وقت.

وقيل: الرجال والنساء.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني: الأطفال غير البالغين.

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ نصب على الظرفية لأنهم أُمروا[(١)] بالاستئذان في ثلاثة مواطن.

فمعنى الآية: أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسَط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجرِّدين للنوم في غالب أمرهم.

وهذه الآية محكمة.

وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها.

وحملها بعضهم على الندب.

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ يعني: تتجرَّدون.

﴿ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وسَط النهار.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ جمع عورة؛ من الانكشاف، كقوله: ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣].

ومَن رفع ﴿ثَلَٰثُ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ أي: تنكشفون فيها.

ومَن نصبه فهو بدلٌ مِن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدِّمة؛ أي: ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة.

---

(١) في ج: «لأنه أمر».

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم؛ فلأجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان[١] في كل وقت.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بدلٌ من ﴿طَوَّٰفُونَ﴾؛ أي: بعضكم يطوف على بعض.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ أي: بعضكم طائفٌ[٢] على بعض، أو فاعل بفعل مضمر[٣].

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ لما أُمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها؛ أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ جمع قاعد، وهي العجوز:

فقيل: هي التي قعدت عن الولد.

وقيل: التي قعدت عن التصرُّف.

وقيل: التي إذا رأيتها استقذرتها.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يُبح لغيرهنّ من وضع الثياب.

---

(١) في أ، ب، هـ: «فلأجل ذلك يؤمر بالاستئذان»!، والمثبت هو الصواب الذي يستقيم به المعنى. انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٠٧)، والكشاف (١١/ ١٤١).

(٢) في أ، ب، د: «يطوف»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٣) انظر: الكشاف (١١/ ١٤٥)، وتقدير الفعل المضمر: «يطوف».

قال ابن مسعود: إنما أبيح لهنَّ وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء.

وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهنَّ وضع الثياب، بشرط أن لا يقصِدْنَ إظهار زينة، والتبرُّج: هو الظهور.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنى: أن استعفافَهنَّ عن وضع الثياب المذكورة خيرٌ لهنَّ من وضعها، والأولى لهنَّ أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من السِّتر.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية؛ اختُلف في المعنى الذي رَفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية:

فقيل: هو في الغزو؛ أي: لا حرج عليهم في تأخُّرهم(١) عنه، وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله على هذا القول؛ كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل.

وقيل: الآية كلُّها في معنى الأكل، واختَلف الذاهبون إلى ذلك:

فقيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنَّبون الأكل مع الناس؛ لئلا يتقذَّرَهم(٢) الناس، فنزلت الآية مبيحةً لهم الأكل مع الناس.

وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو، وخلَّفوا أهل هذه الأعذار

(١) في ب، ج، هـ: «تأخيرهم».
(٢) في أ، ب، هـ: «يستقذرهم».

في بيوتهم؛ كانوا[١] يتجنَّبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك.

وقيل: إن الناس كانوا يتجنَّبون الأكل معهم تقذُّرًا، فنزلت الآية، وهذا ضعيف؛ لأن رفْع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم.

وقيل: إنَّ رفْع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم[٢] منه أعذارهم من الجهاد وغيره.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى الإنسان الأكلَ من هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم.

ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن بيتَ ابن الرجل بيتُه؛ لقوله ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»[٣].

واختَلف العلماء فيما ذُكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة:

فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلَّا بإذنه، والناسخ قولُه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقولُه ﷺ: «**لا يحل مال امرىء مسلم إلَّا عن طيب نفس منه**»[٤].

وقيل: الآية محكمة، ومعناها: إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك.

---

(١) في أ، هـ: «فكانوا».
(٢) في أ، ب، هـ: «يمنعهم».
(٣) أخرجه أحمد (٦٩٠٢)، وأبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩١).
(٤) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥).

وقيل: بإذن وبغير إذن.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ يعني: الوكلاءَ والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازنِ أموال ساداتهم، فأُبيح[1] لهم الأكل منها.

وقيل: المراد: ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه. وهذا ضعيف.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة، كالعدوِّ، والمراد به هنا: جمْعٌ ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله: ﴿ءَابَآئِكُمْ﴾ و﴿أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ وغير ذلك.

وقرَن الله الصديق بالقرابة؛ لقرب مودَّته، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحةٌ للأكل في حال الاجتماع والانفراد؛ لأنَّ بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلًا؛ خيفةً من البخل، فأباح لهم الله ذلك.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: إذا دخلتم بيوتًا مسكونةً فسلموا على مَن فيها من الناس، وإنما قال: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بمعنى: صنفكم؛ كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

وقيل: المعنى: إذا دخلتم بيوتًا خاليةً فسلموا على أنفسكم؛ بأن يقول الرجل: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

---

(١) في ج: «فأباح الله».

وقيل: يعني بالبيوت: المساجد، فأمر[١] بالسلام على من فيها، فإن لم يكن فيها أحدٌ فليسلمْ على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين.

* * *

(١) في ج: «وأمر»، وفي د: «أمر»، وفي هـ: «والأمر».

[﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾].

﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية؛ الأمرُ الجامع: هو الذي يجمع له الناس؛ للمشورة فيه، أو للتعاون عليه.

ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة؛ فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون من غير استئذان.

﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ في معناها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الدعاء هنا يراد به: دعاء النبي ﷺ إياهم؛ ليجتمعوا إليه في أمرٍ جامع، أو في قتال وشبه ذلك؛ فالمعنى: أن إجابتكم له إذا دعاكم[1] واجبةٌ عليكم، بخلاف إذا دعا بعضكم بعضًا، فهو كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(١) في ج، د: «إجابتهم له إذا دعاهم».

ويقوي هذا القولَ: مناسبتُه لما قبله من الاستئذان والأمرِ الجامع.

والقول الثاني: أن المعنى: لا تدعوا الرسول ﷺ باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه؛ بل قولوا له: «يا رسول الله» أو «يا نبي الله»؛ تعظيمًا له ودعاءً بأشرف أسمائه.

وقيل: المعنى: لا تحسبوا دعاءَ الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض؛ أي: دعاؤه عليكم مجابٌ فاحذروه.

ولفظ الآية بعيدٌ من هذا المعنى على أن المعنى صحيح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: الذي ينصرفون عن حفر الخندق.

واللِّواذ: الرَّوَغان والمخالفة.

وقيل: الانصراف في خُفية.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير لله أو[1] لرسوله ﷺ.

واختُلف في ﴿عَنْ﴾ هنا:

فقيل: إنها زائدةٌ، وذلك ضعيف.

وقال ابن عطية: معناه: يقع خلافهم بعد أمره، كما تقول: كان المطر عن ريح[2].

---

(١) في أ، ب، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١١/ ١٦٤)..

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤١٥).

وقال الزمخشري: يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر: إذا صدَّ الناس عنه؛ فمعنى ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: يصدُّون الناس عنه؛ فحَذف المفعول؛ لأن الغرض ذكر المخالف[1].

﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة: في الدنيا؛ بالرزايا، أو بالفضيحة، أو القتل.

والعذاب: في الآخرة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت ﴿قَدْ﴾ للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد.

وقيل: معناها: التقليل على وجه التهكُّم.

والخطاب: لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني: المنافقين.

والعامل في الظرف: ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾.

---

(١) انظر: الكشاف (١١/ ١٦١).

﴿ سورة الفرقان ﴾

[﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ
تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى
يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ
يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا
۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ۝٩﴾].

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل مختصٌّ بالله تعالى لم يُنْطَق له بمضارع.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وذلك على وجه التَّشريف له والاختصاص.

﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير:

لمحمد ﷺ.

أو للفرقان.

والأول أظهر.

وقوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ عمومٌ يشمل الإنس والجن ممن كان في عصره، وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

وتضمَّن صدرُ هذه الآية إثباتَ النبوة والتوحيد، والردَّ على من خالف في ذلك.

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ ﴿خَلَقَ﴾: عبارةٌ عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير: عبارةٌ عن إتقان الصَّنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصفته وزمانه ومكانه ومصلحته وأجله، وغير ذلك.

﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى.

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يعنون: قومًا من العبيد، منهم: عدَّاسٌ ويسارٌ وأبو فُكَيهةَ الرُّوميُّ.

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي: ظلموا النبي ﷺ فيما نَسبوا إليه، وكذَبوا في ذلك عليه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطَره الأوَّلون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث.

﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتبٌ، ثم صارت تملى عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار.

وقال الحسن: إنه من قول الله على وجه الردِّ عليهم.

ولو كان ذلك لقال: «أكتتبها» بفتح الهمزة لمعنى[١] الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا.

وينبغي على قول الحسن أن يوقف على ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ ردٌّ على الكفار في قولهم، ويعني[٢] بالسرِّ: ما أسرَّه الكفار من أقوالهم.

أو يكون ذلك على معنى التنصُّل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء؛ أي: أن الله يعلم سرِّي؛ فهو العالم بأني ما افتريتُ عليه، بل هو أنزله عليَّ.

فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما قبله؟

فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك؛ ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يَعْجَلْ عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ الآيةَ، قال هذا الكلام قريشٌ؛ طعنًا على النبي ﷺ، وقد ردَّ[٣] الله عليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾:

على وجه التهكُّم، كقوله فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الشعراء: ٢٧].

---

(١) في د: «بمعنى».

(٢) في أ، ب: «يعني» بدون واو.

(٣) في ج: «رده».

أو يعنون: الرسول بزعمه.

ثم ذَكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وما بعده، ثم وصفهم بالظلم.

وقد ذكرنا معنى ﴿مَّسْحُورًا﴾ في «سبحان»(١).

﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يَقدِرون على الوصول إلى الحق؛ لبعدهم عنه، وإفراطِ جهلهم.



(١) انظر (٢/ ٨١٠).

[﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا
رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ
دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلۡ
أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ
فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا
يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ
﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٨﴾ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا
تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا
قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا
بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾].

﴿خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا.

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يعني: جناتِ الآخرة وقصورَها.

وقيل: يعني: جناتٍ وقصورًا في الدنيا، ولذلك قال: ﴿إِن شَآءَ﴾.

﴿إِذَا رَأَتۡهُم﴾ أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يَحتمل أن تكون: حقيقةً.

أو مجازًا؛ بمعنى: صارت منهم بقَدْر ما يُرى على البعد.

﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾ التغيُّظ لا يسمع، وإنما المسموع أصواتٌ دالة عليه، ففي لفظه تجوُّزٌ.

والزفير: صوتٌ ممدودٌ كصوت الحمار.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تُضيَّق عليهم زيادةً في عذابهم.

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي مربوطٌ بعضهم إلى بعض، ورُوي أن ذلك بسلاسلَ من نار.

﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الثبور: الويل، وقيل: الهلاك.

ومعنى دعائهم ثبورًا: أنهم يقولون: يا ثبوراه!، كقول القائل: واحسرتى! وا أسفى!.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثَمَّ قولٌ.

وإنما دعوا ثبورًا كثيرًا؛ لأن عذابهم دائمٌ، فالثبور يتجدَّد عليهم في كل حين.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن الكلام توقيفٌ وتوبيخٌ، وإنما يُمنَع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرًا.

﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ أي سأله المؤمنون، أو الملائكة في قولهم: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

وقيل: معناه: وعدًا واجب الوقوع؛ لأنه قد حتَمه.

﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ القائل لذلك هو الله ﷻ.

والمخاطَب[١] هم:

المعبودون مع الله على العموم.

وقيل: الأصنام خاصَّةً.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، وقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا معادِلةٌ لما قبلها، والمعنى: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أأنتم أظللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تُضلُّوهم أنتم؟، ولأجل ذلك بيَّن هذا المعنى بقوله: ﴿هُمْ﴾؛ ليُحقِّقَ[٢] إسنادَ الضلال إليهم.

وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور؛ ليوبِّخ الكفار الذين عبدوهم.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ القائل لهذا: هم المعبودون؛ قالوه على وجه التبرِّي ممن عبدهم كقولهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١]، والمراد بذلك: توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ معناه: أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب

---

(١) في ب، د: «والمخاطبون».

(٢) في أ، ب: «ليتحقق».

نسيانهم لذكر الله وعبادته.

﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين، وهو من البوار بمعنى: الهلاك.

واختُلف: هل هو جمع بائرٍ؟ أو مصدرٌ وُصِف به؛ ولذلك يقع على الواحد والجماعة؟.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطابٌ خاطب الله به المشركين يوم القيامة؛ أي: قد كذَّبكم[1] آلهتكم التي عبدتم من دون الله، وتبرؤوا منكم.

وقيل: هو خطاب للمعبودين؛ أي: كذَّبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا.

وقيل: هو خطاب للمسلمين؛ أي: قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة.

وقرئ ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء من أسفل.

والباء في قوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾:

على القراءة بالتاء: بدلٌ من الضمير في ﴿كَذَّبُوكُم﴾.

وعلى القراءة بالياء كقولك: كتبتُ بالقلم؛ أي: كذَّبوكم بقولهم.

﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء من فوق، ويحتمل على هذا:

أن يكون الخطاب: للمشركين أو للمعبودين، والصَّرف على هذين

---

(١) في د: «كذبوكم».

الوجهين: صرْفُ العذاب عنهم.

أو يكون الخطاب: للمسلمين، والصرف على هذا: ردُّ التكذيب.

وقرئ بالياء، وهو مسندٌ إلى المعبودين أو المشركين، والصرف: صرف العذاب.

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ خطاب للكفار.

وقيل: للمؤمنين.

وقيل: على العموم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلًا أو رجالًا قبلك، وعلى هذا المفعولِ المحذوفِ يعود الضميرُ في قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾.

وهذه الآية ردٌّ على الكفار في استبعادهم بعثَ رسولٍ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطابٌ لجميع الناس؛ لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنةٌ للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يَحسده ويكفر به.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لننظر[1] هل تصبرون.

---

(١) في ب، هـ: «لينظر».

[﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ
وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾
أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾
وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ
أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾
وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾].

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: معناه لا يخافون.

والصحيح: أنه على بابه؛ لأن لقاء الله يُرجى ويُخاف.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون[1]، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ الآية؛ أي: طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه.

وقوله: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

كما تقول: فلان عظيم في نفسه، أي: عند نفسه.

(١) في أ، ب، هـ: «يؤمنوا».

أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر[1] في أنفسهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَٰئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾:

إن كان للملائكة: فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين: حجرًا محجورًا؛ أي: حرامًا عليكم الجنة أو البشرى.

وإن كان الضمير للمجرمين: فالمعنى أنهم يقولون: حجرًا؛ بمعنى عَوْذًا؛ لأن العرب كانت تتعوَّذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره[2].

وانتصابه بفعل متروكٍ إظهارُه؛ نحو: معاذ الله.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: قصَدنا إلى أعمالهم؛ فلفظ القدوم مجازٌ.

وقيل: هو قدوم الملائكة، أسنده الله إلى نفسه؛ لأنه عن أمره[3].

---

(١) في أ، ب، هـ: «الكبر»، وعبارة الكشاف (١١/٢٠٨): «معناه: أضمروا الاستكبار عن الحق؛ وهو الكفر والعناد في قلوبهم».

(٢) في ج، د: «تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «قَصَدنا إلى أعمالهم، فلفظ القدوم مجاز» أقول: قوله: «قدمنا أي: قَصَدنا»، هو معنى ما جاء عن السلف؛ إذ قالوا في تفسير الآية: قدِمنا أي: عمَدنا، والمقتضي لهذا التفسير هو تعدية الفعل بإلى؛ فقَدِم مضمَّنٌ معنى قصَد أو عمَد، والفعل المضمَّن لمعنى فعل آخر يفيد معنى الفعلين، كما هو معلوم، وعليه: فقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ يفيد معنى (قَدِم) الذي فيه معنى أتى أو جاء، ومعنى عَمَد وقَصَد، وعلى هذا فليس في الآية مجاز، بل في الآية تضمين =

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ عبارةٌ عن عدم قَبول ما عملوا من الحسنات، كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرطٌ في قبول الأعمال.

والهَباء: هي الأجرام الدقيقة[1] من الغبار التي لا تظهر إلَّا حين تدخل الشمس على موضع ضيِّقٍ كالكَوَّة.

والمنثور: المتفرِّق[2].

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقَرٌّ وهذا مستقَرٌّ.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مَفْعِلٌ من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقتَ القائلة في الأمكنة الباردة.

= الفعل معنى فعل آخر، كما تقدم. وعُلم مما تقدم أنه يمكن أن يستدل بالآية على إثبات المجيء لله، لكن إضافة الفعل إلى صيغة الجمع تفيد مجيء الملائكة أيضا، كما جاء الخبر عن الأمرين - مجيء الله ومجيء ملائكته - في غير موضع، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، ولهذا يشير قول المؤلف: «وقيل: هو قدوم الملائكة»، أي: مجيئهم، والقائل بذلك الأشبه أنه من نفاة الصفات الفعلية عن الله، كالمجيء والإتيان، والحقُّ أنه تعالى يجيء كما يشاء، كما أخبر عن نفسه في عدد من الآيات، والأظهر أن منها هذه الآية: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) في ج، د، هـ: «المفترق».

وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيَقِيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء: انفطارها.

ومعنى ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾: أي: يخرج منها الغمام، وهو سحابٌ رقيق أبيض، وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ عضُّ اليدين: كنايةٌ عن الندم والحسرة.

والظالم هنا: عقبة بن أبي معيط.

وقيل: كل ظالم.

والظلم هنا: بمعنى الكفر.

﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ، أو اسم جنس على العموم.

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ روي: أن عقبة جنَح إلى الإسلام فنهاه أبيُّ بن خلف، أو أمية بن خلف؛ فهو فلان.

وقيل: إن عقبة نهى أبيَّ بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا: أبيٌّ، وفلانٌ: عقبة.

وإن كان الظالم على العموم: فـ﴿فلانا﴾ على العموم؛ أي: خليلُ كلِّ كافر.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

من قول الظالم.

أو ابتداءَ إخبارٍ؛ من قول الله تعالى.

ويَحتمل أن يراد بالشيطان: إبليس، أو الخليل المذكور.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ قيل: إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا.

وقيل: في الآخرة.

﴿مَهۡجُورٗا﴾ من الهَجر؛ بمعنى: البُعد والترك.

وقيل: من الهُجْر -بضم الهاء-؛ أي: قالوا فيه الهُجر حين قالوا: إنه شعر وسحر.

والأول أظهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا﴾ العدو هنا جمعٌ، والمراد: تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ وعدٌ لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ هذا من اعتراضات قريش؛ لأنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ هذا جوابٌ لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرَّقًا؛ لنثبِّت به فؤاد محمد ﷺ؛ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة لتعذَّر عليه حفظه؛ لأنه أميٌّ لا يقرأ، فحفظ المفرَّق عليه أسهل.

وأيضًا؛ فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كلُّ جزءٍ منه عند[1] حدوث سببه.

---

(١) في أ، ب، هـ: «على».

وأيضًا؛ منه ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتَّى ذلك فيما ينزل جملةً واحدةً.

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: فرَّقناه تفريقًا، فإنه نزل بطول عشرين سنة.

وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدَّر الذي يتعلَّق به ﴿كَذَٰلِكَ﴾، وبه يتعلَّق ﴿لِنُثَبِّتَ﴾.

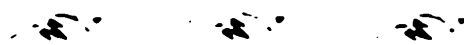
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآيةَ؛ معناها: لا يوردون عليك سؤالًا أو اعتراضًا إلَّا أتيناك في جوابه بالحقِّ والتفسيرِ الحسن الذي يُذهِب اعتراضهم ويبطل شبهتهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: الكفار، وحَشْرُهم على وجوههم حقيقةٌ؛ لأنه جاء في الحديث: قيل يا رسول الله: كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادرًا على أن يُمشيه في الآخرة على وجهه؟!»[1].

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يَحتمل أن يريد بالمكان:

المنزلةَ والشرف.

أو الدار والمسكن في الآخرة.



---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾].

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعينًا.

﴿إِلَى ٱلْقَوْمِ﴾ يعني: فرعونَ وقومه.

وفي الكلام حذفٌ تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم.

﴿كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ تأويلُه كما ذُكر في قوله في «هود»: ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ [هود: ٥٩](١).

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يَحتمل أن يريد بالظالمين:

مَن تقدَّم، ووَضَع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر؛ لقصْد وصفهم بالظلم.

---

(١) انظر (٢/ ٥٩٥).

أو يريد الظالمين على العموم.

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ معنى الرَّسِّ في اللغة: البئر، واختُلف في أصحاب الرس:

فقيل: هم من بقية ثمود.

وقيل: من أهل اليمامة.

وقيل: من أهل أنطاكِيَة، وهم أصحاب ياسين.

واختُلف في قصتهم:

فقيل: بُعِث إليهم نبيٌّ، فرموه في بئر فأهلكهم الله.

وقيل: كانوا حول بئر لهم، فانهارت بهم فهَلَكوا.

﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي التكثيرَ والإبهام، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المذكور قبلُ من الأمم.

﴿لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: بيَّنَّا له.

﴿تَبَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ الضمير في ﴿أَتَوْا۟﴾ لقريش وغيرهم من الكفار.

والقرية: قرية قوم لوط.

و﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾: الحجارة.

ثم وقَفَهم على رؤيتهم لها؛ لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كُفْرهم بالنُّشور.

و﴿يَرْجُونَ﴾ كقوله: ﴿يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقد ذُكِر[١].

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى﴾ حكايةُ قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع معمولٍ[٢] لقولٍ محذوف يدلُّ عليه ﴿هُزُوًا﴾.

وقوله: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ استئنافُ جملةٍ أخرى، وتمَّ كلامهم، واستأنفَ كلامَ الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآيةَ؛ على وجه التهديد لهم.

﴿ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: أطاع هواه حتى صار[٣] كأنه إله.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيَّعوها.

أو لأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضرَّ الأشياء وهو العقاب.

---

(١) انظر صفحة ٣٣٢.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «مفعول».

(٣) في د زيادة: «له».

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ
دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ
سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ
شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا
﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى صنع ربك وقدرته.

﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ قيل: مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها.

واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال «ظِلٌّ» بالليل، واختار أن مدَّ الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير (١).

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٤٢).

وقيل: [١] ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: أي: جعله يمتدُّ وينبسط.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتًا غيرَ زائل لكنه جعله يزول بالشمس.

وقيل: معنى ساكن: غير منبسط على الأرض، بل يلتصق[٢] بأصل الحائط أو الشجرة ونحوها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل: معناه: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر، فيبنون على ذلك انتفاعَهم به وجلوسَهم فيه.

وقيل: معناه: لولا الشمس لم يُعرَف أن الظل شيءٌ؛ لأن الأشياء إنما تُعرَف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ قَبْضُه: نَسْخُه وزواله بالشمس.

ومعنى ﴿يَسِيرًا﴾: شيئًا بعد شيء، لا دَفْعةً واحدة.

فإن قيل: ما معنى «ثم» في هذه المواضع الثلاثة؟

فالجواب: أنه يَحتمل:

أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالًا بعد حال.

أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وأن[٣] الثاني أعظمُ من

(١) في ج، د زيادة: «معنى».

(٢) في ج، د: «ملتصق».

(٣) في ج، د: «بأن كان».

الأول، والثالث أعظم من الثاني.

﴿ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ شبَّه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس.

﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾ **قيل**: راحة.

وقيل: موتًا؛ لقوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢]، ويدلُّ عليه مقابلته بالنشور.

﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشُرَۢا﴾ ذُكر في «الأعراف»[١].

﴿مَآءٗ طَهُورٗا﴾ مبالغةٌ في طاهر.

وقيل: معناه: مطهِّر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماءٌ طهورٌ؛ أي: مُطهِّر، وكل مُطهِّر طاهرٌ، وليس كل طاهر مُطهِّرًا.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ **قيل**: جمع إنسيٍّ.

وقيل: جمع إنسان.

والأول أصح.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن.

وقيل: للمطر، وهو بعيد.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١﴾ أي: لو شئنا لخفَّفنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل، ولكنا خصَصْناك بها كرامةً لك؛ فاصبر عليها.

---

(١) انظر (٢/ ٣٥٣).

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ الضمير: للقرآن، أو لما دلَّ عليه الكلام المتقدم[١].

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يُعْلَم في الدنيا بحرٌ مِلْحٌ وبحر عَذْبٌ، وإنما البحار المعروفة ماؤها مِلْحٌ:

فقال ابن عباس: أراد بالبحرِ الملحِ الأجاجِ: بحرَ الأرض، وبالبحر العذبِ الفراتِ: بحرَ السحاب.

وقيل: البحر الملح: البحر المعروف، والبحر العذب: مياه الأرض.

(وقيل: البحر الملح: جميع الماء المِلْح من الآبار وغيرها، والبحر العذب: هو مياه الأرض)[٢] من الأنهار والعيون.

ومعنى الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأُجاج: نقيضه.

واختُلف في معنى مَرْجهما:

فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين.

وقيل: أَسال أحدَهما في الآخر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: فاصلًا يفصل بينهما، وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان.

وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله، ولا يراه البشر.

---

(١) أي: جاهدهم بسبب كونك نذيرَ كافة القُرى. الكشاف (١١/ ٢٦٢).
(٢) سقط من أ، ب، هـ.

﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم: فالمراد بالماء: الماء الذي خُلِط مع التراب فصار طينًا.

وإن أراد بالبشر بني آدم: فالمراد بالماء: المنيُّ الذي يُخلَقون منه.

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يَعُمَّان كل قربى؛ فالنسب: أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم، قَرُبَ ذلك أو بَعُدَ، والصهر: هو الاختلاط بالتناكح.

وقيل: أراد بالنسب: الذكورَ؛ أي: ذوي[1] نسب يُنتَسب إليهم، وأراد بالصهر: الإناث؛ أي ذوات صهر يُصاهَر بهنَّ، فهو كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٩].

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ الكافر هنا: الجنس.

وقيل: المراد أبو جهل.

والظهير: المعين؛ أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك.

ولفظه يقع للواحد والجماعة، كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم على الإيمان أُجرةً ولا منفعة لنفسي.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا بالتقرُّب إليه وعبادته، فالاستثناء منقطع.

---

(١) في ب، د: «ذو».

وقيل: المعنى: إلَّا أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا بالصدقة، فالاستثناء على هذا متصل.

والأول أظهر.

وفي الكلام محذوف تقديره: إلَّا سؤال من شاء، أو ما أشبه ذلك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال: لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق؛ فإنه يموت.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي قل: «سبحان الله وبحمده»، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به.

ومعنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بحمده أقول ذلك.

ويَحتمل أن يكون المعنى: سبِّحه مُلْتبسًا[1] بحمده، فهو أَمْرٌ بأن يجمع بين التسبيح والحمد.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ يَحتمل أن يكون المراد بهذا:

بيانَ حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم.

أو يكون المراد: تهديد العباد؛ لعلم[2] الله بذنوبهم.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ذكر في «الأعراف»[3].

---

(١) في أ، ب، د: «متلبسًا».

(٢) في د: «بعلم».

(٣) انظر (٣٤٨/٢).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ خبر ابتداء مضمر، أو بدلٌ من الضمير في ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾.

﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ فيه معنيان:

أحدهما - وهو الأظهر -: أن المراد: اسأل عنه من هو خبيرٌ عارفٌ به، فانتصب ﴿خَبِيرٗا﴾ على المفعولية، وهذا الخبير المسؤول: هو جبريل عليه السلام و[1] العلماء، وأهل الكتاب.

والباء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ يَحتمل:

أن تتعلقَ بـ ﴿خَبِيرٗا﴾.

أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى «عن».

والمعنى الثاني: أن المراد: اسأل بسؤاله خبيرًا؛ أي: إن سألته تعالى تجده خبيرًا بكل شيء، فانتصب ﴿خَبِيرٗا﴾ على الحال، وهو كقولك: «لو رأيت فلانًا رأيت به أسدًا» أي: رأيت برؤيته أسدًا.

﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش، وقالوا: لا نعرف الرحمن، وكان مُسيلِمة الكذاب قد تسمَّى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة.

﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له.

﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ الضمير الفاعل[2] في زادهم يعود على المقول وهو ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾.

---

(١) في ج، د: «أو».

(٢) في أ، ب، هـ: «المفعول».

[﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ
يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ
لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا
وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ
بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا
﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾].

﴿بُرُوجًا﴾ يعني: المنازل الاثني عشر.

وقيل: الكواكب العظام.

﴿سِرَٰجًا﴾ يعني: الشمس.

وقُرئ بضم السين والراء على الجمع، يعني: جميع الأنوار، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفًا.

﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ أي: يخلف هذا هذا.

وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة[١]، كالرِّكْبة والجِلسة، والأصل: جعلهما ذوَيْ خِلفةٍ.

﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قيل: معناه: يَعتبر في المصنوعات.

وقيل: يتذكَّر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه[٢] بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: عباده المرضيُّون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة.

و﴿عِبَادُ﴾ مبتدأ، وخبره:

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾.

أو قوله في آخر السورة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: رفقًا ولينًا بحلم ووقار، ويَحتمل أن يكون ذلك:

وصفَ مشْيِهم على الأرض.

أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبَّر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدةَ حياتهم.

---

(١) في ج، د: «للهيئة».

(٢) في أ: «فيستذكره».

﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: قالوا قولًا سديدًا؛ ليدفع الجاهل برفق.

وقيل: معناه: قالوا للجاهل: «سلامًا»؛ أي: هذا اللفظ بعينه، بمعنى: سلمنا منكم.

قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف.

وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحِلْم عنهم فمستحسنٌ غير منسوخ.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعده: يَحتمل أن يكون: من كلامهم، أو من كلام الله ﷻ.

﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكًا وخسرانًا.

وقيل: ملازمًا.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ الإقتار: هو التضييق في النفقة والشح، وضده: الإسراف، فنهى عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما، وهو القَوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قلَّ.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقابًا.

وقيل: الأَثَام: الإثم؛ فمعناه: يلق جزاء أثامٍ.

وقيل: الأثام: واد في جهنم.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذُكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ **قيل**: نزلت في الكفار لأنهم المخلَّدون في النار بإجماع، فكأنه قال: الذين يجمعون بين الشرك[١] والقتل والزنا.

وقيل: نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون.

فأما على مذهب المعتزلة: فالخلود على بابه.

وأما على مذهب أهل السنة: فالخلود عبارة عن طول المدة.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ **إن قلنا**: الآية في الكفار فلا إشكال فيها؛ لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا.

وإن قلنا: إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح، واختلف: هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا؟

﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ **قيل**: يوفِّقهم الله لفعل الحسنات بدلًا مما[٢] علموا من السيئات.

وقيل: إن هذا التبديل في الآخرة، أي: يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات.

﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: متابًا مقبولًا مرْضيًّا عند الله، كما تقول: لقد قلتَ يا فلان قولًا، أي: قولًا حسنًا.

﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون بالزور، وهو الكذب؛ فهو من الشهادة.

---

(١) في ج، د: «الإشراك».

(٢) في أ، ب، هـ: «عما».

وقيل: معناه: لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المشاهدة والحضور.

والأول أظهر.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ اللغو: هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه.

ومعنى ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ أعرضوا عنه واستحيوا، ولم يدخلوا مع أهله؛ تنزيهًا لأنفسهم عن ذلك.

﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يُعرضوا عن آيات الله، بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصَّمم والعمى، لا للخرور عليها.

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل: معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لله.

وقيل: أدخلهم معنا الجنة.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوةً يَقتدي بنا المتقون، فـ«إمامٌ»: مفرد يراد به الجنس.

وقيل: هو جمعُ آمٍّ؛ أي: متَّبِع.

﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ يعني: غرفة الجنة؛ فهي اسم الجنس.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً أو استفهامية.

وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: لا يبالي الله بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة، وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى: لا يبالي الله بكم، ولكنه[١] يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه.

ويكون على هذين القولين:

خطابًا لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه.

أو خطابًا للمؤمنين خاصةً؛ لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

الثالث: أنه خطاب للكفار خاصةً، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم ربي لولا أن يدعوَكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى: الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول.

وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي سوف يكون العذاب لِزامًا (أي: لازمًا)[٢] ثابتًا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «ولكن».

(٢) لم ترد في أ، ب، هـ.

وأضمر العذاب وهو اسم كان؛ لأنه جزاء التكذيب المتقدِّم.

واختُلف: هل يُراد بالعذاب هنا: القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة؟



﴿ سورة الشعراء ﴾

[﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ
۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ
ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾].

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ تكلّمنا على حروف الهجاء في أول «البقرة»(١).

ويختصُّ(٢) هذا: أنه قيل: الطاء من «ذي الطَّول»، والسين من «السميع» أو «السلام»، والميم من «الرحيم» أو «المنعم».

﴿بَٰخِعٌ﴾ ذُكر في «الكهف»(٣).

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ الأعناق: جمع عُنق، وهي الجارحة المعروفة.

وإنما جمع ﴿خَٰضِعِينَ﴾ جمع العقلاء:

لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء.

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) في أ، ب، هـ: «ويخص».

(٣) انظر صفحة ٧.

أو[١] لأنه وصَفها بفعل لا يكون إلَّا من العقلاء.

وقيل: الأعناق: الرؤساء من الناس شُبِّهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوسٌ وصدور.

وقيل: هم الجماعات من الناس.

فلا يَحتاج جمع ﴿خَٰضِعِينَ﴾ إلى تأويل.

﴿مُّحْدَثٍ﴾ يعني به: محدثَ الإتيان[٢].

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: من كلِّ صنفٍ من النبات، فيعمُّ ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى.

ووصفه بالكرَم؛ لما فيه من الحسن والمنافع.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدَّم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الإفراد؛ لأنه أراد: إنَّ في كل واحد آيةً.

أو أشار إلى مصدر قوله: ﴿أَنۢبَتْنَا﴾.

* * *

(١) في ج، د: «و».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك (٣/ ١٣١٩).

[﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾].

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ بالرفع:

عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾.

أو استئنافٌ.

وقرئ بالنصب؛ عطفًا على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أي: اجعله معي رسولًا أستعين به.

﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ يعني: قَتْلَه للقبطيّ.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي: لا تخفْ أن يقتلوك.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ خطابٌ لموسى وأخيه ومن كان معهما.

أو على جعل الاثنين جماعةً.

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمعٌ، وورد مورد تعظيم الله تعالى.

ويَحتمل أن تكون الملائكة هي التي تستمع بأمر الله؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «(مستمعون) لفظه جمعٌ، وورد مَورِد تعظيم الله تعالى» إلخ، أقول: قوله: «ورد مورد تعظيم الله» معناه: أن الله ذكر نفسه بصيغة الجمع وهو واحد للدلالة على عظمته تعالى، وهذا معنى صحيح؛ فإنه تعالى يذكر نفسه بصيغة المفرد مظهرا أو مضمرا، للدلالة على التوحيد، ويذكر نفسه بصيغة الجمع مظهرا أو مضمرا للدلالة على عظمته لكثرة أسمائه وصفاته، وكثرة عبيده وجنوده، وشواهدُ هذا في القرآن كثيرة؛ كما في هذه الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، وقوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾، وقد يراد بهذه الصيغة الملائكة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، فالمراد قراءة جبريل، وقوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، والمراد قرب الملائكة الحافظين الكاتبين لعمل العبد، وقد تدل هذه الصيغة على الأمرين معا؛ على التعظيم وعلى إرادة الملائكة، ومن ذلك هذه الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، فالله يستمع، والملائكة يستمعون، كما قال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وقولُ المصنف: «إن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع»، هذا غلطٌ منه رحمه الله منشؤه نفي الأفعال الاختيارية عن الله، وهي التي تكون بمشيئته تعالى، وهو المعروف من مذهب الأشاعرة، كيف وقد أخبر تعالى عن نفسه في هذه الآية بصيغة الجمع بأنه مستمع؟! ويشهد لذلك ما جاء في السنة، وهو قوله ﷺ: «ما أَذِنَ الله لشيء كأَذَنه لنبي يتغنى بالقرآن، يجهر به»، وقولُه: (ما أَذِن) أي: ما استمع، والأَذَن - بالتحريك - الاستماع =

والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناءً واهتمامًا بالأمر ليست في صيغة «سامعون».

والخطاب في قوله: ﴿مَعَكُم﴾ لموسى وهارون وفرعون وقومه.

وقيل: لموسى وهارون خاصةً؛ على معاملة الاثنين معاملةَ الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

﴿إِنَّا رَسُولُ﴾ إن قيل: لم أفرده وهما اثنان؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ التقدير: كلُّ واحدٍ منَّا رسول.

الثاني: أنهما جُعِلا كشخص واحد؛ لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان؛ فكأنهما واحد.

الثالث: أن ﴿رَسُولُ﴾ هنا مصدرٌ وُصِف به، فلذلك يُطلَق[1] على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسولٌ: بمعنى رسالة، بخلاف قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا﴾ [طه: ٤٧]؛ فإنه بمعنى: المرسَل.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ أي: أطلقهم.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعونُ بهذا الكلام المنَّ على موسى، والاحتقارَ له.

= فالاستماع فعل من الله يكون بمشيئته، فهو تعالى يسمع جميع الأصوات، ويستمع لما شاء منها، ومن ذلك ما جاء في الآية والحديث، فالاستماع أخصُّ من السماع، فكلُّ استماع متضمنٌ للسماع دون العكس. والله أعلم.

(١) في ج، د: «أطلق».

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝١٩﴾ قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام.

ويعني بالفَعْلة: قتلَه للقبطي.

والواو في قوله: ﴿وَأَنتَ﴾:

إن كانت للحال فقوله: ﴿مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ معناه: كافرٌ بهذا الدين الذي جئتَ به؛ لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمنًا، ولم يعلم بذلك فرعون.

وقيل: معناه من الكافرين بنعمتي.

وإن كانت الواو للاستئناف: فيَحتمل أن يريد:

من الكافرين بديني.

أو من الكافرين بنعمتي.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ القائل هنا: هو موسى عليه السلام، والضمير في قوله: ﴿فَعَلْتُهَآ﴾ لقتله القبطي.

واختُلف في معنى قوله: ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾:

فقيل: معناه: من الجاهلين بأن وكْزَتي تقتُله.

وقيل: معناه: من الناسين، فهو كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله: ﴿إِذًا﴾ صلةٌ في الكلام، وكأنها بمعنى حينئذٍ. قال ذلك ابن عطية(١).

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٤٧٥).

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده في قوله: ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾[(١)].

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معنى ﴿عَبَّدتَّ﴾: ذلَّلتَ واتخذتهم عبيدًا، فمعنى هذا الكلام: أنك عددتَ نعمةً عليَّ تعبيدَ بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة، إنما كانت نقمة؛ لأنك كنت تذبح أبناءهم، ولذلك وصلتُ أنا إليك فربَّيتني.

فالإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى التربية.

و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾:

في موضع رفعٍ عطفُ بيان على ﴿تِلْكَ﴾.

أو في موضع نصبٍ على أنه مفعول من أجله.

وقيل: معنى الكلام: تربيتُك نعمةٌ عليَّ؛ لأنك عبَّدت بني إسرائيل وتركتني.

فهي في المعنى الأول: إنكارٌ لنعمته.

وفي الثاني: اعترافٌ بها.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَٰلَمِينَ﴾؟ أجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾؟ تعجُّبًا من جوابه، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ لأن وجود الإنسانِ وآبائِه أظهرُ

---

(١) هذه الآية ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ بعد ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ وليست قبلها، فلو قال: «جمع ضمير الخطاب مع إفراده في قوله ..» لاستقامت العبارة، كما هي عبارة الكشاف (١١/ ٣٣٩)

الأدلة[١] عند العقلاء وأعظم البراهين؛ فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلُّون[٢] بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسى إلى الجنون مغالطةً منه، وأبدى الازدراء والتهكُّم في قوله: ﴿رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبَها آيةٌ ظاهرة لا يمكن أحدًا جحدُها، ولا أن يدعيَها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمروذ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلُّب فهدَّده بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطُّفٍ؛ طمعًا في إيمانه، فقال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟.

وقد تقدَّم في «الأعراف»[٣] ذكر العصا واليد، و﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ و﴿أَرْجِهْ﴾ و﴿حَٰشِرِينَ﴾.

فإن قيل: كيف قال أوَّلًا: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، ثم قال آخرًا: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟

فالجواب: أنه لايَنَ أوَّلًا طمعًا في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبَّخهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «دلالة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستدلون».

(٣) انظر (٢/ ٣٧١، ٣٧٣).

[﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ
سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ
﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا
لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟
مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾
فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ
ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾].

﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة.

﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ أي: نتبعهم في نصرة ديننا، لا في عمل السحر.

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسمٌ أقسموا به.

وقد تقدَّم في «الأعراف»[1] تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، وما بعد ذلك.

﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا يضرُّنا ذلك؛ لأننا ننقلب إلى الله.

---

(١) انظر (٢/ ٣٧٤).

[﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾
فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾
فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ
إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ
فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾].

﴿أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ يعني: بني إسرائيل.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ باتباع فرعون.

﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشِّرذمة: الطائفة من الناس، وفي هذا احتقارٌ لهم على أنه رُوي أنهم كانوا ستَّ مئة ألف، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ يعني: التي بمصر.

والعيون: الخُلْجان الخارجة من النيل، و(١) كانت ثَمَّ عيون في ذلك الزمان.

وقيل: يعني الذهب والفضة وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكّام.

وقيل: المنابر.

---

(١) في أ، ب، د: «أو».

وقيل: المساكن الحِسان.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع خفضٍ؛ صفةٌ لـ ﴿وَمَقَامٍ﴾.

أو في موضع نصبٍ، على تقدير: أخرجناهم مثلَ ذلك الإخراج.

أو في موضع رفعٍ، أنه خبر ابتداء تقديره: الأمرُ كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أورثهم الله مواضع فرعون بمصر.

على أن التواريخ لم يُذكر فيها مُلْك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم مَلَكوا الشام، فتأويله على هذا: أورثهم مثل ذلك بالشام.

﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ أي: لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل.

﴿مُّشْرِقِينَ﴾ معناه: داخلين في وقت الشروق، وهو طلوع الشمس.

وقيل: معناه: نحو المشرق.

وانتصابه على الحال.

﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ وزن ﴿تَرَٰٓءَا﴾ تفاعل، وهو مشتقٌّ من الرؤية، والجمعان: جمع موسى وجمع فرعون، أي: رأى بعضهم بعضًا.

﴿فَٱنفَلَقَ﴾ تقدير الكلام: فضرب موسى البحر فانفلق.

﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء منه، والطود: الجبل.

ورُوي: أنه صار في البحر اثنا عشر طريقًا، لكل سبط من بني إسرائيل طريقٌ.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ يعني بـ ﴿الْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه، ومعنى: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قرَّبناهم من البحر ليغرقوا.

و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ يراد به هنا: حيث انفلق البحر، وهو بحر القُلزُوم.



[﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ
﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا
وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ
مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ
ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ
﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾
تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ
﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾)].

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ ليبينَ لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، ويقيمَ عليهم الحجة.

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرَّحوا بقولهم ﴿نَعْبُدُ﴾، مع أن السؤال - وهو قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ - يغني عن التصريح بذلك، وقياسُ مثل هذا: الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾ [النحل: ٣٠]؟.

فالجواب: أنهم صرَّحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة

الأصنام، ثم زادوا قولهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ مبالغةً في ذلك.

﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعترافٌ بالتقليد المحض.

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناءٌ منقطع.

وقيل: متصل؛ لأن في آبائهم مَن عبد الله تعالى.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ أسند المرضَ إلى نفسه والشفاءَ إلى الله؛ تأدُّبًا مع الله.

﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ قيل: أراد كذباته[1] الثلاثة الواردة في الحديث[2]، وهي قوله في سارة زوجته: «هي أختي»، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وقيل: أراد الجنس على الإطلاق؛ لأن هذه الثلاثة من المعاريض فلا إثم فيها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً جميلًا.

﴿لَا يَنفَعُ﴾ وما بعده: منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضًا من كلام إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ قيل: سليم من الشرك والمعاصي.

وقيل: الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره.

---

(١) في ج، د: «كلماته».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

وقيل: بقلب لديغ من خشية الله، والسَّليم: هو اللديغ لغة.

وقال الزمخشري: هذا من بِدَع[١] التفاسير[٢].

وهذا الاستثناء:

يحتمل أن يكون متصلًا، فيكون: ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾ مفعولًا، بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ والمعنى على هذا: أن المال لا ينفع إلَّا من أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلَّا من علَّمهم الدين وأوصاهم بالحق.

ويَحتمل أيضًا أن يكون متصلًا، ويكون قوله: ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾ بدلًا من قوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره: إلَّا مالُ من أتى الله وبنوه.

ويحتمل أن يكون منقطعًا بمعنى: «لكن».

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِّبت.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ يعني: المشركين؛ بدلالة ما بعده.

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ كبكبوا: مضاعف مِن «كَبَّ»[٣] كُرِّرت حروفه؛ دلالة على تكرير معناه، أي: كبَّهم الله في النار مرةً بعد مرة.

والضمير للأصنام، و﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم المشركون.

وقيل: الضمير للمشركين، و﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم الشياطين.

﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: نجعلكم سواءً معه.

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «بديع»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٢) الكشاف (١١/ ٣٨١).

(٣) في ب، ج: «مضاعف مركب»!.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩﴾ يعني: كبراءهم، وأهل الجُرْم والجُرْأة منهم.

﴿حَمِيمٍ﴾ أي: خالص الودّ.

قال الزمخشري: جمَع الشفعاء ووحّد الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الأصدقاء(١).



(١) الكشاف (١١/ ٣٨٦).

[﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي
الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ أسند الفعل إلى القوم وفيه علامة التأنيث؛ لأن القوم في معنى الجماعة والأمة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بالجمع وإنما كذبوا نوحًا وحده؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقولك: «فلان يركب الخيل» وإنما لم يركب إلَّا فرسًا واحدًا.

والآخر: أنَّ من كذَّب نبيًّا واحدًا فقد كذب جميع الأنبياء ﷺ؛ لأن قولهم واحد ودعوتهم سواءٌ.

وكذلك الجواب في: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ وغيره.

﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ جمع أرذلٍ، وقد تقدَّم الكلام عليه في قوله: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧] في «هود»[١].

---

(١) انظر (٢/ ٥٨١).

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ يعني: الذين سمَّوهم أرذلين، فإنَّ الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم، كما أرادت قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبًا وبلالًا وأشباههم من الضعفاء.

﴿ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريد الرجم:

بالحجارة.

أو بالقول، وهو الشتم.

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: احكم بيننا.

﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي: المملوء.

[﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم
بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟
سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾].

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الرِّيع: المكان المرتفع.

وقيل: الطريق.

﴿ءَايَةً﴾ يعني: المبانيَ الطِّوال.

وقيل: أبراج الحمام.

﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مَصنع، وهو ما أُتقِن صُنْعُه من المباني.

وقيل: مآخذ الماء.

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ الآيةَ؛ تفسير لقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فأبْهَمَ أوَّلًا، ثم فسَّره.

﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام: أي: عادتهم، والمعنى: أنهم قالوا: ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا[1] إلَّا عادة الناس الأوَّلين.

---

(١) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام، ويَحتمل على هذا وجهين:

أحدهما: أنه بمعنى الخِلْقة، والمعنى: ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلَّا خِلْقة الأولين.

والآخر: أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى: ما هذا الذي جئتَ به إلَّا كذب الأولين.



[﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا
أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ
﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا
شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾].

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ تخويفٌ لهم، معناه: أتطمعون أن تُتركوا في النعم على كفركم.

﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطَّلع: عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكِمِّ، والهضيم: اللين الرَّطب، فالمعنى: أنَّ طَلْعها يتمُّ ويَرطب.

وقيل: هو الرَّخص[1] أول ما يخرج.

وقيل: الذي ليس فيه نوى.

فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات، والجنات تحتوي على النخل؟

فالجواب: أن ذلك تجريدٌ، كقوله: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ويَحتمل أنه أراد: الجنات التي ليس فيها نخل، ثم عَطف عليها النخل.

(١) الرَّخص: الشيء الناعم. كما في القاموس المحيط.

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ ذكر في «الأعراف»(١).

﴿فَرِهِينَ﴾ قرئ بألف وبغير ألف، وهو منصوب على الحال من الفاعل في ﴿تَنْحِتُونَ﴾.

وهو مشتق من الفَراهة وهي النشاط والكَيْس.

وقيل: معناه: أقوياء.

وقيل: أشِرين بَطِرين.

﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ مبالغةٌ في المسحورين، وهو من السِّحْر -بكسر السين-.

وقيل: من السَّحر -بفتح السين- وهي الرِّئة، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر.

﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ أي: حظٌّ من الماء.

﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسَبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصيحة التي ماتوا منها، وهي العذاب المذكور هنا.



(١) انظر (٢/ ٣٦١).

[﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ
أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ
مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي
الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾].

﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبغِضين.

وفي قوله: ﴿قَالَ﴾، و﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجِّني من عقوبة عملهم.

أو اعصمني من عملهم.

والأول أرجح.

﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأة لوط.

﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ ذُكر في «الأعراف»[1]، وكذلك ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.

(١) انظر (٢/ ٣٦٣).

[﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾].

﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ قرئ بالهمز وخفض التاء، مثل الذي في «الحجر» و«ق»، ومعناه: الغَيْضة من الشجر.

وقرئ هنا وفي «ص» بفتح اللام والتاء:

فقيل: إنه مسهَّلٌ من الهمز.

وقيل: إنه اسم بلدهم، ويقوِّي هذا القول بأنه -على هذه القراءة بفتح التاء- غير منصرف، فدلَّ[1] ذلك على أنه اسمٌ عَلَمٌ.

وضعَّف ذلك الزمخشري، وقال: إن «لَيْكَة» اسمٌ لا يُعرف[2].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لمْ يقل هنا «أخوهم» كما قال في قصة نوح وغيره!:

فقيل: إن شعيبًا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال: ﴿وَإِلَىٰ

---

(١) في ج، د: «يدل».

(٢) الكشاف (١١/ ٤١١).

مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وبعث أيضًا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل «أخوهم»، فكان شعيبٌ على هذا مبعوثًا إلى قبلتين[١].

وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل[٢] «أخوهم» حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل «أخوهم» حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهًا[٣] لشعيبٍ عن النسبة إليها.

﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن.

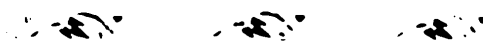
﴿بِالْقُسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل.

﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ يعني: القرونَ والأمم المتقدِّمة.

﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابة[٤] من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة.

فإن قيل: لم كرَّر قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟

فالجواب: أن ذلك أبلغُ في الاعتبار، وأشدُّ تنبيهًا للقلوب، وأيضًا فإن كل قصة منها كأنها كلامٌ قائم مستقل بنفسه، فخُتمت بما خُتمت به صاحبتها.



---

(١) في أ، ب: «القبيلتين».
(٢) في د: «قال».
(٣) في ج: «تشريفًا».
(٤) في ج، د: «سحابٌ».

[﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ
﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ
وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾
إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾
وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ
عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ
مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾].

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ الضمير للقرآن.

﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ إشارةٌ إلى حفظه إياه؛ لأن القلب هو الذي يَحفظ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ يعني: كلام العرب، وهو متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾، أو ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أن القرآن مذكورٌ في كتب المتقدِّمين، ففي ذلك دليلٌ على صحته، ثم أقام الحجة على قريش بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ والمعنى: أنَّ عِلْمَ بني إسرائيل بأنه من عند الله آيةٌ لكم وبرهان، والمراد: مَن أسلم مِن بني إسرائيل، كعبد الله بن سلَام.

وقيل: الذين كانوا يبشرون بمبعثه ﷺ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ الآية؛ ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم، وهو الذي لا يتكلم، سواءٌ كان إنسانًا أو بهيمةً أو جمادًا.

والأعجميُّ: المنسوب إلى العَجَم، وقيل: هو بمعنى الأعجم.

ومعنى الآية: أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم، ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا؛ لإفراط عنادهم، ففي الآية[1] تسليةٌ للنبيِّ ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾ معنى ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: أدخلناه.

والضمير:

للتكذيب الذي دلَّ عليه ما تقدَّم من الكلام.

أو للقرآن، أي: سلكناه في قلوبهم مكذَّبًا به.

وتقدير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل هذا السَّلْك سلكناه.

---

(١) في ج، د، هـ: «ذلك».

و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد به: قريشًا، أو الكفارَ المتقدِّمين.

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: تفسيرٌ للسَّلْك الذي سَلك[1] في قلوبهم.

﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ تمنَّوا أن يؤخَّروا حين لم ينفعهم التمني.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ توبيخٌ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه ذلك.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ المعنى: أن مدَّة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدةَ سنين؛ لأن كل ما هو آتٍ قريبٌ.

قال بعضهم: ﴿سِنِينَ﴾ يراد[2] به عمر الدنيا.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ المعنى: أن الله لم يهلك قومًا إلَّا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولًا فأنذرهم فكذبوه.

﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوبٌ:

على المصدر من معنى الإنذار.

أو على الحال من الضمير من ﴿مُنذِرُونَ﴾.

أو على المفعول من أجله.

أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ الضمير للقرآن، وهذا ردٌّ على من قال: إنه

---

(١) في ج: «سلكه».

(٢) في ج، د: «يريد».

كهانة نزلت(١) بها الشياطين على محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾ أي: ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه.

ولفظ «ما ينبغي» تارةً يستعمل بمعنى: لا يمكن، و(٢) بمعنى: لا يليق.

﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ تعليلٌ لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة؛ لأنهم مُنعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان كثيرًا منتشرًا قبل ذلك.

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ عشيرة الرجل: هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار»، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية(٣).

قال الزمخشري: في معناها قولان:

أحدهما: أنه أُمر بأن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس.

والآخر: أنه أُمر أن لا يأخذه ما يأخذُ القريبَ من الرأفة بقريبه، ولا يُحابيهم بالإنذار(٤).

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ عبارةٌ عن لين الجانب والرفق وعن التواضع.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ أي: حين تقوم في الصلاة.

---

(١) في ج: «تتنزلت».

(٢) في د: «وتارةً».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤).

(٤) الكشاف (١١/ ٤٣٠).

ويَحتمل أن يريد: سائر التصرفات.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۝٢١٩﴾ معطوفٌ على الضمير المفعول في قوله: ﴿يَرَىٰكَ﴾، والمعنى: أنه يراك حين تقوم وحين تسجد.

وقيل: معناه: يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك إشارةٌ إلى الصلاة في[1] الجماعة.

وقيل: يرى تقلُّب بصرك في المصلين خلفك؛ لأنه ﷺ كان يراهم من وراء ظهره.

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢﴾ هذا جواب السؤال المتقدِّم وهو قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾، والأفَّاك: الكذَّاب، والأثيم: الفاعل للإثم، يعني بذلك الكهان.

وفي هذا ردٌّ على من قال: إن الشياطين تنزلت على محمد ﷺ بالكهانة؛ لأنها لا تتنزَّل إلَّا على أفاكٍ أثيم، وكان ﷺ في غاية الصدق والبرِّ.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه: يستمعون، والضمير يَحتمل:

أن يكون للشياطين؛ بمعنى: أنهم يستمعون إلى الملائكة.

أو يكون للكهان؛ بمعنى: أنهم يستمعون إلى الشياطين.

وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ بمعنى: يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضًا على هذا:

أن يكون للشياطين؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان.

---

(١) في ج، د: «مع».

أو يكون للكهان؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ يعني:

الشياطين.

أو الكهان؛ لأنهم يَكْذِبون فيما يخبرون به عن الشياطين.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ لما ذَكر الكهان ذكر الشعراء؛ ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة.

وأراد: الشعراء الذين يُلقون من الشعر ما لا ينبغي، كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك.

وقيل: أراد شعراء الجاهلية.

وقيل: شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم.

و﴿الْغَاوُونَ﴾ **قيل**: هم رواة الشعر.

وقيل: هم سفهاء الناس الذي تعجبهم الأشعار؛ لما فيها من اللغو والباطل.

وقيل: هم الشياطين.

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارةٌ وتمثيل؛ أي: يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويُفْرِطون في التجوُّز حتى يَخرجون[1] إلى الكذب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآيةَ؛ استثناءٌ من الشعراء يعني به: شعراء المسلمين؛ كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف.

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «يخرجوا».

وقيل: إن هذه الآية مدنية.

﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قيل: معناه: ذكروا الله في أشعارهم.

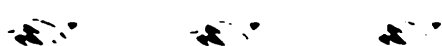
وقيل: يعني الذكر على الإطلاق.

﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ إشارةٌ إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشِّعر في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ والمسلمين.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وعيدٌ للذين ظلموا، والظلم هنا: بمعنى الاعتداء على الناس؛ لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾.

وعَمِل ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ في ﴿أَىَّ﴾ لتأخُّره.

وقيل: إن العامل في ﴿أَىَّ﴾: ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾.



﴿ سورة النمل ﴾

[﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ
ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ
ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ
أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي
لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١
وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا
فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ
أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾].

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحدًا.

﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ﴾ في موضع نصب على المصدر.

أو في موضع رفعٍ على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ تحتمل هذه الجملة:

أن تكون معطوفة، فتكون بقية صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

أو تكون مستأنَفةً وتمَّت الصلة قبلها. ورجَّح الزمخشري هذا(١).

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيَّرون.

﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني: في الدنيا وهو القتل يوم بدر.

ويَحتمل أن يريد عذاب الآخرة.

والأول أرجح؛ لأنه ذَكر الآية بعد ذلك.

﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: تُعطاه.

﴿ءَانَسْتُ﴾ ذكر في «طه»(٢)، وكذلك ﴿قَبَسٍ﴾.

والشهاب: النجم، شبَّه القبس به.

وقرئ:

بإضافة ﴿بِشِهَابٍ﴾ إلى ﴿قَبَسٍ﴾.

وبالتنوين، على البدل أو الصفة.

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ وفي الموضع الآخر: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ [طه: ١٠]؛ والفرق بين الترجي والتسويف: أن التسويف متيقَّن الوقوع بخلاف الترجي؟

فالجواب: أنه قد يقول الراجي: «سيكون كذا» إذا قوي رجاؤه.

---

(١) الكشاف (١١/ ٤٥٤).

(٢) انظر صفحة ٩٢.

﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعِلون، وهو مشتقٌّ مِن صَلِيَ بالنار، والطاء بدل من التاء.

﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿أَن﴾ مفسِّرة، و﴿بُورِكَ﴾ من البركة، و﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: يعني مَن في مكان النار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: مَن حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام.

وقال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام[1].

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يكون:

مما قيل في النداء لموسى عليه السلام.

أو يكون مستأنفًا.

وعلى كلا الوجهين قُصد به: تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء، و[2] في قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه[3].

---

(١) الكشاف (١١/ ٤٦٤).

(٢) في أ، ج: «أو».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام» إلخ، أقول: الأظهر أن ذلك من جملة ما قيل لموسى عليه السلام في النداء، وهو مع ذلك دالٌّ على تنزيه الله عن كل نقص، والتنزيه هو مدلول الكلمة في كل مواردها، وفي هذا تعليم لموسى ما يستحقه الرب من التنزيه، كما علَّمه تعالى ما يستحقه من الإلهية والربوبية والتنزيه عن الشرك في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾، وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. =

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفةٌ على قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك؛ فكلاهما تفسيرٌ للنداء.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ الجان: الحية.

وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]!.

والجواب: أنها ثعبان في جِرْمها، جانٌّ في سرعة حركتها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، أو لم يلتفت.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع، تقديره: لكن مَن ظلم من سائر

= وأما قول المصنف «أو يكون مستأنفًا، وعلى كلا الوجهين: قُصِد به تنزيهُ الله» هذا القدر من عبارته صحيح، ولا إشكال فيه، ولكنه - عفا الله عنه - قيَّد التنزيه بقوله: «مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء» إلخ، وقد أجمل وأبهم ما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء، وكذا لم يوضح ما قاله بعض الناس في الآية مما يجب تنزيه الله عنه، ولهذا صار كلامه غامضا لا يفيد السامع معنى محددا، ولا يَفهم مراده إلا من يعرف مذهبه في كلام الله، وإذْ قد عُلم مما تقدم أن المؤلف على طريقة الأشاعرة، ومذهب الأشاعرة في كلام الله أنه معنى نفسيٌّ قديم، ليس بصوت ولا حرف، ولا يكون بمشيئته، فالذي يحذره المؤلف أن يُفهم من لفظ النداء أن كلامه تعالى بصوت؛ لأن النداء هو الخطاب بصوت رفيع مسموع، ومذهب أهل السنة أن كلام الله يكون بصوتٍ، مناداةً ومناجاةً، فالله نادى موسى وناجاه، وأما قوله: «قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه»، فلعله يريد قول من قال: المراد بمَن في النار هو الله، وهذا القول يستعظمه من لم يعرف مراد من قال ذلك من السلف، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ أن قُدِّس، وأن النار هي نور، وبمعرفة ذلك يزول الإشكال.

الناس، لا من المرسلين.

وقيل: إنه متصل؛ على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء، وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضًا فإن تسميتَهم ظالمين شنيعٌ على القول بتجويز الذنوب عليهم.

﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: عمل عملًا صالحًا.

﴿فِى جَيْبِكَ﴾ ذكر في «طه»[1].

﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ متصل بقوله: ﴿أَلْقِ﴾ و﴿أَدْخِلْ﴾، تقديره: نيسِّر لك ذلك في جملة تسع آيات.

وقد ذُكرت الآيات التسع في «الإسراء»[2].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلِّق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون.

﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: ظاهرةً واضحة الدلالة، أَسند الإبصار لها مجازًا، وهو في الحقيقة لمتأمِّلها.

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقَّنوا أنها الحق، فكُفْرهم عنادٌ، ولذلك قال فيه: ﴿ظُلْمًا﴾، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها «قد».

﴿وَعُلُوًّا﴾ يعني: تكبُّرًا.

---

(١) انظر صفحة ٩٦، ولم يذكر هناك معنى الجيب هناك، وإنما ذكر تفسير بقية الآية، وذكر تفسير الجيب في سورة القصص.

(٢) انظر (٢/ ٨٣٥).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ
شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا
يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى
بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ
كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ
﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا
وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ أي: ورث عنه النبوة والعلم والملك.

﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فُهِّمنا من أصوات الطير المعانيَ التي في نفوسها.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ عمومٌ معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير

كقولك: فلان يقصده كل أحد.

وقوله: ﴿عُلِّمْنَا﴾ ﴿وَأُوتِينَا﴾ يحتمل أن يريد:

نفسه وأباه.

أو نفسه خاصةً على وجه التعظيم؛ لأنه كان ملكًا.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافًا شديدًا، تركنا ذكره؛ لعدم صحته.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُكَفُّون ويردُّ أولهم إلى آخرهم، ولا بدَّ لكل ملك أو حاكم من وَزَعَةٍ يَدفعون الناس.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ ظاهر هذا: أن سليمان وجنوده كانوا مشاةً بالأرض أو ركبانًا، حتى خافت منهم النملة.

ويَحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحسَّت النملة بنزولهم في وادي النمل.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النمل حيوان فَطِنٌ، قويُّ الحِس، يدَّخر قُوتَه، ويقسم الحبة بقسمين؛ لئلا تنبت، ويقسم حبة الكُزْبُر بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قمست على اثنين، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول، ورُوي أن سليمان سمعه، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال، وذلك لا يسمعه البشر إلَّا من خصَّه الله بذلك.

﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يُؤمر به العقلاء.

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يَحتمل أن يكون:

جوابًا للأمر.

أو نهيًا بدلًا من الأمر؛ لتقارب المعنى.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى: اعتذارٌ عنهم لو حَطَموا النمل؛ أي: لو شعروا بهم لم يَحطِموهم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسَّم لأحد أمرين:

أحدهما: سرورُه بما أعطاه الله.

والآخر: ثناءُ النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وصفٌ لهم بالتقوى والتحفُّظ من مضرَّة الحيوان.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ اختلف الناس في معنى تفقُّده للطير؟

فقيل: ذلك عنايةً بأمور ملكه.

وقيل: لأن الطير كانت تُظِلُّه، فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه.

﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ أي: لا أراه ولعله حاضرٌ وستره ساتر، ثم عَلم أنه غائب فأخبر بذلك.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ روي أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه.

﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي حجةٍ بينة.

﴿فَمَكُثَ﴾ أي: أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم.

والفعل يَحتمل أن يكون مسندًا:

إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أو إلى الهدهد، وهو أظهر.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني: زمانًا قريبًا.

﴿أَحَطتُ﴾ أي: أحطت علمًا بما لم تعلمْه.

﴿مِن سَبَإٍ﴾ هي[١] قبيلةٌ من العرب، وجدُّهم الذي يُعرَفون به: سبأُ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ومَن صرَفه أراد الحيَّ أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة.

وقرئ بالتسكين؛ لتوالي الحركات.

وعلى القراءة بالتنوين يكون في قوله: ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ ضربٌ من أدوات البيان، وهو التسجيع[٢].

﴿وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة: بلقيس بنت شُراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغَلبت بعده على الملك.

والضمير في ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ يعود على سبإ، وهم قومها.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجه المَلِك.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: سرير ملكها.

---

(١) في ج، د: «يعني».

(٢) في أ، ب، هـ: «التجنيس»، وانظر الباب العاشر من المقدمة الأولى (١/ ١١٢).

ووقف بعضهم على ﴿عَرْشٌ﴾، ثم ابتدأ ﴿عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا﴾ على تقدير: عظيمٌ أنْ وجدتها وقومها يسجدون للشمس. وهذا خطأ، وإنما حمَله عليه الفرارُ من وصف عرشها بالعظمة.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ من كلام الهدهد، أو من كلام الله.

وقرأه الجمهور بالتشديد، و«أنْ»:

في موضع نصبٍ على البدل من ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾.

أو في موضع خفض على البدل من ﴿السَّبِيلِ﴾.

أو يكون التقدير: «لا يهتدون لأن يسجدوا» فحَذف اللام، وزاد «لا».

وقرئ بالتخفيف على أن تكون «ألَا» حرفَ تنبيهٍ، وأن تكون الياء للنداء[1]، فيوقف عليها بالألف على تقدير: «يا قوم» ثم يَبتدئ: «اسجدوا».

﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ الخبءُ في اللغة: الخفي:

فقيل: معناه هنا: الغيب.

وقيل: يخرج النبات من الأرض.

واللفظ يعمُّ كل خفيٍّ، وبه فسره ابن عباس.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ إلى مكان قريب؛ لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل عليها من كَوَّة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكَوة.

---

(١) في ج، د: «تكون ياء النداء».

وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، فهو من المقلوب.

والمعنى الأول أحسن.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١].

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ قبلَ هذا الكلام محذوفٌ، تقديره: فألقى الهدهدُ إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت[١] أهل ملكها فقالت لهم: يا أيها الملأ.

﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرَم:

لأنه من عند سليمان.

أو لأن فيه اسم الله.

أو لأنه مختوم، كما جاء في الحديث: «كرم الكتاب ختمه»[٢].

﴿مِن سُلَيْمَانَ﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

نصّ الكتاب بدأ فيه بالعُنوان.

وأن يكون من كلامها؛ أخبرتهم أن الكتاب من سليمان.

﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ يَحتمل أن يكون:

من الانقياد؛ بمعنى: مستسلمين.

أو يكون من الدخول في الإسلام.

* * *

---

(١) في أ، ب، هـ: «فجمعت».

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٠٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٥٨).

[﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ
أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ
اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ
بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ
مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ
الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾].

﴿أُولُو قُوَّةٍ﴾ يحتمل أن يريد:

قوة الأجساد.

أو قوة الملك والعُدد والعَدد[1].

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى؛ تصديقًا لقولها، فيوقف على ما قبله.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من أ، ج، د.

أو من كلام بلقيس:

تأكيدًا للمعنى الذي أرادته.

أو تعني: كذلك يفعل هؤلاء بنا.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها: إني أجرِّب[1] هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكًا دنياويًا: أرضاه المال، وإن كان نبيًّا لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولُنا في دينه، فبعثت إليه هديةً عظيمة وصفها الناس، واختصرنا وصفها؛ لعدم صحته.

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ إنكارٌ للهدية؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه.

﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها، وأنا لست كذلك.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطابٌ للرسول.

وقيل: للهدهد.

والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ مسندٌ إلى الرسول.

﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بها.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل: سليمان، والملأ: جَمْعُه من الجن والإنس.

وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وُصف له بعظمةٍ، فأراد أخذه

---

(١) في أ، ب، هـ: «مجربة».

قبل أن يُسلموا فيمنعَ إسلامُهم من أخذ أموالهم، فـ ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ على هذا: من الدخول في دين الإسلام.

وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه؛ ليُظهِر لهم قوَّته، فـ ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ على هذا: بمعنى منقادين.

﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن.

﴿قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غُدْوةٍ[1] إلى الظهر.

وقيل: معناه: قبل أن تستوي من جلوسك قائمًا.

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هو آصف، وكان رجلًا صالحًا من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم.

وقيل: هو الخَضِر.

وقيل: هو جبريل.

والأول أشهر.

وقيل: هو سليمان، وهذا بعيد.

﴿ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ في الموضعين: يَحتمل أن يكون: فعلًا مستقلًا، أو اسمَ فاعل.

﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ الطَّرف: العين، فالمعنى على هذا: قبل أن

(١) في د: «من الصبح».

تُغمِض بصرك إذا نظرت إلى شيء.

وقيل: الطرف: تحريك الأجفان إذا نظرت.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ قبلَ هذا محذوفٌ، تقديره: فجاء الذي عنده علمٌ من الكتاب بعرشها.

ومعنى ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: حاصلًا عنده، وليس هذا بـ «مستقرٍّ» الذي يقدِّر النحويون تعلُّقَ المجرورات به، خلافًا لمن فهم ذلك.

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: منفعةُ الشكر لنفسه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره: تغيير وصفه وسَتر بعضه.

وقيل: الزيادة فيه والنقص منه.

وقصَد بذلك اختبار عقلها وفهمها.

﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾ يَحتمل أن يريد تهتدي:

لمعرفة عرشها.

أو للجواب عنه إذا سئلت.

أو للإيمان.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ كان عرشها قد وصل إلى سليمان قبلها، فأمر بتنكيره، وأن يقال لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمثل[1] هذا عرشك؟ (ولم

---

(١) في ب، ج: «مثل».

يقل لها: «أهذا عرشك؟»)[١]؛ لئلا تَفْطَن أنه هو، فأجابت بقولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ جوابًا على نحو السؤال، ولم تقل: «هو هو»؛ تحرُّزًا من الكذب، أو من التَّحقيق في محل الاحتمال.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه، لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك؛ اعترافًا بنعمة الله عليهم في أنْ آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها.

والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره: قد أسلمتْ هي وعلمتْ وَحدانيةَ الله وصحةَ النبوَّة وأوتينا نحن العلم قبلها.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذا يَحتمل أن يكون:

من كلام سليمان وقومه.

أو من كلام الله تعالى.

ويَحتمل أن يكون ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾: فاعلًا، أو مفعولًا.

فإن كان فاعلًا: فالمعنى: صدَّها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت.

وإن كان مفعولًا: فهو على إسقاط حرف الجر، والمعنى: صدَّها اللهُ أو سليمانُ عمَّا كانت تعبد من دون الله، فدخلت في الإسلام.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ﴾ الصَّرح في اللغة: القصر.

---

(١) سقط من ب، هـ

وقيل: صحن الدار.

وروي أن سليمان أمر قبل قدومها، فبُنِي[(١)] له على طريقها قصرٌ من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دوابَّ البحر من السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما رأته حسبته لجةً، واللجة: الماء المجتمع كالبحر، فكشفت عن ساقيها؛ لتدخله لما أُمِرت بدخوله.

وروي أن الجن كرهوا تزوُّج سليمان لها، فقالوا له: إن عقلها مخبولٌ، وإن رجلها كحافر الحمار، فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة، واختبر ساقيها بالصرح، فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقًا، فتزوجها وأقرَّها على ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر.

وقيل: أسكنها معه بالشام.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ لما ظنَّت أن الصرح لجة ماءٍ فكشفت[(٢)] عن ساقيها لتدخل الماء؛ قال لها سليمان: إنه صرحٌ.

والممرَّد: الأملس، وقيل: الطويل.

والقوارير: جمع قارورة، وهي الزجاجة.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني: بكفرها فيما تقدَّم.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ هذا ضربٌ من ضروب التجنيس.



---

(١) في د: «أن يبنى».

(٢) في ج، د: «وكشفت».

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ
(٤٥) قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ
(٤٧) وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ
(٤٩) وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ
(٥٣) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾].

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان: من آمن ومن كفر، واختصامهم: اختلافهم وجدالهم في الدين.

﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لمَ تطلبون العذاب قبل الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ أي: تشاءمنا بك، وكانوا قد أصابهم القحط.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: السبب الذي يَحدث عنه خيرُكم أو شرُّكم هو عند الله، وهو قضاؤه وقدره، وذلك ردٌّ عليهم في تطيُّرِهم، ونسبتِهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: مدينة ثمود.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: إنهم كانوا يُقرِضون الدنانير والدراهم.
ولفظ الفساد أعمُّ من ذلك.

﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: احلفوا[1] به.

وقيل: إنه فعل ماضٍ، وذلك ضعيف، والصحيح: أنه فعل أمرٍ، قاله بعضهم لبعض، وتعاقدوا عليه.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: لنقتلنَّه وأهله بالليل، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه.

﴿لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي: نتبرَّأ من دمه إن طلبَنا به وليُّه.

و﴿مُهْلَكَ﴾ يَحتمل أن يكون: اسم مصدرٍ، أو زمانٍ، أو مكانٍ.

فإن قيل: إن قولهم: ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ يقتضي التبرِّي من دم أهله، دون التبري من دمه.

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم أرادوا: ما شهدنا مُهْلَكه ومهلك أهله، وحذف مهلكه؛ لدلالة قولهم: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾.

والثاني: أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم؛ لقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: فرعون وقومه.

---

(١) في أ، ب، هـ: «حلفوا».

الثالث: أنهم قالوا: ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ خاصةً؛ ليكونوا صادقين، فإنهم[١] شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وأرادوا التعريض في كلامهم؛ لئلا يَكْذبوا.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ يَحتمل أن يكون قولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: مغالطةً، مع اعتقادهم أنهم كاذبون.

ويَحتمل أنهم قصدوا وجهًا من التعريض؛ ليخرجوا به عن الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحًا وأهله معًا، ثم يقولون: ما شهدنا مهلك أهله وحدهم، وإنا لصادقون في ذلك،[٢] يعنون: لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وعلى ذلك حمله الزمخشري[٣].

﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلًا في غارٍ قريبًا من داره؛ ليخرجوا منه[٤] إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرةٌ أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بأنهم».
(٢) في أ، ب، ج زيادة: «بل»!.
(٣) الكشاف (١١/ ٥٤٣).
(٤) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

وقيل: تبصرون بأبصاركم؛ لأنهم كانوا ينكشفون بفعل[(١)] ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض.

وقيل: تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ و﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ و﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ قد ذُكِر[(٢)].



(١) في ج، د: «الفعل».

(٢) انظر (٢/ ٣٦٣).

[﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن
جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ
حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن
يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦٤ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى
ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾].

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلوَ الآيات المذكورة بعد هذا ؛ لأنها براهينُ على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من عباده ، كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك ، تيمُّنًا بذكر الله .

قال ابن عباس : يعني بـ ﴿عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ : الصحابة .

واللفظ يعمُّ الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين .

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا على وجه الردِّ على المشركين ، فدخلت ﴿خَيْرٌ﴾ التي يراد بها التفضيل ؛ لتبكيتهم وتعنيفهم ، مع أنه معلوم أنه لا خيرَ فيما أشركوه أصلًا ، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات

والأرض، وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على وجه التَّقرير لهم، على أنه لم يفعل ذلك كلَّه إلَّا الله وحده، فقامت الحجة عليهم بذلك، وفيها أيضًا نِعَمٌ يجب شكرها، فقامت (الحجة عليهم)[1] بذلك أيضًا.

و«أم» في قوله: ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ متصلةٌ عاطفة، و«أم» في المواضع التي بعده منقطعة، بمعنى: بل والهمزة.

﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب.

أو يعدلون بالله غيره؛ أي: يجعلون له عَديلًا ومثيلًا.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبال.

﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»[2].

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود.

وقيل: الذي لا حول له ولا قوَّة.

واللفظ مشتقٌّ:

من الضَّرر؛ أي: الذي أصابه الضُّر.

أو من الضرورة؛ أي: الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء.

﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها يتوارثون[3] سكناها.

---

(١) سقطت من أ، ب.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) في د: «تتوارثون».

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يعني: الهداية بالنجوم والطرقات.

﴿نُشُرًا﴾ ذُكِر في «الأعراف»[١].

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات.

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن محمدًا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله»، ثم قرأت هذه الآية[٢].

فإن قيل: فقد كان النبي ﷺ يخبر بالغيوب، وذلك معدود في معجزاته.

فالجواب: أنه ﷺ قال: «إني لا أعلم[٣] إلَّا ما علمني الله»[٤].

فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكُهَّان والمنجِّمين، وأشباههم بالأمور المغيبة؟

فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظنٍّ ضعيفٍ أو عن وهْمٍ لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفيَ العلم.

وقد قيل: إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة؛ لأن سبب

---

(١) انظر (٢/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) في أ، ب زيادة: «الغيب»، ولم ترد في الحديث.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٣٢).

نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، فعلى هذا: يندفع السؤال الأول والثاني؛ لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولقوله ﷺ: «في خمس لا يعلمها إلَّا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة»[(١)].

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بالرفع على البدل، والبدل لا يصح إلَّا إذا كان الاستثناء متصلًا، ويكون ما بعد «إلَّا» من جنس ما قبلها؟، والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما؛ فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟

فالجواب: من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل؛ وإن كان منقطعًا، كقولهم: «ما في الدار أحدٌ إلَّا حمارٌ» بالرفع، والحمار ليس من الأَحدِين، وهذا ضعيف؛ لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز، لا بلغة بني تميم.

والثاني: أن الله في السموات والأرض بعلمه كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقعت فيه لفظة «في» الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين.

الجواب الثالث: أن قوله: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يراد به: كل موجود، فكأنه قال: «من في الوجود»، فيكون الاستثناء على هذا متصلًا، فيصح الرفع على البدل، وإنما قال: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ جرْيًا على منهاج كلام العرب، فهو لفظ خاصٌّ يراد به ما هو أعم منه.

الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلًا، على أن يُتأوَّل ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في حق الله كما يتأول قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وحديث السوداء(١) وشبه ذلك(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٠٦) من حديث أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «من أنا؟» فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: «أعتقها»، وأخرجه مسلم (٥٣٧) في ضمن حديث طويل من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق» إلخ، أقول: بنى المؤلف على قوله: (إن الله ليس ممن في السماوات باتفاق) أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ منقطع، وهو يقتضي نصب الاسم الشريف، والقراءةُ بالرفع، وذكر عن هذا الإشكال أربعة أجوبة، وليس مقصودنا في هذه التعليقات التعقبات اللغوية، بل التعقبات العقدية، لكن قوله في الجواب الأول من الأجوبة الأربعة: «إن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بني تميم» لا يسلم له على الإطلاق، بل هذا باعتبار الأغلب، ومما جاء في القرآن على لغة تميم إدغام المضعف المجزوم في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ ؛ كما نقله السيوطي في الإتقان عن ابن مالك، وعلى لغة تميم أيضًا قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾، من أملى لا من أملل، كما في التفسير البسيط للواحدي وغيره. =

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يشعر من في السموات والأرض متى يبعثون؛ لأنَّ عِلْمَ الساعة مما انفرد به الله.

وروي أن سبب نزول الآية أن قريشًا سألوا النبي ﷺ متى الساعة؟

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وزن ﴿ادَّارَكَ﴾: تَفاعَل، ثم سُكِّنت التاء وأدغمت الدال واجتلبت ألف الوصل.

والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها.

أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها.

= والذي يهمنا هنا قولُه: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق»، يريد باتفاق المثبتين للعلو والنافين له، وهم من عبَّر عنهم بالمثبتين للجهة والنافين؛ فإنهم جميعا يقولون: إنه تعالى ليس داخل العالم، فالمثبتون للعلو يقولون: إنه تعالى فوق العالم على العرش، ونفاة العلو يقولون: إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم، وهم من عبَّر عنهم بنفاة الجهة، يقول: «والقائلون بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلا فيهما، ولا خارجا عنهما»، فعلى كلا القولين: فالله ليس في السماء ولا في الأرض، وهذا معنى قوله «باتفاق». والحق أنه تعالى فوق سماواته على عرشه، وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة، ويقابل ذلك قولان باطلان:

أحدهما: أنه تعالى داخلٌ في المخلوقات، أي: إنه تعالى حالٌ فيها، فهو في كل مكان.

الثاني: أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، وكلا القولين باطل، والثاني أبطل؛ فإنه مع مناقضته للسمع مناقضٌ للعقل أظهر مناقضة؛ فإن من الممتنع أن يكون موجودٌ لا داخل العالم ولا خارجه، فإن ذلك من سلْب النقيضين الذي لا يصح إلا في المعدوم، فإذا أضيف إلى ذلك أنه موجود تضمن أنه موجودٌ معدومٌ، وهذا جمعٌ بين النقيضين، الذي هو أحد الممتنعات، والقول بنفي الجهة وما تفرع عنه هو المشهور من مذهب الأشاعرة.

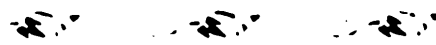
وقرئ ﴿أَدْرَكَ﴾ بهمزة قطع على وزن: أَفْعَلَ، والمعنى على هذا: يُدْرِكُ علمُهم في الآخرة؛ أي: يعلمون فيها الحقَّ؛ لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق.

فقوله: ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾:

على هذا: ظرفٌ.

وعلى القراءة الأولى: بمعنى الباء.

﴿عَمُونَ﴾ جمع عَمٍ، وهو من عمى القلوب.



[﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ
وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ
٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا
تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥ إِنَّ
هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى
وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ
مُدۡبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسۡلِمُونَ ٨١ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ
كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾].

﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أي: تَبِعَكم، واللام زائدة.

أو ضُمِّن معنى «قَرُبَ»؛ فتعدَّى باللام.

ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾، فقيل لهم: عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتْلُهم يوم بدر.

﴿غَآئِبَةٖ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيءٍ في غاية الخفاء، إلَّا وهو عند الله في كتاب.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ شبَّه مَن لا يسمع ولا يعقل بالموتى؛ في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصُّم وبالعُمْي؛ وإن كانوا صِحاح الحواس، وأكَّد عدم سماعهم بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ لأن الأصم إذا أدبر وبَعُد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا حان وقتُ عذابهم الذي تضمَّنه القولُ الأزلي من الله في ذلك وهو قضاؤه(١)، والمعنى: إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «إذا حان وقت عذابهم» إلخ، أقول: في تفسير وقوع القول بقرب وقت العذاب نظرٌ؛ والأظهر أن قوله: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حق القول عليهم، وهو حكم الله بأنهم لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾، ولا ريب أن ما حق عليهم من القول بأنهم لا يؤمنون هي كلمته تعالى القدرية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣﴾، فمعنى وقع القول عليهم، أي: وقع عليهم موجَب كلمته تعالى السابقة في الحكم بأنهم لا يؤمنون، فهذه كلماته الكونية سبقت لقوم في الشقاوة ولقوم بالسعادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾، وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾ الآيتين. وقول المؤلف «القول الأزليُّ من الله» الأزلي هو الذي لا بداية له، وهذا يجري على قول الأشاعرة إن كلام الله قديم بقدمه سبحانه؛ لأن كلام الله عندهم لا تتعلق به المشيئة، ولا ريب أن كلماته القدرية صادرة عن إرادته تعالى، وما كان بإرادة يمتنع أن يكون أزليًا، وكلماته تعالى التي أخبر أنها سبقت يحتمل أن تكون عند كتابة المقادير في أم الكتاب، والله أعلم.

وخروج الدابة من أشراط الساعة، ورُوي أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا.

وأن طولها ستون ذراعًا.

وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث[١].

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلَّا دينَ الإسلام.

وقيل: تقول: «ألَا لعنة الله على الظالمين».

وروي أنها تَسِمُ[٢] الكافر وتَخْطِمُ أنفه[٣] وتسوِّد وجهه، وتبيِّض وجه المؤمن.

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة: فهو ابتداء كلام.

ومن قرأ بالفتح:

فهو معمول ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

أو مفعول من أجله تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام.

---

(١) حديث الجساسة أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) في ج، د: «تشتم».

(٣) تخطم أنف الكافر: أي: تسِمه، مِن خطَمتُ البعير، إذا كويتَه خطًّا من الأنف إلى أحد خدَّيه، وتسمى تلك السِّمة الخِطَام. النهاية لابن الأثير (٣/ ١٢٠٨).

ويَحتمل قوله: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾:

(أي: لا يوقنون)[1] بخروج الدابة.

أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر.



(١) سقطت من أ، ب، ج، هـ

[﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «أم» استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل[١] لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ أي: حقَّ العذاب عليهم، أو قامت الحجة عليهم.

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم.

وهذا في بعض مواطن القيامة[٢]، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن أُخَر[٣].

(١) في د: «قال».

(٢) في هـ زيادة: «دون بعض».

(٣) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، هـ.

﴿لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ ذُكِر في «يونس»[(١)].

﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ذُكِر في «الكهف»[(٢)].

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: هم الشهداء.

وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

﴿دَٰخِرِينَ﴾ صاغرين متذللين.

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: قائمة ثابتة.

﴿وَهِىَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال القيامة، ثم ينسفها الله في خلال ذلك فتكون كالعهن، ثم تصبر هباء منبثًا.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ، والعامل فيه محذوف.

وقيل: هو منصوب على الإغراء: أي: انظروا صنع الله.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قيل: إن الحسنة «لا إله إلا الله».

واللفظ عام.

ومعنى: ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: أن له بالحسنة الواحدة عشرًا.

﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ مَن نوَّنَ ﴿فَزَعٍ﴾: فتح الميم من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ:

بفتح الميم على البناء.

---

(١) انظر (٢/ ٥٨٨).

(٢) انظر صفحة ٥٥.

أو بكسرها على الإعراب.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ السيئة هنا: الكفر، والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها.

﴿هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ يعني: مكة.

﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرمًا آمنًا، لا يُقاتِلها أحدٌ، ولا تُنْتَهك حرمتها.

ونسَب تحريمها هنا إلى الله؛ لأنه بقضائه وأمره، ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله: «إن إبراهيم حرَّم مكة»[(١)]؛ لأن إبراهيم هو الذي أعلَمَ الناس بتحريمها، فليس بين الآية والحديث تعارض، وقد جاء في حديث آخر: «إن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض»[(٢)].

﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: إنما عليَّ الإنذار والتبليغ.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وعيدٌ بالعذاب الذي يضطرُّهم إلى معرفة آيات الله، إما في الدنيا أو في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).

﴿ سورة القصص ﴾

[﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ
بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن
نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥
وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ
۝٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ
لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨
وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ
لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن
رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن
جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ
أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا
وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾].

﴿عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: تكبّر وطغا.

﴿شِيَعٗا﴾ أي: فِرَقًا مختلفين، فجعل فرعونُ القبطَ ملوكًا وبني إسرائيل

خُدَّامًا لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يَمُنَّ عليهم ويجعلهم أئمة؛ أي: ولاة في الأرض، ويورثهم أرض فرعون وقومِه.

﴿وَهَـٰمَـٰنَ﴾ هو وزير فرعون.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ اختُلف هل كان هذا الوحي:

بإلهامٍ؟

أو منامٍ؟

أو كلامٍ بواسطة مَلك؟، وهذا أظهر؛ لثقتها بما أُوحِيَ إليها وامتثالها ما أُمرت به.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي: إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون؛ لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل، لما أخبره الكهان أن هلاكه على يدَيْ غلام منهم.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط: اللقاء من غير قصد، رُوي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر، وهو النيل، فأمرت أن يُساق لها، ففتحته فوجدت فيه صبيًّا فأحبَّته، وقالت لفرعون: هذا قرَّة عين لي ولك.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللام لام العاقبة، وتسمى أيضًا لام الصَّيرورة.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ روي: أن فرعون همَّ بذبحه؛ إذ توسَّم[1] أنه من بني إسرائيل فقالت امرأته: لا تقتلوه.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه.

---

(١) في ج، د: «توهَّم».

والضمير الفاعل لفرعون وقومه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ أي: ذاهلًا لا عقل معها.

وقيل: فارغًا من الصبر.

وقيل: فارغًا من كل شيء إلَّا من همِّ موسى.

وقيل: فارغًا من وعد الله؛ أي: نسيتْ ما أُوحي إليها.

وقيل: فارغًا من الحزن؛ إذ لم يَغرق، وهذا بعيد؛ لما بعده.

وقرئ «فَزِعًا»[1] - بالزاي -، من الفَزَع.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: تظهر أمره، وفي الحديث: «كادت أمُّ موسى أن تقول: «وَا ابنَاهْ!»، وتخرج صائحة على وجهها»[2].

﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: رزقناها الصبر.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدِّقين بالوعد الذي وعدها الله.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ أي: اتَّبعيه، والقَصُّ: طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفيةٍ.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: رأته من بعيد، لم تَقرُب منه؛ لئلا يعلموا أنها أخته.

وقيل: معنى ﴿عَن جُنُبٍ﴾: عن شوقٍ إليه.

---

(١) في ج، د: «فازعًا».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧) والثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٣٨) موقوفًا على ابن عباس، وليس فيه: «وتخرج صائحة على وجهها».

وقيل: معناه: أنها نظرت إليه، كأنها لا تريده.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أنها أخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ أي: مُنِع منها؛ بأن بغَّضها الله له.

و﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾:

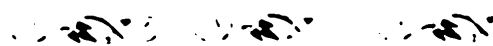
جمع مُرْضِعٍ، وهي المرأة التي تُرضِع.

أو جمع مَرْضَع -بفتح الميم والضاد-، وهو موضع الرَّضاع، يعني: الثدي.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من أول مرة.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ القائلة: أخته تخاطب آل فرعون.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ لما منعه الله من المراضع وقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ الآيةَ، جاءت بأمه، فقَبِلَ ثَدْيَها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه؛ فما قَبِلَ ثدي امرأة إلَّا ثديَك؟ (فقالت: إني)[1] امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها، وقرَّت عينُها بذلك، وعلمت أن وعد الله حقٌّ في قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.



(١) في ج: «أنتِ».

[﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾].

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ذكر في «يوسف»(١).

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ يعني: مصر.

وقيل: قريةً حولها.

والأول أشهر.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ قيل: في القائلة.

وقيل: بين العشاءين.

---

(١) انظر (٢/ ٦٢٥).

وقيل: يوم عيد.

وقيل: كان قد جفا فرعونَ وخاف على نفسه فدخل مختفيًا متخوِّفًا.

﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ الذي من شيعته: من بني إسرائيل، والذي من عدوِّه: من القبط.

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضربه، والوَكْز: الدفع بأطراف الأصابع.

وقيل: بجَمع[1] الكفّ.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، ولم يرد أن يقتله، ولكن وافقت وكْزَتُه الأجلَ، فندم وقال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له.

فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافرًا؟

فالجواب: أنه لم يؤذَن له في قتله، ولذلك يقول يوم القيامة: «إني قتلت نفسًا لم أُؤمر بقتلها».

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الظَّهير: المُعين، والباء سببية، والمعنى: بسبب إنعامك عليَّ لا أكونُ ظهيرًا للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه.

وقيل: الباء باء القسم، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ لا يصلح[2] لجواب القسم.

---

(١) في ج، د، هـ: «بجميع»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٢/ ٢٤).

(٢) في ب، ج: «لا يصح».

وقيل: جواب القسم محذوفٌ، تقديره: وحقِّ نعمتك لأتوبَنَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين.

وقيل: الباء للتحليف؛ أي: اعصمني بحق نعمتك عليَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين.

ويُحتَجُّ بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجَوْر.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في الموضعين: أي: يتحسَّسُ هل يطلبه أحدٌ.

﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي: يستغيث به، لقي موسى الإسرائيليَّ الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلًا آخر من القبط، فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس، فعَظُمَ ذلك على موسى وقال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ وفي ﴿يَبْطِشَ﴾: لموسى، وفي ﴿قَالَ﴾: للإسرائيلي.

والمعنى: لما أراد موسى أن يبطش بالقبطيِّ الذي هو عدوٌّ له وللإسرائيلي ظنَّ الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به؛ إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فقال الإسرائيلي لموسى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾؟

وقيل: الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ للإسرائيلي، والمعنى: فلما أراد الإسرائيليُّ أن يبطش موسى بالقبطي، ولم يفعل موسى ذلك؛ لندامته على قتله للآخر بالأمس = فضحه الإسرائيلي؛ فقال له: أتريد أن تقتلني؟، فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ قيل: إنه مؤمنُ آلِ فرعون.

وقيل: غيره.

﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يسرع في مشيه؛ ليُدرِك موسى فينصحه.

﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون.

وقيل: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك، كما قتلت القبطي.



[﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾].

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: قصد بوجهه ناحيةَ مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وسَط الطريق، يعني: طريقَ مدين؛ إذ كان قد خرج فارًّا بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام.

وقيل: أراد: سبيلَ الهدى.

وهذا أظهر.

ويدلُّ كلامه هذا على أنه كان عارفًا بالله قبل نبوته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وكان بئرًا.

﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيَهم.

﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ روي: أن اسمهما: ليا وصَفُوريا.

وقيل: صفراء وصُفَيراء.

﴿تَذُودَانِۖ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنمهما.

وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقيَ[1] الناس، وهذا أظهر؛ لقولهما: ﴿لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ أي: كانت عادتهما أن لا يسقيا غنمَهما إلَّا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحمَ[2] مع الناس.

﴿يُصۡدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال: فعل متعدٍّ، والمفعول محذوفٌ، تقديره: حتى يُصدِر الرعاءُ مواشيَهم.

وقرئ بفتح الياء وضم الدال، أي: ينصرفون عن الماء.

﴿شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ: هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور.

وقيل: ابن أخيه.

وقيل: رجل صالح ليس مِن شعيبٍ بنسب.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أدركته شفقةٌ عليهما فسقى غنمهما.

وروي أنه كان على فمِ البئر صخرةٌ لا يرفعها إلَّا ثلاثون رجلًا، فرفعها وحده.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يسقوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «للتزاحم».

﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظلَّ سَمُرَةٍ.

﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتدَّ عليه الجوع.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ قَبلَ هذا الكلامِ محذوفٌ تقديره: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فأخبرتاه بما كان من سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوَه له فجاءته، واختُلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى؟

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ رُويَ: أنها سترت وجهها بكُمِّ دِرْعِها.

والمجرور يتعلق بما قبله.

وقيل: بما بعده، وهو ضعيف.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي: ذَكر له قصَّته.

﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قد نجوت من فرعون وقومه؛ لأن بلد مدين لم يكن مِن ملك فرعون.

﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي: اجعله أجيرًا لك.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمةٌ جامعة بليغة، وروي أن أباها قال لها: من أين عرفتِ قوته وأمانته؟، قالت: أما قوتُه: ففي رفعه الحجر من فم البئر، وأما أمانتُه: فإنه لم ينظر إليها.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ﴾ زوَّجه التي دعته، واختُلف هل زوَّجه الكبرى أو الصغرى؟

واسم التي زوَّجه صَفُورة، وقيل: صفوريا.

ومِن لفظِ شعيبٍ حَسُنَ أن يقال في عقود الأنكحة: «أنكحه إياها» أكثر من أن يقال: «أنكحها إياه».

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي: أُزوِّجُك بِنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام.

قال مكيٌّ: في هذه الآية خصائصُ في النكاح، منها: أنه لم يعيِّن الزوجة، ولا حدَّ أول الأمد، وجعل المهر إجارة[١].

قلت: فأما التعيين فيَحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراوضة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدةً[٢].

وأما ذكر أول الأمد؛ فالظاهر أنه من حين العقد.

وأما النكاح بالإجارة؛ فظاهرٌ من الآية، وقد قرَّره شرعنا حسَبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتُكها على ما معك من القرآن»[٣]؛ أي: على أن تعلمها ما عندك[٤] من القرآن.

وقد أجاز النكاح بالإجارة: الشافعي، وابن حنبل، وابن حبيب؛ للآية والحديث.

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (٨/ ٥٥٢٢).
(٢) الكشاف (١٢/ ٤٠).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥).
(٤) في أ، ب: «معك».

ومنعه مالك.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطًا، ووكَل العامَيْنِ إلى مروءة موسى، فوفَّى له العشر.

وقيل: وفَّى العشر وعشرًا بعدها، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: الأجل المذكور.

[﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ
ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ
ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ
كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾
ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ
فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى
لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ
﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا
بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى
ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى
ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾].

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ الأهل هنا: الزوجة، مشى بها إلى مصر.

﴿جَذْوَةٍ﴾ أي: قطعة، ويجوز كسر الجيم وفتحها وضمها.

وقد ذُكِر ﴿ءَانَسَ﴾، و﴿ٱلطُّورِ﴾، و﴿تَصۡطَلُونَ﴾[(١)].

﴿شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ﴾ جانبه، و﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ صفةٌ للشاطئ، وهو جانبه اليمين.

ويَحتمل أن يكون من اليُمْن؛ فيكون صفةً للوادي.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عَوْسجة.

﴿جَآنّٞ﴾ ذُكِر في «النمل»[(٢)].

﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ أي: أدخلها فيه، والجيب: هو فتح الجُبَّة من حيث يُخرِج الإنسان رأسه.

﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح: اليد، أو الإبط و[(٣)] العَضُد.

أمره الله لما خاف من الحية أن يضمَّه إلى جنبه ليخفَّ بذلك خوفه؛ فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخفَّ خوفه.

وقيل: ذلك على وجه المجاز، وأن المعنى: أنه أُمِر بالعزم على ما أُمِر به؛ كقولهم: «اشدُدْ حيازِيَمك، واربطْ جأْشك».

﴿مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ أي: من أجل الرَّهَب؛ وهو الخوف.

وفيه ثلاثة لغات: فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضم الراء وإسكان الهاء.

﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ أي: حُجَّتان، والإشارة إلى العصا واليد.

---

(١) انظر الصفحات ٧٦، ٩٢، ٣٨٩.

(٢) انظر صفحة ٣٩٠.

(٣) في د: «و».

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلَّق بفعل محذوفٍ يقتضيه الكلام.

﴿رِدْءًا﴾ أي: مُعِينًا، وقرئ:

بالهمز.

وبغير همز:

على التسهيل من المهموز.

أو يكون مِن: أَرْدَيتُ؛ أي: زدتُ.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارةٌ في المعونة.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يَحتمل أن يتعلَّق:

بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ﴾.

أو بـ ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾.

أو بـ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ أي: اصنع الآجُرَّ؛ لبنيان الصرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء.

ورُوي أنه أول من عمل الآجُرَّ، وكان هامان وزير فرعون.

وانظر[1] ضعفَ عقولهما وعقولِ قومهما، وجهلَهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح.

---

(١) في ج زيادة: «كيف».

وقد روي أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع إليه[١] مخضوبًا[٢] بدمٍ، وذلك فتنةٌ له ولقومه وتهكُّمٌ بهم.

ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ يعني: في دعوى الرسالة، والظن هنا يَحتمل: أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين.

﴿أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجِب للنار.

﴿مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعَدِين.

وقيل: قَبُحَت وجوههم.

وقيل: قَبُحَ ما يفعل بهم وما يقال لهم.

* * *

(١) في أ، ب، هـ: «السهم».

(٢) في ج: «مخضَّبًا».

[﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والمراد به: إقامة حجةٍ؛ لإخباره بحال موسى، وهو لم يحضره.

و﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾: المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلَّم اللهُ فيه موسى.

والأمرُ المقضيُّ إلى موسى هو النبوَّة.

و﴿مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ معناه: من الحاضرين هنالك.

﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ المعنى: لم تحضرْ يا محمد على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاولَ الأمر على القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم، فكفروا بك.

وقيل: المعنى: لكنا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر، وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل.

﴿ثَاوِيًا﴾ أي: مقيمًا.

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني: تكليم موسى، والمراد بذلك: إقامة حجة محمد ﷺ؛ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرًا حينئذ.

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً﴾ انتصب:

على المصدر.

أو على أنه مفعول من أجله، والتقدير: ولكن أرسلناك رحمةً منا لك[1] و[2]رحمةً للخلق بك.

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ «لولا» هنا: حرف امتناع، و«لولا» الثانية: عَرْضٌ وتحضيضٌ.

والمعنى: لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار إليهم، وإقامة الحجة عليهم؛ لئلا يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: القرآن ونبوة محمد ﷺ.

﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ يعنون: إنزال الكتاب عليه من السماء جملةً واحدة، وقَلْبَ العصا حية، وفَلْقَ البحر، وشبهَ ذلك.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بك».

(٢) في د: «أو».

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى: أنهم كفروا بما أوتي موسى؛ فلو آتينا محمدًا مثلَ ذلك لكفروا به، و﴿مِن قَبْلُ﴾ على هذا يتعلَّق بقوله: ﴿أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾.

ويَحتمل أن يتعلَّق بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ إن كانت الآية في بني إسرائيل.

والأول أحسن.

﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ يعنون: موسى وهارون، أو موسى ومحمدًا ﷺ.

والضمير في ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ وفي ﴿قَالُوا﴾: لكفار قريش.

وقيل: لآبائهم.

وقيل: لليهود.

والأول أصح؛ لأنهم المقصودون بالردِّ عليهم.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾ أمرٌ على وجه التعجيز لهم.

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب محمد ﷺ.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ قد عَلم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدًا، ولكنه ذكره بحرف «إنْ» مبالغةً في إقامة الحجة عليهم، كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المعنى: إن لم يأتوا بكتابٍ فاعلم أنَّ كفرهم عنادٌ واتباع لأهوائهم، لا بحجة ولا برهان.

[﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ
هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ
﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا
ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ
وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن
شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾].

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ الضمير لكفار قريش.

وقيل: لليهود.

والأول أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم.

و﴿ٱلْقَوْلَ﴾ هنا: القرآن، و﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾:

أبلغناه[1] لهم؛ ليتذكروا به.

أو جعلناه موصولًا بعضه ببعض.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ يعني: مَن أسلم من اليهود.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بلغناه».

وقيل: النجاشي وقومه.

وقيل: نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، وهم عشرون رجلًا، فآمنوا به.

والضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ للقرآن.

وقولهم: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ تعليلٌ لإيمانهم.

وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ بيانٌ لأن إسلامهم قديم؛ لأنهم وَجدوا ذِكْر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يُبعث.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمدٍ ﷺ، ورجلٌ مملوكٌ أدَّى حقَّ الله وحقَّ مواليه، ورجلٌ كانت له أمَةٌ فأعتقها وتزوَّجها»[(١)].

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ يعني: صَبْرَهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا، أو غير ذلك من أنواع الصبر.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون.

ويَحتمل أن يريد بالسيئة: ما يقال لهم من الكلام القبيح، وبالحسنة: ما يجاوبون به من الكلام الحسن.

أو يريد: سيئاتِ أعمالهم وحسناتها[(٢)]، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «وحسناتهم».

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ يعني: ساقطَ الكلام.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ هذا على وجه التبرِّي والبعدِ من القائلين للغو.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا: المتاركة والمباعدة، لا التحية.

أو كأنه سلامُ الانصراف والبُعد.

﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب؛ إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته: «لا إله إلا الله»، فقال: «لولا أن يعيِّرني بها قريش لأقررتُ بها عينك»[1]، ومات على الكفر، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ لفظٌ عام.

وقيل: أراد به: العباس بن عبد المطلب.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ القائلون لذلك: قريش، وروي أن الذي قالها منهم: الحارث بن عامر بن نوفل.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو الإسلام، ومعناه: الهدى على زعمك.

وقيل: إنهم قالوا: قد عَلِمْنا أنَّ الذي تقول حقٌّ، ولكن إن اتبعناك تخطَّفتنا[2] العرب؛ أي: أهلكونا بالقتال؛ لمخالفة دينهم.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما اعتذروا به مِن تخطُّفِ الناس لهم، والمعنى: أن الحرم لا تتعرَّض له العرب بقتال، ولا يمكِّن الله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥).

(٢) في ب، ج، د: «تخطفنا».

أحدًا من إهلاك[١] أهله، فقد كانت العرب يُغِيرُ بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك.

﴿تُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: تُجلب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غيرُ ذي زرع.

﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى ﴿بَطِرَتْ﴾: طغت وسَفِهت.

و﴿مَعِيشَتَهَا﴾: نصبٌ:

على التفسير، مثل: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

أو على إسقاط حرف الجرِّ، تقديره: بطرت في معيشتها.

أو يتضمَّن ﴿بَطِرَتْ﴾ معنى: كفرت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: قليلًا من السُّكنى، أو قليلًا من السَّاكنين، أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلَّا مارٌّ[٢] على الطريق ساعة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أمُّ القرى: مكة؛ لأنها أول ما خُلِق من الأرض، ولأن فيها بيت الله.

والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى؛ بأنْ بَعث محمدًا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ الآيةَ؛ تحقيرٌ للدنيا، وتزهيد فيها، وترغيب في الآخرة.

---

(١) في أ، ب: «هلاك».

(٢) في ب، ج «مارًّا».

[﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا
كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ
أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ
مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا
تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾].

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ الآية: إيضاحٌ لما قبلها من البَون[1] بين الدنيا والآخرة.

والمراد بـ ﴿مَن وَعَدْنَٰهُ﴾: المؤمنون، وبـ ﴿مَن مَّتَّعْنَٰهُ﴾: الكافرون.

وقيل: محمد ﷺ وأبو جهل.

وقيل: حمزة وأبو جهل.

---

(١) في د: «الفرق».

والعموم أحسن لفظًا ومعنى.

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمر، وفاعل ينادي: الله تعالى.

ويَحتمل أن يكون نداؤه: بواسطة، أو بغير واسطة[(١)].

والمفعول به: المشركون.

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ توبيخٌ للمشركين، ونسَبهم إلى نفسه على زعمهم؛ ولذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، فحذف المفعول، تقديره: تزعمون أنهم شركاءُ لي، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم.

والإشارة بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ إلى أتباعهم من الضعفاء.

فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم: ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ وبين قولهم: ﴿تَبَرَّأْنَآ

---

(١) قال الشيخُ عبدُ الرَّحمَنِ البرَّاكُ حفظَهُ الله: قولُ المُصنِّف رحمَهُ اللهُ: +ويحتملُ أن يَكُونَ نداؤُهُ بواسِطَةٍ أو بِغيرِ واسِطةٍ.

أقولُ: فِي هَذا التَّرددِ نَظرٌ؛ والصَّوابُ أنَّه نَاداهُمْ بغيرِ واسِطَةٍ، وذَلكَ لوَجْهينِ:

١- أنَّهُ إذا كانَ بغيرِ واسطةٍ كانَ حَقيقةً، وإذا كانَ بواسِطَةٍ كانَ مجازًا، والأصْلُ الحَقيقةُ.

٢- أنَّ تكليمَهُ تَعالَى أو نداءَهُ لِمَنْ شَاءَ بِلا وَاسِطَةٍ مُمكنٌ، ليْسَ بمُمتنِعٍ؛ بِدَليلِ أنَّ اللهَ تعالَى كَلَّم مُوسَى بَلا واسِطَةٍ، فقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فأكَّدَ الفعلَ بالمَصْدرِ لِلدّلالةِ عَلى الحَقيقةِ. وأيْضًا: لَو أرادَ أنَّهُ كلَّمَهُ بِواسِطَةٍ لَقيَّدَ ذَلكَ، مثْلُ: كَلَّمَهُ بأنْ أرسَلَ رَسُولًا. وَيُؤيِّدُ ذَلِكَ، أنَّ تكليمَ مُوسَى بِوَاسِطَةٍ يُنافِي اخْتِصَاصَ مُوسَى بالتَّكْليمِ، فكلُّ الرُّسلِ كَلَّمهُمُ اللهُ بِواسِطَةِ الرَّسُولِ مِنَ المَلائكةِ. واللهُ أعْلَمُ.

﴿إِلَيْكَ﴾؛ فإنهم اعترفوا بإغوائهم، وتبرؤوا مع ذلك منهم؟

فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك.

والمعنى: أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه، ولكن لم يكونوا يعبدوننا، إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا.

فتحصَّل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا[١] الضعفاء، وتبرأوا من أن يكونوا هم آلهتهم، فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلُّفٌ بعيد.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

الأول: أن المعنى: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام.

والثاني: لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذَّبوا.

والثالث: لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلةٍ يدفعون بها العذاب لفعلوها.

ف ﴿لَوْ﴾ على هذه الأقوال حرف امتناع، وجوابها محذوف.

والرابع: أن يكون ﴿لَوْ﴾ للتمني، أي: تمنَّوا لو كانوا مهتدين.

﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ﴾ أي: هل صدَّقتم المرسلين أو كذَّبتموهم؟.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿عَمِيَتْ﴾ عبارةٌ عن حيرتهم.

---

(١) في د: «أغروا».

و﴿ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾: الأخبار، أي: أظلمت عليهم الأمور؛ فلم يعرفوا ما يقولون.

﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يَسأل بعضهم بعضًا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب.

﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ قيل: إن سببها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنى: أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته مَن يشاء مِن عباده.

ولفظها[1] أعم من ذلك، والأحسن حمله على عمومه؛ أي: يختار ما يشاء من الأمور على الاطلاق، ويفعل ما يريد.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيارٌ؛ إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله: ﴿وَيَخۡتَارُۗ﴾.

وقيل: إن ﴿مَا﴾ مفعولةٌ بـ ﴿وَيَخۡتَارُۗ﴾، ومعنى ﴿ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ على هذا: الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة.

وذلك ضعيف؛ لرفع ﴿ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ على أنها اسم ﴿كَانَ﴾، ولو كانت ﴿مَا﴾ مفعولةً لكان اسم ﴿كَانَ﴾ مضمرًا يعود على ﴿مَا﴾، وكانت ﴿ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ منصوبة على أنها خبر ﴿كَانَ﴾.

وقد اعتذر عن هذا من قال: إن ﴿مَا﴾ مفعولةٌ؛ بأن قال: تقدير الكلام:

---

(١) في أ، ب: «واللفظ».

يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور، وهذا ضعيف[١] .

وقال ابن عطية: يتجه أن تكون ﴿مَا﴾ مفعولةً إذا قدَّرنا ﴿كَانَ﴾ تامةً، ويوقف على قوله: ﴿مَا كَانَ﴾؛ أي: يختار كل كائن، ويكون ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ جملةً مستأنفة[٢] . وهذا بعيد جدًا.

﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبَّر عن القلب بالصدر؛ لأنه يحتوي عليه.

﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ قيل: إن الحمد في الآخرة: قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، و[٣] قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

وفي ذكر ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ مع ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ مطابقةٌ.

﴿سَرْمَدًا﴾ أي: دائمًا.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «(ما) نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيار» إلخ، أقول: أصاب المؤلف في ترجيح أن (ما) نافية، وتضعيف القول بأنها موصولة، وما أورده على القول الثاني من جهة إعراب (ما كان لهم الخيرة) صحيح، وكذا ما يرد عليه من جهة المعنى، وهو أنه يلزم أن يكون المعنى: يختار ما فيه الخيرة للعباد، وبهذا تمسك بعض المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله، كما أشار إليه المؤلف، وقد اختار القول الأول كثيرٌ من المفسرين، وهو الصواب، وقد رجحه ابن القيم من وجوه، فانظرها في زاد المعاد. والله أعلم.

(٢) المحرر الوجيز (٦/ ٦٠٦)، وقال: «معناها: تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم، لو قبلوا وفهموا».

(٣) في ج، د: «أو».

والمراد بهذه الآيات: إثبات الوحدانية وإبطال الشرك.

فإن قيل: كيف قال: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، وهلَّا قال: «يأتيكم بنهار» في مقابلة قوله: ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾؟

فالجواب: أنه ذَكر الضياء؛ لكثرة ما فيه من المنافع والعبر.

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار، ففي الآية لفٌّ ونشرٌ.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيدًا منهم يشهد عليهم بأعمالهم، وهو نبيُّهم؛ لأن كلَّ نبي يشهد على أمته.

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر، وذلك إعذارٌ لهم وتوبيخ وتعجيز.

[﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ
مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي
زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ
مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ
بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ
اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا
يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾].

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى.

وقيل: ابن عمته.

وقيل: ابن خالته.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبّر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام.

﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ﴾ المفاتح: هي التي يفتح بها.

وقيل: هي الخزائن.

والأول أظهر.

والعصبة: جماعةُ الرجال من العشرة إلى الأربعين.

و﴿لَتَنُوٓأُ﴾: معناه: تثقل؛ يقال: ناء به الحِمل: إذا أثقله.

وقيل: معنى ﴿لَتَنُوٓأُ﴾: تنهض بتحامل وتكلُّف، والوجه على هذا أن يقال: إن العصبة تنوء بالمفاتح، لكنه قُلِبَ؛ كما جاء قَلْبُ الكلام عن العرب كثيرًا.

ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول.

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا: الذي يقود إلى الإعجاب والطُّغيان؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾.

وقيل: إنه السُّرور بالدنيا؛ لأنه لا يفرح بها إلَّا من غفَل عن الآخرة، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا تضيِّعْ حظَّك من دنياك، وتمتَّعْ بها مع عملك للآخرة.

وقيل: معناه: لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو ما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا: وعظٌ.

وعلى الأول: إباحةٌ للتمتع بالدنيا؛ لئلا ينفر عن قَبول الموعظة.

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا الجواب على وجه الردِّ عليهم، والروغانِ عما ألزموه من الموعظة.

والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له؛ بسبب علمٍ عندي استوجبته به.

واختُلف في هذا العلم:

فقيل: إنه علم الكيمياء.

وقيل: التجارِب للأمور والمعرفة بالمكاسب.

وقيل: حفظه التوراة، وهذا بعيد؛ لأنه كان كافرًا.

وقيل: المعنى: إنما أوتيته على علمٍ من الله وتخصيصٍ خصَّني به، ثم جعل قوله: ﴿عِندِىٓ﴾ كما تقول: في ظَني واعتقادي.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ هذا ردٌّ عليه في اغتراره بالدنيا.

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يعني: جمعًا للمال.

أو جمعًا للخُدَّام.

والأول أظهر.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه متصلٌ بما قبله، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ يعود على القرون

المتقدمة، و﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: مَن بعدهم؛ أي: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب مَن تقدَّمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل أحدٍ إنما يُسأل عن ذنوبه خاصة.

والثاني: أنه إخبارٌ عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يُسألون عن ذنوبهم؛ لكونهم يدخلون النار من غير حساب.

والصحيح: أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويُسألون عنها لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]؛ وإنما هذا السؤال المنفي: السؤال على وجه الاستخبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه؛ لكن يُسألون على وجه التوبيخ.

وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة: فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه: فهو على وجه الاستخبار والتعريف؛ ومنه قوله: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ قيل: في ثياب حُمْرٍ.

وقيل: في عبيده وحاشيته.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ زجرٌ للذين تمنوا مثل حال قارون.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الضمير عائد:

على الخصال التي دلَّ عليها الكلام المتقدِّم، وهي الإيمان والعمل الصالح.

وقيل: على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم؛ أي: لا تصدر الكلمة إلَّا عن الصابرين.

والصبر هنا: هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ روي أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وآذى موسى عليه السلام دعا موسى عليه، فأوحى الله إليه: قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه، فقال موسى: «يا أرض خذيهم»، فأخذتهم إلى الرُّكَب فاستغاثوا بموسى فقال: «يا أرض خذيهم» حتى تمَّ بهم الخسف.

﴿مَكَانَهُۥ﴾ أي: منزلته في المال والعزَّة.

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ يَحتمل أن يراد به:

اليوم الذي قبل ذلك اليوم.

أو ما تقدَّم من الزمان القريب.

﴿وَيْكَأَنَّ﴾ مذهب سيبويه أنَّ «وَيْ» حرفُ تنبيه، ثم ذكرت بعدها «كأنَّ» والمعنى على هذا: أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾، ثم قالوا: «كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»؛ أي: ما أشبه الحال بهذا.

وقال الكوفيون: «ويك» هي: «ويلك»، حذفت منها اللام؛ لكثرة الاستعمال، ثم ذكرت بعدها «أنَّ»، والمعنى: ألم تعلم أن الله.

وقيل: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ كلمة واحدة معناها: ألم تعلم.

﴿عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تكبُّرًا وطغيانًا، لا رفعة المنزلة؛ فإن إرادتها جائزةٌ.

[﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ
مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ
إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ
أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾].

﴿فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: أنزله عليك وأثبته.

وقيل: معناه: أعطاك القرآن.

والمعنى متقارب.

وقيل: فرض عليك أحكام القرآن، فهو على حذف مضاف.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾ المعاد: الموضع الذي يعاد إليه:

فقيل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، ففيها وعدٌ بالرجوع إلى مكة وفتحها.

وقيل: يعني الآخرة؛ فمعناها: إعلامٌ بالحشر.

وقيل: يعني الجنة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي: ما كنت تطمع أن تَنال النبوَّة، ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكنَّ الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوَّتك.

والاستثناء بمعنى: «لكن»؛ فهو منقطع.

ويَحتمل أن يكون متصلًا ؛ والمعنى : ما أنزل عليك الكتاب إلَّا رحمةً من ربك لك أو للناس .

و﴿رَحْمَةً﴾ على هذا : مفعول من أجله ، أو حال .

وعلى الأول : منصوب على الاستثناء .

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَحتمل أن يكون :

من الدعاء بمعنى الرغبة .

أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ؛ فالمفعول محذوفٌ على هذا ، تقديره : ادع الناسَ .

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي : لا تعبد مع الله إلهًا آخر .

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الآيةَ ؛ أي : إلَّا إياه ، والوجه هنا عبارة عن الذات[١] .

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في (١/ ٣٥٢).

﴿ سورة العنكبوت ﴾

[﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ③ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ④ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ⑤ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ⑥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ⑦ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ⑨ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ⑩ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ⑪ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ⑫ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ⑬﴾].

﴿الٓمٓ ①﴾ ذُكِر في «البقرة»(١).

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا بمكة

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

مستضعفين، منهم عمار بن ياسر وغيره، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذِّبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك، فآنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبارٌ؛ ليوطِّنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على الإيمان، وأعلمهم تعالى أن تلك سيرته في عباده، يُسلِّط الكفار على المؤمنين؛ ليمحِّصَهم[1] بذلك، ويظهرَ الصادق في إيمانه من الكاذب.

ولفظها مع ذلك عامٌّ، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة؛ مِن مصيبة أو مضرَّة في النفس والمال وغير ذلك.

ومعنى ﴿حَسِبَ﴾: ظنَّ، و﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ مفعولها، والهمزة للإنكار، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: في موضع الحال من الضمير في ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾ تقديره: غيرَ مفتونين.

و﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾: تعليلٌ في موضع المفعول من أجله.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: يعلم صِدْقَهم علمًا ظاهرًا في الوجود، وقد كان عَلِمَه في الأزل.

والصدق والكذب في الآية يعني بهما: صحةَ الإيمان والثبوتَ عليه، أو ضدَّ ذلك.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ ﴿أَمْ﴾ معادلةٌ لقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾.

---

(١) في د: «ليمتحنهم».

والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ : الكفار الذي يعذبون المؤمنين.

ولفظها مع ذلك عامٌ في كل كافر وعاصٍ.

ومعنى ﴿يَسۡبِقُونَاۚ﴾ : يَفُوتون عقابنا ويُعجِزوننا.

فمعنى الكلام : نفيُ سبقهم، كما أن معنى الآية قبلها : نفيُ ترك المؤمنين بغير فتنة.

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للمؤمنين، ووعدٌ لهم بالخير في الآخرة.

والرجاءُ هنا : على بابه.

وقيل : هو بمعنى الخوف.

و﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ الموت، ومعنى ﴿لَأٓتٖۚ﴾ قريب الإتيان؛ فإن كل ما هو آتٍ قريب.

ومعنى الآية : من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقى الله فيُجازيَه؛ فإن لقاء الله قريبٌ.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ أي : منفعة جهاده إنما هي لنفسه؛ فإن الله لا تنفعه طاعة العباد.

والجهاد هنا يَحتمل أن يراد به :

القتال.

أو جهاد النفس.

﴿حُسۡنٗا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: وصينا الإنسان يفعلُ[(١)] بوالديه حسنًا.

أو مصدرٌ من معنى ﴿وَصَّيۡنَا﴾ أي: وصيةً حسَنةً.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي﴾ الآيةَ؛ نزلت في سعد بن أبي وقاص؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظلَّ بظلٍّ حتى يكفر.

وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت على الإسلام، وأن لا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر.

وعبَّر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغةً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذَّبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المسلمين قالوا: إنا كنا معكم.

فمعنى ﴿أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾: أوذي بسبب إيمانه بالله.

و﴿فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾: تعذيبَهم.

وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه.

﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا، ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان.

وروي: أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة. حكاه المهدوي[(٢)].

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، لأبي العباس المهدوي (٥/ ١٨١).

وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: جزاءُ قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر؛ للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صحَّ تكذيبهم فيه، فأخبر الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار.

* * *

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ
ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ
﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾
وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ
لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾].

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ الظاهر: أنه لبث هذه المدة بعد بعثه.

ويَحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته.

وروي أنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عُمِّر بعد الطوفان ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً.

فإن قيل: لم قال ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ثم قال: ﴿خَمْسِينَ عَامًا﴾؛ فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟

فالجواب: أن ذلك كراهةٌ لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه(١) إلَّا إذا قُصِد به تفخيمٌ أو تهويلٌ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً﴾ يَحتمل أن يعود الضمير:

على السفينة.

أو على النجاة.

أو على القصة بكمالها.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو من الخِلْقة؛ يريد به: نَحْتَ الأصنام، فسماه خِلقةً على وجه التجوُّز.

وقيل: هو من اختلاق الكذب.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على الوحدانية ونفي الشركاء.

فإن قيل: لم نكَّر الرزق أوَّلًا، ثم عرَّفه في قوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾؟

فالجواب: أنه نكَّره في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرَّفه بعد ذلك لقصد

---

(١) في أ، ب، هـ: «يكره».

العموم في طلب الرزق كله من الله؛ لأنه لا يُقتضَى العمومُ في سياق الإثبات إلّا مع التعريف؛ فكأنه قال: ابتغوا الرزق كلّه عند الله.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ الآيةَ؛ يَحتمل أن تكون:

من كلام إبراهيم.

أو من كلام الله تعالى.

ويحتمل مع ذلك أن يراد به:

وعيدُ الكفار وتهديدهم.

أو يراد به تسليةُ النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بغيره من الأنبياء، الذين كذبهم قومهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ يقال: بدأ اللهُ الخلقَ وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة.

والمعنى: أولم يَرَ الكفار أن الله خلق الخلق؛ فيستدلّون بالخِلقة الأولى على الإعادة في الحشر؟.

فقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لأن المعنى فيهما مختلف؛ لأن رؤية البَدأة بالمشاهدة، بخلاف الإعادة؛ فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها.

وقد قيل: إنه يريد إعادة النبات وإبدائه، وعلى هذا يكون ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ عطفًا على ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لاتفاق المعنى.

والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: إعادةَ الخلق، وهي حشرُهم.

ثم أمَرَهم بالسير في الأرض؛ ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختَمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا تَفُوتون من عذاب الله، وليس لكم مهربٌ في الأرض ولا في السماء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ يحتمل:

أن ييأسوا في الآخرة.

أو يكون وصفًا لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يائسٌ[1] من رحمة الله، والمؤمن راجٍ خائفٌ.

وهذا الكلام من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ إلى هنا:

يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم.

ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم، وبعد ذلك ذكر جواب قومه له.

﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصبُ المودة على أنها:

مفعولٌ من أجله.

أو مفعول ثانٍ لـ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يئس».

ورفْعُها على أنها:

خبر ابتداء مضمر.

أو خبر «إنَّ»، وتكون «ما» موصولة.

ونصْبُ ﴿بَيْنَكُمْ﴾: على الظرفية.

وخفضه: بالإضافة.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ تضمَّن ﴿ءَامَنَ﴾ معنى: انقاد، ولذلك تعدَّى باللام.

﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ القائل لذلك: إبراهيم.

وقيل: لوط.

وهاجرَا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ أكثرُ الأنبياء من ذرية إبراهيم، وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

[﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ
ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ
إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ
﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾
وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾].

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ قيل: أراد قطع الطرق[1] للسلب والقتل.

وقيل: أراد قطع سبيل النسل؛ بترك النساء وإتيان الرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ النادي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس.

والمنكر: فعلهم بالرجال.

وقيل: إذايتهم للناس.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ الرسل هنا: الملائكة.

---

(١) في ج، د: «الطريق».

والبشرى:

بِشارة إبراهيم بالولد، وهو وقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

أو بشارته بنصر[١] لوط.

والأول أظهر.

﴿أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ هي[٢] قرية لوط.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارًا بأنه فيها، وإنما قصد نجاةَ لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية، وبراءتَه من الظلم الذي وُصِفوا به، فكأنه قال: كيف تُهلِكون أهل القرية وفيهم[٣] لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قد ذُكِر[٤].

وكذلك ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾[٥].

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عذابًا.

---

(١) في ج، هـ: «بنصرة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يعني».

(٣) في أ، ب، هـ: «وفيها».

(٤) انظر (٢/ ٣٦٣).

(٥) انظر (٢/ ٦٠٢).

[﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ
وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ
وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ
وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ
ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾].

﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ **قيل**: الرجاء هنا: بمعنى الخوف.

وقيل: هو على بابه.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **يعني**: نقصهم المكيال والميزان.

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ هي الصيحة.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ **أي**: أنَّ آثار مساكنهم باقيةٌ، تدلُّ على ما أصابهم.

﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ **قيل**: معناه: لهم بصيرةٌ في كفرهم وإعجابٌ به.

وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادًا.

وقيل: معنى: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاءَ متمكّنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا.

﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ أي: لم يفُوتوا.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصب: الحجارة.

والحاصب أيضًا: الريح الشديدة.

فيَحتمل عندي أنه أراد به المعنيين؛ لأن قوم لوط أُهلِكوا بالحجارة، وعادًا أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثيرٌ من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ويَقْوَى ذلك هنا؛ لأن المقصود ذكرُ عموم أخذ أصناف الكفار.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني: ثمود ومدين.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني: قارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني: قوم نوح، وفرعونَ وقومه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ شبَّه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتًا ضعيفًا، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشيء؛ كذلك ما اعتمد[1] عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء؛ لأنهم لا ينفعون ولا يضرُّون.

﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أي: أضعفها.

---

(١) في ب، د: «اعتمدت».

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مَثَلهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ بمعنى: «الذي»، مفعولةٌ للفعل الذي قبلها.

وقيل: هي نافية، والفعل معلَّق عنها، والمعنى على هذا: لستم تدعون من دون الله شيئًا له بال فيصلح أن يسمى شيئًا.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، لا على وجه العبَث واللعِب.



[﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾].

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعًا في صلاته، متذكّرًا لعظمة من وقف بين يديه: حمَله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر؛ فكأنَّ الصلاة ناهيةٌ عن ذلك.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قيل فيه ثلاثة معانٍ:

الأول: أن المعنى: إن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله؛ لأن ذكر الله أعظم ما فيها، وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر؛ لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

الثاني: أن ذكر الله على الدوام أكبرُ في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات دون بعض.

الثالث: أن ذكر الله أكبرُ أجرًا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم؟»؛ قالوا: بلى قال: «ذكر الله»[(١)].

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلَّا بالتي هي أحسن، لا بضربٍ ولا قتال.

وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نُسِخ بالسيف.

ومعنى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الذين ظلموكم، أو[(٢)] صرَّحوا بإذاية نبيكم ﷺ.

وقيل: معنى الآية: لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدَّثوكم به من الأخبار إلَّا بالتي هي أحسن، ومعنى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ على هذا: من بقي منهم على كفره.

والمعنى الأول أظهر.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذا وما بعده: يقتضي موادعةً ومسالمة، وهي ومنسوخة بالسيف.

ويقتضي أيضًا: الأعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا: آمنَّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلًا لم تصدِّقوهم، وإن كان حقًّا لم تكذِّبوهم»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩١).

(٢) في ب، هـ: «و».

(٣) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤)، وأخرجه البخاري (٤٤٨٥) بلفظ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآيةَ».

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب على مَن قبلك أنزلناه عليك.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: عبد الله بن سلَام وأمثالَه ممن أسلم من اليهود والنصارى.

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب: أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله: ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ كفار قريش.

وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب: المتقدِّمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المعاصرين لمحمد ﷺ منهم، كعبد الله بن سلَام.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ هذا احتجاجٌ على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن.

فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾؟

فالجواب: أن ذلك تأكيدٌ للكلام، وتصويرٌ للمعنى المراد.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرَّق الشك إلى الكفار، فكانوا[1] يقولون: لعلَّه تعلم هذا الكتاب أو قرأه.

وقيل: وجه الاحتجاج: أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفًا للصفة التي وصفه الله بها عندهم.

والمذهب الصحيح: أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب.

---

(١) في ج، د: «وكانوا».

وقال الباجي[١] وغيره: إنه كتب؛ لظاهر حديث الحديبية، وهذا القول ضعيف.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ ﴿بَلْ﴾ عن كلام محذوف تقديره: ليس الأمر كما حَسِبَ المبطلون والظالمون.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المعنى: كيف يطلبون آيةً والقرآن الكريم أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة النبوة؛ فهلَّا اكتفوا به عن طلب الآيات!.



(١) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ)، وله رسالة في هذه المسألة أسماها «تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ قد كتب»، وجرت له في ذلك قصةٌ، انظرها في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٥٤٠)، الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٣٨٠).

[﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ
صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ ذُكِر معناه في «الرعد»(١)، وفي «الأنعام»(٢).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني: قولهم: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبهَ ذلك.

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدَّر لعذابهم أجلًا مسمى لعاجلهم(٣) به حين طلبوه.

---

(١) انظر (٢/ ٦٩٠).
(٢) انظر (٢/ ٢٤٩).
(٣) في أ، ب: «لفاجأهم».

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد:

القتلَ الذي أصابهم يوم بدر.

أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط.

أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: يحيط بهم.

والعامل في الظرف: محذوفٌ، أو ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾.

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تحريضٌ على الهجرة من مكة؛ إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيبٌ في غيرها من أرض الله، فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي: ننزلهم.

وقرئ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾ بالثاء المثلثة من الثَّواء[1] وهو الإقامة في المنزل.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها.

والقصد بالآية: تقويةٌ لقلوب المؤمنين؛ إذ خافوا الجوع والفقر في الهجرة إلى بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم[2].

---

(١) في ج، د: «الثوى».

(٢) في د، هـ: «بلادكم».

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ في الموضعين: إقامة حجة عليهم.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يُصرَفون عن الحق.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله على ظهور الحجة.

أو يكون المعنى: إلزامَهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضرابٌ عن كلام محذوف تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به؛ ولكنهم لا يعقلون.

[﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى
ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ
فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾].

﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ مصدرٌ، كالحياة.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ الآيةَ؛ إقامة حجةٍ عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ أمرٌ:

على وجه التهديد.

أو على وجه الخِذلان والتَّخلية، كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك: «اعمل ما شئت».

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة؛ لأنها كانت لا تُغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا يَنتهك أحد حرمتها.

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارةٌ عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني: جهاد الأنفس من الصبر على إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك.

وقيل يعني: القتال، وذلك ضعيف؛ لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفِّقنَّهم لسُبُل[1] الخير.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى: إنه معهم بإعانته ونصره.

(١) في أ: «السبيل».

﴿ سورة الروم ﴾

[﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾
فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ
ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ
﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ
مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ
أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾].

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ أي: هَزم كسرى ملكُ الفرس جيشَ ملك الروم.

وسُمِّيت الروم باسم جدهم، وهو روم بن عِيصُو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس.

وقيل: في أدنى أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ إخبارٌ بأن الروم سيغلبون الفرس (بعد أن غلبهم الفرس)[١].

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ البِضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ رُوي: أن غَلْبَ الروم لفارس[٢] وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش.

وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهلُ كتاب، فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب، فهم أقرب إلى كفار قريش.

وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق ﷺ، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيَغلبون، وراهنهم على عشرة قِلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مئة، والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبيّ بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاصَ من ذرية أبيّ بن خلف؛ إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له: «تصدق بها»[٣].

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدرٌ مؤكِّد، كقولك: «له علي ألف درهم عُرفًا»؛ لأن

---

(١) سقط من أ، ب.

(٢) في د: «للفرس».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥١).

معناه: اعترفت(١) له بها اعترافًا.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ قيل: معناه: يعلمون ما يُدرَك بالحواس دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم.

وقيل: الظاهر: ما يُعلَم بأوائل العقول، والباطن: ما يُعلَم بالدليل والنظر.

وقيل: هو من(٢) الظهور بمعنى: العلو في الدنيا.

وقيل: ظاهرٌ بمعنى: زائلٌ ذاهبٌ.

والأظهر أنه أراد بالظاهر: المعرفةَ بأمور الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها.

وانظر كيف نفى العلم عنهم أولًا، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة.

وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة؛ لاجتماع النفي والإثبات.

وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم؛ لقلَّة منفعته، فهو على هذا بيانٌ للنفي.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ يَحتمل معنيين:

أحدهما: أن تكون النفس ظرفًا للفكرة في خلق السموات والأرض؛ كأنه قال: أو لم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلَّا بالحق.

---

(١) في د، هـ: «أعترف».

(٢) في أ، ب: «بمعنى».

والثاني: أن يكون المعنى: أولم يتفكروا في ذواتهم وخِلْقتهم؛ ليستدلوا بذلك على الخالق، ويكون قوله: ﴿مَا خَلَقَ﴾ الآيةَ استئنافُ كلامٍ.

والمعنى الأول أظهر.

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: حرثوها.

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ معنى ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: هلاك الكفار.

ولفظ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن.

وقرئ ﴿عَـٰقِبَةُ﴾:

بالرفع على أنه اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ خبرها.

وقرئ بنصب ﴿عَـٰقِبَةَ﴾ على أنها خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ اسمها.

و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ مفعول من أجله.

ويحتمل أن تكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدر: ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾[1].

(١) في أ، ب، هـ: «أساء».

[﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ
﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ
ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾].

﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الإبلاس: الكون في شرٍّ مع اليأس من الخير.

﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ معناه: في المنازل والجزاء.

﴿يُحۡبَرُونَ﴾ يُنَعَّمون[1]؛ من الحبور، وهو السرور والنعيم.

وقيل: يكرمون.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ هذا تعليمٌ للعباد؛ أي: قولوا «سبحان الله» حين تمسون وحين تصبحون، وعشيًّا وحين تُظهِرون؛ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة وهو وسط النهار.

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: اعتراضٌ بين المعطوفات.

وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس، فـ ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾: الصبح، ﴿وَعَشِيّٗا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾: الظهر.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يتنعمون».

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ ذُكِر في «آل عمران»[1].

﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: يُنبِت فيها النبات.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ أي: كما يخرج الله النبات من الأرض، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة.



(١) انظر (١/ ٥٢٧).

[﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾].

﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أي: تتصرَّفون[1] في الدنيا.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: من صنفكم وجنسكم.

وقيل: أراد خِلْقَة حواء من ضِلَعِ آدم، وخاطب الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم.

﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة: الجماع، والرحمة: الولد.

والعموم أحسن وأبلغ.

﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لُغَاتكم.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يعني: البياض والسواد.

---

(١) في د: «تنصرفون».

وقيل: يعني: أصنافكم.

والأول أظهر.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذُكِر في «الرعد»[(١)].

﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ معناه: تثبت أو يقوم تدبيرها[(٢)].

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾:

الأولى: شرطية.

والثانية: فجائية، وهي جواب الأولى.

والدعوة في هذه الآية:

قوله للموتى: قوموا.

أو النفخةُ الثانية في الصور.

و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلَّق:

بقوله: ﴿تَخْرُجُونَ﴾.

أو بقوله: ﴿دَعَاكُمْ﴾؛ على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعوِّ؛ كقولك: «دعوتك من الجبل» إذا كان المدعوُّ في الجبل.

﴿قَـٰنِتُونَ﴾ ذكر في «البقرة»[(٣)].

---

(١) انظر (٢/ ٦٧٥).

(٢) في ج، د: «تدبرها»!.

(٣) انظر (١/ ٣٥٣).

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخِلقة الأولى، وهذا تقريبٌ لفهم السامع وتحقيقٌ للبعث؛ فإن من صنع صنعةً أول مرة كانت أسهل عليه ثانيَ مرة، ولكنَّ الأمور كلها متساويةٌ عند الله؛ فإن كل شيء على الله يسير(١).

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: قول المصنف رحمه الله: «هذا تقريبٌ لفهم السامع وتحقيقٌ للبعث» إلخ، أقول: يريد أن أفعل التفضيل ليس على حقيقته؛ فليس المعنى أن الإعادة أيسرُ على الله من البدء - الخلق الأول - لأن قدرته تعالى على الأشياء واحدة، والأشياء بالنسبة لقدرته تعالى سواء، فليس شيء منها أيسر على الله من شيء، وإنما ذُكر أفعل التفضيل تقريبا للمخاطبين؛ لأن المستقر في عقولهم أن الإعادة أهون من البدء، وهذا توجيه صحيح، وفي الآية توجيه آخر صحيح أيضا؛ وهو أن أفعل التفضيل على غير بابه، أي: ليس المقصود منه المفاضلة بين شيئين، بل المراد إثبات الوصف، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿أهون عليه﴾ أي: هيِّنٌ عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. والله أعلم.

[﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا
رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ
اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ
الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ
ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ
بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن
ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾].

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ﴾ هذا هو المثل المضروب، ومعناه: أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم، ولا يستوون معكم في أحوالكم، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي قوله: ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لستم في

أموالكم سواءً مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقلُّ وأذل من ذلك.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ الإضراب بـ ﴿بَلِ﴾ عما تضمَّنه معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام.

وإقامة الوجه في الموضعين من السورة: عبارةٌ عن الإقبال عليه والإخلاص فيه.

وفي قوله: ﴿فَأَقِمْ﴾، و﴿ٱلْقَيِّمِ﴾ ضربٌ من ضروب التَّجنيس.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر: كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أو مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله.

ومعناه: خلقة الله، والمراد به: دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارضٍ أخرجه عن أصل فطرته، كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه..**»[1].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يعني بـ ﴿لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: الفطرة التي فطر الناس عليها من الإيمان.

ومعنى أن الله لا يبدلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها، ولكن يبدِّلها

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

شياطين الإنس والجن بعد الخِلْقة الأولى.

أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدِّلوها؛ فالنفي على هذا حكمٌ لا خبر.

وقيل: إنه على الخصوص[1] في المؤمنين؛ أي: لا تبديل لفطرة الله في حق مَن قضى الله أنه يثبت على إيمانه.

وقيل: إنه نهيٌ عن تبديل خلقة الله، كخِصَاء الفحول من الحيوان، وقطع آذانها وشبهِ ذلك.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوبٌ على الحال من قوله: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله: ﴿مُنِيبِينَ﴾.

وقيل: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في: «الزموا فطرة الله».

وقيل: هو حال من قوله: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ﴾، وهذا بعيد.

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ وما بعده: معطوفٌ:

على ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾.

أو على العامل في ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾، وهو «الزموا» المضمر.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدلٌ من المجرور قبله.

ومعنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: جعلوه فِرَقًا؛ أي: اختلفوا فيه.

---

(١) في ج، د: «إنه خصوصٌ».

وقرئ: ﴿فَارَقُواْ﴾ من المفارقة؛ أي: تركوه.

والمراد بالمشركين هنا: أصناف الكفار.

وقيل: هم المسلمون الذي تفرَّقوا فِرَقًا مختلفة، ففي لفظ ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هنا تجوُّزٌ بعيد، ولعلَّ قائلَ هذا القول إنما قاله في قول الله في «الأنعام»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾؛ فإنه ليس هناك ذكر المشركين.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآيةَ؛ إنحاءٌ على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ ذكر في «العنكبوت»[(١)].

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعةٌ بمعنى: «بل» والهمزة.

والسلطان: الحجة، وكلامه مجازٌ، كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاءٌ على مَن يفرح ويَبطَر إذا أصابه الخير، ويَقنَط إذا أصابه الشر.

وانظر كيف قال هنا ﴿وَإِذَآ﴾، وقال في الشر: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن «إذا» للقطع بوقوع الشرط، بخلاف «إنْ»؛ فإنها للشكِّ في وقوعه، ففي ذلك إشارةٌ إلى أن الخير الذي يصيب به عبادَه أكثرُ من الشرِّ.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم.

---

(١) انظر صفحة ٤٨١.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ يعني: صلة رحم القرابة؛ بالإحسان والمودَّة، ولو بالكلام الطيب.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ الآيةَ؛ معناها كقوله: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، أي: ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به.

وقيل: المراد: أن يهب الرجلُ للرجل أو يُهدِي له ليعوضه أكثر من ذلك، فهذا وإن كان جائزًا فإنه لا ثواب فيه.

وقرئ: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا﴾:

بالمدِّ: بمعنى أعطيتم.

وبالقصر: يعني: جئتم به؛ أي: فعلتموه.

وقرئ: ﴿لِّتُرۡبُواْ﴾ بالتاء المضمومة، و﴿لِّيَرۡبُوَاْ﴾ بالياء مفتوحةً ونصبِ الواو.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ المضْعِف: ذو الإضعاف من الحسنات.

وفي هذه الجملة التفاتٌ؛ لخروجه من الخطاب إلى الغيبة، وكان الأصل أن يقال: «وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون».

وفيها أيضًا حذفٌ؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»، وتقديره: «المضعفون به»، أو: «فمؤتوه هم المضعفون».

***

[﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى
عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن
يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ
ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قيل: البر: البلاد البعيدة من البحر، والبحر: هو البلاد التي على ساحل البحر.

وقيل: البر: اللسان، والبحر: القلب، وهذا بعيد.

والصحيح: أن البرَّ والبحر هما المعروفان، وظهور الفساد في البرِّ: بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر: بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان.

﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يتعلق:

بقوله: ﴿يَأْتِيَ﴾.

أو بقوله: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا يردُّه الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ مِن الصَّدْعِ، وهو الفُرْقة؛ أي: يتفرقون فريقٌ في الجنة وفريق في السعير.

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يُوطِّئون، وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه.

والمعنى: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلِّق:

بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾.

أو ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾.

أو بمحذوف.

﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي: تبشِّر بالمطر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ عطفٌ على ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾؛ كأنه قال: ليُبشِّرَكم وليذيقكم.

ويحتمل أن يتعلَّق بمحذوف تقديره: ليذيقكم من رحمته أرسلَها.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ انتصب ﴿حَقًّا﴾ لأنه خبر «كان»، واسمها ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقيل: اسمها مضمر يعود على مصدر ﴿ٱنتَقَمْنَا﴾، أي: وكان الانتقام حقًا، فعلى هذا: يوقف على ﴿حَقًّا﴾، ويكون ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مبتدأ، وهذا ضعيف.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تحرِّكها وتنشرها.

﴿كِسَفًا﴾ أي: قِطَعًا، وقرئ بإسكان السين، وهما بناءان للجمع.

وقيل: معنى الإسكان: أن السحاب قطعة واحدة.

﴿ٱلْوَدْقَ﴾ هو المطر.

﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ الخلال: الشِّقاق التي بين بعضه وبعض؛ لأنه متخلِّلُ الأجزاء، والضمير يعود على السحاب.

﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ كرر للتأكيد، وليفيد سرعة تقلُّب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار.

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي: قانطين، كقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨].

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبته الله بالمطر.

والمعنى: لئن أرسل الله ريحًا فاصفرَّ بها النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله.

وقيل: الضمير للريح.

وقيل: للسحاب.

والأول أحسن في المعنى.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآيةَ؛ استعارةٌ في عدم سمْع الكفار للمواعظ والبراهين، فشبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم.

* * *

[﴿ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ
فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾].

﴿خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ﴾ الضعف الأول: كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفًا في حال الطفوليَّة.

والضعف الأخير: هو الهرَم.

وقرئ بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلَّا ساعة.

أو: ما لبثوا في الدنيا إلَّا ساعة، وذلك لاستقصارهم تلك المدة.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثلَ هذا الصرف كانوا يُصرَفون في الدنيا عن الصِّدق والتحقيق؛ حتى يروا الأشياء على ما هي عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، ردُّوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله: ﴿لَبِثۡتُمۡ﴾.

وقيل: يعني: القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: ﴿أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله.

وقولهم: ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ﴾ خطابٌ للكفار.

وقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ تقريرٌ لهم، وهو في المعنى جوابٌ لشرط مقدَّر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث.

﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ من العُتبى: بمعنى الرضا؛ أي: لا يُرْضَون، وليست «استفعل» هنا للطلب.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ يعني: ما وَعد من النصر على الكفار.

﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ من الخِفَّة؛ أي: لا تضطرب لكلامهم.



﴿ سورة لقمان ﴾

[﴿الٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١١﴾].

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذُكِر في «يونس»[1].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهنَّ حرام»، وقرأ هذه الآية[2].

وقيل: نزلت في قريشيٍّ اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ، فالشراء على هذا: على حقيقته.

---

(١) انظر (٢/ ٥٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٦٩)، والترمذي (١٢٨٢)، وابن ماجه (٢١٦٨).

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان قد تعلَّم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراءُ لهو الحديث: استحبابه وقوله وسماعه، فالشراء على هذا: مجاز.

وقيل: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: الطَّبل.

وقيل: الشرك.

ومعنى اللفظ يعم ذلك كلَّه.

وظاهر الآية: أنه لهوٌ مضافٌ إلى كفر واستخفاف بالدين؛ لقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ، وأن المراد شخصٌ معين؛ لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ذكر في «الرعد»[1].

﴿أَن تَمِيدَ﴾ أي: لئلا تميد.



---

(١) انظر (٢/ ٦٦٧).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾].

﴿لُقْمَٰنَ﴾ رجلٌ ينطق بالحكمة، واختُلف هل هو نبيٌّ أم لا؟

وفي الحديث: **«لم يكن لقمان نبيًا، ولكن عبدًا حسَن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»**[(١)].

وروي أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته.

وروي أنه كان قاضي[(٢)] بني إسرائيل.

---

(١) لم أقف على إسناده، وذكره الثعلبي (٤/ ٣١٩) وابن عطية (٧/ ٤٤) في تفسيرهما، وقالا: «وقال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم يكن لقمان نبيًا.. إلخ».

(٢) في ب: «قاضيًا في».

واختُلف في صناعته:

فقيل: نجارٌ.

وقيل: خياطٌ.

وقيل: راعي غنم.

وكان ابنه كافرًا فما زال يوصيه حتى أسلم.

وروي أن اسم ابنه ثاران.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراضٌ في أثناء وصية لقمان لابنه؛ على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله.

ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمِّه؛ حسَبما ذكرنا في «العنكبوت»[1].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفًا على ضعف؛ لأن الحمل كلَّما عظم ازدادت الحامل به ضعفًا.

وانتصاب ﴿وَهْنًا﴾ بفعل مضمر تقديره: تَهِنُ وَهْنًا.

﴿وَفِصَـٰلُهُۥ﴾ أي فِطَامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرَّضاع.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ تفسيرٌ للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾؛ ليبين ما تكابده الأم بالولد؛ مما يوجب عظيم حقِّها، ولذلك كان حقُّها أعظم من حق الأب.

---

(١) انظر صفحة ٤٦٢.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ الآيةَ؛ رجَع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان يا بنيّ.

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزْنَها، والمراد بذلك: أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعبَّر بحبة الخردل ليدلَّ على ما هو أكثر.

﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ قيل: المراد: الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف.

وإنما معنى الكلام: أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو[1] كانت في أخفى موضع كجوف صخرة: فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السموات أو في الأرض.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ أمرٌ بالصبر على المصائب عمومًا.

وقيل: المعنى: ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر.

﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ يَحتمل أن يريد:

مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب.

أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجِدِّ.

ولفظ العزم مصدرٌ يراد به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور.

﴿وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصَّعَر في اللغة: الميل؛ أي: لا تولِّ الناس خدَّك، وتعرضْ عنهم تكبُّرًا عليهم.

﴿مَرَحًا﴾ ذكر في «الإسراء»[2].

---

(١) في أ، هـ: «لو».

(٢) انظر (٢/ ٨٠٧).

﴿مُخۡتَالٖ﴾ من الخيلاء.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ أي: اعتدل فيه، فلا تُسرع[(١)] إسراعًا يدلُّ على الطيش، والخِفَّة، ولا تبطئ[(٢)] إبطاءً يدلُّ على النَّخوة والكبر.



(١) في أ، ب زيادة: «فيه».

(٢) في ب زيادة: «فيه».

[﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ
عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي
الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ
مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الظاهرة: الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها: ستر قبيح الأعمال.

وقيل: الظاهرة: نعم الدنيا، والباطنة: نعم العقبى.

واللفظ أعمُّ من ذلك كله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار؟!.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿يُسْلِمْ﴾ أي: يخلص، أو يستسلم وينقاد. والوجه هنا عبارة عن المقصد[١].

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ ذكر في «البقرة»[٢].

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ بكثرة كلمات الله، والمراد: اتساع علمه.

ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلامًا، والبحر لو كان مِدادًا يصبُّ فيه سبعة أبحر صَبًّا دائمًا، وكُتِبت بذلك كلمات الله: لنَفِدَت الأشجار والبحار ولم تَنْفَدْ كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهيةٌ، وكلمات الله غير متناهية.

فإن قيل: لمَ لمْ يقل: «والبحر مداد» كما قال في «الكهف»: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]؟

فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾؛ لأنه من قولك: مَدَّ الدَّواةَ وأَمدَّها.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل: «من شجرٍ» باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟

(١) في أ: «القصد».
(٢) انظر (١/ ٤٧٧).

فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرةٍ شجرةٍ؛ حتى لا يبقى منها واحدة.

فإن قيل: لم قال ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾ ولم يقل: «كَلِمُ الله» بجمع الكثرة؟

فالجواب: أن هذا أبلغُ؛ لأنه إذا لم تَنفَد الكلمات مع أنها جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير.

ورُوي أن سبب الآية: أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها العلم كلُّه، فنزلت الآية؛ لتدلَّ أن ما عندهم قليلٌ من كثير، والآية على هذا مدنية.

وقيل: إن سببها: أن قريشًا قالوا: إن القرآن سيَنفَدُ.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾ بيانٌ لقدرة الله على بعث الناس، وردٌّ على من استبعد ذلك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ أي: يُدخِل كلَّ واحدٍ منهما في الآخر؛ بما يزيد في أحدهما ويَنقص من الآخر.

أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ يَحتمل أن تكون الباء:

سببية.

أو يكون المعنى: ذلك شاهدٌ بأن الله هو الحق.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾].

﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بذلك:

ما تحمله السفن من الطعام والتجارات، فتكون الباء: للإلصاق أو للمصاحبة.

أو يريد الريح، فتكون الباء سببية.

﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغةٌ في صابرٍ وشاكر.

﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ جمع ظُلَّة، وهو ما يعلوك من فوق، وشبَّه الموج بذلك إذا ارتفع وعَظُم حتى علا فوق الإنسان.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ المقتصد: المتوسط في الأمر، فيحتمل أن يريد: كافرًا متوسِّطًا في كفره لم يسرف فيه.

أو مؤمنًا متوسطًا في إيمانه؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه.

وقيل: معنى ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾: مؤمنٌ ثبت في البرِّ على ما عاهد اللهَ عليه في البحر.

﴿خَتَّارٍ﴾ أي: غدَّار شديد الغدر، وذلك أن جَحْدَ نعمة الله غدرٌ.

﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي: لا يقضي[1] عنه شيئًا، والمعنى: أنه لا ينفعه، ولا يدفع عنه مضرَّة.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ أي: ولدٌ، فكما لا يقدر الولد لوالده على شيء، كذلك لا يقدر الوالد لولده على شيء.

﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان.

وقيل: الأمل والتسويف.

﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: متى تكون الساعة[2]؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفاتح الغيب خمس» وتلا هذه الآية[3].

﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني: من خيرٍ أو شر، أو مال أو ولد، أو غير ذلك.



(١) في ب: «لا يغني».
(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب.
(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٩)، ومسلم (١٠).

﴿ سورة السجدة ﴾

[﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ
بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا
لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ
جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى
خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ أنه من عند الله ﷻ.

ونفيُ الريب على اعتقاد أهل الحق، وعلى ما هو الأمر في نفسه، لا على اعتقاد أهل الباطل.

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿تَنزِيلُ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ الضمير لقريش و﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل» والهمزة.

﴿لِتُنذِرَ﴾ يتعلَّق:

بما قبله.

أو بمحذوف.

﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني: في الفترة من زمان عيسى، وقد جاء الرسلُ قبل ذلك، كإبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولًا ينذرهم؛ ليقيم الحجة عليهم.

﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في «الأعراف»[1].

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفيُ الشفاعة على وجهين:

أحدها: الشفاعة للكفار، وهي معدومة على الاطلاق.

والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلَّا بإذن الله، كقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: واحد الأمور.

وقيل: المأمور به من الطاعات.

والأول أصح.

﴿مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ينزل ما دبَّره[2] وقضاه من السماء إلى الأرض.

---

(١) انظر (٢/ ٣٤٩).

(٢) في أ، ب، هـ: «يدبره».

﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس: المعنى: يُنفِذُ الله قضاءه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره لو سِيرَ فيه السيرُ المعروف من البشر ألفُ سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام، فالألفُ: ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء.

وقيل: إن الله يُلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر، وهو يوم من أيام الله، فإذا فرَغت ألقَى إليهم مثلها، فالمعنى: أن الأمور تَنفُذُ عنده لهذه المدَّة، ثم تصير إليه آخِرًا؛ لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا: عبارةٌ عن مصير الأمور إليه.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الغيب: ما غاب عن المخلوقين، والشهادة: ما شاهدوه.

﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ أي: أتقن جميع المخلوقات.

وقرئ ﴿خَلْقَهُۥ﴾ -بإسكان اللام- على البدل.

﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ يعني: آدم عليه السلام.

﴿نَسۡلَهُۥ﴾ يعني: ذريَّته.

﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ يعني: المنيَّ، والسلالة: مشتقةٌ مِن سَلَّ يسُلُّ؛ فكأنَّ الماء يُسَلُّ من الإنسان.

والمهين: الضعيف.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: قوَّمه.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ عبارةٌ عن إيجاد الحياة فيه.

وإضافة الروح إلى الله إضافة مِلكٍ إلى مالك.

وقد يراد بها الاختصاص؛ لأن الروح لا يعلم كُنْهه إلَّا الله(١).

﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تَلِفْنا وصرنا ترابًا.

ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار: استبعادٌ للبعث.

والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى قولهم: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾؛ تقديره: نُبعَث؟.

﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ اسمه: عزرائيل، وتحت يده ملائكة.

* * *

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ عبارةٌ عن إيجاد الحياة فيه» إلخ، أقول: يريد المصنف أن النفخ في آدم من الروح عبارةٌ عن إيجاد الحياة فيه، وهذا تأويلٌ للنفخ، فيظهر منه أنه لا يُثبت إضافة النفخ إلى الله، ولا موجب للعدول عن ظاهر القرآن؛ فالله تعالى أضاف نفخ الروح في آدم إلى نفسه المقدسه في ثلاثة مواضع؛ في سورة الحجر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وقال في سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾، وقال في السجدة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾، أي: الإنسان الذي بدأه من طين، وهو آدم، كما في آيتي الحجر وص، وعليه فالنفخ من أفعال الله تعالى التي تكون بمشيئته سبحانه؛ فهو تعالى ينفُخ فيما شاء ما شاء كيف شاء. والله أعلم.

[﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا
نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۩
﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا
كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ
نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ
أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم
مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يحتمل أن تكون «لو»:

للتمني، وتأويله في حق الله كتأويل الترجي، وقد ذُكِر[1].

أو تكون للامتناع، وجوابها محذوفٌ تقديره: لو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرًا مهولًا.

﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ عبارةٌ عن الذُّلّ والغم والندم.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد علمنا الحقائق.

(١) انظر المادة (٢٩٨) في اللغات.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ يعني: أنه لو أراد أن يَهدي جميع الخلق لفعل؛ فإنه قادرٌ على ذلك، بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا، والنسيان هنا: بمعنى الترك.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع، والمعنى: يتركون مضاجعهم بالليل؛ من كثرة صلاتهم للنوافل.

ومن صلى العشاء والصبح في جماعةٍ فقد أخذ بحظه[1] من هذا.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني: أنه لا يعلم أحدٌ مقدارَ ما يُعطيهم الله من النعيم.

وقرئ ﴿أُخْفِي﴾ بإسكان الياء، على أن يكون فعلَ المتكلم، وهو الله تعالى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآيةَ؛ يعني: المؤمنين والفاسقين على العموم.

وقيل: يعني: عليَّ بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿الَّذِي﴾ نعتٌ للعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكَّر في قوله: ﴿بِهِ﴾.

فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في «سبأ» النار وأعاد عليها الضمير، فقال: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]؟

---

(١) في ب، هـ: «بحظٍّ».

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه خصَّ العذاب في السجدة بالوصف اعتناءً به، لما تكرر ذكره في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾.

الثاني: أنه تقدَّم في «السجدة» ذكرُ النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر، فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، فوصف العذاب ولم يصف النار.

الثالث: - وهو الأقوى -: أنه امتنع في السجدة وصْفُ النار؛ فوصَفَ العذاب، وإنما امتنع وصفها؛ لتقدُّم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئًا ثم كرَّرت ذكره لم يجز وصفه، كقولك: «رأيت رجلًا فأكرمت الرجل»، فلا يجوز وصفه؛ لئلا يُفهَم أنه غيره.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ **يعني:** الجوع ومصائب الدنيا.

وقيل: القتل يوم بدر.

وقيل: عذاب القبر، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ هذا وعيدٌ لمن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها.

وكان الأصل أن يقول: «إنا منه منتقمون»، ولكنه وضع ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ موضع المضمر؛ ليصفهم بالإجرام.

وقدَّم المجرور على ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ للمبالغة.

* * *

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِيٓ
إِسْرَآءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَاتِنَا يُوقِنُونَ
﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ
يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَاتٍ
أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ المرية: الشك، والضمير لموسى؛ أي: لا تشكَّ في لقائك موسى ليلة الإسراء.

وقيل: المعنى: لا تشك في لقاء موسى للكتاب[1] الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا: التوراة.

وقيل: الكتاب هنا: جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب، فلا تشكَّ أنت في لقائك للكتاب[2] الذي أُنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٦].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير: لجميع الخلق.

وقيل: لبني إسرائيل خاصة.

---

(١) في أ، ب، هـ: «الكتابَ».
(٢) في أ، ب، هـ: «الكتابَ».

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في «طه»[١].

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ الضمير في ﴿يَمْشُونَ﴾ لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن القوم المهلَكين، كقوله: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقيل: الضمير للمهلَكين؛ أي: أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم.

والأول أحسن؛ لأن فيه حجةً على أهل مكة.

﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ يعني: التي لا نبات فيها من شدَّة العطش.

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة.

وقيل: يعني: فتح مكة، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة[٢]؛ لأن من آمن يوم فتحِ مكة نفَعه إيمانه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون[٣] هلاكك، وهذا[٤] تهديدٌ لهم.



(١) انظر (٣/ ١٢٥).
(٢) في أ، ب زيادة: «وقيل: يعني: فتح مكة» وهي زيادة مقحمة لا معنى لها.
(٣) في ب، د، هـ: «منتظرون».
(٤) في أ، ب، هـ: «وفي هذا».

﴿ سورة الأحزاب ﴾

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
(١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى
ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ
ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤) ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ
تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ
وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥) ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ
مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ
مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٧) لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابًا أَلِيمًا (٨)﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ نداءٌ فيه تكريمٌ له؛ لأنه ناداه بالنبوّة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم.

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: دُمْ على التقوى، وزد منه.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ﴾ أي: لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة.

ويعني بـ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ : المظهرين للكفر، وبـ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ : الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر.

وروي أن ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هنا : أبيُّ بن خلف، و﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ هنا : عبد الله ابن أبيّ بن سلول.

والعموم أظهر.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ قال ابن عباس: كان في قريش رجل يقال له: ذو القلبين؛ لشدَّة فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك.

ويقال: إنه ابن خَطَلٍ.

وقيل: جميل بن مَعْمر.

وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئةً لما بعده من النفي؛ أي: كما لم يجعل الله لرجلٍ من[1] قلبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجَكم أمهاتِكم ولا أدعياءَكم أبناءكم.

﴿ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي: تقولون للزوجة: «أنتِ عليَّ كظهر أمي»، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم، وسيأتي حكمه في «المجادلة».

وإنما تعدَّى هذا الفعل بـ «مِن» لأنه تضمَّن[2] معنى: يتباعدون[3] منهنَّ.

---

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

(٢) في أ، ب: «يتضمن».

(٣) في هـ: «تتباعدون».

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الأدعياء جمع دعيّ، وهو الذي يُدْعَى ولدَ فلان وليس بولده.

وسببها: أَمْرُ زيد بن حارثة، وذلك أنه كان فتًى من كَلْبٍ، فسبَاه بعض العرب وباعه من خديجة، فوهبته للنبي ﷺ فتبنَّاه؛ فكان يقال له: «زيد بن محمد» حتى أُنزلت هذه الآية.

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم﴾ الإشارةُ:

إلى نسبة الدعِيِّ إلى غير أبيه.

أو إلى كل ما تقدَّم من المنفيات.

وقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تأكيد لبطلان القول.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ الضمير للأدعياء، أي: انسُبوهم إلى آبائهم الذين وَلَدوهم.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يقتضي: أن يحبوه ﷺ أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم.

﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي ﷺ حرمة الأمهات؛ في تحريم نكاحهن ووجوب مبرَّتهن، ولكن أوجب حجبَهنَّ عن الرجال.

﴿وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخٌ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بأخوَّة الإسلام وبالهجرة، وقد تكلمنا عليها في «الأنفال»[١].

---

(١) انظر (٢/ ٤٧٢).

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يريد: القرآنَ، أو اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

بيانًا لأولي الأرحام.

أو يتعلق بـ ﴿أَوْلَىٰ﴾؛ أي: أولوا الأرحام أولَى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يريد: الإحسانَ إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة، ونفْعَهم في الحياة، والوصيةَ لهم عند الموت؛ فذلك جائزٌ، ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة.

واختُلف: هل يعني الأولياءَ المؤمنين خاصة، أو المؤمنين والكافرين؟

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ يعني: القرآن، أو اللوح المحفوظ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع.

وقيل: هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذرِّ.

والأول أرجح؛ لأنه هو المختص بالأنبياء.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيين، ولكنه خصَّصهم(١) بالذكر تشريفًا لهم، وقدَّم محمدًا ﷺ تفضيلًا له.

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ يعني: الميثاق المذكور، وإنما كرَّره: تأكيدًا، وليصفه

---

(١) في ج، د: «خصهم».

بأنه غليظٌ؛ أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به.

﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ اللام تحتمل أن تكون لام «كي»، أو لام الصيرورة.

والصدق هنا يحتمل أن يكون:

الصدق في الأقوال.

أو الصدق في الأفعال والعزائم.

ويحتمل أن يريد بـ ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: الأنبياءَ، أو غيرَهم من المؤمنين.

* * *

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ
ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ
فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ
إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ
مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى
ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾].

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق.

والجنود المذكورة: هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسمَّاهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف، حصَروا المدينة، وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها؛ ليمنعهم من دخولها.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ أرسل الله عليهم ريح الصَّبا، فأطفأت نيرانهم وأكفأت[١] قدورهم، ولم يُمْكنهم معها قرارٌ، فانصرفوا خائبين.

﴿وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ أي: حصَروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها.

وقيل: معنى ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ أهل نجد؛ لأن أرضهم فوق المدينة، ﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ أهل مكة وسائر تِهامة.

﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي: مالت عن مواضعها، وذلك عبارةٌ عن شدة الخوف.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ جمع حَنْجَرة: وهي الحلق، وبلوغ القلب[٢] إليها مجازٌ وعبارةٌ عن شدَّة الخوف.

وقيل: بل هو حقيقة؛ لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف، فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ أي: تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم.

فأما المنافقون فظنوا ظن السَّوء وصرَّحوا به.

وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خَواطر مما لا يمكن للبشر دفعها،

---

(١) في ب: «وأكبَتْ».
(٢) في أ، هـ: «القلوب».

ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله.

وقرأ نافع ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦]، و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] بالألف في الوصل وفي الوقف.

وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل.

فأما إسقاطها: فهو الأصل.

وأما إثباتها: فلتعديل رؤوس الآي؛ لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة.

وأما من أثبتها في الحالين: فإنه أجرى الوصل مُجْرَى الوقف.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختُبروا، أو أصابهم بلاء.

والعامل في الظرف: ﴿ٱبْتُلِىَ﴾.

وقيل: ما قبله.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أصل الزلزلة: شدة التَّحريك، وهو هنا عبارةٌ عن اضطراب القلوب.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ روي أنه يعني: مُعَتِّب بن قُشَير.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ قال السهيلي: الطائفة تقع على الواحد فما فوقه، والمراد هنا: أوس بن قيظي[1].

﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ يثرب: اسم المدينة.

---

(١) التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ٢٥٥).

وقيل: اسم البقعة التي المدينةُ في طرف منها.

و﴿مَقَامَ﴾ اسم مَوْضِع من القيام؛ أي: لا قرار لكم هنا، يعنون مَوْضع القتال.

وقرئ بالضم، وهو اسم موضعٍ من الإقامة.

وقولهم: ﴿فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة، ودعوا القتال.

﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ أي: يستأذنه[1] في الانصراف.

والمستأذن: أوس بن قيظي وعشيرته.

وقيل: بنو حارثة.

﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ أي: منكشفةٌ للعدوِّ.

وقيل: خالية للسُّراق.

فكذَّبهم الله في ذلك.

﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ أي: لو دُخِلت عليهم المدينة مُن جهاتها.

﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ يريد بالفتنة: الكفر أو قتال المسلمين.

﴿لَأَتَوۡهَا﴾ قرئ بالقصر بمعنى: جاؤوا إليها.

وبالمدِّ بمعنى: أعطوها من أنفسهم.

﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾ الضمير للمدينة.

﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ﴾ دخلت «قد» على الفعل المضارع لمعنى التهديد.

---

(١) في ب: «يستأذنوه».

وقيل: للتقليل على وجه التهكُّم.

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: الذين يعوِّقون الناس عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، كانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم: «هلمَّ إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك[1] القتال».

وقد ذُكر ﴿هَلُمَّ﴾ في «الأنعام»[2].

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ البأس: القتال.

و﴿قَلِيلًا﴾:

صفةٌ لمصدر محذوف تقديره: إلَّا إتيانًا قليلًا.

أو مستثنًى من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾، أي: إلَّا قليلًا منهم.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ ﴿أَشِحَّةً﴾ جمع شحيحٍ:

فقيل: معناه: يَشحُّون بأنفسهم فلا يقاتلون.

وقيل: يشحون بأموالهم.

وقيل: معناه أشحة عليكم في وقت الحرب، أي: يشفقون عليكم أن تُقتَلوا[3].

---

(١) في د: «واتركوا».
(٢) انظر (٢/ ٣١٧).
(٣) في أ، ب: «يقتلوا».

ونصْبُ ﴿أَشِحَّةً﴾:

على الحال من ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ﴾، أو ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، أو من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾.

أو نصْبٌ على الذمِّ.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: إذا اشتدَّ الخوف من الأعداء. نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدَّة خوفهم.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ عبارةٌ عن شدة خوفهم.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ السَّلْقُ بالألسنة: عبارةٌ عن الكلام بكلام مستكرهٍ[1].

ومعنى ﴿حِدَادٍ﴾: فصحاء قادرين على الكلام؛ أي: إذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسبِّ وتنقُّص الشريعة.

وقيل: إذا غنمتم طلبوا من الغنائم.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: يَشحُّون بفعل الخير.

وقيل: يشحُّون بالمغانم.

وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في ﴿سَلَقُوكُم﴾.

﴿لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى: أنها لم تقبل؛ لأن الإيمان شرطٌ في قَبول الأعمال.

وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا، فالإحباط على هذا حقيقةٌ.

---

(١) في ب: «مستنكر».

﴿يَحْسِبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ الأحزاب هنا: هم كفار قريش ومن معهم.

والمعنى: أن المنافقين من شدَّة جزَعهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة، وهم قد انصرفوا.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ معنى ﴿يَوَدُّوا۟﴾: يتمنوا، و﴿بَادُونَ﴾: خارجون في البادية، و﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾: هم أهل البوادي من العرب.

فمعنى الآية: أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرةً أخرى؛ تمنَّى هؤلاء المنافقون من شدَّة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب، وأن لا يكونوا في المدينة، بل غائبين عنها يسألون مَن ورد عليهم عن أنبائكم.

* * *

[﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ
ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا
لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوةٌ تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل.

وقرئ ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة، والمعنى واحد.

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ قيل: إن هذا الوعد ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق؛ مِن أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين.

وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآيةَ، فعلموا أنهم يبتلون ثم يُنصرون(١).

---

(١) كذا في نسخة خزانة القرويين، وفي بقية النُسخ: «ينصرفون»!، والمثبت هو الأصوب والأنسب للسياق، وانظر الكشاف (١٢/ ٤٠٤).

﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ يعني: من قُتل شهيدًا، قال أنس بن مالك: يعني: عمي أنس بن النَّضْر.

وقيل: يعني: حمزة بن عبد المطلب.

وقضاء النحب عبارةٌ عن الموت عند ابن عباس وغيره.

وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾: وفَّى العهدَ الذي عاهد اللهَ عليه، ويدلُّ على هذا: ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «طلحة ممن قضى نحبه»[1] وهو لم يُقتل يومئذ.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ المفعول محذوفٌ؛ أي: ينتظر أن يقضيَ نحبه:

أي: ينتظر الشهادةَ في سبيل الله على قول ابن عباس.

أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ الصياصي: هي الحصون.

ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهِدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرف قريش عن المدينة حصَر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ؛ فحَكم بأن يُقتَل رجالهم وتُسبَى نساؤهم وذريتهم.

﴿فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ يعني: الرجال، وقُتِل منهم يومئذ كل مَن أنبَتَ، وكانوا بين ثمان مئة والتسع مئة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٢٧).

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني: النساء والذرية.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني: أرض بني قريظة، قَسَمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ هذا وعدٌ بفتح أرض لم يكن المسلمين قد وطؤوها حينئذ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق.

ويحتمل عندي أن يريد به: أرض بني قريظة؛ لأنه قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ بالفعل الماضي، وهي التي كانوا قد أخذوها حينئذ، وأمَّا غيرها من الأرَضين، فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: «يورثكم»، وإنما كرَّرها بالعطف؛ ليصفها بقوله: ﴿لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: أي: لم تدخلوها قبل ذلك.

* * *

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ
أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ
ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ
مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي
قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ
وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ
عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ
مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية؛ سببها: أن أزواج رسول الله ﷺ تغايَرْنَ حتى غمَّه ذلك.

وقيل: طلبن منه ملابسَ ونفقاتٍ كثيرة.

وكان أزواجه يومئذ تسعَ نسوة؛ خمسٌ من قريش، وهنَّ: عائشة بن أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وسودة بنت زمعة، وأم حَبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربعٌ من غير قريش، وهنَّ: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حييٍّ من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويريَة بنت الحارث من بني المصطلق.

﴿فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ أصل «تعال»: أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى: «أَقبِلْ»

في جميع الأمكنة.

و﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: من المتعة، وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت.

والسراح: الطلاق.

فمعنى الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخيِّر نساءه بين الطلاق والمتعة إن أردْنَ زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أردن الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرُهنَّ في ذلك، لم يقع طلاقٌ.

قالت عائشة: خيَّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعدَّ[1] ذلك طلاقًا.

وإذا اختارت المخيَّرة الطلاق:

فمذهب مالك: أنه ثلاث.

وقيل: طلقة بائنة.

وقيل: طلقة رجعية.

ووصْفُ السَّراح بالجميل يَحتمل:

أن يريد: أنه دون الثلاث.

أو يريد أنه ثلاث، وجماله: حسن الرَّعْي والثناء وحفظ العهد.

﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ «من» للبيان، لا للتبعيض؛ لأن جميعَهنَّ محسناتٌ.

﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: يعني: الزنا.

---

(١) في ج، د: «نعد».

وقيل: يعني: عصيانَ زوجهن ﷺ، أو تكليفَه ما يشقُّ عليه.

وقيل: عمومٌ في المعاصي.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ أي: يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلوِّ رُتبتهن[١]؛ لأن كلَّ أحد يطالَب على مقدار[٢] حاله.

وقرئ ﴿يُضَٰعَفۡ﴾:

بالياء ورفع ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾، على البناء للمفعول.

وبالنون ونصب ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾، على البناء للفاعل.

﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرئ:

بالياء؛ حملًا على لفظ «مَن».

وبالتاء؛ حملًا على المعنى.

وكذلك ﴿وَتَعۡمَلۡ﴾.

والقنوت هنا: بمعنى الطاعة.

﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ أي: يضاعف[٣] لهن ثواب الحسنات.

﴿رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ يعني: في الجنة.

---

(١) في هـ: «مرتبتهنَّ».

(٢) في ج، د: «قدر».

(٣) في ب، د: «نضاعف».

وقيل: في الدنيا.

والأوّل هو الصحيح.

﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ﴾ فضّلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التّفضيل على جميع النساء، إلّا أنه يخرج من هذا العموم: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون؛ لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها.

﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ نهيٌ عن الكلام اللَّيِّن الذي يُعجِب الرجال ويُميلهم إلى النساء.

﴿فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ أي: فجورٌ وميلٌ للنساء.

وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع.

﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ هو الصواب من الكلام.

أو[1] الذي ليس فيه شيء مما نهي عنه.

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف، ويَحتمل وجهين:

أن يكون من الوقار.

أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في «ظَلْتُ».

---

(١) في ب، ج: «و».

وأما القراءة بالفتح:

فمن القرار في الموضع، على لغة من يقول: قَرِرت - بالكسر - أَقَرُّ - بالفتح -، والمشهور في اللغة عكس ذلك.

وقيل: هي من: قار يقار: إذا اجتمع.

ومعنى القرار أرجح؛ لأن سودة ﵂ قيل لها: لم لا تحجِّين؟ فقالت: أمرنا الله أن نَقِرَّ في بيوتنا.

وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار: إن الله أمرك أن تَقِرِّي في بيتك.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرُّج: إظهار الزينة.

﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن، من الانكشاف والتعرُّض للنظر.

وجعَلها أُولَى؛ بالنظر إلى حال الإسلام.

وقيل: الجاهلية الأولى: ما بين آدم ونوح.

وقيل: ما بين موسى وعيسى.

﴿ٱلرِّجْسَ﴾ أصله: النجس، والمراد به هنا: النقائص والعيوب.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منادى، أو منصوبٌ على التخصيص.

وأهل بيت النبي ﷺ هم: أزواجه، وذريته، وأقاربه، كالعباس وعليٍّ، وكل من حَرُمَت عليه الصدقة.

وقيل: المراد هنا: أزواجه خاصة، والبيت على هذا: المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال: «عنكن».

وروي أن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين»[1].

﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾ خطابٌ لأزواج النبي ﷺ، خصَّهن به بعد دخولهن مع أهل البيت.

وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة، أو التذكُّر بالقلب.

و﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هي القرآن، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾: هي السنة.



---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٨)، والترمذي (٣٢٠٥)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٤١٠).

[﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾].

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن بعض النساء قلن: ذكَر اللهُ الرجال ولم يذكرْنا!، فنزل فيها ذكر النساء.

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الإسلام: هو الانقياد، والإيمان: هو التصديق.

ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه:

باختلاف المعنى، كقوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وبالاتفاق؛ لاجتماعهما، كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات: ٣٥] الآيةَ.

وبالعموم، فيكون الإسلام أعمَّ؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان

أخصُّ لأنه بالقلب خاصة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ يَحتمل أن يكون: بمعنى العبادة، أو الطاعة.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ يَحتمل أن يكون:

من صدق القول.

أو من صدق العزم.

أو العهد.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآيةَ؛ معناها: أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيارٌ مع الله ورسوله، بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله.

والضمير في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ راجعٌ إلى الجمع الذي يقتضيه قوله: ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾؛ لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات.

وهذه الآية توطئةٌ[1] للقصة المذكورة بعدها.

وقيل: سببها: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوجها[2] لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا: رضينا يا رسول الله.

واختُلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها؟

وقد قيل: إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

---

(١) في أ، ب، هـ: «موطئة».

(٢) في أ، هـ: «فزوجها».

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي، وإنعام الله عليه: بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ: بالعتق.

وكانت عند زيد زينبُ بنت جحش وهي بنت أُميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوءَ معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعني: فيما وصفها به من سوء المعاشرة.

أو: اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهيًا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال ﷺ: «**أبغض المباح إلى الله الطلاق**»[١].

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمرٌ جائز مباح لا إثم فيه ولا عَتْب[٢]، ولكنه خاف أن يسلط الناس عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياءً وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريصًا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسنها، فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يخفي الحرص عليها؛ خوفًا من كلام الناس، لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبنَّاه، فالذي أخفاه ﷺ: وهو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوُّجها.

قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية؛ لشدَّتِها عليه.

وقيل: إن الله كان قد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨).

(٢) في أ، ب، هـ: «عيب».

زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: هو ما أعلمه الله به من ذلك.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ لم يُذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة.

والوطر: الحاجة.

قال ابن عطية: ويراد به هنا: الجماع(١).

والأحسن أن يكون أعم من ذلك، أي: لما لم يبقَ لزيد فيها حاجة زوَّجها اللهُ من نبيه ﷺ.

وأسند الله تزويجها إليه تشريفًا له(٢)، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: «إن الله زوجني نبيَّه من فوق سبع سموات».

واستدلَّ بعضهم بقوله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ على أن الأولى: أن يقال في كتاب الصَّداق: «أنكحه إياها» بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوّج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليَعلم المؤمنون أن تزوُّج نساءِ أدعيائهم حلالٌ لهم، فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ المعنى: أن تزوُّج النبي ﷺ لزينب بعد زيد حلالٌ لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك ردٌّ على

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٢٣).

(٢) في د: «لها».

من تكلَّم في ذلك من المنافقين.

و﴿فَرَضَ﴾ هنا بمعنى: قسم الله له.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ أي: عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحله الله لهم.

وقيل: إن الإشارة بذلك إلى دواد في تزوُّجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى.

والعموم أحسن.

ونصْبُ ﴿سُنَّةَ﴾:

على المصدر.

أو على إضمار فعل.

أو على الإغراء.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾، وهم الأنبياء.

أو رفعٌ على إضمار مبتدإ.

أو نصبٌ بإضمار فعل.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ هذا ردٌّ على من قال في زيد بن حارثة: زيد بن محمد، فاعتَرض على النبي ﷺ تزوُّج امرأةِ زيد.

وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين؛ لأنه ﷺ ليس أبًا لهما في الحقيقة؛ لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور

أولاده فماتوا صغارًا؛ فليسوا من الرجال.

﴿وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: آخرهم فلا نبيَّ بعده ﷺ.

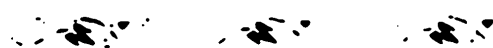
وقرئ:

بكسر التاء: بمعنى أنه ختَمهم فهو خاتِم.

وبالفتح بمعنى أنهم خُتِموا به، فهو كالخاتَم والطابَع لهم.

فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده ﷺ؟

فالجواب: أن النبوَّة أتت(١) عيسى قبله ﷺ، وأيضًا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته ﷺ، فكأنه واحد من أمته.



(١) في ج، د: «أوتيت».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾].

﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به، بخلاف سائر الأعمال.

والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة، من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذِكْر أسماء الله تعالى(١).

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٣٧٧.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل: إن ذلك إشارةٌ إلى صلاة الصبح والعصر.

والأظهر أنه أمرٌ بالتسبيح في أول النهار وآخره.

وقال ابن عطية: أراد: في كل الأوقات، فحدَّ النهار بطَرَفَيْه[1].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم﴾ هذا خطابٌ للمؤمنين، وصلاة الله عليهم: رحمته لهم، وصلاة الملائكة عليهم: دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ ﴿يُصَلِّى﴾ في المعنيين على اختلافها.

وقيل: إنه على حذفٍ تقديره: «وملائكته يصلون».

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ قيل: يعني: يوم القيامة.

وقيل: في الجنة، وهو والأرجح لقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠].

ويحتمل أن يريد:

تسليمَ بعضهم على بعض.

أو قولَ الملائكة لهم: «سلامٌ عليكم».

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي: يَشهد على أمته.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمره وإرساله.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ استعارةٌ للنور الذي تضمَّنه الدين.

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: لا تؤذهم، فالمصدر على هذا: مضاف إلى المفعول، ونُسِخ

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٢٦).

من الآية على هذا التأويل ما يخصُّ الكافرين بآية السيف.

والآخر: احتمل إذايتهم لك، وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا: مضاف للفاعل.

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الآيةَ؛ معناها: سقوط العدَّة عن المطلقة قبل الدخول.

فالنكاح في الآية: هو العقد، والمس: هو الجماع، و﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾: من العَدد.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ هذا يقتضي مُتعة المطلقة قبل الدخول، سواءٌ فُرِض لها أو لم يُفرَض لها صداقٌ، وقوله تعالى في «البقرة»: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها: يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها.

وقد اختُلف هل هذه الآية ناسخةٌ لآية البقرة أو منسوخة بها؟

ويمكن الجمع بينهما: بأن تكون آية البقرة مبيِّنة لهذه، ومخصصة لعمومها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ في معناها قولان:

أحدهما: أن المراد: أزواجه اللاتي في عصمته حينئذٍ، كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن.

والآخر: أن المراد: جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي مهرها، وهذا أوسع من الأول.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السَّراريَ بمِلك اليمين.

ويعني بقوله: ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: الغنائمَ.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ يعني: قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له ﷺ أعمامٌ وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه ﷺ أخٌ ولا أخت، فإنما[1] يعني بخاله وخالته: عشيرةَ أمه وهم بنو زُهرة، ولذلك كانوا يقولون: نحن أخوال رسول الله ﷺ.

فمن قال: إن المراد بقوله: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾: مَن كانت في عصمته: فهذا عطفٌ عليهن، وإباحةٌ لأن يتزوج قرابته زيادةً إلى مَن كان في عصمته.

ومن قال: إن المراد: جميع النساء، فهذا تجريدٌ منهنَّ؛ على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم.

﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيصٌ تحرَّز به ممن لم يهاجر، كالطُّلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ مَن وَهبت له نفسها من النساء، واختُلف هل وقع ذلك أم لا؟

فقال ابن عباس: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلَّا بنكاح أو مِلك يمين، لا بهبة نفسها، ويؤيد هذا: قراءةُ الجمهور: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ - بكسر الهمزة - أي: إن وقع ذلك.

وقيل: قد وقع ذلك، وعلى هذا قرئ: ﴿أَن وَهَبَتْ﴾ -بفتح الهمزة-،

---

(١) في ج، د: «وإنما».

واختُلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟

فقيل: ميمونة بنت الحارث.

وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين.

وقيل: أم شَريك الأنصارية.

وقيل: أم شَريك العامرية.

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هبةُ المرأة نفسَها مزيةٌ خاصة[1] بالنبي ﷺ دون غيره.

وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب؛ ليخصَّ المخاطَب وحده.

وقيل: إن ﴿خَالِصَةً﴾ يرجع إلى كل ما تقدَّم، من النساء المباحات له ﷺ؛ لأن سائر المؤمنين قُصروا على أربع نسوة، وأُبيح له ﷺ أكثر من ذلك.

ومذهب مالك: أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد، خلافًا لأبي حنيفة.

وإعراب ﴿خَالِصَةً﴾: مصدر، أو حال، أو صفة لـ ﴿وَٱمْرَأَةً﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يعني: أحكامَ النكاح؛ من الصَّداق والوليّ والاقتصار على أربع وغير ذلك.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلّق بالآية التي قبله[2] أي: قد بيَّنا أحكام النكاح؛ لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يُظنَّ بك أنك فعلت ما لا يجوز.

---

(١) في أ، هـ: «خالصة».

(٢) في ب، ج، د: «قبلها».

وقال الزمخشري: يتعلَّق بقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾[١].

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ معنى ﴿تُرْجِى﴾: تؤخِّر وتُبعِد، ومعنى: ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾: تضمُّ وتقرِّب.

واختُلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء؟

فقيل: إن ذلك في القسمة بينهنَّ؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقِلُّ لمن شئت.

وقيل: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك مَن شئت وتطلق مَن شئت.

وقيل: معناه: تتزوج من شئت، وتترك من شئت.

والمعنى على كل قول: توسعةٌ على النبي ﷺ، وإباحةٌ له أن يفعل ما شاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه؛ أخذًا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له.

والضمير في قوله: ﴿مِنْهُنَّ﴾ يعود: على أزواجه ﷺ خاصةً، أو على كل ما أحل له؛ على حسَب الخلاف المتقدِّم.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: مَن كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في ردِّه بعد عزله.

والآخر: مَن ابتغيت ومن عزلت سواءٌ في إباحة ذلك.

ف «مِنْ»:

للتبعيض على القول الأول.

---

(١) الكشاف (١٢/ ٤٦٠).

وأما على الثاني فنحو قولك: «مَن لقيك ممن لم يلقك سواءٌ».

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: إذا عَلِمن أن هذا حكمُ الله قرَّت به أعينهن ورضين به، وزال ما كان بهنَّ من الغَيرة، فإن سبب نزول هذه الآيات ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد[١] عليهن.

قال ابن عباس: لما خيرهنَّ رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك، بأن حرَّم عليه غيرَهنَّ[٢] من النساء؛ كرامةً لهنَّ.

والقول الثاني: لا يحلُّ لك النساء غير الأصناف التي سمَّيتُ، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ أي: لا يحل لك غير مَن ذُكِر حسَبما تقدَّم.

وقيل: معنى ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾: لا يحلُّ لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات، وهذا بعيد.

واختُلف في حكم هذه الآية؟

فقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ على القول بأن المراد به: جميع النساء.

---

(١) في د: «ولا تزد».

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من نسخة ب.

وقيل: إن هذه الآية ناسخةٌ لتلك على القول بأن المراد: من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر؛ لما ذكرنا عن ابن عباس، ولأن التسع في حقه ﷺ كالأربع في حق أمته.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلًا منها.

وقيل: معناه: ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء، بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته، وهذا ضعيف.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليلٌ على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوَّجها.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإماء.

والاستثناء:

في موضع رفْعٍ على البدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾.

أو في موضع نصبٍ على الاستثناء من الضمير في ﴿حُسْنُهُنَّ﴾.



[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ سبب هذه الآية على ما رواه أنس: أن رسول الله ﷺ، لما تزوج زينب بنت جحش، أَوْلم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفرٌ في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومر على حُجَر نسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف، فخرجوا عن ذلك.

وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحيَّنون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يُطْبَخ(١)، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأُمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا.

---

(١) في ج: «ينضج».

قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما[١] في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فلعلَّ[٢] قولَ ابن عباس: في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تضمَّنت الحكمين.

﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ أي: غير منتظرين لوقت الطعام، والإنَى: هو الوقت.

وقيل: إنَى الطعام: نُضْجُه وإدراكه، يقال: أنَى يأْني إنًى.

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ أمرٌ بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيدٌ للنهي عن الدخول قبلها.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدبٌ أدَّب الله به الثُّقلاء.

وقالت عائشة ﵂: حسْبُك من الثقلاء أن الله لم يَحْتملهم!.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوفٌ على ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾.

أو تقديره: «ولا تدخلوها مستأنسين».

ومعناه النهي عن:

أن يَطلبوا الجلوس للأُنس بحديث بعضهم مع بعض.

أو يستأنسوا حديثَ أهل البيت، واستئناسه: تسمُّعه وتجسُّسه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ يعني: جلوَسهم للحديث، أو دخولهم بغير إذن.

---

(١) في أ، هـ: «لما».

(٢) في أ، ج، هـ: «فعلى»!.

﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ﴾ تقديره: يستحيي من إخراجكم؛ بدليل قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ يعني: إن إخراجكم حقٌّ لا يتركه الله.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ المتاع: الحاجة من الأثاث وغيره.

وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ، وسببها: ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب.

وقيل: سببها: أنَّ عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ بأن يَحجب نساءَه، فنزلت الآية موافقةً لقول عمر.

قال بعضهم: لما نزل في أمهات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ كنَّ لا يجوز للناس كلامهن إلَّا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يروهنَّ متنقِّباتٍ ولا غير متنقبات، خُصِصْنَ[1] بذلك دون سائر النساء.

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يريد: أنقى من الخواطر التي تَعرِض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال.

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ﴾ سببها: أن بعض الناس قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوَّجتُ عائشة، فحرَّم الله على الناس تزوُّج نسائِه بعده؛ كرامةً له ﷺ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ الآيةَ؛ لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات.

---

(١) في ج: «خصصهن».

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ قيل: يريد: النساءَ[١] القرابة والمتصرِّفات لهن.

وقيل: يريد نساءَ جميع المؤمنات.

ويقوي الأولَ: تخصيص النساء بالإضافة إليهن.

ويقوي الثاني: أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الاطلاق.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ اختُلف فيمن أبيح لهن الظُّهورُ له من ملك اليمين؟

فقيل: الإماء دون العبيد.

وقيل: الإماء والعبيد، وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختَلف من ذهب إلى هذا:

فقال قوم: من ملَكْنَه[٢] من العبيد دون من ملكه غيرُهن، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية.

وقال قوم: بل جميع العبيد، كان في ملكهن أو في ملك غيرهن[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشريفٌ للنبي ﷺ.

وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ فرضٌ إسلاميٌّ،

---

(١) في أ: «في النساء».
(٢) في ج، د، هـ «ملكَتْهُ».
(٣) في ج: «أو في غير ملكهن».

فالأمر به محمولٌ على الوجوب، وأقلُّه مرةٌ في العمر.

وأما حكمها في الصلاة:

فمذهب الشافعي: أنها فرض تبطل الصلاة بتركه.

ومذهب مالك: أنها سنة.

وصفتها: ما ورد في الحديث الصحيح: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على[1] إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

وقد اختَلفت الروايات في ذلك اختلافًا كثيرًا.

وأما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد:

السلامَ عليه في التشهد في الصلاة.

أو السلام عليه حين لقائه.

وأما السلام عليه بعد موته: فقد قال ﷺ: «من سلم عليَّ قريبًا سمعتُه، ومن سلم عليَّ بعيدًا بُلِّغته[3]؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إذايةُ الله: هي بالإشراك به، ونسبة الصاحبة والولد به.

---

(١) في أ زيادة: «آل».

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) في د: «بلغني».

(٤) هذان حديثان، فقوله: «فإن الله حرم ..» إلخ أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود =

وليس معنى إذايته أنه يضرُّه الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء.

وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالى: يَشتِمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبةً وولدًا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني».

وأما إذاية رسول الله ﷺ: فهي التعرُّض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال.

وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ[1] صفية بنت حُيِيّ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ الآيةُ في البهتان، وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشدُّ من الغيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذكره بما فيه مما يكره.

= (١٠٤٧)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥) في ضمن حديث، وقوله: «من سلم عليَّ قريبًا..» إلخ وجدته بهذا اللفظ: «من صلَّى عليَّ عند قبري سمعته..»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٤٠)، والعُقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ١٣٦)، وقال: «لا أصل له.. وليس بمحفوظ»، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٠٣)، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ١٣٥).

(١) في أ، ج: «أخذ».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ
أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا
٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ
مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ
ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ
يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا
ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيًا إلى نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترْنَ بذلك وجوههن، ويقعَ الفرق بن الحرائر والإماء.

والجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار.

وقيل: هو الرداء.

وصورة إدنائه:

عند ابن عباس: أن تلويَه على وجهها حتى لا يظهر منها إلَّا عين واحدة تبصر بها.

وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلَّا عيناها.

وقيل: أن تغطي نصف وجهها.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء، فإذا عُرف أن المرأة حرَّةٌ لم تُعارض بما تعارض به الأمَة.

وليس المعنى: أن تُعرف المرأة حتى يُعلم من هي، إنما المراد: أن يُفرَّق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماءٌ يُعرَفْنَ بالسُّوء، وربما تعرَّض لهن السفهاء.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ تضمَّنت وعيدَ هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا.

فقيل: إنهم لم ينتهوا، ولم يُنْفَذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليلٌ على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة.

وقيل: إنهم انتهوا وسَتروا أمرهم، فكفَّ عنهم إنفاذ الوعيد.

و﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر.

و﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قومٌ كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه.

وقيل: هم الزناة؛ كقوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]-.

و﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: قومٌ كانوا يُشيعون أخبار السوء ويخوِّفون(١) المسلمين.

فيَحتمل أن تكون هذه الأصناف:

متفرقةً.

---

(١) في أ، هـ: «ويخيفون».

أو تكون داخلةً في جملة المنافقين، ثم جرَّدها بالذكر.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نسلِّطك عليهم، وهذا هو الوعيد.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور: للمدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يَحتمل أن يريد:

إلَّا جوارًا قليلًا.

أو وقتًا قليلًا.

أو عددًا[1] قليلًا منهم.

والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، فـ ﴿قَلِيلًا﴾:

على الاحتمال الأول: مصدر.

وعلى الثاني: ظرف.

وعلى الثالث: منصوب على الاستثناء.

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصبٌ:

على الذم.

أو بدلٌ من ﴿قَلِيلًا﴾ على الوجه الثالث.

أو حالٌ من ضمير الفاعل في ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ تقديره: سيُنفَوْنَ ملعونين.

---

(١) في أ، ج، هـ: «وعدًا»!.

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُوا﴾ أي: حيثما ظُفِر بهم أُسِروا، والأخذ: الأسر.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: عادتَه، ونصْبُه على المصدر.

﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ﴾ أي: عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة.

وقيل: يعني: كفارَ بدر؛ لأنهم أسروا وقتلوا.

﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال ﴿قَرِيبًا﴾ بالتذكير، والساعةُ مؤنثةٌ:

على تقدير: شيئًا قريبًا، أو زمانًا قريبًا.

أو لأن تأنيثها غيرُ حقيقي.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾:

قولُه: ﴿يَقُولُونَ﴾.

أو: ﴿لَا يَجِدُونَ﴾.

أو محذوفٌ.

وتقليب وجوههم:

تصريفُها في جهات النار، كما تدور البَضْعَة[١] في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة.

أو تغييرها[٢] عن أحوالها.

---

(١) البَضعة: القطعة من اللحم. القاموس المحيط.

(٢) في أ: «تغيُّرها».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾].

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذايتهم لهم: ما ورد في الحديث: أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراةً، وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه آدَرُ[1]، فاغتسل موسى يومًا وحده وجعل ثيابه على حجر، ففرَّ الحجر بثيابه، واتَّبعه موسى وهو يقول: «ثوبي حجر!، ثوبي حجر!»، فمرَّ في اتباعه على ملإ من بني إسرائيل فرأوه سليمًا ما قالوا، فذلك قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾[2].

وقيل: إذايتهم له: أنهم رموه بأنه قَتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكةً فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثرٌ، فبرَّأ الله موسى.

وروي أنه حَيِيَ فأخبرهم ببراءة موسى.

والقول الأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله.

---

(١) الآدَر: الرجل الذي به انتفاخ في الخصية. النهاية لابن الأثير (١/ ٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

واللفظ أعم من ذلك.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ الأمانة: هي التكاليف الشرعية مِن التزام الطاعات وترك المعاصي.

وقيل: هي الأمانة في الأموال.

وقيل: غُسل الجنابة.

والصحيح العموم في التكاليف.

وعَرْضُها على السموات والأرض والجبال يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكًا، فعرضت عليها الأمانة حقيقةً، فأشفقت منها، وامتنعت من حملها.

والثاني: أن تكون على وجه المجاز، والمراد: تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثِّقَل بحيث إنها لو عُرِضت على السموات[1] والأرض والجبال، لأَبَيْنَ من حملها وأشفقن منها، فهذا ضربٌ من المجاز كقولهم: «عرضتُ الحِمْل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله»، والمراد أنها لا تقدر على حمله.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: التزم الإنسان القيامَ بالتكاليف مع شدَّة ذلك، وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول.

و﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هنا: جنس.

---

(١) هنا انتهى سقط الورقة من ب.

وقيل: يعني: آدم.

وقيل: قابيل الذي قتل أخاه.

﴿لِيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة؛ فإن حَمل الأمانة كان سببَ تعذيبِ المنافقين والمشركين، ورحمةً للمؤمنين.



﴿ سورة سبأ ﴾

[﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ
كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾].

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يحتمل أن يكون الحمد الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة. وعلى هذا حمله الزمخشري(١).

ويحتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق، فيجمع

---

(١) الكشاف (١٢/ ٤٩٧).

الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرَّد منه الحمدَ في الآخرة، كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ثم إن الحمد في الآخرة يَحتمل:

أن يريد به الجنسَ.

أو يريد به قولَه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، أو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من المطر والأموات[1] وغير ذلك، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان ابنُ حرب.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفى.

﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ معطوفٌ على ﴿مِثْقَالُ﴾.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ لأن حرف الاستثناء يمنع من العطف[2].

ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع ﴿أَصْغَرُ﴾ و﴿أَكْبَرُ﴾ في هذا الموضع.

---

(١) في أ، ب، هـ: «والأقوات»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/ ٤٩٨).
(٢) الكشاف (١٢/ ٥٠٤).

وقد حكى ابن عطية الخلافَ فيه عن بعض القراء السبعة[١]، وإنما الخلاف في «يونس».

﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلّق:

بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

أو بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

أو بمعنى قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ﴾ مبتدأ، وخبره الجملة بعده.

وقال ابن عطية: هو معطوفٌ على ﴿الَّذِينَ﴾ الأولِ[٢].

وقد ذُكِر في «الحج» معنى ﴿سَعَوْ﴾، و﴿مُعَاجِزِينَ﴾[٣].

﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٌ﴾.

وبالخفض: صفة لـ ﴿رِجْزٍ﴾.

﴿وَيَرَى﴾ معطوفٌ على ﴿لِيَجْزِيَ﴾.

أو مستأنَفٌ، وهذا أظهر.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم:

الصحابة.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٧).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٧).

(٣) انظر (٣/ ٢١١).

أو من أسلم من أهل الكتاب.

أو على العموم.

﴿ٱلْحَقَّ﴾ مفعول ثاني لـ ﴿يَرَى﴾؛ لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصلٌ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ أي: بَلِيتم في القبور، وتقطَّعت أوصالكم، و﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: مصدر.

والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة.

والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن معناه: تُبعثون إذا مزقتم.

وقيل: العامل فيه: فعل مضمر مقدَّر قبلها، وذلك ضعيف.

و﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معمولُ ﴿يُنَبِّئُكُم﴾، وكسرت «إنَّ»؛ للام التي في خبرها.

ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بَليتم في الأرض، ومرادهم: استبعاد الحشر.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحُذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحةً غير ممدودة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ هذا ردٌّ عليهم، أي: أنه لم يفتر على الله كذبًا، وليس به جِنة، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب.

ويَحتمل أن يريد بالعذاب:

عذابَ الآخرة.

أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل.

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الضمير في ﴿يَرَوۡاْ﴾ للكفار المنكرين للبعث.

وجعَل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم؛ لأنهما محيطتان بهم.

والمعنى: ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا[1] أن الذي خلقهما قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم؟.

ويَحتمل أن يكون المعنى تهديدًا لهم، ثم فسَّره بقوله: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾؛ أي: أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم، فيعملوا[2] أنهم لا مهرب لهم من الله؟.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ الإشارة:

إلى إحاطة السماء والأرض بهم.

أو إلى عظمة خِلْقة السماء والأرض؛ فإن فيها آيةٌ تدل على البعث.

---

(١) في أ، ب، هـ: «فيعلمون».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «فيعلمون».

[﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾].

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسيرٌ للفضل.

ومعنى ﴿أَوِّبِى﴾: سبِّحي، وأصله من التَّأويب، وهو الترجيع؛ لأن كان يرجِّع التسبيح فترجِّعه معه.

وقيل: هو من التأويب بمعنى: السير بالنهار.

وقيل: كان ينوح، فتُسْعِده[1] الجبال بصداها، والطير بأصواتها.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب:

عطفٌ على موضع: ﴿يَٰجِبَالُ﴾.

وقيل: مفعول معه.

وقيل: معطوف على ﴿فَضْلًا﴾.

وقرئ بالرفع عطفًا على لفظ: ﴿يَٰجِبَالُ﴾.

---

(١) في ج: «فتساعده» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/ ٥١٧).

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له ليِّنًا بغير نار، كالطين والعجين.

وقيل: لان له الحديد؛ لشدَّة قوته.

﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ هي الدروع الكاسية.

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ معنى ﴿ٱلسَّرْدِ﴾ هنا: نَسْجُ الدروع، وتقديرها: أن لا يَعمل الحَلْقَة صغيرةً فتَضعُف، ولا كبيرةً فيُصاب لابسُها من خلالها.

وقيل: لا تجعل المسمار رقيقًا ولا غليظًا.

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ خطابٌ لداود وأهله.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب: على تقدير: وسخرنا.

وقرئ بالرفع: على الابتداء.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي: كانت تسير به بالغداة[1] مسيرة شهر، وبالعشيِّ مسيرة شهر، فكان يجلس على سريره وكان من خشب، يحمل فيما روي أربعة آلاف فارس، فترفعه الريح ثم تحمله.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس: كانت تسيل له باليمَن عين من نحاس، يَصنع منها ما أحبَّ، والقِطر: النحاس.

وقيل: القطر: الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك، كان يسيل له منه عيون.

وقيل: المعنى: أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالغدوة».

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني: نار الآخرة.

وقيل: كان معه ملَك يضربهم بسوطٍ نارٍ[١].

﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ هي القصور.

وقيل: المساجد.

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ قيل: إنها كانت على غير صور الحيوان.

وقيل: على صور الحيوان، وكان ذلك جائزًا عندهم.

﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابيةٍ، وهي البِرْكة التي يجتمع فيها الماء.

﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ أي: ثابتات في مواضعها، لا يستطيع أحد أن ينقلها لعِظَمها[٢].

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ حكايةُ ما قيل لآل داود.

وانتصب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه:

مفعولٌ من أجله.

أو مصدر في موضع الحال، تقديره: شاكرين.

أو مصدر من المعنى؛ لأن العمل شكرٌ، تقديره: اشكروا شكرًا.

أو مفعول به.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ يَحتمل أن يكون: مخاطبةً لآل داود،

---

(١) في ج: «بسوطٍ من نار».

(٢) في د: «لعظمتها».

أو مخاطبة لمحمد ﷺ.

﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ المنساة: هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز.

ودابة الأرض: هي الأَرَضة، وهي السُّوسة التي تأكل الخشب وغيره.

وقَصَصُ الآية: أن سليمان عليه السلام دخل قُبَّة من قوارير، وقام يصلي متكئًا على عصاه، فقُبِض روحُه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة، لم يعلم أحد بموته، حتى وقعت العصا فخرَّ إلى الأرض. واختصرنا كثيرًا مما ذكره الناس في هذه القصة؛ لعدم صحته.

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ مِن تبيَّن الشيءُ: إذا ظهر، وما بعدها بدل من ﴿ٱلْجِنُّ﴾، والمعنى: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب.

وقيل: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ بمعنى: علمت، و﴿أَن﴾ وما بعدها: مفعول به على هذا، والمعنى:

علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحقَّقوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم.

أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوة ذلك.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ يعني: الخدمةَ التي كانوا يخدمون سليمان، وتسخيرَه لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم[1] موت سليمان.

---

(١) في ج، د: «عليها».

[﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ سبأ: قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه.

وقيل: باسم أمها.

وقيل: باسم موضعها.

والأول أشهر؛ لأنه ورد في الحديث.

وكانت مساكنهم بين الشام واليمن.

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم وادٍ، وكانت الجناتُ عن يمينه وشماله.

و﴿جَنَّتَانِ﴾:

بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾.

أو مبتدأ.

أو خبر مبتدإٍ محذوفٍ.

﴿كُلُوا﴾ تقديره: قيل لهم: كلوا من رزق ربكم، قالت لهم ذلك الأنبياء.

وروي أنهم بُعث لهم ثلاثة عشر نبيًّا فكذَّبوهم.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كثيرةُ الأرزاق، طيبة الهواء، سليمةٌ من الهوام.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: أعرضوا عن شكر الله، أو عن طاعة الأنبياء.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ كان لهم سدٌّ يُمسِك الماء؛ ليرتفع فتُسقى به الجنات، فأرسل الله على السد الجُرْذَ، وهي دويبة خرَّبته فيَبست الجنات.

وقيل: لما خَرِبَ السدُّ حمَل السيل الجناتِ وكثيرًا من الناس.

واختُلف في معنى العرم؟

فقيل: هو السد.

وقيل: هو اسم ذلك الوادي بعينه.

وقيل: معناه: الشديد، فكأنه صفة للسيل، مِن العَرَامة.

وقيل: هو الجرذ الذي خرب السدَّ.

وقيل: المطر الشديد.

﴿أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأُكل - بضم الهمزة -: المأكول.

والخمط: شجر الأراك.

وقيل: كل شجرة ذات شوك[١].

والأثل: شجر يشبه الطَّرْفاء.

والسدر: شجر معروف.

وإعراب ﴿خَمْطٍ﴾:

بدلٌ من ﴿أُكُلٍ﴾.

أو عطف بيان.

وقرئ بالإضافة.

و﴿وَأَثْلٍ﴾ عطفٌ على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾؛ لأن الأثل لا أُكلَ له.

والمعنى: أنهم لما هلَكت الجنتان المذكورتان قبلُ أبدلهم الله منهما[٢] جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق.

﴿وهل يُجَـٰزَىٰ إلا الْكَفُورُ﴾ معناه: لا يُناقَش ويُجازَى بمثل فعله إلَّا الكفورُ؛ لأن المؤمن قد يسمح الله له، ويتجاوز عنه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ هذه الآية وما بعدها وصْفُ حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم.

ويعني بـ ﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾: الشام، والقرى الظاهرة: قرى متصلة من بلادهم إلى الشام.

---

(١) في د زيادة: «هي الخمط».

(٢) في ب، ج، هـ: «منها».

ومعنى ﴿ظَٰهِرَةً﴾: يَظهر بعضها من بعض؛ لاتصالها.

وقيل: مرتفعة في الآكام.

وقال ابن عطية: معناه: خارجة عن المدن، كما تقول: بظاهر المدينة أي: خارجها[١].

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: قسمنا مراحل السفر، وكانت القرى متصلة، فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى، ولا يخاف جوعًا ولا عطشًا، ولا يحتاج إلى حَمل زادٍ، ولا يخاف من أحد.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ ﴿بَٰعِدْ﴾ و﴿بَعِّدْ﴾ بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب.

والمعنى: أنهم بَطِروا النعمةَ ومَلُّوا العافية، فطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة؛ ليمشوا في المفاوز ويتزوَّدوا للأسفار[٢]، فعجَّل الله إجابتهم.

وقرئ ﴿بَاعَدَ﴾ بفتح العين على الخبر، والمعنى: أنهم قالوا: إن الله باعَد بين قراهم، وذلك كذبٌ وجحد للنِّعم.

﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني:

بقولهم: ﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.

أو بذنوبهم على الإطلاق.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٧٨).

(٢) في د: «لأسفارهم».

﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ أي: فرَّقناهم في البلاد، حتى ضُرِب المثل بفُرْقتهم فقيل: «تفرقوا أيدي[1] سبأ».

وفي الحديث: «إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامَنَ منهم ستة وتشاءَمَ أربعة»[2].

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: وجد ظنَّه فيهم صادقًا، يعني: قوله: ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: ٨٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].



(١) في د: «أيادي».
(٢) أخرجه أحمد (٣٩/ ٥٢٨)، وأبو داود(٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢).

[﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ
عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾
قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ تعجيزٌ للمشركين وإقامةُ حجةٍ عليهم.

ويعني بـ ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: آلهتهم.

ومفعول ﴿زَعَمْتُم﴾ محذوف؛ أي: زعمتم أنهم آلهة، أو زعمتم أنهم شفعاء.

وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشًا.

﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي: نصيب.

والظَّهير: المُعين.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ المعنى: لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يَشفع؛ فإنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بإذنه.

وقيل: المعنى: لا تنفع الشفاعة إلَّا لمن أذن الله أن يُشفَع فيه.

والمراد: أن الشفاعة على كل وجهٍ لا تكون إلَّا بإذن الله، ففي ذلك ردٌّ على المشركين الذين كانوا يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام؛ فإنهم[1] إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يَفزَعون لذلك فزَعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: «قال الحقَّ».

ومعنى ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: زال عنها الفزع.

والضمير في ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ وفي ﴿قَالُواْ﴾: للملائكة.

فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدَّم لهم ذكْرٌ يعود الضمير عليه؟

فالجواب: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»، فذِكْرُ الشفاعة يقتضي ذِكْرَ الشَّافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دلَّ عليهم لفظ الشفاعة.

فإن قيل: بم اتصل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، ولأيِّ شيءٍ وقعت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةً؟

فالجواب: أنه اتصل بما فُهِم من الكلام؛ مِن أنَّ ثَمَّ انتظارًا للإذن، وفزَعًا وتوقُّفًا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويَقرُب هذا في المعنى من

(١) في أ، ب، هـ: «أنهم».

قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨].

ولم يفهم بعض الناس اتصالَ هذه الآية بما قبلها، فاضطربوا فيها، حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: «قال الحق»، فيُقرُّون حيث لا ينفعهم الإقرار.

والصحيح: أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الردُّ على الكفار الذين عبدوا الملائكة، بذِكْر شدَّة خوف الملائكة من الله وتعظيمِهم له.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ سؤالٌ قُصِد به: إقامةُ الحجة على المشركين.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جوابٌ عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزُّلٌ في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: «الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل»، ولا تُعيِّن بالتصريح أحدهما، ولكن تنبِّه الخصم على النظر؛ حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل.

والمقصود من الآية: أن المؤمنين على هدى، وأن الكفار في ضلال مبين.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ إخبارٌ يقتضي مسالمةً نسخها السيف.

﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم، و﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحاكم.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ إقامةُ حجة على المشركين.

والرؤية هنا رؤية قلب، فـ ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولٌ ثالث، والمعنى: أروني بالدليل والحجة مَن هم له شركاء عندكم كيف[١] وجه الشِّرْكة؟.

وقيل: هي رؤية بصر، و﴿شُرَكَآءَ﴾ حال من المفعول في ﴿أَلْحَقْتُم﴾؛ كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟

وفي قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ تحقيرٌ للشركاء وازدراءٌ بهم، وتعجيزٌ للمشركين.

وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن الإشراك.

وفي وصف الله بالعزيز الحكيم ردٌّ عليهم؛ لأن شركاءهم ليسوا كذلك.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ المعنى: أن الله أرسل محمدًا ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء.

وإعراب ﴿كَآفَّةً﴾: حالُ من «الناس»، قُدِّمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية[٢].

وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدُّم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلَّا رسالةً عامة للناس[٣]، فـ ﴿كَآفَّةً﴾ صفةٌ للمصدر المحذوف.

وقال الزجَّاج: المعنى: أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والتبشير[٤]،

---

(١) في د: «وكيف».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٨٦).

(٣) الكشاف (١٢/ ٥٥٦-٥٦٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ٢٥٤).

فجعله حالًا من الكافّ، والتاء على هذا: للمبالغة، كالتاء في «راوية» و«علّامة».

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾ يعني: يوم القيامة.

أو: نزول العذاب بهم في الدنيا.

وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾.



[﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ
ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ
أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ
يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ
أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾].

﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي: الكتب المتقدمة، كالتوراة والإنجيل.

وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ.

وقيل: الذي بين يديه: يوم القيامة، وهذا خطأ وعكس؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدَّم عليه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جواب «لو» محذوفٌ، تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: يتكلَّمون ويجيب بعضهم بعضًا.

﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كفرتم باختياركم، لا بأمرنا.

﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين: بل مَكْرُكم بنا في الليل والنهار سببُ كفرنا، فإعراب ﴿مَكْرُ﴾:

مبتدأ، وخبره محذوف.

أو خبر ابتداء مضمر.

وأضاف ﴿مَكْرُ﴾ إلى ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ على وجه الاتساع.

ويحتمل أن يكون أضافهُ:

إلى المفعول.

أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: «نهاره صائم، وليله قائم»، أي: يُصام فيه ويُقام.

ودلَّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار.

فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين كفروا؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعَطف عليه كلامَهم الثاني، ولم يتقدَّم للذين استكبروا كلامٌ آخر فيعطفَ عليه.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم.

وقيل: أظهروها، فهو من الأضداد.

والضمير يجمع[1] المستضعفين والمستكبرين.

﴿مُتْرَفُوهَآ﴾ يعني: أهل الغنى والتنعُّم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء.

والقصد بالآية: تسلية النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له.

---

(١) في أ، هـ: «الجميع».

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ الضمير: لقريش، أو للمترفين المتقدِّمين.

قاسُوا أمر الدنيا على الآخرة، وظنُّوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذِّبهم في الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الردَّ عليهم بأن[1] بسْط الرزق وقبْضَه في الدنيا معلَّقٌ بمشيئة الله، فقد يوسِّع الله على الكافر والعاصي، ويضيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس؛ فليس في الدنيا[2] دليل على أمر الآخرة.



(١) في أ، ب، هـ: «فإن».

(٢) في أ، ب، هـ: «ذلك».

[﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ
وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ
جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن
دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ
نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا
هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣
وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾].

﴿زُلۡفَىٰٓ﴾ مصدرٌ بمعنى القُرْب، كأنه قال: تقرِّبكم قربى.

﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ استثناءٌ من المفعول في ﴿تُقَرِّبُكُمۡ﴾، والمعنى: أن الأموال لا تقرِّب إلَّا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله.

وقيل: الاستثناء منقطع.

والأول أحسن.

﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ يعني: تضعيفَ الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك.

﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ الآيةَ؛ كُرِّرت هنا لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول: ردٌّ على الكفار، والقصد هنا: ترغيبٌ للمؤمنين[1] بالإنفاق.

---

(١) في ج: «المؤمنين».

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ الخَلَف قد يكون بالمال، أو بالثواب.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ براءةٌ من أن يكون لهم رضًا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفيٌ لعبادتهم لهم.

﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن: طاعتهم لهم في الكفر والعصيان.

وقيل: كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيُعبَدون بعبادتها.

ويحتمل أن يكون قومٌ قد عبدوا الجن؛ لقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآيةَ؛ معناها يَحتمل وجهين:

أحدهما: ليس عندهم كتبٌ تدلُّ على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذيرٌ يشهد بما قالوه، فأقوالهم باطلة؛ إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا: ردٌّ عليهم.

والآخر: أنهم ليس عندهم كتب، ولا جاءهم نذير، فيهم محتاجون إلى من يعلِّمهم ويُنذرهم؛ فلذلك بعث الله إليهم محمدًا ﷺ، فالقصد على هذا: إثباتُ نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ المعشار: العُشر.

وقيل: عشر العشر.

والأول أصح.

والضمير في ﴿بَلَغُوا۟﴾: لكفار قريش، وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: للكفار

المتقدمين؛ أي: إن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين[١] من القوة والأموال.

وقيل: الضمير في ﴿بَلَغُواْ﴾: للمتقدمين، وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: لقريش؛ أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة.

والأول أصح، وهو نظير قوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٩].

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري، يعني: عقوبةَ الكفَّار المتقدمين، وفي ذلك تهديدٌ لقريش.



(١) في ج، د: «للمتقدمين».

[﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا
بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ
أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا
فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ
﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: بقضيةٍ واحدة؛ تقريبًا عليكم.

﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة فـ ﴿أَن تَقُومُوا۟﴾:

بدلٌ.

أو عطف بيان.

أو خبر ابتداء مضمر.

ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قيامًا خالصًا لله تعالى، ليس فيه اتباع هوًى ولا ميلٌ.

وليس المراد بالقيام هنا: القيام على الرجلين؛ وإنما المراد: القيام بالأمر والجِدُّ فيه.

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿تَقُومُوا۟﴾، والمعنى: أن تقوموا اثنين اثنين؛ للمناظرة في الأمر وطلب التَّحقيق، وتقوموا واحدًا واحدًا؛

لإحضار الذهن واستجماع الفكرة، ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أن ما به من جِنَّة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدلُّ على رجاحة عقله ومتانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغًا عظيمًا، فيدلُّ ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفترٍ على الله.

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح؛ أي: تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جِنة.

وقيل: هو استئنافٌ.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: «إن أعطيتني شيئًا فخذه»، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئًا، ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنى هذا، فهو كقوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٦].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ القذف: الرمي، ويستعار للإلقاء، فالمعنى: يلقي الحقَّ إلى أنبيائه.

أو يرمي الباطل بالحق فيُذهبه.

﴿عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمر.

أو بدلٌ:

من الضمير في ﴿يَقْذِفُ﴾.

أو من اسم ﴿إِنَّ﴾، على الموضع.

﴿قُلْ جَآءَ الْحَقُّ﴾ يعني: الإسلام.

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ الباطل: الكفر، ونفي الإبداء والإعادة: عبارةٌ عن أنه لا يفعل شيئًا ولا يكون له ظهورٌ.

أو عبارة عن ذهابه، كقوله: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقيل: الباطل: الشيطان.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: قربَه تعالى بعلمه وإحاطته[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ جواب «لو» محذوفٌ، تقديره: «لرأيت أمرًا عظيمًا».

ومعنى ﴿فَزِعُوا۟﴾: أسرعوا الهروبَ[2]، والفعل ماض بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال.

ووقت الفزَع: البعث.

وقيل: الموت.

وقيل: يوم بدر.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: قربه تعالى بعلمه وإحاطته»، أقول: قوله: قربه بعلمه وإحاطته، معناه إثبات القرب العام؛ كالمعية العامة المقتضية للعلم، فيؤول المعنى أنه تعالى قريب من كل أحد، ومن كل شيء، ومع كل أحد، بعلمه وإحاطته، وما ذهب إليه المؤلف من إثبات القرب العام الراجع إلى العلم هو المناسب لمذهب الأشاعرة؛ فإنهم لا يثبتون لله قربا خاصا من بعض العباد؛ كالملائكة الذين عنده، فليس أحدٌ من العباد أقربَ إليه من بعض، وذلك لقولهم: إنه تعالى في كل مكان، كما تقدم ذكر ذلك عنهم، وسبق التعليق عليه عند كلام المصنف على قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. والله أعلم.

(٢) في أ، هـ: «إلى الهروب».

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: لا يَفُوتون الله إذا هربوا.

﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: من الموقف إلى النار إذا بُعثوا.

أومن ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا.

أو من أرض بدر إلى القَليب.

والمراد على كل قولٍ: سرعة أخذهم.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم.

والضمير المجرور: لله تعالى، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ التناوش - بالواو -: التناول، إلَّا أن التناوشَ تناولٌ قريب سهل لشيء قريب.

وقرئ بهمز الواو، فيحتمل:

أن يكون المعنى واحدًا.

أو يكون المهموز بمعنى الطلب.

ومعنى الآية: استبعاد وصولهم إلى مرادهم.

والمكان البعيد: عبارةٌ عن تعذُّر مقصودهم؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون، وهو رجوعهم إلى الدنيا، أو[1] انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾.

---

(١) في ج، د: «و».

﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ ﴿وَيَقۡذِفُونَ﴾ فعل ماض في المعنى معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾.

ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيَّبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول ﷺ: إنه ساحر أو شاعر.

والمكان البعيد هنا: عبارةٌ عن بطلان ظنونهم، وبُعْد أقوالهم عن الحق.

﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة.

وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ.

وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾ يعني: الكفارَ المتقدمين، وجعَلهم أشياعَهم؛ لاتفاقهم في مذاهبهم.

و﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ يحتمل أن يتعلق:

بـ ﴿فُعِلَ﴾.

أو بـ ﴿أَشۡيَاعِهِم﴾.

على حسَب معنى ما قبله(١).

﴿فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ هو أقوى الشك وأشدُّه إظلامًا(٢).

---

(١) أي: على حسب الاختلاف في وقت الفزع، هل هو يوم القيامة فيتعلّق بـ ﴿أشياعهم﴾، أو هو يوم بدر فيتعلّق بـ﴿فُعِلَ﴾. انظر: المحرر الوجيز (٧/ ١٩٩).

(٢) في ج، د: «ظلامًا».

﴿ سورة فاطر ﴾

[﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ
وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا
مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ
تُؤْفَكُونَ ۝٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ ﴾].

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء، ومتصرِّفين في أمر الله.

﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفاتٌ لـ ﴿أَجْنِحَةٍ﴾، ولم ينصرف للعَدْل والوصف.

والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قيل: يعني: حُسْن الصوت.

وقيل: حسن الوجه.

وقيل: حسن الخطّ.

والأظهر:

أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة.

أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الفتح: عبارةٌ عن العطاء[1]، والإمساك: عبارةٌ عن المنع.

والإرسال: الإطلاق بعد المنع.

والرحمة: كل ما يَمنُّ الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة.

فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله، ولا مُعطي لما منع الله.

فإن قيل: لم أنَّث الضمير في قوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وذكَّره في قوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ وكلاهما يعود على ﴿مَّا﴾ الشرطية؟

فالجواب: أنه لما فسر الأوَّل بقوله: ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ أنَّثه؛ لتأنيث الرحمة، وترك الآخَر على الأصل من التذكير.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد إمساكه.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ رفْعُ ﴿غَيْرُ﴾: على الصفة لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ على الموضع.

وخفْضه: صفةٌ على اللفظ.

---

(١) في د: «الإعطاء».

ورزق السماء: المطر، ورزق الأرض: النبات.

والمعنى: تذكيرٌ بنعم الله، وإقامةُ حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ على تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذِّبوك[1] فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كُذِّبت رسل من قبلك فنصرهم الله.

﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان.

وقيل: التَّسويف.



(١) في أ، هـ: «كذبوك».

[﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾].

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ توقيفٌ، وجوابه محذوف، تقديره: «أفمن زُيّن له سوء عمله كمن لم يُزيَّن له؟»، ثم بنَى على ذلك ما بعده.

فالذي زُين له سوء عمله: هو الذي أضلَّه الله، والذي لم يُزيَّن له سوء عمله: هو الذي هداه الله.

﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ عن حُزنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي الحشر، والمعنى: كما يحيي الله الأرض بالنبات

كذلك يحيي الموتى.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ الآيةَ؛ تَحتمل ثلاثة معان:

أحدها - وهو الأظهر -: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله؛ فإن العزة كلها لله.

والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فللّه العزة جميعًا، فالمغالب له مغلوب.

والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعًا.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله.

واللفظ يعمُّ ذلك وغيرَه من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم، فالعموم أولى.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ لله، وضمير المفعول: للعمل الصالح، فالمعنى: أن الله يرفع العمل الصالح؛ أي: يتقبَّله ويثيب عليه.

والثاني: أن ضمير الفاعل: للكلم الطيب، وضمير المفعول: للعمل الصالح، والمعنى على هذا: أنه لا يُقبل عملٌ صالح إلَّا ممن له كلمٌ طيب.

وهذا يصح إن قلنا: إن الكلم الطيب: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لا يُقبل العمل إلَّا من موحِّدٍ.

والثالث: أن ضمير الفاعل: للعمل الصالح، وضمير المفعول: للكلم الطيب، والمعنى على هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب،

فلا يُقبل الكلمُ إلَّا ممن له عمل صالح.

روي هذا المعنى عن ابن عباس، واستبعده ابن عطية[١]، وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبَّل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يُتأوَّل: أن الله يزيد في رفعه وحسن موقعه.

﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لا يتعدَّى «مَكَر»؛ فتأويله:

«يمكرون المكَراتِ السيئاتِ»، فتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مصدرًا.

أو تضمَّن[٢] ﴿يَمْكُرُونَ﴾ معنى: يكتسبون، فتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مفعولًا.

والإشارة هنا: إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يُخرجوه.

﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البوار: الهلاك أو[٣] الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يَبطُل ولا ينفعهم.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافًا.

وقيل: ذُكرانًا وإناثًا، وهذا أظهر.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ التعمير: طول العمر، والنقص: قِصَره، والكتاب: اللوح المحفوظ.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٢٠٦).

(٢) في أ، هـ: «يُضمَّن».

(٣) في د: «و».

فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ على الشخص المعمَّر؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو الصحيح -: أن المعنى: ما يعمَّر من أحد ولا ينقص من عمره إلَّا في كتاب، فوَضع ﴿مِن مُّعَمَّرٖ﴾ في موضع: «من أحدٍ»، وليس المراد شخصًا واحدًا، وإنما ذلك كقولك: «لا يعاقب الله عبدًا ولا يثيبه إلَّا بحقٍّ».

والثاني: أن المعنى: لا يُزاد في عمر إنسانٍ ولا يُنقَص من عمره إلَّا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا إن تصدَّق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»[1]، إلَّا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعبٌ حين طُعن عمر: «لو دعا اللهَ لزاد في أجله»، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتجَّ بهذه الآية[2].

والثالث: أن التعمير هو: كَتْبُ ما يُستقبل من العمر، والنقص هو: كَتْبُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) بلفظ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٥١): «رواه إسحاق بن راهويه في مسنده: أخبرنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، قال: قال كعب. . »، ورواه أيضًا عن عبد الرزاق معمر بن راشد كما في جامعه الملحق بالمصنف (١١/ ٢٢٤)، ورواه أيضًا الفريابي في كتاب القدر (ص: ٢٨١) عن عباس العنبري عن عبد الرزاق.

ما مضى منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حقِّ كل شخص[(١)].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ﴾ قد فسَّرنا البحرين والفرات والأجاج في «الفرقان»[(٢)]، و﴿سَآئِغٌ﴾ في «النحل»[(٣)].

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ في الوجه الثاني من وجوه مرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أن المراد من يعمر بسبب كالصدقة، أو يُنقص من عمره لعدم ذلك، فمن تصدق أو وصل رحمه زيد في عمره، بخلاف من ليس كذلك، واعترض ﷺ على هذا الوجه بأنه يوافق قول المعتزلة القائلين بالأجلين، وأنه خلاف قول الأشاعرة، ولا شك أن قول المعتزلة بأن للإنسان أجلين مكتوبين؛ أحدهما معلق على سبب، وهذا السبب غير معلوم لله، وغير مكتوب، ولا ريب أن هذا القول باطل، وأهل السنة يقولون بما دلت عليه السنة؛ بأن طول العمر قد يكون بسبب من قبل العبد؛ كالبر والصلة، فمن عمر بهذا السبب، فالسبب والمسبَّب قد سبق بهما علم الله وكتابه؛ بمعنى أن الله قد علم وكتب أن هذا يطول عمره بذلك السبب، ويعلم سبحانه أنه لو لم يكن منه ذلك السبب لكان عمره دون ذلك، فهما أجلان؛ أجل معلوم مكتوب فلا يقع سواه، وأجل معلوم أنه لا يقع، فهو غير مكتوب، فعلم الله شامل لما كان وما يكون، وما لا يكون لوكان كيف يكون. وبذلك يعلم أنه لا تغير في علم الله ولا في كتابه، ويمتنع أن يحدث ما يوجب ذلك؛ أي: التغير في علم الله وكتابه. وأما المعتزلة فقولهم بالأجلين معناه - على ما ذكره أبو منصور الماتريدي في تفسيره (١/ ٤٩١) - أن اللَّه تعالى يجعل لكل أحد أجلين، فإذا وَصل رحمه أماته في أبعد الأجلين، وإذا لم يصل جعلَ أجله الأولَ، قال أبو منصور متعقبا: «فهذا أمر من يجهل العواقب، فأما من كان عالما بالعواقب فلا؛ لأنه بدوٌ ورجوعٌ عما تقدم من الأمر» اهـ. ومن فروع قول المعتزلة: إن أفعال العباد غيرُ مخلوقة لهم ولا مقدَّرة، من فروع ذلك: أن المقتول مقطوعٌ عليه أجله، وأهل السنة يقولون: إن المقتول ميت بأجله.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) انظر (٢/ ٧٦٠).

والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده.

وقال الزمخشري: المعنى: أن الله ضرب البحرين الملح والعذب مَثَلين للمؤمن والكافر[١]، وهذا بعيد.

﴿لَحۡمًا طَرِيًّا﴾ يعني: الحوت.

﴿حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا﴾ يعني: الجوهر والمرجان.

فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلَّا من البحر المِلْح دون العَذب؛ فكيف قال: ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ أي: من كل واحد منهما؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوُّزٌ في العبارة، كما قال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسل إنما هي من الإنس.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصَبُّ أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصبُّ[٢] في البحر الملح: كان الإخراج منهما جميعًا.

الثالث: زعم قومٌ أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحسُّ.

﴿مَوَاخِرَ﴾ ذُكر في «النحل»[٣].

---

(١) الكشاف (١٢/ ٦٢٥).

(٢) في ج، د: «تصبُّ».

(٣) انظر (٢/ ٧٣٦).

﴿يُولِجُ﴾ ذُكر في «لقمان»[١].

﴿قِطْمِيرٍ﴾ هو القشر الرَّقيق الأبيض الذي على نوى التمر، والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقلَّ الأشياء فكيف أكثرها؟.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم، فالمصدر مضاف للفاعل.

وكُفْر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون:

بكلام يخلقه الله عندها.

أو بقرينة الحال.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مُخبِرٌ مثل مخبرٍ عالمٍ به، يعني: نفسَه تعالى في إخباره أن الأصنام يَكْفرون يوم القيامة بمَن عبدهم.



---

(١) انظر صفحة ٥١١.

[﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ
وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾
إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ
ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾].

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خطابٌ لجميع الناس، وإنما عرَّف ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾ بالألف واللام؛ ليدلَّ على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء، ولكن فقْرَ[1] الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر.

ووصْفُه بأنه الحميد؛ ليدلَّ على جوده وكرمه الذي يوجب أن يَحمَده عباده.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾ ذُكر في «سبحان»[2].

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ﴾ الحِمل: عبارةٌ عن الذنوب.

والمثقلة: الثقيلة الحِمْل؛ أي: النفس الكثيرة الذنوب.

---

(١) في ج، د: «فقراء».
(٢) انظر (٢/ ٧٩٨).

والمعنى: أنها لو دعت أحدًا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يَحمِلْ عنها.

وحذف مفعول ﴿وَإِن تَدْعُ﴾؛ لدلالة المعنى، وقصْدِ العموم.

وهذه الآية بيانٌ وتكميل لمعنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ المعنى: ولو كان المدعوُّ ذا قربى ممن دعاه إلى حَمل ذنوبه لم يَحملْ عنه شيئًا؛ لأن كل أحدٍ يقول: نفسي نفسي.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلَّا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى: اختصاصهم بالإنذار.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ أي: يخشون ربهم، وهم غائبون عن عذابه، أو غائبون عن الناس، فخشيتهم حقٌّ لا رياء.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ تمثيلٌ للكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ تمثيلٌ للكفر والإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ تمثيلٌ للثواب والعقاب.

وقيل: ﴿ٱلظِّلُّ﴾: الجنة، و﴿ٱلْحَرُورُ﴾: النار.

(والحرور في اللغة: شدة الحر بالنهار والليل، والسَّموم: بالنهار خاصة)[1].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ تمثيلٌ لمن آمن فهو كالحي، ومن لم يؤمن فهو كالميت.

---

(١) سقط من أ، ب، هـ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ عبارةٌ عن هداية الله لمن يشاء.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ عبارةٌ عن عدم سمع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبَّههم بالموتى في عدم إحساسهم.

وقيل: المعنى: أن أهل القبور - وهم الموتى حقيقة - لا يسمعون، فليس عليك أن تُسمعهم، وإنما بعثت إلى الأحياء.

وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جُعلوا في القَليب.

ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث: بأن الموتى في القبور إذا رُدَّت إليهم أرواحهم سمعوا، وإن لم تردَّ إلى أجسادهم لم يسمعوا.

﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ معناه: أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيًا يقيم عليهم الحجة.

فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فتَراتٌ وأزمنة طويلة؟ ألَا ترى أن بين عيسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم ست مئة سنة لم يبعث فيها نبي؟

فالجواب: أن دعوة عيسى ومَن تقدَّمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة.

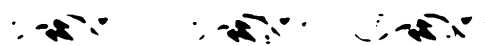
فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [السجدة: ٣]؟

فالجواب: أنهم لم يأتهم نذيرٌ معاصر لهم، فلا يعارض ذلك مَن تقدَّم قبل عصرهم، وأيضًا فإن المراد بقوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ أن نبوة

محمد ﷺ ليست ببِدْعٍ، فلا ينبغي أن تنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل مَن قبله، والمراد بقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى الإنذار؛ لكونهم لم يتقدَّم مَن يُنذرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ بالتأسي.

﴿نَكِيرِ﴾ ذكر في «سبأ»[1].



(١) انظر صفحة ٥٩٥.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ
جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ
وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم
مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ
صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ
ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾].

﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ يريد: الصفرةَ والحمرة وغير ذلك من الألوان.

وقيل: يريد الأنواع.

والأول أظهر؛ لذكره البِيض والحمر والسُّود بعد ذلك.

وفي الوجهين دليلٌ على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار.

وفيه ردٌ على الطبائعيين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلَّا نوع واحد.

﴿جُدَدٌۢ﴾ جمع جُدَّةٍ، وهي الخِطَط والطرائق في الجبال.

﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع غِرْبيب، وهو الشديد السواد.

وقدَّم الوصف الأبلغ، وكان حقه أن يتأخَّر؛ لقصد التأكيد، ولأن[1] ذلك كثيرًا ما يأتي في كلام العرب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يتعلَّق بما قبله فيتمُّ الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، مثل الجبالِ المختلفِ ألوانُها، والثمرات المختلف ألوانها، وذلك كله استدلالٌ على قدرة الله وإرادته.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ يعني: العلماءَ بالله وصفاته وشرائعه علمًا يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدُّكم له خشيةً»[2]؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخفْ منه؛ فلذلك خصَّ العلماء بالخشية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن.

وقيل: معنى ﴿يَتْلُونَ﴾: يتبعون.

والأول أظهر.

---

(١) في أ، ب، هـ: «لأن» بدون واو.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣٩): لم أجده هكذا، وفى الصحيح: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية».

والخبر:

﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً﴾.

أو محذوف.

﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسُد، ويعني بالتجارة: طلب الثواب.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ توفية الأجور: هي ما يستحقه المطيع من الثواب، والزيادة: التَّضعيف فوق ذلك.

وقيل: الزيادة: النظر إلى وجه الله.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذُكر في «البقرة»[١].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، والتوريث: عبارةٌ عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقيُّ[٢]، والمقتصد: بينهما.

وقال الحسن: السابق: من رجحت حسناته على سيِّئاته، والظالم لنفسه: من رجحت سيِّئاته (على حسناته)[٣]، والمقتصد: من استوت حسانته

(١) انظر (١/ ٣٠٨).

(٢) في ج: «المتقي».

(٣) زيادة من د، وهامش ب.

وسيِّئاته، وجميعهم يدخلون الجنة.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفور له»(١).

وقيل: الظالم: الكافر، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي.

فالضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذا: يعود على العباد.

وأما على القول الأول: فيعود على ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾، وهو أرجح وأصح؛ لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به.

فإن قيل: لم قدَّم الظالم ووسَّط المقتصد وأخَّر السابق؟

فالجواب: أنه قدَّم الظالم لنفسه رفقًا به؛ لئلا ييئس، وأخَّر السابق لئلا يُعجَب بنفسه.

وقال الزمخشري: قدَّم الظالم لكثرة الظالمين، وأخَّر السابق لقلة السابقين(٢).

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الإشارة إلى الاصطفاء.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿الْفَضْلُ﴾.

أو خبر مبتدإ تقديره: «ثوابهم(٣) جنات عدن».

أو مبتدأ تقديره: «لهم جنات عدن».

---

(١) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص: ٦٠).

(٢) الكشاف (١٢/ ٦٥٩).

(٣) في د: «مثواهم».

﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة.

وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصةً.

وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصةً[١]، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد.

﴿أَسَاوِرَ﴾ ذُكر في «الحج»[٢].

﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ قيل: هو عذاب النار.

وقيل: أهوال القيامة.

وقيل: الموت.

وقيل: هموم الدنيا.

والصواب: العموم في ذلك كلِّه.

﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، و﴿ٱلۡمُقَامَةِ﴾: هي الإقامة في الموضع، وإنما سمِّيت الجنة دارَ المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها، ولا يخرجون منها.

﴿نَصَبٌ﴾ النصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفْس اللازم عن تعب البدن.

---

(١) الكشاف (١٢/ ٦٥٨).

(٢) بل ذُكر في «الكهف» (٣/ ٢٦).

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يَفتعِلون من الصُّراخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾.

وفي قولهم: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعترافٌ(١) بسوء عملهم وتندُّمٌ عليه.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الآيةَ؛ توبيخٌ لهم وحجةٌ عليهم.

وقيل إن مدة التَّذكير: ستون سنة.

وقيل: أربعون.

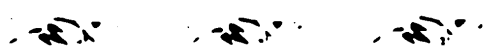
وقيل: البلوغ.

والأول أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «من عَمَّرَهُ اللهُ ستِّين فقد أَعذر إليه في العمر»(٢).

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ يعني: النبيَّ ﷺ.

وقيل: يعني: الشيب؛ لأنه نذيرٌ بالموت.

والأول أظهر(٣).



(١) في أ، هـ: «اعترافهم».

(٢) أخرجه أحمد (٩٣٩٤)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٩٥)، وأخرجه البخاري (٦٤١٩) بلفظ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله، حتى بلغه ستين سنة».

(٣) في ب: «أرجح وأظهر».

[﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾].

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما تُضمره الصدور وتعتقده.

قال الزمخشري: «ذات» هنا: تأنيث «ذو» بمعنى صاحب؛ لأن المضمرات تصحب الصدور(١).

﴿خَلَـٰٓئِفَ﴾ ذكر في «الأنعام»(٢).

(١) الكشاف (١٢/ ٦٦٥-٦٦٦).

(٢) انظر ٢/ ٣٢٧.

﴿مَقۡتٗاۖ﴾ المقت: احتقارك[١] الإنسان وبغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على المشركين وإبطالٌ لمذهبهم.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ﴾ أي: نصيبٌ.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَتٖ﴾ أي: على أمر جليٍّ.

والضمير في ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ يحتمل أن يكون:

للأصنام.

أو للمشركين، وهذا أظهر في المعنى.

والأول أليق بما قبله من الضمائر.

﴿أَن تَزُولَاۚ﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تزولا.

أو مفعول به؛ لأن ﴿يُمۡسِكُ﴾ بمعنى: يمنع.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ أي: لو فُرِض زوالهما لم يمسكْهما أحدٌ.

وقيل: أراد: زوالهما يوم القيامة عند طيِّ السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال.

﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ أي: من بعد ترك[٢] الإمساك.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود

---

(١) في ج، د: «احتقار».

(٢) في أ، ب، هـ: «تركه».

والنصارى؛ جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكوننَّ أهدى منهم.

﴿إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ يعني: اليهود والنصارى.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ بدلٌ من ﴿نُفُورًا﴾.

أو مفعولٌ من أجله.

﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف[1]، كقولك: «مسجدُ الجامعِ»، و«جانبُ الغربيِّ»، والأصل أن يقال: المكرَ السيِّئَ.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ أي: لا يُحيط وبالُ المكر السيئ إلَّا بمن مكَره ودبَّره.

وقال كعب لابن عباس: إن في التوراة: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، فقال ابن عباس: أنا أجد هذا[2] في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾.

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ أي: هل ينتظرون إلَّا عادة الأمم المتقدِّمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

---

(١) كذا وردت العبارة في جميع النسخ الخطية، والعبارة فيها قلبٌ ولعل صوابها: «من إضافة الموصوف إلى الصفة»، كذا قال مكي في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٩٦)، فالموصوف - وهو ﴿مَكۡرَ﴾ - أضيف إلى صفته - وهي ﴿ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾، وليس العكس.

(٢) في أ، هـ: «أجدها».

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ أي: لا يَفُوته شيءٌ، ولا يصعب عليه.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ الضمير للأرض، والدابة: عمومٌ في كل ما يَدِبُّ.

وقيل: أراد بني آدم خاصة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

وباقي الآية وعدٌ ووعيد.

﴿ سورة يس ﴾

[﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدۡ حَقَّ
ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ
فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ
لَا يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ
ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحۡنُ
نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾].

قد تكلَّمنا في «البقرة»[1] على حروف الهجاء.

وقيل: في ﴿يسٓ﴾ إنه من أسماء النبي ﷺ.

وقيل: معناه: «يا إنسان».

﴿تَنزِيلُ﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمر.

وبالنصب:

مصدر.

أو مفعول بفعل مضمر.

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ هم قريش، ويَحتمل أن يدخل معهم سائرُ العرب وسائر الناس.

﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ﴿مَّآ﴾ نافيةٌ، والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسولٌ ينذرهم.

وقيل: المعنى: لتنذر قومًا مثلَ ما أُنذر آباؤهم، فـ ﴿مَّآ﴾ على هذا: موصولة بمعنى «الذي»، أو مصدرية.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾، يعني: أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون[1] بمعنى قولهم: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾[السجدة: ٣] ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدِّمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم هم[2] ولا آباؤهم الأقربون.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآيةَ؛ فيها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها عبارةٌ عن تماديهم على الكفر، ومنْعِ الله لهم من الإيمان، فشبَّههم بمن جُعِل في عنقه غُلٌّ يمنعه من الالتفات، وغُطِّي على بصره فصار لا يرى.

والثاني: أنها عبارةٌ عن كفِّهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميَه بحجر، فرجع عنه فَزِعًا مرعوبًا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وتكون».
(٢) لم ترد في أ، ب، د، هـ.

والثالث: أن ذلك حقيقةٌ في حالهم في جهنم.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله بعدها ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾.

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ الذَّقن: هو طرف الوجه حيث تنبت اللحية.

والضمير للأغلال، وذلك أن الغُلَّ حَلْقَةٌ في العنق، فإذا كان واسعًا عريضًا وصل إلى الذَّقن فكان أشدَّ على المغلول.

وقيل: الضمير للأيدي، على أنها لم يتقدَّم لها ذكرٌ، ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تضم يداه[1] في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود: «إنا جعلنا في أيديهم أغلالًا فهي إلى الأذقان»، وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري[2].

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ يقال: قمَح البعيرُ: إذا رفع رأسه، وأقمحه غيرُه: إذا فعل به ذلك.

والمعنى: أنهم لما اشتدَّت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرَّت رؤوسهم إلى الارتفاع.

وقيل: معنى ﴿مُّقْمَحُونَ﴾: ممنوعون من كل خيرٍ.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآيةَ؛ السُّدُّ: الحائل بين الشيئين، وذلك عبارةٌ عن منعهم من الإيمان.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يده».
(٢) الكشاف (١٣/ ١٣-١٤).

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غطَّينا على أبصارهم، وذلك أيضًا مجازٌ يراد به: إضلالهم.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآيةَ؛ ذكرنا معناها وإعرابها في «البقرة»[(١)].

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلَّا من اتبع الذكر، وهو القرآن.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ معناه كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، وقد ذكرناه في «فاطر»[(٢)].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي: نبعثُهم يوم القيامة.

وقيل: إحياؤهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان.

والأول أظهر.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ أي: ما قدَّموا من أعمالهم، وما تركوه بعدَهم، كعِلْمٍ علَّموه أو تحبيسٍ حبَّسوه.

وقيل: الآثار هنا: الخُطَا إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث[(٣)].

---

(١) انظر (١/ ٢٦٩).

(٢) انظر صفحة ٢١٦.

(٣) أخرج البخاري (٦٥٥) من حديث أنس، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله: قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم، يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة ديارَكم تُكتَب آثارُكم، ديارَكم تكتب آثاركم».

﴿إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي: في كتابٍ، وهو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.



[﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا
أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا
عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ
مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ
أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ
آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا
لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ
قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن
بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا
مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾].

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ الضمير لقريش، و﴿مَّثَلًا﴾ و﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولان بـ ﴿اضْرِبْ﴾ على القول بأنها تتعدّى إلى مفعولين، وهو الصحيح.

والقرية: أنطاكية.

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام يدعون الناس إلى عبادة الله.

وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدلُّ على هذا: قولُ قومهم: ﴿مَا أَنتُمْ

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، فإن هذا إنما يقال لمن ادَّعى أن الله أرسله.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوَّينا الاثنين برسول ثالث، **وقيل**: اسمه شمعون.

﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكَّدوا الخبر هنا باللام؛ لأنه جوابٌ للمنكرين، بخلاف الموضع الأول؛ فإنه إخبار مجرَّدٌ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: تشاءمنا، وأصل اللفظة: مِن زَجْرِ الطير؛ ليستدلَّ على ما يكون من خير أو شر، وإنما تشاءموا بهم؛ لأنهم جاؤوا بدينٍ غيرِ دينهم.

وقيل: وقع فيهم الجُذَام لما كفروا.

وقيل: قَحِطوا.

﴿قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: قال الرسل لأهل القرية: شؤمكم معكم؛ أي: إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم، لا بسببنا.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط، وفي الكلام حذفٌ تقديره: أتتطيَّرون إن ذُكِّرتم؟.

﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يسرع؛ لجِدِّه[1] ونصيحته.

وقيل: اسمه: حبيب النجار.

﴿اتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أُجرةً على الإيمان، فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم،

---

(١) في ج: «بجدِّه».

وتربحون معهم الاهتداءَ في دينكم.

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ المعنى: أيُّ شيءٍ يمنعني من عبادة ربي؟، وهذا توقيفٌ وإخبارٌ عن نفسه قَصد به البيان لقومه، ولذلك قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فخاطبهم.

﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغۡنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ هذا وصفٌ للآلهة، والمعنى: كيف أتخذُ من دون الله آلهةً لا يشفعون، ولا ينقذونني من الضُّرِّ.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: إن اتخذت آلهةً غير الله فإني لفي ضلال مبين.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ خطابٌ لقومه؛ أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي.

وقيل: خطاب للرسل؛ ليشهدوا له.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ قبلَ هذا محذوفٌ يدلُّ عليه الكلام، وروي في الأثر؛ وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه، فلما مات قيل له: ادخل الجنة.

واختُلف هل دخلها حين موته كالشهداء؟ أو هل ذلك بمعنى البِشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها؟

﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِى يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ تمنَّى أن يعلم قومه بغُفْران الله له على إيمانه فيؤمنوا، ولذلك ورد في الحديث: «أنه نصَح لهم حيًا وميتًا»[1].

وقيل: أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه، ويَحزُنَهم ذلك.

---

(١) قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٦٣): «رواه ابن مردويه في تفسيره».

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المعنى: أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء؛ لأنهم أهون من ذلك.

وقيل: المعنى: ما أنزل الله على قومه ملائكةً رسلًا كما قالت قريش: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذِكْرُ الصيحة بعد ذلك.

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ما كنا لنُنْزِل جندًا من السماء على أحد.

﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي: ساكنون لا يتحرَّكون ولا ينطقون.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نداءٌ للحسرة، كأنه قيل(١): «يا حسرةً احضري فهذا وقتكِ»، وهذا التفجُّع عليهم استعارةٌ في معنى التهويل والتعظيم لِمَا فعلوا من استهزائهم بالرسل.

ويحتمل أن يكون من كلام: الملائكة، أو المؤمنين من الناس.

وقيل: المعنى: يا حسرةَ العبادِ على أنفسهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ الضمير: لقريش، أو للعباد على الإطلاق، والرؤية هنا: بمعنى العلم.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ قرئ ﴿لَّمَا﴾ بالتخفيف، وهي لام التأكيد دخلت على «ما» الزائدة، و﴿إِن﴾ على هذا: مخفَّفة من الثقيلة.

وقرئ بالتشديد، وهي بمعنى «إلَّا»، و﴿إِن﴾ على هذا نافية.

---

(١) في ب، د، هـ: «قال».

[﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن
ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا
تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ
﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن
تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ
فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ
لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿مَا﴾ معطوفةٌ على ﴿ثَمَرِهِۦ﴾؛ أي: ليأكلوا من الثمر ومما[1] عملته أيديهم بالحرث والزِّراعة والغِراسة.

وقيل: ﴿مَا﴾ نافية.

وقرئ ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ بغير هاء و﴿مَا﴾ على هذا: معطوفة.

﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ يعني: أصناف المخلوقات، ثم فسَّرها بقوله: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ

(١) في ب، ج، د: «وما».

﴿ٱلْأَرْضُ﴾ وما بعده، فـ «مِن» في المواضع الثلاثة للبيان.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أشياءَ لا يعلمها بنو آدم كقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أن نجرِّده منه، وهي استعارةٌ.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: لحدٍّ موقت تنتهي إليه من فَلَكِها، وهي نهاية جَرْيها إلى أن ترجع في المنقلَبَينِ: الشَّتْوي والصَّيفي.

وقيل: مستقرُّها: وقوفها كلَّ يومٍ وقتَ الزوال، بدليل وقوف الظل حينئذ.

وقيل: مستقرها: يوم القيامة حين تكوَّر.

وفي الحديث: «مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها»[1] وهذا أصحُّ الأقوال؛ لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح.

وقرئ ﴿لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾؛ أي: لا تستقرُّ عن جَرْيها.

﴿والْقَمَرُ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ قرئ بالرفع:

على الابتداء.

أو عطفٌ على ﴿ٱلَّيْلُ﴾.

وبالنصب: على إضمار فعلٍ.

ولا بدَّ في ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ من حذفٍ، تقديره: قدَّرنا سيرَه منازل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

ومنازل القمر ثمانية وعشرون، ينزل القمر كلَّ ليلةٍ واحدةً منها مِن أول الشهر، ثم يستتر[١] في آخر الشهر ليلةً أو ليلتين.

قال الزمخشري: «وهذه المنازل هي مواقع النجوم؛ وهي: الشَّرَطان[٢]، البُطَين، الثريا، الدَّبَران، الهَقْعة، الهَنْعة، الذِّراع، النَّثْرة، الطَّرْف، الجَبهة، الزُّبْرة، الصَّرْفة، العوَّا، السِّماك، الغَفْر، الزُّبانَى، الإكليل، القَلب، الشَّوْلة، النَّعائم، البَلْدة، سَعْدُ الذَّابحِ، سعدُ بُلَعَ، سعدُ السعودِ، سعد الأَخْبيَةِ، فَرْغُ الدَّلْوِ المقدَّمُ، فرغُ الدلو المؤخَّرُ، الرِّشاءُ[٣]»[٤].

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ العرجون: هو غصن النخلة، شبّه القمر به إذا تناهى في نقصانه.

والتشبيه في ثلاثة أوصاف؛ وهي: الرِّقَّة، والانحناء، والصُّفرة.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «يَستسرُّ»، قال ابن سيده في المحكم (٨/ ٤٠٨) «واسْتَسرَّ الهلالُ في آخرِ الشَّهر: خَفِيَ، لا يُلفَظُ به إلَّا مزيدًا. . والسَّرَرُ والسِّرَرُ والسَّرارُ والسِّرارُ كلُّه: الليلةُ التي يَسْتَسِرُّ فيها القَمرُ»، وهي الموافقة لما في الكشاف (٢/ ١١٩٠) ط: كلكتا.

(٢) في ب، ج، د: «السرطان» بالسين، والمثبت هو الصواب فالشرطان -بالشين- هو الذي يعدُّ من منازل القمر الثمانية والعشرين، وأما السرطان -بالسين- فهو من البروج الاثني عشر. انظر: الأنواء لابن قتيبة (ص: ١٧، ١٢٠).

وفي أ، هـ: «النَّطح»، وهو اسم لمنزلة الشَّرَطان أيضًا، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٣/ ٥١).

(٣) في ب: «بطن الحوت»، وهو من أسماء هذه المنزلة كما في الأنواء لابن قتيبة (ص: ٨٥) والمثبت موافق لما في الكشاف.

(٤) الكشاف (١٣/ ٥١-٥٥).

ووصفه بالقديم؛ لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمسَ أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحوَ نوره، هكذا قال بعضهم.

ويَحتمل أن يريد: أن سَيْرَ الشمس في الفَلَك بطيءٌ، فإنها تقطع الفلَك في سنة، وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلَك في شهر، والبطيء لا يدرك السريع.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني: أن كلَّ واحد منهما جعل الله له وقتًا موقَّتًا، وحدًّا معلومًا لا يتعدَّاه، فلا يأتي الليل حتى ينفصلَ النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل.

ويحتمل أن يريد: أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه، فيكون المعنى كالذي قيل[١] في قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك: أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس.

﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في «الأنبياء»[٢].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ معنى ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

---

(١) في ب، ج، هـ: «قبلُ».

(٢) انظر (٣/ ١٤٣).

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ هنا يحتمل أن يريد به:

جنسَ السفن.

أو سفينةَ نوح ﷺ.

وأما الذرية: فقيل: إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح ﷺ، وسمَّى الآباء ذريةً؛ لأن الذرية تناسلت[١] منهم، وأنكر ابن عطية ذلك[٢].

وقيل: يعني: النساء، وذلك بعيد.

والأظهر: أنه إن أراد بالفُلك جنس السفن: فيعني جنسَ بني آدم، وإنما خصَّ ذريتهم بالذِّكر؛ لأنه أبلغُ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارةً إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة.

وإن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بالذرية: مَن كان في السفينة، وسمَّاهم ذريةً؛ لأنهم ذرية آدم ونوح، فالضمير في ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على هذا: لنوع[٣] بني آدم، كأنه يقول: الذرية منهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ إن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ سائرَ السفن التي يركبها الناس.

وإن أراد بالفلك جنس السفن: فيعني بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الإبلَ وسائرَ المركوبات، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوبٌ لا غيرُ.

---

(١) في أ، هـ: «متناسلة».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٠).

(٣) في ب، ج، هـ: «النوع».

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، ولا يُتصوَّر هذا في المركوبات غير السفن.

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: لا مغيث، ولا مُنقِذ لهم من الغرق.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ قال الكسائي: نصْبُ ﴿رَحْمَةً﴾ على الاستثناء، كأنه قال: إلَّا أن نرحمَهم.

وقال الزجاج: نصْبُ ﴿رَحْمَةً﴾ على المفعول من أجله، كأنه قال: إلَّا لأجل رحمتِنا إيَّاهم.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب ﴿وَإِذَا﴾ محذوفٌ، تقديره: «أعرَضوا»، ويدلُّ عليه: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم: ذنوبُهم المتقدِّمة والمتأخِّرة.

وقيل: ما بين أيديهم: عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم: عذاب الآخرة.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضُّون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، فمنذ حرَمهم الله نَحرِمهم نحن، وهذا كقولهم: «كن مع الله على المدْبِر».

والآخر: أن قولهم ردٌّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: الأمور كلها بيد الله، فكان الكفارُ يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء؛ فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟.

ومقصدهم[١] في الوجهين: احتجاجٌ لبخلهم ومنعِهم الصدقات، واستهزاء بمن حضَّهم على الصدقة[٢].

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من بقية كلامهم خطابًا للمؤمنين.

أو يكون من كلام الله خطابًا للكافرين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون: يوم القيامة، أو نزولَ العذاب بهم.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلَّا صيحة واحدة، يعني: النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصَّعْق.

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: تأخذهم بغتةً وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم.

وأصل ﴿يَخِصِّمُونَ﴾: يختصمون، ثم أدغم.

وقرئ بفتح الخاء، وبكسرها، واختلاس حركتها.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم؛ لسرعة الأمر.

---

(١) في ب، د: «ومقصودهم».

(٢) في ب: «بمن يعطي الصدقة».

﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم؛ لسرعة الأمر.



[﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا
مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ
إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا
وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ
﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ
﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ
إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا
صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ
جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي
ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ هذه النفخة الثانية، وهي نفخة القيام من القبور.

و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾: هي القبور.

و﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون المشي.

وقيل: يخرجون.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ الويل: منادى، أو مصدر.

﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ المرقد: يحتمل أن يكون: اسمَ مصدر، أو اسم مكان.

قال أبيُّ بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومةً قبل الحشر.

قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: ﴿مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ أنها استعارةٌ وتشبيه به[(١)]، يعني: أن قبورهم شبِّهت بالمضاجع، لكونهم فيها على هيئة الراقد[(٢)]، وإن لم يكن رقادٌ[(٣)] في الحقيقة.

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ، وما بعده: خبره.

وقيل: إن ﴿هَٰذَا﴾ صفةٌ لـ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، و﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، وهذا ضعيف.

ويحتمل أن يكون هذا الكلام:

من بقية كلامهم.

أو يكون من كلام الله تعالى.

أو من كلام الملائكة.

أو المؤمنين، يقولونها[(٤)] للكفار على وجه التقريع.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٦).

(٢) في ب: «الراقدين».

(٣) في ج، د: «راقدًا».

(٤) في ب: «يقولونه».

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: النفخة الثانية، وهي نفخة القيام.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ قيل: هو افتضاض الأبكار.

وقيل: سماع الأوتار.

والأظهر: أنه عام في الاشتغال بالنعيم[١] واللذات.

﴿فَٰكِهُونَ﴾ قرئ:

بالألف، ومعناه: أصحاب فاكهة.

وبغير ألف، وهو في الفكاهة بمعنى الراحة والسرور.

﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظِلٍّ.

وقرئ بالضم، جمع ظُلَّةٍ.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير.

﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يتمنَّون.

وقيل: معناه: أن ما يدعون به يأتيهم.

﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ.

وقيل: بدلٌ من ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾.

﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكِّد، والمعنى: أن السلام عليهم قولٌ من الله، بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة.

---

(١) في ب: «بالنعم».

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حِدَةٍ.

﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ الجِبِلُّ: الأمة العظيمة.

وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها.

وقرئ:

بكسر الجيم والباء وتشديد اللام.

وبضمهما مع التخفيف.

وبضم الجيم وإسكان الباء.

وهي لغاتٌ بمعنى واحد.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: نمنعهم من الكلام، فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديدٌ لقريش.

والطمس على الأعين: هو العمى، و﴿الصِّرَاطَ﴾: الطريق، و﴿أَنَّىٰ﴾: استفهامٌ يراد به النفي.

فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم؛ فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه.

وقيل: يعني: عمَى البصائر؛ أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم، والطريق على هذا استعارةٌ بمعنى الإيمان والخير.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ هذا تهديدٌ بالمسخ.

فقيل: معناه: المسخ قردةً وخنازير، أو حجارة.

وقيل: معناه: لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرُّفًا.

وقيل: إن هذا التهديد كلَّه بما[1] يكون يوم القيامة.

والأظهر أنه في الدنيا.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ المكانة: المكان، والمعنى: لو نشاء لمسخناهم مسخًا يُقعِدهم في مكانهم.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: إذا مُسخوا في مكانهم لم يَقدِروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي: نحوّل خِلْقتَه من القوة إلى الضعف، ومن الفَهم إلى البَلَه، وشبه ذلك، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

وإنما قصد بذكر ذلك هنا: الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قَدَر على تنكيس الإنسان إذا هَرِمَ.

---

(١) في أ، ب، هـ: «إنما».

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ
حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ
لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ
أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ
﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ
وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ
تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ
وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ الضميران(١) لمحمد ﷺ، وذلك ردٌّ على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا يَنظِم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسَر وزنه.

فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

وروي عنه أيضًا ﷺ:

هل أنت إلَّا إصبَعٌ دَمِيتِ ... وفي سبيل الله ما لقيتِ

وهذا كلامٌ على وزن الشعر.

---

(١) في ج، د: «الضمير».

فالجواب: أنه ليس بشعر؛ لأنه[١] لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونًا بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال فيما جاء في القرآن من الكلام الموزون.

ويقتضي قولُه: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ تنزيهَ النبي ﷺ عن الشعر؛ لما فيه من الأباطيل وإفراط التجوُّز[٢]، حتى يقال: «إن الشعرَ أطيبُه أكذبُه»، وليس كلُّ الشعر كذلك؛ فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»[٣].

وقد أكثر الناس في ذمِّ الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: الشعر كلامٌ، والكلام منه حسَنٌ ومنه قبيح.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن؛ يعني:

أنه ذكرٌ لله.

أو تذكير للناس.

أو شرَفٌ لهم.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: حيَّ القلب والبصيرة.

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يجبَ عليهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ مقصد الآية: تعديدُ نعمةٍ[٤] وإقامة حجة.

---

(١) في ج، د: «وأنه».

(٢) في ب، ج: «التجاوز».

(٣) أخرجه البخاري (٦١٤٥).

(٤) في أ، هـ: «نعمة الله».

والأيدي هنا:

عند أهل التأويل: عبارةٌ عن القدرة.

وهي عند أهل التسليم: من المتشابه الذي يجب الإيمان به، وعلمه عند الله[١].

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الرَّكوب -بفتح الراء-: هو المركوب.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ يعني: الأكْلَ منها والحَمْلَ عليها، والانتفاعَ بالجلود والصوف وغيره.

﴿وَمَشَارِبُ﴾ يعني: الألبان.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للأصنام، وفي ﴿نَصْرَهُمْ﴾ للمشركين.

ويحتمل العكس.

ولكنَّ الأول أرجح؛ فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلهم يُنصرون: أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم، فخاب أملُهم.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ الضمير الأول: للمشركين، والثاني: للأصنام يعني: أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصَّبون لهم؛ حتى إنهم لهم كالجند.

وقيل: بالعكس؛ بمعنى: أن الأصنام جندٌ محضرون لعذاب المشركين في الآخرة.

---

(١) انظر (١٩٥/٢)

والأول أرجح؛ لأنه تقبيحٌ لحال المشركين.

﴿فَلَا يُحْزِنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ، معلَّلةٌ بما بعدها.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهينُ على الحشر يوم القيامة، وردٌّ على من أنكر ذلك.

والنطفة: هي نقطة[1] المنيِّ التي خلق الإنسان منها، ولا شكَّ أن الإله الذي قدَرَ على خِلْقته من نطفة قادرٌ على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث.

وسبب الآية: أن العاصيَ بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: يا محمد من يحيي هذا؟

وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف.

وقيل: أبيُّ بن خلف.

فقال له رسول الله ﷺ: «الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم»[2].

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: متكلِّمٌ قادر على الخصام، يُبين ما في نفسه بلسانه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارةٌ إلى قول الكافر: من يحيي هذا العظم؟.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ أي: نسي الاستدلالَ بخِلْقته الأولى على بعثه.

والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول، أو الترك.

---

(١) انظر (٢/١٩٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

﴿وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية متفتّتة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلالٌ بالخِلْقة الأولى على البعث.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم كيف يخلق كلَّ شيء، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها.

والخَلْق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا، أو بمعنى المخلوق.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليلٌ آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا: طَبْعُ الموت يضادُّ طبعَ الحياة فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماء، مع مضادَة طبع الماء للنار.

ويعني بـ ﴿ٱلشَّجَرِ﴾: زِنادَ العرب، وهو شجر المرْخ والعَفَار، فإنه يُقطع من كل واحد منهما غصنًا أخضر يَقطُر منه الماء، فيُسحق المرخ على العفار، فينقدح[1] النار بينهما.

قال ابن عباس: ليس من شجرة إلَّا وفيها نار إلَّا العُنَّاب، ولكنه في المرخ والعَفَار أكثر.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ هذا دليلٌ آخر على البعث، فإن الإله الذي قَدَر على خِلْقة السموات والأرض على عظمتها وكِبَرِ أجرامها[2] قادرٌ على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها.

---

(١) في ب، ج: «فيقدح».
(٢) في د: «عظمتهما وكبر أجرامهما».

والضمير في ﴿مِثْلَهُمْ﴾ يعود على الناس.

﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ في ذِكْر هذه الاسمين أيضًا استدلالٌ على البعث، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾؛ لأن هذه[1] عبارةٌ عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شكَّ أن الخلاق العليم القدير[2] لا يصعب عليه إعادة الأجساد.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلالٌ على البعث، وتنزيهٌ لله عما نسبه[3] الكفار إليه من العجز عن البعث، وإنهم[4] ما قدروا الله حق قدره، وكلُّ من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه.



(١) في د: «هذا».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «القادر».

(٣) في ب، ج: «ينسبه».

(٤) في د: «فإنهم».

﴿ سورة الصافات ﴾

[﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤
رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ
۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ
۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠
فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ۝١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ۝١٥ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ
دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ
ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾].

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ تقديره: والجماعات الصافات.

ثم اختُلف فيها:

فقيل: هي الملائكة التي تصفُّ في السماء صفوفًا لعبادة الله.

وقيل: هي مَن يصفُّ مِن بني آدم في الصلوات والجهاد.

والأول أرجح؛ لقوله حكايةً عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢﴾ هي الملائكة تزجر السَّحاب وغيرها.

وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم.

وقيل: هي آياتُ القرآن المتضمِّنةُ الزَّجرَ عن المعاصي.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر.

وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم.

وهي كلُّها أشياءُ أقسم الله بها على أنه واحدٌ.

﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ يعني: مشارق الشمس، وهي ثلاث مئة وستون مَشرِقًا، وكذلك المغارب فإنها تَشرُقُ كلَّ يوم من أيام السنة في مَشرق منها، وتَغرب في مغرب.

واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب؛ لأنها مُعادِلةٌ لها، فتُفهم مِن ذكرها.

﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب، والزينة تكون: مصدرًا واسمًا لما يُزَان به.

فإن كان مصدرًا فهو:

مضافٌ إلى الفاعل، تقديره: «بأنْ زَيَّنَت الكواكبُ السماءَ».

أو مضاف إلى المفعول، تقديره: «بأنْ زينَّا الكواكبَ».

وإن كانت اسمًا: فالإضافة بيانٌ للزينة.

وقرئ بتنوين ﴿بِزِينَةٍ﴾:

وخفضِ ﴿ٱلۡكَوَاكِبِ﴾: على البدل.

وبنصب ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾: على أنها:

مفعولٌ بـ ﴿زِينَةٍ﴾.

أو بدلٌ من موضع ﴿زِينَةٍ﴾.

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ:

على المصدر، تقديره: وحفظناها حفظًا.

أو مفعولٌ من أجله، والواو زائدة.

أو محمول على المعنى؛ لأن المعنى: إنا جعلنا الكواكبَ زينةً للسماء وحفظًا.

﴿مَّارِدٍ﴾ أي: شديد الشرِّ.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ للشياطين، و﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ هم الملائكة الذين يسكنون في السماء.

والمعنى: أن الشياطين مُنِعت من سمْع أحاديث الملائكة.

وقرئ ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بتشديد السين والميم، ووزنه يتفَعَّلون، والتَّسمُّع: طلب السماع.

فنفى السَّماع على القراءة الأولى، ونفى طلَبه على القراءة بالتشديد.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٢]، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون، لكنه لا يسمعون شيئًا منذ بعث محمد ﷺ؛ لأنهم يُرْمَون بالكواكب.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: يُرجَمون، يعني: بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقضُّ.

قال النقاش ومكي: ليست الكواكبُ الراجمةُ للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الرَّاجمة تُرى حركتها؛ لقربها منا(١).

قال ابن عطية: وفي هذا نظر(٢).

﴿دُحُورًا﴾ أي: طَرْدًا وإبعادًا وإهانةً؛ لأن الدَّحْر: الدفعُ بعنف.

وإعرابه:

مفعول من أجله.

أو مصدر من ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ على المعنى.

أو مصدر في موضع الحال، تقديره: مدحورين.

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يُرجمون بالنجوم في الدنيا، ثم يعذَّبون بجهنم.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفعٍ، بدلٌ من الضمير في قو ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾.

والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلَّا الشيطان الذي خطف الخطفة.

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٦٠٨٦)

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٧٣).

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: شديدُ الإضاءة.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ الضمير لكفار قريش، والاستفتاء: نوعٌ من السؤال، وكأنه سؤال مَن يُعتَبر قوله ويُجعل حجةً؛ لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم عليهم به الحجة.

و﴿مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يراد به: ما تقدَّم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب.

وقيل: يراد به: من تقدَّم من الأمم.

والأول أرجح؛ لقراءة ابن مسعود: «أَمْ مَنْ عَدَدْنَا».

ومقصد الآية: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعثَ في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشدُّ خلقًا منكم، فكما قدَرْنا على خِلْقتهم[1] كذلك نَقدِر على إعادتكم بعد فنائكم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ اللازب: اللازم؛ أي: يَلزم ما جاوره ويَلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعفُ خِلْقة بني آدم.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: عجبتَ يا محمد من ضلالهم[2] وإعراضهم عن الحق.

أو عجبتَ من قدرة الله على هذه المخلوقات العِظام المذكورة.

وقرئ ﴿عَجِبْتُ﴾ بضم التاء، وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجب

---

(١) في أ، ب، هـ: «خلقكم»، وفي ج: «خلقتكم».

(٢) في ب، ج، د: «ضلالتهم».

مستحيلٌ على الله فتأوَّله(١) بمعنى: أنه جعله على حالٍ تعجَّب منها(٢) الناس.

وقيل: تقديره: «قل يا محمد: عجبتُ».

وقد جاء التعجُّب من الله في القرآن والحديث، كقوله ﷺ: «يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة»(٣)، وهو صفة فعل، وإنما جعلوه مستحيلًا على الله؛ لأنهم قالوا إن التعجُّب استعظامٌ خَفِيَ سببُه، والصواب: أنه لا يلزم أن يكون خفيَّ السببِ، بل هو لمجرَّد الاستعظام؛ فعلى هذا: لا يستحيل على الله(٤).

---

(١) في د، هـ: «فتأولوه».

(٢) في ب، ج: «ليعجب منه»، وفي د: «يتعجب منها»

(٣) أخرجه أحمد (١٧٣٧٠).

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ، «وأشكل ذلك» إلخ أي: نسبة العجب إلى الله، كما في القراءة المشار إليها، وهي قراءة سبعية، أي: أشكل ذلك على نفاة العجب عن الله، وهم كل من ينفي قيام الصفات الفعلية بالله؛ كالأشاعرة والكلابية والماتريدية، وهم الذين عناهم المؤلف بقوله: إنهم يقولون: إن التعجب مستحيلٌ على الله؛ لأنه استعظام شيء خفي سببه، وقد خالفهم المؤلف في تفسير التعجب، فجوَّزه على الله، واستشهد له ببعض ما جاء في السنة، وقد أصاب في ذلك، والذين نفوا العجب عن الله أوَّلوا ما جاء في القرآن والسنة مما يدل على إثبات العجب بتأويلات، منها ما أورده المؤلف، فجمعوا بين التعطيل بنفي الصفات، والتحريف بتأويل الآيات، والجاري على مذهب أهل السنة والجماعة إثبات العجب من الله، كغيره من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، كالغضب والرضا والمحبة والكراهة، وليس شيء من ذلك يشبه صفات المخلوقين، فليس عَجب الله كعَجب المخلوق، ولا حبه كحبه، ولا رضاه كرضاه. وهذا هو الحق الذي قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك، أو من العبث.

﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ الآية هنا: العلامة، كانشقاق القمر ونحوه.

وروي أنها نزلت في مشرك اسمه رُكَانة، أراه النبي ﷺ آياتٍ فلم يؤمن.

و﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ معناه: يسخرون، فيكون «فَعَلَ» و«استفْعَلَ» بمعنى واحد.

وقيل: معناه: يستدعي بعضهم بعضًا لأنْ يسخر.

وقيل: يبالغون في السُّخريَة.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآيةَ؛ معناها: استبعادهم للبعث.

وقد تقدَّم الكلام على الاستفهامين في «الرعد»[1].

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو، دخلت[2] همزة الإنكار على واو العطف.

وقرئ بالإسكان عطفًا بـ«أو».

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: قل: تبعثون. والدَّاخر: الصَّاغر الذَّليل.

﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يَحتمل أن يكون:

مِن النظر بالأبصار.

أو من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يُفعل بهم.

---

(١) انظر (٢/ ٦٦٩).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ودخلت».

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ يَحتمل أن يكون:

من كلامهم، مثل الذي قبله.

أو مما يقال لهم، مثل الذي بعده.

* * *

[﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ
الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا
لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا
لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ
الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ
عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ
﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا
نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ
إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾

﴿ٱحۡشُرُواْ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للملائكة، خاطبهم به الله تعالى، أو خاطب به بعضهم بعضًا.

﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ يعني: نساءَهم المشركات.

وقيل: يعني: أصنافَهم وقرناءهم من الجن والإنس.

﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ يعني: الأصنام والآدميين الذي كانوا يرضون بذلك.

﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على طريق[1] جهنم ليدخلوها.

﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ يعني: إنهم يُسألون عن أعمالهم، توبيخًا لهم.

وقيل: يسألون عن قول: «لا إله إلا الله».

والأول أرجح؛ لأنه أعم.

ويحتمل أن يُسألوا عن عدم تناصرهم، على وجه التهكُّم بهم، فيكون ﴿مَّسۡـُٔولُونَ﴾ عاملًا فيما بعده، والتقدير: يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا وقد كنتم في الدنيا تقولون: نحن جميع منتصرٌ؟.

﴿مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ أي: منقادون عاجزون عن الانتصار.

﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾ الضمير في ﴿قَالُوٓاْ﴾:

للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراءَ منهم في جهنم.

أو للإنس خاطبوا الجنَّ.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «صراط».

و﴿ٱلۡيَمِينِ﴾ هنا يَحتمل ثلاثة معانٍ:

الأول: أن يراد بها: طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين، كما أن العبارة عن الشر بالشمال، والمعنى: أنهم قالوا لهم: إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدُّوننا عنه.

والثاني: أن يراد بها: القوة، والمعنى على هذا: إنكم كنتم تأتوننا بقوَّتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان.

والثالث: أن يراد بها: اليمين التي يُحلَف بها؛ أي: كنتم تأتوننا بأنْ تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدِّقكم في ذلك ونتَّبعَكم.

﴿قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٢٩﴾ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾:

للكبراء من الكفار.

أو للشياطين.

والمعنى: أنهم قالوا لأتباعهم: ليس الأمر كما ذكرتم، بل كفرتم باختياركم.

﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٣١﴾ أي: وجب العذاب علينا وعليكم.

و﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ معمول القول، وحذف معمول ﴿لَذَآئِقُونَ﴾ تقديره: وجب القول بأنا ذائقون العذابَ.

﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝٣٢﴾ أي: دعوناكم إلى الغيِّ؛ لأنا كنَّا على غيٍّ.

﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ۝٣٣﴾ أي: إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، ويعنون بـ﴿شَاعِرٍ مجنون﴾: محمدًا ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق، ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله؛ لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به.

ويَحتمل أن يكون صدَّقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوَّته فظهر صدْقهم لما بُعِث ﷺ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ استثناء منقطع بمعنى «لكن».

وقرئ ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها في كل موضع، وقد تقدَّم تفسيره[(١)].

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ السُّرر: جمع سرير، وتقابُلُهم في بعض الأحيان؛ للسُّرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره[(٢)].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥﴾ الذين يطوفون عليهم: الولدان، حسَبما ورد في الآية الأخرى[(٣)].

والكأس: الإناء الذي فيه خمر. قاله ابن عباس.

وقيل: الكأس: إناءٌ واسع الفم، ليس له مِقبَض، سواءٌ كان فيه خمر أم لا.

---

(١) انظر (٢/ ٦٢٧).

(٢) في ب، ج، د: «بقصره».

(٣) يعني قوله تعالى في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧﴾.

والمعين: الجاري الكثير؛ ووزنه فَعِيل، والميم فيه أصلية.

وقيل: هو مشتقٌّ من العين، فالميم زائدة، ووزنه: مفعول.

﴿لَذَّةٍ﴾ أي: ذات لذة، فوصَفها بالمصدر اتساعًا.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغول: اسم عامٌّ في الأذى والضُّر، ومنه يقال: غاله يغوله: إذا أهلكه.

وقيل: الغول: وجعٌ في البطن.

وقيل: صداعٌ في الرأس.

وإنما قدَّم المجرور هنا؛ تعريضًا بخمر[1] الدنيا لأن الغول فيها.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي: لا يَسكرون من خمر الجنة، ومنه النَّزِيف، وهو السكران.

و«عن» هنا سببية، كقولك: «فعلته عن أمرك»، أي: لا يُنزَفون بسبب شربها.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ معناه: أنهن قصرْنَ أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

﴿عِينٌ﴾ جمع عَيْناءَ، وهي الكبيرة العينين في جمالٍ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ قيل: شبَّههن في اللون ببَيض النعام؛ لأنه

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «الخمر».

بياض خالطه(١) صفرة حسنةٌ، ولذلك قال امرؤ القيس:

كبِكْرِ مُقاناةِ البياض بصُفْرةٍ(٢)

وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشر الأول(٣).

وقيل: أراد الجوهر المصون.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝﴾ هذا إخبارٌ عن تحدُّث أهل الجنة.

قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾، والمعنى: أنهم يشربون فيتحادثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا(٤).

﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقرينَه من البشر، مؤمنٌ وكافرٌ.

وقيل: كان قرينُه من الجن.

﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝﴾ معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار: أتصدِّق بالدين والآخرة؟

﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجازَون ومحاسَبون على الأعمال، ووزنه: مفعول، وهو من الدِّين، بمعنى الجزاء والحساب.

---

(١) في ب: «خالَلهُ»، وفي ج، هـ: «خالطته».

(٢) هذا صدر بيت من معلقته الشهيرة، وعجزه: «غذاها نَميرُ الماء غيرَ محلَّلِ»، والبكر: أول بيضةٍ تبيضها النعامة، والمقاناة: المخالَطة، التي قُونِيَ بياضُها بصفرة؛ أي: خُلط بياضها بصفرة. انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري (ص: ٧٠-٧١).

(٣) في ب، هـ: «القشرة الأولى».

(٤) الكشاف (١٣/ ١٤٧).

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائلُ لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخُدَّامه: هل أنتم مطَّلعون على النار لأريكم ذلك القرينَ فيها؟

وروي أن في الجنة كُوًى ينظرُ منها أهلُها إلى النار.

﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في وسَطها.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ أي: تهلكُني بإغوائك، والرَّدى: الهلاك، وهذا خطابٌ خاطب به المؤمن قرينَه الذي في النار.

﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ هذا من كلام المؤمن:

خطابًا لقرينه.

أو خطابًا لرفقائه في الجنة، ولهذا قال: ﴿نَحْنُ﴾، فأخبر عن نفسه وعنهم.

ويَحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ يَحتمل أن يكون:

من كلام المؤمن.

أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة.

أو من كلام الله تعالى.

وكذلك يَحتمل[1] هذه الوجوه في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾.

---

(١) في د، هـ: «تحتمل».

والأرجح فيه: أن يكون من كلام الله تعالى؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلًا به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقةٌ في الدنيا ففيه تحريضٌ على العمل الصالح.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ الإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى نعيم الجنة وكلِّ ما ذكر من وصفها.

وقال الزمخشري: الإشارة إلى قوله: ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾[1].

والنُّزُل: الضيافة.

وقيل: الرزق الكثير.

وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراكٌ؛ لأن الكلام تقريرٌ وتوبيخ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ قيل[2]: سببها: أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟

فالفتنة على هذا: الابتلاء في الدنيا.

وقيل: معناه: عذاب الظالمين في الآخرة.

والمراد بالظالمين هنا: الكفار.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: تنبت في قَعْر جهنم، وترتفع

---

(١) الكشاف (١٣/ ١٥٤).

(٢) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

أغصانها إلى دركاتها.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ الطلع: ثمر النخلة، فاستُعير لشجرة الزقوم، وشُبّه برؤوس الشياطين؛ مبالغةً في قبحه وكراهته؛ لأنه قد تقرَّر في نفوس الناس كراهتُها وإن لم يروها، ولذلك يقال للقبيح المنظر: وجه شيطان.

وقيل: رؤوس الشياطين: شجرة معروفة باليمن.

وقيل: هو صنف من الحيات.

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: مِزاجًا من ماء حار.

فإن قيل: لم عطف هذه الجملة بـ ﴿ثُمَّ﴾؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان، فالمعنى: أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم، وبعد ذلك يشربون الحميم.

والثاني: أنه لترتيب مضاعفة العذاب، فالمعنى: أن شُرْبهم للحميم أشدُّ مما ذُكِر قبله.

﴿يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع: الإسراع الشديد.

[﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ
مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ
﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ
﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا
لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا
تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾
فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى
ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾].

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ أي: دعانا، يعني: دعاءه بإهلاك قومه ونصرته عليهم.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرق.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ أهلُ الأرض كلُّهم من ذرية نوح؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة، تناسل الناس من أولاده الثلاثة: سامٍ وحامٍ ويافثٍ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨﴾ معناه: أبقينا له ثناءً جميلًا في الناس إلى يوم القيامة.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ هذا تسليمٌ من الله على نوح عليه السلام.

وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول ﴿وَتَرَكْنَا﴾، وهي محكيةٌ؛ أي: تركنا هذه الكلمة تقال له، يعني: أن الخلق يسلِّمون عليه.

فيُبتدأ بـ ﴿سَلَٰمٌ﴾ على القول الأول، لا على الثاني.

والأول أظهر.

ومعنى ﴿فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

على القول الأول: تخصيصه بالسلام عليه من بين العالمين، كما تقول: أُحبُّ فلانًا في الناس، أي: أحبه خصوصًا من بين الناس.

ومعناه على القول الثاني: أن السلام عليه ثابتٌ في العالمين.

وهذا الخلاف يجري حيثما ذُكِر ذلك في هذه السورة.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الشِّيعة: الصنف المتفِق، فمعنى ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: على دينه في التوحيد.

والضمير يعود: على نوح.

وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أظهر.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ عبارةٌ عن إخلاصه، وإقباله بكليَّته على الله تعالى، وليس

المراد المجيء بالجسد.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سليمٍ من الشرك والشك وجميع العيوب.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ الإفك: الباطل، وإعرابه هنا: مفعول من أجله، و﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به.

وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾: مفعول به، و﴿ءَالِهَةً﴾: بدل منه.

وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾: مصدر في موضع الحال، تقديره: «آفِكين»؛ أي: كاذبين.

والأول أحسن.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ المعنى: أيُّ شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبَكم به، وقد عبدتم غيره؟

أو أي: شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره؟، كما تقول: «ما ظنك بفلان؟» إذا قصدتَ تعظيمه.

فالمقصد على المعنى الأول: تهديدٌ، وعلى الثاني: تعظيمٌ لله وتوبيخ لهم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه، فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ ليمتنعَ عن الخروج معهم، فيكسرَ أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم.

وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنها كانت تأخذه الحمَّى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى

وقت الحمى، واعتذر عن الخروج بأنه سقيم من الحمى.

والثاني: أن قومه كانوا منجِّمين وكان هو يعلم أحكام النجوم، فأوهمهم أنه استدلَّ بالنظر في علم النجوم أنه يَسقَم، فاعتذر بما يخاف من السُّقْم عن الخروج معهم.

والثالث: أن معنى نظر في النجوم: أنه نظر وفكَّر فيما يكون من أمره معهم فقال: إني سقيم، والنجوم على هذا: ما يَنجُم من حاله معهم، وليست نجوم السماء، وهذا بعيد.

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على حسَب هذه الأقوال:

[أ-] **يَحتمل أن يكون حقًّا لا كذبَ فيه ولا تجوُّز أصلًا**، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ: «أن إبراهيم كَذَب ثلاث كذبات، أحدها[1]: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾»[2].

[ب-] **ويحتمل أن يكون كذِبًا صُرَاحًا**، وجاز له ذلك على هذا الاحتمال؛ لأنه فعَل ذلك من أجل الله؛ إذ قصَد كسر الأصنام.

[ج-] **ويحتمل أن يكون من المعاريض**:

فأراد أنه سقيم فيما يُستقبل؛ لأن كل إنسان لا بدَّ أن يمرض.

أو أراد أنه سقيمُ النفْس من كفرهم وتكذيبهم له.

وهذا التأويل أولى؛ لأن نفْيَ الكذب بالجملة يُعارض الحديث، والكذب

---

(١) في أ، هـ: «إحداها».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

الصراح لا يجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهي جائزة.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠﴾ أي: تركوه إعراضًا عنه، وخرجوا إلى عيدهم.

وقيل: إنه أراد بالسُّقْم الطاعون وهو داءٌ يعدي، فخافوا منه وتباعدوا عنه؛ مخافة العدوى.

﴿فَرَاغَ﴾ أي: مال.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام.

﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بيمنى يديه.

وقيل: بالقوة.

وقيل: بالحَلِف، وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

والأول أظهر وأليق بالضرب.

و﴿ضَرْبًا﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿يَزِفُّونَ﴾ أي: يسرعون.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥﴾ أي: تنْجرون، والنحت: النِّجارة، إشارةٌ إلى صنعهم[1] للأصنام من الحجارة أو الخشب.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ ذهب قوم إلى ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى:

---

(١) في أ، هـ: «صنعتهم».

الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدةٌ في خلق أفعال العباد.

وقيل: إنها موصولة بمعنى «الذي»، والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام، وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام.

وقيل: إنها نافية.

وقيل: إنها استفهامية.

وكلاهما باطل.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ **قيل**: البنيان: في موضع النار.

وقيل: بل كان للمنجنيق، الذي رُمي عنه.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ **يعني**: حَرْقَه بالنار.

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: المغلوبين.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ **قيل**: إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد: أنه ذاهب؛ أي: مهاجر إلى الله، فهاجر إلى أرض الشام.

وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يُطرح في النار، وأراد: أنه ذاهب إلى ربه بالموت؛ لأنه ظن أن النار تحرقه.

و﴿سَيَهْدِينِ﴾:

على القول الأول: يعني الهدى إلى صلاح[1] الدين والدنيا.

---

(١) في أ، ج: «إصلاح».

وعلى القول الثاني: إلى الجنة.

وقالت المتصوفة: معناه: إني ذاهب إلى ربي بقلبي، أي: مقبلٌ على الله بكليته، تاركٌ لما سواه.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني: ولدًا من الصالحين.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ أي: عاقل.

واختلف الناس في هذا الغلام المبشَّر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟

فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين: هو إسماعيل، وحجتهم من ثلاثة أوجه:

الأول: أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا ابن الذبيحين»**(١) يعني: إسماعيلَ ﷺ، ووالدَه عبد الله، حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسَّر الله له أمر زمزم، ففداه بمئة من الإبل.

والثاني: أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾، فدلَّ ذلك على أن الذبيح غيره.

والثالث: أنه روي أنه إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل.

وذهب عليٌّ بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين: إلى أن

(١) لم أقف على إسناد له.

الذبيح إسحاق، وحجتهم من وجهين:

الأول: أن البِشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق؛ لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

والثاني: أنه روي أن يعقوب كان يكتب: من يعقوب إسرائيل[١] ابن إسحاق ذبيح الله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ يريد بالسعي هنا: العمل والعبادة.

وقيل: المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ﴿قال إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ يحتمل أن يكون:

رأى في المنام الذَّبح، وهو الفعل.

أو أُمِر في المنام أن يذبحه.

والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ورؤيا الأنبياء وحيٌ، فوجب[٢] عليهم الامتثال على الوجهين.

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «إسرائيل الله» بزيادة اسم الله، وقال الشيخ أحمد شاكر تعليقًا على هذا المروي في تفسير الطبري (١٦/ ٢٠١): «في التاريخ [يعني: تاريخ الطبري]: «إسرائيل الله»، وكأن الذي في التفسير [أي: بدون زيادة اسم الله] هو الصواب، لأن «إيل» بمعنى «الله»، و«إسرا»، يضاف إليه، وكأن «إسرا»، بمعنى: «سَرِيّ»، وهو بمعنى المختار، كأنه: «صفي الله» الذي اصطفاه. وفي تفسير ذلك اختلاف كثير».

(٢) في ب، ج: «يوجب».

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ إن قيل: لم شاوره في أمرٍ هو محتَّمٌ[١] من الله؟

فالجواب: أنه لم يشاوِرْه ليَرجعَ إلى رأيه، ولكن ليَعلم ما عنده فيثبِّت قلبَه ويوطِّن نفسَه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي: استسلما وانقادا لأمر الله.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرَعه بالأرض على جبينه، وللإنسان جبينان حول الجبهة.

وجواب ﴿فَلَمَّآ﴾:

محذوفٌ عند البصريين، تقديره: فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم.

وقال الكوفيون: جوابها: ﴿تَلَّهُۥ﴾ والواو زائدة.

وقال بعضهم: جوابها: ﴿نَـٰدَيْنَـٰهُ﴾ والواو زائدة.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ يَحتمل أنه يريد:

بقلبك، أي: كانت عندك رؤيا صادقةٌ فعملتَ بحسَبها.

ويحتمل أن يريد: بعملك؛ أي: وفَّيت حقَّها من العمل.

فإن قيل: إنه أُمر بالذبح ولم يَذْبَح، فكيف قيل له: ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾؟

فالجواب: أنه قد بذل جهده؛ إذ عزم على الذِّبح ولو لم يَفْدِه الله لذَبحه، ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناعُ ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله، وقد قضَى إبراهيم ما عليه.

---

(١) في أ، هـ: «حتمٌ».

﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أي الاختبار البيِّن، الذي تظهر[١] به طاعة الله.

أو المحنة البيِّنة الصعوبة.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ الذِّبح: اسم لما يذبح، وأراد به هنا: الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة.

وقيل: إنه الكبش الذي قرَّب به ولد آدم، ووصفه بـ ﴿عَظِيمٍ﴾ لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبَّل.

وروي في القَصص: أن الذبيح قال لإبراهيم: «اشدد رباطي لئلا أضطرب واصرف بصرك عني لئلا ترحمني»، وأنه أمرَّ الشفرة على حَلْقه فلم تقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله.

وقد أكثر الناس في قَصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ دون قوله: «إنَّا»، وقال في غيرها: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم في قصة إبراهيم نفسها: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ فأغنى عن تكرار «إنَّا» هنا.

---

(١) في ب، ج، د: «يظهر».

[﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾
ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾].

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ يعني: بالنبوة وغير ذلك.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرقَ، أو تعذيبَ فرعون وإذلالَه لهم.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما.

وقيل: على موسى وهارون خاصةً، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ يعني: التوراة، ومعنى ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البيِّن.

وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع(١).

---

(١) انظر المقدمة (١/ ١١٧).

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ إلياس: من ذرية هارون.

وقيل: إنه إدريس.

وقد أخطأ من قال: إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ البَعْل: الربُّ بلغة اليمن.

وقيل: بعل: اسم صنم كان لهم يقال له: بعلبك.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ ءَالِ يَاسِينَ﴾ ﴿ءَالِ﴾ هنا - على هذه القراءة -: بمعنى أهل، و﴿يَاسِينَ﴾ اسم لإلياس.

وقيل: لأبيه.

وقيل: اسم لمحمد ﷺ.

وقرئ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة، وهو على هذا جمع إلياسيّ؛ أي: منسوب لإلياس، حذفت منه الياء كما حذفت من «أعجمين».

وقيل: سمَّى كل واحد من آل إلياس بإلياس، ثم جمعهم.

وقيل: هي لغة في «إلياس».

﴿عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قد ذُكِر[١].

---

(١) انظر (٢/ ٧٢٣).

[﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى
بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن
يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾
فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾
أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ
إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا
تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ
﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا
مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ
صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ
رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في «يونس»[1] و«الأنبياء»[2].

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ أي: هرب إلى السفينة، والفلك هنا: واحد، و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

---

(١) انظر (٢/ ٥٦٧).

(٢) انظر صفحة ١٦٤.

وسبب هروبه: غضبه على قومه حين لم يؤمنوا.

وقيل: إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معيَّن حسَبما أعلمه الله، فلما رأى قومه مَخايِل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب، فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ معنى ﴿سَاهَمَ﴾: ضرب القرعة، والسُّهْمة: هي القرعة، والمدحض: المغلوب في القرعة والمحاجَّة.

وسبب مقارعته(١): أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تجْرِ، فقالوا: إنما وقفت مِن حدثٍ أحدثه أحدنا، فنقترع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر فالتقمه الحوت.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يلام عليه، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ تسبيحه: هو قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، حسَبما حكى الله عنه في «الأنبياء».

وقيل: هو قوله: «سبحان الله».

وقيل: هو الصلاة، واختُلف على هذا: هل يعني صلاتَه في بطن الحوت، أو قبل ذلك.

---

(١) في د: «قرعته»..

واختُلف في مدة بقائه في بطن الحوت:

فقيل: ساعة.

وقيل: ثلاثة أيام.

وقيل: سبعة أيام.

وقيل: أربعون يومًا.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ العراء: الأرض الفضاء التي لا شجر فيها، ولا ظل.

وقيل: يعني: الساحل.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بَضعةَ لحمٍ.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ١٤٦﴾ أي: أنبتناها فوقَه؛ لتُظِلَّه وتقيَه حرَّ الشمس.

واليقطين: القَرع، وإنما خصَّه الله به؛ لأنه يجمع برد الظل، ولين الملمس، وكِبَر الورق، وأن الذباب لا يقربه؛ فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب.

وقيل: اليقطين: كل شجرة لا ساق لها، كالبقول، والقرع، والبطيخ.

والأول أشهر.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ يعني: رسالته الأولى التي أبَقَ بعدها.

وقيل: هذه رسالةٌ ثانية بعد خروجه من بطن الحوت.

والأول أشهر.

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل: ﴿أَوْ﴾ هنا: بمعنى «بل»، وقرأ ابن عباس: «بل يزيدون».

وقيل: هي بمعنى الواو.

وقيل: هي للإبهام.

وقيل: المعنى: أن البشر إذا نظر إليهم يتردَّد فيقول: هم مائة ألف أو يزيدون.

واختُلف في عددهم:

فقيل: مئة وعشرون ألفًا.

وقيل: مئة وثلاثون ألفًا.

وقيل: مئة وأربعون ألفًا.

وقيل: مئة وسبعون ألفًا.

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ روي أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرقوا بينها[1] وبين الأمهات، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا، فرفع الله العذاب عنهم.

و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: إلى آجالهم[2].

وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياءَ كثيرة أسقطناها؛ لضعف صحتها.

---

(١) في ب، ج: «بينهما».

(٢) في أ، هـ: «أجلهم».

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما[1].

والضمير المفعول: لقريش وسائر الكفار، أي: اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضيزى، ثم قرَّرهم على ما زعموا من أن الملائكة إناثٌ[2] وردَّ عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون:

بمعنى الشهادة.

أو بمعنى الحضور؛ أي: أنهم لم يحضروا على ذلك ولم يعلموه.

ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾، ثم قرَّرهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات، وذلك كله ردٌّ عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علوًّا كبيرًا.

﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل.

﴿مَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية معناها: التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢٠٦).

(٢) في ب، ج: «بنات».

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ أي: برهان بيِّنٌ.

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ تعجيزٌ لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتجُّون به.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا۟﴾ لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الجِنَّة هنا: الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتقٌّ من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستورون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذين جعلوا بين الله وبينهم: قولهم: إنهم بنات الله.

والقول الثاني: أن الجن هنا الشياطين[١]، وفي النسب الذي جعلوا بينه وبينهم قولان:

أحدهما: أن بعض الكفار قالوا: إن الله والشيطان[٢] أخوان، تعالى الله عن ذلك.

والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكَح في الجن فوَلدت له الملائكةَ ﷻ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة: فالضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب.

ومن قال: إن الجن الشياطين: فالضمير يعود عليهم؛ أي: قد علمت

(١) في أ، ج، هـ: «الشيطان».

(٢) في أ، د، هـ: «والشياطين».

الشياطين إنهم محضرون في العذاب.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ استثناءٌ منقطع: من المحضرين، أو من الفاعل في ﴿يَصِفُونَ﴾.

والمعنى:

لكنَّ عباد الله المخلصين لا يُحضَرون في العذاب.

أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ هذا خطابٌ للكفار والمراد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها.

و﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ عطفٌ على الضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾، ويجوز أن تكون الواو بمعنى «مع».

ومعنى ﴿فَٰتِنِينَ﴾: مُضِلِّين.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، و«على» سببية معناها التعليل، و﴿مَنْ هُوَ﴾: مفعول بـ ﴿فَٰتِنِينَ﴾.

والمعنى: إنكم أيها الكفار وكلَّ ما تعبدونه لا تُضِلون أحدًا إلَّا من قضى الله أن يصلى الجحيم؛ أي: لا تقدرون على إغواء الناس إلَّا بقضاء الله.

وقال الزمخشري: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على الله تعالى(١).

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢١٢)، وقال: «فإن قلتَ: كيف يَفتنونهم على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، من قولك: فَتن فلانٌ على فلان امرأتَه، كما تقول: أفسدها عليه وخبَّبها عليه».

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤﴾ هذا حكايةُ كلام الملائكة ﷷ، وتقديره: ما منا ملَك إلَّا وله مقام معلوم، فحذف الموصوف لفهم الكلام.

والمقام المعلوم:

يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه؛ لأن منهم من هو في السماء الدنيا وفي الثانية وفي السموات وحيث شاء الله.

ويحتمل أن يراد به: المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ أي: الواقفون صفوفًا في العبادة، ولذلك أُمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم؛ ليقتدوا بالملائكة، وليس أحدٌ من أهل الملل يصلُّون صفوفًا إلَّا المسلمون.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ **قيل**: معناه: المصلون؛ لأن الصلاة يقال لها: تسبيحٌ.

وقيل: معناه: القائلون «سبحان الله».

وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة ردٌّ على من قال: إنهم بنات الله أو شركاء له؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له.

ويدلُّ هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجن قبلَ هذا: الملائكة.

وقيل: إن هذا كلَّه من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين.

والأول أشهر.

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ الضمير: لكفار قريش وسائر العرب.

والمعنى: أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون: لو أرسل الله إلينا رسولًا أو أنزل علينا كتابًا لكنا عباد الله المخلصين.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ الضمير:

للذِّكر.

أو لمحمد ﷺ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدَّم ذكره.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ المعنى: سبق القضاءُ بأن المرسلين منصورون على أعدائهم، وأن جند الله غالبون.

وهذا النصر والغلبة: بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسعادة في الآخرة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ أي: أعرض عنهم، وذلك موادَعةٌ منسوخة بالسيف.

والحين هنا يراد به: يوم بدر.

وقيل: حضور آجالهم[1].

وقيل: يوم القيامة.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعيد لهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ إشارةٌ إلى قولهم: «متى هذا الوعد؟» و«أمطر

---

(١) في أ، هـ: «أجلهم».

علينا حجارة من السماء»، وشبه ذلك.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ السَّاحة: الفِناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور.

وسوء الصباح: مستعمل في ورودِ الغارات والرَّزايا.

ومقصد الآية: التهديد بعذابٍ يحُلُّ بهم بعد أن أُنذِروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيلٌ بقوم أنذرهم ناصحٌ بأن جيشًا يحُلُّ بهم فلم يقبلوا نصحه، حتى جاءهم الجيش فأهلكهم.

﴿وَأَبْصِرْ﴾ كرَّر الأمرَ بالتولِّي عنهم والوعدَ والوعيدَ على وجه التأكيد.

وقيل: أراد بالوعيد الأول: عذاب الدنيا، وبالثاني: عذاب الآخرة.

فإن قيل: لم قال أوَّلًا ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾، وقال هنا: ﴿وَأَبْصِرْ﴾، فحذف الضمير المفعول؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه اكتفى بذكره أوَّلًا عن ذكره ثانيًا، فحذفه اختصارًا.

والآخر: أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدَّم وغيرِهم، كأنه قال: «أبصر جميع الكفار»، بخلاف الأول، فإنه في قريش خاصةً.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ نزَّه اللهُ تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالًا كثيرةً شنيعةً.

و﴿ٱلْعِزَّةِ﴾:

إن أراد بها: عزة الله فمعنى ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها.

وإن أراد بها: عزة الأنبياء والمؤمنين فمعنى ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: مالكُها وخالقها.

ومن هذا قال محمد بن سُحنون(١): من حلف بعزة الله؛ فإن أراد صفةَ الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين(٢).

ثم ختم الله هذه السورة بالسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فأما السلام على المرسلين: فيحتمل أن يريد به:

التحيةَ.

أو سلامتَهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلًا لقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾.

وأما الحمد فيحتمل أن يريد به:

الحمدَ على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك.

---

(١) محمد بن سُحنون - واسمه عبد السلام - بن سعيد التنوخي، ابن الفقيه المالكي المعروف، تفقه بأبيه، وتوفي سنة (٢٥٦هـ). الديباج المذهب (٢/ ١٦٩).

(٢) انظر: النوادر والزيادات، لابن أبي زيد القيرواني (٤/ ١٥).

ويحتمل أن يريد الحمد على الإطلاق[1].

* * *

(١) جاء في ب هنا: «كمل تفسير «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حليم كريم قوي معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مباركًا فيه».
وجاء في ج هكذا: «كمل تفسير سورة «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته والتابعين من بعده وسلم تسليمًا، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حليم كريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

﴿ سورة داود عليه السلام(١) ﴾

[﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم
مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ
كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ
وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا
ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ
عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ
فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ
وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لَـۡٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن
كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾].

﴿صٓ﴾ تكلمنا في حروف الهجاء في «البقرة»(٢).

ويختصُّ بهذا أنه قيل فيه: معناه: «صدَق محمدٌ».

وقيل: هو حرف من اسم الله: «الصمد»، أو «صادق الوعد»، أو «صانع المصنوعات».

---

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص: ٩١): «سورة ص»، وتسمى سورة داود عليه السلام».

(٢) انظر (١/ ٢٦١).

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ هذا قسمٌ، جوابه محذوفٌ تقديره: إن القرآن من عند الله، أو إن محمدًا ﷺ لصادق وشبه ذلك.

وقيل: جوابه في قوله ﴿صٓ﴾؛ إذ هو بمعنى: صدَق محمد.

وقيل: جوابه: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾، وهذا بعيد.

وقيل: جوابه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ وهذا أبعد.

ومعنى ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾:

ذي الشرف.

أو الذِّكرى بمعنى الموعظة.

أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: قريشًا، و﴿بَلْ﴾ للإضراب عن كلام محذوف، وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشِّقاق.

والعزة هي: التكبر، والشقاق: العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدَّتهما، وتفاقُم الكفار فيهما.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ إخبارٌ يتضمَّن تهديدًا لقريش.

﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ المعنى: أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك.

و﴿لَاتَ﴾ بمعنى: ليس، وهي «لا» النافية زيدت عليها علامة التأنيث،

كما زيدت في «رُبَّت» و«ثَمَّت»، ولا تدخل «لات» إلَّا على الأزمان، واسمها مضمر، و﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ خبرها، والتقدير: وليس الحينُ الذين دعوا فيه حينَ مناص.

والمناصُ: المفرُّ والنجاة، من قولك: ناص ينوص إذا فرَّ.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، والمنذر: محمد ﷺ؛ أي: استبعدوا أن بَعث الله رسولًا منهم.

ويَحتمل:

أن يريد مِن قبيلتهم.

أو يريد من البشر مثلهم.

﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كان الأصل: «وقالوا»، ولكن وضع هذا الظاهر موضع المضمر؛ إظهارًا للغضب، وقصدًا لوصفهم بالكفر.

﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ هذا إنكارٌ منهم للتوحيد.

وسبب نزول هذه الآيات: أن قريشًا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابن أخيك عنَّا، فإنه يعيب ديننا ويذمُّ آلهتنا، ويُسَفِّه أحلامنا، فكلَّمه أبو طالب في ذلك، فقال: ﷺ: «إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتَدين لهم بها العرب»، فقالوا: نعمْ، وعشر كلمات معها. فقال: «قولوا لا إله إلا الله»، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدًا[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤١٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٩٠).

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾ ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ﴾: عبارةٌ عن خروجهم عن أبي طالب.

وقيل: عبارةٌ عن تفرُّقهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر.

و﴿أَنِ امْشُوا﴾ معناه: يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمدًا فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ هذا أيضًا مما حكى الله من كلام قريش، وفي معناه وجهان:

أحدهما: إن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد؛ أي: إن هذا التوحيد شيءٌ يراد به الانقيادُ إليه.

والآخر: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم؛ أي:

إن هذا شيءٌ ينبغي أن يُراد ويُتمسَّك به.

أو إن هذا شيء يريده الله منا لما قضَى علينا به.

والأول أرجح؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه، فيكون الكلام على نسَقٍ واحد.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضًا مما حُكِي من كلامهم، أي: ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة.

والمراد بـ ﴿الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: ملةُ النصارى؛ لأنها بعد ملة موسى وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد.

وقيل: المراد: ملة قريش؛ أي: ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركْنا عليها آباءنا.

وقيل: المراد: الملة المنتظَرة؛ إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكُهَّان أن رسولًا يبعث يكون آخر الأنبياء.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ هذا أيضًا مما حُكي من كلامهم، والإشارة إلى التوحيد والإسلام.

ومعنى الاختلاق: الكذب.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنهم أنكروا أن يخصَّ الله محمدًا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ هذا ردٌّ عليهم، والمعنى: أنهم ليست لهم حجة ولا برهان، بل هم في شكٍّ من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا.

ويَحتمل أن يريد بـ﴿ذِكْرِى﴾: القرآنَ.

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ هذا وعيدٌ لهم وتهديد، والمعنى: أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوه زال عنهم الشكُّ، وأذعنوا للحقِّ.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة.

والمعنى: أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤوا ويمنعوها ممن شاؤوا، بل يعطيها الله لمن يشاء.

ثم وصف نفسه بـ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ ؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب يُنعم على من يشاء، فلا حجة لهم فيما أنكروا.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضًا ردٌّ عليهم، والمعنى: أم لهم الملك فيتصرفوا فيه كيف شاؤوا؟، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء.

و﴿أَمْ﴾ الأولى: منقطعة بمعنى «بل» وهمزة الإنكار.

وأما الثانية: فيحتمل:

أن تكون كذلك.

أو تكون عاطفةً معادِلة لما قبلها.

﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ هذا تعجيزٌ لهم، وتهكُّمٌ بهم.

ومعنى ﴿يَرْتَقُوا۟﴾ يَصعَدوا، و﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ هنا: السلاليم[1] والطرق، وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلْوِ.

وقيل: هي أبواب السماء.

والمعنى: إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبِّروا الملك.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ هذا وعيدٌ بهزيمتهم في القتال، وقد هُزِموا يوم بدر وغيره.

---

(١) في أ، هـ: «السلالم» وهما جمعان صحيحان للكلمة.

و﴿مَّا﴾ هنا: صفةٌ لـ ﴿جُندٌ﴾، وفيها معنى التحقير لهم.

والإشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾: إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء.

وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب، وهذا بعيد.

وقيل: الإشارة إلى موضع بدر.

و﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ معناه: من جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا للباطل فهَلكوا.

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس: كانت له أوتادٌ وخشب يلعب بها وعليها.

وقيل: كان له أوتاد يُسمِّرها في الناس لقتلهم.

وقيل: أراد المبانيَ العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية(١).

وقال الزمخشري: إن ذلك استعارةٌ في ثبات الملك كقول القائل:

.... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتادِ(٢)

﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ قد ذُكِر(٣).

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٢٨).

(٢) الكشاف (١٣/ ٢٤٣)، وهذا عجز بيت للأسود بن يَعفُر النهشلي كما في ديوانه (ص: ٢٧)، وصدر البيت: «ولقد غَنوا فيها بأنعم عيشةٍ».

(٣) انظر صفحة ٣٧٨.

[﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ
يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا
مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ
نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ
إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ
وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾].

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ ﴿يَنظُرُ﴾ هنا بمعنى: ينتظر، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: قريشًا.

والصيحة الواحدة: النفخة في الصور، وهي نفخة الصعق.

وقيل: الصيحة: عبارةٌ عما أصابهم من قتل وشدائد.

والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ[1].

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: ما لها من رجوع؛ أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا، وهو على

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٣).

هذا مشتقٌّ من الإفاقة.

الثاني: ما لها من تَرداد؛ أي: إنما هي واحدةٌ لا ثانية لها.

الثالث: ما لها من تأخيرٍ ولا توقُّفٍ مقدارَ فُوَاقِ ناقةٍ، وهي ما بين حَلْبَتَي اللبن.

وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة ﴿فُوَاقٍ﴾ بالضم؛ لأن فُواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ القِطُّ في اللغة له معنيان:

أحدها: الكتاب.

والآخر: النصيب.

وفي معناه هنا ثلاثة أقوال:

أحدهما: نصيبنا من الخير؛ أي: دعوا أن يعجِّله الله لهم في الدنيا.

والآخر: نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء».

والثالث: صحائف أعمالنا.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ الأيدُ: القوة، وكان داود جمع قوةَ البدن والقوةَ في الدين، والملكَ والجنود.

والأوَّاب: الرجَّاع إلى الله.

فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لمحمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار

وبين أمره له بذكر داود؟

فالجواب عندي: أن ذِكْر داود ومن ذُكِر بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسليةٌ للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعدٌ له بالنصر وتفريج الكُرَب، وإعانةٌ له على ما أُمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدَّة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه[1] يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم؛ كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذَكر مَن ذَكر بعد ذلك من الأنبياء.

والمقصد: ذكر الإنعام عليهم؛ لتقوية قلب النبي ﷺ.

وأيضًا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرَّجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر محمدًا ﷺ بذكرهم؛ ليُعْلمه أنه يفرِّج عنه ما يلقى من إذاية قومه، ويُعْقِبُها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال ابن عطية: المعنى: واذكر داود ذا الأيد في الدين؛ فتأسَّ به وتأيَّدْ كما تأيَّدَ[2].

وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ: اصبر على ما يقولون، وعظِّمْ أمر المعصية في أعين الكفار بذِكْر قصة داود،

---

(١) في ب، ج: «فإنه».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٠).

وذلك أنه نبيٌّ كريم عند الله ثم زلَّ زلة فوبَّخه الله عليها فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟[١].

وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام؛ حيث جعله مثالًا يهدِّد الله به الكفار، وصرَّح بأنه زلَّ وأن الله وبَّخه على زلته، ومعاذ الله مِنْ ذِكْرِ الأنبياء بمثل هذا!.

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ يعني: وقتَ الإشراق وهو حين تُشرِق الشمس؛ أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شُروقها: فطلوعها.

﴿مَحْشُورَةً﴾ أي: مجموعةً.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: كلٌّ مسبِّحٌ لأجل تسبيح داود.

ويَحتمل أن يكون ﴿أَوَّابٌ﴾ هنا بمعنى: رجَّاع؛ أي: يَرجع إلى أمره.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قيل: يعني: النبوة.

وقيل: العلم والفَهم.

وقيل: الزبور.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ ابن عباس: هو فصل القضاء بين الناس بالحق.

عليُّ بن أبي طالب: هو إيجاب اليمين على المدَّعَى عليه، والبينة على المدَّعِي.

وقيل: أراد قول: «أما بعد» فإنه أول من قالها.

---

(١) الكشاف (١٣/٢٤٦-٢٤٧).

وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب: البيِّن من الكلام الذي يفهمه مَن يُخاطَب به[١].

وهذا المعنى اختارَ[٢] ابنُ عطية، وجعله من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ [الطارق: ١٣][٣].

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام؛ تنبيهًا للمخاطَب ودلالةً على أنها من الأخبار العجيبة، التي ينبغي أن يُلقَى البالُ لها.

والخصم: يقع على الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عَدْلٌ وزَوْرٌ.

واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل، بعثهم الله؛ ليضرب بهم المثل لداود في نازلةٍ وقَع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعةٌ عليه في نازلته، ولما شعَر وفهِم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا.

ومعنى ﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ عَلَوْا على سُوره ودخلوه.

والمحراب: الموضع الأرفع من القصر، أو المسجد، وهو موضع التعبد.

ويحتمل أن يكون المتسوِّر للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢٥٣).

(٢) في ج، د، هـ: «اختيار».

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٢).

إنما كانت بين اثنين، فتجيء الضمائر في ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، و﴿دَخَلُواْ﴾، و﴿فَزِعَ منهم﴾: على وجه التجوُّزِ والعبارةِ عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائزٌ على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان.

ويحتمل أنه جاءه مع كل واحد من الخصمين جماعةٌ فيقع على جميعهم خصمٌ، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقةً، وعلى هذا عوَّل الزمخشري[1].

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ هنا: ﴿تَسَوَّرُواْ﴾.

وقيل: هي بدلٌ من الأولى.

وأما ﴿إِذْ﴾ الأولى: فالعامل فيها: ﴿أَتَىٰكَ﴾، أو ﴿نَبَؤُاْ﴾.

وردَّ الزمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوفٌ، تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا[2].

وإنما فزع داود منهم؛ لأنهم دخلوا عليه بغير إذن، ودخلوا من غير الباب.

وقيل: إن ذلك كان ليلًا.

﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنى ﴿بَغَىٰ﴾: تعدَّى.

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ علينا في الحكم، يقال: أشَطَّ الحاكم: إذا جارَ

وقرئ في الشاذ: ﴿لا تَشْطُطْ﴾ بفتح التاء؛: أي: لا تبعد عن الحق، يقال: شطَّ إذا بَعُد.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢٥٨).

(٢) الكشاف (١٣/ ٢٥٩).

﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: وسَط الطريق، ويعني: القصد والحق الواضح.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ هذا حكاية كلام أحد الخصمين، والأُخوَّة هنا: أُخوَّة الدين.

والنعجة في اللغة: تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارةٌ عن المرأة، ومعنى ﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾: مَلِّكْها لي، وأصله: اجعلها في كفالتي.

وقيل: اجعلها كِفْلي؛ أي: نصيبي.

ومعنى ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عزَّ فلانٌ فلانًا: إذا غلبه.

وهذا الكلام تمثيلٌ للقصة التي وقع داود فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديمًا وحديثًا، حتى قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «من حدَّث بما يقول هؤلاء القُصَّاص في أمر داود عليه السلام جلدته حَدَّين لما ارتكب مِن حرمة مَن رفَع الله محلَّه».

ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه(١) داود عليه السلام.

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجَها إذا أعجبته، وكانت(٢) لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة

(١) في ب، ج: «تبرئة».
(٢) في ب، ج: «وكان».

رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوَّجها داود ﷺ فوُلِد له منها سليمان ﷺ، وكان لداود تسع وتسعون امرأةً، فبعث الله إليه الملائكة مثالًا لقصته، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ إشارةً إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ إشارةً إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلَّا تلك المرأة الواحدة، ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ إشارةً إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته.

فأجابهم داود ﷺ بقوله: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسَّم الملَكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعَر أن ذلك عتابٌ من الله له على ما وقع فيه، ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾.

ولا تقتضي هذه القصة على هذه الراوية أن داود ﷺ وقع فيما لا يجوز شرعًا، وإنما عوتب على أمر جائز، كان ينبغي له أن يتنزَّه عنه؛ لعلُوِّ مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يُعاتَب الفضلاءُ على ما لا يُعاتَب عليه غيرهم، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وأيضًا؛ فإنه كان له تسعٌ وتسعون امرأةً، كان غنيًا عن هذه المرأة، فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزًا.

وروي هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود ﷺ انفرد يومًا في محرابه للتعبُّد، فدخل عليه طائرٌ من كَوَّةٍ، فوقع بين يديه فأعجبه، فمدَّ يده ليأخذه فطار على الكوة، فصَعِد داود ليأخذه، فرأى من الكوة امرأةً تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأُخبر أنها امرأة رجل من جنده، وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدِّم ذلك الرجل

يقاتل عند التابوت، وهو موضع قلَّما يخْلُص أحدٌ منه، فتقدَّم ذلك الرجل فقاتل[١] حتى قتل شهيدًا، فتزوج داود امرأته بعده، فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل، وتزوُّجِه امرأتَه بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأةً سواها.

وقيل: إن داود همَّ بذلك كله ولم يفعلْه، وإنما وقعت المعاتبة على همِّه بذلك.

وروي أن السبب فيما جرى له مثل ذلك: أنه أُعجب بعلمه[٢]، وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه، ففُتِن بتلك القصة.

وروي أيضًا أن السبب في ذلك: أنه تمنَّى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والتزم أن يُبتلى كما ابتلوا، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ﴿سُؤَالِ﴾ مصدرٌ مضاف إلى المفعول، وإنما تعدى بـ «إلى»؛ لأنه تضمَّن معنى الإضافة، كأنه قال: بسؤال نعجتك مضافةً أو مضمومة إلى نعاجه.

فإن قيل: كيف قال له داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يَثبُت عنده ذلك؟

فالجواب: أنه روي أن الآخر اعترف بذلك، وحُذف ذكر اعترافه اختصارًا.

---

(١) في أ: «يقاتل».

(٢) في أ، هـ: «بعمله».

ويَحتمل أن يكون قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ على تقدير صحة قوله.

وقد قيل: إن قوله لأحد الخصمين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئتَه التي استغفر منها وأناب.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الخُلَطاء: هم الشركاء في الأموال، ولكن الخُلْطة أعمُّ من الشَّركة، ألَا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها.

وقصَد داود بهذا الكلام الوعظَ للخصم الذي بغَى، والتسليةَ بالتأسِّي للخصم الذي بُغِيَ عليه.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ زائدةٌ للتأكيد.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ظن هنا: بمعنى شعَر بالأمر.

وقيل: بمعنى أيقن.

و﴿فَتَنَّٰهُ﴾ معناه: اختبرناه.

﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى ﴿خَرَّ﴾: ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود:

فقيل: إن الركوع هنا: بمعنى السجود.

وقيل: خرَّ من ركوعه ساجدًا بعد أن ركع.

ومعنى ﴿أَنَابَ﴾: تاب.

وروي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا يبكي حتى نبت البقل من دموعه.

وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك، خلافًا للشافعي، إلَّا أنه اختُلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾، أو عند قوله: ﴿وَحُسْنَ مَئَابٍ﴾؟.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ الزُّلفى: القُربة والمكانة الرفيعة.

والمآب: المرجع في الآخرة.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله يا داود.

وخلافة داود: بالنبوة والملك.

قال ابن عطية: لا يقال «خليفةُ الله» إلَّا لنبيٍّ، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفةُ الذي قبله، وقول الناس فيهم: «خليفة الله» تجوُّزٌ[1].



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٢).

[﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ
النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا
لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾
فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ
مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي
بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ
﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ أي: عبثًا، بل خلقها الله بالحق؛ للاعتبار بها والاستدلال على خالقها.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى: أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خِلْقة السموات والأرض عندهم باطلًا لغير الحكمة؛ فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخراوي[(١)].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهاميةٌ يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل أحد بعمله؛ لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلالٌ على الحشر والجزاء، وفيه أيضًا وعد[(٢)] ووعيد.

(١) في ب، هـ: «الأخروي».
(٢) في ب، ج: «وعظٌ».

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١﴾ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: جمع صافن، وهو الفرس الذي يرفع إحدى يديه أو رجليه، ويقف على طرف الأخرى.

وقيل: الصافن: هو الذي يسوِّي يديه.

والصَّفن علامةٌ على فَراهة الفرس.

و﴿ٱلْجِيَادُ﴾: السريعة الجري.

واختلف الناس في قصص هذه الآية:

فقال الجمهور: إن سليمان ﷺ عُرِضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه، وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس، وقيل: أكثر، فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشي، وقيل: العصر، فأَسِف لذلك، وقال: ردوا عليَّ الخيل، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها؛ لما كانت سبب فوْت الصلاة، ولم يترك منها إلَّا اليسير، فأبدله الله أسرع منها، وهي الريح.

وأنكر بعض العلماء هذه الرواية، وقال: تفويت الصلاة ذنبٌ لا يفعله سليمان، وعَقْرُ الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان ﷺ؟ وأيُّ ذنب للخيل في تفويت الصلاة.

فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعةٍ، فعقرها تقرُّبًا إلى الله.

وقال بعضهم: لم تفته صلاةٌ، ولا عَقَر الخيلَ، بل كان يصلي فعُرضت عليه الخيل، فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها، فلما فرَغ من الصلاة قال: «ردُّوها عليَّ» فطفق يمسح عليها بيده كرامةً لها ومحبة.

وقيل: إن المسح عليها كان وسْمًا في سُوقها وأعناقها بوسم: «حَبْسٌ في سبيل الله».

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة:

فأما الذين قالوا: إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة: فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الخير هنا: يراد به الخيل، وزعموا أنه يقال للخيل خيرٌ، و﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى: آثرتُ، أو بمعنى فعلٍ يتعدَّى بـ «عن»؛ كأنه قال: آثرت حب الخيل فشَغلني عن ذكر ربي.

والآخر: أن الخير هنا: يراد به المال؛ لأن الخيل وغيرها مالٌ، فهو كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: مالًا.

والثالث: أن المفعول محذوفٌ، و﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ مصدرٌ، والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير، فشغلني عن ذكر ربي.

وأما الذين قالوا: كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها؛ فالمعنى: أنه قال: إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، فشَغلني ذلك عن النظر إلى الخيل.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدَّم ذكرُها، ولكنها تفهم من سياق الكلام، وذِكْر العشيِّ يقتضيها، والمعنى: حتى غابت الشمس.

وقيل: الضمير للخيل، ومعنى ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾: دخلت اصطبلاتها.

والأول أشهر وأظهر.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا عليَّ الخيل.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ السُّوق: جمع ساق، يعني: سوقَ الخيل وأعناقَها؛ أي: جعل يمسحها مسحًا.

وهذا المسح مختلفٌ على حسَب الاختلاف المتقدِّم: هل هو قَطْعُها وعقرها؟ أو مَسْحُها باليد محبةً لها؟، أو وَسْمُها بالتحبيس[١].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسَب الاختلاف في قصَّتها، وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن سليمان كان له خاتَم مُلْكِه، وكان فيه اسم الله[٢]، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء؛ توقيرًا لاسم الله تعالى، فنزعه يومًا ودفعه إلى جاريته، فتمثَّل لها جنيٌّ في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر، فقعد على كرسيِّ سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارًّا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتًا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنيُّ قد رماه في البحر، فلبِس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه.

ففتنة سليمان على هذا: هي ما جرى له من سلْب ملكه.

والجسد الذي أُلقي على كرسيه: هو الجنيُّ الذي قعد عليه، وسماه

---

(١) في ب، ج: «للتحبيس».

(٢) في هامش ب زيادة: «الأعظم».

جسدًا؛ لأنه تصوَّر في صورة إنسان.

ومعنى ﴿أَنَابَ﴾:

رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء.

أو رجع إلى ملكه.

والقول الثاني: أن سليمان كانت له امرأة يحبها، وكان أبوها ملكًا كافرًا قد قتله سليمان، فسألته أن يصنع لها صورة أبيها، فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها، وصار صنمًا معبودًا في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يومًا، فلما علم به كسره.

فالفتنة على هذا: عمل الصورة.

والجسد: هو الصورة.

والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد، وكان يحبه حبًّا شديدًا، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السُّخْرة أبدًا، فلم يشعر إلَّا وولده ميت على كرسيِّه.

فالفتنة على هذا: حبُّه في الولد.

والجسد: هو الولد لما مات، وسمي جسدًا؛ لأنه جسد بلا روح.

والقول الرابع: أنه قال: «لأطوفن الليلة على مئة امرأة، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فلم تحمل واحدةٌ منهنَّ إلَّا واحدة جاءت بشقِّ إنسان.

فالفتنة على هذا: كونه لم يقل: «إن شاء الله».

والجسد: هو شِقُّ الإنسان الذي وُلِد له.

فأما القول الأول: فضعيفٌ من طريق النقل، مع أنه يَبعد ما ذُكِر فيه من سلب الملك عن سليمان وتسليط الشياطين عليه.

وأما القول الثاني: فضعيفٌ أيضًا، مع أنه يَبعد أن يُعْبَد صنمٌ في بيت نبيٍّ، أو يأمر نبي بعمل صنم.

وأما القول الثالث: فضعيفٌ أيضًا.

وأما القول الرابع: فقد روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ(١) لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ قدَّم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهمَّ من الدنيا، فقدَّم الأَولى والأهمَّ.

فإن قيل: لأيِّ شيءٍ قال: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحَجَّاج: إنه كان حسودًا(٢)؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجريَ عليه مثل ما جرى من أَخْذ الجني لملكه، فقصَد أن لا يُسلَب ملكه عنه في حياته ويصيرَ إلى غيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٩): «وروي في مثالب الحجاج بن يوسف أنه لما قرأ هذه الآية قال: «لقد كان حسودًا»، وهذا من فسْق الحجاج».

والآخر: أنه طلب ذلك لتكون[١] معجزة، دلالة على نبوته.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ معنى ﴿رُخَاءً﴾: لينةً طيبة.

وقيل: مطيعةً[٢] له.

وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] في «الأنبياء»[٣].

و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد.

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ معطوف على ﴿الرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ بدلٌ من ﴿الشَّيَاطِينَ﴾.

أي: سخَّرنا له الريح والشياطين من يبني منهم ومن يغوص في البحر.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ أي: آخرين من الجنِّ مُوثَقِين في القيود والأغلال.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارةُ إلى الملك الذي أعطاه الله، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت.

وقيل: المعنى: امنن على من شئت من الجنِّ بالإطلاق[٤] من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود.

---

(١) في أ، هـ: «ليكون».

(٢) في أ: «طائعة»، وفي هـ: «طيِّعة»

(٣) انظر صفحة ١٦١.

(٤) في أ، هـ: «بإطلاق».

والأوّل أحسن، وهو قول ابن عباس.

﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ يَحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أنه لا يُحاسَب في الآخرة على ما فَعل.

والآخر: بغير تضييقٍ عليه[1] في الملك.

والثالث: بغير حساب ولا عدد، بل خارج عن الحصْر.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ قد ذُكر في قصة داود.



(١) في د: «عليك».

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في «الأنبياء»[١].

والنُّصْبُ: يقال بضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد، وبفتحهما، ومعناه واحد: وهو المشقة.

فإن قيل: لم نَسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟

---

(١) انظر صفحة ١٦٢.

فالجواب: من أربعة أوجه:

أحدها: أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرًا فلم يغيِّره.

وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يعط جارَه منها شيئًا.

والثاني: أنه أراد: ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع[1] عنه وسوسة الشيطان بذلك.

والثالث: أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه، فأهلك ماله فصبر، وأهلك أولاده فصبر، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر، فنَسب ذلك إلى الشيطان؛ لتسليط الشيطان عليه.

والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدةً أذهبتُ ما به من المرض، فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها: «ذلك عدوُّ الله الشيطان»، وحينئذ دعا.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير: «قلنا له: اركض برجلك»، فضرَب الأرض برجله فنبَعت له عينُ ماءٍ صافيةٌ باردة، فشرب منها فذهب[2] كلُّ مرض كان داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده.

وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان، فشرب من أحدهما،

---

(١) في أ، ب، هـ: «يرفع».

(٢) في ب: «فأذهب الله».

واغتسل من الأخرى.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ ذُكر في «الأنبياء»[(١)].

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ الضِّغْثُ: القبضة من القُضبان.

وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مئة سوط إذا برئ من مرضه، وكان سببُ ذلك ما ذكرته له من لقاءِ الشيطان وقولِه لها: إن سجد لي زوجك أذهبت ما به، فأمره الله أن يأخذ ضغثًا فيه مئة قضيب فيضربَها بها ضربة واحدة فيبَرَّ في يمينه.

وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حدِّ رجل زنى، وكان مريضًا، فأمر رسول الله ﷺ بعِذْقِ نخلةٍ فيه شماريخ مئة، فضُرِب به ضربة واحدة، ذكر ذلك أبو داود والنسائي[(٢)].

وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه.

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ﴿ٱلْأَيْدِي﴾ جمع يدٍ، وذلك عبارةٌ عن قوتهم في الأعمال الصالحة، وإنما عبَّر عن ذلك بالأيدي؛ لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي.

وأما ﴿الْأَبْصَٰرِ﴾ فعبارةٌ عن قوة فهمهم وكثرة علمهم، من قولك: أبصر الرجل: إذا تبيَّنت له الأمور.

وقيل: ﴿ٱلْأَيْدِي﴾ جمع يدٍ بمعنى النعمة، ومعناه: أولوا النِّعَم التي

---

(١) انظر صفحة ١٦٣.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٣٥)، أبو داود (٤٤٧٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٣).

أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف؛ لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما تجمع[١] على أيادي.

وقرأ ابن مسعود: «أولوا الأيد»، بغير ياء، فيحتمل:

أن تكون «الأيدي» محذوفةَ الياء.

أو يكون الأيد بمعنى القوة، كقوله: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ معنى ﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾:

جعلناهم خالصين لنا.

أو خصَصناهم[٢] دون غيرهم.

و﴿خَالِصَةٖ﴾ صفةٌ حذف موصوفها، تقديره: بخَصلةٍ خالصةٍ.

وأما الباء في قوله: ﴿بِخَالِصَةٖ﴾:

فإن كان ﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ بمعنى: جعلناهم خالصين: فالباء سببية للتعليل.

وإن كان ﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ بمعنى خصصناهم: فالباء لتعدية الفعل.

وقرأ نافع بإضافة ﴿خَالِصَةِ﴾ إلى ﴿ذِكۡرَى﴾ من غير تنوين.

وقرأ غيره بالتنوين، على أن تكون ﴿ذِكۡرَى﴾ بدلًا من ﴿خَالِصَةٖ﴾ على وجه البيان والتفسير لها.

و﴿ٱلدَّارِ﴾ يحتمل أن يريد به: الآخرة أو الدنيا.

---

(١) في ب، ج، هـ: «يجمع».

(٢) في أ، هـ: «أخلصناهم».

فإن أراد به الآخرة: ففي المعنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ يعني به: ذِكْرَهم للآخرة وحبَّهم فيها.

والآخر: أن معناه: تذكيرُهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيما عند الله.

والثالث: أن معناه: ثواب الآخرة؛ أي: أخصلناهم بأفضل ما في الآخرة.

والأول أظهر.

وإن أراد بالدار الدنيا: **فالمعنى**: حُسْن الثناء والذِّكر الجميل في الدنيا، كقوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤].

﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خيِّرٍ بتشديد الياء، أو خَيْرٍ المخفف من خيِّر، كَمَيْت مخفَّف من ميِّت.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ ذكر في «الأنبياء»[1].

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدَّم في هذه السورة من ذكر الأنبياء.

وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته.

والأول أظهر.

وكأن قولَه: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ختامٌ للكلام المتقدِّم، ثم شرع بعده في كلام آخر، كما يُتِمُّ المؤلف بابًا ثم يقول: «فهذا باب»، ثم يشرع في آخر.

---

(١) انظر صفحة ١٦٣.

﴿قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ ذكر في «الصافات»[١].

﴿أَتۡرَابٌ﴾ يعني: أسنانُهنَّ سواءٌ، يقال: فلان تِرْبُ فلان: إذا كان مثله في السنِّ.

وقيل: يعني: أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواءٌ.

﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: ماله من فناءٍ ولا انقضاء.

﴿هَـٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾ تقديره: «الأمر هذا»، لما أتمَّ ذكرَ أهل الجنة ختمَه بقوله: ﴿هَـٰذَا﴾، ثم ابتدأ وصف أهل النار.

ويعني بالطَّاغين: الكفار.

﴿هَـٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾ ﴿هَـٰذَا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿حَمِيمٞ﴾، و﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾: اعتراضٌ بينهما.

والحميم: الماء الحار.

والغَساق: قرئ بتخفيف السين وتشديدها، وهو صديد أهل النار.

وقيل: ما يَسيل من عيونهم.

وقيل: هو عذابٌ لا يعلمه الله.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨﴾ ﴿ءَاخَرُ﴾ معطوفٌ على ﴿حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾، تقديره: وعذاب آخرُ، قيل: يعني: الزَّمهرير.

ومعنى ﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾: من مثله ونوعه؛ أي: من مثل العذاب المذكور.

---

(١) انظر صفحة ٦٦٥.

و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ معناه: أصنافٌ، وهو صفة للحميم والغساق والعذابِ الآخر.

والمعنى: أنها أصنافٌ من العذاب.

وقال ابن عطية: ﴿ءَاخَرُ﴾ مبتدأ، واختُلف في خبره؛ فقيل: تقديره: ولهم عذاب آخر(١).

وقيل: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ مبتدأ، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ خبر ﴿أَزْوَٰجٌ﴾، والجملة خبر ﴿ءَاخَرُ﴾.

وقيل: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ خبر ﴿ءَاخَرُ﴾، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ في موضع الصفة.

وقرئ ﴿أُخَرُ﴾ بالجمع، وهو أليق أن يكون ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ خبره؛ لأنه جمعٌ مثله.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج: جماعة من الناس.

والمقتحم: الداخل في زحامٍ وشدة.

وهذا من كلام خزَنة النار، خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أوَّلًا، ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه.

وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض.

والأول أظهر.

﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي: لا يَلقون رُحْبًا ولا خيرًا، وهو دعاءٌ من كلام رؤساء

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٥٨).

الكفار؛ أي: لا مرحبًا بالفوج الذين هم أتباعٌ لهم.

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ هذا حكايةُ كلام الأتباع للرؤساء، لما قالوا لهم: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أجابوهم بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع خطابًا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾.

والضمير في ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ للعذاب، ومعنى ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾: أوجبتموه لنا بما قدَّمتم في الدنيا من إغوائنا، وأمْرِكم لنا بالكفر.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع، دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

والضِّعف: زيادة المثل.

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ لرؤساء الكفار.

وقيل: للطَّاغين.

والرجال: هم ضعفاء المؤمنين.

فقيل: إن القائلين لذلك هم: أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم: عمّار، وبلال، وصهيب، وأمثالهم.

واللفظ أعم من ذلك.

والمعنى: أنهم قالوا في جهنم: ما لنا لا نرى في النار رجالًا كنا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار.

﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ قرئ ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بهمزة قطع، ومعناها: توبيخُ أنفسِهم على اتخاذهم المؤمنين سُخريًا.

وقرئ بألف وصلٍ، على أن تكون الجملة صفة للرجال.

وقرئ ﴿سُخۡرِيًّا﴾:

بضم السين: من التَّسخير؛ بمعنى الخدمة.

وبالكسر: من معنى الاستهزاء.

﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ هذا يَحتمل ثلاثةَ أوجه:

أحدها: أن يكون معادِلًا لقولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا﴾، والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنم؟ فهم ليسوا فيها؟، أم هم فيها ولكن زاغت عنه أبصارنا؟

ومعنى ﴿زَاغَتۡ عَنۡهُمُ﴾: مالتْ فلم ترهم[1].

الثاني: أن يكون معادلًا لقولهم: ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سُخۡرِيًّا﴾، والمعنى: أتخذناهم سُخريًا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا؟

ومعنى زاغت الأبصار على هذا: مالت عن النظر إليهم؛ احتقارًا لهم.

---

(١) في أ، هـ: «نرهم».

الثالث: أن تكون «أم» منقطعةً بمعنى «بل» والهمزة، فلا تعادل شيئًا ما قبلها.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسَّره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

وإعراب ﴿تَخَاصُمُ﴾:

بدلٌ من ﴿لَحَقٌّ﴾.

أو خبر مبتدأ مضمر.



﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾].

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ النبأ: الخبر، ويعني به: ما تضمَّنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة.

وقيل: يعني: القرآن.

وقيل: يوم القيامة.

والأول أعم وأرجح.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الملأ الأعلى: هم الملائكة.

ومقصد الآية: الاحتجاج على نبوَّة محمد ﷺ؛ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمُها قبل ذلك.

والضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للملإ الأعلى، واختصامهم: هو في قصة آدم حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟، فقال: لا أدري، قال: في الكفارات، وهي: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد» الحديث بطوله[١].

وقيل: الضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للكفار؛ أي: يختصمون في الملإ الأعلى فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تعبد. وهذا بعيد.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

وقد ذكَرنا في «البقرة» معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس[٢].

وذكرنا في «الحجر» معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ رُوحِي﴾[٣].

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله ﷻ، و﴿بِيَدَيَّ﴾: من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليمُ عِلْمِ حقيقته إلى الله.

وقال المتأوِّلون: هو عبارةٌ عن القدرة[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣).

(٢) انظر (١/ ٣٠٠).

(٣) انظر (٢/ ٧١٩).

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ٢/ ١٩٥.

وقال القاضي أبو بكر ابنُ الطيب: إن اليد والعين والوجه صفاتُ ذاتٍ زائدةٌ على الصفات المتقرّرة.

قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه[١].

وحكى الزمخشري: أن معنى ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: خلقتُ بغير واسطة[٢].

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحُذفت ألف الوصل، و﴿أَمْ﴾ هنا معادِلةٌ.

والمعنى: أستكبرت الآن أم كنت قديمًا ممن يعلو ويستكبر؟، وهذا على جهة التوبيخ له.

﴿رَجِيمٌ﴾ أي: لعينٌ مطرود.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ يعني: القيامة، وقد تقدَّم الكلام على ذلك في «الحجر»[٣].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ الباء للقسم، أي: أقسم إبليس بعزَّة الله أن يُغوِي بني آدم.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ هنا: لله تعالى.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٦٤).
(٢) الكشاف (١٣/ ٣٢٤).
(٣) انظر (٢/ ٧١٩).

و﴿الْحَقَّ﴾ الأول: مُقسَمٌ[1] به، وهو منصوب بفعل مضمرٍ، كقولك: «اللهَ لأفعلنَّ»، وجوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

وقرئ بالرفع، وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإ مضمر تقديره: الحقُّ يميني.

وأما ﴿الْحَقَّ﴾ الثاني: فهو مفعولٌ بـ ﴿أَقُولُ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراضٍ بين القسَم وجوابه، على وجه التأكيد للقسم.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: الذين يتصنَّعون ويتحلَّون بما ليسوا من أهله.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: لتعلمُنَّ صدق خبره بعد حين.

والحينُ:

يوم القيامة.

أو موتهم.

أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.



(١) في ب، ج: «المقسم».

﴿ سورة الزمر ﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ
أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا
لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ
وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ
أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن
تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ
إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا
يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر تقديره: «هذا تنزيل»، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ على هذا الوجه: يتعلق بـ ﴿تَنزِيلُ﴾.

أو يكون خبرًا بعد خبر.

أو خبر مبتدإ آخَرَ محذوفٍ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا: القرآن، أو السورة.

واختار ابن عطية أن يراد به: جنس الكتب المنزلة(١).

وأما ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الثاني: فهو القرآن باتفاق.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يَحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون معناه: متضمِّنًا الحقَّ.

والثاني: أن يكون معناه: بالاستحقاق والوجوب.

﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو الرياء.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ قيل: معناه: مِن حقِّه ومِن واجبه أن يكون له الدين الخالص.

ويحتمل أن يكون معناه: أن الدين الخالص هو دين الله وهو(٢) الإسلام، الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٦٩).

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من ج.

معنى ﴿ٱلۡخَالِصُ﴾: الصافي عن شوائب الشرك.

وقال قتادة: الدين الخالص: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال الحسن: هو الإسلام، وهذا أرجح؛ لعمومه.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يريد بالأولياء: الشركاءَ المعبودين.

ويحتمل أن يريد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾:

الكفارَ العابدين لهم.

أو الشركاء المعبودين.

والأول أظهر؛ لأنه يُحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تقديره: الذين اتخذوهم، ويكون ضمير الفاعل في ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ عائدًا على غير مذكور.

وارتفاع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على الوجهين بالابتداء، وخبره:

إما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

أو المحذوفُ المقدَّر قبلَ قوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾؛ لأن تقديره: «يقولون ما نعبدهم».

والأول أرجح؛ لأن المعنى به أكمل.

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ هذه الجملة في موضع معمولِ قولٍ محذوف، والقول في موضع الحال، أو في موضع بدل من صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

وقرأ ابن مسعود: «قالوا ما نعبدهم» بإظهار القول.

أي: يقول الكفار: ما نعبد هذه الآلهة إلَّا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده، ويعني بذلك: الكفار الذين عبدوا الملائكة.

أو الذين عبدوا الأصنام.

أو الذين عبدوا عيسى أو عزيرًا.

فإن جميعَهم قالوا هذه المقالة.

ومعنى ﴿زُلْفَىٰٓ﴾: قربى، فهو مصدرٌ من ﴿يُقَرِّبُونَا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارةٌ إلى كذبهم في قولهم: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿لَا يَهْدِى﴾ في تأويله وجهان:

أحدهما: لا يهديه في حال كفره.

والثاني: أن ذلك مختصٌّ بمن قضَى عليه بالموت على الكفر.

وهذا تأويل: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ و﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ حيثما وقع.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ الولَد يكون على وجهين:

أحدهما: بالوِلادة الحقيقية، وهذا محالٌ على الله تعالى، لا يجوز في العقل.

والثاني: التبنِّي، بمعنى الاختصاص والتقريب، كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولدًا؛ لإفراط محبته له، وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع، فإن قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٩٢] يعمُّ نفْيَ الوجهين.

فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية[١]: لو أراد الله أن يتخذ ولدًا على وجه التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يُرد ذلك ولا فعله.

وقال الزمخشري: معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك، ولكنه يصطفي من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب، لا على وجه اتخاذه ولدًا، فاصطفى الملائكة وشرَّفهم بالتقريب، فحَسِبَ الكفار أنهم أولادُه، ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثًا، فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته[٢].

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ نزَّه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوَحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنسَ له؛ لأنه واحد.

ووصف نفسه بالقهار؛ ليدلَّ على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهورٌ تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكًا له؟

ثم أَتبع ذلك بما ذكره من خِلْقة السموات والأرض وغيرهما؛ لتدلَّ على وحدانيته وقدرته وعظمته.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ التَّكوير: اللَّفُّ واللَّيُّ، ومنه: كَوْرُ العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارةٌ.

ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكأنَّ الذي يطول

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧١).

(٢) الكشاف (١٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءٌ فيستره، وكأن الذي يَقصر يدخل في الذي يطول فيستتر فيه[١].

ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل واحد منهما يغيِّب الآخرَ إذا طرأ عليه، فشُبِّه في ستره له بثوب يلفُّ على آخر.

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء، خلقها من ضِلَعِ آدم.

فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بـ ﴿ثُمَّ﴾ التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شكَّ أن خِلْقة حواء كانت قبل خلقة بني آدم؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو المختار -: أن العطف إنما هو على معنى قوله: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ لا على ﴿خَلَقَكُمْ﴾، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدةً، ثم خلق منها زوجها بعد وَحْدتِها.

الثاني: أن «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود.

الثالث: أنه يعني بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ إخراجَ بني آدم من صلب أبيهم كالذرِّ، وكان ذلك قبل خِلْقة حواء.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ يعني: المذكورةَ[٢] في «الأنعام»:

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧٢).

(٢) في أ، هـ: «المذكورين».

﴿مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وسماها أزواجًا؛ لأن الذكر زوج الأنثى[١] والأنثى زوج الذكر[٢].

وأما لفظ ﴿وَأَنزَلَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أوَّل هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض.

الثاني: أن معنى ﴿وَأَنزَلَ﴾: قضى وقسم، فالإنزال عبارةٌ عن نزول أمره وقضائه.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات، فتعيش منه هذه الأنعام، فعبَّر بإنزالها عن إنزال رزقها، وهذا بعيد.

﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعني: أن الإنسان يكون نطفةً، ثم علقة، ثم مضغة، إلى أن يتمَّ خلقه، ثم ينفخ فيه الروح.

﴿فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ﴾ هي: البطن والرَّحِم والمشِيمة.

وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ ولم يذكر الصُّلب.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ أي: لا يضرُّه كفرُكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ تأوَّل الأشعرية هذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بـ ﴿عِبَادِهِ﴾ من قضى الله

(١) في ب، د: «للأنثى».

(٢) في ب، د: «للذكر».

له بالإيمان والوفاةِ عليه، فهو كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

والآخر: أن الرضا غيرُ الإرادة، والعباد على هذا: على العموم، أي: لا يرضى الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم، فهو لم يرضه دينًا ولا شرعًا، وأراده وقوعًا ووجودًا.

وأما المعتزلة: فالرضا عندهم: بمعنى الإرادة، والعباد على العموم؛ جرْيًا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد(١).

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عمومٌ، والشكر الحقيقي يتضمَّن الإيمان.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ذكر في «الإسراء»(٢).

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ الآيةَ؛ يراد بالإنسان هنا: الكافر؛ بدليل قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

والقصد بهذه الآية: عتابٌ وإقامة حجة، فالعتاب: على الكفر وترك دعاء الله، وإقامة الحجة: على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد.

فإن قيل: لم قال هنا: ﴿وَإِذَا مَسَّ﴾ بالواو وقال بعد هذا: ﴿فَإِذَا مَسَّ﴾ بالفاء؟

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكر المصنف الوجهين عن الأشاعرة، ولم يرجح، والصواب هو القول الثاني، وهو أن الرضا غير الإرادة، وأنه لا تلازم بين الرضا والإرادة الكونية، وعلى هذا فالله لا يرضى الكفر لأحد من عباده، وإن كان قد يشاؤه من بعضهم، فالكافر قد شاء الله منه الكفر، وإن كان لا يرضاه، وهذا يوافق قول أهل السنة.

(٢) انظر (٢/ ٧٩٨).

فالجواب: أن الذي بالفاء مسبَّبٌ عن قوله: ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، فجاء بفاء السببية[١]. قاله الزمخشري[٢]، وهو بعيد.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً مِّنۡهُ﴾ معنى ﴿خَوَّلَهُۥ﴾: أعطاه.

والنعمة هنا: يحتمل أن يريد بها:

كشفَ الضر المذكور.

أو أيَّ نعمةٍ كانت.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾:

مصدريةً؛ أي: نسي دعاءه.

أو تكون بمعنى «الذي»، والمراد بها: الله تعالى.

﴿أَمَنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ بتخفيف الميم، على إدخال همزة الاستفهام على «مَن».

وقيل: هي همزة النداء.

والأول أظهر.

وقرئ بتشديدها، على إدخال «أم» على «مَن» و«مَن» مبتدأ، وخبره محذوفٌ، وهو المعادِل للاستفهام، تقديره: «أمَّن هو قانتٌ كغيره»، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذُكِر قبله وما ذكر بعده من قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾.

---

(١) في ب، هـ: «التسبيب»، وفي د: «التسبب».

(٢) الكشاف (١٣/ ٤٠٤).

والقنوت هنا: بمعنى الطاعة، أو الصلاة بالليل.

و﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعاته.



[﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيةَ؛ نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة.

ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يحتمل أن يتعلّق ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾: بـ ﴿أَحْسَنُوا۟﴾، والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة.

أو يتعلق بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾، والحسنة على هذا: حُسْن الحال والعافية[1] في الدنيا.

(١) في ب، د: «والعاقبة» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٣/ ٣٥٣).

والأول أرجح.

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ يراد بها: البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها.

والمقصد من ذلك: حضٌّ على الهجرة.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن الصابر يؤتى أجره، ولا يحاسَب على أعماله، فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

الثاني: أن أجر الصابرين بغير حصْرٍ بل أكثر من أن يحصر(١) بعددٍ أو وزن، وهذا قول الجمهور.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ اللام هنا يجوز أن تكون: زائدةً.

أو للتعليل، ويكون المفعول على هذا محذوفًا.

فإن قيل: كيف عطف ﴿أُمِرْتُ﴾ على ﴿أُمِرْتُ﴾ والمعنى واحد؟

فالجواب: أن الأول أمرٌ بالعبادة والإخلاص، والثاني أمرٌ بالسَّبْق إلى الإسلام، فهما معنيان اثنان.

وكذلك قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ ليس تكرارًا لقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾؛ لأن الأول إخبارٌ بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبارٌ بأنه يفعل العبادة.

وقدَّم اسم الله تعالى؛ للحصر واختصاص(٢) العبادة به وحده.

---

(١) في أ: «ينحصر»، وفي ب: «يحصى».

(٢) هنا ينتهي سقط الورقة من ج.

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ هذا تهديدٌ، ومبالغة في الخذلان والتَّخلية لهم على ما هم عليه.

﴿ظُلَلٌ﴾ جمع ظُلَّة - بالضم -، وهو ما غَشِي من فوق، كالسقف، فقوله: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ بيِّنٌ، وأما: ﴿وَمِن تَحۡتِهِمۡ﴾ فسماه ظُلَّةً؛ لأنه سقفٌ لمن تحتَهم؛ فإن جهنم طبقات.

وقيل: سماه ظلةً؛ لأنه يلتهب ويصعد[1] من أسفلهم إلى فوقهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير؛ إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا.

وقيل: نزلت في أبي ذرٍّ، وسلمان، وهذا ضعيف؛ لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة، والآيةُ مكية.

والأظهر: أنها عامة.

والطاغوت هنا: كلُّ ما عُبد من دون الله.

وقيل: الشياطين.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ قيل: معناه: يستمعون القول على العموم، فيتَّبعون القرآن؛ لأنه أحسن الكلام.

وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار، وشبه ذلك.

---

(١) في ب، ج: «ويتعقد»!.

وقيل: هو الذي يسمع حديثًا فيه حسَنٌ وقبيح، فيحدِّث بالحسَن ويكفُّ عما سواه، وهذا قول ابن عباس، وهو الأظهر.

وقال ابن عطية: هو عام في جميع الأقوال؛ والقصد الثناء على هؤلاء ببصائرَ ونظرٍ سديدٍ يفرِّقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطإ، فيتبعون الأحسن من ذلك[١].

وقال الزمخشري مثل هذا المعنى[٢].

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الكلام جملةً واحدة تقديره: أفمن[٣] حقت[٤] عليه كلمة العذاب أأنت[٥] تنقذه؟ فوضع ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ موضع المضمر.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ هي الهمزة التي في قوله: ﴿أَفَمَنْ﴾ وهي همزة الإنكار؛ كُرِّرت للتأكيد.

والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه العذاب تتأسَّفُ عليه؟، فحذف الخبر، ثم استأنف قولَه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾؟ وعلى هذا يوقف على ﴿ٱلْعَذَابِ﴾.

والأول أرجح؛ لعدم الإضمار.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٣).
(٢) الكشاف (١٣/ ٣٦٢-٣٦٣).
(٣) من هنا يبدأ سقط ورقة من هـ.
(٤) في أ: «حق».
(٥) في ب، ج: «أفأنت».

﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معنى ﴿سَلَكَهُۥ﴾: أدخله وأجراه.

والينابيع: جمع ينبوع، وهو العين.

وفي هذا دليلٌ على أن ماء العيون من المطر.

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي: أصنافه، كالقمح والأُرُزِّ والفول وغير ذلك.

وقيل: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: الخضرة والحمرة وشبه ذلك.

وفي الوجهين دليلٌ على الفاعل المختار، وَرَدٌّ على أهل الطبائع.

[﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب؟

وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام: عليّ بن أبي طالب، وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم: أبو لهب، وأولاده.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الزمخشري: ﴿مِّن﴾ هنا: سببية؛ أي: قلوبهم قاسيةٌ من أجل ذكر الله[1]، وهذا المعنى بعيد.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٣٦٨).

ويحتمل عندي: أن يكون «قاسية» تضمَّن معنى: خالية، فلذلك تعدى بـ «مِن»، والمعنى: أن قلوبهم خاليةٌ من ذكر الله.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن.

﴿كِتَٰبٗا﴾ بدلٌ من ﴿أَحۡسَنَ﴾، أو حالٌ منه.

﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ معناه هنا: أنه يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والنُّطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقضٌ ولا اختلاف.

﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع مُثَنَّى؛ أي: تثَنَّى فيه القصص وتُكرَّر(١).

ويحتمل أن يكون مشتقًّا من الثناء؛ لأنه يُثنى فيه على الله.

فإن قيل: ﴿مَّثَانِيَ﴾ جمعٌ؛ فكيف وُصِف به المفرد؟

فالجواب: أن القرآن ينقسم(٢) إلى سور وآيات كثيرة فهو جمعٌ بهذا الاعتبار.

ويجوز أن يكون كقولهم: «بُرْمَةٌ أعشارٌ»، و«ثوبٌ أخلاقٌ».

أو يكون تمييزًا من ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾، كقولك: «حسَنٌ شمائلَ».

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ إن قيل: كيف تعدَّى ﴿تَلِينُ﴾ بـ «إلى»؟

فالجواب: أنه تضمَّن معنى فعلٍ تعدَّى بـ «إلى»، كأنه قال: تميل أو تسكن

---

(١) في أ: «يثنى.. ويكرر».

(٢) في أ زيادة: «فيه».

أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله.

فإن قيل: لم ذُكرت الجلودُ أوَّلًا وحدها، ثم ذُكرت القلوب بعد ذلك معها؟

فالجواب: أنه لما قال أوَّلًا ﴿نَقشَعِرُّ﴾ ذكر الجلود وحدها؛ لأن القُشَعْرِيرةَ مِن وصْفِ الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيًا: ﴿تَلِينُ﴾ ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود، أما لين القلوب: فهو ضدُّ قسوتها، وأما لين الجلود: فهو ضد قُشَعْريرتها، فاقشعرَّت أوَّلًا من الخوف، ثم لانت بالرجاء.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن تكون الإشارة:

إلى القرآن.

أو إلى الخشية واقشعرار الجلد.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ الخبر محذوفٌ كما تقدم في نظائره، تقديره: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمَن هو آمنٌ مِن العذاب؟

ومعنى ﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾: يَلْقَى النار بوجهه؛ ليكفَّها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لَقِي شيئًا من المخاوف استقبله بيديه، وأيدي هؤلاء مغلولةٌ، فاتَّقوا النار بوجوههم.

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: ذوقوا جزاءَ ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان.

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصبٌ[١]:

على الحال.

أو بفعلٍ مضمر على المدح.

﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ أي: ليس فيه تضادٌ ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر.

وقيل: معناه: غير مخلوق.

وقيل: غير ذي لحْنٍ.

فإن قيل: لم قال: ﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ ولم يقل: «غيرَ مُعْوَجٍّ»؟

فالجواب: أن قوله: ﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ أبلغُ في نفي العِوَج عنه، كأنه قال: ليس فيه شيءٌ من العوج أصلًا.

﴿رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: متنازعون متظالمون.

وقيل: متشاحُّون.

وأصله من قولك: رجلٌ شَكِسٌ: إذا كان ضيِّقَ الصدر.

ومعنى ضربِ هذا المثل: بيانُ حال من يشرك بالله ومن يوحِّده، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوإ حال، وشبه من يوحِّد الله بمملوك لرجلٍ واحد.

فمعنى قوله: ﴿سَلَمٗا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصًا له.

---

(١) في ب: «نصبهما»، وفي ج: «نصبها».

وقرئ ﴿سَلَمًا﴾ بغير ألف، و﴿سَالِمًا﴾ بألف، والمعنى: واحد.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ في هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعيدٌ للكفار، فإنهم إذا ماتوا جميعًا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلَك من كان على الباطل.

وفيه أيضًا إخبارٌ بأنه ﷺ سيموت؛ لئلا[1] يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب ﵁ موته، حتى احتجَّ عليه أبو بكر الصديق ﵁ بهذه الآية، فرجع إليها.

﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ قيل: يعني: الاختصامَ في الدماء.

وقيل: في الحقوق.

والأظهر أنه اختصامُ النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون من تمام ما قبله.

ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها.

* * *

(١) في ب، ج: «فلا».

[﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ المعنى: لا أحد أظلم ممن كذب على الله.

ويريد بالكذب على الله هنا: ما نسبوا له[1] من الشركاء والأولاد.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ أي: كذَّب بالإسلام والشريعة.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ قيل: الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، وهو الذي صدَّق به.

وقيل: الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، والذي صدَّق به: أبو بكر.

---

(١) في أ: «إليه».

وقيل: الذي جاء بالصدق: جبريل، والذي صدَّق به: محمد ﷺ.

وقيل: الذي جاء بالصدق: الأنبياء، والذي صدَّق به: المؤمنون.

واختار ابن عطية أن يكون على العموم، وجعَل ﴿ٱلَّذِى﴾ للجنس، كأنه قال: «الفريق الذي..»؛ لأنه في مقابَلة من كذَب على الله وكذَّب بالصدق، والمراد به العموم(١).

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ تقويةٌ لقلب محمد ﷺ، وإزالةٌ للخوف الذي كان الكفار يخوِّفونه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على التوحيد، وردٌّ على المشركين.

﴿هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على المشركين، وبرهانٌ على الوحدانية.

وروي أن سببها: أن المشركين خوَّفوا رسول الله ﷺ من آلهتهم، فنزلت الآية مبينةً أنهم لا يقدِرون على شيء.

فإن قيل: كيف قال: ﴿كَـٰشِفَـٰتُ﴾ و﴿مُمْسِكَـٰتُ﴾ بالتأنيث؟

فالجواب: أنها لا تعقل، فعاملها معاملة المؤنثة، وأيضًا ففي تأنيثها تحقيرٌ لها وتهكُّمٌ بمن عبدها.

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديدٌ ومسالمةٌ منسوخة بالسيف.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة(٢).

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٩٤).

(٢) انظر صفحة ٧٣٥.

[﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾].

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ هذه الآية[(١)] اعتبارٌ، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين:

أحدهما: وفاة كاملة حقيقية، وهي الموت.

والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وتقديرها: ويتوفى

(١) في ب، ج، د: «آية».

الأنفس التي لم تمت في منامها.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أي: يمسك الأنفس التي قضى عليها الموتَ الحقيقيَّ.

ومعنى إمساكها: أنه لا يردها إلى الدنيا.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يرسل الأنفس النائمة.

وإرسالها: هو ردُّها إلى الدنيا.

والأجل المسمى: هو أجل الموت الحقيقي.

وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر بعلمه الله لقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا: بمعنى «بل» وهمزة الإنكار.

والشُّفعاء: هم الأصنام وغيرها، لقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال، وتقديره: أيشفعون وهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون؟.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مالكها، فلا يشفع أحدٌ إليه إلَّا بإذنه، وفي هذا ردٌّ على الكفار في قولهم: إن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبُّون الإشراك به.

ومعنى ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾: انقبضت من شدة الكراهة.

وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة «النجم»، فألقى الشيطان في أمنيَّته حسبما ذكرنا في «الحج»[1]، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزُّوا.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم يومَ القيامة خلافُ ما كانوا يظنون؛ لأنهم كانوا يظنون ظنونًا كاذبة.

وقال الزمخشري: إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][2].

وقيل: معناها: عملوا أعمالًا حَسِبوها حسناتٍ، فإذا هي سيئات.

وقال الحسن: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية.

وهذا على أنها في المسلمين، والظاهر أنها في الكفار.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ معنى ﴿وَحَاقَ﴾: حلَّ ونزل.

وقال ابن عطية: وغيره: إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاءُ ما كانوا به يستهزئون[3].

---

(١) انظر صفحة ٢١٢.

(٢) الكشاف (١٣/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٠١).

ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف، وهو أحسن، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون إذا خوِّفوا بعذاب الله، ويقولون: متى هذا الوعد؟.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: على علمٍ منِّي بالمكاسب والمنافع.

والآخر: على علمِ الله باستحقاقي لذلك.

و﴿إِنَّمَا﴾ هنا تحتمل وجهين:

أحدهما - وهو الأظهر -: أن تكون «ما» كافةً، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ في موضع الحال.

والآخر: أن تكون «ما» اسم «إنَّ» و﴿عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ خبرها.

وإنما قال: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ بالضمير المذكَّر وهو عائد على النعمة؛ للحمل على المعنى.

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ ردٌّ على الذي قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارونَ وغيره.

* * *

[﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود: هذه أرجى آية في القرآن.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أُحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»(١).

واختُلف في سببها:

فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة.

وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففُتِنوا فافتتنوا، ثم ندموا وظنوا

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٢).

أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب، وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي لما جرى له ذلك.

وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زنينا، وقتلنا النفوس؟، فنزلت الآية فيهم.

ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيلٍ نذكره، وذلك أن ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾:

إن أراد به الكفار: فقد أجمعت[1] الأمة على أنهم إذا أسلموا غُفر لهم كفرُهم وجميع ذنوبهم؛ لقوله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله»[2]، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل يخلِّدهم في النار.

وإن أراد به العصاة من المسلمين: فإن العاصيَ إذا تاب غفر الله ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها:

المغفرةَ للكفار إذا أسلموا.

أو للعصاة إذا تابوا.

أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضَّل الله عليهم بالمغفرة.

والظاهر: أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا

---

(١) في ب، ج: «اجتمعت».

(٢) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

أسلموا، والدليل على أنها في الكفار: ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ يعني: اتبعوا القرآن، وليس المعنى: أن بعض القرآن أحسنُ من بعض؛ لأنه حسَنٌ كلُّه، وإنما المعنى: أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالتفضيل الذي يقتضيه ﴿أَحْسَنَ﴾ إنما هو في الاتباع.

وقيل: يعني: الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله تقديره: كراهةَ أن تقول نفسٌ.

وإنما نكَّر النفس؛ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفوس الكفار.

﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في حقِّ الله.

وقيل: في أمر الله.

وأصله: من الجنب بمعنى الجانب، ثم استعير لهذا المعنى.

﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: المستهزئين.

﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ للنفس التي حُكِي كلامها، ولا يجاوب[1] بـ «بلى» إلَّا النفي.

وهي هنا جوابٌ لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنه في معنى النفي؛ لأن «لو» حرف امتناع، وتقدير الجواب: بل قد جاءك

---

(١) في د: «ولا يجاب».

الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب.

وقال ابن عطية: هي جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾؛ فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتَّسع للنظر فقيل له: ﴿بَلَىٰ﴾ على وجه الردِّ عليه[1].

والأول أليق بسياق[2] الكلام؛ لأن قوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَٰتِي﴾ تفسيرٌ لما تضمنته ﴿بَلَىٰ﴾.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ يَحتمل أن يريد:

سوادَ اللون حقيقة.

أو يكون عبارةً عن شدَّة الكرب.

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أصله: من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم.

وقيل: معناه بحسناتهم.

وقيل: بفضائلهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: قائمٌ بتدبير كل شيء.

﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح.

وقيل: خزائن.

واحدها: مِقْلِيد.

وقيل: إقليد.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٠٧).

(٢) في ب، ج: «السياق».

وقيل: لا واحد لها من لفظها، وأصلها كلمة فارسية.

وقال عثمان بن عفان: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السموات والأرض فقال: «هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير»[(١)].

وإن صح هذا الحديث فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقًا مخلصًا نال الخيرات والبركات من السماء[(٢)] والأرض؛ لأن هذه الكلمات تُوصِل إلى ذلك، فكأنها مفاتح[(٣)] له.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيةَ، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وما بينهما من الكلام اعتراضٌ[(٤)].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٥٤).

(٢) هنا ينتهي السقط من هـ.

(٣) في ج: «مفاتيح»، وفي د: «مفتاح».

(٤) الكشاف (١٣/ ٤٢٣).

[﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾].

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ منصوب بـ ﴿أَعْبُدُ﴾.

﴿تَأْمُرُونِيَ﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفًا.

وقرئ بنونين على الأصل.

وقرئ بإدغام إحدى النونين في الأخرى.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليلٌ على إحباط أعمال المرتد مطلقًا، خلافًا للشافعي في قوله: لا يحبط عمله إلَّا إذا مات على الكفر.

فإن قيل: الموحى إليهم جماعةٌ، والخطاب بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ لواحد؟

فالجواب: أن المعنى: أنه أوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حِدَته.

فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك؟

فالجواب: أن ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: لو وقع منهم شرك

لحبطت أعمالهم، لكنهم لم يقع منهم شركٌ بسبب العصمة.

ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا هم؛ ليدلَّ المعنى على غيرهم بالطريق الأولى.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: ما عظَّموه حقَّ تعظيمه، ولا وصفوه بما يجب له، ولا نزهوه عما لا يليق به.

والضمير في ﴿قَدَرُواْ﴾: لقريش.

وقيل: لليهود.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ المقصود بهذا: تعظيمُ جلال الله، والردُّ على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره.

ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات:

فقالت المتأوِّلة: إن القبضة واليمين عبارةٌ عن القدرة.

وقال ابن الطيب: إنها صفات زائدة على صفات الذات.

وأما السلف الصالح فسلَّموا عِلْمَ ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يَعلم حقيقتَه إلَّا الله(١).

وقد قال ابن عباس ما معناه: إن الأرض في قبضته والسموات مطوياتٌ، كلٌّ ذلك بيمينه.

---

(١) انظر (٢/ ١٩٥)

وقال ابن عمر ما معناه: أن الأرض في قبضة اليد الواحدة، والسموات مطويات باليمين الأخرى؛ لأن كلتا يديه يمين.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو القرن الذين يَنفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصعق، وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزَع، ولم تذكر في هذه الآية.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: يعني: جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، ثم يميتهم بعد ذلك.

وقيل: استثنى الأنبياء.

وقيل: الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام.

﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظَر.

وقيل: من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، وإنما وحَّدها؛ لأنه أراد الجنس.

وقيل: هو اللوح المحفوظ.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشهدوا على قومهم.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يحتمل أن يكون:

جمع شاهد.

أو جمع شهيد في سبيل الله.

والأول أرجح؛ لأن فيه معنى الوعيد، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشَّاهدين، والمراد على هذا: أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

وقيل: يعني: الملائكة الحفَظة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق.

* * *

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا
خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ
ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿زُمَرًاۖ﴾ في الموضعين: جمع زُمْرة، وهي الجماعة من الناس، وقال ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشدِّ نجم في السماء إضاءةً، ثم هم بعد ذلك منازل»[١].

﴿خَزَنَتُهَآ﴾ جمع خازن حيث وقع.

﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني: القضاءَ السابق بعذابهم.

﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ إنما قال في الجنة ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ بالواو وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة كانت مفتَّحةً قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب ﴿إِذَا﴾ على هذا محذوفٌ، وأما أبواب النار فإنما فتحت حين جاؤوها، فوقع قوله: ﴿فُتِحَتۡ﴾ جوابًا للشرط، فكان بغير واو.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية؛ لأن أبواب الجنة ثمانية.

وقيل: الواو زائدة، و﴿فُتِّحَتْ﴾ هو الجواب.

﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الجنة، والوِراثة هنا: استعارةٌ؛ كأنهم ورثوا موضع[1] من لم يدخل الجنة.

﴿نَتَبَوَّأُ﴾ أي: نَنزِل من الجنة حيث نشاء ونتَّخذه مسكنًا.

﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي: مُحْدِقين به، دائرين حوله.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول.

ويحتمل هنا أن يكون للملائكة.

والقضاء بينهم: توفية أجورهم على حسَب منازلهم.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يَحتمل أن يكون القائل لذلك: الملائكةَ.

أو جميعَ الخلق.

أو أهلَ الجنة؛ لقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].



(١) في أ، هـ: «مواضع».

﴿ سورة المؤمن ﴾

[﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ
شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ
فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟
وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن
صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾].

﴿حمٓ ۝١﴾ تقدَّم الكلام في حروف الهجاء[1].

ويختص[2] ﴿حمٓ ۝١﴾ بأنها قيل: معناها: «حم الأمرُ»، أي قُضِي.

وقال ابن عباس: «ألر» و«حم» و«ن» هي حروف الرحمن.

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) في ب، ج، د: «وتختص».

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ذكر في «الزمر»[١].

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي: ذي الفضل والإنعام.

وقيل: الطَّول: الغنى والسَّعة.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ جعل ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ بمعنى: لا يَحزُنك، ففيه تسليةٌ للنبي ﷺ، ووعيدٌ للكفار.

﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ يراد به: عاد وثمود وغيرهم.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ أي: يبطلوا به الحق.

﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجب قضاؤه.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ﴾.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، ومعلومٌ أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون بالله؟

فالجواب: أن ذلك إظهارٌ لفضيلة الإيمان وشرَفه، قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدةً أخرى وهي: أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق، لا بالرؤية[٢].

وهذه نزعةٌ[٣] إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله.

---

(١) انظر صفحة ٧٣٤.

(٢) الكشاف (١٣/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «نزغة» بالغين.

﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ أصل الكلام: وسعتْ رحمتُك وعلمك كلَّ شيء، فالسعة في المعنى مسندةٌ إلى الرحمة والعلم، وإنما أُسنِدتا في اللفظ إلى الله تعالى؛ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمةٌ وعلمٌ واسعان كلَّ شيء.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ يَحتمل:

أن يكون المعنى: قِهم السيئات نفسَها، بحيث لا يفعلونها.

أو يكون المعنى: قِهم جزاء السيئات، فلا تؤاخذهم بها.



[﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ المقت: البغض الذي يوجبه ذنبٌ أو عيب.

وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي: مقت بعضهم بعضًا، ويَحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبرُ من مقتكم أنفسَكم اليوم.

فقوله: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ مصدرٌ مضاف إلى الفاعل، وحُذف المفعول لدلالة مفعول ﴿مَّقْتِكُمْ﴾ عليه.

وقوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرفٌ، العامل فيه: ﴿مَقْتُ الله﴾ من طريق

المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن ﴿مَقْتُ اللهِ﴾ مصدرٌ؛ فلا يجوز أن يُفصَل بينه وبين بعض صلته، فيُحتاج أن يقدَّر للظرف عامل، وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾، والابتداء بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى.

وقد جعل الزمخشري ﴿مَقْتُ اللهِ﴾ عاملًا في الظرف، ولم يعتبر الفصل[1].

﴿قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]:

فالموتة الأولى: عبارةٌ عن كونهم عدَمًا، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام، والموتة الثانية: الموت المعروف، والحياة الأولى: حياة الدنيا، والحياة الثانية: حياة البعث في القيامة.

وقيل: الحياة الأولى: حياة الدنيا، والثانية: الحياة في القبر، والموتة الأولى: الموت المعروف، والموتة الثانية: بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد؛ لأنه لا بدَّ من الحياة للبعث فتجيءُ الحياة ثلاثة مرات.

فإن قيل: كيف اتِّصال[2] قولهم: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ بما قبله؟

فالجواب: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك، فأقروا به حينئذ؛ ليُرضوا اللهَ بإقرارهم حينئذ، فقولهم: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إقرارٌ بالبعث على أكمل الوجوه؛ طمعًا منهم أن

(١) الكشاف (١٣/ ٤٧١).

(٢) في أ: «اتصل».

يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله؛ إذ كانوا يُدعون إلى الإيمان فيكفرون.

﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التَّسبيب.

فإن قيل: كيف يكون قولهم: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ سببًا لاعترافهم بالذنوب؟

فالجواب: أنهم كانوا كافرين بالبعث، فلمَّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرَّرَا عليهم علموا أن الله قادرٌ على البعث فاعترفوا بذنوبهم، وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي، فإن مَن لا يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ الباء: سببية للتعليل.

والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكُم﴾ تحتمل أن تكون:

إلى العذاب الذي هم فيه.

أو إلى مقت الله لهم.

أو مقتهم لأنفسهم.

والأحسن: أن تكون إشارةً إلى ما يقتضيه سياق الكلام، وذلك أنهم لما قالوا: ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ كأنهم قيل لهم: «لا سبيل إلى الخروج»، فالإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ إلى عدم خروجهم من النار.

﴿يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني: العلامات الدالة عليه؛ من مخلوقاته ومعجزات رسله.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ يعني: المطر.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى:

مرتفع الدرجات، فيكون بمعنى العليِّ[١].

أو رافع درجات عباده في الجنة[٢] وفي الدنيا.

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ يعني: الوحيَ.

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يحتمل أن يريد:

الأمرَ الذي هو واحد الأمور.

أو الأمر بالخير.

فعلى الأول: تكون ﴿مِنْ﴾ للتبعيض، أو لابتداء الغاية.

وعلى الثاني: تكون لابتداء الغاية، أو بمعنى الباء.

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يعني: يوم القيامة.

وسمِّي بذلك؛ لأن الخلائق يلتقون فيه.

وقيل: لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض.

وقيل: لأنه يلتقي الخلق[٣] مع ربهم.

والفاعل بـ﴿لِيُنذِرَ﴾: ضميرٌ يعود على ﴿مَن يَشَآءُ﴾، أو على ﴿ٱلرُّوحَ﴾، أو على الله.

---

(١) في ب، ج: «العلو».

(٢) في ب: «الآخرة».

(٣) في د، هـ زيادة: «فيه».

﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى؛ تقريرًا للخلق يوم القيامة؛ فيجيبونه ويقولون: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

وقيل: بل هو الذي يجيب نفسه؛ لأن الخلق يسكتون هيبةً له.

وقيل: إن القائل ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: ملَكٌ.

﴿يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ يعني: القيامة، ومعناه: القريبة.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ معناه: أن القلوب قد صَعِدت من الصدور[1]؛ لشدَّة الخوف حتى بلغت إلى الحناجر، فيحتمل أن يكون ذلك:

حقيقةً.

أو مجازًا عبَّر به عن شدَّة الخوف.

والحناجر: جمع حَنْجَرة، وهي الحلق.

﴿كَٰظِمِينَ﴾ أي: محزونين حُزنًا شديدًا كقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقيل: معناه يكظمون حزنهم؛ أي: يطمعون أن يخفوه، والحال تغلبهم.

وانتصابه على الحال:

من أصحاب القلوب؛ لأن معناه: قلوب الناس.

أو من المفعول في ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «الصدر».

أو من ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾، وجمَعها جمع المذكر؛ لما وصفها بالكَظْم الذي هو من أفعال العقلاء.

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: صديقٍ مشفق.

﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون:

نفَى الشفاعةَ وطاعة الشفيع.

أو نفَى طاعة خاصة، كقولك: «ما جاءني رجل صالح» فنفيتَ الصلاح، وإن كان قد جاءك رجل غير صالح.

والأول أحسن؛ لأن الكفار ليس لهم مَن يشفع[1] فيهم.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي: استراقَ النظر.

والخائنة:

مصدرٌ بمعنى الخيانة.

أو وصفٌ للنظرة.

وهذا الكلام متصل بما تقدَّم من ذكر الله، واعتَرض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد إليه من قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

---

(١) في ب، هـ: «مِن شفيع».

[﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ
(٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ
شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا
اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم
مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾].

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات.

﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أوّلًا قبل ميلاد موسى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ المعنى: أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه، ولا يخاف من ذلك إن قتله.

ويظهر من قوله: ﴿ذَرُونِي﴾ أنه كان في الناس مَن ينازعه في قتل موسى، وذلك يدلُّ على أنَّ فرعون كان قد اضطرب أمرُه بظهور معجزات موسى.

﴿وَأَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ يعني: فساد أحوالهم في الدنيا.

وقرئ ﴿وَأَن يُظْهِرَ﴾:

بالواو فقط، وبـ﴿أَوْ﴾».

و﴿يُظْهِرَ﴾:

[أ-] بفتح الياء، ورفع ﴿الفَسَادُ﴾ على الفاعلية.

[ب-] وبضم الياء، ونصب ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ على المفعولية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ﴾ الآيةَ؛ لما سمع موسى ما همَّ به فرعون من قتله، استعاذ بالله فعصمه الله منه.

وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ليشمل فرعون وغيره، وليكون فيه وصف لفرعون بذلك الوصف القبيح.

* * *

[﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ
رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ
صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾
يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ
فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ
مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ
يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن
يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى
صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ
كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ
إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: إن اسم هذا المؤمن حبيب.

وقيل: حِزْقِيل.

وقيل: شمعان بالشين المعجمة.

وروي أن هذا المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة للمؤمن.

وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ على هذا يتعلَّق بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾.

والأول أرجح؛ لأنه لا يُحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ لأن هذا كلامُ قريبٍ شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلَّاء، بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام.

﴿أَن يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: أتقتلونه من أجل أن يقول ربي الله.

﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: إن كان موسى كاذبًا في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه، فلأي شيء تقتلونه؟.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا﴾ بعد أن كان قد آمن به؟

فالجواب: أنه لم يقل ذلك على وجه التَّكذيب له، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجَّة لقومه، فقسَم أمرَ موسى إلى قسمين؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجهٍ من القسمين.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ قيل: إن ﴿بَعْضُ﴾ هنا بمعنى: «كل»، وذلك بعيد.

وإنما قال ﴿بَعْضُ﴾ ولم يقل «كل» مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم؛ ليلاطفَهم في الكلام، ويَبعُدَ عن التعصُّب لموسى، ويُظهِرَ النصيحة لقومه، فيَرتجيَ إجابتهم للحق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أوَّلًا.

وقيل: هو موسى عليه السلام، وهذا بعيد، وإنما توهَّموا ذلك لأنه صرَّح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أوَّلًا غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه؛ إذ كان يكتم إيمانه.

والجواب: أنه كتم إيمانه في أول الأمر، ثم صرَّح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرةً ظاهرة؛ لما وثق بالله حسَبما حكى الله من كلامه إلى قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمِّي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ﴾ [الإسراء: ٧١].

وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضًا؛ أي ينادي أهل الجنة: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] وينادي أهل النار: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منطلقين إلى النار.

وقيل: هاربين من النار.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ هو يوسف بن يعقوب.

وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب.

والبينات التي جاء بها يوسف: لم تعيَّن لنا.

واختُلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؟؛ لأن كل من ملَك مصر يقال له: «فرعون».

﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ كلام هذا لا يدلُّ على أنهم مؤمنون

برسالة يوسف، وإنما مرادهم: لن يأتيَ أحدٌ يدَّعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية[١].

وقال الزمخشري: إنما هو تكذيبٌ لرسالة مَن بعده مضمومٌ إلى تكذيب رسالته[٢].

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدلٌ من ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنى الجمع، كأنه قال: كلُّ مسرفٍ.

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾: مصدرُ ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾[٣].

وقال الزمخشري: الفاعل ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾[٤].

﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ هنا: الطريق.

وقيل: الأبواب.

وكرَّرها؛ للتفخيم وللبيان.

﴿فَأَطَّلِعُ﴾ بالرفع: عطفٌ على ﴿أَبْلُغُ﴾.

وبالنصب: بإضمار «أنْ» في جواب ﴿لَّعَلِّيٓ﴾؛ لأن الترجِّيَ غيرُ واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول: إن «لعل» أُشْرِبت معنى «ليت» كما قال بعض النحاة.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٢).

(٢) الكشاف (١٣/ ٥٠٩).

(٣) أي: كبُرَ جِدالهم مقتًا. المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٢).

(٤) الكشاف (١٣/ ٥١٠).

﴿تَبَابٍ﴾ أي: خسران.

[﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا
هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ
وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠
أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا
وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ
مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ
سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا
وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا
نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ
ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا
دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾].

﴿مَتَٰعٌ﴾ أي: يُتمتَّعُ به قليلًا.

فإن قيل: لم كرَّر المؤمن نداءَ قومه مرارًا؟

فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم، وإظهار الملاطفة والنصيحة.

فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ في الثالث دون الثاني؟

فالجواب: أن الثانيَ بيانٌ للأول وتفسير، فلم يصحَّ عطفه عليه، بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصحَّ عطفه.

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم: نفيُ المعلوم، كأنه قال: «وأشرك به ما ليس بإله»، وإذا لم يكن إلهًا لم يصحَّ علمُ ربوبيته.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: المعنى: ليس له قدْرٌ ولا حقٌّ يجب أن يُدْعَى إليه أحدٌ، كأنه قال: تدعونني إلى عبادة ما لا خطَر له في الدنيا ولا في الآخرة[1].

ويحتمل اللفظ أن يكون معناه: ليس له دعوة قائمة، أي: لا يُدْعَى أحدٌ[2] إلى عبادته.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ دليلٌ على أن مَن فوَّض أمره إلى الله ﷻ كان الله معه.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلٌ من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

أو مبتدأ.

أو خبر مبتدإ مضمر.

وعَرْضُهم عليها: من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدَّة البرزخ،

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٦).

(٢) في أ، ب، هـ: «يُدعَى»، وفي ج: «يدعو».

بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

واستدلَّ أهلُ السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر.

وروي أن أرواحهم في أجواف طيرٍ سود تروح بهم(١) وتغدو إلى النار.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه: في كل غُدْوةٍ وعشيَّةٍ من أيام الدنيا.

وقيل: المعنى: على تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل: هلَّا قال: «الذين في النار لخزنتها»؟ فلم صرَّح باسمها؟

فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلًا ليس في ذكْر الضمير.

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ يَحتمل أن يكون:

من كلام خزنة جهنَّم، فيكون متَّصلًا بقولهم: ﴿فَٱدْعُواْ﴾.

أو أن يكون من كلام الله تعالى استئنافًا.

* * *

(١) في ب، ج: «بها».

[﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ
لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَـٰرِ
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ
السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا الْمُسِيٓءُ
قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ قيل: إن هذا خاصٌّ فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعامٍّ؛ لأن مِن الأنبياء مَن قتله قومه كزكرياءَ ويحيى.

والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكروه: أن زكرياءَ ويحيى لم يكونا من الرسل، وإنما كانا من الأنبياء الذي ليسوا بمرسلين، وإنما ضَمِنَ الله نصر الرسل خاصةً، لا نصر الأنبياء كلِّهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ يعني: يوم القيامة.

و﴿الْأَشْهَـٰدُ﴾ جمع شاهد، أو شهيد.

ويَحتمل أن يكون بمعنى:

الحضور.

أو الشهادة على الناس.

أو الشهادة في سبيل الله.

والأظهر: أنه بمعنى الشهادة على الناس؛ لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ يحتمل:

أنهم لا يعتذرون.

أو يعتذرون، ولكن لا تنفعهم معذرتُهم.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦] فنفَى الاعتذار والانتفاع به.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه.

﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ قيل: العشيُّ: صلاة العصر، والإبكارُ: صلاة الصبح.

وقيل: العشي: بعد العصر إلى الغروب، والإبكار: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: كفارَ قريش.

﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: تكبُّرٌ وتعاظمٌ يمنعهم مِن أن يتَّبعوك أو ينقادوا إليك.

وقيل: كِبْرُهم: أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم، ورأوا أنهم أحقُّ بها.

والأول أظهر؛ لأن إرادتَهم النبوةَ لأنفسهم حسدٌ، والأول هو الكِبْرُ.

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ أي: لا يَبلغون ما يقتضيه كِبْرُهم من الظهور عليك، أو من نيل النبوة.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ﴾ أي: استعذ من شرِّهم؛ لأنهم أعداءٌ لك.

أو استعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد.

أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ الخلق هنا: مصدر مضاف إلى المفعول.

والمراد بهذا[١]: الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات والأرض على كِبَرِها قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها.

وقيل: المراد: توبيخ الكفار المتكبِّرين، كأنه قال: خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبَّرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم؟.

والأول أرجح؛ لوروده في مواضع من القرآن، ولأنه قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدَّم الدليل، ثم ذكَر المدلول.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ الدعاء هنا: هو الطلب والرغبة، وهذا وعدٌ مقيَّد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب له.

---

(١) في أ، هـ: «به».

وقيل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ هنا: بمعنى اعبدوني؛ بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾، وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية[1]، و﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ على هذا القول بمعنى: أغفرْ لكم وأعطيكم أجوركم.

والأول أظهر، ويكون قوله: ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ بمعنى: يستكبرون عن الرغبة إليَّ، كما قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضبْ عليه»[2].

وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فمعناه: أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقارُ العبد وتضرُّعه إلى الله.

﴿دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين.

* * *

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٤٤)، وابن ماجه (٣٨٢٧).
(٢) أخرجه أحمد (٩٧٠١)، والترمذي (٣٣٧٣).

[﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾].

﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ ذكر في «يونس»[1].

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني: المستلَذّات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا متصلٌ بما قبله، قال ذلك ابن عطية[2] والزمخشري[3]، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) انظر (٢/ ٥٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٤).

(٣) الكشاف (١٣/ ٥٤٠).

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ولذلك قال ابن عباس: من قال: «لا إله إلا الله» فليقل: «الحمد لله رب العالمين».

ويَحتمل أن يكون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ استئنافًا.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد الجنس، ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ ذُكِر الأشُدُّ في سورة «يوسف»[1] عَلَيْتَلِاهِ.

واللام تتعلَّق بفعل محذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا.

وكذلك ﴿لِتَكُونُواْ﴾.

وأما ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمتعلِّقٌ بمحذوف آخر تقديره: فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلًا مسمى، وهو الموت، أو يوم القيامة.



(١) انظر (٢/ ٦٢٥).

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ
وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا
كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا
كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾
فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ
وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ يعني: كفار قريش.

وقيل: هم أهل الأهواء، كالقدرية وغيرهم، وهذا مردود بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾، إلَّا إن جعلته منقطعًا مما قبله، وذلك بعيد.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ العامل في ﴿إِذِ﴾: ﴿يَعْلَمُونَ﴾.
وجعل الظَّرف الماضيَ موضعَ المستقبل؛ لتحقُّق الأمر.

﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: يُجرُّون، والحميم: الماء الشديد الحرارة.

﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هذا من قولك: سجَرتُ التنُّور: إذا ملأتَه بالنار، فالمعنى: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار.

﴿تَمْرَحُونَ﴾ مِن المرَح، وهو الأشَر والبطَر.

وقيل: الفخر والخيلاء.

﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: «بئس مدخل الكافرين»؛ لأنه تقدَّم قوله: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾؟.

فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثَّواء.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ أصل ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: «إنْ نُرِكَ»[1] ودخلت «ما» الزائدة بعد «إنْ» الشرطية.

وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرَّت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشدَّ الانتقام.

﴿مِّنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ روي عن النبي ﷺ: «**أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول**»[2]، وفي حديث آخر: «**أربعة آلاف**»[3]، وفي حديث أبي ذر: «**إن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، وأن الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر**»[4]؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصَّ عليه، ولم يذكر سائرَهم فهم الذين لم يَقصُص عليه.

---

(١) في النسخ الخطية هكذا: «إنْ نُرِيكَ» بإثبات الياء، والمثبت هو الصواب نحويًا، وهو موافق لعبارة الكشاف (١٣/ ٥٤٧)؛ لأن الفعل مجزومٌ بأداة الشرط، وهو معتلٌ فيحذف منه حرف العلة في حالة الجزم.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٣٦٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨).

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله: القيامة[١].

وقال ابن عطية: المعنى: إذا أراد الله إرسال رسول قضى ذلك[٢].

ويحتمل أن يريد بأمر الله: إهلاكَ المكذبين للرسل لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ في الموضعين: يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٥٥٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٨).

[﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾].

﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز.

فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ يعني: الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: اللحوم، والمنافع: اللبن والصوف وغير ذلك، ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني: قطْعَ المسافات البعيدة، وحَمْل الأثقال على الإبل.

و﴿تُحْمَلُونَ﴾ يريد: الركوب عليها، وإنما كرَّره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾؛ لأنه أراد بالركوب الأول: المتعارفَ في القرى والبلدان، وبالحمل عليها: الأسفارَ البعيدة، قاله ابن عطية(١).

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ هذا عمومٌ بعد ما قدَّم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبَّخهم بقوله: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين(٢)،

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٩).

(٢) في ب، ج: «المذكورين».

وفي تفسير عِلمِهم وجوهٌ:

أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون.

والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها.

والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.

وقيل: الضمير يعود على الرسل؛ أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذَّبهم.

وأما الضمير في: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ فيعود على الكفار باتفاق، ولذلك ترجَّح[1] أن يكون الضمير في ﴿فَرِحُواْ﴾ يعود عليهم؛ ليتَّسق الكلام.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصبٌ على المصدرية.



---

(١) في د: «وذلك يرجِّح».

فهرس الموضوعات

التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

ومعه تقريرات لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك

تحقيق

علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

المجلد الرابع

من فصلت إلى الناس



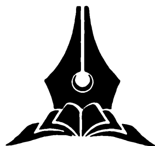
دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به



الطَّبْعَة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



دار طيبة الخضراء

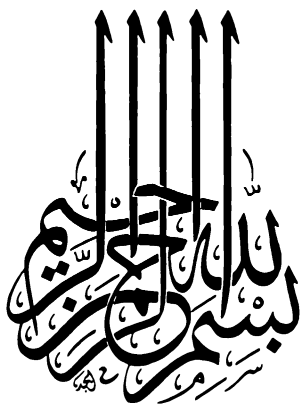
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

0125562986 I yyy 01@hotmail com

dar taibaa | @dar_tg | dar taibagreen123 | dar taiba

مكة المكرمة ـ العزيزية ـ خلف مسجد فقيه

0503568771 I 0550428992 I yyy.01@hotmail.com I 0125562986


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة حم السجدة ﴾

[﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ
أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ
﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ
وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ
﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾].

﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: بُيِّنت.

وقيل: قُطِّعت إلى سورٍ وآيات.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر على التَّخصيص.

أو حالٌ.

أو مصدرٌ.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه: يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف.

وقيل: معناه: يعلمون الحق، وهو الإيمان.

فالأول عام، وهذا خاصٌّ، والأول أولى؛ لقوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛

لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين.

وقيل: يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن؛ إذ هو بلغتهم.

وقوله: ﴿لِقَوْمٍ﴾ يتعلَّق: بـ ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو بـ ﴿فُصِّلَتْ﴾.

والأحسن أن يكون صفة لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يقبلون ولا يطيعون، وعبَّر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة.

﴿فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾ جمع كِنانٍ، وهو الغطاء.

﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عبارةٌ عن بُعْدِهم عن الإسلام.

﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ قيل: معناه: اعمل على دينك؛ إننا عاملون على ديننا، فهو مُتارَكةٌ.

وقيل: اعمل في إبطال أمرنا؛ إننا عاملون في إبطال أمرك، فهو تهديدٌ.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هي زكاة المال، وإنما خصَّها بالذكر؛ لصعوبتها على الناس، ولأنها من أركان الإسلام.

وقيل: يعني بالزكاة: التوحيدَ، وهذا بعيدٌ، وإنما حمله على ذلك أن الآيةَ مكيةٌ، ولم تُفرض الزكاة إلَّا بالمدينة.

والجواب: أن المراد: النفقة في طاعة الله مطلقًا، وقد كانت مأمورًا بها بمكة.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، من قولك: مننتُ الحبل: إذا قطعتَه.

وقيل: غير منقوص.

وقيل: غير محصور.

وقيل: لا يُمَنُّ عليهم به؛ لأن المنَّ يُكدِّر الإحسان.

* * *

[﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾].

﴿أَندَادًا﴾ أي: أمثالًا وأشباهًا من الأصنام وغيرها.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبالَ.

﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ أكثرَ خيراتها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاقَ أهلها ومعايشَهم(١).

وقيل: يعني: أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قِوام الأرض.

والأول أظهر.

---

(١) في ج: «ومعاشهم».

﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ يريد: أن الأربعة كمُلت باليومين الأولين، فخلَق الأرض في يومين، وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام، وخلَق السموات في يومين فتلك ستة أيام، حسَبما ذكر في مواضع كثيرة من القرآن، ولو كانت هذه الأربعةُ الأيام زيادة[1] على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانيةَ أيام، بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة.

﴿سَوَآءٗ﴾ بالنصب: مصدرٌ، تقديره: استوت استواءً. قاله الزمخشري[2].

وقال ابن عطية: انتصب على الحال[3].

﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ قيل: معناه: لمن سأل عن أمرها.

وقيل: معناه: للطَّالبين لها، ويعني بالطلب على هذا: حاجةَ الخلق إليها.

وحرف الجر:

يتعلَّق بمحذوف على القول الأول، تقديره: يبيِّن ذلك لمن سأل عنه.

ويتعلَّق بـ ﴿وَقَدَّرَ﴾ على القول الثاني.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصَد إليها.

ويقتضي هذا الترتيب: أن الأرض خُلقت قبل السماء.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ [النازعات: ٣٠]؟

---

(١) في ب: «زائدة».

(٢) الكشاف (١٣/ ٥٧٣).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٦٦).

فالجواب: أنها خُلقت قبل السماء، ثم دُحِيت بعد ذلك.

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ روي: أنه كان العرش على الماء، فأخرج اللهُ من الماء دخانًا، فارتفع فوق الماء، فأيبس الماءَ فصار أرضًا، ثم خلق السماء من الدخَان المرتفع.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ هذه عبارةٌ عن لزوم طاعتهما، كما يقول الملِك لمن تحت يده: «افعل كذا شئتَ أو أبيت»، أي: لا بدَّ لك من فعله.

وقيل: تقديره: ائتيا طوعًا وإلَّا أتيتما كرهًا.

ومعنى هذا الإتيان: تصوُّرُهما على الكيفية التي أرادها الله.

وقوله لهما: ﴿ائْتِيَا﴾ مجازٌ، وهو عبارةٌ عن تكوينه لهما.

وكذلك قولهما: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ عبارةٌ عن أنهما لم تمتنعا(١) عليه حين أراد تكوينَهما.

وقيل: بل ذلك كلامٌ حقيقةً، وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

وإنما جَمع ﴿طَائِعِينَ﴾ جمع العقلاء؛ لوصفهما بأوصاف العقلاء.

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ أي: صنعهنَّ، والضمير للسموات السبع، وانتصابُها على التمييز؛ تفسيرًا للضمير.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يمتنعا».

وأعاد عليها هنا ضمير الجماعة المؤنثة؛ لأنها لا تعقل، فهو كقولك: «الجذوعُ انكسَرْنَ».

وجمعهما جمع المذكَّر العاقل في قوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾؛ لأنه وصفها[1] بالطَّوع، وهو فعل العقلاء، فعاملها[2] معاملتهم، فهو كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وأعاد ضمير التثنية في قوله: ﴿قَالَتَآ﴾؛ لأنه جعَل الأرض فرقةً والسماء أخرى[3].

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: أَوحى إلى سُكَّانها من الملائكة، وإليها هي نفسها[4] ما شاء من الأمور، التي بها قِوامها وصلاحها.

وأضاف الأمر إليها؛ لأنه فيها.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ يعني: الشمس والقمر والنجوم، وهي زينةٌ للسماء الدنيا، سواءٌ كانت فيها أو فيما فوقها من السموات.

﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره: وحفظناها حفظًا.

ويجوز أن يكون مفعولًا من أجله على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينةً وحفظًا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وصفهما».
(٢) في أ، ب، هـ: «فعاملهما».
(٣) في ب، ج: «فرقة».
(٤) في ب، ج: «بعينها».

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش.

﴿صَٰعِقَةً﴾ يعني: وقْعةً وأخْذةً[(١)] شديدة، وهي مستعارةٌ من صاعقة النار.

وقرئ ﴿صَعْقَةً﴾ بإسكان العين، وهي الوَقْعة، من قولك: صَعِقَ الرجلُ.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما بين الأيدي: المتقدِّم، ومعنى ما خلف: المتأخِّر.

فمعنى الآية: أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدِّم، واتَّصلت نِذارتهم إلى زمان عاد وثمود، حتى قامت عليهم الحجة، فذلك ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، ثم جاءتهم رسلٌ آخرون عند اكتمال أعمارهم، فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، قاله ابن عطية[(٢)].

وقال الزمخشري: معناه: أتوهم من كل جانب، فهو عبارةٌ عن اجتهادهم في التبليغ إليهم[(٣)].

وقيل: أخبروهم بما أصاب مَنْ قبلهم، فذلك ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، وأنذروهم ما يجري عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ «أنْ»:

حرفُ عبارةٍ وتفسير.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «واحدة».
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٤٦٩-٤٧٠).
(٣) الكشاف (١٣/ ٥٨٣).

أو مصدريةٌ، على تقدير: بأن لا تعبدوا إلّا الله.

﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ ليس فيه اعترافُ الكفار بالرسالة، وإنما معناه: بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكُّمٌ.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قيل: إنه من الصِّرِّ وهو شدة البرد، فمعناه: باردةً.

وقيل: إنه من قولك: صَرَّ يَصِرُّ: إذا صوَّت، فمعناه: لها صوت هائل.

﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ معناه: مِن النَّحْس، وهو ضد السَّعْد.

وقيل: شديدة البرد.

وقيل: متتابعةٌ.

والأول أرجح.

وروي أنها كانت آخرَ شوال من الأربعاء إلى الأربعاء.

وقرئ ﴿نَّحْسَاتٍ﴾ بإسكان الحاء وكسرها:

فأما الكسر: فجمع نَحِسٍ، وهو صفة.

وأما الإسكان: فتخفيفٌ من الكسر، أو صفةٌ على وزن فَعْلٍ، أو وصفٌ بالمصدر.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ أي: بيَّنا لهم، فهو بمعنى البيان، لا بمعنى الإرشاد.

[﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدْفعون بعنفٍ.

﴿وَجُلُودُهُم﴾ يعني: الجلودَ المعروفة.

وقيل: هي كنايةٌ عن الفروج.

والأول أظهر.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآيةَ؛ يحتمل أن يكون: من كلام الجلود، أو من كلام الله تعالى، أو الملائكة.

وفي معناه وجهان:

أحدهما: لم تَقدِروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمةٌ لكم، فلم يمكنْكم احتراسٌ من ذلك، فشهدت عليكم.

والآخر: لم تتحفَّظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنُّوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون، وهذا أرجح؛ لاتِّساق ما بعده معه، ولما جاء

في الحديث الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «اجتمع ثلاثة نفر قرشيان[١] وثقَفي، أو ثَقَفيان وقرشي[٢]، قليلٌ فقهُ قلوبِهم، كثيرٌ شحمُ بطونِهم، فتحدَّثوا بحديثٍ، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فقال الآخر: إن كان يسمع منَّا شيئًا فإنه يسمعه كلَّه، فنزلت الآية»[٣].

﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلكَكم؛ من الرَّدَى بمعنى الهلاك.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العُتْبى بمعنى الرضا؛ أي: إن طَلبوا العُتْبى ليس فيهم من يُعطاها.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ أي: يسَّرنا لهم قرناءَ سوءٍ؛ من الشياطين وغُواة الإنس.

﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما تقدَّم من أعمالهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما هم عازمون عليه.

أو ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، والتكذيبِ بها.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: سبَق القضاءُ بعذابهم.

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: في جملةِ أممٍ.

وقيل: ﴿فِىٓ﴾ بمعنى: «مع».

---

(١) في ج، د، هـ: «قريشيان» والمثبت موافق لما في الرواية.
(٢) في أ، ج، د، هـ: «وقريشي» والمثبت موافق لما في الرواية.
(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

[﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ روي أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله.

﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ المعنى: لا تسمعوا إليه، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات، وإنشاد الشعر، وشبه ذلك؛ حتى لا يسمعه أحد.

وقيل: معناه: قَعُوا فيه وعِيبُوه.

﴿أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبلٌ ذُكِر بلفظ الماضي؛ لتحقُّقه.

ومعنى ﴿الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾: كلُّ من أغوانا من الجن والإنس.

وقيل: المراد: ولدُ آدم الذي سنَّ القتل، وإبليسُ الذي أمر بالكفر والعصيان، وهذا باطل؛ لأن ولدَ آدمَ مؤمنٌ عاصٍ، وإنما طلبَ هؤلاء من أضلَّهم بالكفر.

﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي: في أسفل طبقةٍ من النار.

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قال أبو بكر الصديق: **المعنى**: استقاموا على قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فصحَّ إيمانهم، ودام توحيدهم.

وقال عمر بن الخطاب: **المعنى**: استقاموا على الطاعة وترك المعاصي.

وقول عمر أكملُ وأحوط، وقول أبي بكر أرجح؛ لما روى أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «**قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات عليها فهو ممن استقام**»(١).

وقال بعض الصوفية: معنى ﴿ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: أعرضوا عما سوى الله، وهذه حالة الكمال، على أن اللفظ لا يقتضيها.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ يعني: عند الموت.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير للآخرة.

﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: ما تطلبون.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٠).

[﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ
عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ
عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى
ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم
مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ
لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو
عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا أحدَ أحسنُ قولًا منه، ويدخل في ذلك: كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم.

وقيل: المراد محمد ﷺ.

وقيل: المؤذِّنون، وهذا بعيد؛ لأنها مكية، وإنما شُرع الأذان بالمدينة ولكنِ المؤذِّنون يدخلون في العموم.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير يعود على الخُلُق الجميل الذي يتضمَّنه قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: حظٌّ من العقل والفضل.

وقيل: حظٌّ عظيم في الجنة.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ «إنْ» شرطيةٌ دخلت عليها «ما» الزائدة.

ونَزْغُ الشيطانِ: وساوسه وأمره بالسوء.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر؛ لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث، أو كالواحدة المؤنثة[١].

وقيل: إنما يعود على الشمس والقمر، وجمعهما؛ لأن الاثنين جمعٌ، وهذا بعيد.

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكةَ.

﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ أي: لا يملون.

﴿ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ عبارةٌ عن قلة النبات.

﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ ذكر في «الحج»[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ تمثيلٌ واحتجاجٌ على صحة البعث.

---

(١) فيقال: خلقهن، أو خلقها، كما يقال: الأقلام بريتها وبريتهنَّ. انظر: الكشاف (١٣/ ٦١٠).

(٢) انظر (٣/ ١٧٩).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يطعنون عليها، وهذا الإلحاد هو بالتكذيب.

وقيل: باللَّغْوِ فيه، حسَبما تقدَّم في السورة.

﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ الآيةَ؛ **قيل**: إن المراد بالذي يُلقى في النار: أبو جهل، وبالذي يأتي آمنًا: عثمان بن عفان.

وقيل: عمار بن ياسر.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ تهديدٌ، لا إباحةٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾ الذكر هنا: القرآن باتفاق.

وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوفٌ، تقديره: ضلُّوا، أو هَلَكوا.

وقيل: خبرها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾، وذلك بعيد.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ أي: كريمٌ على الله.

وقيل: منيعٌ من الشيطان.

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ أي: ليس فيما تقدَّمه ما يبطله، ولا يأتي بعده ما يبطله.

والمراد على الجملة: أنه لا يأتيه الباطل من جهةٍ من الجهات.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلَّا مثل ما قال للرسل من قبلك.

والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلَّا مثل ما قال الأمم المتقدِّمون لرسلهم، فالمراد على هذا: تسلية النبي ﷺ بالتأسِّي.

والمراد على القول الأوَّل: أنه ﷺ[(١)] أتى بما جاءت به الرسل، فلا تُنكَر رسالته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل:

أن يكون مستأنفًا.

أو يكون هو المقول في الآية المتقدِّمة.

وذلك على القول الأوَّل[(٢)].

وأما على القول الثاني: فهو مستأنَفٌ منقطعٌ مما قبله.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ﴾ الأعجمي: الذي لا يُفصِح ولا يبين كلامَه، سواءٌ كان من العرب أو من العجم.

والعَجَمي: الذي ليس من العرب، فصيحًا كان أو غير فصيح.

ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن.

فالمعنى: أنه لو كان أعجميًّا لطعنوا فيه وقالوا: هلَّا كان مُبيَّنًا؟، فظهر أنهم يطعنون فيه على أي وجهٍ كان.

﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم، والهمزة للإنكار.

---

(١) في د زيادة: «إنما».

(٢) أي: هذا الاحتمال إنما يجيء على القول الأول من القولين الواردين في معنى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾.. الآيةَ.

والمعنى: أنه لو كان القرآن أعجميًّا لقالوا: أقرآن أعجمي، ورسول عربي، أو مُرسَلٌ إليه عربي؟

وقيل: إنما طعنوا فيه؛ لما فيه من الكلمات العَجَمية، كسِجِّين وإستبرق، فقالوا: أقرآن عَجَميٌّ وعربيٌّ؟، أي: مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري على قراءة ﴿أَعَجَمِيٌّ﴾ بفتح العين.

﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾ عبارةٌ عن إعراضهم عن القرآن، فكأنهم صمٌّ لا يسمعونه.

وكذلك ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ عبارةٌ عن قلة فهمهم له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عبارةٌ عن قلة فهمهم، فشبَّههم بمن يُنادَى من مكان بعيدٍ، فهو يَسمع الصوت ولا يَفقه ما يُقال.

والثاني: أنه حقيقةٌ في يوم القيامة؛ أي: ينادون من مكان بعيدٍ؛ ليسمع أهل الموقف توبيخَهم.

والأوَّل أليق بالكنايات التي قبلها.

* * *

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا
رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن
شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ
ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ
بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى
عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ
أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ
أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ
﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ
بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ
شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾].

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدرَ.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحدٌ عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها.

﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كِمٍّ - بكسر الكاف -، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوفٌ والمراد به: يوم القيامة، والضمير للمشركين، وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ توبيخٌ لهم.

وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين، كأنه قال: الشركاء الذين جعلتم لي.

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ المعنى: أنهم قالوا: أعلمناك ما منا مَن يَشهد[1] اليوم بأن لك شريكًا؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ضلَّ عنهم شركاؤهم، بمعنى: أنهم لم يروهم حينئذ، فـ ﴿مَّا﴾ على هذا موصولة.

أو: ضل عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، فـ ﴿مَّا﴾ على هذا مصدرية.

﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ الظنُّ هنا: بمعنى اليقين، والمحيص: المهرب، أي: علموا أنهم لا مَهرب لهم من العذاب.

وقيل: يوقف على ﴿وَظَنُّواْ﴾، ويكون ﴿مَا لَهُم﴾ استئنافًا، وذلك ضعيف.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لا يملُّ من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك.

ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة.

وقيل: في غيره من الكفار.

واللفظ أعم من ذلك.

---

(١) في ب، ج، د: «مِن شهيد».

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي: هذا حقِّي الواجبُ لي وليس تفضُّلًا من الله، ولا يقول هذا إلَّا كافر، ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾.

وقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ معناه: إن بُعثت تكون لي الجنة، وهذا تخرُّصٌ وتكبُّرٌ.

وروي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ذكر في «الإسراء»[1].

﴿دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: كثير.

وذكَر اللهُ هذه الأخلاقَ على وجه الذَّمِّ لها[2].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الآية؛ معناها: أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به؛ ألستم في شقاق بعيد؟ فوضع قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ موضعَ الخطاب لهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الآيات في الآفاق: هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات في أنفسهم: هي فتح مكة، فجميع ذلك وَعْدٌ للمسلمين بالظهور، وتهديدٌ للكفار، واحتجاجٌ[3] عليهم بظهور الحق وخمول[4] الباطل.

---

(١) انظر ٢/ ٨٢٧.

(٢) في ب، ج: «لهم».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «فجمعَ ذلك وعدًا للمسلمين بالظهور وتهديدًا للكفار واحتجاجًا».

(٤) في د: «وخمود».

والثاني: أن الآيات في الآفاق: هي ما أصاب الأمم المتقدمين من الهلاك، وفي أنفسهم: يوم بدر.

والثالث: أن الآيات في الآفاق: هي خلق السماء وما فيها من العبر والآياتِ، وفي أنفسهم: خِلْقة بني آدم، وهذا ضعيف؛ لأنه قال: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ بسين الاستقبال، وقد كانت السماء وخِلْقةُ بني آدم مرئيةً.

والأول هو الراجح.

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن و[1]الإسلام.

﴿مُحِيطٌۢ﴾ أي: محيطٌ بعلمه وقدرته وسلطانه.

* * *

(١) في أ: «أو».

﴿ سورة الشورى ﴾

[﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣
لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن
فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٖ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ
ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ
وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن
دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾].

﴿عٓسٓقٓ﴾ الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسَبما تقدَّم في «البقرة»[(١)].

وحكى الطبري أن رجلًا سأل ابن عباس عن ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾، فأعرض عنه، فقال حذيفة: إنما كرهها ابن عباس؛ لأنها نزلت في رجلٍ من أهل بيته اسمه عبد الله يبني مدينةً على نهر من أنهار المشرق، ثم يَخسف الله بها في آخر الزمان[(٢)]. والرجل على هذا أبو جعفر المنصور، والمدينة

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٦٤).

بغداد، وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يُخسف بها[١].

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ الكاف: نعتٌ لمصدر محذوف، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تضمَّنه القرآن أو[٢] السورة.

وقيل: الإشارة لقوله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾؛ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظرٌ.

﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ اسم ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعلٌ بـ﴿يُوحِيٓ﴾.

وأما على قراءة ﴿يُوحَى﴾ بالفتح فهو فاعلٌ بفعل مضمر، دلَّ عليه ﴿يُوحَى﴾، كأنَّ قائلًا قال: «من الذي أوحى؟» فقيل: «اللهُ».

﴿يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ أي: يتشقَّقْنَ من خوف الله وتعظيم جلاله.

وقيل: من قول الكفار: «اتخذ الله ولدًا»، فهي كالآية التي في «مريم».

قال ابن عطية: وما وقع للمفسِّرين هنا من ذكر الثِّقَل ونحوه مردودٌ؛ لأن الله تعالى لا يوصف به[٣].

﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ الضمير للسموات، والمعنى: يتشقَّقن من أعلاهن، وذلك مبالغةٌ في التهويل.

وقيل: الضمير للأَرَضين، وهذا بعيد.

---

(١) لعله يقصد الحديث الذي عند مسلم (٢٩٠١): «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب..» الحديث.

(٢) في ب، ج: «و».

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٥٠٠).

وقيل: الضمير للكفار، كأنه قال: من فوق الجماعات الكافرة التي مِن أجْلِ أقوالها تكاد السموات يتفطَّرن، وهذا أيضًا بعيد.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما تستغفر[1] للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

وقيل: إنَّ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نَسخ هذه الآية، وهذا باطل؛ لأن النسخ لا يدخل في الأخبار.

ويَحتمل أن يريد بالاستغفار طلَبَ الحِلم عن أهل الأرض مؤمنِهم وكافرهم، ومعناه: الإمهال لهم، وأن لا يُعاجَلُوا بالعقوبة، فيكون عامًّا.

فإن قيل: ما وجه اتِّصال قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ الآيةَ بما قبلها؟

فالجواب: أنَّا إن فسَّرنا تفطُّر السموات بأنه مِن عظمة الله؛ فيكون تسبيحُ الملائكة أيضًا تعظيمًا له، فينتظم الكلام، وإن فسَّرنا تفطُّرَها بأنه مِن كفر بني آدم؛ فيكون تسبيح الملائكة تنزيهًا لله تعالى عن كفر بني آدم، وعن أقوالهم القبيحة.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ هي مكة، والمراد: أهلها، ولذلك عَطف عليه ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: من الناس.

﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمِّي بذلك؛ لأن الخلائق يجتمعون فيه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة، والأولياء هنا: المعبودون من دون الله.

---

(١) في أ، هـ: «يستغفرون».

[﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ
أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ
يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١٢ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ
ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ
أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن
يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ
وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ۝١٤ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ
أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ
لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥
وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ
وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ۝١٦ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ
ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا
وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ۝١٨ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ
بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾].

﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله؛ بأن يعاقب المبطلَ ويثيب المحقَّ.

أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ، كقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يعني: الإناث.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ يَحتمل أن يريد: الإناث، أو الأصناف.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ معنى ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يخلقكم نسْلًا بعد نسل، وقرنًا بعد قرن.

وقيل: يكثِّركم.

والضمير المجرور يعود على الجَعْل الذي تضمَّنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وهذا كما تقول: كلمتُ زيدًا كلامًا أكرمتُه فيه.

وقيل: الضمير للتَّزويج الذي دلَّ عليه قوله: ﴿أَزْوَٰجًا﴾.

وقال الزمخشري: تقديره: يذرؤكم في هذا التدبير، وهو أنْ جَعَل الناس والأنعام أزواجًا(١).

والضمير في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ خطابٌ للناس والأنعام، غلَّب فيه العقلاء على غيرهم.

فإن قيل: لم قال ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ وهلَّا قال: «يذرؤكم به»؟

فالجواب: أن هذا التدبير جُعِلَ كالمَنبَع والمعدِن للبثِّ والتكثير. قاله الزمخشري(٢).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عن مشابهة المخلوقين.

---

(١) الكشاف (١٤/ ٢١).

(٢) الكشاف (١٤/ ٢١).

قال كثيرٌ من الناس: الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى: ليس مثلَه شيء.

وقال الطبري وغيره: ليست بزائدة، ولكن وضع ﴿مِثْلِهِۦ﴾ موضع «هو»، والمعنى: ليس كهو شيء[(١)].

قال الزمخشري: وهذا كما تقول: «مثلُك لا يَبخلُ»، والمراد: أنت لا تبخل، فنفَى البخل عن مثله والمراد نفيُه عن ذاته[(٢)].

﴿مَقَالِيدُ﴾ قد ذكر[(٣)].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ اتفق دين محمدٍ ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسَّره بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ يعني: إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة.

وأما الأحكام الفروعية؛ فاختلفت فيها الشرائع، فليست تراد هنا.

﴿أَنْ أَقِيمُوا۟﴾ يَحتمل أن تكون ﴿أَنْ﴾:

في موضع نصبٍ، بدلًا من قوله: ﴿مَا وَصَّىٰ﴾.

أو في موضع خفضٍ، بدلًا من ﴿بِهِۦ﴾.

أو في موضع رفعٍ على خبر ابتداء مضمر.

أو تكون مفسِّرةً لا موضع لها من الإعراب.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٦).

(٢) الكشاف (١٤/ ٢٣).

(٣) انظر (٣/ ٧٦٣).

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: صَعُبَ الإسلامُ على المشركين.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾: يعود على الله تعالى.

وقيل: على الدين.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ يعني: أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: القضاء السابق بأن لا يُفصَل بينهم في الدنيا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود والنصارى.

وقيل: يعني: العرب، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على هذا: هو القرآن.

﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الضمير: للكتاب، أو للدين، أو لمحمد ﷺ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ أي: إلى ذلك الذي شرَع اللهُ ادعُ الناسَ، فاللام بمعنى «إلى».

والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾.

أو إلى قوله: ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

وقيل: إن اللام بمعنى: «مِن أجْل»، والإشارة إلى التفرُّق والاختلاف؛ أي: لأجل ما حدث من التفرق ادعُ إلى الله.

وعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ معطوفًا.

وعلى الأول: يكون مستأنفًا، فيوقف على ﴿فَٱدْعُ﴾.

﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ أي: دُمْ على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الضمير للكفار، و﴿أَهْوَآءَهُم﴾: ما كانوا يحبُّون من الكفر والباطل كله.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قيل: يعني: العدلَ في الأحكام إذا تخاصموا إليه.

ويَحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي: أمرتُ أن أحملكم على الحق.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا جدال ولا مناظرة؛ فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: يجادلون المؤمنين في دين الله.

ويعني: كفار قريش.

وقيل: اليهود.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ الضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾؛ أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه.

وقيل: يعود على الدين.

وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أحسن وأظهر.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: زاهقة باطلة.

﴿أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: جنس الكتب[١].

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو متضمِّنًا الحقَّ.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ ابن عباس وغيره: يعني: العدل، ومعنى إنزال العدل: إنزال الأمر به في الكتب المنزلة.

وقيل: يعني: الميزانَ المعروف.

فإن قيل: ما وجه اتصال ذِكْر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟

فالجواب: أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال: اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم.

﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء ﴿قَرِيبٌ﴾ بالتذكير؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقتُ الساعة.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ أي: يطلبون تعجيلها؛ استهزاءً بها، وتعجيزًا للمؤمنين.

﴿يُمَارُونَ﴾ أي: يجادلون ويخالفون.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: الرزقَ الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] أي: ما تقوم به الحياة، فإن هذا على العموم لكل حيوانٍ طولَ عمره، والزائد خاصٌّ بمن شاء الله.

* * *

(١) في ب، هـ: «الكتاب».

[﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾].

﴿حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾ عبارةٌ عن العمل لها، وكذلك ﴿حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾.

وهو مستعارٌ من حرث الأرض؛ لأن الحارث[1] يعمل وينتظر المنفعة مما[2] عمل.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ عبارةٌ عن تضعيف الثواب.

---

(١) في أ: «الحراث».

(٢) في أ، د: «بما».

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي: نؤته منها ما قُدِّر له؛ لأن كل أحدٍ لا بد أن يصل إلى ما قُسِم له.

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذا(١) للكفار، أو لمن كان يريد الدنيا خاصةً، ولا رغبة له في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ.

والشركاء: الأصنام وغيرها.

وقيل: الشياطين.

﴿شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الضمير في ﴿شَرَعُوا۟﴾: للشركاء وفي ﴿لَهُم﴾: للكفار.

وقيل: بالعكس.

والأول أظهر.

و﴿لَمْ يَأْذَنۢ﴾ بمعنى: لم يأمر.

والمراد: ما شرعوا من البواطل(٢) في الاعتقادات، وفي الأعمال، كالبَحيرة والوصيلة وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: لولا القضاء السابق بأن لا يُقضَى بينهم في الدنيا لقُضِي بينهم فيها.

---

(١) في ب، ج: «تهديدٌ».

(٢) في ب، ج، هـ: «الباطل».

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره: يبشر به، وحُذف الجار والمجرور.

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى القرابة، و﴿فِى﴾ بمعنى: «مِن أجْل»، **والمعنى**: لا أسألكم عليه أجرًا إلَّا أن تودُّوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم.

فالقصد على هذا: استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطنٌ إلَّا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

الثاني: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى الأقارب؛ أي: ذوي القربى، **والمعنى**: إلَّا أن تودُّوا[1] أقاربي وتحفظوني فيهم.

والقصد على هذا: وصيةٌ بأهل البيت.

الثالث: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابةُ الناس بعضهم من بعض، **والمعنى**: أن تودُّوا أقاربَكم.

والقصد على هذا: وصيةٌ بصلة الأرحام.

الرابع: أن ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ التقرُّب إلى الله، **والمعنى**: إلَّا أن تتقربوا إلى الله بطاعته.

والاستثناء على القول الثالث والرابع: منقطعٌ.

---

(١) في ب: «أن لا تؤذوا».

وأما على الأول والثاني:

فيَحتمل الانقطاع؛ لأن المودَّة ليست بأجر[١].

ويَحتمل الاتصال على المجاز، كأنه قال: لا أسألكم عليه أجرًا إلَّا المودة، فجعل المودة كالأجر[٢].

﴿يَقْتَرِفْ﴾ أي: يكتسب.

﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني: مضاعفةَ الثواب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ للإنكار والتوبيخ.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ في المقصد بها[٣] قولان:

أحدهما: أنه ردٌّ على الكفار في قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، أي: لو افتريتَ على الله كذبًا لختم على قلبك، لكنك لم تفترِ على الله كذبًا؛ فقد هداك وسددك.

والآخر: أن المراد: إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار، واحتمال أذاهم.

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ هذا فعل مستأنَفٌ غير معطوف على ما قبله؛ لأن الذي قبله مجزومٌ، وهذا مرفوعٌ؛ فيوقف على ما قبله ويبتدأ به.

---

(١) في أ: «بأجرة».
(٢) في أ: «كالأجرة».
(٣) في ب، ج، د: «بهذا».

وفي المراد به وجهان:

أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي: لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريتَ.

والآخر: أنه وعدٌ لرسول الله ﷺ بأن يمحوَ الله الباطل وهو الكفر، ويحقَّ الحق وهو الإسلام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ﴿عَنْ﴾ هنا: بمعنى «مِن»، وكأنه قال: التوبةَ الصادرة عن عباده.

وقَبول التوبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: التوبة من الكفر، فهي مقبولة قطعًا.

والثاني: التوبة من مظالم العباد، فهي غير مقبولة حتى يردَّ المظالم أو يستحلَّ منها.

والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله، فالصحيح: أنها مقبولة؛ بدليل هذه الآية.

وقيل: هي في المشيئة.

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ العفو مع التوبة: على حسَب ما ذكرنا.

وأما العفو دون التوبة: فهو على أربعة أقسام:

الأول: العفو عن الكفر، وهو لا يكون أصلًا.

والثاني: العفو عن مظالم العباد، وهو كذلك.

والثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتُنبت الكبائر، وهو حاصلٌ باتفاق.

والرابع: العفو عن الكبائر:

فمذهب أهل السنة: أنه في المشيئة.

ومذهب المعتزلة: أنها لا تغفر إلا بالتوبة.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنى ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: يجيب، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: يُجيبُهم فيما يطلبون منه.

وقال الزمخشري: أصله: «يستجيب للذين آمنوا» فحذف اللام[1].

والثاني: أن معناه: يجيب، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فاعل؛ أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتّباع دينه.

والثالث: أن معناه: يطلب المؤمنون الإجابةَ من ربهم، و«استفعَلَ» على هذا: على بابه من الطلب.

والأول أرجح؛ لدلالة قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يزيدهم ما لم يطلبوا زيادةً على الاستجابة

---

(١) الكشاف (٥٦/١٤).

فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرّضوان[١].

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بغَى بعضهم على بعض وطغَوْا؛ لأن الغنى يوجب الطُّغيان.

وقال بعض الصحابة: فينا نزلت؛ لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنَّيناها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ قيل لعمر رضي الله عنه: اشتدَّ القحط وقنط الناس، فقال: «الآن يُمطَرون»[٢]، وأخذ ذلك من هذه الآية، ومنه قوله ﷺ: «اشتدِّي أزمة تنفرجي»[٣].

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ قيل: يعني: المطر، فهو تكرارٌ للمعنى الأول بلفظ آخر.

وقيل: يعني: الشمس.

وقيل بالعموم.

﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ لا إشكالَ أنَّ الدواب في الأرض، وأما في السماء:

فقيل: يعني: الملائكة.

---

(١) ذكر ابن عطية في تفسيره (٧/ ٥١٦) قال: «وروي عن النبي ﷺ أنه قال: هي الشفاعات في المؤمنين والرضوان». ولم أقف على إسناد له.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥١١).

(٣) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ١١٦): «حديث: اشتدي أزمة تنفرجي: العسكري في الأمثال، والديلمي، والقضاعي، كلهم من حديث أمية بن خالد حدثنا الحسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي، قال: كان رسول الله ﷺ يقول، وذكره، والحسين كذاب».

وقيل: يمكن أن يكون في السماء دوابٌّ لا نعلمها نحن.

وقيل: المعنى: أنه بثَّ في أحدهما، فذكر الاثنين، كما تقول: «في بني فلان كذا» وإنما هو في بعضهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ يريد: جمْع الخلْقِ للحشر يوم القيامة.



[﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ
أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ
فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ
ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ
يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ
﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ
فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ
﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾].

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ المعنى: أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «لا يصيب ابنَ آدم خدْشُ عودٍ أو عثرةُ قدم ولا اختلاج عِرْق إلَّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»(١).

وقرئ ﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾ بغير فاء، على أن يكون ﴿مَآ أَصَٰبَكُم﴾ بمعنى: «الذي».

وقرئ بالفاء على أن يكون ﴿مَآ أَصَٰبَكُم﴾ شرطًا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥١٣).

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ قد ذُكِر[1].

﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية، وهي السفينة.

﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ جمع علَم، وهو الجبل.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيَاحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ الضمير في ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ للجواري، وفي ﴿ظَهْرِهِ﴾ للبحر؛ أي: لو أراد الله أن يُسكن الرياح لبقيت السفن واقفةً على ظهر البحر.

فالمقصد: تعديدُ النعمة في إرسال الرياح، أو تهديدٌ بإسكانه.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ عطفٌ على ﴿يُسْكِنِ الرِّيَاحَ﴾، ومعنى ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾: يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة، والضمير فيه للسفن، وفي ﴿كَسَبُوا﴾ لرُكَّابها من الناس.

والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ أي: يعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله.

وقرئ ﴿وَيَعْلَمَ﴾:

بالرفع: على الاستئناف.

وبالنصب، واختُلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصبٌ بإضمار «أنْ» بعد الواو؛ لما وقَعت بعد الشرط والجزاء؛ لأنه غير واجب.

---

(١) انظر (٣/ ٤٦٧).

وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذٌّ؛ فلا ينبغي أن يُحمَل القرآن عليه[١].

والثاني قول الزمخشري: إنه معطوف على تعليلٍ محذوف تقديره: «لِيَنتقمَ منهم ويعلمَ»، قال: ونحوُه من المعطوف على التعليل المحذوفِ كثيرٌ في القرآن، ومنه قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١][٢].

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»[٣].

وقيل: كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هو[٤] الزنا.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ **قيل**: يعني: الأنصار؛ لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان.

ويظهر لي أن هذه الآيات إشارةٌ إلى ذكر الخلفاء الراشدين ﭫ؛ لأنه بدأ أوَّلًا بصفات أبي بكر الصديق، ثم صفات عمر بن الخطاب، ثم صفات عثمان بن عفان، ثم صفات علي بن أبي طالب، فكونه جمَع هذه الأوصاف، ورتَّبها على هذا الترتيب يدلُّ على أنه قصد بها مَن اتَّصف بذلك.

فأما صفات أبي بكر: فقوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وإنما

---

(١) الكشاف (١٤/ ٧٠-٧١).

(٢) الكشاف (٦٩-٧٠).

(٣) انظر (٢/ ٤٦).

(٤) في أ: «هي».

جعلنا هذا صفةَ أبي بكر وإن كان جميعهم متصِفًا بها؛ لأن أبا بكر كانت له فيها مزيةٌ لم تكن لغيره، قال رسول الله ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح[١]»[٢]، وقال ﷺ: «أنا مدينة الإيمان، وأبو بكر بابها»[٣]، وقال أبو بكر: «لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقينًا»[٤]، والتوكُّل إنما يَقْوى بقوة الإيمان.

وأما صفات عمر: فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾؛ لأن ذلك هو التقوى، وقد قال ﷺ: «أنا مدينة التقوى، وعمر بابها»[٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾؛ لأن قولَه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] نزلت في عمر.

وأما صفات عثمان: فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾؛ لأن عثمان لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام تبعه، وبادر إلى الإسلام وقوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر: ٩] الآيةَ. وروي أنه كان يُحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كلَّه، وقوله: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾؛ لأن عثمان ولي الخلافةَ بالشورى، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾؛ لأن عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله،

---

(١) في ب، ج: «لرجحهم».
(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/ ٣٣٥) مرفوعًا، وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤١٨) من قول عمر بن الخطاب ﷺ.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) لم أقف عليه.

ويكفيك أنه جهَّز جيش العسرة.

وأما صفات عليٍّ: فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾؛ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارًا للحق، وانظر كيف سمَّى رسول الله ﷺ المقاتلين لعليٍّ بالفئةَ الباغية، حسَبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر: «**تقتلك الفئة الباغية**»[1]، فذلك هو البغي الذي أصابه.

وقوله: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ إشارةٌ إلى فعل الحسن بن عليٍّ حين بايع معاوية، وأسقط حقَّ نفسه ليُصلحَ أحوال المسلمين، ويحقن دماءهم، قال رسول الله ﷺ في الحسن: «**إن ابني هذا سيِّد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[2].

وقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾، إشارةٌ إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن، وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أمية.

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ إشارةٌ إلى بني أمية، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم: «**أنهم جعلوا عباد الله خَوَلًا، ومال الله دُوَلًا**»[3]، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي ابن أبي طالب على منابرهم.

وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الآيةَ؛ إشارةٌ إلى صبر أهل بيت النبي ﷺ على ما نالهم من الضُّرِّ والذُّلِّ طولَ مدَّة بني أمية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٥٨).

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ سمَّى العقوبة باسم الذنب، وجعلها مثله[١]؛ تحرُّزًا من الزيادة عليه[٢].

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ هذا يدلُّ على أن العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمِن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

وقيل: إن الانتصار أفضل.

والأول أصح.

فإن قيل: كيف ذكَر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ والمباح لا مدح فيه ولا ذمَّ؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المباح قد يُمدح؛ لأنه قيامٌ بحق لا بباطل.

والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظُّلم تحرُّزًا ممن بدأ بالظلم، فكأن المدحَ إنما هو بترك الابتداء بالظلم.

والثالث: أنه إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب حسَبما ذكرنا فانتصاره ممدوح[٣]؛ لأن قتال أهل البغي واجبٌ؛ لقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ [الحجرات: ٩].

---

(١) في أ، ب، ج: «مثلها».
(٢) في أ: «عليه».
(٣) في ب، ج، د: «محمود».

[﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾].

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار.

﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ عبارةٌ عن الذل والكآبة.

﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ يتعلَّق:

بـ ﴿خَٰشِعِينَ﴾.

أو بـ ﴿يَنظُرُونَ﴾، وعلى هذا عوَّل الزمخشري(١).

---

(١) الكشاف (١٤/ ٨١).

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عبارةٌ عن الذلّ؛ لأن نظَر الذليل بمهانة واستكانة.

والآخر: أنهم يحشرون عُمْيًا فلا ينظرون بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم، واستبعد هذا ابن عطية(١) والزمخشري(٢).

والطَّرْف يَحتمل:

أن يريد به: العينَ.

أو يكون مصدرًا.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يتعلَّق بـ ﴿قَالَ﴾، أو بـ ﴿خَسِرُوٓا۟﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

من كلام الذين آمنوا.

أو مستأنفًا من كلام الله تعالى.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ ذكر في «الروم»(٣).

﴿مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: إنكارٍ، يعني: لا تنكرون أعمالكم.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا﴾ قدَّم الإناثَ اعتناءً بهنَّ، وتأنيسًا لمن وَهبهنَّ(٤) له.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٢٧).

(٢) الكشاف (١٤/ ٨٢).

(٣) انظر (٣/ ٤٩٨).

(٤) في ب: «وُهِبْنَ».

قال واثلة بن الأسقع: مِن يُمْنِ المرأة تبكيرُها بأنثى قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء ﷺ، فشعيب ولوط كان لهما إناثٌ دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جمَع الإناث والذكور، ويحيى كان عقيمًا.

والظاهر: أنها على العموم في جميع الناس؛ إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذَكَر.

وفي هذه الآية من أدوات البيان: التقسيم.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآيةَ؛ بيَّن الله تعالى فيها كلامَه لعباده، وجعله على ثلاثة أوجه:

أحدها: الوحي المذكور أوَّلًا، وهو الذي يكون بإلهام أو بمنام.

والآخر: بأن يُسمِعه كلامَه من وراء حجاب.

والثالث: الوحي بواسطة الملَك، وهو قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ يعني: ملَكًا، ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ إلى النبي، وهذا خاصٌّ بالأنبياء.

والثاني خاصٌّ بموسى، وبمحمد صلى الله عليهما وسلم؛ إذ كلَّمه الله ليلة الإسراء.

وأما الأول؛ فيكون للأنبياء والأولياء كثيرًا، وقد يكون لسائر الخلق، ومنه ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ومنه: منامات الناس.

﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا﴾ قرئ ﴿يُرْسِلُ﴾ و﴿يُوحِي﴾ :

بالرفع : على تقدير : أو هو يرسلُ .

وبالنصب : عطفًا على ﴿وَحْيًا﴾ ؛ لأن تقديره : «أن يوحيَ» فعطفت «أنْ» على «أنْ» المقدَّرة .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا : القرآن ، والمعنى : مثلَ هذا الوحي ، وهو بإرسال ملَكٍ ، أوحينا إليك القرآنَ .

والأمر هنا يحتمل :

أن يكون واحد الأمور .

أو يكون من الأمر بالشيء .

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ المقصد بهذا شيئان :

أحدهما : تَعداد النعمة عليه ﷺ ، بأن علَّمه الله ما لم يكن يعلم .

والآخر : احتجاجٌ على نبوته ؛ لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ، ولا تعلَّمه من أحد .

فإن قيل : أمَّا كونه لم يكن يدري الكتابَ فلا إشكال فيه ، وأما الإيمان ففيه إشكالٌ ؛ لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم[1] ؟

فالجواب : أن الإيمان يحتوي على معارفَ كثيرةٍ ، وإنما كَمُل له معرفتُها

---

(١) في د : «بعثهم» .

بعد بعثه، وقد كان مؤمنًا بالله قبل ذلك، فالإيمان هنا يعني به: كمالَ المعرفة وهي التي حصلت[١] له بالنبوة.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن.

* * *

(١) في ب، ج: «جُعلت».

﴿ سورة الزخرف ﴾

[﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣
وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن
كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ
إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ
كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ
رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣
وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾)].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ يعني: القرآن.

و﴿ٱلْمُبِينِ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى:

البيِّن.

أو المبيِّن لغيره.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللوح المحفوظ.

والمعنى: أن القرآن وُصِف في اللوح بأنه عليٌّ حكيم.

وقيل: المعنى: أن القرآن نُسِخَ بجملته في اللوح المحفوظ، ومنه كان جبريل ينقله، فوصفه الله بأنه علي حكيم؛ لكونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

والأول أظهر وأشهر.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنمسك عنكم الذكر؟.

و﴿نَضْرِبُ﴾ من قولك: أضربتُ عن كذا: إذا تركتَه.

و﴿ٱلذِّكْرَ﴾ يَحتمل أن يريد به: القرآنَ، أو التذكير والوعظ.

و﴿صَفْحًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى الإعراض، تقول: صفحْتُ عنه: إذا أعرضتَ عنه، فكأنه قال: أنترك تذكيرَكم إعراضًا عنكم؟

وإعراب ﴿صَفْحًا﴾ على هذا:

مصدرٌ من المعنى.

أو مفعول من أجله.

أو مصدر في موضع الحال.

والآخر: أن يكون بمعنى العفو والغفران، فكأنه يقول: أنمسك عنكم الذكر عفوًا عنكم وغفرانًا لذنوبكم؟

وإعراب ﴿صَفْحًا﴾ على هذا:

مفعول من أجله.

أو مصدر في موضع الحال.

﴿إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ:

بكسر الهمزة: على الشرط، والجواب في الكلام الذي قبله.

وقرئ بالفتح: على أنه مفعول من أجله.

﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير لقريش، وهم المخاطَبون بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾.

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ على الشرط بحرف «إنْ» التي معناها الشك، ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟

فالجواب: أن في ذلك إشارةً إلى توبيخهم على الإسراف، وتجهيلهم في ارتكابه، فكأنه شيءٌ لا يقع من عاقل، فلذلك وضع حرف التوقُّع في موضع الواقع.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدَّم في القرآن ذكرُ حال الأولين وكيفية هلاكهم لما كفروا.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على قريش؛ لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره.

ومقتضى جوابهم أن يقولوا: «خلقهن الله»، فلما ذَكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بـ ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم.

وأما قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ فهو من كلام الله، لا من كلامهم.

﴿مِهَادًا﴾ أي: فراشًا، على وجه التشبيه.

﴿سُبُلًا﴾ أي: طرقًا تمشون فيها.

﴿مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بمقدارٍ ووزن معلوم.

وقيل: معناه: بقضاء.

﴿كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ تمثيلٌ للخروج من القبور؛ بخروج النبات من الأرض.

﴿ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ يعني: أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك.

﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ الضمير يعود على ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر: بالقلب، أو باللسان.

ويحتمل أن يريد:

النعمةَ في تسخير هذا المركوب.

أو النعمةَ على الإطلاق.

وكان بعض السلف إذا ركب قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم يقول: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ أي: مُطِيقين وغالِبين.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ اعترافٌ بالحشر.

فإن قيل: ما مناسبة هذا للركوب؟

فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرِّضٌ للهلاك بما يخاف من غرق السفينة، أو سقوطه عن الدابة، فأُمر بذكر الحشر؛ ليكون مستعدًّا للموت الذي قد تعرَّض له.

وقيل: يَذكر عند الركوب ركوبَ الجِنازة.



[﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ
بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ
مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا
مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾].

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، وفي ﴿لَهُ﴾ لله تعالى.

وهذا الكلام متصل بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيةَ.

والمعنى: أنهم جعلوا الملائكةَ بناتِ الله، فكأنهم جعلوا جزءًا من عباده نصيبًا له وحظًّا دون سائر عباده.

وقال الزمخشري: معناه: أنهم جعلوا الملائكة جزءًا منه وبعضًا منه، كما يكون الولد بَضْعةً من والده وجزءًا منه(١).

وقال بعض اللغويين: الجُزء في اللغة: الإناث، واستشهد على ذلك ببيت شعر.

---

(١) الكشاف (١٤/ ١١٠).

قال الزمخشري: وذلك كذبٌ على العرب، والبيت موضوع[١].

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ ﴿أَمۡ﴾ للإنكار والردِّ على الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله.

ومعنى ﴿وَأَصۡفَىٰكُم﴾: خصَّكم؛ أي: كيف يتخذ لنفسه البنات وهنَّ[٢] أدنى، وأصفاكم بالبنين وهم أعلى.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ أي: إذا بُشِّر بالأنثى. وقد ذُكر المعنى في «النحل»[٣].

والمراد: أنهم يكرهون البنات؛ فيكف ينسبونها إلى الله؟ تعالى الله عن قولهم.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ المراد بـ ﴿مَن يَنشَؤُ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾: النساء.

والحلية: هي الحَلْيُ من الذهب والفضة، وشبه ذلك.

ومعنى يَنْشَأُ فيها: يكبر وينبت في استعمالها.

وقرئ ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ بضم الياء وتشديد الشين: بمعنى يُربَّى فيها.

والمقصد: الردُّ على الذين قالوا: الملائكة بنات الله، كأنه قال: أجعلتم لله من يَنْشَأُ في الحلية؟، وتلك صفة النقص، ثم أتبعها بصفة نقص أخرى،

---

(١) الكشاف (١٤/ ١١٠).

(٢) في ب، ج: «وهذا».

(٣) انظر (٢/ ٧٥٥).

وهي قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعني: أن الأنثى إذا خاصمت أو[1] تكلمّت لم تَقدِر أن تُبِينَ حجَّتها؛ لنقص عقلها، وقلَّما تجد امرأةً إلَّا تُفسد الكلام وتَخلط المعاني، فكيف يُنسب لله من يتصف بهذه النقائص؟

وإعراب ﴿مَن يُنَشَّؤُا﴾:

مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: أجعلتم لله من يَنشأ.

أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: أَوَمَنْ يَنشَأ في الحلية خصَصْتم به الله.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، فحكَى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة:

أحدها: أنهم نسبوا إلى الله الولد.

والآخر: أنهم نسبوا إليه البناتِ دون البنين.

والثالث: أنهم جعلوا الملائكة المكرَّمين إناثًا.

وقرئ ﴿عِندَ الرَّحْمَٰنِ﴾ بالنون، والمراد به: قرب الملائكة وتشريفهم كقوله: ﴿الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقرئ ﴿عِبَٰدُ﴾ بالباء جمع عبدٍ، والمراد به أيضًا: الاختصاص والتشريف.

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا ردٌّ على العرب في قولهم: إن الملائكة إناثٌ.

والمعنى: أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم؟

---

(١) في أ، د، هـ: «و».

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ أي: تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ الضمير في ﴿قَالُوا۟﴾: للكفار.

وفي ﴿عَبَدْنَٰهُم﴾: للملائكة.

وقال ابن عطية: للأصنام(١).

والأول أظهر وأشهر.

والمعنى: احتجاجٌ احتجَّ به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا: لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا دليلٌ على أنه يرضى عبادتَنا لهم، ثم ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني: أن قولهم بغير دليل وحجة، وإنما هو تخرُّصٌ منهم.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: مِن قبل القرآن.

وهذا أيضًا ردٌّ عليهم؛ لكونهم ليس لهم كتاب يستمسكون(٢) به.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: على دين وطريقة.

والمعنى: أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم يقلدون آباءهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآيةَ؛ معناها: كما اتبع هؤلاء الكفار آباءَهم بغير حجة؛ كذلك اتبع كل من قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة، بل بمجرَّد التقليد المذموم.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٤٠).

(٢) في ب، د: «يتمسكون».

﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ هذا ردٌّ على الذين اتبعوا آباءهم.

والمعنى: أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى[1] من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم.

وقرئ: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ﴾، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدِّم.

وأما قراءة ﴿قُلْ﴾ بالأمر فهو خطابٌ لمحمد ﷺ، أمره الله أن يقول ذلك لقريش.

وقيل: هو للنذير المتقدِّم، أمره الله أن يقول ذلك لقومه.

والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضًا بين قصة المتقدِّمين فإن قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ حكايةٌ عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ يعني: من المتقدِّمين.

---

(١) في ب، ج: «بأهدى».

[﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾].

﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي: بريءٌ، وبراءٌ في الأصل: مصدر، ثم استعمل صفةً، ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة، كَعَدْلٍ وشبهه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يحتمل:

أن يكون استثناء منقطعًا، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله.

أو يكون متصلًا، إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيرَه، وإعرابه على هذا:

بدلٌ من ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، فهو في موضع خفض.

أو منصوب على الاستثناء، فهو في موضع نصب.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال هنا: ﴿سَيَهْدِينِ﴾، وقال مرة أخرى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] ليدلَّ على أن الهداية في الحال والاستقبال.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ ضمير الفاعل في ﴿جَعَلَهَا﴾ يعود على إبراهيم عليه السلام.

وقيل: على الله تعالى.

والأول أظهر.

والضمير المؤنث المفعول يعود: على الكلمة التي قالها، وهي: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، ومعناها: التوحيد ولذلك قيل: يعود على الإسلام لقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقيل: يعود على «لا إله إلا الله».

والمعنى متقارب، أي: جعل إبراهيم تلك الكلمةَ باقيةً في ذريته؛ لعلَّ مَن أشرك منهم يرجع إلى التوحيد.

والعَقِبُ: هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبدًا.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ الإشارةُ بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى قريش.

وهذا الكلام متصلٌ بما قبله؛ لأن قريشًا من عقب إبراهيم عليه السلام.

فالمعنى: لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيَتْ الكلمةُ فيهم، بل متَّعتُهم بالنعم والعافية، فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، وهو محمد ﷺ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ لقريش.

والقريتان: مكة والطائف.

و﴿مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ معناها: من إحدى القريتين، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝﴾ [الرحمن: ٢٢]؛ أي: من أحدهما.

وقيل: معناه: على رجلٍ من رجلين من القريتين:

فالرجل الذي من مكة: الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة.

والرجل الذي من الطائف: عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمير(١).

ومعنى الآية: أن قريشًا استبعدوا نزول القرآن على محمد ﷺ، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء، ووصفوه بالعظمة يعنون الرئاسةَ في قومه وكثرةَ ماله، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني: أن الله يخصُّ بالنبوّة من شاءَ من عباده؛ على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين، ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: كما قسَمنا المعايش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ هو من التسخير في الخدمة؛ أي: رفعْنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضًا.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقيرٌ للدنيا.

والمراد بـ ﴿رَحْمَتُ ربك﴾ هنا: النبوة.

---

(١) في د: «حبيب بن عمر»، والذي في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٨٠): «حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي».

وقيل: الجنة.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآيةَ؛ تحقيرٌ أيضًا للدنيا.

ومعناها: لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سُقُفًا من فضة، وذلك لِهَوان الدنيا على الله، كما قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة(١) ماء»(٢).

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج: الأدراج والسلاليم(٣).

ومعنى ﴿يَظْهَرُونَ﴾: يرتفعون، ومنه: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

والسُّرر: جمع سرير.

والزخرف: الذهب.

وقيل: أثاث البيت من السُّتور والنَّمارق، وشبه ذلك.

وقيل: هو التزويق والنَّقش وشبه ذلك من التزيين؛ كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].

* * *

(١) في ج: «جرعة».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠).

(٣) ف أ، د، هـ: «والسلالم».

[﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ
عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ
ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا
نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ
﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً
يُعْبَدُونَ﴾].

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ ﴿يَعْشُ﴾ من قولك: عَشَى الرجل: إذا أظلم بصره، والمراد به هنا: ظلمة القلب والبصيرة.

وقال الزمخشري: يَعْشَى بفتح الشين: إذا حصلت الآفة في عينيه، ويعشُو بضم الشين: إذا نظر نظرة الأعشى، وليس به آفةٌ[1]، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك: عَمِيَ وتعامى.

فمعنى القراءة بالضم: يتجاهل ويجحد معرفته بالحق.

والأظهر أن ذلك عبارةٌ عن الغفلة وإهمال النظر.

و﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: قال الزمخشري: يريد به القرآن[2].

وقال ابن عطية: يريد به: ما ذكَّر اللهُ به عباده من المواعظ، فالمصدر

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٣٩).
(٢) الكشاف (١٤/ ١٤٠).

مضاف إلى الفاعل[١].

ويحتمل عندي: أن يريد ذِكْرَ العبدِ لله.

ومعنى الآية: أن من غفَل عن ذكر الله يَسَّرَ الله له شيطانًا يكون له قرينًا، فتلك عقوبةٌ على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن مَن دام على الذكر[٢] تباعد عنه الشيطان.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للشيطان[٣]، وضمير المفعول في ﴿يَصُدُّونَهُمْ﴾ لـ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، وجمع الضميرين لأن المراد جمعٌ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَانَا﴾ قرئ ﴿جَآءَانَا﴾ بضمير الاثنين، وهما: مَن يعشو وشيطانه.

وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد، وهو من يعشو.

والضمير في ﴿قَالَ﴾: لمن يعشو، وقيل: للشيطان.

﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يعني: المشرق والمغرب، وغَلَّبَ أحدهما في التثنية، كما قيل: القمران.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٤٧).

(٢) في د: «كما أن من تمادى على الذكر ودام عليه».

(٣) في ب، ج، د، هـ: «للشياطين».

والآخر: أنه يعني: المشرقين والمغربين، وحَذف «المغربين»؛ لدلالة ﴿ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ عليه.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ هذا كلامٌ يقال للكفار في الآخرة، ومعناه: أنه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب، ولا يجدون راحةَ التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيرَه قد أصابه مثلُ الذي أصابه.

والفاعل بـ ﴿يَنفَعَكُمُ﴾: قوله: ﴿أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، و﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾: تعليلٌ معناه: بسبب ظلمكم.

وقيل: الفاعل مضمر، وهو التبرُّؤ[1] الذي يقتضيه قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ و﴿أَنَّكُمْ﴾ على هذا تعليلٌ.

والأول أرجح.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للنبي ﷺ.

والمراد بالصُم والعُمي: الكفار؛ إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ ﴿إِمَّا﴾ مركبةٌ من «إنْ» الشرطية و«ما» الزائدة.

ومقصد الآية: وعيدٌ للكفار.

والمعنى: إن عجّلنا وفاتَكَ قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتِك، وإن أخّرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون.

---

(١) في ب، د: «التبري».

وهذا الانتقام يحتمل:

أن يريد به قتْلَهم يوم بدر، وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام[١] في الدنيا.

أو يريد به عذاب الآخرة.

وقيل: إن الضمير في ﴿مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ للمسلمين، وأن معنى ذلك: أن الله قضَى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيَّه ﷺ بأن توفَّاه قبل أن يرى الانتقام من أمته.

والأول أظهر وأشهر.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾: للقرآن أو للإسلام.

والذكر هنا: بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ: هم قريش ثم سائر العرب؛ فإنهم نالوا بالإسلام شرفَ الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت فيهم الخلافة والملك، وورد عن ابن عباس: أنه لما نزلت هذه الآية عَلِم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش.

ويحتمل أن يريد بالذكر: التذكيرَ والموعظة، فقومه على هذا: أمته كلهم وكلُّ من بُعِث إليهم.

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ أي: تسألون عن العمل بالقرآن، وعن شكر الله عليه.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ إن قيل: كيف أُمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدِّمين وهو لم يدركهم؟

---

(١) في أ، هـ: «بالانتقام».

فالجواب أن فيه ثلاثةَ أقوال:

الأول: أنه رآهم ليلة الإسراء.

الثاني: أن المعنى: اسأل أمةَ من أرسلنا قبلك.

والثالث: أنه لم يُرِدْ سؤالهم حقيقةً، وإنما المعنى: أن شرائعهم متفقةٌ على توحيد الله، بحيث لو سئلوا: هَلْ مع الله آلهة يعبدون؟؛ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد.



[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ﴾].

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الآيات هنا: المعجزات؛ كقلب العصا حيةً، وإخراج اليد بيضاءَ.

وقيل: البراهين والحجج العقلية.

والأول أظهر.

ومعنى ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: أنها في غاية الكِبَر والظهور، ولم يُرِد تفضيلَها على غيرها من آياته، إنما المعنى: أنها إذا نُظِرتْ وُجِدتْ كبيرةً، وإذا نُظِر غيرُها وُجِدتْ كبيرةً، فهو كقول الشاعر:

مَن تَلْقَ منهم تقلْ: لاقيتُ سَيِّدَهم(١) ....

(١) هذا صدر بيت للعرنْدس أحد بني أبي بكر بن كلابٍ، أورده أبو تمام في حماسته (ص ٤١٥)، وتمام البيت: «مثلَ النجوم التي يَسري بها السَّاري».

هكذا قال الزمخشري[1].

ويَحتمل عندي أن يريد: ما نريهم من آية إلَّا هي أكبر مما تقدَّمها، فالمراد: أكبر من أختها المتقدِّمة عليها.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض؛ فإن قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ يقتضي تكذيبَهم له، وقولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يقتضي تصديقَه؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القائلين لذلك كانوا مكذِّبين، وقولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يريدون على قولك وبزعمك، وقولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾ وَعْدٌ نَوَوْا إخلافه.

والآخر: أنهم كانوا مصدِّقين، وقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾:

إما أن يكون عندهم غيرَ مذموم؛ لأن السحر كان عِلْمَ أهل زمانهم، وكأنهم قالوا: يا أيها العالم.

وإما أن يكون ذلك اسمًا قد أَلِفوا تسميةَ موسى به من أول ما جاءهم، فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه.

﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ﴾ يحتمل: أن ناداهم بنفسه، أو أمر مناديًا ينادي فيهم.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ قصَد بذلك الافتخار على موسى.

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٥٢).

و﴿مِصْرَ﴾ هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك: من نهر إسكندرية إلى أُسوان بطول النيل.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ يعني: الخُلجانَ الكبار الخارجة من النيل، كانت تجري تحت قصوره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الإسكندرية، وتِنِّيس، ودِمْياط، ونهر طُولون.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ مذهب سيبويه: أن ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة معادِلة، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؟، ثم وضع قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ موضع «تبصرون»؛ لأنهم إذا قالوا له: «أنت خير» فهم عنده بُصَراء، وهذا من وضع السبب موضع المسبَّب.

وقيل: الأصل أن يقول: «أفلا تبصرون أم تبصرون»، ثم اقتصر على «أم»، وحذف الفعل الذي بعدها، واستأنف قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ على وجه الإخبار، ويوقف على هذا القول على ﴿أَمْ﴾، وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل»، فهي منقطعة.

﴿مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير، قاله الزمخشري[1] وغيره.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إشارةٌ إلى ما بقي في لسان موسى من أثر الجمْرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدةً، فلما دعا أن تُحَلَّ أجيبت دعوته وبقي منها أثرٌ كان معه لَكَنٌ.

وقيل: يعني: العِيَّ في الكلام.

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٥٧).

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقتضي أنه كان يُبين؛ لأن «كاد» إذا نُفِيت تقتضي الإثبات.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ يريد: لولا ألقاها اللهُ إليه كرامةً له ودلالةً على نبوَّته؟

والأساورةُ: جمع سِوَار وإِسوار، وهو ما يُجعل في الذراع من الحَلْي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: مقترنين به لا يفارقونه.

أو متقارنين[1] بعضهم مع بعض؛ ليشهدوا له، ويقوموا بحجته.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ أي: طلب خِفَّتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم.

﴿ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ السَّلَف بفتح السين واللام: جمع سالف.

وقرئ بضمهما: جمع سَلِيف، ومعناه: متقدِّم؛ أي: تقدَّم قبل الكفار؛ ليكون موعظةً لهم، ومثَلًا يعتبرون به؛ لئلا يصيبهم مثلُ ذلك.

* * *

(١) في أ، ب، ج، هـ: «متقارنون».

[﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ﴾ روي عن ابن عباس وغيره في تفسيره هذه الآية: أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه، قالت قريش: ما يريد محمد إلَّا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى؛ فهذا كان صدودهم مِن ضرْبِه مثلًا، حكى ذلك ابن عطية[1].

والذي ضَرَب المثل على هذا: هو الله في القرآن.

و﴿يَصُدُّونَ﴾ بمعنى: يُعرضون.

وقال الزمخشري: لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] امتعضوا من ذلك، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم»، فقال: خصمتُك وربِّ الكعبة!، ألست

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٥٧).

تزعم أن عيسى بن مريم نبيٌّ وتثني عليه خيرًا، وقد علمتَ أن النصارى عبدوه؟، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك وضحكوا، وسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١] ونزلت هذه الآية[١]، فالمعنى على هذا: لما ضربَ ابن الزِّبَعرى عيسى مثلًا، وجادل رسولَ الله ﷺ بعبادة النصارى إيَّاه، إذا قريش من هذا المثل يَصِدُّون أي: يَضِجُّون[٢] ويصيحون من الفرح[٣].

وهذا المعنى إنما يجري على قراءة ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد؛ بمعنى الضَّجيج والصِّياح.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ يعنون بـ ﴿هُوَ﴾ عيسى، والمعنى: أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى؟، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه؛ لأنه خير من آلهتنا.

وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكر الزمخشري في تفسير الآية التي قبله.

وأما على ما ذكر ابن عطية: فهذا[٤] ابتداء معنى[٥] آخر.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤١٧).
(٢) في ب، ج: «يضحكون».
(٣) الكشاف (١٤/ ١٦٠).
(٤) في د، هـ: «فهو».
(٥) في د: «خبر».

وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولًا آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا: نحن أهدى من النصارى؛ لأنهم عبدوا آدميًا ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا: ﴿ءَأَالِهَتُنَا﴾ وهم الملائكة ﴿خَيْرٌ أَمْ﴾ عيسى؟[1]، فقصْدُهم: تفضيل آلهتهم على عيسى.

وقيل: إن قولهم ﴿أَمْ هُوَ﴾ يعنون به: محمدًا ﷺ، فإنهم لما قالوا: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا: ﴿ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾؟ يريدون تفضيل آلهتهم على محمد.

والأظهر: أن المراد بـ ﴿هُوَ﴾: عيسى، وهو قول الجمهور، ويدلُّ على ذلك تقدُّمُ ذكرِه.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلَّا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب مَن يناظره، سواءٌ غلَبه بحقٍّ أو بباطل، فإن ابن الزِّبَعْرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: عيسى، والإنعامُ عليه: بالنبوة والمعجزات، وغير ذلك.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾ في معناها قولان: **أحدهما**: لو نشاء لجعلنا بدلًا منكم ملائكةً يسكنون الأرضَ، ويخلفون

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٦٤).

فيها بني آدم، فقوله ﴿مِنكُمْ﴾ يتعلَّق: بـ«بدلًا» المحذوف، أو بـ﴿يَخْلُفُونَ﴾.

والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم؛ أي: لوَلَّدْنا منكم أولادًا ملائكةً يخلفونكم في الأرض كما يخلفُكم أولادُكم؛ فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكةً، فلا تنكروا أنْ خلقْنا عيسى من غير والد. حكى ذلك الزمخشري(١).

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير: لعيسى.

وقيل: لمحمد ﷺ.

وقيل: للقرآن.

فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد: فالمعنى: أنه شرَطٌ من أشراط الساعة، يوجب العلمَ بها، فسمَّى الشَّرَط عِلْمًا؛ لحصول العلم به، ولذلك قرئ ﴿لَعَلَمٌ﴾ بفتح العين واللام؛ أي: علامة.

وأما على القول بأنه للقرآن: فالمعنى: أنه يُعْلِمكم بالساعة.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما بيَّن البعض دون الكل؛ لأن الأنبياء إنما يبيِّنون أمور الدين لا أمور الدنيا.

وقيل: ﴿بَعْضَ﴾ بمعنى: «كلّ»، وهو ضعيف.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ ذكر في «مريم»(٢).

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٦٨).

(٢) انظر (٣/ ٧٢).

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير: لقريش، أو للأحزاب.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾: جمع خليل وهو الصديق، وإنما يعادي الخليلُ خليلَه يومَ القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى المتقين؛ لأن النفع دخل على بعضهم من بعض.

* * *

[﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم
بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ۝٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ
كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٧٣ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ
مُبۡلِسُونَ ۝٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ
إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٨ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا
مُبۡرِمُونَ ۝٧٩ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٨٠ قُلۡ إِن
كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ۝٨١ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا
يَصِفُونَ ۝٨٢ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٨٣ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي
ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٤ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٥ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٨٦ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ
ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٨٧ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ
فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾].

﴿يَٰعِبَادِ﴾ الآيةَ؛ تقديرها: يقول الله للمتقين يوم القيامة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨﴾.

﴿تُحۡبَرُونَ﴾ أي: تُنعَّمون وتُسرُّون(١).

﴿وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير.

(١) في ب: «وتبشرون».

﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنى: أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب.

وروي أن مالكًا يبقى بعد ذلك ألف سنة، وحينئذ يقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي: دائمون في النار.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الآيةَ؛ من كلام الله تعالى لأهل النار.

أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أم أحكموا كيدًا للنبي ﷺ؛ فإنا مُحْكِمون نصرَه وحمايته.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الآيةَ؛ روي أنها نزلت في الأخنس بن شَرِيق والأسود بن عبد يغوث، اجتمعا وقال الأخنس: أترى الله يسمع سِرَّنا؟ فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سرَّنا.

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ السرُّ: ما حدَّث الإنسان به نفسَه أو غيرَه في خفيةٍ، والنجوى: ما تكلموا به فيما بينهم.

﴿بَلَىٰ﴾ أي: نسمع، ورسلُنا مع ذلك تكتب ما يقولون.

والرسل هنا: الملائكة الحافظون للأعمال.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ في تأويل الآية أربعة أقوال:

الأول: أنها احتجاجٌ وردٌّ على الكفار، على تقدير قولهم، ومعناها: لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنتُ أنا أول مَن يعبد ذلك الولد؛

كما يعظِّم خَدِيم(١) الملِك ولدَ الملك لتعظيم أبيه، ولكن ليس للرحمن ولد؛ فلست بعابد إلَّا الله وحده.

وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم؛ لأنه علَّق عبادة الولد بوجوده، ووجوده محالٌ؛ فعبادته محال.

ونظير هذا: أن يقول المالكي إذا قصد الردَّ على الحنفي في تحليل النبيذ: إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال، لكنه مسكر؛ فهو حرام.

القول الثاني: أن المعنى: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله ووحَّده وكذَّبكم في قولكم: إن له ولدًا.

و﴿ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ على هذين القولين: بمعنى العبادة.

القول الثالث: أن العابدين بمعنى المنكرين، يقال عَبَدَ الرجلُ: إذا أنف(٢) وأنكر الشيء، والمعنى: إن زعمتم أن للرحمن ولدًا فأنا أول المنكرين لذلك.

و﴿إن﴾ على هذه الأقوال الثلاثة: شرطية.

القول الرابع: قال قتادة وابن زيد: ﴿إن﴾ هنا نافيةٌ، بمعنى: «ما كان للرحمن ولدٌ»، وتمَّ الكلام، ثم ابتدأ قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾.

والأول هو الصحيح؛ لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة، وهو الذي عوَّل عليه الزمخشري(٣).

---

(١) في د: «خدام».

(٢) في د: «نفر».

(٣) الكشاف (١٤/ ١٧٩-١٨١).

وقال الطبري: هو ملاطفةٌ في الخطاب، ونحوُه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤][١].

وقال ابن عطية: منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾[٢]، يعني: شركائي على قولكم.

﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ الآيةَ؛ موادَعةٌ منسوخة بالسيف.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ أي: هو إله أهل الأرض وأهل السماء.

والمجرور يتعلق بـ ﴿إِلَٰهٞ﴾؛ لأن فيه معنى الوصفية.

﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا يملك كل من عُبِد من دون الله أن يَشفع عند الله؛ لأن الله لا يشفع أحدٌ عنده إلَّا بإذنه؛ فهو المالك للشفاعة وحده.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ اختُلف هل يعني: بـ ﴿مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الشافعَ أو المشفوع فيه؟

[أ-] فإن أراد المشفوع فيه: فالاستثناء منقطع، والمعنى: لا يملك المعبودون شفاعةً؛ لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يُشفَع فيه، ويَحتمل على هذا أن يكون ﴿مَن شَهِدَ﴾ مفعولًا بـ ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ على

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٦٥٧).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٥٦٤).

إسقاط حرف الجر، تقديره: الشفاعةَ فيمن شهد بالحق.

[ب-] وإن أراد بـ ﴿مَن شَهِدَ﴾ الشافع: فيحتمل أن يكون الاستثناء: منقطعًا.

وأن يكون متصلًا؛ لأن فيمن عُبِد: عيسى والملائكة.

والمعنى على هذا: لا يملك المعبودون شفاعةً إلَّا مَن شهد منهم بالحق.

﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل: مصدرٌ كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ.

وقرئ: ﴿وَقِيلَهُ﴾ بالنصب والخفض، وقرئ في غير السبع بالرفع.

[أ-] فأما النصب:

فقيل: هو معطوفٌ على ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾.

وقيل: معطوف على موضع ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾؛ لأنها مفعول أضيف إلى المصدر(١).

وقيل: معطوف على مفعول ﴿يَكْتُبُونَ﴾، وهو محذوفٌ، تقديره: يكتبون أقوالَهم وقيلَه.

[ب-] وأما الخفض:

فقيل: إنه معطوف على لفظ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾.

ويحتمل أن يكون معطوفًا على قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

---

(١) فيكون التقدير: عنده علمُ الساعةِ وعلمُ قيلِه. الكشاف (١٤/ ١٨٦).

[ج-] وأما الرفع: فقيل: إنه مبتدأ، وخبره ما بعده.

وضعَّف الزمخشري ذلك كلَّه، وقال: إنه من باب القسم:

فالنصب والخفض: على إضمار حرف القسم كقولك: «اللهِ لأضربنَّ زيدًا»[1].

والرفع: كقولهم: «أيمُنُ الله» و«لعمرُك».

وجواب القسم: قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾، كأنه قال: أُقسِم بقِيله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ تقديره: أمري سلام؛ أي: مسالمة.

وقيل: «سلامٌ عليكم» على جهة الموادَعة.

وهو منسوخٌ على الوجهين.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تهديدٌ.

* * *

(١) عبارة الكشاف (١٤/ ١٨٦): «الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه»، وقال البيضاوي في تفسيره (٣/ ٢٥٨): «منصوبٌ بحذف الجار، أو مجرورٌ بإضماره» فعبارة البيضاوي فيها توضيح لعبارة الزمخشري، فقوله: «اللهِ لأضربن زيدًا» مجرورٌ بحرف جرٍّ مضمر (مقدَّر)، وقوله: «اللهَ لأضربنَّ زيدًا» منصوبٌ على حذف حرف الجر، حُذِف الجارُّ فانتصب المجرور، فيتبيَّن بهذا أن عبارة ابن جزيٍّ فيها شيء من الاختزال.

﴿ سورة الدخان ﴾

[﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾
فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾
فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا
ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ
عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ
ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ
﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ
مُّبِينٖ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ
جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ
فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا
كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾].

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ ذكر في «الزخرف»(١).

---

(١) انظر صفحة ٥٥.

وهو قسمٌ جوابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، وهو بعيد.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ يعني: ليلة القدر من رمضان.

وكيفية إنزاله فيها: أنه أُنزل إلى السماء الدنيا جملةً واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئًا بعد شيء.

وقيل: معناه أنه ابتُدِئ إنزالُه في ليلة القدر.

وقيل: يعني بالليلة المباركة: ليلةَ النصف من شعبان وذلك باطل؛ لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ معنى ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفْصَل ويُخَلَّص.

والأمر الحكيم: أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام، تُنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر؛ ليمتثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة.

وقد **قيل**: إن هذا يكون ليلةَ النصف من شعبان، وهو باطل؛ لما قدَّمنا.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص، قاله الزمخشري(١).

وقال ابن عطية: نصبٌ على المصدر(٢).

---

(١) الكشاف (١٤/ ١٩٤).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٥٧٠).

وقيل: على الحال.

﴿مُرۡسِلِينَ﴾ من إرسال الرسل ﷺ.

وقيل: من إرسال الرحمة.

والأول أظهر.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ فيه قولان:

أحدهما: قول علي بن أبي طالب وابن عباس: أن الدخان يكون قبل يوم القيامة، يصيب المؤمنَ منه مثلُ الزكام، ويُنضِج رؤوس الكافرين والمنافقين، وهو من أشراط الساعة، ورَوَى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول آيات[1] الساعة الدخان»[2].

والثاني: قول ابن مسعود: إن الدخان عبارةٌ عما أصاب قريشًا حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجدب، فكان الرجل يرى دخانًا بينه وبين السماء من شدَّة الجوع، قال ابن مسعود: خمسٌ قد مَضَينَ: الدخان، واللِّزام، والبَطشة، والقمر، والرُّوم[3].

﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ يَحتمل أن يكون:

من قول الله تعالى.

أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر؛ لأن ما بعده من

---

(١) في أ، هـ: «أشراط».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٥)، ومسلم (٢٧٩٨).

كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسِقًا .

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ هذا من كلام الله تعالى، ومعناه: استبعاد تذكُّر الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ.

والواو في قوله: ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ واو الحال.

﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ أي: يُعلِّمه بشر.

﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ ابن عباس: هي يوم القيامة.

ابن مسعود: هي يوم بدر.

(﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ فعلْنا معهم فعلَ المختبِر؛ ليظهر منهم ما سبق في علمنا)[1].

﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني: موسى عليه السلام.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ ﴿أَنْ﴾ هنا مفسِّرة نابتْ مَناب القول، و﴿أَدُّوٓاْ﴾ فعل أمرٍ من الأداء، و﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به، وهم بنو إسرائيل.

والمعنى: أرسلوا بني إسرائيل كما قال في «طه»: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٤٧].

وقيل: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ منادى، والمعنى: أدُّوا إليَّ الطاعة والإيمان يا عباد الله.

والأول أظهر.

---

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾ أي: لا تتكبَّروا.

﴿بِسُلْطَـٰنٍ﴾ أي: حجةٍ وبرهان.

﴿تَرْجُمُونِ﴾ اختُلف هل معناه: الرجم بالحجارة أو السبُّ؟، والأول أظهر.

﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي: اتركوني، وخلُّوا سبيلي.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ هذا أمرٌ من الله لموسى ﷺ، والعباد هنا: بنو إسرائيل أي: اخرج بهم بالليل.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ أن فرعون وجنوده يتبعونهم.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكنًا على هيئته.

وقيل: يابسًا.

وروي أن موسى لما جاوز[1] البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبقَ، كما ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو؛ ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا.

وقيل: معنى ﴿رَهْوًا﴾: سهلًا.

وقيل: منفرجًا.

﴿وَعُيُونٍ﴾ يَحتمل أن يريد:

الخُلجان الخارجة من النيل.

أو كانت ثمَّ عيون في ذلك الزمان.

---

(١) في د: «جاز».

وقيل: يعني: الذهب والفضة، وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان:

المنابر.

والمساكن الحسان.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من التنعُّم بالأرزاق وغيرها.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ أي: متنعِّمين.

وقيل: فرحين[١].

وقيل: أصحابَ فاكهة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع نصب؛ أي: مثلَ ذلك الإخراج أخرجناهم.

أو في موضع رفع؛ تقديره: الأمر كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني: بني إسرائيل، حكاه الزمخشري[٢] والماوردي[٣]، وضعفه ابن عطية، قال: لأنه لم يُرْوَ في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان[٤].

وقد قال الحسن: إنهم رجعوا إليها.

---

(١) في أ، ج: «فارحين».

(٢) الكشاف (١٤/ ٢١٢).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٥/ ٢٥٢).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٥٧٧).

ويدلُّ على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عبارةٌ عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: «بكت عليه السماء والأرض» على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم أحقر من أن يُبالَى بهم.

الثاني: قيل: إذا مات المؤمن بكى عليه مِن الأرض موضعُ عبادته، ومن السماء موضعُ صعود عمله، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم كفارٌ ليس لهم عمل صالح.

الثالث: أن المعنى: ما بكى عليهم أهلُ السماء ولا أهل الأرض.

والأوَّل أفصح، وهو مَنْزَعٌ معروفٌ في كلام العرب.

﴿كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ أي: مؤخَّرين.



[﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾].

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿عَالِيًا﴾ أي: متكبّرًا.

﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: كنّا عالمين بأنهم مستحِقُّون لذلك.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: على أهل زمانهم.

﴿بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ أي: اختبارٌ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفارَ قريش.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خاطبت قريشٌ بذلك النبيَّ ﷺ وأصحابه على وجه التعجيز.

وروي أنهم طلبوا أن يُحيِيَ لهم قصيَّ بن كلاب؛ ليسألوه عن الآخرة.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كان تبع ملكًا من حِمْيَر كان مؤمنًا وقومه كفارٌ، فذمَّ الله قومه ولم يذمَّه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تبعٌ نبيًّا أو غير نبيٍّ»(١).

ومعنى الآية: أقريشٌ أشدُّ وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار؟ وقد أهكلنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا؛ فكذلك نُهلِك هؤلاء، فمقصود الكلام(٢) تهديدٌ.

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

وقيل: هو مبتدأ، فيُوقَف قبله.

والأول أصح.

﴿لَعِبِينَ﴾ حالٌ منفيَّة، ذُكرت في «الأنبياء»(٣).

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ المولى هنا: يعم الوليَّ والقريب وغير ذلك من الموالي.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾ استثناءٌ:

منقطع: إن أراد بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الكفارَ.

ومتصلٌ: إن أراد بذلك جميعَ الناس.

* * *

---

(١) لم اقف عليه بهذا اللفظ، وفي سنن أبي داود (٤٦٧٤) ورد هكذا: «ما أدري تبَّعُ ألَعِينٌ هو أم لا».

(٢) في د: «فمقصد الآية».

(٣) انظر (٣/ ١٣٥).

[﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾].

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ أي: الفاجر، وهو مِن الإثم.

وقيل: يعني: أبا جهل، فالألف واللام للعهد.

والأظهر أنها للجنس؛ فتعمُّ أبا جهل وغيره.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت.

وقيل: ما يَذوب[1] من الرصاص وغيره.

﴿فَٱعْتُلُوهُ﴾ أي: سوقوه بتعنيفٍ.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ المصبوب في الحقيقة إنما هو الحميم، وهو الماء الحار، ولكن جَعل المصبوب هنا العذابَ المضافَ إلى الحميم مجازًا؛ لأن ذلك أبلغُ وأشدُّ تهويلًا، وقد جاء الأصل في قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

---

(١) في أ، هـ: «ما يُذاب».

﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ يقال للكافر هذا على وجه التوبيخ والتهكُّم به؛ أي: كنت العزيز الكريم عند نفسك.

وروي أن أبا جهل قال: ما بين جبلَيْها أعزُّ مني ولا أكرم، فنزلت الآية.

﴿تَمۡتَرُونَ﴾ تفتَعِلُون من المرية، وهو الشك.

﴿فِي مُقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرئ:

بضم الميم؛ أي: موضع إقامة.

وبفتحها؛ أي: موضع قيام.

والمراد به: الجنة.

والأمين: من الأَمْن؛ أي: مأمونٌ فيه.

وقيل: من الأمانة، وصف به المكان مجازًا.

﴿مِن سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾ السندس: الرقيق من الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع؛ أي: الأمرُ كذلك.

أو في موضع نصب؛ أي: مثلَ ذلك زوَّجناهم.

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا﴾ أي: يدعون خُدَّامَهم.

﴿إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ استثناء منقطع، والمعنى: لا يذوقون فيها الموت، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصةً قبل ذلك، ولولا قوله: ﴿فِيهَا﴾ لكان متصلًا؛ لعموم لفظ الموت.

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى: بَعْدَ، وذلك ضعيف.

﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بِلُغَتك، وهي لسان العرب.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ أي: ارتقب نصرَنا لك؛ إنهم مرتقبون ضدَّ ذلك، ففيه وعدٌ له ووعيدٌ لهم.

﴿ سورة الجاثية ﴾

[﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥
تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ
أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا
عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى
عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾].

﴿تَنزِيلُ﴾ ذُكر في «الزمر»(١).

وما بعد ذلك تنبيهٌ على الاعتبار بالموجودات، وقد ذُكِر معناه في مواضع.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الأفاك: مبالغةٌ من الإفك، وهو الكذب، والأثيم: من الإثم.

وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث.

ولفظها على العموم.

---

(١) انظر (٣/ ٧٣٤).

﴿يُصِرُّ﴾ أي: يدوم على حاله من الكفر.

وإنما عطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ لاستعظامِ الإصرار على الكفر؛ بعد سماع آيات الله، واستبعادِ ذلك في العقل والطبع.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: إذا بلغه شيء منها، ولم يُرد العلمَ الحقيقي.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقد ذُكر في «إبراهيم»[١].

* * *

(١) انظر (٢/ ٦٩٨).

[﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ
جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن
يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا
بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن
نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الشمسَ والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك.

﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: كلُّ نعمة فمن الله تعالى.

والمجرور:

في موضع الحال.

أو خبر ابتداء مضمر.

وقرأ ابن عباس: «مِنَّةً».

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن

يتجاوزوا عن الكفار، وأن لا يؤاخذوهم إذا آذَوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام.

فقيل: إنها منسوخة بالسيف.

وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأن احتمال الأذى مندوبٌ إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك.

وروي: أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب، شتَمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به.

و﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ هي نِعَمُه[1]، فـ ﴿يَرْجُونَ﴾ على أصله.

وقيل: ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ عبارةٌ عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف.

و﴿يَغْفِرُوا﴾ مجزومٌ في جواب شرط مقدَّر، دلَّ عليه: ﴿قُلْ﴾[2].

قال الزمخشري: حذف معمول القول، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا[3].

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الفاعل بـ﴿يَجْزِي﴾ ضميرٌ يعود على الله.

وقرئ بنون المتكلم.

وقال ابن عطية: إن الآية وعيدٌ[4]، فالقوم على هذا: هم الذين لا يرجون

---

(١) في المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٤): «أيام إنعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك».

(٢) تقديره: «قل اغفروا، فإن يجيبوا يغفروا» المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٤).

(٣) الكشاف (١٤/ ٢٤٦).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٥)

أيام الله، و﴿يَكْسِبُونَ﴾ يعني: السيئات.

وقال الزمخشري: القوم: هم الذين آمنوا، وجزاؤهم: الثواب؛ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بكَظْم الغيظ واحتمال المكروه[١].

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في «البقرة»[٢].

﴿بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: معجزاتٍ من أمر الدين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملةٍ ودين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، و﴿اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا.

والمراد بـ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الكفار؛ لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظُها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يُذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يردّدُها ويبكي طول الليل، ويقول لنفسه: من أيِّ الفريقين أنت؟!

ومعناها: إنكارُ ما حَسِبَه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواءً في المحيا والممات.

وفي تأويلها مع ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد: ليس المؤمنون سواءً مع الكفار، لا في المحيا ولا في الممات؛ فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكافرين

---

(١) الكشاف (١٤/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٢) انظر (١/ ٣١٢).

عاشوا على الكفر والمعصية، وكذلك مماتُهم ليس سواءً.

والقول الآخر: أنهم إن استووا في المحيا؛ أي: في أمور الدنيا من الصحة والرزق؛ فلا يستوون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويَشقى الكافرون، فالمراد بها: إثبات الجزاء في الآخرة، وتفضيل المؤمنين على الكفَّار في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدلٌ من الكاف في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وهي مفسِّرةٌ للتشبيه، وهي داخلةٌ فيما أنكره الله مما حسِبه الكفار.

وقيل: هي كلام مستأنَف؛ والمعنى على هذا: أن محيا المؤمنين ومماتَهم سواءٌ، وأن محيا الكفار ومماتهم سواءٌ؛ لأن كل أحد يموت على ما عاش عليه، وهذا المعنى بعيد، والصحيح: أنها من تمام ما قبلها، على المعنى الذي اخترناه.

وأما إعرابها:

فمن قرأ ﴿سَوَآءٌ﴾ بالرفع: فهو مبتدأ، وخبره ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، والجملة بدلٌ من الجار والمجرور الواقع مفعولًا ثانيًا لـ ﴿نَّجْعَلَ﴾.

ومن قرأ ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب: فهو حالٌ، أو مفعول ثانٍ لـ ﴿نَّجْعَلَ﴾، و﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ فاعلٌ بـ ﴿سَوَآءً﴾؛ لأنه في معنى: مستوٍ.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساءَ حكمُهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين.

[﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾].

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ﴾ معطوفٌ:

على قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ لأن فيه معنى التعليل.

أو على تعليلٍ محذوف تقديره: خلق الله السموات والأرض؛ ليدلَّ بهما على قدرته، ولتُجزَى كل نفس بما كسبت.

﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: أطاعه حتى صار له كإلهٍ[1].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على علمٍ من الله سابقٍ.

وقيل: على علم من هذا الضالِّ بأنه على ضلال، ولكنه يتبع الضلال معاندةً.

﴿وَخَتَمَ﴾ ذكر في «البقرة»[2].

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عطية: فيه حذف مضافٍ تقديره: من

(١) في د: «كالإله».

(٢) انظر (١/ ٢٧٠).

بعد إضلال الله إيَّاه[١].

ويَحتمل أن يريد: فمن يهديه غير الله.

﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير: لمن اتخذ إلهه هواه، أو لقريش.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه أربع تأويلات:

أحدها: أنهم أرادوا: يموت منَّا قوم ويحيا قوم.

والآخر: نموت نحن ويحيا أولادنا.

والثالث: نموت حين كنا عدمًا أو نُطَفًا، ونحيا في الدنيا.

والرابع: نموت الموت المعروف، ونحيا قبله في الدنيا، فوقع في اللفظ تقديم وتأخير.

ومقصودهم على كل وجه: إنكار الآخرة.

ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية؛ لقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآيةَ.

﴿قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ ذكر في «الدخان»[٢].

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على المنكرين للحشر، واستدلالٌ على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة.

* * *

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٠١).

(٢) انظر صفحة ٩٦.

[﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾].

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي: تجثو على الرُّكَب، وتلك هيئة الخائف الذليل.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها.

وقيل: الكتاب المنزل عليها.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الآيةَ.

فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارةً إليهم وتارةً إلى الله تعالى؟

فالجواب: أنه أضافه إليهم؛ لأن أعمالهم ثابتةٌ فيه، وأضافه إلى الله؛ لأنه تعالى مالكه، وهو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتابة أعمالكم.

وقيل: إن الله يأمر الحفَظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يمسكونه عندهم، فتأتي أفعال العباد على نحو ذلك فتكتبها أيضًا الملائكة، فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عباس يحتجُّ على ذلك بأن يقول: لا يكون الاستنساخ إلَّا من أصل.

﴿أَفَلَمْ تَكُنْ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

﴿وَحَاقَ﴾ ذُكِر مرارًا[1].

﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنى: التَّرك.

وأما في قوله: ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ فيحتمل أن يكون: بمعنى الترك، أو الذُّهول.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العُتْبى، وهي الرضا.

* * *

(١) انظر (٣/ ٧٥٨)، والمادة رقم (١٣٧) في اللغات.

﴿ سورة الأحقاف ﴾

[﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ
هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ
أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ قُلْ مَا كُنتُ
بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ
مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾].

﴿تَنزِيلُ﴾ ذكر في «الزمر»(١).

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ذكر مرارًا(٢).

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

---

(١) انظر (٣/ ٧٣٤).

(٢) انظر (٢/ ٥٣٩)، (٧٢٨/٢)، (٧١٢/٣).

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاجٌ على التوحيد، وردٌّ على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز.

﴿شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي: نصيبٌ.

﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيزٌ؛ لأنهم ليس لهم كتاب يدلُّ على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقةٌ بالتوحيد.

﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقيَّةٍ من علم قديم يدلُّ على ما تقولون.

وقيل: معناه من علم تثيرونه؛ أي: تستخرجونه.

وقيل: هو الإسناد.

وقيل: هو الخطُّ في الرمل، وكانت العرب تتكهَّن به، وقال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل؛ فمن وافق خطه فذاك»[(١)].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآيةَ؛ معناها: لا أحدَ أضلُّ ممن يدعو إلهًا لا يستجيب له، وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم؛ لأنها لا تسمعه.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: كان الأصنامُ أعداءً للذين عبدوها.

﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ الضمير في ﴿وَكَانُوا﴾ للأصنام، أي: تتبرَّأ الأصنام من الذين عبدوها.

وإنما ذَكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء؛ لأنه أَسند إليهم ما يُسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبةً لا تقدرون على دفعها، ولا تملكون شيئًا مِن ردِّها، فكيف أفتريه وأتعرَّض لعقاب الله؟.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تتكلَّمون به، يقال: أفاض الرجل في الحديث: إذا خاض فيه واستمرَّ.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ البِدْعُ والبَدِيع من الأشياء: ما لم يُرَ مثلُه؛ أي: ما كنت أوَّلَ رسول، ولا جئت بأمر لم يجئ به أحدٌ قبلي، بل جئت بما جاء به قبلي ناسٌ كثيرون؛ فلأيِّ شيء تنكرون ذلك؟!

﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك مِن أول ما بعثه الله.

والثاني: أنها في أمر الدنيا؛ أي: لا أدري بما يَقضي الله عليَّ وعليكم؛ فإن مقادير الله مغيَّبةٌ، وهذا هو الأظهر.

والثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وما تُلزِمُه الشريعةُ.

الرابع: أن هذا كان في الهجرة؛ إذ كان رسول الله ﷺ قد رأى في النوم أنه يهاجر إلى أرضٍ نخلٍ، فقلق المسلمون لتأخُّر ذلك، فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ معنى الآية: أرأيتم إن كان القرآن

من عند الله وكفرتم به؛ ألستم ظالمين؟ ثم حذف قوله: «ألستم ظالمين» وهو الجواب؛ لأنه دلَّ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، فالمعنى: أرأيتم إن اجتمع كونُ القرآن من عند الله، مع شهادة شاهدٍ من بني إسرائيل على مثله، ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم، ألستم أضلَّ الناس وأظلمَ الناس؟

واختُلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبد الله بن سلَام:

فقيل على هذا: إن الآية مدنية؛ لأنه إنما أسلم بالمدينة.

وقيل: إنها مكية، وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسَب ما أخبر، وكان عبد الله بن سلَام يقول: فيَّ نزلت الآية.

الثاني: أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة.

الثالث: أنه موسى عليه السلام، ورجَّح ذلك الطبري[١].

والضمير في ﴿مِثۡلِهِۦ﴾ للقرآن؛ أي: شهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد.

والضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ للشاهد:

فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر: فإيمانه بيِّن.

وإن كان موسى عليه السلام فإيمانه: هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشيره به.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٣١).

[﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ
بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ
مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ
ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ
إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن
سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ
لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ
أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ
وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى
حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي: لو كان الإسلام خيرًا ما سبقَنا إليه هؤلاء.

والقائلون لهذه المقالة: هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء؛ كبلال، وعمار، وصهيب.

وقيل: بل قالها كِنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غِفار ومزينة وجهينة.

وقيل: بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله بن سلَام.

والأول أرجح؛ لأن الآية مكية، وكانت مقالة قريش بمكة، وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة.

ومعنى ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: من أجل الذين آمنوا، أي: قالوا ذلك عنهم في غَيْبتهم. وليس المعنى: أنهم خاطبوهم بهذا الكلام؛ لأنه لو كان خطابًا لقالوا: «ما سبقتمونا».

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: لمَّا لم يهتدوا به قالوا: هذا إفك قديم، ونحو هذا ما جاء في المثل: «مَنْ جَهِل شيئًا عاداه».

ووصفوه بالقِدَم؛ لأنه قد قيل قديمًا.

فإن قيل: كيف عَمِلَ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ في ﴿إِذْ﴾ وهي للماضي والعامل مستقبل؟

فالجواب: أن العامل في ﴿إِذْ﴾ محذوفٌ، تقديره: «إذ لم يهتدوا به ظهَر عنادُهم، فسيقولون..»، قال ذلك الزمخشري(١).

ويظهر لي: أنَّ ﴿إِذْ﴾ هنا بمعنى التعليل، لا ظرفيةٌ بمعنى الماضي، فلا يلزم السؤال، والمعنى: أنهم قالوا: هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت ﴿إِذْ﴾ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب، ومنه: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩] أي: بسبب ظلمكم.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ للقرآن،

---

(١) الكشاف (١٤/ ٢٨١-٢٨٣).

و﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ هو التوراة، و﴿إِمَامًا﴾ حال، ومعناه: يُقتَدى به.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارةُ بـ﴿هَٰذَا﴾ إلى القرآن.

ومعنى ﴿مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا﴾: صدَّق ما قبلَه من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في «البقرة»[١].

و﴿لِّسَانًا﴾ حالٌ من الضمير في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾.

وقيل: مفعول بـ﴿مُّصَدِّقٌ﴾؛ أي: صدَّق ذا لسانٍ عربي، وهو محمد ﷺ واختار هذا ابنُ عطية[٢].

﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ ذكر في «حم السجدة»[٣].

﴿حُسْنًا﴾ ذكر في «العنكبوت»[٤].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: حملته بمشقَّةٍ ووضعته بمشقة.

ويقال: كرْهٌ بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدة حمله ورَضاعه ثلاثون شهرًا، وهذا لا يكون إلَّا بأن يَنقص من أحد الطرفين، وذلك إمَّا أن تكون مدة الحمل ستةَ أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر.

---

(١) انظر (١/ ٣٠٨).
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦١٦).
(٣) انظر صفحة ١٧.
(٤) انظر (٣/ ٤٦٢).

ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعلماء: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

وإنما عبَّر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام؛ لأنه منتهى الرَّضاع.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ذكر في «يوسف»[1].

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حدُّ كمال العقل والقوة.

ويقال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقيل: إنها عامة.

﴿فِي أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة أصحاب الجنة، كما تقول: «رأيت فلانًا في الناس»، أي: مع الناس.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ قال مروان بن الحكم: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كُفْرِه[2]، كان أبوه وأمه يدعوَانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما: «أفٍّ لكما».

وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: «والله ما نزل في آل أبي بكر شيءٌ من القرآن إلَّا براءتي»[3].

ويُبطِل ذلك قطعًا قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان

---

(١) انظر (٢/ ٦٢٥).

(٢) في د: «كفر».

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

له في الجهاد غَناءٌ عظيم، وقال السُّديُّ: ما رأيت أعبدَ منه.

وقال ابن عباس: نزلت في ابنٍ لأبي بكر، ولم يسمِّه.

ويردُّ ذلك: ما ذكرنا عن عائشة.

وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدلُّ على أنها عامةٌ قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ بصيغة الجمع، ولو أراد واحدًا بعينه لقال: «ذلك الذي حق عليه القول».

وقد ذكرنا ﴿أُفّٖ﴾ في «الإسراء»(١).

﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أي: أتعدانني أن أُخرج من القبر للبعث.

﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ أي: قد مضت قرونٌ من الناس ولم يبعث منهم أحد.

﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ الضمير لوالديه؛ أي: يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقوله ابنهما، ثم يقولان له: ﴿وَيۡلَكَ﴾، ثم يأمرانه بالإيمان، ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أي: قد سطَره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيبٌ بالبعث والشريعة.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ أي: للمحسنين والمسيئين درجاتٌ في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علْوٍ، ودرجات أهل النار إلى سفْلٍ.

---

(١) انظر (٢/ ٨٠٢).

﴿وَلِنُوَفِّيَهُمْ﴾ تعليلٌ لفعل محذوف، وبه يتعلَّق، تقديره: جعَل جزاءَهم درجاتٍ؛ ليوفيهم[1] أعمالهم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ العامل فيه محذوفٌ، تقديره: اذكر.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ تقديره: يقال لهم: أذهبتم طيباتكم.

والطيبات هنا: الملاذُ من المآكل وغيرها.

وقرئ ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾:

بهمزة واحدة على الخبر.

وبهمزتين على التوبيخ.

والآية في الكفار؛ بدليل قوله: ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهي مع ذلك واعظةٌ لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه اشترى لحمًا: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية؟

﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الذي اقترن به هوانٌ.



(١) في د: «لنوفيهم».

[﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾].

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني: هودًا عليه السلام.

﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حِقْفٍ، وهو الكُدْسُ من الرمل.

واختُلف أين كانت؟

فقيل: بالشام.

وقيل: بين عُمَان ومَهَرة.

وقيل: بين عُمان وحَضْرَموت.

والصحيح أن بلاد عادٍ كانت باليمن.

﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ أي: تقدَّمت من قبله ومن بعده.

و﴿النُّذُرُ﴾ جمع نذير.

فإن قيل: كيف يُتصوَّر تقدُّمها من بعده؟

فالجواب: أن هذه الجملة اعتراضٌ، وهي إخبارٌ من الله تعالى أنه قد

بَعث رسلًا متقدِّمين قبل هود وبعده.

وقيل: معنى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾: في زمانه.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: قال: إن العذاب الذي قلتم ائتنا به ليس لي علمٌ متى يكون، وإنما يعلمه الله، وما عليَّ إلَّا أن أبلِّغكم ما أُرسلت به.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ العارض: السحاب الذي يَعرِض في أفق السماء.

والضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ يعود:

على ﴿ مَا تَعِدُنَآ﴾.

أو على المرْئيِّ المبهم الذي فسَّره قوله: ﴿عَارِضًا﴾، قال الزمخشري: وهذا أعرب وأفصح(١).

وروي أنهم كانوا قد قَحِطوا مدَّةً، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به، فقال لهم هود عليه السلام: بل هو ما استعجلتم به من العذاب.

وقوله: ﴿رِيحٌ﴾:

بدلٌ من ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم﴾.

أو خبر ابتداء مضمر.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ عمومٌ يراد به الخصوص.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش على وجه التهديد؛ أي: مكَّنَّا

---

(١) الكشاف (١٤/ ٣٠١).

عادًا فيما لم نمكنْكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك، ثم أهلكناهم لما كفروا.

و﴿إن﴾ هنا نافيةٌ بمعنى «ما»، وعَدل عن «ما» كراهيةً لاجتماعها مع «ما» التي قبلها.

وقيل: ﴿إن﴾ شرطيةٌ، وجوابها محذوف، تقديره: إن مكنَّاكم فيه طَغيتم.

قال ابن عطية: وهذا تنطُّعٌ في التأويل[1].

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٢٩).

[﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ يعني: بلادَ عاد، وثمود، وسبأ، وغيرها، والمراد: إهلاك أهلها.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ الآيةَ؛ عرْضٌ معناه النفي؛ أي: لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا[1] من دون الله.

﴿قُرْبَانًا﴾ أي: تقرَّبوا بهم إلى الله، وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وانتصاب ﴿قُرْبَانًا﴾ على الحال.

ولا يصح أن يكون ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولًا ثانيًا لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾ و﴿آلِهَةً﴾ بدلٌ

(١) في ب: «عبدوهم»، وفي د: «عبدوها».

منه؛ لفساد المعنى، قاله الزمخشري[(١)].

وقد أجازه ابن عطية[(٢)].

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ أي: تَلِفُوا لهم، وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: أَمَلْناهم نحوك.

والنفر في اللغة: دون العشرة.

وروي أن الجن كانوا سبعة، وكانوا كلهم ذكرانًا؛ لأن النفر الرجالُ دون النساء.

وكانوا من أهل نَصِيبِينَ[(٣)].

وقيل: من أهل الجزيرة.

واختُلف هل رآهم النبي ﷺ؟

قيل: إنه لم يرهم، ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك.

وقيل: بل علم بهم واستعدَّ لهم واجتمع معهم، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود أحاديث مضطربة[(٤)].

---

(١) الكشاف (١٤/ ٣٠٧).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٢٩).

(٣) هي بلدة في بلاد الجزيرة التي بين الشام والعراق. معجم البلدان، لياقوت الحموي (٥/ ٢٨٨).

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٠).

وسبب استماع الجن: أنهم لما طُرِدوا عن استراق السمع من السماء برجْم النجوم قالوا: ما هذا إلَّا أمرٌ[١] حدث!، فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتى سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ، فاستمعوا إليه وآمنوا به.

﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالةٌ[٢] على أنهم كانوا على دين اليهود.

وقيل: كانوا لم يعلموا ببعث عيسى.

﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ ذكر في «البقرة»[٣].

﴿دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ.

﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ ﴿مِّن﴾ هنا للتبعيض على الأصح؛ أي: يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله.

وقيل: معنى التبعيض: أن المظالم لا تُغفَر.

وقيل: إن ﴿مِّن﴾ زائدة.

﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ أي: من النار.

واختَلف الناس هل للجنِّ ثوابٌ زيادةً على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلَّا النجاة خاصةً؟

---

(١) في د: «الأمر».

(٢) في أ، هـ: «دليل».

(٣) انظر (١/ ٣٠٨).

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ يحتمل:

أن يكون من كلام الجن.

أو من كلام الله تعالى.

ومعنى ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾: لا يفوتُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على بعث الأجساد بخِلْقة السموات والأرض.

﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ يقال: عَيِيتُ بالأمرِ: إذا لم تعرفْه، فالمعنى: أنه تعالى عَلِم كيف خَلْقُ السموات، وأحكم خِلْقتها؛ فلا شكَّ أنه قادرٌ على إحياء الموتى.

﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ في موضع رفع؛ لأنه خبر ﴿أَنَّ﴾، وإنما دخلت الباء؛ لاشتمال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وخبرها[١].

﴿بَلَىٰٓ﴾ جوابٌ لما تقدَّم؛ أي: هو قادر على أن يُحيي الموتى.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ؛ أي: اصبر على تكذيب قومك.

وأولوا العزم هم: نوحٌ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى.

وقيل: هم الثمانيةَ عشرَ المذكورون في سورة «الأنعام»؛ لقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

---

(١) عبارة الكشاف (١٤/٣١٦): «وإنما دخلت الباء؛ لاشتمال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وما في حيِّزها».

وقيل: كلُّ من لَقِي من أمته شدةً.

وقيل: الرسل كلهم أولوا عزم؛ فـ ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ على هذا: لبيان الجنس.

وعلى الأقوال المتقدمة: للتبعيض.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي: لا تستعجل نزول العذاب بهم؛ فإنهم صائرون إليه؛ فإنهم[1] إذا هلَكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلَّا ساعةً من نهار؛ لاستقصار أعمارهم.

﴿بَلَٰغٌ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذا الذي وُعِظتم به بلاغٌ؛ بمعنى: كفايةٌ في الموعظة.

أو بلاغ من الرسول ﷺ، أي: بلَّغَ هذه المواعظَ والبراهين.

---

(١) في د: «وإنهم».

﴿ سورة القتال ﴾

[﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣
فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ
تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾].

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفار قريش، وعموم اللفظ يصلح لكلِّ كافرٍ.

كما أن قوله بعد هذا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني به: الصحابةَ، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن.

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون ﴿وَصَدُّواْ﴾:

بمعنى: أعرضوا، فيكون غيرَ متعدٍّ.

أو يكون بمعنى: صدوا الناسَ، فيكون متعدِّيًا.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلام والطاعة.

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أبطلها وأحبطها.

وقيل: المراد بـ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ هنا: ما أنفقوا في غزوة بدر؛ فإن هذه السورة نزلت بعد بدر.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريدٌ؛ للاختصاص والاعتناء، بعد عموم قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ولذلك أكَّده بالجملة الاعتراضية، وهي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل: معناه: أصلح حالهم وشأنهم.

وحقيقة البال: الخاطر الذي في القلب، وإذا صلَح القلب صلَح الجسد كلُّه، فالمعنى: إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أصله: «فاضربوا الرقاب ضربًا»، ثم حَذف الفعل وأقام المصدر مُقامه.

والمراد: اقتلوهم، ولكن عبَّر عنه بضرب الرقاب؛ لأنه الغالب في صفة القتل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: هزمتموهم، والإثخان: أن يَكثر فيهم القتل والأسر.

﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ عبارةٌ عن الأسر.

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ المنُّ: العتق، والفداء: فكُّ الأسير بمال، وهما جائزان.

فإن مذهب مالك: أن الإمام مخيَّر في الأُسارى بين خمسة أشياء؛ وهي: المن، والفداء، والقتل، والاسترقاق، وضرب الجزية.

وقيل: لا يجوز المنَّ ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فلا يجوز على هذا إلَّا قتلُهم.

والصحيح أنها محكمة.

وانتصب ﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَآءً﴾ على المصدرية، والعامل فيهما: فعلان مضمران.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة: الأثقال، فالمعنى: حتى تذهب وتزول أثقالها، وهي آلاتها.

وقيل: الأوزار: الآثام؛ لأن الحرب لا بدَّ أن يكون فيها آثامٌ في أحد الجانبين.

واختُلف في الغاية المرادة هنا:

فقيل: حتى يُسلم الجميع؛ وحينئذ تضع الحرب أوزارها.

وقيل: حتى تقتلوهم وتَغلِبوهم.

وقيل: حتى ينزلَ عيسى بن مريم.

قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبدًا، كما

تقول: «أنا أفعلُ كذا إلى يوم القيامة»[١].

﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره: الأمرُ ذلك.

﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك الكفار بعذابٍ من عنده، ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين، وأن يبلوَ بعضَ الناس ببعض.

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: جعلهم يَعرِفون منازلهم فيها، فهو من المعرفة.

وقيل: معناه طيَّبها لهم، فهو من العَرْف، وهو طِيبُ الرائحة.

وقيل: معناه شرَّفها ورفعها، فهو من الأعراف التي هي الجبال.

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: عِثارًا وهَلاكًا.

وانتصابه على المصدرية، والعامل فيه فعلٌ مضمر[٢]، وعلى هذا الفعل عُطِف قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: لكفار قريش أمثالُ عاقبة الكفار المتقدِّمين من الدمار والهلاك.

﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: وليُّهم وناصرهم، وكذلك: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ معناه: لا ناصر لهم.

ولا يصح[٣] أن يكون المولى هنا بمعنى السيد؛ لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٤١).

(٢) أي: أتعس الذين كفروا تعسًا. الكشاف (١٤/ ٣٣٠).

(٣) في أ، هـ: «ولا يصلح».

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: و﴿رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦٢]؛ لأن معنى المولى مختلِفٌ في الموضعين؛ فمعنى ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾: ربُّهم، وهذا على العموم في جميع الخلق، بخلاف قوله: ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فإنه خاصٌّ بالمؤمنين؛ لأنه بمعنى الوليِّ والناصر.

[﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾].

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ عبارةٌ عن كثرة أكلهم، أو عن غفلتهم عن النظر كالبهائم.

﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ يعني: مكة، وخروجه ﷺ منها وقت الهجرة.

ونَسب الإخراج إلى القرية، والمراد أهلها؛ لأنهم آذوه حتى خرج.

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ الضمير للقرى المتقدِّمة المذكورة في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وجمَعه حملًا على المعنى، والمراد: أهلكنا أهلها.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: على حجة، ويعني به: النبيَّ ﷺ، كما يعني قريشًا بقوله: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾.

اللفظ أعم من ذلك.

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ ذكر في «الرعد»[١].

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غيرِ متغيِّر.

﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ تقديره: أَمَثَلُ أهلِ الجنة المذكورة كمَن هو خالدٌ في النار؟، فحَذف هذا التقديرَ المرادَ به النفيُ، وإنما حَذفه؛ لدلالة التقدير المتقدِّم، وهو قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، وجاء «يستمعون» بلفظ الجمع؛ رعْيًا لمعنى ﴿مَن﴾[٢].

﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ روي أنه عبد الله بن مسعود.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين:

إمَّا احتقارًا لكلامه، كأنهم قالوا: أيُّ فائدة فيه.

وإما جهلًا ونسيانًا؛ لأنهم كانوا وقتَ كلامه مُعْرِضين عنه.

و﴿ءَانِفًا﴾ معناه: الساعةَ الماضيةَ قريبًا، وأصله: مِن استأنفتُ الشيءَ: إذا ابتدأتَه.

---

(١) انظر (٢/ ٦٨٦).

(٢) كذا وردت هذه العبارة في جميع النسخ، وهو سهوٌ، فإن آية سورة القتال: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ بالإفراد، وليست بالجمع، وإنما وردت بالجمع في سورة يونس فقط، وآية سورة القتال مثل آية الأنعام: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وقال المؤلف هناك في تفسيرها: «وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وهو فعلُ جماعةٍ؛ حَمْلًا على لفظ «مَن»، وعلَّق في طرة نسخة ب على هذا الموضع تعليقًا فيه أدبٌ مع المؤلف فيقول: «هذا والله أعلم مما غلط فيه المؤلف رحمه الله؛ فإنه ﴿يَسْتَمِعُ﴾ بلفظ المفرد لا الجمع؛ رعْيًا للفظ «مَن» لا لمعناه، والكمال لله تعالى، وهذا من سهو المؤلف، وحاشاه أن يجهل مثل هذا».

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني: المؤمنين.

والضمير في ﴿زَادَهُمْ﴾:

لله تعالى.

أو للكلام الذي قال فيه المنافقون: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾.

وقيل: يعني بـ ﴿الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ قومًا من النصارى آمنوا بمحمد ﷺ، فاهتداؤهم: هو إيمانهم بعيسى، وزيادة الهدى: إسلامهم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الضمير للمنافقين، والمعنى: هل ينتظرون[١] إلَّا الساعةَ؛ لأنها قريبة.

﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتها، والذي كان قد جاء من ذلك: مبعث محمد ﷺ؛ لأنه قال: «أنا من أشراط الساعة»[٢]، و«بعثت أنا والساعة كهاتين»[٣].

﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ أي: كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة؛ فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة؟

ففاعل ﴿جَاءَتْهُمْ﴾: الساعة، و﴿ذِكْرَاهُمْ﴾ مبتدأ، وخبره الاستفهام المتقدِّم، والمراد به: الاستبعاد.

---

(١) في د: «ينظرون».

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي مسند الإمام أحمد (٢١٩٩٢): «ستٌّ من أشراط الساعة: موتي..» الحديثَ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠).

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: دُمْ على العلم بذلك.

واستدلَّ بعضهم بهذه الآية على أن النظر[1] والعلم قبل العمل؛ لأنه قدَّم قوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾ على قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ قيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾: تصرُّفكم في الدنيا، ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾: إقامتكم في القبور.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾: تصرفكم في اليقَظة، ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾: منامكم.

---

(١) في أ، د، هـ: «على النظرِ».

[﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾].

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن، والرغبة فيه؛ لأنهم كانوا يفرحون به، ويستوحشون من إبطائه.

﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالمحكمة:

ليس فيها منسوخ.

أو يريد متقنةً.

وقرأ ابن مسعود: «سورة مُحْدَثة».

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، ونظَرُهم ذلك من شدَّة الخوف من القتال؛ لأن نظَر الخائف قريبٌ من نظر المغشّي عليه.

﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى: أحق، وخبره على هذا: ﴿طَاعَةٞ﴾، والمعنى: أن الطاعةَ والقول المعروف أولى لهم وأحقُّ.

والآخر: أن ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ كلمةٌ معناها: التهديد والدعاء عليهم كقولك: «ويل لهم»، ومنه: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤﴾ [القيامة: ٣٤].

فيُوقف على ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ على هذا القول، ويكون ﴿طَاعَةٞ﴾ ابتداء كلام، تقديره:

طاعةٌ وقولٌ معروف أمثلُ.

أو المطلوبُ منهم طاعة وقول معروف.

أو قولهم لك يا محمد طاعةٌ وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازًا، كقولك: نهاره صائمٌ وليله قائمٌ.

﴿صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد:

صِدْقَ اللسان.

أو صدق العزم والنية، وهو أظهر.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ هذا خطابٌ للمنافقين المذكورين، خرج من الغَيْبة إلى الخطاب؛ ليكون أبلغ في التوبيخ.

والمعنى: هل يُتوقَّع منكم الإفسادُ في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم؟[١]

ومعنى ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: صرتم ولاةً على الناس وصار الأمر لكم، وعلى هذا قيل: إنها نزلت في بني أمية.

وقيل: معناه: أعرضتم عن الإسلام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم.

وقيل: نزلت في قوم من اليهود، كانوا قد عرفوا نبوة محمد ﷺ من التوراة، ثم كفروا به.

﴿سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أي: زيَّن لهم ورجَّاهم أمانيَهم.

﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ أي: مدَّ لهم في الأماني والآمال.

والفاعل: هو الشيطان.

وقيل: الله تعالى.

والأول أظهر؛ لتناسب الضميرين الفاعِلَين، في ﴿سَوَّلَ﴾ و﴿أَمۡلَىٰ﴾.

﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين.

و﴿بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾: يعنون به: مخالفةَ رسول الله ﷺ ومحاربتَه.

﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة

---

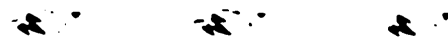
(١) الاستفهام للتقرير، والمعنى: فالمتوقع منكم الإفساد.

يعني: ملكَ الموت ومن معه.

والفاء رابطة للكلام مع ما قبله، **والمعنى**: هذا جزَعهم مِن ذكر القتال؛ فكيف يكون حالهم حين[١] الموت؟

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للملائكة.

وقيل: إنه للكفار؛ أي: يضربون وجوه أنفسهم، وذلك ضعيف.



(١) في أ، هـ: «عند».

[﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن
يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ
الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾].

﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآيةَ؛ معناها: أظن المنافقون أن لن يفضحهم الله؟

والضِّغْن: الحقد، ويراد به هنا: النفاق والبُغض في الإسلام وأهله.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلاماتهم، ولكن الله ستَر عليهم؛ إبقاءً عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين.

وروي أن الله لم يذكر له واحدًا منهم باسمه.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ معنى ﴿لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: مَقصِده وطريقته.

وقيل: اللحن: هو الخفيُّ المعنى، كالكناية والتعريض.

والمعنى: أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم، وإن لم يعرِّفه الله بهم على التعيين.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبركم.

﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ أي: نعلَمه علمًا ظاهرًا في الوجود تقوم به الحجة عليكم؛ وقد علِم الله الأشياءَ قبل كونها، ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده؛ بما يصدر منهم.

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: «اللهم لا تَبتلِنا؛ فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا».

﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خالفوه وعادوه.

ونزلت الآية في المنافقين.

وقيل: في اليهود.

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يَحتمل أربعة معان:

أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان.

والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات، ذكره الزمخشري[1]، وهذا على مذهب المعتزلة، خلافًا للأشعرية؛ فإن مذهبهم أن السيئات لا تُبطِل الحسنات.

والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعُجب.

---

(١) الكشاف (١٤/٣٥٨).

والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها.

وعلى هذا أخذ الفقهاءُ الآية، ولذلك يستدلون على أن من ابتدأ نافلةً لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهرها[1]؛ لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين: ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾، فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثلَ هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدِّهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسولَ.

﴿فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطعٌ بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له، وقد أجمع المسلمون على ذلك.

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي: لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بطلب الصلح، فهو كقوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لن يَنقصكم أجورَ أعمالكم، يقال: وَتَرْتُ الرجلَ أَتِرُه: إذا نَقصتَه شيئًا، أو أذهبتَ له متاعًا.

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يسألكم جميعها، إنما يسألكم في الزكاة ما يَخِفُّ عليكم، مثل ربع العشر، وذلك خفيف.

﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ معنى ﴿يُحْفِكُمْ﴾: يُلِحُّ عليكم، والإحفاء: أشد السؤال، و﴿تَبْخَلُوا﴾ جواب الشرط.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ الفاعل: الله تعالى، أو البخل.

والمعنى: يخرج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق.

---

(١) في أ، ج، هـ: «أظهر».

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوبٌ على التخصيص، أو منادى.

﴿لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الجهادَ أو الزكاة.

﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: إنما ضَرر بخلِه على نفسه؛ فكأنه بَخِلَ على نفسه بالثواب الذي يستحقُّه بالإنفاق.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أي: يأتِ[1] بقومٍ على خلاف صفتكم، بل راغبين في الإنفاق في سبيل الله.

فقيل: إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم: الأنصار؛ وهذا ضعيف لأن الآية مدنية، نزلت والأنصار حاضرون.

وقيل: الخطاب لكلِّ مَن كان حينئذ بالمدينة، والقوم: هم أهل اليمن، وقيل: فارس.



(١) في ب، ج، د، هـ: «يأتي».

﴿ سورة الفتح ﴾

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبيَة، لما أراد أن يعتمر بمكة فصدَّه المشركون، وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه وهما راجعان إلى المدينة: «لقد نزلت علي سورة هي أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها»(١).

[﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٣)، ومسلم (١٧٨٦).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ يَحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون:
من الفتح بمعنى الحكم؛ أي: حكَمنا لك على أعدائك.
أو من الفتح بمعنى العَطاء، كقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢].
أو من فتح البلاد.
واختُلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال:

الأول: أنه فتح مكة، وعدَه الله به قبل أن يكون، وذَكَره بلفظ الماضي؛ لتحقُّقه، وهو على هذا بمعنى فتح البلاد.

الثاني: أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرِّضوان، ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش، وهو على هذا بمعنى: الحكم، أو بمعنى العطاء.

ويدل على صحة هذا القول: أنه لما وقع صلح الحديبية شقَّ ذلك على بعض المسلمين؛ لشروطٍ كانت فيه، حتى أنزل الله هذه السورة، وتبيَّن أن ذلك الصلحَ له عاقبةٌ محمودة، وهذا هو الأرجح؛ لأنه روي أنها لما نزلت قال بعض الناس: ما هذا الفتح وقد صدَّنا المشركون عن البيت؟ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالرَّاح، ورغِبوا إليكم في الأمان»[1].

الثالث: أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح، كفتح خيبر وغيرها.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٦٠).

الرابع: أنه الهداية إلى الإسلام، ودليل هذا القول قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ فجعل الفتح علةً للمغفرة، ولا حجة في ذلك؛ إذ يُتصوَّرُ في الجهاد وغيره أن يكون علةً للمغفرة أيضًا، أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة، لا للتعليل؛ فيكون المعنى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾ فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة؛ بأن غفر لك، وأتمَّ نعمته عليك، وهداك ونصَرك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: السكون والطُّمَأنينة، يعني: سكونَهم في صلح الحديبية وتسليمَهم لفعل رسول الله ﷺ.

وقيل: معناه الرحمة.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ **معناه**: أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين، فقالوا: لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا.

وقيل: معناه: أنهم لا يعرفون الله بصفاته، فذلك هو ظن السَّوء به.

والأول أظهر؛ بدليل ما بعده.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ يَحتمل أن يكون: خبرًا، أو دعاءً.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي: تشهدُ على أمتك.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تعظِّموه.

وقيل: تنصروه.

وقرئ: «تُعَزِّزوه» بزاءين منقوطتين.

والضمير في ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾: للنبي ﷺ، وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: لله تعالى.

وقيل: الثلاثة لله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشريفٌ للنبي ﷺ؛ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكَّد هذا المعنى بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخيُّل والتمثيل، يريد: أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين له هي يد الله في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أنَّ عقْدَ ميثاق البيعة مع الرسول ﷺ، كعقدهِ مع الله، كقوله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وتأوَّل المتأوِّلون ذلك بأن يد الله معناها: النعمة أو(١) القوة، وهذا بعيد هنا(٢).

ونزلت الآيةُ في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعدُ.

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ يعني: أنَّ ضررَ نكْثِه على نفسه.

ويريد بالنكث هنا: نَقْضَ البيعة.

---

(١) في ب، د: «و».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وذلك على وجه التخيُّل والتمثيل» إلخ، لو قال: على وجه التخييل والتمثيل لكان أولى، وقد أحسن المؤلف في ترجيح هذا الرأي، وتنظير الآية بقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وأحسن في رده قول المتأولين اليد بالنعمة، وما رجحه هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله، والآية مع هذا تدل على إثبات اليد لله تعالى.

[﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾].

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية؛ سماهم بالمخلَّفين؛ لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية.

والأعراب: هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ليعتمر، رأوا أنه يستقبل عدوًّا كثيرًا من قريش وغيرهم، فقعدوا عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم متمكِّنًا، فظنوا أنه لا يرجع هو ولا المؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسولَ الله ﷺ بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

قولهم: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ لأنهم كذبوا في ذلك.

أو قولهم: ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ﴾؛ لأنهم قالوا ذلك رياءً من غير توبة ولا صدق.

﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين؛ مِن البَوار، وهو الهلاك، ويعني به: الهلاكَ في الدين.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الآيةَ؛ أخبر الله نبيه ﷺ أن المخلَّفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى، وهي غزوة خيبر، فأمره الله بمنعهم من ذلك، وأن يقول لهم: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبدلوا وعْدَ الله لأهل غزوة الحديبية، وذلك أن الله وعدَهم أن يعوِّضهم من غنيمة مكة غنيمةَ خيبر وفتْحَها، وأن يكون ذلك مختصًا بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل.

وقيل: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وهذا ضعيف؛ لأن هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدَّة.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد: وعْدَه باختصاصه أهلَ الحديبية بغنائم خيبر.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: يَعِزُّ عليكم أن نُصِيبَ معكم مالًا وغنيمة.

و﴿بَلْ﴾ هنا: للإضراب عن الكلام المتقدِّم، وهو قوله: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾، فمعناها: ردٌّ أن يكون الله حكَم بأن لا يتبعوهم.

وأما ﴿بَلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهي إضرابٌ

عن وصف المؤمنين بالحسد، وإثباتٌ لوصف المخلَّفين بالجهل.

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختُلِف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم هوازن ومَن حارب النبيَّ ﷺ في غزوة حُنين.

والثاني: أنهم الروم؛ إذ دعا رسول الله ﷺ الناسَ إلى قتالهم في غزوة تبوك.

والثالث: أنهم أهل الردَّة من بني حَنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والرابع: أنهم الفرس.

ويتقوى القول الأول والثاني: بأن ذلك ظهَر في حياة النبي ﷺ.

وقوَّى المنذر بن سعيد القول الثالث؛ بأن الله جعل حُكْمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية، قال: وهذا لا يوجد إلَّا في أهل الردَّة.

قلت: وكذلك هو موجودٌ في كفار العرب؛ إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوِّي ذلك أنهم هوازن.

﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ عطفٌ على ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾.

وقال ابن عطية: هو مستأنَفٌ(١).

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يريد: في غزوة الحديبية.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٧٦).

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الله تعالى عذَر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد؛ بسبب أعذارهم.



[﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾].

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل النارَ إن شاء الله أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها**»(١).

وفي الحديث أنهم كانوا ألفًا وأربع مئة(٢)، وقيل: ألفًا وخمس مئة.

وسبب هذه البيعة: أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية، وهي موضعٌ على

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٦٤)

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦).

نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمانَ بن عفان ﷺ رسولًا إلى أهل مكة، يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حربًا، فلما وصل إليهم عثمان حبَسه أقاربه؛ كرامةً له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قُتِل، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفِرَّ أحد، وقيل: بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالمًا، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وأهل مكة؛ على أن يرجع ذلك العام ويعتمرَ في العام المقبل.

والشجرة المذكورة: كانت سَمُرَةً هنالك، ذهبت بعد سنين، فمرَّ عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته، فاختلف الصحابة في موضعها.

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه.

وقيل: من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل؛ لأنه ذمٌّ للصحابة.

وقد ذكرنا ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾(١).

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتح خيبر.

وقيل: فتح مكة.

والأول أشهر؛ أي: جعل الله ذلك ثوابًا لهم على بيعة الرضوان، زيادةً إلى ثواب الآخرة.

وأما المغانم الكثيرة المذكورة أوَّلًا: فهي غنائم خيبر، وهي المعطوفة على الفتح القريب.

---

(١) في أول السورة.

وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله -وهي المذكورة ثانيًا- : فهي كل ما يَغنَمه المسلمون إلى يوم القيامة.

والإشارة بقوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ إلى خيبر.

وقيل: إن المغانم التي وعدهم: مغانم خيبر، والإشارة بـ ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إلى صلح الحديبية.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: كفَّ أهلَ مكة عن قتالكم في الحديبية.

وقيل: كفَّ اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائكم وذرِّيتكم بينما[١] خرجتم إلى الحديبية.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تكون هذه الفِعْلة -وهي كفُّ أيدي الناس عنكم- آيةً للمؤمنين، يستدلُّون بها على النصر.

واللام تتعلَّق بفعل محذوفٍ، تقديره: فعل الله ذلك لتكون آيةً للمؤمنين.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ يعني: فتحَ مكة بعد ذلك[٢].

وقيل: فتحَ بلاد فارس والروم.

وقيل: مغانم هوازن في حنين.

والمعنى: لم تقدروا أنتم عليها، وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم.

وإعراب ﴿أُخْرَىٰ﴾ :

معطوفٌ على ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾.

---

(١) في د: «حين».

(٢) قوله: «بعد ذلك» زيادة من أ، هـ.

أو مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: أعطاكم أخرى.

أو مبتدأ.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: أهل مكة.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: عادتَه.

والإشارة: إلى يوم بدر.

وقيل: الإشارة إلى نَصْرِ الأنبياء قديمًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ روي في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعةٍ من المسلمين فهزموهم وأسرُوا منهم قومًا، وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم.

فكفُّ أيدي الكفار: هو أن هُزِموا وأُسِروا.

وكفُّ أيدي المؤمنين عن الكفار: هو إطلاقهم من الأسر، وسلامتهم من القتل.

وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: من بعد ما أخذتموهم أسارى.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: أهل مكة.

﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني: أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عامَ الحديبية.

﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ الهدْيُ: ما يُهدَى إلى البيت من الأنعام،

وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مئة بَدنةٍ، وقيل: سبعين؛ ليُهْدِيَها.

والمعكوف: المحبوس.

و﴿مَحِلَّهُۥ﴾: موضع نحره؛ يعني: مكة والبيت.

وإعراب ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ عطفٌ على الضمير المفعول في ﴿صَدُّوكُمْ﴾، و﴿مَعْكُوفًا﴾ حالٌ من ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾، ﴿أَن يَبْلُغَ﴾ مفعولٌ بالعَكْفِ.

فالمعنى: صدُّوكم عن المسجد الحرام، وصدُّوا الهدْيَ عن أن يبلغ محِلَّه.

والعكف المذكور يعني به:

منْعَ المشركين للهدي عن بلوغ مكة.

أو حَبْسَ المسلمين للهدي بينما ينظرون في أمرهم.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآيةَ؛ تعليلٌ لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يُخْفون إيمانهم، فلو سلَّط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن الله كفَّهم عنهم؛ رحمةً بالمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوفٌ، تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلَّطناكم عليهم.

﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ في موضع بدل من ﴿رِجَالٌ﴾ و﴿نِسَآءٌ﴾.

أو بدلٌ من الضمير المفعول في ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾.

والوطء هنا: الإهلاك بالسيف وغيره.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أي: تصيبكم من قتلهم مشقَّةٌ وكراهة.

واختُلف هل يعني:

الإثمَ في قتلهم؟

أو الدية؟

أو الكفَّارة؟

أو الملامة؟

أو عيب الكفار لهم؛ بأن يقولوا: قتلوا أهل دينهم؟

أو تألُّمَ نفوسهم من قتل المؤمنين؟، وهذا أظهر؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يُعلَم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية، ولا ملامة، ولا عيب.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: رحمته[1] للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار، بأنْ كفَّ سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم.

أو رحمته لمن يشاء من الكفار؛ بأن يسلموا بعد ذلك.

واللام تتعلَّق بمحذوفٍ يدلُّ عليه سياق الكلام، تقديره: كان كفُّ القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ معنى ﴿تَزَيَّلُوا۟﴾: تميَّزوا عن الكفار،

---

(١) في ج، د: «رحمة».

والضمير للمؤمنين المستُورِين الإيمان؛ أي: لو انفصلوا عن الكفار لعذَّبنا الكفار.

فقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ الثانية، وجواب الأولى محذوفٌ كما ذكرنا.

ويحتمل أن يكون ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب ﴿لَوْلَا﴾[1] الأولى، وكُرِّرت «لو» الثانية تأكيدًا.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ يعني: أَنَفَة الكفر[2]، وهي منعُهم للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعُهم من أن يُكتَب في كتاب الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»، ومنعهم من أن يُكتب «محمد رسول الله»، وقولهم: «لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك[3]، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك».

والعامل في ﴿إِذْ جَعَلَ﴾:

محذوفٌ تقديره: اذكر.

أو قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾.

والسكينة: هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال الجمهور: هي «لا إله إلا الله»، وقد روي

---

(١) في أ، ب، ج، د: «لو».

(٢) في ب، ج: «الكفار».

(٣) في أ، ب، ج: «لتابعناك».

ذلك عن رسول الله ﷺ[1].

وقيل: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

وقيل: «لا إله إلا الله، والله أكبر».

وهذه كلها متقاربة.

وقيل: هي «بسم الله الرحمن الرحيم» التي أبى الكفار أن تُكتب.

﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ أي: كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم.

وقيل: أحقَّ بها من اليهود والنصارى.



(١) أخرجه أحمد (٢١٢٥٤)، والترمذي (٣٢٦٥).

[﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾].

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه، بعضهم محلِّقون وبعضهم مقصِّرون، وروي أنه أتاه ملَكٌ في النوم فقال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآيةَ، فأخبر الناس برؤياه ذلك، وظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صدَّه المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون: أين الرؤيا؟، ووقع في نفوس المسلمين شيءٌ من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ أي: تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل، هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عُمرة القضية، ثم فتَح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه.

و﴿صَدَقَ﴾ في هذا الموضع يتعدَّى إلى مفعولين.

و ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ يتعلَّق:

بـ ﴿صَدَقَ﴾.

أو بـ ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ على أن يكون حالًا منها.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر، وذلك محالٌ على الله؛ اختُلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال:

الأول: أنه استثناءٌ قاله الملَك الذي رآه النبي ﷺ في المنام، فحكَى الله مقالته كما وقعت.

والثاني: أنه تأديبٌ من الله لعباده؛ ليقولوا: «إن شاء الله» في كل أمرٍ مستقبل.

والثالث: أنه استثناءٌ بالنظر إلى كل إنسان على حِدَته؛ لأنه يمكن أن يَتِمَّ له الوعد، أو يموت أو يمرض؛ فلا يتمُّ له.

والرابع: أن الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، لا لدخول المسجد الحرام.

والخامس: أن «إن شاء الله» بمعنى: «إذْ[1] شاء الله».

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحِلاق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلاق أفضل من التقصير، لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله المحلقين» ثلاثًا، ثم قال في المرة الآخرة: «والمقصرين»[2].

---

(١) في أ، ج، د: «إذا» والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١).

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد: ما قدَّره من ظهور الإسلام في تلك المدَّة؛ فإنه لما انعقد الصلح، وارتفعت الحرب رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمس مئة، وقيل: ألف وأربع مئة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قيل: يعني: فتح خيبر.

وقيل: بيعة الرضوان.

وقيل: صلح الحديبية، وهذا هو الأصح؛ لأن عمر قال لرسول الله ﷺ: أوفتحٌ[1] هو يا رسول الله؟ قال: «نعم»[2].

وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ذكر في «براءة»[3].

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهدًا بأن محمدًا رسول الله.

أو شاهدًا بإظهار دينه.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني: جميع أصحابه.

وقيل: من شهد معه الحديبية.

---

(١) في د: «أفتح».
(٢) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥).
(٣) انظر (٢/ ٤٨٩).

وإعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معطوفٌ على ﴿مُّحَمَّدٌ﴾، و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ، و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبرٌ عن الجميع.

وقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ مبتدأ، و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبره، و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبر ﴿مُّحَمَّدٌ﴾، ورجح ابن عطية هذا(١).

والأول عندي أرجح؛ لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية؛ فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصًا بالصحابة دون النبي ﷺ، وما أحقَّ النبيَّ ﷺ بالوصف بذلك؛ لأن الله قال فيه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال له: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] فهذا هو الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين.

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ السيما: العلامة، وفيه ستة أقوال:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

الثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صُفْرة الوجه من السهر والعبادة.

الرابع: حُسْن الوجه؛ لما ورد في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»(٢) وهذا الحديث غير صحيح، بل وقع فيه غلطٌ من

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣)، وقال ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٠٥): «وبلغني عن محمد ابن عبد الله بن نمير أنه ذكر له هذا الحديث عن ثابت [ابن موسى الزاهد] فقال: باطل، شُبِّه على ثابت، وذلك أن شريك كان مزَّاحا، وكان ثابت رجلا صالحا فيشتبه أن يكون =

الراوي، فرفعه إلى النبي ﷺ وهو غير مرويٍّ عنه.

الخامس: أنه الخشوع.

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة، يجعل الله لهم نورًا من أثر السجود كما يجعل غُرَّةً من الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ وصفُ حالهم في الدنيا، فيكون[1] ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ كذلك.

والأول هو الأظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثرٌ ظاهر من كثرة السجود.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: وصفُهم فيها، وتمَّ الكلام هنا، ثم ابتدأ قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾.

وقيل: إن ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ عطفٌ على ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ثم ابتدأ قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ وتقديره: هم كزرعٍ.

والأول أظهر؛ ليكون وصفهم في التوراة بما تقدَّم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك.

وعلى هذا: يكون ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ بمعنى التشبيه والتمثيل.

وعلى القول الآخر: يكون المثَل بمعنى الوصف كـ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.

= ثابت دخل على شريك وكان شريك يقول: الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر عن النبي ﷺ قال: فالتفت فرأى ثابتًا، فقال يمازحه: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلام الذي قال شريك هو من الإسناد الذي قرأه فحمله على ذلك، وإنما ذلك قول شريك والإسناد الذي قرأه متن حديث معروف».

(١) في أ، هـ: «فتكون».

﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للإسلام؛ حيث بدأ ضعيفًا، ثم قَوِيَ وظهر.

وقيل: الزرع مثَلٌ للنبي ﷺ؛ لأنه بُعِث وحده فكان كالزرع حبَّةً واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشَّطءِ، وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، ويقال: بإسكان الطاء، وفتحها دون مد، وفتحها مع المد، وهي لغات.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: قوَّاه، وهو من المؤازرة بمعنى المعاونة.

ويحتمل أن يكون: الفاعل الزرع، والمفعول ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾، أو بالعكس؛ لأن كل واحد منهما يقوِّي الآخر.

وقيل: معناه: ساواه طولًا، فالفاعل على هذا: الشطء.

ووزن ﴿ءَازَرَهُۥ﴾ أفعَله، وقيل: فاعَلَه.

وقرئ بقصر الهمزة على وزن فَعَلَ.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار غليظًا.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ السُّوق: جمع ساق، أي: قام الزرع على سوقه.

وقيل: ﴿ كَزَرْعٍ﴾ يعني: النبي ﷺ، ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بأبي بكر، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بعمر، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعثمان، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعليِّ بن أبي طالب.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليلٌ لما دلَّ عليه المثَل المتقدِّم من قوَّة المسلمين، فهو يتعلَّق بفعلٍ يدل عليه الكلام تقديره: جعَلهم الله كذلك؛ ليغيظ بهم الكفار.

وقيل: يتعلَّق بـ ﴿وَعَدَ﴾، وهو بعيد.

﴿مِنْهُم﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض؛ لأنه وعدٌ عمَّ جميعَهم رضي الله عنه.

* * *

﴿ سورة الحجرات ﴾

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ
عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ
فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ
ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ
وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ
إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا
بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾].

﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تتكلموا بأمرٍ قبل أن يتكلم هو به، ولا تقطعوا في رأيٍ إلَّا بنظره.

والثاني: لا تُقدِّموا الولاةَ بمحضره؛ فإنه يقدِّم من شاء.

والثالث: لا تتقدَّموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب: ﴿لَا تَقَدَّمُوا﴾ بفتح التاء والقاف والدال.

والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراكُ في الرأي، وأن يتكلم كل أحدٍ بما يظهر له، فربما فعَل ذلك قومٌ مع النبي ﷺ، فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد: معناه: لا تَفْتَاتُوا على الله شيئًا حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ.

وإنما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ﴾؛ لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحي الله(١).

﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدَّبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب؛ كرامةً له وتعظيمًا.

وسببها: أن بعض جفاة الأعراب(٢) كانوا يرفعون أصواتهم.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ مفعول من أجله، تقديره: مخافةَ أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته، أو جَهرتم له بالقول ﷺ.

فالمفعول من أجله يتعلَّق بالفعلين معًا من طريق المعنى.

وأما من طريق الإعراب:

فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ﴾.

وعند الكوفيين بالأول وهو ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾.

---

(١) في ج: «بوحيٍ من الله».

(٢) في ب، هـ: «العرب».

وهذا الإحباط؛ لأن قلةَ الأدب معه ﷺ والتقصيرَ في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن؛ لعظيم ما وقع فيه من ذلك.

وقيل: إن الآية خطابٌ للمنافقين، وهذا ضعيف؛ لقوله في أولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق؛ فإنه يفعله جُرْأةً وهو يقصده.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: «والله يا رسول الله لا كلمتك إلَّا سرًّا[1]»، وكان عمر يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي ﷺ.

ولفظها مع ذلك على عمومه.

ومعنى ﴿ٱمْتَحَنَ﴾: اختبر، فوجدها كما يجب، مثل ما يُختبر الذهب بالنار، فيوجدُ طيِّبًا.

وقيل: معناه: درَّبها للتقوى؛ حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلُّف.

وقيل: معناه: أخلصها اللهُ للتقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾: جمع حُجْرة، وهي قطعةٌ من الأرض يُحْجَر حولها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة.

ونزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ودنَوْا من حجرات أزواج النبي ﷺ، فوقفوا خارجها ونادَوْا: «يا محمد!

(١) في ج، د: «إسرارًا».

اخرج إلينا، يا محمد! اخرج إلينا»، فكان في فعْلِهم ذلك جفاءٌ وبداوة وقلة توقير، فتربَّص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم -وهو الأقرع بن حابس-: يا محمد إنَّ مدحي زَيْنٌ وذمِّي شَيْنٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك!، ذلك الله تعالى»[1].

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيهم قليلٌ ممن يعقل، ونفى العقل عن أكثرهم، لا عن جميعهم.

والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضعَ[2] النفي.

والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يعني: خيرًا في الثواب، وفي انبساط نفس النبي ﷺ لهم، وقضائه لحوائجِهم.

وإنكارُ فِعْلهم فيه تأديبٌ لهم، وتعليمٌ لغيرهم.

﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها: أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق؛ ليأخذ زكَواتهم[3]، فروي أنه كان معاديًا لهم، فأراد إذايتهم، فرجع من بعض طريقه وكذَب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد منعوني الصَّدقة وطردوني وارتدوا، فغضب رسول الله ﷺ وهمَّ بغزوهم،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٢٠٣)، والترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٦٧).

(٢) في ب، هـ: «موقع».

(٣) في أ، د، هـ: «زكاتهم».

ونظر في ذلك، فوَرَدَ وفْدُهم منكرين لذلك.

وروي أن الوليد بن عقبة لما قَرُبَ منهم خرجوا إليه مُتَلقِّين له، فرآهم على بعدٍ ففزع منهم وظنَّ بهم الشر، وانصرف فقال ما قال.

وروي أنه بلغه أنهم قالوا: لا نعطيه صدقةً ولا نطيعه، فانصرف وقال ما قال.

فالفاسق المشار إليه في الآية: هو الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفُسَّاق، حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم؟[1].

ثم هي باقيةٌ فيمن اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر.

وقرئ:

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ من التبيين.

و﴿تَثَبَّتُواْ﴾ بالثاء من التثبُّت[2]، ويقوي هذه القراءة: أنها لما نزلت روي أن رسول الله ﷺ قال: «التثبُّت[3] من الله، والعجلة من الشيطان»[4].

واستدلَّ بهذه الآية القائلون بقَبول خبر الواحد؛ لأن دليلَ الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبولٌ.

قال المنذر البَلُّوطي: وهذه الآية تردُّ على من قال: إن المسلمين كلهم

---

(١) في أ، هـ زيادة: «إن شئتم».

(٢) في أ، ب، هـ: «التثبيت».

(٣) في ب، هـ: «التثبيت».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٥٢) ولفظه: «التبيُّن من الله..»، وعليه؛ فليس في هذه الرواية دلالةٌ على تقوية هذه القراءة، بل فيها دلالة على تقوية القراءة الأولى.

عدول؛ لأن الله أمر بالتبين[(١)] قبل القَبول، فالمجهول الحالِ يُخشَى أن يكون فاسقًا.

﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافةَ أن تصيبوا قومًا بجهالة.

والإشارة إلى قتال بني المصطلق؛ لمَّا ذَكر عنهم الوليد ما ذَكر.

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: لشَقِيتم، والعنت: المشقة.

وإنما قال: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ ولم يقل: «لو أطاعكم»؛ للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته ﷺ لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعَهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خيرٌ وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناسَ في رأيهم[(٢)] لهلَكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ الآيةَ.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ اختُلف في سبب نزولها:

فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزِّبين منهم لعبد الله ابن أبيّ بن سلول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متوجهٌ إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه، فقال عبد الله بن أبيٍّ للنبي ﷺ: لقد آذاني نتَنُ حمارِك، فردَّ عليه عبد الله بن رواحة وتلاحى الناس حتى وقع بين الطائفتين ضربٌ

(١) في ب، ج، د: «بالتبيين».

(٢) في أ، هـ: «آرائهم».

بالجريد، ويروى: بالحديد.

وقيل: سببها أن فرقتين من الأنصار وقع بينهما قتال، فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جُهْدٍ.

ثم حُكْمها باقٍ إلى آخر الدهر.

وإنما قال: ﴿ٱقۡتَتَلُواْ﴾ ولم يقل: «اقتتلا»؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس، فهي في المعنى جمعٌ.

﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبين أنها باغية.

فأما الفتن التي تقع بين المسلمين؛ فاختَلف العلماء فيها على قولين:

أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيءٍ منها ولا القتال، وهذا مذهب سعد بن أبي وقاص، وأبي ذر، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وحجتهم: قول رسول الله ﷺ: «**قتال المسلم كفر**»[(١)]، وأَمْرُه ﷺ بكسر السيوف في الفتن.

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجبٌ؛ لِتَكُفَّ الطائفة الباغية، وهذا مذهب علي، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء.

وحجتهم: هذه الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، مسلم (٦٤).

فإذا فرَّعنا على القول الأول: فإن دخَل داخلٌ على مَن اعتزل الفريقين منزلَه، يريد نفسه أو ماله فعليه دفْعُه عن نفسه وإن أدَّى ذلك إلى قتله؛ لقوله ﷺ: «مَن قُتِل دون نفسه وماله فهو شهيد»(١).

وإذا فرَّعنا على القول الثاني: فاختُلف مع من يكون النهوض في الفتن؟

فقيل: مع السَّواد الأعظم.

وقيل: مع العلماء.

وقيل: مع مَن يَرى أن الحقَّ معه.

وحكم القتال في الفتن: أن لا يُجهَز على جريح، ولا يُطلَب هارب، ولا يُقتلَ أسيرٌ، ولا يُقسَم فيءٌ.

﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ أي: ترجعَ إلى الحق.

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية؛ لأن أقلَّ مَن يقع بينهم البغي اثنان.

وقيل: أراد بالأخوين: الأوس والخزرج.

وقرئ ﴿بين إِخْوَتِكُمْ﴾ بالتاء على الجمع، وقرئ ﴿بين إِخْوَانِكُمْ﴾ بالنون على الجمع أيضًا.



(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، مسلم (١٤١).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ۝١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾].

﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ نهيٌ عن السُّخرية، وهي الاستهزاء بالناس.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: لعلَّ المسخورَ منه خيرٌ من الساخر عند الله، وهذا تعليلٌ للنهي.

﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلَّا على الذُّكران عطَف النساء عليهم.

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا يطعنْ بعضكم على بعض.

واللمز: العيب، سواءٌ كان بقولٍ أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهَمْز في سورة «الهمزة».

و﴿أَنفُسَكُمۡ﴾ هنا بمنزلة قوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١][(١)].

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ أي: لا يدعُ أحدٌ[(٢)] أحدًا بلقَبٍ، والتنابز بالألقاب: التداعي بها.

---

(١) انظر (٣/٣١٨).

(٢) في د: «أحدكم».

وقد أجاز المحدِّثون أن يقال: الأعمش والأعرج ونحوه، إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ يريد بـ ﴿ٱلِٱسْمُ﴾: أن يُسمَّى الإنسانُ فاسقًا بعد أن سُمِّي مؤمنًا، وفي ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباحُ الجمع بين الفسوق وبين الإيمان، فمعنى ذلك: أن مَن فعل شيئًا من هذه الأشياء التي نُهِي عنها فهو فاسقٌ وإن كان مؤمنًا.

والآخر: بئس ما يقوله الرجل للآخر: «يا فاسق» بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود: «يا يهودي».

الثالث: أن يَجعل مَن فَسَقَ غيرَ مؤمن، وهذا على مذهب المعتزلة[1].

﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يعني: ظن السوء بالمسلمين، وأما ظنُّ الخير فهو حسَنٌ.

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل: معنى الإثم هنا: الكذب لقوله ﷺ: «الظن

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «الثالث: أن يُجعَل من فسق غيرَ مؤمن» إلخ، أقول: الفرق بين الوجه الثاني والثالث أن المراد بالوجه الثاني أن المراد: من أطلق على أخيه (فاسق) على وجه السب مغايظةً له لخصومة بينهما، فأما الثالث فمعناه الحكم على المسلم العاصي بأنه فاسق وليس بمؤمن، فيخرجه عن الإيمان، ويجعله في منزلة بين الإيمان والكفر، وهذا كما قال المؤلف على مذهب المعتزلة؛ فإنهم يجعلون مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن، ولا هو كافر، فخالفوا أهل السنة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة معه أصل الإيمان؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان، وخالفوا الخوارج الذين يقولون: مرتكب الكبيرة كافر، ثم يتفق الخوارج والمعتزلة على حكمه في الآخرة، وهو الخلود في النار.

أكذب الحديث»[1]؛ لأنه قد لا يكون مطابقًا للأمر.

وقيل: إنما يكون إثمًا إذا تكلَّم به، وأما إذا لم يتكلَّم به فهو في فُسحةٍ؛ لأنه لا يَقدِر على دفع الخواطر.

واستدلَّ بعضهم بهذه الآية على صحة سدِّ الذرائع في الشرع؛ لأنه أمَر باجتناب كثيرٍ من الظن، وأخبر أن بعضه إثمٌ؛ فأمر باجتناب أكثرَ من الإثم؛ احترازًا من الوقوع في البعض الذي هو إثم.

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبَّآت الناس.

وقرأ الحسن: ﴿تَحَسَّسُواْ﴾ بالحاء.

والتجسُّس بالجيم: في الشر، وبالحاء: في الخير.

وقيل: التجسُّس: ما كان مِن وراءَ وراءَ، والتحسُّس -بالحاء-: الدخول والاستعلام.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ المعنى: لا يذكرْ أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه.

والغِيبة: هي ما يَكره الإنسان ذكْرَه من خَلْقه أو خُلُقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره»، قيل: يا رسول الله وإن كان حقًّا؟ قال: «إذا قلت باطلًا فذلك البهتان».

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، مسلم (٢٥٦٣).

وقد رُخِّص في الغيبة في مواضع؛ منها: في التجريح في الشهادة، والرواية، والنصيحة في النكاح وشبهه، وفي التحذير من أهل الضلال.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبَّه اللهُ تعالى الغيبةَ بأكْل لحم ابن آدم ميتًا، والعرب تشبِّه الغيبةَ بأكل اللحم، ثم زاد في تقبيحه أن جعَله ميتًا؛ لأن الجيفة مستقذرةٌ.

ويجوز أن يكون ﴿مَيْتًا﴾ حالًا: من الأخِ، أو من لحمِه.

وقيل: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ إخبارٌ عن حالهم بعد التَّقرير، كأنه لما قررهم: «هل يحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا؟» أجابوا فقالوا: «لا نحبُّ ذلك»، فقال لهم: «فكرهتموه»، وبَعْدَ هذا محذوفٌ تقديره: «فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تُشبِهه»، وحُذِف هذا؛ لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يُعطَف قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، قاله أبو علي الفارسي.

وقال الرُّماني: كراهةُ هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحقُّ أن يجاب؛ لأنه بصيرٌ عالم، والطبع أعمى جاهل.

وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة:

منها: الاستفهام الذي معناه التقرير.

ومنها: جَعْلُ ما هو في الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة.

ومنها: إسناد الفعل إلى ﴿أَحَدُكُمْ﴾، والإشعار بأن أحدًا من الأحَدِينَ لا يحب ذلك.

ومنها: أنْ لم يَقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتًا.

ومنها: أنْ لم يَقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخًا[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الذكر والأنثى هنا: آدم وزوجُه[٢].

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس، كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى[٣].

والأول أظهر وأصلح؛ لقوله ﷺ: «الناس من آدم، وآدم من التراب»[٤].

ومقصود الآية: التسويةُ بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبيَّن الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسَب والنسب؛ إنما هو بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: **«من أحبَّ أن يكون أكرم الناس فليتَّقِ الله»**[٥].

وروي أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمَر بني بياضة أن يزوِّجوا أبا هند امرأةً منهم، فقالوا: كيف نزوِّج نساءنا لموالينا؟

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ الشعوب: جمع شَعبٍ - بفتح الشين -، وهو أعظم من القبيلة، وتحته القبيلة، ثم البطن، ثم الفَخْذ، ثم الفَصِيلة، وهم القرابة الأَدْنَوْن.

---

(١) الكشاف (١٤/ ٥٠٢).

(٢) في د زيادة: «حواء».

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٢٣).

(٤) أخرجه أحمد (٨٧٣٥)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٢٧٠).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٠).

فمُضَر وربيعة وأمثالهما: شعوبٌ، وقريش قبيلةٌ، وبنو عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخْذ - ويقال بإسكان الخاء؛ فرقًا بينه وبين الجارحة -، وبنو عبد المطلب فصيلة.

وقيل: الشعوب: في العجم، والقبائل: في العرب، والأسباط: في بني إسرائيل.

ومعنى ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: ليعرف بعضكم بعضًا.

[﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾].

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة، وهي قبيلة كانت تجاور المدينةَ، أظهروا الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرَضَ الدنيا، فأكْذبهم الله في قولهم: «آمنا»، وصدَّقهم لو قالوا: «أسلمنا».

وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد للنطق[١] بالشهادتين والعملِ بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقين، وقد يكون الإسلامُ أعمَّ من الإيمان فيدخل الإيمان فيه، حسَبما ورد في مواضع أخر.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ﴾ معنى ﴿لَا يَلِتْكُم﴾: لا يَنقُصكم شيئًا من أجور أعمالكم.

وفيه لغتان:

يقال: لات، وعليه قراءة نافع: ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ بغير همز.

(١) في ب: «إلى النطق».

ويقال: ألت، وعليه قراءة من قرأ: ﴿لا يَأْلِتْكُم﴾ بهمزة قبل اللام.

فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا؛ ولا تُقبَل الأعمالُ[1] إلَّا من مؤمن؟

فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال، فالمعنى: إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم، وعملتم أعمالًا صالحة فإن الله لا يَنقصكم منها شيئًا.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي: لم يشكُّوا في إيمانهم، وفي ذلك تعريضٌ بالأعراب المذكورين؛ لأنهم في شكٍّ، وكذلك قوله في هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ تعريضٌ أيضًا بالأعراب؛ إذ كذَبوا في قولهم: آمنَّا.

وإنما عطف ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ بـ «ثمَّ»؛ إشعارًا بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة.

﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ يريد: جهاد الكفار؛ لأنه دليلٌ على صحة الإيمان.

ويَبعد أن يريد: جهاد النفس والشيطان؛ لقوله: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ نزلت في بني أسد أيضًا؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربْك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: هداكم للإيمان على زعمكم، ولذلك قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

---

(١) في د: «ولا يَقبل الأعمالَ».

و﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ يَحتمل أن يكون:

بمعنى: يُنعِم عليكم.

أو بمعنى: يَذكر إنعامه، وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾.

* * *

﴿ سورة ق ﴾

[﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ
عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا
كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ
١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾].

تكلَّمنا على حروف الهجاء في «البقرة»(١).

ويختصُّ ﴿قٓۚ﴾:

بأنه قيل فيه: إنه من اسم الله: القاهر، أو القادر.

وقيل: هو اسمٌ للقرآن(٢).

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) في أ، هـ: «للقرآن».

وقيل: هو اسم الجبل[1] الذي يحيط بالدنيا.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ من المجد، وهو الشَّرف والكرَم.

وجواب هذا القسم محذوفٌ، تقديره: ما ردُّوا أمرك بحجة وما كذَّبوك ببرهان وشبه ذلك، وعن هذا المحذوفِ وقَع الإضرابُ بـ «بل».

وقيل: الجواب: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾.

وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾.

وهذه الأقوال ضعيفة متكلَّفة.

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير في ﴿عَجِبُوٓا۟﴾ لكفار قريش، والمنذر: هو محمد ﷺ.

وقيل: الضمير لجميع الناس، واختاره ابن عطية، قال: ولذلك قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2] أي: الكافرون من الناس.

والصحيح: أنه لقريش، وقوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد ذمِّهم بالكفر، كما تقول: «جاءني فلان، فقال الفاجر كذا» إذا قصدتَ ذمه.

---

(١) في د: «للجبل».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٢) ولم أقف من كلامه على ما يدل على أنه اختاره وارتضاه، وإنما حكاه عن جمهور المتأولين.

وقوله: ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾:

إن كان الضمير لقريش: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: من قبيلتهم، يعرفون صِدْقَه وأمانته وحسَبه فيهم.

وإن كان الضمير لجميع الناس: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: إنسان مثلهم.

وتعجُّبهم[1] يَحتمل[2] أن يكون:

مِن أن يبعث الله بشرًا.

أو من الأمر الذي يتضمَّنه الإنذار، وهو الحشر، ويؤيد هذا ما يأتي بعدُ.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في ﴿إِذَا﴾: محذوفٌ، تقديره: أنُبعَثُ إذا متنا؟.

﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ الرجعُ مصدرُ: رَجَعتُه، والمراد به: البعث بعد الموت، ومعنى ﴿بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع عندهم.

وقيل: الرجع: الجواب، أي: جوابهم هذا بعيدٌ عن الحق، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالى.

وأما على الأول: فهو حكايةُ كلام الكفار، وهو أظهر.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا ردٌّ على الكفار في إنكارهم للبعث.

ومعناه: قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم؛ فلا يصعب

---

(١) في أ: «وتعجيبهم».

(٢) في د: «وتعجبهم تحيُّرهم، فيحتمل..».

علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض، إلَّا عُجْبَ الذَّنَب، منه خُلِق وفيه[١] يُرَكَّب»[٢].

وقيل: المعنى: قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم.

والأول قول ابن عباس والجمهور، وهو أظهر.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، ومعنى ﴿حَفِيظٌ﴾: جامعٌ لا يَشِذُّ عنه شيء.

وقيل: معناه: محفوظ من التبديل والتغيير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أَتبع به الإضرابَ الأول؛ للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجُّبهم[٣]، وهو التَّكذيب بالحق الذي هو النبوة، وما تضمَّنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك.

وقال ابن عطية: هذا الإضراب عن كلام محذوفٍ تقديره: «ما أجادوا النظرَ»، أو نحو ذلك[٤].

﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مضطرب؛ لأنهم تارةً يقولون: ساحر، وتارة شاعر، وغير ذلك من أقوالهم[٥].

وقيل: معناه: منكر.

---

(١) في د: «ومنه» وهو موافقة لرواية البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) في أ: «تعجيبهم».

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٣٣).

(٥) في د زيادة: «الفاسدة».

وقيل: ملتبِس.

وقيل: مختلِط.

﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ يعني: بالنجوم.

﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: من شِقَاقٍ، وذلك دليلٌ على إتقان الصَّنعة.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني: الجبالَ.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من كل نوع جميل.

﴿مَآءً مُّبَـٰرَكًا﴾ يعني: المطرَ كلَّه.

وقيل: إنما الماء المبارك مطرٌ[١] مخصوص يُنزله الله كلَّ سنة، وليس كلُّ المطر[٢] يتصف بالبركة، وهذا ضعيف.

﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد.

﴿بَاسِقَـٰتٍ﴾ أي: طويلاتٍ.

﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطَّلع: أول ما يظهر من التمر، وهو أبيضُ منَضَّدٌ كحبِّ الرُّمان، فما دام ملتصقًا بعضُه ببعض فهو نضيد، فإذا تفرَّق فليس بنضيد.

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ تمثيلٌ لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض

﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ قومٌ كانت لهم بئر عظيمة، وهي الرَّسُّ، بُعِث إليهم نبيٌّ

---

(١) في د: «ماء».

(٢) في ب، ج، د: «مطر».

فجعلوه في الرس وردَموا عليه، فأهلكهم الله.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ يعني: قوم شعيب، وقد ذُكِر(١).

﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ﴾ ذكر في «الدخان»(٢).

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: حلَّ بهم الهلاك.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ يقال: عَيِيَ بالأمرِ: إذا لم يعرف عمَله.

والخلق الأول: خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة.

وقيل: يعني: خلْقَ آدم.

وقيل: خلْقَ السموات والأرض.

والأول أظهر.

ومقصود الآية: الاستدلال بالخِلْقة الأولى على البعث، والهمزة للإنكار.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ أي: هم في شكٍّ من البعث، وإنما نكَّر الخلق الجديد؛ لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطَبين، وعرَّف الخلقَ الأول؛ لأنه معروف معهود.

* * *

(١) انظر (٢/ ٧٢٦) (٣/٣٧٨).

(٢) انظر صفحة ٩٦.

[﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ
يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ
﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ
غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ
ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ
وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعني: جنس الإنسان(١)، ومعنى ﴿تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ تحدِّثه به نفسُه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء.

وقيل: يعني: آدم، ووسوسته: عند أكله من الشجرة.

والأول أظهر وأشهر.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ هو عِرْقٌ كبير في العُنُق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثَلٌ في فَرْطِ القُرْب، والمراد به: قربُ علم الله واطِّلاعُه على عبده.

وإضافة الحبل إلى الوريد:

كقولك: «مسجد الجامع».

---

(١) في ب، ج، د: «الناس».

أو يراد بالحبل: العاتق[١].

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني: الملَكين الحافِظَين الكاتِبَينِ للأعمال.

والتلقي: هو تلقِّي الكلام بحفظه وكتابته.

والعامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾.

وقيل: مضمرٌ تقديره: اذكر. واختاره ابن عطية[٢].

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد.

وقيل: مُقَاعِد، بمعنى مُجَالس، وردَّه ابن عطية: بأن المُقَاعد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئات الإنسان[٣].

إنما أفرده وهما اثنان؛ لأن التقدير: «عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيد من المتلقِّين»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه.

وقال الفراء: لفظ «قعيد» يدلُّ على الاثنين والجماعة[٤]؛ فلا يُحتاج إلى حذف.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ العتيد: الحاضر، وفي الحديث أن

---

(١) عبارة الكشاف (١٤/ ٥٣٦): «أن يُراد: حبلُ العاتق، فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق؛ لاجتماعهما في عضوٍ واحد»، فلعلَّ الأقرب في عبارة ابن جزيٍّ أن تكون: «أو يراد بالوريد العاتق»، فيكون الحبل الذي هو الوريد مضافًا إلى العاتق؛ أي: حبل العاتق، فلا يكون الشيء مضافًا إلى نفسه.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩-٤٠).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٧).

رسول الله ﷺ قال: «إن مقعد الملكين على الثنيتين[١]، قلمهما اللسان، ومدادهما الريق»[٢].

وعموم الآية يقتضي: أن الملكين يكتبان جميع كلام العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتب الملكان جميع الكلام فيُثبتُ الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك.

وقال عكرمة: إنما تُكتب[٣] الحسنات والسيئات لا غيرُ.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بلقاء الله، أو فراق الدنيا.

وفي مصحف عبد الله ابن مسعود: «وجاءت سكرة الحق بالموت»، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق.

وإنما قال: ﴿وَجَآءَتْ﴾ بالماضي؛ لتحقُّق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال.

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفِرُّ وتَهرب، والخطاب للإنسان.

﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ السائق: ملَكٌ يسوقه.

وأما الشهيد:

فقيل: ملك آخر يشهد عليه، وهو الأظهر.

وقيل: صحائف الأعمال.

---

(١) في د: «الشفتين»، والمثبت موافق لما في الرواية عند الثعلبي.

(٢) أخرج الثعلبي بإسناده في تفسيره الكشف والبيان (٩/ ٩٩).

(٣) في ب، ج: «تكتب».

وقيل: جوارح الإنسان.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطابٌ للإنسان الذي يقتضيه قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، يريد: أنه كان غافلًا عما لقِي في الآخرة.

وقيل: هو خطابٌ لمحمد ﷺ؛ أي: كنتَ في غفلة من هذا القَصص؛ وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروجٌ عن سياق الكلام.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ يريد بكَشْفِ الغطاء: معاينةَ أمور الآخرة.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: يُبصِر ما لم يكن يبصره قبلُ، قال رسول الله ﷺ: «الناس نيامٌ؛ فإذا ماتوا انتبهوا»(١).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ القرين هنا: الشيطان الذي كان يُغويه.

وقيل: الملَك الذي يسوقه.

وقيل: الملَك الذي يتولَّى عذابه في جهنم.

والأول أرجح؛ لأنه هو القرين المذكور بعدُ، ولقوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

ومعنى قوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾، أي: هذا الإنسان حاضرٌ لديَّ، أَعْتَدتُه ويسَّرتُه(٢) لجهنم.

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٩٩٣): «لم أجده مرفوعًا، يعزى إلى علي ابن أبي طالب»، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٦٩١): «هو من قول علي ابن أبي طالب».

(٢) في ب: «واحتضرته».

وكذلك المعنى إن قلنا: إن القرين هو الملك السائق.

وإن قلنا: إنه أحد الزبانية: فمعناه: هذا العذاب لديَّ حاضرٌ.

ويَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَالَدَىَّ﴾: موصوفةً أو موصولة.

[أ-] فإن كانت موصوفة: ف ﴿عَتِيدٌ﴾ صفة لها.

[ب-] وإن كانت موصولة: ف ﴿عَتِيدٌ﴾:

بدلٌ منها.

أو خبرٌ بعد خبر.

أو خبرُ مبتدإ محذوف.

و﴿مَا﴾ هي خبر المبتدإ[1] على هذه الوجوه.

ويَحتمل أن يكون ﴿عَتِيدٌ﴾ الخبر، وتكون ﴿مَا﴾:

بدلًا من ﴿هَٰذَا﴾.

أو منصوبة بفعل مضمر.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطابٌ للملكين السائقِ والشهيد.

وقيل: إنه خطابٌ لواحد:

على أن يكون بالنون المؤكَّدة الخفيفة، ثم أُبدل منها ألف.

أو على أن يكون معناه: «ألقِ ألقِ» فثنَّى مبالغةً وتأكيدًا.

---

(١) وهو ﴿هَٰذَا﴾ من قوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾.

أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم: «خليليَّ»، و«صاحبيَّ».

وهذا كله تكلُّفٌ بعيد.

ومما يدلُّ على أن الخطاب لاثنين قوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قيل: مناع للزكاة[1] المفروضة.

والصحيح: العموم.

﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٌّ في الدين؛ فهو من الرَّيب بمعنى الشك.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ يحتمل:

أن يكون مبتدأ، وخبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، وأدخل فيه الفاء؛ لتضمُّن معنى الشرط.

أو يكون بدلًا أو صفةً، ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكرارًا؛ للتوكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ القرين هنا: شيطانه الذي وُكِّل به في الدنيا بلا خلاف.

ومعنى ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: ما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى باختياره.

وإنما حذف الواو هنا؛ لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قبلَ هذا؛ فإنه عطفٌ.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين.

---

(١) في أ، هـ: «قيل: معناه الزكاة».

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي: قد حكمتُ بتعذيب الكفار؛ فلا تبديل لذلك.

وقيل: معناه: لا يَكذِب أحدٌ لديَّ؛ لعلمي بجميع الأمور، فالإشارة على هذا: إلى قول القرين: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾.

* * *

[﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ
﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾
ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا
قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ
ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا
ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن
يَخَافُ وَعِيدِ﴾].

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الفعل مسندٌ إلى جهنم.

وقيل: إلى خزنتها من الملائكة.

والأول أظهر.

واختُلف هل تتكلم جهنم حقيقةً، أو مجازًا بلسان الحال؟

والأظهر: أنه حقيقة، وذلك على الله يسير.

ومعنى قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ.

وقيل: معناه: لا مزيد؛ أي: ليس عندي موضعٌ للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت.

والأول أظهر وأرجح؛ لما ورد في الحديث: «**لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمَه**»[١]، وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه.

والمزيد يحتمل أن يكون: مصدرًا كالمحِيض، أو اسمَ مفعول.

فإن كان مصدرًا: فوزنه مَفْعِل.

وإن كان اسم مفعول: فوزنه مَفْعُول.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِّبت، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، فهو مِن: آب يؤوب: إذا رجع.

وقيل: هو المسبِّح لله؛ من قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبا: ١٠].

﴿حَفِيظٍ﴾ أي: حافظ لأوامر الله فيفعلها، ولنواهيه فيتركها.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال.

و﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدلٌ، أو مبتدأ.

فإن قيل: كيف قرَن بالخشية الاسمَ الدالَّ على الرحمة؟

فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) الكشاف (١٤/ ٥٥٢).

ويَحتمل أن يكون الجواب عن ذلك: أن الرحمن قد صار يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة، كقولنا: الله.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: يعني: النظرَ إلى وجه الله، كقوله: ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقيل: يعني: ما لم يخطر على قلوبهم، كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(١).

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير في ﴿هُمْ﴾ للقرون المتقدِّمة، وفي ﴿مِنْهُمْ﴾ لكفار قريش.

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: طافوا فيها.

وأصله: دخولها من أنقابها، أو من التَّنقيب عن الأمر؛ بمعنى البحثِ عنه.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: قالوا: هل من مهرب عن الله؟، أو عن العذاب؟.

﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب واعٍ يعقل ويفهم.

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع وهو حاضرُ القلب.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ اللُّغوب: الإعياء والتعب.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار قريش وغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد: التسبيح باللسان، أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري الوجهين[١].

وقال ابن عطية: معناه: صلِّ بإجماعٍ من المتأوّلين[٢].

وهي على هذا إشارةٌ إلى الصلوات الخمس ف ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: الصبح، ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: العصر والظهر، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء.

وقيل: هي[٣] النوافل.

﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب ﵄: يعني: الركعتين بعد المغرب.

وقال ابن عباس: هي النوافل بعد الفرائض.

وقيل: الوتر.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ معناه: انتظر، فهو عامل في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ على أنه مفعول به صريح.

وقيل: المعنى: استمع لما نقصُّ عليك من أهوال القيامة، فعلى هذا: لا يكون عاملًا في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ ويوقف على ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾.

والأول أظهر.

---

(١) الكشاف (١٤/ ٥٥٩).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٧).

(٣) في ب، ج: «يعني».

﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ المنادي هنا: هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور، قيل[١]: إنما وصفه بالقرب؛ لأنه يسمعه جميعُ الخلق.

وقيل: المكان: صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب: لقربها من مكة.

وقيل: لقربها من السماء؛ لأنها أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا، وهذا ضعيف.

﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ يعني: خروجَ الناس من القبور.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ العامل في هذا الظرفِ: معنى قوله: ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾. أو هو بدلٌ مما قبله.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: بقهّار تقهرهم على الإيمان، فهو كقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢].

وقيل: إنه إخبارٌ بأنه ﷺ رؤوف بهم، غيرُ جبَّار عليهم، وهذا أظهر.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ [فاطر: ١٨]؛ لأنه لا ينفع التذكيرُ إلَّا فيمن[٢] يخاف.

* * *

---

(١) في أ، ب: «وقيل».

(٢) في د: «من».

﴿ سورة الذاريات ﴾

[﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨)
يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ
الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا
قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ
(١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا
تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾].

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١)﴾ هي[1] الريحُ تَذْرُو[2] التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

وانتصب ﴿ذَرْوًا﴾ على المصدرية.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢)﴾ هي السحاب تحمل المطر.

والوِقر: الحِمل، وهو مفعول به.

---

(١) في ب، ج: «يعني».

(٢) في أ، هـ: «تذرُ».

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ هي السفن تجري في البحر.

وإعراب ﴿يُسْرًا﴾: صفةٌ لمصدر محذوف، ومعناه: بسهولة.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ هي الملائكة تقسِّم أمرَ الملكوت، من الأرزاق والآجال وغير ذلك.

و﴿أَمْرًا﴾ مفعول به.

وقيل: إن ﴿الْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾: السفن.

وقيل: جميع الحيوان الحامل.

وقيل: إن ﴿الْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾: السحاب.

وقيل: الجواري من الكواكب.

والأول أشهر، وهو قول علي بن أبي طالب.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ هذا جواب القسم.

ويحتمل ﴿تُوعَدُونَ﴾ أن يكون: من الوعد أو من الوعيد.

والأظهر: أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ الدين هنا: الجزاء.

وقيل: الحساب.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾ أي: ذات الطرائق، مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبَّت عليه الرياح[1]، وكذلك حُبُك الزرع، وهي الطرائق التي فيه.

---

(١) في ب، د: «الريح».

وقيل: الحبك: النجوم.

وقيل: زينة السماء.

وقيل: حسن خِلْقتها.

وواحد الحُبُك: حِبَاكٌ أو حَبِيكة.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ يحتمل:

أن يكون خطابًا لجميع الناس؛ لأنهم اختلفوا، فمنهم مؤمن ومنهم كافر.

ويحتمل أن يكون خطابًا للكفار خاصة؛ لأنهم اختلفوا فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: شاعر.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ معنى ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصرَف.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يَحتمل أربعةَ أوجه:

أحدها: أن يكون للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام.

والمعنى: يصرف عن الإيمان به من صرف، أي: من سبَق في علم الله أنه مصروف.

والثاني: أن يكون الضمير لـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾، أو للدين المذكور.

والمعنى: يصرف عن الإيمان به مَن صرف.

الثالث: أن يكون الضمير للقول المختلِف.

والمعنى: يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضَى الله بسعادته.

وهذا القول حسَنٌ، إلَّا أن عُرْف الاستعمال في «أُفِك يُؤفَك» إنما هو في الصَّرْف من خير إلى شر، وهذا من شرٍّ إلى خير.

الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف، وتكون «عن» سببية.

والمعنى: يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ دعاءٌ عليهم، كقولهم: قاتلكَ الله.

وقيل: إن ﴿قُتِلَ﴾ بمعنى: لُعِن.

قال ابن عطية: واللفظة لا تقتضي ذلك[1].

وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى: لُعِن وقَبُحَ[2].

و﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: الكذَّابون، وأصل الخَرْص: التخمين والقول بالظن.

والإشارة: إلى الكفار.

وقيل: إلى الكهان.

والأول أظهر.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ الغمرة: ما يغطِّي عقلَ الإنسان، وأصله: غَمرة الماء، والمراد به هنا: الجهالة والغفلة عن النظر.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾ أي: يقولون: «متى يوم الدين؟» على وجه الاستبعاد والاستخفاف.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٥).

(٢) الكشاف (١٥/ ١٢).

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ هذا جوابٌ عن سؤالهم.

ومعنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يُحْرَقون ويُعذَّبون، ومنه قيل للحَرَّة: «فَتِينٌ»؛ كأن الشمس أحرقت حجارتها.

ويحتمل أن يكون ﴿يَوْمَ هُمْ﴾:

[أ-] معربًا، والعامل فيه مضمر تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون.

[ب-] وأن يكون مبنيًا؛ لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون:

في موضع نصْبٍ بالفعل المضمر حسَبما ذكرنا.

أو في موضع رفع، والتقدير: هو يوم هم على النار يفتنون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا حَرْقكم.

﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني: يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعم[1].

وقيل: المعنى: آخذين في الدنيا ما آتاهم[2] ربهم من شرعه.

والأول أظهر وأرجح؛ لدلالة الكلام عليه.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ الهجوع: النوم.

وفي معنى الآية قولان:

---

(١) في د: «والنعيم».

(٢) في أ، هـ: «أعطاهم».

أحدهما - وهو الصحيح -: أنهم كانوا ينامون قليلًا من الليل، ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرُّع والدعاء.

والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلًا ولا كثيرًا.

ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين:

فأما على القول الأول: ففي الإعراب أربعة أوجه:

الأول: أن يكون ﴿قَلِيلًا﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾ و﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ فاعل بـ ﴿قَلِيلًا﴾؛ لأن قليلًا صفة مشبَّهةٌ باسم الفاعل، وتكون ﴿مَا﴾ مصدرية، والتقدير: كانوا قليلًا هجوعُهم من الليل.

والثاني: مثل هذا، إلَّا أنَّ ﴿مَا﴾ موصولة، والتقدير: كانوا قليلًا الذين يهجعون فيه من الليل.

والثالث: أن تكون ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿يَهْجَعُونَ﴾، والتقدير: كانوا يهجعون وقتًا قليلًا من الليل.

والرابع: مثل هذا، إلا أن قليلًا صفة لمصدر محذوف، والتقدير: كانوا يهجعون هجوعًا قليلًا.

وأما على القول الثاني: ففي الإعراب وجهان:

أحدهما: أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف، والعامل فيه: ﴿يَهْجَعُونَ﴾، والتقدير: كانوا ما يهجعون قليلًا من الليل.

والآخر: أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ خبر «كان»، والمعنى: كانوا قليلًا في الناس، ثم ابتدأ بقوله: ﴿مِنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

وكلا الوجهين باطلٌ عند أهل العربية؛ لأن «ما» النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى ببطلان إعرابه.

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ أي: يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار: آخر الليل، وقد جاء في الحديث: «أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر له»[1].

وقيل: معنى ﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾: يصلُّون، وهذا بعيد من اللفظ.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ الحق هنا: نوافل الصدقات.

وقيل: المراد الزكاة، وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة.

وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يُحتاج إليه؛ لأن النسخ إنما يكون مع التعارض، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] وإن كان غيرَ واجب.

وقال بعض العلماء: في المال حقٌّ سوى الزكاة، ورجحه ابن عطية[2].

واختلف الناس في المحروم، حتى قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم؟[3]

فقيل[4]: المحروم: الذي ليس له في بيت المال سهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٠٨).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٨).

(٤) في أ، د، هـ: «وقيل».

وقيل: الذي اجتيحت ثمرتُه.

وقيل: الذي ماتت ماشيته.

وقيل: هو الكلب.

وهذه الأقوال أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن المحروم الذي حرَمه الله المالَ بأيِّ وجهٍ كان.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء: إن فيه خمسةَ آلاف حكمة.

وقال بعضهم: الإنسان نسخةٌ مختصرة من العالم كلِّه.

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ معنى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطر.

وقيل: القضاء والقدر.

ويحتمل أن يكون ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الوعد أو الوعيد والكلُّ في السماء، ولذلك قيل: يعني: الجنة والنار.

وقيل: [(١)] الخير والشر.

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ هذا جواب القسم، والضمير:

لما تقدَّم من الآيات والرزق.

أو لـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾.

---

(١) في ب زيادة: «يعني».

﴿مِثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي: حقٌّ مثلَ نُطْقِكم لا يمكن الشكُّ فيه، و﴿مَآ﴾ زائدةٌ.

وقرئ ﴿مِثْلَ﴾ بالنصب والرفع:

[أ-] فالرفع: صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾.

[ب-] والنصب:

على الحال من ﴿حَقٌّ﴾، أو من الضمير المستتر فيه.

أو صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾، وبُني لإضافته إلى مبنيٍّ، أو لتركيبه مع ﴿مَآ﴾ فيصير نحو: «أينما» و«كلّما».

* * *

[﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ
مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾
۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ
﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ
﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ
﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ
حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا: التفخيم والتهويل.

وضيف إبراهيم: هم الملائكة الذين جاؤوه ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط.

ووصفهم بـ ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾:

لأنهم مكرمون عند الله.

أو لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم؛ لأنه خدَمهم بنفسه، وعجَّل لهم الضيافة، والعامل في ﴿إِذْ دَخَلُوا۟﴾ على هذا: ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفٌ، تقديره: اذكر.

﴿فَقَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ نُصِب هذا؛ لأنه في معنى الطلب، وهو مفعول بفعل مضمر.

ورُفِع الثاني؛ لأنه خبرٌ، تقديره: أمري سلامٌ.

وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة.

وإن كان بمعنى التحية:

فإنما رفع الثاني؛ ليدلَّ على إثبات السلام، فيكون قد حيَّاهم بأكثر مما حيوه.

وينتصب السلام الأول - على هذا - على المصدرية، تقديره: سلَّمْنا عليك سلامًا.

ويرتفع الثاني بالابتداء، تقديره: سلامٌ عليكم.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: لم يعرفْهم.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَلَا﴾:

حضًّا على الأكل.

أو تكون الهمزة للإنكار، دخلت على «لا» النافية.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لمَّا لم يأكلوا.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام؛ لقوله: ﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢].

﴿فِي صَرَّةٍ﴾ أي: صيحةٍ، وذلك قولها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢] وهو مِن صَرَّ القلمُ وغيره: إذا صوَّت.

وقيل: معناه: في جماعة من النساء.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربته حياءً منهم وتعجُّبًا[١] من وِلادتها وهي عجوز.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت أنا عجوز عقيم؛ فكيف ألد؟

أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم وخبركم[٢]؟

والخطب أكثر ما يقال[٣] في الشدائد.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يعني: قوم لوط.

وقد ذكرنا الحجارة و﴿مُسَوَّمَةً﴾ في «هود»[٤].

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ الضمير المجرور لقرية قوم لوط؛ لأن الكلام يدلُّ عليها وإن لم يتقدَّم ذكرها.

والمراد بـ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لوطٌ وأهله، أمرهم الله بالخروج من القرية؛ لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها.

---

(١) في أ، هـ: «تعجيبًا».
(٢) في أ، هـ: «وجزعكم»!.
(٣) في أ، هـ: «يكون».
(٤) انظر (٢/ ٦٠٥).

ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين؛ لأنهم جمعوا الوصفين.

وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في «الأحزاب»[١].

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ معطوفٌ:

على قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ معنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان.

وركنه: سلطانه وقوته.

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: قال: إن موسى ساحرٌ أو مجنون، فـ﴿أَوْ﴾ للشكِّ، أو للتقسيم.

وقيل: بمعنى الواو وهذا ضعيف، ولا يستقيم هنا.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يُلام عليه، يعني: فرعون.

﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعُقْم؛ لأنها لا بركة فيها من إنشاءِ مطرٍ أو إلقاح شجر.

﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾ أي: الفاني المتقطِّع.

والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أُذِن للريح أن تُهلِكه.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحين: هي الثلاثة الأيام بعد عَقْرهم الناقة.

---

(١) انظر (٣/ ٥٤٤).

والآخر: أن الحين: من أول بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم، وعلى هذا: يكون ﴿فَعَتَوْا﴾ مرتَّبًا بعد تمتُّعهم.

وأما على الأول: فيكون إخبارًا عن حالهم غير مرتَّب على ما قبله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني: الصيحة التي صاحها جبريل.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: يعاينونها؛ لأنها كانت بالنهار.

* * *

[﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾].

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ أي: بقوة.

وانتصب ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ بفعل مضمر.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: قادرون؛ فهو من الوُسْع وهو الطاقة، ومنه ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: القويّ على الإنفاق.

والآخر: جعلنا السماء واسعةً، أو جعلنا بينها وبين الأرض سعةً.

والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء.

﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ الماهد: الموطِّئ للموضع.

﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ أي: نوعين مختلفين، كالليل والنهار، والسواد والبياض، والصحة والمرض، وغير ذلك.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أمرٌ بالرجوع إليه[١] بالتوبة والطاعة، وفي اللفظ تحذيرٌ وترهيب.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ توقيفٌ وتعجيب، أي: هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضًا أن يقول ذلك.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: قد بلَّغتَ الرسالة؛ فلا لوم عليك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه: خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي.

وقيل: ليتذلَّلوا لي؛ فإن جميع الإنس والجن متذلِّلٌ.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يَرزقوا أنفسهم ولا غيرهم.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: لا أريد أن يطعمونِ؛ لأني منزَّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنيٌّ عن العالمين[٢].

وقيل: المعنى: ما أريد أن يطعموا عبيدي، فحذف المضاف تجوُّزًا.

وقيل: معناه: ما أريد أن ينفعوني؛ لأني غنيٌّ عنهم، وعبَّر عن النفع العام بالإطعام.

والأول أظهر.

---

(١) في أ، هـ: «إلى الله».

(٢) في د: «عن العطاء».

﴿ٱلْمَتِينُ﴾ أي: الشديدُ القوةِ.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾ الذَّنوب: النصيب، ويريد به هنا: نصيبًا من العذاب، وأصل الذنوب: الدَّلْو.

والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كفار قريش، وبـ ﴿أَصْحَـٰبِهِمْ﴾: مَن تقدَّم من الكفار.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يحتمل أن يريد: يوم القيامة.

أو يوم هلاكهم ببدر.

والأول أرجح؛ لقوله في «المعارج»: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤] يعني: يوم القيامة.

* * *

﴿ سورة الطور ﴾

[﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ
ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ
ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ
يَلۡعَبُونَ ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ
۝١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ۝١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ
إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٦ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ
رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ
عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا
بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ۝٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ
وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ۝٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ
لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ۝٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ
أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ
نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾].

﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ هو الجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسى عليه السلام.

وقيل: الطور: كلُّ جبل، فكأنه أقسم بجنس الجبال.

﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ.

وقيل: القرآن.

وقيل: صحائف الأعمال.

﴿فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ۝٣﴾ الرَّقُّ في اللغة: الصحيفة، وخُصِّصت في العُرف بما كان من جلد.

والمنشور: خلاف المطويِّ.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيتٌ في السماء السابعة، يدخله[1] كلَّ يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه أبدًا، وبهذا هو عمرانه، وهو حِيالَ الكعبة.

وقيل: البيت المعمور: الكعبة، وعمرانها: بالحجاج والطائفين.

والأول أشهر، وهو قول علي وابن عباس.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ يعني: السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾ هو بحر الدنيا.

وقيل: بحر في السماء تحت العرش.

والأول أظهر وأشهر.

ومعنى ﴿الْمَسْجُورِ﴾: المملوء ماءً.

وقيل: الفارغ من الماء، ويُروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة.

واللغة تقتضي الوجهين؛ لأن اللفظ من الأضداد.

---

(١) في ب: «يدخل إليه في».

وقيل: معناه: الموقَد نارًا، من قولك: سجرتُ التنورَ، واللغة أيضًا تقتضي هذا، وروي أن جهنم في البحر.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ هذا جواب القسم، ويعني: عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ أي: تجيءُ وتذهب.

وقيل: تدور.

وقيل: تنشقُّ(١).

والعامل في الظرف: ﴿لَوَٰقِعٌ﴾، أو ﴿دَافِعٌ﴾، أو محذوفٌ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾ الخوض: التخبُّط في الأباطيل، شُبِّه بخوض الماء.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي: يُدفعون بتعنيف(٢).

و﴿يَوْمَ﴾ بدل من الظرف المتقدِّم.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ توبيخٌ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر.

﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ توبيخٌ أيضًا لهم، وتهكُّم بهم؛ أي: هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حلَّ بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق؟

---

(١) في ب، ج، هـ: «تتشقق».

(٢) في ب: «بعنف».

﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد: التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحدة من الحالين لا تنفعهم، ولا تخفِّفُ عنهم شيئًا من العذاب.

﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ هذا تعليلٌ لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلًا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

معناه: أصحابَ فاكهة، فيكون نحو: «لَابِنٍ»، و«تامِرٍ».

أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور.

﴿وَوَقَىٰهُمۡ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أو على ﴿ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾.

أو تكون الواو للحال.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أي: يقال لهم: كلوا.

﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: كلوا أكلًا هنيئًا.

ويحتمل أن يكون واقعًا موقعَ فعلٍ تقديره: هنأَكُم الأكلُ والشرب.

﴿بِحُورٍ عِينٖ﴾ الحور: جمع حَوْراء، وهي الشديدةُ بياضَ بياضِ العين وسوادَ سوادِها.

والعِين: جمع عَيْناء، وهي الكبيرة العين[١] مع جمالها.

وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِحُورٍ﴾؛ لأنه تضمَّن قولُه: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾

(١) في ب، ج، د: «العينين».

معنى: قرَنَّاهم، قاله الزمخشري، وقال: إن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ معطوفٌ على بحور عين أي: قرناهم بحورٍ؛ للتلذُّذ بهنَّ، وبالذين آمنوا؛ للأنس معهم[١].

والأظهر: أن الكلام تمَّ في قوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾، ويكون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأً، خبره ﴿أَلْحَقْنَا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ معنى الآية: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينه»[٢]، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء.

فقيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارًا.

وقيل: على الإطلاق في أولاد[٣] المؤمنين.

و﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ في موضع الحال من الذرية، والمعنى: أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان.

وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بـ ﴿أَلْحَقْنَا﴾، والمعنى عنده: بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم[٤].

والأول أظهر.

فإن قيل: لم قال: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ بالتنكير؟

---

(١) الكشاف (١٥/ ٤٩).
(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٢٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٩)
(٣) في ج، د: «الأولاد».
(٤) الكشاف (١٥/ ٤٩).

فالجواب: أن المعنى: بشيءٍ من الإيمان لم يكونوا به أهلًا لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامةً للآباء، فالمراد: تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفَع درجتهم، فكيف إذا كان إيمانًا عظيمًا؟.

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: ما نقَصناهم من ثواب أعمالهم، بل وفَّيْنا لهم أجورهم.

وقيل: المعنى: ألحقنا ذريتهم بهم، وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك، بل فعلنا ذلك تفضُّلًا؛ زيادةً إلى ثواب أعمالهم.

والضمير على القولين: يعود على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

وقيل: إنه يعود على الذرية.

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتهَنٌ، فإمَّا أن تنجيَه حسناتُه، أو تُهلكه سيئاته.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ الإمداد: هو الزيادة مرة بعد مرة.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطونها إذ هم جلساءُ على الشراب.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ اللغو: الكلام الساقط، والتأثيم: الذنب، فهي بخلاف خمر الدنيا.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يعني: خُدَّامهم.

﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ: الجوهر، والمكنون: المصون، وذلك لحسنه.

وقيل: هو الذي لم يخرج من الصَّدَف.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ أي: كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق: شدة الخوف.

﴿ٱلسَّمُومِ﴾ أشدُّ الحر.

وقيل: هو من أسماء جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ﴾ يحتمل أن يكون:

بمعنى نعبده.

أو من الدعاء بمعنى الرغبة.

و﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ يعنون: في الدنيا قبل لقاء الله.

﴿أَنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ البَرُّ: الذي يَبَرُّ عبادَه ويحسن إليهم.

وقرئ ﴿أَنَّهُۥ﴾:

بفتح الهمزة: على أن يكون مفعولًا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعوّ به.

وقرئ بكسرها: على الاستئناف.

* * *

[﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ
بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ
أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟
صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ
بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ
فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ
ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ
لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾].

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ، أي: ذكِّر الناس.

ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون.

ومعنى ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: بسبب إنعام اللهِ عليك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿أَمْ﴾ في هذا الموضع وفيما بعده: للاستفهام بمعنى الإنكار.

والتربُّص: الانتظار.

و﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: حوادث الدهر.

وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت: إنما هو شاعر ننتظر[١] به ريب المنون، فيَهلِك كما هلَك مَن كان قبله من الشعراء، كزهير والنابغة.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمرٌ على وجه التهديد.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ الأحلام: العقول؛ أي: كيف تأمرهم عقولهم بهذا؟.

والإشارة:

إلى قولهم: هو شاعر.

أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب.

وإسناد الأمر إلى الأحلام مجازٌ، كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا: بمعنى «بل».

ويحتمل أن تكون بمعنى: «بل» وهمزة الاستفهام، بمعنى الإنكار، كما هي في هذه المواضع كلها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي: اختَلقه من تلقاء نفسه.

وضمير الفاعل: لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول: للقرآن.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ ردٌّ عليهم، وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: أم خلقوا من غير ربٍّ أنشأهم واستعْبدهم؛ فهم من

---

(١) في ب، د: «نتربص».

أجل ذلك لا يعبدون الله؟.

الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أمّ، كالجمادات؛ فهم لا يؤمَرون ولا يُنهَون كحال الجمادات؟

الثالث: أم خلقوا من غير أن يحاسَبوا ولا يجازوا بأعمالهم؟، فهو على هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه: أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق؟

وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبَّرون؟

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ المعنى: أعندهم خزائن الله بحيث[1] يستغنون عن عبادته؟

وقيل: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاؤوا، ويمنعون من شاءوا، ويخصُّون بالنبوّة من شاؤوا؟

﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي: الأرباب الغالبون.

وقيل: المصيطر: المسلَّط القاهر.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يعني: أم لهم سلم يصعدون به[2] إلى السماء، فيسمعون ما تقول الملائكة، بحيث يعلمون صحة دعواهم؟، ثم عجَّزهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجةٍ واضحة على دعواهم.

---

(١) في ب زيادة: «إنهم» وفي ج: «هم».

(٢) في ب، ج: «فيه».

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ۝٤٠﴾ المعنى: أتسألهم على الإسلام أُجرةً، فيَثْقُل عليهم غُرْمها؛ فيشقّ عليهم اتباعك؟

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٤١﴾ المعنى: أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا: لا نبعث؛ وإن بعثنا لم نعذَّب؟

وقيل: المعنى: فهم يكتبون للناس سننًا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب وشبه ذلك.

﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ﴾ إشارةٌ إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ، حيث تشاوروا في قتله أو إخراجه.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ﴾ أي: المغلوبون في الكيد.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: من تقدَّم الكلام فيهم، وهم قريش، فوضع الظاهر موضع المضمر.

ويحتمل أن يريد جميع الكفار.

﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾ المعنى: هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟

وحصَر الله في هذه الآيات جميع المعاني التي توجب التكبُّر والبعدَ من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم؛ ليبين أنَّ تكبرهم من غير موجِبٍ، وكُفْرَهم من غير حجة.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ۝٤٤﴾ كانوا قد طلبوا أن يُنزِل عليهم كسفًا من السماء.

فالمعنى: أنهم لو رأوا الكسف ساقطًا عليهم لبلَغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا: ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم، أي: كثيفٌ بعضه فوق بعض.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يعني: يوم القيامة.

والصعقة فيه: هي النفخة الأولى.

وقيل غير ذلك، والصحيح ما ذكرنا؛ لقوله في «المعارج» عن يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤].

﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: قتْلَهم يوم بدر.

وقيل: الجوع بالقحط.

وقيل: عذاب القبر.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم لك وإمهالِنا لهم؛ فإنا نراك.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قول «سبحان الله»، ومعنى ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: حين تقوم من كل مجلس.

وقيل: أراد: حين تقوم وتقعد وفي كل حال، وجعل القيام مثالًا.

الثاني: أنه الصلوات النوافل.

والثالث: أنها الصلوات الفرائض، فـ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ الظهر والعصر،

أي: حين تقوم من نوم القائلة، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: الصبح.

ومن قال: هي النوافل، جعل ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: ركعتي الفجر.

* * *

﴿ سورة النجم ﴾

[﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ
إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ
دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ
ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ
١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ
رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠
أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم
مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾].

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الثريا؛ لأنها غلَب عليها التسمية بالنجم، ومعنى ﴿هَوَىٰ﴾: غرب، أو انتثر يوم القيامة.

الثاني: أنه جنس النجوم، ومعنى ﴿هَوَىٰ﴾: كما ذكرنا، أو انقضَّت تَرْجُم الشياطين.

الثالث: أنه من نجوم القرآن، وهي الجملة التي تنزل منه، و﴿هَوَىٰ﴾ على هذا: معناه نزل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش.

و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلالَ والغيَّ، والفرق بينهما: أن الضلال بغير قصد، والغيَّ بقصْدٍ وتكسُّبٍ.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ أي: ليس يتكلَّم بهواه وشهوته، وإنما يتكلم بما يوحي الله(١) إليه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ يعني: القرآن.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ ضمير المفعول للقرآن، أو للنبي ﷺ.

والشديد القُوَى: جبريل.

وقيل: الله تعالى.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]، و﴿الْقُوَىٰ﴾ جمع: قوَّة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوَّة.

وقيل: ذو هيئة حسنة.

والأول هو الصحيح في اللغة.

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي: استوى جبريل في الجو؛ إذ رآه رسول الله ﷺ وهو بحراء.

وقيل: معنى ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: ظهر في صورته له ست مئة جناح قد سدَّ

---

(١) في ب: «يوحي».

الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصُوَر إذا نزل للوحي، وكان ينزل في صورة دِحْيَةَ.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ الضمير لجبريل.

وقيل: لمحمد ﷺ.

والأول أصح.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ الضميران[1] لجبريل أي: دنا من محمد ﷺ فتدلَّى في الهواء.

وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: تدلَّى فدنا.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ القابُ: مقدار المسافة، أي: كان جبريل من محمد ﷺ في القُرْب بمقدار قوسين عربيين[2]، ومعناه: من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود.

وقيل: ليس القوس التي يُرمى بها، وإنما هو[3] ذراعٌ تقاس بها المقادير، ذكره الثعلبي، وقال: إنه من لغة أهل الحجاز[4].

وتقدير الكلام: فكان مقدارُ مسافةِ قُرْبِ جبريل من محمد ﷺ مثلَ قابِ قوسين، ثم حُذِفت هذه المضافات.

ومعنى ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أو أقرب.

---

(١) في ب، هـ: «الضمير».
(٢) في أ، هـ: «عربيتين».
(٣) في أ، هـ: «هي».
(٤) الكشاف والبيان للثعلبي (٩/ ١٣٩).

و﴿أَوْ﴾ هنا مثل قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، وأشبه التأويلات فيها: أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى.

وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح.

وقيل: إنها لله تعالى، وهذا القول يردُّ عليه الحديث والعقل، إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك(١).

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى.

الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى.

وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدَّم ذكره، فهو كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح» إلخ، أقول: قد أصاب المصنف في تصحيحه أن الضمائر في الآيات لجبريل ﵇، وأما قوله في تضعيف القول الثاني أن الضمائر تعود إلى الله: «إن هذا القول يرد عليه الحديث والعقل»، أقول: يريد بالحديث ما رواه البخاري عن عائشة ﵂ لما سئلت عن قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ قالت: ذاك جبريل، وأما قول المصنف: «والعقل» فمعناه أن العقل يدل على امتناع الدنو من الله تعالى، وهذا يجري على مذهب من ينفي علو الله فوق المخلوقات، وينفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه، وهذا خلاف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من علوه تعالى فوق سماواته على عرشه، وأنه فعال لما يريد. والله أعلم.

وفي قوله: ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ إبهامٌ يقتضي التفخيم والتعظيم.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه، بل صدَّق بقلبه أن الذي رأى بعينه حقٌّ.

والذي رأى: هو جبريل، يعني: حين رآه قد ملأ الأفق.

وقيل: الذي رأى: ملكوت السموات والأرض.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾.

وقيل: الذي رأى: هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة، وسئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنَّى أراه؟»[١].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢﴾ هذا خطاب لقريش، والمعنى: أتجادلونه على ما يرى، وكانت قريش قد كذَّبته لما قال: إنه رأى ما رأى.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾ أي: لقد رأى محمدٌ جبريلَ ﷺ مرةً أخرى، وهي ليلة الإسراء.

وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة، وقالت: «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى»[٢].

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ: «ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

وسمِّيت سدرة المنتهى؛ لأنها إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلَّا الله تعالى.

وقيل: سميت بذلك؛ لأن ما نزل من أمر الله يُتَلَقَّى[1] عندها، فلا يتجاوزها ملائكة العلْو إلى أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السفْلِ إلى أعلى.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ١٥﴾ يعني: أن الجنة التي وعد الله عباده هي عند سدرة المنتهى.

وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء.

والأول أظهر وأشهر.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦﴾ فيه إبهامٌ؛ لقصد التعظيم.

قال ابن مسعود: غَشِيها فَراشٌ من ذهب.

وقيل: كثرة الملائكة.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**فغشيها ألوان لا أدري ما هي**»[2]، وهذا أولى أن تفسر به الآية.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما زاغ بصر محمد ﷺ عما رآه من العجائب، بل أثبتها وتيقنها، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما تجاوز ما رأى إلى غيره.

---

(١) في أ، ج، د: «يلتقي».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يعني: ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك.

ويحتمل أن تكون ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾:

مفعولًا.

أو نعتًا لـ ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾.

والمعنى يختلف على ذلك.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ هذه أوثانٌ كانت تُعبد من دون الله، فخاطب اللهُ مَن كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم.

وقال ابن عطية: إن الرؤية هنا من رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرامٌ مرئية[(١)].

فأما اللات: فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة.

وأما العزَّى: فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل؛ فضربها بالسيف حتى قتلها.

وقيل: كانت بيتًا تعظِّمه العرب.

وأصل لفظ العزى: مؤنثة الأعزّ.

وأما مناة: فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١١٥).

هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فأكَّدها بهاتين الصفتين[(١)].

وقال الزمخشري: ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ذمٌّ وتحقير؛ أي: المتأخرة الوضيعة القدر ومنه: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي: كيف تجعلون لأنفسكم الأولادَ الذكور، وتجعلون لله البناتِ التي هي عندكم حقيرة بغيضة؟

وقد ذُكر هذا المعنى في «النحل»[(٢)] وغيرها.

ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعْلَ هذه الأوثان شركاءَ لله تعالى؛ مع أنهن إناث، والإناث حقيرة بغيضة عندهم.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أي: هذه القسمة التي قسمتم جائرةٌ غير عادلة، يعني: جَعْلَهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى.

ووزن ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ فُعْلى - بضم الفاء -، ولكنها كسرت للياء التي بعدها.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ الضمير للأوثان.

وقد ذكر المعنى في «الأعراف»[(٣)] في قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾ [الأعراف: ٧١].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١١٦).

(٢) انظر (٢/ ٧٥٤).

(٣) انظر (٢/ ٣٥٨).

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يعني: أنهم يقولون أقوالًا بغير حجة، كقولهم: إن الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك.

﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، والإنسان: جنس بني آدم؛ أي: ليس لأحدٍ ما يتمنى، بل الأمور بيد الله.

وقيل: إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام.

وقيل: إلى قول العاصي بن وائل: لأوتين مالًا وولدًا.

وقيل: هو تمني بعضهم أن يكون نبيًّا.

والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه.

* * *

[﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾].

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئًا إلَّا بإذن الله فكيف أوثانكم؟

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ معناه: أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلَّا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه، ويرضى عنه.

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ يعني: قولهم: إن الملائكة بنات الله، ثم ردَّ عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ أي: إلى ذلك انتهى علمهم؛ لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿لِيَجۡزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: إن الله ملَك أمر السموات والأرض؛ ليجزي الذي أساؤوا بما عملوا.

وقيل: يتعلق بـ ﴿ضَلَّ﴾ و﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾.

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»[١].

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه صغائر الذنوب، فالاستثناء على هذا منقطع.

الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفَلْتة والسَّقْطة دون دوام عليها.

الثالث: أنه ما ألَمُّوا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي.

الرابع: أنه الهمُّ بالذنب وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿أَجِنَّةٞ﴾ جمع جنين.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهيًا عن أن يزكِّي بعض الناس بعضًا[٢]، وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها.

---

(١) انظر (٢/ ٤٦).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٢٣).

[﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾
أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ
﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾
وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ
هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ
﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا
غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾
لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾
وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ الآيةَ؛ نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقيل: نزلت في العاصي بن وائل.

﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي: قطع العطاء وأمسك.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ قيل: وفَّى طاعةَ الله في ذبح ولده.

وقيل: وفَّى تبليغ الرسالة.

وقيل: وفَّى شرائع الإسلام.

وقيل: وفَّى الكلمات التي ابتلاه الله بهن.

وقيل: وفَّى هذه العشر الآيات: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ وما بعدها.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ ذُكِر فيما تقدم[١]، وهذه الجملة تفسيرٌ لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ السعي هنا: بمعنى العمل.

وظاهرها: أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام.

واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى مَن فُعِلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام.

وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

والصحيح أنها مُحكمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ.

وفي تأويلها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا، فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: أن للإنسان ما عمل بحقٍّ، وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتفق أنه لا يَحمل أحدٌ ذنب أحد، ويدلُّ على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ كأنه يقول: لا يؤاخَذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلَّا بذنب نفسه.

---

(١) انظر (٢/٧٩٨).

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾ قيل: معناه: يراه الخلق يوم القيامة.

والأظهر: أن صاحبه هو الذي يراه لقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: إلى الله المصير في الآخرة.

والآخر: أن معناها: أن العلوم تنتهي إلى الله، ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قال في الآية[١]: «لا فكرة في الرب»[٢].

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ قيل: معناه: أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه.

وقيل: أبكى السماء بالمطر، وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز.

وقيل: خلق في بني آدم الضَّحِكَ والبكاء.

والصحيح: أنه عبارةٌ عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليلٌ على السرور والفرح، كما أن البكاء دليل على الحزن، فالمعنى: أنه تعالى أحزن من شاء من عباده، وسرَّ من شاء.

﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ يعني: الحياة المعروفة والموت المعروف.

وقيل: أحيا بالإيمان وأمات بالكفر.

والأول أرجح؛ لأنه حقيقة.

---

(١) قوله: «في الآية» لم ترد في ب، هـ.

(٢) أخرجه البغوي بإسناده في تفسيره (٧/ ٤١٧)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده في كتاب العظمة (١/ ٢١٧) عن سفيان الثوري من قوله.

﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ يعني: المنيّ.

﴿إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ من قولك: أَمنى الرجل: إذا خرج منه المنيُّ.

﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ يعني: الإعادة للحشر.

﴿وَأَقۡنَىٰ﴾ أي: أكسب عبادَه المال، وهو من قُنْية المال، وهي كسبه وادِّخاره.

وقيل: معنى ﴿أَقۡنَىٰ﴾: أفقر، وهذا لا تقتضيه اللغة.

وقيل: معناه: أرضى.

وقيل: قنَّع عبدَه.

﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ نجمٌ في السماء، وتسمى كلب الجبَّار وهما شِعْرَيَان: الغُميصاء والعَبور، وخصَّها بالذكر دون سائر النجوم؛ لأن بعض العرب كان يعبدها.

﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ وصفها بـ ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ لأنها كانت في قديم الزمان، فهي أُولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرين.

وقيل: إنما سميت أُولى؛ لأن ثمَّ عادًا أخرى متأخرة، وهذا لا يصح.

وقرأ نافع ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ بإدغام تنوين ﴿عَادًا﴾ في لام ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ بحذف الهمزة، ونقل حركتها إلى اللام، وضعَّف المزني والمبرِّد هذه القراءة.

وهَمَزَ قالون الواو، دون وَرْش.

وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين ﴿عَادًا﴾ وإسكان لام ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾.

﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ أي: ما أبقى منهم أحدًا.

وقيل: ما أبقى عليهم.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ هي مدينة قوم لوط.

ومعنى ﴿أَهْوَىٰ﴾: طرَحها من علْوٍ إلى سفْلٍ.

وفي قوله: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تعظيمٌ للأمر.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق، معناه: بأيِّ نعم ربك تشكُّ؟.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: القرآن، أو النبي ﷺ.

ومعنى ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾: من نوعها وصِفتها.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧﴾ أي: قَرُبت القيامة.

﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه:

أن يكون مصدرًا كالعاقبة(١)، أي: ليس لها كشفٌ.

وأن يكون بمعنى: كاشف، والتاء للمبالغة كعلَّامة.

وأن يكون صفةً لمحذوف تقديره: نفسٌ كاشفة، أو جماعة كاشفة.

ويحتمل معناه وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة، أي: ليس لها مَن يزيلها إذا وقعت.

---

(١) في أ، ج، د، هـ: «كالعافية».

والآخر: أن يكون بمعنى الاطِّلاع؛ أي: ليس لها مَن يعلم وقتها إلَّا الله.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارةُ إلى القرآن، وتعجُّبهم منه: إنكاره[1].

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: لاعبون لاهون.

وقيل: غافلون مفرِّطون.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره، وقد قال ابن مسعود: قرأها رسول الله ﷺ فسجد، وسجد كل من كان معه[2].

---

(١) في د: «إنكارهم له».

(٢) أخرجه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦).

﴿ سورة القمر ﴾

[﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ
② وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ③ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ
ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ⑤ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ
يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ⑥ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ
⑦ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟
عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ⑨ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ
مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ
وَدُسُرٍ ⑬ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ⑮
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ⑯ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ⑰ كَذَّبَتْ عَادٌ
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ⑱ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ⑲ تَنزِعُ
ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ⑳ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ㉑ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾].

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: قَرُبت القيامة، ومعنى قربها: أنه بقي إليها[1] من الزمان قليلٌ بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى[2].

---

(١) في أ، هـ: «لها».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠).

﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ هذا إخبارٌ عما جرى في زمان رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشًا سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال ﷺ: «اشهدوا»(١).

وقال ابن مسعود: انشقَّ القمر فرأيته فِرقتين، فرقة وراء الجبل وأخرى دونه.

وقيل: معنى ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطلٌ، تردُّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك إلَّا من لا يعتبر قوله.

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ هذه الضمائر لقريش.

والآية المشار إليها: انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحَر محمد القمر.

ومعنى ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: دائم.

وقيل: معناه: ذاهب يزول عن قريب.

وقيل: معناه: شديد، وهو على هذا من المِرَّة، وهي القوة.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: كل شيء لا بدَّ له من غاية، فالحق يحِقُّ والباطل يبطُل.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾ ﴿ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ هنا يراد بها: ما ورد في القرآن من القَصص والبراهين والمواعظ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

و﴿مُزْدَجَرٌ﴾:

اسم مصدر بمعنى: ازدجارٌ.

أو اسم موضع بمعنى: أنه مظنة أن يُزدَجر به.

﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ بدلٌ من ﴿مَا فِيهِ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾:

نافية.

أو استفهامية لمعنى(١) الاستبعاد والإنكار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم؛ لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾:

مضمر تقديره: اذكر.

أو قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد ذلك.

وليس العامل فيه ﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ لفساد المعنى، فقد تمَّ الكلام في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فيوقف عليه.

وقيل: إن المعنى: تول عنهم إلى يوم يدع الداع.

والأول أظهر وأشهر.

---

(١) في ج، د، هـ: «بمعنى».

والداعي: جبريل، أو إسرافيل إذ ينفخ في الصُّور.

والشيء النُّكُر: الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار؛ أي: هو منكورٌ؛ لأنه لم يُرَ قطُّ مثلُه، والمراد به: يوم القيامة.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ كنايةٌ عن الذِّلة.

وانتصب ﴿خُشَّعًا﴾ على الحال من الضمير في ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ شبَّههم بالجراد في خروجهم من الأرض، ففيه استدلالٌ على البعث، كالاستدلال بخروج النبات.

وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم، وأن بعضهم يموج في بعض.

﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين.

وقيل: ناظرين إلى الداعي.

﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ يعني: نوحًا عليه السلام، ووصْفُه هنا بالعبد تشريفٌ له واختصاصٌ.

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ أي: زجروه بالشتم والتخويف، وقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ أي: قد غلبني الكفار فانتصر لي، أو انتصر لنفسك.

وقالت المتصوفة: معناه: قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر

مني، وهذا بعيد ضعيف.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ عبارةٌ عن كثرة المطر، فكأنه يخرج من أبواب.

وقيل: فتحت يومئذ في السماء أبواب حقيقة.

والمنهمر: الكثير.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ يعني: ماء السماء وماء الأرض.

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قُضِي في الأزل.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنه قُدِر بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعًا.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ يعني: السفينة.

والدُّسُر: هي المسامير، واحدها دِسَار.

وقيل: هي مقادم السفينة.

وقيل: أضلاعها.

والأول أشهر.

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورَعْيِه لها[1].

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جزاءً لنوح.

وقيل: جزاء لله تعالى.

---

(١) انظر (٣/٩٩).

والأول أظهر.

وانتصب ﴿جَزَآءً﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال؛ أي: فعلنا ذلك كلَّه جزاءً لنوح.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿كُفِرَ﴾:

من الكفر بالدين، والتقدير: «لمن كُفِر به» فحذف الضمير.

أو يكون من الكفر بالنعمة؛ لأن نوحًا عليه السلام نعمة من الله كفَرها قومه، فلا يحتاج على هذا إلى ضميرٍ محذوف.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً﴾ الضمير:

للقصة المذكورة.

أو الفِعْلة.

أو السفينة، وروي في هذا المعنى: أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تحضيض على الادِّكار، فيه ملاطفةٌ جميلة من الله لعباده.

ووزن ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ مُفْتَعل، وأصله: «مُذْتَكِر» ثم أُبدل من التاء دال وأُدغمت فيها الذال.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ توقيفٌ فيه تهديد[1] لقريش.

---

(١) في أ: «وتهديدٌ».

والنذر: جمع نذير.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة، فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظًا بالغًا بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلَّا القرآن.

وقيل: معنى الآية: سهلناه للفهم والاتعاظ به؛ لما تضمن من البراهين والحكم البليغة.

وإنما كُرر هذه الآية البليغة وقولَه: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾؛ لينبِّه السامع عند كل قصة، فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القَصص التي ذَكر عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ[1] السامع من الوعيد في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: مصوِّتة، فهو من الصَّرير بمعنى: الصوت.

وقيل: معناه: باردةً؛ فهو من الصِّر.

﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ روي أنه كان يوم أربعاء، حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر**»[2].

---

(١) في أ: «يعظ».

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ١٤٦): «. . الدولابي أبو بشر قد ذكر حديثًا رواه أبو جعفر المنصور عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر». ا.هـ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبير (١٠/ ٢٨٦) من حديث جابر مرفوعًا، ولفظه: «إن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر».

﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ أي: تقلعهم من مواضعهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل: هي أصولها، والمنقعر: المنقطع، فشبه الله عادًا لما هلكوا بذلك؛ لأنهم طِوالٌ عظام الأجساد كالنخل.

وقيل: كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادًا[1] بلا رؤوس، فشبههم بأعجاز النخل؛ لأنها دون أغصان.

وقيل: كانوا قد حفروا حفرًا يمتنعون فيها من الريح، فهلكوا فيها فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها.

---

(١) في أ: «أجسادٌ»، وفي د: «أجسادهم».

[﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾
أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا
مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ
﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ
لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن
ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾].

﴿أَبَشَرًا﴾ هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر.

والمعنى: أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرًا، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدًا وهم جماعة كثيرون.

﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عناءٍ.

وقيل: معناه: جنون.

وقيل: معناه: همٌّ وغم.

وأصله: من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهم.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم؛ فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

﴿أَشِرٌ﴾ أي: بَطِرٌ متكبر.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة، فالضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يعود على ثمود وعلى الناقة؛ تغليبًا للعقلاء.

وقيل: إن الضمير لثمود، والمعنى: أن لا يتعدى بعضهم على بعض.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: محضورٌ مشهود.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ يعني: عاقرَ الناقة، واسمه قُدَار، وهو أُحَيمر ثمود وأشقاها.

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أي: اجترأ على أمر عظيم، وهو عقْر الناقة.

وقيل: تعاطَى السيف.

﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح جبريل صيحة ماتوا منها.

﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيم: هو ما تكسَّر وتفتت من الشجر وغيرها.

والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة وهي حائطٌ من الأغصان أو القصب ونحو ذلك، يكون تحليقًا للمواشي أو للسكنى، فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها.

وقيل: المحتظر: المحترق.

﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في «العنكبوت»[1].

﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: تشككوا.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا: هم الملائكة الذين

---

(١) انظر (٣/ ٤٧٢).

أرسلهم الله إلى لوط، ليُهلكوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم، وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل على أعينهم، فاستوت مع وجوههم.

وقيل: إن هذا الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدًا.

* * *

[﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾
أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾
سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ
فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ
خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ
فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ
﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾].

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار.

ومعناه: هل الكفار منكم خيرٌ عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين؛ بحيث هلكوا هم لما كذَّبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم؟ بل الذي أهلكهم يُهلككم.

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه: أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب؟

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ هذا وعدٌ من الله لرسوله بأنْ يُهزم جمع قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ المراد بـ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ هنا: الكفار، وضلالهم: في الدنيا، والسعر لهم: في الآخرة، وهو الاحتراق.

وقيل: أراد بـ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ القدرية؛ لقوله في الرد عليهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾.

والأول أظهر.

﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: يُجَرُّون فيها.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ المعنى: أن الله خلق كل شيء بقدر، أي: بقضاء معلوم سابق في الأزل.

ويحتمل أن يكون معنى ﴿بِقَدَرٖ﴾: بمقدار في هيئته وصفاته[1] وغير ذلك.

والأول أرجح، وفيه حجة لأهل السنة على القدرية.

وانتصب ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ بفعل مضمر يفسِّره: ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ عبارةٌ عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله.

والواحدة يراد بها الكلمة، وهي قوله: «كن».

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ يعني: أشباهكم من الكفار.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ أي: كل ما فعلوه مكتوب، في صحائف الأعمال.

﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾ أي: مكتوب، وهو من السَّطْر، تقول: سطرت واستطرت بمعنى واحد.

---

(١) أ، ج: «وصفته».

والمراد بالصغير والكبير: أعمالُهم.

وقيل: جميع الأشياء.

﴿وَنَهَرٍ﴾ يعني: أنهار الماء والخمر واللبن والعسل، واكتفى باسم الجنس.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في مكان مرْضيٍّ.

* * *

﴿ سورة الرحمن ﷻ ﴾

[﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ
۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو
ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ
كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦
رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩
بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ﴾].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علَّمه الله القرآن.

وقيل: معنى ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾: جعله علامة وآية لمحمد ﷺ.

والأول أظهر.

وارتفع ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بالابتداء، والأفعال التي بعده أخبارٌ متوالية، ويدلُّ على ذلك مجيئها دون حرف عطف.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ قيل: جنس الناس.

وقيل: يعني: آدم.

وقيل: يعني: محمدًا ﷺ.

ولا دليل على التخصيص، فالأول أرجح.

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ يعني: النطقَ والكلام.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ أي: يجريان في الفلك بحسابٍ معلوم وترتيب مقدَّر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ النجم عند ابن عباس: هو النبات الذي لا ساق له كالبقول، والشجر: النبات الذي له ساق.

وقيل: النجم: جنس نجوم السماء.

والسجود: عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى.

وقيل: سجود النجم: غروبه، وسجود الشجر: بظلِّه.

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ يعني: الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره وكرَّر ذكره؛ اهتمامًا بأمره.

وقيل: أراد العدل.

﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي: لا تَنقُصوا إذا وزنتم.

﴿لِلْأَنَامِ﴾ أي: للناس.

وقيل: الإنس والجن.

وقيل: الحيوان كله.

﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾ يَحتمل أن يكون:

جمع كُمٍّ - بالضم -، وهو ما يغطي ويلفُّ النخل من الليف، وبه شُبِّه كُمُّ القميص.

أو يكون جمع كِمٍّ - بكسر الكاف -، وهو غلاف الثمرة.

﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع.

وقيل: التِّبْن.

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ قيل: هو الريحان المعروف.

وقيل: كل مشمومٍ طيِّبِ الريح من النبات.

وقيل: هو الرزق.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ الآلاء: هي النعم.

واحدها: إِلًى على وزن: مِعًى.

وقيل: أَلًى على وزن قَفًا.

وقيل: أَلْيٌ على وزن أَمْرٍ.

وإِلْيٌ على وزن حِصْن.

والخطاب للثقلين الإنس والجن؛ بدليل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

وروي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه فقال: «إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذِّب

بشيءٍ من آلاء ربِّنا»(١).

وكرر هذه الآيةَ؛ تأكيدًا ومبالغة.

وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد؛ لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ الإنسان هنا: آدم، والصلصال: الطين اليابس، فإذا طُبِخ فهو فخَّار.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ الجان: الجن، يعني: إبليس والد الجن.

والمارج: اللهيب المضطرب من النار.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ يريد: مشرق الشمس والقمر، ومغرب الشمس والقمر.

وقيل: مشرقَي الصيف والشتاء ومغربَيهما.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»(٢).

﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: يلتقي ماء هذا وماء هذا، وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر.

وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما: بانصباب الأنهار في البحر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٥)، والبزار في مسنده (١٢/ ١٩٠).

(٢) انظر (٢/ ٣٤٤).

وأما قول من قال: إن البحرين بحرُ فارس والروم، أو بحر القُلزُوم واليمن فضعيف؛ لقوله في «الفرقان»: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وكل واحد من هذه أُجاج.

والمراد بـ ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ في هذه السورة ما أراد في «الفرقان».

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز، يعني: جِرم الأرض، أو حاجزًا من قدرة الله.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي: لا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط.

وقيل: لا يبغيان على الناس بالفَيض.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ: كبار الجوهر، والمرجان: صغاره.

وقيل: بالعكس.

وقيل: إن المرجان حجر أحمر، قال ابن عطية: وهذا هو الصواب[1].

وأما قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ ولا يخرج إلَّا من أحدهما، فقد تكلمنا عليه في «فاطر»[2].

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ يعني: السفن، وسماها منشآت؛ لأن الناس يُنشؤونها.

وقرئ بكسر الشين: بمعنى أنها تنشئ السيرَ أو تنشئ الموج.

والأعلام: الجبال، شبه السفن بها.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٦٧).

(٢) انظر (٣/ ٦٠٩).

[﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض، يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر.

ويعني بـ ﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾: بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلَّب العقلاء.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات[1].

و﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يقْرُب من معنى العظيم.

وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون:

بمعنى أنه يكرم عباده كما قال في «الإسراء»: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

(١) انظر (١/٣٥٢).

أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال؛ لافتقار الجميع إليه.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى: أنه تعالى يتصرَّف في ملكوته تصرُّفًا يظهر في كل يوم، من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء، وغير ذلك.

وروي: أن رسول الله ﷺ قرأها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»(١).

وسئل بعضهم: كيف قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة؟

فقال: هو في شأن يُبديه لا في شأن يَبتديه.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ معناه الوعيد، كقولك لمن تهدده: «سأتفرغ لعقوبتك»، وليس المعنى: التفرغ من شغل.

ويحتمل أن يريد: انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها، فلا يبقى إلا شأن الآخرة، فعبَّر عن ذلك بالتفرغ.

قال جعفر بن محمد: سمى الإنس والجن ثقلين، لأنهما ثَقُلَا بالذنوب.

﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ هذا كلامٌ يقال للجن والإنس يوم القيامة، ومعناه: إن استطعتم الهروب والخروج من أقطار

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢)، وذكره البخاري تعليقًا من قول أبي الدرداء (٦/ ١٤٤).

السموات والأرض فافعلوا، وروي أنهم يفرُّون يومئذ؛ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة، قد أحاطت بالأرض فيرجعون.

وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا؛ والمعنى: إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا.

وقوله: ﴿فَانفُذُواْ﴾ أمرٌ يراد به التعجيز.

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة، وليس لكم قوة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ الشواظ: لهب النار.

والنحاس: الدخان.

وقيل: هو الصُّفْر يذاب ويُصبُّ على رؤوسهم.

وقرئ ﴿شُوَاظٌ﴾ بضم الشين وكسرها، وهما لغتان.

وقرئ ﴿وَنُحَاسٌ﴾:

بالرفع عطفًا على ﴿شُوَاظٌ﴾.

وبالخفض عطفًا على ﴿نَّارٍ﴾.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾ جواب ﴿فَإِذَا﴾ قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾.

وقال ابن عطية: جوابها محذوف[1].

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى ﴿وَرْدَةً﴾: حمراء كالوردة.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٧٥). وقال: «جواب ﴿فَإِذَا﴾ محذوف، مقصودٌ به الإبهام، كأنه تعالى يقول: فإذا انشقَّت السماء فما أعظم الهول!».

وقيل: هو من الفَرَس الوَرْدِ.

قال قتادة: السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء.

والدهان: جمع دُهْنٍ كالزيت وشبهه، شبَّه السماء يوم القيامة به؛ لأنها تذاب من شدَّة الهول.

وقيل: شبه لمعانها بلمعان الدُّهن.

وقيل: إن الدهان هو الجلد الأحمر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المعرفة؛ إذ لا يُحتاج إلى ذلك؛ لأن المجرمين يُعرفون بسيماهم، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صفائحهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وغيره، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ، فلا تعارض بين النفي والإثبات.

وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن.

والأول أحسن.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ يعني: بعلامتهم[(١)] وهي سواد الوجوه وغير ذلك.

و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هنا الكفار؛ بدليل قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ قيل: معناه: يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه.

---

(١) في أ: «بعلاماتهم».

وقيل: بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه، فيطوى ويطرح في النار.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ الحميم: الماء السُّخْن، والآني: الشديد الحرّ.

وقيل: الحاضر من قولك: أَنَى الشيء: إذا حضر.

والأول أظهر.

[﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ
فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى
ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ
رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ
وَٱلْإِكْرَامِ﴾)].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: القيام بين يديه للحساب، ومنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦].

وقيل: قيام الله عليه بأعماله، ومنه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقيل: معناه: لمن خاف ربه وأقحم المقام، كقولك: خفت جانب فلان.

واختُلف هل الجنتان لكل خائف على انفراده أو لصنف الخائفين؟، وذلك مبني على قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ هل يراد به واحد أو جماعة؟

وقال الزمخشري: إنما قال ﴿جَنَّتَانِ﴾؛ لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس وجنة للجن[١].

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ ثنّى «ذات» هنا على الأصل؛ لأن أصله: «ذوات»، قاله ابن عطية[٢].

والأفنان: جمع فَنَنٍ، وهو الغصن.

أو جمع فَنٍّ، وهو الصنف من الفواكه وغيرها.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ أي: نوعان.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنى: هو ما يجتنى من الثمار، و﴿دَانٍ﴾: قريب.

وروي أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أيِّ حال كان؛ من قيام أو جلوسٍ أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها.

وفي قوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ذكر في «الصافات»[٣].

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ المعنى: أنهن أبكار، و﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ معناه: لم يفتضَّهنَّ.

وقيل: الطمث: الجماع سواء كان لبكر أو غيرها.

---

(١) الكشاف (١٥/ ١٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٧٧)، فردَّ عينها في التثنية، ولم يقل: «ذاتا»، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٣٦).

(٣) انظر (٣/ ٦٦٥).

ونفَى أن يطمثهن إنس أو جان؛ مبالغةً وقصدًا للعموم، فكأنه قال: لم يطمثهن شيء.

وقيل: أراد: لم يطمث نساءَ الإنس إنسٌ ولم يطمث نساءَ الجن جنٌّ، وهذا على القول بأن الجن[1] يدخلون الجنة ويتلذّذون فيها بما يتلذذ البشر.

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ ﴾ شبَّه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال.

وقد ذكر معنى المرجان في أول السورة.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ المعنى: أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة.

ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2]، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوي هذا: أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العليّ، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أوَّلًا للسابقين، والمذكورتان بعد ذلك لأصحاب اليمين حسَبما ورد في «الواقعة».

وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، وقال في الأُخريين: ﴿عَيْنَانِ

(١) في ج: «وعلى هذا القول فإن الجن..».
(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

نَضَّاخَتَانِ﴾، والجرْي أشدُّ من النضخ، وقال هنا: ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾، وقال هناك: ﴿فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفاتها هناك، وكذلك صفة البُسُط، ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما»(١).

﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: تضربان إلى السواد من شدَّة الخضرة.

﴿عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: تفوران بالماء، والنضخ - بالخاء المعجمة - أشد من النضح - بالحاء المهملة -.

﴿فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ خصَّ النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة؛ تشريفًا لهما، وبيانًا لفضلهما على سائر الفواكه، وهذا هو التجريد.

﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ خيرات: جمع خَيْرة.

وقال الزمخشري وغيره: أصله خَيِّراتٌ بالتشديد ثم خُفِّفت، كميت، وقد قرئ بالتشديد(٢).

قالت أم سلمة: يا رسول الله! أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»(٣).

﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ الحور: جمع حَوراء، والمقصورات: المحجوبات؛ لأن النساء يُمْدحن بملازمة البيوت ويُذْممن بكثرة الخروج.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

(٢) الكشاف (١٥/ ١٧٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٦٣).

والخيام: هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من لؤلؤ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ الرَّفرف: البُسُط.

وقيل: الوسائد.

وقيل: رياض الجنة.

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ العبقري: الطَّنافِس.

وقيل: الزَّرَابيُّ.

وقيل: الديباج الغليظ.

وهو منسوب إلى عَبْقَرَ، وتزعم العرب أنه بلد الجن، فإذا أعجبها شيء نسبته إليه.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ ذُكر ﴿تَبَارَكَ﴾ في «الفرقان»[1] وغيرها.

والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر.

وقرأ الجمهور ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ بالياء، صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾.

وقرأ ابن عامر بالواو، صفة للاسم.

وقد ذُكر معنى: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.



(١) انظر (٣/ ٣٢٣).

﴿ سورة الواقعة ﴾

روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا»[(١)].

ولما حضرت ابنَ مسعود الوفاةُ قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة.

[﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ
رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧
فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣
وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩
وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا
سَلَٰمًا ۝٢٦ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩
وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٩١)، وانظر تخريجًا موسعًا له في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ٤١١).

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾)].

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ يعني: إذا قامت القيامة، فالواقعة: اسم من أسماء القيامة تدل على هولها، كالطامة والصاخة.

وقيل: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور.

وقيل: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة، وهذا بعيد.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدرًا كالعاقبة، والمعنى: ليس لها كذب ولا ردٌّ.

الثاني: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ صفة لمحذوف، كأنه قال: ليس لها حالة كاذبة؛ أي: هي صادقة الوقوع ولا بدَّ، وهذا المعنى قريب من الأول.

الثالث: أن يكون التقدير: ليس لها نفْسٌ كاذبة أي: تَكْذِب في إنكار البعث؛ لأن كل نفس تؤمن حينئذ.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ تقديره: هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى.

والمراد بالخفض والرفع: أنها تخفض أقوامًا إلى النار، وترفع أقوامًا إلى الجنة.

وقيل: ذلك عبارةٌ عن هولها؛ لأن السماء تنشق، والأرض تزلزل وتمدُّ، والجبال تُنسَف؛ فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ أي: زُلزلت وحركت تحريكًا شديدًا.

و﴿إِذَا﴾ هنا بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾.

ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: فُتِّتت.

وقيل: سيِّرت.

﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ الهباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلَّا في الشمس إذا دخلت على كُوَّة، قاله ابن عباس.

وقال عليّ بن أبي طالب: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب.

وقيل: ما تطاير من شرَر النار، فإذا طَفِئ لم يوجد شيءٌ(١).

والمنبثُّ: المفترق(٢).

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

فأما السابقون: فهم أهل الدرجات العلى في الجنة.

وأما أصحاب اليمين: فهم سائر أهل الجنة.

وأما أصحاب الشمال: فهم أهل النار.

---

(١) في أ: «يجد شيئا»، وفي ب، ج: «يوجد شيئًا».

(٢) في ج، هـ: «المتفرق».

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هذا ابتداءٌ وخبر، فيه معنى التعظيم، كقولك: زيد ما زيد؟

و﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ يحتمل أن تكون:

مشتقةً من اليُمْن وهو ضد الشؤم، وتكون ﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ مشتقة من الشؤم.

أو تكون ﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ من ناحية اليمين، و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ من ناحية الشمال، واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين، والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يُحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال.

أو يكون من أخذ الكتب[1] باليمين أو الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ الأول: مبتدأ، والثاني خبره:

على وجه التعظيم، كقولك: «أنت أنت».

أو على معنى أن السابقين إلى الطاعة هم السابقون إلى الجنة.

وقيل: إن ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني صفة للأول أو تأكيدٌ، والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ١١﴾.

والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ٩﴾ وعلى هذا يوقف على ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني، ويبتدئ بما بعده.

---

(١) في ب، د، هـ: «الكتب».

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ الثلة: الجماعة من الناس، فالمعنى: أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين.

والأولون: هم أول هذه الأمة، والآخِرون: هم المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك: ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «الفرقتان في أمتي»[1]، وذلك لأن صدْر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثُر السابقون من السلف الصالح، وقلُّوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم»[2].

وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبيّ، فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها.

وقيل: إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة، والآخِرين هم هذه الأمة، فيقتضي هذا: أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة، وهذا بعيد.

وقيل: إن السابقين يراد بهم: الأنبياء؛ لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخِره.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ السرر: جمع سرير.

والموضونة: المنسوجة.

وقيل: المشبّكة بالدر والياقوت.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

وقيل: معناه: متواصلة قد أُدنِي بعضها من بعض.

﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض.

﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان: صغار الخدم، والمخلدون: الذين لا يموتون.

وقيل: المقرَّطون بالخَلَدات، وهي ضرب من الأقراط.

والأول أظهر.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الأكواب: جمع كوب، وهو الإناء وهو الذي لا أُذُن له ولا خرطوم يُمسَك به.

والأباريق: جمع إبريق، وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك به.

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في «الصافات»[1].

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يَلحق رؤوسهم الصداعُ الذي يصيب من خمر الدنيا.

وقيل: لا يُفرَّقون عنها، فهو من الصَّدْع وهو الفُرقة.

ومعنى ﴿لَا يُنزِفُونَ﴾: لا يَسكرون.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ قيل: يتخيَّرون ما شاؤوا؛ لكثرتها.

وقيل: متخيَّرة؛ أي: مَرْضيَّة.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ قدمنا معناه.

---

(١) انظر (٣/ ٦٦٤).

وقرئ:

[أ-] بالرفع:

على تقدير: فيها حور.

أو عطفٌ على الضمير في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾[(١)].

أو على ﴿وِلۡدَٰنٞ﴾.

[ب-] وبالخفض: عطف على المعنى كأنه قال: ينعَّمون بهذا كله وبحور عين.

وقيل: خفض على الجوار.

﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض ووصفه بالمكنون؛ لأنه أبعد عن تغير حسنه، وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي»[(٢)].

﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥﴾ اللغو: الكلام الساقط كالفحش وغيره.

والتأثيم: مصدر، بمعنى: لا يؤثِّم أحدٌ هناك نفسه ولا غيره.

﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦﴾ انتصب ﴿سَلَٰمٗا﴾ على أنه:

بدلٌ من ﴿قِيلٗا﴾.

---

(١) فيكون التقدير: استقرُّوا هم وحورٌ عينٌ حال كونهم متكئين. انظر: المحرر الوجيز (٨/ ١٩٦) والكشاف (١٥/ ١٩١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٠٤).

أو صفة له.

أو مفعول به لـ ﴿قِيلًا﴾؛ لأن معناه: قولٌ، ومعنى السلام على هذا التحية، والمعنى: أنهم يفشون السلام فيسلمون سلامًا بعد سلام.

ويحتمل أن يكون معناه: السلامة، فينتصب بفعل مضمر تقديره: اسلموا[1] سلامًا.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ هذا مبتدأ وخبره، قُصد به التعظيم فيوقف عليه، ويبتدأ بما بعده.

ويحتمل أن يكون الخبر ﴿فِى سِدْرٍ﴾، ويكون ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ اعتراضًا. والأول أحسن.

وكذلك إعراب ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ السدر: شجر معروف.

قال ابن عطية: وهو الذي يقال له: شجر أم غيلان[2].

وهو كثير في بلاد المشرق، وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض.

والمخضود: الذي لا شوك فيه، كأنه خُضِد شوكه، وذلك أن سدر الدنيا له شوك، فوصف سدر الجنة بضد ذلك.

وقيل: المخضود: هو المُوقَر الذي انثنت أغصانه من كثرة حِمله، فهو

---

(١) في ب، د: «سلموا».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٩٧).

على هذا: مِن خَضد الغصنَ: إذا ثنَاه.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ الطلح: شجر عظام كثيرة الشوك، قاله ابن عطية[١].

وقال الزمخشري: هو شجر الموز[٢].

وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقرأ علي ابن أبي طالب: «وطلع منضود» بالعين، فقيل له: إنما هو «وطلح» فقال: ما للطلح وللجنة! فقيل له: أنصلحها[٣] في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغيَّر.

والمنضود: الذي تنضَّد بالثمر من أعلاه إلى أسفله، حتى لا يظهر له ساق.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ أي: منبسط لا يزول؛ لأنه لا تنسخه شمس، وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾»[٤].

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾: أي: مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته.

وقيل: المعنى: أنه جارٍ في غير أخاديد.

وقيل: المعنى: أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب.

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ أي: لا ينقطع إبَّانها كفاكهة الدنيا، فإن

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٩٧).

(٢) الكشاف (١٥/ ١٩٦).

(٣) في ب، هـ: «أتصلحها».

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٥٢).

شجر الجنة تثمر في كل وقت، ولا تمتنع ببعد تناوُلِها ولا بغير ذلك من وجوه المنع.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأَسِرَّة، وقد روي أن ارتفاع سريرٍ منها مسيرة خمس مئة عام.

وقيل: هي النساء، وهذا بعيد.

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة، فإن سياق الكلام يقتضي ذلك، وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن قد تقدَّم ذكر الفُرش وهي تدل على النساء.

وأما من قال: إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها.

وقيل: يعود على الحور العين المذكورات قبل هذا، وذلك بعيد، فإن ذلك في وصف جنات السابقين، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين.

ومعنى إنشاء النساء: أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خَلْقًا آخر في غاية الحسن - بخلاف الدنيا -، فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسَنة.

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ روي: أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرًا.

﴿عُرُبًا﴾ جمع عَروب، وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته.

وعبَّر عنهن ابن عباس: بأنهن العواشق لأزواجهن.

وقيل: هي الحسنة الكلام.

﴿أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ أي: مستوياتٍ في السن مع أزواجهن، وروي أنهم يكونون في سن أبناء ثلاثة وثلاثين عامًا.

و﴿لِأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ على ما قال الزمخشري[1].

ويحتمل أن يتعلق بـ﴿أَتۡرَابٗا﴾، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى؛ أي: أترابٌ لأزواجهن.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠﴾ أي: جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي»[2]، وفي ذلك ردٌّ على من قال إنهما من غير هذه الأمة.

وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين، بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين؛ وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها؛ لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب اليمين فكثيرٌ في أولها وآخرها.



(١) الكشاف (١٥/ ٢٠١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٣٤).

[﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾
لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾
وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾
قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ
ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ
﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾
أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ
بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ
ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ
نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ
ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا
فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ
﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾].

﴿فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾﴾ السموم: الحر الشديد.

والحميم: الماء الحار جدًّا.

واليحموم: هو الأسود.

والظل من يحموم: هو الدخان في قول الجمهور.

وقيل: سرادق النار المحيط بأهلها؛ فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلّهم.

وقيل: هو جبل في جهنم.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ معنى ﴿يُصِرُّونَ﴾: يدومون من غير إقلاع.

و﴿الْحِنثِ﴾: هو الإثم.

وقيل: هو الشرك.

وقيل: الحنث في اليمين؛ أي اليمين الغموس.

﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ الآيةَ؛ معناها: أنهم أنكروا البعث بعد الموت.

وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في «الرعد»[1]، و﴿أَوَ آبَاؤُنَا﴾ في «الصافات»[2].

﴿أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ وزن ﴿الْهِيمِ﴾ فُعلٌ بضم الفاء، وكسرت الهاء لأجل الياء، وهو جمع أهْيم، وهو الجمل الذي أصابه الهُيام - بضم الهاء - وهو داء معطِّش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم، والأنثى هَيْماء.

وقيل: جمع هائم وهائمة.

وقيل: الهِيم: الرمال التي لا تَروى من الماء، وهو على هذا جمع هَيام - بفتح الهاء -.

وقرئ ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين، واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب؟

---

(١) انظر (٢/ ٦٦٩).

(٢) انظر (٣/ ٦٥٩).

وقرئ بالفتح، وهو مصدر.

فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ على ﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ ومعناهما واحد؟

فالجواب: أن المعنى مختلف؛ لأن الأول يقتضي الشرب مطلقًا، والآخر يقتضي الشرب الكثير المُشْبِه لشرب[1] الهيم.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ النُّزل: أول ما يأكله الضيف، فكأنه يقول: هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره؟

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيضٌ على التصديق إما بالخالق تعالى، وإما بالبعث؛ لأن الخلقة الأولى دليل عليه.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث، وتتضمن أيضًا وعيدًا وتعديدَ نِعم.

ومعنى ﴿تُمْنُونَ﴾: تقذفون المنيَّ في رحم المرأة.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ هذا توقيفٌ يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: جعلناه مقدرًا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ المسبوق على الشيء: هو المغلوب عليه؛ بحيث لا يقدر عليه.

---

(١) في ب، ج، هـ: «بشرب».

و﴿نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: معناه: نهلككم ونستبدل قومًا غيركم.

وقيل: نمسخكم قردة وخنازير.

و﴿نُنشِئَكُمْ﴾ معناه: نبعثكم بعد هلاككم.

و﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معناه: ننشئكم في خِلْقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه.

فمعنى الآية: أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديدٌ واحتجاج على البعث.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيضٌ على التذكُّرِ والاستدلالِ بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة.

وفي هذه دليل على صحة القياس.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ المراد بالزراعة هنا: إنبات ما يُزرع وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسول الله ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم زرعت، ولكن يقول حرثت»[1].

والمراد بالحرث: قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا: زرع، ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الحطام: اليابس المتفتت.

وقيل: معناه تبْنٌ بلا قمح.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٣٠)، والبزار في مسنده (١٧/ ٣٠٨).

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تطِّرحون الفَكاهة وهي المسرَّة، يقال: رجلٌ فَكِهٌ: إذا كان مسرورًا منبسط النفس، ويقال: تفكَّه إذا زالت عنه الفَكاهة فصار حزينًا؛ لأن صيغة «تفعَّل» تأتي لزوال الشيء، كقولهم: تحرَّج وتأثَّم: إذا زال عنه الحرج والإثم.

فالمعنى: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطامًا.

وقد عبر بعضهم عن ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ بأن معناه: تتفجعون.

وقيل: تندمون.

وقيل: تعجبون.

وهذه معانٍ متقاربة، والأصل ما ذكرنا.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ تقديره: تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطامًا.

والمُغرم المعذَّب؛ لأن الغرام هو أشد العذاب.

ويحتمل أن يكون من الغُرْم؛ أي: مثقلون بما غَرِمنا من النفقة على الزرع.

والمحروم: الذي حرمه الله الخير.

﴿مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ هي السحاب.

والأُجاج: الشديد الملوحة.

فإن قيل: لم ثبتت اللام في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾ وسقطت من قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا﴾؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه أغنى إثباتُها أولًا عن إثباتها ثانيًا مع قرب الموضعين.

والآخر: أن هذه اللام تدخل للتأكيد، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل.

﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ أي: تقدحونها من الزِّناد.

والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر وهو المرخ والعَفَار، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ أي: الشجرة التي تُزْنَد منها النار.

وقيل: أراد بالشجرة نفس النار؛ كأنه يقول: نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك، وهذا بعيد.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: تذكِّر بنار جهنم.

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ المتاع: ما يُتمتَّع به.

ويحتمل المقوين:

أن يكون من الأرض القَواء، وهي الفيافي، فمعنى المقوين: الذين دخلوا في القَواء، ولذلك عبر ابن عباس عنه: بالمسافرين.

ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزلُ: إذا خلا، فمعناه: الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام، ولذلك عبَّر بعضهم عنه: بالجائعين.

[﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ
كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ
ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ
إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾].

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ «لا» في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام، نحو: «ألا».

وقيل: هي نافية لكلام الكفار، كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار، وهذا ضعيف.

والأول أحسن؛ لأن زيادة «لا» كثيرة معروفة في كلام العرب.

و﴿مَوَاقِعِ النجوم﴾ فيه قولان:

أحدهما - **قول ابن عباس** - : إنها نجوم القرآن؛ إذ أُنزل على النبي ﷺ مقطَّعًا بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجمٌ.

والآخر - **قول كثير من المفسرين** - : إن النجوم الكواكب، ومواقعها: مغاربها ومساقطها.

وقيل: مواضعها من السماء.

وقيل: انكدارها يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه.

وقوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراضٌ بين الموصوف وصفته، فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك: تعظيم المقسم به، وهو مواقع النجوم.

وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ وأعاد الضمير على القرآن؛ لأن المعنى يقتضيه، أو لأنه مذكور على قول من قال: إن ﴿مَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ نزول القرآن.

﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ أي: مصون، والمراد بهذا الكتاب المكنون: المصاحف التي كُتب فيها القرآن.

أو صحف القرآن بأيدي الملائكة عليهم السلام.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون.

ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله، إلَّا أن هذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: أن مسَّ الكتاب حقيقة، ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز.

والآخر: أن الكتاب أقرب، والضمير يعود على أقرب مذكور.

فإذا قلنا: إنه يعود على الكتاب المكنون:

[أ-] فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة: فـ ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ يراد به الملائكة؛ لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب،

والآية إخبارٌ أنه لا يمسه إلَّا هم دون غيرهم.

[ب-] وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف الذي[١] بأيدي الناس: فيحتمل:

أن يريد بالمطهَّرين المسلمين؛ لأنهم مطهرون من الكفر.

أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر، وهو الجنابة والحيض، فالطهارة على هذا: الاغتسال.

أو المطهرين من الحدث الأصغر، فالطهارة على هذا: الوضوء.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: خبرًا، أو نهيًا.

على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيًا، وقال: لو كان نهيًا لكان بفتح السين.

وقال المحققون: إن النهيَ يصح مع ضم السين؛ لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزومًا واتصل به ضمير المفرد المذكر ضُمَّ عند التقاء الساكنين؛ إتْباعًا لحركة الضمير.

وإذا جعلناه خبرًا فيحتمل:

أن يقصد به مجرد الإخبار.

أو يكون خبرًا بمعنى النهي.

وإذا كان لمجرَّد الإخبار، فالمعنى: أنه لا ينبغي أن يمسه إلَّا المطهرون؛

---

(١) في أ، ب: «الصحف التي».

أي: هذا حقُّه وإن وقع خلافُ ذلك.

واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسَب الاحتمالات في الآية:

فأجمعوا على أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهَّرين المسلمين، فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك.

وأما المحدث ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثًا أصغر، وهذا قول مالك وأصحابه، ومنعوا أيضًا أن يحمله بعِلَاقة أو وِسادة.

وحجتهم: الآية، على أن يراد بالمطهرين الطهارةُ من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة.

ومن حجتهم أيضًا: كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرِو بن حزم: **«أن لا يمس القرآن إلا طاهر»**(١).

القول الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثًا أصغر، وهو مذهب أحمد بن حنبل(٢) والظاهرية، وحملوا المطهرين على أنهم

---

(١) رواه مالك مرسلا (٢٣٤)، وابن حبان (١٤/ ٥٠٤) والدارقطني (١/ ١٢١) متصلا.

(٢) في نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد نظرٌ، فمذهب الإمام أحمد أنه يحرم على المحدث حدثًا أصغر أو أكبر مسُّ المصحف. انظر: الشرح الكبير مع الإنصاف (٢/ ٧١).

المسلمون أو الملائكة، أو جعلوا ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ لمجرد الإخبار.

والقول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، (وحمل صاحب هذا القول المطهرين على أنه يراد به: الطهارة من الحدث الأكبر)[1].

ورخص مالك في مسه على غير وضوء للمعلم والصِّبيان؛ لأجل المشقة.

واختلفوا في قراءة الجنب القرآنَ:

فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقًا.

وأجازه الظاهرية مطلقًا.

وأجاز مالك قراءة الآيات اليسيرة.

واختلفوا في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب:

فعن مالك في ذلك روايتان.

وفرق بعضهم بين الكثير واليسير.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ هذا خطاب للكفار، والحديث المشار إليه: هو القرآن.

و﴿مُّدْهِنُونَ﴾: معناه متهاونون، وأصله من المداهنة وهي لين الجانب، والموافقة بالظاهر لا بالباطن.

وقال ابن عباس: معناه: مكذِّبون.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون على

---

(١) سقط من أ، ج، هـ

أن الآية توبيخ للقائلين في المطر: إنه نزل بنَوء كذا وكذا[(١)].

فالمعنى: تجعلون شُكْرَ رِزقِكُم التكذيبَ، فحذف «شُكْرَ»؛ لدلالة المعنى عليه.

وقرأ علي ابن أبي طالب: «وتجعلون شكركم أنكم تَكْذِبون»، وكذلك قرأ ابن عباس، إلَّا أنه قرأ «تُكذِّبون» بضم التاء وبالتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي: يَكْذبون في قولهم: نزل المطر بنَوء كذا.

ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا و[(٢)]كوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»[(٣)].

والمنهي عنه في هذا الباب: أن يعتقد أن للكواكب تأثيرًا في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بأس به كقوله ﷺ: «إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»[(٤)]، وقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون: إنها

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢١٣).
(٢) في ب، د: «أو».
(٣) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).
(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٦١٣).

تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا، قال ابن المسيب: فما مضت سبع حتى مطروا[١].

وقيل: إن معنى الآية: تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ؛ فإنهم كانوا يقولون: إن آمنا به حرمنا الله الرزق، كقولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧]، فأنكر الله عليهم ذلك.

وإعراب ﴿أَنَّكُمْ﴾ على هذا القول: مفعول بـ ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره: تجعلون سبب رزقكم التكذيب.

ويحتمل أن يكون مفعولًا من أجله، تقديره: تجعلون رزقكم حاصلًا من أجل أنكم تكذبون.

وأما على القول الأول فإعراب ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ مفعولٌ، لا غير.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عرضٌ.

والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك.

وبلوغها للحلقوم: حين الموت.

والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَا﴾ هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾؛ أي: هلَّا رددتم النفس حين الموت.

ومعنى الآية: احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم بأنهم إذا حضر أحدَهم الموت لم يقدروا أن يردُّوا روحه إلى جسده، وذلك دليلٌ على أنهم عبيد مقهورون.

---

(١) أخرجه الحميدي في مسنده (٢/ ٤٣٢)، والبيهقي في السنن الكبير (٣/ ٣٥٩).

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميتَ من أقاربه وغيرهم، يعني: تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يحتمل أن يريد:

قُرْب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه.

أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح، فيكون من قرب المسافة.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ إن أراد بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾:

الملائكة فقوله: ﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من رؤية العين.

وإن أراد نفسه تعالى: فهو من رؤية القلب.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ﴿لَوْلَآ﴾ هنا عرض كالأولى، وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَآ﴾ الأولى والثانية قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾؛ أي: هلّا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مربوبين ومقهورين، فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم.

وترتيب الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين؟؛ فارجعوها إن كنتم صادقين.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمتوفَّى.

وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

فالمراد بـ ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ هنا: السابقون المذكورون هناك.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الرَّوح: الاستراحة.

وقيل: الرحمة، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الراء[1]، ومعناه الرحمة.

وقيل: الخلود، أي: بقاء الروح.

وأما الريحان:

فقيل: إنه الرزق.

وقيل: الاستراحة.

وقيل: الطيب.

وقيل: الريحان المعروف في الدنيا يلقاه في الجنة.

وفي قوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ معنى هذا على الجملة: نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم.

والسلام هنا يحتمل أن يكون: بمعنى السلامة، أو التحية.

والخطاب في ذلك يحتمل: أن يكون للنبي ﷺ، أو لأحد أصحاب اليمين.

[أ-] فإن كان للنبي ﷺ: فالسلام بمعنى السلامة، والمعنى: سلام لك يا محمد منهم، أي: لا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٨٧).

[ب-] وإن كان الخطاب لأحد أصحاب اليمين:

فالسلام بمعنى التحية، والمعنى: سلام لك، أي: تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك، وهم أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك، فهو كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

أو يكون بمعنى السلامة، والتقدير: سلامة لك يا صاحب اليمين، ثم يكون قوله: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره: أنت من أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني: الكفار، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ النُّزل: أول شيء يقدَّم للضيف.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ الإشارة إلى تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة.

و﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: معناه الثابت من اليقين.

وقيل: إن الحق واليقين بمعنى واحد، فهو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع.

واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: «هذا يقين اليقين» أو «صواب الصواب»، بمعنى: أنه نهاية الصواب[1].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢١٦).

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ قال عليه السلام: «اجعلوها في سجودكم»[1].

فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى» وفي الركوع: «سبحان ربي العظيم».

وأوجبه الظاهرية.

ويحتمل أن يكون المعنى:

سبِّح الله بذكر أسمائه، والاسم هنا: جنس الأسماء، و﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة للرب.

أو يكون الاسم هنا واحدًا، و﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة له، فكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه: اتصال سورة «الحديد» بها، وفي أولها التسبيح وجملةٌ من أسماء الله وصفاته.

قال ابن عباس: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد.

وروي أن الدعاء بعد قراءتها مستجاب.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

﴿ سورة الحديد ﴾

[﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أول سائر السور المسبّحات يحتمل:

أن يكون حقيقة.

وأن يكون بلسان الحال؛ لأن كل ما[١] في السموات والأرض دليلٌ على وجود الله وقدرته وحكمته.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وذكر التسبيح هنا وفي «الحشر» و«الصف» بلفظ الماضي، وفي «الجمعة» و«التغابن» بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾ أي: ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ أي: الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة عليه، الباطن: الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كُنْه ذاته.

وقيل: الظاهر: العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظهَرتُ على الشيء: إذا علوتَ عليه، والباطن: الذي بطَن كل شيء أي: علم باطنه. والأول أظهر وأرجح[٢].

ودخلت الواو بين هذه الصفات؛ لتدل على أنه تعالى جامع لها، مع اختلاف معانيها.

---

(١) في ب، د: «من».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «والأول أظهر وأرجح» أقول: يريد القول الأول في تفسير الظاهر والباطن من أسماء الله، والصواب في تفسير هذين الاسمين هو القول الثاني؛ لأنه الموافق لتفسيره ﷺ؛ إذ قال في الدعاء: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»، وإنما رجَّح المؤلف القول الأول فرارا من إثبات علوه تعالى بذاته فوق مخلوقاته، ونفيُ ذلك هو مذهب الأشاعرة، وإثباته هو مذهب أهل السنة، كما تقدم قريبا.

وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان.

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد ذُكِر، وكذلك ما بعده[١].

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني: أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾ ذكر في «الحج»[٢]، و«لقمان»[٣].

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: الإنفاق في سبيل الله وطاعته.

روي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا: روي أن قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ﴾ نزلت في عثمان بن عفان ﷺ، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ.

ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس.

وقوله: ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله؛ لأنه خلقها، ولكنه متَّعكم بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه.

ويحتمل أن يعني: ﴿جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ ممن كان قبلكم فورثتم عنهم الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلِّفوها لمن بعدكم، كما خلَّفها لكم مَن كان قبلكم.

---

(١) انظر (٢/ ٣٤٩)، (٣/ ٥٧٢).

(٢) انظر (٣/ ٢١٦).

(٣) انظر (٣/ ٥١١).

والمقصود على كل وجه: تحريضٌ على الإنفاق وتزهيدٌ في الدنيا.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ معناه: أيُّ شيء يمنعكم من الإيمان، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة؟

فقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار، و﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ﴿وَمَا لَكُمْ﴾[1]، والواو في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال.

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق:

ما جَعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان.

أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم؛ حين أخرجهم من ظهر آدم، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، والعبودية هنا: للتشريف والاختصاص، والآيات هنا: القرآن.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معناه: أيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والله يرث ما في السموات والأرض إذا أفنى[2] أهلها؟

ففي ذلك تحريضٌ على الإنفاق وتزهيد في الدنيا.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الفتح هنا: فتح مكة.

وقيل: صلح الحديبية.

---

(١) قال في الكشاف (١٥/ ٢٣٣): «كما تقول: مالك قائمًا، بمعنى: ما تصنع قائمًا».
(٢) في د: «فني».

والأول أظهر وأشهر.

ومعنى الآية: التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك؛ فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفًا، والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد.

ويؤخذ من الآية: أن من أنفق في شدةٍ أعظمُ أجرًا ممن أنفق في حال الرخاء.

وفي الآية حذفٌ دلَّ عليه الكلام، تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل، ثم حذف ذلك؛ لدلالة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾.

وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[1]، يعني: السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

[﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا
انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ
الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾
فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا
كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾
اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ
الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾].

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ ذكر في «البقرة»[1].

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف: ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أو تقدير: اذكر.

﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ قيل: إن هذا النور استعارةٌ يراد به الهدى والرضوان.

والصحيح هو قول الجمهور: أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[2]، فالمعنى على هذا: أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نورٌ يضيء

---

(١) انظر (١/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٩٨).

قُدَّامهم وعن يمين كل واحد منهم، وقيل: يكون أصله في أيمانهم، يحملونه فينبسط[١] نوره قدَّامهم.

وروي أن نور كل أحد على قدْر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة السَّحوق[٢]، ومنهم من يضيء ما قرُب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويَهِمُّ بالانطفاء مرة.

قال ابن عطية: ومن هذه الآية أخذ الناس مَشْيَ المُعتَق بالشمعة قُدَّام مُعتِقه إذا مات[٣].

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ ﴿يَوْمَ﴾: بدلٌ من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾.

أو متعلِّق بـ ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، أو بمحذوف: تقديره اذكر.

ومعنى الآية: أن كل مؤمن ومُظْهرٍ للإيمان يُعطى يوم القيامة نورًا، فيبقى نور المؤمنين، وينطفئ نور المنافقين، فيقول المنافقون للمؤمنين ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي: نأخذ منه ونستضيء به.

ومعنى ﴿ٱنظُرُونَا﴾: انتظرونا، وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف، والمنافقون ليسوا كذلك.

---

(١) في ب: «فيسطع».

(٢) النخلة السَّحُوق: أي الطويلة التي بَعُد ثمرُها على المجتني. كما في لسان العرب مادة (سحق).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٢٢٦).

ويحتمل أن يكون من النظر؛ أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤوا بنورهم، ولكن يَضْعف هذا؛ لأن «نظَر» إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بـ «إلى».

وقرئ ﴿أَنظِرُونَا﴾ بهمزة قطع، ومعناه: أخِّرونا، أي: أمهلوا في مشيكم حتى نَلحقكم.

﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا: من قول المؤمنين، أو قول الملائكة.

ومعناه: الطرد للمنافقين، والتهكُّم بهم؛ لأنهم قد علموا أنهم ليس وراءهم نور.

و﴿وَرَآءَكُمْ﴾ ظرف العامل فيه ﴿ٱرْجِعُواْ﴾.

وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وإنه كما لو قال: «ارجعوا ارجعوا».

ومعنى هذا الرجوع:

ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور.

أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان.

أو ارجعوا خائبين، وتنحَّوا عنا فالتمسوا نورًا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ أي: ضُرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه.

وقيل: إن هذا السور هو الأعراف، وهو سور[1] بين الجنة والنار.

وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس، وهذا بعيد.

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ باطنه: هو جهة المؤمنين، وظاهره: هو جهة المنافقين وهي خارجهُ، كقولك: ظاهر المدينة أي: خارجها.

والضمير في ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾: يحتمل أن يكون:

للسور.

أو للباب.

والأول أظهر.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؟ يريدون إظهارهم للإيمان.

﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أبطأتم بإيمانكم.

وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين.

﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في الإيمان.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يَهلِك النبي ﷺ والمؤمنون، أو يُهزَموا، إلى غير ذلك من الأمانيِّ الكاذبة.

---

(١) في ج: «سد».

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام.

أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب.

﴿ٱلۡغَرُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أي: هي أولى بكم، وحقيقة المولى: الولي الناصر، فكأنَّ هذا استعارةٌ منه، أي: لا وليَّ لكم تأوون إليه إلَّا النار.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ معنى ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾: ألم يَحِنْ، يقال: أَنَى الأمرُ: إذا حان وقته.

وذِكْرُ الله يحتمل أن يريد به:

القرآن.

أو الذكر.

أو التذكير بالمواعظ.

وهذه آية موعظة وتذكير.

قال ابن عباس: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن.

وسمع الفضيل بن عياض قارئًا يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكان سبب رجوعه إلى الله.

وحُكي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه، فنطق بهذه الآية، فكسره ابن المبارك، وتاب إلى الله.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ عَطَفَ ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ على ﴿أَن تَخْشَعَ﴾.

ويحتمل أن يكون نهيًا.

والمراد: التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى.

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: مدة الحياة.

وقيل: انتظار القيامة.

وقيل: انتظار الفتح.

والأول أظهر.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات.

وقيل: إنه تمثيل للقلوب؛ أي: يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين نُدبوا إلى أن تخشع قلوبهم.

والأول أرجح؛ لأنه الحقيقة.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بتشديد الصاد، من الصدقة، وأصله: «المتصدقين»، وكذلك قرأ أبيّ بن كعب.

وقرئ بالتخفيف من التصديق، أي: صدَّقوا الرسولَ ﷺ.

﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: «إن الذين تصدقوا وأقرضوا».

وقد ذكرنا معنى ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ في قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥][1].

﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ مبالغة من الصدق، أو من التصديق.

وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة «فِعِّيل» لا تبنى إلَّا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حُكي بناؤها من رباعي كقولهم: رجل مِسِّيكٌ: مِن أَمسك.

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾:

مبتدأ وخبره ما بعده.

أو يكون معطوفًا على الصديقين.

[أ-] فإن كان مبتدأ: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.

والآخر: أنه جمع شاهد، ويراد بهم الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم يشهدون على قومهم.

[ب-] وإن كان معطوفًا: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء

---

(١) انظر (١/ ٤٦٧).

أي: جمعوا الوصفين، وروي في هذا المعنى: أن رسول الله ﷺ قال: «مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية[(١)].

والآخر: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبرٌ عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ.

وخبر عن المؤمنين إن كان ﴿وَالشُّهَدَآءُ﴾ معطوفًا.

و﴿نُورُهُمْ﴾ هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة، حسَبما ذكر في هذه السورة.

وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان.

* * *

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤١٤).

[﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى
ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ
ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ
وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾].

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ الآيةَ؛ معناها: تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيُّره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره.

و﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ هنا يراد به: الزُّرَّاع، فهو من قولهم: كفَرتُ الحبَّ: أي سترتُه تحت الأرض، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصر بالزرع والفِلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيقٌ أن يُعجِب.

وقيل: أراد الكفار بالله، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجابًا بالدنيا وأكثر حرصًا عليها.

﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة:

فقيل: المعنى كونوا في أول صف من القتال.

وقيل: احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام.

وقيل: كونوا أول داخل إلى المسجد، وآخر خارج منه.

وهذه أمثلة، والمعنى العام: المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحة.

وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات، بدليل قوله في «آل عمران»: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقد ذكرنا هناك معنى ﴿عَرْضُهَا﴾[١].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ المعنى: أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»[٢].

والمصيبة هنا: عبارة عن كل ما يصيب[٣] من خير أو شر.

وقيل: أراد به المصيبة في العرف، وهو ما يصيب من الشر، وخصَّ ذلك بالذكر؛ لأنه أهم على الناس.

و﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: القحوط والزلازل وغير ذلك.

---

(١) انظر (١/ ٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) في ب زيادة: «الإنسان».

و﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني: الموت، والفقر، وغير ذلك.

و﴿نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ معناه: نخلقها.

والضمير يعود: على المصيبة، أو على أنفسكم، أو على الأرض.

وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ المعنى: فعَل الله ذلك وأخبركم به لكي تسلموا لقضاء الله، ولا تكترثوا بأمور الدنيا.

ومعنى ﴿لَا تَأۡسَوۡاْ﴾: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا بها.

وقرأ الجمهور: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ بالمدّ؛ أي: بما أعطاكم الله من الدنيا.

وقرأ أبو عمرٍو: ﴿بِمَآ أَتَاكُمْ﴾ بالقصر؛ أي: بما جاءكم من الدنيا.

فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - لما أُتي بمال كثير -: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا».

فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم.

﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ المختال: صاحب الخيلاء، والفخور: الشديد الفخر على الناس.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدل من ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هم الذين.

أو منصوب بإضمار: أعني.

أو مبتدأ وخبره محذوف.

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا: جنس الكتب.

والميزان: العدل.

وقيل: الميزان الذي يوزن به.

وروي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له: مُرْ قومك يزنوا به.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ عبَّر عن خلقه وإيجاده بالإنزال.

وقيل: بل أنزله حقيقة؛ لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: أنه يعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾.

والمنافع للناس: سكك الحرث والمسامير وغير ذلك.

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾].

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ أي: من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون؛ لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿قَفَّيْنَا﴾ ذكر في «البقرة»(١).

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب محمد ﷺ، بأنهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية: هي الانفراد في الجبال، والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا.

ومعنى ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾: أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم.

وإعراب ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ معطوف على ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، أي: جعل الله في

---

(١) انظر (١/ ٣٣٤).

قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ صفة للرهبانية، والجعْل هنا بمعنى الخلق.

والمعتزلة يعربون ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً﴾ مفعولًا بفعل مضمر يفسِّره ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي.

وذكر الزمخشري الوجهين(١)(٢).

﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ كتبنا هنا: بمعنى فرضنا وشرعنا.

وفي هذا قولان:

أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى: ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم؛ ابتغاءَ رضوان الله.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «وإعراب (رهبانية) معطوف على (رأفةً ورحمةً») إلخ، أقول: تضمَّن كلام المؤلف ذكر الوجهين في إعراب رهبانية، هل هي عطف على رأفة ورحمة؟ أو نصب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره ما بعده، والتقدير: ابتدعوا رهبانية؟ ورجح المصنف الوجه الأول، ونسب الثاني للمعتزلة؛ لئلا يتعلق الجعْل بمعنى الخلق بالرهبانية، وهي من فعل العبد، وعندهم أن العبد هو الذي يخلق فعله.

وأقول: إن الإعراب الثاني هو الراجح، وقد ذهب إليه جمع كالبغوي والقرطبي وابن عاشور وغيرهم؛ وذلك لأن مفعول جعَل في الآية مقيَّدٌ في القلوب ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ﴾، والرهبانية سلوك ظاهر، وليس في إعراب رهبانية على الوجه الثاني حجة للمعتزلة، ولا منفعة للمخالف. قاله الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ.

والآخر: أن الاستثناء متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود: «ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها».

﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ أي: لم يدوموا عليها، ولم يحافظوا على الوفاء بها، يعني: أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم.

والضمير في ﴿رَعَوۡهَا﴾ للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها، وإن لم يكتبها الله ﷻ عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه.

وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.

﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا يُبتغى؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معنى ﴿ءَامِنُواْ﴾ دوموا على الإيمان واثبتوا عليه.

والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمَنوا بموسى وعيسى آمِنوا بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا: قوله: ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ أي: نصيبين، وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتَون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي. . .» الحديث[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يحتمل أن يريد:

النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة.

أو يكون عبارة عن الهدى.

ويؤيد الأول: أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ «لا» في قوله: ﴿لِّئَلَّا﴾ زائدة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك قرأها ابن عباس.

وقرأ ابن مسعود: «لكي يعلم».

والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب: يا أهل الكتاب آمِنوا بمحمد ﷺ؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يسلموا، فلا ينالون شيئًا من ذلك.

وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئًا مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة.

وقد روي أن سبب الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين، فنزلت الآية في الرد عليهم، فهذا يقوي هذا القول.

وروي أيضًا أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين، فنزلت الآية مُعْلِمةً أن المسلمين مثلهم في ذلك.

﴿ سورة المجادلة ﴾

[﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾].

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية في خولة بنت حكيم.

وقيل: خولة بنت ثعلبة.

وقيل: خولة بنت خويلد.

وقيل: اسمها: جميلة.

وكانت امرأةَ أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت، فظاهر منها، وكان الظِّهار في الجاهلية يوجب تحريمًا مؤبَّدًا، فلما فعل أوسٌ ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أوسًا أكل

شبابي ونثرتُ له بطني[١]، فلما كَبِرتُ ومات أهلي ظاهر مني!، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمتِ عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل!؛ فإني وحيدة، ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها[٢].

﴿وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كانت تقول: «اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري».

وروي أنها كانت تقول: «اللهم إن لي منه صبيةً صغارًا إن ضممتهم إليَّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا».

﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ المحاورة: هي المراجعة في الكلام.

قالت عائشة ﵂: سبحان من وسع سمعه الأصوات!، لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى عليَّ وسمع الله كلامها[٣].

ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زوجها وقال له: «أَتُعتِق رقبة؟»، فقال: والله ما أملكها. فقال: «أتصوم شهرين متتابعين؟»، فقال: والله ما أقدر، فقال له: «أتطعم ستين مسكينًا؟» فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة

---

(١) أرادت أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده. النهاية لابن الأثير (٩/ ٤٠٦٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٦٣)، والحاكم (٢/ ٥٢٣)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٥٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٧٦)، وابن ماجه (١٨٩)، والبخاري تعليقا (٩/ ١١٧) بلفظ: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات..».

عشر صاعًا، وقيل: بثلاثين صاعًا ودعا له، فكفَّر بالإطعام وأمسك زوجته[١].

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرئ ﴿يَظَّهَّرُونَ﴾ بألف بعد الظاء وبحذفها، وبالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار.

والظهار المجمع عليه: هو أن يقول الرجل لامرأته: «أنت عليَّ كظهر أمي».

ويجري مجرى ذلك عند مالك: تشبيه الزوجة بكل امرأة محرَّمة على التأبيد، كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سواءٌ ذكَر لفظ الظَّهْر أو لم يذكره، كقوله: «أنت علي كأمي» أو «كبطن أمي» أو «يدها» أو «رجلها»، خلافًا للشافعي؛ فإن ذلك كلَّه ليس عنده بظهار؛ لأنه وقَف عند لفظ الآية، وقاس مالك عليه؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ ردَّ الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمًّا باطلٌ؛ فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر: هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور: هو الكذب، وإنما جعله كذبًا؛ لأن المظاهر يصيِّر امرأته كأمه. وهي لا تصير كذلك أبدًا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٤٦).

والظهار محرَّم، ويدل على تحريمه أربعة أشياء:

أحدها: قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾؛ فإن ذلك تكذيب للمُظاهر.

والثاني: أنه سماه منكرًا.

والثالث: أنه سماه زورًا.

والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب.

وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ اختَلف الناس في معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ على ستة أقوال:

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية، فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عَودٌ إليه، هذا قول ابن قتيبة(١)، فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار، بخلاف أقوال غيره، فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعَود معًا.

الثاني: أن العود هو وطء الزوجة، روي ذلك عن مالك، فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ(٢) وجبت عليه الكفارة، سواءٌ أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الثالث: أن العود هو العزم على الوطء، وروي هذا أيضًا عن مالك، فإذا

---

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) في ب، ج: «وطئها».

عزم على الوطء وجبت الكفارة، سواءٌ أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمساك الزوجة، وهذا أصح الروايات عن مالك.

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة، وهذا مذهب الشافعي، فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار لزمته الكفارة.

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى، وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف؛ لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكمًا في أول مرة، وإنما يوجبه في الثانية، وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة، فذلك يردُّ عليهم.

ويختلف معنى ﴿لِمَا قَالُوا۟﴾ باختلاف هذه الأقوال:

فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية: فـ«ما» مصدرية، والمعنى: يعودون لقولهم.

وأما على سائر الأقوال فـ«ما» بمعنى «الذي»، والمعنى: يعودون للوطء الذي حرَّموه، أو للعزم عليه، أو للإمساك الذي تركوه، أو للعزم عليه.

﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة، لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني:

فالأول: تحرير رقبة.

والثاني: صيام شهرين متتابعين.

والثالث: إطعام ستين مسكينًا.

فأما الرقبة: فاشترط مالك أن تكون مؤمنة؛ لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة، وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان.

وأما صيام الشهرين: فاشتُرط فيه التتابع، فإن أفسد الصائمُ التتابع باختياره: ابتدأه من أوله باتفاق.

وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان:

فقال مالك: يبني على ما كان معه.

وقال أبو حنيفة: يبتدئ.

وروي القولان عن الشافعي.

وأما الإطعام: فمشهور مذهب مالك: أنه مدٌّ لكل مسكين بمد هشام(١)، واختُلف في مد هشام:

فقيل: إنه مدَّان غيرَ ثلث بمد النبي ﷺ.

وقيل: إنه مدٌّ وثلث.

وقيل: إنه مدان.

وقال الشافعي وابن القصَّار: يطعم مدًّا بمد النبي ﷺ لكل مسكين.

ولا يجزئه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينًا واحدًا ستين يومًا: لم يُجْزِه عند مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين.

---

(١) هو هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة المخزومي، عامل المدينة لعبد الملك بن مروان. انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ٢٢٢).

والطعام يكون من غالب قوت البلد.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ مذهب مالك والجمهور: أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئًا من ذلك حتى يكفِّر.

وقال الحسن والثوري: أراد الوطء خاصة، فأباحا ما دونه قبل الكفارة.

وذكر الله قوله: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ في التحرير والصوم، ولم يذكره في الإطعام، فاختلف العلماء في ذلك:

فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد.

وقال أبو حنيفة: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة؛ لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس.

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم[١].

وقال الزمخشري: المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا[٢]، وهذا أظهر؛ لأنه أعم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يخالفون ويعادون.

﴿كُبِتُواْ﴾ أي: أُهلكوا.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٤٧).

(٢) الكشاف (١٥/ ٢٧٨).

وقيل: لعنوا.

وقيل: كُبِت الرجل: إذا بقي خَزْيان.

ونزلت الآية في المنافقين واليهود.

* * *

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾].

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ يَحتمل أن يكون النجوى هنا:

بمعنى الكلام الخفي، فيكون ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ مضافًا إليه.

أو بمعنى الجماعة من الناس، فيكون ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ بدلًا، أو صفة.

والأول أحسن.

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني: بعلمه وإحاطته، وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ﴾، و﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ نزل في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما

بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا.

وقيل: نزلت في المنافقين.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ لأن هذا من فعل اليهود.

والأحسن أن يريد اليهود والمنافقين معًا؛ لقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ فنزلت في الطائفتين.

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون: «السام عليك يا محمد»، بدلًا من «السلام عليكم[1]»، والسام: الموت، وهو ما أرادوه بقولهم، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم: «وعليكم»، فسمعتهم عائشة يومًا فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة! ؛ إن الله يكره الفحش والتفحُّش»، قالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: «أما سمعت ما قلت لهم؟ إني قلت: وعليكم»[2].

ويريد بقوله: ﴿بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل: ٥٩].

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبيًّا لعذَّبنا الله بإذايته، فقال الله: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ أي: يكفيهم ذلك عذابًا.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قيل[3]: يعني: النجوى

---

(١) في أ، هـ: «عليك».

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) لم ترد في ب، د.

بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك؛ لدلالة الأول عليه.

وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيُحْزِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجْلِسِ فَٱفْسَحُوا۟﴾ اختُلف في سبب الآية:

فقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال.

وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه.

وقيل: أقام النبي ﷺ قومًا ليُجلسَ أشياخًا من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية.

ثم اختُلف هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟

فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدلُّ على ذلك قراءة ﴿ٱلْمَجْلِسِ﴾ بالإفراد.

وذهب الجمهور إلى أنها عامة، ويدل على ذلك قراءة ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ بالجمع، وهذا هو الأصح، ويكون ﴿ٱلْمَجْلِسِ﴾ بالإفراد على هذا للجنس.

والتفسُّح المأمور به: هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«لا يقم أحدٌ أحدًا من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»**[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).

وقد اختُلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد؛ هل هو على التحريم أو الكراهة؟

﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسِّع لكم في جنته ورحمته.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ أي: إذا قيل لكم: ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك.

واختُلف في هذا النشوز المأمور به:

فقيل: إذا دُعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعةٍ.

وقيل: إذا أُمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحيانًا، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام.

وقيل: المراد: القيام في المجلس للتوسع.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: يرفع اللهُ المؤمنين العلماء درجاتٍ، فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ صفة لـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، كقولك: «جاءني العاقل والكريم»، وأنت تريد رجلًا واحدًا.

والثاني: يرفع اللهُ المؤمنين والعلماء الصنفين جميعًا درجاتٍ.

فالدرجات:

على الأول: للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء.

وعلى الثاني: للمؤمنين الذين ليسوا علماء، وللعلماء أيضًا، ولكن

بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يؤخذ من موضع آخر، كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[١]، وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلًا»[٢]، وقوله عليه السلام: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[٣] فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين!.

﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ قال ابن عباس: سببها أن قومًا من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة، إلا لتظهر[٤] منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمْحًا لا يرد أحدًا، فنزلت الآية مشدِّدةً في أمر المناجاة.

وقيل: سببها: أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاته ﷺ.

وهذه الآية منسوخة باتفاق، نسَخها قوله بعدها: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ الآيةَ، فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان قد أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام.

واختُلف هل كان هذا النسخ بعد أن عُمل بالآية أم لا؟

فقال قوم: لم يعمل بها أحد.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣).

(٤) في أ: «ليظهروا».

وقال قوم: عمل بها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فإنه روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار.

ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرًا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتةً له بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها:

عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها.

أو[1] تخفيفها بعد وجوبها.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: دُوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم، دون ما كنتم قد كلِّفتم من الصدقة عند المناجاة.

---

(١) في ب، ج: «و».

[﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا
أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ
كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰٓئِكَ
كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قومًا من اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعني: أن المنافقين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود، فهو كقوله فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مرارًا كثيرة هي مذكورة في السِّيَر وغيرها.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الجُنَّة: ما يُستتَر به ويُتقَّى به المحذورُ كالتُّرس ثم استُعمل هنا استعارةً؛ لأنهم كانوا يظهرون الأَيمان لتُعصم دماؤهم وأموالهم.

وقرئ ﴿اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: غلب عليهم وتملَّك نفوسهم.

﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في جملة الأذلين؛ أي: معهم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى وقدَّر.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآيةَ؛ معناها: لا تجد مؤمنًا يحب كافرًا ولو كان أقرب الناس إليه، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة ﷺ يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارًا، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز[1] بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد.

وقيل: إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله ﷺ.

والأحسن أنها على العموم.

وقيل: نزلت فيمن يصحب السلطان، وذلك بعيد.

﴿يُوَادُّونَ﴾ هذه مفاعلة من المودَّة، فتقضي أن المودَّة من الجهتين.

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي: عاداه وخالفه.

---

(١) الذي في سيرة ابن هشام (١/ ٦٤٥) أن اسمه: «أبو عزيز».

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي: أثبته فيها كأنه مكتوب.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلطف وهدى وتوفيق.

وقيل: بالقرآن.

وقيل: بجبريل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ هذه[1] في مقابلة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

والحزب: هم الجماعة المتحزِّبون لمن أُضِيفوا إليه.



(١) في ج، د: «هذا».

﴿ سورة الحشر ﴾

نزلت هذه السورة[١] في اليهود[٢] بني النَّضِير، وكانوا في حصون بمقرُبة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فأرادوا غدره، فأطْلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم، فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد.

[﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ

(١) في أ: «الآية».

(٢) في د: «يهود».

وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: بني النضير.

﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ﴾ في معناه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حشر القيامة، أي: خروجهم من حصونهم أولُ الحشر، والقيامُ من القبور آخرُه، وروي في هذا المعنى: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر، وأنا على الأثر»(١).

الثاني: أن المعنى: لأول موضع الحشر وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام، وقد جاء في الأثر: أن حشر(٢) القيامة إلى أرض الشام.

وروي في هذا المعنى: أن النبي ﷺ قال لبني النضير: «اخرجوا». قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»(٣).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٩٩).

(٢) في ب زيادة: «الناس يوم»

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٤٥).

الثالث: أن المراد: الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم: أول الحشر، وإخراج أهل خيبر: آخره.

الرابع: أن معناه: إخراجهم[1] من ديارهم لأول ما حَشر لقتالهم؛ لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ.

وقال الزمخشري: اللام في قوله: ﴿لِأَوَّلِ﴾ بمعنى: «عند»، كقولك: جئت لوقت كذا[2].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ يعني: لكثرة عدَّتهم ومنَعة حصونهم.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارةٌ عن أخذ الله لهم.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراب المؤمنين: فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله: ﴿يُخْرِبُونَ﴾؛ لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم.

وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد:

أحدها: حاجتهم إلى الخشب والحجارة؛ ليسدّوا بها أفواه الأزِقَّة ويحصِّنوا ما خرَّبه المسلمون من الأسوار.

والآخر: ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك.

والثالث: أن لا تبقى مساكنهم مبنيةً للمسلمين، فهدموها شحًّا عليهم.

---

(١) في د، هـ: «أخرجهم».

(٢) الكشاف (١٥/ ٣٠٤).

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ استدلَّ الذين أثبوا القياس في الفقه بهذه الآية، واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها.

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ الجلاء: هو الخروج عن الوطن، فالمعنى: لولا أن كتب الله على بني النضير خروجَهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بني قريظة، ولهم مع ذلك عذاب النار.

﴿شَآقُّواْ﴾ ذكر في «الأنفال»[1].

﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ اللِّينة: هي النخلة.

وقيل: هي الكريمة من النخل.

وقيل: النخلة التي ليست بعَجْوة.

وقيل: ألوان النخل المختلطة.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم، وأحرقوا، فقال بنو النضير: ما هذا الإفساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد!، فنزلت الآية مُعْلمةً أن كل ما جرى من قطعٍ أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك؛ ليخزي الفاسقين بني النضير.

واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها.

---

(١) انظر (٢/ ٤٤٧).

واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم:

فأجازه الجمهور؛ لهذه الآية، ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير.

وكرهه قوم؛ لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الجيشَ الذي وجههم[1] إلى الشام أن لا يقطعوا شجرًا مثمرًا.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ معنى ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾: جعله فيئًا لرسول الله ﷺ.

و﴿أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ من الوجيف، وهو سرعة السير.

والركاب: هي الإبل.

والمعنى: أن ما أعطى اللهُ رسولَه من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه، ولا حصَّلوه بقتال، ولكن حصَل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله مِن هذه الآية أن ما أُخِذ لبني النضير[2] وما أُخِذ مِن فَدَكَ فهو فيءٌ خاص للنبي[3] ﷺ، يَفعل فيه ما يشاء؛ لأنه لم يُوجَف عليها، ولا قوتلت كبير قتال، فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله، وقسَم سائرها في المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئًا، غير أن أبا دُجانة وسهلَ

(١) في ج، د: «وجهه».
(٢) في أ: «ما أخذه من بني النضير».
(٣) في أ، هـ: «بالنبي».

ابن حنيف شَكَوَا فاقة فأعطاهما رسول الله ﷺ منها، هذا قول جماعة.

وقال عمر بن الخطاب: كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في السلاح والكُراع عدة في سبيل الله.

قال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجَف عليه، فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيَه في مصالح المسلمين.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآيةَ؛ اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابًا عظيمًا، فإن ظاهرها: أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يُخرج منها خمسٌ، ولا تقسم على من حضر الوقيعة، وذلك يعارض ما ورد في «الأنفال» من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة!

فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية «الأنفال»، وهذا خطأ؛ لأن آية «الأنفال» نزلت قبل هذه بمدة.

وقال بعضهم: إن آية «الأنفال» في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وإن هذه الآية في أرض الكفار، قالوا: ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لا دليل عليه.

وقيل غير ذلك.

والصحيح: أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية «الأنفال»:

فإن آية «الأنفال» في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل

والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم(١) بقيته على الغانمين.

وأما هذه الآية: ففي حكم الفيء، وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك، فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ.

وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي «الأنفال» لفظ الغنيمة، وقد تقرَّر في الفقه الفرق بين الغنيمة والفيء، وأن حكمهما مختلف.

قال أبو محمد ابنُ الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه، وهو أظهر الأقوال(٢).

وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق، فالصحيح: أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين.

فقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير، ولكنه حذف هذا؛ لقوله في الآية قبل هذا: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، فاستغنى بذكر ذلك أولًا عن ذكره ثانيًا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في أول هذه الجملة؛ لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بيَّن في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبين في هذه حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم.

---

(١) في ب، ج: «وتقسم».

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٨٩).

ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم؛ لأن الله سوَّى بينهما في قوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقد ذكرنا ذلك في «الأنفال» فأغنى عن إعادته.

وقد ذكرنا في «الأنفال» معنى قوله: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ وما بعد ذلك[1].

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ أي: كي لا يكون الفيءُ الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولةً ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسَم أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء، ولم يعط الأنصار منها شيئًا، فإنهم كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سهمنا من هذا الفيء، فأنزل الله هذه الآية.

والدولة - بالضم والفتح -: ما يدول الإنسان[2]؛ أي: يدور عليه من الخير.

ويحتمل أن يكون من المداولة؛ أي: كي لا يَتداول ذلك المالَ الأغنياءُ بينهم، ويبقى الفقراء بلا شيء.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور، أي: ما آتاكم الرسول من الفيء فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، فكأنها أمرٌ للمهاجرين بأخذ الفيء ونهيٌ للأنصار عنه.

ولفظ الآية مع ذلك عامٌّ في أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه، ولذلك استدلَّ

---

(١) انظر (٢/ ٤٥٩).

(٢) في ب: «على الإنسان».

بها عبد الله بن مسعود على أن المنع من لبس المُحْرِمِ المخيط، ولعْنَ الواشمة والواصلة: في القرآن؛ لورود ذلك عن رسول الله ﷺ[١].

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ هذا بدلٌ من قوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ ليبيِّن بذلك أن المراد المهاجرون، ووصَفهم بأنهم ﴿أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، و﴿ٱلدَّارُ﴾: هي المدينة؛ لأنها كانت بلدَهم، والضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين.

فإن قيل: كيف قال ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ وإنما تُتبوَّأُ الدار -أي: تُسكَن- ولا يُتبوأ الإيمان؟

فالجواب من وجهين:

الأول: أن معناه: تبوؤوا الدارَ وأخلصوا الإيمان فهو كقوله:

فعلفتها[٢] تبنًا وماء باردًا[٣]

تقديره: علفتها تبنًا وسقيتها ماء.

الثاني: أن المعنى: أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطنٌ لهم؛ لتمكُّنهم فيه، كما جعلوا المدينة كذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، (٤٨٨٧)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) في د: «علفتها».

(٣) هذا صدر بيت، وعجزه: «حتى شتتْ همّالةً عيْنَاهَا». قال بدر الدين العيني في «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية»: «هذا رجَز مشهور بين القوم، ولم أر أحدًا عزاه إلى راجزه».

فإن قيل: قوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبْقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه؛ لأنها كانت بلدَهم، وأما سبْقهم لهم بالإيمان فمشكل!؛ لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد بقوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرتهم.

والآخر: أنه أراد: تبوؤوا الدار مع الإيمان معًا؛ أي: جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوُّئِ[1] الدار، فيكون: ﴿الْإِيمَـٰنَ﴾ على هذا مفعولًا معه، وهذا الوجه أحسن؛ لأنه جواب عن هذا السؤال، وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان ﴿الْإِيمَـٰنَ﴾ مفعولًا معه لم يلزم السؤال الأول؛ إذ لا يلزم إلا إذا كان ﴿الْإِيمَـٰنَ﴾ معطوفًا على ﴿ٱلدَّارَ﴾.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ **قيل**: إن الحاجة هنا: بمعنى الحسد.

ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها.

والضمير في ﴿يَجِدُونَ﴾ للأنصار، وفي ﴿أُوتُواْ﴾ للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، فلا يجدون في صدورهم شيئًا بسبب ذلك.

---

(١) في ب، د: «بنزول».

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج.

والخصاصة: هي الفاقة.

وروي أن سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه» فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة[(١)].

وروي أيضًا أن سببها: أن رجلًا من الأنصار أضاف رجلًا من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال لها: نوِّمي صِبيانك وأطفئي السراج، وقدِّمي ما عندك للضيف، ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك، فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له: «عجب الله من فعلكما البارحة» ونزلت الآية[(٢)].

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ شحُّ النفس: هو البخل والطمع.

وفي هذا إشارةٌ إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين.

---

(١) أخرجه الواقدي في كتاب المغازي (ص: ٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوفٌ على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل.

فالمعنى: أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم، ويعني بهم: الفرقة الثالثة من الصحابة وهم ما عدا المهاجرين والأنصار، كالذين أسلموا يوم فتح مكة.

وقيل: يعني: من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك فقال: إن مَن قال في أحدٍ من الصحابة قول سوء فلا حظَّ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فمن قال ضدَّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله.



[﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الآيةَ؛ نزلت في عبد الله ابن أبيّ بن سلول وقوم من المنافقين، بعثوا إلى بني النضير، وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم فإنا معكم كيفما تقلَّبت حالكم.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع فيكم قول قائل، ولا نطيع مَن يأمرنا بخذلانكم.

ثم كذَّبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؟

فالجواب: أن المعنى: على الفرض والتقدير؛ أي: لو فرضنا أن ينصروهم لولَّوا الأدبار.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ الرهبة: هي الخوف.

والمعنى: أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ أي: لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني: عداوةَ بعضهم لبعض.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة[1] بالمخالفة والشحناء.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي: هؤلاء اليهودُ كمثل الذين من قبلهم، يعني: اليهود بني قينقاع؛ فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير، فكانوا مثلًا لهم.

وقيل: يعني: أهل بدرٍ الكفارَ، فإنهم قبلهم ومثَلٌ لهم في أنْ غُلِبوا وقُهِروا.

والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿قَرِيبًا﴾ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة، وذلك أوقعُ على بني قينقاع، وأيضًا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليقُ؛ لأنهم يهود مثلهم، وأُخرجوا من ديارهم كما فُعل بهم، وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾.

و﴿قَرِيبًا﴾ ظرف زمان.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ مثَّل الله المنافقين الذين أغووا

---

(١) في ج، د، هـ: «مفترقة».

اليهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان؛ فإنه يُغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه.

والمراد بالشيطان والإنسان هنا: الجنس.

وقيل: أراد الشيطان الذي أغوى قريشًا يوم بدر وقال لهم: إني جارٌ لكم.

وقيل: المراد بالإنسان بَرْصيص العابد؛ فإنه استُودع امرأة فزين له الشيطان الوقوع عليها فحمَلت فخاف الفضيحة فزين له الشيطانُ قَتْلَها فلما وُجدت مقتولة تبيَّن ما فعل، فتعرض له الشيطانُ وقال له: اسجد لي وأنجيك، فسجد له فتركه الشيطان وقال له: إني بريء منك، وهذا ضعيف في النقل.

والأول أرجح.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشيطان والإنسان، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود.



[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾].

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ﴾ هذا أمرٌ بأن تنظر كلُّ نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة.

ومعنى ذلك: محاسبة النفس لتكفَّ عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبَّر عن يوم القيامة بـ ﴿غَدٍ﴾ تقريبًا له؛ لأن كل ما هو آت قريب.

فإن قيل: لم كرر الأمر بالتقوى؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه تأكيد.

والآخر - وهو الأحسن -: أنه أمر بالتقوى أولًا استعدادًا ليوم القيامة، ثم أمر به ثانيًا؛ لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجِبان كرره مع كل واحد منهما.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعني: الكفار[١].

والنسيان هنا يحتمل أن يكون: بمعنى الترك، أو الغفلة؛ أي: نسوا حقَّ الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظرَ لها.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآيةَ؛ توبيخٌ لابن آدم على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدَّع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم!.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه.

وقيل: الغيب: الآخرة، والشهادة: الدنيا.

والعموم أحسن.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ مشتقٌّ من التقدُّس[٢]، وهو التنزُّه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب، وصيغة فُعُّول للمبالغة كالسُّبُّوح.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: الذي سَلِم عبادُه من جَوْره.

والآخر: السليم من النقائص.

وأصله مصدر بمعنى السلامة، ثم وُصِف به مبالغةً، أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام.

---

(١) في د زيادة: «والمنافقين».

(٢) في أ، هـ: «التقديس».

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من الأمن؛ أي: الذي أمَّن عباده.

والآخر: أنه من الإيمان؛ أي: المصدق لعباده في إيمانهم، أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسَه في أقواله.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: الرقيب والشاهد والأمين.

قال الزمخشري: أصله «مؤيمن» بالهمزة ثم أبدلت هاء(١).

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه من الإجبار بمعنى القهر.

والآخر: أنه من الجبر؛ أي: يَجبر عباده برحمته.

والأول أظهر.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي له التكبر حقًّا.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾ أي: الخالق، يقال: برأ الله الخلق أي: خلقهم، ولكن البارئ والفاطر يراد بهما: الذي بدأ الخلق واخترعه.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: خالق الصور.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»(٢).

---

(١) الكشاف (١٥/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله ابن الكمّاد فلما بلغت إلى آخر سورة «الحشر» قال لي: ضع يدك على رأسك، فقالت له: ولم ذلك؟ قال: لأني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال: قرأت على النبي ﷺ فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: «ضع يدك على رأسك». قلت: ولم ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ قال: «أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر»، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة «الحشر» أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت: يا ربنا ولم ذاك؟ قال: إنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت»[1].



(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (١/ ١٩٠) وأخرجه من طريقه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٣)، وقال السيوطي في «ذيل اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٠٨): «قال الذهبي: هذا حديث باطل».

﴿ سورة الممتحنة ﴾

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ العدوُّ: ينطلق على الواحد والجماعة، والمراد به: هنا كفار قريش، وهذه الآيات[1] نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية، فورَّى عن ذلك بخيبر، فشاع في الناس أنه خارج إلى خيبر، وأخبر

(١) في ب، ج، د: «الآية».

هو جماعةً من كبار أصحابه بقصده إلى مكة، منهم حاطب، فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب والزبير والمقداد وقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين**»، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب، ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئًا، فقال بعضهم: ما معها كتاب!، فقال عليّ ابن أبي طالب: ما كَذَب رسول الله ﷺ ولا كُذب، والله لتُخرِجنَّ الكتاب أو لنجرِّدنَّكِ! قالت: أعرضوا عني، فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حُجْزَتِها، فجاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «**من كتب هذا؟**» قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل عليَّ، فوالله ما فعلت ذلك ارتدادًا عن ديني، ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرأً مُلصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفُسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يدٌ يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**صدَق حاطبٌ، إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيرًا**»[1]. فنزلت الآية عتابًا لحاطب، وزجرًا عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ عبارةٌ عن إيصال المودَّة إليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

و«ألقى» يتعدَّى بحرف جر، وبغير حرف جر كقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

وهذه الجملة:

في موضع الحال من الضمير في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾.

أو في موضع الصفة لـ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾.

أو استئناف.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، أو في ﴿تُلْقُونَ﴾.

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون الرسول ويخرجونكم، يعني: إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج[1] إلى أرض الحبشة.

﴿أَن تُؤْمِنُوا﴾ مفعولٌ من أجله؛ أي: يخرجونكم من أجل إيمانكم.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه وهو ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوّي وعدوَّكم أولياء.

و﴿جِهَادًا﴾:

مصدر في موضع الحال.

أو مفعول من أجله.

---

(١) في ب زيادة: «مهاجرًا».

وكذلك ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾ معناه: إن يظفروا بكم.

﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ أي: تمنوا أن تكفروا فتكونوا مثلهم.

قال الزمخشري: وإنما قال: ﴿وَدُّواْ﴾ بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنه أراد: ودُّوا كفْرَكم قبل كل شيء[1].

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ﴾ إشارةٌ إلى ما قصد حاطب مِن رعْي قرابته.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ يحتمل أن يكون:

من الفصل بالحكم بينهم.

أو من الفصل بمعنى التفريق؛ أي: يُفرِّق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة.

وقيل: إن العامل في ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ما قبله، وذلك بعيد.

﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ إِسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ الإسوة: هو الذي يُقتدَى به.

فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري منهم.

ومعنى ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: من آمن به من الناس.

وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبًا من عصره، ورجح ابن

---

(١) الكشاف (١٥/ ٣٥٢).

عطية[1] هذا القول بما ورد في الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته: «ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك»[2].

﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ جمع بريء.

﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ أي: كذَّبناكم في أقوالكم.

ويَحتمل أن يكون عبارةً عن إفراط البغض فيهم والمقاطعة لهم.

﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناءٌ من قوله: ﴿إِسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار، ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له.

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ هذا من كلام إبراهيم عليه السلام والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء، فهو من جملة ما أُمر أن يُقتدَى به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنةً وسببَ ضلالةٍ؛ لأنهم يقولون: غلبناهم لأنَّا على الحق، وهم على الباطل.

والآخر: لا تسلِّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا؛ لأنه

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

دعاء لأنفسهم، وأما على القول الآخر فهو دعاء للكفار، ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر؛ بحيث لا يَفتتن الكفار بذلك[1].

* * *

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨١).

[﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ
عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ
وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ
أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ
أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا
وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ
أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾].

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم امتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش.

وقيل: المودَّة تزوُّج النبي ﷺ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية[1].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨٢).

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرَّة[١] من لم يقاتلهم[٢] من الكفار، واختُلف فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب؛ كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يُعِينوا عليه.

الثاني: أنهم مِن كفار قريش، من لم يقاتل المسلمين ولا أخرجهم من مكة.

والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال.

الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «**نعم صِلِي أمَّك**»[٣].

الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا.

وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم: فهم كفار قريش.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن.

وقد اختُلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تُستحلف المرأة أنها ما هاجرت بسبب بغضها في زوجها،

---

(١) في هامش د: «خ: مودة».
(٢) في د: «من لم يقاتلوهم في الدين».
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

ولا لخوفٍ ولا غير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

والثاني: أن يُعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والثالث: أن تُعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا؛ مِن ترك الإشراك والسرقة وقتل أولادهن، وترك الزنا والبهتان والعصيان فإذا أقرَّت بذلك فهو امتحانها، قالته عائشة رضي الله عنها.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية إثْر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يَردَّ المسلمون إلى الكفار كل من جاء مسلمًا من الرجال والنساء، فنسخ الله أمْر النساء بهذه الآية، ومنع مِن ردِّ المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أُميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدَّحداحة، وقيل: سُبيعة الأسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها فقال: يا محمد ردها علينا، فإن ذلك في الشرط لنا عليك، فنزلت الآية، فامتحنها رسول الله ﷺ فلم يردَّها، وأعطى مهرها لزوجها.

وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط، هربت من زوجها إلى المسلمين.

واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على ردِّ من أسلم منهم، أو تجوز حتى الآن؟ على قولين.

والأظهر: الجواز؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا تعليلٌ للمنع من ردِّ المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ يعني: أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصَّدُقات إذا هاجرن، ثم أباح للمسلمين تزوُّجهن بالصَّداق.

﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ العِصَم: جمع عصمة النكاح، فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني: المشركات من عبدة الأوثان، فالآية على هذا محكمة.

وقيل: يعني: كل كافرة، فعلى هذا: نُسخ منها جواز تزوج الكتابيات بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وروي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب، كانت كافرة فطلقها.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدُقات على أزواجكم، اللاتي فَرَرْنَ إلى الكفار، وليَطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ معنى ﴿فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: هروب نساء المسلمين إلى الكفار.

والخطاب في قوله: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ و﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾: للمسلمين.

وقوله: ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ ليس من العقاب على الذنب، وإنما هو:

من العُقْبى؛ أي: أصبتم عقبى وهي الغنيمة.

أو من التعاقب على الشيء، كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربون[١] إلى الكفار ونساء الكفار يهربون[٢] إلى المسلمين جَعل ذلك كالتعاقب على النساء.

وسبب الآية: أنه لما قال الله: ﴿وَسْئَلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم، ولا نعطي صَداق من فرَّت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى، وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصَّداق لمن فرَّت زوجته من المسلمين إلى الكفار.

ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال: إن معنى ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: غنمتم.

وقيل: من مال الفيء.

وقيل: من الصدُقات التي كانت تدفع للكفار إذا فرَّ أزواجهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه.

وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت؛ لأنها نزلت في قضايا معينة، وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة؛ إذ لا تجوز لنا مهادنة المشركين من العرب، إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن

---

(١) في د، هـ: «يهربن».

(٢) في د، هـ: «يهربن».

الله قال في المشركين: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال النبي ﷺ في المجوس: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام، ولا تمَسُّ يده يد امرأة، ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة(٢).

وقيل: إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسنَ أيديَهن فيه.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ﴾ معناه عند الجمهور: أن تَنسب المرأة إلى زوجها ولدًا ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها: هذا ولدي منك.

وإنما قال: ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ لأن بطنَها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجَها الذي تلد به بين رجليها.

واختار ابن عطية: أن يكون البهتان هنا على العموم في أن يُنسب إلى الرجل غيرُ ولده، أو يُفترَى على أحد بالقول، أو تكذب المرأة فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك(٣).

وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به: اللسان والفم، وبين الأرجل يراد به: الفروج.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٧٤٢).
(٢) أخرجه البخاري (٢٧١١)، ومسلم (١٨٦٦).
(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨٧).

الأوامر والنواهي، ومن ذلك: النهي عن النياحة وشق الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلْنه.

وورد في الحديث: «أن النساء لما بايعْنَ رسول الله ﷺ هذه المبايعة، فقرَّرهنَّ على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة - وهي امرأة أبي سفيان بن حرب -: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليَّ إن أخذت من ماله بغير إذنه، قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»، فلما قررهن على أن لا يزنين، قالت هند: يا رسول الله أتزني الحرة؟ فقال ﷺ: «لا تزني الحرة»، يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ قالت: نحن ربَّيناهم صغارًا وقتلتهم أنت ببدر كبارًا، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقَفهنَّ على أن لا يعصينه في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيَك»(١).

وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا، فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون تَرْكُ هذه الشروط؛ لأنها قد تقرَّرت(٢) وعُلِمت من الشريعة بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها.

﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود، وكان بعض فقراء المسلمين يتودَّد إليهم ليصيبوا من أموالهم.

وقيل: يعني: كفار قريش.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٩٦).

(٢) في ب: «قُرِرت».

والأول أظهر ؛ لأن الغضب قد صار عرفًا لليهود كقوله : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة : ٧] .

﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ من قال : إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود : فمعنى ﴿يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ : يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها .

ومن قال : إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش : **فالمعنى** : يئسوا من وجود الآخرة وصحَّتها ؛ لأنهم مكذبون بها تكذيبًا جزمًا .

وقوله : ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ يَحتمل وجهين :

أحدهما : أن يريد : كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور ، فقوله : ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ﴾ يتعلق بـ ﴿يَئِسَ﴾ ، وهو على حذف مضاف .

والآخر : أن يكون ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ لبيان الجنس ؛ أي : كما يئس الكفار الذين في القبور من سعادة الآخرة ؛ لأنهم تيقنوا أنهم يعذَّبون(١) فيها .

* * *

(١) في ب ، د : «معذبون» .

﴿ سورة الحواريين(١) ﴾

[﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ
۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا
زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ
أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ
يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى
ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾].

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال:

أحدها: -قول ابن عباس-: أن جماعة قالوا: وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله، ففرض الله الجهاد، فكرهه قوم، فنزلت الآية.

والآخر: أن قومًا من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو

---

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص: ٩٢): «سورة الصف، وتسمى سورة الحواريين».

بما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا، وذلك كذب، فنزلت؛ زجرًا لهم.

والثالث: أنها نزلت في المنافقين؛ لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين: نحن معكم ومنكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك، وهذا ضعيف؛ لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم، وفيما يُظهِرون.

ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجْر مَن يقول ما لا يفعل.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ كان بعض السلف يستحيي أن يعظ الناس؛ لأجل هذا الآية، ويقول: أخاف من مقت الله.

والمقت: هو البغض لريبة أو نحوها.

وانتصب ﴿مَقْتًا﴾ على التميز، و﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾.

وقيل: فاعل ﴿كَبُرَ﴾ محذوفٌ، تقديره: كبر فعلُكم مقتًا، و﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ بدل من الفاعل المحذوف، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال.

وقال بعض الناس: قتال الرَّجَّالة أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراصَّ فيه يتمكَّن أكثر مما يتمكن للفرسان، قال ابن عطية: هذا ضعيف، خفِي على قائله مقصدُ الآية، وليس المراد نفس التصافّ، وإنما المقصد: الثبوت والجد في القتال[1].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٩٢).

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ المرصوص: هو الذي ضُمَّ بعضُه إلى بعض.

وقيل: هو المعقود بالرصاص، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام ويعصيانه وتنقُّصه[1].

وانظر في «الأحزاب» قوله: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦٩][2].

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم، وتوبيخٌ لهم، وتقبيحٌ لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله، ولذلك أدخل «قد» الدالة على التحقيق.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبةٌ على الذنب بذنب.

وزيغ القلب: هو ميله عن الحق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إنما قال موسى: ﴿يَٰقَوْمِ﴾، وقال عيسى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ لأنه لم يكن له فيهم أبٌ.

﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ معناه مذكور في «البقرة» في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١][3].

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ﴾ عن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء.

---

(١) في أ، د، هـ: «وتنقيصه».
(٢) انظر (٣/٥٦٨).
(٣) انظر (١/٣٠٨).

﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»(١).

وأحمد: مشتقٌّ من الحمد.

ويَحتمل أن يكون: فعلًا سمِّي به، أو يكون صفة سمي بها كأحمر.

ويحتمل أن يكون: بمعنى حامد، أو بمعنى محمود كمحمد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يحتمل أن يريد: عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام.

ويؤيد الأول: اتصاله بما قبله.

ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾؛ لأن الداعيَ إلى الإسلام هو محمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ ذكر في «براءة»(٢).

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) انظر (٢/ ٤٨٩).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾
وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ
مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾].

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ تفسيرٌ للتجارة المذكورة.

قال الأخفش: هو عطف بيان عليها.

وقال الزمخشري: هو استئناف(١).

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزمٌ في جواب ﴿تُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأ ابن مسعود: «آمنوا وجاهدوا» على الأمر.

وقال الفراء: هو جواب ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾؛ لأنه يقتضي التحضيض.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع ﴿أُخْرَىٰ﴾ على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكم نعمة أخرى.

أو(٢) انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: ويمنحكم أخرى.

وقيل: هو مخفوض بالعطف على ﴿تِجَٰرَةٍ﴾، وهذا ضعيف.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٣٩١).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ تفسير للأخرى، فهو بدل منها، أو خبر ابتداء مضمر تقديره هي نصرٌ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال الزمخشري: عطفٌ على ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ لأنه في معنى الأمر[1].

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارًا للهِ﴾ جمع ناصر، وقد غلَب اسم الأنصار على الأوس والخزرج، وسماهم الله به، وليس ذلك المراد هنا.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى؛ لأن ظاهره: كونوا أنصارًا لله كقول عيسى، والمعنى: كونوا أنصارًا لله كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله.

وقد ذكر في «آل عمران» معنى الحواريين و﴿أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2].

﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ قيل: إنهم ظهروا بالحجة.

وقيل: بل غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام.

وقيل: إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.

* * *

(١) الكشاف (١٥/ ٣٩٥).

(٢) انظر (١/ ٥٤٣).

﴿ سورة الجمعة ﴾

[﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾].

﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ ذكر في «الحشر»(١).

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

و﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: هم العرب، وقد ذكر معنى الأمي في «الأعراف»(٢).

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾، وأراد بهؤلاء: فارس، سئل

---

(١) انظر صفحة ٣٦٢.

(٢) انظر (٢/ ٣٩٥).

رسول الله ﷺ: من هؤلاء الآخَرون؟ فأخذ بيد سليمان الفارسي، وقال: «**لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء**»(١) يعني: فارس.

وقيل: هم الروم.

و﴿مِنۡهُمۡ﴾ على هذين القولين يريد به: في البشرية وفي الدين، لا في النسب.

وقيل: هم أهل اليمن.

وقيل: هم التابعون.

وقيل: هم سائر المسلمين.

والأول أرجح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ أي: لم يلحقوا بهم وسيلحقون، وذلك أن «لمَّا» لنفْي الماضي القريب من الحال.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ يعني: اليهودَ، ومعنى ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ كُلِّفوا العمل بها والقيامَ بأوامرها ونواهيها، و﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾: لم يطيعوا(٢) أمرها، ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره، ولا يدري ما فيها.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٩٥٠).

(٢) في هـ: «يطيقوا».

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: اليهود الذين كذَّبوا محمدًا ﷺ وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها؛ لأن التوراة تنطق بنبوته ﷺ، فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة.

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ ذكر في «البقرة»[1].

* * *

---

(١) انظر (١/ ٣٤٠).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾].

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ النداء للصلاة: هو الأذان لها.

و﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ بيانٌ لـ ﴿إِذَا﴾، وتفسير له.

و﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ يراد به: الخطبة والصلاة.

⋆ ويتعلق بهذه الآية ثماني مسائل:

الأولى: اختُلف في الأذان للجمعة:

هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات؟

أو واجب لظاهر هذه الآية؟؛ لأنه شرَط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعيُ واجب فالأذان واجب.

الثانية: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد.

وقيل: على باب المسجد.

وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا، وبقي بقرطبة زمانًا وهو باق بالمشرق إلى الآن.

قال أبو محمد ابن الفَرس: قال مالك في «المجموعة»[١]: إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف[٢].

الثالثة: كان المؤذن[٣] للجمعة واحدًا، ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداءَ على الزَّوراء ليسمع الناس، واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟

الرابعة: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وقرأ عمر بن الخطاب: «فامضوا إلى ذكر الله» وهذا تفسير للسعي، فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ: «**إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون**»[٤].

الخامسة: حضور الجمعة واجب؛ لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق، إلا أنها لا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المريض باتفاق.

ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور، خلافًا للظاهرية، وتعلقوا بعموم الآية.

وحجة الجمهور: قول رسول الله ﷺ: «**الجمعة واجبة على كل مسلم في**

---

(١) المجموعة على مذهب مالك وأصحابه، كتاب ألَّفه محمد بن إبراهيم بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ) من كبار أصحاب سحنون. انظر: الديباج المذهب (٢/ ١٧٤).
(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٥٥٨).
(٣) في أ: «الأذان».
(٤) أخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢).

جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض»[١].

وحجتهم في المسافر: أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر.

واختُلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟

وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟

والمشهور: أنها لا تسقط عنهما؛ لعموم الآية.

السادسة: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟

فقيل: إذا زالت الشمس.

وقيل: إذا أذن المؤذن، وهو ظاهر الآية.

السابعة: اختُلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة؟

فقيل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك.

وقيل: ستة أميال.

وقيل: تجب على مَن داخِلَ المصر.

وقيل: على من سمع النداء.

وقيل: على من آواه الليل إلى أهله.

الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط[٢] الجمعة أم لا؟ على قولين، والمشهور: سقوطه؛ لأن الله لم يشترطه في الآية.

---

(١) أخرجه أبو داوود (١٠٦٧).

(٢) في أ، هـ: «شروط».

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أمرٌ بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب، فيقتضي تحريم البيع.

واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا؟

واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد؛ هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟

والأظهر: جوازه؛ لأنه إنما منع منه مَن يُدعَى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع.

﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق، حكَى الإجماعَ على ذلك ابن عطية(١) وابن الفرس(٢).

﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ **قيل**: معناه طلب المعاش، فالأمر على هذا إباحة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جِنازة**»(٣).

وقيل: هو طلب العلم.

وإن صح الحديث لم يُعدَل إلى سواه.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ سبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان قائمًا على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عِير من الشام بطعام،

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٠٤).

(٢) أحكام القرآن (٣/ ٥٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٤٤).

وصاحب أمرها دِحية بن خليفة الكلبي، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورًا بها، فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا، قال جابر بن عبد الله: أنا أحدهم.

وذكر بعضهم: أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة.

واختُلف في الثاني عشر:

فقيل: عبد الله بن مسعود.

وقيل: عمار بن ياسر.

وقيل: إنما بقي معه ﷺ ثمانية.

وروي أنه ﷺ قال: «**لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سُوِّمت في السماء على المنفضِّين**»[1].

وظاهر الآية: يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة؟

فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود، وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية.

وروى ابن الماجشون عن مالك: ثلاثون[2].

وقال الشافعي: أربعون.

وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٣٦).

(٢) في ب زيادة: «رجلًا».

وقيل: اثنا عشر، عددَ الذي بقوا مع النبي ﷺ.

فإن قيل: لم قال: ﴿انفَضُّوٓا۟ إِلَيۡهَا﴾ بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد: انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة، ثم حَذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. قاله الزمخشري(١).

والآخر: أنه قال ذلك تهمُّمًا بالتجارة؛ إذ كانت أهم، وكانت هي سبب اللهو، ولم يكن اللهو سببَها، قاله ابن عطية(٢).

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا؟

وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا؟

فمن أوجبه واشترطه: أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام.

ومن لم يوجبه: رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب.

ومذهب مالك: أن مِن سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين.

وقال أبو حنيفة: لا يجلس بين الخطبتين؛ لظاهرِ الآية، وذِكْرِ القيام فيها دون جلوس.

وحجة مالك: فعل رسول الله ﷺ.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٤٢٠).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٠٥-٣٠٦).

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ إن قيل: لم قدَّم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟

فالجواب: أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه؛ وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل، كقولك: «فلان يخون في الكثير والقليل» فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر، كقولك: «فلان أمين على القليل والكثير» فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عُكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسنًا؛ فإنك لو قدمتَ في الخيانة ذكر القليل لعُلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمتَ في الأمانة ذكر الكثير لعُلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة.

وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبيِّن أنهم ينفضون إليها، وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها، وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضًا خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكَس كل واحد من الموضعين لم يَحسن.

* * *

﴿ سورة المنافقين ﴾

[﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا
كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣
۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ
وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى
ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾].

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلذلك كذَّبهم الله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة.

وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ فليس من كلام المنافقين، وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ إبطالٌ للرسالة، فوسَّطه بين حكاية قول المنافقين وبين تكذيبهم؛ ليُزيل هذا الوهم وليحقِّق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله: ﴿لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

﴿جُنَّةً﴾ ذكر في «المجادلة»[1].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ الإشارةُ:

إلى سوء عملهم.

أو إلى فضيحتهم وتوبيخهم.

وأما قوله: ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ فيَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيمانًا صحيحًا، ثم نافق بعد ذلك.

والآخر: أن يريد: آمنوا في الظاهر، كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أنهم حِسانُ الصُّور.

﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني: أنهم فصحاء.

والخطاب في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ وفي قوله: ﴿تَسْمَعْ﴾: للنبي ﷺ، ولكل مخاطَب.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ شبَّههم بالخشب في قلة أفهامهم، فكان لهم مَنظر بلا مَخْبر.

---

(١) انظر صفحة ٣٤٤.

وقال الزمخشري: إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط؛ لأن الخُشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة، بخلاف الخشب التي تكون في سَقف أو مغروسةً في جدار؛ فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة(١).

وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ، فشبههم في استنادهم بالخشب المسنَدة إلى الحائط.

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عبارةٌ عن شدَّة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحًا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم.

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم يتضمن ذمَّهم وتقبيحَ أحوالهم.

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الإيمان مع(٢) ظهوره؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: أمالوها إعراضًا واستكبارًا.

وقَصصُ هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق، فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم جَهْجاه ابن سعيد(٣) أجير لعمر بن الخطاب، وسِنان الجُهني حليفٌ لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فلطم الجهجاه سنانًا، فغضب سنان ودعا

---

(١) الكشاف (١٥/ ٤٢٩).

(٢) في ب، د: «بعد».

(٣) الذي سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٠): «جهجاه بن مسعود»، وفي الإصابة (٢/ ٢٦٤): «جهجاه بن سعيد، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود».

بالأنصار ودعا الجهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبيّ: والله ما مَثلنا ومَثلُ هؤلاء - يعني المهاجرين - إلا كما قال الأول: «سَمِّنْ كلبَك يأكلْك»، ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعزِّ: نفسه وأتباعه، ويعني بالأذلِّ: رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفرُّوا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسولَ الله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي، فحلف أنه ما قال شيئًا من ذلك، وكذَّب زيدًا، فنزلت السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زيد، وقال له: «لقد صدَّقك الله يا زيد»، فخَزِيَ عبد الله بن أبي، ومقته الناس، فقيل له: امض إلى رسول الله ﷺ يستغفرْ لك!، فلوَى رأسه إنكارًا لهذا الرأي، وقال: أمرتموني بالإسلام فأسلمت، وأمرتموني بأداء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد!، ثم مات عبد الله بن أبيّ بعد ذلك بقليل(١).

وأُسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبيّ إلى ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ روي أنه لما نزلت ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠] قال رسول الله ﷺ: «لأزيدن على السبعين» فلما فعل عبد الله بن أبيّ وأصحابه ما فعلوا شدَّد الله

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٥٥).

عليهم في هذه السورة، وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه[1].

وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدَّة.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٩٩).

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾].

﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا تَشغلْكم.

و﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ هنا: على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة.

وقيل: يعني: الصلاة المكتوبة.

والعموم أولى.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ عمومٌ في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك.

وقيل: يعني: الزكاة المفروضة.

والعموم أولى.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالجزم: عطفٌ على موضع جواب الشرط[1].

وقرأ أبو عمرٍو ﴿وَأَكُونَ﴾ بالنصب عطفٌ على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾.



(١) والتقدير: إن تؤخرني أصَّدقْ وأكنْ من الصالحين. المحرر الوجيز (٨/ ٣١٦).

﴿ سورة التغابن ﴾

[﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: هو الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به، لكن منكم من كفر ومنكم من آمن، فالكفر والإيمان على هذا: هو اكتساب العبد.

والآخر: أن المعنى: هو الذي خلقكم على صنفين: فمنكم من خلقه

مؤمنًا ومنكم من خلقه كافرًا، فالإيمان والكفر على هذا: هو ما قضى الله على كل أحد.

والأول أظهر؛ لأن عطفه على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالفاء يقتضي أنَّ الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة، لا في أصل الخلقة.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع(١).

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ تعديد نعمةٍ في حُسنِ خِلقة بني آدم؛ لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر، فلا يخرجه ذلك عن حسْن الصورة الإنسانية، وإنما هو قبيحٌ بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس.

وقيل: يعني: العقل والإدراك الذي خُصَّ به الإنسان.

والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تنطلق على الشكل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ معناه: أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرًا، أو تكبروا عن اتباع بشر.

والبشر: يقع على الواحد والجماعة.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ قال عبد الله بن عمر: زعم كناية عن كذب(٢).

---

(١) انظر (٢/٥٣٩)، (٢/٧٢٨)، (٣/٧١٢).

(٢) أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٢٣/ ٩) إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «زعم: كُنْيَة الكذب».

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾:

﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾.

أو ﴿خَبِيرٌ﴾.

أو محذوفٌ تقديره: اذكر.

ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾، يعني: يوم القيامة.

و﴿ٱلتَّغَابُنُ﴾: مستعارٌ مِن تغابُن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة، فكأنهم غبَنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء، فالتغابن على هذا بمعنى الغَبْن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين، كقولك: تضارب وتقاتل، إنما هي فعلُ واحدٍ كقولك: تواضع، قاله ابن عطية[١].

وقال الزمخشري: يعني: نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء، والتغابن على هذا بين اثنين، قال: وفيه تهكُّم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغَبْن للسعداء[٢].

* * *

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٢١).

(٢) الكشاف (١٥/ ٤٥٥).

[﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بالمصيبة: الرزايا، وخصَّها بالذكر لأنها أهم على الناس.

أو يريد جميع الحوادث من خير وشر.

و﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ عبارةٌ عن قضائه وإرادته تعالى.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قيل: معناه: من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله، وهذا حسَنٌ، إلا أن العموم أحسن منه.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ سببها: أن قومًا أسلموا وأرادوا الهجرة، فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة، فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك.

وقيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع

أهله وأولاده[1] فشكَوا من فراقه، فرقَّ لهم ورجع، ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾ الآيةَ.

ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدوًّا من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.

﴿وَاللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيبٌ في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها.

﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وروي أنه لما نزل ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ شق ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ معناه: فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع، فهذه الآية - على هذا - مبيِّنة لتلك، وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبيد.

وإعراب ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ظرفية.

﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوبٌ بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه.

وقيل: هو مفعول بـ ﴿أَنفِقُواْ﴾؛ لأن الخير بمعنى المال.

وقيل: هو نعتٌ لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم.

---

(١) في أ، هـ: «وولده».

﴿وَمَن يُوقَ﴾ ذكر في «الحشر»[1].

﴿إِن تُقْرِضُوا﴾ ذكر في «البقرة»[2].

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في «اللغات»[3].



(١) انظر صفحة ٣٥٦.

(٢) انظر (١/ ٤٦٧).

(٣) انظر المواد (١٢٩)، و(٥٤٠).

﴿ سورة الطلاق ﴾

[﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۖ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ
إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ
ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ
وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾
لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ إن قيل: لم نودي النبي ﷺ وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟

فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ خطابًا له ولهم، وخُصَّ هو ﷺ بالنداء أولًا تعظيمًا له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: «يا فلان افعلوا»، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه ﷺ هو المبلغ إلى أمته[١]، فكأنه قال: يا أيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك.

وقيل: تقديره: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم، وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه.

وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بـ ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ تعظيمًا له، كما تقول للرجل المعظَّم: «أنتم فعلتم»، وهذا أيضًا ضعيف؛ لأنه يقتضي اختصاصه ﷺ بالحكم دون أمته.

ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ هنا: إذا أردتم الطلاق.

واختُلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟

وأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع، ولكن يلزم.

وأما اليمين بالطلاق فممنوع[٢].

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلاتٍ لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبيّ بن كعب: «فطلقوهن في قُبُلِ عِدَّتهن»، وقرأ

---

(١) في ب، د: «لأمته».

(٢) في أ، ب: «فهو ممنوع».

ابن عمر: «لِقُبُلِ عدتهن»، ورويت القراءتان عن رسول الله ﷺ[١].

ومعنى ذلك كله: أن لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمره الله بها وهو استقبال العدة.

واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلَّل بتطويل العدة، أو هل هو تعبد؟

والصحيح أنه معلل بذلك.

وينبني على هذا الخلاف فروع:

منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها وهي حامل أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟

فالتعليل بتطويل العدَّة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع.

ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم أُمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك، ودون إجبار عند الشافعي حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، حسَبما ورد في حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له: «مرة فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر؛ فإن شاء طلق وإن شاء أمسك»[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٣٠٣)، (٦/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه؛ لتعتد بذلك الطهر، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء؟ فليس طلاقًا لعدتها كما أمره الله.

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ أمَر بذلك؛ لما يبنَى عليها من الأحكام، في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهى الله ﷻ أن يُخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها أن تخرج هي باختيارها، فلا يجوز لها المبيت عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارًا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن مِلكًا للزوج، أو مكترًى عنده لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة، وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية؛ ففي لزوم خَرْجِ[١] العدة له قولان في المذهب، والصحيح لزومه؛ لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ اختُلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي؟ على خمسة أقوال:

الأول: أنها الزنا، فتَخرج لإقامة الحدِّ، قاله الليث بن سعد والشعبي.

الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها من السكنى، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظًا للنسب، قاله ابن عباس، ويؤيده قراءة أبي بن كعب: «إلا أن يفحشْنَ عليكم».

---

(١) في ب، ج: «خروج»!.

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى فعلت شيئًا من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضًا، وإليه مال الطبري[١].

الرابع: أنه الخروج عن[٢] بيتها خروجَ انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قال ابن الفرس: وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة[٣].

الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى، قاله قتادة.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به: الرجعة عند الجمهور، أي: أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به، لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم.

وقيل: المعنى: لعل الله يحدث أمرًا من نسخ هذه الأحكام، وهذا بعيد.

وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية: تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر، فأمره الله بمراجعتها.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد: آخر العدة. والإمساك بمعروف: هو تحسين العشرة، وتوفية النفقة.

والفراق بالمعروف: هو أداء الصداق، والإمتاع حين الطلاق، والوفاء بالشروط ونحو ذلك.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٥).
(٢) في ب، د: «من».
(٣) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٤).

﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج، والإشهاد المأمور به: هو على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين في المذهب.

وقال ابن عباس: هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وذلك أظهر؛ لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق.

وقد ذكرنا العدالة في «البقرة»[1].

وقوله: ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يدل على إنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجالُ دون النساء، وهو مذهب مالك، خلافًا لمن أجاز شهادة النساء في ذلك.

وقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ يعني: من المسلمين.

وقيل: من الأحرار، فيؤخذ من ذلك: ردُّ شهادة العبيد، وهو مذهب مالك.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود.

وإقامة الشهادة:

يحتمل أن يريد به: القيام بها، فإذا استُشهد وجب عليه أن يشهد، وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس[2].

---

(١) انظر (١/ ٤٩٨).

(٢) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٦).

ويحتمل أن يريد: إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري[١]، وهو أظهر؛ لقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ فهو كقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدم من الأحكام.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلقة واحدة، حسَبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجًا بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثًا: إنك لم تتق الله فبانَتْ منك امرأتُك، ولا أرى لك مخرجًا؛ أي: لا رجعة لك.

وقيل: إنها على العموم؛ أي: من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل الله له مخرجًا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضًا عن ابن عباس، وهذا أرجح لخمسة أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومه، فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أُسر ولده وضُيق عليه رزقُه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيرًا وانطلق ولده ووسع الله رزقه.

والثالث: أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجًا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة»[٢].

---

(١) الكشاف (١٥/ ٤٧١).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٣٦).

والرابع: روي أنه ﷺ قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾» الآيةَ، فما زال يقرؤها ويعيدها.

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم.

قال بعض العلماء: الرزق على نوعين:

رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره. وقد تكلمنا على التوكل في «آل عمران»[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: يَبلغ ما يريد ولا يُعجِزه شيء، وهذا حضٌّ على التوكل وتأكيد له؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعوِّل على سواه[2].

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: مقدارًا معلومًا ووقتًا محدودًا.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قالوا: يا رسول الله فما عدة من لا قُرْءَ لها من صِغَرٍ أو كبر؟ فنزلت هذه الآية

---

(١) انظر (١/ ٥٩٠).

(٢) في ج: «ما سواه».

مُعْلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، فقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ يعني: التي انقطعت حيضتها لكبر سنها، وقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني: الصغيرة التي لم تبلغ المحيض، وهو معطوف على ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ﴾، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: واللائي لم يحضن كذلك.

وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك، وفي معناه قولان:

أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر.

والآخر: إن ارتبتم في حيضتها هل انقطع أو لم ينقطع.

فهي على التأويل الأول: في التي انقطعت حيضتها لكبرها حسَبما ذكرنا، وهو الصحيح.

وهي على التأويل الثاني: في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض، وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة حسَبما تقتضيه الآية على هذا التأويل.

والآخر: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمَد الحمل، وهذا مذهب مالك، وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والثالث: أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء: عامة في المطلقات والمتوفَّى عنهن، فمتى كانت إحداهن حاملًا فعدتها وضع حملها.

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملًا فعدتها - عندهما - أبعد الأجلين: إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرٍ.

فحجة الجمهور: حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة فتوفي في حجة الوداع وهي حبلى، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بَعْكَك، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «انكحي من شئت»[1].

وقد ذُكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه، ولو بلغ عليًا رضي الله عنه لرجع إليه.

وقال عبد الله بن مسعود: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى -يعني: سورة «الطلاق»- نزلت بعد الآية التي في «البقرة»: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. فهي مخصَّصة لها حسَبما قاله جمهور العلماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أمر الله بإسكان المطلقات طول العدة.

فأما المطلقة غير المبتوتة: فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق.

وأما المبتوتة: ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها يجب لها السكنى دون النفقة، وهو مذهب مالك والشافعي.

والثاني: أنها يجب لها السكنى والنفقة، وهو مذهب أبي حنيفة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٤٨٤).

والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة.

فحجة مالك: حديث فاطمة بنت قيس، وهو أن زوجها طلقها ألبتة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ليس لك عليه نفقة**»[١]، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة.

وحجة من أوجب لها السكنى والنفقة: قول عمر بن الخطاب: لا ندع آيةً من كتاب ربنا لقول امرأة، فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «**لها السكنى والنفقة**»[٢].

وحجة من لم يجعل لها لا سكنى ولا نفقة: أن في بعض الروايات عنها أنها قالت: لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى[٣].

وقوله: ﴿مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ معناه: أسكنوهن مكانًا من بعض مساكنكم، فـ ﴿مِنۡ﴾ للتبعيض، ويفسِّر ذلك قول قتادة: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه.

﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ الوُجْد: هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى: أسكنوهن مسكنًا مما تقدرون عليه.

وإعرابه: عطف بيان لقوله: ﴿حَيۡثُ سَكَنتُم﴾.

ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).
(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل؛ عملًا بهذه الآية؛ سواء كان الطلاق رجعيًا أو بائنًا.

واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيًا.

فإن كان بائنًا فاختلفوا في نفقتها حسَبما ذكرناه.

وأما المتوفَّى عنها إذا كانت حاملًا:

فلا نفقة لها عند مالك والجمهور؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات.

وقال قوم: لها النفقة في التركة.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنى: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع، وهي النفقة وسائر المؤن حسَبما ذُكر في كتب الفقه.

﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنى: أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان.

وقيل: معنى ﴿وَأْتَمِرُوا۟﴾ تشاوروا، ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠].

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ المعنى: أن تشطَّطت الأم على الأب في أجرة الرضاع، وطلبت منه كثيرًا؛ فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما

هو أرفق به، إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومِثْل الزوج.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أمرٌ بأن ينفق كل أحد على مقدار حاله[1]، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تُضيَّع الزوجة بل يكون الحال معتدلًا.

وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك، خلافًا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية.

ومن عجَز عن نفقة امرأته: فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه، خلافًا لأبي حنيفة.

وإن عجَز عن الكسوة دون النفقة: ففي التطليق عليه قولان في المذهب.



(١) في ب، ج: «ماله».

[﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا
﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾].

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: حاسبنا أهلها.

قيل: يعني: الحساب في الآخرة، وكذلك العذاب المذكور بعده.

وقيل: يعني: في الدنيا، وهذا أرجح؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، ولأن قوله: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ و﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾ بلفظ الماضي؛ فهو حقيقة فيما وقع، مجاز فيما لم يقع.

فمعنى ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ أي: واخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها.

والعذاب: هو عقابهم في الدنيا.

والنُكر: هو الشديد الذي لم يعهد مثله.

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا﴾ الذكر هنا: هو القرآن، والرسول: هو محمد ﷺ.

وإعراب ﴿رَّسُولًا﴾: مفعول بفعل مضمر تقديره: أرسل رسولًا، هذا

الذي اختاره ابن عطية[١]، وهو أظهر الأقوال.

وقيل: إن الذكر والرسول معًا يراد بهما القرآن، والرسول على هذا: بمعنى الرسالة.

وقيل: إنهما يراد بهما القرآن، على حذف مضاف تقديره: ذكرًا ذا رسول.

وقيل: يراد بهما النبي ﷺ، والذكر من أسمائه، وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿رَسُولًا﴾ مفعول بالمصدر الذي هو الذكر.

وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل أُبدل من الذكر؛ لأنه نزل به، أو سمِّي ذكرًا لكثرة ذكره لله[٢].

وهذا كله بعيد.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السموات سبع.

وأما الأرض فاختلف فيها:

فقيل: إنها سبع أرضين؛ لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ: «**من غصب شبرًا من أرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرَضين**»[٣].

وقيل: إنما هي واحدة.

فقوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾:

على القول الأول: يعني به المماثلة في العدد.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٣٦).

(٢) الكشاف (١٥/ ٤٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

وعلى القول الثاني : يعني به المماثلة في عِظَم الجِرْم وكثرة العُمَّار ، وغير ذلك .

والأول أرجح .

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر :

الوحيَ .

أو أحكامَ الله وتدبيره لخلقه .

* * *

﴿ سورة التحريم ﴾

[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ
فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ
أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ
قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ
وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ
تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا
يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ في سبب نزولها روايتان:

إحداهما: أن رسول الله ﷺ جاء يومًا إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر ابن الخطاب، فوجدها قد مرت لزيارة أبيها، فبعث في جاريته مارية فقال معها[1] في البيت، فجاءت حفصة فقالت: يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ

(١) في د: «فقعد معهما»، وفي هـ: «فدخل معها».

مترضيًا[١] لها: «أيرضيك أن أحرمها؟»، قالت: نعم، فقال: «**إني قد حرَّمتها**»[٢].

والرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلًا، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها: أكلتَ مَغافير، والمغافير: صمغ العُرْفُط، وهو حلو كريه الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**لا ولكني شربت عسلًا**»، فقلن له: جرسَتْ نحله العرفط[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «**لا أشربه أبدًا**»، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة، فدخل بعد ذلك على زينب فقالت: ألا أسقيك من ذلك العسل؟ فقال: «**لا حاجة لي به**»[٤].

فنزلت الآية عتابًا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل.

والرواية الأولى أشهر، وعليها تكلم الناس في فقه السورة.

وقد خرَّج الرواية الثانية البخاري وغيره.

ولنتكلم على فقه التحريم:

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء:

فلا يلزم، ولا شيء عليه عند مالك.

---

(١) في ب، ج، د: «مرتضيًا».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٨٤).

(٣) أي: أكلتْ العرفطَ، يقال للنحل: الجوارس. النهاية لابن الأثير (٢/ ٦٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤).

وأوجب عليه أبو حنيفة كفارة.

وأما تحريم الأمَة:

فإن نوى به العتق لزم.

وإن لم ينوِ به ذلك لم يلزم. وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام.

وأما تحريم الزوجة: فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة:

فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم: إنما يلزم(١) فيه كفارة يمين.

وقال مالك في المشهور عنه: ثلاث تطليقات في المدخول بها، ويُنَوَّى في غير المدخول بها فيُحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث.

وقال ابن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين.

وروي عن مالك: أنها طلقة بائنة.

وقيل: طلقة رجعية.

﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ أي: تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني: تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدلُّ على أنها نزلت في تحريم الجارية.

وأما تحريم العسل فلم يقصد به رضا أزواجه، وإنما تركه لرائحته.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من

---

(١) في أ، هـ: «تلزم».

التحريم، على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أرَب.

وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة؛ لأنه حرَّم ما أحل الله![1]، وذلك قلة أدب على منصب النبوة.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ التحِلَّة: هي الكفارة.

وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة «المائدة» من صفتها[2].

واختلف في المراد بها هنا:

[أ-] فأما على قول من قال: إن الآية نزلت في تحريم الجارية: فاختلف في ذلك:

فمن قال: إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلَّ بها.

ومن قال: إن التحريم يلزم منه[3] طلاق قال: إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله ﷺ حلف، فقال: «والله لا أطؤها أبدًا».

[ب-] وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل: فاختلف أيضًا:

فمن أوجب في تحريم الطعام كفارةً قال: هذه الكفارة للتحريم.

ومن قال: لا كفارة فيه قال: إنما هذه الكفارة؛ لأنه حلف أن لا يشربه.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٤٩١).

(٢) انظر (٢/ ٢٠٦).

(٣) في أ، هـ: «فيه».

وقيل: هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهرًا.

﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ يحتمل أن يكون:

بمعنى الولي الناصر.

أو بمعنى السيد الأعظم.

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ اختُلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تحريم الجارية، فإنه لما حرمها قال لحفصة: «لا تخبري بذلك أحدًا».

والآخر: أنه قال[١]: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده[٢].

والثالث: أنه قوله: «شربت عسلًا».

والأول أشهر.

و﴿بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ حفصة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسرَّ إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، فعاتب حفصة عن إفشائها لسره وطلقها، ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها، وقيل: لم يطلقها.

---

(١) في د زيادة: «لحفصة».

(٢) في د: «بعدي».

فقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ حذف المفعول وهو عائشة، وقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه على إخبارها به.

وقيل: معناه: أظهر الله عليه[1] الحديثَ، من الظهور.

وقوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أي: عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعضه؛ حياء وتكرُّمًا، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب.

وقرئ ﴿عَرَفَ﴾ بالتخفيف؛ من المعرفة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت أن عائشة هي التي أخبرته به، فقالت له: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه به سكتت وسلَّمت.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة، وتوبتهما: مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل.

ومعنى ﴿صَغَتْ﴾: أي: مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود: «زاغت».

والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ المعنى: إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغَيرة، وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره.

و﴿مَوْلَىٰهُ﴾ هنا:

يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على ﴿مَوْلَىٰهُ﴾، ويكون

---

(١) أي: على النبي ﷺ. الكشاف (١٥/ ٤٩٧).

﴿وَجِبْرِيلُ﴾ مبتدأ، و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبره وخبر ما عُطف عليه.

ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى: الولي الناصر، فيكون ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ معطوفًا، فيوصل مع ما قبله، ويوقف على ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ويكون ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفٌ له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح: أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك**»(١)، فنزلت الآية موافقةً لقول عمر، فقوله: «معك» يقتضي معنى النصرة.

﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف في ﴿وَصَٰلِحُ﴾ هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؟

فعلى القول بأنه مفرد: هو أبو بكر الصديق، وقيل: علي بن أبي طالب.

وعلى القول بأنه جمع: فهو على العموم في كل صالح.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآيةَ؛ نصرة للنبي ﷺ.

وروي أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقته، ولقد قال عمر حينئذ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

للنبي ﷺ: «والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها»[١].

وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت[٢].

والسائحات: معناه الصائمات، قاله ابن عباس، وقد روي عن النبي ﷺ[٣].

وقيل: معناه مهاجرات.

وقيل: ذاهبات إلى الله؛ لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض.

وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون[٤]؛ فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة، **وهذا يفتقر إلى نقل صحيح**.

ودخلت الواو هنا للتقسيم، ولو سقطت لاختلَّ المعنى؛ لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان.

وقال الكوفيون: هي واو الثمانية، وذلك ضعيف.

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ أي: أطيعوا الله، وأمروا أهليكم بطاعته؛ لتقوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) انظر (٣/ ٥٤٤).

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٩٤) من دون إسناد، ولم أقف على إسناد له.

(٤) كذا العبارة في جميع النسخ الخطية!، ولعل صوابها: «والمراد بالثيبات: آسية امرأة فرعون». انظر: التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٤٢).

أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار، فعبر بالمسبَّب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة.

﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في «البقرة»[1].

﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني: زبانية النار.

وغِلَظُهم[2] وشدتهم: يحتمل أن يريد:

في أجرامهم.

أو في قسوة[3] قلوبهم.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ﴾.

وقيل: إن معنى ﴿لَّا يَعْصُونَ﴾ امتثال الأمر، ومعنى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ جِدُّهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون هذا:

خطابًا من الله للكفار.

أو خطابًا من الملائكة.

---

(١) انظر (١/٢٩١).

(٢) في ب: «وغلظتهم».

(٣) في ب، ج: «قساوة».

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٩ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝١١ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۝١٢﴾].

﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: هي أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه أبدًا، ولا يريد أن يعود.

وقيل: معناه: توبة خالصة، فهو من قولهم: عسل ناصحٌ: إذا خلُص من الشمع.

وقيل: هي أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، كتوبة الثلاثة الذين خلفوا.

وقال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسَهم[١].

---

(١) الكشاف (١٥/ ٥١١).

وقد تكلَّمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] في «النور»[(١)].

﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ العامل في ﴿يَوۡمَ﴾ يحتمل أن يكون:

ما قبله.

أو ما بعده.

أو محذوف تقديره: اذكر.

والوقف والابتداء يختلف على ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يحتمل أن يكون:

معطوفًا على ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾.

أو مبتدأ وخبره بعده.

﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ﴾ ذكر في «الحديد»[(٢)].

﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ ذكر في «براءة»[(٣)].

﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ قيل: اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة، وهذا يفتقر إلى صحة النقل.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس: خانت امرأة نوح في أنها كانت تقول: إنه

---

(١) انظر (٣/ ٢٩١).

(٢) انظر صفحة ٣١٣.

(٣) انظر (٢/ ٥١٠).

مجنون، وخانت امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه، وكانتا مع ذلك كافرتين.

وقيل: خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس ذلك وقال: ما زنت امرأة نبي قط؛ تنزيهًا من الله لهم عن هذا النقص.

وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل، كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه؛ كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما.

وقيل: هو مثَل لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛ لأن الله إنما ضربه للذين كفروا.

﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ اسمها آسية، وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام، فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي في قَصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح.

﴿مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ تعني: كفره وظلمه.

وقيل: مضاجعته لها، وهذا ضعيف.

﴿أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ يعني: الفرج الذي هو الجارحة، وإحصانها له: هو صيانتها وعِفَّتها عن كل مكروه.

وقيل: يعني فرج درعها، وهذا ضعيف.

﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ عبارةٌ عن نفخ جبريل في فرجها، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام.

وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافةَ مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشريف له.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِۦ﴾ كلمات ربها: يحتمل أن يريد بها: الكتب التي أنزل.

أو كلامه مع الملائكة وغيرهم.

وَ﴿كِتَابِهِۦ﴾ بالتوحيد: يحتمل أن يريد به: التوراة، أو الإنجيل، أو جنس الكتب.

وقرئ بالجمع يعني: جميع كتب الله.

﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي: من العابدين.

فإن قيل: لم قال ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بجمع المذكر وهي أنثى؟

فالجواب: أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء، فغلَّب الذكور.



﴿ سورة الملك ﴾

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه(١).

وأنه ﷺ قال: «إنها تنجي من عذاب القبر»(٢).

[﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ
فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ
إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا
لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ
سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ
إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠
فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾].

﴿تَبَٰرَكَ﴾ فعل مشتقٌّ من البركة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٦٥٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٢٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠).

وقيل: معناه: تعاظم.

وهو مختص بالله تعالى، ولم يُنطق له بمضارع.

﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ يعني: مُلك السموات والأرض والدنيا والآخرة.

وقيل: يعني: مُلْك الملوك في الدنيا، فهو كقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والأول أعم وأعظم.

﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ يعني: موت الخلق وحياتهم.

وقيل: الموت: الدنيا؛ لأن أهلها يموتون، والحياة: الآخرة؛ لأنها باقية، فهو كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهو على هذا وصفٌ بالمصدر.

والأول أظهر.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه.

والمعنى: ليبلوكم فيجازيَكم بما ظهر منكم.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها فقال: «أيكم أحسن عقلًا(١)، وأشدكم لله خوفًا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله»(٢).

(١) في أ، ب، ج، هـ: «عملًا»، والمثبت موافق لما في الرواية.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٣٥).

﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ أي: بعضها فوق بعض.

والطباق:

مصدرٌ وُصفت به السموات.

أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق.

وقيل: إنه جمع طَبقة.

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ أي: من قلةِ تناسُبٍ وخروج عن الإتقان، والمعنى: أن خلقة السموات في غاية الإتقان، بحيث ليس فيها ما يَعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف.

وقيل: أراد خِلقةَ جميع المخلوقات.

ولا شك أن جميع المخلوقات متقنةٌ، ولكن تخصيص الآية بخلقة السماوات أظهر؛ لورودها بعد قوله: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾، فكأن قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ بيانٌ وتكميل لما قبله.

والخطاب في قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ و﴿ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ وما بعده: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطَب ليعتبر.

﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ الفطور: الشقوق، جمع فَطْر وهو الشَّق.

ورجْعُ البصر: ترديده في النظر.

ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شِقاق ولا خَلل[1]،

---

(١) في د: «خلال».

بل هي ملتئمة مستوية.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: انظر نظرًا بعد نظر للتثبت والتحقيق.

وقال الزمخشري: معنى التثنية في ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ التكثير، لا مرتين خاصة، كقولهم: «لبيك» فإن معناه إجاباتٌ كثيرة[1].

﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسئ: هو المبعَد عن الشيء الذي طَلب.

والحسير: هو الكليل الذي أدركه التعب.

فمعنى الآية: أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شِقاقًا أو خَللًا رجع بصرك ولم تر شيئًا من ذلك؛ فكأنه خاسئ؛ لأنه لم يَحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليلٌ من شدة النظر وكثرة التأمل.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ السماء الدنيا: هي القريبة منا.

والمصابيح: يراد بها النجوم.

فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال.

وإن كانت في غيرها من السماوات فقد زُيِّنت السماء الدنيا؛ لأنها ظاهرة فيها لنا.

ويحتمل أن يريد أنه زيَّن السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في

---

(١) الكشاف (١٥/٥٣٨).

غيرها، على أن القول بمواضع الكواكب وفي أيِّ سماءٍ هي لم يرد في الشريعة.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: جعلنا منها رجومًا؛ لأن الكواكب الثابتة ليست تَرجم الشياطين، فهو كقولك: «أكرمت بني فلان»: إذا أكرمتَ بعضهم.

والرجوم: جمع رجْمٍ، وهو مصدر سُمِّي به ما يُرجم به.

قال الزمخشري: معنى كون النجوم رجومًا للشياطين: أن الشهب تنقضُّ من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب، لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها؛ لأنها ثابتة في الفلك[1].

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينةٌ السماء، ورجومٌ الشياطين وليهتدَى بها في ظلمات البر والبحر.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني: للشياطين.

﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ الشَّهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار، ويعني به هنا:

ما يُسمع من صوت جهنم؛ لشدَّة غليانها وهَوْلها.

أو شهيق أهلها.

والأول أظهر.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٥٤٢).

﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي: تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي: تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض؛ لشدَّة غيظها على الكفار.

فيحتمل:

أن تكون هي المغتاظة بنفسها.

ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية.

والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يُذكر بعد هذا.

وغيظ النار يحتمل:

أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها.

أو يكون عبارةً عن شدتها.

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: كلما أُلقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم الزبانية: هل جاءكم[1] نذير؟ أي: رسول، وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾.

وقوله: ﴿كُلَّمَآ﴾ يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعةٍ تُلقَى في النار.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من قول ملائكة النار للكفار.

أو من قول الكفار للرسل في الدنيا.

---

(١) في أ، ب: «جاءهم».

﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير.

﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ اعترافهم هذا في وقتٍ لا ينفعهم الاعتراف.

وذنبهم هنا: يراد به تكذيب الرسل.

﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ انتصب ﴿فَسُحۡقٗا﴾ بفعل مضمرٍ على معنى الدعاء عليهم.

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: وهم غائبون عن الناس، ففي ذلك وصفٌ لهم بالإخلاص.

والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها، على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣].

﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ المعنى: سواءٌ جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر.

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته.

ويحتمل أن يكون ﴿مَنۡ خَلَقَ﴾:

فاعلًا يراد به الخالق، والمفعول محذوفٌ تقديره: ألا يعلم الخالق خَلْقَه.

أو يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مفعولًا ، والفاعل مضمر تقديره : ألا يعلم الله من خلق .

والأول أرجح ؛ لأن ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ إذا كان مفعولًا اختصَّ بمن يعقل ، والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل .

* * *

[﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ
أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ
شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى
غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى
مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ
﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾].

﴿ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ فعول هنا بمعنى: مفعول، أي: مذلولة، فهي كركوب وحلوب.

﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ ابن عباس: هي الجبال.

وقيل: الجوانب والنواحي.

وقيل: الطرق.

والمعنى: تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض، فاستعار لها الذِّلَّ والمناكب؛ تشبيهًا بالدواب.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ يعني: البعث يوم القيامة.

﴿ءَأَمِنتُم﴾ الآيةَ؛ مقصودها التهديد والتخويف للكفار، وكذلك الآية التي بعدها.

﴿تَمُورُ﴾ ذكر في «الطور»[1].

﴿حَاصِبًا﴾ يحتمل أن يريد: حجارةً، أو ريحًا شديدة.

﴿نَذِيرِ﴾ بمعنى الإنذار، وكذلك ﴿نَكِيرِ﴾ بمعنى الإنكار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ تنبيهٌ على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها.

و﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ جمع صافَّة، وهي التي تبسط جناحيها للطيران.

والقبض: ضم الجناحين إلى الجنب.

وعطف ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ على ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾؛ لأن الفعل في معنى الاسم تقديره: قابضات.

فإن قيل: لِمَ لمْ يقل «قابضات» على طريقة ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾؟

فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران، كما أن مدَّ الأطراف هو الأصل في السباحة، فذُكر بصيغة اسم الفاعل؛ لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطير[2] قليلًا للاستراحة والاستعانة، فذَكره بلفظ الفعل؛ لقلته.

---

(١) انظر صفحة ٢٢٣.

(٢) في ب، ج، هـ: «الطائر».

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم.

ودخلت «أَمْ» التي يراد بها الإنكار على «مَنْ» فأدغمت فيها، وكذلك ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾.

والضمير في ﴿أَمْسَكَ﴾: لله؛ أي: من يرزقكم إن مَنع الله رزقه.

﴿بَل لَّجُّواْ﴾ أي: تمادوا في العتوِّ والنفور عن الإيمان.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ الآيةَ؛ توقيفٌ على الحالتين، أيهما أهدى، والمراد بها: توبيخ الكفار.

وفي معناها قولان:

أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريقة الهدى والضلال في الدنيا.

والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة؛ لأن الكافر يُحمل إلى جهنم على وجهه.

فأما على القول الأول:

فقيل: إن الذي يمشي مكبًّا: أبو جهل، والذي يمشي سويًّا: محمد ﷺ، وقيل: حمزة.

وقيل: هي على العموم في كل مؤمن وكافر.

وقد تمشي هذه الأقوال أيضًا على القول الثاني.

والمكب: هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجلُ، وكبَّه غيره، فالمتعدي دون همزة، والقاصر بالهمزة، بخلاف سائر الأفعال.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار، والوعد يراد به: البعث، أو عذابهم في الدنيا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار، وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمَّنه الوعد.

﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريبًا.

وقيل: عِيانًا.

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ظهر فيها السوء لما حل بهم.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء؛ أي: تطلبون وتستعجلون به.

والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال(١).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن الكفار كانوا يتمَّنون هلاك

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ نظيره قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، وهذا معنى ما قاله المصنف أنه افتعال من الدعاء بمعنى طلب الشيء، وعدي بالباء كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، وقول المصنف: «والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال»، أقول: منشأ هذا التردد أن الفعل مبني للمفعول «قيل»، فيحتمل ما ذكره المصنف، ويحتمل أن القائل هو الله، توبيخا للكافرين، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾. والله أعلم.

النبي ﷺ والمسلمين، فأمره الله أن يقول لهم: إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمنا؛ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال.

والهلاك هنا يحتمل أن يراد به: الموت، أو غيره.

ومعنى ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: من يمنعهم من العذاب.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على المشركين.

والغَور: مصدر وصف به فهو بمعنى غائر؛ أي: ذاهب في الأرض.

والمعين: الكثير.

واختلف هل وزنه فَعِيل أو مَفعول؟

فالمعنى: إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم إله غير الله بماء معين؟

﴿ سورة ن والقلم ﴾

[﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨
وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ
ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩
فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢ فَٱنطَلَقُواْ
وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۝٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا
قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُواْ سُبْحَٰنَ
رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١
عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝٣٢ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ
يَعْلَمُونَ﴾].

﴿نٓ﴾ حرفٌ من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في «البقرة»(١).

ويختص ﴿نٓ﴾ بأنه قيل: إنه حرف من «الرحمن»، فإن حروف الرحمن

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

في ﴿الٓرۚ﴾ و﴿حمٓ﴾، و﴿نٓۚ﴾.

وقيل: إن نون[1] هنا يراد به: الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، **وهذا لا يصح**.

على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه: ذو النون.

وقيل: إن نون هنا يراد به الدِّواة، وهذا غير معروف في اللغة.

ويَبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة: بأنه لو كان كذلك لكان معربًا بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفًا دليل على أنه حرف هجاء نحو ﴿الٓمٓ﴾ وغيره من حروف الهجاء الموقوفة.

﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختُلف فيه على قولين:

أحدهما: أنه القلم الذي كُتب به في اللوح المحفوظ، فالضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للملائكة.

والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس، أقسم الله به لما فيه من المنافع والحِكَم، والضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ على هذا لبني آدم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو خطاب لمحمد ﷺ معناه: نفي ما نسبه الكفار له من الجنون.

و﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ اعتراضٌ بين ﴿مَآ﴾ وخبرها، كما تقول: «أنت - بحمد الله - فاضل».

---

(١) في ب، د: «ن».

والمجرور في موضع الحال، وقال الزمخشري: إن العامل فيه: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾[١].

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في «فصلت»[٢].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناءٌ على خُلُق رسول الله ﷺ، قالت عائشة ﵂: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»[٣] تعني: التأدب بآدابه وامتثال أوامره.

وعبَّر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق.

وتفصيل ذلك: أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خَصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وكثرة العبادة، وشدَّة الحياء، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتؤدة، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك، حسَبما ورد في أخباره وسِيَره ﷺ ولذلك قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٤].

وقال الجنيد: سمي خُلُقه عظيمًا؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله ﷻ.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٥٦٧).

(٢) انظر صفحة ٦.

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٤) أخرجه أحمد (٨٩٥٢).

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ قيل: إن ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ هنا بمعنى المجنون.

ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة.

والخطاب في قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ للنبي ﷺ، وفي قوله: ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾ لكفار قريش.

واختلف في الباء التي في قوله: ﴿بِأَييِّكُمُ﴾ على أربعة أقوال:

الأول: أنها زائدة.

الثاني: أنها غير زائدة، والمعنى: بأيكم الفتنة، فأوقع ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ موقع الفتنة كقولهم: «ما له معقول» أي: عقل.

الثالث: أن الباء بمعنى «في»، والمعنى: في أيِّ فريق منكم المفتون، واستحسن ابن عطية هذا(١).

الرابع: أن المعنى: «بأيكم فتنة المفتون» ثم حَذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المداهنة: هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي، وروي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك، فنزلت الآية.

ولم ينتصب ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ في جواب التمني؛ بل رفعه بالعطف على ﴿تُدْهِنُ﴾. قاله ابن عطية(٢).

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٧).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٨).

وقال الزمخشري: هو خبر مبتدإ محذوف تقديره: فهم يدهنون[١].

﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحَلِف في الحق والباطل.

﴿مَّهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل.

قال ابن عطية: هو مِن مَهُنَ: إذا ضعف، فالميم فاء الفعل[٢].

وقال الزمخشري: هو من المهانة، وهي الذِّلة والحقارة[٣].

وقال ابن عباس: المهين: الكذاب.

﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يَعيب الناس.

﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ أي: كثير المشي بالنميمة، يقال: نميم ونميمة بمعنى واحد، قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**»[٤].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: شحيح؛ لأن الخير هنا هو المال.

وقيل: معناه: مناع من الخير؛ أي: يمنع الناس من الإسلام، والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ﴾ من العدوان، وهو الظلم.

﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم، وهو ارتكاب المحرمات.

﴿عُتُلٍّ﴾ أي: غليظ الجسم، قاسي القلب، بعيد الفهم، كثير الجهل.

---

(١) الكشاف (١٥/ ٥٧٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٨).

(٣) الكشاف (١٥/ ٥٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

﴿زَنِيمٍ﴾ أي: ولد زنا.

وقيل: هو الذي في عنقه زَنَمةٌ كزنمة الشاة التي تتعلَّق في حلْقها.

وقيل: معناه: مريب قبيح الأفعال.

وقيل: ظلوم.

وقيل: لئيم(١).

وقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان.

واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة:

فقيل: لم يُقصد بها شخصٌ معين، بل كل من اتصف بها.

وقيل: المقصود بها: الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين، وكان كذلك.

وقيل: أبو جهل.

وقيل: الأخنس بن شَرِيق، ويؤيد هذا: أنه كانت له زنَمة في عنقه، قال ابن عباس: عرفناه بزنمته، وكان أيضًا من ثقيف، ويعدُّ في بني زُهرة، فيصح وصفه بزنيم على القولين.

وقيل: الأسود بن عبد يغوث.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ في موضع مفعول من أجله، متعلِّق بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ أي: لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه.

---

(١) في ب، د: «لائم».

ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا: أنه قال في القرآن: أساطير الأولين؛ لأنه ذو مال وبنين، يتكبر بماله وبنيه، والعامل في ﴿أَن كَانَ﴾ على هذا فعلٌ من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب ﴿إِذَا﴾؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله.

والأول أظهر.

وقد تقدم معنى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(١).

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ أصل الخرطوم: أنف السَّبُع، ثم استعير للإنسان استخفافًا به، وتقبيحًا له.

والمعنى: نجعل له سِمَةً وهي العلامة على خرطومه.

واختلف في هذه السمة:

فقيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر.

وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم.

وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة؛ ليعرف بها.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: بلونا قريشًا كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي: أنها بمقربة من صنعاء، فحلفوا أن لا يعطوا مسكينًا منها شيئًا، وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفًا من نار فأحرقتها، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها، فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوها فعرفوها، وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما

---

(١) انظر (٢/ ٢٥٤).

قالوا، فندموا وتابوا إلى الله.

ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة: أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ، كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة، فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك، فعاقبهم الله كما عاقبهم.

وقيل: شبَّه قريشًا لما أصابهم الجوع بشدة القحط، حين دعا عليهم رسول الله ﷺ؛ بأصحاب الجنة لما هلَكت جنتهم.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا أن يقطعوا غَلَّة جنتهم عند الصباح، وكانت الغلة تمرًا[1].

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: لم يقولوا: «إن شاء الله» حين حلفوا ليصرمُنَّها.

والآخر: لا يستثنون شيئًا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم.

والثالث: لا يتوقفون في رأيهم ولا ينثنوا عنه؛ أي: لا يرجعون عنه.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ قال الفراء: الطائف الأمر الذي يأتي بالليل.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أصبحت كالليل؛ لأنها اسودَّتْ لِما أصابها، والصريم في اللغة: الليل.

الثاني: أصبحت كالنهار؛ لأنها ابيضَّت كالحصيد، ويقال: «صريم» لليل وللنهار.

---

(١) في ج، د، هـ: «ثمرًا».

الثالث: أن الصريم: الرماد الأسود بلغة بعض العرب.

الرابع: أصبحت كالمصرومة؛ أي: المقطوعة.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي: نادى بعضهم بعضًا حين أصبحوا، وقال بعضهم لبعض: ﴿اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: جنتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ لها أي: حاصدين[1] لثمرها.

﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ يكلِّم بعضهم بعضًا في السر، ويقولون: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَنِ اغْدُوا﴾ و﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ حرف عبارة وتفسير.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ في الحرد أربعة أقوال:

الأول: أنه المنع.

والثاني: أنه القصد.

الثالث: أنه الغضب.

الرابع: أن الحرد اسم علَمٍ للجنة.

و﴿قَادِرِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

من القدرة؛ أي: قادرين في زعمهم.

أو من التقدير بمعنى التضييق؛ أي: ضيَّقوا على المساكين.

﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: أخطأنا طريق الجنة، قالوا ذلك لما لم يعرفوها، فلما

---

(١) في د: «قاطعين».

عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حَرمنا الله خيرها.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، ومنه: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: خِيارًا.

﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تقولون: «سبحان الله».

وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه.

وقيل: أراد الاستثناء في اليمين بقولهم[(١)]: «إن شاء الله».

والأول أظهر؛ لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾.

والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حضَّهم على التسبيح.

﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾ أي: يلوم[(٢)] بعضهم بعضًا:

على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين.

أو على غفلتهم عن التسبيح، بدليل قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ يَحتمل أنْ طلبوا البدل: في الدنيا، أو في الآخرة.

والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودًا.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش.

---

(١) في أ، ج، هـ: «كقولهم».

(٢) في أ: «يلوموا».

[﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾].

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: كيف يُسوِّي الله بين المسلمين والمجرمين؟ بل يجازي كل أحد بعمله.

والمراد بالمجرمين هنا: الكفار.

﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، و﴿مَا﴾ مبتدأ و﴿لَكُمْ﴾ خبره، وتمَّ الكلام هنا؛ فينبغي أن يوقف عليه.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكان أصل ﴿إِنَّ﴾ الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ معناه: تختارون لأنفسكم.

ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أنَّ لكم ما تختارونه لأنفسكم.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم أيمانًا أن لكم ما تحكمون؟

ومعنى ﴿بَـٰلِغَةٌ﴾: ثابتة واصلة إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ هو جواب القسم الذي يقتضيه[1] الأيمان، ولذلك أكده بـ ﴿إِنَّ﴾ واللام.

و﴿مَا تَحْكُمُونَ﴾ هو اسم ﴿إِنَّ﴾، دخلت عليه اللام المؤكدة.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠﴾ أي: يا محمد! اسأل قريشًا أيهم زعيم بهذه الأمور؟

والزعيم: هو الضامن للأمر، القائمُ به.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه: إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم.

واختلف هل قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾:

في الدنيا؛ أي: أحضروهم حتى يرى حالهم؟

أو هل يقال لهم ذلك يوم القيامة؟

والشركاء: هم المعبودون من الأصنام وغيرها.

---

(١) في أ: «تقتضيه».

وقال الزمخشري: معناه: أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه؟ فأتوا بهم، يعني: أنهم لا يوافقهم أحد عليه[١].

والأول أظهر.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدَّته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي منادٍ يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيَتْبَع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغُبَّرات[٢] من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظمًا واحدًا فلا يستطيعون سجودًا»[٣].

وتأويل الحديث كتأويل الآية[٤].

---

(١) الكشاف (١٥/ ٥٩٤).

(٢) جمع غُبَّر: أي: بقايا. النهاية لابن الأثير (٧/ ٢٩٦٥)

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارةٌ عن هول يوم القيامة وشدّته» إلخ، أقول: اكتفى المؤلف ﷺ بذكر قول المتأولين في الآية، وهو أن معنى ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي: يكشف عن هول يوم القيامة، والساق على هذا هي الشدة، ومن معاني الساق في اللغة الشدة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: اتصلت الشدة بالشدة عند الموت، وذكر المؤلف الحديث =

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا.

فإن قيل: كيف يُدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟

فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود لله في الدنيا، لا على وجه التكليف والعبادة.

﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي: قد كانوا في الدنيا يُدعون إلى السجود فيمتنعون منه، وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن.

وإعراب ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ مفعول معه، أو معطوف.

وقد ذكرنا في «الأعراف» ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ وما بعده(١).

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه: أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم، فلا عذر لهم في تركهم الإسلام.

وقد فسرنا هذا وما بعده في «الطور»(٢).

= وأجراه مجرى الآية، والقول الثاني الذي أعرض عنه المؤلف أن المراد بالساق ساق الله تعالى، كما في رواية في الصحيح: «فيكشف ربنا عن ساقه»، فالحديث يفسر الآية، فيكون معناها: يوم يكشف ربنا عن ساقه، ويؤيد ذلك أنه حينئذ يسجد له كل من كان يسجد في الدنيا استجابة وطاعة، ويعجز المنافقون عن السجود، كما يدل لذلك الآية والحديث، والآية تحتمل القولين، وتفسيرها بما دل عليه الحديث أولى؛ فإن السنة تفسر القرآن.

(١) انظر (٢/ ٤٢٢).

(٢) انظر صفحة ٢٣١.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يقتضي مسالمة للكفار، نُسخت بالسيف.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام، وسماه صاحب الحوت؛ لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضًا ذو النون، والنون هو الحوت.

وقد ذكرنا قصته في «الأنبياء»[١] و«الصافات»[٢].

فنهى الله محمدًا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبًا.

وروي أن هذه الآية نزلت لما همَّ النبي ﷺ أن يدعو على الكفار.

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس، ونداؤه: هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

والمكظوم: الشديد الحزن.

﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هذا جواب ﴿لَوْلَآ﴾، والمنفي هو الذمُّ، لا نَبْذُه بالعراء؛ فإنه قد قال في «الصافات»: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الصافات: ١٤٥].

فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نبذ وهو غير مذموم.

وقد ذكرنا العراء في «الصافات»[٣].

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم.

---

(١) انظر (٣/ ١٦٤).

(٢) انظر (٣/ ٦٨٢).

(٣) انظر (٣/ ٦٨٤).

و﴿إن﴾ مخفَّفة من الثقيلة، بدليل دخول اللام.

و﴿لَيَزْلِقُونَكَ﴾ معناه: يُهلكونك، كقولك: «نظر فلان إلى عدوه نظرًا كاد يصرعه»، وأصله: مِن زلق القدم.

وقرئ بفتح الياء وضمها، وهما لغتان.

وقيل: إن المعنى: يأخذونه بالعين، وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك.

وقال الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني: القرآن؛ أي: هو موعظة وتذكير للخلق.

﴿ سورة الحاقة ﴾

[﴿ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا
عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ
﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟
رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ
تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا
دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ
عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ
﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ
﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا
بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى
سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ
﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا
حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾].

﴿ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾﴾ هي القيامة، ووزنها فاعِلة.

وسميت الحاقة:

لأنها تَحِقُّ، أي: يصح وجودها، ولا ريب في وقوعها.

أو لأنها حَقَّت[١] لكل أحد جزاء عمله.

أو لأنها تبدي حقائق الأمور.

﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾.

وكان الأصل: «الحاقة ما هي؟»، ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادةً في التعظيم والتهويل.

وكذلك ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ لفظه الاستفهام، والمراد به: التعظيم والتهويل.

﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تَقرع القلوب بأهوالها.

﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ يعني: الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحدَّ في الشدة.

وقيل: الطاغية مصدر، فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ [الشمس: ١١].

وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفِعلة الطاغية، أو الفئة الطاغية.

---

(١) في ب: «حَقَّقت».

والباء:

على هذين القولين: سببية.

وعلى القول الأول: كقولك: «قتلت زيدًا بالسيف».

﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ ذكر في «فصلت»[١].

﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي شديدة، وسميت بذلك؛ لأنها عَتتْ على عاد.

وقيل: عَتت على خُزَّانها[٢]، فخرجت بغير إذنهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ روي أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملةَ الشهر.

﴿حُسُومًا﴾ ابن عباس: معناه: كاملةً متتابعة لم يتخلَّلْها غير ذلك.

وقيل: معناه شؤمًا ونَحسًا.

وقيل: هو جمع حاسم، من الحسم وهو القطع؛ أي: قطعتهم بالإهلاك.

فـ ﴿حُسُومًا﴾:

على القولين الأولين: مصدر في موضع الحال.

وعلى الثالث: حال، أو مفعول من أجله.

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع، وهو المطروح بالأرض.

---

(١) انظر صفحة ١٣.

(٢) في د: «خزنتها».

والضمير المجرور يعود:

على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها.

أو على الأيام والليالي.

أو على الريح.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في «القمر» معنى تشبيههم بأعجاز النخل[1].

والخاوية: هي التي خَلتْ من طول بِلَاها وفسادِها.

﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقيَّة.

وقيل: من فئة باقية.

وقيل: إنه مصدر بمعنى البقاء.

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يريد: من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادًا وثمود قد ذُكرَا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

وقرئ ﴿قِبَلَهُ﴾ بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه: جنده وأتباعه.

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون:

مصدرًا بمعنى الخطيئة.

أو صفةً لمحذوف تقديره: بالفِعلة الخاطئة.

---

(١) انظر صفحة: ٢٥٨.

﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه: فالرسول موسى عليه السلام.

وإن عاد على المؤتفكات: فالرسول لوط عليه السلام.

وإن عاد على الجميع: فالرسول اسم جنس، أو بمعنى الرسالة.

﴿رَّابِيَةً﴾ أي: عظيمة، وهو من قولك: ربا الشيء: إذا كثر.

﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ عبارة عن كثرته، فيحتمل أن يريد:

أنه طغى على أهل الأرض.

أو على خُزَّانه.

يعني: وقت طوفان نوح عليه السلام.

﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة.

فإن أراد سفينة نوح: فمعنى ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: حملنا آباءكم؛ لأن كل مَن على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة.

وإن أراد جنس السفن: فالخطاب على حقيقته.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفِعلة، وهي الحَمل في السفينة.

وقيل: للسفينة:

فإن أراد جنس السفن: فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركبها أو سمع بها.

وإن أراد سفينة نوح: فقد قيل: إن الله أبقاها حتى رأى بعضَ عِيدانها أوائل هذه الأمة.

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير ﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾، وهذا يقوِّي أن يكون للفعلة.

والأذن الواعية: هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه، يقال: وَعَيْتُ العلم: إذا حصَّلتَه، ولذلك عبَّر بعضهم عنها بأنها التي عقَلت عن الله.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «**إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ**»، قال عليّ: فما نسيت بعد ذلك شيئًا سمعته[(١)].

قال الزمخشري: إنما قال: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ بالتوحيد والتنكير؛ للدلالة على قلة الوعاة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقَلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها[(٢)].

﴿نَفۡخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعني: نفخة الصعق، وهي الأولى.

﴿فَدُكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال.

ومعنى ﴿دُكَّتَا﴾: ضرب بعضها ببعض حتى تندقَّ، وقال الزمخشري: والدكُّ أبلغ من الدق[(٣)].

وقيل: معناه: بسطت حتى تستويَ الأرض والجبال.

﴿وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة.

وقيل: صخرة بيت المقدس، وهذا ضعيف.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٢٢).

(٢) الكشاف (١٥/ ٦١٣).

(٣) الكشاف (١٥/ ٦١٦).

﴿وَاهِيَةٌ﴾ أي: مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: «دار واهية» أي: ضعيفة الجُدرات.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ الملك هنا: اسم جنس.

والأرجاء: الجوانب، واحدها رَجا - مقصور -، والضمير يعود على السماء.

والمعنى: إن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهت وقفوا على أطرافها.

وقيل: يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه، وإن لم يتقدم ذكرها، وروي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفًا على جوانب الأرض.

والأول أظهر وأشهر.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم أحد عدَّتهم.

وقيل: ثمانية أملاك، رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، ويؤيد هذا: ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قوَّاهم الله بأربعة سواهم»[١].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خطاب لجميع العالم.

والعرض: البعث و[٢]الحساب.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٢٩).

(٢) في أ، هـ: «أو».

﴿خَافِيَةٌ﴾ أي: حالٌ خافية من الأعمال والسرائر.

ويَحتمل المعنى: لا يخفى من أجسادكم شيء؛ لأنهم يحشرون حفاة عراة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الكتاب هنا: صحائف الأعمال.

﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ ﴿هَآؤُمُ﴾ اسم فعل.

قال ابن عطية: معناه: تعالوا[١].

وقال الزمخشري: هو صوت يفهم منه معنى: «خُذْ»، و﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ مفعولٌ يطلبه ﴿هَآؤُمُ﴾ و﴿ٱقْرَءُواْ﴾ من طريق المعنى، تقديره: «هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي» ثم حُذف[٢] لدلالة الآخر عليه[٣].

وعمل فيه:

العامل الثاني، -وهو ﴿ٱقْرَءُواْ﴾- عند البصريين.

والعامل الأول -وهو ﴿هَآؤُمُ﴾ - عند الكوفيين.

والدليل على صحة قول البصريين: أنه لو أُعمل الأول لقال: «اقرؤوه».

والهاء في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ للوقف، وكذلك في ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾

وكان الأصل أن تسقط في الوصل، لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٢).

(٢) أي: حذف مفعول ﴿هَآؤُمُ﴾.

(٣) الكشاف (١٥/ ٦٢١).

ومعنى الآية: أن العبد الذي يُعطى كتابه بيمينه يقول للناس: «اقرؤوا كتابيه» على وجه الاستبشار والسرور بكتابه.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ الظن هنا: بمعنى اليقين.

﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ذات رضا، كقولهم: تامِرٌ لصاحب التمر.

قال ابن عطية: ليست بناء اسم فاعل[1].

وقال الزمخشري: يجوز أن يكون اسم فاعل، نُسب الفعل إليها مجازًا، وهو لصاحبها حقيقة[2].

﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قِطْف - بكسر القاف -[3] وهو ما يُجتنَى من الثمار ويقطف كالعنقود.

﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة، وروي أن العبد يأخذها بفمه من شجرها، على أيِّ حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع.

﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة.

﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي: الماضية، يعني: أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾، فجعل علة إعطائهم كتبهم[4] بشمالهم عدمَ إيمانهم.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٣).

(٢) الكشاف (١٥/ ٦٢٢).

(٣) قوله «بكسر القاف» زيادة من أ، هـ.

(٤) في أ، د: «كتابهم».

وأما المؤمنون فيعطون كتبهم[١] بأيمانهم.

لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخوله النار؟ أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾؛ لأن هذا كلام مسرور، فيبعد أن يقوله من يُحمل إلى النار.

﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: يتمنى أنه لا يعطاه[٢] كتابه.

وقال ابن عطية: يتمنى أن يكون معدومًا لا يجري عليه شيء[٣].

والأول أظهر.

﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: ليت الموتة الأولى كانت القاضية، بحيث لا يكون بعدها بعث ولا حياة.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾ يحتمل أن يكون:

نفيًا.

أو استفهامًا يراد به النفي.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ أي: زال عني ملكي وقدرتي.

وقيل: ذهبت عني حجتي.

﴿خُذُوهُ﴾ خطاب للزبانية، يقوله لهم:

الله تعالى.

---

(١) في أ، ج، د: «كتابهم».
(٢) في د: «لا يعطى».
(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٣).

أو الملائكة بأمر الله.

﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي: اجعلوا غُلًّا في عنقه.

وروي أنها نزلت في أبي جهل.

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنى ﴿ذَرْعُهَا﴾: أي مبلغ أذرع كَيلها.

واختلف في هذا الذراع:

فقيل: إنه الذراع المعروف.

وقيل: هو بذراع الملَك.

وقيل: في الذراع سبعون باعًا، كل باع كما بين مكة والكوفة.

ولله در الحسن البصري في قوله: الله أعلم بأي ذراع هي!.

وجعلها سبعين ذراعًا؛ لإرادة وصفها بالطول، فإن السبعين من الأعداد التي تَقصد بها العرب التكثير.

ويحتمل أن تكون هذه السلسلة:

لكل واحد من أهل النار.

أو تكون بين جميعهم، وقد حكى الثعلبي ذلك[١].

﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: أَدخلوه، وروي أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج على دبره، فـ ﴿اسْلُكُوهُ﴾ على هذا من المقلوب في المعنى، كقولهم: «أدخلتُ القَلَنْسُوة في رأسي».

---

(١) الكشاف والبيان (١٠/ ٣١).

وروي: أنها تُلوَى عليه حتى تَغُمَّه وتضغطه، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها.

وإنما قدم قوله: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ﴾ على ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ لإرادة الحصر؛ أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة.

وكذلك قدَّم ﴿الْجَحِيمَ﴾ على ﴿صَلُّوهُ﴾ لإرادة الحصر أيضًا.

﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يحتمل:

أن أراد إطعام المسكين، فوضع الاسم موضع المصدر.

أو يقدر: «لا يحض على بذل طعام المسكين».

وأضاف الطعام إلى المسكين؛ لأن له إليه نسبةٌ.

ووصْفُه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى وأحرى.

وهذه الآية تدل على عِظَم الصدقة وفضلها؛ لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ فيه قولان:

أحدهما: ليس له صديق.

والآخر: ليس له شراب، ولا طعام إلا من غسلين، فإن الحميم: الماء الحار، والغسلين: صديد أهل النار عند ابن عباس.

وقيل: شجر يأكله أهل النار.

وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غُسلت، وهو «فِعْلين» من الغَسل.

﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمِّدًا، والمخطئ: الذي يفعله بغير تعمُّد.

* * *

[﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ «لا» زائدة غير نافية.

﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ يعني: جميع الأشياء؛ لأنها تنقسم إلى ما يُبصَر وما لا يبصر، كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ هذا جواب القسم، والضمير للقرآن.

والرسول الكريم: جبريل.

وقيل: محمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون ﴿مَّا﴾: نافيةً، فنفى إيمانهم بالجملة.

أو تكون مصدرية، فوصف إيمانهم بالقلة[(١)].

وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم؛ أي: لا تؤمنون ولا تذَّكَّرون ألبتة[(٢)].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٧).

(٢) الكشاف (١٥/ ٦٣٠).

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ التقوُّل: هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل.

ومعنى الآية: لو تقوَّل علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن[١] من عند الله.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ ابن عباس: اليمين هنا: القوة، ومعناه: لو تقوَّل علينا لأخذناه بقوتنا.

وقيل: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يُسجَن: أُخِذ بيده وبيمينه.

وقال الزمخشري: معناه: لو تقوَّل علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾؛ لأن السيَّاف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذ بيده اليمنى؛ ليكون ذلك أشد عليه؛ لنظره إلى السيف[٢].

﴿ٱلْوَتِينَ﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قُطع مات صاحبه، فالمعنى: لقتلناه.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الحاجز: المانع، والمعنى: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه عقابنا[٣].

وإنما جمع ﴿حَٰجِزِينَ﴾؛ لأن ﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ﴾ الضمير: للقرآن.

---

(١) في ب زيادة: «كلام الله وهو . . .».
(٢) الكشاف (١٥/ ٦٣٢).
(٣) في أ، هـ: «عقابًا».

وقيل: لمحمد ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: حسرة عليهم في الآخرة؛ لأنهم يتأسَّفون إذا رأوا ثواب المؤمنين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١﴾ قال الكوفيون: هذا من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع.

وقال الزمخشري: المعنى: عين اليقين، ومحض اليقين[1].

وقال ابن عطية: ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه[2].

---

(١) الكشاف (١٥/ ٦٣٤).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٨).

﴿ سورة المعارج ﴾

[﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣
تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا
٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ
كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ
بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ
١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨
۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١
إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ
وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي
جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾].

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ من قرأ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمز: احتمل معنيين:

أحدها: أن يكون بمعنى الدعاء؛ أي: دعا داعٍ بعذاب واقع، وتكون الإشارة إلى قول الكفار: «أمطر علينا حجارة من السماء»، وكان الذي قالها النضر بن الحارث.

والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار؛ أي: سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى: «عن»، وتكون الإشارة إلى قولهم: «متى هذا الوعد؟» وشبه ذلك.

وأما من قرأ ﴿سَالَ﴾ بغير همز: فيحتمل وجهين:

الأول: أن يكون مخفَّفًا من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران.

والثاني: أن يكون من سال السيل: إذا جرى، ويؤيد ذلك: قراءة ابن عباس: «سال سَيْلٌ»، وتكون الباء على هذا كقولك: «ذهبت بزيد».

وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شبَّه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.

وثانيهما: أن يكون حقيقة، قال زيد بن ثابت: في جهنم واد يقال له: سائل.

فتلخَّص من هذا: أن في القراءة بالهمز[1] معنيين، وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ يحتمل:

[أ-] **أن يتعلَّق بـ** ﴿وَاقِعٍ﴾، وتكون اللام:

بمعنى «على».

أو تكون صفة للعذاب.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «يحتمل»!.

[ب-] أو يتعلق بـ ﴿سَالَ﴾ إذا كانت بمعنى: دَعا، أي: دعا للكافرين بعذاب.

[ج-] أو يكون مستأنفًا، كأنه قال: هو للكافرين.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق:

بـ ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: واقع من عند الله.

أو بـ ﴿دَافِعٌ﴾؛ أي: ليس له دافع من عند الله.

أو يكون صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾.

أو مستأنفًا.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ جمع مَعْرَج، وهو المصعد إلى علْوٍ، كالسُّلَّم والمدارج التي يُرتقى بها.

قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة(١).

وقيل: هي المراقي إلى السماء، وهذا أظهر؛ لأنه فسَّرها بما بعدها من عروج الملائكة والروح إليه، أي: إلى عرشه، ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه(٢).

فالعروج: هو من الأرض إلى العرش(٣).

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٠١).

(٢) في هـ: «وقضاؤه».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة»، أقول: يريد ابن عطية أن المعارج أمور معنوية، =

والروح هنا: جبريل عليه السلام بدليل قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

وقيل: الروح: ملائكة حفَظة على الملائكة، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقله.

وقيل: الروح: جنس أرواح الناس وغيرهم.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين:

أحدهما: أنه يوم القيامة.

والآخر: أنه في الدنيا.

والصحيح: أنه يوم القيامة؛ لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفِّحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد»[1] يعني: يوم القيامة.

= وهي صفات الكمال، فلا تدل على علو الذات في حقه تعالى، بل على علو القدر، وهذا يتفق مع مذهب نفاة علو الله بذاته، ولكن ابن جزي رحمه الله رجَّح أن المعارج هي المصاعد إلى السماء، بدليل قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾، ولكنه قال: تعرج الملائكة والروح إليه أي: إلى عرشه، وهذا تأويلٌ بصرف الكلام عن ظاهره، وهو أنها تعرج إلى الله، ولا موجب لهذا التأويل إلا النزعة إلى نفي العلو الذي هو مذهب القوم، وقد جاء في السنة ما يشهد لظاهر الآية، وهو قوله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وفيه: «ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي» الحديث. والصواب في الآية أن الملائكة والروح تعرج إلى الله.

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧).

ثم اختلف:

هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؟ وهذا هو الأظهر.

أو هل وصف بذلك لشدة أهواله؟ كما يقال: «يوم طويل» إذا كان فيه مصائب وهموم.

وإذا قلنا إنه في الدنيا: فالمعنى: أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عَرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة.

وقيل: الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا، والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة.

وهذا كله على أن يكون قوله: ﴿فِي يَوۡمٍ﴾ يتعلق بـ ﴿تَعۡرُجُ﴾.

ويحتمل أن يكون ﴿فِي يَوۡمٍ﴾ صفةً للعذاب، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة، والمعنى على هذا مستقيم.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره، أي: اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب، ولذلك وصفه بالقرب؛ مبالغةً في تسلية النبي ﷺ.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦﴾ **يحتمل أن يعود الضمير:**

على العذاب.

أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

والبعيد يحتمل أن يراد به:

بُعْد الزمان.

أو بُعْد الإمكان.

وكذلك القرب يحتمل أن يراد به:

قرب الزمان؛ لأن كل آت قريب، ولأن الساعة قد قربت.

أو قرب الإمكان؛ لقدرة الله عليه.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ ﴿يَوْمَ﴾ هنا:

[أ-] بدل من ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

[ب-] أو بدل من الضمير المنصوب في ﴿وَنَرَىٰهُ﴾.

[ج-] أو منصوب:

بقوله: ﴿قَرِيبًا﴾.

أو بقوله: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾.

أو بفعل مضمر تقديره: اذكر، أو: يقعُ العذاب يوم تكون السماء كالمهل.

والمهل: هو دُرْدِيُّ الزيت، شبَّه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة.

وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها، شبَّه السماء به في تلوُّنه.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ العِهن: هو الصوف، شبَّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل(١) أجزائه.

---

(١) في ج، د: «وتخلل».

وقيل: هو الصوف المصبوغ ألوانًا، فكيون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحمر.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الحميم هنا: الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إغاثة[1]؛ لعلمه أنه لا يقدر له على شيء.

وقيل: لا يسأله عن حاله؛ لأن كل أحد مشغول بنفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقال: بَصُرَ الرجلُ بالرجل: إذا رآه، وبصَّرتُه إياه -بالتشديد-: إذا أريتَه إياه.

والضميران يعودان على الحميمين؛ لأنهما في معنى الجمع.

والمعنى: أن كل حميم يُبَصَّر حميمَه يوم القيامة فيراه، ولكنه لا يسأله.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ يعني: امرأته.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني: القرابة الأقربين.

﴿تُـْٔوِيهِ﴾ أي: تضمُّه، فيحتمل أن يريد:

تضمه في الانتماء إليها.

أو في نصرته وحفظه من المضرَّات.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه ﴿لَوْ يَفْتَدِى﴾، وهذا الفعل معطوف على ﴿لَوْ يَفْتَدِى﴾، وإنما عطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾ إشعارًا ببعد النجاة وامتناعها، ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ﴾.

---

(١) في أ، هـ: «إعانة».

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الضمير للنار؛ لأن العذاب يدل عليها.

ويحتمل أن يكون ضميرَ القصة وفسَّره بالخبر.

و﴿لَظَىٰ﴾ علَم لجهنم، مشتقٌّ من اللظى بمعنى اللهب.

﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ الشوى: أطراف الجسد.

وقيل: جلد الرأس، فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعاد.

و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بالرفع:

بدل من ﴿لَظَىٰ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر.

أو خبرٌ لـ ﴿إِنَّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَىٰ﴾: منصوبًا على التخصيص، أو بدلًا من الضمير.

أو خبرٌ ثان لـ ﴿إِنَّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَىٰ﴾ خبرًا لها.

و﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب: حال.

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ يعني: الكفار الذين تولوا عن الإسلام.

ودعاؤها لهم: عبارة عن أخذها لهم.

وقال ابن عباس: تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

وقيل: معناه: تُهلِك، حكاه الخليل عن العرب.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ يقال: أوعيتُ المال وغيره: إذا جمعتَه في وعاء.

فالمعنى: جمع المال وجعله في وعاء، وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حِلّه ومنعوه من حقه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الإنسان هنا: اسم جنس، بدليل الاستثناء منه.

وسئل أحمد بن يحيى مؤلف «الفصيح» عن الهلوع؟ فقال: قد فسَّره الله فلا تفسيرَ أبْيَن من تفسيره وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾[1].

وذكر الله ذلك على وجه الذم لهذا الخُلُق، ولذلك استثنى منه المصلين؛ لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزَعون من شرها ولا يبخلون بخيرها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ الدوام عليها: هو المواظبة بطول العمر.

والمحافظة عليها المذكورة بعد هذا: هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها.

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في «الذاريات» معنى ﴿حَقٌّ﴾، والسائل والمحروم[2].

ووصفه هنا بالمعلوم:

إن أراد الزكاة: فهي معلومة المقدار شرعًا.

---

(١) نقله في الكشاف (١٦/١٨).

(٢) انظر صفحة ٢١٠.

وإن أراد غيرها: فمعنى المعلوم: أن العبد يجعل على نفسه وظيفةً معلومة عنده.

﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي: لا يكون أحد آمنًا منه؛ فإن الأمن من عذاب الله حرام، فلا ينبغي للعبد أن يزول عنه الخوف حتى يدخل الجنة.

﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في «المؤمنين»، وكذلك ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وقال الجمهور: يعني: الشهادة عند الحكام، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها؟

فقيل: هو التحقيق لها، كقوله ﷺ: «على مثل الشمس فاشهد[2]»[3].

وقيل: هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع.

فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء: فهو واجب عليه.

وأما إذا لم يُدع إلى الأداء: فإن الشهادة على ثلاثة أقسام:

أحدها: حقوق الناس، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك.

---

(١) انظر (٣/ ٢٢٧).

(٢) في ب، هـ: «فاشهدوا».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١١٠)، وابن عدي في الضعفاء (٤/ ٦٩).

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك، دُعي أو لم يدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود، فهذا ينبغي ستره حتى يدعى إليه.



[﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾].

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم، كان رسول الله ﷺ إذا صلّى أقبل إليه الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته.

ومعنى ﴿قِبَلَكَ﴾: في جهتك وما يليك.

﴿عِزِينَ﴾ أي: جماعاتٍ شتى وهو جمع عِزَة - بتخفيف الزاي -، وأصله: عِزْوَة، وقيل: عِزْهَة، ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضًا من اللام المحذوفة.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون: إن كان ثَم جنة فنحن أهلها.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كنايةٌ عن المنيّ الذي خلق منه الإنسان.

وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

الأول: تحقير الإنسان والردُّ على المتكبرين، كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مَذِرة[1]، ويصير جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العَذِرة.

---

(١) المذرة: القذرة. القاموس المحيط (م ذ ر).

الثاني: الردُّ على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه سائر الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة.

الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم، كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧﴾ [القيامة: ٣٧] إلى آخر السورة.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ معناه: أقسم، و«لا» زائدة.

﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ ذكرت في «الصافات»[1].

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم، وإبدال قومٍ خير منهم.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: مغلوبين، والمعنى: إنا لا نَعجِز عن التبديل المذكور، أو عن البعث.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف.

﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ يعني: يوم القيامة، بدليل أنه أبدل منه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ النَّصْب: الأصنام، وأصله: كل ما نُصب إلى الإنسان، فهو يَقصد إليه مسرعًا؛ مِن علَم أو بناء أو غير ذلك.

---

(١) انظر (٣/ ٦٥٤).

وفيه لغات: فتح النون وإسكان الصاد، وضمهما، وضم النون وإسكان الصاد.

و﴿يُوفِضُونَ﴾ معناه: يسرعون.

والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر، كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.



﴿ سورة نوح عليه السلام ﴾

[﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ
يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ
وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي
دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ
جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ
جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا
١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ
وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ
خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ
أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ
بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾].

﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ و﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَنۡ﴾:

مفسّرة.

أو مصدرية على تقدير: «بأن أنذر» و«بأن اعبدوا».

والأول أظهر.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد:

عذاب الآخرة.

أو الغرق الذي أصابهم.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِّن﴾ هنا للتبعيض أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يَجبُّ ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم؛ لأن ذلك في مشيئة الله تعالى.

وقيل: إن ﴿مِّن﴾ هنا زائدة، وذلك باطل؛ لأن «مِن» لا تزاد عنه سيبويه إلا في غير الواجب.

وقيل: هي لبيان الجنس.

وقيل: لابتداء الغاية.

وهذان قولان ضعيفان في المعنى.

والأول هو الصحيح؛ لأن التبعيض فيه متجه.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا: يقتضي أنهم إن فعلوا ما أُمروا به أُخروا إلى أجل مسمى، وإن لم يفعلوا لم يؤخَّروا، وذلك مقتضَى القول بالأجلين، وهو مذهب المعتزلة، وعلى هذا حملها الزمخشري[(١)].

وأما على مذهب أهل السنة: فهي من المشكلات، وتأولها ابن عطية فقال: ليس للمعتزلة في الآية تعلق؛ لأن المعنى: أن نوحًا ﷺ لم يعلم هل هم ممن يؤخَّر أو ممن يعاجَل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجلٍ قد

---

(١) الكشاف (١٦/٢٩).

حان، لكن قد سبق في الأزل إنهم إمَّا ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، أو ممن قضي له بالكفر والمعاجلة[١].

وكأنَّ نوحًا عليه السلام قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي عليه بالكفر والمعاجلة، فكأنَّ الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يُبرزه الغيب من حالهم؛ إذ يمكن أن يُبرز إمَّا الإيمان والتأخير، وإما الكفر والمعاجلة، وأما عند الله: فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدَّر محتوم، وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضًا ردٌّ على المعتزلة في قولهم بالأجلين.

ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا، وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلًا ألف عام، وإن لم يؤمنوا عمرهم تسع مئة عام، فالألف عام هي التي لا تؤخر إذا جاءت، والتسع مئة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا[٢].

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤١٦).

(٢) الكشاف (١٦/ ٢٩).

﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم، فذَكر المغفرة التي هي مسبَّبٌ عن الإيمان؛ ليظهر قبح إعراضهم عنه؛ فإنهم أعرضوا عن سعادتهم.

﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه، فيحتمل:

أنهم فعلوا ذلك حقيقة.

أو يكون ذلك عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك.

﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: جعلوها غِشاوة عليهم؛ لئلا يسمعوا كلامه، أو لئلا يراهم.

ويحتمل:

أنهم فعلوا ذلك حقيقة.

أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم.

﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أي: داموا على كفرهم.

﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ إعراب ﴿جِهَارًا﴾:

مصدر من المعنى، كقولك: قعد القرفصاء.

أو صفة لمصدر محذوف تقديره: دُعاءً جهارًا.

أو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجاهرًا.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولًا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية

الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله على نبينا وعليه.

قال ابن عطية: الجهار: دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، والإسرار: دعاء كل واحد على حدته[١].

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ ﴿مِّدْرَارًا﴾: مِفْعَالٌ من الدَّرِّ، وهو كثرة الماء.

وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف، فقيل له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: «والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء»، ثم نزل المطر[٢].

وشكا رجل إلى الحسن الجدبَ، فقال له: استغفر الله.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الوقار بمعنى: التوقير والكرامة، فالمعنى: ما لكم لا ترجون أن يوقِّركم الله في دار ثوابه. قال ذلك الزمخشري، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ على هذا: بيان للموقِّر، ولو تأخر لكان صفة لـ ﴿وَقَارًا﴾[٣].

الثاني: أن الوقار بمعنى: التؤدة والتثبت، والمعنى: ما لكم لا ترجون الله تعالى متثبِّتين؛ حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم[٤]، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ على

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤١٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٩٣).

(٣) الكشاف (١٦/ ٣٤).

(٤) في أ: «يتمكنوا من النظر لوقارهم».

هذا: مفعول دخلت عليه اللام، كقولك: «ضربت لِزيدٍ»، وإعراب ﴿وَقَارًا﴾ على هذا: مصدر في موضع الحال.

الثالث: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف، والوقار بمعنى: العظمة والسلطان، فالمعنى: ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، و﴿لِلَّهِ﴾ على هذا صفة[١] للوقار في المعنى.

الرابع: أن الرجاء بمعنى الخوف، والوقار بمعنى الاستقرار، من قولك: وَقَرَ في المكان: إذا استقر فيه، والمعنى: ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ أي: طورًا بعد طور، يعني: أن الإنسان كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلى سائر أحواله.

وقيل: الأطوار: الأنواع المختلفة، فالمعنى: أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك.

﴿طِبَاقًا﴾ ذكر في «الملك»[٢].

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا، وساغ أن يقول ﴿فِيهِنَّ﴾ لأن القمر لما كان في إحداهن فهو في الجميع، كقولك: فلان في الأندلس كذا: إذا كان في بعضها.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعلَّ الصواب: «صلةً للوقار»، أي: لا تخافون عظمةً لله. انظر: الكشاف (١٦/ ٣٥).

(٢) انظر صفحة ٤٣٨.

والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة.

وجَعْل القمرِ نورًا والشمس سراجًا؛ لأن ضوء السراج أقوى من النور، فإن السراج هو الذي يضيء فيُبصَر به، والنور قد يكون أقل من ذلك.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذه عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض.

و﴿نَبَاتًا﴾:

مصدر على غير الصَّدْر(١).

أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتُّم نباتًا.

ويحتمل أن يكون منصوبًا على الحال.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني: بالدفن.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يعني: بالبعث من القبور.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها.

وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كُرَيَّةٍ(٢)، خلافًا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر.

﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ذكر في «الأنبياء»(٣).

---

(١) انظر التعليق في ١/٥٣٣.

(٢) في أ، ب، هـ: «كورية»، وفي المصباح المنير (ك ر ي): «والنسبة إليها [أي: إلى الكُرَة] كُرَيٌّ وَكُرَيَّةٌ على لفظها».

(٣) انظر (٣/ ١٤٢).

[﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾].

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني: اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم.

وقرئ ﴿وَوَلَدُهُ﴾ بفتحتين، و﴿وُلْدُهُ﴾ بضم الواو وسكون اللام، وهما بمعنى واحد.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ الكبَّار - بالتشديد - أبلغ من الكُبَار - بالتخفيف -، والكبَار المخفف أبلغ من الكبير.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: وصَّى بعضهم بعضًا بذلك.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ هذه أسماء أصنامٍ كان قوم نوح يعبدونها.

وروي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صوَّرهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لنتذكر أعمالهم، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيم مَن بعدهم لتلك الصور، حتى عبدوها من دون الله، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها - وقيل: بل الأسماء فقط - إلى قبائل من العرب، فكان وَدٌّ لكلْبٍ بدُومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لمراد، وكان يعوق لهمَذَان، وكان نسرٌ لذي الكلاع من حمير.

وقرئ ﴿وُدًّا﴾ بفتح الواو وضمها، وهما لغتان.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى: أضلوا كثيرًا من أتباعهم.

وهذا من كلام نوح ﷺ، وكذلك ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ من كلامه، وهو دعاء عليهم.

وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ والتقدير: قال: رب إنهم عصوني، وقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾[1].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ هذا من كلام الله، إخبارٌ عن أمرهم.

و«ما» زائدة للتأكيد.

وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضًا؛ ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النارَ إنما كان بسبب خطيئاتهم، وهي الكفر وسائر المعاصي.

﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ يعني: جهنم، وعبَّر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقَّق.

وقيل: أراد عرضهم على النار، وعبر عنه بالإدخال.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ ﴿دَيَّارًا﴾: من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار دَيَّارٌ؛ أي: ما بها أحد، ووزنه: فَيْعَال، وكان أصله: دَيْوَار، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

وليس وزنه فَعَّال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: دوَّار؛ لأنه مشتق من الدَّوْر أو من الدار.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٤٠-٤١).

وروي أن نوحًا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم.

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا: أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره، وكان والدَا نوح عليه السلام مؤمنين.

قال ابن عباس: لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام، واسم والد نوح: لَمَكُ بن مُتَوَشْلِخ وأمه شَمخا بيت أنوش، حكاه الزمخشري[1].

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ قيل: بيته: المسجد.

وقيل: السفينة.

وقيل: شريعته، سماها بيتًا استعارة، وهذا بعيد.

وقيل: داره، وهذا أرجح؛ لأنه الحقيقة.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك، خلافًا لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة.

قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام، فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار، حقيقٌ أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات.

﴿تَبَارًا﴾ أي: هلاكًا.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٤٤).

﴿سورة الجن﴾

[﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى
ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾
وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا
ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا
﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا
لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ
ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا
لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟
لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن
يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا
﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾].

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ تقدمت في «الأحقاف» قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا(١).

---

(١) انظر صفحة ١٢٥.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ أي: قال بعضهم لبعض.

و﴿عَجَبٗا﴾ مصدر وصف به للمبالغة؛ لأن العجَب مصدر قولك: عجبتُ عجَبًا.

وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ جَدُّ الله: جلاله وعظمته.

وقيل: غناه، من قولك: فلان مجدودٌ: إذا استغنى.

وقرئ ﴿إِنَّهُۥ﴾ في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها، وكذلك فيما بعده إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ﴾.

فأما الكسر:

فاستئنافٌ.

أو عطف على ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا﴾؛ لأنه كُسر في معمول القول، فيكون ما عطف عليه من قول الجن.

وأما الفتح:

فقيل: إنه عطفٌ على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ﴾، وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله: ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ﴾ في موضع معمول ﴿أُوحِيَ﴾، فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحي، وأن لا يكون من كلام الجن!، وهو من كلام الجن.

وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ وهذا ضعيف؛ لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض.

وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدُّ ربنا، وكذلك ما بعده[١].

ولا خلاف في فتح ثلاثة مواضع هي: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، و﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾، و﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾؛ لأن ذلك مما أوحي، لا من كلام الجن.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا من كلام الجن، وسفيههم: أبوهم إبليس.

وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية[٢].

والشطط: التعدي ومجاوزة الحد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ظننا أن الأقوال التي كان الجن والإنس يقولونها على الله صادقة وليست بكذب؛ لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ تفسير هذا: ما روي أن العرب كانوا إذا حلَّ أحدهم بوادٍ صاح بأعلى صوته: «يا عزيزَ هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك»، ويعتقد أن ذلك الجني الذي بالوادي يحميه.

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ضمير الفاعل: للجن، وضمير المفعول: للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضلالًا وإثمًا لما عاذوا بهم.

---

(١) الكشاف (١٦/٤٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٤٢٨).

أو زادوهم تخويفًا لما رأوا ضعف عقولهم.

وقيل: ضمير الفاعل: للإنس، وضمير المفعول: للجن، **والمعنى**: إن الإنس زادوا الجن تكبرًا وطغيانًا لما عاذوا بهم، حتى كان الجني يقول: أنا سيد الجن والإنس.

﴿وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ الضمير في ﴿ظَنُّوا۟﴾ لكفار الإنس، و﴿ظَنَنتُمْ﴾ خطاب الجن بعضهم لبعض.

فالمعنى: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا.

والبعث هنا يحتمل أن يريد به:

بعث الرسل.

أو البعث من القبور.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ هذا إخبار عما حدث عند مبعث النبي ﷺ مِن منع الجن من استراق السمع في السماء ورجمهم بالنجوم.

واللمس: المس، واستعير هنا للطلب.

والحرس: اسم مفرد في معنى الحُرَّاس، كالخَدَم في معنى الخُدَّام، ولذلك وُصِفَ بشديدٍ وهو مفرد.

ويحتمل أن يريد به:

الملائكة الحُرَّاس.

النجوم الحارسة، وكرر الشهب؛ لاختلاف اللفظ.

﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ **المقاعد**: جمع مقعد، وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدًا فوق واحد، فمتى أُحرق الأعلى طَلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها، ثم يزيد الكهان للكلمة مئة كذبة[١].

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الرصد اسم جمع للراصد[٢]، كالحرَس للحارس.

وقال ابن عطية: هو مصدر وُصف به[٣]، ومعناه: مُنتظَر.

قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ.

واختار ابن عطية والزمخشري: أنه كان قبل المبعث قليلًا، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية[٤].

والدليل أنه كان قبل المبعث: قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكبًا انقضَّ: «ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول وُلد ملِك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: «ليس الأمر كذلك»، ثم وصف استراق الجن للسمع[٥]، وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم.

﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيةَ، قال ابن عطية: معناه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).

(٢) في أ، ب، هـ: «للواحد».

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣١).

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٠)، والكشاف (١٦/ ٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

لا ندري أيؤمِن الناس بهذا النبي فيَرشدوا، أو يكفرون به فينزلَ بهم الشر؟[١]

وقال الزمخشري: معناه: لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرًا أو شرًا من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو توفيق؟

﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف، وأراد به: الذين ليس صلاحهم كاملًا، أو الذين ليس لهم صلاح، فإن «دون» قد تكون بمعنى «أقل»، أو بمعنى «غير».

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ الطرائق: المذاهب والسِّيَر وشبهها، والقِدَد: المختلفة وهو جمع قِدَّة.

وهذا بيان للقسمة المذكورة قبلُ، وهو على حذف مضاف؛ أي: كنا ذوي طرائق، أو كنا في طرائق.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الظن هنا: بمعنى العلم.

قال ابن عطية: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم[٢].

ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم.

﴿وَإِنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ يعنون: القرآن.

﴿فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس: النقص والظلم، والرهَق: تحميل ما لا يطاق.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٢).

وقال ابن عباس: البخس: نقص الحسنات، والرهق: الزيادة في السيئات.

﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ يعني: الظالمين، يقال قَسَط الرجل: إذا جار، وأقسط - بالألف -: إذا عدل.

وهاهنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن.

وأما قوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ فيحتمل:

أن يكون من بقية كلامهم.

أو يكون ابتداء كلام الله تعالى، وهو الذي اختاره ابن عطية[1].

وأما قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فهو من كلام الله باتفاق، وليس من كلامهم.

﴿تَحَرَّوْاْ﴾ أي: قصدوا الرَّشَد.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ الماء الغدقُ: هو الكثير، وذلك استعارة في توسيع الرزق.

والطريقة: هي طريقة الإسلام وطاعة الله، فالمعنى: لو استقاموا على ذلك لوسَّع الله أرزاقهم، فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقيل: هي طريقة الكفر، والمعنى على هذا: لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا؛ إملاءً لهم واستدراجًا، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٣).

والأول أظهر.

والضمير في ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ يحتمل أن يكون:

للمسلمين.

أو للقاسطين المذكورين.

أو لجميع الجن.

أو للجن الذين استمعوا النبي[1] ﷺ.

أو لجميع الخلق.

﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة: فمعنى الفتنة: الاختبار هل يشكرون أم لا؟

وإن كانت الطريقة الكفر: فمعنى الفتنة: الإضلال والاستدراج.

﴿نَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾ معنى ﴿نَسۡلُكۡهُ﴾: ندخله.

والصَّعَد: الشديد المشقة، وهو مصدر صَعِد يَصعَد، ووصف بالمصدر للمبالغة، يقال: فلان في صعَدٍ؛ أي: في مشقة.

وقيل: صعَدٌ: جبل في النار[2].

﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، وروي: أن الآية نزلت بسبب تغلُّب قريش على الكعبة.

---

(١) في د، هـ: «للنبي».

(٢) في هـ: «جهنم».

وقيل: أراد الأعضاء التي يُسجَد عليها، واحدها مَسجَد - بفتح الجيم -، وهذا بعيد.

وعطف ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ على ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾.

وقال الخليل: معنى الآية: لأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا؛ أي: لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله، فالعامل في ﴿أَنَّ﴾: ﴿فَلَا تَدْعُواْ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هنا: محمد ﷺ ووصفه بالعبودية؛ اختصاصًا له وتقريبًا[1] وتشريفًا.

وقال الزمخشري: إنما سماه هنا ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل الرسول أو النبي؛ لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه؛ لأنه مما أوحي إليه، فذَكر النبيُّ ﷺ نفسَه على ما يقتضيه التواضع والتذلل[2].

وهذا الذي قاله بعيد، مع أنه إنما يتمكن على قراءة ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ بفتح الهمزة، فيكون عطفًا على ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف: فيكون إخبارًا من الله، أو من جملة كلام الجن، فيَبطل ما قاله.

﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللِّبَد: الجماعات، واحدها لِبْدَة.

والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ يحتمل:

أن يكون للكفار من الناس، أي: كادوا يجتمعون على الردِّ عليه وإبطال أمره.

---

(١) في هامش د: «خ: وتكريمًا».

(٢) الكشاف (١٦/ ٦٤).

أو يكون للجن الذين استمعوا، أي: كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن، والتبرُّك به.

* * *

[﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾
قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن
يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ
لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن
رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾].

﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأ.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ بدل من ﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: لا أجد ملجئًا[1] إلا بلاغ الرسالة.

أو بدل من ﴿ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾: أي: لا أملك شيئًا إلا بلاغ الرسالة.

ويحتمل أن يكون استثناء منقطعًا.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الزمخشري: هذا الجار والمجرور ليس بصلةٍ لبلاغٍ، إنما هو بمعنى: بلاغًا كائنًا من الله[2].

ويحتمل عندي: أن يكون متعلقًا بـ ﴿بَلَٰغًا﴾، والمعنى: بلاغ عن الله.

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ قال الزمخشري: إنه معطوف على ﴿بَلَٰغًا﴾، كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة[3].

---

(١) في ب، هـ: «منجى».
(٢) الكشاف (١٦/ ٧٠).
(٣) الكشاف (١٦/ ٧٠).

ويحتمل أن يكون ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ معطوفًا على اسم الله.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على معنى ﴿وَمَن يَعْصِ﴾؛ لأنه في معنى الجمع.

والآية في الكفار، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين؛ لأن مذهبهم خلودُهم في النار.

والدليل على أنها في الكفار وجهان:

أحدهما: أنها مكية، والسور المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلَّقت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وجُعلت غاية لذلك.

والمعنى: أنهم يَكْفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون، قال ذلك الزمخشري، وقال أيضًا: يجوز أن يتعلق بمحذوفٍ يدل عليه المعنى، كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون[(١)]، وهذا أظهر.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ﴿إِنْ﴾ هنا نافية، والمعنى: قل: لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد، وعبَّر عن بُعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾.

ويعني بـ ﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾: قتْلَهم ببدر، أو يوم القيامة.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٧١).

﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي: لا يُطلع على علم الغيب أحدًا إلا من ارتضى، وهم الرسل؛ فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك.

و﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض.

والرسول هنا يَحتمل أن يراد به:

الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية[1].

أو الرسل من بني آدم، وعلى هذا حملها الزمخشري[2]، واستَدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدَّعون المكاشَفة بالغيوب؛ فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم.

وفيها أيضًا دليل على إبطال الكِهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعِي أهلُها الاطلاع على الغيب؛ لأنهم ليسوا من الرسل.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾ المعنى: أن الله يسلك من بين يدي الرسول ومن خلفه ملائكة يكونون رصَدًا يحفظونه من الشياطين[3].

وقد ذكرنا ﴿رَصَدًا﴾ في هذه السورة.

قال بعضهم: ما بعث الله رسولًا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة[4] ربه.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٨).
(٢) الكشاف (١٦/ ٧٣).
(٣) في أ، ب، ج: «الشيطان».
(٤) في ج: «رسالات».

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بـ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: أي: ليعلم اللهُ أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، أي: يعلمه موجودًا، وقد كان علم ذلك قبل كونه.

الثاني: ليعلم محمدٌ أن الملائكة الرصَد قد أبلغوا رسالات ربهم.

الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد أبلغوا الرسالة.

والأول أظهر.

وجَمَعَ الضمير في ﴿أَبْلَغُواْ﴾ وفي ﴿رَبِّهِمْ﴾ حملًا على المعنى؛ لأن ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ يراد به جماعة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع.

وهذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾؛ لأن معناه أنه قد علم، قال ذلك ابن عطية[1].

ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ هذا عمومٌ في جميع الأشياء.

و﴿عَدَدًا﴾ منصوب:

على الحال.

أو تمييز.

أو مصدر من معنى ﴿أَحْصَىٰ﴾.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٨).

﴿ سورة المزمل ﴾

[﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ
وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ
قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ
ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ
ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾
ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ نداء للنبي ﷺ.

ووزن ﴿ ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ مُتفَعِّل فأصله: مُتَزَمِّل، ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي.

وفي تسمية النبي ﷺ بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزمِّلًا في كساء أو لحاف، والتزمُّل: الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، هذا قول عائشة والجمهور.

الثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أن معناه المتزمل للنبوَّة، أي: المشمِّر، المُجِدُّ في أمرها.

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري ومسلم: «أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائصه، فقال: زملوني زملوني»، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[١]، وعلى هذا نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، فالتزمُّل[٢] على هذا: تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أولَ ما جاء جبريل.

وقال الزمخشري: كان نائمًا في قطيفة فنودي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾؛ ليُهَجِّنَ[٣] إليه الحالةَ التي كان عليها من التزمُّل في القطيفة؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل[٤]. وهذا القول بعيد غير سديد.

وقال السهيلي: في ندائه بالمزمل فائدتان:

إحداهما: الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطَب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي: «قم أبا تراب»[٥].

والفائدة الأخرى: التنبيه لكل متزمل راقد بالليل؛ ليتنبَّه إلى ذكر الله؛

---

(١) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) في ب، هـ: «فالمتزمل».

(٣) أي: يقبِّح، والتهجين: التقبيح. القاموس المحيط (هـ ج ن).

(٤) الكشاف (١٦/ ٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩).

لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة[١].

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب؟

فعلى القول بالندب: هو ثابت غير منسوخ.

وأما على القول بالوجوب: ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده، ولم يزل فرضًا عليه حتى توفي.

الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نُسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآيةَ، وصار تطوعًا، هذا قول عائشة رضي الله عنها وهو الصحيح.

واختلف كم بقي فرضًا؟

فقالت عائشة: عامًا.

وقيل: ثمانية أشهر.

وقيل: عشرة أعوام، فالآية الناسخة على هذا مدنية.

الثالث: أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمته، وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله، إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن وابن سيرين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول -وهو الأشهر والأظهر-: أن الاستثناء من الليل، وقوله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾

---

(١) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٥٥-٣٥٦).

بدل من ﴿اَلَّيۡلَ﴾، أو من: «قليلٍ»، وجعل النصف قليلًا بالنسبة إلى الجميع.

والضميران في: ﴿اَنقُصۡ مِنۡهُ﴾، و﴿زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ عائدان على النصف.

والمعنى: أن الله خيَّره بين ثلاثة أحوال، وهي: أن يقوم نصف الليل، أو يَنقص من النصف قليلًا، أو يزيد[1] عليه.

القول الثاني: قال الزمخشري: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ استثناء من النصف، كأنه قال: «نصف الليل إلا قليلًا»[2].

فخيَّره على هذا بين حالتين، وهما: أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿أَوِ اَنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ قد تضمن معنى النقص من النصف؛ فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضًا: يجوز أن يريد بقوله: ﴿اَنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ نصف النصف، وهو الربع، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ يعود على ذلك؛ أي: زد على الربع فيكون ثلثًا[3].

فالتخيير على هذا: بين قيام النصف أو الثلث أو الربع، وهذا أيضًا بعيد.

القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بـ ﴿اَلَّيۡلَ﴾ على هذا: الليالي، فهو جنس[4]، وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما

---

(١) في أ، ج، هـ: «يزاد».

(٢) الكشاف (١٦/ ٨٣).

(٣) الكشاف (١٦/ ٨٧).

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤١).

بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدلَّ ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعضُ أجزاء الليل، لا بعض الليالي.

فإن قيل: لم قيَّد النقص من النصف بالقلة فقال: ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ وأطلق في الزيادة فقال: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل «قليلًا»؟

فالجواب: أن الزيادة تحسُن فيها الكثرة؛ فلذلك لم يقيدها بالقلة، بخلاف النقص، فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرٌ.

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ الترتيل: هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعينٌ على التفكر في معاني القرآن، بخلاف الهذِّ الذي لا يَفقه صاحبُه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته حرفًا حرفًا، ولا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرُّ بآية عذاب، إلا وقف وتعوَّذ[(١)].

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ هذه الآية اعتراض بين آيات قيام الليل.

والقول الثقيل: هو القرآن، واختلف في وصفه بالثِّقَل على خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلًا؛ لِمَا كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى إن جبينه ليتفصَّد[(٢)] عرَقًا في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه ﷺ بذلك حتى إنه إذا أُوحي إليه وهو على ناقته برَكت به، وأوحي إليه وفَخِذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن تُرَضَّ فَخِذُ زيد، والثقل على هذا: حقيقة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٤٠)، وأبو داود (٨٧١)، والنسائي في الكبرى (١/ ٣٦١)، وابن ماجه (١٣٥١).

(٢) في ب، ج، هـ: «يتفصد».

الثاني: أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده.

الثالث: أن ثقيل في الميزان.

الرابع: أنه كلام له وزنٌ ورجحان.

الخامس: أنه ثقيل لما تضمَّن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية[١]، وعلى هذا يناسب الاعتراضُ بهذه الآية قيامَ الليل؛ لمشقته.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ في الناشئة سبعة أقوال:

الأول: أنه النفس الناشئة بالليل؛ أي: التي تنشأ[٢] من مَضجعها وتقوم للصلاة.

الثاني: الجماعة الناشئة الذين يقومون للصلاة.

الثالث: العبادة الناشئة بالليل؛ أي: تحدث فيه.

الرابع: الناشئة: القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئةً[٣].

الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء.

السادس: الناشئة بين المغرب والعشاء.

السابع: ناشئة الليل: ساعاته كلها.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤٢).

(٢) في أ، هـ: «تنشوا»!.

(٣) في ب: «ناشئة الليل»، وفي د: «ناشئًا».

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ يَحتمل معنيين:

أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي، ومنه قول النبي ﷺ: «**اللهم أشدد وطأتك على مضر**»(١)، والأثقل أعظم أجرًا، فالمعنى: تحريض على قيام الليل؛ لكثرة الأجر.

الثاني: أشدُّ ثبوتًا؛ من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

وقرئ ﴿وِطَاءً﴾ بكسر الواو على وزن فِعَال، ومعناه: موافقةً؛ أي: يوافق القلبُ اللسانَ بحضور(٢) الذهن.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ السبح هنا: عبارة عن التصرف في الأشغال.

والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك، وتفرَّغْ بالليل لعبادة ربك.

وقيل: المعنى: إن فاتك شيء من صلاة الليل فأدِّه بالنهار؛ فإنه طويل يسع فيه ذلك.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ **قيل**: معناه قل: «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول صلاتك.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده.

وقيل: التبتل: رفض الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥).

(٢) في د: «الحضور».

و﴿تَبۡتِيلٗا﴾ مصدرٌ على غير الصَّدْر[١].

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ الوكيل: هو القائم بالأمور، والذي توكل إليه الأشياء، فهو أمرٌ بالتوكل على الله.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: على ما يقول الكفار، والآية منسوخة بالسيف.

وقيل: إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾، وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم، وانتصب ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ على أنه مفعول معه، أو معطوف.

﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ أي: التنعُّم في الدنيا.

وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة، وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا.

﴿أَنكَالٗا﴾ جمع نِكْلٍ، وهو القيد من الحديد.

ويروى أنها قيود سنود من نار.

﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ يعني: شجرة الزقوم، ومعنى ﴿ذَا غُصَّةٖ﴾: يَغَصُّ به؛ أي: يَختنق.

وقيل: هو شوك من نار يعترض في حلوقهم[٢] لا ينزل ولا يخرج.

---

(١) انظر التعليق في ١/٥٣٣.

(٢) في د: «حلقومهم».

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصُعق[١].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: تهتزُّ وتزلزل.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى الكلام المتقدم، وهو ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾.

﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ الكثيب: كُدْسُ الرمل، والمهيل: اللين الرِّخو الذي تَهِيلُه[٢] الريح أي: تنشره[٣]، وزنه مفعول.

والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس؛ لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة.

وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة[٤].

﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية.

وإنما يشهد على من أدركه؛ لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]»[٥].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني: موسى عليه السلام، وهو المراد بقوله: ﴿فَعَصَىٰ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٨٥).

(٢) في أ، هـ: «تثيره»، في ب، ج: «تنثره».

(٣) قوله «أي: تنشره» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٤) الكشاف (١٦/ ١٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ فاللام للعهد.

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: غليظًا شديدًا.

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به، وناصبه: ﴿تَتَّقُونَ﴾ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم.

وقيل: هو مفعول به[1]، على أن يكون ﴿كَفَرْتُمْ﴾ بمعنى: جحدتم.

وقيل: هو ظرف؛ أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾.

﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ ﴿ٱلْوِلْدَٰنَ﴾ جمع وليد، وهو الطفل الصغير.

والشِّيب - بكسر الشين -: جمع أَشيب، ووزنه فُعْل بضم الفاء، وكسرت لأجل الياء.

و﴿يَجْعَلُ﴾ يحتمل أن يكون مسندًا:

إلى الله تعالى.

أو إلى اليوم.

والمعنى: أن الأطفال يَشيبون يوم القيامة:

فقيل: إن ذلك حقيقة.

وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم.

---

(١) أي: مفعول بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾. الكشاف (١٦/ ١٠٠).

وقيل: إنه عبارة عن طوله.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ﴾ الانفطار: الانشقاق.

والضمير المجرور يعود على اليوم؛ أي: تتفطر[١] السماء بشدة هوله.

ويحتمل أن يعود على الله؛ أي: تتفطر[٢] بأمره وقدرته.

والأول أظهر.

و﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ مؤنثة، وجاء ﴿مُنفَطِرُۢ﴾ بالتذكير:

لأن تأنيثها غير حقيقي.

أو على الإضافة، تقديره: ذات انفطار.

أو لأنه أراد السقف.

﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾ الضمير في ﴿وَعۡدُهُۥ﴾ يحتمل أن يعود:

على اليوم.

أو على الله.

والأول أظهر؛ لأنه ملفوظ به.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ يريد: سبيل التقرب إلى الله.

ومعنى الكلام: حضٌّ على ذلك وترغيب فيه.

---

(١) في د، هـ: «تنفطر».

(٢) في د، هـ: «تنفطر».

[﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أُمر به في أول السورة من قيام الليل.

ومعناها: إن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قيامًا مختلفًا، مرة يكثر ومرة يقل؛ لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن.

﴿وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾ من قرأهما بالخفض: فهو عطف على ﴿ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه ومن ثلثه.

ومن قرأ بالنصب: فهو عطف على ﴿أَدْنَىٰ﴾؛ أي: تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفَه تارة وثلثه تارة.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ يعني: المسلمين، وهو معطوف على الضمير الفاعل في ﴿تَقُومُ﴾.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام؛ أي: لن تحصوا تقدير الليل.

وقيل: معناه: لن تطيقوه؛ أي: لن تطيقوا قيام الليل كله.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف، كقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: ١٣].

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ أي: إذا لم تقدروا على قيام الليل كله، فقوموا بعضه، واقرؤوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب.

وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور(١).

وقال قوم - منهم الحسن وابن سيرين -: هو فرض لا بدَّ منه ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم: من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر.

وقيل: كان فرضًا ثم نسخ بالصلوات الخمس.

وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم.

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي(٢) لبني آدم تمنعهم من قيام الليل، فمنها: المرض، ومنها: السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، ومنها: الجهاد.

ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر:

تأكيدًا للأمر به.

أو تأكيدًا للتخفيف، وهذا أظهر؛ لأنه ذكره بإثْرِ الأعذار.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ يعني: المكتوبتين.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤٧).

(٢) في د زيادة: «تكون».

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ معناه تصدقوا، وقد ذكر في «البقرة»[١].

﴿هُوَ خَيْرًا﴾ نصب ﴿خَيْرًا﴾؛ لأنه مفعول ثان لـ ﴿تَجِدُوهُ﴾، والضمير فصْلٌ.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء: إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثًا[٢].

* * *

(١) انظر (١/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١).

﴿ سورة المدثر ﴾

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ
﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ
﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا
﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا
عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ
﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ
لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ وزنه: مُتَفَعِّل، ومعناه: الذي تدثَّر في كساء أو ثياب. وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسَبما ذكرنا في موضعه(١).

وقال السهيلي: في ندائه بـ ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ثلاث فوائد: الاثنتان اللتان ذكرتا

---

(١) انظر صفحة ٥١٩.

في «المزمل»، وفائدة ثالثة؛ وهي: أن العرب يقولون: «النذير العُريان»، للنذير الذي يكون في غاية الجِد والتشمير، والنذير[(١)] بالثياب ضد هذا، فكأنه تنبيهٌ على ما يجب من التشمير[(٢)].

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن.

والصحيح أن سورة «اقرأ» نزلت قبلها.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ أي: أنذر الناس، وهذه بِعثة عامة.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أي: عظِّمه.

ويحتمل أن يريد قول: «الله أكبر»، ويؤيد ذلك: ما روي عن أبي هريرة: أن المسلمين قالوا: بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾[(٣)].

وقول: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة.

واختلف على هذا: هل يحمل على الوجوب؛ فتكون إزالة النجاسة واجبة؟، أو على الندب؛ فتكون سنة؟

والآخر: أنه يراد به: الطهارة من الذنوب والعيوب، فالثياب على هذا: مجاز.

---

(١) في ب: «التدثر»، وفي ج: «والمدثر»
(٢) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٥٧-٣٥٨).
(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٨/ ٤٥١) ولم أقف على إسناد له.

الثالث: أن معناه: لا تلبس الثياب من مكسب خبيث.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرجز: الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ[1]، وهو قول عائشة.

والآخر: أن الرِجز: السُّخْط والعذاب، وهذا أصله في اللغة، فمعناه: اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه.

الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رِجز.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ يحتمل قوله: ﴿تَمْنُن﴾ أن يكون:

من معنى العطاء.

أو معنى المنّ، وهو ذكر العطاء وشبهه.

أو معنى الضعف.

فإن كان من العطاء: ففيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: لا تعط شيئًا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأمَّته.

والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره؛ فإن الكريم يستقلُّ ما يُعطي وإنْ كان كثيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر، وفي بعض طرقه «قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان»، فيكون هذا من تفسير أبي سلمة وليس من تفسير النبي ﷺ.

وإن كان من المنِّ بالشيء: ففيه وجهان:

الأول: لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه.

الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب.

وإن كان من الضعف: فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حمَّلناك من ذلك.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ أي: اصبر لوجهه وطلب رضاه.

ويحتمل أن يريد الصبر:

على المكاره والمصائب.

أو على إذاية الكفار له.

أو على العبادة.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ يعني: نُفخ في الصور.

ويحتمل أن يريد: النفخة الأولى، أو الثانية.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ هذا وعيد وتهديد.

ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق.

وفي معنى ﴿وَحِيدًا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: روي أنه كان يلقَّب الوحيد؛ أي: لا نظير له في ماله وشرفه، فكونه وحيدًا نعمةٌ عدَّدها الله عليه.

الثاني: أن معناه: خلقته منفردًا ذليلًا.

الثالث: أن معناه: خلقته وحدي، فـ ﴿وَحِيدًا﴾ على هذا من صفة الله تعالى، وإعرابه على هذا: حال من الضمير الفاعل في قوله: ﴿خَلَقْتُ﴾.

وهو على القولين الأولين: حال من الضمير المفعول.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢﴾ أي: كثيرًا، واختلف في مقداره؛ **فقيل**: ألف دينار، **وقيل**: عشرة آلاف.

وقيل: يعني: الأرض؛ لأنها مُدَّت.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ أي: حضورًا، وروي أنه كان له عشرة من الأولاد[(١)] - وقيل: ثلاثة عشر - لا يفارقونه.

وأسلم منهم ثلاثة، وهم: خالد، وهشام، وعِمَارة.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤﴾ أي: بسطت له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥﴾ أي: يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله، وهذه غاية الحرص.

﴿كَلَّآ﴾ زجرٌ عما طمع فيه من الزيادة.

﴿عَنِيدًا﴾ أي: معاندًا مخالفًا.

والآيات هنا: يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه: إنه سحر.

ويحتمل أن يريد الدلائل.

---

(١) في ب، د، هـ: «الولد».

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ الصعود: العقبة الصعبة، روي عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم، كلما صعِدها الإنسان ذاب ثم يعود[١].

فالمعنى: سأشق عليه بتكليفه الصُّعود فيها.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨﴾ أي: ﴿فَكَّرَ﴾ فيما يقول، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول في القرآن؛ أي: هيَّأ كلامه.

روي أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم، ودخل إلى أبي بكر الصديق، فعاتبه أبو جهل، وقال له: إن قريشًا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يخلِّصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولًا يرضيهم، فافتُتن وقال: أفعلُ ذلك، ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر؟ ما هو شعر، أقول كاهن؟ ما هو بكاهن، أقول: إنه سحر وإنه قول البشر؛ أي: ليس منزلًا من عند الله.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ دعاءٌ عليه وذم، وكرره تأكيدًا لذمه وتقبيحِ حاله.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه: استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله: ﴿قُتِلَ﴾ لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: «قاتل الله فلانًا ما أشجعه!»، يريدون التعجب من حاله واستعظامَ وصفه[٢].

وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناءً عليه على طريقة الاستهزاء،

---

(١) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص: ٢٨١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٥٧).

أو حكايةً لقول قريش؛ تهكُّمًا بهم[1].

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ أي: نظر في قوله، وقدَّر ما يقول.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ البُسور: هو تقطيب الوجه، وهو أشد من العبوس.

وفعَل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أو عبس في وجهه ﷺ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الإسلام.

﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يُنقل عمن تقدم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تعظيمٌ لها وتهويل.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ مبالغة في وصف عذابها؛ أي: لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياه.

أو[2] لا تبقي شيئًا ألقي فيها إلا أهلكته، وإذا أُهلك[3] لم تذره هالكًا بل يعود إلى العذاب.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ معنى ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: مغيِّرة، يقال: لاحَه السفرُ وغيْرُه: إذا غيَّره.

والبَشَر: جمع بَشَرة، وهي الجلدة.

فالمعنى: أنها تحرق الجلود وتسوِّدها.

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٢٥).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

(٣) في ب: «أهلكته».

وقيل: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: مِن لاح: إذا ظهر، والبشَر: الناس؛ أي: تلوح للناس.

وقال الحسن: تلوح لهم من مسيرة خمس مئة عام.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ يعني: الزبانية خزَنة جهنم:

فقيل: هم تسعة عشرة ملكًا.

وقيل: تسعة عشر صفًا.

وقيل: تسعة عشر صنفًا من الملائكة.

والأول أشهر.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ قال أبو جهل لقريش: أيعجِز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به؟ فنزلت الآية.

ومعناها: أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم.

وروي: أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم، ويقولوا ما قالوا.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: يعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي: لا يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق.

فإن قيل: كيف نفَى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد، وهو تكرار؟

فالجواب: أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يُستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال.

وقال الزمخشري: ذلك مبالغة وتأكيد[١].

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ المرض: عبارة عن الشك، وأكثر ما يطلق ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ على المنافقين.

فإن قيل: هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معناه: يقول المنافقون إذا حدثوا، ففيه إخبار بالغيب.

والآخر: أن يريد: مَن كان بمكة من أهل الشك.

وقولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ استبعادٌ لأن يكون هذا من عند الله.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يَحتمل القصد بهذا وجهين:

أحدهما: وصف جنود الله بالكثرة؛ أي: هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله.

والآخر: رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر؛ أي: لا يعلم أعداد

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٣٥-١٣٦).

جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددًا قليلًا ومنهم عددًا كثيرًا حسَبما أراد الله.

﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ الضمير:

لجهنم.

أو للآيات المتقدمة.

* * *

[﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ
ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ
صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ
ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للكفار عن كفرهم.

وقال الزمخشري: هي إنكار لأن يكون لهم ذكرى(١).

﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي: ولَّى.

وقرئ ﴿دَبَرَ﴾ بغير ألف، والمعنى واحد.

وقيل: معناه: دبَر الليلُ النهارَ؛ أي: جاء في دبره.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: أضاء، ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ الضمير:

لجهنم.

أو للآيات والنذارة؛ أي: هي من الأمور العظام.

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٣٨).

و﴿ٱلۡكُبَرِ﴾ جمع كُبرى.

وقال ابن عطية: جمع كبيرة[١].

والأول هو الصحيح.

﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ٣٦﴾ تمييزٌ.

أو حال من ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾.

وقيل: النذير هنا: الله، فالعامل فيه على هذا محذوف، وهذا ضعيف.

وقيل: هو حال من أول السورة؛ أي: «قم فأنذر نذيرًا»، وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من بِدَع التفاسير[٢].

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ التقدُّم: عبارة عن سلوك طريق الهدى، والتأخر ضده.

و﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدل من البشر.

أي: هم متمكنون من التقدم أو التأخر.

وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩].

وعلى هذا أعرب الزمخشري ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ مبتدأ و﴿لِمَن شَآءَ﴾ خبره[٣].

والأول أظهر.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٢).

(٢) الكشاف (١٦/ ١٤٠).

(٣) الكشاف (١٦/ ١٤٠).

﴿رَهِينَةٌ﴾ قال ابن عطية: الهاء في ﴿رَهِينَةٌ﴾ للمبالغة، أو على تأنيث النفس[١].

وقال الزمخشري: ليست بتأنيث «رهين»؛ لأن فعيلًا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرَّهن؛ أي: كل نفس رهْنٌ عند الله بعملها[٢].

﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩﴾ أي: أهل السعادة؛ فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة، كما يفكُّ الراهن رهنه بأداء الحق.

وقال عليّ بن أبي طالب: أصحاب اليمين: هم الأطفال؛ لأنهم لا أعمال لهم يُرتهنون بها.

وقال ابن عباس: هم الملائكة.

﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضًا عن حال المجرمين الذين في النار.

﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ أي: ما أدخلكم النار؟

وهذا خطاب للمجرمين، يحتمل أن خاطبهم به: المسؤولون، أو الملائكة.

فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ وما بعده، أي: هذا هو الذي أوجب دخولهم النار.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٤).

(٢) الكشاف (١٦/ ١٤١-١٤٢).

وإنما أخر التكذيب بيوم الدين؛ تعظيمًا له؛ لأنه أكبر جرائمهم.

﴿نَخُوضُ﴾ الخوض: هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ هو الموت عند المفسرين.

وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا: ما كانوا يكذِّبون به في الدنيا، فيتيقَّنوه بعد الموت[1].

﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار.

وجمْع ﴿ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ دليلٌ على كثرتهم، كما ورد في الآثار: «يشفع[2] الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون»[3].

﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ يعني: كفار قريش.

﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾﴾ المستنفَرة بفتح الفاء: التي استنفرها الفزَع. وبالكسر: بمعنى النافرة.

شبه الكفار بالحمير[4] النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام، ويعني: حمير الوحش.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٥).

(٢) في ب، د: «تشفع».

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) بلفظ: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون» في حديث طويل، وأخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) بلفظ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء».

(٤) في د: «بالحمر».

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ ابن عباس: القسورة: الرماة.

وقال أيضًا: هو الأسد.

وقيل: أصوات الناس.

وقيل: الرجال الشِّداد.

وقيل: سواد أول الليل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ المعنى: يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابٌ من عند الله.

ومعنى ﴿مُّنَشَّرَةً﴾: منشورة غير مطوية؛ أي: طرية كما كتبت لم تُطْوَ بعد، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كلَّ واحد منا بكتاب من السماء فيها[1]: «من رب العالمين إلى فلان بن فلان» نؤمر باتباعك.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عما أرادوه.

﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: هذه هي العلة والسبب في إعراضهم.

﴿كَلَّا﴾ تأكيدٌ للردع الأول.

أو ردع عن عدم خوفهم للآخرة.

﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ الضمير:

لما تقدم من الكلام.

أو للقرآن بجملته.

---

(١) في ب، د: «فيه».

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ فاعل ﴿شَآءَ﴾ ضمير يعود على ﴿مَن﴾، وفي ذلك حض وترغيب.

وقيل: الفاعل هو الله.

ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله.

﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهلٌ لأن يُتَّقَى؛ لشدة عقابه، وهو أهل لأن يَغفر الذنوب؛ لكرمه وسعة رحمته وفضله.

* * *

﴿ سورة القيامة ﴾

[﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ
عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ
ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ
أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣
بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ
عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ
ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ
۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾].

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ في الموضعين: معناه أقسم، و﴿لَآ﴾ زائدة لتأكيد القسم.

وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة: «ألَا».

وقيل: هي نفيٌ لكلام الكفار.

﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب، أو التقصير في الطاعة؛ فإن النفوس على ثلاثة أنواع:

فخيرها: النفس المطمئنة.

وشرها: النفس الأمارة بالسوء.

وبينهما: النفس اللوامة.

وقيل: اللوامة: هي المذمومة الفاجرة، وهذا بعيد؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظِّم من المخلوقات، ويستقيم إن كان ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ نفيًا للقسم.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ الإنسان هنا: للجنس، والإشارة به إلى الكفار المنكرين للبعث.

ومعناه: أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب؟

وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم.

﴿بَلَىٰ﴾ تقديره: نجمعها.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في ﴿نَّجۡمَعَ﴾، والتقدير: نجمعها ونحن قادرون.

﴿أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ البنان: الأصابع، وفي المعنى قولان:

أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث؛ أي: قادرين على أن نسوي أصابعه؛ أي: نخلقها بعد فنائها مستويةً متقَنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء؛ لدقة عظامها وتفرقها.

والآخر: أنه تهديد في الدنيا؛ أي: قادرين أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة، كيد الحمار وخف الجمل، فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه.

والأول أليق بسياق الكلام.

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، ويجوز أن تكون استفهامًا مثلها، أو تكون خبرًا.

وليست ﴿بَلْ﴾ هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله؛ وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده.

و﴿يَفْجُرَ﴾ معناه: يفعل أفعال الفجور.

وفي معنى ﴿أَمَامَهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان، أي: يفجر بقية عمره.

الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته، يقال: مشى فلان قُدَّامه: إذا لم يرجع عن شيء يريده.

والضمير على هذين القولين: يعود على الإنسان.

الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾ ﴿أَيَّانَ﴾ معناها: «متى».

وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد له.

﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة.

وقيل: عن حالة الموت، وهذا خطأ؛ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس.

و﴿بَرَقَ﴾ بفتح الراء: معناه لمع وصار له بريق.

وقُرئ بكسر الراء، ومعناه تحيَّر من الفزع.

وقيل: معناه: شَخَصَ، فيتقارب معنى الفتح والكسر.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ ذهب ضوئه، يقال: خسف هو، وخسَفه الله.

والخسوف للقمر، والكسوف للشمس.

وقيل: الكسوف: ذهاب بعض الضوء، والخسوف: ذهاب جميعه.

وقيل: هما بمعنى واحد.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما يجمعان حيث يُطلعهما الله من المغرب.

والآخر: أنهما يجمعان يوم القيامة، ثم يقذف بهما في النار -وقيل: في البحر-، فتكون النار الكبرى.

الثالث: أنهما يجمعان[1] فيذهب ضوءهما.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ أي: لا ملجأ ولا مُغيث.

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: بجميع أعماله ما قدَّم منها في أول عمره وما أخر في آخره.

وقيل: ما قدم في حياته وما أخر من سُنَّة أو وصية بعد مماته.

وقيل: ما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات.

وقيل: ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه شاهدٌ على نفسه بأعماله؛ إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

---

(١) في د: «يجتمعان».

والآخر: أنه حجة بينة؛ لأن خِلْقته تدل على خالقه، فوُصف بالبِصَارة مجازًا؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق.

والأول أليق بما قبله وما بعده، كأنه قال: ينبأ الإنسان يومئذ بأعماله، بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾، ويكون هو جواب ﴿لَوْ﴾ حسَبما نذكره.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعاذير: الأعذار؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن المعاذير: الستور؛ أي أن الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سَدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على القرآن، دلت على ذلك قرينة الحال.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه؛ مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن يُنصت ويستمع(١).

وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك، وشق عليه، فنزلت الآية.

والأول هو الصحيح؛ لأنه ورد في البخاري وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره، فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله.

ويحتمل ﴿قُرْءَانَهُۥ﴾ هنا وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة، فإن القرآن قد يكون مصدرًا مِن قرأت.

والآخر: أن يكون معناه: تأليفه في صدره، فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي: جمعتُه.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ أي: إذا قرأه جبريل، فجعل قراءة جبريل قراءة الله؛ لأنها من عنده.

ومعنى ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ استمع قراءته واتبعها بذهنك؛ لتحفظها.

وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ أي: علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه.

وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه.

فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآيةَ، لما قبلها؟

فالجواب: أنه لعله نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول.

﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا.

و﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن ذلك.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ بالضاد أي: ناعمة، ومنه ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة.

وأنكره المعتزلة، وتأولوا ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بأن معناه: منتظرة، وهذا باطل؛ لأن «نظَر» بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول: نظرتك أي: انتظرتك، وأما المتعدي بـ «إلى» فهو من نظر العين، ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣].

وقال بعضهم: «إلى» هنا ليست بحرف جر، وإنما هي واحد «الآلاء» بمعنى النعم، وهذا تكلف في غاية البعد.

وتأوله الزمخشري: بأن معناه كقول الناس: «فلان ناظر إلى فلان» إذا كان يرتجيه ويتعلق به[1]، وهذا بعيد.

وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل، فهي تفسير للآية.

﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة تظهر عليها الكآبة، والبُسور: أشد من العبوس.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي: مصيبة قاصمة الظهر.

والظن هنا يحتمل أن يكون: على أصله، أو بمعنى اليقين.

---

(١) الكشاف (١٦/ ١٧١).

[﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾].

﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ يعني: حالة الموت.

و﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾: جمع تَرْقُوَة، وهي عظام أعلى الصدر.

والفاعل بـ ﴿بَلَغَتِ﴾: نفس الإنسان، دل على ذلك سياق الكلام.

وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ أي: قال أهل المريض: مَن يَرقِيه عسى أن يشفيَه؟

وقيل: معناه: أن الملائكة تقول: من يَرقَى بروحه؛ أي: يصعد بها إلى السماء؟

فالأول: من الرُّقية، وهو أشهر وأظهر.

والثاني: من الرُّقِيّ، وهو العلوُّ.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ أي: تيقَّن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ هذه عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته، أي: التفت ساقه على الأخرى عند السياق.

وقيل: هو مجاز، كقولك: «كشفت الحرب عن ساقها»: إذا اشتدت.

وقيل: معناه: ماتت ساقه فلا تحمله.

وقيل: التفَّت: أي: لفها الكفَن إذا كُفِّن.

وفي قوله: ﴿ٱلسَّاقُ﴾ و﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ هذا جواب ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾.

و﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ مصدر من السَّوق، كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ «لا» هنا نافية، و﴿صَدَّقَ﴾ هنا يحتمل أن يكون: من التصديق بالله ورسله.

أو من الصدقة.

ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل.

﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: يتبختر في مشيه[١]، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء، وكانت هذه المِشْية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ وعيد وتهديد.

﴿فَأَوْلَىٰ﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيدًا.

ويروى أن رسول الله ﷺ لبَّبَ[٢] أبا جهل وقال له: «إن الله يقول لك: أولى لك فأولى». فنزل القرآن بموافقة ذلك[٣].

---

(١) في ب: «مشيته».

(٢) أي: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة، ثم جرَّه. القاموس المحيط (ل ب ب).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٢٥).

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ هذا توبيخ، ومعناه: أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والإنسان هنا: جنس.

وقيل: نزلت في أبي جهل.

ولا يبعد أن يكون سببها خاصًا ومعناها عامٌّ.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ النطفة: النقطة، و﴿تُمْنَىٰ﴾: من قولك: أمنى الرجل.

ومعنى الآية: الاستدلال بخِلقة الإنسان على بعثه، كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

والعلقة: الدم؛ لأن المنيَّ يصير في الرحم دمًا.

﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: خلقه بشرًا فسوى صورته؛ أي: أتقنها.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ هذا تقرير واحتجاج.

وروي أن رسول الله ﷺ: «كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: بلى»[1]، وفي رواية: «سبحانك اللهم بلى»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٣٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٨٤).

﴿ سورة الإنسان ﴾

[﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن
نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ
كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ
شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾
وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ
إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ
جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾].

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ ﴿هَلْ﴾ هنا بمعنى التقرير، لا لمجرد الاستفهام.

وقيل: هي بمعنى «قد».

و﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هنا: جنس، والحين الذي أتى عليه: حين كان معدومًا قبل أن يخلق.

وقيل: الإنسان هنا: آدم، والحين الذي أتى عليه: حين كان طينًا قبل أن ينفخ فيه الروح، وهذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: قوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق؛ إذ لا يصح هذا في آدم.

والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان.

﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ﴾ أي: أخلاط، واحدها: مَشَجٌ بفتح الميم والشين.

وقيل: مَشْجٌ بوزن: عَدْلٍ.

وقال الزمخشري: ليس ﴿أَمۡشَاجٍ﴾ بجمع، وإنما هو مفرد كقولهم: «بُرْمةٌ أعشارٌ»، ولذلك وقع صفة للمفرد.

واختلف في معنى الاختلاط هنا:

فقيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء.

وقيل: اختلاط ماء الرجل والمرأة، وروي أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة.

وقيل: معناه: ألوان وأطوار، أي: يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة.

﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ أي: نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له.

وقيل: معناه: نَصْرِفه في بطن أمه نطفة ثم علقة.

﴿فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

ومَن جعل ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ بمعنى نصرفه في بطن أمه: فهذا عطف عليه.

وقيل: إن ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ مؤخر في المعنى؛ أي: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه، وهذا تكلف بعيد.

﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الخير والشر، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين: شاكرٍ وكفورٍ، وهما حالان من الضمير في ﴿هَدَيْنَهُ﴾.

والهدى هنا: بمعنى بيان الطريقين، ومَوْهبة العقل الذي يميز به بينهما.

ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد؛ أي: هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨][(١)].

﴿سَلَٰسِلَا﴾ من قرأه بغير تنوين: فهو الأصل؛ إذ هو لا ينصرف؛ لأنه جمعٌ لا نظير له في الآحاد.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد» إلخ، أقول: يريد أن الهدى في قوله ﴿هَدَيْنَهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى أرشدناه، فإن كان الإرشاد عنده بمعنى دللْناه؛ فهو بمعنى البيان، وهو المعنى الأول الذي ذكره المصنف، وإن كان بمعنى دعوناه إليه فلا يصح؛ فإنه تعالى لا يدعو إلا إلى سبيل الحق وطريق الخير، وعلى هذا فالصواب أن الهدى بمعنى البيان، وهو المعنى الأول الذي قدمه المؤلف، وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: الهدى والضلال، والكفر والإيمان؛ كلٌ من عند الله، أي: بقَدره ومشيئته، وهذا هو معنى الإيمان بالقدر خيره وشره. وقوله: «ومَوهبةِ العقل الذي يميِّز به بينهما» لعله يريد أن العقل مما يميِّز به بين طريق الخير وطريق الشر، لا أنه لا يستقل بذلك، بل التمييز التام بين الطريقين إنما يكون بما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ومن قرأ بالتنوين: فله ثلاث توجيهات:

أحدها: أنها لغة لبعض العرب، يصرفون كل ما لا ينصرف إلا «أفْعَل».

والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق، وأجرى الوصل مُجرى الوقف.

والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة رَاويةً للشعر، قد عوَّد لسانه صرف ما لا ينصرف، فجرى على ذلك.

﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ جمع بارّ أو بَرّ، ومعناه: العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح، حتى قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذرَّ.

﴿مِن كَأۡسٍ﴾ ذكر في «الصافات»[1] معنى الكأس.

و﴿مِن﴾ هنا يحتمل أن تكون: للتبعيض، أو لابتداء الغاية.

﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: تمزج الخمر بالكافور.

وقيل: المعنى: أنه كافور في طيب رائحته، كما تمدح طعامًا فتقول: هذا مسك.

﴿عَيۡنٗا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾ على القول بأن الخمر تمزج بالكافور.

وبدل من موضع ﴿مِن كَأۡسٍ﴾ على القول الآخر، كأنه قال: يشربون خمرًا خمرَ عين.

وقيل: هو مفعول بـ ﴿يَشۡرَبُونَ﴾.

---

(١) انظر (٣/ ٦٦٤).

وقيل: منصوب بإضمار فعل.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى: يشربها[1]، وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها.

وإنما هي كقولك: «شربت الماء بالعسل»؛ لأن العين المذكورة يمزج بها الكأس من الخمر.

﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية فيه معنى التقريب والاختصاص، كقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يُجْرُونها[2] حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرًا سهلًا لا يصعب عليهم.

وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينًا تنفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي: منتشرًا شائعًا، ومنه: «استطار الفجر»: إذا انتشر ضوؤه.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطرهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء يتيم فدفعوه له، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له، وباتوا طاوين.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٨).

(٢) في أ، هـ: «يفجرونها»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٦/ ١٨٩).

والآية على هذا مدنية؛ لأن عليًّا إنما تزوج فاطمة بالمدينة.

وقيل: هي مكية، وليست في علي.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير[1] للطعام؛ أي: يطعمونه مع حبه والحاجة إليه، فهو كقوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ تتميم، وهو من أدوات البيان.

وقيل: الضمير لله.

وقيل: للإطعام المفهوم من ﴿يُطْعِمُونَ﴾.

والأول أرجح وأظهر.

﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين[2] واليتيم[3].

وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الأسير الكافر بين[4] المسلمين، ففي إطعامه أجر؛ لأن في كل ذي كبد رطبة[5] أجرًا، وقيل: نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

---

(١) في أ، هـ: «عائد».
(٢) انظر (٢/ ٥٠٢).
(٣) انظر (١/ ٣٣١).
(٤) في ج: «بيد».
(٥) في ب، د: «رطب».

والثالث: أنه المملوك.

والرابع: أنه المسجون.

والخامس: أنه المرأة؛ لقوله ﷺ «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهنَّ عوانٍ عندكم»[١]، وهذا بعيد.

والأول أرجح؛ لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: «أحسن إليه»[٢].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله، ولذلك فسروه وأكدوه[٣] بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

والشُّكور: مصدر كالشكر.

ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام:

بألسنتهم.

أو قالوه في نفوسهم، فهو عبارة عن النية والقصد.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وَصْفُ اليوم بالعبوس مجازٌ على وجهين:

أحدهما: أن يصف اليوم بصفة أهله، كقولهم: «نهاره صائم» و«ليله قائم»، وروي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القَطِران.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥)، والترمذي (١١٦٣)، والنسائي (٨/ ٢٦٤)، وابن ماجه (١٨٥١).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٦/ ١٩١) عن الحسن مرسلًا، ولم أقف على إسناده.

(٣) في ب، د: «فسره وأكده».

والآخر: أن يشبَّه في شدَّته بالأسد العبوس.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال ابن عباس: معناه طويل.

وقيل: شديد.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ النضرة: التنعم. وهذا في مقابلة عبوس الكافر.

وقوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾ و﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ من أدوات البيان، وهو[1].

﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي: بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم، حسَبما ذكرنا من قصة علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ.

وقد ذكرنا ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾[2].

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ عبارة عن اعتدال هوائها؛ أي: ليس فيها حر ولا برد.

والزمهرير: هو البرد الشديد.

وقيل: هو القمر بلغة طيِّءٍ، والمعنى على هذا: أن الجنةَ[3] ضياءٌ؛ فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ معناه: أن ظلال الأشجار متدلية[4] عليهم، قريبة

---

(١) في جميع النسخ الخطية هنا بياض بمقدار كلمة تقريبًا!، ولعله المناسب أن يكتب مكانه: «التجنيس»، وانظر المقدمة (١/ ١١٤).

(٢) انظر (٣/ ٢٦)، (٣/ ٦٤٤).

(٣) في د: «في الجنة».

(٤) في هامش د: «خ: مدنية».

منهم؛ لأن الشيء المُظِلَّ إذا بَعُدَ فتر[١] ظله.

وإعراب ﴿وَدَانِيَةً﴾: معطوف على ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

وقال الزمخشري: هو معطوف على الجملة التي قبلها، وهي ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ لأن هذه جملةٌ في حكم المفرد، تقديره: «غيرَ رائين فيها شمسًا ولا زمهريرًا، ودانيةً» ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم، أي: جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنوِّ الظِّلال[٢].

وقيل: هو صفة لـ﴿جَنَّةً﴾، عطفت بالواو كقولك: «فلان عالم وصالح».

وقيل: هو معطوف عليها؛ أي: وجنةً أخرى دانيةً عليهم ظلالها.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ القطوف: جمع قِطْفٍ، وهو العنقود من النخل والعنب، وشبه ذلك.

وتذليلها: هو أن تتدلى إلى الأرض.

وروي: أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى لهم كما يريدون.

وهذه الجملة:

في موضع الحال من ﴿وَدَانِيَةً﴾؛ أي: دانية في حال تذليل قطوفها.

أو معطوفة عليها.

---

(١) في د: «بعُد».

(٢) الكشاف (١٦/ ١٩٥).

﴿بِـَٔانِيَةٍ﴾ هي جمع إناء ووزنها أَفْعِلة.

وقد ذكرنا الأكواب في «الواقعة»(١).

﴿قَوَارِيرَا۠﴾ القوارير: هي الزجاج.

فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾؟

فالجواب: أن المراد: أنها في أصلها من فضة وهي تُشْبه الزجاج في صفائها وشَفيفها.

وقيل: هي من زجاج، وجعلها من فضة على وجه التشبيه؛ لشرف الفضة وبياضها.

ومن قرأ ﴿قَوَارِيرَا۠﴾:

بغير تنوين: فهو على الأصل.

ومن نوَّنه: فعلى ما ذكرنا في ﴿سَلَـٰسِلَا۠﴾.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للقوارير، والمعنى: قدَّروها على قدر الأكُفّ، أو على قدر ما يحتاجون من الشرب، قال مجاهد: هي لا تَفيض ولا تَغيض.

وقيل: قدروها على حسَب ما يشتهون.

والضمير الفاعل في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يحتمل أن يكون:

للشاربين بها.

أو للطائفين بها.

---

(١) انظر صفحة ٦٨٥.

﴿مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ هو كما ذكرنا في ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

﴿سَلْسَبِيلًا﴾ معناه: سلسٌ منقادُ الجِرْية.

وقيل: سهل الانحدار في الحلق[١].

يقال: شرابٌ سلسل وسلسال وسلسبيل: بمعنى واحد.

وزيدت الباء في التركيب؛ للمبالغة في سلاسته، فصارت الكلمة خماسية.

وقيل: «سل» فعل أمر و«سبيلًا» مفعول به، وهذا في غاية الضعف.

﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ذكر في «الواقعة»[٢].

﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ شبههم باللؤلؤ: في الحسن[٣] والبياض، وبالمنثور منه: في كثرتهم وانتشارهم في القصور.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول ﴿رَأَيْتَ﴾ محذوفٌ؛ ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها.

و﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان.

وقال الفراء: تقديره: «إذا رأيت ما ثَم»، فـ«ما» مفعولة ثم حذفت.

قال الزمخشري: هذا خطأ؛ لأن «ثَمَّ» صلة لـ«ما»، ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة[٤].

---

(١) في ج: «الحلوق».
(٢) انظر صفحة ٢٨٥.
(٣) في ب: «اللون».
(٤) الكشاف (١٦/٢٠٣).

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يعني: كثرة ما أعطاهم الله، حتى إن أدنى أهل الجنة منزلةً له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه، حسَبما ورد في الحديث[١].

وقيل: أراد أن الملائكة تسلم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالملوك.

﴿عَالِيهِمْ﴾ بسكون الياء: مبتدأ خبره: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أي: ما يعلوهم من الثياب ثيابُ سندس.

وقُرئ بالنصب: على الحال من الضمير في ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾.

وقال ابن عطية: العامل فيه ﴿وَلَقَّنَهُمْ﴾ أو ﴿وَجَزَنَهُم﴾، وقال أيضًا: يجوز أن ينتصب على الظرف؛ لأن معناه: «فوقَهم»[٢].

وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق[٣].

وقرئ: ﴿خُضْرٌ﴾:

بالخفض: صفة لـ ﴿سُندُسٍ﴾.

وبالرفع: صفة لـ ﴿ثِيَابُ﴾.

و﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾:

بالرفع: عطف على ﴿ثِيَابُ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩)، وفيه: «مثل مُلْك ملِكٍ من ملوك الدنيا».
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٩٧).
(٣) انظر (٣/ ٢٦).

وبالخفض: عطف على ﴿سُندُسٍ﴾.

﴿وَحُلُّوٓا۟﴾ وزنه: فُعِّلُوا، ومعناه: جُعل لهم حَلْيٌ.

﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الأساور في «الكهف»[١].

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾، وفي موضع آخر: ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾؟

فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما**»[٢]، فلعل الذهب للمقربين، والفضة لأهل اليمين.

ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معًا.

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: ليس بنجس كخمر الدنيا.

وقيل: معناه: أنه لم تعصره الأقدام.

وقيل: معناه: لا يصير بولًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي: يقال لهم هذا، يقوله الله تعالى أو الملائكة.



---

(١) انظر (٣/ ٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

[﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾].

﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع، فالمعنى: لا تطع النوعين: فاعلًا للإثم، ولا كافرًا.

وقيل: هي بمعنى الواو؛ أي: جامعًا للوصفين؛ لأن هذه هي حالة الكفار.

وروي أنه الآية نزلت في أبي جهل.

وقيل: إن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة.

والأحسن أنها على العموم؛ لأن لفظها عام، وإن كان سبب نزولها خاصًا.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمرٌ بذكر الله في كل وقت.

وقيل: هو إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر، ومن الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، والإشارة إلى الكفار.

واليوم الثقيل: يوم القيامة، ووصفه بالثِّقَل[1] عبارةٌ عن هوله وشدته.

---

(١) في د: «بالثقيل».

﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْۖ﴾ الأَسْرُ: الخِلقة.

وقيل: المفاصل والأوصال.

وقيل: القوة.

﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم.

وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم.

وهذا تهديد.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ﴾ الإشارةُ:

إلى الآية.

أو السورة.

أو الشريعة بجملتها.

﴿فَمَن شَآءَ﴾ تحضيض وترغيب، ثم قيَّد مشيئتهم بمشيئة الله.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: يعذب الظالمين.



﴿ سورة المرسلات ﴾

[﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا
السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ
الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ
﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ
نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ
﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا
تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا
يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ
وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾].

اختُلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين:

أحدهما: أنها الملائكة.

والآخر: أنها الرياح.

فعلى القول بأنها الملائكة:

سماهم المرسلات؛ لأنه تعالى يرسلهم بالوحي وغيره.

وسماهم العاصفات؛ لأنهم يَعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيِّهم[١] إلى امتثال أوامر الله تعالى.

وسماهم الناشرات؛ لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو، أو ينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال.

وسماهم الفارقات؛ لأنهم يفرِّقون بين الحق والباطل.

وعلى القول بأنها الرياح:

سماها المرسلات؛ لقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الروم: ٤٨].

وسماها العاصفات من قوله: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]؛ أي: شديدة.

وسماها الناشرات؛ لأنها تنشر السحاب في الجو، ومنه قوله: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨].

وسماها الفارقات؛ لأنها تفرِّق بين السحاب ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الروم: ٤٨].

وأما ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: فهم الملائكة؛ لأنهم يلقون الذكر للأنبياء ﷺ.

والأظهر في المرسلات والعاصفات: أنها الرياح[٢]؛ لأن وصف الريح بالعصف حقيقة.

---

(١) في د: «مشيهم».

(٢) في أ، د: «الريح».

والأظهر في الناشرات والفارقات: أنها الملائكة؛ لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة، ولم يقل أحد إنها الرياح.

ولذلك عطف المتجانسَينِ بالفاء فقال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾، ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾، ثم عطف عليه المتجانسينِ بالفاء.

وقد قيل في ﴿الْمُرْسَلَٰتِ﴾ و﴿الْمُلْقِيَٰتِ﴾: إنهم الأنبياء عليهم السلام.

﴿عُرْفًا﴾ معناه: فضلًا وإنعامًا، وانتصابه: على أنه مفعول من أجله.

وقيل: معناه: متتابِعةً، وهو مصدر في موضع الحال.

وأما ﴿عَصْفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ و﴿فَرْقًا﴾: فمصادر.

وأما ﴿ذِكْرًا﴾: فمفعول به.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ العذر: فسَّره ابن عطية[1] وغيره بمعنى: إعذار الله إلى عباده؛ لئلا تبقى لهم حجة أو عذر.

وفسره الزمخشري: بمعنى الاعتذار، يقال: عَذَر: إذا محا الإساءة[2].

وأما ﴿نُذُرًا﴾ فمن الإنذار وهو التخويف.

وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٠٤).

(٢) الكشاف (١٦/ ٢٢٢).

ويحتمل أن يكونا مصدرَينِ، فيكون نصبهما:

على البدل من ﴿ذِكۡرًا﴾.

أو مفعولًا من أجله.

أو مفعولًا بـ ﴿ذِكۡرًا﴾.

ويحتمل أن يكون ﴿عُذۡرًا﴾ جمع عَذير أو عاذر، و﴿نُذُرًا﴾ جمع نذير، فيكون نصبهما: على الحال.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ يعني: البعث والجزاء، وهو جواب القسم.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ أي: زال ضوؤها.

وقيل: مُحِيتْ.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ أي: انشقت.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ أي: صارت غبارًا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾ أي: جُعل لها وقت معلوم، فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة.

وقرئ ﴿وُقِّتَتْ﴾ بالواو وهو الأصل، والهمزة بدل من الواو.

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾ هو من الأجل، كالتوقيت من الوقت.

وفيه توقيفٌ يراد به تعظيمٌ لذلك اليوم، ثم بينه بقوله: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ أي: [1] يفصل فيه بين العباد، ثم عظَّمه بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾.

---

(١) في ب زيادة: «يوم».

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ تكراره في هذه السورة:

قيل: إنه تأكيد.

وقيل: بل في كل آية ما يقتضي التصديق، فجاء ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ راجعًا إلى ما قبله في كل موضع منها.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾ يعني: الكفار المتقدمين، كقوم نوح وغيرهم.

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧﴾ يعني: قريشًا وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ، وهذا وعيد لهم ظهَر مِصداقه يوم بدر وغيره.

﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: مثلَ هذا الفعل نفعل بكل مجرم؛ يعني الكفار.

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠﴾ يعني: المنيّ، والمهين: الضعيف.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١﴾ يعني: رحم المرأة وبطنها.

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢﴾ يعني: وقت الولادة، وهو معلوم عند الله، وهو تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر.

﴿فَقَدَّرۡنَا﴾ بالتشديد: من التقدير، وبالتخفيف: من القدرة.

فإذا كان من القدرة: اتفق مع قوله: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾.

وإذا كان من التقدير: فهو تجنيس.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ٢٦﴾ الكِفات: مِن كفَتَ: إذا ضَمَّ وجمع.

فالمعنى: أن الأرض تَكْفِتُ الأحياء على ظهرها، والموتى في بطنها.

وانتصب ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ على أنه مفعول بـ ﴿كِفَاتًا﴾؛ لأن الكفات اسم لم يُضَمّ ويُجمَع، فكأنه قال: جامعةً أحياءً وأمواتًا.

ويجوز أن يكون المعنى: تكفتهم أحياءً وأمواتًا، فيكون نصبهما على الحال من الضمير.

وإنما نكَّر ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾؛ للتفخيم، ودلالةً على كثرتهم.

﴿رَوَٰسِىَ﴾ يعني: الجبال.

﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي: مرتفعات.

﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ أي: حلوًا.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ خطاب للمكذبين.

وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض.

ثم كرَّره؛ لبيان المنطلَق إليه.

﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ يعني: دخان جهنم، ومنه: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣﴾ [الواقعة: ٤٣].

﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ أي: يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتُظِلُّهم، بينما يكون المؤمنون في ظِلِّ العرش.

وقيل: إن هذه الآية في عَبَدَةِ الصليب؛ لأنه[1] على ثلاثة شعب، فيقال لهم انطلقوا إليه.

---

(١) أي: الصليب.

﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ نفَى عنه أن يُظلهم كما يُظل العرشُ المؤمنين، ونفى أيضًا أن يمنع عنهم اللهب.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ لجهنم.

والقصر: واحد القصور، وهي الديار العِظام، شبه الشَّرر به في عِظَمه وفي ارتفاعه في الهواء.

وقيل: هو الغليظ من الشجر، واحده قَصْرةٌ، كجمرة وجمْر.

﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ في الجمالات قولان:

أحدهما: أنه جمع جِمَالٍ، شبه بها الشرر، و﴿صُفْرٌ﴾ على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة.

وقيل: ﴿صُفْرٌ﴾ هنا: بمعنى سودٌ، يقال: جمل أصفر أي: أسود، وهذا أليق بوصف[(١)] جهنم.

الثاني: أن الجمالات: قطع النحاس الكبار، فكأنه مشتق من الجُمْلة.

وقرئ ﴿جُمَٰلَتٌ﴾ بضم الجيم، وهي قُلُوس السفن، وهي حبالها العِظام.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هذا في مواطن، وقد يتكلمون في مواطن أخر؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ تعجيز لهم، وتعريض بكيدهم في الدنيا، وتقريع عليه.

---

(١) في أ، هـ: «الوصف».

[﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٞ يَوْمَئِذٖ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٞ يَوْمَئِذٖ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٞ يَوْمَئِذٖ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾].

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ يقال لهم ذلك في الجنة: بلسان الحال، أو بلسان المقال.

﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ نصبٌ:

على الحال.

أو على الدعاء.

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم: كلوا وتمتعوا قليلًا في الدنيا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا.

وذِكْر الركوع: عبارةٌ عن الصلاة.

وقيل: معنى ﴿ٱرْكَعُواْ﴾: اخشعوا وتواضعوا لله.

وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم: اركعوا لا يقدرون على الركوع، كقوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

والأول أشهر وأظهر.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

﴿ سورة النبإ ﴾

[﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ
سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ
حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ
كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝٢٢ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٣ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَاءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝٢٩ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾].

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ أصل ﴿عَمَّ﴾: «عَنْ مَا»، ثم أدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، تقديرها: عن أي شيء يتساءلون؟

وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام، وإنما المراد تفخيم الأمر.

والضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾:

لكفار قريش.

أو لجميع الناس.

ومعناه: يسأل بعضهم بعضًا.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك.

ويتعلق ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ﴾ بفعل محذوف يفسره الظاهر، تقديره: يتساءلون عن النبإ.

ووقعت هذه الجملة جوابًا عن الاستفهام، وبيانًا للمسؤول عنه، كأنه لما قال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ أجاب فقال: يتساءلون عن النبإ العظيم.

وقيل: يتعلق ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ﴾ بـ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ الظاهر، والمعنى على هذا: لأيِّ شيء يتساءلون عن النبإ العظيم؟

والأول أفصح وأبرع، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ إن كان الضمير في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ لكفار قريش فاختلافهم:

أن منهم من يقطع بالتكذيب، ومنهم من يشك.

أو يكون اختلافهم قول بعضهم: سحر، وقول بعضهم: شعر وكهانة وغير ذلك.

وإن كان الضمير لجميع الناس: فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ردعٌ وتهديد، ثم كرره للتأكيد.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ أي: فراشًا.

وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة[١] التوقيف؛ ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول: إن الإله الذي قدَر على خِلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم.

ويَحتمل أن يذكرها حجةً على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ شبهها بالأوتاد؛ لأنها تمسك الأرض أن تميد.

﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨﴾ أي: مُزدوِجِينَ[٢] ذكرًا وأنثى.

وقيل: معناه: أنواعًا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم.

﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩﴾ أي: راحة لكم.

وقيل: معناه قطعًا للأعمال والتصرف، والسَّبْت: القطع.

وقيل: معناه: مَوْتًا؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢].

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ شبهه بالثياب التي تُلبَس؛ لأنه يَستر[٣] عن العيون.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ أي: تُطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره: ذا معاش.

وقال الزمخشري: معناه يُعاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة

---

(١) في ب، د: «وجه».
(٢) في ج: «من زوجين».
(٣) في أ، هـ: «ستر».

السُّبات الذي بمعنى الموت[١].

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ يعني: السموات.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني: الشمس، والوهَّاج: الوقَّاد الشديد الإضاءة.

وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لهَبِه.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ يعني: المطر.

و﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: هي السحاب، وهو مأخوذ:

من العَصر؛ لأن السحاب تنعصر فينزل منها الماء.

أو من العُصْرة؛ بمعنى الإغاثة، ومنه: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

وقيل: هي السماوات.

وقيل: هي الرياح.

والثجَّاج: السريع الاندفاع.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ الحب: هو القمح والشعير وسائر الحبوب، والنبات: هو العشب.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: ملتفَّة، وهو جمع لُفّ بضم اللام، وقيل: بالكسر.

وقيل: لا واحد له.

﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي: في وقت معلوم.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يعني: نفخة القيام من القبور.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٢٤٤).

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعاتٍ.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: تنفتح فيكون فيها شِقاق كالأبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: حُملت.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها.

والسراب في اللغة: ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما هو تشبيه به في أنه لا شيء.

﴿مِرْصَادًا﴾ أي: موضع الرَّصْد، والرَّصْد: هو الارتقاب والانتظار؛ أي: تنتظر الكفار ليدخلوها.

وقيل: معناه: طريقًا للمؤمنين يجوزون عليها إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جهنم.

﴿مَـَٔابًا﴾ أي: مرجعًا.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ جمع حِقْبة أو حقب[1]، وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة.

وقيل: إنها محدودة، ثم اختلف في مقدارها:

فروي عن النبي ﷺ أنها ثلاثون ألف سنة[2].

---

(١) في المحرر الوجيز (٨/ ٥١٧): «جمع حُقَب بضم الحاء وفتح القاف، وحِقَب بكسر الحاء، وحُقُب بضمها وضم القاف».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٣٩٥) من حديث أبي أمامة، وقال: «بسند ضعيف».

وقال ابن عباس: ثمانون سنة.

وقيل: ثلاث مئة سنة.

وعلى القول بالتحديد: فالمعنى: أنهم يبقون فيها أحقابًا، كلما انقضى حقبٌ جاء آخر إلى غير نهاية.

وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي، ثم نسخ بقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾، وهذا خطأ؛ لأن الأخبار لا تُنسخ.

وقيل: هي في عُصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار، وهذا خطأ؛ لأنها في الكفار لقوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

وقيل: معناها أنهم يبقون أحقابًا[1] لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا، ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي: لا يذوقون برودةً تخفف عنهم حر النار.

وقيل: لا يذوقون ماء باردًا.

وقيل: البرد هنا النوم.

والأول أظهر.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ استثناء من الشراب، وهو متصل.

والحميم: الماء الحار.

---

(١) في أ، هـ: «أحيانًا».

والغسَاق: صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة «داود»[١].

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي: موافقًا أعمالهم؛ لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار.

و﴿وِفَاقًا﴾:

مصدر وصف به.

أو هو على حذف مضاف تقديره: ذا وفاق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا مثل ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وقد ذكر[٢].

﴿كِذَّابًا﴾ بالتشديد: مصدر بمعنى تكذيب.

وبالتخفيف: بمعنى:

الكذب.

أو المكاذبة؛ وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية»[٣].

* * *

(١) انظر (٣/ ٧٢٥).

(٢) انظر (٢/ ٥٣٩)، (٣/٣٣٢).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١١٧).

[﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ
أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾].

﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز، يعني: الجنة.

﴿حَدَآئِقَ﴾ أي: بساتين.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب، وهي الجارية التي خرج ثديها.

﴿أَتْرَابًا﴾ أي: على سن واحد(١).

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ أي: ملأى.

وقيل: صافية.

والأول أشهر.

﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ أي: كافيًا، مِن أَحسَبه الشيءُ: إذا كفاه.

وقيل: معناه: على حسَب أعمالهم.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالرفع: مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر.

وبالخفض صفة لـ ﴿رَّبِّكَ﴾.

و﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ بالخفض: صفة.

---

(١) في ب: «واحدة».

وبالرفع: خبر المبتدأ، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال ابن عطية: الضمير للكفار؛ أي: لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها[١].

ويحتمل أن يكون المعنى: لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾.

وقال الزمخشري: الضمير لجميع الخلق؛ أي: ليس بأيديهم شيء من خطاب الله[٢].

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قيل: هو جبريل.

وقيل: ملَك عظيم يكون هو وحده صفًّا، والملائكة صفًّا.

وقيل: يعني: أرواح بني آدم، فهو اسم جنس.

و﴿يَوْمَ﴾ يتعلق:

بـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾.

أو بـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح؛ أي: تمنعهم الهيبة من الكلام[٣] إلا بعد أن يأذن الله لهم، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٣).

(٢) الكشاف (١٦/ ٢٥٨).

(٣) في ب: «كلام الله».

وقيل: الضمير للناس خاصة، والصواب المشار إليه: قول: «لا إله إلا الله»؛ أي: من قالها في الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الحق وجوده ووقوعه.

﴿فَمَن شَآءَ﴾ تحضيضٌ وترغيب.

﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني: عذاب الآخرة، ووصفَه بالقرب:

لأن كل آت قريب.

أو لأن الدنيا على آخرها.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء هنا: عموم في المؤمن والكافر.

وقيل: هو المؤمن.

وقيل: هو الكافر.

والعموم أحسن؛ لأن كل أحد يرى ما عمل، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآيةَ [الزلزلة: ٧].

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابًا فلا يحاسب ولا يجازَى.

وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابًا؛ أي: لم يخلق.

وروي أن البهائم تحشر؛ ليقتصَّ لبعضها من بعض، ثم تُردُّ ترابًا، فيتمنى الكافر أن يكون مثلها، وهذا يقوِّي الأول.

وقيل: الكافر هنا: إبليس، يتمنى أن يكون[1] من تراب، مثل آدم وذريته؛ لما رأى ثوابهم، وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].



(١) في د زيادة: «يوم القيامة».

﴿ سورة النازعات ﴾

[﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا
﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ
﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ
﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ
أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ
وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ
ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾].

اختُلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات:

فقيل: إنها الملائكة.

وقيل: النجوم.

فعلى القول بأنها الملائكة:

سماهم نازعات؛ لأنهم ينزِعون نفوس بني آدم من أجسادهم[1].

---

(١) في ب، ج، د: «أجسادها».

وناشطات؛ لأنهم يَنشِطونها؛ أي: يُخرجونها، فهو من قولك: نَشَطتُ الدلوَ من البئر: إذا أخرجتَها.

وسابحات؛ لأنهم يَسبحون في سيرهم؛ أي: يسرعون، فيسبقون، فيدبِّرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسَبما يأمرهم الله.

وعلى القول بأنها النجوم:

سماها نازعات؛ لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب.

وناشطات؛ لأنها تَنشِط من برج إلى برج.

وسابحات؛ لأنها تسبح في الفَلَك، ومنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فتسبق في جريها، فتدبِّر أمرًا من علم الحساب.

وقال ابن عطية: لا أعلم خلافًا أن ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة[١].

وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا[٢].

وقد قيل في النازعات والناشطات: إنها النفوس، تَنزِعُ من معنى النزع بالموت، فتَنشِط من الأجساد.

وقيل في السابحات والسابقات: إنها الخيل، وإنها السفن.

﴿غَرْقًا﴾ إن قلنا: إن النازعات الملائكة: ففي معنى ﴿غَرْقًا﴾ وجهان:

أحدهما: أنه من الغرَق؛ أي: تغرق الكفار في جهنم.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٧).

(٢) الكشاف (١٦/ ٢٦٤-٢٦٧).

والآخر: أنه من الإغراق في الأمر، بمعنى المبالغة فيه؛ أي: تبالغ في نزع النفوس حتى تخرجها من أقاصي الأجساد.

وإن قلنا: إن النازعات النجوم: فهو من الإغراق بمعنى المبالغة؛ أي: تبالغ في نزعها فتقطع الفلَك كله.

وإن قلنا: إنها النفوس: فهو أيضًا من الإغراق؛ أي: تغرق في الخروج من الجسد.

وإعراب:

﴿غَرْقًا﴾ مصدر في موضع الحال.

و﴿نَشْطًا﴾ و﴿سَبْحًا﴾ و﴿سَبْقًا﴾: مصادر.

و﴿أَمْرًا﴾ مفعول به.

وجواب القسم: محذوف، وهو بعث الموتى، بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة.

وقيل: الجواب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾ على تقدير حذف لام التأكيد[1].

وقيل: هو: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٢٦﴾ وهذا بعيد؛ لبعده عن القسم، ولأنه إشارة إلى قصة فرعون، لا لمعنى القسم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قيل: الراجفة: النفخة الأولى في الصور، والرادفة: النفخة الثانية؛ لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة، من

---

(١) كأنه قال: «ليومَ». المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٨).

قولك: رَدِفتُ الشيءَ: إذا تبعتَه، وفي الحديث: «إن بينهما أربعين عامًا»[(١)].

وقيل: الراجفة: الموت، والرادفة: القيامة.

وقيل: الراجفة: الأرض، من قوله: ﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، والرادفة: السماء لأنها تنشق يومئذ.

والعامل في ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ محذوف، وهو الجواب المقدر، تقديره: «لتبعثن يوم ترجف الرجفة».

وإن جعلنا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ الجواب: فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ معنى قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾، ويكون: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ في موضع الحال.

ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿تَتْبَعُهَا﴾.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ أي: شديدة الاضطراب، والوجيف والوجيب بمعنى واحد.

وارتفع ﴿قُلُوبٌ﴾ بالابتداء، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ خبره.

وقال الزمخشري: ﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفة، والخبر: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾[(٢)].

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾ كناية عن الذل والخوف.

وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز، والتقدير: قلوبُ أصحابها[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٦).

(٢) الكشاف (١٦/ ٢٧٢).

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعله سبق قلم، والصواب: «أبصارُ أصحابِها». الكشاف (١٦/ ٢٧٢).

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا.

ومعناه على الجملة: إنكار البعث، فالهمزة في قولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار، ولذلك اتفق القراء على قراءته بالهمزتين، إلا أن منهم من سهَّل الثانية ومنهم من حققها.

واختلفوا في ﴿إِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾:

فمنهم من قرأه بهمزة واحدة؛ لأنه ليس موضع استفهام ولا إنكار.

ومنهم من قرأه بهمزتين؛ تأكيدًا للإنكار المتقدم.

ثم اختلف في معنى ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحالة الأولى، يقال: «رجع فلان في حافرته»: إذا رجع إلى حاله الأولى، فالمعنى: أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت؟

والآخر: أن الحافرة: الأرض، بمعنى محفورة، فالمعنى: أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور؟

والثالث: أن الحافرة: النار.

والعظام النَّخِرة: البالية المتعفنة[1].

وقرئ ﴿نَّخِرَةً﴾ بألف، وبحذف الألف، وهما بمعنى واحد؛ إلا أن حذف الألف أبلغ؛ لأن «فَعِلٌ» أبلغُ من «فَاعِلٌ».

---

(١) في ب، ج، د: «المتفتتة».

وقيل: معناه: العظام المجوفة التي تمر[١] بها الريح فيُسمع لها نخير.

والعامل في ﴿إِذَا كُنَّا﴾ محذوف، تقديره: إذا كنا عظامًا نبعث؟

ويحتمل أن يكون العامل فيه: ﴿لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾، ولكن إنما يجوز هذا على قراءة ﴿إِذَا كُنَّا﴾ بهمزة واحدة على الخبر، ولا يجوز على قراءته بهمزتين؛ لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها.

﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ الكرة: الرجعة.

والخاسرة: منسوبة إلى الخسران، كقوله: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحاقة: ٢١]؛ أي: ذات رضا، أو معناه: خاسرٌ أصحابها.

ومعنى هذا الكلام: أنهم قالوا: إن كان البعث حقًّا فكرَّتنا خاسرة؛ لأنا ندخل النار.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعني: النفخة في الصور للقيام من القبور.

وهذا من كلام الله تعالى؛ ردًّا على الذين أنكروا البعث، كأنه يقول: لا تظنوا أنه صعب على الله بل هو عليه يسير، فإنما يُنفخ[٢] في الصور نفخةٌ واحدة فيقوم الناس من قبورهم.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ ﴿إِذَا﴾ هنا فجائية، والساهرة: وجه الأرض، والباء: ظرفية.

والمعنى: إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرعَ شيء.

---

(١) في أ، هـ: «يمر».

(٢) في أ، هـ: «ننفخ».

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيفٌ وتنبيه، وليس المراد به مجرد الاستفهام.

﴿طُوًى﴾ ذكر في «طه»[١].

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أن تتطهَّر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل.

وقال بعضهم: ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تُسْلم.

وقيل: تقول: «لا إله إلا الله».

والأول أعم.

﴿فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ قلب العصا حية، وإخراج يده بيضاء.

وجعَلهما واحدةً؛ لأن الثانية تبعٌ للأولى.

ويحتمل أن يريد الأولى وحدها.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ الإدبار: كناية عن إعراضه عن الإيمان.

و﴿يَسْعَىٰ﴾ عبارة عن جدِّه في الكفر، وفي إبطال أمر موسى عليه السلام.

وقيل: هو حقيقة؛ أي: قام من مجلسه يفرُّ من مُجالسة موسى، أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانًا.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع جنوده وأهل مملكته.

---

(١) انظر (٣/ ٩٣).

﴿فَنَادَىٰ﴾ أي: نادى قومه وقال لهم ما قال.

ويحتمل أنه:

ناداهم بنفسه.

أو أمر من يناديهم.

والأول أظهر، وقد روي أنه قام فيهم خطيبًا فقال ما قال.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ النكال: مصدر بمعنى التنكيل، والعامل فيه ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنه بمعناه.

وقيل: العامل محذوف.

و﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ هي: دار الآخرة، ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: الدنيا، فالمعنى: نكال الآخرة بالنار، ونكال الأولى بالغرق.

وقيل: ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

وقيل: بالعكس.

فالمعنى: أخذه الله وعاقبه على كلمته الآخرة وكلمته الأولى.

* * *

[﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا
﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَـٰعًا
لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ
ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن
يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾].

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ هذا توقيف قُصد به الاستدلال على البعث؛ فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ السَّمْك: غِلَظ السماء، وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها.

ومعنى رَفْعِه: أنه جعله مسيرة خمس مئة عام.

وقيل: السَّمْك: السقف.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: أتقن خِلْقتها.

وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفَع ولا منخفض.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: جعله مظلمًا، يقال: غطَش الليلُ: إذا أظلم، وأغطشه الله.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي: أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى.

وأضاف الليل والضحى إلى السماء من حيث إنهما ظاهران منها وفيها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ أي: بسطها.

واستدل بها من قال: إن الأرض بسيطة غير كُرَيَّةٍ.

وقد ذكرنا في «فصلت» الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١][١].

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١﴾ نسب الماء والمرعى إلى الأرض؛ لأنهما يخرجان منها.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَخْرَجَ﴾ بغير حرف العطف؟

فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال، أو تفسير لما قبلها، قاله الزمخشري[٢].

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ أي: أثبتها.

ونصْبُ ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، وكذلك ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ تقديره: فعل ذلك كله تمتيعًا لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بكل ما ذكر.

﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ هي القيامة.

وقيل: النفخة الثانية.

واشتقاقها من قولك: طمَّ الأمرُ: إذا علا وغلب.

---

(١) انظر صفحة ٩.

(٢) الكشاف (١٦/ ٢٨١-٢٨٢).

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أي: أُظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد.

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ ذكر في سورة «الرحمن»[1].

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: ردَّها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة.

قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفْه.

وقال سهلٌ التَّستري: لا يَسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ذكر في «الأعراف»[2].

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: من ذِكْر[3] زمانها، والمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يَسأل عن الساعة كثيرًا، فلما نزلت هذه الآية انتهى»[4].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي: منتهى علمها، لا يعلم متى تكون إلا هو وحده.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ أي: إنما بعثت لتنذر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها.

وخَصَّ الإنذار بمن يخشاها؛ لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة

---

(١) انظر: (٢٧٥).
(٢) انظر: (٢/٤٢٤).
(٣) في ب: «ذكرى».
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/ ٣٢٣).

ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم.

وأضاف الضحى إلى العشية؛ لما بينهما من الملابسة؛ إذ هما في يوم واحد.

* * *

﴿ سورة عبس ﴾

[﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ
ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ
۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧
مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ
إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا
۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ
غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾].

سبب نزول صدر هذه السورة: أن رسول الله ﷺ كان حريصًا على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا، فيُسلم بإسلامهم غيرُهم، فبينما هو يومًا مع رجل من عظمائهم، قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس: كانوا جماعة = إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، فقال: يا رسول الله علمني مما

علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى لكلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ، فنزلت الآية[١].

فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»، ويبسط له رداءه[٢]، وقد استخلفه على المدينة مرتين.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ أي: عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه.

قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتْب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض[٣].

وقال الزمخشري: في الإخبار بالغَيبة زيادة في الإنكار[٤].

وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب، وهذا أحسن.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ في موضع مفعول من أجله، وهو منصوب بـ ﴿تَوَلَّىٰٓ﴾ أو ﴿عَبَسَ﴾.

وذِكْر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى؛ ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره. وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كان لمنفعة، أو يُشْهَرُ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٣).

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية (٨٠٥٣) من قول سفيان الثوري، ولم أقف على إسناده.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٥٣٦).

(٤) الكشاف (١٦/ ٢٩١).

صاحبُها بها، ومنه قول المحدِّثين: سليمان الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أيُّ شيء يُطْلعك على حال هذا الأعمى ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي: يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ أي: تتعرَّض[1] للغني؛ رجاء أن يسلم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ أي: لا حرج عليك إذا[2] لا يتزكى هذا الغني.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم.

ومعنى ﴿يَسْعَىٰ﴾: يسرع في مشيه؛ من حرصه على طلب الخير.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ أي: يخشى الله، أو يخاف الكفار وإذايتهم له على إتيانك.

وقيل: جاء وليس معه من يقوده، فكان يخشى أن يقع، وهذا ضعيف.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ أي: تشتغل عنه بغيره، من قولك: لَهِيتُ عن الشيء: إذا تركتَه.

وروي أن رسول الله ﷺ تأدَّب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يُعرض بعدها عن فقير ولا تعرَّض لغني، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء.

---

(١) في أ، ج، هـ: «يتعرَّض».

(٢) في أ، ب: «إذ».

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن معاودة ما وقع العتاب فيه.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن هذا الكلام المتقدّم تذكرةٌ؛ أي: موعظة للنبي ﷺ.

والآخر: إن القرآن تذكرة لجميع الناس، فلا ينبغي أن يُؤثَر فيه أحد على أحد، وهذا أرجح؛ لأنه يناسبه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾، وما بعده.

وأنَّث الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ على معنى: القصة، أو الموعظة، أو السورة، أو القراءة.

وذكَّره في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ على معنى: الوعظ، أو الذكر، أو القرآن.

﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفة لـ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: ثابتة في صحف، وهي الصحف المنتسَخة من اللوح المحفوظ.

وقيل: هي مصاحف المسلمين.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الصحف المصاحف: فمعناه مرفوعة المقدار.

وإن كان صحف الملائكة: فمعناه:

كذلك.

أو مرفوعة في السماء.

و﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي: منزَّهة عن أيدي الشياطين.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ هم الملائكة.

والسَّفَرة: جمع سافر؛ وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن في الصحف.

وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عباده.

وقيل: يعني: القرَّاء من الناس.

والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»[1]، أي: أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دعاءٌ عليه؛ على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ.

ومعناه: تقبيح حاله، وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك.

وقيل: معناه: لُعِن، وهو بعيد.

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجُّب[2] من شدَّة كفره، مع أنه يجب عليه خلاف ذلك.

﴿مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ توقيف وتقرير، ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ يعني: المنيَّ.

ومقصد الكلام: تحقير الإنسان، وأنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه.

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: هيأه لما يَصلُح له، ومنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) في أ: «تعجيب».

وقيل: معناه: جعله على مقدار معلوم في أعضائه وأجله ورزقه وغير ذلك.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ نصب ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ بفعل مضمر فسَّره ﴿يَسَّرَهُۥ﴾.

وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: يسر سبيل خروجه من بطن أمه.

والآخر: أنه سبيل الخير أو الشر، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣].

الثالث: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان.

والأول أرجح؛ لعطفه على قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾، وهو قول ابن عباس.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ أي: جعله ذا قبر، يقال: قبَرتُ الميت: إذا دفنتَه، وأقبرتُه: إذا أمرتَ أن يُدفَن.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ أي: بعثه من قبره، يقال: نشَر الميتُ: إذا قام، وأنشرَه اللهُ.

والإشارة بـ ﴿إِذَا شَآءَ﴾ ليوم القيامة، أي: الوقت الذي قدَّر أن يَنشره فيه.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للإنسان عما هو فيه.

﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي: لم يقض الإنسان - على تطاول عمره - ما أمره الله.

قال بعضهم: لا يقضي أحدٌ أبدًا جميع ما افترض الله عليه؛ إذ لا بدَّ للعبد من تفريط.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ أمرٌ بالاعتبار في الطعام؛ كيف خلقه الله بقدرته، وبسَّره برحمته، فيجب على العبد طاعتُه وشكره، ويَقبُح معصيته والكفر به.

وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعًا؛ فيرى حقارة الدنيا وخساسة نفسه.

والأول أشهر وأظهر في معنى الآية، على أن القول الثاني صحيح.

وانظر كيف فسره بقوله: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ وما بعده؛ ليعدِّد النعم ويظهر القدرة.

وقرئ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ بفتح الهمزة؛ على البدل من الطعام.

﴿شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: بخروج النبات منها.

﴿حَبًّا﴾ يعني: القمح والشعير وسائر الحبوب.

﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: هي الفِصْفِصة[1].

وقيل: علف البهائم.

واختار ابن عطية: أنها البقول وشبهها مما يؤكل رَطبًا[2].

---

(١) هي نَبات كالبرسيم. المعجم الوسيط.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤١).

﴿غُلْبًا﴾ أي: غليظة ناعمة.

﴿وَأَبًّا﴾ الأبُّ: المرعى عند ابن عباس والجمهور.

وقيل: التِّبْن[١].

وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

﴿الصَّآخَّةُ﴾ من أسماء القيامة، وهي مشتقة من قولك: صخَّ الآذانَ: إذا أصمَّها بشدة صياحه، فكأنه إشارة:

إلى النفخة في الصور.

أو إلى شدة الأمر حتى يَصِخُّ[٢] من يسمعه؛ لصعوبته.

وقيل: هي من قولك: أصاخ للحديث: إذا استمعه.

والأول هو الموافق للاشتقاق.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ الآيةَ، ذكر فرار الإنسان من أحبابه، ورتبهم على ترتيب الحنُوِّ والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه مِن كلِّ مَن تقدم ذكره؛ وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه.

وقيل: إن فراره منهم؛ لئلا يطالبوه بالتَّبِعات.

والأول أرجح وأظهر؛ لقوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب، حتى لا يسعه ذكر غيره،

---

(١) في ج، د: «التين» بالياء، والمثبت هو الصواب، كما في تفسير الثعلبي الكشاف والبيان (١٠/ ١٣٣).

(٢) في د: «يصم».

وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ: «نفسي نفسي»[١].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝٣٨﴾ أي: مضيئة من السرور، وهو من قولك: أسفر الصبح: إذا أضاء.

﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غبار.

والقترة أيضًا: الغبار.

فقال ابن عطية: الغبرة: هي من العبوس والكرب، كما يعتري وجهَ المهموم والمريض، والقترة: هي غبار الأرض[٢].

وقال الزمخشري: الغبرة: غبار يعلوها، والقترة: سواد، فيعظم قبحها[٣] باجتماع الغبار والسواد[٤].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٣).
(٣) في ج: «قبحهم».
(٤) الكشاف (١٦/ ٣٠٣).

﴿ سورة التكوير ﴾

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة، وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير.

[﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾].

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ ابن عباس: ذهب ضوؤها فأظلمت.

وقيل: رمي بها.

وقيل: اضمحلَّت.

وأصله من تكوير العمامة؛ لأنها إذا لُفَّت زال انبساطها وصغر جِرْمها.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: تساقطت من مواضعها.

وقيل: تغيرت.

والأول أرجح؛ لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ٢].

وروي أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم؛ ليراها من عبدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ أي: حُملت، وبعد ذلك تُفَتُّ[1] فتصير هباء ثم تتلاشى.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار: جمع عُشَراء، وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس ما عند العرب وأعزُّها، فلا تُعطَّل إلا من شدة الهول.

وتعطيلها: هو تركها مسيَّبة، أو ترك حلبها.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ أي: جُمعت، وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تحشر؛ أي: تبعث يوم القيامة، ليقتصَّ لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا.

والآخر: أنها تحشر بموتها دَفعة واحدة عند هول القيامة، قاله ابن عباس، وقال: إنها لا تُبعث، وإنه لا يَحضر القيامةَ إلا الإنس والجن.

والثالث: أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفرُّ في الأرض، فذلك حشرها.

---

(١) في ب: «تفتت»، وفي د: «تفتت».

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ملئت وفجِّر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا.

والآخر: مُلئت نيرانًا؛ لتعذيب أهل النار.

والثالث: فُرِّغت من مائها ويَبست.

وأصله: من سجَّرتُ التنور: إذا ملأتَها.

فالقول الأول والثاني: أليق بالأصل.

والأول والثالث: موافق لقوله: ﴿فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن التزويج بمعنى التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع، فالمعنى: جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن.

والآخر: زوِّجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين.

والثالث: زوجت الأرواح والأجساد؛ أي: رُدَّت إليها عند البعث.

والأول هو الراجح؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ[1]، وعن عمر بن الخطاب وابن عباس.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ الموؤودة: هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها، ومن غَيرته عليها، فتُسأل يوم القيامة: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ على وجه التوبيخ لقاتلها.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٠).

وقرأ ابن عباس: «وإذا الموؤودة سَألتْ» - بفتح السين والهمزة - «بأيِّ ذنبٍ قُتِلْتُ» - بضم القاف وسكون اللام وضم التاء - .

واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ هي صحف الأعمال، تنشر ليقرأ كل أحد كتابه.

وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ الكَشْطُ: هو التقشير، كما يُكشط جلدة الشاة حين تسلخ.

وكشط السماء: هو طيها كطي السجل، قاله ابن عطية[1].

وقيل: معناه كُشفت، وهذا أليق بالكشط.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾ أي: أوقدت وأُحميت[2].

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ أي: قربت.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ هذا جواب ﴿إِذَا﴾ المكررة في المواضع قبل هذا.

ومعناه: علمت كل نفس ما أحضرت من عمل، فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٨).

(٢) في أ، هـ: «وحميت».

قال ابن عطية: إنما أفردها؛ ليبين حقارتها وذِلّتها[١].

وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه، كقوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحجر: ٢] ومعناه التكثير، وكذلك هنا معناه: أعم الجموع[٢].

و﴿مَآ أَحْضَرَتْ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره[٣].

﴿بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ يعني: الدراري السبعة، وهي الشمس والقمر وزُحَل وعُطَارد والمريخ والزُّهَرة والمشتري.

وذلك أن هذه الكواكب تَخنس في جريها؛ أي: تتقهقر، فيكون النجم في البرج ثم يَكرُّ راجعًا.

وهي جواري في الفلك.

وهي تَكنِس[٤] في أبراجها؛ أي: تستتر، وهو مشتق من قولك: كنَسَ الوحشِيُّ: إذا دخل كِنَاسَه، وهو موضعه.

وقيل: يعني: الدراري الخمسة؛ لأنها تستتر بضوء الشمس.

وقيل: يعني: النجوم كلها؛ لأنها تَخنس في جريها، وتكنس بالنهار؛

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٩).

(٢) الكشاف (١٦/ ٣١٣-٣١٤).

(٣) انظر صفحة ٢٩٧.

(٤) في أ، هـ: «تتكنس».

أي: تستتر، وتخفى بضوء الشمس.

وقيل: يعني: بقر الوحش، فـ ﴿الْخُنَّسِ﴾ على هذا: من خنَسِ الأنف، و﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ من سُكْناها في كِنَاسِها.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ يقال عسعس الليل: إذا كان غير مستحكم الظلام:

فقيل: ذلك في أوله.

وقيل: في آخره، وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل(١)، ولأنه أعقبه بقوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ أي: استطار واتسع ضوؤه.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن.

والرسول الكريم: جبريل.

وقيل: محمد ﷺ.

قال السهيلي: لا يجوز أن يقال إنه محمد ﷺ؛ لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا: إن محمدًا قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله؟، وإنما أراد جبريل، وأضاف القرآن إليه؛ لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى(٢).

وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم؛ فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ؛ لأنه تلقاه عن جبريل ﷺ، وجاء به إلى الناس.

ومع ذلك فالأظهر: أنه جبريل؛ لأنه وصفه بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ وقد وصف

---

(١) في هامش ب صححت: «أضوأ».

(٢) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٦٥).

جبريل بهذا في قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ﴾ [النجم: ٥ - ٦].

﴿عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ﴾ يتعلق بـ ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾.

وقيل: بـ ﴿مَكِينٖ﴾، وهذا أظهر.

والمكين: الذي له مكانة؛ أي: جاه وتقريب.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله، وهو قوله: ﴿عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: مطاعٍ في ملائكة ذي العرش.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢﴾ هو محمد ﷺ باتفاق.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل: لمحمد ﷺ، وضمير المفعول: لجبريل عليه السلام.

وهذه الرؤية: هي رؤيته له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض.

وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء.

ووصف هذا الأفق بالمبين؛ لأنه روي أنه كان في الشرق[١] من حيث تطلع الشمس، وأيضًا فكل أفق فهو مبين.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤﴾ الضمير للنبي ﷺ.

ومن قرأ بالضاد: فمعناه بخيل؛ أي: لا يَبخَل بأداء ما أُلقي إليه من الغيب، وهو الوحي.

ومن قرأ بالظاء: فمعناه متَّهم؛ أي: لا يُتَّهم على الوحي، بل هو أمين عليه.

---

(١) في أ، هـ: «المشرق».

ورجَّح بعضهم هذه القراءة: بأن الكفار لم يَنسبوا رسول الله ﷺ إلى البخل بالوحي، بل اتهموه، فنفى عنه ذلك.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ الضمير للقرآن.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦﴾ خطابٌ لكفار قريش؛ أي: ليس لكم زوال عن هذه الحقائق.

وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم[١].



(١) انظر الصفحات ٤٦٤، ٥٤٧، ٥٧٣.

﴿ سورة الانفطار ﴾

[﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا
ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ
﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ
بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ
لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ
أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا
وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾].

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ أي: انشقت.

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ أي: سقطت من مواضعها.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ أي: فرِّغت.

وقيل: فجِّر بعضها إلى بعض فاختلطت.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ أي: نُبشت عن الموتى الذين فيها.

وقال الزمخشري: أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء، والمعنى: بُحثت وأخرج موتاها[1].

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٢٣).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾ هذا هو الجواب، ومعناه: علمت كل نفس جميع أعمالها.

وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سُنَّة(١) سنَّتها أو وصيَّة أوصت بها.

وأفردت النفس والمراد بها العموم حسَبما ذكرنا في «التكوير»(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ خطاب لجنس بني آدم.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب، معناه: أيُّ شيءٍ غرَّك بربك حتى كفرت به، أو عصيته، أو غفَلت عنه؟

فدخل في العتاب: الكفار وعصاة المؤمنين، ومن يغفُل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين.

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ فقال: «غرَّه جهله»(٣).

وقال عمر: «غرَّه جهله وحمقه»، وقرأ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]».

وقيل: غرَّه الشيطان المسلَّط عليه.

وقيل: غرَّه ستر الله عليه.

---

(١) في أ، هـ: «حسنة».

(٢) انظر صفحة ٦١٧.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٤٦).

وقيل: غرَّه طمعه في عفو الله عنه.

ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن كل واحد منها مما يغرُّ الإنسان، إلا أن بعضها يغرُّ قومًا وبعضها يغر قومًا آخرين.

فإن قيل: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟

فالجواب: أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع؛ شكرًا لإحسانه ومقابلةً لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمةَ(١) وأضاع الشكر الواجب.

﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف؛ أي: عدَّل أعضاءك وجعلها متوازنة(٢)، فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى، ولا إحداهما كَحْلاء والأخرى زرقاء، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضه(٣) أسود، وشبه ذلك من الموازنة.

﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور يتعلق بـ ﴿رَكَّبَكَ﴾، و﴿مَّا﴾ زائدة.

والمعنى: ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح، والطول والقِصَر، والذكورة والأنوثة(٤)، وغير ذلك من اختلاف الصور.

ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره: ركبك حاصلًا في أي صورة.

---

(١) في ب، د: «بالنعمة».
(٢) في أ، هـ: «متوازية».
(٣) في ج: «وبعضها».
(٤) في ب: «والذكورية والأنوثية».

وقيل: يتعلق بـ ﴿عَدَّلَكَ﴾ على أن يكون بمعنى صرَفك؛ أي: صرفك إلى أي صورة شاء، وهذا بعيد، ولا يتمكن إلا مع قراءة ﴿عَدَلَكَ﴾ بالتخفيف.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن الغرور المذكور قبلُ، أو التكذيبِ المذكور بعدُ.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ هذا خطاب للكفار.

والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة، أو الحساب، أو الجزاء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ يعني: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ يعلمون الأعمال بمشاهدتهم لها.

وأما ما لا يُرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب:

فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك.

وقيل: إن الملك يجد لها ريحًا يدركها به.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان: المطابقة والترصيع.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: لا يخرجون منها إذا دخلوها.

والآخر: لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها؛ لأنهم يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ تعظيم له وتهويل، وكرَّره للتأكيد، والمعنى: أنه من شدته بحيث لا يدري أحدٌ مقدار هوله وعظَمته.

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي: لا يقدر أحد على منفعة أحد.

وقرئ ﴿يَوۡمَ﴾:

بالرفع:

على البدل من ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾.

أو على إضمار مبتدإ.

وبالنصب:

على الظرفية بإضمار فعل تقديره: يُجازَون يوم الدين.

أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره: اذكر.

ويجوز أن يفتح؛ لإضافته إلى غير متمكِّن، وهو في موضع رفع.

* * *

﴿ سورة المطففين ﴾

[﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن
رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١٧)
كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ
ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ
(٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦)
وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ
(٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٢) وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ (٣٣) فَٱلْيَوْمَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ﴾].

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في اللغة: هو البخس والنقص، فسره بذلك

الزمخشري[١]، واختاره ابن عطية[٢].

وقيل: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان، واختاره ابن الفرس[٣]، وهو أظهر؛ لأن المراد به هنا: بخس حقوق الناس في المكيال والميزان، بأن يزيد الإنسان على حقه أو يَنقص من حق غيره.

وسبب نزول السورة: أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص[٤]، فالسورة على هذا مدنية.

وقيل: مكية؛ لذكر أساطير الأولين.

وقيل: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا أشد الناس فسادًا في هذا المعنى، فأصلحهم الله بهذه السورة.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ معنى ﴿ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: قبضوا منهم بالكيل، فـ ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى «مِن»، وإنما أبدلت منها؛ لما تضمَّن الكلام من معنى التحامل عليهم.

ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بـ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، وقُدِّم المعمول لإفادة التخصيص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ معنى ﴿يُخْسِرُونَ﴾: يَنقصون حقوقَ الناس وهو من الخسارة، يقال: خَسرَ الرجلُ، وأَخسره غيرُه: إذا جعله يخسر.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٧).

(٣) أحكام القرآن (٣/ ٦١٣).

(٤) في أ: «بالناقص».

و﴿ كَالُوهُمْ﴾ معناه: كالوا لهم، و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجرِّ فانتصب المفعول؛ لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف جرٍّ، يقال: كِلْتُكَ وكِلْتُ لك، ووَزنتك ووزنت لك بمعنى واحد.

وحُذف المفعول الثاني، وهو المكيل والموزون.

والواو التي هي ضمير الفاعل: للمطففين.

و«هم» الذي هو ضمير المفعول: للناس.

فالمعنى: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم طعامًا أو غيره مما يكال أو يوزن بخَسوهم[1] حقوقهم.

وقيل: إن «هم» في قوله: ﴿ كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ﴾ تأكيد للضمير الفاعل.

وقد روي عن حمزة أنه كان يقف على «كالوا» و«وزنوا» ثم يبتدئ «هم»؛ ليبين هذا المعنى، وهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في «كالوا» و«وزنوا» فدلَّ ذلك على أن «هم» ضمير المفعول.

والآخر: أن المعنى على هذا: أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نَقصوا، وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشِر، ألَا ترى أن ﴿ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ معناه: قبضوا منهم، و﴿ كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: دفعوا لهم؛ فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف

(١) في د: «يخسرونهم».

فهو خروج عن المقصود.

قال ابن عطية: ظاهر الآية: أن الكيل والوزن على البائع وليس ذلك بالجلي، قال: وصدر الآية في المشترين، فهم الذين يستوفون؛ أي[1]: يشاحُّون ويطلبون الزيادة، وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ في البائعين؛ فهم الذين يُخْسِرون المشتري[2].

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ يعني: يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين، وإنكار لفعلهم.

وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له: «اتق الله!، وأوف الكيل، فإن المطففين يُوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن».

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ الظرف:

منصوب: بقوله: ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾، وقيل: بفعل مضمر.

أو بدل من ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقيام الناس يوم القيامة على حسَب اختلافهم، فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك، حتى إن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة.

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ على التطفيف، أو افتتاحُ كلام.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ كتاب الفجار: هو ما يكتب من أعمالهم.

---

(١) في د: «أو».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٨).

والفجار هنا يَحتمل أن يراد به:

الكفار.

أو المطففين وإن كانوا مسلمين.

والأول أظهر؛ لقوله بعد هذا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾.

و﴿سِجِّينٌ﴾: اسم علَم منقول من صفة، على وزن فِعِّيل للمبالغة، وقد عظَّم أمره بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾، ثم فسَّره بأنه: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ أي: مسطورٌ بيِّنُ الكتابة، وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار.

وهو مشتق من السِّجْن بمعنى الحبس:

لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم.

أو لأنه مطروح في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي ﷺ: «أنه في الأرض السفلى»(١)، وروي عنه: «أنه في بئر هنالك»(٢)، وحكى كعب عن التوراة: «أنه في شجرة سوداء هنالك»(٣).

وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى الآية: أن عِدَاد(٤) الفجار في سجين؛ أي: كُتبوا هنالك في الأزل(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٩٧).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٩٦).
(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٥٢).
(٤) في أ، ب، د: «عدد»، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز.
(٥) المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٩).

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر[١].

﴿بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: غطَّى على قلوبهم ما كسَبوا من الذنوب، فطمس بصائرَهم، فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي.

وفي الحديث: «إن العبد إذا أذنب ذنبًا صارت نكتة سوداء في قلبه، فإذا زاد ذنبًا آخر زاد السواد، فلا يزال كذلك حتى يتغطى، وهو الرَّين»[٢].

﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ حجْبُ الكفار عن الله دليلٌ على أن المؤمنين لا يُحجبون عنه، وقد استدل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة.

وتأولها المعتزلة أن معناها: محجوبون عن رحمته.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ عِلِّيُّون: اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهو جمع منقول من صفةٍ علَى وزنِ فِعِّيل للمبالغة، وقد عظَّمه بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩﴾، ثم فسَّره بقوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾، وهو مشتقٌّ من العلوِّ؛ لأنه سببٌ في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان عَلِيٍّ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه تحت العرش[٣].

وقال ابن عباس: هو[٤] الجنة.

وارتفع ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ في الموضعين: على أنه خبر ابتداء مضمر، تقديره: هو كتاب.

---

(١) انظر: (٢/٢٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٥٤).

(٤) في ب زيادة: «في».

وقال ابن عطية: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والظرف[١] مُلغًى[٢].
وهذا تكلُّف يَفسد به المعنى.

وقد روي في الأثر ما يفسر الآية، وهو «أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضيه الله قال: اجعلوه في عليين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجين»[٣].

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ يعني: الملائكة المقربين.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ قد ذكر[٤].

﴿يَنظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينظرون إلى أعدائهم في النار»[٥].

وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها.

﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: بهجته ورَوْنقه، كما يُرى في وجوه أهل الرفاهيَة والعافية.

والخطاب في ﴿تَعْرِفُ﴾: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ الرحيق: الخمر الصافية.

والمختوم: قد فسره الله بأن ختامه مسك.

---

(١) الذي هو ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾، و﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾.
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٦٠).
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ١٥٣).
(٤) انظر (٣/٢٦)، (٣/٦٤٤).
(٥) ذكره المهدوي في كتابه التحصيل (٧/ ٥٥)، وذكر الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٥٥) من قول مقاتل.

وقرئ ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ بألف بعد التاء، و﴿خَٰتَمُهُۥ﴾ بألف بعد الخاء، وبفتح التاء وكسرها.

وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الختم على الشيء، بمعنى جعل الطَّابع عليه، فالمعنى: أنه خُتم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

الثاني: أنه من ختْم الشيء؛ أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسك؛ أي: يجد الشارب عند آخر شُربه رائحة المسك ولذَّته.

الثالث: أن معناه: مزاجه مسك؛ أي: يمزج الشراب بالمسك، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ التنافس في الشيء: هو الرغبة فيه، والمغالاة في طلبه، والتزاحم عليه.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ ﴿تَسْنِيمٍ﴾: اسم علَم لعين في الجنة، يشرب منها[1] المقربون صِرْفًا، ويُمزج منه الرحيق الذي يَشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجات الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار أصحاب اليمين.

﴿عَيْنًا﴾ منصوب:

على المدح بفعل مضمر.

---

(١) في ب، د: «منه».

أو على الحال من ﴿تَسۡنِيمٍ﴾.

﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ بمعنى: يشربها، فالباء زائدة.

ويحتمل أن يكون بمعنى: «يشرب منها»، أو كقولك: «شربت الماء بالعسل».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩﴾ نزلت هذه الآية في صناديد قريش، كأبي جهل وغيره، مرَّ بهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعة من المؤمنين، فضحكوا منهم واستخفوا بهم.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ معنى ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينه.

والضمير في ﴿مَرُّواْ﴾ يحتمل أن يكون: للمؤمنين أو للكفار.

والضمير في ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ للكفار لا غير.

﴿فَـٰكِهِينَ﴾ من الفَكاهة، وهي اللهو؛ أي: يتفكهون بذكر المؤمنين، والاستخفاف بهم، قاله الزمخشري[1].

ويحتمل أن يريد: يتفكهون بنعيم[2] الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢﴾ أي: إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال.

وقيل: إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٥١).

(٢) في ج، هـ: «بنعم».

والأول أظهر وأشهر.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ أي: ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم، فكأنه قال: كلامهم بالمؤمنين(١) فضول منهم.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ يعني: بـ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ يوم القيامة؛ إذ تقدم ذكره، فيضحك المؤمنون فيه من الكفار، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ معنى ﴿ثُوِّبَ﴾: جوزي، يقال: ثوّبه وأثابه: إذا جازاه.

وهذه الجملة يحتمل:

أن تكون متصلة بما قبلها، في موضع معمول ﴿يَنظُرُونَ﴾، فتوصل مع ما قبلها.

أو تكون توقيفًا، فيوقف قبلها، ويكون معمول ﴿يَنظُرُونَ﴾ محذوفًا، حسَبما ذكرنا في ﴿يَنظُرُونَ﴾ الذي قبل هذا، وهذا أرجح؛ لاتفاق الموضعين.

* * *

---

(١) في ب: «في المؤمنين».

﴿ سورة الانشقاق ﴾

[﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾
فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا
﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ
فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا
لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾].

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾﴾ اختُلف في هذا الانشقاق:

هل هو تشققها[1] بالغمام؟

أو انفتاحها أبوابًا؟

وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف؛ ليكون أبلغ في التهويل؛ إذ يقدِّر السامع أقصى ما يتصوره.

---

(١) في ب: «انشقاقها».

أو حذف للعلم به؛ اكتفاءً بما في سورة «التكوير» و«الانفطار» من الجواب.

وقيل: الجواب: ما دل عليه: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾؛ أي: إذا السماء انشقت لقِي[1] الإنسان ربه.

وقيل: الجواب: ﴿أَذِنَتْ﴾ على زيادة الواو، وهذا ضعيف.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ معنى ﴿أَذِنَتْ﴾ في اللغة: استمعت، وهو عبارة عن طاعتها لربها، وأنها انقادت إليه حين أراد انشقاقها.

وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدَّها وإلقاءَ ما فيها.

﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: حُقَّ لها أن تسمع وتطيع لربها.

أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة.

وهذه الكلمة من قولهم: «هو حقيقٌ بكذا»، أو «محقوقٌ به»؛ أي: يجب عليه أن يفعله.

فالمعنى: يحِقُّ على السماء أن تسمع وتطيع لربها، أو يحق عليها أن تنشق.

ويحتمل أن يكون أصله: «حَقُقَتْ» بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب، ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها، ونقلت حركتها إلى الحاء.

---

(١) في ج، هـ: «لاقَى».

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ أي: زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: ألقت ما في جوفها من الموتى، فخرجوا للحشر.

وقيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود ذكر يوم القيامة.

﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أي: بقيت خالية مما كان فيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ خطاب للجنس.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الكَدْح في اللغة: هو الجد والاجتهاد والسرعة.

فالمعنى: إنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك؛ لأن الزمان يطير[1]، وأنت في كل لحظة تقطع حظًّا من عمرك القصير، فكأنك سائر مسرع إلى الموت، ثم تلاقي ربك.

وقيل: المعنى: إنك ذو جِد فيما تعمل من خير أو شر، ثم تلقى ربك فيجازيك به.

والأول أظهر؛ لأن ﴿كَادِحٌ﴾ تعدى بـ ﴿إِلَىٰ﴾؛ لمَّا تضمَّن معنى السير، ولو كان بمعنى العمل لقال: «لربك».

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ ذكر في «الحاقة»[2].

---

(١) في د: «يُدْبر».

(٢) انظر صفحة ٤٧٢.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ يحتمل أن يكون اليسير: بمعنى قليل.

أو بمعنى هيِّن سهل.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «من نوقش الحساب عُذِّب»، فقالت عائشة: ألم يقل الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾. فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وأما من نوقش الحساب فيَهلِك»[1]، وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ: «إن الله يدني العبد يوم القيامة حتى يضع كنَفه عليه فيقول: فعلتَ كذا وكذا، ويعدد عليه ذنوبه، ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[2]، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «من حاسب نفسه في الدنيا هوَّن الله حسابه يوم القيامة»[3].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ أي: يرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله.

والأهل: زوجاته في الجنة من نساء الدنيا، أو من الحور العين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٥)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٣) لم أقف عليه مرفوعًا، ووجدته من قول عمر ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»، أخرجه أحمد في الزهد (ص: ١٢٠)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص: ٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٧).

ويحتمل أن يريد: قرابته من المؤمنين، وبذلك فسره الزمخشري[1].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ يعني: الكافر.

وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد، وكان من فضلاء المؤمنين، وفي أخيه أسود، وكان من عتاة الكافرين.

ولفظها أعم من ذلك.

فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا إنه يؤتى كتابه ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥]؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره[2] فيأخذ بها كتابه.

وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره، فيأخذ بها كتابه.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١﴾ أي: يصيح بالويل والثبور.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ أي: كان في الدنيا مسرورًا مع أهله، متنعِّمًا غافلًا عن الآخرة.

وهذا في مقابلة ما حكَى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورًا في الجنة، وهو ضد ما حكَى عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

---

(١) الكشاف (١٦/٣٥٨).

(٢) في الكشاف (١٦/٣٥٨): «تُغلُّ يمناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره».

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ أي: لن يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

﴿بَلَىٰٓ﴾ أي: يحور ويُبعث.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ذكر في نظائره(١).

﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ هو الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس.

وقال أبو حنيفة: هو البياض.

وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف.

والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة.

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ أي: جَمع وضَمَّ، ومنه الوَسْقُ، وذلك الليل يَضم الأشياء ويسترها بظلامه.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ أي: إذا كمل ليلة أربع عشرة.

ووزن ﴿ٱتَّسَقَ﴾ افْتَعل، وهو مشتقٌّ من الوسق، فكأنه امتلأ نورًا.

وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يَلزم؛ لالتزام السين قبل القاف في ﴿وَسَقَ﴾ و﴿ٱتَّسَقَ﴾.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ الطبق في اللغة له معنيان:

أحدهما: ما طابق غيره، يقال: هذا طبقٌ لهذا: إذا طابقه.

والآخر: جمع طبقة.

---

(١) انظر صفحة ٢٩٧، ٤٧٨.

فعلى الأول يكون المعنى: لتركبن حالًا بعد حال، كل واحدة منها مطابقة للأخرى.

وعلى الثاني يكون المعنى: لتركبن أحوالًا بعد أحوال، هي طبقات بعضها فوق بعض.

ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال، وفي قراءة: ﴿تَرْكَبُنَّ﴾:

فأما من قرأه بضم الباء: فهو خطاب لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها شدائد الموت، ثم البعث، ثم الحساب، ثم الجزاء.

والآخر: أنها كون الإنسان نطفة، ثم علقة، إلى أن يخرج إلى الدنيا، إلى أن يَهرَم، ثم يموت.

والثالث: لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم.

وأما من قرأ ﴿تَرْكَبَنَّ﴾ بفتح الباء:

فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا.

وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: لتركبَن مكابدة الكفار حالًا بعد حال.

والآخر: لتركبَن فتح البلاد شيئًا بعد شيء.

والثالث: لتركبَن السماوات في الإسراء سماءً بعد سماء.

وقوله: ﴿عَن طَبَقٍ﴾:

في موضع الصفة لـ ﴿طَبَقًا﴾.

أو في موضع حال من الضمير في ﴿تَرْكَبُنَّ﴾.

قاله الزمخشري[١].

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أيُّ شيء يمنعهم من الإيمان؟

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره؛ لأن رسول الله ﷺ سجد فيها، وليست عند مالك من عزائم السجَدات.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ ليصفهم بالكفر.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب.

أو بما يجمعون في صحائفهم (من الأعمال القبيحة)[٢].

يقال: أوعيت المال وغيره: إذا جمعتَه.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة موضع النذارة؛ تهكُّمًا بهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: من قضَى له بالإيمان من هؤلاء الكفار، فالاستثناء على هذا متصل، وإلى هذا أشار ابن عطية[٣].

---

(١) الكشاف (١٦/ ٣٦٣).

(٢) سقط من أ، ج، هـ.

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٥٧٤).

وقال الزمخشري: هو منقطع[(١)].

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر[(٢)].

* * *

(١) الكشاف (١٦/ ٣٦٥).

(٢) انظر صفحة ٦.

﴿ سورة البروج ﴾

[﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ البروج: هي المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر، تقطعها الشمس في السنة.

وقيل: هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرَّج؛ أي: تظهر.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق، وقد روي عن رسول الله ﷺ[1].

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ يحتمل الشاهد والمشهود:

أن يكون من الشهادة على الأمر.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٧٢)، والترمذي (٣٣٣٩).

أو يكون من معنى الحضور.

وحذف المعمول، وتقديره: مشهود عليه، أو مشهود به، أو مشهود فيه.

وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابًا عظيمًا، ويتلخَّص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولًا، يقابلها في المشهود اثنان وثلاثون قولًا[1]:

الأول: أن الشاهد: هو الله تعالى لقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة أوجه:

[١-] **أحدها:** أن يكون الخَلْق، بمعنى أنه يشهد عليهم.

[٢-] **والآخر:** أن يكون الأعمال، بمعنى أنه يَشهد بها.

[٣-] **والثالث:** أن يكون يوم القيامة، بمعنى أنه يشهد فيه؛ أي: يحضر، للحساب والجزاء، أو تقع فيه الشهادة على الناس.

القول الثاني: أن الشاهد: محمد ﷺ لقوله: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

والمشهود على هذا يحتمل أن تكون:

[٤-] أمته؛ لأنه يشهد عليهم.

[٥-] أو أعمالهم؛ لأنه يشهد بها.

---

(١) الذي ظهر لي واحد وثلاثون قولًا!.

[٦-] أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه؛ أي: يحضر، أو تقع فيه الشهادة على الأمة.

القول الثالث: أن الشاهد: أمة محمد ﷺ؛ لقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والمشهود على هذا:

[٧-] سائر الأمم؛ لأنهم يشهدون عليهم.

[٨-] أو أعمالهم.

[٩-] أو يوم القيامة.

القول الرابع: أن الشاهد: عيسى عليه السلام.

والمشهود:

[١٠-] أمته؛ لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

[١١-] أو أعمالهم.

[١٢-] أو يوم القيامة.

القول الخامس: أن الشاهد: جميع الأنبياء.

والمشهود:

[١٣-] أممهم؛ لأن كل نبيٍّ يشهد على أمته.

[١٤-] أو يشهد بأعمالهم.

[١٥-] أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه.

القول السادس: أن الشاهد: الملائكة الحفَظة.

والمشهود على هذا:

[١٦-] الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم.

[١٧-] أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها.

[١٨-] أو يوم القيامة.

[١٩-] أو صلاة الصبح؛ لقوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

القول السابع: أن الشاهد: جميع الناس؛ لأنهم يشهدون القيامة؛ أي: يحضرونها.

[٢٠-] والمشهود: يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

القول الثامن: أن الشاهد: الجوارح.

والمشهود عليه:

[٢١-] أصحابها؛ لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤].

[٢٢-] أو الأعمال؛ لأن الجوارح تشهد بها.

[٢٣-] أو يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه.

القول التاسع: أن الشاهد: الله والملائكة وأولوا العلم؛ لقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

[٢٤-] والمشهود به: الوحدانية.

القول العاشر: أن الشاهد: جميع المخلوقات.

[٢٥-] والمشهود به: وجود خالقها، وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك.

القول الحادي عشر: أن الشاهد: النجم؛ لما ورد في الحديث: «لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد»، وهو النجم[١].

[٢٦-] والمشهود على هذا: الليل والنهار؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل.

القول الثاني عشر: أن الشاهد: الحجر الأسود.

[٢٧-] والمشهود: الناس الذين يحجُّون.

القول الثالث عشر: روي عن النبي ﷺ: أن الشاهد: يوم الجمعة.

[٢٨-] والمشهود: يوم عرفة[٢].

وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال، ويوم عرفة يَشهده جمعٌ عظيم من الناس.

القول الرابع عشر: أن الشاهد: يوم عرفة.

[٢٩-] والمشهود: يوم النحر، قاله علي بن أبي طالب.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٧٣)، والترمذي (٣٣٣٩).

القول الخامس عشر: أن الشاهد: يوم التروية.

[٣٠-] والمشهود: يوم عرفة.

القول السادس عشر: أن الشاهد: يوم الاثنين.

[٣١-] والمشهود: يوم الجمعة.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ **الكلام هنا في ثلاثة فصول:**

الأول: في جواب القسم، وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾.

وثانيها: أنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

وهذان القولان ضعيفان؛ لبعد القسَم من الجواب.

وثالثها: أنه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾، تقديره: لقد قتل.

ورابعها: أنه محذوفٌ، يدلُّ عليه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾، تقديره: لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود، وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الأخدود؛ وعيدًا للكفار، وتأنيسًا للمسلمين المعذَّبين.

الفصل الثاني: في تفسير لفظها:

فأما ﴿قُتِلَ﴾ فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟

واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة، أو بمعنى: لُعِن؟

وأما ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾: فهو الشَّق في الأرض، كالخندق وشبهه.

وأما ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ فيحتمل أن يريد به:

الكفارَ الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود.

أو يريد به المؤمنين الذين حُرقوا فيه، فيكون القتل حقيقةً خبرًا.

والأول أظهر.

الفصل الثالث: في قصة أصحاب الأخدود، وفيها أربعة أقوال:

القول الأول: ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه: أن ملكًا كافرًا أسلم أهلُ بلاده، فأمر بالأخدود فخُدَّ في أفواه السكك، وأضرم فيها النيران فقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا ذلك، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه! اصبري فإنك على الحق[1].

القول الثاني: أن ملكًا زنى بأخته، ثم أراد أن يُحِلَّ للناس نكاح الأخوات، فأطاعه قوم، ومنهم[2] أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم، فحفر لهم الأخدود وأحرقهم فيه بالنار.

القول الثالث: أن نبيَّ أصحابِ الأخدود كان حبشيًا، وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود.

القول الرابع: أن صاحب الأخدود: ذو نُوَاس المذكور في قصة عبد الله

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

(٢) في ب: «ومنه».

ابن التامر[١] التي وقعت السِّيَر.

ويَحتمل أن يكون ذو نواس هو الملك الذي ذكره النبي ﷺ، فيتفق هذا القول مع الأول، فإنَّ ذا نواسٍ حفر أخدودًا فأوقد فيه نيرانًا[٢]، وألقى فيها كل من وحَّد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾، وهو بدل اشتمال.

و﴿ٱلْوَقُودِ﴾: ما توقد به النار.

والقصد: وصف النار بالشدة والعظمة.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ الضمير: للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر.

والعامل في ﴿إِذْ﴾: قوله: ﴿قُتِلَ﴾.

فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفًا، وقيل: سبعين ألفًا، فـ﴿قُتِلَ﴾ على هذا بمعنى: لُعن؛ أي: لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين.

وروي أن الله بعث على المؤمنين ريحًا قبضت أرواحهم وخرجت النارُ[٣] فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها، فـ﴿قُتِلَ﴾ على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي: قتلتهم النار.

---

(١) الذي في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦): «الثامر» بالثاء.

(٢) في ب، د: «فيها نارًا».

(٣) في ب، د: «وأخرجت النارَ».

وقيل: الضمير في ﴿إِذْ هُمْ﴾ للمؤمنين.

والأول أشهر وأظهر؛ لقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ يحتمل أن يكون:

بمعنى الشهادة:

أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملِك بأنه فعل ما أمره الملِك من التحريق.

أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة.

أو يكون بمعنى الحضور؛ أي: كانوا حاضرين على ذلك الفعل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن يُنكر.

فإن قيل: لم قال ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ بلفظ المضارع ولم يقل: «آمنوا» بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟

فالجواب: أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل، فكأنه قال: إلا أن يدوموا على الإيمان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود: فالفتنة هنا بمعنى الإحراق.

وإن كانت في كفار قريش: فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا، بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب.

وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حين كفره؛ كقوله ﷺ: «الإسلام يجبُّ ما قبله»[١].

﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن يريد:

في الآخرة، فيكون:

تأكيدًا لعذاب جهنم.

أو نوعًا من العذاب زيادةً إلى عذاب جهنم.

ويحتمل أن يريد في الدنيا، وذلك على رواية أن الكفار أصحابَ الأخدود أحرقتهم النار.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ البطش: هو الأخذ بقوة وسرعة.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدئ الخلق بالنشأة الأولى، ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث.

وقيل: يبدئ البطش ويعيده؛ أي: يبطش بهم في الدنيا والآخرة.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله: ﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤، الروم: ١١].

وقد ذكرنا ﴿الْوَدُودُ﴾ في «اللغات»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

(٢) انظر المادة (٥٦٦).

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلى الله، وخصه بالذكر؛ لأن العرش أعظم المخلوقات.

و﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: من المجد، وهو الشرف ورفعة القدر.

وقرئ ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾:

بالرفع: صفة لـ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

وبالخفض: صفة لـ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر.

والمقصود بذكر الجنود: تهديد الكفار، وتأنيس النبي ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ تهديد لهم، معناه: لا يفوتونه، بل يصيبهم عذابه إذا شاء.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: اللوح المحفوظ الذي في السماء.

وقرئ ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾:

بالخفض: صفة للوح.

وبالرفع: صفة للقرآن؛ أي:

حفظه الله من التبديل والتغيير.

أو حفظه المؤمنون في صدورهم.

﴿ سورة الطارق ﴾

[﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧ ﴾].

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها: هي[1] المعروفة.

وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد تسميه سماء، وهذا بعيد.

والطارق في اللغة: ما يَطرق؛ أي: يجيء ليلًا.

وقد فسره الله هنا بأنه ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ وهو يطلع ليلًا.

ومعنى ﴿ ٱلثَّاقِبُ ﴾: المضيء أو المرتفع:

فقيل: أراد جنس النجوم.

وقيل: الثريا؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم.

وقيل: زحل؛ لأنه أرفع النجوم؛ إذ هو في السماء السابعة.

---

(١) في ب زيادة: «السماء».

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه عند الجمهور: إنَّ كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها، يعني: الملائكة الحفظة.

وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «أن لكل نفس حفظة من الله يَذبُّون عنها كما يُذَبُّ عن العسل، ولو وُكِل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين»(١)، وإن صح هذا الحديث فهو المعوَّل عليه.

وقرئ ﴿لَمَا عَلَيْهَا﴾:

بتخفيف الميم: وعلى هذا تكون ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، و«ما» زائدة.

وقرئ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد: وعلى هذا تكون ﴿إِن﴾ نافية، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى الإيجاب بعد النفي.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ حذف ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، وجوابها ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾.

وسمي المنيُ ماء دافقًا؛ من الدفْق، بمعنى الدفع:

فقيل: معناه: مدفوق، وصاحبه هو الدافق في الحقيقة.

وقال سيبويه: هو على النسَب؛ أي: ذو دفق.

وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقًا؛ لأن بعضه يدفع بعضًا(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٧)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص: ٩٦).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٤ - ٥٨٥).

ومقصود الآية: إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصلَ خِلقته؛ ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده.

ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله: أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها؛ أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازَى[1] كل نفس بأعمالها.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ الضمير في ﴿يَخْرُجُ﴾ للماء.

وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان[2]، وهذا بعيد جدًّا.

والترائب: عظام الصدر، واحدها: تَرِيبة.

وقيل: هي الأطراف، كاليدين والرجلين.

وقيل: هي عُصارة القلب، ومنها يكون الولد.

وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.

والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة ما بين ثَدْيي المرأة.

ويعني صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها.

وقيل: أراد: صلب الرجل، وترائب المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لله تعالى، وفي ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للإنسان.

---

(١) في ب: «يجازي».
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٥).

والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيًا بعد موته، والمراد: إثبات البعث.

وقيل: إن المعنى: ردُّه ماءً كما كان أول مرة.

وقيل: ردُّه من الكِبَر إلى الشباب.

وقيل: الضمير في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للماء الدافق، والمعنى: ردُّه في الإحليل أو في الصلب.

وهذا كله ضعيف بعيد، والقول الأول هو الصحيح المشهور.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ يعني: يوم القيامة.

و﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾: جمع سريرة، وهي ما أسرَّ العبد في قلبه من العقائد(١) والنيات، وما أخفى من الأعمال.

وبلاؤها: هو تعرُّفها والاطلاع عليها.

وروي عن النبي ﷺ أن السرائر: الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة(٢)، وهذه معظمها؛ فلذلك خصَّها بالذكر.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله: ﴿رَجْعِهِۦ﴾؛ أي: يَرجعه يوم تبلى السرائر.

واعتُرض: بالفصل بينهما.

وأُجيب: بقوة المصدر في العمل.

---

(١) في د زيادة: «والعزائم».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٦٦).

وقيل: العامل ﴿لَقَادِرٌ﴾.

واعتُرض: بتخصيص القدرة بذلك اليوم.

وهذا لا يلزم؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم.

وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى، تقديره: يَرجعه يوم تبلى السرائر.

وهذا كله على المعنى الصحيح في ﴿رَجْعِهِۦ﴾.

وأما على الأقوال الأخر: فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ مضمر تقديره: اذكر.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ الضمير للإنسان.

ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له؛ أخبره الله أنه يَعدَمهما يوم القيامة.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ المراد بـ ﴿ٱلرَّجْعِ﴾ عند الجمهور: المطر، وسماه رجعًا بالمصدر:

لأنه يرجع كل عام.

أو لأنه يرجع إلى الأرض.

وقيل: الرجع: السحاب الذي فيه المطر.

وقيل: هو مصدرُ رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ يعني: ما تتصدع[١] عنه الأرض من النبات.

وقيل: يعني: ما في الأرض من الشّقاق والخنادق وشبهها.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ الضمير للقرآن؛ لأن سياق الكلام يقتضيه.

والفصل معناه: الذي فَصل[٢] بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقان.

والهزل: اللهو، يعني: أنه جِدٌّ كلُّه.

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥﴾ الضمير لكفار قريش.

وكيدهم: هو ما دبروا في شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به، وإبطال أمره.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ للمشاكلة بين الفعلين[٣].

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم، أو بالدعاء عليهم.

وهذا منسوخ بالسيف.

﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ أي: إمهالًا يسيرًا قليلًا يعني:

إلى قتلهم يوم بدر.

أو إلى الدار الآخرة، وجعله يسيرًا؛ لأن كل آتٍ قريبٌ.

ولفظ ﴿رُوَيۡدَۢا﴾ هنا: صفة لمصدر محذوف، وقد تقع بمعنى الأمر بالتماهل

---

(١) في أ، د: «تصدع»، وفي ب: «يتصدع».

(٢) في ب: «يفصل».

(٣) انظر (١/٢٧٥)، (١/٥٤٥)، (٢/٤٢٢)، (٢/٥١٢).

كقولك: رويدًا يا فلان.

وكرَّر الأمر في قوله: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾، وخالف بينه وبين لفظ ﴿مَهِّلِ﴾؛ لزيادة التسكين والتصبير، قاله الزمخشري[1].

* * *

(١) الكشاف (١٦/ ٣٨٩).

﴿ سورة الأعلى ﴾

[﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ
ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا
يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا
ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ
۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾].

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ التسبيح في اللغة: التنزيه.

وذكر الاسم هنا يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد المسمى، ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام: سبح ربك؛ أي: نزِّهه عما لا يليق به، وقد يتخرَّج ذلك على قول من قال: إن الاسم هو المسمى.

والآخر: أن يكون الاسم مقصودًا بالذكر، ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه:

الأول: تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة، كالتشبيه والتعطيل.

الثاني: تنزيه أسماء الله عن أن يُسمى بها صنم أو وثن.

الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تُذكر في حال الغفلة دون خشوع.

الرابع: أن المراد قول[(١)]: «سبحان الله»، ولما كان التسبيح باللسان لا بدَّ فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم، **وهذا القول هو الصحيح**.

ويؤيده: ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحان ربي الأعلى»[(٢)]، وأنها لما نزلت قال: «اجعلوها في سجودكم»[(٣)]، فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب، ولا بدَّ في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى؛ فلذلك قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم؛ لأنه هو الذي يوصَل به إلى التسبيح باللسان.

وعلى هذا: يكون موافقًا في المعنى لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة: ٧٤] لأن معناه: نزِّه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا: ما روي عن ابن عباس أن معنى ﴿سَبِّحِ﴾: صلِّ باسم ربك؛ أي: صل واذكر في الصلاة اسم ربك.

و﴿ٱلْأَعْلَى﴾ يحتمل أن يكون صفة:

للرب.

أو للاسم.

والأول أظهر.

---

(١) في د: «قل».

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦٦)، وأبو داود (٨٨٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ حذف مفعول ﴿خَلَقَ﴾ و﴿سَوَّىٰ﴾؛ لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد: خلق كل شيء فسوَّاه؛ أي: أتقن خِلقته.

وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧][(١)].

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ ﴿قَدَّرَ﴾ بالتشديد: يحتمل أن يكون:

من القدر والقضاء.

أو من التقدير والموازنة بين الأشياء.

وقرئ بالتخفيف: فيحتمل أن يكون:

من القدرة.

أو التقدير، وحذف المفعول؛ ليفيد العموم.

فإن كان من التقدير فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرَّفه وجه الانتفاع به.

وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث؛ لبقاء النسل.

وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي.

وقيل: هدى الناس للخير والشر، والبهائمَ للمراتع.

وهذه الأقوال أمثلة، والأول أعم وأرجح، فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها[(٢)] باب واسع فيه عجائب وغرائب.

---

(١) انظر صفحة ٦٢٤.

(٢) في هـ: «منافعها».

وقال الفراء: المعنى: هدى وأضلَّ، واكتفى بالواحدة؛ لدلالتها على الأخرى(١)، وهذا بعيد.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ المرعى: هو النبات الذي ترعاه البهائم.

والغثاء: هو النبات اليابس المتحطم، وقد يقال للزِّبْل غثاء.

و﴿أَحْوَىٰ﴾ معناه: أسود، وهو صفة لـ ﴿غُثَاءً﴾.

والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر، فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قَدُمَ تعفَّن واسودَّ.

وقيل: إن ﴿أَحْوَىٰ﴾ حال من ﴿الْمَرْعَىٰ﴾، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلف.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وعده الله أن يُقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له ﷺ؛ لأنه كان أميًّا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن.

وقيل: معنى الآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآيةَ [القيامة: ١٦]؛ فإن ﷺ كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل؛ خوفًا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه.

وقيل: ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾ نهيٌ عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٦).

قدرة البشر، فالمراد: الأمر بتعاهده حتى لا ينساه. وهذا بعيد؛ لإثبات الألف في ﴿تَنسَىٰٓ﴾.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: لا تنسى؛ إلا ما شاء الله أن تنساه، كقوله: ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

والآخر: أنه لا ينسى شيئًا، ولكن قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾؛ تعظيمًا لله بإسناد الأمر إليه، كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنعام: ١٢٨] على بعض الأقوال.

وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي[١].

والأول أظهر؛ فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عبَّاد بن بِشرٍ: «يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أُنسيتها»[٢].

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨﴾ عطف على ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾، ومعناه: نوفقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة.

وقيل: معناه للشريعة اليسرى، من قوله ﷺ: «دين الله يسر»[٣] أي: سهل لا حرج فيه.

(١) الكشاف (١٦/٣٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٩).

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ المراد بهذا الشرط: توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم، كقولك: قد أوصيتك لو سمعتَ.

وقيل: إن المعنى: فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، واقتصر على أحد القسمين؛ لدلالة الآخر عليه، وهذا بعيد وليس عليه الرَّونق الذي على الأول.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⑩﴾ أي: من يخاف الله.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪﴾ يعني: الكافر.

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

والضمير المفعول لـ ﴿الذِّكْرَىٰ﴾.

﴿النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ هي نار جهنم، وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا.

وقيل: سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم؛ فإنها تتفاضل، وبعضها أكبر من بعض.

وكلا القولين صحيح، إلا أن الأول أظهر، ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم»(١).

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة هنيئة.

وعطف هذه الجملة بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ لأن هذه الحالة أشد من صَلْي النار،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

فكأنها بعده في الشدة.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ يحتمل أن يكون ﴿تَزَكَّىٰ﴾:

بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي.

أو بمعنى الطهارة للصلاة.

أو بمعنى أداء الزكاة، وعلى هذا قال جماعة: إنها في يوم الفطر، والمعنى: أدَّى زكاة الفطر، وذكر اسم ربه في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام، وصلى صلاة العيد، وقد روي هذا عن النبي ﷺ[1].

وقيل: المراد: أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الإشارة:

إلى ما ذكر قبلُ من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

أو إلى ما تضمنته السورة.

أو إلى القرآن بجملته.

والمعنى: إنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

* * *

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٨٥).

﴿ سورة الغاشية ﴾

[﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَى
نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي
مِنْ جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا
لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ
۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ
۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ
مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾].

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر.

وقيل: ﴿هَلْ﴾ بمعنى «قد»، وهذا ضعيف.

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ هي القيامة؛ لأنها تغشى جميع الخلق.

وقيل: هي النار، من قوله: ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد ذلك قسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة.

﴿خَاشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣﴾ هو من النصب بمعنى التعب.

وفي المراد بهم ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنهم الكفار، ويحتمل على هذا يكون عملهم ونصَبهم:

في الدنيا؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها.

أو يكون في الآخرة، فيعملون فيها عملًا يتعبون فيه؛ من جرِّ السلاسل والأغلال وشبه ذلك، ويكون زيادة في عذابهم.

الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم؛ لأنهم على غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب ﷺ، وبكى رحمةً لراهب نصراني رآه مجتهدًا، فـ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ على هذا: في الدنيا.

و﴿نَّاصِبَةٌ﴾ إشارة:

إلى اجتهادهم في العمل.

أو إلى أنه لا ينفعهم، فليس لهم منه إلا النصَب.

الثالث: أنها في القدرية، وقد روي أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: «**إن فيهم المجتهد**»[١].

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي: شديدة الحر، ومنه ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، ووزن ﴿ءَانِيَةٍ﴾ هنا فَاعِلة، بخلاف ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥] فإن وزنه: أَفْعِلة.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يقال له: الشِّبْرق، وهو سَمٌّ قاتل، وهذا أرجح

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز(٨/ ٥٩٧)، ولم أقف على إسناد له.

الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: «الضريع شوك في النار»[١].

الثاني: أنه الزقوم؛ لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤].

الثالث: أنه نبات أخضر مُنتنٌ يَنبت في البحر، وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا ضعيف؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام، إنما هو شراب.

ولله درُّ من قال: الضريع طعام أهل النار، فإنه عمَّ وسَلِم من عُهدة التعيين.

واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة؛ لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به.

وقيل: بمعنى: مُضْرِع للبدن، أي: مُضْعِف.

وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ.

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحاقة: ٣٦]؟

فالجواب: أن الضريع لقوم، والغسلين لقوم.

أو يكون أحدهما في حال، والآخر في حال.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لـ ﴿ضَرِيعٍ﴾، أو لـ ﴿طَعَامٌ﴾.

---

(١) أخرجه ابن مردويه بسند واهٍ كما في الدر المنثور (١٥/ ٣٨٥).

نفى عنه منفعة الطعام، وهي التسمين وإزالة الجوع.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝٨﴾ أي: متنعمة في الجنة.

أو يظهر عليها نضرة النعيم.

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ أي: رضيت في الآخرة؛ لأجل سعيها، وهو عملُها في الدنيا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ يحتمل أن يكون:

من عُلُوِّ المكان.

أو من علو المقدار.

أو الوجهين.

﴿لا تُسْمَعُ فيها لَـٰغِيَةٌ﴾ هو من لغو الكلام، ومعناه الفحش[1] وما يُكره، فيحتمل أن يريد:

كلمة لاغية.

أو جماعة لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ يحتمل أن يريد:

جنس العيون.

أو واحدةً شرَّفها بالتعيين.

---

(١) في ب، د: «اللحن».

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ١٤﴾ قد ذكرنا ﴿وَأَكْوَابٍ﴾[1].

ومعنى ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: حاضرة معدَّة بشرابها.

وفي قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ و﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ مطابقة.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة، وهي الوسادة.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ١٦﴾ هي بُسُطٌ فاخرة.

وقيل: هي الطَّنَافِس.

واحدها: زَرْبِيَّة.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها.

وقيل: مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ حض على النظر إلى خلقتها؛ لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك.

وقيل: أراد بالإبل السحاب، وهذا بعيد، وإنما حمل قائلَه عليه مناسبتُها للسماء والأرض والجبال.

والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به؛ إذ كانت معايشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم.

---

(١) انظر صفحة ٢٨٥.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قاهر متسلط.

وهذا من المنسوخ بالسيف.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى وكفر فيعذبه الله.

وقيل: هو استثناء من مفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئستَ منه، فهو على هذا متصل.

وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: لا تتسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه؛ إذ لا موادَعة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ أي: رجوعَهم، والآية تهديد.

* * *

﴿ سورة الفجر ﴾

[﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ
لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي
الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي
الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ
لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا
إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا
تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ
الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا
﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي
قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾].

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم تعالى بالفجر، وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح.

وقيل: أراد صلاة الفجر.

وقيل: أراد النهار كله.

وقيل: فجر يوم الجمعة.

وقيل: فجر يوم النحر.

وقيل: فجر ذي الحجة.

ولا دليل على هذه التخصيصات.

وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة، وهذا بعيد.

والأول أشهر وأظهر.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور.

وقيل: العشر الأوَّل من المحرم، وفيها عاشوراء.

وقيل: العشر الآخِر من رمضان.

وقيل: العشر الأول منه.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ روي عن النبي ﷺ: أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة[1]؛ وذلك لأن يوم النحر عاشر فعدده شفعٌ، ويوم عرفة تاسع فعدده وتر.

وروي عنه ﷺ: أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النحر[2].

وروي عنه ﷺ: أنها الصلوات، منها شفع ووتر[3].

وقيل: الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى، والوتر الركعة الواحدة المعروفة.

وقيل: الشفع العالَم، والوتر الله؛ لأنه واحد.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٥١١)، والنسائي في الكبرى (٤/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٨٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٩١٩).

وقيل: الشفع آدم وحواء، والوتر الله تعالى.

وقيل: الشفع الصفا والمروة، والوتر البيت الحرام.

وقيل: الشفع أبواب الجنة؛ لأنها ثمانية، والوتر أبواب النار؛ لأنها سبعة.

وقيل: الشفع قران الحج، والوتر إفراده.

وقيل: المراد الأعداد، منها شفع ووتر.

فهذه عشرة أقوال.

وقرئ ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ بفتح الواو وكسرها، وهما لغتان.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ أي: إذا يذهب، فهو كقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣﴾ [المدثر: ٣٣].

وقيل: أراد: يُسرَى فيه، فهو على هذا كقولهم: «ليلُهُ قائمٌ»، والمراد على هذا: ليلة جمع؛ لأنها التي يُسرَى فيها.

والأول أشهر وأظهر.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها.

والحجر هنا: هو العقل، كأنه يقول: إن هذا لقسمٌ[1] عظيمٌ عند ذوي العقول.

---

(١) في ب، د، هـ: «القسمَ».

وجواب القسم محذوف، وهو: «ليأخذنَّ الله الكفار»، ويدل على ذلك: ما ذكر بعده من أخْذ عاد وثمود وفرعون.

﴿إِرَمَ﴾ هي قبيلة عاد، سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: «هاشم»: لبني هاشم.

وإعرابه: بدل من ﴿عَادٍ﴾، أو عطف بيان.

وفائدته: أن المراد عادٌ الأولى، فإن عادًا الثانية لا يسمَّون بهذا الاسم.

وقيل: ﴿إِرَمَ﴾ اسم مدينتهم، فهو على حذف مضاف تقديره: «بعادٍ عادِ إرمَ»، ويدل على هذا: قراءة ابن الزبير: «بعادِ إرمَ» على الإضافة من غير تنوين «عاد».

وامتنع ﴿إِرَمَ﴾ من الصرف على القولين: للتعريف والتأنيث.

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ من قال ﴿إِرَمَ﴾ قبيلةٌ: قال ﴿ٱلْعِمَادِ﴾: أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر؛ لأنهم كانوا أهل عمود.

وقال ابن عباس: ذلك كناية عن طول أبدانهم.

ومن قال ﴿إِرَمَ﴾ مدينة: فـ ﴿ٱلْعِمَادِ﴾ الحجارة التي بنيت بها.

وقيل: القصور والأبراج.

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ صفة للقبيلة؛ لأنهم كانوا أعظم الناس أجسامًا، يقال: كان طول الرجل منهم أربع مئة ذراع.

أو صفة للمدينة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾، ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا.

وروي أنها بناها شدَّاد بن عاد في ثلاث مئة عام، وكان عمره تسع مئة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزَّبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجرات والأنهار الجارية.

وروي أنه سَمع ذكر الجنة، فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمَّها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة.

وكانت هذه المدينة باليمن، وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية.

وقيل: هي دمشق.

وقيل: الإسكندرية.

وهذا ضعيف.

﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي: نقَبوه ونحَتوا فيه بيوتًا.

والوادي: ما بين الجبلين، وإن لم يكن فيه ماء.

وقيل: أراد وادي القرى.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ ذكر في «داود»[1].

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ صفة لعاد وثمود وفرعون.

ويجوز أن يكون:

منصوبًا على الذم.

---

(١) انظر: (٣/٧٠٠).

أو خبرَ ابتداء مضمر.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ استعار[١] السوطَ للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره. قاله ابن عطية[٢].

وقال الزمخشري: ذِكْر السوط إشارةٌ إلى عذاب الدنيا؛ إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل[٣].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان، ورقيبٌ على كل إنسان، وأنه لا يَفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم.

والمرصاد: المكان الذي يَترقب[٤] فيه الرصَدُ.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ الابتلاء: هو الاختبار، واختبار الله لعبده؛ لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالمًا بذلك قبل كونه.

و﴿الْإِنسَانُ﴾ هنا: جنس.

وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة.

وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة.

وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير، ثم ذكر بعد ابتلاءه بالشر،

---

(١) في أ، هـ: «استعارة».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٠٩).

(٣) الكشاف (١٦/ ٤٢٤).

(٤) في ب، د: «ترتقب».

كما قال في: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾.

ويتعلق بالآية سؤالان:

السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ و﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ على وجه الفخر بذلك والكبر، لا على وجه الشكر، ويقول: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتَبر الدنيا فجعل بسْط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه، ويضيقه على[1] أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة.

وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا؛ لأنه لا يصدق بالآخرة، ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك.

السؤال الثاني: إن قيل: قد قال الله: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ فأثبت إكرامه، فكيف أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾؟

---

(١) في ب: «ويقبضه عن».

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشرك، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسَبما ذكرنا في معنى الإنكار.

الثاني: أنه أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ إذا اعتقد إن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام، لا على وجه التفضُّل والإنعام، كقول قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾، لا لقوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾؛ فإن قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ اعترافٌ بنعمة الله، وقوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ شكاية من فعل الله.

﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ أي: ضيقه.

وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد، وفي التشديد مبالغة.

وقيل: معنى التشديد: جعَله على قدر معلوم.

﴿كَلَّا﴾ زجرٌ عما أنكر من قول الإنسان.

﴿لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ هذا ذمٌّ لما ذكر من الأعمال القبيحة.

ومعنى هذا الإضراب بـ﴿بَل﴾: كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم، ثم قال: بل تفعلون ما هو شر من ذلك، وهو أن لا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده.

قال رسول الله ﷺ: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»(١).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٣٩١).

﴿وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ الحض على الأمر : هو الترغيب فيه، ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو، فكأنه ذم لترك طعام المسكين.

والطعام هنا : بمعنى الإطعام.

وقيل : هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين.

وقرئ ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ بفتح الحاء وألف بعدها، بمعنى لا يحضُّ بعضكم بعضًا.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ التراث : ما يُورَث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من واو.

واللمُّ : الجمع واللف.

والتقدير : أكلًا ذا لمٍّ، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرًا، بل ينفرد به الرجال.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ أي : شديدًا كثيرًا، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه.

﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي : سُوِّيت بذهاب جبالها.

﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي : دكًّا بعد دكٍّ، كما تقول: تعلمت العلم بابًا بابًا.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين: جاء أمره وسلطانه.

وقال المنذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك.

وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل(١).

﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفًا حول الأرض.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي: صفًّا بعد صف، قد أحدقوا بالجن والإنس.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها»(٢).

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾، و﴿يَتَذَكَّرُ﴾ هو العامل، وهو جواب ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾.

والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا، ويندم على تفريطه وعصيانه.

و﴿الْإِنسَانُ﴾ هنا: جنس.

وقيل: يعني: عتبة بن ربيعة.

وقيل: أمية بن خلف.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ هذا على حذف تقديره: «أنى له الانتفاع بالذكرى»، كما تقول: «ندم حين لم تنفعه الندامة».

---

(١) انظر (٤٢٧/١)

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة، **فالمعنى**: يا ليتني قدَّمت عملًا صالحًا للآخرة.

والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، **فالمعنى**: يا ليتني قدَّمت عملًا صالحًا وقْتَ حياتي، فاللام على هذا كقولك: كتبتُ لعشْرٍ من الشهر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ من قرأ بكسر الذال من ﴿يُعَذِّبُ﴾ والثاء من ﴿يُوثِقُ﴾: فالضمير في ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾ و﴿وَثَاقَهُۥٓ﴾: لله تعالى.

والمعنى: أنه الله يتولى عذاب الكفار ولا يَكِله إلى أحد.

ومن قرأ بالفتح: فالضمير للإنسان؛ أي: لا يعذَّب أحد مثل عذابه، ولا يوثَق أحد مثل وَثاقه.

وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرٍو رجع إليها، وهي قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله ﷺ(١).

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ أي: الموقنة يقينًا قد اطمأنت به، بحيث لا يتطرَّق إليها شك في الإيمان.

وقيل: المطمئنة: التي لا تخاف حينئذ، ويؤيد هذا: قراءة أبيِّ بن كعب: «يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة».

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون: عند الموت.

وقيل: عند البعث.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٩١) وقال: «إسناده واهٍ»

وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار.

والأول أرجح؛ لما روي أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له: «يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك»[1].

﴿رَاضِيَةً﴾ معناه: راضية بما أعطاك الله، أو راضية عن الله.

ومعنى المرضية: مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاها.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾﴾ أي: ادخلي في جملة عبادي الصالحين.

وقرئ: ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ بالتوحيد، ومعناه: ادخلي في جسده وهو خطاب للنفس.

ونزلت هذه الآية في حمزة.

وقيل: في خُبيب بن عَديٍّ الذي صلبه الكفار بمكة.

ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٩٦).

﴿ سورة البلد ﴾

[﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾
أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ
﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى
مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟
بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾].

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفًا لها، و﴿لَآ﴾ زائدة.

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى أنت حالٌّ[1] بهذا البلد؛ أي: ساكن؛ لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والآخر: أن معنى ﴿حِلٌّ﴾: تُستحَلُّ حرمتُك ويؤذيك الكفار، مع أن مكة

---

(١) في ب، د، هـ: «حلٌّ».

لا يحل فيها قتل صيد ولا بشرٍ، ولا قطع شجر.

وعلى هذا قيل: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ نفيٌ؛ أي: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية.

الثالث: أن معنى ﴿حِلُّۢ﴾: حلالٌ، يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتل كافر وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: «**إن هذا البلد حرام حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض، لم يَحِلَّ لأحد قبلي ولا يحلُّ لأحد بعدي، وإنما أُحل لي ساعة من نهار**»[1]، يعني: يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر ﷺ بقتل ابن خطَلٍ وهو متعلق بأستار الكعبة[2].

فإن قيل: إن السورة مكية، وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟

فالجواب: أن هذا وعدٌ بفتح مكة، كما تقول لمن تَعِدُه بالكرامة: «أنت مُكْرَمٌ»، يعني: فيما يستقبل.

وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح، وهذا ضعيف.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولَده[3].

الثاني: نوح وولده.

الثالث: إبراهيم وولده.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧).
(٣) في د: «أولاده».

الرابع: محمد ﷺ وولده.

الخامس: جنس كل والد ومولود.

وإنما قال: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ولم يقل: «ومن ولد»؛ إشارةً إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]، قاله الزمخشري[١].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ أي: يكابد المشقَّات من هموم الدنيا والآخرة.

قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابده[٢] ابن آدم.

وأصل الكبَد: من قولك: كَبِدَ الرجلُ فهو أكبد: إذا وَجِعَت كَبِدُه.

وقيل: معنى ﴿فِى كَبَدٍ﴾: واقفًا منتصب القامة، وهذا ضعيف.

و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ على هذين القولين: جنس.

وقيل: الإنسان آدم عليه السلام، ومعنى ﴿فِى كَبَدٍ﴾ على هذا: في السماء، وهذا ضعيف، والأول هو الصحيح.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه.

والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه.

فعلى الأول: نزلت في جنس الإنسان الكافر.

وعلى الثاني: نزلت في رجل معيَّن، وهو أبو الأشَدِّ، رجل من قريش كان شديد القوة.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٤٤٣).

(٢) في ج، د، هـ: «يكابد».

وقيل: عمرو بن عبد ودٍّ، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي ابن أبي طالب.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: كثيرًا.

وقرئ ﴿لُبَدًا﴾ بضم اللام وكسرها، وهو جمع لبْدَةٍ - بالضم والكسر - بمعنى الكثرة.

ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة؛ فإنه أنفق مالًا في إفساد أمر رسول الله ﷺ.

وقيل: في الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات، فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدًا.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ يحتمل أن يكون هذا:

تكذيبًا له في قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾.

أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقَي الخير والشر، فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد.

وقيل: يعني: ثديَي الأم.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ الاقتحام: الدخول بشدَّة ومشقة.

و﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبةً استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس.

وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال.

و﴿لَا﴾ هنا: تحضيضٌ بمعنى: «هلَّا».

وقيل: هي دعاء.

وقيل: هي نافية.

واعتُرِض هذا القول: بأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها.

وأجاب الزمخشري بأنها مكرَّرة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينًا(١).

وقال الزجاج: قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يدل على التكرار؛ لأن التقدير: فلا اقتحم العقبة ولا آمن(٢).

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ تعظيم للعقبة، ثم فسَّرها بفك الرقبة، وهو إعتاقها، وبالإطعام.

وقرئ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾:

بضم الكاف وخفض الرقبة، وهو على هذا تفسير للعقبة.

وبفتح الكاف ونصب الرقبة، وهو تفسير لـ ﴿ٱقْتَحَمَ﴾.

وفك الرقبة: هو عتقها، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق

---

(١) الكشاف (١٦/٤٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٢٩).

الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار»[١].

وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: دلني على عمل أنجو به، فقال: «فُكَّ الرقبة وأَعتِقِ النسمة»، فقال الأعرابي: أليس هذا واحدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»[٢].

وأما فداء أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجرًا من العتق؛ لأنه واجب، ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة.

﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ﴾ من قرأ ﴿فَكُّ﴾ بالرفع قرأ ﴿إِطْعَـٰمٌ﴾، فعطف مصدرًا على مصدر.

ومن قرأ ﴿فَكَّ﴾ بالفتح قرأ ﴿أَطْعَمَ﴾ بفتح الهمزة والميم، فعطف فعلًا على فعل.

﴿فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة، يقال: سَغب الرجلُ: إذا جاع.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ أي: ذا قرابة، ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: ذا حاجة، يقال: تَرِبَ الرجل: إذا افتقر، وهو مأخوذ من لُصُوقِه بالتراب.

وروي عن النبي ﷺ: أنه الذي مأواه المزابل[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

(٢) أخرجه ابن حبان (٢/ ٩٧)، والحاكم (٢/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٤/ ٢١٤).

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿ثُمَّ﴾ هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام.

ولا يصح أن تكون للترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام!، ولا يُقبل عمل إلا من مؤمن.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: وصَّى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله.

وكأن هذا إشارةٌ إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضًا برحمة المساكين وغيرهم.

وقيل: المرحمة: كل ما يؤدي إلى رحمة الله.

﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ جهة اليمين و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ جهة الشمال.

وروي أن الميمنة عن يمين العرش.

ويحتمل أن يكونا من اليُمن والشؤم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌۢ﴾ أي: مُطبَقة مُغلَقة، يقال: أوصدتُ الباب: إذا أغلقتَه.

وفيه لغتان: الهمز، وترك الهمز.

﴿ سورة والشمس ﴾

[﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا
۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا
۝١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ
فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾].

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ الضحى: ارتفاع الضوء وكماله.

والضَّحَاء -بالفتح والمد-: بعد ذلك إلى الزوال.

وقيل: الضحى النهار كله.

والأول هو المعروف في اللغة.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ أي: تَبِعها، وفي تبَعِه لها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء؛ لأنه أضوأ الكواكب بعد الشمس، ولا سيما ليلة البدر.

والآخر: أنه يتبعها في طلوعه؛ لأنه يطلع بعد غروبها، وذلك في النصف الأول من الشهر.

الثالث: أن تبَعَهُ لها: أخْذُه من نورها.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ أي: كشفها وأظهرها.

والضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تتجلَّى بالنهار، فكأنه هو الذي جلَّاها.

وقيل: الضمير الفاعل: لله.

وقيل: الضمير المفعول: للظلمة، أو للأرض، أو للدنيا.

وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ أي: يغطيها، وضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل للَّيل على الأصح.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ قيل: إن «ما» في قوله: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ و﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾ و﴿مَا سَوَّىٰهَا﴾ موصولة بمعنى: «من»، والمراد الله تعالى.

وقيل: إنها مصدرية، كأنه قال: والسماء وبنيانها[1]، وضعف الزمخشري هذا بقوله: ﴿فَأَلۡهَمَهَا﴾؛ فإن المراد الله باتفاق، فهذا القول يؤدي إلى فساد النظم[2].

وضعَّف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق.

فإن قيل: لم عدَل عن «من» إلى «ما» في قول من جعلها موصولة؟

فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية، كأنه قال: والقادر الذي بناها.

﴿طَحَىٰهَا﴾ أي: مدَّها.

---

(١) في ا، هـ: «وبنيانها».

(٢) الكشاف (١٦/ ٤٥٩).

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ تسوية النفس: إكمال عقلها وفهمها.

فإن قيل: لم نكَّر النفس؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

والآخر: أنه أراد نفس آدم.

والأول هو المختار.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أي: عرَّفها طرق[١] الفجور والتقوى، وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين.

ويحتمل أن تكون الواو بمعنى «أو»، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ **هذا جواب القسم عند الجمهور.**

وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره: لَيُدَمْدِمَنَّ الله على أهل مكة لتكذيبهم النبيَّ ﷺ، كما دَمْدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحًا ﷺ، قال: وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ على سبيل الاستطراد[٢]، وهذا بعيد.

والفاعل بـ﴿زَكَّىٰهَا﴾ ضمير يعود على ﴿مَن﴾، والمعنى: قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: طهَّرها من الذنوب والعيوب.

---

(١) في ب، د: «طريق».

(٢) الكشاف (١٦/ ٤٦٤).

وقيل: الفاعل ضمير الله تعالى.

والأول أظهر.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أي: حقَّرها بالكفر والمعاصي.

وأصله: دسَّسَ بمعنى: أخفى؛ فكأنه أخفى نفسه لما حقرها، وأُبدل من السين الآخرة حرف علة، كقولهم: «قصَّيْتُ أظفاري»، وأصله: قصَصْتُ.

﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ هو مصدر بمعنى الطغيان، قلبت فيه الياء واوًا على لغة من يقول: «طَغَيْتُ».

والباء الخافضة:

كقولك: «كتبت بالقلم».

أو سببية، والمعنى: بسبب طغيانها.

وقال ابن عباس: معناه كذبت ثمود بعذابها، ويؤيده قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقة: ٥].

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ العامل في ﴿إِذِ﴾: ﴿كَذَّبَتۡ﴾ أو ﴿بِطَغۡوَىٰهَآ﴾.

ومعنى ﴿ٱنۢبَعَثَ﴾: خرج إلى عقر الناقة بسرعة ونشاط.

و﴿أَشۡقَىٰهَا﴾: هو الذي عقر الناقة، وهو أُحيمر ثمود، واسمه قُدَار بن سالف.

ويحتمل أن يكون ﴿أَشۡقَىٰهَا﴾ واقعًا على جماعة؛ لأن «أفعل» التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع.

والأول أظهر وأشهر.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعني: صالحًا عليه السلام.

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: احفظوا ناقة الله، أو احذروا ناقة الله.

و﴿سُقْيَٰهَا﴾: شربها من الماء.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نَسب العقر إلى جماعة؛ لأنهم اتفقوا عليه، وباشَره واحد منهم.

﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم، وفيه تهويل.

﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنبهم، وهو التكذيب، أو عقر الناقة.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ قال ابن عطية: معناه: فسوَّى القبيلة في الهلاك، لم يُفْلت[1] أحد منهم[2].

وقال الزمخشري: الضمير للدمدمة؛ أي: سواها بينهم[3].

﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى، والضمير في ﴿عُقْبَٰهَا﴾ للدمدمة والتسوية وهو الهلاك؛ أي: لا يخاف عاقبة إهلاكهم، ولا درَك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم، وفي ذلك احتقار لهم.

وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح، وهذا بعيد.

---

(١) في أ، د، هـ: «يفت».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٠).

(٣) الكشاف (١٦/ ٤٦٧).

وقرئ ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ بالفاء وبالواو.

وقيل في القراءة بالواو: إن الفاعل ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ والجملة في موضع الحال؛ أي: انبعث ولم يخف عقبى فعلته، وهذا بعيد.

* * *

﴿ سورة الليل ﴾

[﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ
۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ
۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ
۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ أي: يغطِّي، وحذف المفعول وهو: الشمس؛ لقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس: ٤].

أو النهار لقوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أو كل شيء يستره(١) الليل.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ أي: ظهر وتبيَّن، والنهار: من طلوع الشمس، واليوم: من طلوع الفجر.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ ﴿مَا﴾ بمعنى «من»، والمراد بها: الله تعالى، وعدل عن «مَن» لقصد الوصف، كأنه قال: والقادرِ الذي خلق الذكر والأنثى.

---

(١) في أ: «ستره».

وقيل: هي مصدرية.

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ: «والذكرِ والأنثى»[١].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: إن عملكم مختلف، فمنه حسنات ومنه سيئات.

و﴿شَتَّىٰ﴾ جمع شَتيت.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ أي: أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء، واتقى الله.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ أي: بالخَصلة الحسنة وهي الإسلام، ولذلك عبَّر عنه بعضهم بأنها: «لا إله إلا الله»، أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة.

وقيل: يعني: الأجر والثواب على الإطلاق.

وقيل: يعني: الخَلَف على المنفق.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ أي: نهيِّؤه للطريقة اليسرى، وهي فعل الخيرات وترك السيئات.

وضد ذلك ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

ومنه قوله ﷺ: «اعلموا فكل ميسر لما خلق له»[٢]، أي: يهيؤه الله لما قدَّر له، ويسهل عليه فعل الخير أو الشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦١)، ومسلم (٨٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨﴾ أي: بخِل بماله، أو بطاعة الله على الإطلاق، فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة ﴿أَعۡطَىٰ﴾، كما أن ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ في مقابلة ﴿ٱتَّقَىٰ﴾، و﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ في مقابلة ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾، و﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ في مقابلة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾.

ومعنى ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: استغنى عن الله فلم يطعه.

أو استغنى بالدنيا عن الآخرة.

ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق؛ لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيُعتقهم.

وقيل: نزلت في أبي الدحداح، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية، وإنما أسلم أبو الدحداح في المدينة.

وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾، وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك.

﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ هذا نفيٌ، أو استفهام بمعنى الإنكار.

واختُلف في معنى ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ على أربعة أقوال:

الأول: تردى أي: هلك، فهو مشتقٌّ من الردى وهو الموت.

[٢-] أو تردَّى أي: سقط في القبر.

[٣-] أو سقط في جهنم.

[٤-] أو تردى بأكفانه، من الرِّداء.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ⑫﴾ أي: بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية، خلافًا للمعتزلة[١].

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ مخاطبة:

من الله.

أو من النبي ﷺ على تقدير: «قل».

﴿لَا يَصْلَاهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑯﴾.

وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى: لا يصلاها صَلْيَ خلود إلا الأشقى.

والآخر: أنه أراد نارًا مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بـ ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ كافرًا معينًا، وهو أبو جهل أو أمية ابن خلف، وقابل به ﴿ٱلْأَتْقَى﴾، وهو أبو بكر الصديق؛ فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص، لا مخرج الإخبار على العموم.

﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من أداء الزكاة.

أو من الزكاء؛ أي:

يصير زكيًّا عند الله.

أو يتطهر من ذنوبه.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في صفحة ٥٦١.

وهذا الفعل:

بدل من ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى﴾.

أو حال من الضمير.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ أي: لا يفعل الخير جزاءً على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم، بل يفعله ابتداء خالصًا لوجه الله.

وقيل: المعنى لا يَقصِد جزاءً من أحد في المستقبل على ما يفعل.

والأول أظهر، ويؤيده ما روي أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالًا قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة، فنفى الله قولهم.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ استثناء منقطع.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ وعدٌ بأن يُرضيَه الله في الآخرة.



﴿ سورة الضحى ﴾

[﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾].

﴿وَٱلضُّحَىٰ ١﴾ ذكر في «الشمس وضحاها»[1].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ فيه أربعة أقوال:

[١-] إذا أقبل.

[٢-] وإذا أدبر.

[٣-] وإذا أظلم.

[٤-] وإذا سكن؛ أي:

استقر واستوى.

أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه: «ليلة ساجية»: إذا كانت ساكنة الريح، و«طَرْفٌ ساجٍ» أي: ساكن غير مضطرب النظر.

(١) انظر صفحة ٦٩٦.

وهذا أقرب في الاشتقاق، وهو اختيار ابن عطية[١].

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بتشديد الدال: من الوداع.

وقرئ بتخفيفها بمعنى: ما تركك، والوداع مبالغة في الترك.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما أبغضك.

وحذف ضمير المفعول من ﴿قَلَىٰ﴾ و﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ و﴿فَهَدَىٰ﴾ و﴿أَغْنَىٰ﴾ اختصارًا؛ لظهور المعنى، ولموافقة رؤوس الآي.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ أبطأ عنه الوحي، فقالت قريش: إن محمدًا ودعه ربه وقلاه، فنزلت تكذيبًا لهم.

وقيل: رُمي ﷺ بحجر في إِصبَعه فدَمِيت، فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم، فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه، فنزلت.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة: حالَه بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولى: حالة قبل نزولها[٢]، وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ روي أنه ﷺ قال لما نزلت: «إذَنْ لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار»[٣].

قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٩).

(٣) أخرجه الثعلبي بإسناده في تفسيره «الكشف والبيان» (٣٠/ ٤٨٢).

وقال ابن عباس: رضاه: أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم.

وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره.

والصحيح أنه وعدٌ يعمُّ كل ما أعطاه في الآخرة، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝﴾ عدَّد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره؛ ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه، ويقوى رجاؤه.

و«وَجَدَ» في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين، وهي بمعنى: «علم»؛ فالمعنى: ألم تكن يتيمًا فآواك؟، وذلك أن والده عليه السلام توفي وتركه في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل: ثمانية، فكفِله جدُّه عبد المطلب، ثم مات وتركه ابن اثني عشر عامًا، فكفله عمه أبو طالب.

وقيل: لجعفر الصادق: لم نشأ النبي ﷺ يتيمًا؟ فقال: لئلا يكون عليه حقٌّ لمخلوق.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: وجدك ضالًّا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوقُّف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهذا هو الأظهر، وهو الذي اختاره ابن عطية[١] وغيره، ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٤٠).

بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به؛ لأنه كان معصومًا من ذلك من قبل النبوة وبعدها.

الثاني: وجدك في قوم ضُلَّال، فكأنك واحد منهم، وإن لم تكن تعبد ما يعبدون، وهذا قريب من الأول.

الثالث: وجدك ضالًا عن الهجرة فهداك إليها، وهذا ضعيف؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة.

الرابع: وجدك خامل الذكر لا تُعرف، فهدى الناس إليك وهداهم بك، وهذا بعيد عن المعنى المقصود.

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق، وذلك أنه ﷺ ضلَّ في بعض شِعاب مكة؛ أي: تلِفَ وهو صغير، فردَّه الله إلى جده.

وقيل: بل ضلَّ من مرضعته حليمة، فرده الله إليها.

وقيل: بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب.

السادس: أنه من الضلال بمعنى المحبة(١) أي: وجدك محبًّا لله فهداك إليه، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم، ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]؛ أي: محبتك ليوسف، وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ العائل: الفقير، يقال: عال الرجل فهو عائل: إذا كان محتاجًا، وأعال فهو مُعيل: إذا كثر عياله.

---

(١) في أ، هـ: «أنه بمعنى الضلال من المحبة»!.

وهذا الفقر والغنى هو في المال.

وغناه[١] ﷺ: هو أن أعطاه الله الكفاف.

وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله.

وقيل: المعنى: وجدك فقيرًا إليه فأغناك به.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ أي: لا تغلبه على ماله وحقِّه لأجل ضعفه.

أو لا تقهره بالمنع من مصالحه.

ووجوه القهر كثيرة، والنهي يعمُّ جميعها.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ النَّهْرُ: هو الانتهار والزجر، فالنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

ويحتمل ﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ أن يريد به:

سائل الطعام والمال، وهذا هو الأظهر.

أو السائل عن العلم والدين.

وفي قوله ﴿تَقْهَرْ﴾ و﴿تَنْهَرْ﴾ لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ قيل: معناه: بُثَّ القرآن وبلِّغ الرسالة.

والصحيح أنه عموم جميع النعم، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر»[٢].

---

(١) في أ، هـ: «وغناؤه».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٤٢).

ولذلك كان بعض السلف يقول: «لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا»، وهذا إنما يجوز إذا ذكره على وجه الشكر أو ليقتدى به، فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز.

وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاثَ نعمٍ، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا:

[١-] فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾.

[٢-] وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾:

بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ على قول من قال إنه السائل عن العلم.

وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ على القول الآخر.

[٣-] وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾:

بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ على القول الأظهر.

وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ على القول الآخر.

* * *

﴿ سورة ألم نشرح ﴾

[﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ هذا توقيف معناه: إثبات شرح صدره ﷺ، وتعديد ما ذكر بعده من النعم.

وشرح صدره ﷺ: هو اتساعه لتحصيل العلم، وتنويره بالحكمة والمعرفة.

وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره، أو في وقت الإسراء، حين أخرج قلبه وغسَله.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: - قول الجمهور -: أن الوزر: الذنوب، ووضْعُها: هو غفرانها، فهو كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وهذا على قول من جوَّز صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوَّة.

الثاني: أن الوزر: هو أثقال النبوة وتكاليفها، ووضعها على هذا: هو إعانته عليها، وتمهيد عذره بعد ما بلَّغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر: هو تحيُّره قبل النبوة؛ إذ كان يرى أن قومه على

ضلال، ولم يأته من الله أمر واضح، فوضعه على هذا: هو بالنبوَّة والهدى للشريعة.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ عبارة عن ثِقَلِ الوزر المذكور وشدته عليه.

قال الحارث المحاسبي: إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثِّقَل، وهي صغائر مغفورة لهم؛ لهمِّهم بها وتحسُّرهم عليها، فهي ثقيلة عندهم؛ لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله.

وهذا كما جاء في الأثر: «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه»(١).

واشتقاق ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾:

من نقض البنيان وغيره.

أو من النقيض، وهو الصوت؛ فكأنه يُسمع لظهره نقيض كنقيض ما يُحمل عليه شيءٌ ثقيل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ أي: نوَّهنا باسمك وجعلناه شهيرًا في المشارق والمغارب.

وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث: إن الله قال له: «إذا ذكرتُ ذكرتَ معي»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٩٤).

فإن قيل: لم قال: ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ مع أن المعنى مستقل دون ﴿لَكَ﴾؟

فالجواب: أن قوله: ﴿لَكَ﴾ تدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد باليُسر بعد العسر، وإنما ذكره بلفظ ﴿مَعَ﴾ التي تقتضي المقارنة[1]، ليدل على قرب اليسر من العسر.

فإن قيل: ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟

فالجواب: أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عُسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال، فوعده الله باليسر، وقدَّم تعديد النعم تسلية وتأنيسًا؛ لتطيبَ نفسُه ويقوى رجاؤه، كأنه يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدِّل لك هذا العسر بيسر قريب، ولذلك كرر ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مبالغةً، وقال رسول الله ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين»[2]، وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود.

وتأويله: أن العسر المذكور في هذه السورة واحد؛ لأن الألف واللام للعهد كقولك: «جاءني رجل فأكرمت الرجل»، واليسر اثنان؛ لتنكيره.

وقيل: إن اليسر الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ هو من النصَب بمعنى التعب، **والمعنى:** إذا فرَغت من أمر فاجتهد في آخر.

---

(١) في أ، هـ: «المقاربة».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٩٥).

ثم اختُلف في تعيين الأمرين:

فقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل.

وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء.

وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ قدم الجار والجرور؛ ليدل على الحصر؛ أي: لا ترغب إلا إلى ربك وحده.



﴿ سورة التين ﴾

[﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾].

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ فيها قولان:

الأول: أنه التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، أقسم الله بهما؛ لفضيلتهما على سائر الثمار.

روي أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينًا فقال: «لو قلتُ: إن فاكهةً نزلت من الجنة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عَجَم، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النِّقرس»(١)، وقال ﷺ: «نعم السواك الزيتون، من الشجرة المباركة، هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»(٢).

القول الثاني: أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما:

فقيل: هما جبلان بالشام، أحدهما بدمشق ينبت فيه التين، والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون، فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون.

---

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الطب (٢/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٣٩).

وقيل: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس.

وقيل: التين: مسجد نوح، والزيتون: مسجد إبراهيم.

والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى أو مسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطورَ الذي كلم عليه موسى، والبلدَ الذي بعث منه محمدًا ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وطلع من ساعر وهو موضع عيسى، وظهر من جبال فاران، وهي مكة[١].

وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة؛ لشرفها بالأنبياء المذكورين.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ هو الجبل الذي كلَّم عليه موسى وهو بالشام، وأضافه الله إلى ﴿سِينِينَ﴾.

ومعنى ﴿سِينِينَ﴾: مبارك، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة.

وقيل: معناه: ذو الشجر، واحدها سينينة، قاله الأخفش.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء، وأن يلزم الياء وتُحرَّك النون بحركات الإعراب.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ هو مكة باتفاق.

و﴿ٱلْأَمِينِ﴾:

من الأمانة.

---

(١) انظر ٢/٣٩٦.

أو من الأمن؛ لقوله: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن حُسْن[1] التقويم: هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، و﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: الضعف والهرم والخرَف، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ [يس: ٦٨]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾ [الروم: ٥٤].

وقولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعد هذا: غير متصل بما قبله، والاستثناء على هذا القول منقطع، بمعنى: «لكن»؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول.

والآخر: أن حُسْن التقويم: الفطرة على الإيمان و﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ الكفر، أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل؛ لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يُرَدُّوا أسفل سافلين.

﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ قد ذكر[2].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، والدين: شريعته، **والمعنى**: أي شيء يكذِّبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوَّتك؟

والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر، والدين على هذا: الشريعة أو الجزاء الأخراوي، ومعنى ﴿يُكَذِّبُكَ﴾ على هذا: يجعلك كاذبًا؛ لأن من

---

(١) في أ، هـ: «أحسن».

(٢) انظر صفحة ٦.

أنكر فهو كاذب، والمعنى: أيُّ شيء يجعلك كاذبًا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم، ثم ردَّك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدَر على هذا؛ فلأيِّ شيء تكذب بالبعث والجزاء[١]؟

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون.

وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»[٢].



(١) في ب، د: «والحساب».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٢٥).

﴿ سورة العلق ﴾

نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسَبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب[(١)].

[﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا
بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ
وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾].

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: اقرأ القرآن مفتتِحًا باسم ربك، أو متبرِّكًا باسم ربك.

وموضع ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ نصبٌ على الحال.

وإذا كان تقديره: مفتتحًا، فيحتمل أن يريد:

ابتداءَ القراءة بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

---

(١) انظر: (١/٦٣).

أو يريد الابتداء باسم الله مطلقًا.

والوجه الثاني: أن معناه: اقرأ هذا اللفظ وهو ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ فيكون ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ مفعولًا، وهو المقروء.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ حذف المفعول؛ لقصد العموم، كأنه قال: الذي خلق كل شيء، ثم خصَّص خِلقة الإنسان؛ لما فيه[1] من العجائب والعِبَر.

ويحتمل أن أراد: الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣]، ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾.

والعلق: جمع علَقة، وهي القطعة[2] من الدم.

والمراد بـ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هنا: جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة، بخلاف قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ [الحج: ٥]؛ لأنه أراد كل واحد على حدته.

ولم يدخل آدم في الإنسان هنا؛ لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين.

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ كرر الأمر بالقراءة تأكيدًا، والواو للحال.

والمقصود: تأنيس النبي ﷺ، كأنه يقول: افعل ما أُمرت به؛ فإن ربك كريم.

---

(١) في ب، د: «فيها».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «النطفة».

وصيغة «أفعل» للمبالغة.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخصَّ من التعليمات الكتابة بالقلم؛ لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم».

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ يحتمل أن يريد بهذا:

تعليم الكتابة؛ لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره.

أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق.

وقيل: إن الإنسان هنا: محمد ﷺ.

والأظهر: أنه جنس الإنسان على العموم.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة رسول الله ﷺ.

و﴿كَلَّآ﴾ هنا يَحتمل أن تكون:

زجرًا لأبي جهل.

أو بمعنى حقًا.

أو استفتاحًا.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ في موضع المفعول من أجله؛ أي: يطغى من أجل غناه(١).

---

(١) في ب: «ماله».

والرؤية هنا: بمعنى العلم، بدليل إعمال الفعل في الضمير، ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى.

و﴿ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ هو المفعول الثاني.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى: هو محمد ﷺ، وأن الذي نهاه: أبو جهل لعنه الله.

وسبب الآية: أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد الحرام، فهمَّ بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي أنه قال: لئن رأيته يصلي، لأطأنَّ عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبًا، فقيل له: ما هذا[١]؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهَوْلٌ وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»[٢].

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢﴾ ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده: بمعنى «أخبرني»؛ فكأنه سؤال يَفتقر إلى جواب وفيها معنى التعجُّب[٣] والتوقيف.

والخطاب فيها يحتمل أن يكون:

للنبي ﷺ.

أو لكل مخاطب من غير تعيين.

---

(١) في د: «ما منعك».
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٧).
(٣) في أ، هـ: «التعجيب».

وهي تتعدى إلى مفعولين.

وجاءت بعدها ﴿إِن﴾ الشرطية في موضعين، وهما: قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

فيُحتاج إلى الكلام:

في مفعولي ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في المواضع الثلاثة.

وفي جواب الشرطين.

وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال، وهي ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾، و﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾، و﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، على من تعود هذه الضمائر؟

فقال الزمخشري: إن قوله: ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ هو المفعول الأول لقوله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الأولى، وإن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني، وكررت ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بعد ذلك للتأكيد، فهي زائدة لا تَحتاج إلى مفعول.

وإن قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ هو جواب قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، وإن جواب قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ محذوف يدل عليه جواب قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، فهو في المعنى جواب للشرطين معًا.

وإن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ للذي نهى عن الصلاة، وهو أبو جهل، وكذلك الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

وتقدير الكلام على هذا: أخبرني عن الذي ينهى عبدًا إذا صلى، إن كان هذا الناهي على الهدى أو إن كذب وتولى؛ ألم يعلم بأن الله يرى جميع

أحواله مِن هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك؟[١]

فمقصود الآية: تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه.

وخالفه ابن عطية في الضمائر، فقال: إن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ للعبد الذي صلى، وإن الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ للذي نهى عن الصلاة.

وخالفه أيضًا في جعله ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، وقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وإن جوابها في المواضع الثلاثة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾؛ فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء به في آخر الكلام اختصارًا[٢].

وخالفهما الغزنوي أيضًا في الجواب فقال: إن جواب قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ محذوف، فقال: إن تقديره: «إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب؟»، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى، وفاقًا لابن عطية.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يأخذ[٣] بناصيته فيُلقى في النار.

والناصية مقدَّم الرأس، فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

والسَّفْع: هو الجذب والقبض على الشيء.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٥١٥-٥١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٥٤).

(٣) في ب: «يأخذه».

وقيل: هو الإحراق، من قولك: سفعته النار.

وأكد ﴿لَنَسْفَعًا﴾ باللام والنون الخفيفة، وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف عليها.

ويظهر لي أن هذا الوعيد نفَذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجُرَّ إلى القَليب.

﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ﴿نَاصِيَةٍ﴾ من ﴿النَّاصِيَةِ﴾، ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزًا، والكاذب الخاطئ في الحقيقة: صاحبها.

والخاطئ: الذي يفعل الذنب متعمدًا، والمخطئ: الذي يفعله بغير قصد.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ النادي والنَّدِيُّ: المجلس الذي يجتمع فيه الناس.

وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد!، فوالله ما بالوادي أعظم ندِيًّا مني، فنزلت الآية تهديدًا وتعجيزًا له.

والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدَروا على ذلك، ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم، وهم الملائكة الموكلون بالعذاب.

والزبانية في اللغة: الشُّرَط، واحدهم زِبْنِيَّة، وقيل: زِبْنِيٌّ.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عِيانًا»[1].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/ ٣٤٠).

﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ أي: تقرَّب إلى الله بالسجود، كما قال رسول الله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء**»(١).

وهذا موضع سجدة عند الشافعي، وليست عند مالك من عزائم السجود.



(١) أخرجه مسلم (٤٨٢).

﴿ سورة القدر ﴾

[﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾].

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولًا؛ وهي:

[١-] أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان.

[٢-] وليلة ثلاث وعشرين.

[٣-] وليلة خمس وعشرين.

[٤-] وليلة سبع وعشرين.

[٥-] وليلة تسع وعشرين.

فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر(١) من رمضان، على قول من ابتدأ عدَّتها من أول العشر.

وقد ابتدأ بعضهم عدَّتها من آخر الشهر(٢)، فجعل ليالي الأوتار:

[٦-] ليلة ثلاثين؛ لأنها الأولى.

(١) في أ: «الآخر».

(٢) في د: «العشر».

[٧-] وليلة ثمان وعشرين؛ لأنها الثانية.

[٨-] وليلة ست وعشرين؛ لأنها الخامسة.

[٩-] وليلة أربع وعشرين؛ لأنها السابعة.

[١٠-] وليلة اثنين وعشرين؛ لأنها التاسعة.

فهذه خمسة أقوال أخر، فتلك عشرة أقوال.

والقول الحادي عشر: أنها تدور في العشر الأواخر، ولا تثبت في ليلة واحدة منه.

الثاني عشر: أنها مخفيَّة في رمضان كله، وهذا ضعيف؛ لقوله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر»[(١)].

الثالث عشر: أنها مخفية في العام كله.

الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان.

وهذان القولان باطلان؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان.

القول الخامس عشر: أنها رفعت بعد النبي ﷺ، وهذا ضعيف.

القول السادس عشر: أنها ليلة سبع عشرة من رمضان؛ لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢١)، ومسلم (١١٦٥).

وأرجح الأقوال: أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم(١) وغيره.

والأشهر: أنها ليلة سبع وعشرين.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ الضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ للقرآن، دل على ذلك سياق الكلام، وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر؛ دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته.

والثاني: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه.

وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان:

أحدهما: أنه ابتدأ إنزاله فيها.

والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء، ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة.

وقيل: المعنى: أنزلناه(٢) في شأن ليلة القدرة وذِكْرِها، وهذا ضعيف.

وسميت ليلةَ القدر:

من تقدير الأمور فيها.

---

(١) أخرجها مسلم (١١٦٧)، (١١٦٨)، (٧٦٢).

(٢) في ب، ج: «إنزاله».

أو من القَدْر بمعنى الشرف.

ويترجح الأول بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ هذا تعظيم لها.

قال بعضهم: كل ما قال فيه «ما أدراك» فقد علمه النبي ﷺ، وما قال فيه: «ما يدريك» فإنه لم يعلمه(١).

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر.

قال بعضهم: يعني: في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر(٢).

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٣).

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ ذكر رجلًا ممن تقدم عبد اللهَ ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تَنقص عن ذلك، فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيرًا من العبادة في تلك المدة الطويلة.

وروي أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال: إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية يَنْزُون على منبره نَزْوَ القردة، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر، فاهتم لذلك، فأعطاه الله ليلة

---

(١) قاله ابن عيينة، كما في صحيح البخاري (٣/ ٤٥).

(٢) في أ، ج، د: «القدر».

(٣) اخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

القدر، وهي خير من مدة ملك بني أمية ألف شهر [١]، ثم كَشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجَعْدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ الروح هنا: جبريل عليه السلام.

وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة.

وتَنزُّلهم: هو إلى الأرض.

وقيل: إلى السماء الدنيا.

وهو تعظيم لليلة القدر، ورحمة للمؤمنين القائمين فيها.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلّق بما قبله، والمعنى: أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام، فإنه روي أن الله يُعْلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك؛ ليمتثلوا ذلك في العام كله.

وقيل على هذا المعنى: إن ﴿مِّن﴾ بمعنى الباء؛ أي: ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف.

وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى: أنها سلام من كل أمر؛ أي: سلامة من الآفات.

قال مجاهد: لا يصيب أحدًا فيها داء.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٢٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١١)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٤٨).

والأظهر: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾.

واختلف في معنى ﴿سَلَٰمٌ﴾:

فقيل: إنه من السلامة.

وقيل: إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها.

وكذلك اختلف في إعرابه:

فقيل: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلًا مع ما قبله أو منقطعًا عنه.

وقيل: ﴿سَلَٰمٌ﴾ خبر مبتدأ مضمر، تقديره: أمرها سلام، أو: القول فيها سلام، و﴿هِيَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: هي دائمة إلى طلوع الفجر.

ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

وقال ابن عباس: إن قوله: ﴿هِيَ﴾ إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة.

* * *

﴿ سورة لم يكن ﴾

[﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾
رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ
أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾].

ذكر الله الكفار، ثم قسمهم إلى صنفين: أهل الكتاب، والمشركين، وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ.

ومعنى ﴿مُنفَكِّينَ﴾: منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنى: لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة؛ لتقوم عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة محمد ﷺ حتى بعثه(١) الله.

---

(١) في ب: «يبعثه».

الثالث: -اختاره ابن عطية- وهو: لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته، حتى يبعث الله إليهم رسولًا يقيم عليهم الحجة(١).

الرابع: - وهو الأظهر عندي -: أن المعنى: لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم محمدًا ﷺ، فقامت عليهم الحجة؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا، فلما بعثه لم يبق لهم عذر ولا حجة.

فـ ﴿مُنفَكِّينَ﴾ على هذا كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا.

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

وإعرابه:

بدل من ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر.

﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يعني: القرآن في صحفه.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ أي: قائمة(٢) بالحق مستقيمة المعاني، ووزن ﴿قَيِّمَةٌ﴾: فَيْعِلَة، وفيه مبالغة.

قال ابن عطية: هذا على حذف مضاف تقديره: فيها أحكام كتب(٣).

ولا يحتاج إلى هذا الحذف؛ لأن الكتب بمعنى المكتوبات.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٢-٦٦٣).

(٢) في أ، هـ: «قيمة».

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٣).

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: ما اختلفوا في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق.

ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [فصلت: ٤٥].

وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوَّة محمد ﷺ، بما يجدون في كتبهم من ذكره.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ الآيةَ؛ معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله، ولكنهم حرَّفوا وبدَّلوا.

ويحتمل أن يكون المعنى: ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله، فلأيِّ شيء ينكرونه ويكفرون به؟

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد الإخلاص في التوحيد: هو الشرك الجليُّ، وضد الإخلاص في الأعمال: هو الشرك الخفيُّ، وهو الرياء.

قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»[1]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، فمن عمل عملًا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠).

أشرك فيه غيري تركته وشريكه»[١].

واعلم أن الأعمال على ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات.

فأما المأمورات: فالإخلاص فيها: عبارة عن خلوص النية لوجه الله، بحيث لا يشوبها نية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول.

وإن كانت النية لغير وجه الله؛ من طلب منفعة دنيوية، أو مدح أو غير ذلك: فالعمل رياء محض مردود.

وإن كانت النية مشتركة: ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال.

وأما المنهيات: فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها، ولم يكن له أجر في تركها.

وإن تركها بنية وجه الله: حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر.

وأما المباحات: كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك: فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر.

وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر؛ فإن كل مباح يمكن أن يصير قُربَةً إذا قصد به وجه الله؛ مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفُّف عن الحرام.

﴿حُنَفَآءَ﴾ جمع حنيف، وقد ذكر[٢].

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة، أو الجماعة القيمة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، ولفظة: «أنا أغنى الشركاء..»، وليس: «الأغنياء».

(٢) انظر المقدمة في اللغات المادة (١٣١).

وقد فسرنا ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

ومعناه: أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام؛ فلأيِّ شيء لا يدخلون فيه؟

﴿الْبَرِيئَةِ﴾ الخَلْق؛ لأن الله برَأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم.

وقرئ:

بالهمز، وهو الأصل.

وبالياء، وهو تخفيف من المهموز، وهو أكثر استعمالًا عند العرب.

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟

فرضاهم عن الله في الدنيا: هو الرضا بقضائه والرضا بدينه، قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»[١].

ورضاهم عنه في الآخرة: هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها.

ورضا الله عنهم: كما ورد في الحديث أن الله يقول: «يا أهل الجنة هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا! وأي شيء نريد[٢] وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: عندي أفضل من ذلك، وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»[٣].

---

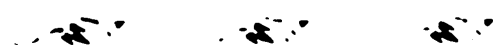
(١) أخرجه مسلم (٣٤).

(٢) في أ، هـ: «تزيد».

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: لمن خافه.

وهذا دليل على فضل الخوف، قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة»(١).



(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٠١) موقوفًا على ابن مسعود: «رأس الحكمة مخافة الله ﷻ»، وقال: «وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعًا إلى النبي ﷺ».

﴿ سورة إذا زلزلت ﴾

[﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: حُرِّكت واهتزت.

و﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر، وإنما أضيف إليها تهويلًا؛ كأنه يقول: الزلزال الذي يليق بها على عظَمة جِرْمها(١).

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ يعني: الموتى الذين في جوفها، وذلك عند النفخة الثانية في الصور.

وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ أي: يتعجَّب من شأنها، فيَحتمل أن يريد: جنس الإنسان.

أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لم يظن.

(١) قال في المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٦): «وقوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أبلغ من قوله: «زلزالًا» دون إضافة إليها، وذلك أن المصدر غير مضاف يقع على كل قدر من الزلزال وإن قل».

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ هذا عبارة عما يحدث فيها من الأهوال، فهو مجاز وحديثٌ بلسان الحال.

وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها، فهو حقيقة.

و﴿تُحَدِّثُ﴾ يتعدى إلى مفعولين، حذف الأول منهما، والتقدير: تحدث الخلْقَ أخبارها.

وانتزع بعض المحدِّثين من قوله: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أن قول المحدِّث «حدثنا» و«أخبرنا» سواءٌ.

وهذه الجملة هي جواب ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾.

و﴿تُحَدِّثُ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾.

ويجوز أن يكون العامل في ﴿إِذَا﴾ مضمرًا، و﴿تُحَدِّثُ﴾ عامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ الباء سببية متعلقة بـ ﴿تُحَدِّثُ﴾؛ أي: تحدث بسبب أن الله أوحى لها.

ويحتمل أن يكون ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ بدلًا من ﴿أَخْبَارَهَا﴾، وهذا كما تقول: «حدَّثتُ كذا» و«حدثت بكذا».

والمعنى على هذا: تحدِّث بحديث الوحي لها.

وهذا الوحي يحتمل أن يكون:

إلهامًا.

أو كلامًا بواسطة الملائكة.

و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها.

وقيل: معناه: أوحى إلى الملائكة من أجلها، وهذا بعيد.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى ﴿أَشْتَاتًا﴾: مختلفين في أحوالهم، وواحد الأشتات شَتٌّ.

وصدر(١) الناس: هو انصرافهم من موضع وِرْدِهم(٢):

فقيل: الوِرْد: هو الدفن في القبور، والصَّدْر: هو القيام للبعث.

وقيل: الوِرْد: القيام للحشر(٣)، والصَّدر: الانصراف إلى الجنة أو إلى النار، وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس؛ فيظهر كونهم أشتاتًا.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ المثقال: هو الوزن، والذرة: هي النملة الصغيرة.

والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء.

وذكَر الله مثقال الذرة؛ تنبيهًا على ما هو أكثر منه من طريق الأولى، كأنه قال: من يعمل قليلًا أو كثيرًا.

وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا يُجازى في الآخرة على حسناته؛ إذ لم تقبل منه.

---

(١) في ب: «وصدور».

(٢) في ب: «ورودهم».

(٣) في ب، ج: «للمحشر».

واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمنٌ في النار؛ لأنه لو خلد لم ير ثوابًا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات.

وروي عن عائشة: أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك؛ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة؟

وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ هذا على عمومه في حق الكفَّار.

وأما المؤمنون: فلا يُجزَون بذنوبهم إلا بستة شروط؛ وهي:

[١-] أن تكون ذنوبهم كبائرَ.

[٢-] وأن يموتوا قبل التوبة منها.

[٣-] وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها.

[٤-] وأن لا يشفع فيهم.

[٥-] وأن لا يكونوا ممن استحق المغفرة بعملٍ، كأهل بدر.

[٦-] وأن لا يعفوَ الله عنهم، فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له.

﴿ سورة العاديات ﴾

[﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤
فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ
لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ
۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾].

اختُلف في العاديات والموريات والمغيرات؛ هل يراد بها الخيل أو الإبل؟

وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني:

خيل المجاهدين؟

أو الخيل على الإطلاق؟

وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني:

إبل غزوة بدر؟

أو إبل المجاهدين مطلقًا؟

أو إبل الحُجاج؟

أو الإبل على الإطلاق؟

ومعنى ﴿الْعَٰدِيَٰتِ﴾: التي تعدو في مشيها(١).

والضبح: هو تصويت جهير عند العدو الشديد، ليس بصُهال(٢).

وهو مصدر منصوب على تقدير: يضبحن ضبحًا.

أو هو مصدر في موضع الحال، تقديره: العاديات في حال ضبحها.

و﴿الْمُورِيَٰتِ﴾ من قولك: أوريت النارَ: إذا أوقدتَها(٣).

والقدح: صك الحجارة، فيخرج منها شعلة نارٍ، وذلك عند ضرب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل.

وإعراب ﴿قَدْحًا﴾ كإعراب ﴿ضَبْحًا﴾.

و﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ من قولك: أغارت الخيل: إذا خرجت للإغارة على أعدائها.

و﴿صُبْحًا﴾ ظرف زمان؛ لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿الْعَٰدِيَٰتِ﴾ وما بعده؛ لأنه في تقدير: التي تعدو.

والنقع: الغبار.

---

(١) في ب: «مشيتها».

(٢) في هـ: «بصهيل».

(٣) في ب: «أزندتها».

والضمير المجرور:

للوقت المذكور، وهو الصبح، فالباء ظرفية.

أو للمكان الذي يقتضيه المعنى، فالباء أيضًا ظرفية.

أو للعَدْو، وهو المصدر الذي يقتضيه ﴿الْعَـٰدِيَـٰتِ﴾، فالباء سببية.

ومعنى ﴿أَثَرْنَ﴾ حرَّكن.

والضمير الفاعل: للإبل أو للخيل؛ أي: حرَّكن الغبارَ عند مشيهنَّ.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝﴾ معنى ﴿وَسَطْنَ﴾: توسَّطن.

و﴿جَمْعًا﴾ اختلف هل المراد به:

جمعٌ من الناس؟

أو المزدلفة؟؛ لأن اسمها جمعٌ.

والضمير المجرور:

للوقت.

أو للمكان.

أو للعَدْو.

أو للنقع.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ هذا جواب القسم.

والكنود: الكفور للنعمة، فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، و﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: جنس.

وقيل: الكنود: العاصي.

وقال بعض الصوفية: الكنود: الذي يعبد الله على عِوَضٍ[(١)].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ الضمير للإنسان؛ أي: هو شاهد على نفسه بكُنوده.

وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد.

والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق، فيجري الكلام على نسق واحد.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الخير هنا: المال، كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠].

والمعنى: إن الإنسان شديد الحب للمال، فهو ذمٌّ لحبه والحرص عليه.

وقيل: الشديد: البخيل، والمعنى على هذا: إنه لَبخيلٌ؛ من أجل حب المال.

والأول أظهر.

﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي بُحث عنه، وذلك عبارة عن البعث.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ أي: جُمِع في الصحف وأُظهر محصَّلًا.

أو مُيِّز خيره من شره.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وقال بعض الصوفية: الكنود: الذي يعبد الله على عوض»، معناه عندهم: الذي يعبد الله رغبة في الثواب وخوفا من العقاب، وهذا مذموم عندهم، وقولهم هذا هو من بدعهم، لكن المصنف رحمه الله حكاه ولم يعلق عليه.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾ الضمير في ﴿رَبَّهُم﴾ و﴿بِهِمْ﴾ يعود على الإنسان؛ لأنه يراد به الجنس.

وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن هذه الجملة معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، فكان الأصل أن تفتح «إنَّ»، ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها.

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة، ويكون معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ محذوفًا، ويكون الفاعل ضميرًا يعود على الإنسان، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور؟

وهذا هو الذي قاله ابن عطية[١].

ويحتمل عندي: أن يكون فاعل ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ ضميرًا يعود على الله، والمفعول محذوف، والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور؟، ثم استأنف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد، أو[٢] البيان للمعنى المتقدم.

والعامل في ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ على هذا الوجه هو: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾.

والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية: هو المفعول المحذوف.

و﴿إِذَا﴾ هنا ظرفية بمعنى: «حين» و«وقت»، وليست بشرطية.

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٧٦).

(٢) في ب، د: «و».

والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : ﴿خَبِيرٌ﴾ .

وإنما خص ذلك بيوم القيامة؛ لأنه يوم الجزاء، فقصَد التهديد[١]، مع أن الله خبير على الإطلاق.

* * *

(١) في أ، هـ: «التهويل».

﴿ سورة القارعة ﴾

[﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾].

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ ﴾ من أسماء القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بهولها.

وقيل: هي النفخة في الصور؛ لأنها تقرع الأسماع.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾ مبتدأ وخبر[1]، في موضع خبر ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ ﴾.

والمراد به: تعظيم شأنها، وكذلك ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ العامل في الظرف: محذوف، دل عليه ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ ﴾، تقديره: تَقرع في يوم.

والفراش: هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح.

والمبثوث: هو المنتشر المتفرق، شبَّه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذِلَّتهم.

---

(١) في ب، د: «وخبره».

ويحتمل أنه شبههم به؛ لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح.

قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر؛ فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة[1] واحدة.

وقيل: إن الفراش هنا: الجراد الصغار، وهو ضعيف.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ العهن: هو الصوف.

وقيل: الصوف الأحمر.

وقيل: الصوف الملون ألوانًا.

شبَّه الله الجبال يوم القيامة به؛ لأنها تُنسف فتصير لينة.

وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضًا من طريق اختلاف ألوان الجبال؛ لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء.

﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ هو جمع ميزان، أو جمع موزون.

وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكِفَّتان عند الجمهور.

وقال قوم: هو عبارة عن العدل.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ معناه: ذات رضًا عند سيبويه.

---

(١) في د: «ناحية».

وثِقَلُ الموازين: بكثرة الحسنات، وخِفَّتها: بقلَّتها.

ولا يَخِفُّ ميزان مؤمن خفَّةً مُوبِقة؛ لأن الإيمان يوزن فيه.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الهاوية جهنم، سميت بذلك؛ لأن الناس يهوون فيها؛ أي: يسقطون.

و﴿أُمُّهُۥ﴾ معناه: مأواه، كقولك: «المدينة أم فلان»؛ أي: مسكنه، على التشبيه بالأمّ الوالدة؛ لأنها مأوى الولد ومرجعه.

الثاني: أن الأم: هي الوالدة، و﴿هَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، وذلك عبارة عن هلاكه، كقولك: «أمه ثكلى»: إذا هلَك.

الثالث: أن المعنى: أمُّ رأسِه هاوية في جهنم؛ أي: ساقطة فيها؛ لأنه يُطرح فيها منكوسًا.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «لا أُمَّ لك»، فقال: يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول: لا أمَّ لك؟، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أردت: لا نار لك، قال الله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾»[1]، وهذا يؤيد القول الأول.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠﴾ الهاء للسكت، والضمير:

لجهنم على القول بأنها هي الهاوية.

---

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٨/ ٦٧٩) قال: «وروى المبرد أن النبي ﷺ قال: . . .» إلخ، ولم أقف على إسناده.

وهو للفِعلة والخَصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث.

والمقصود: تعظيمها، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

* * *

﴿ سورة التكاثر(١) ﴾

[﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾].

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ.

ومعنى ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شغلكم.

و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، ويقول هؤلاء: نحن أكثر.

ولما قرأها النبي ﷺ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي!، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لَبِست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»(٢).

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: حتى مُتُّم، فأراد بزيارة المقابر: الدفن فيها.

الثاني: أن معناه: حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر، فعبَّر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها؛ لأن بعض العرب تفاخَر بآبائه الموتى.

---

(١) في ج، د: «سورة ألهاكم».
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

فالمعنى: ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى.

الثالث: أن معناه: زيارة المقابر حقيقةً؛ لتعظيم أهلها والتفاخر بهم، فيقول: هذا قبر فلان؛ لِيُشْهَر ذِكرُه[1] ويعظم قدره.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ زجر وتهديد، ثم كرره؛ للتأكيد، وعطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾ إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول.

وقيل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: في القبور، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: يوم القيامة.

وقيل: الأول: تهديد للكفار، والثاني: تهديد للمؤمنين.

وحذف مفعول[2] ﴿تَعْلَمُونَ﴾، وتقديره:

تعلمون ما يَحُلُّ بكم.

أو تعلمون أن القرآن حق.

أو تعلمون أنكم كنتم على خطإ في اشتغالكم بالدنيا.

وإنما حذفه؛ لقصد التهويل، فيقدِّر السامعُ أعظمَ ما يخطر بباله.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة، فينبغي الوقف على ﴿ٱلْيَقِينِ﴾.

ومفعول ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف أيضًا.

---

(١) في ب: «ليشتهر أمره».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «معمول».

و﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ مصدر، ومعنى علم اليقين: العلم الذي لا يُشك فيه.

قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: دارُ الآخرةِ.

وقال الزمخشري: معناه: علم الأمور التي تتيقَّنونها بالمشاهدة[1].

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ هذا جواب قسم محذوف، وهو تفسير لمفعول ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم، ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم.

والخطاب: لجميع الناس، فهو كقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

وقيل: للكفار خاصة، فالرؤية على هذا: يراد بها الدخول فيها.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة، وعطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ للتهويل والتفخيم.

والعين هنا: من قولك: عين الشيء: نفسُه وذاته؛ أي: لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا:

فقيل: النعيم: الأمن والصحة.

وقيل: الطعام والشراب.

وهذه أمثلة، والصواب: العموم في كل ما يُتلذذ به، قال رسول الله ﷺ: «بيت يُكِنُّك، وخِرقةٌ تواريك، وكِسْرة تشدُّ قلبك، وما سوى ذلك فهو

---

(١) الكشاف (١٦/ ٥٦١).

نعيم»[١]، وقال ﷺ: «كل نعيم فمسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله»[٢]، وأكل يومًا ﷺ مع بعض أصحابه رطبًا وشربوا عليه ماء، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»[٣].

* * *

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٨١).
(٢) لم أقف على إسناده.
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

﴿ سورة العصر ﴾

[﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾].

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه صلاة العصر، أقسم الله بها؛ لفضلها، قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر أهلَه وماله»(١).

الثاني: أنه العشيُّ، أقسم به كما أقسم بالضحى، ويؤيد هذا: قول أبيّ بن كعب: سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار»(٢).

الثالث: أنه الزمان.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: جنس، ولذلك استثنى منه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فهو استثناء متصل.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: وصَّى بعضهم بعضًا بالحق وبالصبر.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦).

(٢) ذكر ابن عطية في تفسيره (٨/ ٦٨٥) ولم أقف على إسناده.

فالحق هو الإسلام وما يتضمنه، وفيه إشارة إلى كذب الكفار.

وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة.

﴿ سورة الهمزة ﴾

[﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ
۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى
تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾].

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ هو على الجملة: الذي يَعيب الناس ويأكل أعراضهم.

واشتقاقه: من الهمز واللمز، وصيغة «فُعَلَة» للمبالغة.

واختلف في الفرق بين الكلمتين:

فقيل: الهمز في الحضور، واللمز في الغَيْبة.

وقيل بالعكس.

وقيل: الهمز باليد والعين، واللمز باللسان.

وقيل: هما سواء.

ونزلت السورة في الأخنس بن شَرِيق؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس.

وقيل: في أمية بن خلف.

وقيل: في الوليد بن المغيرة.

ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: أحصاه وحافَظ على عدده أن لا ينقص، فمنعه من الخيرات.

وقيل: معناه: استعدَّه وذَخره[1] عُدَّةً لحوادث الدهر.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ أي: يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يُخلِّده في الدنيا.

وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد.

﴿كَلَّا﴾ ردٌّ عليه فيما ظنه.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف.

و﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾ هي جهنم، وإنما سميت حُطَمةً؛ لأنها تَحْطِم ما يلقى فيها وتلتهبه، وقد عظَّمها بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾، ثم فسَّرها بأنها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ أي: تبلغ القلوبَ بإحراقها.

قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى: أنها تطَّلع على ما في القلوب من العقائد والنيَّات بإطْلاع الله إياها[2].

﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ مغلقة.

---

(١) في ب: «وادخره».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٨٨).

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ العَمَد: جمع عمود، وهو عند سيبويه اسم جمع.

وقرئ ﴿عُمُدٍ﴾ بضمتين.

والعمود: هو المستطيل من حديد أو خشب، والممددة: الطويلة.

وفي المعنى قولان:

أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم، ثم مُدِّدت على أبوابها عَمَدٌ؛ تشديدًا في الإغلاق والثِّقَاف، كما تُثَقَّف أبواب البيوت بالعمد، وهو على هذا متعلق بـ ﴿مُّوصَدَةٌ﴾.

والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العَمَد، فالمجرور على هذا: في موضع خبر مبتدإ مضمر تقديره: هم موثوقون في عمد.

❊ ❊ ❊

﴿ سورة الفيل ﴾

نزلت هذه السورة منبِّهةً على العبرة في قصة الفيل التي وقعت عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائبُ من(١) قدرة الله وشدة عقابه.

وقد ذُكِرت القصة في كتاب السِّيَر وغيره، واختصارها: أن أبرهة ملك الحبشة بنَى بيتًا باليمن، وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب عَربيٌّ وأحدث في البيت، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه، وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل قريبًا منها فرَّ أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأَخذ لعبد المطلب مئتي بعير فكلَّمه فيها، فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة، وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك؟ فقال له: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه، فبرَكَ الفيل(٢) بذي الغَمِيس، ولم يتوجه إلى مكة، فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هَرْول، وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضَعوه(٣) بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيورًا سودًا، وقيل: خضرًا، عند كل طائر ثلاثة

(١) في ب: «من عجائب».

(٢) في د: «فلما توجه إليها برك الفيل».

(٣) أي: وخزوه بالمِبْضَع، وهو آلة يشق بها الجلد. تاج العروس.

أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي: أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجُدَري والأسقام، وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أَنمَلةً أنملة.

[﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه: ألم تعلم، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾، لا بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

والجملة معمول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾ أي: إبطال وتخسير.

﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه: جماعات شيئًا بعد شيء.

قال الزمخشري: واحدها إِبَّالَةٌ(١).

وقال جمهور الناس: هو جمعٌ لا واحد له من لفظه.

﴿بِحِجَارَةٍ﴾ روي: أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحِمَّصة.

قال ابن عباس: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قَفيز من هذه الحجارة، وإنها كانت مخططة بحُمْرة.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٥٨٢).

وروي: أنه كان على كل حجر اسمُ مَن يقع عليه مكتوبًا.

﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر[1].

﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ العصف: ورق الزرع وتِبْنه، والمراد: أنهم صاروا رميمًا.

وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه:

الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته، فجمع التلف والخِسَّة ولكن الله كنَّى عن هذا على حسَب أدب القرآن.

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود.

الثالث: أنه أراد كعصفٍ مأكولٍ زرعُه، وبقي هو لا شيء.

* * *

---

(١) انظر: (٢/٦٠٤).

﴿ سورة قريش ﴾

[﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾].

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ ﴾ قريش: هم حيٌّ من عرب الحجاز الذين من ذرية معدِّ بن عدنان، إلا أنه لا يقال قريشٌ إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت؛ نحو بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم.

وإنما سميت القبيلة قريشًا؛ لتقرُّشهم، والتقرُّش: التكسب، وكانوا تجارًا.

وعن معاوية أنه سأل ابن عباس: بم سمِّيت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلى.

وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة، رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام.

وقيل: كانت الرحلتان جميعًا إلى الشام.

وقيل: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلى مكة؛ لسكناهم بها.

والإيلاف: مصدر من قولك: آلفتُ المكان: إذا أَلِفتَه.

وقيل: هو منقول منه بالهمزة، يقال أَلِف الرجل الشيءَ، وآلَفه إياه غيرُه.

فالمعنى:

على القول الأول: أن قريشًا أَلِفوا رحلة الشتاء والصيف.

وعلى الثاني: أن الله آلَفهم الرحلتين.

واختلف في تعلق قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾، والمعنى: فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين؛ فإن ذلك نعمة من الله عليهم.

الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: اعجَبوا لإيلاف قريش.

الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى: أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، فهو يتعلق بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال.

ويؤيد هذا: أن السورتين في مصحف أبيّ بن كعب سورةٌ واحدة لا فصل بينهما، وقد قرأهما عمرُ في ركعة واحدة من المغرب.

وذكر الله الإيلاف أولًا مطلقًا، ثم أبدل منه الإيلاف المقيَّد بالرحلتين؛ تعظيمًا للأمر.

ونصْبُ ﴿رِحْلَةَ﴾؛ لأنه مفعول بـ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾.

وقال: ﴿رِحْلَةَ﴾ وأراد: «رحلتين»، فهو كقول الشاعر:

كلوا في بعضِ بطْنِكم تعِفُّوا[1]

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ③﴾ هذا إقامة حجة عليهم، واستدعاء لهم

---

(١) هذا صدر بيت، وعجزه: «فإنَّ زمانَكم زَمَنٌ خَمِيصُ»، وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» (١/ ٢١٠) ولا يعرف قائله.

بملاطفة، وتذكير بالنعم.

والبيت: هو المسجد الحرام.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ يحتمل أن يريد:

إطعامَهم بسبب الرحلتين، فقد روي أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف.

ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق، فقد كان أهل مكة ساكنين بوادٍ غير ذي زرع، ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد، بدعوة أبيهم إبراهيم ﷺ، وهو قوله: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ يحتمل أن يريد:

آمنهم من خوف أصحاب الفيل.

ويحتمل أن يريد: آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقد فسرناه في موضعه(١).

أو يعني: آمَنهم في أسفارهم؛ لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين، لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم.

وقيل: آمنهم من الجُذَام، فلا ترى بمكة مجذومًا.

قال الزمخشري: التنكير في ﴿جُوعٖ﴾ و﴿خَوۡفِۭ﴾؛ لشدتهما(٢).

---

(١) انظر: (٣٦٢/١).

(٢) الكشاف (٥٨٩/١٦).

﴿ سورة أرأيت ﴾

[﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ قيل: إن هذا نزل في أبي جهل أو(١) أبي سفيان بن حرب.

وقيل: هو مطلق.

والدين هنا: الملة، أو الجزاء.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ أي: يدفعه بعنف، وهذا الدفع يَحتمل أن يكون:

عن إطعامه والإحسان إليه.

أو عن ماله وحقوقه، وهذا أشدُّ.

والذي لا يحضُّ على طعام المسكين لا يُطعمه من باب أولى.

وهذه الجملة هي جواب ﴿أَرَءَيْتَ﴾؛ لأن معناها: «أخبرني»، فكأنه سؤال وجواب.

---

(١) في أ، ب، د: «و».

والمعنى: انظر[١] الذي كذب بالدين؛ تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة.

وإنما ذلك؛ لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات.

فمقصود الكلام: ذمُّ الكفار وأحوالِهم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ قيل: إن هذا نزل في عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول المنافق، والسورة على هذا نصفها مكي ونصفها مدني، قاله أبو زيد السهيلي[٢].

وذلك أن ذِكْر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها، إنما هي من صفات الذين كانوا بالمدينة، لاسيما على قول من قال: إنها في عبد الله بن أبيٍّ.

وقيل: إنها مكية كلها، وهو الأشهر، ونزل آخرها - على هذا - في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان.

وقيل: مدنية.

والسهو عن الصلاة: هو تركها، أو تأخيرها تهاونًا بها.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «الذين يؤخرونها عن وقتها»[٣].

---

(١) في ب زيادة: «إلى».

(٢) التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ٣٩١)، والسهيلي يُكْنى بأبي القاسم وأبي زيد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٦٣).

وقال عطاء بن يسار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: «في صلاتهم».

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ هو من الرياء؛ أي: صلاتهم رياء للناس، لا لله.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ فيه وصفٌ لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس.

وفي ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ أربعة أقوال:

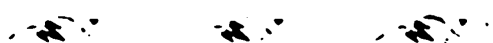
الأول: أنه الزكاة.

الثاني: أنه المال بلغة قريش.

الثالث: أنه الماء.

الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم، كالآنية، والفأس، والدلو، والمِقَصّ.

وسئل رسول الله ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: «الماء، والنار، والملح»[١] وزاد في بعض الطرق: «الإبرة، والخَمِير»[٢].



(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٣).

(٢) لم أقف على إسناد لهذه الرواية.

﴿ سورة الكوثر ﴾

[﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾].

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر: بناء مبالغة من الكثرة.

وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس، وتمّمه سعيد بن جبير بأن قال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله، فالمعنى: أنه على العموم.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه.

ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء[١] كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض، لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض، آنيته عدد نجوم السماء»[٢].

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ فيه خمسة أقوال:

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق، وبنحر الهدي والضحايا.

الثاني: أنه ﷺ كان يضحي قبل صلاة العيد، فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود على هذا: تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.

الثالث: أن الكفار كانوا يصلون مكاءً وتصدية، وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له؛ أي: لوجهه لا لغيره، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.

الرابع: أن معنى ﴿وَٱنْحَرْ﴾: ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة، فهو على هذا من النَّحْر، وهو الصدر.

الخامس: أن معناه: ارفع يدك عند نحرك في افتتاح الصلاة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ الشانئ: هو المبغِض، وهو من الشَّنآن بمعنى العداوة.

ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل - وقيل: في أبي جهل - على وجه

---

(١) في د: «الخصال».

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠).

الرد عليه؛ إذ قال: إن محمدًا أبترُ؛ أي: لا ولد له ذكَرٌ، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله؛ أي: مقطوع عنها، ولأنه لا يُذكر إذا ذُكر إلا باللعنة، بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المنابر والصوامع، مقرونٌ بذكر الله، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه، فهو كالوالد لهم(١).

---

(١) في د: «فكأنه والدهم».

﴿ سورة الكافرين ﴾

سبب هذه السورة: أن قومًا من قريش، منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم؛ قالوا: يا محمد! اتبع ديننا ونتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله شيئًا»[(١)]، ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم، ولذلك قال ﷺ: «من قرأها فقد برئ من الشرك»[(٢)].

[﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾].

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم.

فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾﴾؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: - قاله الزمخشري -: وهو أن قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل، وقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾﴾ يريد به فيما

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٠٣).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٧/ ٢٦٢).

مضى؛ أي: ما كنت قطُّ عابدًا ما عبدتم فيما سلف؛ فكيف تطلبون ذلك مني الآن؟[١]

الثاني: - قاله ابن عطية -: وهو أن قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾؛ أي: أبدًا ما عشتُ[٢].

وهذا مُعترَض؛ لأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلَّصته للاستقبال، فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ لا يَحتمل أن يراد به الحال.

ويحتمل عندي: أن يكون قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ يريد به: في المستقبل، على حسَب ما تقتضيه «لا» من الاستقبال، ويكون قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ يريد به: في الحال، فيحصل من المجموع نفي عبادته الأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ أظهر من معنى المضيّ الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال؛ فإن قولك: «ما زيد قائم» بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ هذا إخبارٌ أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله، كما قيل لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف، وأبيُّ بن خلف، وابنا

(١) الكشاف (١٦/ ٦٠٧).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٧٠١).

الحَجاج[١]، وكلهم ماتوا كفارًا.

فإن قيل: لم قال ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ بـ «ما» دون «مَن» التي هي موضوعة لمن يَعقل؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾؛ فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ على طريقته؛ لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، قاله الزمخشري[٢].

الثالث: أن «ما» مصدرية، والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، وهذا ضعيف.

فإن قيل: لم كرَّر هذا المعنى واللفظ؛ فقال بعد ذلك: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ مرة أخرى؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: - قول الزمخشري -: وهو أن الأوَّل في المستقبل والثاني فيما مضى[٣].

---

(١) وهما: نَبيهٌ ومنبِّه ابنا الحَجاج بن عامر. سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥).

(٢) الكشاف (١٦/ ٦١١).

(٣) الكشاف (١٦/ ٦٠٧).

والآخر: - قاله ابن عطية -: وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال، فهو حتمٌ عليهم أن لا يؤمنوا أبدًا[1].

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ أي: لكم شِرْككم، ولي توحيدي، وهذه براءة منهم.

وفيها مسالَمة منسوخة بالسيف.

* * *

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧٠١).

﴿ سورة النصر ﴾

سأل عمر بن الخطاب جماعةً من الصحابة ﷺ عن معنى هذه السورة، فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك على ظاهر لفظها، فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: هو أجلُ رسول الله ﷺ، أعْلَمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما علمتَ.

وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك**» يتأول القرآن(١)؛ أي هذه السورة، وقال لها مرة: «**ما أراه إلا حضور أجلي**»(٢).

وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق في حجة الوداع، وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يومًا أو نحوها.

وقال ابن مسعود: هذه السورة تسمى «سورة التوديع».

[﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ يعني بالفتح: فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ.

وقال ابن عباس:[1] النصر: صلح الحديبية، والفتح: فتح مكة.

وقيل: النصر: إسلام أهل اليمن.

والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبارٌ بغيب، فهو من أعلام النبوَّة.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ أي: جماعاتٍ، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشرٌ كثير، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفًا.

وقال أبو عمر ابن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر[2].

وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته: مئة ألف وأربعة عشر ألفًا.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ قد ذُكر التسبيح والاستغفار ومعنى ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ فيما تقدم[3].

فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح، وعند اقتراب أجله؟

فالجواب: أنه أمره بالتسبيح والحمد؛ ليكون شكرًا على النصر والفتح

---

(١) في أ، هـ زيادة: «من».
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/ ١٦٣٨).
(٣) انظر: (١٢٧/٣).

وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله؛ ليكون ذلك زادًا للآخرة وعُدةً للقاء الله[1].

* * *

(١) في ج، د: «اللقاء».

﴿ سورة أبي لهب[١] ﴾

سببها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِد رسول الله ﷺ على الصفا، فنادى بأعلى صوته: «يا صباحاه[٢]!»، فاجتمعت إليه قريش فقال لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ثم أنذرهم عمومًا وخصوصًا، فقال له أبو لهب: تبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة[٣].

[﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾].

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت، والتباب: هو الخسران.

وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، وهو عمُّ رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوةً له.

فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته[٤] دون اسمه؟

---

(١) قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٥٥٢): «وتسمَّى سورة تبَّت، وسورة أبي لهب، وسورة المسد».

(٢) في أ، د، هـ: «يا صاحباه»!.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٤) في أ، هـ: «بتكنيته».

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره، ويقال: إنه كُنِّي أبا لهب لتلهُّب وجهه جمالًا.

الثاني: أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية.

الثالث: أنه لما كان من أهل النار واللهب، كنَّاه أبا لهب، وليناسب ذلك قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَآ﴾: نافيةً، أو استفهامية يراد بها النفي.

و﴿مَالُهُۥ﴾: هو رأس ماله، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: الربح.

أو ﴿مَالُهُۥ﴾: ما ورث، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: هو ما اكتسبه لنفسه.

وقيل: ﴿مَالُهُۥ﴾: جميع ماله، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: أولاده.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ هذا حتمٌ عليه بدخول النار، ومات بعد ذلك كافرًا.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ اسم امرأته: أم جميل بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان وعمة معاوية.

وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال:

أحدها: أنها تحمل حطبًا وشوكًا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه[١].

---

(١) في ب، ج زيادة: «به».

الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال: فلان يحمل الحطب بين الناس: أي: يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم.

الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين، يقال: فلان يحطِب على فلان: إذا قصد الإضرار به.

الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ **الجِيد**: العنق.

والمسَد: الليف.

وقيل: الحبل المفتول.

وفي المراد به ثلاثة أقوال:

الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول، وفي ذلك تحقيرٌ لها، وإظهار لخساسة حالها.

والآخر: أن حالها في جنهم يكون كذلك؛ أي: يكون في عنقها حبل.

الثالث: أنها كانت قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنَّها على عداوة محمد، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرُّجها.

ويحتمل قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ وما بعده وجوهًا من الإعراب يختلف الوقف باختلافها، وهي:

أن يكون ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ مبتدأ، و﴿حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾ خبره.

أو يكون ﴿حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾ نعتٌ، والخبر: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

أو يكون ﴿ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ معطوفًا على الضمير في ﴿يَصۡلَىٰ﴾، و﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: نعت، أو خبر مبتدأ مضمر.

* * *

﴿ سورة الإخلاص ﴾

سبب نزول هذه السورة: أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك وانسبه؟ فإنه وصف نفسه في التوراة ونسَبها!، فارتعد رسول الله ﷺ حتى خرَّ مغشيًّا عليه، ونزل عليه جبريل عليه السلام بهذه السورة.

وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؟ فنزلت.

وعلى الرواية الأولى: تكون السورة مدنية؛ (لأن سؤال اليهود بالمدينة)[١].

وعلى الرواية الثانية: تكون مكية.

واختلف في معنى قوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِل ثلث القرآن»[٢]:

فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي: لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن.

وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم؛ وذلك أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقَصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد،

---

(١) سقط من ج، د.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٣)، ومسلم (٨١١).

فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر، وعليه حمل ابن عطية الحديث[١].

ويؤيده: أن في بعض روايات الحديث: «إن الله جزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ جزءًا من أجزاء القرآن»[٢].

وخرج النسائي: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقرؤها فقال: «أما هذا فقد غفر له»[٣]، وفي رواية أنه قال: «وجبت له الجنة»[٤].

وخرج مسلم: أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن؛ فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[٥].

وفي رواية خرَّجها الترمذي: أنه ﷺ قال للرجل: «حبك إياها أدخلك الجنة»[٦].

وخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٣).
(٢) أخرجه مسلم (٨١١).
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٧/ ٢٦٢).
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ١٨).
(٥) أخرجه مسلم (٨١٣).
(٦) أخرجه الترمذي (٢٩٠١).

مئتي مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين»[١].

[﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾].

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الضمير هنا عند البصريين: ضمير الأمر والشأن الذي يراد به التعظيم والتفخيم.

وإعرابه: مبتدأ، وخبره الجملة التي بعده، وهي المفسرة له، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبره.

وقيل: ﴿ٱللَّهُ﴾ هو الخبر، و﴿أَحَدٌ﴾ بدل منه.

وقيل: ﴿ٱللَّهُ﴾ بدل، و﴿أَحَدٌ﴾ هو الخبر.

و﴿أَحَدٌ﴾ له معنيان:

أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب، كقولك: «ما جاءني أحد»، وليس هذا موضع هذا المعنى، وإنما موضعه قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

والآخر: أن يكون بمعنى واحد، وأصله: «وَحَد» بواو، ثم أبدل من الواو همزة، وهذا هو المراد هنا.

واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد[٢] له ثلاثة معان كلها صحيحة

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٨).

(٢) في ب، د: «بالوحدانية».

في حق الله تعالى:

الأول: أنه واحد لا ثاني معه، فهو نفي للعدد.

والآخر: أنه واحد لا نظير ولا شريك، كما تقول: «فلان واحد عصره»؛ أي: لا نظير له.

والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعَّض[١].

والأظهر: أن المراد في السورة نفي الشريك؛ لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال الزمخشري: ﴿أَحَدٌ﴾ وصفٌ بالوحدانية ونفيِ الشركاء[٢].

قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته، وذلك في القرآن كثير جدًّا، وأوضحها أربعة براهين[٣]:

الأول: قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]؛ لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحدٌ منها شريكًا له.

والآخر: قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

والثالث: قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

---

(١) انظر (١/٣٨٤).

(٢) الكشاف (١٦/٦٣٨).

(٣) انظر تبيين هذه الأوجه في كتاب «النور المبين في قواعد عقائد الدين» للمؤلف رحمه الله (ص: ٣٩) وما بعدها.

والرابع: قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها.

وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ [البقرة: ١٦٣][١].

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ في معنى الصمد ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الصمد الذي يُصمَد إليه في الأمور؛ أي: يُلجأ إليه.

والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ﴾ [الأنعام: ١٤].

والثالث: أنه الذي لا جوف له.

والأول هو المراد هنا على الأظهر.

ورجحه ابن عطية: بأن الله هو مُوجِد الموجودات وبه قِوامها، فهي مفتقرة إليه؛ أي: تصمد إليه؛ إذ لا تقوم بأنفسها[٢].

ورجَّحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في «مريم»: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] ثم أعقبه بقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، وقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) انظر: (١/٣٨٤).
(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٧١١).

﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ١١٦]، وكذلك هنا ذكره مع قوله ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ ؛ ليكون برهانًا على نفي الولد.

قال الزمخشري: صَمَدٌ: فَعَلٌ بمعنى مفعول؛ لأنه مصمود إليه في الحوائج[1].

﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ هذا ردٌّ على كل من جعل لله ولدًا، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزير ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله.

وقد أقام اللهُ البراهين في القرآن على نفي الولد، وأوضحها أربعة:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفهما بصفة الحدوث؛ لينفي عنهما صفة[2] القِدَم فتبطل مقالة الكفار.

والثاني: أن الولد إنما يُتخذ للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء، فلا يتخذ ولدًا، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ [يونس: ٦٨].

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي البنوَّة، وإلى هذا

---

(١) الكشاف (١٦/ ٦٣٥).

(٢) في ب، ج، هـ: «صفات».

أشار بقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣].

الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ هذا ردٌّ على الذين قالوا: «انسُبْ لنا ربك»، وذلك أن كل مولود محدَث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده، القديم، الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودًا تعالى عن ذلك.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ الكفؤ: هو النظير والمماثل.

قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، فيكون نفيًا للصاحبة(١)، وهذا بعيد.

والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل.

ويجوز في ﴿كُفُوًا﴾:

ضم الفاء، وإسكانها مع ضم الكاف، وقد قرئ بالوجهين.

ويجوز أيضًا كسر الكاف وإسكان الفاء.

ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمدُّ.

ويجوز فيه: الهمز والتسهيل.

---

(١) الكشاف (١٦/ ٦٣٦).

وانتصب ﴿كُفُوًا﴾ على أنه خبر «كان»، و﴿أَحَدٌ﴾ اسمها.

قال ابن عطية: يجوز أن يكون ﴿كُفُوًا﴾ حالًا؛ لكونه كان صفة للنكرة فقُدِّم عليها[1].

فإن قيل: لم قدَّم المجرور وهو ﴿لَهُۥ﴾، على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غيرَ خبر أن يؤخَّر؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه قُدم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى.

والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقًا، إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يَحوز[2] هذا المعنى، فقدَّمه.

فإن قيل: إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يقتضي نفي الولد والكفؤ؛ فلم نصَّ على ذلك بعده؟

فالجواب: أن هذا من التجريد، وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عمومٍ مُتقدِّمٍ، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، ويُفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا:

أحدهما: الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٢).

(٢) في ج، هـ: «يُحْرِز».

الاعتناء به؛ للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار.

والآخر: الإيضاح والبيان؛ فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بيانًا، وإيضاحًا للمعنى، ومبالغةً في الرد على الكفار، وتأكيدًا لإقامة الحجة عليهم.

* * *

﴿ سورة الفلق ﴾

[﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ تقدم معنى ﴿أَعُوذُ﴾ في التعوُّذ[(١)]، ومعنى ﴿رَبِّ﴾ في «اللغات»[(٢)] و«الفاتحة»[(٣)].

وفي الفلق ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصبح، ومنه ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قال الزمخشري: هو فَعَلٌ بمعنى مفعول[(٤)].

الثاني: أنه كل ما يَفلقه الله، كفلْق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك.

الثالث: أنه جُبٌّ في جهنم. وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ[(٥)].

---

(١) انظر: (١/٢٣٩) والمادة (٣٩٠) في اللغات.

(٢) انظر المادة (٢٠٤) في اللغات.

(٣) انظر: (١/٢٥٤).

(٤) الكشاف (١٦/ ٦٤٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٤٢).

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ هذا عمومٌ في جميع المخلوقات، وشرُّهم: أنواع كثيرة، أعاذنا الله منها.

و﴿مَا﴾ هنا:

موصولة.

أو موصوفة.

أو مصدرية.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ فيه ثمانية أقوال:

الأول: أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وهذا قول الأكثرين، وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الأنس والجن، ولذلك قيل في المثل: «الليل أخفى للويل»(١).

الثاني: أنه القمر، خرج النسائي: أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال: **«يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا؛ فإنه الغاسق إذا وقب»**(٢)، ووقوبه على هذا: كسوفه؛ لأن «وَقَبَ» في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف، أو إذا أظلم به.

الثالث: أنه الشمس إذا غربت، والوقوب على هذا المعنى: الظلمة، أو الدخول.

---

(١) أي: افعَلْ ما تريد ليلا فإنه أسْتَرُ لسرِّك. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/ ١٩٣)، وفيه قصة هذا المثل.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٢٣)، والترمذي (٣٣٦٦)، والنسائي (٩/ ١٢٢).

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل، وهذا قريب من الذي قبله.

الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تَهيج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «النجم هو الغاسق»[١] فيحتمل أن يريد الثريا.

السادس: أنه الذَّكَر إذا قام، حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس.

السابع: قال الزمخشري: يجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات، ووَقْبُه: ضَرْبه[٢].

الثامن: أنه إبليس، حكى ذلك السهيلي[٣].

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ النفْث: شبه النفخ دون تفْل وريق. قاله ابن عطية[٤].

وقال الزمخشري: هو النفخ مع ريق[٥].

وهذا النفث ضربٌ من السحر، وهو أن ينفث على عُقَدٍ تُعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك.

وحكى ابن عطية أنه حدَّثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطًا أحمر قد عُقدت فيه عقد على فِصْلان - وهي أولاد الإبل -، فمُنعت

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٤٨).

(٢) الكشاف (١٦/ ٦٤٧).

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٩٩).

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٥).

(٥) الكشاف (١٦/ ٦٤٨).

بذلك من رضاعَ أمهاتها، فكان إذا حلَّ عقدةً جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرَضِعَ في الحين[١].

قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر، ومن إثمهنَّ في ذلك.

والآخر: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن[٢].

و﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بناء مبالغة، والموصوف محذوف تقديره:

النساء النفاثات.

أو الجماعات النفاثات.

أو النفوس النفاثات.

والأول أرجح؛ لأنه روي أنه إشارة إلى بنات لَبيد بن الأعصم اليهودي، وكنَّ ساحرات سحرْنَ هُنَّ وأبوهن رسول الله ﷺ وعقَدْنَ له إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعَوِّذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد، وشفَى الله رسوله ﷺ.

فإن قيل: لم عرَّف ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بالألف واللام، ونكَّر ما قبله وهو ﴿غَاسِقٍ﴾ وما بعده وهو ﴿حَاسِدٍ﴾؛ مع أن الجميع مستعاذ منه؟

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٥-٧١٦).

(٢) الكشاف (١٦/ ٦٤٩).

فالجواب: أنه عرَّف النفاثات؛ ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شرِّيرة، بخلاف الغاسق والحاسد؛ فإن شرَّهما في بعضٍ دون بعض.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ الحسد خُلُق مذموم طبعًا وشرعًا، قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1].

وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عُصِيَ الله بها في السماء والأرض، أما في السماء: فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض: فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد.

ثم إن الحسد على درجات:

الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه، بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة؛ لرغبته فيها ورجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره، وهذا جائز وليس بحسد، وإنما هو غِبْطة.

والحاسد يضرُّ نفسه ثلاث مضرَّات:

أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهةُ إنعام الله على عبده، واعتراضٌ على الله في فعله.

الثالثة: تألم قلبه، وكثرة همه وغمه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣)، وابن ماجه (٤٢٠٩).

فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين، فإن المحسود ذو نعمة والحاسد في كرب ونقمة، ولله در القائل:

إني لأرحم حاسِديَّ لفَرْط ما ... ضمَّت صدورهمُ من الأوغارِ

نظروا صنيع الله بي فعيُونهم ... في جنةٍ وقلوبُهم في نارِ[1]

وقال آخر:

إن يحسدوني فإني غيرُ لائمِهم ... قبلي من الناس أهلِ الفضل قد حُسِدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهمُ ... ومات أكثرُنا غيظًا بما يَجِدُ[2]

ثم إن الحسود لا تزول عداوته، ولا تنفع مداراته، وهو ظالم يتشكَّى كأنه مظلوم، ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد تُرجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسَدِ[3]

وقال حكيم الشعراء:

وأَظلم خلق الله من بات حاسدًا ... لمن بات في نعمائه يتقلَّبُ[4]

قال ابن عطية: قال بعض الحذاق: هذه السورة خمس آيات، وهي مراد

---

(١) البيتان لأبي الحسن التهامي كما في ديوانه (ص: ٣١٦).

(٢) البيتان لبشار بن برد كما في ديوانه (٣/ ٩٧).

(٣) البيت للشافعي كما في مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٧٤)، ونسبه في العقد الفريد إلى ابن المبارك (٢/ ١٧١).

(٤) البيت للمتنبي كما في شرح العكبري لديوانه (١/ ١٨٥).

الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين: الخمسة على عينيك[١].

فإن قيل: لم قال ﴿إِذَا وَقَبَ﴾، و﴿إِذَا حَسَدَ﴾ فقيد بـ «إذا» التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات؟

فالجواب: أن شرَّ الحاسد ومضرَّته إنما تقع إذا أمضى حسده، فحينئذٍ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين، فإن عين الحسود قاتلة، وأما إذا لم يُمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد، والظن، والطيرة»**[٢]. فمخرجه من الحسد أن لا يَبغِي، ومخرجه من الظن أن لا يُحقِّق، ومخرجه من الطيرة أن لا يرجع، فلهذا خصه بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾.

وكذلك الشر المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم، فلذلك خصه بقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾.

فإن قيل: إن قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ عمومٌ يدخل تحته كل ما ذكر بعده؛ فلأيِّ شيء ذَكر ما بعده؟

فالجواب: أن هذا من التجريد؛ للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهودُ رسولَ الله ﷺ، وشدة حسدهم له.



---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٢٨).

﴿ سورة الناس ﴾

[﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إن قيل: لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟

فالجواب: أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فخصهم بالذكر لأنهم المعوَّذون بهذا التعويذ، والمقصودون هنا دون غيرهم.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ هذا عطف بيان.

فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى بـ ﴿رَبِّ﴾ ثم بـ ﴿مَلِكِ﴾ ثم بـ ﴿إِلَٰهِ﴾؟

فالجواب: أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى، وذلك أن الرب قد يُطلق على كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار، وشبه ذلك، فبدأ به؛ لاشتراك معناه، وأما الملْك فلا يوصف به إلا آحاد من الناس وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس، فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملك، ولذلك لا يَدَّعي الملوكُ أنهم آلهة، وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير؛ فلذلك خَتم به.

فإن قيل: لم أظهر المضاف إليه وهو ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في المرة الثانية والثالثة؛ فهلَّا أضمره في المرتين لتقدُّم ذكره في قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؟ أو هلَّا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟

فالجواب: أنه لما كان عطف بيان حسُن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار، وقصَد أيضًا الاعتناء بالمكرَّر ذكرُه، كقول الشاعر:

لا أرى الموتَ يَسبق الموتَ شيءٌ نغَّص الموتُ ذا الغنى والفقيرَا[1]

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ وهو مشتق من الوسوسة، وهي الكلام الخفي.

فيحتمل أن يكون ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾:

[أ-] بمعنى الموسوِس فكأنه اسم فاعل، وهذا يظهر في قول ابن عطية: الوسواس من أسماء الشيطان[2].

[ب-] ويحتمل أن يكون مصدرًا وصف به الموسوس:

على وجه المبالغة، كالوصف بعَدْلٍ وصَوْمٍ.

أو على حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس.

وقال الزمخشري: إنما المصدر وِسواس بالكسر[3].

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ معناه: الراجع على عقبه المستتر أحيانًا، وذلك متمكِّن في الشيطان؛ فإنه يوسوس، فإذا ذَكر العبدُ الله وتعوذ به منه تباعد عنه، ثم رجع

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبَادي كما في ديوانه (ص: ٦٥).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٧).

(٣) الكشاف (١٦/ ٦٥٣-٦٥٤).

إليه عند الغفلة عن الذكر ، فهو يَخنَس في تباعده، ثم في رجوعه بعد ذلك.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة؛ منها :

إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد.

فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي.

فإن لم يقدر على ذلك ثبَّطه عن الطاعات.

فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات؛ ليُحبطها.

فإن سلم من ذلك أدخل عليه العُجْب بنفسه واستكثار عمله.

ومن ذلك: أنه يوقد في القلب نار الحسد، والحقد، والغضب؛ حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال.

وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء؛ وهي :

[١-] الإكثار من ذكر الله.

[٢-] والإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أَنفع شيءٍ في ذلك قراءة هذه السورة.

والثالث: مخالفته والعزم على عصيانه.

فإن قيل: لم قال : ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل : «في قلوب الناس»؟

فالجواب: أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالَّة في القلب، بل هي محوِّمة في الصدر حول القلب.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن، ومن الإنس.

ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد:

من يوسوس بخِدَعه، وأقواله الخبيثة؛ فإنه شيطان كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الإنعام: ١١٢].

أو يريد به: نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء؛ فإنها أمَّارة بالسوء.

والأول أظهر.

وقيل: إن ﴿ٱلنَّاسِ﴾ معطوف على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ كأنه قال: أعوذ من شر الوسواس من الجنة، ومن شر الناس، وليس الناس على هذا ممن يوسوس.

والأول أظهر وأشهر.

فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين، وما الحكمة في ذلك؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، والنعم مَظِنة الحسد؛ فختم(١) بما يطفئ الحسد؛ من الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي: أن المعوِّذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: «أنزلت عليَّ آيات لم ير مثلهن قط»(٢)، كما قال في فاتحة

---

(١) في د، هـ: «ختم».

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤).

الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها»[١]، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم يُرَ مثلهما؛ ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألَا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حُسْن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضًا: أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوِّذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء؛ ليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره[٢] إلى آخره.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١)، والترمذي (٢٨٧٥)، وأحمد في مسنده (٩٣٤٥) في ضمن حديث طويل.

(٢) في ج، د: «مرة».

كمل كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، وليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إلى الله كما أعانني بفضله على هذا الكتاب أن يجعله موجِبًا لدخولي الجنة من غير حساب ولا عذاب، بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم[1]، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكان تمام تقييده في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني عام تسعة وثلاثين وسبع مئة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم»، أقول: كان الأولى بالمصنف رحمه الله التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وكما جاء في السنة: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت» الحديث، وما ذكره من التوسل بحرمة القرآن وشفاعة النبي ﷺ لا دليل عليه، فغفر الله له، ورحمه، وضاعف مثوبته.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

فهرس تقريرات فضيلة الشيخ العلامة:

عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله -

٣٠	إطلاق نفي التغير عن الله واستدلال المتكلمين على ذلك بقصة إبراهيم في قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ وما في ذلك من المآخذ	٢/ ٢٨١
٣١	معنى الظلم الذي نزَّه الله عنه نفسَه عند أهل السنة وعند الأشاعرة	٢/ ٣٠٦
٣٢	استواء الله تعالى على عرشه	٢/ ٣٤٩
٣٣	نفي فوقية الله تعالى وسلوك مسلك التفويض أو التأويل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾	٢/ ٧٥٢
٣٤	نقد تفسير ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ بأنها معلومات الله وهي المعاني القائمة بالنفس، وما فيه من سلوك طريقة الأشاعرة	٣/ ٥٨
٣٥	تفسير ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾	٣/ ٩٩
٣٦	تفسير ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾	٣/ ١٠١
٣٧	من لم يتب هل تحصل له المغفرة؟	٣/ ١١١
٣٨	تفسير ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾	٣/ ١٣
٣٩	تفسير ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآ﴾ بأنها الجنة، أو في أهل رحمتنا	٣/ ١٥٦
٤٠	تفسير ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ بأن المراد معلومات الله	٣/ ٢٢٠

٥٠	تفسير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ وتمسك المعتزلة بها في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله	٣/ ٤٥٠
٥١	تفسير ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ بأنه هذا تقريب لفهم السامع وأن الأمور كلها متساوية عند الله ليس فيها تفاضل	٣/ ٤٩١
٥٢	نقد تفسير ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ بأنه عبارة عن إيجاد الحياة فيه، وما فيه من عدم إثبات إضافة النفخ إلى الله تعالى	٣/ ٥١٧
٥٣	نقد تفسير ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ بعلمه وإحاطته، وما فيه من جريٍ على مذهب الأشاعرة في عدم إثبات القرب الخاص	٣/ ٥٩٨
٥٤	تفسير ﴿بَلْ عجبتُ وَيَسْخَرُونَ ١٢﴾ على القراءة بضم الباء، وصفة العجب لله تعالى	٣/ ٦٥٨
٥٥	تفسير ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وهل الرضا هو الإرادة؟	٣/ ٧٤١
٥٦	تفسير ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وتأويلها بالنعمة أو القوة	٤/ ١٤٩
٥٧	تفسير ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ واستدلال المعتزلة بها على أن الفاسق غير مؤمن	٤/ ١٧٨